الكتاب والسلطان

اتفاق وافتراق

تأملات في الفساد السياسي وآثاره في تاريخ المسلمين

المجلد الأول

أيمن الظواهري

عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "خذوا العطاء ما دام عطاءً، فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه. ولستم بتاركيه، يمنعكم الفقر والحاجة. ألا إن رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار. ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب. ألا إنه سيكون عليكم أمراء، يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، إن عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم". قالوا: يا رسول الله كيف نصنع؟ قال: "كما صنع أصحاب عيسى بن مريم، نشروا بالمناشير، وحملوا على الخشب. موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله"[1].

***

يقول أحمد شوقي وهو ينادي الخلافةَ الغائبةَ:

عودي إِلى ما كُنتِ في فَجرِ الهُدى   عُمَرٌ يَسوسُكِ وَالعَتيقُ يَليكِ

إِنّي أُعيذُكِ أَن تُري جَبّارَةً   كَالبابَوِيَّةِ في يَدَي رُدريكِ

إِنّي أَرى الشورى الَّتي اِعتَصَموا بِها   هِيَ حَبلُ رَبِّكِ أَو زِمامُ نَبيكِ

***

وقال وهو يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بِكَ يا اِبنَ عَبدِ اللَهِ قامَت سَمحَةٌ   بِالحَقِّ مِن مِلَلِ الهُدى غَرّاءُ

فَرَسَمتَ بَعدَكَ لِلعِبادِ حُكومَةً   لا سوقَةٌ فيها وَلا أُمَراءُ

وَالدينُ يُسرٌ وَالخِلافَةُ بَيعَةٌ   وَالأَمرُ شورى وَالحُقوقُ قَضاءُ

1 قال الهيثمي: رواه الطبراني، ويزيد بن مرثد لم يسمع من معاذ، والوضين بن عطاء وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. [مجمع الزوائد- باب لا طاعة في معصية ج: 5 ص: 227، 228، 238].

إهداء

أهدي هذا الكتاب لكل باحث عن الحقيقة.

كما أهديه لكل نصراني حر يريد أن يعرف الحق.

ولكل علماني يملك شجاعة العودة للحق، ويتحرر من عقدة النقص والدونية.

وأهدي ثوابه لوالدي الكريمين ولسائر المسلمين وشهدائهم رحمهم الله أجمعين.

وخاصة لعمر عبد الرحمن ورفاعي طه ونبيل المغربي وأبي الخير المصري وأبي الفرج المصري وأبي الفرج اليمني ومرجان سالم وهشام عشماوي وعماد عبد الحميد وعمر رفاعي سرور وسائر إخوانهم شهداء الكنانة.

كما أهدي ثوابه لأخي ورفيقي رفاعي سرور، الذي كان رائدًا في مقاومة التنصير.

ولأميري المؤمنين الملا محمد عمر والملا أختر محمد منصور والشيخ جلال الدين حقاني وسائر إخوانهم شهداء أفغانستان.

ولمحمد الزهاوي وخالد أبي العباس وأبي الحسن البليدي وأبي عياض التونسي وأبي مصعب عبد الودود وسائر إخوانهم من شهداء مغرب الإسلام.

ولأبي بصير الوحيشي وأبي هريرة الصنعاني ومحمد سعيد الشهراني وسائر إخوانهم من شهداء جزيرة العرب.

ولأبي عبد الرحمن الكندي وأبي عبد الرحمن البي إم وأبي يحيى الهاون وأبي عمر خليل وأبي دجانة الباشا وأبي عبيدة المصري وحسن كل وفاروق القطري وقاري سفيان المغربي وأبي عبيدة المقدسي وأبي بصير الأردني وأبي عمرو المصري وعبد الملك الكويتي وحمزة الدرناوي وتاج المكي وفيصل النجدي ومهدي الكردي ولريبي أحمد (صلاح النجار) ولأبي محسن وإلياس كشميري وأحمد فاروق وقاري عمران والدكتور أبي خالد والشيخ عمر عاصم وحسين (الإعلام) وسائر شهداء المهاجرين في خراسان.

ولمحمد ذي اليدين وعلي جبل وسائر إخوانهم الشهداء في ثغر الإسلام بشرق إفريقيا.

ولأبي فراس السوري وأبي القسام وخلاد وأبي جليبيب وسائر شهداء الجهاد في الشام.

كما أهدي ثواب هذا العمل لأسرى الجهاد في كل مكان، وخاصة للأسرى من نسائهم وأطفالهم وأراملهم وأيتامهم، الذين اعتقلتهم أمريكا وشبكتها الشيطانية في سجونها السرية في باجرام وباكستان والأردن ومصر والمغرب وشرق أوروبا وغيرها من أوكار أمريكا أم الحرية (في الظلم والطغيان)، وحقوق الإنسان (في استعباد البشر وخاصة المسلمين)، والشرعية الدولية (في الاحتلال والقتل والسرقة وتدمير البيئة)، وحماية أرواح المدنيين (في هيروشيما ونجازاكي وفيتنام ودرسدن وغزة وبغداد وخوست وقندز ووزيرستان .... إلخ).

كما أهدي ثواب هذا العمل للمجاهدين بأقلامهم وإعلامهم، المرابطين على ثغور العقيدة، وخاصة ضد التنصير والإلحاد والفرق المارقة، والذين تعلمت منهم كثيرًا، فجزاهم الله عني وعن المسلمين خير الجزاء، وتقبل الله منهم، وزادهم من العلم النافع والعمل الصالح.

كما أهدي ثواب هذا العمل لبناتي وبنات المجاهدين والمهاجرين والأسرى وزوجاتهم وأراملهم ويتيماتهم الصابرات المهاجرات المحتسبات، فأسأل الله أن يزيدهن تقىً وهدىً ورفعةً ويقينًا ورضًا و نورًا في الدنيا والآخرة.

***

شكر

أود هنا أن أسجل شكري لكل من أعانني على إتمام هذا الكتاب، وإن كنت لا أستطيع ذكر أسمائهم، حتى لا ينالهم ضرر.

فمن هؤلاء فضيلة الشيخ الفاضل، الذي حرص على إمدادي بكل ما يستطيع من كتب وأشرطة ومراجع، طلبتها منه، وكان في كل مرة يؤكد لي أنه سيبذل ما يستطيع، ويشجعني على طلب ما أريد.

والشكر موصول لأهلي الكرام على صبرهم لمدد طويلة على تفرغي لكتابة هذا الكتاب، وعلى ما وفروه لي من راحة وخدمة.

كما أتوجه بالشكر والدعاء لله سبحانه وتعالى أن يجزي عني خير الجزاء ثلة من أفضل من عايشتهم، حرصوا على أن يجعلوا معيشتي بينهم ميسرة قدر الإمكان في ظروف من عدم الاستقرار.

كما أتوجه بشكري ودعائي لله الكريم أن يجزي عني خيرًا كل من استفدت من قراءة علمه أو مشاهدة أشرطته، من المرابطين بأقلامهم وإعلامهم على ثغر العقيدة، مما وفر علي سنينًا من البحث والمطالعة.

فلكل هؤلاء شكري ودعائي؛ بأن يجعل ما قدموه وأعانوني به بركة لهم في الدنيا وذخرًا لهم في الآخرة.

***

الكتاب والسلطان: اتفاق وافتراق-

تأملات في الفساد السياسي وآثاره في تاريخ المسلمين:

***

مقدمة المجلد الأول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[3].

أما بعد

فهذا كتاب شرعت في كتابته -راجيًا من الله قبوله وأن يجعله نافعًا لي ولغيري- بيانًا لمدى التخريب والانحراف والضياع والكوارث، التي سببها الفساد السياسي في تاريخ المسلمين.

وكيف أن هذا الفساد السياسي الذي بدأ منذ بداية التاريخ الإسلامي ما زال يزيد ويستشري، تغالبه وتقاومه وتصارعه قوى الخير والتقوى والصلاح في الأمة المسلمة، حتى وصل بنا إلى ما وصلنا إليه من مذلة وهوان وهزيمة وضعف وانحلال وفرقة وتشرذم.

وهذا الفساد الذي نشأ وما زال مستمرًا، وتلك المقاومة التي تصدت -وما زالت تتصدى- له هو ما أخبرنا به الصادق المصدوق في قوله صلى الله عليه وسلم:

"لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الإِسْلامِ، عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ، تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلاةُ"[4].

وفي قوله صلى الله عليه وسلم:

"تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيًّا، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ"[5].

***

وفكرة هذا الكتاب قديمة قبل ما سمي بـ(ثورات الربيع العربي)، وقد بدأت قبلها في جمع مادته، ثم شاء الله أن أفقد كل ما جمعته، ثم بدأت من جديد.

وكان الباعث عليه في ذلك الوقت أني توقعت أن تتصاعد الانتفاضة الجهادية، ويتزايد المد الإسلامي، وكنت أخشى عليه من تسرب عوامل النقص والضعف، التي بدلت الحكم الإسلامي الراشد، فحولته لملك استبدادي وتاريخ من العسف والظلم والفتن وسفك الدماء وتدمير المجتمع، وشيوع للفساد السياسي والعقدي والاجتماعي، فحرصت على أن أكتبه

---

1 سورة آل عمران، آية: 102.

2 سورة النساء، آية: 1.

3 سورة الأحزاب، آية: 70 و71.

4 صححه الشيخ الألباني رحمه الله. [صحيح وضعيف الجامع الصغير- حديث رقم: 9206 ج: 19 ص: 253]، وقال الشيخ شعيب الأرونؤوط: إسناده جيد. [مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ- 2001م. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية].

5 صححه الألباني رحمه الله [السلسلة الصحيحة الكاملة- حديث رقم: 5 ج: 1 ص: 4]، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. [مسند الإمام أحمد بن حنبل- حديث رقم: 18406 ج: 30 ص: 356].

كنصيحة وبيان لأسباب الضعف والوهن، الذي حل بالأمة، لنعرف لماذا وكيف هُزمنا، وهل كان الأعداء فقط هم سبب هزيمتنا؟ أم أن الضعف الأساسي والحقيقي كان ينمو في داخلنا، ويستشري في سلوكنا وأفكارنا.

وأنه لكي تعود الأمة لمجدها وعزها، فلا بد أن تعلم من أين أوتيت، ولماذا انهارت وانكسرت.

ومع قيام ثورات الربيع العربي، وما قبله وبعده من تعاظم وتزايد المد الجهادي، رأيت أن مخاوفي قد بدأت في الحدوث والوقوع، ورأيت ظواهر مرضية كثيرة بدأت تزحف وتشوه وتحرف المسيرة الصحيحة، وأيقنت أن العواطف والحماس وحدهما لا يعصمان من الانحراف والزلل، ولكن يعصم منه العلم الصحيح والعمل به.

ووجدت أن كثيرًا مما يطرح باسم العلم، وينطق به من يُسَمون -أو يُسميهم غيرُهم- العلماء، كثير من ذلك ليس إلا خداعًا وتضليلًا، وأن صوت العلم الحقيقي والعلماء العاملين مشوش عليه أو مكتوم وممنوع.

وأذكر مرة أن الشيخ عمر عبد الرحمن -رحمه الله- سأله أحد الإخوة عن العذر بالجهل، فقال له: يا بني العذر اليوم ليس بالجهل، ولكن بالعلم، فإن العلم قد فسد.

ووجدت أن أعداء الأمة حريصون كل الحرص، وجادون كل الجد، وساعون أشد السعي، في الإضلال والتضليل، والتوهين والتفريق والتشويه. فتنفق الأموال الطائلة، ويجند مئات المشايخ، وتفسح لهم منافذ الإعلام، ليشرعوا ويقروا ويقننوا الخضوع للمحتل الغازي الكافر، وليصموا كل صادق في دفع الظلم والكفر والغزو الإجنبي بالتهم والافتراءات، وليمكنوا للدول الأدوات التوابع الخاضعة للكفر العالمي الذي يسمونه بـ(الشرعية الدولية)، بل بلغت بهم الجرأة أن يعتبروا أن وجود هذه الكيانات حتى ولو كانت مجهرية تبحث عنها على الخريطة بعدسة، يعتبروا تلك الأشياء هي الأصل الشرعي الذي يجب المحافظة عليه، ويسبغوا صفات الصلاح والتقوى بل وألقاب سلطان المسلمين وحامي الدين على الصهاينة العلمانيين المتحالفين والخاضعين للنظام الكفري العالمي، ويغمزون ويسفهون من يسعى لاستعادة الخلافة، إلى غير ذلك من الأباطيل والأكاذيب. التي ينفق عليها الأمريكان والغربيون والروس، إما مباشرة أو عن طريق عملائهم، ويجتمعون ويأتمرون في ظلال قواعد الغزاة الكفار الأجانب.

ووجدت أن هذه العمائم المأجورة حاملو الأسفار بائعو الدين والشرف، تقام لهم الاتحادات والتجمعات والهيئات والمؤتمرات، وكأنهم يريدون أن ينشئوا كنيسة أو كنائس وكهنوتًا لدى المسلمين تحت سلطان الطواغيت والحكام العملاء، مثل ما يجده القارئ في هذا المجلد من بيان تاريخ انحراف النصارى، وكيف صارت الكنيسة جزءًا من الإمبراطورية الرومانية.

ووجدت أن كثيرًا ممن ينتسبون للعمل الإسلامي يفسدون -جهلًا أو قصدًا- المفاهيم والأهداف والتوجهات. وأنهم بدلًا من أن يحملوا عبء العمل للإسلام، صاروا هم عبئًا على العمل للإسلام، وبدلًا من أن يكونوا قوة له، صاروا من أسباب ضعفه، وبدلًا من أن يصلحهم صاروا من أسباب فساده، وراحوا يحملون ضعفهم وأهواءهم وأطماعهم على العمل الإسلامي.

ووجدت سيلًا من الأخلاق غير الحميدة ينحدر على تيار العمل الإسلامي والجهادي، حتى صارت عند الكثيرين -وليس الأكثر- قيم الصدق والوفاء وتعظيم الوحدة والاجتماع، والحرص على الأوامر والنواهي الشرعية، والحذر من الخوض في الدماء والأعراض، صارت هذه القيم ينظر إليها على أنها بلاهة أو سذاجة أو تجمد أو تخلف عن المستجدات.

وفي المقابل صارت أساليب الغوغائية والكذب والافتراء والتعدي والتحايل والغش والجرأة على المحرمات من المفاخر والمزايا التي يمدح فاعلها.

وصار التكالب على السلطة والنفوذ والسيطرة سمة منتشرة، استحلت من أجلها الدماء، ونكثت من أجلها العقود، وشقت من أجلها الصفوف، وأبيح من أجلها العدوان والكذب والافتراء والسب والبذاءات.

ولفقت من أجلها الحجج الساقطات، فهذا خليفة وذاك سلطان وثالث متغلب، وكلهم مغلوبون تحت بطش العدو القاهر، أو تحت نفوذه وسيطرته.

وسوف أناقش -بعون الله ومشيئته- مسألة التغلب هذه، وكيف نشأت، وما هي حقيقتها؟ فأسأل الله الأعانة والتوفيق لما يرضيه.

ووجدت الوحدة والجماعة تتخذ سلمًا للاستنفاع والتسلط على الناس، ثم إذا حقق المنتفعون منها غرضهم تملصوا منها بالجرأة أو بالمخادعة، وتحولت الوحدة إلى التوحد بالسلطة والنفوذ.

وصار التقارب مع الطواغيت سياسة، وإنكار أو التنكر لأساسيات العقيدة مرونة، والانقلاب على الثوابت اجتهادًا، واللف والدوران والمخادعة والمخاتلة مصلحة.

ورأيت جرائم وبوائق الحجاج بن يوسف وأبي مسلم الخراساني وبسر بن أرطاة تعود من جديد، ووجدت من يهون نكث العهد لأن بيبرس قد قتل قطز، ومع ذلك صار بطلًا.

ورأيت الحرص على الجدل يتزايد ويستشري ويترعرع في أوساط الشباب، وخاصة في السجون، وفي جماعة إبراهيم البدري، وكلما فتحت مسألة من دقائق العلم، أدى الجدال فيها لمسألة أخرى.

ومن العجائب أني رأيت أفرادًا وزمرًا من أولئك المتشددين قد انهاروا أمام سفلة المباحث والاستخبارات، وصاروا يكيلون لهم المدح، ويتبادلون معهم الود، في حملة مشتركة ضد الجهاد والمجاهدين. فأيقنت أن علة ذلك التشدد الأساسية نفسية خلقية سلوكية.

ورأيت تسابقًا وتباريًا وتنافسًا على التشدد في التكفير والتفسيق والتبديع، وأن أفضل الناس هو أكثرهم حظًا من ذلك، وهو انحراف نفسي، ومسحة من احتقار الآخرين، ونزعة من جنون العظمة، تغلف بالمصطلحات الفقهية.

ورأيت نوعًا من التكفير أسميته التكفير الانتفاعي، للتخلص ممن يراه المكفر منافسًا على السلطة، أو عائقًا دونها، أو حتى مخالفًا له في الرأي، فمن يُرغب في التخلص منه يتم تشويهه لتكفيره لتفجيره. بالشبهة وجزء الشبهة، وبدون شبهة بالكذب والافتراء، مع رفع الصوت في شريط دعائي، مصحوب بنشيد حماسي.

ورأيت كل أسرار المسلمين مطروحة على الملأ، كما يقول المثل المصري العامي: "اللي ما يشتري يتفرج" أي: الذي لا يرغب في الشراء فيمكنه المشاهدة.

ورأيت طوفان الغضب الشعبي الهادر في الربيع العربي يضيع في مستنقعات المساومات والتقرب للقوى الطاغوتية ولأكابر المجرمين ولحثالات العلمانيين والإباحيين والمجرمين.

ورأيت من ينتسبون للجهاد يتراجعون خطوة خطوة حتى صاروا حماة مصالح وأدوات في يد الدول الأدوات، ويمهدون لقواتها التقدم، بل ويحاربون تحت قيادتها، وفي المقابل وجدت من يدعى الدفاع عن المقدسات يسبغ على قتلة المسلمين ألقاب شهداء المقدسات!!!

فقوى ذلك من عزمي على الاستمرار في الكتابة.

***

وفي مقابل هذه الصور وتلك الأحوال المؤلمة، رأيت الجهاد تزيد قوته، والأمة تتعاظم نهضتها، والشباب يقبلون على رضا ربهم، والآلاف من أبناء الأمة يعودون لحمل السلاح والكفر بالطاغوت والإيمان بوحدة الأمة وأخوة الإسلام ووحدة ديار المسلمين، والقوى تتجمع، والمعنويات ترتفع، والانتصارات تتحقق، والأسرى يتحررون، ورأيت الفتوحات والانتصارات وتحرير الأراضي، ورأيت أكابر المجرمين يتراجعون، وأعوانهم يتخبطون. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

***

وبعد أن شرعت في الكتابة رأيت من المفيد أن أتوسع وأتتبع الفساد إلى جذوره. ورأيت أنه لكي نعرف ما هو الصلاح لا بد أن نعرف ما هو الفساد، لأن عدم التمييز الواضح للفساد قد يؤدي لانحراف الطريق لعدم التفريق بين الحق والباطل، ولذلك رأيت من الضروري؛ التعريف بفساد الدولة الوطنية العلمانية، التي تعد أكثر -أو واحدة من أكثر- الانحرافات السياسية والاجتماعية في عصرنا، والتي يدعونا النظام الدولي للالتزام بها، ورأيت أن كثيرًا من المتعلمين والمتخصصين يعدونها قمة ما وصل له الفكر السياسي البشري، ويتابعهم على ذلك الكثير ممن ينتسبون للعمل الإسلامي، بل إن كثيرًا من أفكار وتوجهات ومسالك ما يسمى بـ(العمل الإسلامي) تنبني على أساس الدولة الوطنية العلمانية.

ورأيت أن المسألة ليست مسألة خلط في المفاهيم فقط، بل هي مسألة نفسية سلوكية أيضًا، فكثير من الذين يسمونهم بالمثقفين والمتخصصين، وكثير من المنتسبين لما يسمى بـ(العمل الإسلامي) يعانون من عقدة دونية ونقص مستفحلة تجاه الغرب ومفاهيمه ومبادئه.

ورأيت أن ذلك يستلزم مني أن أبدأ التتبع من جذور هذه الدولة، فإذا تبينت حقيقتها وكيف نشأت، أنتقل بعد ذلك لبيان الفساد الذي طرأ على المسلمين عبر تاريخهم، وأنتهي بتوضيح الحل المطلوب والهدف المنشود.

لأنه -وللأسف الشديد- هناك خلط -وكثيرًا ما يكون متعمدًا- بين المناهج الفاسدة وبين المنهج الإسلامي الصحيح، وللأسف الأشد فإن كثيرًا ممن يشاركون في هذا الخلط يُنْسَبون -أو يَنْسِبون أنفسَهم، أو يَنْسِبهم البعضُ- لما يسمى بـ(العمل أو التيار الإسلامي).

وكثيرًا ما يكون هذا الخلط من هؤلاء متعمدًا، وكثيرًا ما يكون هذا التعمد يُبتغى به المحافظة على مصالح ومنافع وأوضاع شخصية.

وبعض من يشاركون في هذا الخلط قد يكون الباعث عليه لديهم: تصورات مغلوطة استقرت لديهم، أو أفهام سطحية تابعوا فيها غيرهم، أو ترديدًا لمفاهيم كرروها لكثرة من يكررها.

ومن هؤلاء من يرددها لأنه نشأ عليها، واستمر فيما نشأ عليه، حتى صار المنكر -بطول الزمان- معروفًا، وصار المعروف منكرًا.

ولذلك رأيت من المفيد -وربما من الضروري- أن أحاول -قدر جهدي الضعيف وعلمي القليل- تبيين الحق من الباطل في المفاهيم، التي تتعلق بإصلاح الحكم والتصدي للفساد السياسي، الذي استشرى في تاريخ المسلمين.

مع علمي ويقيني وتأكدي أن كثيرًا من هذه المفاهيم -إن لم تكن كلها- وكثيرًا من أنصارها -إن لم يكونوا كلهم- لا يصدرون عن قناعات بأدلة واتباع لبراهين وموافقة لحقائق، بل استجابة لرغبات وأهواء ونوازع شخصية ونفسية وسلوكية.

***

وهنا تبرز أهمية التربية في الإصلاح وفي إيجاد الشخصية الربانية، التي تحمل الحق وتدافع عنه، وتتصدى للباطل وتدفعه، مبتغية في ذلك رضا ربها، وإن كلفها ما كلفها، وضحت في سبيله بما تضحي.

فمثلًا لو جئت لملك أو رئيس أو أمير عاض على سلطانه، يسعى في زيادته، ويجتهد في الاستكثار من منافعه، والاستغراق في مطامعه وملذاته، ثم توريثه لأبنائه، لو جئت لمثل هذا فأقمت له الأدلة والبراهين على فساد منهجه وسلوكه ونظامه، فهل سيستجيب؟ رغم وجوب تبيين ذلك له.

وبالمثل لو جئت لعالم باع دينه بدنياه، أو لقاض سلطه النظام الفاسد على معارضيه، أو لجلاد يترقي في الرتب وينعم بالأموال لكونه كلبًا مسعورًا على أعداء ومخالفي رؤسائه، أو لصحفي أو لكاتب يدعو للفضيلة والنزاهة والعدالة وهو النقيض لكل ذلك، فهل سيستجيبون؟

ولكننا في كل حال -بغض النظر عن استجابتهم أو رفضهم- يجب علينا أن نبين الحق، ونكشف الباطل، هداية للمدعوين وغيرهم، وإقامة للحجة عليهم، وتحذيرًا لغيرهم.

لكن مقصدي؛ أن العلاج هنا لا يأتي بمجرد تبيين الحق ودحض الباطل، ولكن يأتي بتربية النفس على المنهج الرباني في الإخبات لله والرجاء لعفوه والخوف من سخطه والحرص على طاعته.

يقول الحق سبحانه وتعالى وهو يرشد المؤمنين لعلاج مسألة الأنفال، وهي مسألة مالية قتالية:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[6].

وقال الحق سبحانه وتعالى في مقام التعريف بمناسك الحج، وهي شعائر عملية تنفيذية:

---

6 سورة الأنفال، آية: 1 إلى 4.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (32) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (33) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[7].

وهؤلاء الذين توجل لقلوبهم لذكر ربهم هم بعينهم الذين قال الله فيهم:

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[8].

وهذه التربية الإيمانية للنفس وللأسرة وللمجتمع وللأمة لا بد لها من دعوة فردية أو مجتمعية أو عامة، ولا بد لها من **التمكين لهذه الدعوة**.

وأنا هنا أؤكد على أهمية التربية الإيمانية وإنشاء الشخصية الربانية في إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع والأمة، لأن كثيرًا من مشاكلنا -إن لم تكن كلها- ليست خلافًا على أدلة أو اختلافًا على أفهام، ولكنها مظهر وثمرة لانحرافات سلوكية ونفسية وخلقية.

ثم تلبس هذه الانحرافات -وتكسى وتغطى وتستر- بكل تلكم التبريرات والتفسيرات والتأويلات والشبهات بل والأكاذيب والافتراءات!!!

وغياب أو ضعف أو خفوت هذه التربية الإيمانية، أدى لتراجع قيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمام مغريات السلطة، والطمع في المشاركة في المكاسب، ونزعة التعصب للحزب أو المجموعة، أو الاستنفاع المالي من الداخل والخارج.

وصارت الأوامر والنواهي الشرعية -عند البعض- قسمان: قسم للضعفاء والفقراء والمطاردين، وقسم للأغنياء والأقوياء والممكنين، حتى وإن كان هذا الغنى وتلك القوة وذلك التمكين طارئ زائف أو مصطنع، أو مستند لقوة ودعم خارجيين.

فالفئة الأولى عليها أن تكون صادقة مخلصة وفية، أما الأخرى فهي تدور مع ما يسمونه المصلحة، وحقيقتها الطمع والاستنفاع.

وهذا يكرر ما حدث في تاريخ الفساد السياسي لدى المسلمين، فحين كان الإيمان قويًا في القلوب، وكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حاضرًا في الأقوال والأفعال، لم يكن للفساد السياسي أن يطل برأسه، ولا أن يغري الطامعين.

ولكن لما بدأ ذلك الإيمان يخالطه حب الدنيا، بدأ الفساد السياسي يطل برأسه، ويتقوى زمنًا بعد زمن.

وهذا مصداق حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي أخرجه الإمام البخاري -رحمه الله- عن عَمْرِو بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه:

"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ إِلَى البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، .... فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَتْ صَلاَةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: "أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟". قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لاَ الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخَشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ"[9].

ولا يمكن أن نتوقع أن تصل التربية الإيمانية بالمجتمع -أو بالطليعة المسلمة- إلى درجة الكمال، بحيث تخلو نفوسهم من المطامع والشهوات والشبهات والأغراض والتقلبات ومساوئ الأخلاق، فهذا افتراض خيالي، فستظل الطبيعة البشرية مثقلة بنقائصها.

ولكن الذي أطمع فيه، وأحسب أن كل مريد للخير يشاركني في هذا الطمع؛ هو أن تكون لدى الأمة المسلمة والجمهور المسلم وعامة الطليعة المسلمة من الوعي والحرص على التقوى وتعظيم الأمر والنهي الشرعيين والأمر بالمعروف

---

7 سورة الحج، آية: 32 إلى 35.

8 سورة الحج، آية: 41.

9 متفق عليه، واللفظ للبخاري-كتاب: الجزية- باب: الجِزْيَةِ وَالْمُوَادَعَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ- حديث رقم: 3158 ج: 2 ص: 406.

والنهي عن المنكر ما يمنع تسلق أهل المطامع والنزوات لمواقع القيادة والتأثير، وما يمنع ويردع القادة من الانحراف أو التساهل أو الركون ولو قليلًا للباطل، بل وما يمنع الصالحين من أن يتأثروا بالمغريات والشبهات والشهوات. فينحوفوا بعد صلاح، ويركنوا للباطل بعد استقامة، ويبرروا لما كان يتبرأون منه.

فالمقصد أن ضعف شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الأمة عامة -والعاملين للإسلام خاصة- يؤدي لظهور واستشراء الفساد السياسي بكل آثاره المدمرة.

***

ولعل القارئ يلاحظ أن مقدمات البحث قد اتسعت بعض الشيء، ولكني لما بدأت الكتابة، ولاحظت هذا الأمر، استخرت الله فاطمأنت نفسي لذلك.

ولذلك رأيت أن أخرجه في مجلدات، فهذا المجلد الأول منه، وأسعى في استكماله، إن شاء الله، وأمدني بالجهد والعلم والفرصة في الكتابة. وإن لم يتيسر فهذا ما استطعته، ومن شاء أن يكمل من بعدي؛ فلكل مجتهد نصيب.

***

وأود في ختام هذه المقدمة أن أسجل ملاحظتين:

الأولى: أن ما ورد في هذا الكتاب يمثلني شخصيًا، ولا يتحمل تبعته غيري من أشخاص أو هيئات أو تجمعات، فما كان فيه من خير فهو بفضل الله ومنته، أسأل الله أن ينفعني به، وينفع به خلقه، وما كان من غير ذلك فراجع إلى وحدي، وأسأل الله أن يصوب خطئي، ويصحح زللي، كما أسأل القراء أن يعينونني على ذلك.

الثانية: أني قد أجزت كل أحد أن ينقل من هذا الكتاب أو ينسخ أو يقتبس أو يختصر ما شاء، وأن ينتفع منه ماديًا ومعنويًا كما يشاء، بشرطين:

الأول: أن يكون أمينًا في النقل.

والثاني: ألا يكون مناقضًا لغرضه ومقصده.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه ابتغاء رضوان الله وأجره

أيمن الظواهري

شعبان 1442هـ- أبريل 2021م

القسم الأول:

ركائز أساسية في النظام السياسي في الشريعة الإسلامية:

=- الباب الأول: الحاكمية للشريعة

=- الباب الثاني: الأخوة الإيمانية لا الرابطة الوطنية القومية

=- الباب الثالث: وحدة ديار المسلمين

=- الباب الرابع: أساس العلاقة بين الحاكم والرعية: التعاقد أم الوصاية

=- الباب الخامس: طرق تولي السلطة.

***

الباب الأول:

الحاكمية للشريعة

—

التحاكم للشريعة الإسلامية هو الركن الأساس في النظام السياسي الإسلامي، بل هو الشرط الضروري الذي لا يكون النظام السياسي الإسلامي إسلاميًا إلا به.

وأقسم الكلام في هذا الباب إلى ما يلي:

- الفصل الأول: لمن الحكم؟
- الفصل الثاني: عرض موجز لأدلة الشرع الحنيف في وجوب التحاكم إلى المولى سبحانه وتعالى وحده.

الفصل الأول:

لمن الحكم؟

***

1- لا شك أن التسليم بحق التشريع للمولى سبحانه وتعالى من أصول عقيدة الإسلام، وقد تضافرت على ذلك آيات الكتاب العزيز. يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

ويقول سبحانه:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {48} وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ {49} أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2].

فإذا زعم قوم أو جماعة أو شعب أو دولة أو حكومة أو نظام أنهم مسلمون يتبعون أحكام الإسلام، فلا بد أن يكونوا مسلِّمين بحق التشريع والحكم لله سبحانه.

وإذا زعمت أي من تلك الفئات أنها فئة مسلمة، ولكن حكامها وقضاتها ومفكريها ومسؤوليها لا يسلمون بحق التشريع والحكم لله سبحانه وتعالى، ولا يحكّمون شريعته في قضاياهم، فقد حكم عليهم القرآن حكمًا بينًا، أنهم لا نصيب لهم من الإيمان. يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[3].

2- والحكام العلمانيون وأتباعهم -من القضاة والمشرعين والمفكرين وأعوانهم- في هذا الزمان ينكرون حجية وأحقية حكم الشريعة في الحكم بين الناس، رغم علم الكثير منهم أنها منزلة من عند الله، ويقولون إن الأحقية والحجية في الحكم هي لحكم الشعب أو أغلبية البرلمان أو لهوى الحاكم.

ولم تعد المسألة الآن مسألة حاكم واحد ينحرف عن الحكم بما أنزل الله، ويستبدل به القوانين الوضعية علانية، ويجبر الناس على التحاكم إليها قهرًا، ويصفها بالعدل والحرية، ويجهر بأن السيادة للشعب وحده دون سواه، بل صار الأمر الآن أمر نظام كامل يفرض بالدساتير والقوانين على كل حاكم وقاض ومتحاكم ونائب في البرلمان وشرطي ووكيل للنيابة ...الخ أن يلتزم بعدم الحكم بالشريعة وأن يخضع للتحاكم إلى غير الشريعة، وأن يقسم على احترام الدستور والقانون العلمانيين ويدافع عنهما.

1 سورة يوسف، آية: 40.

2 المائدة 48- 50.

3 سورة النساء، آية: 65.

إنه نظام كامل من الكفر بالشريعة وتنحيتها عن الحكم ومعاقبة كل من يرفض الخضوع للقوانين العلمانية، إنه نظام كامل يخالف الإسلام في أسسه الدستورية ومبادئه الفكرية وأحكامه القانونية وممارساته السياسية وسلوكه الاجتماعي.

3- وأشير هنا بإيجاز لأهم الفروق بين الإسلام والنظم الوضعية، حتى يتبين للمسلمين مدى الانحراف الذي أصاب الأنظمة الحاكمة لهم، ومدى التضليل الذي يمارسه من يدافعون عنها من علماء رسميون وكتاب وصحافيون وغيرهم من دعاة الضلالة والله المستعان.

أ- بداية لا بد من توضيح أن الأنظمة الحاكمة لبلاد المسلمين اليوم قد صيغت وثائقها ودساتيرها وقوانينها بعقلية غربية تقوم على نظرية سيادة الشعب وحقه في التشريع، وهي نظرية تتناقض أساسًا مع عقيدة الإسلام.

ب- فالنظام السياسي الغربي يقوم على أساس الدولة الوطنية القومية، التي تسعى لمصلحة جماعتها الوطنية، وتهدف لتحقيق أكبر قدر من المنافع والمتع والمصالح لها، والتي لا تعرف قيمة ولا خلقًا ولا مبدأ ولا عقيدة سوى ما تختاره أغلبية المصوتين، وبالتالي فلا مرجعية لها في التحليل والتحريم والإباحة والتقييد والمنح والمنع سوى تلك الأغلبية، بل لا تعرف معيارًا في التفريق بين الناس إلا الانتماء الوطني.

ج- وذلك نظام سياسي يختلف جذريًا عن النظام السياسي الإسلامي، الذي يقوم على أساس:

(1) عقيدة التوحيد:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[4].

(2) ويقوم على أساس التحرر من عبودية الإنسان للإنسان، بل ومن العبودية لكل ما سوى الله سبحانه وتعالى، ذكر القرآن الكريم عن هود عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {54} مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ {55} إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5]، وعن إبراهيم عليه السلام: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[6].

(3) ويقوم على أساس الالتزام بالعبودية لله وحده، التي تتضمن الحب التام والذل التام له سبحانه، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ...﴾[7]، ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {161} قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162} لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ {163} قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[8].

(4) ويقوم على أساس استخلاف المولى سبحانه وتعالى لآدم وذريته في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾[9]، ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ...﴾[10].

---

4 سورة النحل، آية: 36.

5 سورة هود، آية: 54 إلى 56.

6 سورةالمتحنة، آية: 4.

7 سورة البقرة، آية: 165.

8 سورة الأنعام، آية: 161 إلى 164.

9 سورة البقرة، آية: 30.

10 سورة ص، آية: 26.

(5) وأن الإنسان لم يخلق إلا لعبادة ربه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[11].

(6) وأن غاية الإنسان في هذه الحياة هي نيل رضا ربه، والفوز بسعادة الآخرة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[12].

(7) وأن المولى سبحانه وتعالى يراقب حركاته وسكناته وخلجات ضميره ونواياه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ {16} إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ {17} مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[13]، ولذا فإن غاب عن علم الأمن والقضاء البشريين فلن يغيب عن علم الله، ولن يفلت من قدرته، وإن أفلت من عقوبة القضاء والحكومة البشريين، فلن يفلت من عقاب الله ومجازاته له في الدنيا والآخرة ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[14].

(8) وأن الأمة المسلمة هي أمة البلاغ والشهادة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[15].

(أ) التي تبلغ رسالة ربها، وتجاهد لإعلاء كلمته، وتقاتل حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه...﴾[16].

(ب) وتقيم دولتها على أساس التحاكم للشريعة المنزلة، وتعبد ربها بإقامة العدل وبسط الشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[17].

(ج) وأنه وإن كان العمل بالشريعة قد جعله الله سببًا للبركة في الدنيا ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾[18]، إلا أن الأمة المسلمة حين تقيم دولتها المسلمة تقيمها لابتغاء رضا مولاها أساسًا، لإنها متعبدة بذلك ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[19]، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[20].

(9) وبالتالي فإن النظام السياسي الإسلامي ممثلًا في دولة الخلافة يقدم نموذجًا للبشرية:

(أ) يعلو فوق الانتماءات الوطنية والحدود الجغرافية، ويساوي بين المؤمنين جميعًا في إخوة واحدة ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[21].

(ب) ويفرق بين الناس على أساس الإيمان والتقوى والعمل الصالح ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[22]، وليس الانتماء الوطني ولا الولاء للدولة الصنم.

---

11 سورة الذاريات، آية: 56.

12 سورة آل عمران، آية: 185.

13 سورة ق، آية: 16 إلى 18.

14 سورة التوبة، آية: 105.

15 سورة البقرة، آية: 143.

16 سورة الأنفال، آية: 39.

17 سورة الحج، آية: 41.

18 سورة الأعراف، آية: 96.

19 سورة النور، آية 55.

20 سورة يوسف، آية: 40.

21 سورة المؤمنون، آية: 52.

22 سورة الحجرات، آية: 13.

(ح) ويتحاكم إلى الشريعة المنزلة وليس إلى أغلبية المصوتين ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ﴾[23].

د- كذلك فإن التصور السياسي الغربي نشأ من موروث تاريخي شهد صراعًا بين الملوك الجبابرة المتسلطين وأتباعهم من الأمراء والإقطاعيين وبين الشعوب المظلومة المسحوقة، وشهد صراعًا آخر بين الكنيسة بكل ما تمثله من قيم لا يقبلها العقل، ونصوص لا ثبوت لها، وممارسات يشمئز منها الضمير البشري، وبين الأمم الغربية التي يطمح علماؤها وروادها إلى اكتشاف آفاق السموات والأرض وأسرارها وعلومها، التي تتعارض مع روايات الكنيسة عن الخلق والكون في نصوصها المقدسة، التي لا تمتلك سندًا تاريخيًا.

هـ- وفوق كل ذلك يحمل الفكر الغربي الحديث –رغم نفوره من الكنيسة والدين- إرثًا تاريخيًا من الصراع مع الإسلام وأمته ودولته أو دوله، وذلك من تناقضات الفكر الغربي المعاصر، فهو ينفر بعقله من الدين والكنيسة، ولكنه يحن بعاطفته لتاريخه الصليبي.

ولذا فإن الفكر الغربي الحديث، يحمل إرثًا من النفور من استبداد الكنيسة، وبالتالي نفورًا من الدين وكل ما يمت له بصلة، وإرثًا من العداء للإسلام وأمته. ولذا فهو يهرب من ماضيه في العصور الوسطى المظلمة، ويعادي أمة الإسلام في حملاته الاستعمارية -ذات الروح الصليبية- لاحتلال واستغلال ونهب ديار تلك الأمة.

و- وفي المقابل نجد أن الأمة الإسلامية ترث تاريخًا مشرقًا من الدعوة للتوحيد، والجهاد لتحطيم الإمبراطوريات المتكبرة المتجبرة، ونشر الإسلام وشريعته، التي يقبلها العقل، ويسكن لها الفؤاد، والتي شجعت العلم والعلماء وأعلت من قدرهم. ولذا فإن الأمة المسلمة في حاضرها تحن حنينًا جارفًا لذلك الماضي المجيد، وتسعى لإحيائه واسترجاعه. في الوقت الذي يفر الغرب بجمهوره ومفكريه من تاريخهم، الذي يصفونه بعصور الظلام.

***

23 سورة المائدة، آية: 49.

الفصل الثاني:

عرض موجز لأدلة الشرع الحنيف في وجوب التحاكم إلى المولى سبحانه وتعالى وحده

***

تضافرت أدلة الشريعة على اعتبار التحاكم إلى المولى سبحانه وتعالى وبالتالي إلى شرعه المنزل في كتابه وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم- ركنًا ركينًا من عقيدة التوحيد، لا تتحقق إلا به. بل إن معركة الحق والباطل الدائرة عبر الزمان ما دارت ولا تدور إلا حول هذا الركن الركين من عقيدة الإسلام؛ لمن حق الحكم والتشريع؟ لله وحده سبحانه؟ أم لما عداه من الأنداد والشركاء؟ وكذلك فإن معركة الإسلام في هذا العصر ما اندلعت ولا احتدت واحتدمت إلا حول هذه القضية البالغة الخطورة، ولا تواجه وتقاتل وتصارع أنصار الإسلام وأعداؤه إلا حول هذا الركن الركين من أركان التوحيد.

وكذلك ما تقدمت الحركة الإسلامية المعاصرة نحو هدفها من التمكين للإسلام ولا تراجعت عنه إلا بمقدار تقدمها أو تراجعها عن هذا الأصل الأصيل من الإيمان.

وأنا هنا أوجز معالم هذا الركن الأساسي من عقيدة الإسلام.

وأقسم ال كلام فيه إلى:

- المطلب الأول: الأدلة من القرآن الكريم
- المطلب الثاني: الأدلة من السنة المطهرة
- المطلب الثالث: بعض أقوال العلماء

***

المطلب الأول:

الأدلة من القرآن الكريم

1- يقول الحق سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (62) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا (63) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (64) فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[1].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآيات:

"يعني بذلك -جل ثناؤه- ألم تر يا محمد بقلبك فتعلم إلى الذين يزعمون أنهم صدقوا بما أنزل إليك من الكتاب، وإلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من الكتب، يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت يعني إلى من **يعظمونه ويصدرون عن قوله ويرضون بحكمه من دون حكم الله**.

﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ يقول وقد أمرهم الله أن يكذبوا بما جاءهم به الطاغوت الذي يتحاكمون إليه فتركوا أمر الله واتبعوا أمر الشيطان"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"والطاغوت فعلوت من الطغيان كما أن الملكوت فعلوت من الملك، والرحموت والرهبوت والرغبوت فعلوت من الرحمة والرهبة والرغبة.

والطغيان مجاوزة الحد وهو الظلم والبغي، فالمعبود من دون الله -إذا لم يكن كارهًا لذلك- طاغوت. ولهذا سمى النبي الأصنام طواغيت في الحديث الصحيح لما قال: "ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت". والمطاع في معصية الله والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق سواءً كان مقبولًا خبره المخالف لكتاب الله أو مطاعا أمره المخالف لأمر الله هو طاغوت.

ولهذا سمى من **تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت**"[3].

ويقول الأستاذ الشهيد -كما نحسبه- سيد قطب -رحمه الله- في تفسير هذه الآيات:

"وحين ينتهي السياق من تقرير هذه القاعدة الكلية في شرط الإيمان وحد الإسلام، وفي النظام الأساسي للأمة المسلمة، وفي منهج تشريعها وأصوله.. يلتفت إلى الذين ينحرفون عن هذه القاعدة؛ ثم يزعمون -بعد ذلك- أنهم مؤمنون! وهم ينقضون شرط الإيمان وحد الإسلام. إذ يريدون أن يتحاكموا إلى غير شريعة الله.. إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به..

---

1 سورة النساء، آية: 60 إلى 65.

2 تفسير الطبري ج: 5 ص: 152.

3 مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 200، 201.

يلتفت إليهم ليعجب من أمرهم ويستنكر.. وليحذرهم -وأمثالهم- من إرادة الشيطان بهم الضلال. ويصف حالهم حين يدعون إلى ما أنزل الله وإلى الرسول فيصدون. ويعتبر هذا الصدود نفاقًا. كما اعتبر إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت خروجًا من الإيمان، بل وعدم دخول فيه ابتداء.

....

ويختم المقطع كله ببيان ما أراده الله -سبحانه- من إرسال الرسل..

وهو أن يطاعوا.. ثم بنص صريح جازم في شرط الإيمان وحد الإسلام مرة أخرى..

....

(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك. يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت - وقد أمروا أن يكفروا به - ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالًا بعيدًا)..

ألم تر إلى هذا العجب العاجب.. قوم.. يزعمون.. الإيمان. ثم يهدمون هذا الزعم في آن؟! قوم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك. ثم لا يتحاكمون إلى ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك؟ إنما يريدون أن يتحاكموا إلى شيء آخر، وإلى منهج آخر، وإلى حكم آخر..

يريدون أن يتحاكموا إلى.. الطاغوت.. الذي لا يستمد مما أنزل إليك وما أنزل من قبلك. ولا ضابط له ولا ميزان، مما أنزل إليك وما أنزل من قبلك.. ومن ثم فهو.. طاغوت.. طاغوت بادعائه خاصية من خواص الألوهية. وطاغوت بأنه لا يقف عند ميزان مضبوط أيضًا!

وهم لا يفعلون هذا عن جهل، ولا عن ظن.. إنما هم يعلمون يقينًا ويعرفون تمامًا، أن هذا الطاغوت محرم التحاكم إليه، وقد أمروا أن يكفروا به .. فليس في الأمر جهالة ولا ظن. بل هو العمد والقصد. ومن ثم لا يستقيم ذلك الزعم. زعم أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك! إنما هو الشيطان الذي يريد بهم الضلال الذي لا يرجى منه مآب..

ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدًا..

فهذه هي العلة الكامنة وراء إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت. وهذا هو الدافع الذي يدفعهم إلى الخروج من حد الإيمان وشرطه بإرادتهم التحاكم إلى الطاغوت! هذا هو الدافع يكشفه لهم. لعلهم يتنبهون فيرجعوا. ويكشفه للجماعة المسلمة، لتعرف من يحرك هؤلاء ويقف وراءهم كذلك.

ويمضي السياق في وصف حالهم إذا ما دعوا إلى ما أنزل الله إلى الرسول وما أنزل من قبله.. ذلك الذي يزعمون أنهم آمنوا به:

وإذا قيل لهم: (تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودًا).

يا سبحان الله! إن النفاق يأبى إلا أن يكشف نفسه! ويأبى إلا أن يناقض بديهيات المنطق الفطري.. وإلا ما كان نفاقًا...

إن المقتضى الفطري البديهي للإيمان، أن يتحاكم الإنسان إلى ما آمن به، وإلى من آمن به. فإذا زعم أنه آمن بالله وما أنزل، وبالرسول وما أنزل إليه. ثم دعي إلى هذا الذي آمن به، ليتحاكم إلى أمره وشرعه ومنهجه؛ كانت التلبية الكاملة هي البديهية الفطرية. فأما حين يصد ويأبى فهو يخالف البديهية الفطرية. ويكشف عن النفاق. وينبيء عن كذب الزعم الذي زعمه من الإيمان!

وإلى هذه البديهية الفطرية يحاكم الله -سبحانه- أولئك الذين يزعمون الإيمان بالله ورسوله. ثم لا يتحاكمون إلى منهج الله ورسوله. بل يصدون عن ذلك المنهج حين يدعون إليه صدودًا!

ثم يعرض مظهرًا من مظاهر النفاق في سلوكهم؛ حين يقعون في ورطة أو كارثة بسبب عدم تلبيتهم للدعوة إلى ما أنزل الله وإلى الرسول؛ أو بسبب ميلهم إلى التحاكم إلى الطاغوت. ومعاذيرهم عند ذلك. وهي معاذير النفاق:

(فكيف إذا أصابتهم مصيبة -بما قدمت أيديهم- ثم جاءوك يحلفون بالله: إن أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا)..

....

وهي **دائمًا دعوى كل من يحيدون عن الاحتكام إلى منهج الله وشريعته: أنهم يريدون اتقاء الإشكالات والمتاعب والمصاعب، التي تنشأ من الاحتكام إلى شريعة الله! ويريدون التوفيق بين العناصر المختلفة والاتجاهات المختلفة والعقائد المختلفة**[4]..

إنها حجة الذين يزعمون الإيمان -وهم غير مؤمنين- وحجة المنافقين الملتوين.. هي هي دائمًا وفي كل حين!

....

ولكنه قبل هذا كله يقرر القاعدة الأساسية: وهي أن الله قد أرسل رسله ليطاعوا -بإذنه- لا ليخالف عن أمرهم. ولا ليكونوا مجرد وعاظ! ومجرد مرشدين!

(وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله. ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك، فاستغفروا الله، واستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله توابًا رحيمًا)..

وهذه حقيقة لها وزنها.. إن الرسول ليس مجرد **"واعظ" يلقي كلمته ويمضي**. لتذهب في الهواء -بلا سلطان- كما يقول **المخادعون** عن طبيعة الدين وطبيعة الرسل؛ أو كما يفهم الذين لا يفهمون مدلول "الدين".

إن الدين منهج حياة. منهج حياة واقعية. بتشكيلاتها وتنظيماتها، وأوضاعها، وقيمها، وأخلاقها وآدابها. وعباداتها وشعائرها كذلك.

وهذا كله يقضي أن يكون للرسالة سلطان. سلطان يحقق المنهج، وتخضع له النفوس خضوع طاعة وتنفيذ.. والله أرسل رسله ليطاعوا -بإذنه وفي حدود شرعه- في تحقيق منهج الدين. منهج الله الذي أراده لتصريف هذه الحياة. وما من رسول إلا أرسله الله، ليطاع، بإذن الله. فتكون طاعته طاعة لله.. ولم يرسل الرسل لمجرد التأثر الوجداني، والشعائر التعبدية.. فهذا وهم في فهم الدين؛ لا يستقيم مع حكمة الله من إرسال الرسل. وهي إقامة منهج معين للحياة، في واقع الحياة.. وإلا فما أهون دنيا كل وظيفة الرسول فيها أن يقف واعظًا. لا يعنيه إلا أن يقول كلمته ويمضي. يستهتر بها المستهترون، ويبتذلها المبتذلون!!!

ومن هنا كان تاريخ الإسلام كما كان.. كان دعوة وبلاغًا. ونظامًا وحكمًا. **وخلافة بعد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقوم بقوة الشريعة والنظام، على تنفيذ الشريعة والنظام**. لتحقيق الطاعة الدائمة للرسول. وتحقيق إرادة الله من إرسال الرسول. **وليست هنالك صورة أخرى يقال لها: الإسلام. أو يقال لها: الدين. إلا أن تكون طاعة للرسول، محققة في وضع وفي تنظيم**. ثم تختلف أشكال هذا الوضع ما تختلف؛ ويبقى أصلها الثابت. وحقيقتها التي لا توجد بغيرها.. استسلام لمنهج الله، وتحقيق لمنهج رسول الله. وتحاكم إلى شريعة الله. وطاعة للرسول فيما بلغ عن الله، وإفراد لله -سبحانه- بالألوهية [شهادة أن لا إله إلا الله] ومن ثم إفراده بالحاكمية التي تجعل التشريع ابتداء حقا لله، لا يشاركه فيه سواه. وعدم احتكام إلى الطاغوت. في كثير ولا قليل.

....

وأخيرا يجيء ذلك الإيقاع الحاسم الجازم. إذ يقسم الله -سبحانه- بذاته العلية، أنه لا يؤمن مؤمن، حتى يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره كله. ثم يمضي راضيًا بحكمه، مسلمًا بقضائه. ليس في صدره حرج منه، ولا في نفسه تلجلج في قبوله:

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم. ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت، ويسلموا تسليمًا)..

ومرة أخرى نجدنا أمام شرط الإيمان وحد الإسلام. يقرره الله سبحانه بنفسه. ويقسم عليه بذاته. فلا يبقى بعد ذلك قول لقائل في تحديد شرط الإيمان وحد الإسلام، ولا تأويل لمؤول.

---

4 وهذه بالضبط كانت حجة الإخوان المسلمين، حين أصروا -بعد ثورة يناير- على أن لا يكتب في الدستور: "وأحكام الشريعة هي المصدر الوحيد للتشريع"، واكتفوا بالنص السابق الذي يذكر أن "مبادئ الشريعة" هي المصدر "الأساسي" للتشريع، حرصًا على ما أسموه بـ(الإجماع الوطني والوحدة الوطنية)، فانقلب عليهم أصحاب الإجماع الوطني!!! فخسروا مرتين.

وبنفس الدعوى وذات التبرير أعلن محمد مرسي أنه لن يطبق الشريعة، وأعلن التزامه بالاتفاقات العسكرية والأمنية مع أمريكا، وباتفاقات السلام مع إسرائيل، وأكد لضباط وزارة الداخلية أنهم لن ينالهم قصاص على جرائمهم، فانقلب عليه كل أولئك!!!

اللهم إلا مماحكة لا تستحق الاحترام.. وهي أن هذا القول مرهون بزمان، وموقوف على طائفة من الناس! وهذا قول من لا يدرك من الإسلام شيئًا؛ ولا يفقه من التعبير القرآني قليلًا ولا كثيرًا. فهذه حقيقة كلية من حقائق الإسلام؛ جاءت في صورة قسم مؤكد؛ مطلقة من كل قيد.

....

وإذا كان يكفي لإثبات "الإسلام" أن يتحاكم الناس إلى شريعة الله وحكم رسوله.. فانه لا يكفي في "الإيمان" هذا، ما لم يصحبه الرضى النفسي، والقبول القلبي، وإسلام القلب والجنان، في اطمئنان!

هذا هو الإسلام.. وهذا هو الإيمان.. فلتنظر نفس أين هي من الإسلام؛ وأين هي من الإيمان! قبل ادعاء الإسلام وادعاء الإيمان!"[5].

2- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47) وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[6].

يقول الأستاذ الشهيد -كما نحسبه- سيد قطب -رحمه الله- في تفسير هذه الآيات:

"وهكذا تتبين القضية.. إله واحد. وخالق واحد. ومالك واحد.. وإذن فحاكم واحد. ومشرع واحد. ومتصرف واحد.. وإذن فشريعة واحدة، ومنهج واحد، وقانون واحد.. وإذن فطاعة واتباع وحكم بما أنزل الله، فهو إيمان وإسلام. أو معصية وخروج وحكم بغير ما أنزل الله، فهو كفر وظلم وفسوق.. وهذا هو الدين كما أخذ الله ميثاق العباد جميعًا عليه، وكما جاء به كل الرسل من عنده.. أمة محمد والأمم قبلها على السواء..

ولم يكن بد أن يكون "دين الله" هو الحكم بما أنزل الله دون سواه. فهذا هو مظهر سلطان الله. مظهر حاكمية الله. مظهر أن لا إله إلا الله.

وهذه الحتمية: حتمية هذا التلازم بين "دين الله" و"الحكم بما أنزل الله" لا تنشأ فحسب من أن ما أنزل الله خير مما يصنع البشر لأنفسهم من مناهج وشرائع وأنظمة وأوضاع. فهذا سبب واحد من أسباب هذه الحتمية. وليس هو السبب الأول ولا الرئيسي. إنما السبب الأول والرئيسي، والقاعدة الأولى والأساس في حتمية هذا التلازم هي **أن الحكم بما أنزل الله إقرار بألوهية الله، ونفي لهذه الألوهية وخصائصها عمن عداه**.

وهذا هو "الإسلام" بمعناه اللغوي: "الاستسلام"، وبمعناه الاصطلاحي كما جاءت به الأديان.. الإسلام لله.. والتجرد عن ادعاء الألوهية معه؛ وادعاء أخص خصائص الألوهية، وهي السلطان والحاكمية، و**حق تطويع العباد وتعبيدهم بالشريعة والقانون**.

5 في ظلال القرآن ج2 ص 693- 697.

6 سورة المائدة، آية: 44 إلى 50.

ولا يكفي إذن أن يتخذ البشر لأنفسهم شرائع تشابه شريعة الله. أو حتى شريعة الله نفسها بنصها، إذا هم نسبوها إلى أنفسهم، ووضعوا عليها شاراتهم؛ ولم يردوها لله؛ ولم يطبقوها باسم الله، إذعانا لسلطانه، واعترافا بألوهيته؛ وبتفرده بهذه الألوهية. التفرد الذي يجرد العباد من حق السلطان والحاكمية، إلا تطبيقا" [7].

ويقول أيضًا رحمه الله:

"يتناول هذا الدرس أخطر قضية من قضايا العقيدة الإسلامية، والمنهج الإسلامي. ونظام الحكم والحياة في الإسلام.. وهي القضية التي عولجت في سورتي آل عمران والنساء من قبل.. ولكنها هنا في هذه السورة تتخذ شكلًا محددًا مؤكدًا؛ يدل عليها النص بألفاظه وعباراته، لا بمفهومه وإيحائه..

إنها قضية الحكم والشريعة والتقاضي - ومن ورائها قضية الألوهية والتوحيد والإيمان - والقضية في جوهرها تتلخص في الإجابة على هذا السؤال:

أيكون الحكم والشريعة والتقاضي حسب مواثيق الله وعقوده وشرائعه التي استحفظ عليها أصحاب الديانات السماوية واحدة بعد الأخرى؛ وكتبها على الرسل، وعلى من يتولون الأمر بعدهم ليسيروا على هداهم؟ أم يكون ذلك كُله للأهواء المتقلبة، والمصالح التي لا ترجع الى أصل ثابت من شرع الله، والعرف الذي يصطلح عليه جيل أو أجيال؟ وبتعبير آخر: أتكون الألوهية والربوبية والقوامة لله في الأرض وفي حياة الناس؟ أم تكون كلها أو بعضها لأحد من خلقه يشرع للناس ما لم يأذن به الله؟

....

والسياق القرآني في هذا الدرس يقرر أولًا:

توافي الديانات التي جاءت من عند الله كلها على تحتيم الحكم بما أنزله الله؛ وإقامة الحياة كلها على شريعة الله؛ وجعل هذا الأمر مفرق الطريق بين الإيمان والكفر؛ وبين الإسلام والجاهلية؛ وبين الشرع والهوى.. فالتوراة أنزلها الله فيها هدى ونور: يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء .. وعندهم التوارة فيها حكم الله .. وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس.. الخ .. والإنجيل آتاه الله عيسى بن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين. وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ..

والقرآن أنزله الله على رسوله بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وقال له: (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق).. (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون).. (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون).. (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون).. (أفحكم الجاهلية يبغون؟ ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون؟).. وكذلك تتوافى الديانات كلها على هذا الأمر، ويتعين حد الإيمان وشرط الإسلام، سواء للمحكومين أو للحكام.. والمناط هو الحكم بما أنزل الله من الحكام، وقبول هذا الحكم من المحكومين، وعدم ابتغاء غيره من الشرائع والأحكام..

والمسألة في هذا الوضع خطيرة؛ والتشدد فيها على هذا النحو يستند إلى أسباب لا بد خطيرة كذلك. فما هي يا ترى هذه الأسباب؟ إننا نحاول أن نتلمسها سواءً في هذه النصوص أو في السياق القرآني كله، فنجدها واضحة بارزة..

إن الاعتبار الأول في هذه القضية هو:

أنها قضية **الإقرار بألوهية الله وربوبيته وقوامته على البشر** -بلا شريك- أو رفض هذا الإقرار.. ومن هنا هي قضية كفر أو إيمان، وجاهلية أو إسلام..

... **والقرآن كله معرض بيان هذه الحقيقة**..

---

7 في ظلال القرآن ج2، ص827، 828.

إن الله هو الخالق.. خلق هذا الكون، وخلق هذا الإنسان. وسخر ما في السماوات والأرض لهذا الإنسان.. وهو -سبحانه- متفرد بالخلق، لا شريك له في كثير منه أو قليل.

وإن الله هو المالك.. بما أنه هو الخالق.. ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما.. فهو -سبحانه- متفرد بالملك. لا شريك له في كثير منه أو قليل.

وإن الله هو الرازق.. فلا يملك أحد أن يرزق نفسه أو غيره شيئًا. لا من الكثير ولا من القليل..

وإن الله هو صاحب السلطان المتصرف في الكون والناس.. بما أنه هو الخالق المالك الرازق.. وبما أنه هو صاحب القدرة التي لا يكون بدونها خلق ولا رزق ولا نفع ولا ضر. وهو -سبحانه- المتفرد بالسلطان في هذا الوجود.

والإيمان هو الإقرار لله -سبحانه- بهذه الخصائص. الألوهية، والملك، والسلطان... متفردًا بها لا يشاركه فيها أحد.

والإسلام هو الاستسلام والطاعة لمقتضيات هذه الخصائص.. هو إفراد الله -سبحانه- بالألوهية والربوبية والقوامة على الوجود كله -وحياة الناس ضمنًا- والاعتراف بسلطانه الممثل في قدره؛ والممثل كذلك في شريعته. فمعنى الاستسلام لشريعة الله هو -قبل كل شيء- الاعتراف بألوهيته وربوبيته وقوامته وسلطانه. ومعنى عدم الاستسلام لهذه الشريعة، واتخاذ شريعة غيرها في أية جزئية من جزئيات الحياة، هو -قبل كل شيء- رفض الاعتراف بألوهية الله وربوبيته وقوامته وسلطانه.. ويستوي أن يكون الاستسلام أو الرفض باللسان أو بالفعل دون القول.. وهي من ثم **قضية كفر أو إيمان؛ وجاهلية أو إسلام**. ومن هنا يجيء هذا النص: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون .. الظالمون .. الفاسقون.

والاعتبار الثاني هو:

اعتبار الأفضلية الحتمية المقطوع بها لشريعة الله على شرائع الناس.. هذه الأفضلية التي تشير إليها الآية الأخيرة في هذا الدرس: ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون؟

والاعتراف المطلق بهذه الأفضلية لشريعة الله، في كل طور من أطوار الجماعة، وفي كل حالة من حالاتها.. هو **كذلك داخل في قضية الكفر والإيمان**.. فما يملك إنسان أن يدعي أن شريعة أحد من البشر، تفضل أو تماثل شريعة الله، في أية حالة أو في أي طور من أطوار الجماعة الإنسانية.. ثم يدعي - بعد ذلك - أنه مؤمن بالله، وأنه من المسلمين..

....

إن شريعة الله تمثل منهجًا شاملًا متكاملًا للحياة البشرية؛ يتناول بالتنظيم والتوجيه والتطوير كل جوانب الحياة الإنسانية؛ في جميع حالاتها، وفي كل صورها وأشكالها..

وهو منهج قائم على العلم المطلق بحقيقة الكائن الإنساني، والحاجات الإنسانية، وبحقيقة الكون الذي يعيش فيه الإنسان؛ وبطبيعة النواميس التي تحكمه وتحكم الكينونة الإنسانية.. ومن ثم لا يفرط في شيء من أمور هذه الحياة؛ ولا يقع فيه ولا ينشأ عنه أي تصادم مدمر بين أنواع النشاط الإنساني؛ ولا أي تصادم مدمر بين هذا النشاط والنواميس الكونية؛ إنما يقع التوازن والاعتدال والتوافق والتناسق.. الأمر الذي لا يتوافر أبدًا لمنهج من صنع الإنسان الذي لا يعلم إلا ظاهرًا من الأمر؛ وإلا الجانب المكشوف في فترة زمنية معينة؛ ولا يسلم منهج يبتدعه من آثار الجهل الإنساني؛ ولا يخلو من التصادم المدمر بين بعض ألوان النشاط وبعض. والهزات العنيفة الناشئة عن هذا التصادم.

وهو منهج قائم على العدل المطلق.. أولًا.. لأن الله يعلم حق العلم بم يتحقق العدل المطلق وكيف يتحقق.. وثانيًا.. لأنه -سبحانه- رب الجميع؛ فهو الذي يملك أن يعدل بين الجميع؛ وأن يجيء منهجه وشرعه مبرأ من الهوى والميل والضعف -كما أنه مبرأ من الجهل والقصور والغلو والتفريط- الأمر الذي لا يمكن أن يتوافر في أي منهج أو في أي شرع من صنع الإنسان، ذي الشهوات والميول، والضعف والهوى -فوق ما به من الجهل والقصور- سواء كان المشرع فردًا، أو طبقة، أو أمة، أو جيلًا من أجيال البشر..

....

وهو منهج متناسق مع ناموس الكون كله. لأن صاحبه هو صاحب هذا الكون كله. صانع الكون وصانع الإنسان.

....

ثم.. إنه المنهج الوحيد الذي يتحرر فيه الإنسان من العبودية للإنسان.. ففي كل منهج -غير المنهج الإسلامي- يتعبد الناس الناس. ويعبد الناس الناس. وفي المنهج الإسلامي -وحده- يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده بلا شريك..

إن أخص خصائص الألوهية -كما أسلفنا- هي الحاكمية.. والذي يشرع لمجموعة من الناس يأخذ فيهم مكان الألوهية ويستخدم خصائصها. فهم عبيده لا عبيد الله، وهم في دينه لا في دين الله.

والإسلام حين يجعل الشريعة لله وحده، يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ويعلن تحرير الإنسان. بل يعلن "ميلاد الإنسان".. فالإنسان لا يولد، ولا يوجد، إلا حيث تتحرر رقبته من حكم إنسان مثله وإلا حين يتساوى في هذا الشأن مع الناس جميعًا أمام رب الناس..

إن هذه القضية التي تعالجها نصوص هذا الدرس هي **أخطر وأكبر قضايا العقيدة.. إنها قضية الألوهية والعبودية. قضية العدل والصلاح. قضية الحريه والمساواة. قضية تحرر الإنسان -بل ميلاد الإنسان- وهي من أجل هذا كله كانت قضية الكفر أو الإيمان، وقضية الجاهلية أو الإسلام**..

والجاهلية ليست فترة تاريخية؛ إنما هي حالة توجد كلما وجدت مقوماتها في وضع أو نظام.. وهي في صميمها الرجوع بالحكم والتشريع إلى أهواء البشر، لا إلى منهج الله وشريعته للحياة. ويستوي أن تكون هذه الأهواء أهواء فرد، أو أهواء طبقة، أو أهواء أمة، أو أهواء جيل كامل من الناس.. فكلها.. ما دامت لا ترجع إلى شريعة الله.. أهواء..

يشرع فرد لجماعة فإذا هي جاهلية. لأن هواه هو القانون.. أو رأيه هو القانون.. لا فرق إلا في العبارات!

وتشرع طبقه لسائر الطبقات فإذا هي جاهلية. لأن مصالح تلك الطبقة هي القانون -أو رأي الأغلبية البرلمانية هو القانون- فلا فرق إلا في العبارات!

ويشرع ممثلو جميع الطبقات وجميع القطاعات في الأمة لأنفسهم فإذا هي جاهلية.. لأن أهواء الناس الذين لا يتجردون أبدًا من الأهواء، ولأن جهل الناس الذين لا يتجردون أبدًا من الجهل، هو القانون -أو لأن رأي الشعب هو القانون- فلا فرق إلا في العبارات!

وتشرع مجموعة من الأمم للبشرية فإذا هي جاهلية. لأن أهدافها القومية هي القانون -أو رأي المجامع الدولية هو القانون- فلا فرق إلا في العبارات!

ويشرع خالق الأفراد، وخالق الجماعات، وخالق الأمم والأجيال، للجميع، فإذا هي شريعة الله التي لا محاباة فيها لأحد على حساب أحد. لا لفرد ولا لجماعة ولا لدولة، ولا لجيل من الأجيال. لأن الله رب الجميع والكل لديه سواء. ولأن الله يعلم حقيقة الجميع ومصلحة الجميع، فلا يفوته -سبحانه- أن يرعى مصالحهم وحاجاتهم بدون تفريط ولا إفراط.

ويشرع غير الله للناس.. فإذا هم عبيد من يشرع لهم. كائنًا من كان. فردًا أو طبقة أو أمة أو مجموعة من الأمم..

ويشرع الله للناس.. فإذا هم كلهم أحرار متساوون، لا يحنون جباههم إلا لله، ولا يعبدون إلا الله. ومن هنا خطورة هذه القضية في حياة بني الإنسان، وفي نظام الكون كله: ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن.. فالحكم بغير ما أنزل الله معناه الشر والفساد والخروج في النهاية عن نطاق الإيمان.. بنص القرآن.

(يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر، من الذين قالوا: آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ومن الذين هادوا سماعون للكذب، سماعون لقوم آخرين لم يأتوك، يحرفون الكلم من بعد مواضعه، يقولون:إن أوتيتم هذا فخذوه، وإن لم تؤتوه فاحذروا. ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا. أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم. لهم في الدنيا خزي، ولهم في الآخرة عذاب عظيم. سماعون للكذب، أكالون للسحت. فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم. وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئًا. وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط. إن الله يحب المقسطين. وكيف يحكمونك - وعندهم التوراة فيها حكم الله - ثم يتولون من بعد ذلك؟ وما أولئك بالمؤمنين) ..

....

روي أن هذه الآيات نزلت في قوم من اليهود ارتكبوا جرائم - تختلف الروايات في تحديدها - منها الزنا ومنها السرقة.. وهي من جرائم الحدود في التوراة؛ ولكن القوم كانوا قد اصطلحوا على غيرها؛ لأنهم لم يريدوا أن يطبقوها على الشرفاء فيهم في مبدأ الأمر. ثم تهاونوا فيها بالقياس إلى الجميع، وأحلوا محلها عقوبات أخرى من عقوبات التعازير [كما صنع الذين يزعمون أنهم مسلمون في هذا الزمان!].. فلما وقعت منهم هذه الجرائم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تآمروا على أن يستفتوه فيها.. فإذا أفتى لهم بالعقوبات التعزيرية المخففة عملوا بها، وكانت هذه حجة لهم عند الله.. فقد أفتاهم بها رسول!.. وإن حكم فيها بمثل ما عندهم في التوراة لم يأخذوا بحكمه.. فدسوا بعضهم يستفتيه.. ومن هنا حكاية قولهم: إن أوتيتم هذا فخذوه، وإن لم تؤتوه فاحذروا..

وهكذا بلغ منهم العبث، وبلغ منهم الاستهتار، وبلغ منهم الالتواء أيضًا في التعامل مع الله والتعامل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المبلغ.. **وهي صورة تمثل أهل كل كتاب حين يطول عليهم الأمد، فتقسو قلوبهم؛ وتبرد فيها حرارة العقيدة، وتنطفيء شعلتها؛ ويصبح التملص من هذه العقيدة وشرائعها وتكاليفها هو الهدف الذي يبحث له عن الوسائل**؛ ويبحث له عن "الفتاوى" لعلها تجد مخرجًا وحيلة؛ أليس الشأن كذلك اليوم بين الذين يقولون: إنهم مسلمون من الذين قالوا: آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم!

أليسوا يتلمسون الفتوى للاحتيال على الدين لا لتنفيذ الدين؟ أليسوا يتمسحون بالدين أحيانًا لكي يقر لهم أهواءهم ويوقع بالموافقة عليها! **فأما إن قال الدين كلمة الحق وحكم الحق فلا حاجة بهم إليه**.. يقولون: إن أوتيتم هذا فخذوه؛ وإن لم تؤتوه فاحذروا! إنه الحال نفسه. ولعله لهذا كان الله -سبحانه- يقص قصة بني إسرائيل بهذا الإسهاب وهذا التفصيل، لتحذر منها أجيال "المسلمين" وينتبه الواعون منها لمزالق الطريق.

....

ذلك كان حكم الله على المحكومين الذين لا يقبلون حكم شريعة الله في حياتهم.. فالآن يجيء حكمه -تعالى- على الحاكمين، الذين لا يحكمون بما أنزل الله. الحكم الذي تتوافى جميع الديانات التي جاءت من عند الله عليه:

ويبدأ بالتوراة:

إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور. يحكم بها النبيون الذين أسلموا، للذين هادوا، والربانيون والأحبار، بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء؛ فلا تخشوا الناس واخشون، ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلًا. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسن بالسن، والجروح قصاص. فمن تصدق به فهو كفارة له. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ..

لقد جاء كل دين من عند الله ليكون منهج حياة. منهج حياة واقعية. جاء الدين ليتولى قيادة الحياة البشرية وتنظيمها وتوجيهها وصيانتها. ولم يجيء دين من عند الله ليكون مجرد عقيدة في الضمير؛ ولا ليكون كذلك مجرد شعائر تعبدية تؤدي في الهيكل والمحراب. فهذه وتلك -على ضرورتها للحياة البشرية وأهميتها في تربية الضمير البشري- لا يكفيان وحدهما لقيادة الحياة وتنظيمها وتوجيهها وصيانتها؛ ما لم يقم على أساسها منهج ونظام وشريعة تطبق عمليًا في حياة الناس؛ ويؤخذ الناس بها بحكم القانون والسلطان؛ ويؤاخذ الناس على مخالفتها، ويؤخذون بالعقوبات.

والحياة البشرية لا تستقيم إلا إذا تلقت العقيدة والشعائر والشرائع من مصدر واحد؛ يملك السلطان على الضمائر والسرائر، كما يملك السلطان على الحركة والسلوك. ويجزي الناس وفق شرائعه في الحياة الدنيا، كما يجزيهم وفق حسابه في الحياة الآخرة.

فأما حين تتوزع السلطة، وتتعدد مصادر التلقي.. حين تكون السلطة لله في الضمائر والشعائر بينما السلطة لغيره في الأنظمة والشرائع.. وحين تكون السلطة لله في جزاء الآخرة بينما السلطة لغيره في عقوبات الدنيا.. حينئذ تتمزق النفس البشرية بين سلطتين مختلفتين، وبين اتجاهين مختلفين، وبين منهجين مختلفين.. وحينئذ تفسد الحياة البشرية ذلك الفساد الذي تشير إليه

آيات القرآن في مناسبات شتى: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا.. ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن.. ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون..

....

إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور:

....

أنزل الله التوراة لا لتكون هدى ونورًا للضمائر والقلوب بما فيها من عقيدة وعبادات فحسب. ولكن كذلك لتكون هدى ونورًا بما فيها من شريعة تحكم الحياة الواقعية وفق منهج الله، وتحفظ هذه الحياة في إطار هذا المنهج.

وقبل أن ينتهي السياق من الحديث عن التوراة، يلتفت إلى الجماعة المسلمة، ليوجهها في شأن الحكم بكتاب الله عامة، وما قد يعترض هذا الحكم من شهوات الناس وعنادهم وحربهم وكفاحهم، وواجب كل من استحفظ على كتاب الله في مثل هذا الموقف، وجزاء نكوله أو مخالفته:

فلا تخشوا الناس واخشون؛ ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ..

ولقد علم الله -سبحانه- أن الحكم بما أنزل الله ستواجهه -في كل زمان وفي كل أمة- معارضة من بعض الناس؛ ولن تتقبله نفوس هذا البعض بالرضى والقبول والاستسلام.. ستواجهه **معارضة الكبراء والطغاة وأصحاب السلطان الموروث**. ذلك أنه سينزع عنهم رداء الألوهية الذي يدعونه؛ ويرد الألوهية لله خالصة، حين ينزع عنهم حق الحاكمية والتشريع والحكم بما يشرعونه هم للناس مما لم يأذن به الله.. وستواجهه **معارضة أصحاب المصالح المادية القائمة على الاستغلال والظلم والسحت**. ذلك أن شريعة الله العادلة لن تبقي على مصالحهم الظالمة.. وستواجهه **معارضة ذوي الشهوات والأهواء والمتاع الفاجر والانحلال**. ذلك أن دين الله سيأخذهم بالتطهر منها وسيأخذهم بالعقوبة عليها.. وستواجهه معارضة جهات شتى غير هذه وتيك وتلك؛ ممن لا يرضون أن يسود الخير والعدل والصلاح في الأرض.

علم الله -سبحانه- أن الحكم بما أنزل ستواجهه هذه المقاومة من شتى الجهات؛ وأنه لا بد للمستحفظين عليه والشهداء أن **يواجهوا هذه المقاومة؛ وأن يصمدوا لها، وإن يحتملوا تكاليفها في النفس والمال**.. فهو يناديهم: فلا تخشوا الناس واخشون ..

....

كذلك علم الله -سبحانه- أن بعض المستحفظين على كتاب الله المستشهدين؛ قد تراودهم أطماع الحياة الدنيا.

....

فناداهم الله:

ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلًا..

وذلك لقاء السكوت، أو لقاء التحريف، أو لقاء الفتاوى المدخولة!

وكل ثمن هو في حقيقته قليل. ولو كان ملك الحياة الدنيا.. **فكيف وهو لا يزيد على أن يكون رواتب ووظائف وألقابًا ومصالح صغيرة؛ يباع بها الدين، وتشترى بها جهنم عن يقين؟!**

إنه ليس أشنع من خيانة المستأمن؛ وليس أبشع من تفريط المستحفظ؛ وليس أخس من تدليس المستشهد. والذين يحملون عنوان: "رجال الدين" يخونون ويفرطون ويدلسون، فيسكتون عن العمل لتحكيم ما أنزل الله، ويحرفون الكلم عن مواضعه، لموافاة أهواء ذوي السلطان على حساب كتاب الله..

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ..

بهذا الحسم الصارم الجازم. وبهذا التعميم الذي تحمله من الشرطية وجملة الجواب. بحيث يخرج من حدود الملابسة والزمان والمكان، وينطلق حكمًا عامًا، على كل من لم يحكم بما أنزل الله، في أي جيل، ومن أي قبيل..

....

وبعد عرض هذا الطرف من شريعة التوراة، التي صارت طرفًا من شريعة القرآن، يعقب بالحكم العام:

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ..

والتعبير عام، ليس هناك ما يخصصه؛ ولكن الوصف الجديد هنا هو الظالمون .

وهذا الوصف الجديد لا يعني أنها حالة أخرى غير التي سبق الوصف فيها بالكفر. وإنما يعني إضافة صفة أخرى لمن لم يحكم بما أنزل الله. فهو كافر باعتباره رافضًا لألوهية الله -سبحانه- واختصاصه بالتشريع لعباده، وبادعائه هو حق الألوهية بادعائه حق التشريع للناس. وهو ظالم بحمل الناس على شريعة غير شريعة ربهم، الصالحة المصلحة لأحوالهم. فوق ظلمه لنفسه بإيرادها موارد التهلكة، وتعرضها لعقاب الكفر. وبتعريض حياة الناس -وهو معهم- للفساد.

وهذا ما يقتضيه اتحاد المسند إليه وفعل الشرط: ومن لم يحكم بما أنزل الله .. فجواب الشرط الثاني يضاف إلى جواب الشرط الأول؛ ويعود كلاهما على المسند إليه في فعل الشرط وهو من المطلق العام.

ثم يمضي السياق في بيان اطراد هذا الحكم العام فيما بعد التوراة.

وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم، مصدقًا لما بين يديه من التوراة. وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدقًا لما بين يديه من التوراة، وهدى وموعظة للمتقين. وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون..

....

والنص هنا كذلك على عمومه وإطلاقه.. وصفة الفسق تضاف إلى صفتي الكفر والظلم من قبل. وليست تعني قومًا جددًا ولا حالة جديدة منفصلة عن الحالة الأولى. إنما هي صفة زائدة على الصفتين قبلها، لاصقة بمن لم يحكم بما أنزل الله من أي جيل، ومن أي قبيل.

الكفر برفض ألوهية الله ممثلًا هذا في رفض شريعته. والظلم بحمل الناس على غير شريعة الله وإشاعة الفساد في حياتهم. والفسق بالخروج عن منهج الله واتباع غير طريقه.. فهي صفات يتضمنها الفعل الأول، وتنطبق جميعها على الفاعل. ويبوء بها جميعًا دون تفريق.

وأخيرًا يصل السياق إلى الرسالة الأخيرة؛ وإلى الشريعة الأخيرة.. إنها الرسالة التي جاءت تعرض "الإسلام" في صورته النهائية الأخيرة؛ ليكون دين البشرية كلها؛ ولتكون شريعته هي شريعة الناس جميعًا.

....

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق، مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة. ولكن ليبلوكم فيما آتاكم، فاستبقوا الخيرات. إلى الله مرجعكم جميعًا، فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون. وأن احكم بينهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم. واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك. فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم، وإن كثيرًا من الناس لفاسقون. أفحكم الجاهلية يبغون؟ ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون..

ويقف الإنسان أمام هذه النصاعة في التعبير، وهذا الحسم في التقرير، وهذا الاحتياط البالغ لكل ما قد يهجس في الخاطر من مبررات لترك شيء -ولو قليل- من هذه الشريعة في بعض الملابسات والظروف..

يقف الإنسان أمام هذا كله، فيعجب كيف ساغ لمسلم -يدعي الإسلام- أن يترك شريعة الله كلها، بدعوى الملابسات والظروف! وكيف ساغ له أن يظل يدعي الإسلام بعد هذا الترك الكلي لشريعة الله! وكيف لا يزال الناس يسمون أنفسهم "مسلمين"؟! وقد خلعوا ربقة الإسلام من رقابهم، وهم يخلعون شريعة الله كلها؛ ويرفضون الإقرار له بالألوهية، في صورة رفضهم الإقرار بشريعته، وبصلاحية هذه الشريعة في جميع الملابسات والظروف، وبضرورة تطبيقها كلها في جميع الملابسات والظروف!

....

فاحكم بينهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ..

والأمر موجه ابتداء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان فيه من أمر أهل الكتاب الذين يجيئون إليه متحاكمين. ولكنه ليس خاصًا بهذا السبب، بل هو عام.. وإلى آخر الزمان.. طالما أنه ليس هناك رسول جديد، ولا رسالة جديدة، لتعديل شيء ما في هذا المرجع الأخير!

....

وقد علم الله أن معاذير كثيرة يمكن أن تقوم، وأن يبرر بها العدول عن شيء مما أنزل الله واتباع أهواء المحكومين المتحاكمين.. وأن هواجس قد تتسرب في ضرورة الحكم بما أنزل الله كله بلا عدول عن شيء فيه، في بعض الملابسات والظروف. فحذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات مرتين من اتباع أهواء المتحاكمين، ومن فتنتهم له عن بعض ما أنزل الله إليه..

وأولى هذه الهواجس: الرغبة البشرية الخفية في تأليف القلوب بين الطوائف المتعددة، والاتجاهات والعقائد المتجمعة في بلد واحد. ومسايرة بعض رغباتهم عند ما تصطدم ببعض أحكام الشريعة، والميل إلى التساهل في الأمور الطفيفة، أو التي يبدو أنها ليست من أساسيات الشريعة!

وقد روى أن اليهود عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا له إذا تصالح معهم على التسامح في أحكام بعينها منها حكم الرجم. وأن هذا التحذير قد نزل بخصوص هذا العرض.. ولكن الأمر -كما هو ظاهر- أعم من حالة بعينها وعرض بعينه. فهو أمر يعرض في مناسبات شتى، ويتعرض له أصحاب هذه الشريعة في كل حين.. وقد شاء الله -سبحانه- أن يحسم في هذا الأمر، وأن يقطع الطريق على الرغبة البشرية الخفية في التساهل مراعاة للاعتبارات والظروف، وتأليفًا للقلوب حين تختلف الرغبات والأهواء. فقال لنبيه: إن الله لو شاء لجعل الناس أمة واحدة؛ ولكنه جعل لكل منهم طريقًا ومنهاجًا؛ وجعلهم مبتلين مختبرين فيما آتاهم من الدين والشريعة.

....

بذلك أغلق الله -سبحانه- مداخل الشيطان كلها؛ وبخاصة ما يبدو منها خيرًا وتأليفًا للقلوب وتجميعًا للصفوف؛ بالتساهل في شيء من شريعة الله؛ في مقابل إرضاء الجميع! أو في مقابل ما يسمونه وحدة الصفوف!

....

ثم يقفهم على مفرق الطريق.. فإنه إما حكم الله، وإما حكم الجاهلية. ولا وسط بين الطرفين ولا بديل.

....

أفحكم الجاهلية يبغون؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟ ..

إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص. فالجاهلية -كما يصفها الله ويحددها قرآنه- **هي حكم البشر للبشر، لأنها هي عبودية البشر للبشر.**

....

إن الجاهلية -في ضوء هذا النص- ليست فترة من الزمان؛ ولكنها وضع من الأوضاع. هذا الوضع يوجد بالأمس، ويوجد اليوم، ويوجد غدًا، فيأخذ صفة الجاهلية، المقابلة للإسلام، والمناقضة للإسلام.

والناس -في أي زمان وفي أي مكان- إما أنهم يحكمون بشريعة الله -دون فتنة عن بعض منها- ويقبلونها ويسلمون بها تسليمًا، فهم إذن في دين الله. وإما إنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر -في أي صورة من الصور- ويقبلونها فهم إذن في جاهلية؛ وهم في دين من يحكمون بشريعته، وليسوا بحال في دين الله. والذي لا يبتغى حكم الله يبتغي حكم الجاهلية؛ والذي يرفض شريعة الله يقبل شريعة الجاهلية، ويعيش في الجاهلية.

وهذا مفرق الطريق، يقف الله الناس عليه. وهم بعد ذلك بالخيار!

ثم يسألهم سؤال استنكار لابتغائهم حكم الجاهلية؛ وسؤال تقرير لأفضلية حكم الله.

ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون؟ ..

....

إنه مفرق الطريق، الذي لا معدى عنده من الاختيار؛ ولا فائدة في المماحكة عنده ولا الجدال..

إما إسلام وإما جاهلية. إما إيمان وإما كفر. إما حكم الله وإما حكم الجاهلية" [8].

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون﴾[9]:

"ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، بما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكز خان، الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظرة وهواه، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير"[10].

وقال الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله:

"إن من **الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين** على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين".

ثم قال رحمه الله رادًا على الذين يحكمون بالقوانين الوضعية ويدعون إليها: "وقد قال تعالى منكرًا على هذا الضرب من الناس، ومقررًا ابتغاءهم أحكام الجاهلية، وموضحًا أنه لا حكم أحسن من حكمه: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون) فتأمل هذه الآية الكريمة وكيف دلت على أن قسمة الحكم ثنائية، وأنه **ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية"**[11].

رد شبهتين:

وقد أثار بعض المدافعين عن الحكام المستبدلين للقوانين الوضعية بالشريعة الإسلامية شبهات منها الشبهتان التاليتان:

الشبهة الأولى: ما ورد عن ابن عباس –رضي الله عنهما- من آثار في أن الحكم بغير ما أنزل الله ليس كفرًا ينقل عن الملة، وأنا أورد هذه الآثار، ثم أرد على شبهة علماء السلطان بعون الله وتوفيقه.

قال الطبري رحمه الله:

"12053 - حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع= وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي= عن سفيان، عن معمر بن راشد، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس:"ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافررن"، قال: هي به كفر، وليس كفرًا بالله وملائكته وكتبه ورسله.

12054 - حدثني الحسن قال، حدثنا أبو أسامة، عن سفيان، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: قال رجل لابن عباس في هذه الآيات:"ومن لم يحكم بما أنزل الله"، فمن فعل هذا فقد كفر؟ قال ابن عباس: إذا فعل ذلك فهو به كفر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر، وبكذا وكذا.

---

8 في ظلال القرآن ج2 ص887- 905.

9 سورة المائدة، ‘ية: 50.

10 تفسير ابن كثير ج: 3 ص: 119.

11 رسالة تحكيم القوانين ص: 1 و3.

12055 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: سئل ابن عباس عن قوله:"ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"، قال هي به كفر= قال: ابن طاوس: وليس كمن كفر بالله وملائكته وكُتُبه ورسله"[12].

وقال أيضًا رحمه الله:

"حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾. قال: "من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق"[13].

* وقال ابن كثير رحمه الله:

"وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس عن ابن عباس في قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون). قال: "**ليس بالكفر الذي يذهبون إليه**" ورواه الحاكم في مستدركه 2313 من حديث سفيان بن عيينة وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" [14].

وأرد –بعون الله وقدرته- على هذه الشبهة من عدة أوجه:

(1) من حيث السند:

(أ) فأما ما ورد عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما: فالظاهر -والله أعلم- أن عبارة "به كفر وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله" هي من قول ابن طاوس، كما ورد ذلك صريحًا فيما رواه الطبري عن الحسن بن يحيى[15].

(ب) أما الأثر الذي رواه علي بن أبي طلحة -رحمه الله- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- فإن عليًا بن أبي طلحة لا يروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإنما خبره عنه مرسل ففي سنده انقطاع كما قرر ذلك العلماء. كما أنه مختلف في توثيقه والجرح مقدم على التعديل كما سيأتي إن شاء الله. قال ابن حجر رحمه الله:

"علي بن أبي طلحة واسمه سالم بن المخارق الهاشمي أبا الحسن، ذلك أصله من الجزيرة، وانتقل إلى حمص. روى عن ابن عباس، ولم يسمع منه، بينهما مجاهد وأبي الوداك جبر بن نوف وراشد بن سعد المقرئي والقاسم بن محمد بن أبي بكر وغيرهم.

....

قال الميموني عن أحمد: له أشياء منكرات، وهو من أهل حمص. وقال الآجري عن أبي داود: وهو إن شاء الله مستقيم الحديث، ولكن له رأي سوء كان يرى السيف. وقد رآه حجاج بن محمد. وقال النسائي: ليس به بأس. وقال دحيم: **لم يسمع التفسير من ابن عباس**. وقال صالح بن محمد: روى عنه الكوفيون والشاميون وغيرهم. وقال يعقوب بن سفيان: ضعيف الحديث منكر ليس محمود المذهب. وقال في موضع آخر: شامي ليس هو بمتروك ولا هو حجة. وذكره بن حبان في الثقات، وقال: **روى عن ابن عباس ولم يره**.

....

ووثقه العجلي."[16].

---

12 تفسير الطبري ج: 10 ص: 355 و356.

13 تفسير الطبري ج: 10 ص: 357.

14 تفسير ابن كثير ج: 3 ص: 109.

15 راجع أيضًا: تفسير ابن كثير ج: 3 ص: 108، تعظيم قدر الصلاة للمروزي ج: 2 ص: 521.

16 تهذيب التهذيب ج: 7 ص: 339.

وقال أبو الحجاج المزي رحمه الله: "وقال يعقوب بن إسحاق بن محمود وسئل يعني صالح بن محمد عن علي بن أبي طلحة ممن سمع التفسير قال: **من لا أحد**" [17].

(ج) أما الأثر الذي رواه هشام بن حجير عن طاوس عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾. قال: "**ليس بالكفر الذي يذهبون إليه**"، والذي رواه الحاكم في مستدركه [18]، فإن هشام بن حجير قد وثقه البعض وجرحه الآخرون.

قال عنه أبو الحجاج المزي رحمه الله:

"قال ابن شبرمة: ليس بمكة مثله. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل سألت أبي عنه فقال. **ليس هو بالقوي قلت هو ضعيف قال ليس هو بذاك**، قال وسألت يحيى بن معين عنه **فضعفه جدًا**. وقال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين: صالح. وقال العجلي: ثقة صاحب سنة. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه. وقال علي بن المديني: قرأت على يحيى بن سعيد حدثنا بن جريج عن هشام بن حجير، فقال يحيى بن سعيد: **خليق أن أدعه. قلت: أضرب على حديثه. قال: نعم**. وقال أبو عبيد الآجري سمعت أبا داود قال: **هشام بن حجير ضرب الحد بمكة. قلت: في ماذا؟ قال: فيما يضرب فيه أهل مكة**. وذكره بن حبان في كتاب الثقات. روى له البخاري ومسلم والنسائي" [19].

قال ابن حجر رحمه الله:

"هشام بن حجير المكي وثقه العجلي وابن سعد **وضعفه بن يحيى القطان ويحيى بن معين وقال أحمد: ليس بالقوي. وذكره في الضعفاء أبو جعفر**، وحكى عن سفيان بن عيينة قال: **لم ينفذ عنه إلا ما لم نجد عند غيره**. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه. قلت: **ليس له في البخاري سوى حديثه عن طاوس عن أبي هريرة قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة الحديث. أورده في كفارة الأيمان من طريقه، وفي النكاح بمتابعة عبد الله بن طاوس له عن أبيه**" [20].

قلت: وله في صحيح الإمام مسلم -رحمه الله- حديثان: حديث طواف نبي الله سليمان -عليه السلام- في باب الاستثناء، وقد أورد الإمام مسلم -رحمه الله- هذا الحديث بأربع روايات منها واحدة من طريق هشام بن حجير. وحديث التقصير في العمرة بمتابعة الحسن بن مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فالحاصل أن الشيخين –رحمهما الله- لم يوردا حديثه إلا فيما تابعه فيه غيره، وهو قول سفيان بن عيينة رحمه الله [21].

فالخلاصة أن هشام بن حجير قد جرحته طائفة من العلماء ووثقته طائفة أخرى، والجرح مقدم على التعديل كما هو مقرر في أصول الحديث [22].

(2) وحتى لو سلمنا بصحة الروايات الواردة عن ابن عباس –رضي الله عنهما- فإن الحجة لا تقوم بها، لأن قول الصحابي ليس بحجة على الصحيح من علم الأصول. قال الآمدي رحمه الله:

---

17 تهذيب الكمال ج: 20 ص: 490. راجع أيضًا: المغني في الضعفاء ج: 2 ص: 450، ميزان الاعتدال ج: 5 ص: 163، الكاشف ج: 2 ص: 41، جامع التحصيل ج: 1 ص: 240، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل ج: 1 ص: 234، الضعفاء الكبير العقيلي ج: 3 ص: 34، تقريب التهذيب ج: 1 ص: 402، رجال صحيح مسلم ج: 2 ص: 56، اتاريخ بغداد ج: 11 ص: 428، بحر الدم ج: 1 ص: 304، المراسيل لابن أبي حاتم ج: 1 ص: 140، تحفة الطالب ج: 1 ص: 380.

18 المستدرك على الصحيحين ج: 2 ص: 342.

19 تهذيب الكمال ج: 30 ص: 179، 180.

20 مقدمة فتح الباري- الفصل التاسع في سياق أسماء من طعن فيه- حرف الهاء- هشام بن حجير ج: 1 ص: 447، 448.

21 راجع أيضًا: زاد المعاد ج: 2 ص: 137، الجرح والتعديل ج: 6 ص: 259، ج: 9 ص: 53، ذكر أسماء من تكلم فيه ج: 1 ص: 187، ميزان الاعتدال ج: 7 ص: 77، الكاشف ج: 2 ص: 335، معرفة الثقات ج: 2 ص: 327، الثقات ج: 7 ص: 567، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج: 3 ص: 174، لسان الميزان ج: 7 ص: 417، تهذيب التهذيب ج: 8 ص: 92، ج: 11 ص: 32، تقريب التهذيب ج: 1 ص: 572، الكامل في ضعفاء الرجال ج: 5 ص: 119، ج: 7 ص: 111، جامع التحصيل ج: 1 ص: 58، الضعفاء الكبير للعقيلي ج: 4 ص: 337، التعديل والتجريح ج: 3 ص: 1169، الطبقات الكبرى ج: 5 ص: 484، ج: 1 ص: 385، ج: 1 ص: 401، 402، ج: 3 ص: 30، حجة الوداع ج: 1 ص: 442.

22 نخبة الفكر ج: 1 ص: 232، الكفاية في علم الرواية ج: 1 ص: 105، الإحكام للآمدي ج: 2 ص: 99.

" النوع الثاني: مذهب الصحابي، وفيه مسألتان: المسألة الأولى اتفق الكل على أن مذهب الصحابي في مسائل الاجتهاد لا يكون حجة على غيره من الصحابة المجتهدين إمامًا كان أو حاكمًا أو مفتيًا، واختلفوا في كونه حجة على التابعين ومن بعدهم من المجتهدين، فذهبت الأشاعرة والمعتزلة والشافعي في أحد قوليه وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه والكرخي إلى أنه ليس بحجة، وذهب مالك بن أنس والرازي والبرذعي من أصحاب أبي حنيفة والشافعي في قول له وأحمد بن حنبل في رواية له إلى أنه حجة مقدمة على القياس، وذهب قوم إلى أنه إن خالف القياس فهو حجة وإلا فلا، وذهب قوم إلى أن الحجة في قول أبي بكر وعمر دون غيرهما، والمختار أنه ليس بحجة مطلقًا" [23].

(3) وحتى لو سلمنا بصحة الروايات الواردة عن ابن عباس –رضي الله عنهما- وبحجية قول الصحابي، فإن ما ورد عن ابن عباس لا يقبل على إطلاقه، لأن بعض رواياته جاءت مطلقة وبعضها جاءت مفصلة، ففي رواية لابن طاوس عن أبيه قال ابن عباس رضي الله عنهما: " **هي به كفر**"، قال ابن طاوس: وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله.

وفي الرواية الأخرى لابن طاوس قال ابن عباس رضي الله عنهما: **"إذا فعل ذلك فهو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر** وبكذا وكذا".

وفي الرواية الثالثة عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس –رضي الله عنهما- قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، قال: "**من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق**" [24]. ولذا فإن التفصيل هو المذهب المختار وهو قول ابن جرير، وابن القيم والشيخ محمد بن إبراهيم رحمهم الله تعالى.

قال ابن جرير رحمه الله: "وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات ففيهم نزلت وهم المعنيون بها وهذه الآيات سياق الخبر عنهم فكونها خبرًا عنهم أولى.

فإن قال قائل فإن الله تعالى ذكره قد عم بالخبر بذلك عن جميع من لم يحكم بما أنزل الله فكيف جعلته خاصًا؟ قيل إن الله تعالى عم بالخبر بذلك عن قوم كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكم على سبيل ما تركوه كافرون.

وكذلك القول في كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به هو بالله كافر، كما قال ابن عباس لأنه بجحوده حكم الله بعد علمه أنه أنزله في كتابه نظير جحوده نبوة نبيه بعد علمه أنه نبي" [25].

قال العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله: " وقال تعالى مخبرًا نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بين الحكم بين اليهود والإعراض عنهم إن جاءوا لذلك: (فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم. وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئًا. وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين) والقسط هو العدل، ولا عدل حقًا إلا حكم الله ورسوله، والحكم بخلافه هو الجور والظلم والضلال والكفر والفسوق، ولهذا قال تعالى بعد ذلك: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون).

فانظر كيف سجل الله تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفر والظلم والفسوق، ومن الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرًا ولا يكون كافرًا، بل كافر مطلقًا، إما كفر عمل، وإما كفر اعتقاد، **وما جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير هذه الآية من رواية طاوس وغيره يدل أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة.**

أما كفر الاعتقاد فهو أنواع:

---

23 الإحكام للآمدي ج: 4 ص: 155.

24 تفسير الطبري ج: 10 ص: 357.

25 تفسير الطبري ج: 10 ص: 358.

أحدها: **أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله**. وهو معنى ما روي عن ابن عباس واختاره ابن جرير أن ذلك هو **جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي**، وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم. فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم أن من جحد أصلًا من أصول الدين أو فرعًا مجمعًا عليه أو أنكر حرفًا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قطعيًا فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة.

الثاني: أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقًا. ولكن اعتقد أن **حكم غير الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن من حكمه**.

....

وهذا أيضًا لا ريب أنه كفر لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان، وصرف حثالة الأفكار، على حكم الحكيم الحميد.

....

الثالث: أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله، لكن **اعتقد أنه مثله**، فهذا أيضًا كالنوعين اللذين قبله، في كونه كافرًا الكفر الناقل عن الملة، لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق.

....

الرابع: أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلًا لحكم الله ورسوله –فضلًا عن أن يعتقد كونه أحسن منه- لكن اعتقد **جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله**.

فهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه، لاعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه.

الخامس: **وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع**.

....

ومضاهاة بالمحاكم الشرعية.

....

فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى.

....

فهذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهيأة.

....

يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به، وتقرهم عليه، وتحتمه عليهم، **فأي كفر فوق هذا الكفر**.

....

فيجب على العقلاء أن يربأوا بأنفسهم عنه، لما فيه من الاستعباد لهم والتحكم فيهم بالأهواء والأغراض، والأغلاط والأخطاء، فضلًا عن كونه كفرًا بنص قوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون).

السادس: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر، والقبائل من البوادي ونحوه من حكايات آبائهم وأجدادهم.

....

القسم الثاني الذي لا يخرج من الملة من قسمي كفر الحاكم بغير ما أنزل الله:

فما تقدم أن تفسير ابن عباس –رضي الله عنهما- لقول الله عز وجل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)؛ قد شمل ذلك القسم، وذلك في قوله –رضي الله عنه- في الآية: "كفر دون كفر"، وقوله أيضًا: "ليس بالكفر الذي تذهبون

إليه"، وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الصواب، وهذا إن لم يخرجه كفره عن الملة، فإنه معصية عظمي أكبر من الكبائر كالزنا وشرب الخمر والسرقة واليمين الغموس وغيرها، فإن معصية سماها الله في كتابه كفرًا، أعظم من معصية لم يسمها كفرًا" [26].

قال ابن القيم رحمه الله في تفسيره لهذه الآيات المشار إليها:

"والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه عصيانًا، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر. **وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله تعالى فهذا كفر أكبر**، وإن جهله وأخطأه فهذا مخطيء له حكم المخطئين" [27].

قلت: فهذه الأنظمة العلمانية تنص دساتيرها على أن السيادة للشعب وحده، وعلى أن الدستور هو مرجع القوانين، ولا تجوز مخالفته، وعلى أن الحكم في المحاكم يكون بالقانون، ولا يجوز الحكم بغيره، ويثبت في حكمه ما استند إليه من نصوص الدستور والقانون، ولا يستطيع القاضي العلماني أن يخالف القانون ويحكم بالشريعة، ويطعن على حكمه بالبطلان، ويعزل من منصبه إن فعل ذلك. كل هذا مع علمهم بمضادة ما يقولون ويفعلون لعقيدة الإسلام وشريعته.

(4) وحتى لو سلمنا أيضًا بصحة الروايات عن ابن عباس –رضي الله عنهما- فإنها لا تكفي للاحتجاج بها على مذهب المرجئة المعاصرين الذين يدعون أن من لم يحكم بما أنزل الله فليس بكافر حتى وإن غير كل قوانين البلاد إلى قوانين العلمانيين والنصارى، وحتى وإن أنكر حاكمية الشريعة واستبدل بها حاكمية الشعب أو الحزب أو الأغلبية أو أهوائه الشخصية.

فإن قول الصحابي إذا لم يكن حجة منفردًا، فهو قطعًا ليس بحجة إذا وجد ما يخالفه من أقوال الصحابة الآخرين رضوان الله عليهم أجمعين، وقد وردت آثار عن عمر بن الخطاب وابن مسعود -رضي الله عنهما- تؤكد على كفر من لم يحكم بما أنزل الله.

(أ) الآثار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

[1] روى عبد الأعلى بن حماد حدثنا حماد عن أبان ابن أبي عياش عن مسلم أن مسروقًا قال: قلت لعمر يا أمير المؤمنين أرأيت الرشوة في الحكم من السحت؟ قال: "**لا ولكن كفر**، إنما السحت أن يكون لرجل عند سلطان جاه ومنزلة، ويكون للآخر إلى السلطان حاجة، فلا يقضي حاجته حتى يهدي إليه" [28].

[2] قال أسلم بن سهل الواسطي -رحمه الله- في ترجمة بشر بن محمد بن أبان بن مسلم:

حدثنا أسلم قال ثنا محمد بن عبد الله بن سعيد قال ثنا بشر بن محمد بن أبان بن مسلم الواسطي قال ثنا حماد بن سلمة عن أبان بن أبي عياش عن مسلم بن أبي عمران عن مسروق قال قلت لعمر بن الخطاب: أرأيت الرشوة في الحكم هو السحت؟ قال: "**لا ولكن الكفران**، السحت أن يكون للرجل عند السلطان منزلة ويكون للآخر إليه حاجة فيهدي له ليقضي حاجته" [29].

قلت: وهذان الأثران علتهما في أبان بن أبي عياش[30].

(ب) الآثار عن ابن مسعود رضي الله عنه:

[1] قال الهيثمي رحمه الله: "وعن مسروق كنت جالسًا إلى عبد الله فقال له رجل: ما السحت؟ الرشا في الحكم؟ قال: "**ذاك الكفر ثم قرأ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**" رواه أبو يعلي وشيخ أبي يعلي محمد بن عثمان بن عمر لم أعرفه[31].

---

26 رسالة تحكيم القوانين ص 13-21.

27 مدارج السالكين ج: 1 ص:336، 337.

28 أحكام القرآن للجصاص ج: 4 ص: 85.

29 تاريخ واسط ج: 1 ص: 181.

30 التاريخ الكبير للبخاري ج: 1 ص: 454، التاريخ الصغير للبخاري ج: 2 ص: 53، الضعفاء والمتروكين للنسائي ج: 1 ص: 14، المقتنى في سرد الكنى ج: 1 ص: 77، أحوال الرجال ج: 1 ص: 103، حلية الأولياء ج: 7 ص: 150، الجرح والتعديل ج: 1 ص: 77.

31 مسند أبي يعلى ج: 9 ص: 173، 174، سنن البيهقي الكبرى ج: 10 ص: 139.

وعن ابن مسعود: "**الرشوة في الحكم كفر**، وهو بين الناس سحت" **رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح**"[32].

[2] قال الهيثمي رحمه الله: "قوله تعالى: (وأكلهم السحت) عن عبد الله يعني ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه سئل عن السحت. قال: الرشا. قيل: في الحكم؟ قال: **ذاك الكفر**. رواه الطبراني من رواية شريك عن السري عن أبي الضحى والسري لم أعرفه وبقية رجاله ثقات".

قلت: وقد وجدته في المعجم الكبير للطبراني رحمه الله (حديث رقم 9098) عن شريك عن السدي عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله....الحديث[33].

[3] قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن سلمة بن كهيل، عن علقمة ومسروق: أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة، فقال: من السحت. قال فقالا أفي الحكم؟ قال: **ذاك الكُفْر!** ثم تلا هذه الآية:"ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"[34].

قلت: فهذا سند رجاله كلهم ثقات بفضل الله تعالى [35].

[4] قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "حدثنا هناد ثنا عبيدة عن عمار عن مسلم بن صبيح عن مسروق سألت ابن مسعود عن السحت أهو الرشا في الحكم؟ فقال: **لا من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر**، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو ظالم، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو فاسق، ولكن السحت يستعينك الرجل على المظلمة فتعينه عليها فيهدي لك الهدية فتقبلها" [36].

[5] قال أبو بكر الجصاص رحمه الله: "وروى شعبة عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق: سألت عبد الله عن الجور في الحكم، فقال: **ذلك كفر**. وسألته عن السحت، فقال: الرشا" [37].

الشبهة الثانية : واستدل بعض المرجئة المعاصرين -أنصار الحاكمين بغير ما أنزل الله- بما ورد من رواية عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- أن الآيات المذكورة لم تنزل في المسلمين.

قال الإمام مسلم رحمه الله: "عن البراء بن عازب قال: مر على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محممًا مجلودًا، فدعاهم صلى الله عليه وسلم فقال: "هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟" قالوا: نعم، فدعا رجلًا من علمائهم، فقال: "أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟" قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف، أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا، فلنجتمع على شيء، نقيمه على الشريف والوضيع. فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه"، فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ إلى قوله ﴿إن أوتيتم هذا فخذوه﴾ يقول ائتوا محمدًا صلى الله عليه وسلم فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا. فأنزل الله تعالى:

---

32 مجمع الزوائد ج: 4 ص: 199، 200، المعجم الكبير ج: 9 ص: 226، سنن سعيد بن منصور ج: 4.

33 مجمع الزوائد ج: 7 ص: 15، المعجم الكبير ج: 9 ص: 225.

34 تفسير الطبري ج: 10 ص: 357، 319، 322، المعجم الكبير ج: 9 ص: 226.

35 راجع في ترجمة يعقوب بن إبراهيم: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج: 9 ص: 202، سير أعلام النبلاء ج: 12 ص: 141.

وفي ترجمة هشيم بن بشير: الكنى والأسماء ج: 1 ص: 759، التاريخ الكبير للبخاري ج: 1 ص: 311، ج: 8 ص: 242، الجرح والتعديل ج: 1 ص: 155، ج: 9 ص: 115، تذكرة الحفاظ ج: 1 ص: 248، ج: 1 ص: 249.

وفي ترجمة عبد الملك بن أبي سليمان: تذكرة الحفاظ ج: 1 ص: 155.

وفي ترجمة سلمة بن كهيل: التاريخ الكبير للبخاري ج: 4 ص: 74، الجرح والتعديل ج: 1 ص: 143، ج: 4 ص: 170.

وفي ترجمة علقمة بن قيس: حلية الأولياء ج: 2 ص: 98، ج: 2 ص: 99.

وفي ترجمة مسروق بن الأجدع: التاريخ الكبير للبخاري ج: 8 ص: 35، الجرح والتعديل ج: 8 ص: 396.

36 تفسير الطبري ج: 10 ص: 322، 324، أحكام القرآن للجصاص ج: 4 ص: 84، سنن سعيد بن منصور ج: 4، سنن البيهقي الكبرى ج: 10 ص: 139، شعب الإيمان ج: 4 ص: 390.

37 أبو بكر الجصاص رحمه الله: أحكام القرآن ج: 4 ص: 84، 85، سنن البيهقي الكبرى ج: 10 ص: 139.

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ في الكفار كلها" [38].

والرد على ذلك أن روايات أخرى وردت عن صحابة آخرين أن المسلمين داخلون في هذه الآيات:

أ- فقد روي عن حذيفة رضي الله عنه ذلك:

[1] قال الطبري رحمه الله: "حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري عن حذيفة في قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون). قال: **نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل، إن كانت لكم كل حلوة ولهم كل مرة، ولتسلكن طريقهم قدى الشراك**."

[2] وقال أيضًا رحمه الله: "حدثنا هناد بن السري قال ثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري قال: قيل لحذيفة (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، ثم ذكر نحو حديث ابن بشار عن عبد الرحمن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري قال: سأل رجل حذيفة عن هؤلاء الآيات (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون فأولئك هم الظالمون فأولئك هم الفاسقون قال فقيل ذلك في بني إسرائيل قال: **نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل إن كانت لهم كل مرة، ولكم كل حلوة كلا والله لتسلكن طريقهم قدى الشراك**" [39].

ب- وروي ذلك أيضًا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

قال الطبري رحمه الله: " حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن سلمة بن كهيل، عن مسروق، عن علقمة: أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة، فقال: هي السحت، قالا في الحكم؟ قال: **ذاك الكفر ثم تلا هذه الآية ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**" [40].

***

38 صحيح مسلم-كتاب: الحدود- باب: رَجْمِ الْيَهُودِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الزِّنَى- حديث رقم: 1700 ج: 2 ص: 812 و813.

39 تفسير الطبري ج: 10 ص: 349 و350.

40 تفسير الطبري ج: 10 ص: 321.

المطلب الثاني

الأدلة من السنة المطهرة

أخرج الترمذي رحمه الله - وغيره- وحسنه عن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- قال:

"أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: "يا عدي اطرح عنك هذا الوثن". وسمعته يقرأ في سورة براءة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله)، قال: "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه" [1].

ففي هذا الحديث بين النبي -صلى الله عليه وسلم- لعدي بن حاتم -رضي الله عنه- أن المولى سبحانه تعالى قد عد النصارى مشركين لا لأنهم يتعبدون بالشعائر لأحبارهم من دون الله، ولكن لأنهم يتبعونهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال البين في كتاب الله.

لقد كان عدي بن حاتم -رضي الله عنه- يظن أن العبادة منحصرة في تقديم الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام نحوها، ولكن لما كان النصارى لا يصلّون لأحبارهم ورهبانهم ولا يصومون، ظن أنهم لم يتخذوهم أربابًا، لكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أزال عنه هذا اللبس، وبين له أنهم بطاعتهم إياهم في التحليل والتحريم على وجه مخالف للشرع، قد اتخذوهم أربابًا من دون الله. وقد روي هذا التفسير عن حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم:

قال الطبري رحمه الله:

"عن أبي البختري قال قيل لحذيفة أرأيت قول الله اتخذوا أحبارهم؟ قال: أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئًا أحله الله لهم حرموه فتلك كانت ربوبيتهم.

....

عن السدي (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله) قال عبد الله بن عباس: لم يأمروهم أن يسجدوا لهم، ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم، **فسماهم الله بذلك أربابًا**" [2].

وقد أجمع على هذا الفهم السلف الصالح وأئمة الإسلام، وأنا أنقل هنا بعضًا من أقوالهم رحمهم الله.

قال الطبري رحمه الله:

"(أربابًا من دون الله) يعني سادة لهم من دون الله، يطيعونهم في معاصي الله، فيحلون ما أحلوه لهم مما قد حرمه الله عليهم، ويحرمون ما يحرمونه عليهم، مما قد أحله الله لهم.

---

1 سنن الترمذي- كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- باب: ومن سورة التوبة- حديث رقم: 3095 ج: 5 ص: 278. راجع أيضًا: سنن سعيد بن منصور ج: 5 ص: 245، سنن البيهقي الكبرى ج: 10 ص: 116، مصنف ابن أبي شيبة ج: 7 ص: 156، المعجم الكبير للطبراني ج: 17 ص: 92، شعب الإيمان ج: 7 ص: 45، فتح القدير ج: 2 ص: 355.

2 تفسير الطبري ج: 14 ص: 2114 و212.

راجع أيضًا: فتح القدير ج: 2 ص: 355، تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 350.

....

وأما قوله: (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا) فإنه يعني به وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبار والرهبان والمسيح أربابًا إلا أن يعبدوا معبودًا واحدًا وأن يطيعوا إلا ربًا واحدًا دون أرباب شتى، وهو الله الذي له عبادة كل شيء وطاعة كل خلق، المستحق على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية. (لا إله إلا هو) يقول تعالى ذكره: لا تنبغي الألوهية إلا لواحد الذي أمر الخلق بعبادته ولزمت جميع العباد طاعته. (سبحانه عما يشركون) يقول: تنزيهًا وتطهيرًا لله عما **يشرك في طاعته**"[3].

قال القرطبي رحمه الله:

"قوله تعالى: (ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله) أي لا نتبعه في تحليل إلا فيما حلله الله تعالى. وهو نظير قوله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم من دون الله) معناه أنهم أنزلوها منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحله الله"[4].

قال أبو بكر الجصاص رحمه الله:

"وإنما وصفهم الله تعالى بأنهم اتخذوهم أربابًا، لأنهم **أنزلوهم منزلة ربهم وخالقهم** في قبول تحريمهم وتحليلهم، لما لم يحرمه الله، ولم يحلله، ولا يستحق أحد أن يطاع بمثله إلا الله تعالى، الذي هو خالقهم. والمكلفون كلهم متساوون في لزوم عبادة الله واتباع أمره **وتوجيه العبادة إليه دون غيره**"[5].

ويقول ابن حزم -رحمه الله- عن قوله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله) "لمّا كان اليهود والنصارى يحرِّمون ما حرَّم أحبارهم ورهبانهم، ويحلّون ما أحلوا كانت هذه ربوبية صحيحة وعبادة صحيحة قد دانوا بها، وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباب من دون الله وعبادة، وهذا **هو الشرك من دون الله بلا خلاف** "[6].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد أن أورَدَ حديث عدي بن حاتم السابق: "فقد بيّنَ النبي صلى الله عليه وسلم أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال، لا أنهم صلوا لهم وصاموا لهم، ودعوهم من دون الله، فهذه عبادة الرجال، وقد ذكر الله أن ذلك **شرك** بقوله: (لا إله إلا هو سبحانه عمّا يشركون)"[7].

وقال ابن كثير رحمه الله:

"وقوله تعالى: (وإن أطعمتموهم إنكم لمشركون) أي حيث عدلتم من أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم ذلك، فهذا **هو الشرك**، كقوله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله) الآية. وقد روى الترمذي 3095 في تفسيرها عن عدي بن حاتم أنه قال: يا رسول الله ما عبدوهم، فقال: "بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم"[8].

وقال أيضًا رحمه الله في تفسير قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله):

"وقال السدي: استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، ولهذا قال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا) أي الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام، وما حلله فهو الحلال، وما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ، (لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأولاد لا إله إلا هو ولا رب سواه"[9].

---

3 تفسير الطبري ج: 14 ص: 213.

4 تفسير القرطبي ج: 5 ص 162.

5 أحكام القرآن للجصاص ج: 2 ص: 297.

6 الفصل ج: 3 ص: 266.

7 الفتاوى ج: 7 ص: 67.

8 تفسير ابن كثير ج: 3 ص: 295.

9 تفسير ابن كثير ج: 4 ص: 119.

وقال الشوكاني رحمه الله:

"ومعنى الآية أنهم لما أطاعوهم فيما يأمرونهم به وينهونهم عنه كانوا بمنزلة المتخذين لهم أربابًا لأنهم أطاعوهم كما تطاع الأرباب"[10].

***

10 فتح القدير ج: 2 ص: 353.

المطلب الثالث:

بعض أقوال العلماء

وبالإضافة لما ذكرت من أقوال العلماء التي أوردتها في شرح الآيات والسنة السابق إيرادها، أورد هنا طائفة مختصرة من أقوال العلماء الكرام في الحكم بما أنزل الله وعاقبة مخالفته:

1- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ومعلوم -بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين- أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام أو **اتباع شريعة غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر**، وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب، كما قال تعالى: (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا أولئك هم الكافرون حقًا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا)" [1].

2- قال الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- مفتي السعودية السابق عن قوانين المحاكم التجارية في رسالة وجهها إلى أمير الرياض في وقته:

"وقد انتهى إلينا نسخة عنوانها نظام المحكمة التجارية بالمملكة العربية السعودية ودرسنا قريبًا نصفها فوجدنا ما فيها نظمًا وضعية قانونية لا شرعية... واعتبار شيء من القوانين للحكم بها ولو في أقل القليل لا شك أنه عدم رضا بحكم الله ورسوله... **واعتقاد هذا كفرٌ ناقلٌ عن الملة**" [2].

3- ويقول -رحمه الله- في رسالة وجهها إلى رئيس المحكمة العليا بالرياض في شأن قانون [نظام العمل والعمال] الذي يحكّمه مكتب العمل والعمال وما يجب على المحاكم الشرعية تجاهه:

"من محمد بن إبراهيم إلى حضرة فضيلة رئيس المحكمة العليا بالرياض، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فقد اطلعنا على خطابكم حول المعاملات التي ترد من مكتب العمل والعمال. والذي يتعين اتباعه في مثل هذا أن ما أُحيل للمحكمة للبت فيه وإنهائه، فعلى المحكمة النظر فيه، لأنه من صميم عملها، أما إذا أُحيلت المعاملة لإنفاذ توجيه من مكتب العمل، ثم تُعاد إليه، لينهيها بموجب تعليمات ونظم ما أنزل الله بها من سلطان، فلا يسوغ للمحكمة الالتفات لمثل هذا التوجيه، لأن ذلك يعد من المحكمة موافقة بل مساعدة على التحاكم بغير ما أنزل الله.

رئيس القضاء 1379/10/23هـ" [3].

4- ويقول الشيخ أحمد محمد شاكر -رحمه الله- في تحكيم القوانين الوضعية:

---

1 مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 341.

2 من فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- مفتي السعودية السابق ج: 12 ص: 251.

3 من فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- مفتي السعودية السابق ج: 12 ص: 251.

"فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ورغبة عن دينه وإيثارٌ لأحكام أهل الكفر على حكم الله سبحانه، **وهذا كفرٌ لا يشك أحد من أهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل به والداعي إليه**"[4].

5- ويقول الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- في تعليقاته على كتاب التوحيد، في شأن مُحكِّم القوانين الوضعية:

"فهو بلا شك **كافرٌ مرتدٌ إذا أصر عليها** ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أي اسم تسمى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها"[5].

6- ويقول العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله:

"**تحكيم النظام المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم كفر** بخالق السماوات والأرض، وتمرد على نظام السماء، الذي وضعه من خلق الخلائق كلها، وهو أعلم بمصالحها سبحانه وتعالى أن يكون معه مشرع آخر علوًا كبيرًا (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حرامًا وحلالًا، قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون)"[6].

4 عمدة التفسير ج: 4 ص: 157.

5 فتح المجيد شرح كتاب التوحيد هامش ص: 396.

6 أضواء البيان ج: 3 ص: 260.

الباب الثاني:

الأخوة الإيمانية لا الرابطة الوطنية القومية

***

الفصل الأول: الرابطة في الدولة الإسلامية تقوم على الأخوة الإيمانية.

الفصل الثاني: الدولة القومية الوطنية

الفصل الأول:

الرابطة في الدولة الإسلامية تقوم على الأخوة الإيمانية

***

تضافرت أدلة الكتاب والسنة على اعتبار المسلمين أمة واحدة لا تفرق بينهم العصبيات القومية أو الحدود الأرضية.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾[1]، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم ويرد على أقصاهم"[4].

وأود هنا أن أشير باختصار للفروق الخطيرة بين نوعين من الدول: الدولة الإسلامية والدولة العلمانية القومية أو ما يسمونها بالدولة المدنية أو الدولة الحديثة:

الفارق الأول: أن الدولة الإسلامية دولة تتحاكم للشريعة والسيادة فيها لله سبحانه وتعالى، والحاكمية فيها للشريعة، ونظام الحكم فيها شوري ملتزم بالشريعة لا يخالفها. والسيادة كما يعرفها القانونيون هي سلطة عليا ليس فوقها سلطة.

بينما الدولة القومية العلمانية تتحاكم لغير الشريعة وغالبًا لهوى الأغلبية، أو على التحقيق لهوى أغلبية المصوتين، فالسيادة في تلك الدولة هي للشعب والحاكمية فيها لهوى الأغلبية أو من يدعي الحكم بذلك، ونظام الحكم فيها غالبًا ديمقراطي ملتزم بهوى الأغلبية لا يخالفها أو يدعي ذلك، هذا هو الفارق الخطير الأول.

والدولة القومية لا تكون إلا علمانية، لأن الدين لا يجمع بين جميع رعاياها، فلا بد من رابط آخر غير الدين.

والفارق الثاني: أن الدولة الإسلامية تسوي بين المسلمين في الحقوق والواجبات، وتميز بين المسلم وغيره فيهما، بينما الدولة القومية العلمانية تسوي بين أبناء الوطن الواحد -أو ما يسمونهم بالمواطنين- في الحقوق والواجبات، وتميز بين المواطن وغيره فيهما ولو كانوا من نفس الدين، وهذا هو الفارق الخطير الثاني.

---

1 سورة براءة، الآية: 71.

2 سورة الحجرات، الآية: 10.

3 سورة الأنفال، الآية: 62 إلى 64.

4 أخرجه ابن ماجة، وقال الألباني رحمه الله: "صحيح". [صحيح ابن ماجة ج: 2 ص: 105].

الفارق الثالث: أن الدولة الإسلامية ترى نفسها مسؤولة عن كل بلاد الإسلام أو كما يقول الفقهاء: "إن بلاد المسلمين بمنزلة البلدة الواحدة"، أما الدولة الوطنية فتحصر نفسها في حدود وطنها، وليست مسؤولة عما يقع خارجها إلا من باب التعاون أو التعاهد أو الإحسان، وحتى هذا التعاهد يمكن أن تنقضه لمصلحة أو منفعة حلالًا كانت أو حرامًا، ومن أظهر الأمثلة على ذلك:

- معاهدة الدفاع العربي المشترك التي نقضتها الحكومة المصرية لما وقعت على معاهدة السلام مع إسرائيل، التي أكدت على كونها ناسخة لأية معاهدة قبلها، ورضخت حكومة مصر لذلك.

- وكذلك حكومة باكستان التي رأى حكامها أن من مصلحتهم أن يعينوا أمريكا على غزو جارتهم المسلمة المسالمة أفغانستان.

وبناء على ذلك فإن القانون –أي قانون- في الدولة الوطنية لا يمكن أن يُعدّ قانونًا شرعيًّا -وافق الشريعة أو خالفها- إلا إذا وافق عليه الشعب أو ممثلو الشعب أو على التحقيق أغلبية المصوتين، أما في الدولة الإسلامية فإن أي قانون لا يعدّ شرعيًّا إلا إذا وافق -أو على الأقل لم يخالف- الشريعة الإسلامية، أما إذا لم يتفق مع الشريعة أو خالفها فلا يعدّ شرعيًّا ولو وافق عليه كل الشعب.

بناء على ذلك أيضًا فإن المواطن في الدولة القومية العلمانية يستوي مع غيره من المواطنين في الحقوق والواجبات سواء اتفق دينهما أم اختلف، فيحق لأي مواطن أن يتولى أي منصب في الدولة، طالما تمتع بالشروط المؤهلة لذلك المنصب أيًّا كان دين هذا المواطن، أما في الدولة الإسلامية فهناك مناصب معينة لا يمكن أن يتولاها إلا المسلمون، منها مثلًا منصب الإمامة، وكذلك منصب القضاء سواء كان هذا المسلم من أقصى الغرب أو الشرق بلا اعتبار لحدود ولا مناطق ولا أوطان، فمثلًا يحق للمسيحي واليهودي بل والملحد في مصر أن يتولى منصب رئاسة الجمهورية أو منصب القضاء، بينما لا يحق للمسلم السوداني ولا الليبي ولا الفلسطيني أن يتمتع بمجرد حق التصويت، لأنه يسكن خارج الحدود التي رسمها سايكس وبيكو واللورد كتشنر.

وبناء على ذلك أيضًا فإن الحكومة في مصر -مثلًا- ملتزمة بالدفاع عن حدود مصر، ولكنها ليست ملتزمة بالدفاع عن حدود السودان ولا فلسطين ولا ليبيا، لأن هذا شأن السودانيين أو الفلسطينيين أو الليبيين، وإذا تدخلت فمن باب المساعدة وليس من باب الدفاع عن الوطن، فإن الوطن قد رسمه سايكس وبيكو واللورد كتشنر من قبل!

أما في الدولة الإسلامية فإن الدفاع عن أراضي المسلمين من أهم فروض الأعيان. ورحم الله الشيخ المجاهد عبد الله عزام، الذي كتب كتابه المشهور بهذا العنوان.

وعند العدوان على أي قطر إسلامي توجب الشريعة على أهله أن يهبوا للدفاع عنه، فإن عجزوا عن ذلك يتسع هذا الفرض العيني حتى يعم جميع المسلمين كما أجمع على ذلك فقهاء الإسلام، وهذا الأمر ليس خيالًا بعيدًا عن الواقع ولا تاريخًا موغلًا في القدم، بل كان واقعًا حتى سقوط الدولة العثمانية، حيث كانت هناك دولة -مع كل الفساد والضعف الذي استشرى فيها- مسؤولة عن الدفاع عن أراضي المسلمين، بل ظلت تقوم بهذا الواجب لمدة خمسة قرون، ومصر كانت رسميًّا جزءًا من الدولة العثمانية حتى عام 1914م، حين سلختها إنجلترا عن الدولة العثمانية مع بداية الحرب العالمية الأولى.

وقبل أن أترك موضوع الدولة الإسلامية والدولة القومية العلمانية أود أن أذكِّر بنقطة في غاية الخطورة وهي أن **الدولة القومية العلمانية مصلحة أساسية ضرورية لأعداء الإسلام الغربيين والصهاينة**، لأنها تقسم العالم الإسلامي لأكثر من خمسين دولة، بعد أن كان يدين بالولاء لدولة واحدة هي دولة الخلافة، التي ظلت آخر حكومة فيها -وهي الدولة العثمانية- تقاوم الغزو الصليبي الصهيوني لديار الإسلام لأكثر من خمسة قرون.

جدول يبين أهم الفروق بين الدولة الوطنية والدولة الإسلامية

	الدولة القومية الوطنية	الدولة الإسلامية
أولاً	نظام لا ديني علماني	نظام رباني
ثانياً	ديمقراطي أو يزعم ذلك، أي يتحاكم لهوى الأغلبية	نظام شوري تتحاكم الأمة فيه للشريعة
ثالثاً	يعتمد على الولاء للدولة والطاعة للقانون، الذي لا يمكن أن يتحكم في باطن الإنسان	يعتمد أساسًا على تقوى الله، وخوف الحساب، ولذلك يتحكم في باطن الإنسان.
رابعاً	نظام عصبي يقوم على أساس الدولة القومية، التي تفرق بين الناس على أساس الانتماء للحدود الأرضية، التي رسمتها القوى المتحكمة في العالم.	يقوم على المساواة بين المسلمين ووحدة ديارهم تحت ظل الخلافة.
خامسًا	ليست مسؤولة إلا عن الدفاع عن أراضيها	الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان
سادسًا	وجودها مصلحة أساسية لأعداء الإسلام	تدافع عن المسلمين وحرماتهم

***

الفصل الثاني:
الدولة القومية الوطنية

***

- المطلب الأول: نشأة الدولة القومية الوطنية
- المطلب الثاني: أهم معالم الدولة القومية الوطنية

المطلب الأول:

نشأة الدولة القومية الوطنية

***

الفرع الأول: النصرانية المحرفة والفساد السياسي

الفرع الثاني: استشراء نفوذ الكنيسة: أعط ما لقيصر وما لله للبابا.

الفرع الثالث: صراع الأباطرة والكنيسة

الفرع الرابع: فساد الكنيسة

الفرع الخامس: تحرر الملوك من نفوذ الكنيسة ونشأة الدول القومية

الفرع السادس: الإصلاح الديني في الكنيسة

الفرع السابع: سقوط الملكيات وقيام الدول الديمقراطية العلمانية

الفرع الأول:

النصرانية المحرفة والفساد السياسي

***

لابد لدراسة تاريخ تطور الدولة الوطنية القومية الحديثة من دراسة تطور علاقة الكنيسة بالدولة في أوروبا، ولدراسة ذلك التطور لا بد من تتبع بذور الفساد السياسي داخل النصرانية المحرفة، ولا ينفك ذلك عن الإلمام بالتحريف في النصرانية، ولذلك أقسم الكلام في هذا المبحث إلى:

- المبحث الأول: تحريف النصرانية
- المبحث الثاني: جذور الفساد السياسي في النص المحرف

المبحث الأول:
تحريف النصرانية

***

أرى أنه لكي نتفهم نشوء وتطور الدولة الوطنية القومية االمعاصرة، فلابد من أن نتناول بشيء من الإيجاز علاقة الكنيسة بالدولة، ولكي نتفهم منشأ الفساد السياسي في الكنيسة فلا بد من دراسة بذور الفساد السياسي في الكتب المقدسة لدى النصارى، ولا بد لدراسة تلك البذور من أخذ فكرة موجزة عن التحريف الذي ألم بتلك الكتب، ولذا سأحاول أن أعرض هنا بإيجاز للتحريف والتبديل الذي ألم بالديانة النصرانية، دون النظر -إلا تكميلًا للبحث- لانحرافات النصرانية الأخرى في العقائد والشرائع. وسأحاول أن أعرض في هذا المبحث الموجز أساسًا كلام النصارى والكتاب الغربيين الدال على وقوع التحريف في كتب النصارى المقدسة، أما كلام العلماء والكتاب المسلمين فأورده تبعًا وبصورة أقل لتوضيح فكرة أو بيان حقيقة. والله الموفق لكل خير.

وأقسم الكلام في هذا المبحث إلى مقالتين:

المقالة الأولى: ملاحظات مبدئية

المقالة الثانية: في تحريف الكتاب المقدس[1] لدى النصارى

***

1 (الكتاب المقدس) ليست هي الترجمة الصحيحة لكلمة (Bible)، المشتقة عبر اللاتينية من الكلمة اليونانية (biblia)، التي تعني (كتب)، فالترجمة الصحيحة لتلك الكلمة هي (كتب). [Microsoft Encarta 2009, Bible].

المقالة الأولى:

ملاحظات مبدئية

***

***

الفقرة الأولى:
الأناجيل التي أرجع لها

***

النقطة الأولى: سرد لهذه الأناجيل

النقطة الثانية: نبذة موجزة عن الخلفية التاريخية والسياسية للنسختين: اليسوعية، والبروتستانتية التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك.

***

النقطة الأولى:

سرد لهذه الأناجيل

***

1- النسخة اليسوعية:

وهي نسخة الكتاب المقدس العربية، التي أصدرتها الرهبانية اليسوعية، عبر دار المشرق ببيروت، الطبعة الثالثة عام 1994.

وهذه النسخة كتب في صفحتها الرابعة :

"طبعة ثالثة

لا مانع من طبعه

بولس باسيم

النائب الرسولي للاّتين

بيروت في 7 تشرين الثاني 1988

جميع الحقوق محفوظة، طبعة ثالثة 1994"[1].

أي أنها تعتبر النسخة **العربية المعتمدة من الكنيسة الكاثوليكية**.

وقد جاء في مقدمة هذه الطبعة الثالثة الصادرة عام 1994:

"في السنة 1881، أنهت الرهبانية اليسوعية إصدار نص الكتاب المقدس بكامله في ترجمة عربية تولاها الأب اليسوعي اوغسطينس روده[2] ..... وشارك فيها الآباء اليسوعيون فيليب كوش[3] ..... وجوزف روز[4] ..... وجوزف ڤان هام[5] ....، وأسهم الشيخ ابراهيم اليازجي[6] في صياغة كتب العهد القديم ......

---

1 الكتاب المقدس، الطبعة اليسوعية، الصفحة الرابعة.

2 ولد في فرنسا عام 1828م، ودرس العربية في الجزائر، ثم أرسل إلى سورية السنة 1868م، فترأس مدرسة غزير قبل نقلها إلى بيروت من 1870 إلى 1875م. وبالإضافة لترجمته للكتاب المقدس لدى النصارى للعربية، فقد نشر للمدارس مجموعة (نخب الملح) في خمسة أجزاء بالاشتراك مع الراهب اليسوعي يوحنا بلو، وهو كتاب يحتوي مقتطفات من كتب الأدب والتاريخ لمدارسهم، وقد نقل فيه عن صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- مقتطفين: الأول نقلًا عن بهاء الدين الشدادي: عن مسير الإفرنج من عكا التي استولوا عليها لعسقلان، وكيف خرب صلاح الدين عسقلان، وما نزل بالمسلمين من الشدائد. [نخب الملح ج: 2 ص: 96 وما بعدها] والثاني عن استيلاء صلاح الدين على مصر، وقتاله لابن نور الدين زنكي -رحمه الله- الملك الصالح إسماعيل وبقية الأمراء في الشام من تاريخ أبي الفداء [نخب الملح ج: 2 ص: 115 وما بعدها]. ولم أره ذكر شيئًا عن فتوحات صلاح الدين -رحمه الله- كانتصاره في حطين ثم الفتح العظيم في القدس، وهذا نموذج للتاريخ الذي يدرسونه. [تاريخ الآداب العربية ج: 3 ص: 339 و340].

3 ولد في فرنسا عام 1818م، انضم للرهبانية اليسوعية عام 1843م، وتوفي في لبنان عام 1895م، له قاموس فرنسي عربي وعربي فرنسي. [تاريخ الآداب العربية ج 2 ص: 297، المستشرقون ص: 1062].

4 ولد سنة 1843م، وجاء إلى سورية قبل كهنوته فتعلم اللغة العربية حتى برع فيها، وترهبن عام 1855م، وله مكالمات عربية وفرنسية في جزءين وسبع مجلدات مواعظ ومعجم عربي فرنسي. توفي سنة 1896م. [تاريخ الآداب العربية ج 2 ص: 297، المستشرقون ص: 1062].

5 ولد سنة 1813م، له عدة مؤلفات في الآثار الفلسطينية، وكتب مقالات في الأسفار المقدسة، وتاريخ الإصلاح الموهوم، وردود مختلفة على النشرة الأسبوعية البروتستانتية ومزاعم البروتستانت، وكشف الاوهام عمن مزقته السهام، وكشف التلاعب والتحريف في مس بعض آيات الكتاب الشريف.

توفي في سنة 1889م. [تاريخ الآداب العربية ج 2 ص: 298، معجم المؤلفين ج: 10 ص: 321].

6 ستأتي ترجمته -إن شاء الله- مع ترجمة أبيه ناصيف اليازجي، عند الحديث عن الظروف التي أحاطت بالترجمة البروتستانية للكتاب المقدس لدى النصارى.

وفي السنة 1949، أخذت الرهبانية تعيد النظر في النص[7] ..... فصدرت في السنة 1969 ترجمة للعهد الجديد، قام بها الأب صبحي حموي العيسوي والأب يوسف قوشاقجي، بالتعاون مع الأستاذ بطرس البستاني[8] الذي شارك في صياغتها الأدبية. وفي السنة 1980 انتقل العمل إلى أسفار العهد القديم، وعهد به إلى الآباء اليسوعيين انطوان اودو ورنيه لاڤنان ..... وصبحي حموي .....

بيروت في 31 تموز (يوليو) 1989 الرهبانية اليسوعية"[9].

ولم ترد إشارة هل هؤلاء هم الذين علقوا على الطبعة الثالثة التي صدرت عام 1994 أم لا؟

ولذلك فإني سأشير لمن علق على طبعة 1994 اليسوعية بقولي: قال شراح النسخة اليسوعية.

2- نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث (Smith, Eli) وفان ديك (Van Dyke) عام 1865.

3- النسخة المشتركة، أصدرتها دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

العهد القديم- الإصدار الثاني 1995، الطبعة الرابعة.

العهد الجديد- الإصدار الرابع 1993، الطبعة الثلاثون.

نشر جمعية الكتاب المقدس في لبنان.

وجاء في مقدمتها: "هذه الترجمة هي أول ترجمة عربية وضعتها لجنة مؤلفة من علماء كتابيين ولا هوتيين ينتمون إلى مختلف الكنائس المسيحية من كاثوليكية وأرثوذكسية وإنجيلية.

....

كما أن هذا الفريق تجنب، عند الضرورة، الترجمة الحرفية، إن كانت هذه الترجمة عن العبرية أو اليونانية أو الآرامية، وذلك حتى يتوضح المعنى للقارئ"[10].

وهذه العبارة الأخيرة هامة جدًا، لأنها توضح نقصًا من أهم النقائص التي طرأت على الكتاب الذي يقدسه النصارى، ألا وهي تدخل المترجمون في النص بالنقص أو الزيادة أو تغيير المعنى حتى يوافق عقيدة المترجم، كما سيتضح إن شاء الله.

4- النسخة الأمريكية النموذجية (American Standard Version)، صدرت عام 2016، ونشرت أول مرة عام 1901.

5- النسخة الإنجليزية العالمية (الكتاب المقدس مع الكتب القانونية الثانية والكتب المنحولة)

(WORLD ENGLISH BIBLE: The HOLY BIBLE with Deuterocanon/ Apocrypha)

ومنها طبعة بريطانية، وكلاهما صدرتا عام 2017.

6- الكتاب المقدس لأورشليم، طبعة القراء.

The Jerusalem Bible, Reader's Edition, general editor: Alexander Jones, Doubleday & Company, Inc., Gaden City, New York, 1968.

وهو ترجمة بالإنجليزية المعاصرة لـ(الكتاب المقدس لأورشليم؛ The Jerusalem Bible) الصادر عام 1966، وهو أول نسخة انجليزية يقوم بها رومان كاثوليك بناء علي طلب البابا بايوس.

والتي كانت هي بدورها الترجمة الإنجليزية المعدلة للنسخة الفرنسية (La Bible de Jerusalem) التي أصدرها علماء (مدرسة أورشليم لدراسات الكتاب المقدس)، والتي نشرتها دار نشر (Les Editions du Cerf, Paris).

مع احتفاظ محررو النسخة الإنجليزية بتفسيرات وآراء علماء النسخة الفرنسية.

---

7 ومن هذا يتبين للقارئ أن ترجمات النصارى لكتابهم المقدس تختلف من طبعة لأخرى، بل تختلف كل ترجمة عن الترجمات الأخرى، فإذا أضفت لهذا فقدان النصوص الأصلية، وجهالة كاتبيها، واستبعاد الكنائس للكثير منها، والتلاعب الذي حدث في النسخ والترجمة، وانعدام السند فيها، بل واختلاف الكنائس في أعدادها وترتيبها، تبين مدى عدم مصداقية أسفار الكتاب المقدس لدى النصارى، وهو ما سيسعى هذا المبحث في إيضاحه -بشيء من الإيجاز- بعون الله وتوفيقه ومشيئته.

8 هذا ليس هو المعلم بطرس البستاني، المتوفي عام 1883م، والذي شارك في ترجمة النسخة البروتستانتية، التي أصدرتها الإرسالية الأمريكية، ولعله بطرس بن سليمان بن حسن أفرام البستاني، المتوفى عام 1969م. [الأعلام ج: 3 ص: 59].

9 الكتاب المقدس- النسخة اليسوعية ص: 7 و8.

10 الكتاب المقدس- النسخة المشتركة- تقديم الترجمة- الصفحة السادسة.

7- الكتاب المقدس الجديد لأورشليم، The New Jerusalem Bible NJB.

الصادر عام 1986، كنسخة مطورة من (الكتاب المقدس لأورشليم؛ The Jerusalem Bible).

وأود أن أنبه أن بين نسخة الكتاب المقدس لأورشليم، طبعة القراء وبين الكتاب المقدس الجديد لأورشليم فروق، أحيانًا تكون هامة.

ومن أمثلتها ما ترجموه عن النص في إنجيل لوقا: 3: 22.

حيث جاء في الكتاب المقدس لأورشليم، طبعة القراء:

"And a voice came from heaven, "You are my Son, the Beloved; my favor rests on you."".

وترجمته بالعربية: وأتى صوت من السماء: أنت ابني الحبيب، الذي تنزلت (أو استقرت) عليه محبتي[11].

بينما في الكتاب المقدس الجديد لأورشليم جاء النص كالتالي:

"And a voice came from heaven, 'You are my Son; today have I fathered you.'".

وترجمته بالعربية: وأتى صوت من السماء: أنت ابني، اليوم ولدتك أو تبنيتك.

وهذا النص يخالف عقيدة مجمع نيقية 325م، الذي اعتبر أن المسيح -عليه السلام- إله من إله منذ الأزل، من نفس جوهر الله ومساو له، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وهو يوافق عقيدة (البنويين)، الذين اعتقدوا أن سيدنا المسيح -عليه السلام- ليس إلا بشرًا، رفعه الله -سبحانه- لأسمى الدرجات، وتبناه.

كما سيأتي تفصيله -إن شاء الله- عند الكلام عن الاتجاهات التوحيدية في النصرانية المخالفة للكنيسة البولسية المثلثة، وعند الكلام عن التحريفات في الأناجيل، وكيف أنها استخدمت لنصرة عقائد الفرق المختلفة، أو لحرمان فرقة من دليل في الكتاب المقدس لدى النصارى.

***

11 جاءت ترجمتها في ترجمة إيلي سميث وفان ديك عام 1865: "وكان صوت من السماء قائلًا: أنت ابني الحبيب بك سررت".
بينما في النسخة اليسوعية: "وأتى صوت من السماء يقول: أنت ابني الحبيب عنك رضيت".

النقطة الثانية:

نبذة موجزة عن الخلفية التاريخية والسياسية للنسختين: اليسوعية، والبروتستانتية التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك.

نظرًا لأن هذا الكتاب يتعلق بالفساد السياسي، والسعي لاستخدام الدين للوصول لأهداف سياسية، فأرى من المفيد أن أعرف -في نبذة موجزة- بخلفية هاتين النسختين.

***

نبذة موجزة عن الخلفية التاريخية والسياسية للنسخة اليسوعية- الطبعة الثالثة عام 1994.

أود هنا -بعون الله- أن أذكر تعريفًا موجزًا عن الرهبانية اليسوعية بلبنان، والتعريف بدورها التنصيري والفكري والسياسي، لأن هذا يفيدنا في بحثنا عن الفساد السياسي، واستغلال الدين لصالحه.

وأقسم الكلام هنا إلى:

أولًا: تعريف موجز باليسوعيين

ثانيًا: تعريف موجز بالرهبانية اليسوعية في الشام

***

أولًا: تعريف موجز باليسوعيين.

وأقسم البحث فيه إلى:

1- نشأة اليسوعيين وتاريخهم

2- مواقف الدول منهم

***

1- نشأة اليسوعيين وتاريخهم

اكتسب اليسوعيون اسمهم من اسم الجمعية التي أسست باسمهم، وهي (جمعية اليسوعيين) في باريس سنة 1534م على يد اغناطيوس لويولا وفرانسيس زافيير وغيرهما[1].

ولو نظرنا إلى كلمة (اليسوعية) (جزويت، Jesuit) في الإنجليزية لوجدنا أنها تعني شخصًا ماكرًا أو مدبرًا للمكائد[2].

ويبدو أن هذا الوصف لم يطلق على اليسوعيين إلا بسبب ضلوعهم في الكثير من المؤامرات، ومنها محاولة قتل الملكة إليزابيث، والعديد من ملوك أوروبا، كما سيأتي إن شاء الله.

وقد نشأت هذه الجمعية نتيجة لنشاط أغناطيوس لويولا، وكان جنديًا أسبانيًا، مر بمرحلة تحول ديني بعد نقاهة من جرح أصيب به في معركة، وبعد مرحلة من الصلوات المتواصلة، صنف كتاب (الرياضات الروحية)، وهو دليل -كما يزعم- لجعل القلب والعقل أقرب لمتابعة يسوع المسيح، وقد تعاهد معه في باريس في 15 أغسطس 1534م ستة من رفقائه -الذين كان قد التقى بهم في جامعة باريس، وتابوا بعد اتباعهم لكتابه، وتعاهدوا على الزهد والعفة والحج لبيت المقدس. وإذا لم يتمكنوا من الحج -وهو ما حدث- فإنهم سيتقبلون أية مهمة دعوية تنصيرية يكلفهم بها البابا، وفي عام 1539 كتب أغناطيوس الخطوط العامة لنظام جماعته، وقد أقره البابا بولس الثالث في 27 سبتمبر 1540، وقد تم التركيز في نظام الجماعة على قيمة الطاعة وخاصة للبابا[3].

ويبرز هذا مما سطره لويولا في كتابه، وأنقل هنا بإيجاز بعض القوانين التي تجب على الأتباع:

"الأول: لابد أن تكون عقولنا متأهبة وسريعة في الطاعة المطلقة لزوجة المسيح ربنا الحقة؛ أمنا المقدسة الكنيسة الكهنوتية.

الثاني: تمجيد الاعتراف أمام قسيس.

الثالث: تمجيد سماع القداس.

الرابع: تمجيد (التنظيمات الدينية).

الخامس: تمجيد نذور الدين والطاعة.

السادس: تمجيد آثار القديسين.

التاسع: تمجيد كل أوامر الكنيسة، وإبقاء العقل متأهبًا للدفاع عنهم، وعدم معارضتها.

العاشر: طاعة (السادة) وعدم انتقادهم أمام العامة.

الثالث عشر: لتحري الصواب في كل شيء، علينا دائمًا أن نعتقد أن ما نراه أبيضًا هو أسود، إن قررت الكنيسة الكهنوتية ذلك"[4].

وقد نمت الجمعية بسرعة، ونشطت في مجالات التنصير والتعليم والأعمال الخيرية، وصار لها دور بارز في حركة (مقاومة الإصلاح) المقاومة للإصلاح البروتستانتي، تعليميًا وقتاليًا، وكذلك كان لها دور بارز في تحديث الكنيسة[5].

وكان البدء الفعلي لحملة (مقاومة الإصلاح) في مجمع ترنت (1545- 63م)، الذي كان من أهم المشاركين فيه دييجو لاينيز، القائد الثاني لجمعية اليسوعيين بعد لويولا، الذي أرسله البابا بولس الرابع المتعصب الجبار -الذي وصفه ول ديورانت

---

1 التبشير في بلاد الشام ص: 20.

2 Microsoft Encarta 2009, Encarta Dictionaries, Jesuit.

3 Encyclopædia Britannica, 2015, Jesuit.

4 اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 92 و93- نقلها عن:

The Spiritual Exercises of St. Ignatius of Loyola (New York: Cosimo Classics. 2007), pp. 189- 192.

5 Microsoft Encarta 2009, Counter Reformation.

Encyclopædia Britannica, 2015:

- Counter-Reformation,
- Czechoslovak history.
- Poland.

بالحبر المجنون- في مايو 1546 مع سالميرون اليسوعي ليساعدا مندوبيه في الشئون اللاهوتية وفي الدفاع عن البابا، فأدت جهودهما إلى إعلان الحرب على أفكار الإصلاح البروتستنتي بدلاً من التماس التوفيق أو الوحدة[6].

وكان من أهم قرارات هذا المجمع: التأكيد على قانونية العهدين القديم والجديد، وأن (التقليد) مصدر للإيمان، أي أن النصوص المقدسة لديهم لا تفهم إلا من خلال (تقليد الكنيسة) أي تفسيراتها، وهو رفض لمبدأ البروتستانت (النص وحده)، وأن ترجمة (الفولجاتا) اللاتينية كافية للأدلة العقدية، وبهذا تم التأكيد على أن الكتاب المقدس لدى النصارى هو كلمة الله[7].

وسيرى القارئ -إن شاء الله- أن هذا التزمت الكنسي -بالإصرار على أن الكتاب المقدس هو كلمة الله- سيتراجع كثيرًا في القرون الأخيرة، تحت ضغط النقد المتزايد والأدلة العلمية المتكاثرة، وسيتراجع آباء الكنيسة عن هذا التشدد والتأكيد، مع استمرارهم في -تناقض ملفت- بالقول بأن الكتاب المقدس ما زال هو كلمة الله، وهو ما سأشير له لاحقًا إن شاء الله.

وركزت الجمعية جهودها في مجال التعليم والدراسات، بالإضافة لنشاطاتهم المتعددة في الوعظ والتنصير، كذلك كان أعضاؤها يقومون بدور مثير للجدل، ألا وهو تلقي الاعترافات لأفراد عدد من الأسر المالكة في أوروبا.

وكذلك اهتمت الجمعية منذ أوائل نشأتها بالإرساليات الخارجية. ونتيجة لنشاط الجمعية البارز، وتأييدها المتحمس للبابا، اكتسبت عداوات عديدة[8].

فطردتهم البرتغال في 1759م، ونزعت عنهم فرنسا القانونية في 1764م، واتخذت أسبانية وصقلية إجراءات قمعية أخرى ضدهم في 1767م.

مما تسبب في إصدار البابا كلمنت الرابع عشر قرارًا في عام 1773م بإلغاء الجمعية تحت ضغط حكومات فرنسا وأسبانيا والبرتغال.

ولكن فردريك الثاني ملك بروسيا البروتستانتي وكاترينا الثانية إمبراطورة روسيا الأرثوذكسية الشرقية كانا الوحيدين اللذين رفضا تنفيذ هذا القرار.

ولحاجة الكنيسة لأنشطة الجمعية صدر قرار من البابا بيوس السابع -عقب تحرره من سجن نابليون- بإعادتها في عام 1814م[9].

وبعد القرار بإعادة نشاط الجمعية توسع نشاطها أساسًا في التعليم والتنصير الخارجي، بالإضافة لمشاركتهم في العديد من الأنشطة، مثل العمل في حقل الاتصالات، والرعاية الاجتماعية، وتوحيد الكنائس، بل وحتى السياسة.

وفي عام 2013م كان فرانسيس الأول هو أول يسوعي يصل لمنصب البابا[10].

وهو أرجنيني المولد، وقد أدى أيمان الولاء النهائية للعيسويين في عام 1973م، وصار زعيم العيسويين في الأرجنتين من عام 1973 إلى عام 1979م، وقد تزامنت هذه الزعامة مع مرحلة (الحرب القذرة) من 1976 إلى 1983م في الأرجنتين، إبان حكم الجنرال فيديلا، والتي اختفى فيها قرابة 10000 إلى 30000 معارض للجنرال فيديلا، وقد ادعى فرانسيس أنه قد أخفى العديدين من السلطات.

---

6 اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 124، قصة الحضارة- معارضة الإصلاح البروتستانتي- البابوات والمجمع- مجمع ترنت ج: 27 ص: 242 و246.
Microsoft Encarta 2009, Council of Trent, IV. THIRD PERIOD.

7 قصة الحضارة- - معارضة الإصلاح البروتستانتي- البابوات والمجمع- مجمع ترنت ج: 27 ص: 246 و247.

Encyclopædia Britannica, 2015, Trent, Council of.

Microsoft Encarta 2009, Council of Trent.

8 Encyclopædia Britannica, 2015, Jesuit.

9 Encyclopædia Britannica, 2015:

- Roman Catholicism, Suppression of the Jesuits.

- Jesuit.

- Pius VII.

10 Encyclopædia Britannica, 2015, Jesuit.

ولكن في عام 1976م اختفى راهبان، كانا يعملان في منطقة فقيرة، ثم عثر عليهما بعد خمسة أشهر مخدرين في أحد الحقول، وبعد سنوات من الحرب القذرة أثار دور فرانسيس -في خطف الراهبين ثم إطلاق سراحهما- لغطًا، وانتقده البعض لأنه عجز عن حماية الراهبين، بل حتى اتهموه بأنه سلم الراهبين للنظام، بينما قبل آخرون اعتذاره؛ بأنه قد تفاوض سرًا مع النظام على إطلاق سراح الراهبين، وقد رفعت ضده دعوى جنائية، تتهمه بالتواطؤ في اختفاء الراهبين، ولكنها رفضت في النهاية.

وقد اتهمته رئيسة الأرجنتين فرنانديز بأنه كان داعمًا لاستبداد فيديلا[11].

***

11 Encyclopædia Britannica, 2015, Francis I.

2- مواقف الدول منهم

ذكرت آنفًا أن عددًا من الدول الأوروبية طردت اليسوعيين، وضغطت على البابا كلمنت الثامن عشر لإيقاف نشاطهم، وهذا الموقف استمر من دول عديدة ضدهم، قبيل وبعد قرار إعادتهم بقرار البابا بيوس السابع في عام 1814.

فمثلًا في فرنسا كانت قد بقيت بقية من اليسوعيين باسم رهبان القلب الأقدس، فأخرجهم نابليون في عام 1804، ثم عادت فرنسا فطردتهم عام 1880 وعام 1901، وكذلك عادت أسبانيا فطردتهم عام 1820، ثم أخرجتهم نهائيًا عام 1835، وكذلك البرتغال أعادت طردهم عام 1834، أما روسيا فقد احتاجت لسبع سنوات لإخراجهم من عام 1813 إلى عام 1820، وكذلك فعلت هولندا عام 1816، وسويسرا عام 1848، وألمانيا عام 1872[1].

وقد اتهمت جمعية اليسوعيين بالضلوع في عدة مؤامرات في أوروبا منها:

- مذبحة يوم القديس بارثلميو في 18 أغسطس 1572، التي قتل فيها في فرنسا ما يتراوح ما بين 2000 إلى 100000 بروتستانتي حسب التقديرات المختلفة[2].

- قتل الملك الفرنسي هنري الثالث في 1 أغسطس 1589 على يد الراهب الدومينيكي جال كلمينت، الذي كان شريك اليسوعيين في (الرابطة المقدسة)، وكان ممن مجد هذا العمل اليسوعي ف. جينارد، الذي أعدم شنقًا[3].

- قتل الملك الفرنسي هنري الرابع في 14 مايو 1610، بيد اليسوعي فرانسوا رافياك[4].

- قتل الأمير ويليام الأول قائد الهولنديين على يد اليسوعي بلثازار جيرارد عام 1584[5].

- سعي اليسوعيين لغزو انجلترا.

سعى اليسوعيين للقضاء على الحركة البروتستانتية في إنجلتر إبان حكم إليزابيث الأولى، التي كانوا يدعونها: ابنة الزنا، وكانوا في هذه الأثناء مسيطرين على أسبانيا عن طريق الملك الكاثوليكي فيليب الثاني، الذي كان قد أشرف على إبادة البروتستانت في هولندا[6].

حيث أرسل قائده دوق ألبا، الذي شكل في هولندا محكمة باسم (مجلس الدم)، أدانت وأعدمت وصادرت ممتلكات قرابة 18000 هولندي[7]، فتآمر اليسوعيون مع الملك الأسباني لاجتثاث البروتستانت من إنجلترا مع مِلكتهم، التي لم ترضخ لنفوذ البابا، فأصدر البابا بيوس الخامس عام 1570منشوره (Regnas in Excelsis) (حكمٌ من العَليّ) الذي قضى بأن: "إليزابيث ملكة إنجلترا الدعِيَّة وخادمة الجريمة". مهرطقة، وأن لرعيتها الحق في نزع يد الطاعة، كما قضى المنشور بالحرمان الكنسي لكل من أطاع أوامرها.

وكان هدف الكنيسة أن تستبدل بالملكة البروتستانتية (إليزابيث) الكاثوليكيةَ (ميري ملكة اسكتلندا). وكان مما زاد حنقَ اليسوعيين إجلاؤهم بأمر إليزابيث، التي كانت تخشى مؤامرة كاثوليكية للقضاء عليها وعلى رعاياها البروتستانت، بعد أن حاول اليسوعيون اغتيالها عام 1571، فيما عرف بمؤامرة ريدولفي، التي كانت تهدف لاغتيال إليزابيث وتولية ماري وغزو أسبانيا لانجلترا.

---

1 التبشير والاستعمار ص: 166 و167.

2 اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 124 و125.

Encyclopædia Britannica, 2015, Saint Bartholomew's Day, Massacre of.

Microsoft Encarta 2009, Massacre of Saint Bartholomew’s Day.

3 Encyclopædia Britannica, 2015, Henry III.

Microsoft Encarta 2009, Henry III (of France).

اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 126.

4 اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 126 و127.

Encyclopædia Britannica, 2015, Henry IV.

Microsoft Encarta 2009, Henry IV (of France).

5 اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 128 و129.

6 اليسوعية واالفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 130.

7 Microsoft Encarta 2009, Fernando Álvarez de Toledo, Duke of Alba.

وزادت الأنشطة التآمرية لليسوعيين الإنجليز، الذين كانوا يدربون في أوروبا، ثم يهربون لداخل إنجلترا.

فتكررت محاولات اغتيال إليزابيث عام 1583 ثم عام 1586 في المؤامرة التي قادها أنتوني بابينجتون، الذي كان عضوًا في جمعية يسوعية سرية، ولكن المحاولتين باءتا بالفشل. وحوكمت ميري ملكة اسكتلندا على تآمرها مع اليسوعيين، وضُربت عنقها عام 1587.

فجهز فيليب الثاني أسطول (أرمادا) الشهير الذي مولته الكنيسة في عام 1588، لكن ريحًا عاتية عصفت بهم فأهلكت منهم عشرين ألفًا، وأغرقت السفن[8].

- مكيدة البارود.

استمر ملك إنجلترا جيمس الأول في سياسة سالفته إليزابيث في معاداة اليسوعيين، فطردهم، وأمر جلاده أن يحرق عقائد اليسوعي فرانسيسكو سواريز حول (الدفاع عن الإيمان الكاثوليكي)، فدبر اليسوعيون ما عرف بـ(مكيدة البارود) لقتل الملك وعائلته وكل زعماء البروتستانتية في إنجلترا، بتفجير البرلمان أثناء انعقاده بستة وثلاثين برميلًا من البارود وضعوها في قبو تحته، ولكن المؤامرة كشفت عشية انعقاد البرلمان في الخامس من نوفمبر لعام 1605[9].

- حرب الثلاثين عامًا الأولى.

كان سبب قيام هذه الحرب عام 1618 هو انتشار الحركة البروتستانتية في أوروبا، وخصوصًا في ألمانيا، ومما زادهم غيظًا أن طردتهم مملكة بوهيميا.

فرتب اليسوعيون تحالفًا بين بافاريا والنمسا لمذبحة جديدة تجتث الدين البروتستانتي. وكان اليسوعيون قد صاروا سادة ألمانيا عن طريق سيطرتهم على الإمبراطور فرديناند الثاني، الذي كان قسيس اعترافه هو اليسوعي مارتن بيكان ثم اليسوعي ويليام لا مورمايني، وكان يصدر عن رأيهما.

وكان حصاد هذه الحرب ومحاكم التفتيش عشرة ملايين من البروتستانت، ولكن الحرب انتهت بصلح وستفاليا، الذي خيب آمال اليسوعيين بضمانه للحرية الدينية، التي وسعت من حركة الإصلاح البروتستانتي، وكذلك تحررت هولندا من سيادة أسبانيا الكاثوليكية[10].

- اليسوعيون في اليابان.

بدأ اليسوعيون بالتسلل لليابان عام 1549 على يد فرانسيس خافير أحد مؤسسي الجمعية.، ونشروا الكاثوليكية بين الكثير من الأمراء اليابانيين، وحرضوهم على تدمير آلاف المعابد البوذية واضطهاد البوذيين، وقد كان مخطط اليسوعيين أن يستولوا على أحد الموانئ، ثم بعده يطلبون المساعدة من جيش أجنبي، ثم يغيرون الحكومة، ويفرضون الكاثوليكية دينًا لليابان.

فبدأت حكومة اليابان في طردهم في عام 1587، ثم قرر القائد العسكري لليابان إيياسو الوقوف في وجه أطماع البابا التوسعية، فأصدر مرسومًا بطردهم في عام 1614، انتهى بإبعاد اليسوعيين وتحريم النصرانية بأشكالها.

ولكن اليسوعيين كونوا عام 1637 جيشًا قوامه ثلاثون ألف كاثوليكي ياباني، وأعلنوا الخروج على الإمبراطور، وانتظروا الأسطول الأسباني، ولكن اليابانيين هزموهم بمساعدة أسطول هولندي بروتستاني. وعقب هزيمتهم أصدر القائد العسكري لليابان إيميتسو مرسومًا عام 1639 بطرد كل الروم الكاثوليك وسائر الأجانب من اليابان[11].

---

8 اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 130 و131

Encyclopædia Britannica, 2015:

- Elizabeth I, Religious questions and the fate of Mary, Queen of Scots.

- Babington, Anthony.

9 اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 132.

Encyclopædia Britannica, 2015, Gunpowder Plot.

10 اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 133 إلى 135، لمزيد من التفصيل حول حرب الثلاثين عامًا ودور اليسوعيين فيها بالإضافة لاضطهاد البروتستانت والعوامل السياسية الأخرى راجع: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى ص: 141 إلى 159.

11 اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 135 إلى 138.

- مذبحة إيرلندا.

التي رتبها اليسوعيون ضد البروتستانت في عيد القديس لويولا في 23 أكتوبر 1641، واستمرت ثمانية أعوام، وقتل فيها قرابة 15000 بروتستانتي[12].

- تحريض اليسوعيين لتشارلز الأول ضد البروتستانت.

مات الملك جيمس الأول عام 1625، وخلفه ابنه تشارلز الأول، الذي كان أداة بيد اليسوعيين.

ونظرًا لميول تشارلز الأول الكاثوليكية فقد أعار أسطوله لملك فرنسا لويس الثالث عشر، الذي كان يضطهد البروتستانت الفرنسيين، فأغرق به أسطول الفرنسيين البروتستانت، مما أثار حفيظة البرلمان الإنجليزي، فثار البرلمان الإنجليزي على الملك تشارلز الأول، فيما يعرف بالثورة البيوريتانية بقيادة أوليفر كرومويل.

وأدت هذه الثورة لهزيمة اليسوعيين في إنجلترا، كما هاجمهم كرومويل في إيرلندا وهزمهم، وأعدم تشارلز الأول، وأجبر فرنسا على إصدار عفو عام يقضي بضمان حقوق الهيجونوت (البروتستانت الفرنسيين)، وهكذا أدت محاولة اليسوعيين من جعل تشارلز الأول حاكمًا مستبدًا إلى نتائج عكسية لما كانوا يتمنونه[13].

- نقض مرسوم نانت ومذبحة الهيجونوت الفرنسيين.

كان الملك الفرنسي هنري الرابع قد أصدر عام 1598 مرسوم نانت، الذي حفظ حقوق البروتستانت في فرنسا، وهو ما عارض قرارات مجمع ترنت، الذي أشرف عليه اليسوعيون، فكان ذلك سببًا في اغتيال الملك هنري الرابع على يد فرانسوا رافياك، وظل اليسوعيون حريصين على نقض ذلك المرسوم، حتى سنحت الفرصة في عهد الملك لويس الرابع عشر, الذي كان كاثوليكيًا متعصبًا، ولا يعلم شيئًا عن الإصلاح الديني، ويعتبر بروتستانت فرنسا متمردين، وسعى في تحويلهم عن عقيدتهم بالقوة وهدم كنائسهم، فأصدر نقضًا لمرسوم نانت عام 1685، وهو ما أدى لهروب 200000 بروتستانتي من فرنسا، وتشتتهم في أوروبا وأمريكا الشمالية، وكان فيهم الكثيرون من أصحاب الحرف والمهارات، مما أدى لتدهور الاقتصاد الفرنسي.

وقد شرح بير لاشيز اليسوعي -الذي كان كاهن اعتراف الملك الفرنسي لويس الرابع عشر- في رسالته إلى بيترز -كاهن اعتراف الملك الإنجليزي جيمس الثاني- كيف انتزع قرار نقض مرسوم نانت من لويس الرابع عشر؛ بأنه استغل وقوعه في إحدى الفواحش، ورفض أن يمنحه الغفران حتى وقع له إقرارًا لذبح كل الهراطقة (البروتستانت) في يوم واحد[14].

والعجيب أن دولة مثل فرنسا، التي طردت اليسوعيين أكثر من مرة من أراضيها تحرص على إرسالهم لبلادنا، وعن هذا يقول الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- وهو يتحدث عن فرنسا وبريطانيا:

"والدولتان ماديتان ماليتان، والدين عندهما من بضائع التجارة المعنوية، ومنها ما لا ربح له إلا في المستعمرات، فلذلك تساعد فرنسة الجزويت في مستعمراتها (وهي ترى أن سورية و لبنان منها) ولكنها لا تسمح لهم بالمقام في بلاد فرنسة نفسها"[15].

فمن العرض الموجز السابق يتبين أن اليسوعيين (الجزويت) كانوا أداة البابا ويده اليمني في تحطيم أعدائه، وأنهم متعصبون يقسمون يمين الولاء والطاعة المطلقة للبابا، ولذا استعملهم البابوات في مقاومة الإصلاح.

يقول ول ديورانت:

ENCYCLOPEDIA OF WORLD HISTORY, Jesuits in Asia, vol: III p: 192.

12 اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 138 و139.

13 اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 139 إلى 141.

Encyclopædia Britannica, 2015, Ireland, Charles I (1625–49) and the Commonwealth (1649–60).

14 اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 141و142.

Encyclopædia Britannica, 2015, Louis XIV, Revocation of the Edict of Nantes.

Microsoft Encarta 2009, Louis XIV, VII. THE BEGINNING OF DECLINE.

15 مجلة المنار ج: 32 ص: 593.

"ويوم اجترأت الكنيسة في نهاية المطاف على دعوة ذلك المجمع العام[16] الذي طال ارتقاب أوربا له ليهدئ صراعها اللاهوتي ويبرئ جراحها الدينية، كانت حفنة من الجزويت- بثقافتهم، وولائهم، وحصافتهم، وسعة حيلتهم، وبلاغتهم- هي التي ناط بها البابوات مهمة الدفاع عن سلطتهم المتحداة، والمحافظة على الإيمان القديم كاملاً غير منقوص"[17].

وبتولي فرانسيس الأول اليسوعي كرسي البابوية، فقد اتحدت زعامة اليسوعيين مع زعامة الفاتيكان، ومن الجدير بالذكر أن هذا البابا قد اختار لنفسه لقب فرانسيس تخليدًا لذكرى فرانسيس خافير، أحد مؤسسي اليسوعيين مع لويولا.

ويقول عنه مات ستفون: "أنه تولى زعامة الكنيسة في مستهل القرن الحادي والعشرين والروم الكاثوليك يشكلون أكثر من سدس تعداد العالم، وكثير منهم في أمريكا اللاتينية وأفريقيا، ولكن سمعة الكنيسة قد أوهنتها فضائح التحرش الجنسي التي ظهرت أولًا في الثمانينيات ثم التسعينيات، وخاصة في الولايات المتحدة وأمريكا"[18].

وإذا كان اليسوعيون قد استخدموا التعليم والتنصير مع القتال والقتل ومحاكم التفتيش والمجازر لنشر المسيحية، ولفرض سيطرة البابا، فإنه من الجدير بالذكر بأن نشاطهم العلمي الواسع قد شابه اتهامات بعدم الأمانة العلمية كما سأبين إن شاء الله.

كما أنهم كانوا يعانون من نظرة عنصرية تنبني على تفوق الأوروبيين على غيرهم من الشعوب، ففرانسيس خافير، الذي أرسله لويولا لآسيا، ومات فيها، يقول عنه ول ديورانت؛ أنه أوصى: "بألا يرسم للقسوسية أي هندوسي، ما لم ينحدر من أجيال عدة من الأسلاف المسيحيين، ولم يكن يطيق فكرة اعتراف برتغالي لقسيس وطني"[19].

ويؤيد هذا ما نقله الأستاذ أحمد عبد الوهاب عن ستيفن نيل في كتابه

(A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS) بخصوص قصة الكاهن متى دي كاسترو الهندي الذي كان هندوسيًا في ولاية جوا، التي كانت مستعمرة برتغالية، ثم تنصر، لكن أسقف جوا البرتغالي الكاثوليكي رفض رسامته كاهنًا، فما لبث أن نجح في شق طريقه إلى روما، وبعد سنوات من الدراسة تمت رسامته كاهنًا عام 1630، وأعيد للهند ليعمل في التنصير بين شعبه، ولكن أعداءه ضيقوا عليه، حتى اضطر لأن يسافر برًا مرة أخرى إلى روما.

وهناك تمت رسامته مطرانًا، وأعيد ثانية إلى الهند، إلا أن مصاعبه تضاعفت من لحظة وصوله، فقد رفض أسقف جوا الاعتراف به مطرانًا.

وأخيرًا لم يجد متى مفرًا من العودة لروما للمرة الثالثة، ليعرض قضيته بنفسه، وبعد مجهود عقيم في إقناعه بالذهاب للحبشة، فقد عاد للهند مرة ثالثة في عام 1651، وهو لا يكتم غضبه وتهديدة للبرتغاليين وجميع اليسوعيين، ولما واصل إرسال الشكاوى لروما عن أحوال الكنيسة في جوا، تبين أن جزءًا منها صحيح، ولكن رؤي التخلص من مصدر هذه الشكاوى، وهو متى، فجرد من لقبه عام 1658، وأعفي من وظيفته إلى أن مات عام 1677.

ولم يتم رسم الكاهن الهندي الكاثوليكي التالي إلا عام 1923، أي بعد حوالي 300 عام من طرد متى من وظيفته[20].

وقد قال عنهم الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: "فإن الجزويت أشد إسرافًا وغلوًّا في عبادة المال من اليهود وغيرهم من الرأسماليين، وعندي قانونهم السرى في ذلك، فهو مما يخالفون فيه وصايا الإنجيل بقاعدتهم (الغاية تبرر الواسطة)"[21].

***

16 أحسبه يقصد مجمع ترنت (1545- 63م).

17 قصة الحضارة- معارضة الإصلاح البروتستانتي- الكنيسة والإصلاح- اليسوعيون ج: 27 ص: 226.

18 Encyclopædia Britannica, 2015, Francis I.

19 قصة الحضارة- معارضة الإصلاح البروتستانتي- الكنيسة والإصلاح- اليسوعيون ج: 27 ص: 224.

20 حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص: 137 و138، معركة التبشير والإسلام ص: 43.

21 مجلة المنار- عدد: صفر- 1353هـ- يونيه- 1934م ج: 34 ص: 147.

ثانيًا: تعريف موجز بالرهبانية اليسوعية في الشام

وأقسم الكلام فيه للآتي:

1- الصليبيون والموارنة

2- رعاية فرنسا لكاثوليك الشام

3- تاريخ الرهبانية اليسوعية في الشام

4- أهم أنشطتها

5- أمثلة لأهم شخصياتها

***

1- الصليبيون والموارنة

يعد الموارنة أهم طوائف جبل لبنان النصارى، وهم ينتسبون للقديس مارون الناسك السوري، الذي عاش في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلاديين، وكذلك ليوحنا مارون (685- 707م) بطريك أنطاكية وأول بطاركة المارون، الذي صد جيش الإمبراطور البيزنطي جوستنيان الثاني، وجعل من المارون شعبًا مستقلًا.

ومنذ القرن السابع الميلادي وهم يعتنقون مذهب وحدة مشيئة المسيح، تبعًا لسرجيوس بطريرك القسطنطينية (المتوفى 638م)، والذي عدته كنيسة روما مهرطقًا، مخالفين بذلك مذهب كنيسة روما القائل بوجود الطبيعتين والمشيئتين اللاهوتية والإنسانية في المسيح.

واستغل يوحنا مارون خلافًا وقع بين الإمبراطور جوستنيان الثاني وسرجيوس الأول بابا روما (المتوفى 701م)، ليعلن تأييده للبابا، وبالتالي أقره البابا بطريركًا لأنطاكية.

وفي عام 1182 سعى بطريرك المارون للوحدة مع بطريرك أنطاكية اللاتيني، ولكن الوحدة لم تكتمل إلا في القرن السادس عشر، وخاصة نتيجة لسعي اليسوعي جون إليانو، وبهذه الوجدة صارت الكنيسة المارونية تابعة لبابا روما.

وفي عام 1584 أنشأ البابا جريجوري الثالث عشر الكلية المارونية في روما، والتي استمرت تحت إدارة اليسوعيين حتى القرن العشرين، وكانت مركزًا للتدريب والتعليم اللاهوتي[1].

ولما بدأت الحملات الصليبية على الشام، تعاون معها المارون تعاونًا كبيرًا، ورغم الخلافات التي حدثت بينهم أحيانًا، إلا أن خطهم العام كان التعاون مع الصليبيين ضد المسلمين[2].

وهم يعترفون في كتبهم: "أنهم أخلصوا لهم كل الإخلاص، وزحف معهم على أورشليم قسم لا يستهان به منهم، وقد أفادوهم كثيرًا جدًا في كل أمر، حتى تم لهم جميعًا فتح المدينة المقدسة، ونالوا قسمًا من الغنيمة"، وكافأهم الصليبيون بأن سمحوا لهم بالحقوق والامتيازات، التي كانت تتمتع بها البرجوازية اللاتينية، بما في ذلك ملكية الأرض في مملكة بيت المقدس، ولكن بعد انتهاء الحروب الصليبية انتقم منهم المماليك شر انتقام[3].

وبعد فشل الحركة الصليبية على مصر والشام والمشرق، بدأت الكنيسة الغربية تؤمن منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادين بعدم جدوى الحملات المسلحة لفرض المسيحية بالقوة، فاتجهت نحو البعثات التنصيرية لنشر مبادئ المسيحية[4].

***

1 أصول المارونية السياسية ص: 27 إلى 30، تاريخ المسيحية الشرقية ص: 489 إلى 491، الطائفة الكاثوليكية ص: 193 إلى 203.

Microsoft Encarta 2009, Maronites.

Encyclopædia Britannica, 2015, Maronite church.

2 راجع للتفصيل: أصول المارونية السياسية- الفصل الرابع: الموارنة والحملات الصليبية ص: 61 وما بعدها، تاريخ الكنيسة الشرقية ص: 492 و493.

3 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 48، وراجع أيضًا لتفاصيل حملات المماليك على الموارنة: أصول المارونية السياسية- الفصل الخامس: حروب كسروان ص: 75 وما بعدها.

4 الحركة الصليبية ج: 2 ص: 464 و465.

2- رعاية فرنسا لكاثوليك الشام

تعتبر طائفة الكاثوليك أكبر الطوائف المسيحية -في بلاد الشام- عددًا، فهي تضم العديد من الأعراق والطوائف المختلفة مثل الموارنة والأروام واللاتين والسريان.

وكانت هذه الطائفة مرتبطة أساسًا بروما، وعملت الإرساليات اليسوعية واللاتينية على تقديم كافة الخدمات إليهم، وخصوصًا التعليم والحماية السياسية.

واتخذت الدول الأوروبية من الطوائف المسيحية في الشام مبررًا لتدخلها في شؤونه، فقد ادعت فرنسا حماية الكاثوليك، وادعت روسيا حماية الأرثوذكس، وفيما بعد تدخلت بريطانيا لدى السلطان للاعتراف بالبروتستانت وحمايتهم[1].

وقد أدت هذه السياسة لصراعات الدول الحامية لتلك الطوائف، ولتدخلهم في شؤون الدولة العثمانية.

وإذا كانت فرنسا قد منحت الكاثوليك في الشام حمايتها، فقد كان لها علاقة متميزة مع الموارنة خاصة، وهم يفخرون بهذه العلاقة، ويعتبرون أنفسهم -ويعتبرهم الفرنسيون- (فرنسيي الشرق)[2].

ويعد الملك الفرنسي لويس التاسع أول صديق فرنسي لهم، إذ تقدم إليه عندما نزل إلى البر في عكا وفدٌ مكون من خمسة عشر ألف فارس ماروني، ومعهم المؤن والهدايا، وقد سلمهم بهذه المناسبة رسالة مؤرخة في 21/ 5/ 1250م تعهد فيها بحمايتهم، إذ قد جاء فيها: "ونحن مقتنعون بأن هذه الأمة، التي تعرف باسم القديس مارون هي جزء من الأمة الفرنسية"[3].

وأعلن ملك فرنسا لويس الرابع عشر في عام 1649 حمايته للأمة المارونية، التي اعتبرها جزءًا لا يتجزأ من الأمة الفرنسية، وطلب من قناصل فرنسا في الشام أن يمدوهم كافة ما يحتاجونه، ويوفروا لهم الحماية والرعاية، حتى لدى موظفي الدولة العثمانية.

كما كرر التأكيد على هذه الحماية الملك لويس الخامس عشر في سنة 1737 مصرحًا بقوله: "فنحن قد قبلناهم تحت حمايتنا ووصايتنا، لكي يحظوا بالإفادة في ساير الأوقات". وطلب من قناصل فرنسا في الشام أن: "يسعفوا باجتهادهم ووظائفهم وحمايتهم حضرة قدس البطريرك الأنطاكي وكامل المسيحيين الموارنة في كل مكان"[4].

واستمر هذا التأييد متواصلًا، حتى أن نابليون الثالث أرسل فرقة فرنسية في عام 1860م عقب الاضطرابات التي حدثت بين الدروز والموارنة[5]، وقد أشار لهذا الدعم الشاعر الماروني الكاهن حنا رعد في قصيدته التي كتبها عام 1860، وجاء فيها على لسان الرب في زعمه، تعالى الله عن ذلك:

حتّام تفترسُ الذئاب رعيَّتي   فقطيعيَ المختار كاد يُقطَّعُ
ولقد أقمْتُ لنصر شعبي ظافراً   بطلاً تخرُّ لهُ الجهات الأربعُ
صحنا وكان إلى فرنس الصوت: يا   نابوليون. أجابنا: لا تجزعوا
إني لمنجدكم وكاشفُ كَربكم   برضى الإلهِ سواهُ فخراً يُمنعُ

ومنها في مدح الحملة الفرنسية:

لله درك يا فرنسا مركزاً   للدين والدنيا إليكِ المرجعُ
لولاكِ لم يشرق نهارُ سلامة   فينا ولا زال الشقا المستفظعُ

ولم يتمالك لويس شيخو اليسوعي كتمان حبه لفرنسا، فقال عنها: "وهي طويلة أبياتها من غرر الأقوال تتدفق جوداً ورقّةً"[6].

---

1 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 44 و45.

2 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 49.

3 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج: 2 ص: 627 و628.

4 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 49.

5 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج: 2 ص: 627 و628.

6 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 245 و246.

وكذلك برز هذا الدعم بعد الحرب العالمية الأولى حينما صار لبنان تحت الانتداب الفرنسي[7].

وكانت الطوائف المسيحية هي المقصد الأول للبعثات التنصيرية وخاصة البروتستانتية منها، فلجأت لدراسة أحوالها وتقديم الخدمات التعليمية والاجتماعية لها، وبث الأفكار الجديدة بينها.

وقد أثار هذا النشاط الصراع بين الطوائف المسيحية. ومثل الكاثوليك حجر عثرة أمام الإرسالية الأمريكية البروتستانتية، وفي مقدمة الكاثوليك يأتي الموارنة[8].

فقد كانت الطائفة المارونية من أشد الطوائف معاداة للثقافات المعادية للثقافة الفرنسية مثل الثقافة الأمريكية، كما كانت الكنيسة المارونية شديدة البطش بمن يتحول لكنائس أخرى ولا سيما البروتستانتية، ولذا تصدوا بقوة لنشاط الإرسالية الأمريكية في الشام[9].

فقد هدد البطريرك الماروني كل ماروني يقترب من البروتستانت أو يعاملهم أو يلبي لهم طلبًا أو يؤجر لهم سكنًا أو يعينهم على الإقامة في البلاد بالحرمان.

وكذلك كان رجال الدين الأرثوذكس يضطهدون كل من يميل من أبناء مذهبهم إلى البروتستانت[10].

وقد كان لليسوعيين السيادة التامة على زحلة، حتى جاء البروتستانت فانتزعوا تلك السيادة منهم، ولكن ظل اليسوعيون قادرين على إثارة القلاقل[11].

وقد كان الموارنة ينظرون للدولة العثمانية على أنها دولة احتلال أجنبي، بينما كان يرون أن احتلال بلادهم من جيش أجنبي فرنسي لا يمس استقلالهم بشيء[12].

وقد عملت الإرساليات اليسوعية في بلاد الشام على فتح المدارس ونشر التعليم بين الموارنة خاصة، وبذلك أصبحت طائفتهم من أكثر طوائف بلاد الشام تعليمًا وتأثيرًا في مجرى أحداث الشام.

ولم يتوان بابا روما عن مساعدة الطوائف الكاثوليكية وخاصة في مجال التعليم، فأرسل رجال الدين إليهم، لإعانتهم على التصدى للتبشير البروتستانتي وخاصة الإرسالية الأمريكية[13].

ونتيجة لنشاط الإرساليات الكاثوليكية لتحويل الأرثوذكس للكاثوليكية وقفت الدولة العثمانية إزاءها موقفًا شديدًا، فصدر عام 1818م أمر شريف همايوني لوالي حلب بوقف نشاط الرهبان الأوروبيين، الذين يقومون بذلك.

ثم اتخذت الدولة العثمانية نفس هذا الموقف عام 1838م، فأصدر السلطان مرسومًا لمحمد علي باشا والقاضي والعلماء ينبه فيه على منع نشاط الإرساليات الكاثوليكية، التي تسعى في تحويل الأرثوذكس للكاثوليكية.

وبذلك وقفت الدولة العثمانية موقفًا قويًا في وجه الإرساليات الكاثوليكية، التي تعمل على تحويل الأرثوذكس للكاثوليكية، واضطرت تلك الإرساليات للامتثال للأمر، لأن الدولة كانت ما زالت في قوتها، ولم تتجرأ تلك الإرساليات على التحرك بالحرية، التي ستتحرك بها فيما بعد.

ووقف العلماء موقفًا سلبيًا من تلك الإرساليات على أساس أن نشاطها كان موجهًا للنصارى الأرثوذكس، لأنهم رأوا أن الكفر ملة واحدة، ولم يدركوا أن هذه الإرساليات ستتحول -فيما بعد- للعمل على تنصير المسلمين، عندما شرعت الإرسالية الأمريكية للعمل بكثافة ضدهم.

---

7 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج: 2 ص: 628.

8 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 45.

9 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 50 و51.

10 التبشير والاستعمار ص: 136.

11 التبشير والاستعمار ص: 137.

12 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 49.

13 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 53.

وفي المرحلة التالية ازداد ضعف الدولة، وخاصة بعد (التنظيمات) في الأعوام 1839 إلى 1856م، والقوانين التي أجبرت الدولة على إصدارها بناء على تلك التنظيمات، وفي المقابل ازداد نشاط الإرساليات، وخاصة الأمريكية، التي شرعت في دخول ميدان التنصير بالشام[14].

***

الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية.

أرى التوقف -عند هذه النقطة من البحث- للإشارة بإيجاز للامتيازات التي انتزعها الغرب من الدولة العثمانية، وكانت خير معين للمنصرين في عملهم بين المسلمين.

كانت هذه الامتيازات تقوم على منح رعايا الدول الأجنبية النازلين في الدولة العثمانية أو السائحين فيها أو المارين بها (امتيازات) لم تكن للعثمانيين أنفسهم.

ومن أشهر هذه الامتيازات:

- إعفاء هؤلاء الأجانب من الضرائب المباشرة، ومن جزء كبير من رسوم الجمارك.

- عدم التصريح للسلطات العثمانية بالدخول لبيت أجنبي مهما كان السبب، حتى لو أن جريمة قد ارتكبت في ذلك البيت فلم يكن من حق السلطات العثمانية أن تدخله للتحقيق. بل من له صلاحية التحقيق والمحاكمة والفصل هو قنصل ذلك الرجل -قاطن ذلك البيت- طبقًا لقوانين دولته الأم. وكان من حقه أن يطلب مساعدة السلطات العثمانية في تنفيذ العقوبات.

- اعتبار البيت الذي يسكنه أجنبي متمتع بالامتيازات جزءًا من أراضي دولته الأم.

- لكل أجنبي متمتع بالامتيازات حق التجول في البلاد العثمانية كما يشاء، فإن أصابه سوء --ولو قضاء وقدرًا- فإن حكومته تطالب بديته أضعافًا مضاعفة، وقد تتشدد أحيانًا لتنال امتيازات سياسية وتجارية جديدة.

- لا تطبق القوانين العثمانية على الأجانب المقيمين في الدولة العثمانية.

وكانت الدولة البيزنطية تمنح هذه االامتيازات لدول أوروبا القوية، نظرًا لحالة الضعف التي كانت تعانيها، ثم لما استولت الدولة العثمانية على الإمبراطورية البيزنطية طمعت الدول الغربية في أن تظل لها امتيازاتها في البلاد التي انتقل حكمها من البيزنطيين للعثمانيين.

ولكن لم تصل الدول الأوروبية لبغيتها إلا في القرن السادس عشر، حينما قبل السلطان سليمان القانوني عام 1536م أن يمنح فرنسوا الأول ملك فرنسا شيئًا من الامتيازات التجارية و القانونية لرعاياه، إذا سكنوا في الدولة العثمانية أو مروا فيها.

واللافت للنظر هنا أمران:

الأول: أن الرجل الذي عهد إليه بالحصول على هذه الامتيازات لفرنسا هو الراهب ده لا فوست من فرسان القديس يوحنا الصليبيين، وهو الذي صار بعد ذلك أول سفير لفرنسا لدى الدولة العثمانية.

الثاني: أن هذه الامتيازات لم تمنح من سلطان تركي مستضعف لملك مسيحي منتصر، بل كانت الدولة العثمانية وقتها في ذروة قوتها، بينما كان فرنسوا الأول لا يزال يشكو من آثار هزيمته في معركة (بافية) بإيطاليا قبل عشر سنوات.

ومع الأيام أخذت الدولة العثمانية في الضعف، فكان ضعفها سببًا في ازدياد شره الدول الأجنبية، فلم تقتصر الامتيازات الأجنبية على الفرنسيين، بل امتدت للهولنديين والإيطاليين والأسبان، ثم إلى الأمريكان والنمساويين والروس واليونانيين، حتى حصلت معظم الدول الأوروبية في القرن الثامن عشر الميلادي على هذه الامتيازات.

وأخيرًا أصبحت الشعوب والجماعات غير المسلمة تتمتع في الدولة العثمانية باستقلال طائفي فيما يتعلق بالأحوال الشخصية وبإعفاء من الخدمة العسكرية ومن كثير من الضرائب والملاحقات القانونية، حتى أن المجرم كان يرتكب جريمته، فإذا لجأ إلى قنصله، أو اختبأ ببيت أحد الأجانب المحميين بالامتيازات، لم تستطع السلطات ولا القضاء العثماني أن يصل إليه.

---

14 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 267 و268.

ولكن هذه الامتيازات ألغيت عام 1914م بعد أن نشبت الحرب العالمية الأولى.

وقد زادت هذه الامتيازات من نفوذ الدول الأجنبية، فأخذت انجلترا وفرنسا تتنازعان على (حماية) الأجانب في الدولة العثمانية من الذين ليس لدولهم تمثيل في استانبول.

فالأرمن والبلغار وأهل الجبل الأسود وبعض أهالي أمريكا الجنوبية كأهل الأرجنتين وتشيلي والمكسيك لم يكن لدولهم وزراء مفوضون أو قناصل في الدولة العثمانية، فلم يكونوا يتمتعون بالامتيازات الأجنبية، وكان هؤلاء إذا استطاعوا أن ينالوا حماية فرنسا أوانجلترا -وكان من السهل جدًا أن ينالوها- استطاعوا أن يتمتعوا بجميع الامتيازات، التي يتمتع بها الفرنسي والإنجليزي في الدولة العثمانية سواء بسواء.

وأساء بعض الوزراء والقناصل من الإنجليز والفرنسيين في الاستفادة من هذه السلطة في منح الحماية لرعايا الدول الذين لا تمثيل سياسيًا لهم في الأستانة، وجمعوا من وراء ذلك أموالاً طائلة.

ثم زاد ضعف الدولة العثمانية فزادت جرأة الإنجليز والفرنسيين على منح مثل هذه الحماية، فمنحوها لعدد من (الرعايا العثمانيين) أنفسهم، ممن استطاع أن يشتري هذه الحماية بمبلغ كبير ليستغلها في وجوه مختلفة، أو ممن كان من الممكن أن تستفيد منه فرنسا أو انجلترا بوجه من الوجوه.

وأدرك المنصرون ما يمكن أن يستفيدوه من الاحتماء بالامتيازات الأجنبية، فاستغلوها إلى أبعد الحدود، وكانوا يدورون في البلاد كأجانب، ويعملون فيها كمنصرين[15].

***

15 التبشير والاستعمار ص: 132 إلى 134.

Encyclopædia Britannica, 2015, capitulation.

3- تاريخ الرهبانية اليسوعية في الشام

وصل اليسوعيون إلى حلب عام 1625م، كما أسسوا أديرة في دمشق عام 1643م، وامتدوا إلى صيدا عام 1644، وإلى طرابلس عام 1645م، وانشأوا مدرسة في عين طورة في مقاطعة كسروان في جبل لبنان عام 1734م، وقد أغلقت أديرتهم وعهد بها إلى الرهبان اللعازيين عام 1773م، ولم يعد اليسوعيون إلى بلاد الشام إلا عام 1831م، عندما أمرهم البابا غريغوريس السادس عشر بالتوجه لسوريا والعمل فيها، فحينئذ عادوا إلى بيروت، على إثر مقدم الإرسالية الأمريكية، ثم وصلوا إلى بكفيا في عام 1833م، وغزير عام 1846م، وخصوا بيروت بمطبعة ومكتبة وجريدة ومجلات ومجموعات وجامعة[1].

استفادة المبشرين من القلاقل السياسية في لبنان.

وقعت في لبنان فتنة كبيرة بين الدروز والموارنة في عام 1860م قتل فيها الآلاف من الطرفين، إلا أن الخسائر الأكبر كانت في جانب النصارى.

وكان الموارنة يعتمدون على حماية فرنسا، ويفضلون المدارس الفرنسية، كما كانت فرنسا تمدهم بالسلاح، بينما كان الدروز يعتمدون على حماية بريطانيا، ويفضلون المدارس الأمريكية، وتمدهم إنجلترا بالسلاح.

وقد شارك بعض اليسوعيين في تلك الأحداث مثل الراهب اليسوعي فردناندو بوناشيتا، الذي قتل في زحلة عام 1860م بعد أن قتل سبعة من الدروز.

وأثارت حوادث عام 1860 مشاعر الغرب الصليبي، مما أدى لاستغلالها في جمع الإعانات للتبشير في لبنان.

فقد رأى المنصر الأمريكي هنري هاريس جسب في هذه الفتنة إعلانًا ناجحًا، فقال: "اضطربت لها أوروبة وأمريكة، وأصبح لبنان بها معروفًا في العالم الغربي، فأمكن أن نجمع الإعانات باسمه والتبشير فيه".

أما يوليوس رشتر الألماني فقال: "إن هذه المذبحة قد أثارت رحمة قوية في العالم المسيحي"، ثم أضاف: "وعن هذه الطريق بدأ فصل جديد في تاريخ الجهود البروتستانتية في الشرق الأدنى".

ولم يحدث قبل مذابح الأرمن عامي 1859 و1860م حادث حفز الإرساليات البروتستانتية المختلفة على التكاتف على السعي في تنصير هذا الجزء من العالم مثل أحداث عام 1860م في لبنان.

وكان من أخطر نتائج هذه الأحداث؛ انعقاد مؤتمر دولي في بيروت، حضره المفوض العثماني مع ممثلي فرنسا وإنجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا، وقرروا أن تكون إدارة جبل لبنان بيد متصرف مسيحي من طرف الدولة العثمانية برضا الدول الأخرى، وأن يكون هذا المتصرف أوروبيًا نصرانيًا من أتباع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية[2].

وعن طريق هذا المتصرف انفتح الباب واسعًا للتنصير في جبل لبنان.

ولذلك أشاد لو شاتلييه -رئيس تحرير مجلة (العالم الإسلامي) الفرنسية في تقريره عن الإرساليات البروتستانتية- بالإرساليات اليسوعية في مقاومة الدين الإسلامي، وأشار بالخصوص للإرسالية اليسوعية في بيروت وكلية القديس يوسف التي تتبعها، وذكر أن لها دورًا كبيرًا في نشر الأفكار الفرنسية[3].

وعن نشاط اليسوعيين في الشام ذكر الدكتوران مصطفى خالدي وعمر فروخ أن المؤسسة اليسوعية: "توجه من مكان واحد، من رومية، ومن فرنسا أحيانًا: توجه توجيهًا دينيًا من رومية، وتوجيهًا سياسيًا من فرنسة".

كانت سورية -على الأخص- ميدانًا للسباق بين البروتستانت الأمريكان وبين اليسوعيين ذوي اللون الافرنسي[4].

***

1 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 67، المستشرقون للعقيقي ص: 1085، التبشير والاستعمار ص: 77 و111.

2 التبشير والاستعمار ص: 135 إلى 143.

3 الغارة على العالم الإسلامي ص: 15 و16.

4 التبشير والاستعمار ص: 111.

4- أهم أنشطتها:

أ- التنصير

ب- التعليم

ج- تشجيع الدعوة القومية العربية للانفصال عن الدولة العثمانية

د- الرعاية الاجتماعية

هـ- النشر والتأليف

و- الدعوة للعامية

***

أ- التنصير

غني عن الذكر أن الهدف الأساسي لليسوعيين ولسائر الإرساليات التنصيرية في عالمنا الإسلامي هو التنصير، أي تنصير المسلمين وغيرهم سواء كانوا مسيحين على غير مذهبهم، أو كانوا من الكفار الآخرين كاليهود والمجوس والهندوس وغيرهم.

ويمكنني أن أشير -بإيجاز- لمرحلتين في نشاط اليسوعيين التنصيري في الشام:

المرحلة الأولى: من بداية وصول اليسوعيين للشام في القرن السابع عشر حتى الانتداب الفرنسي.

والمرحلة الثانية: بعد الانتداب الفرنسي.

***

المرحلة الأولى: من بداية وصولهم للشام في القرن السابع عشر حتى الانتداب الفرنسي.

بدأ وصول المنصرين الكاثوليك للبنان منذ الحروب الصليبية، التي بدأت في القرن الحادي عشر الميلادي.

وكما ذكرت -سابقًا- فإن الملك لويس التاسع بعد أسره في المنصورة، أدرك -وكذلك الكنيسة- أن تنصير المسلمين عن طريق الحروب غير ممكن، فاتجهوا نحو البعثات التنصيرية.

وكان اليسوعيون أول من بدأ التنصير في لبنان بمعناه الحديث[1].

وكانت فرنسا تعتبر نفسها حامية المسيحيين في الشرق، وخاصة الموارنة في لبنان، وكان الموارنة يمنحونها ولاءهم. وقد سترت فرنسا هذه العلاقة بستار ديني، فبدأت الإرساليات التنصيرية تصل للبنان من القرن الثالث عشر، وأشرف ملك فرنسا بنفسه على نشاط المنصرين وبناء الكنائس، وأخذت فرنسا تستقبل رجال الدين اللبنانيين، وتعلمهم في مدارسها الدينية على حسابها، وواصلت رعايتها للإرساليات في الشرق بالرغم من اضطهادها لهم في فرنسا ذاتها.

وكان اهتمام فرنسا وتدخلها في لبنان والشام يزداد كلما لمست ازديادًا في اهتمام بريطانيا بالشرق[2].

وقد ذكرت آنفًا أن الفاتيكان أنشأ الكلية المارونية في روما عام 1584م، والتي استمرت تحت إدارة اليسوعيين حتى القرن العشرين.

وقد تمتع اليسوعيون في الدولة العثمانية بحرية واسعة، واستفادوا من الإعفاء من الضرائب قبل المنصرين الأمريكان، الذين لم يتمتعوا به إلا في عام 1865م. وقد ألغت تركيا هذا الإعفاء أخيرًا، لأنها أدركت أن المنصرين الذين يزعمون أنهم يقومون بأعمال البر والإحسان يستغلون هذا الإعفاء في استيراد بضائع من الخارج ثم بيعها للتجار المحليين، أوبيعها لحسابهم عبر تجار محليين[3].

كما أن فرنسا -التي طردتهم من بلادها- كانت تنفق عليهم في الشام ملايين الفرنكات. ليعملوا لصالحها كعملاء سياسيين ودعاة اجتماعيين ومثيري مشاكل.

ومن ناحيتهم كان اليسوعيون يعدون كل تعرض لفرنسا تعرضًا للبابا نفسه[4].

وهذا التنصير الممزوج بالسياسة، بل هذه السياسة المغلفة بالتنصير هي حقيقة الاستعمار، وقد تبدت في أبشع صورها في سياسة فرنسا.

وقد أجمل الأب اليسوعي ميز -في كتابه (حملة الشام الصليبية) (La Croisade du Levant)- سياسة فرنسا الدينية حين قال (في ص: 23): "إن الحرب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلى أيامنا. إن الرهبان الافرنسيين والراهبات الفرنسيات لا يزالون كثيرين في الشرق".

---

1 التبشير في بلاد الشام ص: 20.

2 التبشير والاستعمار ص: 152 إلى 154.

3 التبشير والاستعمار ص: 56.

4 التبشير والاستعمار ص: 121.

وأضاف في (ص: 14 و15): "ولقد احتفظت فرنسا طويلًا بروح الحرب الصليبية وبالحنين إلى تلك الحروب حية في نفسها، وكثيرًا ما فكر ملوكها بحملة صليبية جديدة (على الشرق)، ولكن أوروبة المنشقة (على نفسها) كانت دائمًا تجعل من المستحيل (على فرنسة) أن تقوم بحملة بعيدة المدى".

كما قال (في ص: 15 و16): "وكان من غايات الامتيازات الأجنبية دائمًا ان تحتفظ (فرنسة) بالدور الذي يلعبه رهبانها، وأن توسع ذلك الدور. وقد اعترف لقناصلنا وسفرائنا بالحماية للنصارى، تلك المهمة الصعبة التي لم تخلع عليهم إلا شرف حضور القداديس في الكنائس. ولقد كانوا يبذلون جهدًا كبيرًا ليهدئوا من ارتجاف المسلمين المتعصبين، وليحموا المبشرين في الإمبراطورية العثمانية".

وأضاف أيضًا (في ص: 22): "وكان ممثلو فرنسة يساندون أعمال مبشرينا".

ثم ذكر (في ص: 50): "وكان لفرنسة في أكثر الأحيان قصاد رسوليين في أشخاص قناصلها، وخصوصًا في القرن السابع عشر"[5].

وهكذا نرى بكل وضوح أن الإرساليات الدينية كانت دائمًا ستارًا لتغلغل الاستعمار في الشرق، فقد كان القائمقام الماروني في لبنان الأمير حيدر أبي اللمع يضم جهوده إلى جهود البطريرك الماروني والقنصل الفرنسي العام لوضع لبنان تحت نفوذ رجال الدين المسيحي للوصول إلى جميع الكاثوليك في سوريا تحت نفوذ فرنسا[6].

***

المرحلة الثانية: النشاط التنصيري لليسوعيين بعد الانتداب الفرنسي.

قبيل الحرب العالمية الأولى كان متصرف جبل لبنان (داود باشا) أرمنيًا حريصًا على إرضاء فرنسا، فوفر الحرية للقسس الموارنة ليستأصلوا شأفة البروتستانت.

واستمر الحال على هذا المنوال في جبل لبنان حتى قامت الحرب العالمية الأولى في عام 1914م، فرأت الدولة العثمانية في نظام المتصرفية خطرًا عليها فألغته، وهكذا سكنت حركة التنصير، لتنبعث بعد أربعة أعوام من جديد بقوة واتساع، حينما احتل الإنجليز والفرنسيون سوريا، وأخرجوا الدولة العثمانية من شرقي البحر الأبيض المتوسط.

ولم يستمر هذا الاحتلال الثنائي طويلًا، بل انسحب الإنجليز إلى جنوبي سوريا (فلسطين وشرق الأردن)، وظل الفرنسيون في الشمال (سوريا ولبنان).

وهكذا انطلق المبشرون اليسوعيون في منطقة الانتداب الفرنسي متوسعين، ثم أخذوا في التصريح بعد التلميح، فقد جاء في كتاب (اليسوعيون في سوريا) (Les Jesuites en Syrie) (ص: 10: 46) أنهم كانوا يقولون: "لما فتحت الهدنه عام 1918م للمبشرين طريق سورية من جديد، وطد أولئك المبشرون أقدامهم في حوران، وفوضهم الأساقفة الكاثوليكيون بما كانوا قد أجبروا على تركه عام 1914م".

وأشد من ذلك قولهم (ص: 11: 26): "أيها المبشرون، هذه فرص لم تسنح لكم من قبل".

وقولهم أيضًا (ص: 10: 66): "من الأمور المستجدة منذ الانتداب؛ انتشار الأمن مطلقًا تقريبًا في البلاد اللبنانية. إن المبشرين القدماء كانوا يعملون دائمًا إما في وجه حادثة مثيرة أو على خوف من كمين بدوي أو طلق ناري من مصدر مجهول، أو معرضين لقطاع الطريق. أما اليوم فلم يبق أثر للبنادق، فقد صادرها الفرنسيون، ولقد دفع الذين حاولوا الاعتداء على المبشرين ثمنًا غاليًا".

ولقد أرادت الإدارة الفرنسية أن تقوم بحركة تنصير واسعة في البلاد مستعينة باليسوعيين، فاختارت بلاد العلويين حول اللاذقية، فجاء في الكتاب السابق الذكر (ص: 10: 37): أن فرنسا أرادت أن توجد للعلويين دستورًا محررًا لهم، يسهل دخولهم في النصرانية، على شرط أن يساعد هذا الدستور على تحقيق ذلك بلا ضجة، فأصدر (شوفلر) جلاد بلاد العلويين،

---

5 التبشير والاستعمار ص: 127.

6 التبشير والاستعمار ص: 158.

مرسومًا في أيار 1931م، يجعل الانتقال إلى المذهب الكاثوليكي يجري في المحكمة العادية من غيرحاجة إلى الإجراءات المعقدة[7].

وجاء أيضًا في الكتاب المذكور سابقًا (ص: 10: 8): "ألم نكن نحن ورثة الصليبيين، أو لم نرجع تحت راية الصليب، لنستأنف التسرب التبشيري والتمدن المسيحي، ولنعيد -في ظل العلم الفرنسي وباسم الكنيسة- مملكة المسيح"[8].

ولقد وجه اليسوعيون اهتمامهم لبلاد العلويين نظرًا للجهل الذي كان يخيم عليها، لأنهم كانوا يهتمون بالتنصير الجماعي لا الفردي، ففي أول أيلول من عام 1925م (ذكرى إعلان لبنان الكبير) دعا المفوض السامي الفرنسي عددًا من الراهبات ليذهبن إلى صافيتا في بلاد العلويين.

فيذكر كتاب (اليسوعيون في سوريا) (Les Jesuites en Syrie) (ص: 11: 27) قول اليسوعيين عن مدرسة الراهبات في صافيتا: "إن هذه المؤسسة ستدعى يومًا أن تلعب دورًا عظيمًا في التبشير، الذي بدا قبل أمد بين العلويين".

ولم يفوت اليسوعيون الفرصة، فقد حققوا بحراب الفرنسيين -لا بالراهبات والدعوة الصالحة- التبشير، الذي أملوه، فقد ذكر عنهم كتاب (اليسوعيون في سوريا) (ص: 10: 23): أنهم جمعوا في عام 1930م نفرًا من العلويين في (جنينة رسلان) وحملوهم على أن يقروا بالمذهب الكاثوليكي.

والجدير بالذكر أن المفوض السامي الفرنسي في سوريا ولبنان عام 1925م كان يحمي اليسوعيين، رغم أنه علماني لا ديني، ولكنه التقاء مصالح السياسة مع التنصير.

لقد أتاح الانتداب الفرنسي الحرية واسعة للتنصير في سوريا ولبنان، وكانت الكنيسة الكاثوليكية -مع ذراعها الفعال: اليسوعيين- ترسم لنفسها حدود هذه الحرية بالتعاون مع الموظفين الفرنسيين، الذين كانوا كاثوليكًا.

أما الدولة المنتدبة فلم تكن تناصر حرية التنصير علنًا، ولا هي باركت تنصير الكنيسة الكاثوليك للمسلمين إلا إذا حدث ذلك من غير إثارة للضجة.

ومع ذلك فإن المدارس والمستشفيات والهيئات الاجتماعية وأعمال التنصير المباشر -التي كانت الكنائس والإرساليات تقوم بها- كانت كلها تمضي في عملها التنصيري من دون عرقلة تذكر.

وكانت المدارس أكثر هذه الأنشطة ازدهارًا بما تدفق لها من موظفين أجانب ومساعدات مالية[9].

ولما اضطرت فرنسا للجلاء عن سوريا ولبنان، ورجعت بلاد العلويين لسوريا، لم تترك فرنسا البلاد دون فتن ومشاكل، فاثارت فتنة سليمان المرشد.

وهو من قرية الجوبة التابعة لقضاء الحفة في محافظة اللاذقية السورية, وفي عهد الانتداب الفرنسي ادعى سليمان المرشد الألوهية وآمن به أتباعه سنين عدداً، ولقد ساهم المستشار الفرنسي في إيهام نصيري الحفة بهذه الألوهية حيث قيل بأنه كان يسجد للرب سليمان أمام أتباعه ليوهمهم بصدق نبوءة سليمان, وكان يكشف بعض الحقائق التي لا يعرفونها بالوسائل الحديثة، كالراديو والهاتف وغيرها، فينبئ أصحابه بها، فيزدادون إيماناً به، وقد صنع له جلبابا فيه مصابيح كهربائية تضيء فيسجد له الأتباع.

وبهذا يمكن للاستعمار أن يشتري عشيرة كاملة بشراء رئيسها، الذي يدين له أنصاره بالطاعة العمياء. وبعد إعلان استقلال سوريا عاش النصيريون في مواقعهم الحصينة منعزلين لا تعرف السلطة حقيقة ما يجري بينهم. وما أن اغتر الرب سليمان بقوته حتى أخذ في السلب والنهب والقتل، وراح يطالب بالحكم الذاتي وبتعيين وزير نصيري لمدينة اللاذقية, وتمرد على الدولة وأعلن العصيان المدني، وهدد بالانفصال إن لم يستجب لطلبه، فكان أن جهزت الحكومة السورية قوة عسكرية وهاجمته في مركز ربوبيته, وألقت القبض عليه وحكم عليه بالإعدام بعد محاكمة علنية ونفذ الحكم فيه زمن الرئيس شكري القوتلي عام 1946 وتولى الربوبية من بعده ابنه مجيب.

---

7 التبشير والاستعمار ص: 151 و152.

8 التبشير والاستعمار ص: 115 و116.

9 التبشير والاستعمار ص: 121 إلى 125.

ويعلق الدكتوران مصطفى خالدي وعمر فروخ على ذلك بقولها: "لقد أراد اليسوعيون أن يصنعوا إلهًا يوهن قوى الدولة السورية الناشئة، ولكنهم جنوا على رجل، ثم قادوه إلى المشنقة. وهكذا ماتت بموت سليمان المرشد آمال اليسوعيين والافرنسيين في بلاد العلويين إلى الأبد"[10].

وقد تطور دعم الدول لمنصريها من دعم كل دولة لمنصريها إلى التعاون بين الدول في ذلك، فقد وقعت فرنسا والولايات المتحدة في 4 نيسان 1924م اتفاقًا أعلن عنه في 13 أب من العام نفسه، وجاء في هذا الاتفاق:

"المادة العاشرة: إن إشراف الدولة المنتدبة (فرنسة) على الإرساليات الدينية في سورية ولبنان يجب أن يقتصر على حفظ الأمن والإدارة الحسنة. إن أوجه نشاط هذه الإرساليات يجب ألا تخضع لتدبير يضيق مجال عملها، ولا أن يخضع أعضاء هذه الإرساليات لتدبير يضيق مجال عملهم بسبب اختلاف جنسياتهم، على شرط ان تنحص أوجه هذا النشاط في حقل الدين".

فهذه المادة تنص بوضوح على تعاون فرنسا والولايات المتحدة -وغيرها من الدول الأوربية- على التنصير في سوريا ولبنان، فالدول الغربية -كلها إذن- ترى في التنصير فائدة سياسية يجب حمايتها وعدم عرقلتها.

وقد ظلت هذه المعاهدة نافذة في سوريا ولبنان حتى عام 1943[11].

ومن الجدير بالذكر أن فرنسا قد انتهزت كل فرصة لنقل امتيازات الإرساليات المختلفة إلى الإرساليات الفرنسية وحدها، ففي تشرين الثاني عام 1925 نقلت الحكومة الفرنسية حق الإشراف على المؤسسات التنصيرية -التي كانت للألمان قبل الحرب العالمية الأولى في بيروت خاصة- إلى المؤسسات التنصيرية والتعليمية الفرنسية، ثم جعلتها تتمتع بإشراف الحكومة الفرنسية وإشراف المفوض السامي في سوريا[12].

***

10 التبشير والاستعمار ص: 157، مجلة الراصد الإسلامية- العدد: 52- شوال 1428هـ - ص: 53، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ص: 568.

11 التبشير والاستعمار ص: 162.

12 التبشير والاستعمار ص: 56 و57.

ب- التعليم

أنشأ اليسوعيون في لبنان والشام العديد من المدارس، كما أنشأوا جامعة القديس يوسف:

(1) المدارس.

(أ) إنشاء مدارس اليسوعيين.

أنشأ اليسوعيون أول مدرسة في عين طورة بمقاطعة كسروان في جبل لبنان عام 1734[1]، ثم بعد أن أخرجوا من الشام عادوا لها في عام 1831، فأنشأوا مدرسة في غزير بكسروان في جبل لبنان عام 1843، وانتشرت بعد ذلك مدارسهم، وخاصة حيث حل البروتستانت الأمريكان، وكان هدفهم من ذلك ما ذكره لويس شيخو عن المنصرين الأمريكان أنهم: "لا يألون جهداً في فتح المدارس أخصها في بيروت وأعبيه، فنجحوا فيها بعض النجاح، لولا أنهم ناقضوا فيها تعاليم الدين الكاثوليكي ليبثُّوا، في قلوب الأحداث زوان التساهل الدينيّ"[2].

وقد كان اليسوعيون قد اختاروا بلدة غزير للتعليم، لما كان منافسوهم قد اختاروا بلدة عبية للغاية عينها. فلما انتقل الأميركيون إلى بيروت لم تبق غزير -في رأي اليسوعيين- المركز الذي يمكن الكاثوليك من الدفاع عن عقائدهم في ميدان العلم والتعليم، ولذلك عزموا على الانتقال إلى بيروت أيضًا، التي نقلوا كليتهم إليها[3].

وكان حافزهم على ذلك التنافس مع البروتستانت، يقول لويس شيخو عن ذلك: "وكان النجاح الذي فاز به أصحاب الكلية الأميركية باعثاً للكاثوليك على مزاحمتهم ليصونوا أبناء مللهم من الأضاليل البروتستانية. وكان اليسوعيون أول من تحفز لمناهضتهم، فعززوا مدارسهم الثانوية في غزير وبيروت وصيداء، ثم جعلوا يطلبون ما هو أنجع وسيلة لبلوغ أربهم بإنشاء كلية في بيروت تباري كلية الأميركان، وتقدم لأبناء الشرق مناهل العلوم صافيةً من كل رنقٍ يكدرها. فما لبث بعد أربع سنوات أن تشيدت أبنية كليتنا الكاثوليكية ونقلت إليها مدرسة غزير 1875"[4].

كذلك أهتم اليسوعيون بفتح مدارس البنات، فبمساعيهم شكلت راهبات مار يوسف سنة 1845 ثم راهبات المحبة سنة 1847، ثم أنشأوا سنة 1853 جمعية الراهبات المريمات ثمَّ جمعية قلب يسوع، ثم اتحدتا باسم راهبات قلبي يسوع ومريم، وانتشروا خاصةً في القرى المهملة.

وكذلك انتشرت راهبات الناصرة في الشام، وتولَّين إدارة مدارس البنات في بيروت وعكا وحيفا والناصرة وشفاعمرو[5].

***

(2) منهج هذه المدارس وتوجهها.

كما ذكرت من قبل فإن البابا غريغوريوس السادس عشر قد أمر اليسوعيين بالعمل في سوريا، وكذلك أعطاهم البابا ليون الثالث عشر عام 1881 حق منح الشهادات بأنواعها في سوريا. وبهذا يتضح أن التنصير اليسوعي عن طريق التعليم مشروع بابوي، وللمنصرين من اليسوعيين وغيرهم هدف واحد من التعليم، ألا وهو تنصير التلاميذ[6].

وقد اهتم اليسوعيون -في أول أمرهم- بالتعليم الديني، لاعتقادهم أنهم إذا سيطروا على رجال الدين المسيحيين، بإعدادهم في مدارسهم هم، استطاعوا أن يسيطروا على القرى النصرانية كلها، وكان الاستعمار في التعليم اليسوعي ظاهرًا غير مستتر، كما كان عند منافسيهم.

ولذلك بنوا برنامج مدارسهم من 1864 على البرنامج الفرنسي رأسًا مع إضافة دروس اللغة العربية.

وقد كان هدفهم من ذلك أن يقرنوا مع العلم والتعليم -لتلاميذهم النصارى- حب فرنسا والتعرف عليها.

---

1 التبشير والاستعمار ص: 111.

2 تاريخ الآداب العربية ج: 1 ص: 51.

3 التبشير والاستعمار ص: 112.

4 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 130.

5 تاريخ الآداب العربية ج: 1 ص: 49.

6 التبشير والاستعمار ص: 77.

ونعم اليسوعيون في القرن التاسع عشر بامتيازات لم تتوفر للأميركيين، لأن الانتداب الفرنسي -وإن كان قد رفع الرقابة على أعمال الأميركيين، وترك لهم الحرية في نشاطهم الديني- إلا أنه في نفس الوقت سخر جيوشه ورجاله لخدمة اليسوعيين.

وينقل المنصر هنري جسب في كتابه (les jesuites en syrie) (10: 56) عن اليسوعيين قولهم: "كان المبشرون اليسوعيون في أول أمرهم (قبل الانتداب الأفرنسي على سورية) ينشئون المدارس في جبل الدروز ثم يغلقونها إذا قصرت مواردهم الاقتصادية في إدارتها. ولكن التعليم (التبشيري) اليوم -أي بعد الانتداب-وخصوصًا في جبل الدروز يقوم على تعاون وثيق بين المبشرين وبين السلطات العامة"[7].

وتتميز المدارس الفرنسية ومدارس الفرير (الإخوان) النصارى والمدارس اليسوعية -وما يتصل بها كلها من مدارس الراهبات وسواها- بطبيعة خاصة ليست لمدارس الأمريكان والإنجليز في الشرق، وهذه الطبيعة أنها تسعى لتجعل أبناء البلاد الذين تعلمهم أشباهًا لأبناء فرنسا، يعلمون عن فرنسا أكثر مما يعلمون عن بلادهم[8].

ولم يكتف اليسوعيون بهذا، بل كان في مناهجهم ما يفتري على المسلمين، فمثلًا كان هناك كتاب يدرس في مدرسة القديس يوسف للبنات في بيروت وغيرها، وكان عن تاريخ فرنسا، وكان يتضمن في الصفحتين 80 و81 العبارات التالية:

"إن محمدًا -مؤسس دين المسلمين- قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو.

ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى، إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس: "أسلموا أو تموتوا"، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم.

ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذن لكنا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين"[9].

وهذا ما أكده الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- حين كتب عن التلميذ المسلم في مدارس اليسوعيين:

"وفي مدارس الجزويت يَحُولون بينه وبين كل ما يذكِّره بدينه حتى إنهم يحرفون ما يطبعونه من كتب المسلمين فينسبون كلام الله فيه إلى الناس المجهولين، وكذلك كلام رسوله عليه السلام، ويكذِبون على الإسلام والمسلمين في التاريخ لينفّروا تلامذتهم عنه"[10].

وكتب أيضًا رحمه الله:

"وهذا الذي يتخوفونه على دينهم ليس ببعيد عن مدارس الكاثوليك والأرثوذكس ولا سيما مدارس الجزويت، كما بلغنا من مصادر كثيرة تصل إلى درجة التواتر المعنوي؛ من أنهم يلزمون أولاد المسلمين بجميع تقاليدهم الدينية حتى تعظيم الصور، والتماثيل، والاستغاثة بالقديسين، وذلك في حكم الإسلام شرك، نعتقد أنه طرأ على النصرانية بعد المسيح -عليه السلام- وحوارييه -عليهم الرضوان- بعدة قرون"[11].

***

(2) جامعة القديس يوسف.

ذكرت من قبل أن اليسوعيين نقلوا مدرستهم في غزير لبيروت عام 1875 لتكون كلية القديس يوسف.

ودعمًا لها منحها البابا بيوس التاسع سنة 1874 اسم كلية، ومن بعده خصها خلفه لاون الثالث عشر سنة 1881 بامتيازات أخرى، مثل أن تعطي طلبتها شهادة الملفنة في اللاهوت والحق القانوني والفلسفة.

وكذلك دعمتها الحكومة الفرنسية، فساوت شهادات طلبتها بشهادات طلاب المدارس في فرنسا، ثم طلبت من القائمين عليها أن يلحقوا بها مكتباً طبياً. فقاموا ذلك وبدأ فيه تدريس العلوم الطبية في سنة 1883[12].

---

7 التبشير والاستعمار ص: 111 و112.

8 التبشير والاستعمار ص: 113 و114.

9 التبشير والاستعمار ص: 75.

10 مجلة المنار- عدد: 16 رجب 1321هـ- 7 أكتوبر 1903م - ج: 6 ص: 566.

11 مجلة المنار- عدد: المحرم- 1327هـ- فبراير- 1909م ج: 12 ص: 18.

12 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 191.

ومن هذا يتبين أن نشاط هذه الجامعة خاصة، والنشاط اليسوعي عامة هو برنامج بابوي مدعوم بالرعاية الحكومية الفرنسية. يهدف أساسًا لتنصير المسلمين، وفتح الطريق للأطماع الفرنسية.

وتضم الجامعة كلية الفلسفة واللاهوت والطب ومعهد الآداب الشرقية ومعهد العلوم السياسية ومدرسة الهندسة، وتصدر عن الجامعة مجلة المشرق بالعربية ومجموعات من الدراسات بالفرنسية[13].

وقد ألحق معهد الآداب الشرقية بالجامعة عام 1902 لحاجة المستشرقين للإقامة بالشرق الأوسط ودراسته عن كثب[14].

وكانت هذه الجامعة والجامعة الأمريكية إحدى وسائل القوى الغربية للتأثير في الشام عبر النصارى المحليين[15].

وكانت فرنسا هي أكثر الدول الأوروبية نشاطًا تنصيريًا في الشام.

وفرنسا التي تنفق بسخاء على النشاط التنصيري الكاثوليكي وخاصة اليسوعي، هي التي تطرد الرهبان من أرضها لتستخدمهم في الخارج.

فمثلًا كلية الطب والصيدلة في جامعة القديس يوسف يسوعية، ولكن رئيسها وأساتذتها يتلقون رواتبهم من وزارة الخارجية الفرنسية.

وقد رأت فرنسا أن اللغة هي التي توجه الثقافة، فاهتمت بالتعليم الفرنسي، واستغل اليسوعيين هذا الاهتمام، فوضعوا مدارسهم وجامعتهم لخدمة الدعاية الفرنسية.

فالطالب الذي يدرس في المدارس العيسوية ثم في جامعتهم يرتبط في دراسته وعمله وتحصيله العالي بفرنسا.

فسعوا لاستغلال المذهب الكاثوليكي لتحبيب فرنسا لطوائف الشام المتنابذة[16]، إنه نفس تحالف قسطنطين مع أنصار التثليث في مجمع نيقية عام 325م، كما سيأتي إن شاء الله.

***

13 الموسوعة العربية الميسرة- حرف الجيم- جامعة القديس يوسف ج: 3 ص: 1142.

14 المستشرقون لنجيب العقيقي ص: 1060.

15 Microsoft Encarta 2009, Beirut, V. EDUCATION AND CULTURE.

16 التبشير والاستعمار ص: 170 و171.

ج- تشجيع الدعوة القومية العربية للانفصال عن الدولة العثمانية

كان لنصارى الشام دور كبير في تحريض العرب على الانفصال عن الدولة العثمانية، واتخذوا تزكية الشعور القومي -والاهتمام بنشر الآداب العربية- وسيلة لذلك، وكان للإرساليات التنصيرية -ومنها الرهبانية اليسوعية في لبنان- دور في ذلك، ومن ذلك تشجيعهم للجمعيات الأدبية التي تهتم بالأدب العربي، وسأتعرض لهذا الأمر بشيء من التفصيل عند عرض ترجمة ناصيف اليازجي وابنه إبراهيم وبطرس البستاني والإرسالية الأمريكية في الشام إن شاء الله، وكل هؤلاء ساهموا في ترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى للعربية، مما يوضح تلاقي الأهداف السياسية مع الأهداف التنصيرية، وأن الأنشطة التنصيرية -بما فيها ترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى- لم تكن عملًا دينيًا بحتًا.

***

د- الرعاية الاجتماعية

حرص اليسوعيون على استغلال الرعاية الاجتماعية وسيلة للتنصير، وقد تنوعت أساليبهم في ذلك، يدعمهم الفاتيكان ماديًا ومعنويًا، وفرنسا سياسيًا وماليًا.

وكان النشاط الطبي من أهم اهتماماتهم، ولذلك حرصوا على أن تكون مراكزهم التنصيرية في الشام بجانب مراكز التطبيب، وأهتموا بالدرجة الأولى بكبار الموظفين والأعيان، وكانوا يستغلونهم لمصالحهم التنصيرية[1].

ومن وسائلهم أيضًا نوادي الشباب، وحسب ما ذكره المنصر جسب في كتابه (Les Jesuites en Syrie) (5: 23): فإن اليسوعيين في لبنان يعدون هذه الأندية (حربًا صليبية مسيحية)، ومن الناشئين في هذه الأندية يحشدون الشباب للأندية الكاثوليكية[2].

كذلك من وسائلهم التعليم المجاني، فكما ينقل عنهم المنصر جسب في كتابه (Les Jesuites en Syrie) (7: 7): أنهم كانوا يرون أنه يجب أن تقوم مدرسة مجانية صغيرة بجانب كل مدرسة مدفوعة المصاريف، لأن الفقراء -في زعمهم- أكثر انقيادًا من الأغنياء[3].

***

1 التبشير والاستعمار ص: 61.

2 التبشير والاستعمار ص: 209.

3 التبشير والاستعمار ص: 209 و210.

هـ- النشر والتأليف

وأقسم البحث فيه إلى:

(1) الكتب.

(2) الجرائد والمجلات

(3) المطبعة الكاثوليكية

***

(1) الكتب

اهتمت الرهبانية اليسوعية في لبنان بطبع الكثير من الكتب ونشرها، وسأذكر أمثلة لإنتاجهم مع ذكر أمثلة لكتابهم، إن شاء الله.

وكان أكثر هذه الكتب دينية لنشر النصرانية وللرد على البروتستانت، وكان منها كتب تعليمية لتلبية حاجة مدارسهم، بالإضافة لنشر كتب الأدب العربي[1]، وهو الأمر الذي اهتم به العديد من أدباء نصارى الشام لغرضين أساسيين:

الأول: إحياء النزعة القومية العربية في مواجهة الجامعة الإسلامية للدولة العثمانية، سعيًا في تفتيتها، وإثارة السخط عليها.

والثاني: تقديم خدمات الترجمة وتعليم اللغة العربية للمستشرقين والمنصرين ومترجمي الدول الأوروبية.

وقد لوحظ على بعض كتاب اليسوعيين عدم الأمانة في نقل كتب التراث الأدبي، كما سأبين إن شاء الله.

وكان من أهم ما نشرته الرهبانية اليسوعية في لبنان؛ الكتاب المقدس لدى النصارى مع التعليقات، الذي نقلوها عن النسخة االفرنسية.

وسيرى القارئ -إن شاء الله- أنهم في هذه التعليقات قد تراجعوا أمام النقد المتكاثر ضد الكتاب المقدس لدى النصارى، وأقروا بوجود التناقضات فيه، وبجهالة الكتاب والنساخ والمترجمين، ووقوع الأخطاء أثناء عملهم.

ومع ذلك فهم يصرون على أن ما يسمونه الكتاب المقدس، هو كلمة الله المحفوظة.

ويفتخرون بنسختهم العربية التي أصدروها لما أصدر البروتستانت ترجمتهم العربية للكتاب المقدس لدى النصارى.

وعن ترجمتهم العربية للكتاب المقدس لدى النصارى كتب لويس شيخو اليسوعي: "وتعددت المطبوعات الدينية والعلمية التي ظهرت في تلك الأثناء من مطبعتنا، وكان أجودها حرفاً وأتقنها طبعاً الكتاب المقدس (1876- 1882) في ثلاثة مجلدات مزيناً بالتصاوير والنقوش. وكان الآباء المرسلون لم يذخروا وسعاً في تعريبه عن اللغتين الأصليتين العبرانية واليونانية، ساعدهم في تصحيح عبارة الترجمة وتثقيفها اللغوي البارع المرحوم الشيخ إبراهيم اليازجي[2]. وقد صدق على هذه الترجمة الجديدة غبطة السيد منصور براكو بطريرك أورشليم اللاتيني، وأثنى عليها سائر بطاركة ومطارنة وأساقفة الطوائف الكاثوليكية في الشرق"[3].

وكتب عنها أيضًا معرضًا بترجمة البروتستانت: "وصار لهذه الترجمة رواج كبير حتى أتت من بعدها ترجمة الآباء اليسوعيين بمساعدة المرحوم إبراهيم اليازجي فكانت أضبط نقلاً وأشمل موضوعاً وأبلغ لساناً وأجود طبعاً فصارت تعتبر كالترجمة الرسمية لجميع الكاثوليك الناطقين بالضاد"[4].

ومحاربة من الكاثوليك للنسخة البروتستانتية أصدر البابا -من روما في سنة 1897- أمرًا بأنه لا يجوز للكاثوليكي أن يطالع نسخ الكتاب المقدس التي لم يصدرها الكاثوليك، أو يتخذها للتدريس في المكاتب، ما لم ير عليها تواقيع الرؤساء الشرعيين، بل يحظر على الكاثوليك أن يطبعوا دون ترخيص الكنيسة أي كتاب للصلوات أو التعاليم الاعتقادية أو الآداب الروحية[5].

***

---

1 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 131.

2 ستأتي ترجمته إن شاء الله.

3 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 131.

4 تاريخ الآداب العربية ج: 1 ص: 80.

5 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 212.

(2) الجرائد والمجلات

اهتمت الرهبانية اليسوعية في لبنان بإصدار الجرائد والمجلات، وأعرض بإيجاز لثلاث منها:

(أ) جريدة المجمع الفاتيكاني

(ب) جريدة البشير

(ج) مجلة المشرق

***

(أ) جريدة المجمع الفاتيكاني

قبيل عام 1870 شرع المنصرون الأمريكيون في بيروت بتحرير جريدة دينية دعوها (النشرة الشهرية) ثم أبدلوا النشرة الأسبوعية بها في مطلع سنة 1870م، فكان ذلك داعياً لنشر جريدة كاثوليكية أنشأها الآباء اليسوعيون في مطلع السنة نفسها، لنقل أخبار مجمع الفاتيكان المسكوني (العالمي)[1]، الذي بدأ في عام 1860[2].

***

1 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 131.

2 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 130.

(ب) جريدة البشير

أصدر اليسوعيون في لبنان جريدة البشير في أيلول 1870 لمقاومة النشرة الأسبوعية التي أصدرها البروتستانت، وقد تطورت حتى صارت تصدر ثلاث مرات أسبوعيًا[1]، وقد وصفها لويس شيخو اليسوعي بقوله: " وها قد مر عليها اليوم 50 سنة بنيفٍ وهي تدافع عن الدين مدافعة الأبطال فصارت لسان حال الكثلكة يرجع إليها أرباب الطوائف الكاثوليكية بأسرهم"[2].

وكان محررو البشير يتمتعون بالحماية الفرنسية، ومن جانبهم فقد ردوا الجميل لفرنسا التي اعتبروها: بنت الكنيسة البكر!!

ومن ذلك يتبين أن اليسوعيين (والكاثوليك عامة) والبروتستانت كانا خصمان يتفقان على حرب الإسلام.

وكانت البشير جريدة دينية في الأساس، تقدم في صدارتها أخبار روما والفاتيكان، وتشن الردود المتوالية على أعداء البابوية والعقيدة الكاثوليكية[3].

وكان محرروها متوجهون لذلك، فمثلًا جرجس زوين أول محرر للبشير له مؤلف بعنوان (الرد القويم على ميخائيل مشاقة اللئيم) رد فيه على طعون ميخائيل مشاقة -المتحول من الكاثوليكية للبروتستانتية- على الكنيسة الكاثوليكية[4].

***

---

1 تاريخ الآداب العربية ج: 1 ص: 74.

2 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 131.

3 التبشير والاستعمار ص: 213 و214.

4 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 273.

(ج) مجلة المشرق

ظهرت هذه المجلة في مطلع سنة 1898م[1]، بعد أن أخذت موافقة البابا بروما، وكان يديرها آباء كلية القديس يوسف ببيروت، وقد توقفت عن الصدور عام 1971م، وكانت تصدر نصف شهرية، ثم أصبحت شهرية، بعد أن رأى لويس شيخو أن صدورها شهريًا بحجم أكبر سيتيح الفرصة للأبحاث والمقالات المطولة، مما سيتيح لها نجاحًا أكبر.

وقد بدأت المجلة بالاستشهاد بالآيات والأحاديث وأقوال علماء الإسلام من السلف والمحدثين، ثم كشفت عن وجهها الحقيقي[2]، فشرعت في مهاجمة الإسلام، كما سأذكر إن شاء الله.

وقد هدفت المجلة لثلاثة أهداف: مقاومة النشاط البروتستانتي، وتحقيق أهداف فرنسا، وتنفيذ سياسات الفاتيكان في الشرق العربي والإسلامي[3].

وكانت المجلة في وقت قوة الدولة العثمانية تخفي أهدافها تحت ستار القصص والأبحاث الأدبية، ثم لما ضعفت الدولة العثمانية ثم ألغيت الخلافة كشفوا عن وجههم الحقيقي، وأخذ كتابها في مهاجمة الإسلام علانية.

وأعرض هنا لأمثلة مما نشر فيها:

- موقفهم من الاحتلال الأجنبي لبلاد المسلمين.

كانت مجلة الشرق معبرة عن ولاء اليسوعيين للاحتلال الفرنسي خاصة، والاحتلال الأجنبي عامة.

ففي مقال بعنوان (المآثر الجغرافية) في عام 1897 (المشرق: ج: 1 ص: 160) يتحدث الكاتب عن الحملة التي قادها الماجور (دانيس) لمقاتلة المهدي في السودان، ولكنها فشلت، وكان من ضمن قتلاها ضابط يدعى (أنور)، ذكر عنه الكاتب أنه: "أحد تلامذة مدرستنا الكلية، الذين عرفه كثير من قرائنا الكرام، وقد حسمت -والحمد لله- هذه الفتنة مؤخرًا، فأصيب كثير من العصاة، وبدد شملهم".

كذلك يفتخرون بأن مزرعتهم قد ساعدت على إخفاء العمليات الحربية للجنرال غورو للزحف على دمشق، ويكتبون: "إننا لا نستطيع أن نتصور وطنيتنا دون أن تحتل فرنسا فيها مقام الشرف الذي تستحقه"[4].

وفي مقال بعنوان (حاضر العالم الإسلامي نظر انتقادي) (المشرق: ج: 32 ص: 147) كتب الأب نوفل: "ونحن شعارنا الوطنية، فإذا ما حل بين ظهرانينا أجنبي -معلمًا أو ضيفًا أو سيدًا- علينا الاتفاق معه طبقًا لظروف الإمارة، ودفعًا للشر الأعظم، وليس في هذا خيانة نحو الوطن، بل واجب يوجبه العقل والدين". ثم استشهد بما نسبوه لسيدنا عيسى عليه السلام: "أعطوا ما لقيصر لقيصر". وكذلك استشهد بمعاهدة سفرونيوس بطريرك القدس مع سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على صيانة حقوق البلاد[5].

- موقفها من الجامعة الإسلامية.

هاجمت المجلة الجامعة الإسلامية (المشرق: ج: 32 ص: 154) حيث ادعوا أن الجامعة الإسلامية جاءت لتستخدم حد السيف والقوة، كما كان الإسلام يفعل، وأن الدين المسيحي لا يحتاج للوسائل البشرية من سلاح وتمدن لينشأ وينتشر، وكتب صاحب المقال: "إن هذه النظرية لحقيقة بأن تلفت أنظار الدعاة للجامعة الإسلامية".

ووصفوا الذين يدعون للجامعة الإسلامية بأنهم أهل عنف، وأن الدعوة الحقة لا تحتاج لمثل هذه الأمور، فالحق يعلو بذاته على القوة، وله في العناية الإلهية نصير، وإلا فأي فضل لديانة قوامها السيف[6].

وكأن اليسوعيين لم يكونوا أداة البابا المقاتلة في حروبه ومؤامرته، وتناسوا الحروب الصليبية، وتناسوا الانتداب الفرنسي الذي عملوا كجنود له.

---

1 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 193.

2 المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ص: 87.

3 المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ص: 87.

4 المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ص: 96.

5 المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ص: 101.

6 المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ص: 99.

- موقفها من دائرة معارف العالم الإسلامي المترجمة للعربية.

ففي عدد المشرق (ج: 32 ص: 59) دافعت المجلة عن دائرة المعارف تلك، رغم نقد عدد من علماء المسلمين لبعض المقالات المنشورة فيها لاحتوائها على بعض الحقائق المزورة، ولكن مجلة المشرق وصفت دائرة المعارف بأنها عمل جيد، ورأت أنه لا داعي لنقل مصادر المقالات للنسخة العربية.

والسبب هو أن العديد من هذه المصادر إما مزور أو لجهات أو أشخاص معادية للإسلام[7].

- الدعوة إلى فينقية لبنان.

في مقال بعنوان (مدفن بيروت الفينيقي) (المشرق: ج: 1 ص: 92) ذكر الكاتب: "إن هذا الاكتشاف أثبت أنها هي بيروت الفينقية[8]".

- زعمهم بأن الإسلام انتشر بالسيف.

ادعت المجلة (المشرق: ج: 12 ص: 206 و207) أن الإسلام انتشر بالسيف، أما المسيحية كانت عكس ذلك، فجاء في مقالتهم: "لا قهر في الدين، وسارت المسيحية على ذلك المبدأ في كل أطوار حياتها، فإن منشئها لم يدع البشر إليه بالسيف والاغتصاب لجنود يقتحمون البلاد، بل كحملان بين الذئاب"[9].

- التشكيك في وجود سلمان الفارسي رضي الله عنه.

فجاء في مقال عنه -رضي الله عنه- (المشرق: ج: 32 ص: 141 و142): "لقد شك كثير من المستشرقين في سلمان وما ينسب إليه، وقد أتانا الأستاذ (ما سينيون) بمحاضرة مليئة بالمعلومات المتراكمة المزدحمة .... وتبرهن على أن سلمان وجد حقيقة"[10].

- التشكيك في الحديث وتدوينه.

جاء في مقال (المشرق: ج: 32 ص: 9): "كان القرن الأول للإسلام عصر اتساع وفتوح، صرفت فيه قوى المسلمين للعمل والجد الخارجيين، حتى لا يمكننا أن نتخيل خالد بن الوليد أو عمرو بن العاص أو زياد بن أبيه أو الحجاج يهتمون بالمناظرات الكلامية أو جمع الأحاديث"[11].

- تشويه صورة صلاح الدين الأيوبي رحمه الله.

جاء في مقال (المشرق: ج: 4 ص: 51) أن صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-كان يعتدي على قبور النصارى، وأنه هدم قبر أم السيدة مريم العذراء عليها السلام، وبنى فوقه مدرسته الصلاحية[12].

- شكوى أهل الشام من إظهار اليسوعيين للطعن في الإسلام.

ومن أمثلة ذلك الشكوى التي جاءت لجريدة المنار[13]، من أن مجلة (المشرق) صارت تصرح بالطعن في الإسلام.

---

7 المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ص: 93.

8 المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ص: 100.

9 المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ص: 103.

10 المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ص: 104.

11 المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ص: 104.

12 المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ص: 105.

13 المنار عدد: شعبان 1340هـ- أبريل 1922م مج: 23 ص: 267.

وقد أحسن الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- الرد على تجاوزات مجلة (المشرق) بأن طلب من الشاكي تفصيل ما يشتكون منه، ثم أورد ما يرد على (المشرق) من رجال وعلماء اللاهوت، الذين بدأوا في هذا القرن يتحولون عن عقيدة ألوهية المسيح[14].[15].

---

14 نص الشكوى والجواب عليها في مجلة المنار:

"كتب إلينا من بيروت أن مجلة (المشرق) الجِزْوِيتِيّة قد صارت تصرح بالطعن في الإسلام؛ إذ زالت الحكومة العثمانية، التي كانت تمنعها من التصريح، فتتوارى أحيانًا وراء ما يحتمل التأويل من تعريضٍ وتلويحٍ، ورغبوا إلينا في الرد عليها؛ لأن الدفاع عن الإسلام من أهم مقاصد (المنار)، ويرون أن السكوت عنها ربما يُفضي إلى التمادي الضارّ، ولما كانت أعمالنا الكثيرة لا تترك لنا وقتًا لمطالعة هذه المجلة كلها للاطِّلاع على كل ما تنشره- نطلب منهم أن يبينوا لنا ذلك الطعن بنقله، أو تعيين مواضعه من أجزائها.

هذا، وإن دعاة البروتستانية في مصر وغيرها، لا يزالون ينشرون النشرات، والرسائل الكثيرة في الطعن في الإسلام، والتنفير عنه، والدعوة إلى دينهم، حتى مللنا من النظر فيها لتشابُهها في الضعف، والسخف، والتكرار، وهذا هو سبب سكوتنا عنهم في هذه الآونة، مع رفع المراقبة عن الصحف، لا إيذاؤهم لنا بما نجحوا به من منع المنار من دخول السودان، الذي قام حجة على رياء الإنكليز المتبجِّحين بدعوى حرية الأديان.

وقد صرحنا من قبل بأننا لا نرى في هذه المطاعن ضررًا على المسلمين في نفس دينهم، ولا في استمالتهم إلى النصرانية، بل هي أشد ما ينفرهم من النصرانية، ويزيد العارفين بدينهم اعتصامًا به ومحافظة عليه.

....

وأن الإسلام هو دين الفطرة والعلم والعقل، وأن النصرانية الحاضرة مبنية على وجوب التقليد للكنيسة بلا معارضةٍ، ولا بحث، وأن من يتركون التقليد من أهلها، ويناقشون الكنيسة في تعليمها، ويطالبونها أو يطالبون أنفسهم بالدليل، واستقلال العقل في فهم الدين- فإنهم لا محالة ينتهون إلى ما جاء به الإسلام، سواء علموا أو لم يعلموا تلك الحقائق التي قررها القرآن، وهذا واقع في بعض البلاد الأوربية الآن كما يعلم ذلك من الشاهد الذي ننقله هنا عن جريدة (الديلي تلغراف)، وسينتهي التمادي في أمثال هذه المباحث إلى عقيدة التوحيد، والرجوع عن التثليث وتأليه المسيح، والأخذ فيه بما قرره القرآن وتعميم الاهتداء به في كل مكان، والنجاة به من مساوئ المادية، ومفاسد الشيوعية، وينجز الله وعده الحق بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت : 53).

....

كتب رجلٌ مسلمٌ بصيرٌ يقيم في أوربة -مراقب لتطوُّرها الديني والأدبي والاجتماعي- كتابًا إلى صديقٍ له، قال فيه:

"أعرفك أن مسألة ألوهية المسيح أصبحت في بلاد الإنكليز موضوعًا لأهم المباحثات والمناقشات بين المفكرين المشتغلين بالمسائل الدينية والفلسفية ، ولا سيما رجال الإكليروس الإنجليكاني، كما يتضح ذلك مما يُنشر في هذه الأيام الأخيرة على صفحات الجرائد الإنكليزية، وإنِّي أرسل إليك طيّ هذا نموذجًا لهذه المناقشات اقتطفناه من جريدة (الديلي تلغراف)

وهذه ترجمة ما اقتطفه الكاتب من جريدة (الديلي تلغراف):

***

علاقة المسيح بالله

كمبريدج لمراسلنا الخاص بتاريخ 13-8-1921

إن درجة ابتعاد اللاهوتيين العصريين عن العقائد التقليدية الموروثة قد ظهرت اليوم ظهورًا واضحًا في مؤتمر رجال الكنيسة ، فقد تكلم ذو الاحترام الكلي (هاستنس راشدول) مطران كارليل في مسألة (المسيح كلمة الله وابنه)، فقال: إن الطلب يزداد على اللاهوتيين الأحرار.

[علقت هنا مجلة المنار بالتالي:

(3) المنار: يقابل هؤلاء الأحرار المقلدون الذين لا يعيرون الأدلة التفاتًا، وقوله بعده بعبارات صريحة يشير إلى أن بعض الأحرار لا يتجرءون على التصريح بما يثبت عندهم من بطلان تقاليد دينهم، فيعبرون عنه بالكتابة والتعريض المحتمِل للتأويل].

ليوضحوا بعبارات صريحة ما يقصدونه حقيقة، عندما يستعملون العبارات التقليدية عن ألوهية المسيح. وبدأ الدكتور (راشدول) يبحث في السؤال من وجهته السلبية فقال: إن المسيح لم يدَّعِ الألوهية لنفسه، نعم، إنه ربما دعا نفسه أو تسامح على الأرجح بأن يُدعَى مسيًّا.

[علقت هنا مجلة المنار بالتالي:

(4) مسيا بتشديد الياء: المسيح، وهو الملك الذي كان اليهود، ولا يزالون ينتظرونه].

أو ابن الله، ولكن لم يَرِدْ في الأقوال الثابتة عنه شيءٌ يدل على أنه كان يرى علاقته بالله غير علاقة رجل بالله. وهي العلاقة التي كان يريد أن يستشعرها كل إنسانٍ، فيستخرج من هذا القول أن المسيح كان إنسانًا بكل معنى الكلمة، ولم يكن إنسانًا بجسمه فقط، بل كانت نفسه وعقله، وإرادته إنسانية أيضًا، ولم تكن تعترف الكنيسة بذلك دائمًا

....

***

شعور المسيح

وتلاه القس هـ . د . أ . ماجور رئيس ريبون هول (أكسفورد) وخص كلامه بنظرية (المسيح في البنوَّة الإلهية)، فقال: إن من المشاكل العويصة في نقد الإنجيل معرفة ماهية رأي المسيح -نفسه- في بنوته لله.

....

ثم تناول الخطيب مسألة ما إذا كان المسيح ادَّعى أنه كان ذا شعور ومعرفة سابقين لوجوده، كما مثبت في الإنجيل الرابع، فقال: إنه يرى أنهم اليوم يستطيعون أن يصرحوا أن شعور المسيح كان شعورًا بشريًّا تامًّا، تاركا مسألة الشعور السابق الوجود بدون حل، وأنه ليس فيه من خوارق الطبيعة، والمعجزات ما لا يمكن أن

- طعن كاتب يسوعي في (مجلة المشرق) في الإسلام والقرآن خلال نقده لكتاب الوحي المحمدي للشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله.

يُعزَى إلى سواه من البشر، وأما كونه ابن الله فقد سوَّغ لهم أن يدعوه (إلهي)، كما دُعي في الإنجيل الرابع؛ فإن القس ماجور يظن أن لغة المحبة، والتعظيم تسمح بذلك، ولكن مثل هذا التعبير لم يقره المسيح، ولا يظن أن المسيح كان يهتم بما كان يلقَّب به

.... اهـ ما جاء في رسالة (الديلي تلغراف). ومن الظاهر البيِّن منه أنهم يرجعون فيه إلى التحقيق والإصلاح الذي بيَّنه الله لعباده على لسان روح الحق الذي بشر به المسيح ، وقال : إنه يعلِّمهم كلَّ شيءٍ، والحمد لله رب العالمين".

15 وهذا ما ذكره الشيخ أحمد ديدات رحمه الله، والمهندس أحمد عبد الوهاب، وكذلك الموسوعة البريطانية، وسيأتي -إن شاء الله- عند التعليق على كتاب (الجواب الفسيح فيما لفقه عبد المسيح) عند الكلام على قول الشيخ أحمد حجازي السقا: أن الأرثوذكس الأقباط موحدون، ولكن يكفرون بسبب عقيدتهم في تجسد المولى -سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا- في المسيح عليه السلام، وسأشير له -إن شاء الله- عند الكلام عن التحريف في الكتاب المقدس عند النصارى.

وقد رد الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- عليه ردًا مفصلًا، وجاء فيه بفوائد كثيرة وهامة تتعلق ببحث التحريف في النصرانية[16].[17]

---

16 وأنا أنقل ما كتبه أجزاء -قد تطول- للفائدة.
"تفنيد اعتراض كاتب جزويتي على كتاب الوحي المحمدي
(نشره في مجلة المشرق الكاثوليكية في بيروت فألخص مسائله فيما يأتي وأرد عليها)
....
(3) فساد الأخلاق والآداب الروحية على نسبة ارتقاء العلوم والأفكار المادية:
خالفنا الكاتب الكاثوليكي الجزويتي في هذه الحقيقة التي بيناها في مقدمة كتاب الوحي، فذهب إلى أن كفة ميزان الفضائل والآداب والخير في هذا العصر أرجح مما كانت عليه في جميع العصور السابقة في الشرق والغرب، بفضل التمدن الأوربي! ! !
يا سبحان الله! أكاتب ينتمي إلى الديانة المسيحية يقول هذا؟ نعم وإنه قد كتبه ونشره في مجلة المشرق اليسوعية ، وما كان هذا ليخطر في قلب بشر.
....
وقول المنتقد : إنني أحكم به حكمًا عامًّا على جميع الشعوب. هو صحيح في الجملة لا التفصيل، فأنا أحكم به على شعوب الإفرنج أولاً وبالذات، وعلى المفتونين بمدنيتهم المادية الإباحية من سائر شعوب العالم، وإني لأنعي على الإفرنج انسلاخهم من بقايا ما حفظه نظام التربية فيهم من الفضائل المسيحية، لا جهلهم بالفضائل الإسلامية فقط.

....
ومن انغماس شعوبها في حمأة الإباحة، وانحلال عرى الزوجية المقدسة فيها، ولا أقول وعبادة المال، فإن الجزويت أشد إسرافًا وغلوًّا في عبادة المال من اليهود وغيرهم من الرأسماليين، وعندي قانونهم السرى في ذلك، فهو مما يخالفون فيه وصايا الإنجيل بقاعدتهم (الغاية تبرر الواسطة)، وأما إباحة أعراض النساء بالسفاح واتخاذ الأخدان وما سمي الرقيق الأبيض، وإباحة هذه الضراوة بالحرب بهذه الدركة من الغلو المنذر للشعوب بالهلاك الذريع الذي تنقله البرقيات عن أوربة كل يوم، فما كنت أظن أنه ما يدخل في عموم تلك القاعدة عندهم.

....
بل أين النصرانية في أوربة، وقد صرح بعض أساقفة إنكلترة بأن المسيح ليس أبًا ولا إلهًا، واستفتى الشعب في اعتقاده بعصمة الكتب المقدسة، فأفتى الألوف بعدم عصمتها، كما نشرنا ذلك في المنار".
ثم واصل -رحمه الله- الرد في عدد تال، فكتب:
"تفنيد اعتراض كاتب جزويتي في مجلة (المشرق) على كتاب الوحي المحمدي
(تابع ما قبله)
(2)
- 4 -
صد الكنيسة أو الكنائس عن الإسلام
ألمَّ الكاتب بما بيناه في مقدمة الكتاب من الحجب الثلاثة التي حجبت حقيقة الإسلام عن أوربة إلمامًا وجيزًا، وأجاب عن صد الكنيسة عنه وبغيه عوجًا بأنه يترفع عن إعادته، وأن آداب المناظرة تحول بينه وبين (الرمي بقذائف الكلام).
ونرد عليه بأننا نحن لم نقذف الكنيسة أو الكنائس في ذلك بتهمة من عند أنفسنا ، ولا نقلنا شيئًا من أقوالها وأعمالها عن أحد من علمائنا ، وإنما أشرنا إشارة وجيزة إلى بعض ما دونه بعض علماء الإفرنج في ذلك، ولا سيما أحرار الفرنسيس، وأهل النصفة النسبية منهم كالكونت دي كاستري صاحب كتاب (الإسلام: خواطر وسوانح) وغيره من الكتب الكثيرة التي توجد كلها أو جلها في خزانة كتب الكلية اليسوعية، فمن الميسور لحضرة الكاتب الأديب أن يظل معتصمًا بما ادعاه من الترفع وآداب المناظرة، ويكتفي من الدفاع عن الكنيسة بأن يقول: إن كل ما أسنده إليها أولئك الكتاب الفرنسيون الكاثوليكيو النشأة والتربية، وآخرهم موسيو درمنغام الفرنسي الكاثوليكي صاحب كتاب (حياة محمد) أكاذيب مفتراة على أولئك الذين أسندوه إليهم من رجال الكنيسة وغيرهم.
ثم نقل كلمتي (الحق أن الإسلام هو صديق المسيحية المتمم لهدايتها ...)، ووصفها بالبساطة الصبيانية، ولو قلت: إن الإسلام صديق الكنيسة لكنت حقيقًا بهذه البساطة؛ ولكن المسيحية في عقيدتي التي هي عقيدة الإسلام الثابتة بالبرهان -هي غير الكنيسة المسيحية-: هداية توحيد وفضائل متممة لهداية التوراة الإسرائيلية، وفاقًا لما ينقلونه عن المسيح -عليه السلام- أنه قال: "ما جئت لأنقض الناموس؛ وإنما جئت لأتمم".
والكنيسة نقضت الناموس من أول أساس له وهو التوحيد المجرد ، وإبطال اتخاذ التماثيل والصور إلى سائر ما فيها من العبادات والطقوس والتشريع المدني.
والإسلام هداية متممة للمسيحية؛ لأنه لم يوجد بعد المسيح عليه السلام من يصدق عليه قوله: "يعلمك كل شيء" أي: مما لا يستطيع أن يقوله لهم غير نبيه، وهو الفارقليط روح الحق كما بيناه في كتاب الوحي وغيره.
......".
ثم واصل -رحمه الله- الرد في مقال تال، فكتب:
"تفنيد كاتب مجلة المشرق اليسوعية في الاعتراض على كتاب الوحي المحمدي
(تابع لما قبله)
معجزة القرآن
أنقل هنا ما نشرته مجلة المشرق من الطعن في معجزة القرآن بحروفه، ثم أفنده بالبرهان، وهذا لا يفعله أحد من رجال النصرانية لا الكاثوليك، ولا غيرهم لعلمهم بأنهم إذا نقلوا كلامنا إلى أتباعهم لا يقدرون على الرد عليه بما يقنع أتباعهم فضلاً عن غيرهم.
قال في ص 957، 958 من سنة 1933 لمجلة المشرق ما نصه بغلطه اللفظي والمعنوي:

"من المعلوم أن المسلمين يستشهدون بكتابهم على صدق نبوة محمد فهو عندهم آية الآيات، والأعجوبة الصريحة، والدليل القائم بذاته على مدى الأيام داعيًا إلى الهدى من غير شاهد يشهد بصحة نسبته إلى أصله كأن به توقيع الله بالذات، ويدعمون قولهم بما ينسبونه إلى مفاعيل القرآن من الحوادث العظمى التي قلبت فئة عظيمة من البشر ظهرًا لبطن، وبالاختصار فالقرآن عندهم كما يقول السيد محمد رشيد رضا هو معجز للخلق بلفظه، ونظمه وأسلوبه، وعلومه وهدايته، وبذلك هو "آية لا كالآيات، ونور لا كالأنوار) (ص 59).

ولكن ما هي قيمة تلك المعجزة وما هي حقيقة مفاعيلها؟

قال الأب دي لانفرسان محرر مجلة (في أرض الإسلام) الإفرنسية:

(ليس في يومنا من يخالف في قيمة القرآن الأدبية، كما وأنه ليس من يشك في قيمة التوراة اللغوية في الترجمة الإنكليزية أو في الترجمة الألمانية لمؤلفها لوتر على أن تلك القيمة البشرية محضة، وقد يتاح لكل إنسان مثقف أن يتحققها تحققًا متفاوتًا مع تفاوت تضلعه من اللغة، ومن آداب البلاد التي وضع فيه الكتاب؛ ولكن تلك القيمة الأدبية ليست مما يزيد أو ينقص في قيمة المتن الدينية (إننا لا ننكر على القرآن القيمة الدينية، ونحن على بينة من مفعوله في إثارة عواطف السجود والصلاة والتسليم لإرادة الله، وهناك جمهور المتصوفين الصادقين من استقوا من مناهل القرآن على مدى الزمان مناهل المودة الصادقة لله عز وجل.

(ولكن محور كلامنا لا يدور على تأثير القرآن في النفوس، بل على السؤال هل القرآن بذاته دليل؟ هل هو بذاته آية الآيات ومعجزة المعجزات كما يسميه السيد محمد رضا (ص 59) وقبله الكثيرون من كبار أئمة المسلمين؟ هل القرآن هو كلام الوحي، لا بمعنى الوحي الشعري أو الفني المعروف عند أهل الفن والأدب بالوحي النفسي (كما ذكره المؤلف ص 29) ولكن بالمعنى الكامل المألوف عند رجال الدين أعني به كلام الله الحي؟

(بعيد عنا القول أن كتابًا موحى به من الله وحيًا بينًا لا يمكن أن ينم عن أصله الإلهي من غير أدلة خارجه عنه، وإنه من المستحيل أن يشهد الكتاب بذاته لصاحبه فتثبت فيه علامة الله وتوقيعه؛ ولكن الصعوبة كل الصعوبة هي في أن تتحقق تلك العلامة من غير ما أن نخشى الضلال، ولا نخاف أن نكون غلطنا في تحقيقنا، وما المشكل إلا مشكل الدليل الباطني، وهو شهير عند أهل التفسير؛ فإن قيمة الدليل الباطني على صحة الوحي لم تقع قط في الجدال؛ ولكن الجدال إنما هو في تطبيق العلامة والدليل الباطني تطبيقًا لا يترك مجالاً للريب؛ ولذلك فقد أجمع المفسرون على القول: إن الدليل الخارجي هو أشد تأثيرًا من الباطني؛ لأنه أبعد منه عن خطر الغلط، وآمن على سلامة التأكيد)

(ففي الأمر الواقع ليس للدليل الباطني قيمة إلا القيمة السلبية، أي: أنه ينفي كون مؤلف من المؤلفات يمكن أن يكون قد خرج من عقل بشرى) اهـ بحروفه .

(المنار) : في هذه العبارة شبهات نشير إلى دحضها بالإجمال.

***

الشبهة الأولى

في الموازنة بين القرآن والتوراة والإنجيل في البلاغة

نقل عن أحد آبائهم أنه (ليس في يومنا من يخالف في قيمة القرآن اللغوية)؛ ولكنه زعم أنه يشاركه في ذلك ترجمتا التوراة الإنكليزية والألمانية والجواب عنها من وجهين :

(أحدهما) أن القرآن معجز للبشر بعبارته اللغوية، عجز عن الإتيان بسورة من مثله فحول بلغاء العرب الذين اشتهروا بالفصاحة والبلاغة، ولم يكن محمد -صلى الله عليه وسلم- قبل النبوة يعد من طبقتهم فيها، وقد تحداهم الله بأن يأتوا بسورة مثله مصرحًا بأنهم لن يفعلوا، وكانوا أحرص الناس على تكذيبه، فلو قدروا لفعلوا، واستمر هذا الإعجاز إلى يومنا هذا، ولم يقل أحد من الإنكليز، ولا من الألمان: إن ترجمة التوراة معجزة للبشر لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها فظهر الفرق كفلق الصبح أو أشد نورًا.

(الوجه الثاني) لماذا لا يوازنون بين القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، والتوارة التي جاء بها موسى عليه السلام من عند الله، وهي أصل دينهم فأين هي؟ وأين الإنجيل الذي جاء به عيسى المسيح عليه السلام، ويذكرون في كتب العهد الجديد أنه أمر تلاميذه أن يكرزوا به في الخليقة كلها؟ ولماذا لا يوازنون بين قيمته الأدبية وقيمة القرآن؟ حسب القرآن أنه هو الذي جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين، فيعرف به أصل دينه معرفة قطعية؛ ولكن ما جاء به أخواه موسى وعيسى - عليهم الصلاة والسلام- غير موجود بنصه الحرفي، وهذه الترجمات الموجودة لا يمكن إثبات أخذها عن أصلها لفقده من العالم، وهي مختلفة متعارضة متناقضة، فكيف يؤثق بأنها مطابقة لأصلها لو كان موجودًا؟

* * *

الشبهة الثانية

في دلالة هداية القرآن الدينية على كونه من الله

اعترف أيضًا بأنهم لا ينكرون هداية القرآن الدينية من التسليم لإرادة الله تعالى والعبادة الصادقة له؛ ولكنهم ينكرون أن يكون تأثيره هذا دليلاً على أنه من عند الله تعالى، وآية على صحة محمد صلى الله عليه وسلم، والجواب عنها من ثلاثة أوجه: وجهين عقليين، والثالث نقلي مسيحي.

(الأول) إننا لم نحصر البرهان على كون القرآن وحيًا من الله تعالى في تأثير هدايته للبشر، ولا في إعجاز لغته بل أوردنا في كتاب الوحي المحمدي، ثم في غيره من تفسيرنا براهين أخرى عقلية وعلمية على ذلك حسبه منها اتفاق علماء الإفرنج في هذا العصر على أنه لا يمكن لأحد من البشر أن يأتي بكتاب في الذروة العليا من البلاغة والفصاحة اللغوية بعد دخوله في سن الأربعين إذا لم يكن قد مارس هذا النوع من الكلام، أو تمرن في سن الصبا والشباب، وأنه ليس في استطاعة أحد من البشر أن يأتي بكتاب ممتاز في العلوم الدينية أو الأدبية أو التشريع المدني والسياسي بعد بلوغ سن الأربعين إذا كان لم يمارس هذه العلوم بالتلقي والبحث والعمل قبل ذلك، وقد ثبت بالتواتر أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- نشأ أميًّا بين قوم أميين، لم يزاول شيئًا من هذا ولا مما قبله، وقد احتج عليهم بهذا كما أمره الله بقوله: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (يونس: 16).

وإذا كان هذا الكتاب الذي يعترف اليوم أعدى أعدائه، وأشد خصومه جدلاً ومراءً بقيمته اللغوية والأدبية والدينية وتأثيره الحسن في العالم محالاً أن يكون من تأليف محمد بهذا البرهان العلمي، فهل يمكن أن يكون إلا بوحي من الله تعالى له؟ وهل يوجد في كتب الوحي التي يؤمنون بها ما يساويه في هذه الحجة؟

(الوجه الثاني) إن ما كان للقرآن من التأثير في هداية الملايين من البشر إلى معرفة الله تعالى، وعبادته الصادقة، وترك ما كانوا عليه من عبادة الأصنام والأوثان والأشجار والكواكب والحيوان والإنسان (وابن الإنسان) من أكبر البراهين على أنه من وحي الله وكلامه، وهل بعث الله تعالى رسله وأنزل كتبه إلا لأجل هذا؟ وهل وجد كتاب من كتبه كان له أكبر من هذا التأثير أو مثله في هذه الهدية؟ قد بسطنا الجواب السلبي عن هذا الاستفهام في كتاب الوحي المحمدي.

إذا كان الماديون المعطلون أو المنكرون للوحي والنبوة من أساسها ينكرون هذه الدلالة على الوحي؛ لأنها فرع الإيمان بالأصل وهو وجود الله تعالى ورسالة الرسل، فكيف ينكرها من يدعون الإيمان بها؟ هذا ما تعجب منه موسيو مونتيه أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف إذ قال : إنه لا يعقل أن يوجد أحد يؤمن بنبوة أنبياء بني إسرائيل ولا يؤمن بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وبيانه كما بسطناه في كتاب خلاصة السيرة المحمدية وكتاب الوحي أنه إذا جاءنا رجل بكتاب في الطب والعلاج، ورأينا جميع المرضى الذين عملوا به برئوا من أمراضهم، ألا يكون هذا أقوى دليل على صدقه وصحة ما فيه من العلم؟ بلى.

وإن هذا الكتاب لا يحتاج إلى من يشهد له بأنه كتاب طب مفيد؛ لأن الشهادة الفعلية القطعية أصدق من الشهادات القولية وحدها، ويمكن أن يعرفها كل أحد؛ ولهذا كان السبب الأكبر لإسلام أكثر الأعاجم في الصدر الأول ما شاهدوه بأعينهم وعرفوه باختبارهم من سوء حالة العرب المشركين الجاهلين قبله، وانقلابهم بهدايته وسنة النبي الأمي الذي جاء به أئمة يهدون بالحق، وبه يعدلون؛ فتحول كثير من اليهود والروم وأكثر النصارى من السوريين والكلدان والآشوريين والأرمن والقبط والبربر عن نصرانيتهم إلى الإسلام، وكذا المجوس والهنود الذين كانوا قرناء الروم في حضارتهم وفلسفتهم.

أما العرب فكان سبب إيمانهم إعجازه اللغوي والعلمي وتأثيره وسلطان آياته على العقول والقلوب، والاقتناع بأنها حق وخير لهم، مع حالة من جاءهم به؛ إذ كان إلى سن الأربعين غير معروف ببلاغة ولا علم، وغير ممتاز على أهل وطنه وبيئته إلا بالصدق والأمانة ومكارم الأخلاق.

إن معترض مجلة المشرق يسمي هذا وذاك من الأدلة الباطنية التي ليس لها إلا القيمة السلبية، أي : أنه ينفي كون هذا الكتاب قد خرج من عقل بشري، وقد غفل عن كون المؤمن بالله وبوحيه يضطر أن يؤمن بما كان كذلك أنه من الله تعالى؛ إذ لا موجود يقدر عليه غيره فقامت عليه الحجة".

ثم واصل -رحمه الله- الرد في مقال تال، فكتب:

"تفنيد كاتب مجلة المشرق اليسوعية في الاعتراض على كتاب الوحي المحمدي

(تابع لما قبله في ج 4)

(الوجه الثالث النقلي المسيحي) أن الإنجيليين نقلوا عن المسيح -عليه السلام- أنه أنبأ بظهور أنبياء كذبة من بعده، ووضع قاعدة كلية للتمييز بين الصادقين والكذبة، وهي قوله: "من ثمارهم تعرفونهم".

فليخبرنا كاتب مجلة المشرق وآباؤها عن نبي له من ثمار الخير والبر التي اعترفوا بها عرضًا، وهو قليل من كثير، ونقطة من بحر كبير من ثمار محمد صلى الله عليه وسلم، التي اهتدى بها الملايين من البشر.

ويؤيد هذه القاعدة كثير من الدلائل الخارجية على نبوته صلى الله عليه وسلم، منها شهادات كتب العهدين العتيق والجديد له بما فصلناه في تفسير المنار، وبسطه غيرنا بتفصيل أوسع كالشيخ رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق، ومنها شهادة من آمن به من علماء اليهود والنصارى، وغير ذلك مما لا محل لإيراد الشواهد عليه هنا.

بعد هذا نقول لهم: إنه ليس لكم أدلة خارجية على كون هذه الرسائل التي تسمونها اليوم بالأناجيل كتبت بوحي ولا إلهام؛ وإنما رأينا في كتبكم أنكم تستدلون على صدقها بدليل داخلي لا يدل عليه، وهو أنها لو لم تكن صادقة لكان كاتبوها من الكذبة الأشرار؛ وهذا لا يعقل، وخصومكم لا يسلمون هذا لكم؛ إذ يمكن أن يقال أيضًا: إنه يجوز أن يكونوا غير متعمدين للكذب ولا متحرين للصدق، ويجوز أن يكون قد دس حزب قسطنطين وغيره شيئًا في كتبهم؛ إذ ليس عندكم نقل متواتر بالأسانيد المتصلة إليهم كما سيأتي، على أنه لو صح هذا الدليل لكنا أولى به منكم، وإن كنا لا نحتاج إليه مثلكم؛ لأن عندنا ما هو أصح منه وأقوى.

***

الشبهة الثالثة

في الشهادة الخارجية على وحي القرآن

نحن لم نقتصر في كتاب الوحي المحمدي على الأدلة الباطنية والشهادات الداخلية على كون القرآن كلام الله تعالى كما زعم معترض مجلة المشرق، بل أوردنا كثيرًا من الشهادات الخارجية، والأدلة العقلية والعلمية في الطبعة الأولى، ولما رأيت مثل هذه الشبهات الكاثوليكية الجزوتية زدتها بيانًا في الطبعة الثانية أكثرها في فاتحتها، وفي الفصل الأول الذي زدته فيها، ومنها أنني أوردت على النصارى ما نقلوه عن المسيح -عليه السلام- من الشهادة لنفسه، وشهادة غيره له، فقد نقل عنه يوحنا أنه قال: "5 : 31 إن كنت أشهد لنفسي فليست شهادتي حقًّا 32 الذي يشهد لي هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق 33 أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق". ثم روى عنه: "8 : 13 فقال له الفريسيون: أنت تشهد لنفسك شهادتك ليست حقًّا 14 فأجاب يسوع وقال لهم: "وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق".

نقلت هذا في سياق شهادة الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ (النساء: 166).

ومن شهادة الله تعالى له ما أيده من المعجزات، وأظهرها بعد القرآن وما فيه، منها أنباؤه عن المستقبل الذي يسمونه بالنبوات، كاستيلاء أتباعه على ملك كسرى وقيصر وهم في أشد أوقات الفقر والضعف كوقت غزوة الخندق؛ إذ تألبت عليهم قبائل المشركين مع اليهود، وهجموا عليهم في مدينتهم يريدون استئصالها فأيد الله المؤمنين بريح وجنود من الملائكة لم يروها، وقذف في قلوبهم الرعب، وردهم بغيظهم لم ينالوا خيرًا ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ (الأحزاب: 25) كما هو مفصل في أول سورة الأحزاب.

***

مطاعن النصارى على القرآن

قال كاتب مجلة المشرق بعد إيراد تلك الشبهات النحيفة السخيفة : (هذا وإذا كان الكلام على كتاب فيه ما فيه من العيوب رغم ما يحويه من محاسن الجمال وأساليب البيان، فلا بد من القول: إن ذلك الكتاب لا يمكن أن يُنْسَب إلى الله)

وأيد هذه الدعوى بما نقله عن أشهر كتاب عندهم في الطعن على القرآن، ولخص ذلك بما نذكره ونفنده ونبين بطلانه هنا بالإيجاز، وقد سبق الرد عليه بالتفصيل في كتابنا (شبهات النصارى وحجج الإسلام)، وسنعيده في الجزء الثاني من كتاب الوحي المحمدي كما وعدنا في تصدير الطبعة الثانية للجزء الأول فنقول:

رد زعمهم ضياع شيء من القرآن

(الطعن الأول) زعم ذلك الطاعن أن القرآن قد ضاع منه شيء، فلم يُكْتَب كله، وأن الذي ضاع؛ منه ما نسيه النبي صلى الله عليه وسلم، ومنه ما نسيه الصحابة رضوان الله عليهم، ومنه ما لم يُحْفَظ، قال: (وكثير من آياته لم يكن لها قيد إلا في ذاكرة الصحابة ؛ فضاع منها الكثير).

وبهذه الأمثلة يتبين أن عمل مجلة المشرق -وسائر صحف اليسوعيين- هو الطعن في الإسلام تحت ستار البحث العلمي والأدبي.

***

وجوابنا عن هذا أنه دعوى مفتراة ليس عليها أدنى دليل، فمن المعلوم بالتواتر أن كل ما كان ينزل من القرآن كان يكتب ويحفظه الكثيرون من الصحابة، يعبدون الله تعالى به في الصلاة وغيرها، وكانت ملكة الحفظ في العرب أقوى منها في غيرهم لاعتمادهم عليها في حفظ أشعارهم وأنسابهم ووقائعهم.

من العجيب أن يفتري النصارى على القرآن هذه الفرية، وهو الكتاب الذي حفظه الألوف من العرب في عصر نزوله وكتبوه متفرقًا، ثم مجموعًا، وما زال يحفظه مئات الألوف في كل عصر، وهم أهل دين لم يكتبوا من إنجيل مسيحهم شيئًا من لفظه بلغته، وهذه الرسائل الأربع التي يسمونها في الزمن الأخير بالأناجيل لم تكن معروفة لمن يسمونهم رسله في العصر الأول؛ إذ لم يذكرها أحد منهم في رسائلهم، وهذا رابعهم يوحنا يقول في آخر إنجيله: (21: 24 هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق 25 وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين!!!) فلماذا لم يكتب هو ولا أحد من تلاميذه وأتباعه عُشر معشارها؟

كذلك ليس عندهم أصل مكتوب من سائر كتب العهدين في زمن أصحابها بلغاتهم، ولا يدعون هم ولا اليهود أنهم حفظوا كتابًا منها بنصه وحروفه التي جاء بها موسى ولا غيره من أنبيائهم كما فعل المسلمون.

رد زعمهم وجود المناقضات فيه

(الطعن الثاني) ما سماه المناقضات وضعف البيان في المتشابهات المحتاجة إلى التأويل، وفي الناسخ والمنسوخ، فأما الأول فشبهته في اختلاف المفسرين في المتشابه وتأويله كما فصلته في تفسير سورة آل عمران، ثم في سورة يونس أخيرًا، ولا تناقض فيه ولا ضعف بيان؛ ولكن الأذهان تتفاوت بطبعها في فهم بعض المسائل بطبيعة موضوعها، ولا سيما الوحي وكلام الأنبياء في عالم الغيب.

وقد حققنا أن الراسخين في العلم يعرفون معاني المتشابهات، وأما تأويلها الذي لا يعلمه إلا الله، فهو حقيقة صفات الله تعالى ، وما تؤول إليه أخبار الوعد والوعيد في الآخرة؛ لأنها من عالم الغيب، ويرى القراء في الجزء الماضي (ج 4) كلمة لشيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة.

على أن أكثر كلام المسيح عليه السلام كان رموزًا لا يفهم تلاميذه المراد منها، وهم أولى الناس بفهمها حتى المسائل التي تدعي هذه الرسائل الأربع أنها أساس العقيدة كهدم الهيكل وإقامته في ثلاثة أيام، ومنه ما حكاه يوحنا في آخر رسالته من أقواله عليه السلام لسمعان بطرس في محبته له ومستقبله، وقوله للتلميذ الذي كان يحبه: (21: 22 إذا كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء، فماذا لك؟ (قال يوحنا) 23 فذاع هذا القول بين الإخوة: إن ذلك التلميذ لا يموت، ولكن لم يقل يسوع: إنه لا يموت ... إلخ) ، فالتلاميذ كلهم لم يفهموا هذه الكلمة بشهادة يوحنا الذي شهد لنفسه أن شهادته حق، ومن يوحنا هذا؟ وهو غير معروف بالتحقيق، والأرجح أنه من تلاميذ بولص (راجع دائرة المعارف الفرنسية)، فإن عادت المشرق إلى مثل هذا البهتان أتيناها بالشواهد الكثيرة على تصريحهم بغموض كلام المسيح عليه السلام، وعدم فهمهم له، فكيف يعيبون غيرهم بالكحل في أعينهم، ولا يرون الجذع في أعينهم؟

....

مخالفة القرآن لكتب العهد العتيق هو الحق :

(الطعن الثالث) مخالفة القرآن لكتب العهد القديم في بعض المسائل التاريخية؛ وجوابنا عن هذا أن تواريخ العهد القديم لا يقوم دليل على صدقها كما بيناه بالتفصيل في تفسير المنار، وأما القرآن فقد قامت البراهين الكثيرة على أنه كلام الله تعالى، فما بينها من خلاف فقول القرآن فيه هو الفصل.

....

قصة يوسف في القرآن والعهد العتيق :

(الطعن الرابع) زعمه أن يوسف بن يعقوب تبين قصته في القرآن أنه قد تراخى للشهوة من ذاته، وقصته في التوراة تبين براءته، يعني أن هذا الفرق يدل على أن التوراة وحي من الله دون القرآن، والجواب عن هذا أن القرآن أثبت لنا أن يوسف عليه السلام قد ابتلاه الله تعالى بتجارب محصه بها تمحيصًا، فكان من عباده المخلصين (منها) مراودة امرأة عزيز مصر له في سن شبابه، فاستعصم ولم يقع في الفتنة، وآثر عليها السجن، وأما قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (يوسف: 24) ففيه وجهان: أحدهما، وهو المتبادر من اللغة أن كلاً منهما هم بمواثبة الآخر والبطش به كما شرحناه في الجزء الأول من المنار أخيرًا، والثاني أنهما هما بالفاحشة، ولكن رؤيته برهان ربه صرف عنه السوء والفحشاء، وهذه منقبة عظيمة له، وهي أدل على اعتصامه وعدم تراخيه للشهوة مع قوة الداعية الطبيعية لها.

ولكن ما بال الطاعن يستدل بهذه الفضيلة السلبية للتوراة، وينسى ما قذفت به لوطًا عليه السلام من الزنا ببناته، وداود عليه السلام من أقبح الزنا العمد بامرأة أوريا الحثي، ثم تعريضه للقتل، مع نزاهة القرآن عن مثل هذا وما يقرب منه؟ دع ما يرمون به سليمان عليه السلام من الشرك والوثنية لأجل النساء.

....

(الطعن السادس) نسبة مريم والدة المسيح عليهما السلام إلى عمران

(وجوابه) من وجهين أحدهما: أن ليس عندهم تاريخ قطعي لنسبها، والثاني أنه يصح جعله من باب نسبة المرء إلى العظيم أو الرئيس من أجداده قريبًا كان أو بعيدًا، كقولهم في المسيح: (ابن داود) .

....

(الطعن السابع) ما حكاه القرآن عن نداء قوم مريم لها { يَا أُخْتَ هَارُونَ } (مريم : 28) وهذا نحو مما قبله في التجوز المشهور كقولهم: يا أخا الهيجاء للشجاع. وهارون عليه السلام كان رئيس الكهنة، ومريم ألحقت بالكهنة في انقطاعها لعبادة الله تعالى، فقالوا لها: يا أخت هارون تهكمًا بها، إذ اتهموها بالفاحشة، وقد برأها الله تعالى في كتابه العزيز من بهتانهم، ومن كذب بعض النصارى أيضًا بقولهم: إن ولدها عيسى من يوسف النجار. ومن كبودهم وبهتانهم عليه هذه المطاعن المفتعلة"

17 مجلة المنار: عدد: صفر 1353هـ- يونيه 1934م مج: 34 ص: 147، عدد: ربيع الأول 1353هـ- يوليو 1934م مج: 34 ص: 227، عدد: ربيع الآخر 1353هـ- أغسطس 1934م مج: 34 ص: 311، عدد: جمادى الآخرة 1353هـ- أكتوبر 1934م مج: 34 ص: 376.

(3) المطبعة الكاثوليكية

أنشأت المطبعة الكاثوليكية سنة 1848م، فطبعت أولاً كتباً شتى على الحجر، ثم طبعت على الحروف سنة 1854م[1].

وكان من أهم ما طبعوه الكتاب المقدس لدى النصارى، بالإضافة للعديد من الكتب الدينية والتعليمية ومجلاتهم. وكانت المطبعة الكاثوليكية أهم وسائل التنصير التي ركز عليها اليسوعيون[2].

***

1 تاريخ الآداب العربية ج: ص: 48.

2 التبشير والاستعمار ص: 213 و214.

و- الدعوة للعامية

بعد أن بذل اليسوعيون والبروتستانت الأمريكان وغيرهم من المنصرين جهودهم لإحياء النزعة القومية العربية، بإحياء الآداب العربية، ونشر التراث العربي، الذي كثيرًا ما حادوا عن الأمانة العلمية في نشره، كما سأبين إن شاء الله.

بعد ذلك بدأوا -بعد سقوط الخلافة وانفصال تركيا عن العالم العربي- في مرحلة جديدة، وهي مرحلة تفكيك العرب لوحدات متباعدة، عبر حملهم على ترك التخاطب بالعربية، ودعوتهم لاستعمال الحرف اللاتيني في الكتابة بدلًا من الحروف العربية، إذن فهو مخطط التقسيم والإضعاف يمضي من خطوة لخطوة، وعلى يد نفس الذين كانوا يتحمسون للغة العربية وآدابها.

ومن أمثلة ما كتبوه في هذا الشأن وطبع في المطبعة اليسوعية:

- قواعد اللهجة اللبنانية السورية للأب رافائيل نخلة اليسوعي، والكتاب بالفرنسية والنصوص العربية منسوخة بالخط اللاتيني.

- التحفة العامية في قضية فنيانوس، تأليف شكري الخوري[1].

- مرور في أرض الهناء ونبأ من عالم البقاء، تأليف شكري الخوري[2].

وقد أدلت مجلة (المشرق) اليسوعية بدلوها في هذا الشأن، فقد جاء في المجلة (ج: 1 ص: 791) مقال للدكتور هارتمان الألماني وصف فيه اللغة الفصحى -التي كتب بها الأقدمون- بأنها لغة صناعية لا تفهمها العامة. ودعوا في نفس العدد لتكوين جمعيات تقوم على جمع اللهجات وتدوينها.

وفي المجلة أيضًا (ج: 1 ص: 974) أن الحركات تقف عقبة أمام الكتابة بالعامية، لأن في العامية لكل حركة طبقات، ولكل طبقة درجات لا تحصى.

وفي مقال ورد فيها (ج: 5 ص: 261) جاء قول الكاتب: "يأنف أغلب الكتبة من استعمال اللغة العربية العامية لنشر أفكارهم وترويج مقاصدهم، على أن لهجة العوام في بعض الأحيان أقرب إلى نوال المرغوب، وأقوى فعلًا في القلوب، فإن الأدباء يجدون فيه تفكه للأرواح، أما الجمهور فيرى صورة حياته اليومية وكلامه المطروق وأمثاله المعتادة، فتؤثر فيه أقوال الكاتب ومضامين تحريراته"[3].

***

---

1 التبشير والاستعمار ص: 224.

2 المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ص: 107.

3 المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ص: 106 و107.

5- أمثلة لأهم شخصياتها:

أ- لويس شيخو

ب- هنري لامنس

ج- شانتور

***

أ- لويس شيخو

يعد لويس شيخو من أهم الباحثين اليسوعيين في الرهبانية اليسوعية في لبنان في دراسة التراث العربي والإسلامي، ويمثل نموذجًا لأسلوب اليسوعيين في التحريف والتزييف، كما سأبين إن شاء الله، وأقسم الكلام عنه إلى:

(1) ترجمته

(2) إصداراته

(3) نظرة في بعض كتاباته وأفكاره

***

(1) ترجمته

هو رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب بن عبد المسيح شيخو المولود في ماردين عام 1859م، من أسرة مسيحية كاثوليكية متدينة، وكان خال أمه القس جبرائيل دنبو مؤسس الرهبنة الكلدانية المنسوبة إلى القديس هرمزد.

سبقه أخوه استانسلاوس اليسوعي إلى لبنان للدراسة، ثم لحق به رزق الله وهو ابن ثماني سنوات فدرس في غزير، وأبحر إلى أوروبا، ليدرس العلوم في مدارس الرهبانية اليسوعية، ودرس اللغات اليونانية واللاتينية والفرنسيه، ثم عاد إلى الشام.

انتظم في سلك الرهبانية اليسوعية عام 1874.

وكانت مدرسة غزير اليسوعية قد انتقلت إلى بيروت سنة 1875م فصار مدرسا للعربية فيها، ثم انتظم في سلك الرهبانية اليسوعية، واشتغل بالتأليف ونشر الاداب العربية، وأنشأ مجلة المشرق التي عمل بها لمدة خمس وعشرين سنة، وشرع في نشر الكتب العربية، وله رحلات كثيرة إلى أوروبا لزيارة مكاتبها الشهيرة والبحث عن المخطوطات العربية القديمة، وله رحلات إلى بلاد المشرق كالشام وحلب والموصل وبغداد وغيرها، وهكذا جمع في دير الآباء اليسوعيين مكتبة كبيرة.

كان عضوًا في مجمع اللغة العربية بدمشق، أجاد العربية والفرنسية واللاتينية، ويعرف العديد من اللغات كالإنجليزية والإيطالية والعبرية والتركية والسريانية واليونانية.

وكانت فاته في بيروت عام 1928[1].

***

1 معجم المطبوعات ج: 2 ص: 1166 1167، الأعلام للزركلي ج: 5 ص: 246، المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي ص: 89.

(2) إصداراته

له مصنفات مختلفة منها:

- دينية ولاهوتية: كالبرهان الصريح في لاهوت السيد المسيح، ومجموعة مقالات دينية لقدماء كتبة النصرانية، وتراجم بعض القديسين كالقديس يوحنا الدمشقي والقديس بطرس كانيزيوس والطوبوي بلرمينوس، وأولياء الله في لبنان، والتعبد لطفولية السيد المسيح.

- ومنها جدالية: كالأناجيل القانونية وأناجيل الزور، ومحاورات جدالية، وتفنيد التزوير لمحمد طاهر التنير - وهو رد على كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير، وكشف أسرار الشيعة الماسونية.

- ومنها فلسفية: كمجموعة مقالات فلسفية لقدماء الفلاسفة، ومقالات في النفس والضمير، والتساهل الديني، والألفاظ السحرية، والأحكام العقلية في المدارس العلمية اللادينية.

- ومنها كتابية: في شرح مشاكل واردة في الأسفار المقدسة وتفنيد آراء فاسدة فيها.

- ومنها تاريخية: كبيروت: أخبارها وآثارها، وكتاريخ جزيرة العرب حاضراً، وتاريخ الحرب الكونية، وتاريخ النصرانية وآدابها في عهد الجاهلية، وتاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر وفي الربع الأول من القرن العشرين، والمخطوطات العربية لكتبة النصرانية، وتاريخ أساقفة طور سينا، وتاريخ الطباعة في الشام وفلسطين والعراق، ووصف مخطوطات المكتبة الشرقية، وتاريخ الرهبانية اليسوعية والطائفة المارونية، وتاريخ النهضة الأدبية في حلب، وتاريخ القصادة الرسولية في الشام، وابن العبري: تاريخه وآثاره.

- ونشر من التواريخ: تاريخ بيروت وأمراء الغرب لصالح بن يحيى، وتاريخ شاكر بن الراهب، وتاريخ سعيد بن بطريق مع ملحقه لسعيد بن يحيى الإنطاكي، وتاريخ محبوب المنبجي، وتاريخ طبقات الأمم لأبي القاسم صاعد الأندلسي، وتاريخ حوادث لبنان ودمشق سنة 1860.

- وله في اللغة: كتاب نزهة الطرف في مختصر الصرف، والوسائل لترقية اللغة العربية، واللغة العامية بازاء اللغة الفصيحة، وانتقاد كتب تاريخ آداب اللغة العربية وطبقات الأمم لجرجي زيدان، وعلم الأدب.

- ونشر من كتب اللغة: الألفاظ الكتابية للهمذاني، وفقه اللغة للثعالبي، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت، وكتاب الكتاب لابن درستويه، والبلغة في شذور اللغة، وغراماطيق عربي في اللاتينية، مع منتخبات، ومعجم.

- وفي الأدبيات الشعرية: كتاب شعراء النصرانية في عهد الجاهلية ثم بعد الإسلام، ونشر دواوين الخنساء والخرنق والسموءل والمتلمس وسلامة بن جندل وأبي العتاهية ومراثي شواعر العرب وحماسة البحتري.

- وله في الأدبيات النثرية والمنتخبات: ترقية القارئ، ومرقاة المجاني، ومجاني الأدب مع شروحه، وأطرب الشعر وأطيب النثر، والأحداث الكتابية والتشابيه النصرانية في شعراء الجاهلية، وأطيب الفكاهات في أربع روايات، وروضة الأحداث في أطايب الأحداث.

- ونشر منها: كليلة ودمنة، وكتاب فضائل الكلاب لابن المرزبان، وقانون وزارة بني عثمان أصاف نامه.

- وله أسفار وسياحات شتى: كسفره من بيروت إلى الهند، وأسفاره إلى حمص وحماة وحلب ودمشق وجبيل مع ذكر آثار كل مدينة.

- وكتب فنية: كمقالة الضوء لأرسطو، والآلات المنغمة لمورستوس، والآلات المزمرة لبني موسى، والمكحلة للصقلي، الاصطرلاب لعلي بن عيسى وكيفية استعماله[1].

***

1 تاريخ الآداب العربية ج :3 ص: 462 و463، معجم المطبوعات العربية ج: 2 ص: 1167 إلى 1170.

(3) نظرة في بعض كتاباته وأفكاره

(أ) ديوان أبي العتاهية.

نشر لويس شيخو كتابه (الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية)، وتلاعب في الديوان بالحذف والتبديل، بل تنكر حتى للإمام ابن عبد البر رحمه الله، فكتب على الغلاف: "نقلًا عن رواية النمري وكتب مشاهير الادباء كالأصفهاني والمبرد وابن عبد ربه والمسعودي والماوردي والغزالي وغيرهم". فاكتفى بنسبة الإمام ابن عبد البر النمري، والقارئ لا يعرف أي نمري هو؟

وقد حقق هذا الديوان وجمعه الدكتور شكري فيصل رحمه الله، وكان مما استوقفه -أثناء بحثه عن مخطوطات وأصول شعر أبي العتاهية- قول العلامة أحمد شاكر -رحمه الله- في تحقيقه لكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة عند ترجمة أبي العتاهية: "وديوانه معروف، طبعه الآباء اليسوعيون بمطبعتهم في بيروت سنة 1886، وهم قوم لا يوثق بنقلهم، لتلاعبهم وتعصبهم وتحريفهم، ولكن هذا الذي وجد بأيدي الناس"[1].

فأثار هذا القول استغراب الدكتور شكري فيصل، إلى أن وضع يده على التحريف والتعصب الواضحين، وقد فصل الدكتور شكري فيصل -رحمه الله- تفاصيل ذلك الغش والتبديل والحذف، الذي مارسه لويس شيخو اليسوعي، ويمكن للقارئ أن يرجع لمقدمة ديوان أبي العتاهية بتحقيق شكري فيصل[2]، ولكني أقتصر هنا على بعض الأمثلة الفاضحة الدالة على عدم الأمانة والتعصب:

وكأن لويس شيخو لا يطيق أن يرى اسم سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم، ولا كلمة "نبي" ولا كلمة "رسول الله" في شعر أبي العتاهية، فيحرفها ما صادفها، وقد يغير من أجل تحريفها أكثر البيت، حتى لا ينتقض الوزن:

فعبارة "بالنبي محمد" -صلى الله عليه وسلم- يغيرها من:

وإذا ذكرت محمدًا ومصابه   فاذكر مصابك بالنبي محمد[3]

إلى:

وإذا ذكرت العابدين وذلهم   فاجعل ملاذك بالإله الأوحد[4]

ويحوّر عبارة "بنبي قام" إلى "بنذير قام"، وفي البيت الذي بعده يحور عبارة "بنبي فتح الله به" إلى "بخطيب فتح الله به"، ويحور كلمة "مرسل" في البيت الثالث إلى "ابن من"، وفي البيت الراب يحور عبارة "فرسول الله" إلى "فنذير الخير". فيحرف الأبيات الأربعة من:

واحمدوا الله الذي أكرمكم   بنبي قام فيكم ونصح
بنبي فتح الله به   كل خير نلتموه وشرح
مرسل لو يوزن الناس به   في التقى والبر شالوا ورجح
فرسول الله أولى بالعلى   ورسول الله أولى بالمِدَح[5]

إلى:

واحمدوا الله الذي أكرمكم   بنذير قام فيكم فنصح
بخطيب فتح الله به   كل خير نلتموه وشرح
ابن من لو يوزن الناس به   في التقى والبر طاشوا ورجح
فنذير الخير أولى بالعلى   ونذير الخير أولى بالمِدَح[6]

---

1 الشعر والشعراء ج: 2 ص: 791.
2 أبو العتاهية أشعاره وأخباره- المقدمة: ص: 5 إلى 14.
3 أبو العتاهية أشعاره وأخباره ق: 11 ص: 111.
4 الأنوار الزاهية ص: 75.
5 أبو العتاهية أشعاره وأخباره ق: 100 ص: 100.
6 الأنوار الزاهية ص: 67 و68.

وقد توقفت عند استخدام لويس شيخو لعبارة "ابن من"، لماذا استخدمها؟

هل يشير بها إلى سيدنا المسيح عليه السلام، باعتبار أنه في عقيدته ابن الله وابن الإنسان في آن واحد، فهم ينسبونه للمولى سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، كما ينسبونه لنبي الله داود عليه السلام. كما سيأتي -إن شاء الله- عند الحديث على تناقضات كتبهم كدليل على تحريفها وعدم صحة دعواهم إلهام الله لكاتبيها.

فإن لم يجد إلى التحريف سبيلًا حذف البيت كله:

كما فعل في حذف هذا البيت:

وهو الذي بعث النبي محمدًا   صلى الإله على النبي المصطفى[7]

ثم في البيت التالي حرف عبارة "وانقذنا به" إلى "وأنقذ شعبه"، فحرف البيت من:

وهو الذي أنجى وأنقذنا به   بعد الضلال من الضلال إلى الهدى[8]

إلى:

وهو الذي أنجى وأنقذ شعبه   بعد الضلال من الضلال إلى الهدى[9]

وهنا أتساءل مرة أخرى لماذا استخدم كلمة "الشعب"؟ هل يقصد بها المعنى المتعارف عليه في الكتاب المقدس لدى النصارى، حيث تعني اليهود أو المؤمنين بالمسيح، كما جاء في أعمال الرسل: "كانوا يتناولون الطعام بابتهاج و بساطة قلب 2: 47 مسبحين الله و لهم نعمة لدى جميع الشعب و كان الرب كل يوم يضم الى الكنيسة الذين يخلصون"[10].

وكذلك حذف البيت التالي:

أين أين النبي صلى عليه الله   من مهتد رشيد وهاد[11]

تحريف عبارة "لا شريك له" كلما مر بها، حرصًا على التثليث النصراني.

فيحور هذا البيت من:

الحمد لله شكرا لا شريك له   كم حبيب من الأهلين مُختَلَسِ[12]

إلى:

الحمد لله شكرا لا مثيل له   كم حبيب من الأهلين مُختَلَسِ

ويحور بيتًا آخر من:

فحسبي الله ربي لا شريك له   إليه ما كان من بسطي ومن قبضي[13]

إلى:

فحسبي الله ربي لا شبيه به   وضعت فيه كلا بسطي ومنقبضي[14]

فإذا وجد أن مثل هذا التحريف لا يشفي غليله أسقط البيت كله، كما فعل بهذا البيت:

الحمد لله لا شريك له   حاشا له أن يكون مشتركا[15]

تحريف نفي الولد عن المولى سبحانه وتعالى، حتى لا يعارض عقيدة النصارى بأن المسيح ولد من الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، ومن ذلك:

تحريف تعبير «لست والدًا» إلى "لست محدثًا"، فيحور البيت من:

---

7 أبو العتاهية أشعاره وأخباره البيت: 28 ق: 12 ص: 15، الأنوار الزاهية ص: 8.

8 أبو العتاهية أشعاره وأخباره البيت: 29 ق: 12 ص: 15.

9 الأنوار الزاهية ص: 8.

10 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 2: 46 و47.

11 أبو العتاهية أشعاره وأخباره ق: 114 ص: 112، الأنوار الزاهية ص: 76.

12 أبو العتاهية أشعاره وأخباره البيت: 9 ق: 199 ص: 194.

13 أبو العتاهية أشعاره وأخباره البيت: 2 ق: 213 ص: 203.

14 الأنوار الزاهية ص: 139.

15 أبو العتاهية أشعاره وأخباره ق: 273 ص" 261، الأنوار الزاهية ص: 181.

شهدنا لك اللهم أن لست والدًا   ولكنك المولى ولست بمولود[16]

إلى:

شهدنا لك اللهم أن لست محدثًا   ولكنك المولى ولست بمجحود[17]

ويغير معظم الشطر "هو الذي لم يولد ولم يلد". إلى معنى آخر، فيحرف البيت من:

الحمد لله الواحد الصمد   هو الذي لم يولد ولم يلد[18]

إلى:

الحمد لله الواحد الصمد   فهو الذي به رجائي وسندي[19]

وكلمة (أوّاب)، وهي كلمة قرآنية معروفة، يحرفها لويس شيخو إلى "أوْ آب"، فيحول البيت من:

طوبى لكل مراقب   ولكل أواب شكور[20]

إلى:

طوبى لكل مراقب   ولكل أو آب شكور[21]

ومن المعلوم أن ثالوث النصارى يتكون من الـ(آب) والابن والروح القدس!!!

حذف الأبيات العديدة:

مثل حذف هذه الأبيات الأبيات الستة، التي -منها خمسة- في مدح حضرة النبي صلى الله عليه وسلم:

سلام على قبر النبي محمد   نبي الهدى والمصطفى والمؤيد

نبي هدانا الله بعد ضلالة   به، لم نكن لولا هداه لنهتدي

فكان رسول الله مفتاح رحمة   من الله أهداها لكل موحد

وكان رسول الله أفضل من مشى   على الأرض إلا أنه لم يخلد

شهدت على أن لا نبوة بعده   وأن ليس حي بعده بمخلد

وأن البلى يأتي على كل جدة   وأن المنايا للعباد بمرصد[22]

وكذلك حذف الأبيات السبعة التالية في مدح حضرة النبي صلى الله عليه وسلم:

لِيَبكِ رسولَ الله من كان باكيا   ولا تنس قبرًا بالمدينة ثاويا

جزى الله عنا كل خير محمدًا   فقد كان مهديًا دليلًا وهاديا

ولن تَسرِيَ الذكرى بما هو أهله   إذا كنت للبَرِ المطهر ناسيا

أتنسى رسولَ الله أفضل من مشى   وآثاره بالمسجدين كما هيا

وكان أبر الناس بالناس كلهم   وأكرمهم بيتًا وشِعبًا وواديًا

تكدر من بعد النبي محمد   عليه سلام الله ما كان صافيا

فكم من منار كان أوضحه لنا   ومن عَلَم أمسى وأصبح عافيا[23]

وهذه الأمثلة عينة قليلة من تحريفات كثيرة، امتلأت بها النسخة التي نشرها لويس شيخو، وبهذا يتبين أنه تعدى ما نقلناه عن الشيخ أحمد شاكر بشأن أمانة اليسوعيين. وعن هذه التحريفات الفاضحة ذكر الدكتور شكري فيصل رحمه الله: "إن وراءها أمثلة أخرى كثيرة يستطيع القارئ المتتبع أن يقع عليها حين ينظر في الحواشي. وأن ينتهي -مهما يكن لونه- إلى أن

---

16 أبو العتاهية أشعاره وأخباره البيت: الثاني ق: 104 ص: 104.

17 الأنوار الزاهية ص: 70.

18 أبو العتاهية أشعاره وأخباره ق: 119 ص: 119.

19 الأنوار الزاهية ص: 78.

20 أبو العتاهية أشعاره وأخباره ق: 168 ص: 166.

21 الأنوار الزاهية ص: 113.

22 أبو العتاهية أشعاره وأخباره ق: 116 ص: 116، الأنوار الزاهية ص: 80.

23 أبو العتاهية أشعاره وأخباره ق: 450 ص: 433، الأنوار الزاهية ص: 299.

مثل هذه التحريفات تتجاوز كل حدود التعصب والتلاعب التي أشار إليها الشيخ شاكر في قالته التي مرّت بنا، وأن هذه التحريفات تتناول كل ما يتصل بألفاظ القرآن وتعابيره، وكل ما يتصل بالنبي -صلوات الله عليه- ورسالته، وكل ما يتصل بمفاهيم الإسلام من الوحدانية والنشور والآخرة". وأن واجب دارسي الأدب استنقاذه من أن: "يكون من بين الذين يعملون فيه من تهون عليهم كل القيم العلمية والأخلاقية، يدوسونها من غير وداع، ثم لا يتورعون"[24].

***

(ب) مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى.

نشر لويس شيخو بعض الرسائل النصرانية القديمة، في كتابه (مقالات دينية قديمة)، ونشر من ضمنها رسالة بولس الأنطاكي، التي ذكر عنه لويس شيخو أن الأوساط التنصيرية تلقت جدلياته بالتقدير، لما تمتاز به في نظرهم من ألفاظ جيدة وآراء سديدة صائبة وبراهين واستدلالات وحجج جلية[25].

وهذا الكتاب (أي كتاب بولس الأنطاكي) هو الذي رد عليه الإمام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه القيم: (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)[26]، ورب ضارة نافعة، فابن تيمية -رحمه الله- قد نسف كل شبهات بولس الأنطاكي، كما أن (الجواب الصحيح) قد انتشر بفضل الله، وصار مرجعًا أساسيًا في الرد على النصرانية، وقد طبعت منه عدة طبعات، وقدمت عدة رسائل للدكتوراه في تحقيقه[27]، ومنها من ضمته في بحثها[28].

***

(ج) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

كتب لويس شيخو كتابه عن النصرانية وآدابها في عرب الجاهلية، وسعى لأن يثبت أن النصرانية كانت منتشرة بين عرب الجاهلية، بل وليثبت أن قصص العهد القديم وأخبار القديسين كانت منتشرة بينهم، وأن القرآن كررها، مشيرًا بذلك لأن القرآن أخذ قصصه والعديد من موضوعاته من كتاب النصارى المقدس، بل وصرح بذلك، بالإضافة لأسلوبه الذي تكلمت عنه -عند عرض منهجه في نشر ديوان أبي العتاهية- من الخلط وتلفيق الوقائع والأدلة.

وقد أثار الكتاب انتقادات عديدة حاول أن يعتذر عنها ناشر الكتاب نفسه، وهي دار المشرق التابعة لليسوعيين.

وسأعرض -لاحقًا إن شاء الله- للشبهة التي ادعاها لويس شيخو، ونقلها عن عدد من المستشرقين حول علاقة قصص القرآن بالتوراة الحالية لدى اليهود وكتاب النصارى المقدس.

وأكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة القليلة الدالة على أسلوب لويس شيخو في الخلط وتلفيق الوقائع:

-كتب لويس شيخو عن قبائل العرب المتنصرة، فذكر منها مثلًا:

- الأوس والخزرج، وزعم نصرانيتهم، فتأمل، فقال: "أما دين الأوس والخزرج وبقية القبائل غير اليهودية التي كانت في يثرب وجهاتها فيظهر أنه كل في أول أمرها الشرك وأنها كانت تعبد المناة كما روى الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص434 من طبعة لندن) لكنها عدلت بعد ذلك إلى النصرانية، ولنا على الأمر أدلة نرويها هنا عن مصادر موثوق بها"[29].

ثم جاء بكلام من هنا وهناك لا يفيد شيئًا[30]، وتناسى تمامًا أن الأوس والخزرج التقوا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- عدة مرات في المواسم، حتى بايعوه بإرادتهم واختيارهم، وأنهم كانوا من معاشرتهم لليهود يعلمون أن نبيًا على وشك الظهور.

---

24 أبو العتاهية أشعاره وأخباره- المقدمة ص: 13 و14.

25 الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ج: 1 ص: 31.

26 الجواب الصحيح بتحقيق: علي بن حسن بن ناصر وعبد العزيز إبراهيم العسكر وحمدان بن محمد الحمدان، ج: 1 ص: 30.

27 منها ثلاث رسائل لباحثين نالوا عنها درجة الدكتوراه من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وهم المشايخ: علي بن حسن بن ناصر وعبد العزيز إبراهيم العسكر وحمدان بن محمد الحمدان.

28 مثل رسالة الأستاذة مريم الزامل بعنوان (موقف ابن تيمية من النصارى) التي حصلت بها على درجة الدكتوراه من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

29 النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ج: 2 ص: 114 وما بعدها.

30 أورد هنا كلام لويس شيخو، حتى لا أتهم بأني قد كتمته، وحتى تتبين مصداقية وموثوقية أدلته، التي وصفها بأنها من مصادر موثوقة. قال لويس شيخو:

ذكر ابن هشام رحمه الله:

"قال ابن إسحاق: فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه، وانجاز موعده له، خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الانصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينا هو عند العقبة لقي رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرًا.

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لهم: "من أنتم؟". قالوا: نفر من الخزرج. قال: "أمن موالي يهود". قالوا: نعم. قال: "أفلا تجلسون أكلمكم؟". قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شئ قالوا لهم إن نبيًا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما كلم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أولئك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

"قد رأيت في أول هذا الباب أن دعاة الدين المسيحي دخلوا بلاد الحجاز منذ قرون النصرانية الأولى بل روى أول مؤرخي الإسلام أبو جرير تقليداً عن أهل المدينة ذكروا فيه وجود قبر لأحد رسل السيد المسيح في جبل العقيق لمجاور لبلدهم (راجع ص107).

ومن الأدلة على نصرانية عرب المدينة أن الأوس والخزرج ينتسبون إلى الحارث ابن ثعلبة فيرتقي نسبهم إلى بني غسان، ونصرانية غسان ثابتة لا يشك فيها إلا من كابر الحق كما رأيت، أفليس من الصواب أن يقال إن الأوس والخزرج دانو بديانة غسان، وزد على ذلك أن أبا جبيل الغساني ملك الشام المعروف بنصرانيته ما كان لينصر الأوس والخزرج على يهود المدينة كما مر بك لولا علمه أنهم يدينون بدينه.

ولنا على ذلك برهان آخر أقرب وأدل وهو الاسم المطلق على أهل مدينة يثرب الذين كانوا يدعون بأهل الكتاب، قال الشهرستاني في الملل والنحل (ص162 من طبعة لندن): "الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم أهل الكتاب والأميون والأمي من لا يعرف الكتابة فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والأميون بمكة".

أقول: عبارة الشهرستاني بعد هذا، والتي لم ينقلها لويس شيخو: "وأهل الكتاب: كانوا ينصرون دين الأسباط ويذهبون مذهب بني إسرائيل، والأميون: كانوا ينصرون دين القبائل ويذهبون مذهب بنى إسماعيل". [الملل والنحل للشهرستاني ج: 2 ص: 228].

أي أن من يعنيهم الشهرستاني بالمدينة هم اليهود. بغض النظر عن قيمة الاستدلال بكلام الشهرستاني.

ثم يقول لويس شيخو:

"فينتج عن قوله هذا أن أهل المدينة كانوا منقسمين قسمين قسم يهودي كقريظة والنضير وقسم نصراني وهم عرب الأوس والخزرج وقضاعة، الذين كانوا يسكنون المدينة، بل ربما غلب اسم أهل الكتاب على النصارى كما أفاد القسطلاني، ويؤيد ذلك أن أحد زعماء الأوس يوم مهاجرة محمد إلى المدينة كان يدعي "أبا عامر الراهب" وفي اسمه دليل على دينه، فهذا حارب محمداً وأنصاره في أحد ثم خرج مع آله إلى ثقيف وهو الذي سماه رسول الإسلام بالفاسق.

وجاء في التقويم القديم للكنيسة الكلدانية الذي نشره الخوري بطرس عزيز سنة 1909 (ص8) أن النساطرة "أقاموا مطروبوليطاً في يثرب، وأنه كان فيها ثلاث كنائس على اسم إبراهيم الخليل وأيوب الصديق وموسى الكليم" وهي رواية وجدناها في تقويم آخر مخطوط لأحد أهل الموصل والله أعلم بصحتها.

على أن وجود النصارى في المدينة قبل الإسلام وفي أوائل ظهوره لمن الأمور التي لا يمكن نكرانها، لأن النصارى كانوا بلغوا أقاصي تخوم العرب فما قولك بالبلاد المجاورة لممالك الروم، وهذا ما أقر به المستشرقون في كتبهم الحديثة، قال أحد أئمتهم فلهاوزن: "انَّ محمداً وجد الطريق ممهدة في المدينة بواسطة اليهودية والنصرانية لأن هناك كان يهود كثيرون ثم لوقوع المدينة على حدود الرومان واليونان وتحت نفوذ النصارى الآراميين". ومثله قال هوتويغ درنبورغ الموسوي من أساتذة اللغات الشرقية في باريس المتوفى سنة 1910: "كان للنصرانية تبعة متعددون في جزيرة العرب فكانت مالكة على شمالها بدولتي الحيرة وغسان وعلى وسطها في المدينة وعلى جنوبها بأسقفيات اليمن".

وبقي النصارى في يثرب حتى بعد وفاة نبي الإسلام كما يدل عليه قول حسان ابن ثابت في داليته التي رثى بها محمداً (طبعة ليدن Hischfeld,p.59):

فرحت نصارى يثرب ويهودها   لما توارى في الضريح الملحدِ

ولعل النصارى واليهود بقوا في المدينة إلى عهد عمر بن الخطاب الذي أخرج الفريقين من جزيرة العرب استناداً إلى ما روى في الحديث: "لأخرجن النصارى واليهود من جزيرة العرب".

ولما أراد الوليد بن عبد الملك سنة 88هـ (707 م) أن يجدد عمارة المسجد الكبير المعروف بمسجد النبي في المدينة كان بناته من نصارى الروم والقبط كما روى المؤرخون، وأخبر الطبري (2: 117): "أن ملك الروم بعث إليه بمائة عامل ومائة ألف مثقال ذهب وأربعين حملاً من الفسيفساء فبنوا المسجد وجعلوا طوله مائتي ذراع" وقبل أن بعض المدنيين لم يستحسنوا العمل إذ رأوه شبيهاً بكنيسة". [النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ج: 1 ص: 114 إلى 116].

أقول: هل يمكن الاستدلال -على طريقة لويس شيخو- بهذا الخبر على أن ملك الروم كان مسلمًا؟

ثم انصرفوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا"[31].

فانظر لحوارهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف أنهم أجابوا بأنهم موال لليهود، ولم يقولوا أنهم نصارى، وأنهم كانوا أهل شرك وأصحاب أوثان، وكيف أنهم كانوا يعلمون أنه النبي المنتظر، ولذا بادروا إلى قبول الإسلام.

ثم كيف يذهب النصارى للحج لمكة؟ وهل في دين النصارى الحج لمكة؟

وقد دخل الإسلام المدينة بالدعوة، وكان فيها اليهود، وكانت لهم قراهم وقلاعهم وحصونهم وقبائلهم وبيعهم وبيت مدراسهم، وقد عقد النبي -صلى الله عليه وسلم- معهم عقدًا، ولكن لم يكن بها لا كنيسة ولا صليب، ولا نصارى إلا ما يروى عن أبي عامر الراهب أنه خرج إلى قيصر، وتنصر، ووعدهم قيصر أنه سيأتيهم[32].

ولم يكن نصرانيًا، وإنما كان على الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام، فأدخل فيها ما ليس منها، ثم لحق بقيصر وتنصر، وأسر ذلك، ولم يعلنه[33].

المقصد أن لويس شيخو حاول أن يجعل الأوس والخزرج نصارى، مع أنهم هم الذين قبلوا دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- طواعية، مع علمهم بأن العرب ستستهدفهم، وترميهم عن قوس واحدة، ولكنهم -إيثارًا لما عند الله سبحانه- بايعوا نبيه -صلى الله عليه وسلم- على النصرة والحماية، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأهلهم، وكانوا كتيبة الإسلام وجنده، وأثنى عليهم القرآن في أكثر من موضع، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. ولكن لويس شيخو يريد أن يقنع الناس بغير ذلك.

- شيبان

زعم لويس شيخو نصرانية شيبان، وبذل جهده في هذا، ولكن لم يدرك مقصده حيث قال: ""شيبان" حي من بكر بن وائل، وقال في التاج (1: 328): "هما شيبانان أحدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة الخ.. وهما قبيلتان عظيمتان على بطون وأفخاذ" ونصرانية القبيلتين شائعة كنصرانية جذرهما بكر بن وائل، وكان مقام بني شيبان في بلاد الجزيرة المعروفة بديار بكر قريباً من دجلة حيث انتشرت النصرانية انتشاراً تاماً، وبنو شيبان يعرفون غالباً ببني ثعلبة في تواريخ الروم والسريان (راجع ما قلناه عن ثعلبة)"[34].

والثابت تاريخيًا أن شيبان لم يكن أغلبهم نصارى، بل إن رؤوسهم وأهل الزعامة فيهم كان أغلبهم مشركين، ولذا قابلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- في موسم الحج بمكة، وتباحث معهم في أمر الإسلام، فاستحسنوه، ثم طلبوا مهلة، وأحسن النبي -صلى الله عليه وسلم- جوابهم، ثم أنهم أسلموا بعد ذلك.

ذكر الإمام ابن كثير -رحمه الله- في (البداية والنهاية):

"عن ابن عباس: حدثني علي بن أبي طالب قال: لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه، وأبو بكر إلى منى، حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر -رضي الله عنه- فسلم، وكان أبو بكر مقدمًا في كل خير، وكان رجلًا نسابة، فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة.

....

---

31 سيرة ابن هشام ج: 1ص: 428 و429.

32 تفسير القرطبي- سورة التوبة- الآية: 107 ج: 10 ص: 370.

33 ذكر الإمام القرطبي عن سعيد بن المسيب -رحمها الله- أن آية ﴿وَإِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾: "نزلت في أبي عامر بن صيفي، وكان يلبس المسوح في الجاهلية، فكفر بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وذلك أنه دخل على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المدينة فقال: يا محمد، ما هذا الذي جئت به؟ قال: "جئت بالحنيفية دين إبراهيم". قال: فإني عليها. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لست عليها لأنك أدخلت فيها ما ليس منها". فقال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريدًا وحيدًا. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نعم أمات الله الكاذب منا كذلك". وإنما قال هذا يعرض برسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حيث خرج من مكة. فخرج أبو عامر إلى الشام ومر إلى قيصر وكتب إلى المنافقين: استعدوا فإني آتيكم من عند قيصر بجند لنخرج محمدًا من المدينة، فمات بالشام وحيدًا. وفية نزل:" ﴿وَإِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾". تفسير القرطبي- سورة الأعراف- آية: 175 ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ...﴾ ج: 9 ص: 384.

34 النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ج: 2 ص: 131 و132.

قال: ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات، فتقدم أبو بكر فسلم -قال علي وكان أبو بكر مقدمًا في كل خير- فقال لهم أبو بكر: ممن القوم؟ قالوا: من بني شيبان بن ثعلبة، فالتفت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: بأبي أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عز في قومهم، وفي رواية: ليس وراء هؤلاء غرر من قومهم، وهؤلاء غرر الناس.

وكان في القوم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك.

وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانًا ولسانًا، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره.

فكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر، فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال له: إنا لنزيد على ألف، ولن تغلب ألف من قلة. فقال له: فكيف المنعة فيكم؟ فقال: علينا الجهد ولكل قوم جد. فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا أشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرة ويديل علينا مرة، لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو هذا. فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك. ثم التفت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجلس، وقام أبو بكر يظله بثوبه، فقال صلى الله عليه وسلم: "أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وأن تؤووني وتنصروني، حتى أؤدي عن الله الذي أمرني به، فإن قريشًا قد تظاهرت على أمر الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد". قال له: وإلى ما تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 151]. فقال له مفروق: وإلى ما تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه. فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]. فقال له مفروق: دعوت والله يا قرشي إلى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال، ولقد أُفِكَ قوم كذبوك وظاهروا عليك. وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة، فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال له هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وصدقت قولك، وإني أرى إن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك -لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، لم نتفكر في أمرك، وننظر في عاقبة ما تدعو إليه- زلة في الرأي، وطيشة في العقل، وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قومًا نكره أن نعقد عليهم عقدًا، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر. وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلمت به، والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة، وتركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا، وإنا إنما نزلنا بين صِيرين؛ أحدهما اليمامة، والآخر السَّمامة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما هذان الصيران؟". فقال له: أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثًا، ولا نؤوي محدثًا، ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول، فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب فعلنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق، إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه".

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيرًا حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟" فقال له النعمان بن شريك: اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش. فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾. [الأحزاب: 45]"[35].

---

35 البداية والنهاية ج: 4 ص: 352 إلى 359. وذكر الحديث الحافظ ابن حجر في (فتح الباري)، وقال عنه: "وقد أخرج الحاكم وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل بإسناد حسن عن ابن عباس ...". [فتح الباري- باب وفود الأنصار إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بمكة وبيعة العقبة ج: 7 ص: 220].

فهل يحج النصارى لمكة؟ ثم أين نصرانية زعمائهم وأشرافهم في حوارهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وطلبهم منه المهلة في قبول الإسلام، وعرضهم عليه المنعة فيما يلي بلاد العرب.

ولقد أسلمت شيبان طواعية بعد ذلك، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

- كندة

قال لويس شيخو عن نصرانية كندة: "سبق الكلام عن كندة ونصرانية أهلها في أثناء كلامنا عن النصرانية في الحجاز ونجد، وقد روى ابن هشام عن ابن إسحاق في سيرة الرسول ثباتهم على دينهم بعد ظهور نبي المسلمين قال (ص282): "أتى (النبي) كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه"[36].

وكعادته لم يذكر لويس شيخو هنا نصف الخبر، وهو أن هذا العرض كان في موسم الحج، فهل تحج النصارى للكعبة مثل بقية المشركين؟

أضف إلى ذلك أن لويس شيخو لم يذكر تفاصيل المداولة التي كانت بين كندة وبين النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنها تكشف عن عدم نصرانيتهم.

ذكر الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في البداية والنهاية:

"وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الأجلح، ويحيى بن سعيد الأموي، كلاهما عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن العباس قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا أرى لي عندك ولا عند أخيك منعة فهل أنت مخرجي إلى السوق غدًا حتى تعرفني منازل قبائل الناس؟". وكانت مجمع العرب. قال فقلت: هذه كندة ولفها، وهي أفضل من يحج البيت من اليمن، وهذه منازل بكر بن وائل، وهذه منازل بني عامر بن صعصعة، فاختر لنفسك؟ قال: فبدأ بكندة، فأتاهم فقال: "ممن القوم؟". قالوا: من أهل اليمن. قال: "من أي اليمن؟". قالوا: من كندة. قال: "من أي كندة؟". قالوا: من بني عمرو بن معاوية. قال: "هل لكم إلى خير؟". قالوا: وما هو؟ قال: " تشهدون أن لا إله إلا الله، وتقيمون الصلاة، وتؤمنون بما جاء من عند الله". قال عبد الله بن الأجلح: -وحدثني أبي عن أشياخ قومه أن كندة قالت له-: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الملك لله يجعله حيث يشاء". فقالوا: لا حاجة لنا فيما جئتنا به.

وقال الكلبي فقالوا: أجئتنا لتصدنا عن آلهتنا وننابذ العرب، الحق بقومك فلا حاجة لنا بك[37].

فيستفاد من هذا أن كندة كانت تحج البيت كسائر مشركي العرب، وأن سبب رفضهم للإسلام هو اشتراطهم أن يكون الملك لهم من بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وأنهم قالوا له: أجئتنا لتصدنا عن آلهتنا؟ أي أنهم كانوا مشركين.

ويؤكد هذا أيضًا ما ذكره الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله:

"عن ابن رومان وعبد الله بن أبي بكر وغيرهما قالوا: جاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كندة في منازلهم بعكاظ، فلم يأت حيًا من العرب كان ألين منهم، فلما رأى لينهم وقوة جبهم له، جعل يكلمهم ويقول: "أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له، وأن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، فإن أظهر فأنتم بالخيار". فقال عامتهم: ما أحسن هذا القول، ولكنا نعبد ما كان يعبد آباؤنا. قال أصغر القوم: يا قوم اسبقوا إلى هذا الرجل قبل أن تُسبقوا إليه، فوالله إن أهل الكتاب ليحدثون أن نبيًا يخرج من الحرم قد أظل زمانه. وكان في القوم إنسان أعور فقال : أمسكوا علي، أخرجته عشيرته وتؤوونه أنتم؟ تحملون حرب العرب قاطبة؟ لا ثم لا. فانصرف عنهم حزينًا، فانصرف القوم إلى قومهم فخبروهم، فقال رجل من اليهود: والله إنكم مخطئون بخطئكم، لو سبقتم إلى هذا الرجل لسدتم العرب، ونحن نجد صفته في كتابنا, فوصفه القوم الذين رأوه، كل ذلك يصدقونه بما يصف من صفته، ثم قال: نجد مخرجه بمكة، ودار هجرته يثرب. فأجمع القوم ليوافوه في الموسم القابل، فحبسهم سيد لهم عن حج تلك السنة، فلم يواف أحدًا منهم، فمات اليهودي، فسُمع عند موته يصدق بمحمد -صلى الله عليه وسلم- ويؤمن به"[38].

---

36 النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ج: 2 ص: 139.

37 البداية والنهاية ج: 4 ص: 348 و349.

38 دلائل النبوة لأبي نعيم- خبر رقم: 222 ص: 297.

فهذا يدل على أنهم كانوا مشركين، ولم يكونوا نصارى.

ثم قدم وفد كندة -بعد ذلك- على حضرة النبي -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة مسلمين في وفد عظيم.

قال ابن إسحاق رحمه الله:

"وقدم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأشعث بن قيس، في وفد كندة، فحدثني الزهري أنه قدم في ثمانين راكبًا من كندة، فدخلوا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مسجده قد رجلوا جممهم وتكحلوا عليهم جبب الحبرة، قد كففوها بالحرير، فلما دخلوا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لهم: "ألم تسلموا؟". قالوا: بلى. قال: "فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟". قال: فشقوه منها فألقوه"[39].

ثم أراد لويس شيخو أن يأتي بدليل، هو في حد ذاته يحتاج لدليل، وهو ما يسمى بـ(كتاب عبد المسيح الكندي إلى عبد الله الهاشمي).

وفيه يفتخر عبد المسيح بآبائه من نصارى كندة، حيث نقل عنه لويس شيخو: "ولسنا نحب أن نفتخر بما لنا من السبق والنسق في العربية وشرف الآباء فيها إذا كان ذلك معروفاً غير مجهول لأبائنا غير مجهول لأبائنا وأجدادنا، فقد علم كل ذي علم ولب كيف كانت ملوك كندة الذي هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب لكننا نقول ما قاله رسول الحق بولس: ألا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح، فإنه غاية الفخر والشرف. فليس لنا اليوم فخر نفتخر به إلا دين النصرانية الذي هو المعرفة بالله، وبه نهتدي إلى العمل الصالح ..."[40].

وقصة هذا الكتاب المجهول المؤلف باختصار، أن النصارى أظهروا -في القرن السادس الهجري الموافق للقرن الثاني عشر الميلادي- رسالة، زعموا أنها مراسلة بين شخصين يعملان في بلاط الخليفة المأمون، أحدهما مسلم ويدعى عبد الله الهاشمي، والآخر نصراني ويدعى عبد المسيح الكندي، وفي هذه المراسلة يدعو من يزعمونه مسلمًا من يزعمونه عبد المسيح للإسلام، فيجيبه عبد المسيح برسالة يهاجم فيه الإسلام ويستدل على ذلك بالآيات القرانية، وقد احتفى النصارى بها، ونشروها بين المستشرقين كنموذج لمجادلة المسلمين، وطبعت في لندن عام 1880م ثم عام 1885م، كما نشرت بالقاهرة عام 1912م.

ولا يعلم في التاريخ شخصان بهذين الاسمين، ويزعم لويس شيخو أن الرسالة حقيقية بدليل أن البيروني ذكرها في كتاب (الآثار الباقية)[41]، ولكن عددًا من الباحثين رأوها مختلقة، ونسبوها للرهبان السريان[42]، أو للطبيب والفيلسوف النصراني يحيى بن عدي المتوف سنة 364هـ- 975م[43]، ونسبت أيضًا ليهودي تنصر ووضع كتابه هذا للطعن في الإسلام تزلفاً للمحتلين الإسبان[44].

ورب ضارة نافعة، فقد ردَّ على هذه الرسالة العلامة خير الدين أبو البركات نعمان الألوسي[45] في كتابه: "الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح"[46]، فأتى في كتابه على بنيان رسالة الكندي من القواعد، ولم يبق له شبهة إلا ودحضها، وقلبها عليه مستدلًا عليه بأدلة عديدة، منها نصوص كتابهم المقدس، وأقوال رجال دينهم.

---

39 السيرة النبوية لابن إسحاق ص: 655 و656.

40 النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ج: 2 ص: 123.

41 النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ج: 2 ص: 123.

42 ذكر ذلك الأستاذ البكري في مقال له في العدد الأول من مجلة كلية الآداب سنة 1947م. [بين الإسلام والمسيحية- رسالة أبي عبيدة الخزرجي، تحقيق وتقديم وتعليق: محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة ص: 43].

43 كما ذكر ذلك الدكتور ربيع بن محمد بن علي [الغارة على العالم الإسلامي وصدام الحضارات ص: 67 وما بعدها].

44 تاريخ ترجمة المستشرقين لمعاني القرآن الكريم وبيان خطرها ص: 13، نقلها عن: مجلة النور عدد: 89، والإسلام في أبحاث الإستشراق الإسباني ج: 1ص: 146-147.

45 توفي في عام 1317هـ، وهو ابن الإمام الألوسي مفسر القرآن رحمهما الله. ولم يترجم لويس شيخو في (تاريخ الآداب العربية) للسيد أبي البركات نعمان الآلوسي، مع أنه ترجم لأبيه ولإخوانه رحمهم الله، ومع أنه ذكر اسمه مرتين في الكتاب عرضًا، ولعله لم يترجم له حتى لا يذكر أنه من رد على كتاب المدعو عبد المسيح الكندي.

46 طبع في لاهور سنة 1306 هـ، ثم طبع في القاهرة في عام 1408هـ- 1987م، بتحقيق وتعليق الشيخ أحمد حجازي السقا.

وحقق الكتاب وعلق عليه، وقدم له الشيخ أحمد حجازي السقا بمقدمة ضافية، وذكر فيها نصائح لأساليب جدال النصارى واليهود[47].

---

47 تنبيه حول رأي الشيخ أحمد حجازي السقا في عقيدة الأرثوذكس، وأنهم -كما كتب- موحدون، وليسوا مثلثين، وإنما كفروا بقولهم بتجسد الإله في سيدنا عيسى عليه السلام.

بداية أود أن أكرر التأكيد على أن هذا المبحث معني ببيان تحريف الكتاب المقدس لدى النصارى كمدخل لبيان الفساد السياسي، الذي أدى لنشوء الدولة الوطنية الحديثة، كمقدمة لبيان الفرق بين الدولة في الشريعة الإسلامية وبين الدولة الوطنية الحديثة.

ولكني أرى أنه قد يكون من المفيد أن أشير هنا -بإيجاز شديد- لما ذكره الشيخ الدكتور أحمد حجازي السقا عن النصارى الأرثوذكس، وأنهم موحدون غير مثلثين، وإنما كفروا من جهة اعتقادهم تجسد المولى -سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا- في المسيح عليه السلام.

ولا بد -قبل الشروع في هذه الملاحظة الموجزة- أن أؤكد على أن فضيلة الشيخ الدكتور أحمد حجازي السقا -رحمه الله وجزاه خير الجزاء حيًا وميتًا، فإني لا علم لي بذلك- يعد علَّامة ومرجعًا متميزًا في معرفة عقائد أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وله فضل كبير في الرد عليهم وبيان ما في عقائدهم من أباطيل، وذلك فيما اطلعت عليه من كتاباته العديدة، ولا أزعم أني أحطت بها جميعًا.

ولكني أرى أن ما قاله عن الأرثوذكس؛ أنهم موحدون غير مثلثين، يحتاج لوقفة.

1- وأذكر أولًا نصوص كلامه:

كتب فضيلته في مقدمته لكتاب (الجواب الفسيح فيما لفقه عبد المسيح)، وهو يبين الأسلوب العلمي الذي يجب أن ينهجه ناقد عقيدة النصارى:

"رابعًا: يبين الناقد عقيدة الكاثوليك على حدة، ويشرحها شرحًا وافيًا، ثم يبين عقيدة الأرثوذكس على حدة، ويشرحها شرحًا وافيًا، ثم ينقد كل مذهب على حدة.

فالكاثوليك والبروتستانت المنشقين عنهم يعتقدون أن أقنوم الآب هو غير أقنوم الابن، وهما غير أقنوم الروح القدس، وأن كل إله مستقل، وهذا الاعتقاد باطل بما روي في التوراة والإنجيل من الله واحد.

....

والأرثوذكس يعتقدون أن الله رب العالمين هو الذي انقلب إلى إنسان، كما انقلب جبرائيل -عليه السلام- في صورة دحية الكلبي. فهم لا يعتقدون بثلاثة آلهة، بل بإله واحد. وهم ليسوا مثلثين، وإنما هم موحدون. والفرق بينهم وبين اليهود الموحدين والمسلمين الموحدين هو أنهم قالوا: إن الله تجسد في المسيح، أي أن الله هو المسيح، أي أن المسيح هو الله رب العالمين. واليهود والمسلمون يقولون: إن عيسى هو عبد من عباد الله، وليس هو الله، قد حل في المسيح. واعتقاد الأرثوذكس باطل بما روي في التوراة والإنجيل من أن الله ليس كمثله شيء". [الجواب الفسيح ص: 10 و11].

وكتب فضيلته أيضًا في كتاب (اللقاء بين الإسلام والنصرانية) عن الأرثوذكس:

"إن الله قبل تجسده يلقب بأقنوم الآب، وبعد تجسده يلقب بأقنوم الابن، وبعد صعوده إلى السماء يلقب بالروح القدس، الذي هو لقب للمعزي. فالآقانيم -على مذهبهم مراحل للإله الواحد، وهو الله رب العالمين. وهي -على مذهب الكاثوليك- ذوات متميزة، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ﴾ أي ثلاث مراحل، أو ثلاث ذوات متميزة".

ثم ينقل عن الأنبا غريغوريوس الأرثوذكسي القبطي قوله:

"وعلى ذلك فإيمان المسيحيين بالتثليث لا يتعارض مع إيمانهم بالتوحيد، لأن التثليث ليس تثليث ذوات، لكنه تثليث أقانيم، والأقانيم صفات، وخاصيات في الإله الواحد، ولكنها صفات وخاصيات ذاتية، وليس مجرد صفات نسبية، والصفات والخاصيات الذاتية ما تقوم به الذات".

ثم علق في الهامش، بأنهم يضربون لتلك الصفات بمثل هو: "الكرسي مكون من خشب ومسامير، فالخشب والمسامير ذاتيان ملازمان للكرسي، أما لونه أحمر أو أبيض فإنه نسبي. أي يعرض ويزول، وليس زواله كزوال الخشب والمسامير".

ثم كتب بعد ذلك بأسطر:

"وأقانيم الأرثوذكس تعرف بأقانيم التجسد، وأقانيم الكاثوليك والبروتستانت تعرف بأقانيم التعدد". [اللقاء بين الإسلام والنصرانية ص: 11 إلى 14].

2- والذي أراه أن كبرى طوائف النصارى المعاصرين: الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت مثلثون مشركون، وذلك ثابت عقلًا بتناقضهم، ثم قبل ذلك فهذا هو ما حكم به عليهم القرآن الكريم.

أ- أما عن حكم القرآن فيهم:

(1) فقد أثبت لهم القرآن صفة الشرك، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة المائدة، آية: 72].

وطوائف النصارى الثلاث الكبرى المعاصرة (الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت) يزعمون أن الله تجسد في المسيح عليه السلام، إلا أعدادًا شذت عن الغالبية العظمى منهم، بينما يحكي القرآن عن المسيح عليه السلام، أنه كان ينهاهم عن ذلك، ويبين لهم أن هذا شرك.

بل هم يفتخرون بهذا الشرك، فقد نقل الشيخ أحمد حجازي السقا عن الأنبا غريغوريوس الأرثوذكسي المصري أنه كتب أنهم: "سعداء بقول القرآن: ﴿لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ هذه عقيدتنا ونحن سعداء بها، ونحن لا نغضب أن يقال عنا من جانب الذين لا يعرفون المسيح على حقيقته: إننا كفار". [اللقاء بين الإسلام والنصرانية ص: 14 و15].

(2) وأثبت لهم القرآن الكريم حكم الشرك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة: التوبة، آية: 30 و31].

فأثبت القرآن حكم الشرك لمن يتخذ المسيح -عليه السلام- ربًا.

لأن الذي يزعم أن مخلوقًا ما هو الله سبحانه قد ارتكب جريمتين:

الأولى: الكذب على الله.

والثانية: أنه أشرك هذا المخلوق في الصفات التي يتفرد بها الله سبحانه، فقد اتخذ إلهًا زائفًا ثانيًا. حتى وإن زعم أنه موحد.

فالذي يزعم أن الله هو هذا النبي، أو هذا الملك، أو هذا الكاهن، أو هذا الحيوان، أو هذا الصنم، أو هذا الخبز الذي يأكله النصارى في قربانهم، ويزعمون أن الله تحته أو فيه أو معه، قائل هذا هو مشرك بلا جدال، ولا يمكن أن يكون موحدًا.

ومثلهم كفار القوميين العرب، تلاميذ ميشيل عفلق، تلميذ المنصرين دعاة القومية مترجمي الإنجيل، الذي قال قائلهم:

آمنت بالبعث ربًا لا شريك له   وبالعروبة دينًا ما له ثان

(3) وكذلك حكم عليهم القرآن بالشرك حيث قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة، آيه: 73]، وقال عز من قائل:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [سورة النساء، آيه: 171].

فبين سبحانه أن الذي يقول أن الله ثلاثة لا يقول بأن الله واحد، والذي لا يقول بأن الله واحد مشرك مثلث، أيًا كان تفسيره لهذا التثليث: تثليث تعدد أو تثليث تجسد أو غير ذلك.

وكتب الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير هذه الآية:

"وَلَا تَقُولُوا: الْآلِهَةُ ثَلَاثَةٌ: الْآبُ وَالِابْنُ وَرُوحُ الْقُدُسِ، أَوْ: اللهُ ثَلَاثَةُ أَقَانِيمَ كُلٌّ مِنْهَا عَيْنُ الْآخَرِ، فَكُلٌّ مِنْهَا إِلَهٌ كَامِلٌ، وَمَجْمُوعُهَا إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَتُسَفِّهُوا أَنْفُسَكُمْ بِتَرْكِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ الَّذِي هُوَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالْقَوْلِ بِالتَّثْلِيثِ الَّذِي هُوَ عَقِيدَةُ الْوَثَنِيِّينَ الطَّغَامِ، ثُمَّ تَدَّعُوا الْجَمْعَ بَيْنَ التَّثْلِيثِ الْحَقِيقِيِّ وَالتَّوْحِيدِ الْحَقِيقِيِّ، وَهُوَ تَنَاقُضٌ تُحِيلُهُ الْعُقُولُ وَلَا تَقْبَلُهُ الْأَفْهَامُ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ .

....

﴿إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لَيْسَ لَهُ أَجْزَاءٌ وَلَا أَقَانِيمُ، وَلَا هُوَ مُرَكَّبٌ وَلَا مُتَّحِدٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أَيْ تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ كَمَا تَقُولُونَ فِي الْمَسِيحِ إِنَّهُ ابْنُهُ وَإِنَّهُ هُوَ عَيْنُهُ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ لَهُ جِنْسٌ فَيَكُونَ لَهُ مِنْهُ زَوْجٌ يَقْتَرِنُ بِهَا فَتَلِدُ لَهُ ابْنًا، وَالنُّكْتَةُ فِي اخْتِيَارِ لَفْظِ الْوَلَدِ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، عَلَى لَفْظِ الِابْنِ الَّذِي يُعَبِّرُونَ بِهِ، هِيَ بَيَانُ أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا يُرِيدُونَ الِابْنَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي يُفْهَمُ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ وَلَدًا، أَيْ مَوْلُودًا مِنْ تَلْقِيحِ أَبِيهِ لِأُمِّهِ، وَهَذَا مُحَالٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَإِنْ أَرَادُوا أَنَّهُ ابْنٌ مَجَازًا لَا حَقِيقَةً كَمَا أُطْلِقَ فِي كُتُبِ الْعَهْدِ الْعَتِيقِ وَالْعَهْدِ الْجَدِيدِ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَدَاوُدَ وَعَلَى صَانِعِي السَّلَامِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَخْيَارِ، فَلَا يَكُونُ لَهُ دَخْلٌ فِي الْأُلُوهِيَّةِ، وَلَا يُعَدُّ مِنْ بَابِ الْخُصُوصِيَّةِ". [تفسير المنار ج: 6 ص: 86 و87].

***

ب- فأما تناقضهم عقلًا:

(1) فلأنهم في قانون إيمانهم -الذي يتفق فيه أغلب النصارى المعاصرين- يقرون بأن المسيح عليه السلام (إله حق من إله حق) فكيف يكون صفة لله؟

ذكر الدكتور القس حنا جرجس الخضري نص قانون الايمان الذي نشأ في مجمع نيقية 325م، ثم تعدل في مجمع القسطنطينية 381م:

"نؤمن بإله واحد ، آب ضابط الكل. خالق السماء والأرض ، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور ، نور من نور. إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء ، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر ، وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب ، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب وأيضا يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه ، وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد ، الناطق بالأنبياء ، وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية ، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا . ونترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر العنيد . آمين ....". [تاريخ الفكر المسيحي مج: 1ج: 4 ف: 14 ص: 665 و666].

فمن هو الإله من الإله؟ إنه شريك لله، هذا شرك، واعتقاد بتعدد الآلهة، ولا يمكن أن يكون صفة لإله، بل هو إله آخر.

فهم في عقيدتهم لم يقولوا صفة انبثقت من الله، بل قالوا: إله من إله. هذه واحدة.

(2) أما الثانية: فإن قولهم: إن الأقانيم صفات ذاتية لا تقوم الذات إلا بها، قول باطل، فالصفات لا تعبد من دون الله. وقد رد عليهم الإمام ابن تيمية -رحمه الله- في (الجواب الصحيح) بتفصيل مسهب، وأبطل لهم كل استدلالاتهم، وأبطل لهم أمثلتهم التي يضربونها لعقيدتهم. [راجع: الجواب الصحيح ج: 3 ص: 280 إلى 299].

وكان من رده عليهم رحمه الله:

"وقولهم: فالإله واحد خالق واحد رب واحد.

هو حق في نفسه، لكن قد نقضوه بقولهم في عقيدة إيمانهم: "نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد إله حق من إله حق من جوهر أبيه مساو الأب في الجوهر". فأثبتوا هنا إلهين، ثم أثبتوا روح القدس إلهًا ثالثًا، وقالو:ا إنه مسجود له. فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة، ويقولون إنما نثبت إلهًا واحدًا، وهو تناقض ظاهر وجمع بين النقيضين بين الإثبات والنفي.

ولهذا قال طائفة من العقلاء: إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى. وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين, ولهذا قال بعضهم: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولًا. وقال آخر: لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم، لقال الرجل قولًا، وامرأته قولًا آخر، وابنه قولًا ثالثًا". [الجواب الصحيح ج: 3 ص: 299].

أما مثالهم الذي ضربوه بالكرسي والمسامير فخطأ بين، لأن المسامير إذا خرجت من الكرسي، لا يقال خرج الكرسي من الكرسي، بل خرجت المسامير من الكرسي، بينما هم يزعمون أن الإله قد ولد من الإله، وليس صفة الله قد انبثقت من الله، إذن تعددت الآلهة، إذن هم مشركون مثلثون، وليسوا موحدين، حتى وإن زعموا غير ذلك.

(3) أما الثالثة: فقولهم في عقيدتهم أن الابن -ويقصدون به سيدنا عيسى عليه السلام- سيجلس على يمين الرب، ليدين الأحياء والأموات، إذن فليس هذا صفة لله، بل هو إله آخر.

(4) والرابعة: أنهم يكررون في عقيدتهم أن الابن والروح القدس يسجد لهما، وصفة الله لا يُسجد لها، ولا تُسأل الحاجات، ولا تُعبد من دون الله ولا مع الله، ولا تجلس عن يمين الله، ولا تدين الخلائق، هذا إله آخر، وليس صفة للإله.

(5) الخامسة: أن هذا الزعم المتناقض بأنهم مع تثليثهم موحدون، لا يختص به الأرثوذكس، بل الكاثوليك والبروتستانت أيضًا يدعونه، وسيأتي لنا مثال من شعر ناصيف اليازجي الكاثوليكي قريبًا إن شاء الله.

(6) السادسة: أن ما نقله فضيلة الشيخ أحمد حجازي السقا عن الأرثوذكس؛ بأن التثليث -عندهم- ثلاث مراحل متتالية للإله الواحد، فهذا ليس قولهم، بل قول سابيليوس (Sabellius) وأتباعه.

[Encyclopædia Britannica, 2015, Monarchianism.

Microsoft Encarta 2009. Christology, III. IN THE EARLY CHURCH.

وراجع أيضًا لمزيد من التفصيل: تاريخ الفكر المسيحي: مج: 1 ج: 4 ف: 10 ص: 594 إلى 599].

إلا أن يكون الشيخ قد اطلع على بعضهم على هذا القول، فمن المعروف أن النصارى متقلبون في عقيدتهم.

(7) السابعة: أن النصارى الأرثوذكس، وإن كانوا يكررون أنهم موحدون، وأن الأقانيم صفات ذاتية للرب تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، إلا أن هذا ليس كل قولهم بدقة، فهم يعتقدون أن الأقانيم ليست مجرد صفات، ولكن لها كينونة حقيقية، وعن هذا كتب الأنبا بيشوي في شرحه لعقيدة التثليث عند الأقباط الأرثوذكس: "الأقانيم تشترك معًا في جميع خواص الجوهر الإلهي الواحد وتتمايز فيما بينها بالخواص الأقنومية.

فالآب: هو الأصل أو الينبوع في الثالوث، هو أصل الجوهر وأصل الكينونة بالنسبة للأقنومين الآخرين.

والابن: هو مولود من الآب **ولكنه ليس مجرد صفة** بل أقنوم له كينونة حقيقية، وغير منفصل عن الآب، لأنه كلمة الله.

والروح القدس: هو ينبثق من الآب **ولكنه ليس مجرد صفة** بل أقنوم له كينونة حقيقية وغير منفصل عن الآب لأنه روح الله". [لاهوت عقائدي- لاهوت مقارن- حوارات مسكونية- أقوال آباء ص: 34].

إذن هي ليست مجرد صفات، ولكنها -بنص ما كتبه الأنبا بيشوي- كائنات حقيقية، إذن تعددت الكائنات الإلهية، إذن هذا شرك، وإن تناقضوا وادعوا التوحيد.

***

3- وليس من شأننا أن نصدق كل مدع في زعمه، فهم مثلثون مشركون حتى وإن زعموا أنهم موحدون.

وقد دفعهم هذا التثليث الشركي المخالف لدين الأنبياء -عليهم السلام- إلى تخبط وصراعات دموية راح ضحيتها ملايين البشر، ولا زالت موجودة حتى اليوم.

بل حتى داخل الكنيسة الأرثوذكسية المصرية، التي نقل الشيخ أحمد حجازي السقا قول الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي فيها، هذه الكنيسة فيها خلاف حول هل صلب اللاهوت والناسوت معًا، أم أن الإله (اللاهوت) فارق عيسى الإنسان (الناسوت) عند الصلب؟ وهذا هو قول الأنبا متى المسكين، الذي كان رئيس رهبان دير أبي مقار، وهو ما اعتبره البابا شنودة هرطقة وكفرًا.

وقيل إن البابا تاوضرس الثاني من تلاميذ متى المسكين، وكذلك رئيس دير أبي مقار الأنبا أبيفانيوس، الذي قتل في الدير في أغسطس عام 2018، واتهمت النيابة الراهب أشعياء المقاري -الذي وصف بأنه من مدرسة شنودة- بقتله، وذكرت التحريات أن من دوافع القتل: الاختلاف العقدي، والنزاع حول توزيع التبرعات.

***

4- وقد تسرب القول بأن من النصارى فرقة لا تقول بأن الله ثالث ثلاثة للمفسرين المتأخرين نقلًا عن مفسري القرآن المتقدمين.

والصواب -والله أعلم- أن جميع طوائف النصارى المشهورة -سواء القديمة منها: الملكانية واليعقوبية والنسطورية، أو المعاصرة: الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت- مثلثون، إلا النادر منهم.

أ- قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن الطوائف القديمة:

"فقد قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ في الموضعين، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ﴾.

فذكر الله عنهم هذه الأقوال الثلاثة، والنصارى قالت الأقوال الثلاثة.

لكن من الناس من يظن أن هذا قول طائفة منهم، وهذا قول طائفة منهم، وهذا قول طائفة منهم، وقولهم: ثالث ثلاثة. قول النسطورية وقولهم: أنه ابن الله. قول الملكانية. ومنهم من يقول قوله: أن الله هو المسيح بن مريم. قول اليعقوبية، وقولهم: والابن وروح القدس.

وظن ابن جرير الطبري أن هذه الطوائف كانوا قبل اليعقوبية والنسطورية والملكية، كما ذكره طائفة من المفسرين كابن جرير الطبري والثعلبي وغيرهما، ثم تارة يحكون عن اليعقوبية: أن عيسى هو الله، وعن النسطورية: أنه ابن الله، وعن المريوسية: أنه ثالث ثلاثة. وتارة يحكون عن النسطورية: أنه ثالث ثلاثة، وعن الملكية: أنه الله، ويفسرون قولهم ثالث ثلاثة: بالأب والابن وروح القدس.

والصواب أن هذه الأقوال جميعها قول طوائف النصارى المشهورة: الملكية واليعقوبية والنسطورية، فإن هذه الطوائف كلها تقول بالأقانيم الثلاثة الأب والابن وروح القدس، فتقول: إن الله ثالث ثلاثة، وتقول عن المسيح: إنه الله، وتقول: إنه ابن الله، وهم متفقون على اتحاد اللاهوت والناسوت، وأن المتحد هو الكلمة، وهم متفقون على عقيدة إيمانهم، التي تتضمن ذلك، وهو قولهم: "نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل خالق السماوات والأرض كل ما يرى وما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور إله حق من إله حق من إله حق مولود غير مخلوق"". [الجواب الصحيح ج: 2 ص: 10 إلى 13].

ب- وأما عن الطوائف المعاصرة:

(1) فقد كتب الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- في تفسير قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [سورة المائدة، آيه: 73]:

"أَكَّدَ تَعَالَى بِالْقَسَمِ أَيْضًا كُفْرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ الَّذِي هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، ثَالِثُ أَقَانِيمَ ثَلَاثَةٍ; وَهِيَ: الْآبُ، وَالِابْنُ، وَرُوحُ الْقُدُسِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَهَذَا قَوْلٌ كَانَ عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ النَّصَارَى قَبْلَ افْتِرَاقِ الْيَعْقُوبِيَّةِ وَالْمَلْكَانِيَّةِ وَالنُّسْطُورِيَّةِ، كَانُوا فِيمَا بَلَغَنَا يَقُولُونَ: الْإِلَهُ الْقَدِيمُ جَوْهَرٌ وَاحِدٌ يَعُمُّ ثَلَاثَةَ أَقَانِيمَ; أَبًا وَالِدًا غَيْرَ مَوْلُودٍ، وَابْنًا مَوْلُودًا غَيْرَ وَالِدٍ، وَزَوْجًا مُتَتَبِّعَةً بَيْنَهُمَا اهـ .

فكَانَ هُوَ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ يَرَوْنَ -بِحَسَبِ مَعْرِفَتِهِمْ بِحَالِ نَصَارَى زَمَنِهِمْ، وَمَا يَرْوُونَ عَمَّنْ قَبْلَهُمْ- أَنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِنَ النَّصَارَى أَنَّ إِلَهَهُمْ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ هُمْ غَيْرُ الْفِرْقَةِ الَّتِي تَقُولُ مِنْهُمْ: إِنِ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَأَنَّ ثَمَّ فِرْقَةً ثَالِثَةً تَقُولُ: إِنَّ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللهِ، وَلَيْسَ هُوَ اللهَ، وَلَا ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ، وَأَمَّا النَّصَارَى الْمُتَأَخِّرُونَ فَالَّذِي نَعْرِفُهُ مِنْهُمْ وَعَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِالثَّلَاثَةِ الْأَقَانِيمِ، وَبِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَيْنُ الْآخَرِ، فَالْآبُ عَيْنُ الِابْنِ، وَعَيْنُ رُوحِ الْقُدُسِ، وَلَمَّا كَانَ الْمَسِيحُ هُوَ الِابْنُ كَانَ عَيْنُ الْآبِ وَرُوحِ الْقُدُسِ أَيْضًا، وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنَّ بَعْضَ مُتَأَخِّرِي الْمُفَسِّرِينَ يَنْقُلُونَ أَقْوَالَ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَيُقِرُّونَهَا وَلَا يَبْحَثُونَ عَنْ حَالِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ، وَلَا يَشْرَحُونَ حَقِيقَةَ عَقِيدَتِهِمْ،

....

قَالَ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ : ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أَيْ قَالُوا هَذَا بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا بَصِيرَةٍ، وَالْحَالُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ ثَلَاثَةُ آلِهَةٍ، وَلَا اثْنَانِ، وَلَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، لَا يُوجَدُ إِلَهٌ مَا إِلَّا إِلَهٌ مُتَّصِفٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَهُوَ "اللهُ" الَّذِي لَا تَرْكِيبَ فِي ذَاتِهِ، وَلَا تَعَدُّدَ. وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ أَشَدُّ تَأْكِيدًا لِنَفْيِ تَعَدُّدِ الْإِلَهِ مِنْ عِبَارَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّ (مِنْ) بَعْدَ (مَا) تُفِيدُ اسْتِغْرَاقَ النَّفْيِ وَشُمُولَهُ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُتَعَدِّدِ وَكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهِ، فَلَيْسَ ثَمَّ تَعْدَادُ ذَوَاتٍ وَأَعْيَانٍ، وَلَا تَعَدُّدُ أَجْنَاسٍ أَوْ أَنْوَاعٍ، وَلَا تَعَدُّدَ جُزْئِيَّاتٍ أَوْ أَجْزَاءٍ، وَالنَّصَارَى قَدِ اقْتَبَسُوا عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ عَمَّنْ قَبْلَهُمْ، وَلَمْ يَفْهَمُوهَا، وَعُقَلَاؤُهُمْ يَتَمَنَّوْنَ لَوْ يَقْدِرُونَ عَلَى التَّفَصِّي مِنْهَا، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا أَنْكَرُوهَا، بَعْدَ هَذِهِ الشُّهْرَةِ تَبْطُلُ ثِقَةُ الْعَامَّةِ بِالنَّصْرَانِيَّةِ كُلِّهَا. كَمَا قَالَ أَحَدُ عُقَلَاءِ الْقُسُوسِ لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ الْعَصْرِيِّ مِنَ الشُّبَّانِ السُّورِيِّينَ". [تفسير المنار ج: 6 ص: 483 و484].

(2) وهذا الذي ذكره الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- من تبرم العديد من رجال دينهم وكتابهم ومفكريهم بعقيدة التثليث أمر منتشر، وممن ذكره جاروسلاي جان بليكن -أستاذ التاريخ بجامعة يال ورئيس الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم- في الموسوعة البريطانية تحت عنوان (تفسير [المسيح] في الإيمان والفكر الغربي)، حيث جاء فيما كتب: أن قلة من المفكرين البروتستانتيين في القرن العشرين كانوا مصرين -على التأكيد بلا نزاع- على العقيدة القديمة حول الطبيعة الثنائية للمسيح كما أكد الإصلاحيون، ولكن هناك فجوة بين اللاهوتيين المعاصرين والإصلاحيين أثرت على معظم التجمعات البروتستانتية، وبحلول القرن العشرين، كانت الفجوة بينها أوسع من التي كانت بين الإصلاحيين من البروتستانت وبين الكنيسة الكاثوليكية.

ثم تحدث عن الكتابات الوفيرة في القرن التاسع عشر حول طبيعة المسيح، وأنها في المحصلة تفصل بين المسيح الإنسان والمسيح في المعتقد الكنسي، وأنها تنظر للمسيح -عليه السلام- على أنه إنسان لديه إدراك راق لوجود وقدرة الله سبحانه، وأن عقيدة الكنيسة قد انحرفت بهذا الإدراك إلى حالة وراء طبيعية، تتصور أن المسيح هو ابن الله، وهو ما شوه بساطة رسالته.

وأن دراسات النقد الشكلي في القرن العشرين جعلت من المستحيل تصور حياة المسيح، وفقًا لسياقات التراجم القديمة له.

وأنه بمنتصف القرن العشرين بدأ اللاهوت البروتستانتي يعيد النظر في صورة المسيح كما تقدمها الكنيسة القديمة، وأن الدراسات النقدية للعهد الجديد بدأت تضع التصورات القديمة في موضع الشك، حتى لدى هؤلاء الذين ما زالوا يرددون العقيدة القديمة.

[Encyclopædia Britannica, "Jesus Christ.", The interpretation of Christ in Western faith and thought].

ومن الذين انتقدوا هذه العقيدة أيضًا القس والواعظ الأمريكي المشهور هوراسي بوشنل المتوفى في عام 1876م، والذي انتقد النظرة التقليدية للفداء الاستبدالي (أي أن موت المسيح -عليه السلام- كان هو البديل عن عقاب الإنسان على الإثم)، وتناول صعوبات اللغة في التعبير عن طبيعة الإله، وأبدى اهتمامًا خاصًا بالمجاز في أمور العقيدة وبالتعبير عن فهم مُجدٍ للتثليث.

[Encyclopædia Britannica, Bushnell, Horace.
Microsoft Encarta 2009, Horace Bushnell].

راجع أيضًا ما كتبه إرنست ويلهلم بنز [استاذ تاريخ الكنيسة في جامعة فيليبس في ماربرج بألمانيا] في الموسوعة البريطانية، ومارتين إي مارتي [الأستاذ المتقاعد بمدرسة اللاهوت بجامعة شيكاغو] في نفس الموسوعة عن الاتجاهات المناهضة للتثليث منذ آريوس وحتى العصر الحديث، مثل مدرسة [لاهوت موت الإله] التي ظهرت في منتصف الستينات في الولايات المتحدة على يد عدد من اللاهوتيين البروتستانت المشهورين، والتي رفضت أي حلول إلهي في سيدنا المسيح عليه السلام، وغيرها من الاتجاهات.

[Encyclopædia Britannica, Christianity, The Holy Trinity. Attempts to define the Trinity].

وراجع أيضًا ما كتبه أساتذة اللاهوت السبعة -ومنهم رجال دين- مؤلفو كتاب (أسطورة تجسد الأله في السيد المسيح)، حيث كتبوا في التوطئة: "ليس هناك من جديد في الفكرة الرئيسية لهذا الكتاب، ولا ندعي (الفرادة). هناك عدد متزايد من المسيحيين، من علماء اللاهوت ومن العامة، يَنْحُون في تفكيرهم نفس المنحى".
[أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح ص: 25].

كما أشير هنا للدراسات القيمة التي كتبها: الدكتور محمد علي البار في كتابه (دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية)، وكذلك لدراسة المهندس أحمد عبد الوهاب في كتابه (طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون)، وكذلك لكتاب الدكتور يوسف الكلام (تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس- هرطقات التوحيد- الموحدون بين القرن 17 والقرن 20 ص: 304 وما بعدها).

***

5- والتثليث ليس هو السبب الوحيد في كون الغالبية العظمى من النصارى المعاصرين مشركين، بل هناك أربعة أسباب أخرى ثان وثالث ورابع وخامس:

أ- فالسبب الثاني هو: ادعاؤهم أن لله -سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا- ولدًا.

ب- والثالث: عبادة أكثرهم للسيدة مريم عليها السلام.

ج- والرابع هو: تحاكمهم لرهبانهم وأحبارهم، الذين حرموا لهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام.

د- والخامس هو: ادعاء أكثرهم أن المسيح (الإله) يتجسد في خبز وخمر القربان المقدس، وأنهم يأكلون لحم المسيح (الإله)، ويشربون دمه بأكلهم للخبز وشربهم للخمر، وسأؤجل التفصيل في ذلك إلى مبحث خلاف كنيسة بولس مع الكنيسة الأولى في الشرائع إن شاء الله.

***

أ- فأما السبب الثاني لكون الأرثوذكس وغالبية النصارى المعاصرين مشركين، فهو ادعاؤهم أن لله ولدًا، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، وقد حكم القرآن الكريم على معتنق هذه العقيدة بالشرك.

يقول الحق سبحانه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101) ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الأنعام، الآيات: 100 إلى 102].

كتب الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- في تفسير هذه الآيات:

"﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ الْخُطَّابُ لِلْمُشْرِكِينَ الْمَحْجُوجِينَ أَوْ لِجَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ، وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْأَشْيَاءِ، وَإِحَاطَةُ الْعِلْمِ بِالْجَلِيَّاتِ وَالْخَفِيَّاتِ مِنَ الْمَشْهُودَاتِ وَالْغَائِبَاتِ، أَيْ ذَلِكَ الَّذِي شَأْنُهُ مَا ذَكَرَ هُوَ اللهُ رَبُّكُمْ لَا مَنْ خَرَقُوا لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ، وَأَشْرَكُوا بِهِ مِنَ الْأَنْدَادِ، فَاعْبُدُوهُ إِذًا وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِنَّمَا الْإِلَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ هُوَ الرَّبُّ الْخَالِقُ وَمَا عَدَاهُ مَخْلُوقٌ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْبُدَ خَالِقَهُ، فَكَيْفَ يَعْبُدُهُ وَيُؤَلِّهُهُ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي ذَلِكَ؟". [تفسير المنار ج: 7 ص: 651].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [سورة الإسراء، آية: 111].

كتب الإمام القرطبي رحمه الله:

"قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾ هذه الآية رادة على اليهود والنصارى والعرب في قولهم أفذاذًا: عزيز وعيسى والملائكة ذرية الله سبحانه، تعالى الله عن أقوالهم! ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ لأنه واحد لا شريك له في ملكه ولا في عبادته". [تفسير القرطبي ج: 13 ص: 194].

وقال عز من قائل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآيتان: 1 و2].

فبين الله سبحانه أنه لا ولد له، لأنه لا شريك له في الملك. فالذي ينسب للمولى سبحانه الولد مشرك، وليس بموحد.

وقال سبحانه أيضًا: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (91) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان: 91 و92].

***

ب- وأما السبب الثالث لكون الأرثوذكس والكاثوليك مشركين فهو عبادتهم للسيدة مريم عليها السلام.

فقد بدأ النصارى في تقديس السيدة مريم -عليها السلام- منذ القرن الثاني الميلادي بتسميتها بـ(أم الإله theotókos).

ولما اعترض نسطور أسقف القسطنطينية على هذا اللقب، مؤكدًا أن السيدة مريم -عليها السلام- أم المسيح عليه -السلام- وليست أم الإله، انعقد مجمع أفسس في عام 431م، ولعن نسطور، وأكد على وجوب تسميتها بـ(أم الإله).

قد تمثل هذا التقديس أيضًا في عدد من الشعائر لتقديسها والتوسل لها والتشفع بها -كما يزعمون- للسيد المسيح عليه السلام.

فأوجدت الكنائس الشرقية والغربية -ما بين القرنين الرابع والسابع الميلاديين- العديد من الأعياد في مناسبات حياتها المختلفة، فمن ذلك احتفالهم بحملها وولادتها لنبي الله عيسى -عليه السلام- بقراءة من إنجيل الطفولة المنحول [ساذكر -إن شاء الله-كيف أن النصارى يرفضون الاعتراف بقانونية العديد من الأناجيل، ومنها (إنجيل الطفولة)، ولكنهم يدخلونها في شعائرهم] في 8 سبتمبر، وكذلك احتفالهم بعيد البشارة في 25 مارس، وتطهرها في المعبد في 2 فبراير، وصعودها للسماء في 15 أغسطس.

وفي مواجهة تمسك قبائل القوط بمذهب أريوس -الذي يرفض ألوهية سيدنا عيسى عليه السلام- تصاعد تعنت النصارى في القرون الوسطى -ما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين- في تأليه المسيح عليه السلام، فأضفوا عليه لقب (البانتوكراتور Pantokrator) أي حاكم الكون الأقوى، وكذلك أضفوا عليه لقب قاضي الكون الأعلى، وبالتالي تصاعدت -مع ذلك الإفراط- درجة تقديس السيدة مريم عليها السلام، فاعتبروها شفيعة المذنبين، ومع اكتساح الطاعون الأسود للغرب في القرن الرابع عشر الميلادي، اعتبرت السيدة مريم الوسيلة للفوز برحمة المسيح عليه السلام، واعتقدوا أن الصلوات والتوسلات لها هي بابهم لتخفيف أحكام المسيح الصارمة.

فكان من وسائل تقديسها مسبحة لها، بها 150 حبة لتكرار صلاة (تمجيد مريم)، تنتثر بينها 15 حبة لتكرار صلاة (إلهنا) للسيد المسيح، وزعموا أن تكرار هذا التسبيح ثلاث مرات يوميًا يكفر ذنوب اليوم، وكذلك أوجدوا لها صلاة (الإنجيلُس) ثلاث مرات يوميًا، وصلاة (الليتانيس)، التي يتضرعون فيها للسيدة مريم عليها السلام، وينادونها بألقاب مثل (ملجأ المذنبين). إلى غير ذلك من الصلوات العديدة.

كذلك قرر لهم البابا سيستس الرابع -عام 1477م- عيد الحمل بلا خطيئة في 8 ديسمبر بصلوات وشعائر مخصوصة. وأمر البابا كلمنت الحادي عشر في عام 1708م بتعميمه على كل الكنائس الغربية. [(Microsoft Encarta 2009, Mary (Virgin Mary)، راجع أيضًا: دفاع عن محمد لعبد الرحمن بدوي- مريم التي تجعل منها الشعائر المسيحية إلهة تعبد ص: 138 و139]

وقد صرح الكاثوليك بعقيدتهم في السيدة مريم عليها السلام، ومن ذلك ما جاء في وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني تحت عنوان (59- العذراء مريم بعد الصعود): "انتقلت العذراء النقية، التي عصمها الله من وصمة الخطيئة الأصلية، جسدًا وروحًا، إلى المجد السماوي، وهكذا أقامها الربُ ملكة العالمين، لتكون أكثر تشابهًا بابنها رب الأرباب". [وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني ص: 435].

ما كتبه الأب أوغسطين دوبره لاتور عن مكانة الصلاة للسيدة مريم -عليها السلام- في عقيدتهم: "وهذا يعني أن الصلاة للسيدة العذراء وإكرامها يعبران عن إيمان الكنيسة، أي عن التقليد وعن أن إيمان الكنيسة يوجّه ويحفظ في الحقيقة الإلهية اتجاه صلاة المؤمنين والكنيسة". [خلاصة اللاهوت المريمي ص: 8].

كما يضيف أيضًا مبينًا عقيدتهم في اتحادها بالمسيح -عليه السلام- في الألوهية: "قاعدة هذا الاتحاد أو هذه المشاركة، هي تبادل بين الأم والابن ..... أعطت مريم ابنها المشاركة في الكيان البشري بإعطائها إياه جسده وطبيعته البشرية الإنسانية. أعطى الابن أمَّه، على نحو مخلوق، المشاركة في الكيان الإلهي، وإذًا في قداسته وعدم قابليته للموت، وهذا ما يعبر عنه سر أمومة مريم الإلهية". [خلاصة اللاهوت المريمي ص: 98].

ومما يعضد عبادة الكاثوليك للسيدة مريم -عليها السلام- ما قاله جرمانوس فرحات الكاثوليكي الماروني أسقف حلب:

عبادة مريمٍ في الأرض كانت مبرأةً من النقص المعاب

كنور الشمس لا يزراه شينٌ إذا طلعت بآفاق السحاب

[الموسوعة الشعرية- جرمانوس فرحات].
وكذلك ما قاله أسعد باز:

تَخِذْتُكِ يا بتولاً لي ملاذاً حصيناً يُرتجى عند المخاطِرْ
فأرجوك العناية بي لأني أنا عبدٌ لكِ بذنوبي شاعِرْ

[تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 182].
وكذلك ما قاله سليمان الصولة الكاثوليكي وهو يتضرع للسيدة مريم -عليها السلام- لتشفيه من مرض أصابه:

أيا بابَ النجاة وسلسبيلَ ال حياة وسورَ رَّباتِ الخدورِ
خذي بيدي الشقية وأنهضيني ونجّيني من الخطر الخطيرِ
وداوي علّتي أعدي حبوري لأنهض بالسرور عن السريرِ
فإني بين أشواك المنايا أُعذَّب في الأصائلِ والبكورِ
أيُكْسَر خاطر يا أمَّ ربي لديكِ وأنت جابرةُ الكسيرِ
ويبلغني الجحيم وأنتِ غوثي وأدخلُ في الظلام وأنت نوري
أجيريني أجيريني وإلا فدلّيني لمن أشكو أموري
وهل يرضى حنوُّكِ بافتقاري لغير نداك يا بحر البحورِ
تبارك من بنورك جلَّ قدراً عن التشبيه أنجل كلَّ نورِ
وأعطاكِ الشفاعةَ يا سماءَ تخيَّرها لخَلاقِ البدورِ

[تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 291].
كان ما قدمته موجزًا سريعًا عن تطور تقديس السيدة مريم -عليها السلام- في تاريخ الطوائف المسيحية عمومًا، ثم تأليه الكاثوليك خاصة لها.
والأرثوذكس أيضًا يتخذونها إلهة من دون الله سبحانه وتعالى عن ذلك، فمن ذلك ما قاله إلياس صالح -الرومي الأرثوذكسي- في مدح السيدة مريم عليها السلام:

زاد في الدنيا بلائي وحنى ظهري شقائي
بكِ علَّقتُ رجائي يا رجا أهل المتاعبُ
أنت في كل بليَّةْ مُلتجى كل البرِّيةْ
من دعاكِ يا تقِّيةْ فهو لا يرتدُّ خائبْ
في الخطايا ضاع عمري ونما جهلي وشرّي
لك قد سلَّمتُ أمري فاقبلي من جاء تائبْ

[تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 261 و262].
وأرى من المفيد هنا أن أضيف إشارة موجزة لعقيدة الأرثوذكس الأقباط في السيدة مريم عليها السلام، وذلك أنهم يزعمون أنهم لا يؤلهونها كالكاثوليك، وفي الحقيقة أنهم اتخذوها إلهًا مع الله، يدعونها ويقدمون لها العبادات والطاعات.
وأبدأ بنقل قولهم في المسألة باختصار، كتب الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وأنقل ما كتبه بنصه بأخطائه الإملائية والنحوية: "ها هو موقف الكنيسة الأرثوذكسية بإزاء العذراء مريم: إننا لم نرفعها إلى مقام الألوهية كما فعل الكاثوليك، ولم ندع كمثل ما ادعوا، دون دليل كتابي أو برهان من التقليد، أن العذراء حبل بها بلا دنس.
.....
إن الكنيسة المقدسة ترفض هذا التعليم الغريب وتؤمن أن العذراء حبل بها بدنس الخطية كما حبل ويحبل بغيرها من البشر، وكل الفارق إن العذراء قبيل حلول الأقنوم الثاني في أحشائها، حل الروح القدس عليها فطهر أحشائها ونقى دمها من الخطيئة الأصلية حتى يكون المسيح وحده هو القدوس بلا شر.
وكما أخطأ الكاثوليك فرفعوها إلى مقام الألوهية والعصمة كذلك ضل البروتستانت ضلالًا شنيعًا حين احتقروها وجهلوا وتجاهلوا نعمة الله عليها وفيها، لكن الكنيسة الأرثوذكسية قد علمت في العذراء تعليمًا مستقيمًا فلا تؤلها ولا تحتقرها بل تكرمها وتطوبها". [العذراء مريم: حياتها، رموزها وألقابها، فضائلها، تكريمها ص: 129].
أي أنه يزعم؛ أنهم لم يؤلهوا السيدة مريم عليها السلام، وأنهم يختلفون مع الكاثوليك حول أنها بلا خطيئة أصلية، ولكن الروح القدس -في زعمهم- قبل حملها بالمسيح -عليه السلام- قد نقى دمها من الخطيئة الأصلية، أي انتهوا لنفس النتيجة، مع اختلاف توقيت التطهير.
ولكن هذا الزعم -بعدم تأليهم للسيدة مريم عليها السلام- يدحضه زعمهم أن رب السموات قد خضع لها، ويدحضه تعبدهم لها، واعتبار أنفسهم عبيدًا لها، وسؤالها قضاء حاجاتهم.
كتب الأنبا غريغوريوس في الكتاب السابق ذكره، معلقًا على ما جاء في إنجيل لوقا عن نبي الله عيسى وأمه السيدة مريم -عليها السلام- وعن يوسف النجار: "ثم نزل معهما و جاء الى الناصرة و كان خاضعًا لهما". [ترجمة إيلي سميث وفان ديك: لوقا: 2: 51]، فكتب الأنبا غريغوريوس: "أجل إنه شرف لا يعظمه شرف أن تستحق العذراء أين يخضع لها رب السموات والأرض". [العذراء مريم: حياتها، رموزها وألقابها، فضائلها، تكريمها ص: 110].
ولكن النص المستدل به ينص على أن سيدنا المسيح -عليه السلام- كان: "خاضعًا لهما". أي للسيدة مريم -عليها السلام- وليوسف النجار، فهل شاركها -أيضًا- يوسف النجار في هذا الشرف؟
وكتب القمص سمعان السرياني عن صلاتهم للسيدة مريم -عليها السلام- قولهم: "التفتي إلي بعينيك الرحومتين إلي أنا عبدك الخاطئ". [ميامر السيد العذراء مريم ص: 102].
وكتب القمص بشوي وديع عما يدعون به السيدة مريم -عليها السلام- في صلاة النوم: "أيتها العذراء الطاهرة، أسبلي ظلك السريع المعونة على عبدك، وابعدي أمواج الأفكار الردية، وانهضي نفسي المريضة للصلاة والسهر، لأنها استغرقت في سبات عميق فانك أم قادرة رحيمة معينة".

وكتب عما يدعونها به في صلاة نصف الليل: "أنت هي سور خلاصنا، يا والدة الإله العذراء الحصن المنيع غير المتثلم. أبطلي مشورة المعاندين، وحزن عبيدك رديه إلى فرح، وحصني مدينتنا وعن ملوكنا حاربي، وتشفعي عن سلامة العالم يا والدة الإله". [أمي وشفيعتي ص: 92].

أي أنهم اتخذوا السيدة مريم -عليها السلام- إلهة، وإن زعموا غير ذلك، فهم يتوجهون لها بالدعاء، ويصلون ويصومون لها، ويقيمون لها الأعياد.

وقد وضح هذه العبادة الدكتور حنين عبد المسيح، وهو صيدلي كان شماسًا في الكنيسة الأرثوذكسية القبطية المصرية، ثم انشق عنها، فكتب عن عبادة السيدة مريم -عليها السلام- كتابًا بعنوان (بدعة تأليه العذراء وعبادتها في الكنيسة الأرثوذكسية) جاء في فصله الأول تحت عنوان (متى وكيف دخلت بدعة تأليه العذراء إلى الكنيسة الأرثوذكسية): "في الكنيسة الأرثوذكسية خاصة القبطية (المصرية) تعامل العذراء القديسة مريم نفس معاملة الإله وتقدم لها كل طقوس وممارسات العبادة مثل السجود والبخور والتسابيح والتماجيد والصلوات والأصوام والأعياد والصدقات و...الخ، ولا توجد ممارسة واحدة من ممارسات العبادة تخص بها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المسيح الإله دون العذراء، كما تطلق عليها نفس الألقاب والرموز الخاصة بالمسيح الإله في كل طقوسها وعباداتها.

* متى وكيف دخلت عبادة العذراء إلى الكنيسة الأرثوذكسية:

.... يرجع السبب الرئيسي لدخول بدعة تأليه العذراء وعبادتها إلى الكنيسة الأرثوذكسية إلى البابا كيرلس الأول الملقب زورًا بعمود الدين وهو البابا رقم 24 على الكرسي الإسكندري، ففي صراع هذا البابا ضد نسطور بطريرك القسطنطينية حول طبيعة المسيح تمسك هذا البابا بتلقيب العذراء بوالدة الإله لكي يؤكد على إتحاد الطبيعة الإلهية بالطبيعة الإنسانية في شخص مولود العذراء". [بدعة تأليه العذراء وعبادتها في الكنيسة الأرثوذكسية ص: 52].

وعن هذه العبادة من النصارى للسيدة مريم -عليها السلام- كتب الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [سورة المائدة، آية: 116]:

"وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ: أَنَّ اتِّخَاذَ إِلَهٍ مِنْ دُونِ اللهِ يُرَادُ بِهِ عِبَادَةُ غَيْرِهِ، سَوَاءٌ كَانَتْ خَالِصَةً لِغَيْرِهِ أَوْ شَرِكَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَلَوْ بِدُعَاءِ غَيْرِهِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ لِيَكُونَ وَاسِطَةً عِنْدَهُ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (98 : 5) .

أَمَّا اتِّخَاذُهُمُ الْمَسِيحَ إِلَهًا فَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَأَمَّا أُمُّهُ فَعِبَادَتُهَا كَانَتْ مُتَّفَقًا عَلَيْهَا فِي الْكَنَائِسِ الشَّرْقِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ بَعْدَ قُسْطَنْطِينَ، ثُمَّ أَنْكَرَتْ عِبَادَتَهَا فِرْقَةُ الْبُرُوتِسْتَانْتِ الَّتِي حَدَثَتْ بَعْدَ الْإِسْلَامِ بِعِدَّةِ قُرُونٍ.

إِنَّ هَذِهِ الْعِبَادَةَ الَّتِي يُوَجِّهُهَا النَّصَارَى إِلَى مَرْيَمَ وَالِدَةِ الْمَسِيحِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) مِنْهَا مَا هُوَ صَلَاةٌ ذَاتُ دُعَاءٍ وَثَنَاءٍ وَاسْتِغَاثَةٍ وَاسْتِشْفَاعٍ، وَمِنْهَا صِيَامٌ يُنْسَبُ إِلَيْهَا، وَيُسَمَّى بِاسْمِهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ يُقْرَنُ بِالْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ لِذِكْرِهَا وَلِصُوَرِهَا وَتَمَاثِيلِهَا، وَاعْتِقَادِ السُّلْطَةِ الْغَيْبِيَّةِ لَهَا، الَّتِي يُمْكِنُهَا بِهَا -فِي اعْتِقَادِهِمْ- أَنْ تَنْفَعَ وَتَضُرَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِنَفْسِهَا أَوْ بِوَسَاطَةِ ابْنِهَا، وَقَدْ صَرَّحُوا بِوُجُوبِ الْعِبَادَةِ لَهَا، وَلَكِنْ لَا نَعْرِفُ عَنْ فِرْقَةٍ مِنْ فِرَقِهِمْ إِطْلَاقَ كَلِمَةِ (إِلَهٍ) عَلَيْهَا، بَلْ يُسَمُّونَهَا (وَالِدَةَ الْإِلَهِ) وَيُصَرِّحُ بَعْضُ فِرَقِهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ حَقِيقَةٌ لَا مَجَازٌ.

وَالْقُرْآنُ يَقُولُ هُنَا: إِنَّهُمُ اتَّخَذُوهَا وَابْنَهَا إِلَهَيْنِ، وَالِاتِّخَاذُ غَيْرُ التَّسْمِيَةِ، فَهُوَ يُصَدَّقُ بِالْعِبَادَةِ وَهِيَ وَاقِعَةٌ قَطْعًا، وَبَيَّنَ فِي آيَةٍ أُخْرَى أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (5 : 17 ، 72) وَذَلِكَ مَعْنًى آخَرُ. وَقَدْ فَسَّرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَوْلَهُ تَعَالَى فِي أَهْلِ الْكِتَابِ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ (9 : 31) أَنَّهُمُ اتَّبَعُوهُمْ فِيمَا يُحِلُّونَ وَيُحَرِّمُونَ لَا أَنَّهُمْ سَمَّوْهُمْ أَرْبَابًا.

وَأَوَّلُ نَصٍّ صَرِيحٍ رَأَيْتُهُ فِي عِبَادَةِ النَّصَارَى لِمَرْيَمَ عِبَادَةً حَقِيقِيَّةً مَا فِي كِتَابِ (السَّوَاعِي) مِنْ كُتُبِ الرُّومِ الْأُرْثُوذُكْسِ، وَقَدِ اطَّلَعْتُ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ فِي دَيْرٍ يُسَمَّى (بَدَيْرِ الْبَلَمَنْدِ) وَأَنَا فِي أَوَّلِ الْعَهْدِ بِمَعَاهِدِ التَّعْلِيمِ. وَطَوَائِفُ الْكَاثُولِيكِ يُصَرِّحُونَ بِذَلِكَ وَيُفَاخِرُونَ بِهِ، وَقَدْ زَيَّنَ الْجُزُوِيتُ فِي بَيْرُوتَ الْعَدَدَ التَّاسِعَ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِمَجَلَّتِهِمْ (الْمَشْرِقِ) بِصُوَرِهَا وَبِالنُّقُوشِ الْمُلَوَّنَةِ، إِذْ جَعَلُوهُ تَذْكَارًا لِمُرُورِ خَمْسِينَ سَنَةً عَلَى إِعْلَانِ الْبَابَا بِيُوسَ التَّاسِعِ أَنَّ مَرْيَمَ الْبَتُولَ (حَبِلَ بِهَا بِلَا دَنَسِ الْخَطِيَّةِ)، وَأَثْبَتُوا فِي هَذَا الْعَدَدِ عِبَادَةَ الْكَنَائِسِ الشَّرْقِيَّةِ لِمَرْيَمَ كَالْكَنَائِسِ الْغَرْبِيَّةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ (الْأَبِ لُوِيس شِيخُو) فِي مَقَالَةٍ لَهُ فِيهِ عَنِ الْكَنَائِسِ الشَّرْقِيَّةِ: "إِنَّ تَعَبُّدَ الْكَنِيسَةِ الْأَرْمَنِيَّةِ لِلْبَتُولِ الطَّاهِرَةِ -أُمِّ اللهِ- لَأَمْرٌ مَشْهُورٌ". وَقَوْلُهُ: "قَدِ امْتَازَتِ الْكَنِيسَةُ الْقِبْطِيَّةُ بِعِبَادَتِهَا لِلْبَتُولِ الْمَغْبُوطَةِ أُمِّ اللهِ" . [تفسير المنار ج: 7 ص: 261 إلى 263].

***

ج- أما السبب الرابع لكون أكثر النصارى المعاصرين مشركين، فهو: تحاكمهم لرهبانهم وأحبارهم، الذين حرموا لهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام.

قال الحق سبحانه عن النصارى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

أخرج الإمام الترمذي وغيره عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي -صلى الله عليه و سلم- وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: "يا عدي اطرح عنك هذا الوثن".

وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾. قال: "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه". [حسنه الألباني- سنن الترمذي- كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- باب: ومن سورة التوبة- حديث رقم: 3095 ج: 5 ص: 278].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. [سورة البقرة، آية: 21 و22].

"الْأَنْدَادُ: جَمْعُ نِدٍّ بِكَسْرِ النُّونِ، وَفُسِّرَ بِالشَّرِيكِ، وَهُوَ فِي اللُّغَةِ: الْمُضَارِعُ وَالْكُفْءُ يُقَالُ: فُلَانٌ نِدُّ فُلَانٍ وَمِنْ أَنْدَادِ فُلَانٍ، أَيْ يُضَارِعُهُ وَيُمَاثِلُهُ وَلَوْ فِي بَعْضِ الشُّئُونِ.

وَالْأَنْدَادُ -الَّذِينَ اتُّخِذُوا فِي جَانِبِ اللهِ- هُمُ الَّذِينَ خَضَعَ النَّاسُ لَهُمْ وَصَمَدُوا إِلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْحَاجَاتِ، لِمَعْنًى يَعْتَقِدُهُ فِيهِمُ الْخَاضِعُونَ الْمُخَاطَبُونَ بِتَرْكِ الْأَنْدَادِ أَوَّلًا وَبِالذَّاتِ، وَهُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ وَأَهْلُ الْكِتَابِ.

فَالْعَرَبُ كَانَتْ تُسَمِّي ذَلِكَ الْخُضُوعَ وَالصُّمُودَ عِبَادَةً، إِذْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ وَحْيٌ يَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ فَيَتَحَامَوْا هَذَا اللَّفْظَ "الْعِبَادَةَ"، وَيَسْتَبْدِلُوا بِهِ لَفْظَ التَّعْظِيمِ أَوِ التَّوَسُّلِ مَثَلًا تَأْوِيلًا لِظَاهِرِ نَصِّ التَّنْزِيلِ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ -الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَنْدَادًا وَأَرْبَابًا- فَكَانُوا يُؤَوِّلُونَ فَلَا يُسَمُّونَ هَذَا الِاتِّخَاذَ عِبَادَةً، وَلَا أُولَئِكَ الْمُعَظَّمِينَ آلِهَةً أَوْ أَنْدَادًا أَوْ أَرْبَابًا.

وقد بين العلامة الألوسي رأيه في تزوير الرسالة، واستند للآتي:

1- أنه لم يعثر على ترجمة هذين الرجلين، ولا وجدت هذه الرسالة عند أحد من أهل الإسلام، ولا في مكتبة أحد الأنام[48]، وذكر أن صانع الرسالة ربما وجد في كتاب للبيروني اسم عبد المسيح بن إسحاق الكندي، فنسب الرسالة إليه.

وذكر أن مصحح كتاب عبد المسيح ذكر في نهايته: أن له نسخة في القسطنطينية ونسخة في مصر بدون تاريخ، فرد عليه العلامة الألوسي بقوله: "لم لم يذكر اسم مكتبة القسطنطينية ومكتبة مصر، حتى نرى فيها هاتين النسختين؟"[49].

2- أن الرسالة نسبت لعبد الله الهاشمي قوله: "افتتحت كتابي إليك بالسلام عليك والرحمة تشبهًا بسيدي وسيد الأنبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .... أن هذه كانت عادته، وأنه كان -صلى الله عليه وسلم- إذا افتتح كلامه مع الناس يبادؤهم بالسلام والرحمة ...، ولا يفرق بين الذمي والأمي، ولا بين المؤمن والمشرك".

بينما من المعلوم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يفتتح كتبه للملوك الكفار بقوله: السلام على من اتبع الهدى[50].

3- أن المسيحي في تلك الرسالة ابتدأ خطابه بالبسملة، بينما النصارى تبدأ كتبها قائلين: "باسم الآب والابن والروح القدس"[51].

وأضاف الشيخ أحمد حجازي السقا دليلين:

4- أن الرسالة تتضمن ترقيمًا للآيات والإصحاحات في الكتاب المقدس، تتوافق مع نسخة الكتاب المقدس البروتستانتية، والتراجم القديمة قبل عصرنا هذا، خالية من التقسيم المطابق لهذا العصر، والتي كانت في عهد الأمويين والعباسيين والمماليك المصريين كذلك، كانت خالية من ذكر الإصحاحات، وأرقام الآيات، مما يدل على أن الرسالة كتبها أحد البروتستانت المعاصرين[52].

5- الرسالة تنسب للمأمون قوله: "أما دين الآخرة فهو دين النصارى". والمسلمون لا يقرون بهذا، بل يعتقدون أن المسيح -عليه السلام- جاء مصدقًا بتوراة موسى عليه السلام، ومبشرًا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[53].

وأنا أضيف ثلاثة أدلة على تزوير الرسالة:

6- قول من سموه عبد المسيح: أنه قد مضت نيف ومئتي سنة، ولم يظهر شيء مما تنبأ به النبي -صلى الله عليه وسلم-[54]، وهذا باطل أولًا، ودال على التزوير ثانيًا:

فأما بطلانه فمن وجهين:

الأول: أنه اعترف بنفسه أن المسلمين قد هزموا الفرس، وهذه من نبؤات حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر ذلك في الرسالة[55].

وَفَرْقٌ بَيْنَ الاتِّخَاذِ بِالْفِعْلِ وَالتَّسْمِيَةِ بِالْقَوْلِ. وَالْجَمِيعُ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، وَلَا رَازِقَ إِلَّا اللهُ، وَإِنَّمَا كَانُوا يُسَمُّونَ دُعَاءَهُمْ غَيْرَ اللهِ وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ تَوَسُّلًا وَاسْتِشْفَاعًا، وَيُسَمُّونَ تَشْرِيعَهُمْ لَهُمُ الْعِبَادَاتِ وَتَحْلِيلَهُمْ لَهُمُ الْمُنْكَرَاتِ، وَتَحْرِيمَهُمْ عَلَيْهِمْ بَعْضَ الطَّيِّبَاتِ، فِقْهًا وَاسْتِنْبَاطًا مِنَ التَّوْرَاةِ، إِلَّا أَنَّ مِنَ النَّصَارَى مَنْ لَا يَتَحَامَوْنَ التَّصْرِيحَ بِعِبَادَةِ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ وَبَعْضِ الْقِدِّيسِينَ اسْتِعْمَالًا لِلَّفْظِ فِي مَدْلُولِهِ اللُّغَوِيِّ". [تفسير المنار ج: 1 ص: 188 و189].

وسأورد -إن شاء الله- كيف أن بولس -والكنيسة من بعده- قد حادوا عن منهج سيدنا المسيح عليه السلام، الذي كان موحدًا على ديانة موسى عليه السلام، وكان متبعًا لشريعته، وسأبين -إن شاء الله- أن هذا الابتعاد عن شريعة التوراة الأصليلة التي أوحيت لسيدنا موسى -عليه السلام- كانت سببًا رئيسيًا للفساد السياسي في الغرب، الذي أثمر الدولة الوطنية الحديثة بعد قرون من الزمان.

48 الجواب الفسيح ج: 1 ص: 38 و39.

49 الجواب الفسيح ج: 1 ص: 5.

50 الجواب الفسيح ج: 1 ص: 39.

51 الجواب الفسيح ج: 1 ص: 40.

52 الجواب الفسيح ج: 1 ص: 5 و41.

53 الجواب الفسيح ج: 1 ص: 4 و5.

54 الجواب الفسيح ج: 1 ص: 606.

55 الجواب الفسيح ج: 1 ص: 626.

الثاني: أنه قد وقعت نبوءات كثيرة مما أخبر به حضرة النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل عهد المأمون، مثل إخبارالقرآن بهزيمة الفرس أمام الروم، وأن أبا لهب وامرأته يموتان كافرين، وأن المسلمين يدخلون المسجد الحرام آمنين لا يخافون، ومثل إخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- لعثمان -رضي الله عنه- أن يصبر على مصيبة تنزل به حتى يلقاه، وأن السيدة فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- هي أول أهله لحوقًا به، وأن من أمته من يغزون البحر ملوكًا على الأسرة، ومنهم أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها، وأن الخوارج يخرجون من نسل ذي الخويصرة، وأخبر عن صفاتهم، وأنهم يخرجون على حين فرقة من المسلمين، وأن من تقتلهم هي أدنى الطائفتين إلى الحق، وأن فيهم رجلًا في ذراعه مثل الثدي، وقد وجده سيدنا علي -رضي الله عنه- في القتلى، وأشهد الصحابة على ذلك، وأن الخلافة بعده ثلاثون سنة، وأن أول من يغير سنته رجل من بني أمية، وأن الله يفتح على المسلمين كنوز كسرى، وأن الله يمزق ملكه، وأن الله يفتح عليهم مصر، وأوصاهم بأهلها خيرًا، وأن ثقيفًا يخرج منها كذاب ومبير، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي وقعت قبل عهد المأمون، مما هو معلوم ومنتشر بين الناس.

أما دلالته على التزوير، فلأن هذه الآيات التي انتشر خبرها بين المسلمين، واستفاض العلم بها، كيف ينكرها ويتجاهلها كاتب الرسالة، وهو كما يزعم يعمل في بلاط الخليفة، ومخالط للمسلمين؟ وإنما يمكن أن يقع ذلك من الذي لم يكن معاصرًا للمأمون ولا مخالطًا للمسلمين؟

7- أن كاتب الرسالة ذكر أن الخليفة المأمون اطلع على المراسلة، وعلق عليها[56]، وهذا يجب أن يكون في رسالة أخرى لا في نفس الرسالة!!!

8- ثم إذا كانت هذه الرسالة قد اطلع عليها المأمون، كما زعم كاتبها أو كتبتها، ولام عبد الله الهاشمي على رسالته، فهي إذن كانت حدثًا مشهودًا، وإذا كانت كذلك:

أ- فلم لم يذكرها المؤرخون سواء النصارى أو المسلمين؟ وكان المتوقع من النصارى أن يحتفوا بها، ويسجلوا خبرها في تواريخهم. ولم لم يذكروا عبد الله الهاشمي ولا عبد المسيح الكندي في كتبهم؟

ب- ولماذا ظلت مختفية لمدة أربعة قرون حتى اكتشفها النصارى؟

ج- ولم لم يرد عليها علماء المسلمين، مع كثرة ردودهم على النصارى؟

وقبل أن أترك هذه الإشارة الموجزة لكتاب عبد المسيح الكندي المزعوم، أود أن أشير إلى أن هذا الكتاب قد أثنى عليه المستشرق إدوارد فان ديك ابن المستشرق المنصر كرنيليوس فان ديك[57]، فقال: "كان في أيام الخليفة العباسي المأمون بن الرشيد عالم نبيل من أقاربه، وهو عبد الله بن إسماعيل الهاشمي، له الاطلاع الواسع والبحث المدقق في الأديان، وكان صديقاً للكندي، الذي اشتهر بحب النصرانية والتمسك بها، يحاكي تمسك الهاشمي بالإسلام وشدة إغراقه فيه. فكتب الهاشمي للكندي رسالة بليغة في محاسن دينه وكتابه، دعاه فيها الى الإسلام، فرد عليه الكندي النصراني برسالة أظهر له فيها وجوه صحة النصرانية بالأدلة القوية. طبعت الرسالتان معا سنة 1888م في 180 صحيفة بحروف مطبعة على القعدة الإسلاميولية. وهما بليغتا العبارة قويتا الحجة عظيمتا الفائدة في هذا الباب"[58].

وأيًا من كان واضع هذا الكتاب فإنه لا يفيد في أن قبيلة كندة كانت نصرانية، بل قدمتُ أن أغلبها كانوا مشركين، وكانوا يحجون البيت، ثم أسلموا، وجاءوا بوفد عظيم للنبي صلى الله عليه وسلم.

وسيأتي -إن شاء الله- أن إبراهيم اليازجي اعترض على هذا الزعم من شيخو، ونفى نصرانية كندة.

وأكتفي بهذه الأمثلة الثلاث على مغالطات لويس شيخو اليسوعي في تنصير قبائل العرب.

وهذه المغالطات اعترف بها ناشر كتاب شيخو؛ دار المشرق اليسوعية، فكتب في المقدمة:

"ولئن ذهبت الحماسة بشيخو إلى المغالاة في بعض نواحي بحثه، وعلى وجه التحديد في أواخر مصنفه حين أضفى صفة النصرانية على عدد من الشعراء دون الإثبات الجازم اللازم، فإنه على الرغم من الهنات تلك، قد أسدى للتاريخ خدمة

---

56 الجواب الفسيح ج: 1 ص: 4 و5.

57 سيأتي التعريف به إن شاء الله.

58 اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ج: 1 ص: 63.

جلى إذ سلط الأضواء على ظاهرة طالما أهملت قبله وبعده، وهي مساهمة المسيحيين الفعالة في تشييد صروح الحضارة العربية منذ بداياتها"[59].

فهذا هو اعتذار اليسوعيين عن لويس شيخو اليسوعي.

وأود أن أضيف هنا شيئًا؛ وهو أن الدنيا كلها كانت في شوق لدعوة الإسلام، نظرًا للشرك الذي طغا عليها، ولتحريف أهل الكتاب للتوراة والإنجيل، وللفساد الذي حل بالنصرانية وجعلها لعبة في يد الملوك، وللفساد الذي استفحل في الكنيسة، وأدى بها للعقائد التي لا يقبلها عقل ولا قلب، فلما أرسل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، انتشرت دعوته في سرعة عجيبة، لتشوق الناس للدين الصحيح، وبدلًا من أن يراجع النصارى أنفسهم، ظلوا يحاولون النيل من الإسلام ونبي الإسلام بكل طريق.

وسيرى القارئ في ثنايا هذا البحث -إن شاء الله- أثر الكنيسة المفسد في تاريخ البشرية، ثم تراجعها أمام النقد الشديد الذي وجه -ولا يزال يوجه- لها، مما أدى لاعتراف الفاتيكان بأن العهد القديم يحوي أغلوطات وأباطيل.

وسيرى القارئ -بإذن الله- أن القرآن ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، قد كشفا للدنيا التحريف الذي أفسد دين النصارى، وأن الغرب لم ينتبه لهذا التحريف إلا بعد قرون عديدة، وإلا بعد اطلاع كتاب الغرب على نقد علماء المسلمين لكتب النصارى.

وقبل أن أختم تعليقي على مزاعم لويس شيخو حول نصرانية الكثير من قبائل العرب، أود أن أبين أن مشركي العرب لم يكونوا وحدهم هم الذين استجاب أكثرهم للإسلام ولنبيه صلى الله عليه وسلم، فوفدت عليه وفودهم وخاصة في العام التاسع للهجرة، الذي سمي بعام الوفود، بل وفد على حضرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وفد من نصارى الحبشة في بداية دعوته صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق:

"ثم قدم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو بمكة عشرون رجلًا أو قريبًا من ذلك من النصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه فكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له، وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره.

فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش، فقالوا: خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم، لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركبًا أحمق منكم. أو كما قالوا لهم. فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا.

ويقال إن النفر كانوا من أهل نجران، فالله أعلم أي ذلك كان.

ويقال -والله أعلم- إن فيهم نزلت هذه الآيات: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾.

....

عن إسماعيل بن عبد الرحمن قال: بعث النجاشي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اثنا عشر رجلًا يسألونه، ويأتونه بخبره، فقرأ عليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القرآن، فبكوا، وكان فيهم سبعة رهبان وخمسة قسيسين، أو خمسة رهبان وسبعة قسيسين، ففيهم أنزل الله: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾"[60].

- والمثال الأخير الذي أورده من كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، هو قول لويس شيخو، الذي كشف به عن مقصده حيث قال: "ومعلوم في معتقد المسلمين أنّ السيد المسيح "عيسى" هو الذي ينزل في آخر العالم ليدين

59 مقدمة دار المشرق لكتاب: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية.

60 السيرة النبوية لابن إسحاق ص: 252 و253.

العالمين. فكفى بهذه الشواهد دليلاً على أنّ كل الألفاظ الواردة في القرآن والحديث عن الدينونة وأحوالها قد سبق إليها أهل الكتاب في الجاهليّة كما سبقوا إلى أسماء الله الحسنى"[61].

وهذا الذي ذكره باطل:

فأما ما ذكره أن معتقد المسلمين أن عيسى -عليه السلام- ينزل في آخر العالم ليدين العالمين، فباطل، لأن معتقد المسلمين؛ أن الذي يدين الخلائق كلهم هو الله -سبحانه وتعالى- وحده يوم القيامة، ويقرأون في صلواتهم -في كل ركعة- سورة الفاتحة التي فيها: ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

ويؤمنون بما جاء في كتاب ربهم المنزل المحفوظ المعجز، الذي قال الله فيه:

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (15) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[62].

فالمسلمون -بفضل الله ونعمته- يوحدون الله سبحانه في خلقه وأمره وقدره وحسابه لخلقه، ولا يشركون معه أحدًا.

كذلك يعتقدون أن عيسى -عليه السلام- سينزل في آخر الزمان، ليحكم بشريعة الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير. فقد ثبت في الصحيحين، واللفظ للبخاري:

"قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلاً، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ، حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا". ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[63].

قال الإمام النووي رحمه الله:

"وَقَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (حَكَمًا) أَيْ يَنْزِل حَاكِمًا بِهَذِهِ الشَّرِيعَة لَا يَنْزِل بِرِسَالَةٍ مُسْتَقِلَّة، وَشَرِيعَة نَاسِخَة، بَلْ هُوَ حَاكِم مِنْ حُكَّام هَذِهِ الْأُمَّة"[64].

وأنه سينزل ليتبع أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الذي قال:

"لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، قَالَ: "فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ"[65].

***

(د) شعراء النصرانية.

حاول لويس شيخو في هذا الكتاب أن يجعل كل شعراء الجاهلية نصارى، ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

وقد انتقده الأدباء حتى النصارى منهم، فقال المستشرق إدوارد فان ديك البروتستانتي:

"كتاب دواوين شعراء النصرانية، جمعه القس لويس شيخو اليسوعي، طبع في 2ج في بيروت سنة 1890م، ويتضمن أشعار شعراء النصرانية في أيام الجاهلية، وهو مجموع يعول عليه في بابه، ولو أنّ الجامع عد من النصارى كل شاعر لم يثبت اشتراكه"[66].

---

61 النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ج: 2 ص 170.

62 سورة غافر، آية: 15 و16.

63 صحيح البخاري-كتاب: أحاديث الأنبياء- باب: نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليها السلام- حديث رقم: 3448 ج: 2 ص: 490، صحيح مسلم-كتاب: الإيمان- باب: نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم- حديث رقم: 242 ج: ص: 80.

64 شرح النووي على مسلم-كتاب: الإيمان- باب: نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم ج:2 ص: 190.

65 صحيح مسلم-كتاب الإيمان- باب: بَابُ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حديث رقم: 247 (158) ج: 1 ص: 81 و82.

66 اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ج: 1 ص: 11.

وكذلك انتقد هذه المبالغة إبراهيم اليازجي في مجلته الضياء، بل أنكر أمر نصرانية كندة[67].

وقال عنه مارون عبود الماروني في (رواد النهضة الحديثة ص: 225):

"سمعنا بكتاب شعراء النصرانية فاستقدمناه، فإذا هو لهذا العلامة الجليل (لويس شيخو)، وإذا كل من عرفناهم من شعراء جاهليين قد خرجوا من تحت سن قلمه نصارى. كان التعميد بالماء فإذا به قد صار بالحبر"[68].

***

(هـ) تاريخ الآداب العربية

1) في هذا الكتاب لم يذكر لويس شيخو من أعلام الشعراء المسلمين -بشيء من التفصيل- إلا عددًا قليلًا، أما الباقون فذكر جملًا قليلة عن بعضهم، وأغلبهم لم يذكر عنهم شيئًا.

أما القسس والكهان والمستشرقون -الذين لا يعرفون أو بالكاد يسمع عنهم- فأطنب في ذكرهم، وذكر بعض مؤلفاتهم الكنسية، التي لا يقرأها من هم خارج طائفتهم، بل قد لا يقرأها الكثيرون من طائفتهم[69].

أما أكثر مشاهير الشعراء والكتاب المسلمين، فتناولهم باختصار شديد، أو تجاهلهم.

فمثلًا شعراء مصر -في القرن العشرين- سردهم في أقل من صفحة ونصف[70].

فقال عن أحمد شوقي: "المولود سنة 1868 هو أمير شعراء مصر. ديوانه الشوقيات أحسن دليل مقدرته ونبوغه"[71].

---

67 حيث جاءه سؤال من محمد إسعاف النشاشيبي، جاء فيه: "قرأت في كلام بعض المحدثين أن امرأ القيس كان نصرانيا، وهو الذي أثبته مؤلف كتاب (شعراء النصرانية)، إذ عد امرأ القيس من جملتهم.

وقد جاء في هذا الكتاب أيضًا أن امرأ القيس طلق زوجته ...، فكيف يوفق بين هذين القولين، وهل كان الطلاق محللًا عند الأمة المسيحية؟".

فإجاب إبراهيم اليازجي بجواب جاء فيه: "أما نصرانية أمرئ القيس فمن الدعاوى التي لا يمكن إثباتها، وأول دليل على انتفائها أمر الطلاق المشار إليه.

.....

وبعد فإنه لم يرد فيما نقلوه أن النصرانية كانت في كندة، بل ذكره التوحيدي: أن كندة كانت فيهم اليهودية، والذي يظهر لنا أن امرأ القيس كان يعبد الوثن". [الضياء- السنة السابعة- سنة 1904- 1905 ص: 338 و339].

68 أرشيف ملتقى أهل الحديث - 1 - ج:6 ص: 203.

69 وأذكر المثالين التاليين عن راهبين ذكرهما، كتب لويس شيخو:

"بين السنين التي مرت منذ نهاية الحرب العالمية إلى أواخر السنة 1926 دعا الله إلى جواره بعض أحبار الكنيسة الذين خدموا الآداب متاجرين بالوزنات التي نالوها من ربهم.

(السيد ديونيسيوس أفرام نقاشة) نكبت الطائفة السريانية بفقد هذا الحبر الجليل في 13 آذار سنة 1920 توفي في مدرسة الشرفة في لبنان عن سبعين عاماً. وكان السيد الفقيد رئيس أساقفة حلب على السريان الكاثوليك منذ 5 نيسان سنة 1903 أدى في حياته لملته خدماً جمّة وقد عُرف بنسكه وانصرافه إلى العيشة التقويّة. وكان مولعاً بدرس التاريخ وقد نشر في ذلك كتاباً نفيساً ضمنه أخبار طائفته السريانية الكاثوليكية منذ اهتدائها إلى حجر الكنيسة الكاثوليكية إلى زمن السيد الجليل بطريرك إنطاكية الحالي ماري أغناطيوس أفرام الثاني رحماني وذلك في مجلد ضخم دعاه عناية الرحمان في هداية السريان. وما هو إلا قسم من تاريخ أوسع لم يزل مخطوطاً بحث فيه عن أخبار الطائفة السريانية منذ نشأتها.

وفي هذا الشهر عينه في 22 آذار 1920 انتقل إلى دار البقاء سيد آخر من أركان الطائفة المارونية الكريمة (المطران يوسف دريان) النائب البطريركي على القطر المصري. ولد هذا الحبر الجليل سنة 1861 ودخل الرهبانية الحلبية ودرس أولاً في مدرسة انتشار الإيمان في رومية وأتم دروسه في كلية القديس يوسف في بيروت. وفي السنة 1896 جُعل رئيس أساقفة طرطوس شرفاً. وقد خلف آثاراً كنسية وأدبية وتاريخية عديدة تشهد له بطول باعه في العلوم الدينية والمدنية. فمن تآليفه الدينية كتاب رُتب السياميذ الكهنوتية المعروفة بالشرطونية وكتاب المغنم في تكريم مريم والمقالة الوفية في العبادة الحقيقية لمريم العذراء. معرباً عن تأليف الطوبوي لويس غرينيون دي منفرت وكتاب الدعوة الرهبانية للقديس الفونس دي ليغوري وجادة الفلاح في سبيل التقي والصلاح ومجموعة أناشيد روحية بعضها من نظمه منها نظم الجمان في سبيل سيدة لبنان. ومن تآليفه التاريخية نبذة في أصل البطريركية الأنطاكية وفي أصل الطائفة المارونية واستقلالها في لبنان في قديم الدهر حتى الآن وثلاثة أبحاث في المردة جمعها في كتاب دعاهُ (البراهين الراهنة في أصل المردة والجراجمة والموارنة) خالف فيه رأي السيد يوسف الدبس. ومن آثاره الأدبية كتاب الإتقان في صرف لغة السريان ومنها عدة مقالات أدبية نشرها في الجرائد وفي مجلة المشرق".

فهذان مثالان لراهبين ليست لهما مشاركة في الآداب العربية، ولكن لويس شيخو يستكثر بهما ما يكتب عن النصارى.

70 تاريخ الآداب العربية ج: 3 ص: 489 و490.

71 تاريخ الآداب العربية ج: 3 ص: 489.

أما حافظ إبراهيم فقال عنه: "من كبار شعراء قطر النيل. تكرر طبع ديوانه في ثلاثة أجزاء"[72]. ثم قال عنه بعد ثلاث صفحات: "معرب البؤساء لفكتور هوغو"[73].

وقال عن عبد الرحمن الرافعي: "له الجمعيات الوطنية وتاريخ النهضات القومية"[74].

وقال عن مصطفى صادق الرافعي: "له المعركة بين القديم والحديث"[75]. وحتى هذا الكتاب -الذي اختاره لويس شيخو من إنتاج مصطفى صادق الرافعي- حذف عنوانه الرئيسي، وهو (تحت راية القرآن)، حتى يتحاشى ذكر القرآن.

أما محمد رشيد رضا فقال عنه: "صاحب المنار. له آثار دينية وأدبية عديدة أخصها تاريخ الأستاذ محمد عبده"[76].

أما أحمد محرم فقال عنه: "المولود سنة 1877 يتناقل الرواة شعره لرقته وانسجامه"[77].

أما عن المغرب فذكر ستة أدباء من تونس باختصار، وسبعة من أدباء المغرب سرد أسماءهم فقط[78]، أما أعلام المغرب مثل ابن باديس والإبراهيمي والطاهر عاشور والفاسي وأعلام الأسرة السنوسية فلم يذكر عنهم شيئًا. أما علماء شنقيط ينبوع الشعر ودوحة العربية والبلاغة فلا ذكر لهم. أما أدباء العربية في الهند فلم يذكر منهم إلا ثلاثة (صديق حسن خان[79] وشبلي النعماني[80] وأبا بكر باعلوي[81])، واختصر كلامه عن الآداب العربية في الهند في العصر الحاضر في أقل من سبعة أسطر، منها سطر ونصف في نقد طباعتها الحجرية[82].

أما أدباء شرق ووسط آسيا والقوقاز، فلا ذكر لهم أيضًا.

2) وفي هذا الكتاب رمى أحمد فارس الشدياق بأنه تحول من الكاثوليكية إلى البروتستانتية، ثم إلى الإسلام من أجل المال، وادعى عليه أنه رجع للكاثوليكية وهو على فراش الموت. بل وذكر شعرًا في هجائه[83].

وقد نقل الدكتور عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر عن الأستاذ زكي محمد مجاهد دحضه لادعاء لويس شيخو في كتابه (الأعلام الشرقية ج: 3 ص: 987)، فذكر:

"وأفادنا مارون عبود -وهو من أكثر الناس إعجابًا بالشدياق وإجلالًا له، واطلاعًا على أخباره- أنه زار ضريح الشدياق، ورأى فوقه هلالًا، وتلك علامة صريحة بأن صاحب الضريح مسلم عند القوم، ولو كان نصرانيًا لنصب فوقه الصليب"[84].

***

72 تاريخ الآداب العربية ج: 3 ص: 489.

73 تاريخ الآداب العربية ج: 3 ص: 492.

74 تاريخ الآداب العربية ج: 3 ص: 492.

75 تاريخ الآداب العربية ج: 3 ص: 492 و493.

76 تاريخ الآداب العربية ج: 3 ص: 493. ومع هذا الاقتضاب في ذكر السيد محمد رشيد رضا -رحمه الله- إلا أن لويس شيخو لم يفته أن ينقل فقرة كاملة من كلام الشيخ رشيد رضا في ترجمة الشيخ عبد الكريم سلمان في اليأس من حال المسلمين، فكتب لويس شيخو: "رحل إلى دار البقاء أحد أدباء مصر (الشيخ عبد الكريم سلمان) ... فأيس من الإصلاح. ومن ظريف ما أخبره منشئ المنار الإسلامي (20: 440) من نفسه ما رآه من يأس الشيخ سلمان من صلاح حال أمته فروى ما نقله بحرفه الواحد: "كان يصرح بذلك ويحتج علي وعلى الأستاذ الإمام قائلاً: سترى ما ينتهي إليه أملكما في هذه الأمة الميتة وما يبلغه إصلاحكما من هذه الشعوب الفاسدة. وله كلمة في هذا المعنى قالها لأستاذنا الشيخ حسين الجسر ألبسها كعادته ثوب الدعابة والهزل. وقد كنا بدار الأستاذ الإمام نتحدث بما أشيع من رغبة الأمة اليابانية في التدين بدين الإسلام. قال الشيخ حسين الجسر: إذًا يرجى أن يعود إلى الإسلام مجده. قال الفقيد: دعهم فإني أخشى إذا صاروا منا أن نفسدهم قبل أن يصلحونا. ذكرت هذا في ترجمة الرجل لما فيه من العبرة المحزنة" فتأمل!". [تاريخ الآداب العربية ج: 3 ص: 400].

77 تاريخ الآداب العربية ج: 3 ص: 490.

78 تاريخ الآداب العربية ج: 1 ص: 149 إلى 151.

79 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 235. ولم يفته أن يغمزه، فقال: "ونشر عدة مصنفات، زعم البعض أنها ليست له، وإنما كلف العلماء بتصنيفها، فعزاها لنفسه".

80 تاريخ الآداب العربية ج: 3 ص: 360.

81 تاريخ الآداب العربية ج: 3 ص: 407.

82 تاريخ الآداب العربية ج: 3 ص: 443.

83 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 212 و213.

84 أرشيف ملتقى أهل الحديث-1 ج: 6 ص: 202.

ب- هنري لامنس

(1) ترجمته

ولد في مدينة خِنْت في بلجيكا عام 1862م، وجاء لبيروت في صباه، وتعلم في الكلية اليسوعية ببيروت، وبدأ حياة الرهبنة في 1878م، فأمضى المرحلة الأولى في دير لليسوعيين في قرية غزير بجبل لبنان لمدة عامين، ثم قضى خمسة أعوام في دراسة الخطابة واللغات.

وفي عام 1886م صار معلمًا في الكلية اليسوعية ببيروت، وسافر لأوروبا، وعاد لبيروت عام 1897، حيث عين معلمًا للتاريخ والجغرافية في كلية اليسوعيين، ولما أسس (معهد الدروس الشرقية) ضمن كلية اليسوعيين في عام 1907م صار فيه أستاذًا للتاريخ الإسلامي.

ولما توفي لويس شيخو عام 1927م، خلفه لامنس على إدارة مجلة (المشرق)، وكان قد تولى قبل ذلك إدارة مجلة (البشير)، وكان يكتب في هاتين المجلتين مقالات كثيرة، وكان يكتبها بالفرنسية، وتترجم له بالعربية.

وتوفي في عام 1937[1].

***

(2) لمحة موجزة عن إصداراته.

تركزت إصداراته حول:

(أ) السيرة النبوية

(ب) بداية الخلافة الأموية

(ج) موضوعات متفرقة

***

(أ) ففي السيرة النبوية صنف الكتب الخمسة التالية بالفرنسية للتمهيد لدراساته المتعلقة بالنبي -عليه الصلاة والسلام- والسيدة فاطمة -رضي الله عنها- وتاريخ السيرة، وهذه الكتب هي: محمد الإسلام، مكة عشية الهجرة، مدينة الطائف عشية الهجرة، غربي الجزيرة العربية قبل الهجرة، المعابد قبل الإسلام في غربي الجزيرة العربية.

ومع هذه الكتب الممهدة كتب الكتب التالية بالفرنسية عن السيرة وحياة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه رضوان الله عليهم: القرآن والسنة: كيف ألفت حياة محمد، هل كان محمد أمينًا؟ عصر محمد وتأريخ السيرة، فاطمة وبنات محمد: تعليقات نقدية لدراسة السيرة، الحكومة الثلاثية من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة.

(ب) أما عن تاريخ بداية الخلافة الأموية، فكتب الإصدارات التالية بالفرنسية: دراسات عن حكم الخليفة الأموي معاوية الأول، خلافة يزيد الأول، زياد بن أبيه: والي العراق ونائب معاوية الأول، معاوية الثاني أو آخر السفيانيين، دراسات عن عصر الأمويين، مجيء المروانيين وخلافة مروان الأول.

(ج) موضوعات متفرقة

كتب بالفرنسية: الإسلام عقائد ونظم، سوريا- موجز تاريخي.

وله بالعربية: تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار. ولا يستبعد أن يكون كتبه بالفرنسية، ثم تُرجم له[2].

وكذلك كتب (فرائد اللغة في الفروق)، الذي كتب عنه نجيب العقيقي: "أول نتاج شهد له فيه العلماء بسعة الاطلاع ودقة الملاحظة وقوة الاجتهاد"[3].

ولكني أتساءل: إذا كان ما كتبه العقيقي صحيحًا، فلم كان يكتب المقالات بالفرنسية، ويترجمونها له بالعربية؟

---

1 موسوعة المستشرقين ص: 503.

2 موسوعة المستشرقين ص: 503 إلى 505.

3 المستشرقون ص: 1068.

ومن هنا تتبين أهمية أعوان المستشرقين من الناطقين بالعربية، وأوضح مثال لهم الكثير من -إن لم يكن أكثر- المترجمين والأدباء من نصارى الشام.

***

(3) نظرة في بعض كتاباته وأفكاره

يصف الدكتور عبد الرحمن بدوي لامنس بقوله: "مستشرق بلجيكي وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقارًا تامًا إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها، ويعد نموذجًا سيئًا جدًا للباحثين في الإسلام من المستشرقين".

- أما عن كتبه الخمسة عن السيرة وحياة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه رضوان الله عليهم، فكتب الدكتور عبد الرحمن بدوي: "وفي هذه الكتب الخمسة تحامل لامنس على السيرة النبوية تحاملًا شديدًا، زاعمًا أن القرآن وحده هو المصدر الذي يعتمد عليه في بيان سيرة النبي، وأن كتب الأحاديث كلها موضوعة من أجل تحقيق غايات معينة هي تمجيد حياة النبي. فلم يقم لكتب الحديث وكتب السيرة أي وزن. وهو في هذا لا يسوق أي دليل نقلي أو عقلي، ولا يرجع إلى مصادر أخرى عن السيرة، بل هو يلقي الكلام جزافًا، ويعتمد على تحكمات سابقة.

....

وأبشع ما فعله -خصوصًا في كتابه عن (فاطمة وبنات محمد)- هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها. وقد راجعت معظم هذه الإشارات في الكتب التي أحال إليها، فوجدت أنه إما أن يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقًا في هذه الكتب، أو يفهم النص فهمًا ملتويًا خبيثًا، أو يستخرج إلزامات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن وخبث النية، ولهذا ينبغي ألا يعتمد القارئ على إشاراته إلى مراجع، فإن معظمها تمويه وكذب وتعسف في فهم النصوص.

ولا أعرف باحثًا من بين المستشرقين المحدثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النية"[4].

وعن هذا التزوير في المراجع كتب أيضًا الأستاذ طارق سري: "اعتمد لامنس على تغيير النصوص والتمويه والتدليس، وعرف عنه عدم النزاهة، فهو غير أمين في نقل النصوص، حتى أنه كان يشير إلى أحد المراجع العربية وعند الرجوع لا نجد ما أشار إليه، وهذا نوع من أنواع التلفيق البين، وأحيانًا يفسر النص على هواه، ويزيد كلمة أو ينقصها لتخدم ما يريد من أفكار، وهو شديد التعصب ضد الإسلام والمسلمين"[5].

- أما عن كتبه عن الأمويين، فكتب الدكتور عبد الرحمن بدوي: "وفي هذه الدراسات بالغ لامنس في تمجيد الأمويين بدافع من الحقد الشديد على الإسلام[6]". ووصف منهجه بالاندفاع الأهوج: "في تبرير أبشع جرائم يزيد والأمويين بعامة".

---

4 موسوعة المستشرقين ص: 503 و504.

5 المستشرقون ومنهج التلفيق والتزوير في التراث الإسلامي ص: 91.

6 عن هذا الحقد على الإسلام الذي يدفع المستشرقين الفرنسيين -بما فيهم هنري لامانس- لتمجيد بني أمية -لنية عدائية للإسلام في قلوبهم- كتب المؤرخ الدكتور حسين مؤنس في تعليقه على كتاب (مجد الإسلام) لجاستون فييت:

"هناك ستار من الحقد عند أصحابنا أبناء فرنسا، يحول بينهم وبين أن يفهمونا.

حقد قديم يرجع إلى الحروب الصليبية، والفرنسيون يعتقدون أنها كانت حربًا بين فرنسا والإسلام.

وحقد جديد بدأ سنة 1830 عندما اعتدى الفرنسيون على الجزائر.

حقد على عرب المغرب لأنهم لم يستسلموا لفرنسا، ويقدموا بلادهم هدية لها، وحقد على عرب المشرق لأنهم لم يتركوا إخوانهم لها، تفعل بهم ما تريد.

وحقد لأن فرنسا لا تعرف كيف تخرج من المشكلة التي أوقعت نفسها فيها في المغرب. راحت الجمهورية الرابعة، وستروح الجمهورية الخامسة. هلك الألوف، وضاعت الملايين.

حقد نحن ضحيته، ونحن ناره التي تتقد.

حقد يفسد كل ما يكتبه الفرنسيون عنا. فلنر إذن كيف أفسد الحقد هذا الكتاب.

- التشويه يبدأ من الصفحة الأولى:

يبدأ ذلك من الفصل الأول عن محمد صلوات الله عليه.

وهو كغيره من المستشرقين الفرنسيين يردد نفس الأفكار التي حالت بين جمهور قرائه وفهم صاحب الرسالة عليه السلام.

من هذه الأساطير مثلًا أن بني أمية كانوا قبل الإسلام أغنى وأعز من بني هاشم.

- أما عن كتابه (الإسلام عقائد ونظم) فيعتبره الدكتور عبد الرحمن بدوي بأنه: "عرض سطحي جدًا، وليست له أية قيمة علمية ولا حتى كدراسة مبسطة ابتدائية، لأنه مزجه بوجهات نظره المليئة بكراهيته للإسلام في غل منقطع النظير"[7].

وقال نجيب العقيقي -المتعاطف مع المستشرقين- عن لامنس: "وصنف فيها[8] مصنفات وفيرة عده بعضهم بها حجة زمانه، وأنكر بعضها عليه آخرون، ورموه بالتزمت والتحيز"[9].

***

مع أنهم يعرفون أن أعلى ذروة بلغها قرشي -قبل محمد صلى الله عليه وسلم- كانت عبد المطلب، وهو ابن هاشم، وجد النبي المباشر.
وأن بني عبد شمس بن عبد الدار كانوا أفقر وأضعف بكثير من بني هاشم بن عبد مناف.

....

- شتان بين إعجاب وإعجاب:
ويمر المؤلف مسرعًا بأبي بكر وعمر دون أن يخطر بباله أن يتفكر لحظة في ملكات هذين العبقريين. الفتوح الإسلامية في نظره غزوات، ومعاهدات الصلح لا هدف لها إلا الجزية والخراج.
ثم ينتقل إلى بني أمية.
والفرنسيون معجبون ببني أمية.
وسر الإعجاب أن جدهم أبا سفيان كان عدو الرسول صلى الله عليه وسلم.
واقرأ -إذا أردت- ما كتبه عميدهم هنري لامانس عن معاوية ويزيد وعبد الملك وبقية بني مروان، ونحن معجبون ببني أمية.
ولكن شتان بين الإعجابين.
فهم يعجبون بهم عن طريق الحقد، ونحن معجبون بهم عن طريق الحب.
فيعجبنا حلم معاوية ورجولته وسياسته وتوحيده أمر المسلمين.
وتعجبنا عروبة عبد الملك بن مروان وإيمانه بها، الذي خطا بسير التعريب خطوات حاسمة إلى الأمام.
ويعجبنا إيمان الوليد وسليمان وما تم على يديهما من فتوح.
وتعجبنا من بني أمية جميعًا الفحولة والأصالة والشهامة والعروبة.
ولكن، ماذا يعجب الفرنسي في بني أمية؟
يعجبهم أبو سفيان، لأنه حارب الرسول صلى الله عليه وسلم.
ويعجبهم معاوية لأنه انتزع الخلافة من يد علي.
ويعجبهم يزيد لأنه قتل الحسين وأمر جنده بمهاجمة مكة.
ويعجبهم تمثيل الحجاج بأهل العراق". [الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ص: 560 إلى 563].

7 موسوعة المستشرقين ص: 504 و505.

8 أي: في الدراسات الشرقية.

9 المستشرقون ص: 1068.

ج- شانتور

رأس الكلية اليسوعية ببيروت لعدة سنوات أثناء الانتداب وبعده، وكان ذا نفوذ ضخم لدى المحتل الفرنسي، وذكر عنه المنصر جسب في كتابه (اليسوعيون في سوريا Les Jisuites en Syrie) (8: 10) قول شانتور: "ويأتي المبشر تحت علم الصليب ... يحلم بالماضي، وينظر إلى المستقبل، وهو يصغي إلى الريح، التي تصفر من بعيد، من شواطئ رومية ومن شواطئ فرنسة. وليس من أحد يستطيع أن يمنع تلك الريح من أن تعيد على آذاننا قولها بالأمس، وصرخة أسلافنا (الصليبيين) من قبل: "إن الله يريدها"."[1].

وعبارة "إنها إرادة الله" التي يذكرها شانتور، هي الشعار الذي أطلقه البابا أوربان الثاني في خطابه في مجمع كلرمونت عام 1095م، والذي أعلن فيه بدء الحملة الصليبية الأولى[2].

***

1 التبشير والاستعمار ص: 38.

2 Microsoft Encarta 2009, Urban II.

وبهذا يتبين أن اليسوعيين كانوا أداة من أهم أدوات البابوية في المحافظة على كيان الكنيسة أمام الخطر البروتستانتي، وفي نشر التنصير.

وقد توسلوا لذلك بوسائل عديدة منها الحروب والمؤامرات والأعمال الخيرية، بالإضافة لوسيلة من أهم وسائلهم، إن لم تكن أهمها، ألا وهي وسيلة التعليم والبحث العلمي.

ويتبين من تاريخهم أنهم قرأوا كثيرًا، وبحثوا كثيرًا، وكتبوا كثيرًا، ولكنهم أيضًا زوروا كثيرًا، حتى ساءت سمعتهم العلمية.

ويتبين من الخط العام لعملهم في الشرق الإسلامي عمومًا، والعالم العربي بوجه أخص، أنهم تدرجوا بالبدء في تشجيع القومية العربية في مواجهة الوحدة الإسلامية، وتوسلوا لذلك بنشر كتب التراث العربي وكتب الأدب عامة، ثم بدأوا بمحاولة إثبات أن العرب الجاهليين كانوا نصارى، أو متأثرين بالنصارى، وأن قصص النصارى ودينهم كانوا منتشرين بين العرب، وأن القرآن نقل عن النصارى وأخذ، وكذلك شنوا حملات الطعن على الإسلام والقرآن، في محاولة لتنصير المسلمين، ثم مجدوا فرنسا وعظموا ثقافتها ونشروها، لكي يحولوا المسلمين للولاء لها.

ثم بعد تشجيعهم للدعوة للقومية العربية، انتقلوا -بعد سقوط الخلافة- لتشجيع النزعة القطرية بإثارة الدعوة للعامية، ليفتتوا الأمة العربية، بعد أن سعوا في فصلها عن الأمة الإسلامية.

أي أنهم سعوا لتحويل المسلمين من دولة الخلافة التي كانت تقوم -في معظم تاريخها- على رابطة أخوة الإسلام ووحدة ديار المسلمين، إلى الدولة الوطنية العلمانية التابعة للغرب العلماني ذي الروح الصليبية.

واتساقًا مع اعتماد البابوية عليهم في خططها عامة وفي التنصير خاصة، واتساقًا مع التكاليف والمهام السياسية والفكرية التي وجهتهم إليها، وحرصًا على التنافس مع النشاط البروتستانتي في العالم العربي، وخدمة للمصالح السياسية والاقتصادية الفرنسية، اتساقًا مع ذلك كله جاءت الترجمة العربية لكتاب النصارى المقدس، الذي قامت به الرهبانية اليسوعية في لبنان.

***

أرجو أن أكون قد أظهرت -في الموجز السابق عن اليسوعيين- الظروف السياسية والدينية التي أحاطت بالترجمة العربية لكتاب النصارى المقدس، الذي أخرجته الرهبانية اليسوعية في لبنان.

وبقيت نقطة أرى أن أذكرها، وهي التعريف بإبراهيم اليازجي، الذي صحح العهد القديم من تلك الترجمة، ولكني أرى -من المفيد- أن أضم التعريف به للتعريف بوالده ناصيف اليازجي، عند الحديث -إن شاء الله- عن الظروف التي أحاطت بالترجمة البروتستانتية لكتاب النصارى المقدس.

***

نبذة موجزة عن الخلفية التاريخية والسياسية للنسخة البروتستانتية التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865م.

لن أكتب في هذه النبذة عن نشأة البروتستانت، لأني سأتناولها -إن شاء الله- عند الكتابة عن الإصلاح الديني في أوروبا، ولكني سأركز في هذه النبذة على تعريف موجز بنشاط الإرسالية الأمريكية البروتستانتية في الشام.

ولذا سأقسم الكتابة في هذة النبذة إلى:

1- تاريخ الإرسالية الأمريكية في الشام

2- أهم أنشطة الإرسالية الأمريكية في الشام

3- أمثلة لأهم شخصيات الإرسالية الأمريكية في الشام

***

1- تاريخ الإرسالية الأمريكية في الشام

وأقسم الكلام فيه إلى:

أ- نشأة وتطور الإرسالية الأمريكية في الشام

ب- مواقف الجهات المختلفة من الإرسالية الأمريكية في الشام

***

أ- نشأة وتطور الإرسالية الأمريكية في الشام

ذكرت من قبل نبذة عن نشاط اليسوعيين التنصيري في الشام، الذين كانوا يشكلون -في القرن السابع عشر الميلادي- معظم المنصرين في الشام، ثم أخرجوا منه، وعادوا في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، بعد وصول المنصرين الأمريكان لها.

أما عن المنصرين الأمريكان البروتستانت، فقد قرروا من بداية القرن التاسع عشر أن يشرعوا في النشاط التنصيري في الدولة العثمانية، وكانت الشام مركزهم الأول والأهم، ومنها انطلقوا لمصر والعراق والخليج.

وأود هنا بداية أن أشير للترابط في المصالح بين التنصير البروتستانتي في الشام والمصالح الأمريكية فيه، وقد كان الشرق الأوسط لا يحتل المرتبة الأولى في الأهمية لدى الحكومة الأمريكية في القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين، وكان المنصرون الأمريكيون قبل عام 1850م يعتمدون اعتمادًا كليًا على الحماية الدبلوماسية البريطانية، أما بعد ذلك فقد تمتعوا بالحماية الدبلوماسية الأمريكية، فقد كان العديد من المنصرين يعملوا في الشرق الأسط ولهم صلاحية القنصل.

وقد أرسلت الحكومة الأمريكية بعثة خاصة للآستانة في عام 1900 للمطالبة بتعويضات عن الأضرار التي لحقت بالمنصرين من جراء موقف الحكومة التركية من ثورة الأرمن 1894- 1895م، وللمطالبة بامتيازات خاصة لهم.

وبذلك اسبغت الحكومة الأمريكية حمايتها على الإرسالية الأمريكية في الشام، وأصبح المنصر الأمريكي هو طليعة النفوذ الأمريكي وغزوه المبكر للعالم العربي[1].

ولقد ارتبط النشاط التنصيري في الشام والشرق الإسلامي بالمجلس الأمريكي لأمناء الإرساليات الخارجية[2] في بوسطن بالولايات المتحدة في عام 1810م، الذي أسسه أعضاء الكنيسة المذهبية المتحدة في نيوإنجلند[3]، وضم في عضويته الكنيسة المشيخية[4] والكنيسة المستقلة[5].[6]

ومنذ عام 1812م أسس المجلس ثلاث إرساليات متميزة: واحدة لاستانبول، والثانية لفارس، الثالثة للشام.

وكان عدد أعضاء المجلس في عام 1813م 26 عضوًا، من بينهم 18 من خريجي المعاهد العليا، وكان عدد منهم من القساوسة البروتستانت، الذين كانوا يمثلون الشريحة الأكثر ثقافة في المجتمع الأمريكي، وكذلك ضم ثلاثة من التجار، وعددًا من أعضاء حكومات الولايات. أي أن المجلس كان يتمتع بتأييد قوي من الرأي العام الأمريكي.

وقد بدأ االتجهيز لإرسالية الشام من عام 1819م، فتم تكليف المنصرين الأمريكيين بليني فيسك وليفي بارسنز بالتوجه للأرض المقدسة للتنصير فيها، وهذه أول مبادرة أمريكية للاهتمام بلفسطين وللتنصير في العالم العربي.

وقرر المجلس أولًا قبل القفز للشام أن يبدأ بمحطة له في مالطة، التي كانت تخضع للاحتلال البريطاني، ومنها بدأت رحلاتهم الاستكشافية للشام، وكانت أهم محطاتهم هي:

(1) محطة مالطة.

عندما قرر (المجلس الأمريكي لأمناء الإرساليات الخارجية) أن يرسل إرسالية للشام، اختار مالطة كمحطة أولى لها، ومنها يراقب أحداث الشام، ثم يحدد المحطة التالية فيها.

وكانت مالطة أكثر الأماكن ملاءمة للمنصرين الأمريكان، فقد كانت تحت السيطرة البريطانية منذ مطلع القرن التاسع عشر، وأسس الأمريكيون مطبعتهم فيها عام 1882م، ومن مالطة قام ليفى باسنز وبليني فسك برحلة استكشافية

---

1 التنصير الأمريكي في الشام ص: 71 و72.

2. The American Board Of Commissioners For Foreign Missions.

3 New England Congregationalists

4 Presbyterian Church.

5 Independent Church.

6 Encyclopædia Britannica, American Board of Commissioners for Foreign Missions.

Microsoft Encarta 2009, Missionary Movements, II. CHRISTIANITY, C. New Fields.

التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 68 و69.

للشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، وبناء على تلك الاستكشافات اختارا بيروت لتكون المحطة الأولى في الشام، وذلك للتعدد الطائفي بها، ولوقوعها في وسط العالم العربي، ولإمكان نشر النشاط التنصيري منها لكل أنحائه، ولكن لم تنقل الإرسالية الأمريكية مقرها الأساسي لبيروت إلا في نهايات عام 1883م، بعد أن ظهرت الأسباب المشجعة على ذلك.

وفي مالطة كان النشاط الأساسي موجهًا للترجمة والطباعة، فحتى عام 1827م ترجموا ستة كتب إلى الأرمينية، في محاولة لنشر الفكر القومي بين الأرمن، كما تم تجهيز المطبعة بالوسائل االلازمة للطباعة باللغات الإيطالية واليونانية والأرمينية والعربية، التي بدأوا في إعداد الكتب والكراسات التنصيرية بها، لإرسالها للشام والأراضي المقدسة.

وقد رأي المنصرون الأمريكان أن يبقوا المطبعة في مالطة كمرحلة مؤقتة، ولا ينقلوها لبيروت، حتى لا يثيروا معارضة ضدها، وحتى لا تتدخل الحكومة العثمانية لإيقافها، بينما كانت أحوالهم في مالطة آمنة ومستقرة في ظل الحكم البريطاني.

وبالإضافة للطباعة كان اهتمام الإرسالية الأساسي موجهًا لتعليم منصريها اللغة العربية، ولذا سافر المنصر سميث لمصر لمدة عام لتعلم العربية، وبعد ذلك قام برحلة للشام، وكذلك تعلم المنصر بيرد العربية، وأصبح قادرًا على الوعظ بها.

كما عمل غيرهما من المبشرين على اكتساب معلومات إضافية عن العبرية والأرمينية، لمساعدتهم على التنصير بحرية وسط اليهود والأرمن في الشام، كذلك أفادتهم هذه اللغات في ترجمة وطباعة الكتب والكراسات التنصيرية.

وكان هذا يتماشى مع سياسة الإرسالية، التي اعتبرت مالطة أفضل مكان لطباعتها.

كذلك تم إعداد عدد من المنصرين في مالطة لإرسالهم للشام، وكان منهم عدد ممن النصارى الذين تحولوا للبروتستانتية من الشام، من أمثال يوحنا ورتبات.

وابتداءً من عام 1833م بدأ الاستعداد للانتقال إلى بيروت، حتى يمارس المنصرون نشاطهم مباشرة، وذلك بعد أن أصبحت الشام تحت حكم إدارة محمد علي المشجع للمنصرين.

(2) محطة بيروت.

بدأت أنظار المبشرين الأمريكان تتجه لبيروت من عشرينيات القرن التاسع عشر، فقد أسس بها بليني فسك - وهو أول منصر أمريكي زار بيروت- بالاشتراك مع إسحق بيرد مدرسة في عام 1822م لتعليم اللغتين الإنجليزية والإيطالية.

وبعد المدرسة التي أنشئت عام 1822م، بدأ المركز التنصيري عام 1823م.

وكان من عوامل تصدر بيروت كمركز أساسي للتنصير البروتستانتي ثم بعده للتنصير اليسوعي في الشام:

أولًا: كونها مركزًا تجاريًا وصناعيًا يقصده الأجانب وأهل الشام للتجارة، وكانت ذات مرفأ رحب تفد له السفن التجارية.

وثانيًا: كان فيها مراكز القناصل الأجانب.

وثالثًا: كان فيها نوع من الحرية الدينية، وكان فيها رجال دين من بلاد شتى، بالإضافة لمن يفد لهم من رجال الكهنوت من أديرة الجبال.

واضطروا لحصر نشاطهم في بيروت بعد إنذار الأمير بشير الشهابي لهم بألا يعملوا خارج بيروت، كما أن الدولة العثمانية أمرت بمنع توزيع الأناجيل العربية المطبوعة في أوروبا منعًا للشقاق والنزاع بين الأهالي.

وداخل بيروت نجح المنصرون البروتستانت في تحويل عشرة مسيحيين من طوائف مختلفة للبروتستانتية.

وتنبهت الكنائس الوطنية لهم فبدأت في مقاومة نشاطهم، بالكتابة والخطابة، وبفرض الحرمان على من يتحول للبروتستانتية.

واضطر المنصرون البروتستانت لمغادرة بيروت والشام في عام 1828م نتيجة لعدم الاستقرار في البلاد، وانتقلوا لمالطة، ولكنهم عادوا مرة أخرى في عام 1830م.

ولكن بيروت لم تتحول لمركز أساسي للتنصير في الشام إلا في عام 1834م, عندما سيطر محمد علي على الشام، وشجع الإرسالية الأمريكية، ووفر لها الاستقرار.

فنقلت مطبعتها من مالطة لبيروت التي غدت المركز الرئيسي للنشاط التنصيري البروتستانتي في الشرق الأوسط كله.

وبدأ العمل في الطباعة بجدية بعد نقل المطبعة، كما أسست كنيسة صغيرة في نفس العام.

واستخدمت الإرسالية الأمريكية الطباعة وتوزيع الكتب كأهم وسائل التنصير، حيث كان يدرب موزعو الكتب الدينية ليعملوا كمنصرين لغيرهم.

وتم بناء أول كنيسة إنجيلية في الشام في عام 1848م، وأصبح اسمها (الكنيسة الإنجيلية الوطنية)، كما كان المنصرون يقيمون صلواتهم كل أحد في بيت قنصل أمريكا في بيروت لمدة ثلاثين عامًا.

وفي عام 1860م توقف نشاط الإرسالية التنصيرية الأمريكية نتيجة القتال بين الدروز والموارنة، كما بدأت المعارضة المنظمة ضدها من عام 1862م من جانب الكنائس الوطنية واليسوعيين والمسلمين،

وفي عام 1872م أنشئت (جمعية بيروت الإنجيلية)، التي تهدف لنشر الإنجيل، والكتب الدينية التي يؤلفها أعضاؤها.

وعقدت الاحتفالات في كنيسة بيروت، ومن ذلك الاحتفال بمرور 400 عام على وفاة مارتن لوثر، وخطب فيه فارس نمر[7] عن (احتفال الشعوب بميلاد لوثر)، كما خطب فيه إبراهيم سركيس داعيًا للتمسك بالبروتستانتية ونبذ ما سواها.

وجرت محاولات لجمع الكنائس الإنجيلية في سنودس (مجمع)، وعقد الاجتماع في 7 أبريل عام 1884م في كنيسة بيروت.

وبذلك فقد لعبت الإرسالية الأمريكية في بيروت دورًا هامًا في إنشاء طائفة إنجيلية في الشام من العدم، وأسست أول كنيسة إنجيلية في الشام عام 1848م، وساعدهم أيضًا في العمل اعتراف الدولة العثمانية بالبروتستانت كطائفة في عام 1850م، كذلك ساعدهم الاحتماء بالامتيازات الأجنبية، ومساعدة القناصل الأمريكان والإنجليز للإرسالية.

وكان تكوين الجالية الإنجيلية في الأساس على حساب الطوائف المسيحية الأخرى والدروز، أما المسلمون فكان العمل بينهم صعبًا، ولذا رأت الإرسالية البدء بالعمل بينهم عن طريق التعليم، لمحاولة زحزحتهم عن دينهم[8].

(3) محطة القدس

للقدس مكانة خاصة في الفكر المسيحي عامة والبروتستانتي خاصة، لإيمانهم بالعقيدة الألفية[9]، وعودة المسيح عليه السلام، لذا نالت أهمية كبيرة في العمل التنصيري البروتستانتي في الشام.

---

7 سيأتي ذكره -إن شاء الله- كأحد المتعاونين مع الاستعمار البريطاني بمصر.

8 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 69 إلى 82، والجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ص: 50 إلى 54.

9 العقيدة الألفية هي عقيدة تتعلق بما يعتقد به معظم النصارى من المجيء الثاني للسيد المسيح عليه السلام، وهذا المجيء من ركائز إيمانهم، وهم ينتظرونه في أي وقت على اختلاف بينهم في تفاصيله، ومنهم من فسره حرفيًا، ومنه من فسره معنويًا، بأن مجيئه الثاني هو انتشار دينه، والذين فسروه حرفيًا قرنوا بين مجيئه وانتشار السلام في العالم لألف سنة، وتقييد الشيطان فيها، وإيمان كثير من اليهود بالمسيح، ثم اختلفوا فمنهم من جعل مجيء سيدنا المسيح -عليه السلام- قبل تلك الألف سنة (الملك الألفي)، ومنهم من جعله بعده، والذين اعتقدوا بمجيئه قبل الألف سنة المذكورة، يزعمون أنه ستقع أحداث شديدة قبلها، منها قيام إسرائيل وحرب عالمية وغيرها من الحوادث، وأن المسيح سيقف مؤيدًا لشعب إسرائيل في حربهم مع أعدائهم، إلى تفاصيل كثيرة.

وهذا الاعتقاد ينتشر بصورة واسعة بين طوائف عديدة من المسيحيين، وخاصة البروتستانت في الغرب وفي أمريكا خاصة، وقد استفادت إسرائيل من هذه التنبؤات، التي تنبني على ما ورد في سفر الرؤيا من العهد الجديد، والتي يزعم أصحابها أن تجمع اليهود في فلسطين هو مقدمة لاتباعهم للمسيح، الذي سيجيء قبل الألف عام المذكورة (الملك الألفي).

وهذا يبين البعد الديني في تأييد كثير من طوائف الغربيين والأمريكان لقيام إسرائيل.

وسأوضحه بشيء من التفصيل -إن شاء الله- عند الحديث عن الأفكار المنحرفة التي انبنت على النصوص المحرفة.

[الاختراق الصهيوني للمسيحية ص: 187 إلى 210.

Encyclopædia Britannica:

- millennialism.

- eschatology, The forms of eschatology, Millennialism.

- Second Coming].

وبدأت الإرسالية نشاطها بالمنصرين فسك وبارسنز، اللذين غادرا بوسطن في خريف 1819م لاستكشاف منطقة القدس وما حولها ومدى إمكانية التنصير فيها، فكانا بذلك أول منصرين بروتستانتيين يزوران القدس للتنصير فيها، ولكنهما غادراها بعد عدة أشهر بسبب اضطراب الأحوال فيها، ولم يعودا لها إلا في عام 1823م.

وكانت أعمال الإرسالية في هذه المرحلة تقتصر على الوعظ والصلاة أيام الآحاد بالإضافة لوجود مدرسة الأحد في بيت لحم.

وبعد استقرار الإرسالية في بيروت بدأ التفكير في إقامة المحطة الأخرى في القدس، فبدأ استكشاف آخر على يد ثلاثة أشخاص: المنصر نيكولايسون والمنصر طومسون وزوجته في أبريل 1834م، وقد لاقوا في البدء صعابًا خصوصًا في ظل الثورة على الحكم المصري آنذاك، وكذلك واجهوا معارضة شديدة من الكنائس المحلية، ومن المسلمين أيضًا.

وبدأت الإرسالية باتخاذ التدابير لإقامة كنيسة إنجيلية في القدس، حيث لم تكن بها واحدة من قبل، بينما كانت لكل الطوائف المسيحية هناك كنائس.

وحتى عام 1839م لم يكن بالشام كلها أية محطات تنصيرية إلا في بيروت والقدس، التي وفرت لهم ملجأً آمنًا، حين لجأوا لها هربًا من حصار بيروت، أثناء حرب الدولة العثمانية لإخراج محمد علي من الشام عام 1840م.

وعملت الإرسالية على نشر دعوتها التنصيرية البروتستانتية في القدس وما حولها من البلدات عبر زيارات المنصرين وتوزيع المطبعات المجانية أو زهيدة الثمن بين الأهالي والحجاج المسيحيين للقدس.

ولكن العداء للإرسالية أخذ في التصاعد لدرجة أثرت على عملها، ولكنها واصلت نشاطها التنصيري في ما حول القدس، حتى جبال نابلس، التي وصفها المنصرون الأمريكان بأنها: مشجعة بشكل مغر جدًا، ولم تكن قد وصلها منصرون قبلهم.

ثم خفف الأمريكيون نشاطهم في القدس تنسيقًا مع الإرساليتين البروتستانتيتين الإنجليزية والبروسية، ولعل السبب هو مراعاة الأمريكان لنفوذ الإنجليز، الذين كانوا يوفرون للأمريكان الحماية في الشام وفي الدولة العثمانية كلها.

ونقل الأمريكان نشاطهم إلى شمال النافورة وغيرها من المدن الفلسطينية.

وفي عام 1841م تم تأسيس أول أسقفية إنجليزية ألمانية في القدس، وبنيت كاتدرائية بروتستانتية فيها في عام 1849م على نفقة الإنجليز والألمان.

وفي عام 1857م أنشئت قنصلية أمريكية في القدس، وبسطت رعايتها على المبشرين الأمريكان ومحطتهم في القدس.

وسعيًا من المنصرين الأمريكان لتحقيق ما يعتقدونه من الحلم الألفي نشطوا في تنصير اليهود، وفي الاهتمام بالنواحي الأثرية والجغرافية، وكل ما يتعلق بحلمهم.

فرسمت خريطة لفلسطين ونهر الأردن في عام 1872م، واحتوت على معلومات أثرية وتاريخية وافية، كما اهتموا بإنشاء المستشفيات، ومن ذلك مستشفى نابلس، الذي كانوا يداون فيه المسلمين بشرط أن يتلو الكاهن -الذي هو الطبيب أيضًا- على المرضى الصلوات البروتستانية، وكان المسلمون يقبلون بذلك لحاجتهم، إذ لا طبيب ولا مستشفى لديهم.

وسعت الإرسالية في تهيئة الأذهان لعودة الشعب اليهودي -الذي يعتبرونه شعب الله المختار- لوطنه القومي، فسعوا في البحث عن الأماكن المذكورة في التوراة، وأطلقوا الأسماء التوراتية عليها.

ولم تقنع هذه الدعوة اليهود فقط، بل أثرت على عدد كبير من الأمريكان، الذين انتقلوا للقدس انتظارًا لعودة المسيح عليه السلام لها[10].

(4) محطة عبيه

10 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 82 إلى 87.

اهتم المنصرون الأمريكان بتوسيع نشاطهم وخاصة في مناطق الدروز، فوقع الاختيار على منطقة عبيه، فهي تضم أخلاطًا من الموارنة والدروز والروم الأرثوذكس.

فذهب لها المنصرون كرنيليوس فان ديك[11] ووليم طمسون وهوايتن في عام 1834م، وتم شراء قطعة أرض بها، عليها بناء قديم جعلوه مسكنًا للمنصرين، وأقاموا عليها أيضًا كنيسة عبيه. وعين بها كرنيليوس فان ديك في عام 1846 قسيسًا وطبيبًا.

وانتشر نشاطهم التنصيري لأربع قرى حول عبيه، واتخذوا عددًا من المساعدين الوطنيين لمساعدتهم وخاصة في التنصير المتنقل بين القرى.

وبدأت الكنائس المحلية في معارضة نشاط البروتستانت.

واقترن ازدياد نشاطهم التعليمي بازدياد نشاطهم التنصيري، فبدأوا يتوسعون إلى بحمدون القريبة، فبدأوا بالتفكير في إنشاء كنيسة إنجيلية بها.

(5) محطة صيدا

عملت الإرسالية الأمريكية على إقامة محطة لها في صيدا لخدمة الأعمال التنصيرية في هذه المنطقة، خصوصًا حاصبيا وعلما والجديدة وهي مناطق جديدة وخصبة للإرسالية، ويكثر فيها الأروام الأرثوذكس والموارنة والدروز، وهم الهدف الأساسي للإرسالية.

وقد سبق إقامة محطة صيدا عمل فردي للمنصرين، قام به يوحنا ورتبات[12] من بداية عام 1832م، حيث بدأ يدعو للمذهب البروتستانتي، وقام بعض المنصرين بزيارته لاستكشاف المنطقة، وكذلك سبق إنشاء المحطة إنشاء العديد من المدارس في صيدا وحاصبيا، وتدريس كتاب النصارى المقدس فيها.

ولما وجد المنصرون أن الأمور في صيدا وجوارها تسير بشكل مطمئن عينوا الطبيبين وليم طمسون وفان ديك فيها في عام 1851م.

وبدأوا في استخدام العناصر الوطنية، وتدريبهم على العمل التنصيري مثل بطرس البستاني[13] وأبو بشارة طنوس الحداد وإلياس فواز.

ونتيجة لنشاط الإرسالية تم إنشاء كنيسة في حاصبيا عام 1851م، وأخرى في صيدا عام 1855م.

ثم تكونت إبرشية صيدا المشيخية في عام 1883م، وعقد اجتماعها الأول الذي كان يضم ممثلين عن 11 كنيسة، وعين -من كل كنيسة- شيخ واحد ليكون وكيلًا لها في المشيخة السنوية، حسب نظام الكنيسة المشيخية.

وبذلك بدأت الإرسالية الأمريكية تترك أعمالها بالتدريج لأعضائها الشوام[14].

(6) محطة طرابلس

بدأ العمل التنصيري في طرابلس من عام 1849م، باعتبارها مدينة ساحلية هامة، ولأن أعدادًا كبيرة من النصيريين يقيمون حولها، وهم من أقرب الطوائف للمسيحيين، وقد عملت الإرسالية على العمل بينهم.

وقد واجه البروتستانت معارضة ومضايقات من رجال الدين الأرثوذكس وكذلك بقية الطوائف المسيحية والمسلمين، ولكنهم صبروا وثابروا، مما خفف حدة العداء ضدهم، فتمكنوا من إنشاء كنيسة إنجيلية في طرابلس.

وتوسع نشاطهم ليشمل المناطق المجاورة لطرابلس مثل جبيل وعزوز وغيرها.

ولم يقتصر نشاط الإرسالية الأمريكية على محطاتها الرئيسية فقط، بل امتد لمدن أخرى، ففي دمشق وجدت إرسالية تابعة لـ(لجنة مرسلي إيرلندا)، وانضم لها بعض المنصرين من الإرسالية الأمريكية، في ظل التعاون بين الإرساليات البروتستانتية، وبنيت كنيستان في دمشق، واحدة في عام 1864م، والأخرى في عام 1868م.

---

11 سيأتي التعريف به إن شاء الله.

12 سيأتي التعريف به إن شاء الله.

13 سيأتي التعريف به إن شاء الله.

14 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 91 إلى 93.

وبدأ استكشاف حلب على يد كرنيليوس فان ديك ووليم طومسون وبيدل منذ عام 1840م، ولكن تأجل العمل فيها بسبب الحرب على القوات المصرية، والمنازعات بين الدروز والموارنة.

كذلك امتد نشاطهم لإدلب منذ عام 1852م، كما أرسلوا منصرًا لحمص، وكذلك للاذقية عام 1859م.

وقد سعت الإرسالية لأن يعتاد الأهالي على العمل التنصيري، ويقوموا بحمل أعبائه وجمع التبرعات له بأنفسهم، لتثبيت جذورهم، لكي تنتقل الإرسالية لمكان جديد، وهي سياسة متبعة عندهم.

وقد حاولت الطائفة العربية في الشام بالاشتراك مع جمعية (المرسلين الكنسية) تنظيم مؤتمر وطني منذ عام 1883م يتولى الإشراف على أعمالها في الشام، ولكن لم تنجح إلا في بداية القرن العشرين حين تأسس مجمع الطائفة الإنجيلية العربية.

وساعد هذا الإرسالية الأمريكية على أن تنقل العمل لهذا المجمع، وأصبح هو النواة الأولى للطائفة البروتستانتية في الشام بل وفي العالم العربي كله[15].

***

15 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 93 إلى 98.

ب- مواقف الجهات المختلفة من الإرسالية الأمريكية في الشام

وأقسم البحث فيه إلى:

(1) موقف الدولة العثمانية.

(2) موقف الإدارة المصرية.

(3) مواقف أهل الشام من الإرسالية الأمريكية.

***

(1) موقف الدولة العثمانية

وأقسم البحث فيه إلى:

(أ) الامتيازات الأجنبية

(ب) التنظيمات الخيرية

(ج) نظام المتصرفية

(د) الموقف من التعليم الأمريكي

(هـ) اعتراف الدولة العثمانية بالطائفة البروتستانتية

***

(أ) الامتيازات الأجنبية

عقدت الحكومة الأمريكية اتفاقية تجارية مع الدولة العثمانية في عام 1830م، ونصت تلك المعاهدة على معاملة الولايات المتحدة معاملة الدولة (الأكثر رعاية)، ومعاملة الأمريكيين كرعايا الدول الصديقة، ومنحهم حرية التجارة في أملاك الدولة، وألا يحاكموا إلا أمام محاكمهم القنصلية، كما أعطت الولايات المتحدة حق تعيين القناصل ونوابهم في الأملاك العثمانية كلما وجدت ضرورة لذلك.

وقد استفاد المنصرون الأمريكان من المادة 45 من المعاهدة، والتي نصت على: "إذا حصل خلاف أو قضية بين رعايا الدولة العلية وأفراد الأمريكيين فلا يجوز النظر في تلك القضية أو ذلك الخلاف ولا الحكم فيها إلا بحضور الترجمان الأمريكي، والقضايا التي تتجاوز قيمتها الخمسماية قرش يصير رفعها إلى الباب العالي، ليحكم فيها حكمًا عادلًا، وكل أمريكي عائش بسلام، ولم تقم عليه دعوى جنائية، أو لم تثبت عليه، لا يجوز إساءة معاملته، حتى وإذا ارتكب أحدهم جناية فلا يجوز للحكومة المحلية إلقاء القبض عليه ومحاكمته، لأن ذلك من خصائص وزير أو قناصل هاته الولايات، ليعاقبوه بحسب ما تستحقه جنايته، وطبق العادة الجارية مع الأفرنج".

كذلك ارتبطت بالامتيازات الأجنبية والمعاهدات الإعفاءات الجمركية، التي منحتها الدولة العثمانية للرهبان على اختلاف مذاهبهم.

وبسبب كثرة تدخل البروتستانت في شؤون البلاد ما بين عامي 1840 و1850م قررت الدولة العثمانية إخراجهم من أراضيها، ولكن احتجاج السفير الأمريكي لدى الآستانة، وتمسكه بالمعاهدات الموقعة بين البلدين، وتعاونه مع السفير البريطاني، مكنه من إلغاء هذا القرار. مما أفسح المجال للتنصير الأمريكي[1].

***

(ب) التنظيمات الخيرية

عانت الدولة العثمانية منذ منتصف القرن الثامن عشر من الضعف والوهن في كافة أنحائها، فسنت بعض التنظيمات -نتيجة للهزائم العسكرية- التي قدمتها الدولة للدول الأوروبية، ولا سيما لروسيا.

ولذا كان الكثير من عناصر هذه التنظيمات مخالفًا للشريعة، ومرضيًا لأعداء الإسلام.

وأهم هذه التنظيمات: خط شريف كلخانة الصادر عام 1839م، وخط شريف همايون الصادر عام 1876م.

وبمقتضى هذين المرسومين تمت مساواة جميع الطوائف في الدولة العثمانية، وعدم التفريق بينهم على أساس الدين، ومنع تطبيق حد الردة على من يغير دينه من المسلمين.

واستفاد المنصرون بالخصوص من إبطال حد الردة، الذي منحهم حرية التنصير.

وأثارت هذه التنظيمات غضب المسلمين.

وفي عام 1869م أصدر السلطان فرمانًا يمنح الأجانب حق التملك في جميع أنحاء الدولة باستثناء الحجاز، وصدر معه امتياز جديد استفادت منه الإرسالية الأمريكية، وهو ينص على عدم أحقية الإدارة المحلية ولا مأموري الضبط بدخول منازل الأجانب أو حدائقها إلا بحضور القنصل أو مندوب عنه.

وهكذا أصبح للأجانب حق التملك والإعفاء الضريبي وعدم الخضوع لقضاء الدولة، مما أفاد الإرسالية الأمريكية وغيرها من الجهات التنصيرية[2].

***

(ج) نظام المتصرفية

1 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 270 إلى 272، التبشير والاستعمار ص: 54 و55.

2 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 273 إلى 283.

كان من نتائج قتال عام 1860م بين الموارنة والدروز أن ضغطت الدول الأوروبية على الدولة العثمانية، لجعل جبل لبنان متصرفية، يديرها متصرف مسيحي، تعينه الدولة العثمانية -بعد موافقة الدول الأوروبية الكبرى- لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد، ويتصل بالباب العالي مباشرة دون وساطة أو تدخل الباشوات العثمانيين.

وكان أول متصرف هو داود باشا، الذي كان يتخذ عددًا من البروتستانت مساعدين ومشاورين له. وكان وسائر المتصرفين يشجعون النشاط التنصيري[3].

***

(د) الموقف من التعليم الأمريكي

لم تكن الدولة العثمانية -قبل القرن التاسع عشر الميلادي- تشرف على أمور التعليم داخل بلادها، وتركت ذلك للأوقاف الأهلية، ولكن في القرن التاسع عشر تغيرت الأحوال مع ظهور التأثيرات الأوروبية، فتدخلت الدولة، وأخذت على عاتقها الإشراف عليه منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ففي عام 1869م صدر القانون الذي عرف بـ(نظام إدارة المعارف)، وكان الهدف منه إقامة العديد من العراقيل أمام إنشاء المدارس التنصيرية، ولا سيما الأمريكية، واشترط هذا القانون ضرورة الحصول على رخصة رسمية قبل افتتاح المدارس الخاصة، وكذلك ضرورة عرض جداول الدروس وكتب التعليم على إدارة المعارف.

وقد أثار هذا القانون استياء الإرساليات الأنجلو سكسونية بشدة، واحتج المنصرون الأمريكيون على ما أسموه العداء العثماني للتنوير.

وبرغم ذلك تماشت الإرسالية الأمريكية مع ذلك القانون، وكانت ترسل قائمة بالدروس ونسخًا من كل الكتب الدراسية في الشام عمومًا لإدارة المعارف.

وعندما صدر الدستور العثماني عام 1878م أكد في المادة 129 على ضرورة الحصول على رخصة من إدارة معارف الولاية قبل تاسيس المدارس الخاصة، وتصديق منها على جداول الدروس وكتب التعليم.

واحتمت المدارس الأمريكية بالامتيازات الأجنبية حتى ضد القانون العثماني الصادر عام 1869، ولكن تحت ضغط المسلمين بدأت الدولة العثمانية في الوقوف في وجه المبشرين، وأخذت في إرسال التعليمات لموظفيها بعدم إعطاء التسهيلات للمبشرين والوقوف في وجه أنشطتهم، ومن هذا يظهر أن الدولة كانت كارهة للتنظيمات بما منحته من حقوق لغير المسلمين.

ومن أدلة ذلك إرسال الدولة منذ عام 1883م الأوامر لمتصرف القدس، تحذره من السماح بتشييد الأبنية المخصصة للعبادة أو التعليم أو الأعمال الخيرية دون تصريح مسبق من الباب العالي، ولكن الإرسالية الأمريكية -وغيرها من الإرساليات- كانت تلجأ لسياسة فرض الأمر الواقع أمام الدولة، وكل ما كانت تستطيع الحكومة فعله هو حرمانها من التمتع بالإعفاءات الجمركية لبعض الأدوات المستخدمة في المدارس.

وفي عام 1888م أغلقت الدولة العثمانية مدارس المنصرين الأمريكيين، لأنها افتتحت دون الحصول على رخصة حكومية، ولكن قنصل أمريكا في بيروت ووزير الولايات المتحدة المفوض في الآستانة تدخلا في الأمر، حتى سمح الوالي بأن تعود تلك المدارس للعمل على ألا تقبل إلا التلاميذ المسيحيين، ولكن الوزير والقنصل استمرا في السعي حتى حملا الوالي على إلغاء هذا الشرط، كما أغلقت الدولة العديد من المدارس الأمريكية في مينارة والحاكورة ويبنون وجبرائيل وتل عباس، لأنها أنشأت بدون إذن حكومي.

كذلك ذكر تقرير للإرسالية الأمريكية صادر عام 1890م، أن حكومة بيروت لم تصدر أية تصاريح لمدارس، رغم كل الالتماسات والمستندات التي قدمتها الإرسالية.

ولما منعت الدولة العثمانية بائعي الإنجيل الجوالين من التجول في المدن والقرى، تدخل القناصل -وخاصة الإنجليزي- لدى الدولة حتى أوقفت هذا المنع.

---

3 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 11 و90، التبشير والاستعمار ص: 150 و151.

كذلك كثرت المناشدات للدولة بالاهتمام بالتعليم في الشام لكثرة المدارس الأجنبية فيه، وحثها على تشجيع المدارس الأهلية ببعض المساعدات لتكثر من عدد طلابها، لأنها لن تستطيع وحدها منافسة المدارس الأجنبية.

كما عملت السلطات العثمانية على افتتاح المدارس الحكومية للوقوف في وجه المدارس الأمريكية، ومن ذلك افتتاح مدرسة (صناعي ليلى) للإناث، في مواجهة المكتب الذي افتتحه الأمريكيون لتعليم الفتيات في صيدا.

وكذلك أنشأت في عام 1903م معهد الطب في دمشق، كما سمحت للنساء في بلادها بممارسة مهنة الطب، لأن الأمريكيين كانوا قد فتحوا مدارس الطب للنساء، كما أنشأت في بيروت المدرسة السلطانية لتعليم اللغات والحساب والهندسة والجغرافيا وعلوم الشريعة.

ولكن الدولة رغم هذه المساعي في مقاومة المد التنصيري، لم تكن تملك مقومات الاستمرار، وخاصة مع أزمتها المالية الخانقة[4].

***

(هـ) اعتراف الدولة العثمانية بالطائفة البروتستانتية

لم يكن في الشام طائفة بروتستانتية حتى بداية النشاط التنصيري البروتستانتي الأمريكي فيها عام 1819م، ولكن نتيجة لظهور ثمار هذا النشاط بدأت تتكون جالية بروتستانتية في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وعملت هذه الطائفة على نيل الاعتراف الرسمي بها كطائفة دينية، وبذلت الدول البروتستانتية وعلى رأسها بريطانيا وأمريكا وألمانيا جهدًا كبيرًا لنيل هذا الاعتراف من الدولة العثمانية.

وفي عهد السلطان عبد المجيد الأول وبموجب التنظيمات أرسل الباب العالي رسالة وزارية للسفارة البريطانية في 15 نوفمبر 1847م يعترف فيها بالبروتستانت كطائفة مستقلة في الدولة العثمانية.

ولما صعب على المنصرين البروتستانت الوصول إلى المسلمين التفتوا إلى الأرثوذكس والأرمن. حينئذ لجأ بطريرك الأرمن إلى الباب العالي، فحرص الباب العالي على أن يحمي الأرمن من المنصرين البروتستانت، فتدخل السفير البريطاني السير سترافورد كاننج، ومازال يسعى حتى استصدر فرمانًا سلطانيًا في 20 نوفمبر 1850م، يعترف بالبروتستانت كطائفة مستقلة في الدولة العثمانية، ويعترف لها بكل الحقوق التي للطوائف الوطنية الأخرى.

ومعنى هذا أن البروتستانت صاروا يمارسون التنصير من وراء ستار الطائفة البروتستانتية الوطنية، فلا تستطيع الدولة حينئذ أن تعتبر البروتستانت أجانب، فتحاول أن تحد من نشاطهم.

وبموجب هذا الفرمان منحت الطائفة البروتستانتية حق انتخاب وكيل لها يكون له سلطة النظر في دعاوى أحوالهم الشخصية.

وفي 11 مارس 1878م أصدر الباب العالي لائحة لتنظيم هذه الطائفة، ولكن الطائفة البروتستانتية رفضتها، وأعدت لائحة أخرى في مقابلها في 19 أبريل 1880، وقد رفضتها الدولة العثمانية بدورها.

وبعد الانقلاب العثماني عام 1908م وسيطرة حزب الاتحاد والترقي على مقاليد الحكم في الدولة العثمانية حرص الاتحاديون على إرضاء الطوائف، فمنحوها امتيازات إضافية لإرضاء الدول الأوروبية، كان منها:

- إذا لزم تحليف الراهب أو الحاخام بحضور الحاكم فيحرر تذكرة لرئيسه الروحي، وهو يحلفه، وتكتفي المحكمة بذلك، وإذا اقتضى توقيفه بناء على مظنونية فقط، فيقرر لهم محل خاص مثل سائر الممتازين.

- إذا أراد غير المسلم الاهتداء بالدين الحنيف فلا يقبل إسلامه حالًا، بل يبعث به إلى أبويه وأقربائه ثم إلى الرؤساء الروحيين، وهؤلاء ينصحون له، فإن أصر يؤت به إلى مجلس الإدارة، ويلقن كلمة الشهادة[5].

وهذه مخالفة صريحة للشريعة، لتعويق إسلام النصراني المهتدي، بالإضافة لما فتحته التنظيمات لباب الردة عن الإسلام.

---

4 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 283 إلى 287، التبشير والاستعمار ص: 116 إلى 121.

5 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 288 إلى 290، التبشير والاستعمار ص: 120.

***

(2) موقف الإدارة المصرية في الشام من 1831 إلى 1841م

شجع تساهل الإدارة المصرية مع الأجانب الإرسالية الأمريكية في نشاطها التنصيري، ولذلك انتهزت الإرسالية الفرصة، فأرسلت مطبعتها من مالطة لبيروت أثناء الإدارة المصرية.

وقد سعت الإدارة المصرية لاسترضاء الدول الأوروبية في حروبها مع الدولة العثمانية، بتقديم التنازلات للطوائف المسيحية، التي كانت تعتبرها الدول الأوروبية تحت حمايتها، وبالتغاضي عن تجاوزات القناصل الأوروبيين.

ومن أمثلة ذلك تغاضي الإدارة المصرية عن النصارى الذين أسلموا ثم ارتدوا للمسيحية.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إن فتاة مسيحية أسلمت، وذهبت أمام القاضي وأعلنت إسلامها، ولكن القناصل تدخلوا بحجة أنها صغيرة وأنها إجبرت على الإسلام، مما أثر على الفتاة، ودفعها للتراجع عن الإسلام. مما وفر جوًا مثاليًا للتنصير.

ولكن في نفس الوقت لم تقر السلطات المصرية بتنصر بعض الدروز، وتشددت معهم، مما يظهر تذبذبها.

كذلك أسبغت الإدارة المصرية الحماية على وكلاء القناصل، فحينما عين وكيل قنصل لأمريكا في القدس، وأقام في يافا، وجه مرسوم عمومي للقدس بأن "تكون معاملته كباقي أحبابنا أمثاله وأقرانه، ويكون له كمال الحماية والصيانة، ولمن يلوذ به، والمساعدة بساير مساءلاته بوجه الجود حسب الرسوم الجارية لباقي القناصل".

ولكن لما أراد أن يعين نائبًا له في القدس ويرفع العلم الأمريكي، رفض طلبه واعترض المسؤولون الدينيون -القاضي والنقيب والصوفيون- وأيدتهم الإدارة المصرية، ولكن بصورة سرية، وألقت بعبء مقاومته على الأهالي، حيث صدر من القاهرة توجيه جاء فيه: "ولما كان وكيل القنصل رجلًا قليل الأدب فإذا أراد في المستقبل أن يرفع العلم أو يعمل شيئًا آخر يجافي الأدب يشار إلى المتسلم سرًا ليوعز إلى الأهلين بطرده من البلد".

مما يظهر عجز الحكومة المصرية في مواجهة القناصل.

ولم يكن من حق الأجانب التملك في أراضي الدولة العثمانية، ولكن شجعهم منح محمد علي بعض الأراضي كمكافأة لبعضهم، فتمادوا في ذلك، ومن ذلك أن قنصل أمريكا سعى في تشجيع التنصير، فأنشأ منزلًا ثم حوله لكنيسة بدون استئذان، وقد أثارت تلك التصرفات محمد علي، وطالب بإيقافها، ونزع تلك الملكيات ودفع التعويض عنها.

كذلك سعى القنصل الأمريكي للحصول على إذن ببناء مقبرة على أرض اشتراها راهب أمريكي بالقدس[6].

***

6 الحكم المصري في الشام ص: 256 إلى 266، التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 291 إلى 306.

(3) مواقف أهل الشام من الإرسالية الأمريكية

وأقسم البحث فيه إلى:

(أ) موقف المسلمين من الإرسالية الأمريكية.

(ب) مواقف الطوائف المسيحية الأخرى من الإرسالية الأمريكية.

***

(أ) موقف المسلمين من الإرسالية الأمريكية.

رغم فشل الإرسالية الأمريكية في عملها بين المسلمين مما حدا بها للعمل بين الطوائف المسيحية الأخرى، إلا أن عملها كان يزعج المسلمين، خصوصًا مع الانتشار الواسع للتعليم الأمريكي بينهم.

فعمل المسلمون على مقاومة نفوذها عبر طريقين:

الأول: إنشاء الجمعيات لنشر التعليم بين المسلمين.

والثاني: نقد التعليم الأمريكي.

فمن أمثلة الجمعيات التي أنشئت لنشر التعليم بين المسلمين: جمعية المقاصد الإسلامية في بيروت وصيدا، والجمعية الخيرية بدمشق، وغيرهما من الجمعيات.

أما جمعية المقاصد فكانت أول جمعية إسلامية افتتحت في الشام، وذلك في عام 1295هـ الموافق 1878م.

وقد أنشأت مدرستين للبنين ومدرستين للبنات، وأرسلت خمسة من طلابها لدراسة الطب بالقاهرة على نفقتها.

ونالت الجمعية مساندة الإدارة العثمانية للوقوف في وجه التنصير الأمريكي ومدارسه.

وكان ذروة ذلك النشاط إنشاء الكلية الإسلامية ببيروت، كرد فعل على الكلية الإنجيلية السورية، التي صارت الجامعة الأمريكية فيما بعد.

وبرغم نشاط الجمعية ونجاحاتها، إلا أنها لم تستطع التصدي لنشاط الإرسالية الأمريكية نظرًا لقصورها المالي.

وفي دمشق نشأت الجمعية الخيرية الإسلامية، وافتتحت العديد من المدارس في عام 1879م.

وكذلك تكونت العديد من الجمعيات الخيرية الإسلامية الأخرى لنفس الغرض، مثل الجمعية الخيرية الإسلامية في لواء القدس، وجمعية البر والإحسان في يافا.

أما عن نقد التعليم الأمريكي، فقد كان من أهم أمثلته الفتوى التي صدرت عن علماء الشام عام 1913م، جوابًا على سؤال حول تعليم أبناء المسلمين في مدارس البروتستانت، فحرمت الفتوى أن يسلم المسلم ابنه أو ابنته للمعلمين من غير المسلمين، وخاصة للأوروبيين والأمريكيين.

كذلك نشرت المقالات التي تهاجم التعليم الأجنبي وخاصة للبنات.

ولكن رغم تلك الفتوى وذلك النقد تزايد إقبال المسلمين على التعليم الأمريكي، لتميز ذلك التعليم ووفرة إمكاناته، وضعف البديل المقابل وفقر إمكاناته، سواء من ناحية المناهج والسياسة التعليمية المخططة، أو من ناحية القصور المالي[1].

***

1 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 321 إلى 327.

(ب) مواقف الطوائف المسيحية الأخرى من الإرسالية الأمريكية

واجهت الطوائف المسيحية المختلفة البروتستانت بالعداء الشديد.

فأما المارون فقد هدد بطريركهم كل ماروني يقترب من البروتستانت، أو يعاملهم، أو يؤجرهم سكنًا، أو يزورهم، أو يلبي لهم طلبًا، أو يساعدهم على البقاء في البلاد بالحرمان.

وكذلك أعلن الحرمان ضد كل الذين ارتادوا المدارس الإنجيلية، واستجاب الموارنة لنداء بطركهم، فأحرقوا أناجيل الأمريكان والإنجليز.

وعندما أعلن أسعد الشدياق اعتناقه للبروتستانتية وترك العمل في الكنيسة المارونية، فقد كان يعلم العربية للمبشرين الأمريكان، حبس في أحد الأديرة، حيث مات من أثر التعذيب، حوالي عام 1830م، وأعلنت الإرسالية الأمريكية في الشام أن أسعد أول شهيد للبروتستانتية في الشام.

ونفس الأسلوب اتبعه الموارنة مع أخيه أحمد فارس الشدياق لما اعتنق البروتستانتية، فهرب لمالطة بدعوة من المبشرين الأمريكان، ومكث معهم أربعة عشر عامًا يدرس لهم اللغة العربية.

أما الروم الأرثوذكس فقد تصدوا بشدة للبروتستانت، فعذبت فتاة في حمص لمجرد زيارتها لزوجة المنصر ويلسن.

كما عملوا على الدعوة لإنشاء المدارس والكليات العالية لمواجهة نشاط الإرسالية الأمريكية،وكذلك كون شبابهم المتعلم (الجمعية السورية الأرثوذكسية) في بيروت لمقاومة التنصير البروتستانتي.

وأصدر البطاركة الأرثوذكس في استانبول والقدس أمرًا بوجوب ترك أطفال الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية للمدارس الأمريكية، وأنذروا الناس بالحرمان، مما أدى لمنع المدرسين الأرثوذكس من العمل في المدارس الأمريكية[1].

كذلك قام اللاتين في سنة 1855 بحرق كتب الإرسالية الأمريكية في احتفال عام[2].

ولم تؤثر هذه المواقف على الإرسالية الأمريكية إلا في بداية عملها، ولكنها فقدت أثرها بعد ذلك بعد أن ترسخ وجود الإرسالية الأمريكية وتوجيهها جل اهتمامها للتعليم.

وقد أشرت من قبل للتنافس اليسوعي البروتستانتي في الشام، فأنشأ اليسوعيون جامعة القديس يوسف لمنافسة الكلية الإنجيلية السورية (الجامعة الأمريكية فيما بعد)، وأنشأوا مطبعتهم في مقابل مطبعة البروتستانت[3]، وأخرجوا ترجمتهم العربية لكتاب النصارى المقدس لما أخرج البروتستانت ترجمتهم.

***

1 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 327 إلى 331، التبشير والاستعمار ص: 168 و169.

2 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 104.

3 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 330 و331.

2- أهم أنشطة الإرسالية الأمريكية في الشام

أ- التنصير

ب- التعليم

ج- تشجيع الدعوة القومية العربية للانفصال عن الدولة العثمانية

د- الرعاية الاجتماعية

هـ- نشر الأفكار

و- تأييد قيام إسرائيل

ز- الدعوة للعامية

***

أ- التنصير

لا ريب أن التنصير هو الهدف الأول والأساسي للإرسالية الأمريكية في الشام، ومن أجله قاموا بكل مجهوداتهم الطويلة والمكلفة.

وقد أشرت فيما سبق لبعض أنشطتهم التنصيرية عند الكتابة عن موجز تاريخهم.

وأود أن أزيد الأمر وضوحًا بذكر نبذة مختصرة عامة، أضيف فيها بعض المعلومات عن نشاطهم التنصيري.

وأقسم البحث فيها إلى:

(1) التنصير الأمريكي في الشام دوافعه وأهدافه

(2) مدارس الأحد

***

(1) التنصير الأمريكي في الشام دوافعه وأهدافه

(أ) دوافع التنصير الأمريكي في الشام:

[1] الدافع الديني

البروتستانت كسائر المسيحين يرون أن الإنجيل طالبهم بالتبشير بالنصرانية، ويستندون في ذلك إلى ما جاء في الإنجيل الذي ينسب لمرقس:

"16: 15 وقال لهم: "اذهبوا إلى العالم أجمع و اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها.

16: 16 من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن.

16: 17 وهذه الآيات تتبع المؤمنين: يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة.

16: 18 يحملون حيات، وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون"[1].

وما جاء في الإنجيل الذي ينسب لمتى على لسان المسيح -عليه السلام- بعد قيامه من الأموات كما يروون:

"28: 19 فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، و عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.

28: 20 وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به، وهاءأنذا معكم طوال الأيام إلى نهاية العالم"[2].

وما جاء في الإنجيل الذي ينسب للوقا:

"24: 46 وقال لهم: "كُتب أن المسيح يتألم ويقوم من بين الأموات في اليوم الثالث،

24: 47 وتعلن باسمه التوبة وغفران الخطايا لجميع الأمم ابتداءً من أورشليم"[3].

وسيأتي -إن شاء الله- الرد على استدلالهم بهذه النصوص، عند الحديث عن بولس وما خالف فيه تلاميذ المسيح عليه السلام.

إلا أن البروتستانت -على وجه الخصوص- يرون أنفسهم مصلحين، ويتملكهم شعور بأن عليهم أن يصلحوا الطوائف المسيحية الأخرى، بالإضافة للمسلمين بتحويلهم للنصرانية البروتستانتية، أو على الأقل بحرفهم عن الإسلام.

ومما مر بنا، ومما سيأتي -إن شاء الله- يتبين أن الدور الأول للإرسالية الأمريكية كان هو التنصير، وكانت كل أنشطتهم الأخرى تمارس لتحقيق هذه الغاية.

[2] الدافع السياسي والاقتصادي

مر بنا فيما سبق تأييد القناصل الأمريكان والإنجليز للإرسالية الأمريكية، وحرصهم على منع الدولة العثمانية من تحديد نشاطها، وسيأتي -إن شاء الله- دور هذه الإرسالية خاصة، والغالبية من نصارى الشام عامة في السعي لتقويض الدولة العثمانية، وتفتيت الرابطة الإسلامية بين المسلمين، وإحياء النزعة القومية بين العرب.

وقد توافقت هذه المساعي مع مساعي الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا وأمريكا في القضاء على الدولة العثمانية، مما يسهل احتلال أراضيها، وكف دورها -المتداعي- في الدفاع عن المسلمين، واستغلال ثروات المسلمين الطبيعية، والتمهيد لإنشاء دولة قومية صهيونية لليهود في فلسطين.

وكان المنصرون هم طلائع هذا النفوذ الغربي الاحتلالي، وهم عيونه وأعوانه، وهم جنوده في معركة التعليم والإعلام والفكر وبث الشبهات وتمجيد ثقافة الغرب وفكره، وتمهيد الأذهان لقبول إسرائيل.

(ب) أهداف التنصير الأمريكي في الشام

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 16: 15 إلى 18 ص: 43.

2 اليسوعية- العهد الجديد- متى: 19 و20 ص: 119.

3 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- لوقا: 24: 46 و47 ص: 279.

[1] تحويل المسلمين للمذهب البروتستانتي، ولما أدركت الإرسالية الأمريكية صعوبة ذلك، ركزت على التعليم، وتوجهت لتحويل الطوائف الأخرى للبروتستانتية.

[2] إحياء النزعة القومية العربية في مواجهة (الجامعة الإسلامية)، وقد سعت في ذلك عبر النشر وتكوين الجمعيات.

[3] إنشاء طائفة بروتستانية في الشام، وتوسيع نشاطها للعالم العربي.

[4] نشر الأفكار الغربية بين المسلمين عبر التعليم، وقد بذلت مجهودات كبيرة في ذلك، كما سيأتي إن شاء الله.

[5] العمل على عودة اليهود باعتبارهم (شعب الله المختار) لفلسطين، عبر إقناع اليهود بذلك، بل سبق البروتستانت الأمريكان اليهود بنزوح أعداد منهم لفلسطين. تمهيدًا للعودة الألفية للمسيح عليه السلام حسب اعتقادهم[4].

[6] التمهيد لتوسيع النفوذ الأمريكي خاصة والغربي عامة في الشرق العربي، والعمل على منع أي بعث إسلامي.

ينقل الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي عن المستشرقة الأمريكية مرجريت ماركوس -في كتابها (Islam and Orientalism) ص: 16 و17- قولها: "إن المستشرقين العلماء والسياسيين الغربيين الدهاة واعون جيدًا لهذه الحقائق، كذلك فإن الأقسام الخاصة في الجامعات والمراكز العلمية المنتشرة في أوروبا وأمريكا والمتخصصة في دراسة الإسلام وفهمه، إنما تقوم بذلك من أجل تحقيق غاية واحدة هي: التمكن من العدو لتدميره، وتلك المعاهد الإسلامية ومراكز البحث الإسلامية مشغولة اليوم بتكوين أتباع للغرب في قطر إسلامي تلو الآخر، وهدفهم من وراء ذلك إجهاض القضية الإسلامية من داخلها، وإحباط أي محاولة لبعث حقيقي إسلامي"[5].

فأمريكا التي طبقت مبدأ مونرو في سياستها الخارجية، وظلت حريصة على ألا تزج بنفسها في مشاكل الصراعات خارج أراضيها، كان منها المبشرون، الذين أسسوا الإرساليات في الدولة العثمانية ومن بينها البلاد العربية.

وبذلك يمكن القول أن النفوذ الأمريكي في المشرق العربي بدأ بنشاط ديني أهلي، واحتمى بالدبلوماسية البريطانية ثم الأمريكية.

وعندما قررت أمريكا الخروج من عزلتها وجدت الإرساليات الأمريكية منتشرة في أنحاء العالم العربي، فأمدتها بالحماية، واستفادت من معارفها وخبراتها وأنشطتها.

وبذلك كشف التنصير الأمريكي عن وجه سياسي، أو عن تحالف سياسي، كان التنصير فيه هو مقدمة الغزو الاحتلالي الأمريكي[6].

***

4 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 22 و23.

5 الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر ص: 42.

6 التنصير الأمريكي في بلاد الشام- المقدمة.

(2) مدارس الأحد

مدارس الأحد هي مدارس ينشئوها المنصرون لجمع الناس يوم الأحد، لإلقاء المواعظ النصرانية عليهم، وتدريس الكتاب المقدس لدى النصارى لهم.

وقد اهتمت بها الإرسالية الأمريكية في الشام، فأنشأت أول مدرسة من هذا النوع في بيروت عام 1836م، وكان بها فصل للبنات وآخر للبنين، وفي عام 1883 كان في بيروت سبعة فروع لمدرسة الأحد، كانت تقدم الوعظ للصغار والكبار على حد سواء.

ولم تقتصر هذه المدارس على بيروت فقط، بل امتدت لبقية المحطات التنصيرية في الشام، وكان نظام التعليم فيها يقوم على أسلوب السؤال والجواب، ورواية قصص الإنجيل، وإقامة الصلوات الجماعية.

وكانت الإرسالية الأمريكية تحرص على إنشاء هذه المدارس حتى في المناطق التي ليس بها كنائس ولا قسس.

وفي عام 1904م عقد مؤتمر دولي في القدس لمدارس الأحد الإنجيلية في العالم، وذلك للبحث في وسائل ترقيتها، وحضره 800 من المنصرين الإنجيليين في العالم، وخرج بتوصيات ملخصها:

أ- يجب على كل معلم في مدرسة أحد أن يجمع من خارج الكنيسة أولادًا وبناتًا، ورجالًا نساءً.

ب- يجب على المدارس أن تقيم ثلاث احتفالات -على الأقل- سنويًا.

ج- يجب على الكنائس الاهتمام بمدارس الأحد، واعتبارها أمًا للكنيسة[1].

***

1 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 101 إلى 104.

ب- التعليم

كما ذكرت آنفًا فقد اهتمت الإرسالية الأمريكية في الشام بالتعليم أيما اهتمام، وأوجز هنا نبذة عن نشاطها التعليمي، وأقسم البحث فيه إلى:

(1) تمهيد عن النشاط التعليمي للإرسالية الأمريكية في الشام

(2) المدارس

(3) الكلية الإنجيلية السورية

***

(1) تمهيد عن النشاط التعليمي للإرسالية الأمريكية في الشام

اعتبر رجال الإرسالية الأمريكية في الشام أن هدفهم من التعليم هو التنصير، ولذلك كتب المنصر هنري جسب لزميله و. ستوارت دودج في عام 1870: "لنبتهل إلى الله في سبيل تعميد نفوس أولئك الشبان الذين يترددون على الكليات".

وكتب أيضًا: "إن التعليم في (مدارس) الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط. هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح، وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادًا مسيحيين وشعوبًا مسيحية.

ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه، وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخير الجراحين والأطباء في سبيل الزهو العلمي، فإننا لا نتردد حينئذ في أن نقول: إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي إلى مدى علماني محض، إلى مدى علمي دنيوي. مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات هايدلبرغ وكمبردج وهارفرد وشيفيلد، لا الجمعيات التبشيرية، التي تسعى إلى أهداف روحية فحسب".

وكان جسب قد قال قبل ذلك: إن المدارس شرط أساسي لنجاح التبشير، وهي بعد هذا واسطة لا غاية في نفسها. لقد كانت المدارس تسمى بالإضافة إلى التبشير "دق الأسفين"، وكانت على الحقيقة كذلك في إدخال الإنجيل إلى مناطق كثيرة، لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الإنجيل أو المبشرون من طريق آخر".

حتى أن بنروز الذي جاء عام 1948م ليتسلم رئاسة جامعة بيروت الأمريكية (الكلية الإنجيلية السورية سابقًا) قال: "لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سورية ولبنان، ومن أجل ذلك تقرر أن يُختار رئيس الكلية البروتستانية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية اليوم) من مبشري الإرسالية السورية".

أما المنصر الإنجيلي دانبي فكتب: "يجب أن نؤكد في جميع ميادين (التبشير) جانب العمل بين الصغار وللصغار. وبينما يبدو مثل هذا العمل وكأنه غريبة، ترانا مقتنعين لأسباب مختلفة بأن نجعله عمدة عملنا في البلاد الإسلامية.

إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكرًا جدًا. من أجل ذلك يجب أن يحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية".

ويذكر الدكتوران مصطفى خالدي وعمر فروخ: "وبما أن التبشير رأسًا لم يجعل أحدًا من المسلمين يصبأ إلى النصرانية، فقد اتفق المبشرون على أن يقتربوا من المسلمين بطريقة غير مباشرة. والكل متفقون على أن التعليم أفضل هذه الطرق غير المباشرة"[1].

وقد اتفقت كل مؤسسات التنصير في الشام على وضع التوراة بالعربية على أنها كتاب تدريسي أساسي للطلاب[2].

ولهذا تنافسوا في ترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى للعربية.

وقد ركز المبشرون الأمريكيون بالخصوص على تعليم البنات، ولذلك طلبوا عام 1870م مبلغ ثلاثين ألف دولار لمدرسة دينية للبنات في بيروت، وعللوا طلبهم بأن تلك المدرسة ستساعد على تنصير سورية في المستقبل[3].

ولم يخف المنصرون الأمريكيون أهدافهم السياسية، فقد ذكر المنصر جسب: "من العناية الإلهية العظيمة أن المطبعة الأمريكية والمدارس الأمريكية في سورية كانت وسيلة لإعداد رجال ونساء كثار ليكونوا مواطنين أمريكيين"[4].

***

1 التبشير والاستعمار ص: 66 إلى 69.
2 التبشير والاستعمار ص: 80.
3 التبشير والاستعمار ص: 87.
4 التبشير والاستعمار ص: 170.

(2) المدارس

يمكن تقسيم مدارس الإرسالية الأمريكية في الشام لنوعين:

(أ) المدارس الابتدائية

(ب) المدارس العليا

***

(أ) المدارس الابتدائية

اهتم المبشرون الأمريكان بنشر التعليم الابتدائي في المدن والقرى الشامية، وخصوصًا في القرى الجبلية المحرومة من التعليم، لكونه غير مكلف، ولأنه يزيد من الارتباط بينهم وبين الأهالي، ولما يوفره لهم من تربة خصبة للتنصير، ولغرس أفكارهم في أذهان الناشئة.

وقد مر التعليم الابتدائي الأمريكي في الشام بمرحلتين:

الأولى: من عام 1832 إلى عام 1860م.

والثانية: مرحلة الاستقرار والتركيز على جودة الدراسة، حيث لاقت مدارسهم إقبالًا واسعًا من الناس بعد النجاح الذي حققوه، وبلغ عدد مدارسهم في عام 1909م 174 مدرسة في أنحاء سورية[1].

***

المرحلة الأولى:

يعتبر عام 1832م هو بداية التعليم الابتدائي الأمريكي في الشام، ففيه افتتحت مدرسة في بيروت، وثانية بالقرب من صيدا، وثالثة بالقرب من طرابلس، وقد قوبلت هذه المدارس بمقاومة عنيفة من الكنائس المحلية، وفي عام 1834م ارتفع عدد مدارس الأمريكان إلى ستة.

وفي نفس الوقت تقريبًا بدأ الاهتمام بتعليم البنات، فبدأت المدرسة الأولى للبنات في بيروت، وهي مدرسة داخلية يتم فيها تعليم مبادئ الحساب والكتاب المقدس والترانيم الإنجليزية والخياطة.

ومع ازدياد عدد المدارس، وازدياد إقبال الناس عليها، وخاصة من العائلات الثرية، بدأ التفكير في الاهتمام بجبل لبنان حيث القرى الدرزية البعيدة عن الخدمات والمحرومة من التعليم أساسًا.

فأسست السيدة دودج مدرسة صغيرة للبنات للدروز، وكان السؤال الهام الذي يناقش معهن؛ كيف يسامحكن الله؟ وما الذي ستقدمونه لكي يغفر لكن ذنوبكن؟ ومن هنا توجه التلميذات لطلب شفاعة المسيح، وبذا يتم توجيههن للمذهب البروتستانتي.

وقد اهتمت الإرسالية الأمريكية في الشام بنشر التعليم بين الدروز بكل وسيلة، لأنهم -من وجهة نظرهم- جهلة فقراء مظلومون، والتعليم متدهور بينهم، وسوف يستمر في التدهور ما لم تقدم لهم المساعدات.

واقتنع الدروز أنفسهم بأهمية التعليم في مجال المنافسة بينهم وبين الموارنة، الذين تهتم فرنسا بنشر التعليم بينهم، فلجأ الدروز للإرسالية الأمريكية. ففي أبريل 1841م جاء وفد من مشايخ الدروز لمنزل المنصر الدكتور وليم طومسون في بيروت، فاستقدم الدكتور إيلي سميث[2]، وألح المشايخ في طلب المدارس، فوافقت الإرسالية على نشر عدد من المدارس في القرى الدرزية، فقد كان الدروز من الناحية العقائدية مهيئين لقبول التنصير.

وذكر الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي أن بلدة عبيه الدرزية كانت بؤرة النشاط التنصيري للأمريكان في الشام[3].

وقد صمم التعليم في تلك المدارس ليجعل المسيح -عليه السلام- هو المنقذ الموعود للعالم.

***

المرحلة الثانية:

1 التبشير والاستعمار ص: 87، التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 113 و114.

2 أحد مترجمي الكتاب المقدس لدى النصارى للعربية، وسيأتي ذكره إن شاء الله.

3 التبشير والاستعمار ص: 80، التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 113 إلى 117.

بالرغم مما أصاب الإرسالية من خسائر في الأرواح والممتلكات بعد أحداث عام 1860م، إلا أن الإقبال على التعليم الأمريكي ازداد بشكل كبير.

وواجهت الإرسالية أيضًا مشكلة في التمويل أدت لتخفيض ميزانية التعليم في عام 1864م، مما دفعها لطلب مقابل مالي للتعليم، ومع ذلك ازداد الإقبال على المدارس الأمريكية.

وبالتالي ازداد عدد مدارس الإرسالية بشكل كبير.

وأهم ما يميز هذه المرحلة الممتدة من عام 1860م لعام 1914م هو الانتشار الواسع للتعليم الأمريكي في الشام، وكذلك تضاعف عدد مدارس البنات عدة أضعاف، حرصًا من الإرسالية على استغلاله كوسيلة من أهم وسائل التنصير، كذلك ركزت الإرسالية في هذه الفترة على تحسين نوعية التعليم والارتقاء بأساليبه.

أما عن المناهج في مدارس الإرسالية، فقد سعى المنصرون الأمريكان لتأليف عدد من الكتب المدرسية بالاشتراك مع عدد من المؤلفين الوطنيين المرتبطين بالإرسالية من أمثال بطرس البستاني وناصيف اليازجي[4].

وقد صممت الدراسة في تلك المدارس على أنها مدارس تنصيرية، فكان يدرس فيها التوراة وقواعد اللغة العربية والحساب والجغرافيا، ثم رؤي إدخال مناهج جديدة هي علم الفلك وحساب المثلثات والجبر والهندسة و التاريخ واللغة الإنجليزية.

وقد حرص المنصرون الأمريكان على أن يكون التدريس باللغة العربية لتنمية الشعور القومي لدى الطلاب، وكذلك ليستفيد المنصرون أنفسهم من تعلم اللغة العربية، مما يسهل عليهم أمر التنصير.

ولكن لما قوي شأن المدارس الأمريكية تحول التعليم في الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى اللغة الإنجليزية.

وكانت العلوم المختلفة في تلك المدارس تدرس من حيث ارتباطها بالتوراة ونبوءاتها، وكان الكتاب المقدس لدى النصارى يدرس لجميع الطلاب بغض النظر عن أديانهم[5].

***

4 كلاهما شاركا في ترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى مع فان ديك وإيلي سميث، وسيأتي ذكرهما إن شاء الله.

5 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 117 إلى 132.

(ب) المدارس العليا

بعدما نشرت الإرسالية الأمريكية مدارسها الابتدائية في أنحاء الشام ظهرت حاجتها لإنشاء المدارس العليا لغرضين: الأول لتخريج مدرسين للعمل في مدارسها الابتدائية، والثاني لتخريج منصرين وطنيين للعمل في مجال التنصير.

وقد بدأت الإرسالية بإنشاء المدارس العليا في بيروت للبنات والبنين، ولكنهم أدركوا أن خريجيها من أبناء المدن، ولا يصلحون للعمل في الأرياف، ففكروا في إنشاء مدرسة عليا في عبية في مناطق الدروز، حيث أنها منطقة ريفية، ويصلح خريجوها للعمل في الأرياف والمناطق الداخلية من بلاد الشام.

أ- المدرسة الأمريكية العليا للبنات في بيروت

أنشأت في عام 1834م، ولكنها أغلقت مرتين إلى أن استقرت الأمور بعد فتنة 1860م، فافتتحت بصورة مستقرة عام 1861م، ومن الملفت للنظر افتتاح هذه المدرسة مرة أخرى في هذا التاريخ، الذي ارتبط بالتدخل الأوروبي عقب المذابح الدامية بين الدروز والموارنة، وما نجم عن ذلك من كثرة المهاجرات لبيروت، وأكثرهن من الأرامل والفتيات، فكان السعي في اجتذابهن من أهم أهداف الإرسالية الأمريكية.

كما أن التدخل الأوروبي وخاصة البريطاني قد وفر الحماية للإرسالية الأمريكية، نظرًا لما كان لبريطانيا البروتستانتية من نفوذ في الشام وحظوة لدى السلطان.

وكان منهج هذه المدرسة يتضمن اللغة العربية والحساب ووظائف الأعضاء والكيمياء وعلم الحيوان والفلك والتاريخ والفلسفة واللاهوت والإنجليزية والفرنسية، أما الهدف الرئيسي من المنهج فكان التعليم الديني المسيحي، وكان يحتوى على دراسة العهدين القديم والجديد، ودرس يومي شفهي حواري في العقيدة المسيحية، ودلائل الإنجيل، وكانت الساعات الأولى من اليوم الدراسي تخصص للكتاب المقدس لدى النصارى، ولحضور القداس في كنيسة الإرسالية، وكان على كل الطالبات من النصارى والمسلمين واليهود حضور تلك الدروس وذلك القداس.

وكانت هذه المدرسة تعد الطالبات للالتحاق بالكلية الإنجيلية السورية (الكلية الأمريكية فيما بعد) بعد إنشائها عام 1866م.

وكانت إدارة المدرسة تقيم الحفلات في المناسبات المختلفة، وتلقى فيها الكلمات عن مواضيع مثل منافع التمدن الأوروبي، ثم تختم الاحتفالات بقراءة من الكتاب المقدس للنصارى والصلاة والترانيم.

ب- المدرسة الأمريكية العليا للبنين في بيروت

بعد إنشاء مدرسة البنات أنشئت مدرسة عليا للبنين في عام 1835م. وكان منهجها الدراسي يتضمن اللغة العربية والجغرافيا والفلسفة والموسيقى واللغة الإنجليزية، والدروس الإجبارية للكتاب المقدس لدى النصارى.

وتم إرسال بعض المتخرجين المتميزين لبعثات للندن ولدراسة الطب في القاهرة.

ج- مدرسة عبية العليا

ذكرت من قبل أن عبية كانت تمثل بؤرة التنصير الأمريكي في الشام، وقد احتاج المنصرون الأمريكان لمنصرين وطنيين يقومون بالتنصير في المناطق الريفية، وكانت عبية تمثل لهم اختيارًا مفضلًا، لرغبتهم في نشر النصرانية البروتستانتية بين الدروز، الذين تتشابه بعض عقائدهم مع النصرانية، وكذلك لبعد عبيه عن السلطة المركزية في بيروت، فقرر المنصرون الأمريكان أن ينشئوا مدرسة عليا في عبيه لتخريج المنصرين القادرين على العمل في الأرياف بخلاف أبناء المدن، الذين لا يرغبون في العمل فيها.

كذلك حاول المنصرون الأمريكان استغلال الخلاف بين الدروز وأهل السنة في التقرب للدروز، والسعي في إدخالهم في المذهب البروتستانتي.

وقد افتتحت المدرسة في عام 1846م، واختير الدكتور كرنيليوس فان ديك لرئاستها، وساعده بطرس البستاني. وظل بطرس البستاني بها إلى أن نقل لبيروت عام 1848م لمساعدة الدكتور إيلي سميث في ترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى.

وكان يدرس فيها بالإضافة للتعليم الديني علم الفلك واللغة العربية والإنجليزية والتاريخ والرياضيات والجغرافيا.

وكان التعليم الديني فيها مقدمًا ومستمرًا، فكانت دراسة التوراة لمدة ساعة درسًا يوميًا في المدرسة، تدرس لكل الطلاب بغض النظر عن أديانهم.

وقد قدمت مدرسة عبيه أجل الخدمات للإرسالية الأمريكية، فقد تخرج منها معظم المنصرون الوطنيون، الذين عملوا مع الإرسالية سواء في الموصل وماردين واللاذقية وطرابلس وبيروت وعبيه وحاصبيا وصيدا وعين زحلتا ودير القمر والقدس والأسكندرية.

القسم اللاهوتي في مدرسة عبيه

لما كان الهدف الأساسي لمدرسة عبيه العليا هو إعداد منصرين قادرين على العمل في الأرياف والمناطق الجبلية الداخلية، فلذلك إنشئ فصل لاهوتي في المدرسة.

ومنذ عام 1869م قرر المنصرون الأمريكان توسيع الفصل اللاهوتي لتصبح مدرسة عبيه كلها مدرسة لاهوتية عليا.

ثم بعد افتتاح الكلية الإنجيلية السورية بعشر سنوات، قرر المجلس المشيخي في الولايات المتحدة ضم طلاب مدرسة عبيه العليا للكلية الإنجيلية السورية (الجامعة الأمريكية ببيروت فيما بعد) في عام 1876م، وأغلقت مدرسة عبيه العليا، إذ رأى المنصرون أن الكلية الإنجيلية ستقدم خدمات لاهوتية أوسع، ومن هذا يتضح أن مدرسة عبيه العليا كانت هي سلف الكلية الإنجيلية، وكانت تعد أهم مدرسة عليا لدى المنصرين الأمريكان في الشام.

د- مدرسة طرابلس العليا للبنات

أنشأها المنصرون الأمريكيون لحاجتهم لمنصرات من النساء، ولمعلمات لمدارسهم، وقد افتتحت في عام 1849م كمدرسة داخلية في بيت أحد المنصرين، وكانت المناهج التي تدرس فيها كسائر مدارس الإرسالية الأمريكية تحتوى على اللغة العربية والعلوم الحديثة، بالإضافة للتوراة والعهد الجديد والترانيم.

وكانت تقام فيها الاحتفالات بمناسبة الامتحانات، وتلقى فيها خطب مسيحية، وفي احتفال عام 1892م ألقى المنصر الدكتور بوست (صاحب قاموس الكتاب المقدس) خطبة عن جغرافية سوريا وفلسطين، وذكر أن الله اختار هذه الأرض مهبطًا للوحي ومسكنًا لشعبه المختار.

وفي احتفال عام 1910 خطبت فكتوريا أنطكلي خطبة بعنوان (فتاة سورية ومستقبلها الجديد)، طالبت فيها بنبذ التقاليد البالية، واتباع التقاليد الأوروبية، والمساواة -بالمفهوم الأوروبي- بين الفتيان والفتيات.

هـ، و- مدرستا صيدا:

أنشئت في صيدا مدرسة صناعية عليا للبنين في عام 1880، ثم ألحق بها في عام 1914 قسم للبنات.

كذلك أنشئت في صيدا أيضًا مدرسة عليا داخلية للبنات عام 1865م.

وكسائر مدارس الإرسالية الأمريكية كان الطلاب من كل الأديان يجبرون على دراسة الكتاب المقدس لدى النصارى، وحضور القداس الكنسي[1].

ز- المدرسة الوطنية العليا في بيروت

أسسها بطرس البستاني، بدعم وإشراف الإرسالية الأمريكية، وسأتناولها -إن شاء الله- عند الحديث عن بطرس البستاني.

---

1 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 136 إلى 159.

***

(3) الكلية الإنجيلية السورية

1- مقدمة عن أهمية التعليم العالي عند المنصرين، وخاصة البروتستانت

التعليم العالي عند المنصرين لا يقل أهمية عن سائر درجات التعليم، بل لعله أهم منها كلها.

وقد أدرك المنصرون منذ زمن أن جهودهم قد خابت لقلة من ارتدوا عن الإسلام للنصرانية، ولذا سعوا في أن تتسرب الأفكار المسيحية والغربية للمسلمين وللمثقفين منهم خاصة، وظنوا أنها ستتسرب بعد ذلك تلقائيًا إلى المجتمع الإسلامي.

وهذه هي النظرة التي أقنعت المنصرين بضرورة إنشاء المعاهد العالية في البلاد الإسلامية.

وكذلك كان المنصرون يبتغون غاية أخرى من التعليم العالي؛ وهي أن يؤثروا في قادة الرأي في البلاد الإسلامية، وفي الجيل الناشئ في الشرق الأدنى خاصة، ذلك التأثير الذي لا يمكن أن يتحقق إن لم يكن هناك تعليم عال.

وعلى هذا الأساس أوجد المنصرون البروتستانت الكلية السورية الإنجيلية في بيروت، التي صارت الجامعة الأمريكية في بيروت فيما بعد.

وقد رأى المنصرون أن تؤسس الكليات العالية في المراكز الإسلامية، ولذلك لم يكتفوا ببيروت، بل قرروا أن ينشئوا في القاهرة إلى جانب الجامع الأزهر كلية بروتستانتية، فأنشأوا الجامعة الأمريكية بالقاهرة[1]، بعد أن أنشأوا في استانبول كلية روبرت، وبالمثل أنشأ المنصرون الفرنسيون كلية لهم في لاهور وكذلك كلية القديس يوسف في بيروت، التي صارت جامعة فيما بعد[2].

ومع الأيام اقتنع الأمريكيون أن المؤسسات التنصيرية -سواء أكانت معاهد علمية أم مؤسسات أخرى- إنما هي (مصالح أمريكية) تجب المحافظة عليها، وهم لا ينكرون أن هذه المصالح كلها نشأت من التنصير وعلى أيدي المنصرين[3].

2- نشأة الكلية الإنجيلية السورية

أما عن تفصيل نشأة الكلية الإنجيلية السورية في بيروت، فينقل الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي الحقائق التالية الموجزة من تقرير لدانيال بلس رئيسها الأول في كتابه (Reminiscences of Daniel Bliss p: 162):

"في عام 1861 و1862 كان دانيال بلس والدكتور وليم طومسون يبحثان في ضرورة إيجاد معهد عال لسورية ولسائر العالم العربي في الشرق الأدنى، فإن ذلك أدنى من أن يتعلم الطلاب علومهم العالية في الخارج: في أميركة وانكلترة مثلًا". ذلك لأن ثمت أفرادًا تعلموا قليلًا أو كثيرًا في انكلترة وأميركة ثم أنهم استقروا نهائيًا حيث تلقوا علومهم، أو أنهم رجعوا إلى بلادهم في الشرق الأدنى من غير أن يؤثروا في قومهم قط (أي لم يساعدوا المبشرين على التبشير بين أهل البلاد)، بينما الذين تعلموا في مدرسة عبيه قد اتخذ منهم المبشرون مدرسين لمدارس التبشير وواعظين ومساعدين في أعمال مختلفة ...

واعتمدت الكلية السورية الإنجيلية في تأسيسها على الرجال الذين يمولون التبشير، وخصوصًا من الإنكليز والأميركيين.

وفي 23 كانون الثاني من عام 1862 اقترح الدكتور طومسون أن يكون دانيال بلس رئيسًا للكلية. وفي 27 كانون الثاني من عام 1862 اقترح طومسون وبلس معًا أن يكون الاعتماد الأول على الإرسالية الأميركية للتبشير. وقد وافقت الإرسالية على ذلك وعلى أن يكون دانيال بلس رئيسًا للكلية أيضًا ... على ألا يتعارض ذلك مع عمل الإرسالية في سوريا ...

وعلى هذا الأساس سافر دانيال بلس في 14 آب 1862 إلى نيويورك فوصل إليها في 17 أيلول. وفي آيار من عام 1863 خطب دانيال بلس في الكنيسة المشيخية في نيويورك فأكد الحاجة في الشرق الأدنى إلى أطباء وإلى تعليم ديني تكون

---

1 راجع لمزيد من التفصيل حول لنشأة الجامعة الأمريكية في القاهرة كمؤسسة تنصيرية بروتستانتية بقرار من الكنيسة المشيخية في نيويورك، وبدعم الكنائس الأمريكية: الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأمريكية في مصر ص: 85 إلى 87.

2 التبشير والاستعمار ص: 79 و80.

3 التبشير والاستعمار ص: 94.

التوراة فيه كتاب تدريس دائم. أما عمل الكلية فيجب أن يكون وضع كتب مسيحية تساعد على الاتصال بملايين الناس في آسية وإفريقية وعلى إسباغ النعمة (المسيحية) عليهم"[4].

فكلف المجلس الأمريكي للإرساليات الخارجية دانيال بلس بإنشاء كلية ومدرسة للطب في بيروت عام 1863، وكذلك صدر مرسوم تفويض بإنشاء الكلية من ولاية نيويورك في نفس العام[5].

وبعد صدور مرسوم التفويض من ولاية نيويورك تأسس مجلس الأمناء للكلية السورية في نيويورك، كما شكل مجلس للمديرين في بيروت، وكان يتألف من المنصرين الإنجليز والأمريكان والقنصلين الإنجليزي والأمريكي في الشام[6].

3- النشاط التنصيري للكلية الإنجيلية السورية

ويواصل الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي النقل عن التقرير المشار إليه:

"وبعد أن عاد دانيال بلس من الولايات المتحدة ببضعة أشهر انعقد اجتماع في بيت الدكتور فانديك في الثلاثين من كانون الأول 1863 حضره فانديك نفسه وفورد وجسب وهرتر من الإرسالية الأميركية. ثم حضر جونسون قنصل الولايات المتحدة في بيروت.

وقد قرر المجتمعون يومذاك، بعد أن تذاكروا في إنشاء الكلية السورية الإنجيلية، اتجاه تلك الكلية فقالوا:

"نحن نصر على الطابع التبشيري للكلية، وعلى أن يكون كل أستاذ فيها مبشرًا مسيحيًا". وكذلك تبنى المجتمعون شرعة الاتحاد التبشيري على أن تكون تلك الشرعة هي الخطة التي يجب أن يعمل كل أستاذ عليها".

ثم يضيف الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي:

"وهكذا نرى أن الكلية السورية الإنجيلية قد ولدت في رؤوس المبشرين ثم تعهدها المبشرون بعد ذلك أيضًا. ولقد اشترط المبشرون على القائمين بأمر الكلية ألا تفسد هذه الكلية عليهم عملهم (أي لا تعلم ما يناقض مبدأهم التبشيري) وأن تكون مؤسسة بروتستانتية.

وهكذا نرى أيضًا بكل وضوح أن الكلية الإنجيلية كانت نتاج التعليم البروتستانتي ووليد الإرسالية الأمريكية للتبشير. ومع أن الكلية كانت تعتمد في أول أمرها فقط على مساعدة الإرسالية المادية، فإنها كانت دائمًا تتفق معها في الغاية: في السياسة التبشيرية وفي العمل معها في هذه السبيل.

وفي أول الأمر مالت الكلية إلى كتمان جهودها التبشيرية -وإن ظلت تبذلها- تجنبًا لسخط الحكومة العثمانية، ولذلك قال دانيال بلس نفسه:

"إن السنوات الأولى التي شهدت تطور الكلية قضت أن تسير الكلية في مجراها بهدوء قدر الإمكان، فلا تلفت إليها نظر رجال الحكم قبل أن تثبت جذورها في الأرض".

فلما ثبتت جذورها تركت التستر وأصبح لها اجتماعات دينية ظاهرة فأجبرت جميع الطلاب على حضور الصلوات في الكنيسة كل يوم، وأجبرت الطلاب الداخليين خاصة على أن يحضروا صلاة يوم الأحد أيضًا.

ولما زار المبشر جون موط الكلية السورية الإنجيلية عام 1895 أسست الكلية فرعًا لجمعية الشبان المسيحيين. إلا أن الاسم كان محرجًا أمام غير النصارى، فغيرته الكلية، وجعلته (الأخوية)".

وينقل الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي عن رشتر قوله عن الكلية الإنجيلية السورية في كتابه

:(A History of the Protestant Missions in the Near East p:220 & 221)

---

4 التبشير والاستعمار ص: 96.

5 Microsoft Encarta 2009, American University of Beirut.
Encyclopædia Britannica, 2015, Beirut, American University of.

6 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 165.

"إن الكلية مؤسسة تبشيرية.

....

إذ هي التي تهيئ المدرسين المبشرين للمدارس الأمريكية المنثورة في الشرق الأدنى كله".

وينقلان أيضًا عن المنصر جسب قوله في كتابه (Fifty-Three years in Syria p: 737):

"هي أوضح سياسة دينية وتبشيرية من سائر المدارس الأمريكية في الشرق، ككلية روبرت في استانبول مثلًا".

وينقلان أيضًا عن ستيفن بنروز أحد رؤساء الجامعة الأمريكية السابقين نقلًا عن كتابه (That They may have life p: 64, 81, 180& 181):

"إن (الجامعة الأمريكية) كانت ولا تزال مؤسسة تبشيرية.

.....

إن الغاية القصوى للكلية (السورية الإنجيلية) أن تحتضن التبشير المسيحي وتبذر بذور الحقيقة الإنجيلية. وعلى هذا الأساس ذهب دانيال بلس إلى أمريكة ليثير رغبة الجمهور المسيحي لمحاولة تأسيس معهد أدبي يعمل على نشر الإرساليات البروتستانتية والمدنية المسيحية في سورية والأقطار المجاورة.

....

بل إن التبشير كان المبرر الوحيد لتأسيسها"[7].

ولما توفي دانيال بلس خلفه في رئاسة الجامعة الأمريكية ابنه هوارد بلس، ويقول عنه الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي:

"وكان قسيسًا راعيًا. ظل هوارد بلس بعد أن تولى الكلية السورية الإنجيلية قسيسًا مبشرًا ومعلمًا مبشرًا.

ولقد حضر، وهو رئيس للكلية، مؤتمرًا لاتحاد الطلاب المسيحيين في العالم عقد في كلية روبرت في استانبول عام 1911، وحضر معه من الأشخاص الآنسة مريم بارودي، الدكتور فيليب حتى وأخوه حبيب حتى، الآنسة ماري كساب (مؤسسة المدرسة الأهلية للبنات في بيروت)، والأستاذ بولص الخولي، طانيوس سعد وإدوارد نيقولي عميد الدائرة العلمية ...

أما غاية هذا المؤتمر فهي مثبتة على الصفحة الأولى من المتن: إنها توحيد حركات الطلاب المسيحيين ومنظماتهم في العالم ... وجمع المعلومات المتعلقة بالأحوال الدينية للطلاب في كل العالم ... وقيادة الطلاب حتى يصبحوا تباعًا ليسوع المسيح على أنه مخلصهم الوحيد وربهم ... ثم ضم جهود الطلاب للتعاون على مد مملكة المسيح في جميع العالم ... وعلى الأخص في البلدان غير المسيحية. ولقد تكلم في هذا المؤتمر هوارد بلس نفسه (ص 131- 138) والدكتور فيليب حتى"[8].

وفي عهد هوارد بلس زار الأمير المصري محمد علي -ولي عهد الملك- الكلية الأمريكية في عام 1328هـ، الموافق 1910م.

واستقبله على بابها رئيسها، وعن هذا يحكي الأمير:

"ثم ما كدنا نخطو أول خطوة من الباب حتى خاطبنا ذلك الرئيس ... فقال: ".... أتشرف بتفهيم دولتكم أنه قد جرت العادة في زيارة هذه الكلية بأن الزائر لا بد أن يبدأ قبل كل شيء بزيارة المعبد حيث تقام فيه الصلاة، كما أنه من الضروري أن الزائر لا يبرح يشهد تلك الصلاة ويسمعها حتى تنتهي. لذلك أرجو دولتكم أن تتفضلوا بحضور الصلاة في المعبد وفاق العادة".

فلما اعتذر الأمير عن ذلك، ظل يجادله في الأمر، حتى أفهمه الأمير أنه معتذر عن ذلك، وأنه كما قال: "فتلكن هذه عادتكم في مدرستكم، أما أنا فمخير في أني لا أزور إلا ما أشاء، فانظر يا جناب الرئيس بعد ذلك ماذا أنت صانع. أما هو فلما يئس

---

7 التبشير والاستعمار ص: 96 إلى 99.

8 التبشير والاستعمار ص: 99 و100.

ولم يجد بعد الجهد والاحتيال إلا إباءً شديدًا، رجع عن فكرته مقتنعًا بما قلناه. ثم ذهب إلى المعبد، وترك معنا أربعة من التلاميذ المصريين ليرشدونا إلى مكتبة المدرسة، ريثما يؤدي رئيس الكلية صلاته"[9].

فمنصرو الكلية الإنجيلية كانوا لا يكتفون بإجبار التلاميذ على الصلاة في الكنيسة، بل يلحون على الضيوف أيضًا!!!

ولما توفي هوارد بلس خلفه في رئاسة الجامعة بيارد ضودج، ويقول عنه الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي:

"كان بيارد ضودج في الأصل تلميذ لاهوت ثم نال شهادة دكتور في اللاهوت، ولقد بقي سبع سنوات رئيسًا مساعدًا لجمعية الشبان المسيحيين (1913 - 1920)، ومع ذلك فإنه لم يتسامح في أن يصبح أحدنا الدكتور مصطفى خالدي رئيسًا لجمعية الشبان المسلمين في بيروت وأن يظل في الوقت نفسه أستاذًا في الجامعة. ولقد صارحه ضودج بأن جهوده في سبيل فلسطين وفي سبيل الشبان المسلمين لا يمكن أن ترضى عنها الجامعة"[10].

ويضيف الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي:

"وهنا نحب أن نشير إلى أن القائمين على أمر الجامعة الأميركية في بيروت لم يكتفوا، في أول أمرهم، بأن يكون رئيس هذه المؤسسة مبشرًا، بل أصروا على أن يكون جميع المدرسين فيها مبشرين.

إن الدكتور جورج بوست جاء إلى الشرق الأدنى مبشرًا كزملائه ثم ذهب إلى طرابلس عام 1863 كطبيب مبشر. وكذلك كان كورنيليوس فانديك، وابنه هنري فانديك، ويوحنا ورتبات كلهم أطباء مبشرين.

وكان على هؤلاء المدرسين أن يوقعوا يمينًا يقسمون فيها بأن يوجهوا جميع أعمالهم نحو هدف واحد، هو التبشير، ولم يقبل منهم أن يكونوا نصارى بروتستانتيين فقط، بل وجب أن يكونوا مبشرين أيضًا. ومع الأيام ألغت الجامعة توقيع هذه اليمين، ولكنها لم تلغ مؤداها.

وكانت الجامعة تحرص على أن يظهر جميع أساتذتها بمظهر المبشرين ثم تحملهم على أن يحضروا المؤتمرات التبشيرية.

....

ومع أن الجامعة الأميركية لم تعلن سياستها التبشيرية في مطلع حياتها خوفًا من أن يغلقها العثمانيون، فإنها لم تأل جهدًا في التبشير في كل درس. حتى في الدروس التي لا صلة خاصة بينها وبين الدين، وكانت المبادئ المسيحية موضع تأكيد وتزيين كلما سنحت لذلك فرصة. فمن أمثال ذلك مثلًا أن درس اللغة الإنكليزية كان يستغل في نقل نصوص التوراة الإنكليزية إلى اللغة العربية. وفي هذه الأثناء كان الأستاذ ينتقل إلى مناقشة كل المشاكل الدينية، من الزاوية التبشيرية طبعًا.

....

ومع أن الجامعة الأمريكية، كما يقول بنروز، لم تفكر بأن تفرض المذهب البروتستانتي على طلابها فرضًا، فإنها كانت تستغل كل فرصة سانحة ليعرف أولئك الطلاب الحقيقة كما تريدها النصرانية البروتستانتية. وكان الدخول إلى الكنيسة فرضًا على كل تلميذ"[11].

بل حتى مدرسة الطب لم تسلم من ذلك، ففي تقرير للإرسالية في عام 1869م ورد أنه: "على الطلاب أن يكونوا حاضرين في صلوات الصباح والمساء، وأن يدرسوا الكتاب المقدس، وعليهم أن يحضروا الخدمة في الكنيسة"[12].

- أزمة عام 1909 (احتجاج الطلاب المسلمين على إلزامهم بدخول الكنيسة)

---

9 الرحلة الشامية ص: 151 إلى 153.

10 التبشير والاستعمار ص: 100.

11 التبشير والاستعمار ص: 104 و105.

12 التنصير الامريكي في بلاد الشام ص: 176.

في عام 1909 احتج الطلاب المسلمون في الكلية الإنجيلية على إجبارهم على الدخول إلى الكنيسة، ولكن لجنة الأمناء في نيويورك ولجنة المديرين في الشام رفضت طلب الطلاب المسلمين، واجتمعت عمدة الجامعة وأصدرت منشورًا طويلًا جدًا، جاء في مادته الرابعة ما يلي:

إن هذه كلية مسيحية، أسست بأموال شعب مسيحي: هم الذين اشتروا الأرض وهم أقاموا الأبنية، وهم أنشأوا المستشفى وجهزوه، ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء. وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليمًا يكون الإنجيل من مواده، فتعرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ ... وهكذا نجد أنفسنا ملزمين بأن نعرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ ... وإن كل طالب يدخل إلى مؤسستنا يجب أن يعرف مسبقًا ماذا يطلب منه.

وكان هذا التهديد المجرد من الذوق والروح العلمية كافيًا لأن يعلن الطلاب الإضراب.

إلا أن العمدة تصلبت في ظاهر أمرها، فترك ثمانيةُ طلابِ العلمَ في المؤسسة المتعصبة.

ولم تتأخر الكلية عن أن تعلن بلسان مجلس الأمناء في نيويورك: أن الكلية لم تؤسس للتعليم العلماني ولا لبث الأخلاق الحميدة (كذا)، ولكن من أولى غاياتها أن تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة، وأن تكون مركزًا للنور المسيحي وللتأثير المسيحي، وأن تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به.

ويضيف الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي عن تهافت تعليل عمدة الكلية لهذا الإلزام للطلبة:

"أما حجتها فكانت أوهى من عملها. إنها احتجت بأن نفرًا من المتمولين الأميركيين لا يعينون الجامعة بأموالهم التي جمعوها إلا إذا علموا بأنها تزيد عدد البروتستانت في الشرق. وهكذا حكمت الجامعة الأميركية على نفسها بأنها مسوقة في تيار قوم آخرين، وأنها مستأجرة لتنفيذ رغبات لا تشرف صاحبها فضلًا عن منفذها"[13].

4- تمويل الكلية الإنجيلية السورية والجامعة الأمريكية فيما بعد

كما رأينا فقد اعتمدت الكلية الإنجيلية السورية على مساعدة الإرسالية الأمريكية، وبالإضافة إليها فقد اعتمدت على التبرعات وخاصة من أمريكا وإنجلترا، وقد قام المنصر دانييال بلس بجولة في أمريكا وإنجلترا لمدة أربع سنوات لجمع التبرعات لتلك الكلية قبل أن يعود لبيروت عام 1866م.

وتتلقى الجامعة الأمريكية تمويلها من العديد من المؤسسات الدولية والحكومات، إلا أن أكبر ممول لها هي الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID)[14].

5- كان للكلية مجلة تصدرها، وقد بدأ صدورها عام 1910م، بعد إلغاء قانون الرقابة على المطبوعات.

وقد اهتمت المجلة بالثناء على الكلية الإنجيلية وتعداد مارأت أنه خدمات قدمتها الكلية للشام وللعالم العربي.

كما كانت المجلة تنوه بالمنصرين الأمريكيين من أساتذتها من أمثال يوحنا ورتبات ودانيال بلس وكرنيليوس فان ديك، وتذكرهم بالتبجيل والثناء، وتدعو الشباب للاقتداء بهم.

ومن أمثلة ذلك ما كتبته عن فان ديك: "كان حب التلامذة له يقرب من العبادة، بل كان في عيونهم معبودًا بشريًا".

كما كانت المجلة تطعن في عقائد الطوائف النصرانية الأخرى، وتزعم أن كل تعاليم الأنبياء كانت مفيدة في زمانها، ولكنها لا تتفق مع النظريات الحديثة، باستثناء التعاليم المسيحية، التي أدت لارتقاء النوع البشري.

كما اتهمت المجلة المسلمين بالعداء للحركة الفكرية، ووصفتهم بالتعصب، لاسيما في العصر العباسي.

وتبنت المجلة وجهة نظر خلاصتها أن المسيحية هي صاحبة الفضل في التقدم الفكري، الذي يدين به الشرق العربي لها، بعكس بقية الأديان و الحضارات التي وقفت حجر عثرة أمام أي تقدم.

---

13 التبشير والاستعمار ص: 104 إلى 106، التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 170 و171.

Microsoft Encarta 2009, American University of Beirut.14

وهكذا سعت الكلية عبر مجلتها لخدمة الحركة التنصيرية الأمريكية في الشرق العربي، إلى أن أصبح لأمريكا دور بارز في سياسته[15].

6- وكانت الكلية ترسل لمصر كل عام قبل افتتاح السنة الدراسية أحد أساتذتها مندوبًا ليمهد السبيل لمن يريدون الالتحاق بها، وفي نفس الوقت كان هدفه الثاني العمل على رؤية خريجي الكلية بمصر، والاجتماع بهم لزيادة أواصر الروابط بينهم وبين الكلية.

وقد أدى نشاط خريجي هذه الكلية للسيطرة على قطاع من واسع من الصحافة والمجالات في الثقافية في مصر، ومن أمثلتهم جورجي زيدان ويعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس وغيرهم.

وقد ساعد ذلك على ازدياد شهرة الكلية بين المصريين، حتى التحق بها العديد من أبناء الطبقة الثرية في مصر.

ومن ذلك يتضح أن الكلية قامت بدور الأم الراعية لأبنائها الذين تخرجوا منها، مهما بعدت أماكنهم، فكانت ترسل إليهم من يتابع أعمالهم، ومن يدعوهم إليها سواء للخطابة أو للاحتفالات المختلفة التي تقيمها، كما كانت تسعى في مساعدتهم في تولي أعلى المناصب في أماكن إقامتهم، كما كانت تدعوهم للاتحاد بينهم وتكوين الأندية المختلفة لخريجي الكلية، ومن أمثلتها نادي خريجي الكلية في القاهرة، فأصبحوا بذلك دعاة لمبادئها وأفكارها بما في ذلك الأفكار الدينية، التي تعلموها في الكلية.

وبهذا أصبح هؤلاء الخريجون خير دعاة وأنصار للثقافة الأمريكية، وبالتالي للمصالح الأمريكية، التي سعت منذ أواخر القرن التاسع عشر للبحث عن موطئ قدم في الشرق العربي، وكان هؤلاء الخريجون هم خير أنصارها وأعوانها[16].

7- أضف لذلك أن خريجي تلك الكلية وكل من ارتبط بالإرسالية الأمريكية كانوا يتمتعون في مصر بالحماية البريطانية، وكان المندوب السامي البريطاني يحميهم ويحمي النشاط التنصيري، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- عن مطالبة اللورد كتشنر[17] -المندوب السامي البريطاني- لرئيس الوزراء والنائب العام المصريين بإحالة الشيخ محمد رشيد رضا والدكتور محمد توفيق صدقي -رحمها الله- للقضاء بسبب ردودهما على المنصرين.

---

15 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 191.

16 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 188 و189.

17 هوراتيو هربرت كتشنر: ضابط بريطاني شهير، ترقى حتى وصل لمنصب وزير االدولة للحرب في الحرب العالمية الأولى، وبعد الاحتلال الإنجليزي لمصر عام 1882م كان من الضباط الإنجليز الذين اختيروا لإعادة تنظيم الجيش المصري بعد ثورة أحمد عرابي، ثم شارك -في عامي 1884 و1885م- كضابط استخبارات في القوة التي حاولت أن تفك الحصار عن الخرطوم، الذي فرضه عليها محمد أحمد المهدي، ولتنقذ الجنرال البريطان تشارلز جورج جوردن، ولكنها وصلت للسودان بعد مقتل جوردن بيومين، واستيلاء محمد أحمد المهدي على الخرطوم في 26 يناير 1885، وأعلن محمد أحمد المهدي -الذي ادعى المهدية- قيام دولة إسلامية مجاهدة في السودان، وأرسل للملكة فكتوريا يدعوها للإسلام، وأعد العدة لفتح مصر، ورغم انحرافه العقدي وتخلف أسلحته، فقد عده البريطانيون تهديدًا خطيرًا، نظرًا للحماسة الجهادية التي بثها في أتباعه.

وعين كتشنر سرداراً للجيش المصري في عام 1892، فشن حملة على السودان أكثرها من الجيش المصري وعلى نفقة الحكومة المصرية، تمكنت من هزيمة قوات الدولة المهدية في معركة أم درمان عام 1898م، ووقعت في عام 1899م اتفاقية الحكم الثنائي للسودان بين مصر وبريطانيا، وعين نتيجة لها كتشنر حاكما عامًا للسودان، ثم عين قائدًا عامًا للقوات البريطانية في الهند من عام 1902 إلى 1908، وفي عام 1911 عين مندوبًا ساميًا في مصر حتى عام 1914. وفي عام 1914 عين مع بداية الحرب العالمية الأولى وزير دولة للحرب. وفي عام 1916م ارتطمت سفينته -أثناء رحلة لروسيا- بلغم ألماني، فغرقت، واختفى كتشنر.

[Microsoft Encarta 2008, Horatio Herbert Kitchener

تاريخ مصر الحديث ص: 222].

ومن أهم أفكاره فكرة خطيرة سيطرت على السياسة البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى، وظلت مسيطرة عليها لفترة طويلة، ومجمل هذه الفكرة أن الأماكن المقدسة لكل الأديان في الشرق يجب أن تكون تحت السيطرة البريطانية، وقد وردت هذه الفكرة بوضوح فيما قاله كتشنر في مناقشات وزارة الحرب، حين قال: "إن الأماكن المقدسة للمحمديين في مكة وفي المدينة يجب أن تكون تحت الحماية البريطانية بطريق غير مباشر لمراعاة التعصب الإسلامي، وكذلك يجب أن تكون كربلاء والنجف في العراق، ونفس الشيء ينطبق على كنيسة القيامة وقبة الصخرة وحائط المبكى في القدس. فذلك يعطي الإمبراطورية البريطانية حق أن تواجه العالم باعتبارها حامية كل المقدسات الدينية".

[المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، الكتاب الأول: الأسطورة والأمبراطورية والدولة اليهودية ص: 101].

ومن الملاحظ أن هذه الفكرة لا زال أصلها موجودًا مع تغير في التفاصيل، فأمريكا وريثة بريطانيا تسيطر على مكة والمدينة عن طريق آل سعود، وتسيطر على كنيسة القيامة وقبة الصخرة عن طريق إسرائيل، أما كربلاء والنجف فتسيطر عليها عن طريق الحكومة العراقية والتفاهم الإيراني.

وكتب عن ذلك الشيخ محمد رشيد رضا في رثائه للطبيب محمد توفيق صدقي رحمها الله:

"رد صاحب الترجمة على المبشرين

أشرنا في أول هذه الترجمة إلى أن دعاة النصرانية كانوا أحد الأسباب الباعثة للمترجَم إلى البحث في الدين، الذي انتهى به إلى الانتقال من الشك إلى اليقين، ثم إلى الدفاع عن الإسلام. كما انتهى هذا البحث بِتربه الدكتور عبده إبراهيم[18] إلى الإسلام البرهاني الإذعاني، والصلاح والإصلاح النفسي والاجتماعي. وقد كان أهم ما كتبه المترجَم بقصد الدفاع عن الإسلام، الرد على أولئك الدعاة الذي حفزته إليه مناظراته معهم، واطلاعه على كتبهم، وقد استعد لذلك بقراءة كثير من الكتب الإنكليزية لطائفة العقليين من الإفرنج، وللملاحدة الذين ردوا على النصرانية.

ومقالات الفقيد في الرد على المبشرين لا يغني عنها أكبر الكتب المصنفة في الرد عليهم ككتاب إظهار الحق، وقد جُرد بعضها من المنار وطبع في كتب مستقلة، وأقواها وأوسعها ما نشر في المجلدين الخامس عشر والسادس عشر من المنار

كمقالة: (القرابين والضحايا في الإسلام) ومقالة: (الدين كله من القرآن)[19] ومقالات: (بشائر عيسى ومحمد في العهدين) ...... ورسالة (نظريتي في قصة صلب المسيح وقيامته) .... و(نظرة في كتب العهدين وعقائد النصرانية) في المجلد السادس عشر أيضًا.

وقد هاجت بعض مقالات هذه الرسالة المبشرين فتوسلوا إلى لورد كتشنر بأن يوعز إلى الحكومة المصرية بإلغاء المنار ومنع صدوره منعًا أبديًّا، وبمحاكمة منشئه والدكتور محمد توفيق صدقي، وقد كلمني في ذلك النائب العمومي في ذلك العهد عبد الخالق ثروت باشا، وعهد إلي بأن أقابل رئيس الوزراء (محمد سعيد باشا) أنا وصاحب الترجمة، فقابلناه وكلمَنا في المسألة، ونهى المترجَم أن يعود إلى كتابة مثل تلك المقالة المستنكَرة في شدة طعنها، وكلَّمنا في وجوب تخفيف لهجة المنار في الرد"[20].

وكتب أيضًا -رحمه الله- عن مساعدة الحكومة والإنجليز للمنصرين في مصر:

"مساعدة الاحتلال للتنصير واضطهاد المنار:

بلغ من مساعدة الاحتلال الإنكليزي لدعاية المبشرين بسيطرتها على الحكومة أن أمر اللورد كتشنر وزير الأوقاف بإلغاء المستشفى الذي بنته الوزارة في مصر القديمة بجوار مستشفى هرمن التبشيري[21]؛ لأنه يصرف كثيرًا من فقراء المسلمين

عنه فيحرمون من التبشير بالنصرانية، فوعده الوزير بأن سيبحث له عن مكان بعيد عن مستشفى التبشير يصلح له فينقله إليه، ولكن الله تعالى صرف اللورد المستبد عن هذه البلاد قبل أن ينفذ أمره هذا.

وقد أمر اللورد بما هو شر من ذلك استبدادًا وتحكمًا في هذه الحكومة الصورية لمساعدة النصرانية على الإسلام، أمر بتعطيل مجلة المنار؛ لأنها ترد على المبشرين، وبنى ذلك على مقالة نشرت فيه بإمضاء الدكتور محمد توفيق صدقي -رحمه الله تعالى- قالوا: إنها شديدة اللهجة، وقد كتب اللورد على الجزء الذي نشرنا فيه تلك المقالة بخطه ما كتب، وأرسلها إلى النائب العام ليقيم الدعوى على صاحب المنار ويحكم بعقابه وتعطيل مجلته.

....

هذا ملخص ما وقع في هذه الحادثة، وقد كتبت عقبها في آخر المجلد السادس عشر من المنار ما نصه:

حرية المسلمين الدينية بمصر

---

18 الدكتور عبده إبرهيم طبيب قبطي مصري كان نصرانيًا ثم أسلم، وكان على رابطة بالشيخ محمد رشيد رضا رحمها الله، وولده هو أستاذ الاقتصاد والداعية المشهور الدكتور عيسى عبده رحمه الله، وقد تعمد الدكتور عبده إبراهيم -رحمه الله- أن يسمي ولده (عيسى)، لكي يكتب وينادى عليه (عيسى عبده)، أي: عيسى -عليه السلام- عبد الله ورسوله.

19 هذه المقالة رجع عنها الدكتور محمد توفيق صدقي -رحمه الله- في مقالة: (أصول الإسلام-كلمة إنصاف واعتراف) نشرت في ص:140 من المجلد العاشر من مجلة المنار.

20 مجلة المنار عدد ذي الحجة 1338هـ- سبتمبر 1920م- ترجمة الطبيب محمد توفيق صدقي مج: 21 ص: 483.

21 راجع للدور التنصيري الذي كان يقوم به هذا المستشفى: ما كتبه القس المنصر البروتستانتي السابق المهتدي إلى الإسلام إبراهيم خليل أحمد في كتابه (المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي) تحت عنوان (مقارنة بين مستشفى القصر العيني ومستشفى هرمل) ص: 55 و56.

لدعاة النصرانية (المبشرين) عدة مدارس ومستشفيات وصحف في مصر لا غرض لهم منها إلا تنصير المسلمين، وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على إنشاء مدارسهم ومستشفياتهم باسم نشر العلم وعمل الخير، ثم إنهم ينشرون في كل سنة عدة كتب ورسائل في الطعن في القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام، وتنفير المسلمين من الإسلام. دع النشرات والأوراق الصغيرة التي ينثرونها في المستشفيات، والخطب التي يلقونها فيها، وفي سائر معاهد التبشير، وقد عز عليهم مع هذا أن يكون للمسلمين في هذا القطر الإسلامي كله صحيفة إسلامية واحدة ترد عليهم وتدافع عن الإسلام، فسعوا بواسطة بعض قناصلهم إلى لورد كتشنر ورغبوا إليه أن يأمر الحكومة المصرية بإلغاء المنار وإبطال صدورها، وبمحاكمة صاحبها هو والدكتور صدقي الذي يساعده في الرد عليهم"[22].

8- لغة التدريس بالكلية الإنجيلية السورية

منذ قدوم الإرسالية الأمريكية للشام عملت على التقرب من الأهالي، وذلك بدراسة اللغة العربية ليمكنهم التفاهم معهم بها، وفي نفس الوقت بدأت الطباعة بالحروف العربية، التي طبع بها الكتاب المقدس لدى النصارى، والتي أصبحت تعرف بـ(الحروف الأمريكية)، ولتحقيق هذا الهدف تعلم الرعيل الأول من منصري الإرسالية الأمريكية اللغة العربية مثل كرنيليوس فان ديك ويوحنا ورتبات وجورج بوست، وكتبوا بها العديد من المؤلفات في الطب والزراعة والعلوم الحديثة، بالإضافة للكتابات التنصيرية.

ومنذ نشأة الكلية الإنجيلية السورية كانت تعلم علومها المختلفة -بما في ذلك الطب- باللغة العربية، وكان أساتذتها يترجمون ما يحتاجون إليه -من المكتشفات والمخترعات الحديثة- للغة العربية، بالإضافة لمؤلفاتهم الأصيلة بالعربية.

وهو ما أدى لتزكية النزعة القومية العربية، وكذلك أدى لتعريب الكنيسة في العالم العربي.

ولكن ابتداءً من عام 1879م شرعت إدارة الكلية الإنجيلية في التعليم في القسم الأدبي باللغة الإنجليزية، مع التزامها بتدريس الكتب المقدسة باللغة العربية.

وتأخر الإعلان عن تدريس الطب باللغة الإنجليزية حتى عام 1881م، ثم تم تأجيل ذلك لمدة عامين آخرين حتى يتم تأهيل الطلاب لتلقي العلم بهذه اللغة، ومما يلفت النظر هنا أن التعليم باللغة الإنجليزية بدأ في القسم الأدبي قبل القسم الطبي، مما ينفي القول بأن التدريس بالإنجليزية كان لغناها بالمصطلحات العلمية الحديثة، بل يؤكد على أن هذا التحول كان تخطيطًا مرتبًا من إدارة الكلية، كما أن ذلك ينفي ما يمكن قوله أن القسم الطبي كان يدرس به كرنيليوس فان ديك ويوحنا ورتبات وجورج بوست، وأنهم عندما خرجوا من الكلية في عام 1882م جاء مكانهم أساتذة من أمريكا لا يعرفون العربية، لأن الكلية كانت قد أعلنت عن التدريس باللغة العربية قبل خروجهم بعام ونصف، فهو قرار مسبق ونية مبيتة.

وقد كان هناك تياران متعارضان في الكلية الإنجيلية حول لغة التدريس:

التيار الأول: يرى أن الإنجليزية هي الأصلح، وذلك لجمود اللغة العربية وعدم قدرتها على مسايرة التطور العلمي الحديث، ولصعوبة إيجاد المعلمين الأكفاء للتدريس بها، ولصعوبة توفير الكتب العربية الدراسية، كما أن التعليم من الكتب الإنجليزية ينقل للطالب أحدث الآراء العلمية.

بالإضافة لأن الطالب الذي يدرس بالإنجليزية ينفتح له مجال التخصص في الغرب، خلافًا للدارس بالعربية.

أما التيار الثاني: المعارض للتدريس بالإنجليزية والمتمسك بالتدريس بالعربية، فيرى أن التدريس بالإنجليزية آفة على المؤلفين، ومحبط للتأليف بالعربية في كافة مجالات العلوم، مما يتسبب في فقر العربية في العلوم الحديثة، كما أنه يؤدي لحصر المعارف والعلوم في فئة الدارسين بالإنجليزية فقط، ويضيف أصحاب هذا التيار أيضًا: أن التعليم مقصده ترقية الأمة، ولا يتحقق هذا إلا بإحياء آداب العربية، وإصدار الصحف والمجلات، ولن يتيسر ذلك إلا إذا كانت العربية هي لغة التدريس.

---

22 مجلة المنار عدد المحرم 1352هـ- مايو 1933م- التبشير أو التنصير في مصر: ماضيه وحاضره ومساعدة الحكومة له مج: 33 ص: 231.

وعن هذا كتب المنصر فان ديك الابن في مجلة المقتطف في أبريل 1921م: "إذا كانت غاية التعليم أن نجعل المتعلم نافعًا لوطنه، بما ينشره من العلوم والمعارف، فتلميذ المدرسة الكلية -الذي لا يقدر أن يعبر عن أفكاره بلغة عربية صحيحة خالية من العبارات الأجنبية السقيمة- لا يقدر على إتمام تلك الغاية، لذلك فتغيير لغة التعليم في الكلية من العربية للإنجليزية خطأ فادح".

ويمكن من خلال النظر في هذين الرأين استنتاج الآتي:

- إن القول بقصور اللغة العربية مردود عليه بأن الإرسالية نفسها ومن بعدها الكلية الإنجيلية استخدمتا العربية في ترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى، بالإضافة لترجمة العديد من كتب الطب والعلوم المختلفة، بل واستخدمها الدكتور كرنيليوس فان ديك والدكتور بوست في التأليف في المجالات العلمية، وكان ذلك في بداية عملهم، حين كان يمكن قبول هذه الحجة، أما أن يحتج بقصور العربية بعد خمسين عامًا من تدريس أساتذة الإرسالية بها، فتعليل غير مقبول.

- ويمكن إرجاع هذا التغير لسياسة استعمارية عامة، حولت أهداف الكلية بالتدريج من السياسة التنصيرية للسياسة الاستعمارية، ومما يعضد هذا؛ تحويل بريطانيا للغة التعليم في مصر للإنجليزية.

وبناء على هذا التصور يمكن القول بأن الاستعمار البريطاني وما صاحبه من السياسة الأمريكية هدفا لتكوين جيل من الوطنيين المرتبطين بدوائر النفوذ الاستعماري.

كما أن هذا التطور يمثل تغيرًا في سياسة الإرسالية الأمريكية، التي كانت تحرص على نقل الأعمال للوطنيين، فربما رأت السياسة الأمريكية -وهي الممولة الأساسية للكلية- أن الكلية من الأهمية بمكان، فقررت استمرار السيطرة عليها.

ويمكن رصد هذا التغير في لغة التعليم في الكلية على أنه بداية الخلاف بين الإرسالية الأمريكية في الشام وإدارة الكلية ممثلة في مجلس الأمناء في نيويورك. هذا الخلاف المكتوم الذي استمر لأكثر من ثلاثين عامًا حتى تم الانفصال بينهما.

لأن الإرسالية لما أغلقت مدرسة عبية، التي كانت تخرج المنصرين والوعاظ، ونقلت طلبتها للكلية باعتبارها البديل عن المدرسة، ولكن لما تغيرت لغة التدريس للإنجليزية فقدت الكلية أهم مزاياها للإرسالية، لأنه لا يمكن تخريج وعاظ يتكلمون بالإنجليزية للعمل بين الشوام.

ويمكن إرجاع هذا التغير أيضًا لتطور أهداف الإرسالية، ففي البداية كانت الكلية تدرس بالعربية للتقرب من العرب، وإقناعهم بأن الأمريكان المنصرون ما جاءوا إلا لخدمتهم، وفي نفس الوقت تسعى الكلية -كأحد أهم أنشطة الإرسالية- لإحياء الشعور القومي العربي لإضعاف الدولة العثمانية، بالإضافة لمحاولة إقناع العرب -مسلمين ومسيحيين- بأن حضارتهم الأصلية هي الحضارة العربية، وهي الحضارة التي يزعم المنصرون أنها حضارة مسيحية في الأساس، ولذا صاحب ذلك إحياء الآداب العربية بما فيها الآداب الجاهلية، ولكن بعد أن نجح المنصرون البروتستانت بالإضافة لليسوعيين -كما ذكرت من قبل- في هذا المضمار، ومع هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وخروجها من الشام غيروا لغة التدريس، وسعوا في إحياء العامية، كما سأشير إن شاء الله، ليفتتوا الأمة العربية، مع التكرار بأن العربية عاجزة عن مواكبة التقدم العلمي حتى يشعروا العرب بالنقص والتخلف[23].

ويمكن أن يضاف عامل آخر، وهو أن الحكومة الأمريكية رأت أن الوجه التنصيري للإرسالية الأمريكية وجه منفر للمسلمين، فرأت أن تحل محله الوجه التحرري العلماني، فاستبعدت المنصرين، الذين يحرصون على أن يخرجوا منصرين يجيدون العربية، وأحلت محلهم العلمانيين، الذين يحرصون على تخريج طلاب يتكلمون ويفكرون بأسلوب الغرب الأمريكي.

9- وفي عام 1921م رأت إدارة الكلية أن تغير اسمها من الكلية الإنجيلية السورية إلى الجامعة الأمريكية[24]، وكان هذا إيذانًا باتباع أمريكا لسياسة جديدة، لا تظهر -على الأقل- بمظهر تنصيري، أو لا تتفق مع المنصرين.

ولعلها استغلت المنصرين لمرحلة، ثم رأت أن تمارس سياستها بدونهم بعد ذلك.

---

23 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 182 إلى 185 بتصرف.

24 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 170 و171.

ولكنها رغم هذا التحول كانت تسعى للاحتيال على تعليم التوراة بما تستطيع، فكانت حتى عام 1922م تخير طلابها بين حضور درس للتوراة أو درس للأخلاق، وفوجئ من اختاروا درس الأخلاق، بأنهم يدرسون كتابًا لا يختلف عن التوراة إلا في اسمه، أما موضوعاته فقصص من التوراة أو من أخبار قديسي النصارى.

وكان الدكتور عمر فروخ طالبًا في الجامعة حينئذ، فكتب عن ذلك:

"فرفضنا نحن شراء الكتاب أو قبول تعيين درس منه".

فكان جزاؤه الحجز في الكلية بعد الظهر, ولكن هذا الحجز فجر القضية، كما كتب: "إن هذا الحجز القصير قد ربح قضية لم تكن تافهة على الإطلاق، لقد ألغي منذ ذلك اليوم درس التوراة نهائيًا في الجامعة الأميركية، واستعيض عنه بدرس للأخلاق والتربية المدنية"[25].

***

25 التبشير والاستعمار ص: 81 و82.

ج- تشجيع الدعوة القومية العربية للانفصال عن الدولة العثمانية.

كان السعي لإحياء القومية العربية لتفتيت الدولة العثمانية أحد أهم الأهداف التي تسعى لها الإرسالية الأمريكية في الشام. فينقل الدكتور عبد الرازق عبد الرازق عيسى عن تقرير للإرسالية الأمريكية صادر في عام 1847م بعنوان (Missionary Herald, june 1847, Appeal for Missionaries) الآتي:

"ولا مكان للشك في أن التوراة يجب أن تأخذ مكان القرآن. وأن شعار الدولة العثمانية الهلال يجب أن يخفت أمام الصليب". وينقل عن هذا التقرير -أيضًا- أن الأهداف التبشيرية والرغبة في إسقاط الدولة العثمانية هدف أساسي وأصيل لهم[1].

وكانت اللقاءات السرية لجمعية بيروت السرية المناهضة للدولة العثمانية تعقد في مقر الكلية الإنجيلية السورية، ويحضرها المرتبطون بها[2].

كذلك كان المجمع العلمي الشرقي -الذي أنشأته الإرسالية- يطرح أفكارًا مثل أصل الحضارة الفينيقية والإشادة بماضي العرب، وهما فكرتان متناقضتان، ولكنهما تتفقان في تقويض الرابطة الإسلامية التي تربط شعوب الدولة العثمانية[3]. كما سيأتي تفصيله -إن شاء الله- عند الحديث عن الجمعيات التي أنشأتها الإرسالية، وعند التعريف بشخصياتها وبأشهر نصارى الشام.

***

---

1 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 209 و210.

2 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 251.

3 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 256 و257.

د- الرعاية الاجتماعية

(1) الإعانات المالية

كان منصرو الإرسالية لا يوزعون إعانات من أموال الإرسالية، ولكن كانوا أحيانًا يوزعون من الأموال التي تصلهم من جهات أخرى، وكانوا يعرفون أنها -في حالات عديدة- تصل لمن لا يستحق، ولكن يتغاضون عن ذلك تنافسًا مع غيرهم من المنصرين على اصطياد الخراف الضالة، فذلك كان قصدهم الأساسي لا إعانة البائس والمحروم كما ذكر الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي[1].

***

(2) الملاجئ

أنشأت الإرسالية العديد من الملاجئ مثل أخوية دار الأيتام السورية بالمشاركة مع الإرسالية الألمانية، وقد كان به قسم للعميان، كما ألحقت به مدرسة خارجية، وقد افتتحت له عدة فروع في يافا والناصرة.

كما أسست الإرسالية في عام 1895م فرعًا للأيتام في مدرسة الفنون الأمريكية بصيدا، وقد خصص بناء الأيتام الذكور لأيتام الطائفة الإنجيلية فقط[2].

***

(3) العمل الطبي

اعتبر المنصرون عامة -بما فيهم منصرو الإرسالية الأمريكية- التطبيب (مشروعًا مسيحيًا)، يقصد به التنصير أولًا، ولذلك كتب الطبيب بول هاريسون في كتابه (طبيب في بلاد العرب Doctor in Arabia ص: 277): "إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة (عُمان) بأسرها. لقد وُجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى".

وفي ص: 253 ذكر أ الطبيب المبشر بإمكانه أن يصل تبشيره إلى جميع طبقات المسلمين.

وفي ص: 276 ذكر أن عليه أن يكون (نسخة من الإنجيل) ليجعل ممن حوله نصارى حقيقيين، أو على الأقل يترك أثرًا عميقًا في نفوسهم[3].

وفي عام 1924م عقد المنصرون مؤتمرًا عامًا، وعقدوا جلساته في القدس ومصر ولبنان وبغداد، وقد اهتم المؤتمرون -وخاصة في جلسة القدس- بالتطبيب على أنه وسيلة للتنصير، وكان ممن حضر جلسة لبنان من الإرسالية الأمريكية: القس ج ستيوارت كروفورد من الجامعة الأمريكية في بيروت، وبيارد ضودج رئيسها.

ويسهل الأمر على المنصر إذا كان يعمل في مستوصف أو مستشفى تنصيري، وعن ذلك كتب المنصر ريشتر في كتابه A History of Protestant Missions in the Near East) تاريخ الإرساليات البروتستانتية في الشرق الأدنى ص: 552): أن الطبيب يستطيع أن يجد في غرفة الاستشارة أو في العراء فرصًا مناسبة لينثر بذور التبشير في قلوب المرضى[4].

---

1 التبشير والاستعمار ص: 194 و195.

2 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 101.

3 التبشير والاستعمار ص: 48 و59.

4 التبشير والاستعمار ص: 60.

ولذلك كان أغلب مشاهير الأطباء البروتستانت الذين وفدوا على بلاد العرب منصرين، من أمثال كرنيليوس فان ديك[5] وآسا دودج وفورست وجورج بوست وتشارلس كلهون وماري أدي وطومسون[6] ويوحنا ورتبات.

وقد تعاونت كلًا من الإرساليتين البروتستانتيتين الأمريكية والبروسية لإنشاء المستشفى البروسي في بيروت، ولإنشاء البيمارستان اللبناني للأمراض العقلية قرب بيروت.

كما سعى الدكتور فان ديك لإنشاء مستشفى للعيون في بيروت باسم (Brown Ophthalmic Hospital).

كما أنشأت الدكتورة ماري أدي -ابنة المنصر الأمريكي وليم أدي- مستشفى لعلاج السل.

كما كان بعض أطباء الإرسالية يقومون بجولات استكشافية في القرى والمدن المحيطة بمراكزهم، مثل الدكتور تشارلس وليم كلهون والدكتور هرس الأمريكيين، وكذلك الدكتوران اللبنانيان فارس صهيون وأمين معلوف[7].

***

5 أحد مترجمي النسخة البروتستانتية للكتاب المقدس لدى النصارى.

6 التبشير والاستعمار ص: 61.

7 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 99 إلى 101.

هـ- نشر الأفكار

أتناول نشاط الإرسالية الأمريكية ووسائلها في نشر أفكارها تحت العناوين التالية:

(1) الطباعة

(2) تأليف الكتب

(3) الترجمة

(4) توزيع الكتب وإقامة المكتبات

(5) الصحافة

(6) الجمعيات

***

(1) الطباعة

اهتم المنصرون البروتستانت الأمريكان بالطباعة أيما اهتمام، باعتبارها منفذًا من أهم المنافذ لأهل البلاد التي يعملون فيها، وفي هذا الصدد ينقل الدكتور عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى عن المنصر الشهير الأمريكي صموئيل زويمر[1] في كتابه (طريق المحبين إلى قلوب المسلمين ص: 71):

"الطباعة والمطبوعات هي الصوت الحر والقوة العامة في الحياة السطحية والنفس الداخلية، هي قوة في العالم الإسلامي اليوم، وتأثيرها لا يحصر، فإن أصواتنا لا تقدر أن تصل إلى أماكن عديدة، وتلك الميزة الأولى للطباعة، فالمطبوعات يتعدى تأثيرها الأفراد والجماعات، لأنها تصل إلى بيوت نائية وعائلات بائسة، هي المبشر الحاضر في كل زمان ومكان"[2].

وقد أنشئت المطبعة الأمريكية في مالطا عام 1822م، وكانت تهتم بطبع الكتب الدينية والمدرسية للإرساليات الأمريكية في حوض البحر المتوسط واليونان والشام والدولة العثمانية.

وكان القائمون عليها يعتبرون أن بقاءها في مالطا أمر مؤقت، وأن مكانها الطبيعي إما في سمرنا في اليونان أو في بيروت، ولكن منعتهم -من نقلها- خشيتهم من ظهور المعارضة لها وتدخل الدولة العثمانية في شؤونها، بعكس مالطا الواقعة تحت الاحتلال الإنجليزي.

ومنذ عام 1833م بدأ التفكير في نقل القسم العربي من المطبعة إلى بيروت، بعد أن تغيرت أحوال الشام بوقوعه تحت حكم محمد علي المتساهل مع المنصرين، والمتنافس مع الدولة العثمانية على تحسين العلاقات مع الدول الغربية.

وفي عام 1834م نقل القسم العربي من المطبعة لبيروت، ولكن بقي جزء منها في مالطا حتى عام 1842م، حين نقلت تمامًا لبيروت في ذلك العام، بعد صدور التنظيمات العثمانية عام 1839م.

وكان الهدف من رسالة المطبعة واضحًا تمامًا في أذهان القائمين عليها، فقد كان هدفهم في البداية أن تكون مطبعة صغيرة، حتى لا تلفت أنظار المناوئين لها.

وقد ذكر تقرير للإرسالية في سبتمبر 1845: "إننا ننظر إلى مطبعتنا كواحدة من ثلاث في العالم كله يصدر منها أي شيء لتنصير السلالة العربية". أي أن المطبعة كانت تخدم الأغراض التنصيرية بالأساس.

وبعد أن كانت المطبعة الأمريكية تعنى بالكراسات الدينية الصغيرة، أخذت في التوسع في طبع الكتب لمواجهة حاجة المدارس التابعة للإرسالية، ولطبع الكتب التي ألفها أعضاء الإرسالية أو المرتبطون بها مثل بطرس البستاني وناصيف اليازجي وإبراهيم الحوراني.

وكان لكتب المطبعة الأمريكية أثرها الواضح على الحياة الفكرية، فقد قامت بزعزعة العقائد الدينية المستقرة بالدعوة للمذهب البروتستانتي، كما نشرت كتبًا دراسية تناولت أفرع العلوم المادية الحديثة.

ونظرًا لإمكاناتها المتميزة ولعدم بحثها عن النفع المادي، صارت المطبعة الأمريكية أهم مطبعة في الشام كله، وأهم طابع للكتب في العالم العربي ومصدر لها، بالإضافة لطباعتها للصحف الصادرة عن الإرسالية الأمريكية.

---

1 صموئيل زويمر: أو صاموئيل شاتليهلو زويمر من أقطاب التنصير في البلاد العربية. ولد سنة 1867م، وتوفي سنة 1952م. ويعد رئيس المستشرقين في الشرق الأوسط. تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي التي أنشأها مع ماكدونالد. [التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته ص: 59].

قال عنه نجيب العقيقي المتعاطف مع المستشرقين: "له مصنفات في العلاقات بين المسيحية وبين الإسلام، أفقدها بتعصبه واعتسافه وتضليله قيمتها العلمية". [موسوعة المستشرقين لنجيب العقيقي ص: 1005].

وكتب عنه الأستاذ عبد الله التل: "وأعجب العجب أن يعلم القارئ بأن صموئيل زويمر هذا، الذي كان يرأس مؤتمرات التبشير من ادنبره في أقصى الغرب إلى لكنو في أقصى الشرق، والذي قاد معارك التبشير طوال ستين عامًا انتهت بهلاكه سنة 1952، قد كشف عن يهوديته الدفينة الراسخة في أعماق نفسه، وذلك بأن طلب حاخامًا يلقنه في ساعاته الأخيرة أثناء احتضاره، وقد أخبرني راهب من أصدقائي أيام معركة القدس؛ أن الكنيسة تحتفظ بهذا السر المذهل، ولا تبوح به، حتى لا تتكشف حيل اليهود الذين يتظاهرون باعتناق النصرانية، وحتى لا يظهر إخفاق جمعيات التبشير التي تبذل الملايين عبثًا". [جذور البلاء ص: 228].

2 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 197.

إلا أن أهم كتاب طبع في المطبعة الأمريكية على الإطلاق هو الترجمة العربية للكتاب المقدس لدى النصارى[3].

***

3 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 197 إلى 204.

(2) تأليف الكتب

سأرجئ الإشارة لأهم المؤلفين عند الكتابة عن أهم شخصيات الأرسالية الأمريكية إن شاء الله.

***

(3) الترجمة

لما بدأت الإرسالية الأمريكية في ممارسة نشاطها التعليمي في بلاد الشام، وأنشأت العديد من المدارس، كانت المشكلة الأساسية التي واجهتها هي الكتب المدرسية، نظرًا للنقص الذي كانت تعاني منه اللغة العربية في كتب العلوم الحديثة، وكان الحل هو الترجمة.

وقد قام بعبئها في البداية مجموعة من المنصرين الأمريكيين، الذين حرصوا على إتقان اللغة العربية، وآمنوا أن الترجمة أحد أهم الوسائل المساعدة لهم في التنصير، ومن هؤلاء كرنيليوس فان ديك وجورج بوست ويوحنا ورتبات، وهؤلاء كانوا أساتذة في الكلية الإنجيلية السورية، كما تقدم. ثم تبعهم مجموعة من تلاميذهم.

وعن طريق الترجمة وصلت للقراء العرب أحدث الكتب العلمية وكذلك أحدث المذاهب الفكرية. وكانت حركة الترجمة عامة في الدولة العثمانية في ذلك الوقت، وليس في الشام وحده. وقد أثرت هذه الترجمات في التحول الفكري الجاري في الدولة العثمانية عامة.

وكانت أخطر تلك الترجمات؛ ترجمات الآداب الفرنسية، التي بينت للعثمانيين أساليب القيام بالثورات، والفلسفات الوضعية، وكتب الفكر المادي.

ويمكن تقسيم نشاط الترجمة للإرسالية الأمريكية إلى قسمين:

الأول: ترجمة الكتب في سائر المجالات.

والثاني: ترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى، والمشهورة بترجمة فانديك.

أما عن ترجمة الكتب، فقد استغلوها لترويج أفكارهم، ومن أمثلة ذلك ترجمة (رواية ابن حور)، التي ألفها بالإنجليزية ليو ولص، وترجمها للعربية كرنيليوس فان ديك، والتي تقدم اليهود على أنهم نموذج للمروءة وعزة النفس والعفة والوداعة، بينما المصريون أهل خبث ودهاء، ظلموا اليهود بإخراجهم من مصر.

وعلى نفس المنوال ترجم أسعد شدوري كتاب المطران ولش (أصداء التوراة)، الذي يتناول الاكتشافات الأثرية في فلسطين، والتي زعم الكتاب أنها جاءت متفقة مع ما ورد في التوراة.

وبأمثال هذين الكتابين كانت تهدف الإرسالية إلى بذر فكرة أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن فلسطين هي وطنهم، وأن من حقهم العودة إليها، توافقًا مع العقيدة الألفية، التي يؤمن بها الكثير من البروتستانت، إن لم يكن أكثرهم.

وبالإضافة لذلك قامت الإرسالية بترجمة العديد من الكتب الداعية لعقيدتهم البروتستانتية مثل ترجمة بطرس البستاني لقصة (سياحة المسيحي)، وكتاب (لماذا تجسد الكلمة) لأسلموس اللاهوتي أسقف كنتربري، و(أمثلة الكتاب) و(مواعيد الكتاب) للقس تتردنيوتن[1].

***

<u>ترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى</u>

لعله من المفيد أن أشير بإيجاز لأحد الأهداف الأساسية لترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى للعربية على يد البروتستانت.

وهذا الهدف هو تجميع نواة من اليهود في فلسطين، تتقبل سيدنا المسيح عليه السلام، فتكون قدوة لغيرها من اليهود، ليهاجروا لفلسطين، التي يتوقع البروتستانت عودة المسيح إليها حسب العقيدة الألفية.

---

1 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 204 إلى 208.

ولأن فلسطين فيها مسلمون، وهم أغلب سكانها، كما أن أغلب سكانها من المسلمين وغيرهم يتكلمون العربية، لذا كان من المهم بالنسبة للبروتستانت إصدار ترجمة عربية للكتاب المقدس لدى النصارى.

وهذا الارتباط الخطير -بين ترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى للعربية والسعي في تجميع اليهود لفلسطين- أشار إليه الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي فيما نقلاه عن كتاب (مدارس القرن التاسع عشر الأمريكية في الشام Nineteenth Century American Schools in the Levant)، لمؤلفه راو هـ. ليندساي، حيث جاء فيه: "يبدو أن التبشير في الهند حتى الربع الأول من القرن التاسع عشر لم يأت بالنتيجة التي كان المبشرون -والدول الغربية: ومنها بريطانية والولايات المتحدة خاصة- يتوخونها. من أجل ذلك عزم (المجلس المفوض بأمر جمعيات التبشير في الخارج) على تحويل الجانب الأكبر من نشاطه إلى الشرق الأوسط، وإلى فلسطين خاصة، ثم إلى القدس على الأخص.

ففي خريف عام 1818 تأسست في الولايات المتحدة جمعية تبشيرية للعمل في فلسطين تستند إلى الجهود الأمريكية والإحسان الأمريكي (ص 66).

....

وكان الهدف الرئيسي للتبشير في فلسطين تبديل عقائد شعوب الشرق الأدنى وتبديل أنماط حياتهم ... وقد وضعت خطط مختلفة للوصول إلى نفوس النصارى ونفوس المسلمين ونفوس اليهود في هذه البقعة من الأرض.

.....

ثم إن القاهرة والأسكندرية مكانان مهمان، فإن المبشرين يستطيعون أن يستقروا في أي منها بأمان، فيصنعوا ترجمة عربية صحيحة للكتاب المقدس (ص 71).

إن جمهور المسيحيين يجب أن يدعو لليهود دعوة صالحة وأن يغفر لهم صلب المسيح[2].

....

إننا إذا استطعنا أن نحمل البروتسطانت على أن يجعلوا في القدس نواة من اليهود تتقبل المسيح فإن جميع يهود العالم سيقتفون خطاها حالًا. وهكذا اهتمت جميع الإرساليات التبشيرية بالخطوة التي خطتها الإرسالية الأميركية (ص 76 - 77).

....

ولقد أدى هذا العمل (تأسيس إرسالية في القدس) إلى أغرب الأحداث في تاريخ الكنيسة الحديث.

إن السلطات البريطانية والبروسية (الألمانية) اتفقت على على تأسيس اسقفية مشتركة في مدينة القدس يشرف عليها أسقف مرسوم على المذهب الإنكليكاني (الإنكليزي)، ولكن تعيينه يجري بالتناوب بين ملك إنكلترە وملك بروسية (ألمانية). ولقد كان في هذا العمل عوامل سياسية كما كان فيه عوامل دينية. لقد ظنت السلطات (الإنكليزية والبروسية) أن الحماية التي تتمتع بها الروسية على النصارى الأرثوذكس في الشرق والحماية الدينية التي تمتع بها فرنسة على النصارى الكاثوليك يحسن أن تُوازنا بحماية إنكليزية بريطانية[3] على البروتسطانت. وقد كان الأسقف الأول على أسقفية القدس هذه ميخائيل سلمون اسكندر- وهو **حاخام يهودي متنصر**"[4].

ومن أجل كل هذه الأهداف أخرجت الإرسالية الأمريكية تلك الترجمة، التي تعد أهم ما ترجمته الإرسالية الأمريكية حتى الآن وحرصت عليه.

وقد أدى ذلك لتنشئة أجيال من رجال الدين العرب، الذين يتلون الصلوات والمواعظ باللغة العربية، بعد أن كانت تتلى في الكنائس الوطنية بلغات غير عربية، مثل اللغة اليونانية في الكنائس الأرثوذكسية، وانتشرت هذه الترجمة في العالم العربي حتى اليوم.

---

2 وهو الذي تحقق بعد قرابة قرن ونصف.

3 لعله خطأ وصوابه: بروسية بريطانية.

4 التبشير والاستعمار ص: 260 إلى 263.

ومن الجدير بالذكر أن من مبادئ البروتستانت أن يتلى الكتاب المقدس لدى النصارى باللغة التي يفهمها الناس[5].

وكان من فائدة هذه الترجمة أيضًا وما تلاها من ترجمات كترجمة اليسوعيين وغيرها؛ أن اطلع القراء العرب المسلمون على الكتاب المقدس لدى النصارى بالعربية، مما سهل على الباحثين والمهتمين دراسة هذا الكتاب، فاكتشفوا ما فيه من تناقض وتحريف، فزاد ذلك من يقينهم وتصديقهم بما أخبرهم به القرآن من تحريف النصارى واليهود لكتبهم.

وقد تكونت لجنة لترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى منذ عام 1847م برئاسة المنصر إيلي سميث، وكانت آمال الإرسالية تصبو لأن يصل كتابهم المقدس للفرات والنيل والنيجر وشمال إفريقيا.

وينقل الدكتور عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى عن تقرير للإرسالية بعنوان:

(Missionary Herald, June 1847, Appeal for Missionaries) قوله:

"وهناك أحلام كبيرة وحماسة قوية لتوصيل كلمة الله إلى الخاطئين الهالكين، ليكتبوا تعليقاتهم، وفهارسهم ومواعظهم، باختصار لإعطائهم أدب مسيحي. ولا مكان للشك في أن التوراة يجب أن تأخذ مكان القرآن. وأن شعار الدولة العثمانية الهلال يجب أن يخفت أمام الصليب".

واختار إيلي سميث لمساعدته بطرس البستاني وناصيف اليازجي، فكان البستاني يكتب المسودات، ويدفعها لسميث، الذي يقابلها على الأصل، وبعد ذلك يراجعها عدد من المتخصصين في العربية لتنقيح الأسلوب، ثم تعود كلها بعد ذلك لسميث، فيقابلها، ويعتمد ما يراه، ويأمر بالطبع.

وخلف كرنيليوس فانديك إيلي سميث في الترجمة منذ عام 1860م، بعد وفاة سميث.

وينقل الدكتور عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى عن يوسف قزماخوري في كتابه (الدكتور كرنيليوس فان ديك ونهضة الديار الشامية العلمية في القرن التاسع عشر ص: 64) أن فان ديك استغنى عن البستاني، لأن عقده مع إيلي سميث ينتهي بوفاة أي منهما، كما أنه رأى أن ناصيف اليازجي غير أمين في عمله، ولذلك استعاض عنه بالشيخ يوسف الأسير خريج الأزهر[6].

ومن اللافت للنظر أن ناصيف اليازجي مع أنه كاثوليكي ماروني، ومع أن البطريرك الماروني قد هدد كل ماروني يقترب من البروتستانت أو يعاملهم أو يلبي لهم طلبًا أو يؤجر لهم سكنًا أو يعينهم على الإقامة في البلاد بالحرمان، وأعلن الحرمان ضد كل الذين ارتادوا المدارس الإنجيلية، فاستجاب الموارنة لندائه، فأحرقوا أناجيل الأمريكان والإنجليز، ومع أن بابا روما أصدر -في سنة 1897م- أمرًا بأنه لا يجوز للكاثوليكي أن يطالع نسخ الكتاب المقدس التي لم يصدرها الكاثوليك، كما ذكرت كل ذلك آنفًا، أقول: رغم كل ذلك فإن ناصيف اليازجي وولده إبراهيم كانا من أشد المتعاونين مع الإرسالية الأمريكية، ثم شارك ابنه إبراهيم بعد ذلك اليسوعيين الكاثوليك في تصحيح ترجمتهم، مع أنه كان ماسونيًا يحتقر رجال الدين، فما تفسير ذلك؟ وهل يتفق ذلك مع ما رواه يوسف قزماخوري من أن فان ديك وجد ناصيف اليازجي غير أمين في عمله؟

وانتهت أعمال الترجمة وطبع الكتاب في عام 1867م، ولم تثبت فيه الأسفار المعروفة بالقانونية الثانية، التي لا يؤمن بها البروتستانت[7]، كما سيأتي إن شاء الله.

وهذه الترجمة تعتمد على النص اليوناني التقليدي وليس على النص اليوناني النقدي، كما أنها بدون هوامش، تشير للمشاكل والاختلافات في المخطوطات[8].

وكان معولهم في ترجمة العهد القديم على النص العبري أكثر من غيره. وقابلها اليسوعيون بترجمة اعتمدوا فيها على النسخ العبرية واليونانية والسريانية واللاتينية[9].

---

5 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 209.

6 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 209 إلى 211.

7 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 211.

8 شبكة المخلص- خلاصة إنجيل مرقس الجزء الأول للأستاذ محمد شاهين الدقيقة (14,50) وما بعدها.

9 المستشرقون لنجيب العقيقي ص: 992.

ونظرًا للاختلافات بين الأصول المختلفة، بالإضافة لاختلاف المترجمين، فقد جاءت الترجمتان -كسائر ترجمات الكتاب المقدس لدى النصارى- مختلفتين، منها اختلافات جوهرية في عقيدة النصارى، وهو ما سأبينه إن شاء الله.

***

(4) توزيع الكتب وإقامة المكتبات

عملت الإرسالية الأمريكية في الشام على توزيع الكتب وإقامة المكتبات كجزء من المشروع التنصيري الأمريكي، فعن طريق المكتبة يمكن اكتساب الأصدقاء، ومحاولة بث مجموعات من الكتب التي تحمل الأفكار المرغوب نشرها، وعن طريق الكتب تصل تلك الأفكار للأماكن النائية والبعيدة، التي لا يستطيع أن يصل إليها المنصرون.

وللتشجيع على توزيع الكتب عينت الإرسالية موظفًا لها لبيع الكتب في الأماكن النائية من البلاد، فيكون بمثابة مكتبة متنقلة، وفي نفس الوقت يعمل كمنصر لمن يشترون منه.

ومن وسائلهم أيضًا بعد انتشار المدارس؛ أن يعمل المدرس كعارض وبائع للكتب، ليسعى في التنصير بالإضافة للتدريس.

كما أنهم قاموا بتوزيع كتبهم بين الحجاج في القدس، الذين يفدون من بلدان مختلفة.

وغالبًا ما كانت توزع الكتب مجانًا، أو بأسعار أقل من سعر التكلفة.

وقد سعت الكنائس الأخرى لمقاومة كتب الإرسالية الأمريكية، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، لأن كتب الإرسالية الأمريكية كانت أرخص في السعر، وأغزر في المادة.

كما قامت الإرسالية بتوزيع دكاكين بيع الكتب المستقرة، وتعيين أحد أعضائها ليعمل بها.

ولم تكتف الإرسالية بتوزيع الكتب بل شجعت على إنشاء العديد من غرف القراءة (المكتبات العامة في زماننا)، وأكثرت منها، وكانت تلقى فيها الخطب الأدبية والعلمية، وتقام فيها احتفالات توزيع الجوائز على المتسابقين[1].

***

---

1 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 227 إلى 231.

(5) الصحافة

اهتمت الإرسالية الأمريكية بالصحافة، فأصدرت عدة صحف، من أمثلتها:

أ- مجموع فوائد

وهي أول صحيفة عربية في الشام، وقد بدأت الإرسالية إصدارها في عام 1851م، واستمرت أربع سنوات حتى عام 1855م. وكان كتابها من المنصرين الأمريكان، وكانت غايتهم من المجلة نشر أفكارهم الدينية، وأضافوا لها بعض المواضيع العلمية والجغرافية والتاريخية.

ب- أخبار عن انتشار الإنجيل

وهي نشرة شهرية أصدرها كرنيليوس فان ديك في عام 1863م، وكانت تهتم بأخبار المنصرين البروتستانت في العالم.

ج- كوكب الصبح المنير

وهي نشرة شهرية دينية، أصدرتها الإرسالية الأمريكية في عام 1871م، لتوزيعها مجانًا على تلامذة مدارسها.

د- النشرة الشهرية

وهي مجلة شهرية دينية ظهرت في عام 1866م، واستمرت خمس سنوات، وكانت الغاية منها بثث تعاليم المذهب البروتستانتي مع نشر أخبار المنصرين البروتستانت، وكان يحررها عدد من المنصرين الأمريكان وعدد من الشوام. وقد انشغلت بالجدال العقدي مع اليسوعيين.

هـ- النشرة الأسبوعية

ظهرت في عام 1871م خلفًا لـ(لنشرة الشهرية)، وكانت ذات أهداف دينية خالصة، فقد اهتمت بنشر المذهب البروتستانتي والدعوة له بصورة واضحة، بل والدعوة للإنفاق في سبيل ذلك، ففي خاتمة مقال لها عن جهود المنصرين البروتستانت الأمريكان في مدغشقر كتبت: "فليتنا كنا نشاهد بيننا في الكلية الإنجلية السورية رغبة نظير رغبتهم في تقديم عطايانا لأجل انتشار الإنجيل ومصاريف كنائسنا".

وقد ظهر فيها العديد من المقالات في العلوم الحديثة كالطب والكيمياء، كما نشرت العديد من المقالات في التاريخ والجغرافيا تتناول ما ورد في التوراة.

كما جرت على صفحات النشرة الأسبوعية مناقشات حول حرية المرأة ومساواتها بالرجل، فهاجم أسعد داغر تحرر المرأة وأنها لا حق لها في المساواة بالرجل، فرد عليه عبد الله جبور ناقدًا قوله، ثم كتبت إحدى خريجات مدرسة البنات السورية الإنجيلية ناقدة لما كتبه أسعد داغر، وكان مما استدلت به أن للمرأة صوتًا في الانتخابات الأمريكية كالرجال تمامًا.

أما أخطر موضوع أظهرته النشرة الأسبوعية فهو تأييدها لقيام إسرائيل وعودة اليهود لها، فقد بدأت باستخدام الأسماء التوراتية للأماكن الجغرافية، وإظهار صور لأحداث من التوراة، مثل صورة لخروج بنات إسرائيل بالدفوف والمثلثات للقاء شاول وداود عند رجوعهم منتصرين على الفلسطينيين.

وفي سلسلة من المقالات بعنوان (إتمام النبوءات في شعب اليهود) جاء فيها: "ثم أن بعض النبوءات على عهد الله مع إبراهيم، وهو أن يهب لنسله أرض كنعان ملكًا دائمًا ليس بمنتقض مما ذكر آنفًا، فإن بني إسرائيل لا بد أن يتجمعوا من بين جميع الوثنيين، ومن كل الجهات ويأتوا إلى بلادهم ويتبوءوها كما تبوءتها آباؤهم من قبلهم".

كما قامت النشرة الأسبوعية بتوجيه النقد للطوائف المسيحية الأخرى كالموارنة واختصت اليسوعيين بنقد شديد وتحذير منهم[1].

---

1 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 231 إلى 238.

ومن أمثلة ذلك ما ورد -في العدد 12 من النشرة الصادر عام 1873م- من نقد شديد للاستغاثة بالقديسين وطلب شفاعتهم والسجود لصورهم، فرد عليهم اليسوعيون بفصلين في كتاب الأب اليسوعي فان هام (الكوكب الوضاح في تاريخ الإصلاح)، وهاجم فيهما النشرة هجومًا شديدًا[2].

كذلك قامت بالكذب والافتراء على المسلمين، ومن ذلك ما جاء فيها في ص: 143 من العدد 18 بتاريخ 30 نيسان 1872 : "سئل قاضي الوهابيين: ما هي الخطايا المميتة؟ قال: أكبرها شرب المخزي (التبغ). قال السائل: وأين تذهب بالقتل والفسق والسرقة، قال: الله رحوم. فحسب قاضي الوهابيين من شرب تبغًا يهلك لا محالة، ولكن السارق والفاسق والقاتل يرجو رحمة الله، ومثل ذلك رأى البعض أن الكذب والمكر والحلفان وما يشبه ذلك يغفر بسهولة أو يطهر بماء مصلى عليه، ولكن من أكل لحمًا نهار الجمعة أو في الصوم الكبير يذهب إلى جهنم مكورًا".

و- الطبيب

وهي أول مجلة طبية متخصصة بالعربية في الشام، وكان صاحب امتيازها هو الطبيب المنصر الأمريكي جورج بوست صاحب (قاموس الكتاب المقدس).

وفي عام 1884م أسند إدارتها لإبراهيم اليازجي والطبيبان بشارة زلزل وخليل سعادة، فأضافا لها مواضيع أدبية وتاريخية وجغرافية.

ز- المقتطف والمقطم

أسس يعقوب صروف[3] وفارس نمر[4] (المقتطَف)، وشاركهم شاهين مكاريوس[5].[6]، وصدرت في مايو 1867م، ثم انتقلت لمصر عام 1888م، وكانت مجلة علمية تنشر المقالات العلمية المختلفة بالإضافة للمذاهب السياسية والآراء الاجتماعية والسياسية.

---

2 تأليه مريم ابنة عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى ص: 21.

3 يعقوب بن نقولا صروف: عالم بالفلسفة والرياضيات والفلك، من أئمة المترجمين عن الانكليزية، ولد عام 1852م.

ولد في قرية الحدث بقرب بيروت، وتعلم ببيروت في الجامعة الاميركية، وامتاز بالرياضة والفلسفة، واشتغل بالأدب، وعلم في صيدا وطرابلس وبيروت. وأصدر مع فارس نمر مجلة (المقتطف)، وشارك في إصدار جريدة (المقطم) سنة 1889م، وصنف وترجم عدة كتب، منها (سر النجاح) و(بسائط علم الفلك) و(الحرب المقدسة) و(الحكمة الالهية) و(سير الابطال والعظماء)، شاركه في ترجمته عن الانكليزية فارس نمر، و(فصول في التاريخ الطبيعي) و(الحلى الفيروزية في اللغة الانكليزية)، ونشر في المقتطف بحثا طويلا في " نوابغ العرب والانكليز " قارن فيه بين المعري وملتن، وابن خلدون وسبنسر، وصلاح الدين وريشار قلب الأسد. وله نحو عشرين قصة. توفي عام 1827م. [الأعلام للزركلي ج:8 ص:202].

4 فارس بن نمر بن فارس أبي ناعسة: ولد في حاصبيا بلبنان عام 1856م. وقد تلقى بعض مبادئ العلوم في المدارس الإنكليزية. وتخرج بالكلية السورية سنة 1874 م، وعمل في المرصد الفلكي مع الدكتور فانديك، ثم تولى إدارته.

وترجم كتاب (الظواهر الجوية) عن الإنكلزية، وشارك الدكتور يعقوب صروف في إنشاء مجلة (المقتطف)، وانتقل إلى مصر في أواخر 1884م، ومنح لقب (دكتور في الفلسفة) من جامعة نيويورك سنة 1890م، ترجم مع صروف كتاب (سير الابطال والعظماء) وكتاب (مشاهير العلماء).

وكان علمانيًا ماسونيًا مؤيدًا للاحتلال الإنجليزي لمصر، واقترن بابنة قنصل انجلترا بالإسكندرية، وطالما كان يدعو في (المقتطف) إلى ضرورة الاحتلال الإنجليزي، ويقول: "أنا احتلالي على رؤوس الاشهاد، ولا أنكر أن المحتلين أصلحوا هذا القطر -مصر- إصلاحًا عظيمًا".

نال درجة الباشوية، وجعل من أعضاء مجلس الشيوخ المصري، ومجمع اللغة، وتوفي عام 1951م.

وللمرء أن يتساءل: كيف نال كل هذه الحظوة في مصر، فمنح درجة الباشوية، وعين في مجلس الشيوخ، مع أن كثيرًا من أفذاذ المصريين لم ينالوها؟

[الأعلام للزركلي ج: 5 ص: 127 و128، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج: 1 ص: 257، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ص: 176، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ج: 14 ص: 4].

5 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 133.

6 شاهين مكاريوس: ولد عام 1853م، من مؤسسي جريدة (المقطم) بمصر، وأحد أصحاب (المقتطف) ومنشئ جريدة (اللطائف)، ولد في قرية إبل السقي من مرج عيون بلبنان، ونشأ في بيروت يتيما فقيرا، قتل أبوه في حادثة سنة 1860م، وحملته أمه إلى بيروت حيث كانت تعوله من عملها في خدمة الدكتور فانديك، فتعلم فن الطباعة، وتولى إدارة مجلة المقتطف ببيروت سنة 1876م، ورحل إلى مصر مع زميليه يعقوب صروف وفارس نمر. ويعد من كبار الماسون، وخدم الماسونية بكتبه: (الجوهر المصون في مشاهيرالماسون) و(الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية) و(الدر المكنون في غرائب الماسون) و(الآداب الماسونية) و(فضائل الماسونية). ونشر في (اللطائف) نبذًا من كتاب له في تراجم (شهيرات النساء)، وصنف (تاريخ الإسرائيليين) و(تاريخ إيران) و(السمير في السفر والأنيس في الحضر)، توفي عام 1910م. [الأعلام للزركلي ج:3 ص: 153، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج: 1 ص: 257].

وكانت وثيقة الصلة بالإرسالية الأمريكية في الشام، بحكم ارتباط صاحبيها بالتعلم في مدارس الإرسالية ثم العمل فيها واعتناق المذهب البروتستانتي، وكتب يعقوب صروف عن ذلك فقال: "وذهبنا إلى أستاذنا الدكتور فانديك .... فاستشرناه فيما عزمنا عليه، وسألناه أن يختار لنا اسمًا له، فأبرقت أسرته، وجعل يشدد عزائمنا ... وقال سمياه (المقتطف)، ثم كتب إلى صاحب السعادة خليل أفندي الخوري، وكان مديرًا للمطبوعات في سورية يطلب إليه أن يسعى لنا في جلب الرخصة السلطانية".

وعندما انتقل أصحاب (المقتطف) لمصر سمحت لهم السلطات البريطانية بإصدار المقطتف من مصر، بل وصرحت لهم بإصدار جريدة المقطم اليومية.

فقد رأى كرومر أن يتخذ له بطانة من الصحفيين، للدعوة للوجود الإنجليزي، بذريعة مسئولية الرجل الأبيض، وكذلك لمقاومة الأهرام التابعة للنفوذ الفرنسي.

فتقدم يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس لإدارة المطبوعات في 18 أبريل 1888م بطلب للترخيص لهم بإنشاء جريدة يومية اسمها (المقطم)، فصدر التصريح لها، وكانت من أهم أبواق الدعاية للاحتلال البريطاني لمصر، وتعداد ما استفادته مصر من ذلك الاحتلال[7].

واعتبرت المقتطف الناطقة بلسان الإرسالية ولا سيما في مصر[8].

فمثلًا رواية ابن حور -التي أشرت إليها سابقًا- طبعتها مطبعة المقتطف، وكتبت عنها: "رواية دينية حكمية وضعها المستر ليو ولص الأميركي، باللغة الإنجليزية، وترجمها إلى العربية أستاذنا المرحوم فان ديك، وفرغ من ترجمتها قبل وفاته، وعهد إلينا في طباعتها"[9].

وكتب عن (المقتطف) الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله:

"كان قوامَ الدعوة إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية عددٌ من أصحاب الثقافة الأوروبية، الذين كان يسميهم خصومهم وقتذاك بالمتفرنجين، بعضهم من الشآميين الذين استقروا في مصر، وبعضهم من المصريين الذين تلقوا دراستهم في أوربا أو في المدارس الأوربية ومدارس الإرساليات الدينية، التي كان عددها في ازدياد مطرد.

أما الشآميون فقد كانوا موزعين بين النفوذ الفرنسي والنفوذ الإنكليزي، وكانت صحيفة (الأهرام) تمثل الاتجاه الأول، بينما كان (المقطم) و(المقتطف) يمثلان الاتجاه الثاني.

وكانت هذه الصحف -والصحيفة الأخيرة منها بنوع خاص- دائبة على تعريف المذاهب الغربية في الفلسفة والأدب وسائر ضروب الثقافة، لا تكاد تشير إلى شيء من قديم الشرق وتراثه الفكري، وكانت تترجم لعظماء الرجال من الغربيين، ولا تكاد تجد فيها ترجمة لرجل من أبطال الإسلام أو الشرق أو مصر في تاريخها الحافل الطويل.

كما كانت تعمل من طريق خفي على إضعاف النعرة الدينية والوطنية بما تنشر من آراء تشكك في العقيدة، وبما تدعو إليه من نزعات عالمية لا يراد بها -في حقيقة الأمر- إلا تقريب الفوارق بين المصريين وبين أعدائهم، الذين يمتصون دماءهم، والذين يحتلون ديارهم، لكي يسكنوا إليهم ويألفوهم. فمن أمثلة ذلك مقال نشرته المقتطف تحت عنوان (الناس إخوة)[10]، جاء فيه:

"وامتزاج الأمم من أقوى الوسائل الطبيعية لترقيتها

....

وإن كانت الأديان قد فرقت بينهم فيما مضى فعلى زعمائها أن يزيلوا أسباب التفريق الآن.

....

7 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 244.

8 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 239 إلى 242.

9 المقتطف عدد يونيو 1897م ص: 458 و459.

10 المقتطف عدد سبتمبر 1909 ص: 827- 829.

فإباحة التزاوج بين الأمم المختلفة والترغيب فيه خير واسطة تربط الشعوب. إذا سلمت من التباغض الديني والمذهبي ... ولكن اختلاف الأديان -وجعل هذا الاختلاف مصلحة من مصالح االمنتفعين به- يبقى فاصلًا بين الأمم".

......

وهذا ما دعانا إلى أن نقول في مقال المقتطف السابق: إنه لا يستهدف إلا ترويض المصريين، وتمكين الفارس الإنكليزي من مطيته الجامحة بعد أن تسكن وتُسلِس القياد"[11].

ومن الأمور التي اتخذت فيها المقتطف موقفًا متذبذبًا، موقفها من وجود المولى سبحانه وتعالى، فتارة يظهرون بصورة الماديين الملاحدة، وتارة يثبتون وجوده سبحانه.

فعن ذلك قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: "يظن الكثيرون أن صاحبي مجلة المقتطف من الملاحدة المعطلين، وكنت أنا أظن ذلك، حتى اتفق من بضع سنين أن جرت بيننا مناظرة ...... وكان آخر قولي المقبول فيها وصفوته ..... يجب عقلاً أن يكون لهذا الإبداع والنظام العجيب في العوالم العلوية والأرضية مصدر وجودي ..... ووافقني فيه مناظري أو محدثي على إثبات وجود البارئ عز وجل، وأن من كفر من علماء أوربا بإله الكنيسة لا يمكنه أن يكفر بإله الطبيعة، وأعني بإله الكنيسة الموصوف بما تصفه به من الأقانيم والصفات، وكنت أقول في نفسي بعد ذلك: هل الدكتور يعقوب صروف مادي حقيقة؟ وهل كانت مناظرته لي استرسالاً في هذا البحث العلمي أم انتصارًا لاعتقاده أم اختبارًا لي".

ثم أضاف الشيخ: "ثم رأيت في فاتحة جزء المقتطف الذي صدر في هذا الشهر مقالة علمية لمحرر المقتطف، يرد فيها على أحد المعطلين الاشتراكيين[12]، ويستدل على وجوده تعالى بآياته في خلقه على طريقة القرآن لا على طريقة المتكلمين النظرية، ويشرح هذه الآيات شرحًا علميًا على طريقة علماء الكون في هذا العصر"[13].

وفي عدد آخر يرد للمقتطف سؤال عن السر في اعتقاد فلاسفة اليونان بتعدد الآلهة مع قيام البرهان العقلي على التوحيد، فتجيب المقتطف: "إن البرهان العقلي لا ينفي التوحيد ولا يثبته، وإنما ثبت التوحيد بالإلهام"[14].

وذكر الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- أنه كانت له مناظرة مع صاحبي المقتطف حول المعتقدين بقدم المادة[15].

فهذا التذبذب هل يدل على أن صاحبي المقتطف قد تركا عقيدتهما البروتستانتية؟ أم كانا بروتستانتيين، ولكن يعملون على زعزعة عقائد المسلمين، كما قال المنصر الأمريكي الشهير زويمر في خطبته في مؤتمر القدس عام 1935م: "ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية -فإن في هذا هداية لهم وتكريمًا- وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله"[16].

كذلك طبعت المقتطف في مطبعتها كتاب (فلسفة النشوء والارتقاء) لشبلي شميل المؤيد لنظرية داروين سنة 1910م[17]. حتى أن سلامة موسى نفسه يعترف لها بالفضل في الترويج لنظرية التطور، فكتب في كتابه (حرية الفكر وأبطالها في التاريخ ص: 218، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1961): "كان المقتطف يلقي في أذهان القراء نظرية التطور ويبدي ويعيد فيها شهراً بعد شهر حتى أشربت عقول طائفة كبيرة منهم بهذه النظرية فتجرأ الناس بذلك على نقد الأساطير". يقصد الدين[18].

وقد نقل الدكتور محمد عمارة عن السيد عبد الرحمن الكواكبي (من مجلة الأستاذ- العدد: 39 7 ذي القعدة 1310هـ- مايو 1893م ص: 923 و924) قوله في أصحاب جريدة المقتطف بأنهم: "أعدء الله وأنبيائه .. والأجراء الذين أنشئوا لهم جريدة

---

11 الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج: 1 ص: 256 إلى 259.

12 هو سلامة موسى، نشرت له المقتطف مقالته، ثم رد عليها يعقوب صروف.

13 مجلة المنار عدد ذو الحجة 1328هـ- يناير 1911م مج: 13 ص: 913.

14 مجلة المنار عدد شوال 1331هـ- سبتمبر 1913م مج: 16 ص: 721.

15 مجلة المنار عدد جمادى الأولى 1351هـ- سبتمبر 1932م مج: 32 ص: 588.

16 جذور البلاء ص: 275.

17 مجلة المنار عدد جمادى الأولى 1328هـ- يونيه1910م مج:13 ص: 374.

18 كيف تسللت الليبرالية إلى العالم الإسلامي ص: 11.

جعلوها خزانة كلام من لا يدينون بدين، ممن ينسبون معجزات الأنبياء إلى الظواهر الطبيعية والتراكيب الكيماوية، ويرجعون بالمكونات إلى المادة والطبيعة، منكرين وجود الإله الخالق. وقد ستروا هذه الأباطيل تحت اسم فصول علمية، وما هي إلا معاول يهدمون بها الأديان"[19].

كما كانت تغمز في اتفاق الإسلام مع قواعد المدنية، فمن ذلك نقدها لكتاب (تطبيق الديانة الإسلامية على نواميس المدنية)[20]، وعن ذلك كتب الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله:

"فغرضنا الآن كشف الغطاء عن شبهة أوردها على الدين أصحابُ مجلة (المقتطف) في الجزء الصادر في أول يونيو، الذي نحن فيه عند تقريظ كتاب (تطبيق الديانة الإسلامية على نواميس المدنية)، وملخص ما هنالك أنه نُشر في القطر المصري كتب وجرائد، حاول كُتَّابُها التوفيق بين الأصول الدينية والحقائق العلمية، قال: "وقد يجدون ذلك سهلاً؛ لأنه قَلَّما يَجْسُرُ أحدٌ على مخالفتهم، ولكن لو كان في البلاد علماء أشداء كالجلال السيوطي ... لشبَّت نارُ الحرب منذ الآن". (انظروا وتأملوا) ثم ذكر أن هؤلاء الكُتَّاب يجيبون من سألهم عن السبب في عدم وجود هذه المدنية في ربوع المشرق؛ بأن سبب ذلك سوء فهم الدين وحمْله على غير المراد منه، وعلى هذا الجواب بنى شبهته الكبرى، فقال: "ولكن إذا قيل له: ألاينتظر من الدين أن يكون معناه واضحًا؛ حتى لا يقع سوء في فهمه، ولا يحمل على غير المراد منه، وهل أساء كل علماء الشرق فهم دينهم منذ ألف سنة، أو حواليها إلى الآن، ولم يقم منهم من يحمله على المراد منه إلا في هذا العصر وفي هذا العام؟! إذا قيل له ذلك لم يكن الجواب عليه بالأمر السهل". اهـ .

ولا يخفى أنه يعني بكلامه الإسلام والمسلمين؛ لأن الكلام معهم، وهم الذين نشروا الكتب والجرائد في القطر المصري ويسهل عليهم الجواب الذي حسبه صعبًا حضرة السائل"[21].

---

19 الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية ص: 21 و22.

20 تأليف محمد فريد وجدي.

21 وبعد أن ذكر الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- شبهة كاتب (المقتطف)، قال عن الجواب:
"وهو ... إن الكاتب اعترف معنا بأن فهم الدين على غير وجهه ، إنما وقع في الإسلام من نحو ألف سنة ، أي من بعد انتشار البدع، وتفرق المذاهب في الدين الواحد.

....

فهذا هو السبب الأول في سوء فهم الدين الإسلامي. ...
والسبب الثاني: اختلاط المسلمين بأمشاج من جميع الأمم والملل دخلوا في دينهم، ... وهؤلاء اجتهدوا في إفساد تعاليم الدين، وإدخال بعض مسائل من أديانهم السابقة ... ووضع الأحاديث المكذوبة على صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم.
والسبب الثالث : العدوى المعنوية، وهي أنه ما من رجلين يتصاحبان، أو شعبين يتمازجان، إلا ويسري من أخلاق أحدهما وآدابه شيء للآخر، وكذلك دَبَّ إلى الإسلام داء الأمم قبلهم.

....

وهو جواب عن قول المقتطف: "وهل أساء كل علماء المشرق فهم دينهم منذ ألف سنة، أو حواليها؟". نعم، إن القرون الثلاثة الأولى هي التي كان الغلب فيها لتعاليم الدين الصحيحة وأخلاقه وآدابه، كما هو الشأن في كل دين ..... فقول المقتطف: "لا يفتش عن فعل الدين في حروف كتبه، بل في أخلاق أتباعه وأفعالهم". غير مسلّم على إطلاقه؛ فإن الكِتَابَ الذي هو أصل الدين، كالقرآن مثلاً، إذا كان مُصَرِّحًا بشيء، فلا مندوحة عن القول بأنه من الدين، وإن خالفه الذين يدَّعون اتِّبَاعَه.

.....

ونحن نأتي بمثال واحد مما خالف الجماهير فيه هدي الدين الإسلامي، وهو من أصول العقائد، ومن أهم ما جاء به الدين، ومما له أثر كبير في سعادة الأمم وشقائها؛ ألا وهو الاعتقاد بأن لبعض البشر تأثيرًا في النفع والضر بقوة غيبية وراء الأسباب الظاهرة.

......

وقال فيمن كان يعتقد هذه الوساطة والشفاعة من أهل الكتاب: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 31) ومعلوم أن أهل الكتاب لم تقُل فرقة منهم بأن رؤساءهم أرباب حقيقة، يشاركون الله تعالى في الإيجاد والإعدام كما هو معروف من تاريخهم، وإنما هو اعتقاد الشفاعة والوساطة بين الله والناس في مصالحهم.

....

أليس من العجيب أن يقال: إن الدين لا يؤخذ من كتبه؟! فتترك نواهي القرآن البليغة الصريحة عن الشرك الظاهر والباطن، ويحكم على الإسلام بقول هؤلاء الغوغاء

.....

فقد حصحص الحق، وظهر أن انحراف الكثير من الناس عن هدي الإسلام من سوء الفهم، وإن سوء الفهم ليس لصعوبة أحكامه وبُعدها من الأفهام، وإنما هو لأمراض اجتماعية طرأت على الأمة". [مجلة المنار عدد 9 صفر 1317هـ- 17 يونيو 1899م مج: 2 ص: 209].

وكان أيضًا مما ختمت به المقتطف نقدها للكتاب: "ولكن اختبار الأوروبيين يدلنا على أن التوفيق بين العقائد الدينية والنواميس المدنية لا يزيد الدين قوة ولا المدنية انتشارًا، وأن دور هذا التوفيق ينقضي ويتلوه دور آخر تسير فيها العلوم البشرية والنواميس المدنية سيرًا طبيعيًا مستقلًا تابعًا لنواميس الارتقاء العام"[22].

وقد سعت المقتطف للدعوة للفرقة بين العرب والعثمانيين، فالأخيرون -في نظرها- أقل في مضمار الحضارة من العرب[23].

وذكر الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- أن: "(الأهرام) و(المقطم) تتفقان على أن الدعوة إلى (الجامعة الإسلامية) باسم الدين، مُضرة وغير موصلة إلى الغاية، وأنه لا سبيل إلى ترقي الأمة الإسلامية إلا باتباع خطوات أوروبا كما فعلت اليابان"[24].

كذلك تبنت المقتطف الدعوة لاستعمال العامية بديلًا عن الفصحى، واستعمال الحروف اللاتينية في كتابة العربية سعيًا منها لقطع أواصر الوحدة بين المسلمين، بل وبين العرب أنفسهم. وعن هذا ذكر الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله:

"وبحثت مجلة (المقتطف) في هذه المسألة فكان من رأي الباحثين فيها أن يكتب العرب لغتهم بالحروف اللاتينية التي يكتب بها الإفرنج، واستحسن أصحاب المجلة هذا الرأي، إن لم تكن ذاكرتي مخطئة، ولكن لم يستحسنه ولن يستحسنه المسلمون"[25].

وعن ذلك كتب الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله: "بدأت هذه الدعوة في أواخر سنة 1881م، حين اقترح (المقتطف) كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامة، ودعا رجال الفكر إلى بحث اقتراحه ومناقشته.

....

ثم هاجت المسألة مرة أخرى في أوائل سنة 1902 حين ألف أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية في مصر من الإنجليز -وهو القاضي ولمور- كتابًا عما سماه لغة القاهرة، وضع لها فيه قواعد، واقترح اتخاذها لغة للعلم والأدب، كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية. وتنبه الناس للكتاب حين أشاد به (المقتطف) في باب (التقريظ والانتقاد)، فحملت عليه الصحف، مشيرة إلى موضع الخطر من هذه الدعوة التي لا تقصد إلا لمحاربة الإسلام في لغته"[26].

وبعد صدور وعد بلفور عام 1917م سخر فارس نمر جريدة المقطم لطمأنة العرب من الأطماع اليهودية، وللدعوة للتعاون بين الشعبين العربي واليهودي[27].

***

---

22 المقتطف يونيو 1899 ص: 463.

23 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 243.

24 مجلة المنار عدد 5 ربيع الثاني 1317هـ- 12 أغسطس 1899م، مج: 2 ص: 337.

25 مجلة المنار عدد ربيع أول 1328هـ- إبريل 1910م مج: 13 ص: 196.

مما يستدعي النظر؛ موقف الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- من صاحبي (المقتطف)، فرغم ردوده المتكررة على ما ينشر بالمجلة، ورغم شكه في إلحادهما، إلا أنه كرر الثناء عليهما، وهو تناقض ظاهر.

26 الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج: 2 ص: 359 و360.

27 يقظة العرب ص: 378.

(6) الجمعيات

بدأت تظهر في الشام منذ القرن التاسع عشر الميلادي العديد من الجمعيات الفكرية والسياسية، وكان لها أكبر الأثر في الاتجاهات الفكرية، ولعبت الإرسالية الأمريكية في هذا الصدد دورًا بارزًا، حيث أنشأت أول جمعية أدبية في بلاد الشام، وهي جمعية الآداب والعلوم، وبتشجيع كامل منها.

وفيما يلي عرض لأهم الجمعيات التي ساهمت فيها الإرسالية الأمريكية.

(أ) جمعية الآداب والعلوم

(ب) الجمعية العلمية السورية

(ج) جمعية بيروت السرية

وسأتناول هذه الجمعيات الثلاث -إن شاء الله- عند الحديث عن نصارى الشام.

(د) جمعية شمس البر

بدأت فكرة الجمعية على يد الإرسالية الأمريكية في الشام، ولم تكتف بجمعية واحدة بل تعددت الجمعيات، وكانت الإرسالية الأمريكية هي المؤسسة لهذه الجمعيات في الشام، بل وفي العالم العربي كله.

وقد قامت جمعية شمس البر في بيروت عام 1869م كفرع لاتحاد الشبان المسيحيين في انجلترا، وكانت تضم أساسًا طلبة المدارس الأمريكية والمنصرين في الشام والمرتبطين بهم من الشوام.

وبالرغم من أنها كانت جمعية أدبية خطابية، ولكن اشترط في المنضمين لها بعض الشروط الدينية، لذا كان معظم المنضمين لها من نصارى الشام بالإضافة لأعضاء الإرسالية الأمريكية، وكان منهم فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس ويوحنا ورتبات وجورجي زيدان.

وقد امتدت فروع هذه الجمعية إلى أنحاء الشام ومصر.

وكانت هذه الجمعية ذات مقاصد دينية بجانب نشاطها الثقافي، وقد اتحدت مع جمعية (السيدات للامتناع عن المسكرات)، فافتتحت العديد من النوادي التي بها مكتبات، ليتردد عليها الشباب بدلًا من التردد على الحانات وأماكن اللهو.

وقد قامت الجمعية بدور كبير في نشر الفكر المادي العلماني الأوروبي والمذاهب الأوروبية الحديثة[1].

(هـ) المجمع العلمي الشرقي

أنشئ في بيروت عام 1882م على يد الإرسالية الأمريكية، ومن ارتبط بها من الشوام مثل يعقوب صروف وفارس نمر ووليم فان ديك ويوحنا ورتبات وميخائيل مشاقة وسليم بطرس البستاني.

وكان من أهم أغراض هذا المجمع جمع المعلومات عن الشام في كافة النواحي، مثل المميزات الجيولوجية والجوية والحياة النباتية والحيوانية، والأمراض المنتشرة والوافدة، واصطلاحات أهل المدن والقرى والبدو، وجمع الآثار، أي القيام بمسح شامل للبيئة والإنسان في الشام.

وبعد نهاية العام الأول للمجمع خطب كرنيليوس فان ديك -رئيس المجمع- خطبة عن (بيان كيفية نجاح المجامع العلمية)، وطلب منهم ألا يختاروا من الأعضاء إلا ممن يتفق معهم فكريًا ويأتلف معهم روحيًا، ويكون مستعدًا لبذل جهده في تحصيل العلم، وأن يكون لكل منهم تخصصًا علميًا، يبذل قصارى جهده لبلوغ القمة فيه، مع وجوب تثقيف نفسه في المجالات الأخرى.

---

1 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 253، معجم المؤلفين ج: 4 ص: 292.

ويتضح من أعمال المجمع أنه كان يعمل على نشر الأفكار العصرية، والإشادة بالحضارة الفينيقية، وكذلك التنويه بأمجاد العرب، وقد تبدو هاتين الدعوتين الأخيرتين متناقضتين، ولكن في الحقيقة أن الهدف من كل أنشطة الإرسالية لم يكن اعتناق هذه الأفكار، بل كان الهدف هو استخدامها في سبيل العمل على تقويض أركان الدولة العثمانية[2].

(و) جمعية باكورة سوريا

أنشئت هذه الجمعية في عام 1880م برئاسة مريم مكاريوس زوجة شاهين مكاريوس.

وكانت الخطب والمناظرات التي تديرها هذه الجمعية تدور حول ترقية المرأة الشامية، ودفعها للقراءة والتعلم، ثم دفعها للمطالبة بالمساواة مع الرجل والتزين وترك الحجاب.

كذلك قامت الجمعية بدور تنصيري، حيث كانت تقام في بيوت بعض العضوات دروس بسيطة تناسب مستوى المعوزات من النساء، وتوزع عليهن بعض الكساوى والنقود، التي جمعت لهن من عضوات الجمعية.

وعندما هاجرت بعض عضوات الجمعية إلى مصر أنشأن فروعًا للجمعية في القاهرة وطنطا، منها (جمعية زهرة مصر)، التي أنشأت بين بنات المدارس الأمريكية بالقاهرة.

ومما يبين الارتباط بين الإرسالية والأمريكية والجمعية أن عضواتها المؤسسات كن تلميذات في مدارس الأمريكان، وكن زوجات لأشخاص مرتبطين بالأمريكان مثل شاهين مكاريوس وياقوت صروف[3].

***

2 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 255 إلى 257.

3 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 257 إلى 260.

و- تأييد قيام إسرائيل

ذكرت سابقًا أن أنشطة الإرسالية الأمريكية العديدة كان من أهدافها الدعوة لعودة اليهود لفلسطين، سعيًا في تحقيق ما يعتقدونه من عودة سيدنا المسيح -عليه السلام- الثانية.

وسأزيد الأمر تفصيلًا -إن شاء الله- عند التعرض للمفاهيم المنحرفة التي نشأت من النص المحرف.

ولكني هنا أود أن أشير لأمر هام؛ وهو أن الإرساليات البروتستانتية في المشرق العربي كانت تسعى -قبل قيام إسرائيل بقرابة قرن ونصف- على تجميع اليهود في فلسطين، لتنصيرهم ليكونوا في استقبال سيدنا المسيح -عليه السلام- في عودته الثانية حسب اعتقادهم، ولم يكن هذا هو الدافع الوحيد للدول الراعية للمنصرين، بل كانت هناك دوافع أخرى متعاضدة ومتساندة.

وعن ذلك كتب الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي:

"ومنذ قرن ونصف قرن فكر المبشرون باستغلال اليهود لنشر النصرانية بينهم ولمقاومة العرب المسلمين بهم.

ففي عام 1809 أسس الإنكليز الجمعية اللندنية لنشر النصرانية بين اليهود، ولقد كانت آمالهم -عند تأسيسها- عظيمة جدًا، كانوا يرون أن العمل يجب أن يبدأ بأن يساق اليهود المتفرقون في الأرض إلى فلسطين.

وهكذا بدأوا يشجعون اليهود على الهجرة، وعزموا على أن يبدأ التبشير بينهم بعد ذلك مباشرة. وظن المبشرون أن الفرصة سانحة لتحقيق هذا الهدف حينما أرسل الخديوي المصري الثائر محمد علي ابنه إلى الشام (سورية) واستولى على فلسطين، ذلك لأن موقف محمد علي من الإرساليات التبشيرية كان موقف صداقة وتسامح.

وهكذا انتهز المبشرون الفرصة السانحة ووضعوا أساس ما دعوه (كنيسة صهيون)، أول كنيسة بروتستانتية في الدولة العثمانية. ولكن فأل المبشرين خاب، فإن محمد علي انسحب عام 1840 من الشام، فعاد الأتراك إلى موقفهم الشديد الأول من الإرساليات التبشيرية.

على أن المبشرين حاولوا مرة ثانية أن يستغلوا القضية اليهودية في سبيل أهدافهم الدينية؛ فقد أسس الملك فردريك ولهلم الرابع ملك بروسية (1840- 1861) الأسقفية الإنكليزية البروسية في القدس، لتكون مركزًا بروتستانتيًا لإصلاح الكنائس الشرقية عامة ولتنصير اليهود خاصة.

إن المبشرين كانوا جد مقتنعين بأن جمع اليهود في فلسطين يسهل لهم مهمتهم في الوصول إلى المسلمين. من أجل ذلك أرادوا أن يفتحوا أبواب فلسطين على مصاريعها لهجرة اليهود. فليس من المستغرب إذن أن نجد سبعًا وعشرين جمعية تبشيرية مختلفة الجنسيات كانت تعمل بلا ملل في فلسطين.

وهكذا نجد عوامل دينية مختلفة كانت ترمي إلى استعمار فلسطين توصلًا إلى أهداف خاصة؛ كانت البابوية والبروتستانتية والصهيونية تتنافس فيما بينها في فلسطين، وكان روتشيلد المتمول اليهودي يساعدهم جميعًا.

ومع أن هذه الحركات كانت دينية في ظاهرها فإنها كانت سياسية في حقيقتها؛ كانت الدول الأجنبية تريد تحطيم الامبراطورية العثمانية، حتى تستطيع بسط نفوذها على بلاد الشرق"[1].

وإجابة عن التساؤل: لماذا يفضل المنصرون أن تقوم دول يهودية في فلسطين؟ ولماذا يخافون من المسلمين ولا يخافون من اليهود؟ ينقل الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي عن لورانس براون: "إن القضية الإسلامية تختلف عن القضية اليهودية؛ إن المسلمين يختلفون عن اليهود في أن دينهم دين دعوة. إن الإسلام ينتشر بين النصارى أنفسهم وبين غير النصارى. ثم إن المسلمين كان لهم كفاح طويل في أوروبة فأخضعوها في مناسبات كثيرة. على أن الفرق الأساسي بين المسلمين واليهود، كما يراه

1 التشير والاستعمار ص: 181 و182.

المبشرون، هو أن المسلمين لم يكونوا يومًا ما أقلية موطوءة بالأقدام. ثم يقولون: إننا إذا نظرنا إلى العالم لم نر مكانًا يمكن أن يصبح المسلمون فيه أقلية مثل هذه إلا فلسطين والهند. من أجل ذلك نرى المبشرين ينصرون اليهود على المسلمين في فلسطين".

ثم يضيف براون: "لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر .... وبالخطر البلشفي ...... ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته: إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي"[2].

واتساقًا مع هذه العقيدة وتلك الدعوة وهذه الدوافع كتب بيارد ضودج -رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت من عام 1922 إلى عام 1948- مقالًا بعنوان (أمن الضروري أن تنشب حرب في الشرق الأوسط؟) جاء فيه: "إن قيام حكومة اتحادية في فلسطين تحت إشراف هيئة الأمم يسلب العرب سيطرتهم المطلقة على فلسطين، كما يضع حدًا لادعاء اليهود بهجرة غير مقيدة، إلا أن الفريقين يربحان بذلك ربحًا ثابتًا: إن اليهود يحتفظون بوطن قومي واسع جدًا، يستطيعون به -لتفوقهم الفني الحديث- أن يتولوا بالخطى الاقتصادية السليمة زعامة الشرق الأوسط كله. أما العرب فإنهم سيجنون ربحًا من ذلك التقدم التجاري والصناعي"[3].

وهكذا نرى أن الإرسالية الأمريكية والإرساليات البروتستانتية من جانب والولايات المتحدة وبريطانيا من جانب آخر كانت تخدم بعضها بعضًا في التمكين لليهود في فلسطين، وفي زعزعة استقرار الدولة العثمانية.

***

2 التبشير والاستعمار ص: 184.

3 التبشير والاستعمار ص: 185.

ز- الدعوة للعامية.

ذكرت من قبل جهود اليسوعيين في إحياء العامية، وكذلك ذكرت جهود (المقتطف) -ذات الصلة بالاحتلال الإنجليزي لمصر وبالإرسالية الأمريكية في الشام- في الدعوة لذلك، وبينت أن االهدف من وراء ذلك هو تفتيت العرب، بعد أن سعوا في إحياء الشعور القومي بينهم لفصلهم عن الأتراك، الذين انفصلوا عن العرب بسقوط الدولة العثمانية، وبتسلط الكماليين العلمانيين القوميين عليهم.

فكانت المرحلة الأولى هي نشر التراث العربي مع الدعوة للقومية العربية، ووجوب فصل العرب عن الترك، وبعد أن تم لهم ذلك، انتقلوا للمرحلة الثانية، وهي تفتيت العرب؛ بالسعي في استعمال اللهجات المحلية بدلًا عن اللغة الفصحى.

وبعد أن هدأت هذه الدعوة لما لاقته من مقاومة رجعت من جديد تحت ستار تسهيل اللغة، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ما دعا إليه أنيس فريحة أحد أساتذة التاريخ واللغات السامية في الجامعة الأمريكية في بيروت عندما كتب كتابه (تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد)، ثم تلاه بكتابين: الأول (محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها) والثاني (نحو عربية ميسرة). ويعلق على ذلك الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي بقولهم: "فالدعوة إلى العامية وإلى الحرف اللاتيني قد انتقلت الآن من اليسوعيين إلى الجامعة الأمريكية.

....

إن الدعوة إلى العامية وإلى الحرف اللاتيني معناها:

.....

تنفيذ لمآرب تبشيرية استعمارية، لأن الأمر بدأ كذلك، ولا يمكن أن يكون سبب هذه الدعوة الآن غير سببها بالأمس"[1].

ولأن اللغة العربية هي لغة القرآن، والتمسك بها ينبع من تمسك المسلمين بالقرآن، حاول أنيس فريحة أن يخفف من هذا التخوف، ولكن ظهر مقصده من فلتات قلمه، حيث كتب في كتابه (نحو عربية ميسرة): "ولكن للناس أن يسألوا: ماذا سيحل بالقرآن الكريم؟ وماذا سيحل بالأدب القديم؟ وجوابنا هو أن القرآن الكريم سيخلد، سيبقى على ما هو عليه كما بقيت كتب دينية عديدة رغم انحراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب".

أي يبقى القرآن الكريم، ولكن يهجر المسلمون العرب لغته.

ويضيف أيضًا: "وهاهي الكنيسة الكاثوليكية فإنها تعتبر الترجمة اللاتينية للتوراة لغة الكنيسة الرسمية، ولا يكون القداس إلا باللغة اللاتينية، وقل مثل هذا في الكنيسة الأرثوذكسية التي حافظت على اللغة اليونانية التقليدية، والكنيسة المارونية التي احتفظت باللغة السريانية، والكنيسة الحبشية التي احتفظت باللغة السامية القديمة المعروفة بلغة الجعز. [على] أن الفارق بين هذه الكنائس التي احتفظت بلغاتها القديمة وبين الإسلام عظيم جدًا، ذلك لأن العامية المهذبة المحكية لا تختلف عن لغة القرآن الكريم اختلاف السريانية عن العربية أو الإغريقية عن العربية أو اللاتينية عن الفرنسية. فلن تكون لغة القرآن الكريم غريبة عن أفهام الناس. وسيظل الناس يتعلمونه ويحفظونه غيبًا ويدرسون صرفه ونحوه وسحر بيانه كما يفعلون اليوم. وسيظلون يقرأونه ويستظهرونه تبركًا .... هذا فيما يتعلق بالمستقبل القريب. ولكن ما سيحدث في المستقبل البعيد، بعد مئات السنين؟ هنا ندخل في نطاق الحدس والتخمين. ولكن يتراءى لي أن في ذلك الزمن لن تكون الحياة الروحية وقفًا على الكلمة ولفظ الكلمة وشكل كتابة الكلمة ... عندها يكون للناس الحرية أن ينظروا إلى الدين من خلال نظاراتهم لا من خلال نظارتنا نحن .... نحن زائلون والحياة للأجيال القادمة .... لا تحرص أن تفرض على ابنك عقائدك وعاداتك ومقاييسك وذوقك ونظرك إلى الحياة"[2].

1 التشير والاستعمار ص: 226.

2 التبشير والاستعمار ص: 225 و231.

أي بصراحة: لا تحرص على أن يكون ابنك مسلمًا، لأننا نحرص على أن نخرجه من الإسلام. كما نقلت عن شيخ المنصرين زويمر آنفًا.

والغريب في الأمر أن كتاب أنيس فريحة (محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها) أصدرته اللجنة الثقافية بالجامعة العربية عام 1955م، بعد أن ألقاه كمحاضرات في معهد الدراسات العربية. وعن هذا التناقض كتب الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله: "وموضع العجب في ذلك أن الجامعة العربية هي جامعة اللغة العربية، وأن اللغة العربية المقصودة هي اللغة الفصيحة، التي تشترك فيها سائر الدول العربية. وهذه اللغة الفصيحة هي وحدها الجامعة التي لا يستطيع أن ينكرها دعاة الشقاق .... أليس عجيبًا أن يستغل منبر الجامعة العربية لهدم الجامعة العربية"[3].

***

3 الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج: 2 ص: 364.

3- أمثلة لأهم شخصيات الإرسالية الأمريكية في الشام

أعرض هنا بإيجاز لأهم شخصيات الإرسالية الأمريكية في الشام، وهم:

أ- أهم الشخصيات من الأمريكان

ب- أهم الشخصيات من الشوام المرتبطين بالإرسالية

***

أ- أهم الشخصيات من الأمريكان:

(1) إيلي سميث
(2) كرنيليوس فان ديك
(3) جورج بوست
(4) هنري جسب
(5) يوحنا ورتبات

***

(1) إيلي سميث (Smith, Eli)

ولد في عام 1801م، وبعد أن التحق بالكهنوت انضم للمبشرين المشيخيين (البريسبيتريين)، وتطوع للعمل في الخارج، فأرسل أولًا إلى مالطا ليشرف على مطبعة البعثة، جاء كمنصر لبنان تحت ستار البحوث الجغرافية والجيولجية عام 1827م، وقد وفد على لبنان بالمطبعة الأمريكية من مالطا، وحفر أمهات حروفها بالعربية، وكان متضلعًا من السريانية، وجال في أنحاء الشام، ونظم أحوال الإرسالية الأمريكية، ووسع أعمال مطبعتها.

وتعاون مع بطرس البستاني وناصيف اليازجي على ترجمة التوراة للعربية، ولما توفي سميث لم يكن قد نشر منها إلا سفرا التكوين والخروج، فخلفه كرنيليوس فان ديك في إتمامها. وكان عضوًا بالجمعية السورية، التي أنشئت عام 1857م. وتوفي عام 1857م[1].

***

(2) كرنيليوس فان ديك (Cornelius Van Dyck)

يعد كرنيليوس فان ديك أخطر شخصيات الإرسالية الأمريكية، وأكثرها تأثيرًا.

ولد سنة 1818م في الولايات المتحدة. وبعد أن تعلم اللاتينية و اليونانية والهولندية، التي هي لغة أجداده، بالإضافة للإنجليزية التي هي لغة مولده، درس الطب والصيدلة والرياضيات. وفي سنة 1840م اختاره مجمع المرسلين الأمريكان مرسلًا (أي منصرًا) طبيبًا للديار السورية. فأتى إلى الشام كمنصر بروتستانتي، حيث تفرغ مدة لدرس اللغات العربية والسريانية والعبرانية. و كان يحفظ التصاريف والأشعار، ويطالع المصنفات الشهيرة في اللغة وغيرها، ويعلق عليها بشروح، ويُعرِب ألفيات النحو وأرجوزات الصرف على هوامش المتن، وذلك بإرشاد معلميه، الذين منهم الشيخ ناصيف اليازجي وبطرس البستاني والشيخ يوسف الأسير. فتمكن بعد مدة وجيزة من اللغة العربية وأخواتها، حتى صار يعلم الشبان، و يؤلف لهم كتبًا. وعمل بالطب بأفرعه، وكذلك بعلاج أمراض العين، وتبحر في الرياضيات ولا سيما الفلك والطبيعيات. وتوفي في بيروت سنة 1895م.

ومن مؤلفاته:

1- محيط الدائرة في علمي العروض والقوافي
2- الأصول الهندسية
3- الروضة الذهبية في الأصول
4- المرآة الوضيَّة في الكرة الارضية
5- أصول الكيمياء
6- أصول الباثولوجيا الداخلية

---

1 المستشرقون لنجيب العقيقي ص: 992، التبشير والاستعمار ص: 210، تاريخ الآداب العربية ج: 1 ص: 75 و127، يقظة العرب ص: 98 و99.

7- التشخيص الطبيعي
8- أصول علم الهيئة
9- إرواء الظمأ في محاسن القبة الزرقاء، وهو مرشد لمعرفة الأجرام السماوية ومواقعها.
10- النقش على الحجر أو النقش في الحجر، و هو عدة أجزاء صغيرة في مبادئ العلوم الطبيعية طبع منها ثمانية أجزاء في بيروت:
الأول: مبادئ عامة في الطبيعة
الثاني: مبادئ الكيمياء
الثالث: مبادئ الطبيعيات
الرابع: مبادئ الجغرافية الطبيعية
الخامس: مبادئ الجيولوجيا
السادس: مبادئ علم الهيئة
السابع: مبادئ علم النبات
الثامن: أصول المنطق
11- الأنساب أي اللوغاريتمات ومساحة المثلثات
12- كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل
13- تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر
14- رسالة في مرض الجدري والحصبة للرازي
15- السهم الطيار
16- طب العين
وله ايضا ترجمات من اللغات الاوروبية.
وأكمل ترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى، كما أسلفت.
وأنشأ مرصدًا بالكلية الإنجيلية السورية، وكان يقضى معظم وقته به، وعمل بالتدريس في مدرسة عبيه ثم في الكلية الإنجيلية السورية، حيث كان يدرس فيها الكيمياء وعلم الأمراض والفلك، واستقال من الكلية لما أصر مديرها على جعل الإنجليزية لغة التدريس بها، فقد كان يرى أن تدرس العلوم بالعربية.
وكان يمارس الطب، وكان من مؤسسي مستشفى مارجرجس للروم الارثوذكس في بيروت.
وقد أدخل العديد من المصطلحات العلمية للعربية[2].

***

(3) جورج بوست (Post, G.)

ولد عام 1838م في نيويورك حيث درس الطب ثم اللاهوت، وقدم لبنان عام 1863م، ونزل بطرابلس، فأتقن العربية على علمائها، ثم عاد لنيويورك، ولما أنشئت الكلية الإنجيلية السورية عين فيها أستاذًا للنبات والجراحة والمواد الطبية، وعمل بالطب والجراحة إلى أن توفي ببيروت عام 1909م.
وأنشأ مجلة الطبيب بالعربية، ومن مؤلفاته الصادرة عن المطبعة الأمريكية في بيروت:
1- الأقرباذين

2 اكتفاء القنوع ج: 1 ص: 139، المستشرقون للعقيقي ص: 993، معجم المطبوعات العربية ج: 2 ص: 1462.

2- علم الحيوان ذوات الثدي
3- مبادئ التشريح والهجين والفسيولوجيا
6- مبادئ علم النبات
7- المصباح الوضاح في صناعة الجراح
8- نبات سوريا ولبنان وفلسطين ومصر وبواديها
9- نظام الحلقات
10- فهرس الكتاب القدس
11- قاموس الكتاب المقدس

وفي هذا الكتاب فسر أقوال التوراة تفسيرًا لا يناقض الحقائق العلمية، وإذا رأى في التوراة ما يخالف العلوم الطبيعية، ولم يستطع لتأويله سبيلًا أبان أوجه المخالفة، وتركه على حاله[3].

وسأشير لتناقضات التوراة مع العلم، بل مع مسلمات الحساب لاحقًا إن شاء الله.

***

(4) هنري جسب (Jessup, H.)

كان منصرًا على صلة بالإرسالية الأمريكية، وكان مشهورًا بتعصبه وكراهيته للمسلمين، وقد نقلت عنه من قبل أقوالًا صريحة -عند بحث (النشاط التعليمي للإرسالية الأمريكية في الشام)- في أن الهدف من هذا النشاط هو التنصير.

وله أقوال عديدة في التهجم على المسلمين، والتطاول على حضرة النبي -صلى الله عليه وسلم- في كتاباته، ومن ذلك ما نقله عنه الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي، مثل قوله في كتابه

(Fifty- Three years in Syria, p: 493 & 581- 2): أنه يتمنى أن يمحى الإسلام من العالم[4].

كما نقلا عنه من نفس الكتاب (p: 297): "إن الإسلام مبني على الأحاديث أكثر مما هو مبني على القرآن. ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء"[5].

وكذلك نقلا عنه من نفس الكتاب (p: 501): إن المسلمين لصوص وقتلة[6].

كما ذكرا أنه كان يروج الأكاذيب والخرافات، مثل أن الشيخ يوسف الأسير قد علم أبناءه أغان مسيحية، وأن السيل الذي وقع بمكة هو بسبب مشاركة شريف مكة في فتنة عام 1860م[7].

ومن مؤلفاته:

1- جلاء اللحظ في علم الوعظ مع مصابيح الدعاة في واجبات الرعاة[8].
2- قصص تنصيرية للأطفال:
- أرز لبنان أو الكلام المختار للأولاد الصغار، وهو مجموعة قصص تنصيرية.

وفيها قصة عن منصر إنجيلي في الهند واجهه في طريق دعوته ثلاثة نمور فركع ودعا للمسيح، فربط أفواه النمور!!

---

3 المستشرقون للعقيقي ص: 994 و995، التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 217 و218.
4 التبشير والاستعمار ص: 36.
5 التبشير والاستعمار ص: 40.
6 التبشير والاستعمار ص: 42.
7 التبشير والاستعمار ص: 43.
8 معجم المؤلفين ج: 13 : 155.

وذكر فيها أسماء توراتية مثل أورشليم وأريحا وبحر لوط، وأثنى على الحروب الصليبية ومقاصدها، وبين أن ريتشارد قلب الأسد قد عمر يافا بعد أن خربها صلاح الدين، ثم خربها سلطان المماليك بعد ذلك، وتكررت في القصص معاني الخلاص عبر المسيحية، وأن القس دائمًا يظهر في صورة المنقذ. كما أنه يلصق في هذه القصص قبيح الصفات بالعرب كالسلب والنهب وتفضيل الخيل على النساء والأولاد، وأن المنصرين جاءوا للشام لتهذيب أخلاق العرب وإزالة القساوة وحب الغزو من قلوبهم.

- الروض النضير لبهجة كل ولد صغير[9].

وهذه الكتابات هي أول كتابات متخصصة للأطفال بالعربية.

3- خمسة وثلاثون عامًا في سوريا بالإنجليزية (Fifty- Three years in Syria).

4- الجزويت في سوريا 1831- 1931 بالفرنسية (Les Jesuites en Syrie 1831- 1931)[10].

***

(5) يوحنا ورتبات (Wortsbet, J.)

ولد في لبنان عام 1827م من أصل أرمني، وتعلم في الكلية الإنجيلية السورية، ونال شهادة الطب من إدنبرة، وعين أستاذًا لعلم التشريح والأحياء والباثولوجيا في الكلية الإنجيلية السورية.

ومن مؤلفاته:

1- أصول التشريح

2- كفاية العوام في حفظ الصحة وتدبير الأسقام

وقد تهجم في هذا الكتاب على الحديث النبوي، حين كتب: "عند البحث في مرض الجذام، اختلفوا في هذه الأيام في كونه معديًا، وعندي أنه غير معد، ولو جاء في الحديث: "إهرب من المجذوم هربك من الأفعى". فرد عليه أحد الكتاب المسلمين بأنه حرف الحديث، ولم يفهمه.

وذكر الدكتوران عمر فروخ ومصطفى خالدي أن هذا القول من ورتبات دليل على أن أخطاء المنصرين في الطب ليست كلها جهلًا، ولكن بعضها تعصب ومعاندة.

3- التوضيح في أصول التشريح

4- أصول الفسيولوجيا

وتعرض في هذا الكتاب لتعدد الزوجات وحجاب النساء والطلاق، ففند أقواله أحد الكتاب المسلمين.

5- أديان سوريا بالإنجليزية

6- حكمة العرب بالإنجليزية

7- معجم عربي إنجليزي وإنجليزي عربي مطول ومختصر بمعاونة بورتر.

توفي عام 1908م[11].

***

9 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 219 إلى 221.

10 التبشير والاستعمار ص: 16.

11 المستشرقون للعقيقي ص: 994، التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 222 و223، التبشير والاستعمار ص: 63.

ب- أهم الشخصيات من الشوام المرتبطين بالإرسالية الأمريكية في الشام

أرى أنه من المفيد أن أشير هنا لثلاثة أدباء من نصارى الشام شاركوا في ترجمة النسختين العربيتين اليسوعية والبروتستانية للكتاب المقدس لدى النصارى، وهم: بطرس البستاني وناصيف اليازجي وابنه إبراهيم.

وأرى أنه من المفيد ذكر ترجماتهم، مع نبذة عن توجهاتهم السياسية والعقدية، والأحوال السياسية التي عاشوا فيها، وأثرت عليهم، حتى تتضح المقاصد من أنشطة مترجمي الكتاب المقدس لدى النصارى للغة العربية. كما أنها ستفيدنا -أيضًا- عند البحث في التطور الحديث للدولة الوطنية في العالم العربي.

وأقسم البحث حولهم إلى:

(1) تمهيد موجز عن أحوال الشام في حياة بطرس البستاني وناصيف وإبراهيم اليازجي.

(2) تعريف موجز بناصيف اليازجي

(3) تعريف موجز بإبراهيم اليازجي

(4) تعريف موجز ببطرس البستاني

***

(1) تمهيد موجز عن أحوال الشام في حياة بطرس البستاني وناصيف وإبراهيم اليازجي.

- فتح تساهل إبراهيم بن محمد علي مع المنصرين الباب لتدفقهم للشام، فأتاح المجال لقوتين: إحداهما فرنسية والأخرى أمريكية. كانتا الحاضنتين لسعي نصارى الشام لبعث الشعور القومي العربي لتأليب العرب على الدولة العثمانية.

وكما ذكرت قبلًا فقد نشأ التنافس بينهما الذي وصل لحد التنافر والعداء[1].

- وارتبط كل من بطرس البستاني وناصيف اليازجي وابنه إبراهيم بالمنصرين الأمريكان، وعملوا في مدارسهم، التي كان من أهمها مدرسة عبية، التي أنشئت أساسًا لتخريج منصرين للعمل في المناطق الجبلية والريفية، كما ذكرت من قبل.

- واهتم المنصرون الأمريكان أيما اهتمام بالتعليم، الذي صرحوا أنهم يهتمون به كوسيلة للتنصير لا لمجرد التعليم، كما نقلت عنهم آنفًا.

- وارتبطت بهؤلاء المنصرين طائفة من نصارى الشام، المبغضين للدولة العثمانية، ولدعوتها للجامعة الإسلامية، واستغلوا تزايد نفوذ الأوروبيين في الشام، فبدأوا بالسعي المشترك مع المنصرين في الدعوة للقومية العربية، وبدأوا يركزون على لغة العرب وتاريخهم، حتى يتسللوا بالتدريج لفصلهم كقومية منفصلة عن الدولة العثمانية، وعن ذلك كتب الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله:

"ولذلك اتخذت الدعوة إلى القومية العربية في طور نشوئها الأول شكلًا لغويًا، فظهر بين دعاتها الأولين من المسيحيين بنوع خاص عدد كبير من الباحثين في اللغة العربية والأدب العربي أمثال البستاني واليازجي والشدياق وأديب إسحق وشميل ونقاش ونقلا ومشاقة وزيدان ونمر وصروف.

وكانت كثرة كبيرة من هؤلاء تناصر (القومية العربية) بدافع من عدائها للجامعة الإسلامية ورغبتها في استبدال الحماية الفرنسية بالحكم العثماني"[2].

- واستخدمت القوى الأوربية هذه الطائفة واستفادت منها أيما استفادة، وعن ذلك كتب الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله:

"وكان من الطبيعي أن يجد الاستعمار والصهيونية في هذا الفريق الأخير من المسلمين والمسيحيين على السواء صيدًا ثمينًا يمكن أن يلتقي معه في فترة مرحلية تمهد لتحقيق أغراضه.

فالاستعمار الإنجليزي كان طامعًا في العراق، وفي مصادر البترول الذي كانت البحوث الجيولوجية تشير إلى احتمال ظهوره، كما كانت البحوث الاقتصادية تشير إلى تزايد أهميته الصناعية.

وفرنسا كانت تطمع في الشام للرابطة الدينية والاقتصادية التي تربطها بمسيحييه على الساحل، وللحصول على مصادر البترول، الذي كان ظهوره متوقعًا في الأجزاء الشمالية من حوض الفرات، وقد أصبحت الحدود بينها وبين منطقة النفوذ الإنجليزي في العراق مثار نزاع بين الدولتين عقب الحرب العالمية الأولى لهذا السبب.

والصهيونية العالمية كانت طامعة في الاستيلاء على فلسطين واتخاذها وطنًا قوميًا لليهود، ولا سبيل إلى ذلك إلا بانحلال الدولة العثمانية، بعد أن عجزوا عن الوصول إلى موافقة السلطان عبد الحميد على زيادة الهجرة إليها وتملك الأرض فيها.

كان الفرقاء يلتقون عند إسقاط الدولة العثمانية وتمزيقها، ويرون أن بث الفرقة بين العرب وبين الترك يساعد على بلوغ هذا الهدف"[3].

---

1 يقظة العرب ص: 97 إلى 99.

2 أزمة العصر ص: 43 و44

3 الإسلام والحضارة الغربية ص: 210.

وقد تم المخطط على يد القوميين العرب، بأموال الإنجليز وسلاحهم، وقد عبر عن حسرة المسلمين والعرب الأمير شكيب أرسلان في خطابه للأمير علي بن الحسين، عندما علم بعزمه على الهجوم على الشام تحت قيادة الإنجليز وجاء فيه:

"وإلى كم أيها الأمير تمر بنا المثلات ولا نعتبر، وتعظنا الحوادث ولا ندّكر؟ ونكون أشبه بالغنم يأخذها الجزار للذبح واحدًا بعد واحد وهي لا تعقل ماذا يصنع بها حتى يصير السكين في أعناقها؟

فإذا كان من المقرر عند أهل الشرق والغرب أن الإنكليز ينكثون عهودهم لما هو أقل شأنًا من الحجاز وتلك البقاع المقدسة التي تهوي إليها أفئدة المسلمين من كل حدب، فهل هناك في يدك من قوة مادية تمنعهم من دخول قلب بلادك، ويكونون مضطرين أن يحترموك من أجلها؟ أو تردعهم فيما لو قضت عليهم سياستهم عن سلب إمارتك، لا بل والإيقاع بك واستئصال جرثومتك؟

....

وأي ضمان عندك على كونها لا تقلب لك ظهر المجن، فتندم حين لا ينفعك الندم؟ وبعد أن يكون تسلط غير المسلمين على أقدس تراب عند المسلمين منذ 13 قرنًا".

ثم وصف له حال دعاة القومية العربية والتمرد على الدولة العثمانية بقوله:

"أم تظن (أن الغاية تبرر الواسطة) كما يقولون؟ وإنك إنما تريد لتضع أساس دولة عربية تبدأ في أول أمرها بالنشوء تحت حماية إنكلترة, حتى إذا بلغت أشدها استقلت تمامًا، وأن تلك هي سنة النشوء والارتقاء؟

فاعلم أيها الأمير أن الذين يزينون لك هذه الأوهام هم **قوم قد عرفناهم ونعرفهم لا خلاق لهم، ابتلى الله بهم هذه الأمة كما ابتلى كل الأمم بأمثالهم، وما هم في واقع الحال سوى سماسرة الإنكليز يسعون أن يتمموا لإنكلترة صفقة البلاد العربية, وأسماؤهم مقيدة في دفتر المبالغ السرية التي تنقدها إنكلترة سماسرتها السياسيين كلًا على قدر خدمته**، يدخل هؤلاء عليك وعلى غيرك بمثل هذه الأعاليل، التي هي أسخف من أن يتنزل عاقل مثلك لاستماعها فضلاً عن أن يتلقاها بالقبول.

....

قل لهؤلاء القائمين بالدعوة العربية، الناهضين لحفظ حقوقها وأخذ ثاراتها ماذا إلى اليوم أمنوا من حقوق العرب بقيامهم؟.

ليقولوا لنا ماذا أقاموا للعرب من الملك حتى نشكرهم, ونقر بفضلهم؟ لأننا عرب نحب كل من أحب العرب, ونبغض كل من أبغض العرب"[4].

ثم أضاف:

"أتقاتل العرب بالعرب أيها الأمير، حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم استيلاء إنجلترا على جزيرة العرب، وفرنسا على سورية، واليهود على فلسطين"[5].

وقد وقع كل ما توقعه شكيب أرسلان رحمه الله.

- وكان من أهم وسائل نصارى الشام في تنفيذ سياسة الإرساليات؛ ما أسموه بالجمعيات الأدبية، ولخطورة دورها أورد موجزًا عن تلك الجمعيات التي عاصرت بطرس البستاني وناصيف اليازجي وابنه إبراهيم:

1- جمعية الآداب والعلوم

تبرز أهمية هذه الجمعية من وصف جورج أنطونيوس لها بقوله: "بدأت قصة الحركة القومية للعرب في بلاد الشام سنة 1847 بإنشاء جمعية أدبية قليلة الأعضاء في بيروت، في ظل **رعاية أمريكية**"[6].

---

4 مجلة المنار عدد رجب 1343هـ- فبراير 1925م مج: 25 ص: 713.

5 مجلة المنار عدد ذي الحجة 1343هـ- يوليو 1925م مج: 26 ص: 238.

6 يقظة العرب ص: 71.

وكانت أول جمعية علمية في بلاد الشام، ونشأت كناد علمي أمريكي، أسسه المنصرون قبل افتتاح أي من المدارس الكبيرة المعروفة.

وكان ناصيف اليازجي وبطرس البستاني قد اقترحا على المنصرين الأمريكان -خلال سنوات عملهم الأولى مع الإرسالية الأمريكية- إنشاء جمعية علمية، لرفع مستوى المعرفة لدى الشبان الكبار عن طريق اتصالهم بالثقافة الغربية.

فقدما اقتراحهما إلى المنصرين الأمريكان بإلحاح، وأقنعاهم سنة 1842م بتعيين لجنة لتنفيذ الاقتراح. فتكونت تلك اللجنة من الدكتور كرنيليوس فان ديك واثنين آخرين من المنصرين.

وقد تحقق المشروع في يناير 1847م بتكوين (جمعية الآداب والعلوم)، ورأسها المنصر إيلي سميث، وكان من أعضائها: ناصيف اليازجي وبطرس البستاني وكورنيليوس فان ديك، وعدة أعضاء آخرين من الأمريكان والشوام المرتبطين بالمنصرين الأمريكان، وكذلك الكولونيل تشارلز تشرشل.

ولم تضم في عضويتها أيًا من المسلمين أو الدروز.

وكانت تعقد اجتماعًا كل أسبوعين، يتحدث فيه أحد الأعضاء عن موضوع أدبي، وبلغ عدد جلساتها 53 جلسة، وانتهت عام 1853م.

وضمت مكتبة حوت عددًا هائلًا من الكتب بالإضافة للمخطوطات، وكانت المكتبة مما تبرع به أعضاء الجمعية[7].

وأود هنا أن أتوقف لأسجل عدة ملاحظات:

الأولى: أن ناصيف اليازجي وبطرس البستاني كانا منغمسين وغارقين في النشاط التنصيري للإرسالية الأمريكية، بل إن بطرس البستاني كما ذكر جورج انطونيوس -وسأذكر ذلك قريبًا إن شاء الله- كان ممتزجًا روحيًا بالدكتور كرنيليوس فان ديك، ورغم هذه النزعة المسيحية الغالبة أو قل البروتستانتية السائدة، فإن بطرس البستاني وناصيف اليازجي دَعَوَا المنصرين الأمريكان لإنشاء جمعية ترفع مستوى الشبان عن طريق اتصالهم بالثقافة الغربية.

مع أن الثقافة الغربية -في وقتهم- هي ثقافة علمانية تفصل الدين عن الدولة، ولا تأبه بشأن الدين، وتعتبره أمرًا شخصيًا. ولا تتفق -بل قل كثيرًا ما تتضارب- مع القيم المسيحية في المجال الشخصي والجماعي.

ونفس هذا التوجه هو توجه تلاميذ كرنيليوس فان ديك: فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس في مجلة المقتطف وجريدة المقطم، التي امتزجت فيها الأفكار المادية العلمانية -بل وأحيانًا الإلحادية- مع البرنامج التنصيري. وهذه نقطة هامة جدًا، تستدعي الوقوف عندها طويلًا، وهي أن المادية الغربية العلمانية تحالفت -ولا زالت تتحالف- مع التنصير المسيحي لتغيير عقلية وثقافة المسلمين. ويتم كل هذا تحت الإشراف السياسي الأمريكي والبريطاني.

الملاحظة الثانية: أن ناصيف اليازجي وبطرس البستاني وإيلي سميث وكرنيليوس فان ديك، هم من شاركوا في ترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى للعربية، ولذا يجب النظر لهذه الترجمة على أنها عنصر هام في وسط النشاط التنصيري والتدخل السياسي الغربي -الأمريكي خاصة- ضد الدولة العثمانية.

الملاحظة الثالثة الهامة: هي أن هذه الجمعية ضمت في عضويتها شخصًا مقيمًا في الشام اسمه الكولونيل تشارلز تشرشل.

وأود أن أن أوضح باختصار من هو تشارلز تشرشل؟ وأستميح القارئ عذرًا في شيء من الاستطراد، لأني أراه مهمًا، يكشف عن بعد خطير في العلاقة بين المنصرين الأمريكان، وترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى، والحركة الصهيونية.

تشارلز تشرشل (Charles Churchill) (1807- 1869م)

---

7 يقظة العرب ص: 116 و117، التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 247 و248.

ضابط إنجليزي صهيوني من أوائل من دعوا إلى عودة اليهود إلى فلسطين. وهو من أسرة تشرشل الإنجليزية الشهيرة، التي عملت في خدمة التاج البريطاني مدة طويلة، سواء في الجيش البريطاني أو في شركة الهند الشرقية. وهو الجد الأعلى لونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني الشهير.

وُلد في مدراس بالهند عام 1807م، وترقَّى في سلك الجندية سريعًا.

شارك في الحملة التي أرسلتها الدول الأوروبية لإجبار محمد علي على الانسحاب لمصر، وعلى أن يرجع لتركيا ما احتله في سوريا والحجاز وكريت واليمن. وقد رفض محمد علي الإنذار، فأرسلت الدول الأوربية مجتمعة حملة على بيروت عام 1840م، وفي 3 نوفمبر 1840م سقطت عكا.

وفي هذه الأثناء أيضًا، قام روبرت بيل ولورد بالمرستون (عضوا البرلمان البريطاني) بالدعوة لإرسال اليهود إلى فلسطين، وخصوصًا بعد تحرير الأراضي المقدَّسة من أيدي المسلمين. وانتشرت في إنجلترا الدعوة إلى إعادة "شعب إسرائيل إلى أرض إسرائيل" سواء من منطلق استعماري أو من منطلق ديني أصولي (حرفي) حيث تُعتبر عودة اليهود بداية الخلاص.

وقد لاقت تلك الدعاوى هوى في نفس تشرشل. والتقى في مالطة بالسير موسى مونتفيوري (رئيس مجلس الوكلاء اليهودي في لندن). وأعرب تشرشل في هذه المقابلة عن إحساسه العميق بأن الأقدار قد رتبت هذا اللقاء في هذا المكان بالذات في إشارة واضحة لفرسان حملات الفرنجة وغزوهم فلسطين. وقد حمَّله مونتفيوري رسائل وخطابات أمان إلى يهود دمشق.

وفي دمشق دعاه رئيس الجماعة اليهودية -التاجر والمالي الكبير روفائيل فارحي- إلى حفل استقبال كبير، حيث ألقى تشرشل كلمة عبَّر فيها عن رغبته وأمله -بل يقينه- في أن: "هذه الوديان والسهول الجميلة التي يقطنها الآن العرب الجوالون وبسببهم تعاني من الخراب بعد أن كانت مثالًا للوفرة والرخاء وتملأ أرجاءها أغاني بنات صهيون، ستعود لإسرائيل في ساعة قريبة، حيث إن اقتراب الحضارة الغربية من هذه الأرض يمثل فجر نهضتها الجديدة. فلتستعد الأمة اليهودية مكانتها بين الشعوب، وليُثبت أحفاد المكابيين أنهم مثل أسلافهم العظماء".

وقد كتب تشرشل خطابًا لمونتفيوري -في المدة نفسها- يطلب فيه أن يأخذ اليهود زمام الموقف في أيديهم، وأن يبادروا باتخاذ الخطوات الأولية نحو الاستيطان، وأن على جميع اليهود تأييد مشروع الاستيطان، وخصوصًا أن القوى الأوربية ستساعدهم في مساعيهم. كما بيَّن تشرشل في خطابه أن مساندة إنجلترا للدولة العثمانية هو زيفٌ كبير، وأنه يجب إنقاذ فلسطين من براثنهم.

ويمكن القول بأن خطاب تشرشل يشبه إلى حدٍّ كبير خطاب نابليون بونابرت لليهود عام 1799م[8]، وهذا طبيعي فقد كان الكولونيل البريطاني الشاب معجبًا للغاية بالكورسيكي المغامر، وكان يرى في نفسه أحيانًا المقدرة على تحقيق هذه الطموحات التي لم يحققها نابليون، وخصوصًا مع إحساسه بأن البريطانيين قد حققوا ما فشل فيه الفرنسيون ألا وهو غزو عكا. من ثم، فقد تكلَّم باسم حكومة جلالة الملكة مستخدمًا خطابًا قريبًا من خطاب نابليون. ومع هذا، يمكن القول بأن خطاب تشرشل أكثر علمانية من خطاب نابليون إذ يُلاحَظ أن الديباجات الدينية فيه خافتة وباهتة للغاية.

وقد أثارت كلمة تشرشل ضجة كبيرة في الأوساط السياسية اليهودية الأوربية نشرتها جرائد يهودية ألمانية، ووصفها البعض بأنها "بداية حقبة جديدة وخاتمة سعيدة لملحمة دمشق". وكثُر ظهور أفكار مشابهة في كل أنحاء أوربا داعية شعب صهيون للنهوض وإقامة الهيكل في شكل أفخم من ذي قبل.

وبدأ تشرشل على الفور في اتخاذ خطوات عملية تتعلق بتنفيذ رؤيته، فنصَّب نفسه (وهو القائمقام البريطاني) حاميًا لليهود في دمشق، حيث بدأ يعاملهم بوصفهم نواة الأمة اليهودية المُتخيَلة. ولأنه لم يقابل نجاحًا وسط صفوف يهود سوريا والشام عامة، توجَّه إلى يهود أوربا فأرسل خطابًا للسير مونتفيوري طالبًا منه المساعدة لإنقاذ اليهود من آلامهم وتعبئتهم للهجرة إلى فلسطين باعتبار هذا حلًا سعيدًا للمسألة الشرقية. ووضع في هذا الخطاب خطة توطينية استيطانية كاملة، حيث يساهم يهود

8 نص هذا الخطاب موجود في: فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم- الطبعة الثانية ج: 1 ص: 349 و350.

أوربا الأغنياء في توطين أقرانهم الفقراء في فلسطين، وأوضح أنه في مثل هذه المشروعات الضخمة يضحي المرء بكل عزيز لديه من مال ونفس. كما أكد أن البدو والأعراب قاطني هذه المنطقة لن يشكلوا عقبة كبيرة في وجه المشروع، بل إن المشروع سيمثل قلعة تدرأ خطر هجمات البدو أو أطماع الطامحين أمثال محمد علي.

ورغم أن مونتفيوري تحمَّس شخصيًا للمشروع إلا أن مجلس ممثلي يهود بريطانيا تغاضى عنه. وفي هذه الأثناء، انعقد مؤتمر لندن لتقرير مصير الشرق حيث قرر قصر حكم محمد علي على مصر فقط، وعودة الشام وباقي الأراضي العربية للحكم التركي. وكانت قرارات مؤتمر لندن مخيبة جدًا لآمال تشرشل، الذي كان قد أصبح قنصل بريطانيا في دمشق. ورغم خيبة أمله وإحباطه، إلا أنه استمر في أداء دوره كحام لليهود ومدافع عنهم، الأمر الذي أثار حفيظة حاكم دمشق التركي، وظهر العداء بينهما بوضوح في خطاب أرسله تشرشل للقنصل البريطاني في بيروت أعرب فيه عن اعتقاده بأن عودة الترك لحكم دمشق والشام هو انتصار للرجعية المسلمة.

وبالمقابل، اتهمه الحاكم التركي بسوء السلوك وإثارة الاضطرابات والتخابر مع الدروز، وقد أدَّى هذا إلى إعادته إلى إنجلترا. ولكن هذا أتاح له فرصة أخرى للقاء السير مونتفيوري، الذي اعتذر بأن مؤتمر لندن عرْقل خطة عودة اليهود لفلسطين، التي اقترحها تشرشل. لكن تشرشل أخبره بأن ثمة خطة بديلة لها. وأرسل تشرشل للسير مونتفيوري خطابًا مفصلًا يتضمن هذه الخطة، اقترح فيه خَلْق منصب خاص لمعتمد بريطاني لشئون اليهود، كما طالب يهود أوربا وبريطانيا بالضغط لخلق مثل هذا المنصب، ودعا إلى تكوين منظمة يهودية خاصة تمثل الشعب اليهودي تمثيلًا دبلوماسيًا وسياسيًا. كما عبَّر تشرشل عن أمله في أن يؤدي هذا إلى الإسراع بخلاص الشعب اليهودي. وكان رد مونتفيوري على هذه المقترحات سلبيًا جدًا، حتى أنه لم يذكرها في مذكراته بل لم يُشر إليها. في المقابل، عندما أبدى تشرشل رغبته في العودة إلى الشام، سلمه مونتفيوري، وهو المالي الكبير، مبلغًا من المال لمساعدة يهود الشرق. لكن هذا الرفض المؤدب من قبَل مونتفيوري الاندماجي لخطط تشرشل التوطينية كان نهاية المشاريع الصهيونية عند تشرشل.

وتُمثِّل شخصية تشرشل وحياته الصاخبة نموذج عصره أصدق تمثيل، حيث اختلطت الأحلام الاستعمارية بالرؤى المشيحانية.

ولكن، لم يكن بإمكان تشرشل أن يحقِّق أحلامه وطموحاته المشيحانية الاستعمارية والدولة العثمانية ما زالت موجودة وقوية إلى حدٍّ ما.

والجدير بالذكر أن الصهاينة المحدثين يعتبرون تشرشل أحد الآباء الأوائل للحركة الصهيونية، وهو بالفعل كذلك، فخطبه وكتاباته تضم كل أبعاد الفكر الصهيوني، أما تحركاته الدبلوماسية فتحمل كل سمات التحركات الصهيونية فيما بعد، من إدراك ضرورة البحث عن راع استعماري للمشروع الصهيوني، وإلى ضرورة ضرب الدولة العثمانية. كما أنه أدرك الطبيعة الوظيفية للدولة الصهيونية، وضرورة محاولة الاستفادة من الأقليات في المنطقة، وأدرك أيضًا ضرورة أن يكون هناك صهيونيتان: صهيونية استيطانية وصهيونية توطينية[9].

إذن كان هذا تعريفًا موجزًا بتشارلز تشرشل، الذي ضمته جمعية (الآداب والعلوم)، التي شكلها منصرو الإرسالية الأمريكية باقتراح ناصيف اليازجي وبطرس البستاني!!!

وقد أشرت من قبل للنزعات الصهيونية للإرسالية الأمريكية في الشام، والتي تتفق مع ضم قنصل بريطانيا الصهيوني في دمشق لجمعيتها للآداب والعلوم، فتتضح العلاقات القوية بين العمل التنصيري والسعي الصهيوني والرعاية الرسمية الأمريكية والبريطانية وترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى.

2- الجمعية الشرقية

---

9 موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية المجلد السادس :الصهيونية- الجزء الثاني: تاريخ الصهيونية- الباب الرابع: صهيونية غير اليهود العلمانية ص: 134 إلى 136، الصهيونية غير اليهودية ص: 129 و130، على أعتاب الألفية الثالثة ص: 74 و75.

أسسها اليسوعيون عام 1850م في دير الآباء اليسوعيين في بيروت، بنشاط الأب دو برونيير، وكان أعضاؤها كلهم من النصارى، بعضهم سوريون وبعضهم أجانب، كالدكتور سوكة والطبيب إبراهيم أفندي ومارون نقاش وفرنسيس مسك وإبراهيم مشاقة وطنوس الشدياق وحبيب اليازجي.

ويبدو أن عقدها انفرط مع جمعية (الآداب والعلوم) أو بعدها بقليل[10].

3- الجمعية العلمية السورية

كانت رعاية المنصرين للجمعيتين السابقتين سببًا في نفور العناصر المسلمة منها، فتقدم عدد من المسلمين باقتراح أن تتكون جمعية علمية جديدة، تضم جميع الطوائف، بشرط ألا يكون للمنصرين أي أثر فيها.

فتشكلت سنة 1857م الجمعية العلمية السورية، وكان أغلب أعضائها من العرب، واشترك المسلمون والدروز فيها مع النصارى من جميع الطوائف، وبلغ عدد أعضائها 150 عضوًا.

وكان ممن انضم إليها: حسين بيهم، والأمير محمد أرسلان الدرزي، وبقي رئيسًا لها لعدة سنوات، وإبراهيم فخري وبولس دباس وناصيف اليازجي وبطرس البستاني وسليم رمضان وسليم شحادة والدكتور سوكة وعبد الرحيم بدران وإيلي سميث وكرنيليوس فان ديك وموسى يوحنا فريج وحنين الخوري ويوسف الشلفون وحبيب الجلخ.

وكانت العناصر التابعة للإرسالية الأمريكية هي الغالبة والمسيطرة على الجمعية، مثل أبناء اليازجي وأبناء بطرس البستاني.

ونالت الجمعية اعتراف الدولة العثمانية عام 1868م.

وقد غلب النشاط السياسي القومي على أنشطة هذه الجمعية، وهو ما كان مطلوبًا من الإرسالية الأمريكية آنذاك، فقد خرج أول صوت للمطالبة بالقومية العربية في جلسة سرية لهذه الجمعية، كما سأذكر إن شاء الله.

وقد أدت هذه الجمعية لظهور تيار ثقافي تربوي يمكن أن يوصف بأنه تيار وطني علماني، وهو ما يتفق مع غايات الإرسالية الأمريكية، ويدعو هذا التيار إلى:

أولًا: العناية بإحياء اللغة العربية، لاستيعاب المفاهيم الحديثة، وكان الغرض من ذلك تجميع العرب -مسلمين وغيرهم- ككيان قومي مستقل عن الدولة العثمانية.

ثانيًا: تقبل أمر العبادة كشأن شخصي، مع أن غالب أعضائها كانوا منغمسين حتى آذانهم في النشاط التنصيري للإرسالية الأمريكية، وكانوا يجبرون الطلاب في مدارسهم وكلياتهم على دراسة التوراة، وحضور المواعظ والقداسات المسيحية في الكنيسة.

وقد نقلت عنهم -آنفًا- تصريحهم؛ بأن الغرض الأساسي من كل مساعيهم التعليمية والطبية والاجتماعية هو تنصير غير البروتستانت.

ثالثًا: اعتماد المبدأ الوطني بدلًا من الرابطة الدينية، لتفتيت مكونات الدولة العثمانية.

رابعًا: نبذ الطائفية الدينية، مع أن المنصرين البروتستانت الأمريكان كانوا مشتبكين في معارك جدلية مع الطوائف المسيحية الأخرى ومع المسلمين.

وتعود الأهمية الحقيقية لهذه الجمعية إلى أنها حولت النقاش في الموضوعات الثقافية إلى حوار سياسي جماعي، يهدف إلى التخلص من الحكم العثماني لبلاد الشام عن طريق إحياء القومية العربية، ثم تم التخلص من الدعوة القومية -في بدايات القرن العشرين- لصالح الدعوات الإقليمية، والدعوة لاستعمال العامية.

وفي هذه الجمعية تغنى إبراهيم اليازجي بأمجاد العرب وأنهم أصل كل فضل، كما أشار لحسد الترك لهم، ودعا العرب -بطريق الإشارة- للتخلص من حكمهم[11].

وفي هذه الجمعية السورية ألقى إبراهيم بن ناصيف اليازجي -في أوائل سنة 1868م- قصيدته التي جاء فيها:

---

10 تاريخ الآداب العربية ج: 1 ص: 75، يقظة العرب ص: 118.

11 تاريخ الآداب العربية ج: 1 ص: 75 و76، يقظة العرب ص: 118 إلى 120، التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 248 إلى 251.

سلامُ أيها العَرَبُ الكرامُ   وجادَ ربوعَ قطرِكُمُ الغمامُ

ومن أبياته الحماسية فيها قوله عن العرب:

وما العَربُ الكرام سوى نصالٍ   لها في أجفُن العُليا مقامُ
لَعمرك نحن مصدرُ كل فضلٍ   وعن آثارنا أخذ الأنامُ
ونحن أولو المآثر من قديمٍ   وأن جحدَتْ مآثرَنا اللئامُ
فقد علمَ العراق لنا قديماً   أياديَ ليس تنكرها الشآمُ
وفي أرض الحجاز لنا فيوضٌ   يسيل لها إلى اليمن انسجامُ
وفوق الأندَلوس لنا بنودٌ   لهامات النجوم بها إعتمامُ
وسلْ في الغرب عن آثار فخرٍ   لها في جبهة الزَمَن إرتسامُ
ولسنا القانعين بذكر هذا   وليس لنا بعروتِه اعتصامُ
ولكنَّا سنجهَدُ في المعالي   إلى أن يستقيمَ لها قوامُ[12]

ويلاحظ على هذه الأبيات ما يأتي:

1- أن إبراهيم اليازجي يتجاهل أن **مصدر عز العرب هو الإسلام**، الذي شرف الله الصحابةَ -رضوان الله عليهم- والتابعين بنشره، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[13]، وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[14].

فليس للعرب فضل على سائر الأمم إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهذا ينطبق عليهم وعلى سائر البشر، كما قرر ذلك القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[15]. وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى"[16].

وقال عمر رضي الله عنه: "إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نلتمس العز بغيره"[17].

فقول إبراهيم اليازجي: "لعمرك نحن مصدر كل فضل". خطأ وضلال، وإنما **الإسلام هو مصدر كل فضل**، وما تشرف العربُ إلا بحمله واتباعه، فإن تركوا أحكامه أو كفروا به، فهم أحط الناس، يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[18].

ودعوة تلاميذ المنصرين إلى اجتماع كفار العرب ومسلميهم ضد الترك، ضلال مبين، بل العجمي المسلم وإن فسق، خير من أفضل الكفار. يقول الحق سبحانه: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾[19].

---

12 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 166 و167.

13 سورة آل عمران، آية: 164.

14 سورة الجمعة، آية: 2.

15 سورة الحجرات، آية: 13.

16 مسند أحمد- حَدِيثُ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حديث رقم: 23381 ج: 17 ص: 12. علق عليه الشيخ شعيب الأرنؤوط وحمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

17 مختصر تاريخ دمشق- ترجمة: عمر بن الخطاب رضي الله عنه ج: 6 ص: 7.

18 سورة البينة، أية: 6- 7.

19 سورة القلم، آية: 35.

والمسلم الفاسق يُؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر بدرجاته، التي قد تصل للقتال، ولكن لا يستعان بالكافر عليه، ولا يعان الكافر عليه. قال الحق سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[20]، وقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[21].

بل الواجب على المسلمين عربهم وعجمهم أن يتحدوا، ويتصدوا للكفار ولو كانوا من أشرف العرب، يقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[22]، وقال سبحانه: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[23].

والمسلم عزيز بإسلامه، يقول الحق سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[24]، والكافر ذليل، يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ (20) كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[25].

والكافر إذا أسلم صار أخًا لنا في الدين: قال سبحانه: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[26].

والكافر لا يكون وليًا للمسلم، ولو كان أخاه أو أباه أو زوجه، يقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[27]، وقال سبحانه: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِين﴾[28]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[29].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ"[30].

2- أن الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- لم يدعوا الناس للخضوع لهم، ولم يدعوا العرب للتميز على الناس، وإنما دعوا الناس -عربهم وعجمهم- للدخول في دين الله، قال سيدنا ربعي بن عامر -رضي الله عنه- لرستم: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله.

قالوا: وما موعود الله ؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي"[31].

---

20 سورة براءة، آية: 71.

21 سورة المائدة. آية: 51.

22 سورة براءة، آية: 23.

23 سورة المجادلة، آية: 22.

24 سورة المنافقون، آية: 8.

25 سورة المجادلة، آية: 20- 21.

26 سورة براءة، آية: 11.

27 سورة التغابن، آية: 14.

28 سورة هود، آية: 45، 46.

29 سورة براءة، آية: 114.

30 أخرجه مسلم- كتاب الإمارة- باب الأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَتَحْذِيرِ الدُّعَاةِ إِلَى الْكُفْرِ- حديث رقم: 1850 ص: 898.

31 البداية والنهاية- سنة أربع عشرة من الهجرة- فصل في غزوة القادسية ج: 9 ص: 622.

3- أن ما يفخر به إبراهيم اليازجي من فتوحات، قد شارك فيها المسلمون من العرب وغيرهم، ففتح الأندلس الذي يفخر به في هذه الأبيات كان تحت قيادة طارق بن زياد -رحمه الله- البربري.

4- يعرض إبراهيم اليازجي في هذه الأبيات بالترك، بقوله: "وإن جحدت مآثرنا اللئام". وهو ما سيصرح به في قصائده التالية.

هذا مع أن الأغلبية الساحقة من العرب في الشام وغيرها، كانت تدين بالولاء للدولة العثمانية، ولا ترى جمعيات نصارى الشام تمثلها، رغم كل مظالم ومفاسد الدولة العثمانية، حتى حدثت فتنة الثورة العربية، بتدبير الإنجليز وخداعهم.

وبهذا يقر نبيه أمين فارس[32] في مقدمته لكتاب جورج أنطونيوس (يقظة العرب) حيث يقول: "ونقر أيضًا أن الداعين إلى البعث العربي في فكرة الجمعيات الأدبية والعلمية (1847- 1868) كانوا في الغالب من النصارى، وأنهم لم يمثلوا سواد الشعب"[33].

وهذه الحقيقة نقلها الدكتور عدنان محمد زرزور عن الدكتور عمر فروخ في كتابه (تجديد التاريخ ص: 282)، حيث كتب: "لم يكن المسلمون في الإمبراطورية العثمانية يشكون شيئًا يحملهم على النقمة، فإن الدولة العثمانية كانت دولة مسلمة، وبذلك كانت دولتهم. وإذا كانت الدولة العثمانية قد مرت في أواخر أيامها بأحوال قاسية[34]، فإن تلك الأحوال كانت خارجة عن سيطرة الدولة العثمانية، وكانت قسوتها عامة في الترك والعرب، وفي المسلمين وغير المسلمين. ثم إن المسلمين كانوا يتحملون هذه الأحوال لأنهم (أو لأن أسلافهم) كانوا قد تمتعوا بالأمجاد التي كانت للدولة العثمانية في تاريخها الطويل. ثم إن الدولة ليست في المغانم المادية فحسب، بل الدولة جو روحي أيضًا يعيش فيه الفرد، وتعيش فيه الجماعة على رضا واطمئنان في حال الأمن، وعلى أمل بالرضا والاطمئنان المقبلين في حال البأس والشدة.

......

وكذلك ما كان للنصارى أن يشكوا شيئًا في الدولة العثمانية لا في أيام الرخاء ولا في أيام الشدة؛ ففي أيام الرخاء كانوا يتمتعون بكل ما يتمتع به المسلمون من الحقوق، ثم يزيدون في أحيان كثيرة -في الامتيازات- على المسلمين"[35].

4- وقد انفض عدد من تلك الجمعيات لأن الدولة العثمانية كانت تتابع أعمالها، وتسيء الظن بأصحابها، ومع ذلك أنشأ بعض الأدباء نواد أدبية تحت رعاية الكنائس والمنصرين، ومن ذلك:

الدائرة العلمية المارونية، التي عقدت عدة جلسات في السنتين 1881م و1882م، ثم انعقدت دائرة ثانية، انتسبت إلى القديس جرجس، بإدارة الأب يوسف برنيه اليسوعي، واستمرت ثلاث سنوات (1883م- 1886م)، وأسس الأميركان جمعية أخرى دعوها بشمس البر[36].

5- جمعية بيروت السرية

ظهر فيها أول صوت لحركة العرب القومية عام 1875م، أي قبل ارتقاء عبدالحميد العرش بسنتين، وذلك في اجتماع سري عقده بعض أعضاء (الجمعية العلمية السورية).

---

32 نبيه أمين فارس فلسطيني المولد، درس في الجامعة الأمريكية ببيروت، ثم حصل على الدكتوراه من أمريكا، حيث عمل رئيسًا لمكتب المعلومات الحربية بنيويورك من عام 1942 إلى عام 1945م، ثم جاء في نفس العام لبيروت كأستاذ زائر في الجامعة الأمريكية، ثم تولى رئاسة دائرة التاريخ فيها من سنة 1947م حتى وفاته عام 1968م. [يقظة العرب- المسهمون في هذا الكتاب- المقدم: الدكتور نبيه أمين فارس].

33 يقظة العرب ص: 16.

34 خاضت الدولة العثمانية 15 حربًا دولية في القرن التاسع عشر فقط، وهي الفرصة التي استغلها نصارى الشام، ليثيروا القلاقل ضد الدولة، برعاية إرساليات التنصير.

35 جذور الفكر القومي والعلماني ص: 55.

36 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 194، يقظة العرب ص: 118 و119.

ضم هذا الاجتماع السري ستة[37] شبان من الذين درسوا في الكلية الإنجيلية السورية -الجامعة الأمريكية- ببيروت، وكانوا ضالعين في كافة أنشطة الإرسالية الأمريكية، وهم فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس وإبراهيم اليازجي وإبراهيم الحوراني ووليم فان ديك، وقد أسسوا (جمعية بيروت السرية)، وكانوا يجتمعون في مبني (كولدج هول) داخل الكلية الإنجيلية ببيروت، وكان هدفهم الأسمى السعي لسلخ لبنان وسوريا عن الدولة العثمانية.

وكانوا جميعًا من النصارى، ولكنهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدروز إليهم، فاستطاعوا أن يضموا الى الجمعية نحو اثنين وعشرين شخصًا، ينتمون إلى مختلف الطوائف الدينية.

وكانت الماسونية قد دخلت قبل ذلك بلاد الشام على صورتها التي عرفتها أوربا، فاستطاع مؤسسو الجمعية السرية، عن طريق أحد زملائهم أن يستميلوا إليهم **المحفل الماسوني**، الذي كان قد أنشيء منذ عهد قريب ويشركوه في أعمالهم، واستطاعوا أن يتخذوا من هذا المحفل ستارًا لإخفاء نشاطهم[38].

وبغض النظر عن الدوافع، فإن تلك الجمعية قد ارتبطت بالماسونية من البداية على الأقل في حد علمي، كما أود التنويه على أن إبراهيم اليازجي -كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله- كان ماسونيًا، كما أني أشرت من قبل إلى أن شاهين مكاريوس كان من كبار الماسون الناشرين لدعوتهم والمؤلفين في فضائلهم، وكان فارس نمر -أيضًا- من أعضائهم.

وكان إبراهيم اليازجي قد نظم قصيدة تحرض العرب على الثورة ضد الأتراك، وقد ألقيت بصوت خافت في ثمانية من أعضاء الجمعية، اجتمعوا في بيت أحدهم[39].

ومطلع هذه القصيدة:

تنبهوا واستفيقوا أيَّها العربُ   فقد طمى الخطبُ حتى غاصتِ الرُّكبُ

ومما جاء فيها:

فيم التعلل بالآمال تخدعكم   وأنتم بين راحات الفنا سُلُب
الله أكبر ما هذا المنام فقد   شكاكم المهد واشتاقتكم التُّرَب
كم تُظلمون ولستم تشتكون؟ وكم   تستغضبون فلا يبدو لكم غضب؟
ألِفتم الهون حتى صار عندكم   طبعًا وبعض طباع القوم مكتسب
وفارقتكم لطول الذل نخوتكم   فليس يؤلمكم خسف ولا عطب
لله صبركم لو أن صبركم   في ملتقى الخيل حيث الخيل تضطرب
أعناقكم لهم رقٌ ومالُكم   بين الدُمى والطِلى والنرد منتهب
فصاحب الأرض منكم ضمن ضيعته   مستخدم وربيب الدار مغترب

ويستمر إبراهيم اليازجي في التحريض على الثورة فيقول:

بالله يا قومنا هبوا لشأنكم   فكم تناديكم الأشعار والخطب

---

37 يذكر جورج أنطونيوس أنهم خمسة [يقظة العرب ص: 149]، ولكنه رغم حديثه التفصيلي عن تلك الجمعية، وعن أنه التقى فارس نمر، وأن فارس نمر ذكر له أسماء الاثنين وعشرين عضوًا، إلا أن جورج أنطونيوس لم يذكر من أسمائهم إلا اسم إبراهيم اليازجي!!!

كما ذكر جورج أنطونيوس أنه التقى بعضو آخر في جمعية بيروت السرية، وأن هذا العضو أمده بمعلومات تفصيلية عن تلك الجمعية، ولكنه لم يذكر اسمه أيضًا. [يقظة العرب ص: 152].

ولكن الدكتور عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى ينقل عن أسد رستم في كتابه (لبنان في عهد المتصرفية ص: 248 إلى 253) أسماءهم الستة، وأنه -أي أسد رستم- قد استقى هذه المعلومات من فارس نمر خلال لقاء معه في ديسمبر 1930م، وأن وليم فان ديك وآخرين قد أيدوا له صحة ما رواه فارس نمر. [التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 251].

38 يقظة العرب ص: 149، التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 251.

39 يقظة العرب ص: 120.

ألستم من سطوا في الأرض وافتتحوا   شرقاً وغرباً وعزوا أينما ذهبوا
ومن أذلوا الملوك الصيد فارتعدت   وزلزل الأرض مما تحتها الرهب
ومن بنوا لصروح العز أعمدة   تهوي الصواعق عنها وهي تنقلب
فما لكم ويحكم أصبحتم هملاً   ووجه عزكم بالهون منتقب
لا دولة لكم يشتد أزركم   بها ولا ناصر للخطب ينتدب

وفي هذا تشجيع لهم على الاستعانة بالدول الأجنبية ضد الدولة العثمانية، ثم يواصل:

أقداركم في عيون الترك نازلة   وحقكم بين أيدي الترك منتهب
فيا لقومي وما قومي سوى عرب   ولن يُضيَّع فيهم ذلك النسب

ولكنه لم يخبرنا: هل كان وليم فان ديك أيضًا عربيًا من قومه؟ ثم يواصل:

هب أنه ليس فيكم أهل منزلة   يقلد الأمر أو تعطى له الرتب
وليس فيكم أخو حزم ومخبرة   للعقد والحل في الأحكام ينتخب
وليس فيكم أخو علم يحكم في   فصل القضاء ومنكم جاءت الكتب
أليس فيكم دم يهتاجه أنف   يوماً فيدفع هذا العار إذ يثب
فأسمعوني صليل البيض بارقة   في النقع إني إلى رناتها طرب
وأسمعوني صدى البارود منطلقاً   يدوي به كل قاع حين يصطخب

وأعلق فأقول: سيُسمعه المتآمرون صليل سيوف ودوي بارود الإنجليز بعد أربعين سنة في الثورة العربية، التي قادها الجاسوس الإنجليزي لورانس (العرب!!!)، ثم يختم القصيدة بتهديد الترك، فيقول:

صبراً هيا أمة الترك التي ظلمت   دهراً فعما قليل ترفع الحجب
لنطلبن بحد السيف مأربنا   فلن يخيب لنا في جنبه أَرب
ونتركن علوج الترك تندب ما   قد قدمته أياديها وتنتحب
ومن يعش ير والأيام مقبلة   يلوح للمرء في أحداثها العجب[40]

وله قصيدة سينية أخرى يقول فيها:

دَع مَجلس الغِيدِ الأَوانِسْ   وَهَوى لَواحِظِها النَواعِسْ
واسلُ الكُؤوسَ يُديرُها   رَشأٌ كَغُصنِ البانِ مائِسْ
وَدَعِ التَنَعُّمَ بِالمَطا   عِمِ وَالمَشارِبِ وَالمَلابِسْ
أَيُّ النَعيمِ لِمَن يَبِي   تُ عَلى بِساطِ الذُلِّ جالِسْ
وَلِمَن تَراهُ بائِساً   أَبداً لِذَيلِ التُركِ بائِسْ
وَلِمَن أَزمّته بِكَفْ   فِ عِداهُ يَظلِمُ وَهُوَ آئِسْ
وَلِمَن غَدا في الرِّقِ لَيْ   سَ يَفوتُهُ إِلّا المناخِسْ
وَلِمَن تُباعُ حقُوقُهُ   وَدِماؤُهُ بَيع الخَسائِسْ
وَلِمَن يَرى أَوطانَهُ   خَرَباً وَأَطلالاً دَوارِسْ
كُسِيَتْ شُحوبُ الثاكِلا   تِ وَكُنَّ قَبلاً كَالعَرائِسْ
عُجْ بِي فَدَيتُكَ نادِباً   ما بَينَ أَرسُمِها الطَوامِسْ

---

40 الإسلام والحضارة الغربية ص: 203 إلى 206.

وَاستَنطِقِ[41] الآثارَ عَمْ ما كانَ في تِلكَ البَسابِسْ
مِن عِزّةٍ كانَت تَذِلْ لُ لَها الجَبابِرةُ الأَشاوِسْ
وَكَتائبٍ كانَت تَها بُ لِقاءَ سَطوَتِها المَتارِسْ
وَمَعاقِلٍ كانَت تُعَزْ زُ بِالطَلائعِ وَالمحارِسْ
وَمَدائنٍ غَنّاءَ قَد كانَت تَحُفُّ بِها الفَرادِسْ
هَذِهْ مَنازِلُ مَن مَضَوا مِن قَومِنا الصِّيدِ القَناعِسْ
دَرَست كَما دَرَسوا وَقَد ذَهَبَ النَفيسُ مَعَ المُنافِسْ

ثم يدعو الشاعر قومه (العرب) إلى الثورة على الترك كما فعلت شعوب البلقان، فيقول:

ماذا نُؤَمِّلُ بَعدَهُم إِلّا مُقارَعَةَ الفَوارِسْ
فَإِلَيكُمُ يا قَوم وَاطْ طَرِحوا المُدالِس وَالمُوالِسْ
وَتَشَبَّهوا بِفعَال غَيْ رِكُمُ مِنَ القَومِ الأَحامِسْ
بَعَصائبٍ أَنِفُوا فَجا دوا بِالنُفوسِ وَبِالنَفائِسْ
هَبَتْ طَلائعُهُم يَلِي هَا كُلُّ صَنديدٍ مُمارِسْ[42]
تَرَكوا جُموعَ التُركِ يق صِفُ[43] فَوقَها النَكبُ الرَوامِسْ
مَلأوا البطاحَ بِهِم فَدا سَ عَلى الجَماجِمِ كُلُّ دائسْ[44]
فَخُذوا لِأَنفُسِكُم مِثا لَ أولئِكَ القَومِ المَداعِسْ
فالتركُ قومٌ لا يفو زُ لديهمُ إلا المُشَاكس[45]

ثم يظهر وجه دعوته العلماني، حين يهاجم القائمين بأمر الدين من المسلمين والمسيحيين على السواء، فيقول:

ودعوا مقال ذوي الشقا ق من المشايخ والقمامس
ما هم[46] رجال الله في كم بل هُمُ القومُ الأبالس
يَمشون بَينَ ظُهورِكُم تَحتَ الطَيالِس وَالأَطالِسْ
فالشر كل الشر ما بين العمائم والقلانس
دَبَّتْ عَقارِبُهُم إِلَيْ كُم بِالمَفاسِدِ وَالدَسائِسْ
في كُلِّ يَومٍ بَينَكُم يَصلى التَعَصُّب حَربَ داحِسْ
يُلقُونَ بَينَكُمُ التَبا غُضَ وَالعَداوَةَ وَالوَساوِسْ
تَتَروا اتِحادَكُم كَما نُثِرَت مِن النَخلِ الكَبائِسْ[47]

وعلق جورج أنطونيوس على بائية إبراهيم اليازجي الآنفة؛ بأن ذلك التوجه السياسي العقدي لجمعية بيروت السرية -في تشكيل قومية عربية تزعم أنها علمانية ضد الدولة العثمانية- يرجع الفضل فيه إلى ناصيف اليازجي وبطرس البستاني مترجمي الكتاب المقدس لدى النصارى، فكتب:

---

41 في الإسلام والحضارة الغربية: "واستنبط"،ولكن في الموسوعة الشعرية: "واستنطق"، ولعله الصواب، والله أعلم.

42 في الإسلام والحضارة الغربية: "الحارس"،ولكن في الموسوعة الشعرية: "ممارس"، ولعله الصواب، والله أعلم.

43 في الإسلام والحضارة الغربية: "يعصف"،ولكن في الموسوعة الشعرية: "يقصف"، ولعله الصواب، والله أعلم.

44 في الإسلام والحضارة الغربية: "دارس"،ولكن في الموسوعة الشعرية: "دائس"، ولعله الصواب، والله أعلم.

45 هذه البيت -على شهرته- ليس موجودًا في الموسوعة الشعرية.

46 في الموسوعة الشعرية: "فهم". وأحسبه خطأً.

47 الإسلام والحضارة الغربية ص: 203 و204، الموسوعة الشعرية- إبراهيم اليازجي.

"لقد تحمل ناصيف اليازجي عبء الدعوة إلى ذلك من قبل، ثم نجح البستاني من بعده في أن يرى ثمرة الجهود التي بذلها طوال حياته"[48].

وكتب -أيضًا في موضع آخر- أن أعضاء جمعية بيروت السرية:

"كان أكثرهم من تلامذة اليازجي والبستاني، وجميعهم من مريديهما"[49].

وكان مركز الجمعية في بيروت، وانتشرت أفرعها في دمشق وطرابلس وصيدا،

وكان كل عملهم في البداية مقصورًا على الاجتماعات السرية، التي كانوا يتبادلون فيها الآراء ويبحثون الخطط، وعلى نشر أفكارهم السياسية بوسائلهم واتصالاتهم الشخصية.

وبعد أن قضوا ثلاث سنوات أو أربع وهم يتآمرون متهامسين في الخفاء، عزموا على توسيع نطاق دعوتهم عبر لصق المنشورات في الشوارع.

وقامت الجمعية بتوزيع المنشورات، التي لم يتبق منها إلا ثلاثة فقط:

الأول: احتوى على تأنيب لاذع لأهل الشام لخضوعهم للأتراك ولتفرقهم، ودعا للاتحاد بين كافة الطوائف لوضع حد للأطماع في الشام، ولوقف الاستبداد التركي.

والثاني: هاجم الحكم العثماني صراحة، ووصفه بالإخفاق في الوفاء فيما تعهد به من إصلاح، وأنه لا أمل في إصلاحه، ولا خير يرجى من ورائه، وطالب بالحكم الذاتي لبلاد الشام.

والثالث: وقد ألصق على الجدران في ليلة 30 ديسمبر 1880م، وهو أهمها، لأنه تضمن برنامجًا سياسيًا، واتهم الحكام الأتراك بالسعي في القضاء على اللغة العربية، ووصف انتحال السلطان للخلافة بأنه: اغتصاب لحق العرب، وأن الأتراك كثيرًا ما خالفوا شريعة الإسلام، وجاء فيه أنه:

"بعد التشاور مع زملائنا في جميع أنحاء البلاد، فقد تم برنامج سننفذه، ولو بحد السيف إذا اقتضى الأمر".

وأهم ما جاء به:

1- منح سورية الاستقلال متحدة مع جبل لبنان.

2- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد.

3- رفع الرقابة التي تحد حرية التعبير ونشر التعليم.

4- استخدام القوات المجندة من أهل البلاد في المهام العسكرية الداخلية فقط.

ويرى جورج أنطونيوس أن هذه المنشورات تطورت إلى برنامج سياسي محدد:

"تظهر فيه ظهورًا واضحًا ثمار الجهود، التي بذلها اليازجي لرفع شأن اللغة العربية، والتي بذلها البستاني في محاربة الجهل. وكان ابراهيم اليازجي، ابن ناصيف عضوًا في هذه الجمعية"[50].

وكان عليه أن يضيف أيضًا وليم فان ديك، ابن كرنيليوس فان ديك.

إذن فأربعة من مترجمي الكتاب المقدس لدى النصارى (كرنيليوس فان ديك وناصيف اليازجي وابنه إبراهيم وبطرس البستاني) كانوا وثيقي الصلة بهذا النشاط المعادي للدولة العثمانية والخادم لأطماع البريطانيين ثم الأمريكان، ومع كليهما الصهاينة.

أما عن أثر هذه المنشورات فيزعم جورج أنطونيوس أنه كان أثرًا كبيرًا، ولكنه يضطر للعودة للاعتراف بأنه كان أثرًا ضيئلًا، ويسعى في تبرير ذلك، فمن ذلك قوله:

---

48 يقظة العرب ص: 121.

49 يقظة العرب ص: 159.

50 يقظة العرب ص: 120 و149 إلى 155، التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 251 و252.

"ليس من اليسير علينا -بعد انقضاء نحو ستين عامًا- أن نعرف على وجه اليقين مدى الأثر الذي أحدثته جمعية بيروت السرية في مجال التقدم الفكري. فالرسائل التي بعث بها القناصل البريطانيون تميل إلى التقليل من شأن الجمعية، وتشبه منشوراتها الثورية بقذائف تالفة لم يكن لها من أثر غير إثارة شيء من التساؤل والفضول في نفوس شعب خامل مستكين".

أي أن المشكلة هي في الشعب الخامل المستكين الذي لم يتقدم فكريًا. ثم يواصل:

"أما شهادة العرب الذين عاصروا تلك الأحداث فتؤكد أن تلك المنشورات كان لها أثر كبير شامل.

ولا ريب في أن رسائل القناصل لها قيمة من جانبين: أولهما أنها كتبت في الوقت نفسه الذي دارت فيه الأحداث، وثانيهما أن الذين أرسلوها كانوا محايدين بعض الشيء.

ولكن مما يقلل من قيمة الرسائل أنها كانت تتناول أمورًا تتصل بالتآمر والخيانة فكان المدبرون والمشاهدون جميعًا يخشون أن يفضوا بآرائهم وحقيقة نواياهم".

ثم يتحدث عن تلك الجمعية فيقول:

"ولو نظرنا إليها في ضوء الأحداث التي تلت وفي ضوء أحوال البلاد آنئذ، لبدا لنا أن أعمال الجمعية سابقة لأوانها، لأنها قامت على أساس أن البلاد قد بلغت من تقدم الوعي القومي وشموله منزلة لم تكن قد بلغتها في الحقيقة، وهكذا جاءت دعوتها السياسية بما تضمنته من قيام ثورة مسلحة إذا اقتضت الضرورة، في وقت لم تكن فيه الأمة مهيأة لتجتمع كلمتها ويتوحد صفها. ولذلك كتب لمسعاها الإخفاق في هذا الجانب.

.....

وكأنما هذه الحركة صورة لهب ينطلق إلى أعلى، ولكن النار تحته خامدة".

ثم يتحدث عن برنامج سنة 1880م، فيقول: "ولو نظرنا إليه من زاوية النتائج المحسوسة لوجدنا أنه لم يحقق شيئًا عمليًا ظاهرًا.

....

أما خطة المؤامرة المدبرة، وما تبعها من ثورة جارفة، فإنها لم تظهر إلا بعد ثلاثين سنة"[51].

وكان على جورج أنطونيوس أن يضيف: وإلا بعد أن تدفقت على المتآمرين أموال الإنجليز وسلاحهم!!

عمومًا هذه هي شهادة جورج أنطونيوس في كتابه، الذي يعده نبيه أمين فارس في مقدمة الكتاب: "الكتاب الفصل في الموضوع".

ثم رأى أعضاء الجمعية أن يوقفوا نشاطها فيما بين عامي 1881 إلى 1882م، ثم هاجر عدد من نشطائها لمصر مثل يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس. ويزعم جورج أنطونيوس أن السبب في ذلك هو أن طغيان السلطان عبد الحميد بلغ "من شدة الوطأة ما دعا إلى الاعتقاد بأن الحكمة تقتضي بإيقاف أعمالها"[52].

ولكن هل يفسر هذا انتقال عدد كبير من المرتبطين بالإرسالية الأمريكية لمصر، مثل إبراهيم اليازجي، وحبيب البستاني، وسليم وبشارة تقلا صاحبا جريدة الأهرام، وجورجي زيدان صاحب دار الهلال، وأحمد فارس الشدياق قبل إسلامه، وشاكر شقير صاحب مجلة الكنانة، وأمين شميل صاحب مجلة (الحقوق)، وأخوه شبلي شميل وغيرهم.

يزعم البعض أن أحداث قتال عام 1860م بين الدروز والمارون كانت سببًا، ولكني أرى أن هناك سببًا أقوى، وهو ترحيب أسرة محمد علي بنصارى الشام المعارضين للدولة العثمانية، وخاصة في عهد الخديوي إسماعيل المسرف ثم ابنه توفيق دمية الإنجليز، ثم أثناء احتلال الإنجليز لمصر عام 1882م، وما تلاه من التمكين لنصارى الشوام، وفتح المجال أمامهم ليكونوا أنصارًا للاحتلال الإنجليزي بكتاباتهم وأفكارهم وصحفهم، بل وبالخدمة في الجيش البريطاني مثل ما فعل جورجي زيدان.

---

51 يقظة العرب ص: 155 إلى 163.

52 يقظة العرب ص: 151.

وفي هذه المرحلة -من احتلال الإنجليز لمصر عام 1882م حتى الحرب العالمية الأولى عام 1914م- نشط الإنجليز في أمرين في غاية الخطورة، ولعبت مجموعة نصارى الشام المرتبطة بالإرسالية الأمريكية دورًا خطيرًا في كل منهما:

الأمر الأول: التمهيد للثورة العربية.

والأمر الثاني: دعم الاستيطان اليهودي في فلسطين.

أما عن الأمر الأول فهو -وإن كان- خارج نطاق بحث هذا الكتاب، إلا أني أود أن أشير بإيجاز شديد إلى أن ثورة الشريف حسين كانت من أهم الأسباب التي أعانت الإنجليز على احتلال فلسطين، وأعانت على تنفيذ اتفاقية سايكس بيكو، التي بموجبها احتلت فرنسا سوريا ولبنان.

وكان احتلال الإنجليز لفلسطين، هو الخطوة الممهدة لتسليمها لليهود، وهو ما كان ينادي به منصرو الإرسالية الأمريكية كما بينت سابقًا.

إذن فمنصرو الإرسالية الأمريكية وتلاميذهم دعاة القومية العربية كان يهدفون لنقل الشام من السلطان العثماني، الذي دافع -رغم كل فساده وانحرافه ومخالفاته للشريعة- عن بلاد المسلمين وعن فلسطين خاصة، إلى احتلال وتسلط الإنجليز والفرنسيين، ثم الأمريكان فيما بعد.

هذا هو الاستقلال الذي كان يبشر به تلاميذ منصرو الإرسالية الأمريكية، وتلك هي الوحدة التي كانوا يدعون إليها.

هذه هي خلاصة حركة القومية العربية، التي تبنتها الإرسالية الأمريكية، وتلك هي ثمرتها.

وزاد من استفحال الفتنة أن القوميين العلمانيين الأتراك، كانوا يثيرون الفتنة على الجانب الآخر، بانحرافاتهم العلمانية، وبدعوتهم الطورانية، وبسياسة التتريك، وبالمظالم والفساد، ثم أخيرًا كشفوا عن وجههم الحقيقي، بأن أسقطوا الخلافة، واعتبروها عائقًا في وجه تقدم تركيا، وأسسوا لنظام علماني باطش، وارتموا في أحضان الغرب، واعترفوا بإسرائيل وتعاونوا معها عسكريًا واقتصاديًا وسياسيًا وأمنيًا.

وهكذا نجح الإنجليز مرتين، مرة في تحريك العرب ضد الدولة العثمانية، تمهيدًا لهزيمتها، ثم مرة أخرى بتحريك القوميين العلمانيين الأتراك ضد الخلافة.

فمهدوا لاحتلال الصهاينة لفلسطين، ولاستيلاء الإنجليز ثم الأمريكان على بلاد وثروات المسلمين.

وكان رواد القومية العربية (**مترجمو الكتاب المقدس لدى النصارى**) من اليسوعيين والمنصرين الأمريكان -ورجالهم من أمثال ناصيف اليازجي وابنه إبراهيم وبطرس البستاني- في القلب من هذا المخطط، وكانوا عيونه وآذانه وألسنته وأيديه.

أما عن الأمر الثاني: وهو دعم الاستيطان اليهودي في فلسطين، فأشير له بإيجاز لأنه تم في نفس مدة ظهور ما سموا بـ(رواد الفكر القومي) من المشاركين في ترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى، وبالأخص ناصيف اليازجي وابنه إبراهيم، وبطرس البستاني والمرتبطين بهم من تلاميذهم وتلاميذ الإرسالية الأمريكية بالشام وبكليتها الإنجيلية. وأشير بإيجاز للأحداث التالية:

- في نفس سنة الاحتلال الإنجليزي لمصر قام البارون اليهودي ادموند روتشيلد بتنظيم أول هجرة جماعية إلى فلسطين، وبهذه العملية فإن تعداد اليهود في فلسطين ارتفع من ثمانية آلاف إلى أربعة وعشرين ألفًا.

- وفي نفس الوقت كانت أسرة روتشيلد قد بدأت في جمع تبرعات ومساهمات طائلة لشراء أراض في فلسطين، وكانت الواجهة الظاهرة لهذه العملية مؤسسة للاستثمار في الأرض الزراعية في المشرق.

- تزايدت حركة الهجرة اليهودية بشدة عقب الاحتلال الإنجليزي لمصر، وارتفع عدد المستعمرات الاستيطانية، حتى أنه في ظرف عشر سنوات من احتلال الإنجليز لمصر أنشئت قرابة عشرين مستعمرة تتراوح مساحاتها ما بين ٢١٠ إلى ٣٨٠٠ فدانًا غرب وشرق نهر الأردن. أي أن خطة الاستيطان الإسرائيلية كانت تشمل الأردن غربًا وشرقًا.

- وفي سنة ١٨٩١م أنشأ البارون اليهودي دي هيرش مع البارون روتشيلد مؤسسة للمشروعات الزراعية برأسمال قدره مليوني جنيه استرليني، وشارك في المشروع مالي يهودي ثالث هو السير أرنست كاسل الذي أبدى اهتمامًا ملحوظًا

بالمشروعات الزراعية في مصر ذاتها، وأنشأ شركة (وادي كوم أمبو) التي تملكت مساحات شاسعة من الأراضي قرب مدينة كوم أمبو في صعيد مصر[53].

وهكذا فإن تسلسل الحوادث في تلك الفترة يشير إلى تخطيط مسبق يتقدم على الأرض خطوة بعد أخرى.

- ومع بداية القرن العشرين نشبت الحرب العالمية الأولى، وقبيل هذه الحرب كانت السياسة البريطانية تدرك ما تريد تحديدًا في فلسطين، وظهر ذلك بجلاء في توصية تقدم بها رئيس الوزراء البريطاني كامبل باترمان في المدة السابقة على الحرب مباشرة جاء فيها بالنص:

"إن إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر الذي يربط أوروبا بالعالم القديم، ويربطهما معًا بالبحر الأبيض والبحر الأحمر هو مطلب يجب أن يكون هاديًا لنا باستمرار.

ويتعين علينا أن نضع في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة معادية لأهل البلاد وصديقة للدول الأوروبية وعارفة لمصالحها.

ومن المحتم أن نجد الوسيلة العملية لتنفيذ هذا المطلب".

وكان ذلك يعني بوضوح الإصرار على إنشاء دولة يهودية في فلسطين.

- وفي أثناء الحرب طلبت الحكومة البريطانية سنة ١٩١٥م من السير هربرت صمويل أن يضع تصورًا لما ينبغي أن يكون عليه وضع فلسطين بعد النصر.

وكتب هربرت صمويل بوصفه عضوًا في وزارة الحرب -إلى جانب كونه **يهوديًا وصهيونيًا** أيضًا- مذكرة بعنوان (مستقبل فلسطين) في ٥ فبراير ١٩١٥م، وكان مما توصل إليه فيها:

"إن الحل الذي يوفر أكبر فرصة للنجاح ولضمان المصالح البريطانية، هو إقامة اتحاد يهودي كبير تحت السيادة البريطانية في فلسطين. إن فلسطين يجب أن توضع بعد الحرب تحت السيطرة البريطانية، ويستطيع الحكم البريطاني فيها أن يعطي تسهيلات للمنظمات اليهودية في شراء الأراضي وإقامة المستعمرات وتنظيم الهجرة والمساعدة على التطور الاقتصادي بحيث يتمكن اليهود من أن يصبحوا أكثرية في البلاد"، "هذا مع ملاحظة أن هناك عطفًا واسع الانتشار وعميق الجذور في العالم **البروتستانتي** لفكرة إعادة الشعب العبراني إلى الأرض التي أعطتها لهم النبوءات القديمة"[54].

ولذا لم يكن غريبًا أن يعين هربرت صمويل فيما بعد حاكمًا عامًا لفلسطين!!!

ولم يكن غريبًا -أيضًا- أن تتفق تلك الأهداف البريطانية الصهيونية، ثم الأمريكية الصهيونية، مع ما كانت تسعى له وتدعو إليه الإرسالية الأمريكية في الشام، كما بينت سابقًا.

***

6- جامعة الوطن العربي

أسسها نجيب عزوري -وهو نصراني سوري- في باريس عام 1904م، وكان هدفها المعلن؛ تحرير الشام والعراق من السيطرة التركية، وأصدرت عدة نداءات تدعو العرب للثورة، ونشر في السنة التالية كتابًا بالفرنسية عنوانه (يقظة الأمة العربية)، ثم أصدر عام 1907م جريدة بالفرنسية عنوانها (الاستقلال العربي) توقفت عام 1908م[55].

***

53 المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ص : 62 إلى 64.

54 المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ص 110، 111.

55 يقظة العرب ص: 172 و173.

(2) تعريف موجز بناصيف اليازجي

أصل آل اليازجي من روم حمص. وولد منهم ناصيف اليازجي في كفر شيما سنة 1800م، ودرس مبادئ القراءة والكتابة على القس متي الشبابي. ثم شعر برغبة عظيمة في معرفة أصول اللغة وفنون الآداب، فانكب عليها بنشاط وحرص على إتقانها ما أمكنه، فنال منها نصيبًا حسنًا. ثم درس الطب على والده، ووضع فيه أرجوزةً سماها (الحجر الكريم في أصول الطب الكريم)، لم تنشر بالطبع. ودرس أيضًا فن الموسيقى، ووعى كثيرًا من أصولها ودقائقها. وكان مغرىً بالتاريخ مواظبًا على قراءة أخبار القدماء.

لكن الأدب غلب عليه، وقيل أنه استظهر القرآن، وحفظ كل ديوان المتنبي وقصائد عديدة من الشعر القديم والمولد لا يخل فيها بحرف. وكان في أوقات الفراغ ينسخ ما يحصل عليه من الآثار الأدبية بخط جميل أشبه بالقلم الفارسي.

واتصل بالأمير بشير الشهابي فاتخذه كاتبًا لأسراره ورفع شأنه. وبقي في خدمته اثنتي عشرة سنة. ثم انتقل إلى بيروت فسكنها إلى سنة وفاته[1].

واشتغل مع منصري الإرسالية الأميركية فعمل معهم في التدريس، وشاركهم في تأليف الكتب الدراسية لمدارسهم[2]، وهي المدارس التي كان المقصد الأساسي منها التنصير، حيث كان التلاميذ فيها يفرض عليهم دراسة التوراة وحضور القداسات في الكنائس.

وساعدهم في ترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى[3]، إلا أن الدكتور عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى نقل عن يوسف قزماخوري في كتابه (الدكتور كرنيليوس فان ديك ونهضة الديار الشامية العلمية في القرن التاسع عشر ص: 64) أن فان ديك استغنى عن مساعدة ناصيف اليازجي في الترجمة لأنه رآه غير أمين في عمله، ولذلك استعاض عنه بالشيخ يوسف الأسير خريج الأزهر[4].

وقد نظم لهم المزامير وبعض الأغاني الدينية، وكان أحد أعضاء جمعيتهم التي أنشئوها سنة 1848م.

أما تآليف ناصيف اليازجي فمنها:

- مقاماته الستون المعروفة بمجمع البحرين، التي عارض فيها المقامات الحريرية.
- الجوهر الفرد، وهو مختصر في الصرف و النحو.
- فصل الخطاب في الصرف والنحو.
- مجموع الأدب في فنون العرب، وهو متوسط الكبر في المعاني و البيان و البديع.
- وجوف الفرا والخزانة، وهما أرجوزتان في أصول النحو نظمهما وعني بشرحهما.
- الطراز المعلم، وهو أرجوزة مختصرة في البيان.
- اللامعة في شرح الجامعة، وهي أرجوزة في علمي العروض و القافية.
- قطب الصناعة في أصول المنطق
- نقطة الدائرة، وهي موجزة جدًا في العروض و القوافي.
- عقد الجمان في البيان مع ملحق في العروض.
- شرح على المتنبي، أتمه ابنه إبراهيم، ووسمه باسم العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب.
- فاكهة الندماء في مراسلات الادباء

---

1 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 153 و154.

2 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 131.

3 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 155،

4 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 211.

- رسالة إلى المستشرق دي ساسي
- رسالة مطولة في مكتبة برلين الملكية في أحوال لبنان وسكانه وأمرائه وأديان أهله، لم يذكر فيها اسمه، ويظن أنها له.
وكان المستشرقون يستكبونه المقالات، فيكتبها لهم.
- وشعره متفرق في ثلاثة دواوين: كتاب نفحة الريحان وكتاب فاكهة الندماء في مراسلات الأدباء وكتاب ثالث القمرين.
وكثر في شعره مدح الملوك وأرباب المناصب، ومن شعره في وصف شيعته النصرانية:

نحنُ النصارى آل عيسى المنتمي حسبَ التأنُس للبتولةِ مريمِ

وهو الإلهُ ابن الإلهِ روحهُ فثلاثةٌ في واحدٍ لم تُقسمِ

للأب لاهوتُ ابنهِ وكذا ابنه وكذا هما والروح تحتَ تقُّمِ

كالشمس يظهرُ جرمُها بشُعاعها وبحرِّها والكلّ شمسٌ فاعلمِ[5]

وقد علق على هذه الأبيات الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله، فكتب:
"وَالنَّصَارَى قَدِ اقْتَبَسُوا عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ عَمَّنْ قَبْلَهُمْ، وَلَمْ يَفْهَمُوهَا، وَعُقَلَاؤُهُمْ يَتَمَنَّوْنَ لَوْ يَقْدِرُونَ عَلَى التَّفَصِّي مِنْهَا، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا أَنْكَرُوهَا، بَعْدَ هَذِهِ الشُّهْرَةِ تَبْطُلُ ثِقَةُ الْعَامَّةِ بِالنَّصْرَانِيَّةِ كُلِّهَا. كَمَا قَالَ أَحَدُ عُقَلَاءِ الْقُسُوسِ لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ الْعَصْرِيِّ مِنَ الشُّبَّانِ السُّورِيِّينَ.
وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ لَا تُعْقَلُ، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ يُحَاوِلُ تَأْنِيسَ النُّفُوسِ بِهَا، بِضَرْبِ أَمْثِلَةٍ لَا تَصْدُقُ عَلَيْهَا ; كَكَوْنِ الشَّمْسِ مُرَكَّبَةً مِنَ الْجِرْمِ الْمُشْتَعِلِ وَالنُّورِ وَالْحَرَارَةِ، قَالَ الشَّيْخُ نَاصِيفُ الْيَازِجِيُّ:

نَحْنُ النَّصَارَى آلَ عِيسَى الْمُنْتَمِي حَسَبَ التَّأَنُّسِ لِلْبَتُولَةِ (؟) مَرْيَمِ

فَهُوَ الْإِلَهُ ابْنُ الْإِلَهِ وَرُوحُهُ فَثَلَاثَةٌ فِي وَاحِدٍ لَمْ تُقْسَمِ

لِلْآبِ لَاهُوتُ ابْنِهِ وَكَذَا ابْنُهُ وَكَذَا هُمَا وَالرُّوحُ تَحْتَ تَقَنُّمِ

كَالشَّمْسِ يَظْهَرُ جِرْمُهَا بِشُعَاعِهَا وَبِحَرِّهَا وَالْكُلُّ شَمْسٌ فَاعْلَمِ

فَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ رَبَّهُمْ جَوْهَرٌ لَهُ أَعْرَاضٌ كَسَائِرِ الْجَوَاهِرِ وَالْأَجْسَامِ، وَلَكِنَّ الْعَرَضَ لَيْسَ عَيْنَ الذَّاتِ، فَحَرَارَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ شَمْسًا، وَلَا هِيَ عَيْنَ الْجِرْمِ، وَلَا عَيْنَ الضَّوْءِ، فَإِذًا لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الِابْنُ وَرُوحُ الْقُدُسِ عَيْنَ الْآبِ"[6].
وقد رد علماء المسلمين على هذه الأمثلة التي يضربونها، مثل رد شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- التفصيلي عليهم في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، وقد أشرت لهذا الرد عند تعليقي على كتاب (كتاب عبد المسيح الكندي إلى عبد الله الهاشمي).
وتوفي سنة 1871م[7].
وقبل أن أختم ترجمة ناصيف اليازجي أذكر القارئ بما مر بنا من العداء الشديد بين الكاثوليك والبروتستانت في الشام، فلماذا عمل ناصيف اليازجي في المدارس البروتستانتية؟ ولماذا ساعدهم في ترجمة الكتاب المقدس لدى النصارى، مع أن البابا حرم على الكاثوليك قراءة كل ما يصدر عن البروتستانت، بل كل ما لا تصدق على صحته الكنيسة الكاثوليكية، كما ذكرت من قبل.
هل كان غير مبال بتعاليم الكنيسة؟ أم كان متحريًا للمكسب المادي من حيث أتى؟ ويقوي ذلك ما ذكر من استغناء كرنيليوس فان ديك عن خدماته، لأنه اعتبره غير أمين.
أم أنه تحول من الكاثوليكية للبروتستانتية مثل بطرس البستاني؟

5 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 155 إلى 160، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ج: 1 ص: 140.
6 تفسير المنار- سورة المائدة- آية: 73 ج: 6 ص: 484 و485.
7 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 160.

وهذا ما نقله محمد الهادي المطوي عن الأب جان فونتان في كتابه (الارتداد الديني عند الكتاب اللبنانيين المسيحيين من سنة 1825 إلى 1940)، حيث عد جان فونتان ناصيف اليازجي من المرتدين عن المارونية[8].

***

8 أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره ص: 71.

(3) تعريف موجز بإبراهيم اليازجي

ولد في بيروت في سنة 1847م، فأخذ علوم اللغة عن والده، وحفظ القرآن في حداثته، وقرأ الفقه الحنفي على الشيخ محيي الدين اليافي.

وتعلم العبرية والسريانية والفرنسية والإنجليزية وأخذ بطرف من الألمانية، وتبحر في علم الفلك، وله فيه عدة مباحث.

وانتظم في الجمعية العلمية السورية، وألقى فيها الخطب وأنشد القصائد كما ذكرت، ثم حرر مدة جريدة النجاح.

ولما عمد اليسوعيون إلى تعريب الأسفار المقدسة عن أصلها العبراني واليوناني ساعدهم من عام 1872م واستمر في هذا العمل نحو تسع سنوات[1]. إلا أنه في تعريب المزامير والإنجيل كان مقيدًا بترجمة عبد الله زاخر لشهرة نصوصها في المعابد[2].

وقد اعترف بوقوع بعض الأخطاء في تصحيحة للترجمة،فذكر جوابًا على سؤال ورده في مجلة الضياء: "هذا من المواضع التي سهونا عن تصحيحها في عبارة المترجم، وكنا قد جمعنا تلك المواضع في مذكرة بعثنا بها إلى قيم المطبعة السابق على أن يصححها فيما يستأنف طبعه من نسخ الكتاب، ثم لم نعلم ما فعل الله بها.

......

إلا أنها على كل حال قليلة، وهي فضلًا عن ذلك لا تقف في طريق المفهوم، ولعل ذلك هو االذي دعا إلى إهمالها"[3].

وسيرى القارئ فيما يلي -إن شاء الله- أن التحريف والتغيير قد طرأ على الكتاب المقدس لدى النصارى من كل الأوجه: من فقدان للأصل وغياب للسند وتدخلات الكتاب وتحريفات المترجمين واختلافات المخطوطات وتباين الترجمات، بل وتجددها كل حين، واختلاف عدد الأسفار وتباين ترتيبها ومحتواها.

وقد درَّس إبراهيم اليازجي في المدرسة البطريركية وفي مدارس الإرسالية الأمريكية.

وأصدر مع الدكتورين بشارة زلزل وخليل سعادة مجلة الطبيب ثم تركها بعد سنة.

وانتقل إلى مصر عام 1894م، حيث أصدر أولاً مجلة البيان في سنة 1897م، ثم أعقبها بمجلة الضياء التي أصدرها ثماني سنوات إلى وفاته سنة 1906م.

ومن مؤلفاته:

- نجعة الرائد في المترادف والمتوارد

- اختصاره أو شرحه لبعض تآليف والده: كمختصر نار القرى، ومختصر الجمانة، وشرح ديوان المتنبي المسمى بالعرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب.

- وكذلك تصحيحه وتهذيبه لعبارة بعض كتب الأدباء: كتاريخ بابل وأشور لجميل مدور، ونفح الأزهار في منتخبات الأشعار لجامعه شاكر البتلوني، ودليل الهائم في صناعة الناثر والنظم[4].

- وعدة مقالات مطولة وانتقادات لسانية: كالأمالي اللغوية، ولغة الجرائد، وأغلاط العرب المولدين، واللغة والعصر، ونقد لسان العرب[5].

- وله معجم في اللغة بعنوان (الفرائد الحسان من قلائد اللسان).

---

1 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 164 و165، معجم المطبوعات ج: 2 ص: 1927.

2 معجم المطبوعات ج: 2 ص: 1928.

3 مجلة الضياء السنة السابعة- سنة 1904- 1905 ص: 626.

4 لعلها: "والناظم". ومن اللافت للانتباه أن هناك كتابًا بنفس العنوان نسبه خير الدين الزركلي لشاكر البتلوني الحاصباني، المعاصر لإبراهيم اليازجي. [الأعلام ج: 3 ص: 152 و153].

5 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 165 و166.

- وله ديوان شعر[6].

وكان أول من أسس (جمعية بيروت السرية)، كما ذكرت.

وكان علماني التوجه، يذم القائمين بأمر الدين من المشايخ والقسس على السواء، كما نقلت عنه، بل كان ماسونيًا[7]، وعلى رغم ذلك شارك مع القسس الكاثوليك اليسوعيين في الصياغة الأدبية لترجمة العهد القديم.

وهنا ينشأ نفس السؤال الذي أوردته في ترجمة أبيه، كيف أنه نشأ كاثوليكيًا، ثم تحول للدراسة والتدريس والتعاون مع الإرسالية الأمريكية البروتستانتية، وكيف أنه- رغم علمانيته وذمه للقسس والمشايخ بل وماسونيته- تعاون مع اليسوعيين الكاثوليك في تعريب كتابهم المقدس لديهم؟

هل كان كاثوليكيًا؟ أم كان منصرًا بروتستانتيًا؟ أم كان علمانيًا ماسونيًا؟ أم كان كل هذا؟ أم كان ماذا؟ أم كان يعتبر كل ذلك وسيلة للكسب كمحترف للكتابة والأدب؟

ومما يتماشى مع ذلك أنه ذم اليسوعيين أكثر من مرة في جريدته الضياء، ففي مقال له بعنوان (اختفاء سري) يصف اختفاء شخص اسمه توفيق قزح، ويذكر أن الجزويت استدرجوه إلى كراكوفيا "حيث يوجد دير للابتداء يخص طغمة الجزويت"[8].

وفي مقال له بعنوان (من كل شيء تحمي أخاك إلا من نفسه) كتب عنهم: "أما ما هذر به أصحاب (المشرق) ... ينصبوه لنا من الحرب العوان تارة بالترهات والأكاذيب وطورًا بالتهويل .... كما لم نتفرغ للرد على سائر مفترياتهم.

......

لأن من قواعد (طريقتهم) أن ينفردوا بالقبض على أزمة السياسة ..... فلا تكون كنيسة مع كنيستهم ولا منبر مع منبرهم ولا مدرسة مع مدارسهم.

....

هذا نموذج يسير من تعليم هذه العصابة وسياستها"[9].

***

---

6 الأعلام ج: 2 ص: 75 و77، العرب النصارى ص: 202، معجم المطبوعات ج 2 ص: 1927 إلى 1930.

7 الأسرار الكبرى للماسونية ص: 277 و278.

8 الضياء- السنة السابعة- سنة 1904- 1905 ص: 18 إلى 22.

9 مجلة الضياء- السنة الثامنة- سنة 1905- 1906 ص: 241 إلى 244.

(4) تعريف موجز ببطرس البستاني

بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن أبي شديد بن محفوظ البستاني، ولد في الدبية من إقليم الخروب سنة 1819م من عائلة مارونية شهيرة، وفي صغره تلقى العلوم في مدرسة عين ورقة، وهي مدرسة مشهورة في لبنان لتثقيف الإكليروس الماروني، لرغبته في الانتظام في سلك الإكليروس، ودرس بها آداب العربية والسريانية والإيطالية واللاتينية والعلوم اللاهوتية.

وبعدها لم يلتحق بالإكليروس، وشرع في احتراف التدريس، وتعلم الإنجليزية.

ولما ذهب لبيروت عام 1840م تعرف على إيلي سميث وكرنيليوس فان ديك. وقد تطورت هذه المعرفة إلى امتزاج روحي، فاعتنق المذهب البروتستانتي المشيخي (البريسبيتيري)، ومنذ ذلك الحين ارتبطت جهوده بجهود البعثة التنصيرية الأمريكية ارتباطًا وثيقًا، فعين في منصب مدرس اللغة العربية في المدرسة العليا بعبية، وألف كتبًا مدرسية، ولما طلب منه أن يساعد إيلي سميث في ترجمة التوراة تعلم العبرية والآرامية واليونانية القديمة، وقد انشغل بهذه الترجمة قرابة عشر سنوات[1].

وقد ذكرت من قبل أن يوسف قزما خوري ذكر أن كرنيليوس فان ديك استغنى عن خدمات بطرس البستاني في ترجمة التوراة بعد وفاة إيلي سميث.

ويبدو أنه أيضًا تعلم الفرنسية في مرحلة ما من عمره.

وتولى مدة منصب الترجمة في قنصلية أميركا.

ثم تفرغ للتأليف ووضع عددًا من الكتب المدرسية في الصرف والنحو والحساب

ثم شرع في تأليف قاموسه المطول المعروف بمحيط المحيط، واختصره في قطر المحيط، فنال من السلطان عبد العزيز الوسام المجيدي من الطبقة الثالثة ومبلغًا وافرًا من المال كجائزة على عمله.

وأصدر مع أبنائه أربع صحف وهي: نفير سورية أصدرها عام 1860م، وكانت صحيفة أسبوعية صغيرة، وكانت أول صحيفة سياسية يسمح لها بالصدور في الشام، ودعا فيها للتوفيق بين العقائد المختلفة.

ثم صحيفة الجنان عام 1870م، وهي صحيفة سياسية أدبية نصف شهرية، وكان شعارها (حب الوطن من الإيمان)، ثم الجنة (1870م) فالجنينة (1871م).

وأبتدأ في كتابة أول دائرة معارف ظهرت في اللغة العربية، فأصدر منها سبعة أجزاء قبل وفاته. التي جاءت سنة 1883[2].

وبالإضافة لما سبق فله كتب أخرى منها:

- كشف الحجاب في علم الحساب
- مسك الدفاتر
- تاريخ نابليون
- شرح (مصباح الطالب في بحث المطالب) في الصرف والنحو، الذي ألفه جرمانوس فرحات الحلبي.
- مفتاح المصباح في النحو في الصرف والنحو
- جداول تصاريف الأسماء و الأفعال مع امثلة عديدة في الإعراب
- وترجم قصة روبنصن كروزو، وكتاب سياحة المسيحي من اللغة الانجليزية.
- مقالة سماها بالهيئة الاجتماعية والمقابلة بين العوائد العربية والإفرنجية

---

1 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 252، معجم المطبوعات العربية ج: 1 ص: 423، الأعلام ج: 3 ص: 58، يقظة العرب ص: 112 إلى 115، الموسوعة العربية العالمية- البستاني، بطرس.

2 تاريخ الآداب العربية ج: 2 ص: 252، معجم المطبوعات العربية ج: 1 ص: 423، الأعلام ج: 3 ص: 58، يقظة العرب ص: 112 إلى 115، الموسوعة العربية العالمية- البستاني، بطرس.

- خطبة في آداب العرب[3]

نشاطه التعليمي:

- عين مدرسًا للغة العربية في مدرسة عبية، التي شارك في تأسيسها مع كرنيليوس فان ديك، وعمل فيها من في عام 1846م إلى عام 1848م، وهذه المدرسة أُنشئت لتخريج المنصرين الصالحين للعمل في المناطق الجبلية والريفية، وقد تخرج منها معظم المنصرين الذين عملوا في العراق والشام والأسكندرية، كما ذكرت من قبل.

- وفي عام 1863م أنشأ (المدرسة الوطنية) وعين ناصيف اليازجي مدرسًا أول للغة العربية بها، وكان يذكر: أنه يدعو فيها للتسامح الديني، ولأن يتلقى التلاميذ -على اختلاف عقائدهم- تعليمًا يقوم على المثل الوطنية، وجاء في إعلانه عنها في مجلة الجنان: أن المدرسة ليست لأية جماعة دينية، فأبوابها مفتوحة لجميع أبناء الوطن بصرف النظر عن الانتماء الديني، وأنها تسعى لإحياء اللغة القومية، لأن أساس التطور للإنسان لغته القومية، وأن المدرسة تعمل لإنماء الشعور بحب الوطن والتعلق به[4].

إلا أني أود أن أبين حقيقة هامة، وهي أن هذه المدرسة جاءت بدعم من الإرسالية الأمريكية في الشام، وتطبيقًا لسياستها في تشجيع الوطنيين المرتبطين بها على فتح المدارس، فجاءت هذه المدرسة كثمرة لنجاح المنصرين الأمريكان في المدرسة العليا للبنين ببيروت، وكان يشار لها في تقارير الإرسالية الأمريكية بـ(مدرسة مستر بستاني)، وينقل الدكتور عبد الرازق عبد الرازق عيسى عن تقرير الإرسالية الأمريكية:

(Missionary Herald, April 1864, Annual report of the Beirut station, vol, 60 1864 Pp. 105- 110)

أن هذه المدرسة -وإن لم تكن مدرسة تبشيرية في الأساس- إلا أنها كانتت عاملًا مساعدًا في تنوير العقل الشعبي، وكان الطلاب يجبرون فيها على حضور الصلوات المسائية[5].

وقد تلقى بطرس البستاني -من أجل هذه المدرسة- مساعدات مالية من الإرسالية الأمريكية وكتبًا من طباعتها، كما تلقى مساعدات مالية من السيدة وطسن الإنجليزية، التي أنشأت العديد من مدارس البنات في الشام.

وكانت هذه المدرسة تضم بعض الطلاب الذين ينتمون لطوائف شتى، من المسيحيين واليهود، ولكنها لم تضم أحدًا من المسلمين خصوصًا من أهل السنة، وكذلك تشكك رجال الدين المسيحيون -وخاصة الكاثوليك- في أهداف هذه المدرسة ونواياها، لكون مديرها وصاحبها من البروتستانت المعروفين بتعاونهم الوثيق مع الإرسالية الأمريكية، فهو في نظرهم كان مجرد واجهة -لا أكثر- للإرسالية الأمريكية.

وبعد تأسيس الكلية الإنجيلية السورية عام 1866م أصبحت المدرسة الوطنية بمثابة القسم الإعدادي لتلك الكلية، التي تعد الطلاب للالتحاق بها، ولذلك استقرت مع الكلية الإنجيلية في نفس المبنى لعدة سنوات.

ولكن ابتداء من عام 1876م أنشأت الكلية الإنجيلية السورية دائرتها الإعدادية، وحينئذ أغلقت المدرسة الوطنية أبوابها، بعد أن ظلت تعمل لمدة ثلاثة عشر عامًا في ظل الرعاية الكاملة للإرسالية الأمريكية.

وهو الأمر الذي يتماشى مع سياسة الإرسالية الأمريكية في إيجاد جيل من الوطنيين تستخدمهم كستار لأهدافها، على الأقل في البداية، ثم بعد ذلك تعمل الإرسالية بنفسها، بعد أن تثبت جذورها في المجتمع، كما حدث مع المدرسة الوطنية[6].

أفكاره:

---

3 الأعلام ج: 3 ص: 58، اكتفاء القنوع ج: 1 ص: 143، التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 206 و207.

4 العرب النصارى ص: 193 إلى 195.

5 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 144 و145.

6 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 309 إلى 313.

كان من أفكاره -التي يدعو إليها- افتخاره بالحضارة العربية، وعروبة جميع الناطقين بها من مسلمين ومسيحيين، مع أنه كان يعتبر نفسه دائمًا من الرعايا العثمانيين.

ونادى بالوحدة الوطنية وأهمية الشعور الوطني، وطالب بالمساواة بين الأديان وفصل الدين عن الدولة، ونادى بالتعليم باللغة العربية والالتزام بها، ودعا لتعلم العلوم الحديثة من أوربا.

وأن سبب انحطاط الشرق هو الحكومات الفاسدة، وأن سبيل الإصلاح هو في إيجاد الحكومات الصالحة، التي ترتكز على مبدأ العدالة، وفصل السلطة السياسية عن السلطة الدينية، وفصل السلطة القضائية والتشريعية عن السلطة التنفيذية، وعلى تكليف ضريبي سليم، وتنفيذ الأشغال العامة، وإدخال التعليم الإلزامي، مع توحيد السكان الذين تفتتهم الخصومة الدينية على أساس من الوحدة الوطنية، ولا سبيل لشعوب الشرق إلى الرقي السريع إلا باستعارة الثقافة الأوروبية، التي تقوم على المعارف والعمل[7].

فمثلًا ينقل الدكتور عبد الرازق عبد الرازق عيسى عن مقال لسليم البستاني بعنوان (لماذا نحن في تأخر؟) (الجنان ج: 6- آذار 1870): "لأننا منذ انقسمنا إلى عصب دينية وأخذ كل منا يحاول عضد عصبيته وتنكيس غيرها قد عمنا التأخر وخسف ظلام الجهل بديارنا".

وكذلك ينقل عن نفس الكاتب في مقال بعنوان (الحكام) (الجنان ج: 6- آب 1870 ص: 481) أن فصل الدين عن السياسة: "من الحسنات التي يجب الأخذ بها نقلًا عن التمدن الأوروبي الحديث، ومن شأن هذا المبدأ ترقية البلاد وتقدم الثروة في كافة مجالات العمل الاقتصادي".

وينقل أيضًا عن مقال لموسى طنوس بعنوان (الألفة) (الجنان ج: 5- آذار 1870 ص: 136): "ولا يخفى أن السبب الأقوى لعدم تقدمنا في هذه البلاد ناشئ من التعصبات الدينية والأوهام الفاسدة، التي تجعل البعض يظنون أنهم أجل قدرًا أو أسمى ديانة من أن يأتلفوا مع من لا يوافقهم في المعتقدات الدينية".

كما ينقل عن مقال لسليم صدقة بعنوان (في حقوق النساء) (الجنان ج: 12- تموز 1870 ص: 401) أن للمرأة مثل ما للرجل من الحقوق، ولم يميز الخالق -سبحانه وتعالى- بين الذكر والأنثى من ناحية العقل والنطق، وهما متساويان في الخلقة البشرية[8].

عقيدة بطرس البستاني:

كان بطرس البستاني كاثوليكيًا مارونيًا ثم تحول للبروتستانتية، ولكنه في المجلد السادس من دائرة معارفه الصادر في عام 1882م -أي قبل وفاته بسنة- يظهر تشككًا واضحًا في عقيدة الثالوث، فقد ذكر في مادة (ثالوث) الآتي:

"كلمة تطلق عند النصارى على وجود ثلاثة أقانيم معًا في اللاهوت تعرف (بالآب والابن والروح القدس) وهذا التعليم هو من تعاليم الكنيسة الكاثوليكية والشرقية وعموم البروتستانت إلا ما ندر، والذين يتمسكون بهذا التعليم يذهبون إلى أنه مطابق لنصوص الكتاب المقدس، وقد أضاف اللاهوتيون إليه شروحًا وإيضاحات اتخذوها من تعاليم المجامع القديمة وكتابات آباء الكنيسة العظام، وهي تبحث عن طريقة ولادة الأقنوم الثاني، وانبثاق الأقنوم الثالث، وما بين الأقانيم الثلاثة من النسبة وصفاتهم المميزة وألقابهم.

ومع أن **لفظة ثالوث لا توجد في الكتاب المقدس، ولا يمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعليم الثالوث**، قد اقتبس المؤلفون المسيحيون القدماء آيات كثيرةً تشير إلى وجود صورة جمعية في اللاهوت، ولكن إذ كانت تلك الآيات قابلةً لتفاسير مختلفة، كانت لا يؤتى بها **كبرهان قاطع** على تعليم الثالوث، بل كرموز إلى الوحي الواضح الصريح الذي يعتقدون أنه مذكور في العهد الجديد.

---

7 العرب النصارى ص: 193 إلى 195.

8 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 319 و320.

وقد اقتبس منه مجموعان كبيران من الآيات كحجج لإثبات هذا التعليم (أحدهما) الآيات التي ذكر فيها الآب والابن والروح القدس معًا. (والآخر) التي ذكر فيها كل منهم على حدة، والتي تحتوي -على نوع أخص- صفاتهم ونسبة أحدهم إلى الآخر.

والجدال عن الأقانيم في اللاهوت ابتدأ في العصر الرسولي، وقد نشأ على الأكثر عن تعاليم **الفلاسفة الهيلانيين والغنوسطيين**، فإن ثيوفيلوس أسقف أنطاكية في القرن الثاني استعمل كلمة ثرياس باليونانية، ثم كان ترتليانوس أول من استعمل كلمة ترينيتاس المرادفة لها ومعناها الثالوث، وفي الأيام السابقة للمجمع النيقاوي حصل جدال مستمر في هذا التعليم، وعلى الخصوص في الشرق.

وحكمت الكنيسة على كثير من الآراء بأنها أراتيكية ومن جملتها آراء الأبيونيين الذين كانوا يعتقدون أن المسيح **إنسان محض**، والسابليين الذين كانوا يعتقدون أن الآب والابن والروح القدس إنما هي صورة مختلفة أعلن بها الله نفسه للناس، والآريوسيين الذين كانوا يعتقدون أن الابن ليس أزليا كالآب بل هو **مخلوق** منه قبل العالم ؛ ولذلك هو دون الأب وخاضع له، والمكدونيين الذين أنكروا كون الروح القدس أقنومًا.

وأما تعليم الكنيسة فقد قرره المجمع النيقاوي سنة 325 للميلاد، ومجمع القسطنطينية سنة 381 وقد حكما بأن الابن والروح القدس مساويان للآب في وحدة اللاهوت، وأن الابن قد ولد منذ الأزل من الآب، وأن الروح القدس منبثق من الآب، ومجمع طليطلة المنعقد سنة 589 حكم بأن الروح القدس منبثق من الابن أيضًا. وقد قبلت الكنيسة اللاتينية بأسرها هذه الزيادة وتمسكت بها، وأما الكنيسة اليونانية فمع أنها كانت -في أول الأمر- ساكتةً لا تقاوم، قد أقامت الحجة فيما بعد على تغيير القانون حاسبةً ذلك بدعةً.

وعبارة (ومن الابن أيضًا) لا تزال من جملة الموانع الكبرى للاتحاد بين الكنيسة اليونانية والكاثوليكية.

وكتب اللوثيريين والكنائس المصلحة أبقت تعليم الكنيسة الكاثوليكية للثالوث على ما كان عليه من دون تغيير، ولكن قد ضاد ذلك منذ القرن الثالث عشر جمهور كبير من اللاهوتيين وعدة طوائف جديدة كالسوسينيانيين والجرمانيين والموحدين والعموميين وغيرهم حاسبين ذلك **مضادًا للكتاب المقدس والعقل**.

....

وانتشار مذهب العقليين في الكنائس اللوثيرية والمصلحة أضعف مدةً من الزمان اعتقاد الثالوث بين عدد كبير من اللاهوتيين الجرمانيين.

وقد ذهب (كنت) إلى أن الآب والابن والروح القدس إنما تدل على ثلاث صفات أساسية في اللاهوت وهي القدرة والحكمة والمحبة، أو على ثلاثة فواعل عليا: وهي الخلق والحفظ والضبط، وقد حاول كل من هيجن وشلنغ أن يجعلا لتعليم الثالوث أساسًا تخيليا، وقد اقتدى بهما اللاهوتيون الجرمانيون المتأخرون، وحاولوا المحاماة عن تعليم الثالوث بطرق مبنية على أسس تخيلية ولاهوتية.

وبعض اللاهوتيين الذين **يعتمدون على الوحي** لا يتمسكون بتعليم استقامة الرأي الكنائسية بالتدقيق، كما هي مقررة في مجمعي نيقية والقسطنطينية المسكونين، وقد قام محامون كثيرون في الأيام المتأخرة لعضد آراء السابليين على الخصوص"[9].

إذن هو في هذه المادة يذكر:

1- أن لفظة ثالوث **لا توجد في الكتاب المقدس، ولا يمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعليم الثالوث**.

2- وأن الآيات التي استدل بها المحامون عن هذه العقيدة **قابلة لتفاسير مختلفة**، كانت **لا يؤتى بها كبرهان قاطع** على تعليم الثالوث، بل كرموز إلى الوحي الواضح الصريح.

3- وأن الجدل حول الثالوث قد بدأ مبكرًا، وقد نشأ على الأكثر **عن تعاليم الفلاسفة الهيلانيين والغنوسطيين**.

---

9 دائرة المعارف لبطرس البستاني- باب الثاء- ثالوث مج: 6 ص: 305 و306.

4- وأنه قد حصل قبل مجمع نيقية جدال كبير حول هذا الأمر وخاصة في الشرق.
5- وأن الكنيسة قد حكمت على كثير من الآراء بأنها أراتيكية (أي هرطقية منحرفة)، ومن جملتها:
أ- آراء الأبيونيين الذين كانوا يعتقدون أن المسيح **إنسان محض**.
ب- والسابليين الذين كانوا يعتقدون أن الآب والابن والروح القدس إنما هي صورة مختلفة أعلن بها الله نفسه للناس.
ج- والآريوسيين الذين كانوا يعتقدون أن الابن ليس أزليا كالآب، بل هو **مخلوق** منه قبل العالم؛ ولذلك هو دون الأب وخاضع له،
د- والمكدونيين الذين أنكروا كون الروح القدس أقنومًا.
6- وأن هذه العقيدة قد ضادها منذ القرن الثالث عشر جمهور كبير من اللاهوتيين وعدة طوائف جديدة كالسوسينيانيين والجرمانيين والموحدين والعموميين وغيرهم حاسبين ذلك مضادًا للكتاب المقدس والعقل.
وكذلك أضعف انتشار مذهب العقليين هذه العقيدة بين اللاهوتيين الجرمانيين.
7- وأن اللاهوتيين الجرمانيين المتأخرون، حاولوا المحاماة عن تعليم الثالوث بطرق مبنية على أسس تخيلية ولاهوتية.
8- وأن بعض اللاهوتيين الذين يعتمدون على الوحي لا يتمسكون بالتدقيق بتعليم الكنيسة، التي تصف نفسها بأنها (مستقيمة الرأي)، كما هي مقررة في مجمعي نيقية والقسطنطينية المسكونين.
وقبل أن أختم هذا التعريف الموجز عن بطرس البستاني أود أن أشير إلى الملاحظات التالية:
1- إن الإرسالية الأمريكية كان هدفها الأول هو التنصير كما نقلت عنها.
2- وكانت تعمل على إعادة الشعب اليهودي لفلسطين.
3- وكانت تعتبر التعليم وسيلة للتنصير، وليس غاية في حد ذاته كما نقلت عنها.
4- وكانت تعتبر ترجمة الكتاب المقدس وسيلة لتنصير المسلمين لتسهيل توطين اليهود في فلسطين، ولنصر الصليب على الهلال كما نقلت عنهم.
5- وكان بطرس البستاني منهمكًا معهم في التنصير، فمثلًا ينقل الدكتور عبد الرازق عبد الرازق عيسى عن (مذكرات كرنيليوس فان ديك ص: 276) أنه منذ عام 1851م كانت العناصر الوطنية -التي دربوها على التنصير- تساعدهم في التنصير في صيدا وضواحيها، ومنهم بطرس البستاني[10].
إذن فهو **منصر بروتستانتي**، يعمل للتنصير من خلال التعليم.
6- أما بالنسبة لأنشطته التعليمية فكانت ضمن أنشطة الإرسالية الأمريكية في الشام.
7- بل كانت مدارس الإرسالية الأمريكية تعمل في خدمة القوات البريطانية، فبعد وصول القوات البريطانية لبيروت عام 1840م أغلقت المدرسة الأمريكية العليا للبنين ببيروت التابعة للإرسالية الأمريكية، لأن القوات الإنجليزية احتاجت لمترجمين للعمل معهم، ولم يكن هناك من هو مؤهل لهذا سوى طلاب هذه المدرسة[11].
8- كان بطرس البستاني يزعم انتماءه للدولة العثمانية، ويعتبر نفسه مواطنًا عثمانيًا، بينما كانت الوطنية في كتاباته تعني الانتماء لأرض الشام، أي تهدف لقطع جزء من الدولة العثمانية عنها.
9- كان بطرس البستاني يدعو للعلمانية، بينما كان منصرًا يعمل بهمة مع الإرسالية التنصيرية الأمريكية.
10- وكان يزعم محاربة الطائفية والتفرقة بين الأديان، بينما كان ناشطًا بكليته في التنصير للمذهب البروتستانتي بين الطوائف النصرانية الأخرى وبين المسلمين.

10 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 91.
11 التنصير الأمريكي في بلاد الشام ص: 143 و144.

11- وكان يدعو للألفة بين السكان على اختلاف مذاهبهم، بينما كان ركنًا أساسيًا في الإرسالية الأمريكية، التي كانت تهجم على الإسلام وتنتقده، كما نقلت بعض أمثلة على ذلك.

ثم أليس الأتراك من السكان أيضًا، فلماذا كان يسعى للانفصال عنهم، هل الأمريكان أقرب له من الأتراك الذين يشاركونه في نفس الوطن من قرون؟

إذن فأستطيع أن أستنتج أن بطرس البستاني كان عاملًا نشيطًا في المشروع التنصيري الأمريكي، الذي كان يهدف إلى:

1- هدم الدولة العثمانية، وفصل الشام عنها.

2- محاربة الشريعة الإسلامية وإقصائها عن الحكم.

3- خدمة المصالح البريطانية.

4- التمهيد لإنشاء إسرائيل.

***

أرجو أن أكون قد وفقت لأن أقدم موجزًا عن الخلفية السياسية للترجمة البروتستانتية للكتاب المقدس لدى النصارى، التي قامت بها الإرسالية الأمريكية في الشام، وأن أكون قد وفقت لأن أوضح؛ أن هذه الترجمة جاءت ضمن مشروع أمريكي تنصيري يهدف لتفتيت العالم الإسلامي عبر هدم الدولة العثمانية وإثارة النزعات القومية، تمهيدًا للاستيلاء على ثروات هذا العالم ولإنشاء إسرائيل.

وأن أبين أن الأمريكان منذ بداية القرن التاسع عشر سعوا للتسلل للمنطقة العربية عبر عدة وسائل، كان من أهمها التنصير، وأنهم -في ذلك الوقت- لم يتمكنوا من أن يؤسسوا لنفوذهم في المنطقة نظرًا لوجود الدولة العثمانية، وكذلك لقوة النفوذين البريطاني والفرنسي في المنطقة، ولكنهم تمكنوا بعد الحرب العالمية الثانية -التي أنهكت أوربا عامة وبريطانيا وفرنسا خاصة- من أن يدخلوا للمنطقة باعتبارهم القوة العالمية الكبرى، وأن يدعموا إسرائيل دعمًا جبارًا.

إذن هذه هي الظروف التي نشأت فيها -ومن أجلها- أهم ترجمتين عربيتين للكتاب المقدس لدى النصارى: اليسوعية والبروتستانتية.

***

الفقرة الثانية:

عبارة التقليد أو التقاليد

كثيرًا ما يجد القارئ في شروح الأسفار التي يقدسها النصارى كلمة (التقليد) أو (التقاليد)، وهي عبارة خطيرة ذات أثر عقدي في عقيدة أغلب النصارى، وذات أثر سياسي في تتبع الفساد السياسي الذي أنتج الدولة الوطنية الحديثة، ولذا رأيت أن أوضحها بإيجاز.

وسأقسم الكلام فيه إلى:

أ- تعريف التقليد

ب- تقسيم النصارى حسب قبولهم أو رفضهم للتقليد

ج- تناقض معتقدي التقليد ومنكريه

د- خاتمة

***

أ- تعريف التقليد

تعني كلمة (التقليد أو التقاليد): العقائد والتعاليم والممارسات والشعائر والتفاسير، التي تتناقلها الكنائس والطوائف النصرانية من غير الأسفار المقدسة، نقلًا عن (آباء الكنيسة) وفهمهم وممارساتهم.

وكثيرًا ما تعد أقوى حجةً من النصوص التي يقدسها النصارى.

ويصفها ارنست ويليايم بنز[1] ومارتين إي مارتي[2] في الموسوعة البريطانية بأنها:

"تضم كل جوانب الحياة في المجتمع المسيحي، وتقواه، وليست فقط التعاليم، ولكن أيضًا الممارسات العبادية، والإيماءات الجسدية في الصلاة والشعائر، والتقاليد الشفوية والتحريرية، والعملية المعينة في نقل التقليد الشفوي للتحريري، وتقليد الكنيسة الجديد في قواعد الأكل والصيام، وجوانب الحياة المسيحية الأخرى.

....

وأهم ما أنتجه التقليد المسيحي هو الكتابات المقدسة نفسها، وثانيًا: تفسيرها (ترجماتها وشروحها)"[3].

---

1 أستاذ التاريخ المسيحي بجامعة فيليبس بملبرج بألمانيا الغربية.

2 أستاذ سابق بمدرسة اللاهوت بجامعة شيكاغو.

3 النص الأصلي هو:

"Tradition, however, includes all areas of life of the Christian community and its piety, not just the teachings but also the forms of worship service, bodily gestures of prayer and the liturgy, oral and written tradition and the characteristic process of transition of the oral into written tradition, a new church tradition of rules for eating and fasting, and other aspects of the Christian life.

....

ويصفه بطرس البستاني بأنه: "وأما التقليد عن النصارى واليهود (Tradition) فهو ما تسلموه وتداولوه خلفًا عن سلف جيلًا بعد جيل من العقائد وشعائر الديانة مشافهة مما لم يدون في كتبهم المنزلة".

***

ب- تقسيم النصارى حسب قبولهم أو رفضهم للتقليد

ينقسم النصارى من حيث قبول التقليد وعدمه، إلى قسمين:

القسم الأول: وهو معظم النصارى من الكاثوليك والأرثوذكس، فهؤلاء يقبلون التقليد، ويعتبرونه كلمة الله غير المكتتبة في الكتب المقدسة، فهو فقه لها وشرح لمتنها[4].

بل إن الأرثوذكس يعتبرون كتبهم المقدسة جزءًا من التقليد، وعندهم أن التقليد يشمل: أسفار الكتاب المقدس، ودستور الإيمان؛ وهو العقيدة التي يزعم آباء الكنيسة أنها نقلت لهم من رسل المسيح قبل المجامع المسكونية، وكتابات آباء الكنيسة، وقرارات المجامع المسكونية، والقوانين الكنسية، وكتب الطقوس والعبادات، والأيقونات، وكل ما عبرت عنه الكنيسة -عبر تاريخها- من عقيدة وتنظيم كنسي وعبادة وفهم[5].

ويقول الأب متى المسكين الأرثوذكسي المصري:

"والتقليد في الكنيسة الأرثوذكسية ليس جزءًا من تعاليم الكنيسة أو صورة من صور حياتها، بل هو كل الكنيسة وكل حياتها. فهو يشمل إيمانها، وتفسيرها للكلمة، وفكرها، ولاهوتها، وروحياتها، وأسرارها، وطقوسها، وقديسيها".

ويضيف أيضًا: "فالإنجيل المكتوب هو الجزء المدوَّن من التقليد.

أما التقليد كله فهو ما كُتب في الإنجيل، وما احتفظته الكنيسة من التعاليم والفرائض"[6].

وهذه التقاليد منها ما ينسبونه للسيد المسيح -عليه السلام- ولحوارييه رضي الله عنهم، ومنها ما ينسبونها لآباء الكنيسة وتفسيراتها، فأما الأولى فلا أسانيد لها، ولا أصول مكتوبة، وأما الثانية فلا حجية لها إلا ما يزعمونه من عصمة البابا عند الكاثوليك ومن إلهام الروح القدس لآباء الكنيسة عند غيرهم، وهي حجة تحتاج إلى حجة، وكلا القسمين ما هو إلا ميراث تتداوله كل كنيسة على حدة، ولذلك وقعت بينهم خلافات كثيرة في كل جوانب العقيدة.

بل وقعت الخلافات في الكنيسة الواحدة، مثل الخلاف بين الكنيسة الإثيوبية والمصرية على عدد الأسفار المقدسة مع أنهم كانوا كنيسة واحدة حتى عام 1959م، فالكنيسة الحبشية يتكون كتابها المقدس من واحد وثمانين سفرًا، بينما الكنيسة المصرية يحتوي كتابها المقدس على ثلاثة وسبعين سفرًا، كما أنهم يختلفون في طقس (القربان المقدس)، فبينما تعتقد الكنيسة المصرية أن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد ودم سيدنا المسيح عليه السلام، تنكر الكنيسة الإثيوبية ذلك، وكذلك يختلفون في الختان، فبينما يختتن الإثيوبيون لا يختتن المصريون[7]، كذلك يقدس الإثيوبيون السبت، ويحرمون أطعمة معينة موافقة لليهود[8]، فهذه خلافات في الكنيسة الواحدة، التي يزعم كلًا منها الاعتماد على التقليد.

ثم هذا الذي يسمونه تقليدًا، تستدل كل طائفة منهم به على مخالفتها، ففي أشهر الخلافات التي حدثت داخل الكنيسة في القرن الرابع الميلادي، وهو الخلاف حول عقيدة آريوس، بين الكنيسة البولسية المثلثة وبين آريوس وأتباعه، الذين شكلوا

The most important creation of church tradition is that of the Holy Scriptures themselves and, secondarily, their exegesis (critical interpretations and explanations)". [Encyclopædia Britannica, Christianity: Church tradition & Scriptural traditions].

4 دائرة المعارف لبطرس البستاني- باب التاء- تقليد ج: 6 ص: 182.

5 الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم- الفصل الثاني: الانشقاق المسيحي الكبير- أولًا: الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية ص: 50.

6 التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي ص: 7 و9.

7 Microsoft Encarta 2009, The Abyssinian Church.

الكنيسة الأرثوذكسية المصرية ترى أن الختان جائز كعادة للنظافة، وليس كعبادة، ولكنها تتناقض فتحرمه بشدة بعد التعميد.

8 تاريخ المسيحية الشرقية ص: 192.

أغلب النصارى في القرن الرابع الميلادي، الذين أعلنوا أن المسيح -عليه السلام- مخلوق وليس بإله، في هذا الخلاف استدل كل طرف بما أسموه تقليدًا.

فمتى المسكين يهاجم أتباع آريوس لأنهم خالفوا التقليد، الذي مثله (قانون الإيمان الرسولي)، الذي يزعم أتباع الكنيسة البولسية: أنهم تلقوه بالمشافهة عن رسل المسيح عليه السلام، فكتب:

"ولكن كل الذين انحازوا إلى آريوس علنًا أو خفية كان تمسكهم منصبًا على الأسفار المقدسة فقط ولم يأخذوا بالتقليد الرسولي (قانون الحق) كما استلموه من الرسل. فأثبتوا بذلك أنهم خائنون للوديعة المقدسة، خائنون لليد الرسولية، خائنون لأسقفياتهم! وأنهم ضلوا الطريق وتاهوا في مجاهل الهراطقة وأنكروا لاهوت المسيح!! أما ألكسندروس بابا الإسكندرية فهتف أمام المجمع: "إن العقيدة الرسولية نحن نموت من أجلها"."[9].

وفي المقابل فقد احتج آريوس على ألكسندروس بابا الإسكندرية بالتقليد أيضًا، فجاء في رسالته له، التي نقلها الأستاذ فاضل سليمان عن كتاب إبيفانيوس (ضد كل الهرطقات- Refutation of All Heresies): "عقيدتنا التي تعلمناها من الآباء ومنك أيها الأب المبارك هي: أننا نشهد بإله واحد، هو وحده لم يولد، وهو وحده الأول، وهو وحده الباقي، وهو وحده بلا بداية، وهو وحده الحق، وهو وحده الخالد الذي لا يموت، وهو وحده الحكيم، وهو وحده بيده الخير، وهو وحده الملك، الحكم، الحاكم، رازق كل شيء، الذي لا يتحول ولا يتبدل، عادل وخير الذي أنجب الابن الوحيد المولود قبل الزمان، ومن خلاله خلق كل المخلوقات، جعله باقيًا بمشيئته لا يتغير لا يتبدل، مخلوق كامل خلقه الله ليس كأي مخلوقاته"[10].

***

وبالنسبة لمن ينسبون لهم التقليد، وهم رسل المسيح -عليه السلام- وآباء الكنيسة ومجامعها، فأود -في إيجاز- أن أوضح الأمور التالية:

(1) فأما الرسل فقد نقلت عنهم الكنيسة -في كتابها الذي تقدسه- أنهم اختلفوا اختلافًا شديدًا، ووصفوا بعضهم بأوصاف شديدة، مثل أوصاف بولس لما أسماهم حزب الختان، ومثل خلاف برنابا وبولس، وخلاف بولس مع كنيسة أورشليم، برغم أن راويه في سفر أعمال الرسل هو -حسب التقليد- لوقا تلميذ بولس، ولكنه لم يستطع إخفاء الخلاف.

بل وصف بولس الذين يبشرون بإنجيل غير إنجيله بأنهم كذبة، يريدون أن يغيروا إنجيل المسيح، كما سيأتي إن شاء الله.

فإن كان بولس صادقًا وجب عدم الأخذ عن مخالفيه، وإن لم يكن صادقًا وجب ترك أقواله.

***

(2) وأما (آباء الكنيسة):

(أ) فمنهم من اعتبرته الكنيسة مهرطقًا أو ملوثًا بآراء وثنية.

فالآباء الأوائل الشرقيون للكنيسة بما فيهم: يوستينوس الشهيد وأكليمندس السكندري وأوريجان كانوا متأثرين تأثرًا قويًا بالفلسفة اليونانية[11].

[1] فمثلًا **يوستينوس** (100 أو 105م- 165م) الذي يلقبونه بـ(القديس يوستينوس الشهيد)، يعتبرونه حاملًا لآراء **وثنية** في المسيح.

---

9 التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي ص: 137.

10 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 63.

ويتشكك الأستاذ فاضل سليمان في هذا الخطاب بسبب عبارة: " أنجب الابن الوحيد المولود قبل الزمان". التي تخالف عقيدة آريوس، ويرى أنها ربما أضيفت من خصومه. ولكنه حجة على خصوم آريوس في أنه يحتج بالتقليد أيضًا مثلهم.

11 Microsoft Encarta 2009, Fathers of the Church.

فقد كتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري عنه:

"ومع أن يوستينوس يعتبر من لاهوتي القرن الثاني العظام، ومن الرجال الأتقياء المتعمقين في الدرس والبحث والمعرفة، ومن الذين أيضًا بدرسهم وتعمقهم استطاعوا أن يدافعوا بكتاباتهم وعظاتهم وحياتهم عن الحق الإلهي، إلا أن البعض من تعاليمه قد تعرضت للنقد لأنه بالرغم من دراساته العميقة ومعرفته الواسعة بالكتاب المقدس، فإن التعاليم الأفلاطونية تركت تأثيرًا عميقًا عليه لم يكن من السهل محوه. بل إن الدارس المدقق لكتاباته الدفاعية والحوار يشتم في بعض الأحيان رائحة **وثنية** في تعليمه عن اللوجوس[12] وطريقة الانبثاق، فإن خروج اللوجوس من الآب يشبه إلى حد ما خروج اللوجوس (بعض الأرواح) من الإله العظيم في المفهوم الوثني الغنوسي[13]، كما أن يوستينوس يعتقد بأن الابن أدنى من الآب، وأن الروح القدس أقل من الابن، فقد كتب يقول: "إن الله اللوجوس هو إله وسيد أقل من الله الخالق للكون". وعندما يتكلم عن الثالوث يضع الله السامي في المرتبة الأولى والمسيح في المرتبة الثانية والروح القدس في المرتبة الثالثة (دفاع 1: 13، 3: 4).

مما لا شك فيه أن الدراسات الفلسفية الكثيرة التي درسها القديس يوستينوس قبل تجديده[14]، تركت في تعاليمه بعض الآثار **الوثنية**، على أن هذا لا يقلل من عظمة الرجل الذي عاش ومات من أجل المسيح"[15].

ولا يقتصر الأمر على بعض الآثار الوثنية، بل -في الحقيقة- إن يوستينوس قد حاول أن يوفق ما بين العقيدة النصرانية والثقافة **الوثنية**[16].

فقد كتب يوستينوس مخاطبًا الوثنيين، ومبينًا لهم أن المسيحية لا تختلف عن عقائدهم الوثنية:

"عندما نؤكد أن الكلمة معلمنا يسوع المسيح الذي هو المولود الأول لله ولم تكن هذه الولادة نتيجة لعلاقة جنسية، وأنه صُلِب ومات وقام من الأموات وصعد إلى السماء، فإننا في ذلك لا ندعي شيًا جديدًا أو مختلفًا عما تقولونه عن المدعوين أبناء زيوس"[17].

[2] أما **أكليمندس** الأسكندري فكان أشد إيغالًا من يوستينوس في إحسان الظن بالفكر الوثني، فقد جعله كالعهد القديم مهيئًا لمجيء سيدنا المسيح عليه السلام، وعن عقائده كتب القس الدكتور حنا جرجس الخضري:

"والدارس لتاريخ العقائد يلاحظ بلا عناء التشابه الكبير بين الشهيد يوستينوس والمعلم أكليمندس في أشياء كثيرة، وبنوع خاص موقفهما من العلوم والفلسفات **الوثنية**، فإن كان يوستينوس يؤمن بوجود بذور اللوجوس في تعاليم وفلسفات اليونان، فإن معلم الأسكندرية يذهب في هذا المجال مذهبًا أبعد من ذلك. فلقد قارن فلسفة اليونان بالعهد القديم نفسه عندما كانت تعد البشرية لمجيئ المسيح"[18].

ويضيف أيضًا: "إن المحاولة التي قام بها أكليمندس في التوفيق بين ما يسميه الغنوسية الحقيقية والإيمان، سببت له بعض المشاكل العقائدية إذ أنه تطرف في بعض الأحيان في تعاليمه عن الغنوسية. ومما لا شك فيه أن العلوم والفلسفات **الوثنية** الكثيرة

---

12 اصطلاح فلسفي يقصد به السبب الأول الإلهي الآمر للكون، وفي اللاهوت النصراني قصروه على (الكلمة) المنبثقة عن الله سبحانه، ويقصدون بها سيدنا المسيح عليه السلام.

[Microsoft Encarta 2009, Logos (philosophy and religion) & Encyclopædia Britannica, logos].

13 الغنوصية اعتقاد ثنوي (يؤمن بإلهين للكون: إله للعالم السفلي، وإله متسام)، ويؤمنون بأن الخلاص يتحقق بمعرفة خاصة سرية تكشف للناس أصولهم الروحية وحقائقهم ومصائرهم. [Encyclopædia Britannica, Clement of Alexandria, Saint].

وتعتقد طائفة منهم أن سيدنا المسيح -عليه السلام- كان كائنًا روحيًا، ظهر في شبه جسد.

14 يقصد: تنصره.

15 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 3 ص: 452 و453.

16 Microsoft Encarta 2009, Saint Justin Martyr.

17 النصوص المسيحية في العصور الأولى- القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد- الدفاعان والحوار مع تريفو ونصوص أخرى- الدفاع الأول- الفصل الحادي والعشرون ص: 49.

18 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ص: 503.

التي درسها والبيئة التي نشأ فيها أكليمندس، تركت أثرًا عميقًا لم يكن من السهل محوه محوًا تامًا. والدارس لكتابات اللاهوتي المصري يلاحظ بعضًا من هذا التأثير الغنوسي في تعاليمه"[19].

وأضاف أيضًا: "ومما لا شك فيه أن أكليمندس المسيحي المتجدد في الأسكندرية كان يحتفظ في داخله بجزء من أكليمندس الفيلسوف اليوناني الذي درس الفلسفات اليونانية **الوثنية** بمذاهبها المختلفة المتنوعة"[20].

ويقول لينوود فِردِريكسن: أن أسقف الأسكندرية ديمتريوس كان ينكر آراءه، وقد عدت الكنيسة اليونانية بعض آرائه قريبة جدًا من آراء أوريجان، ولذا عدتها مهرطقة، بينما عدته الكنيسة اللاتينية قديسًا[21].

ورغم تأثره بالفلسفة اليونانية الوثنية، ورغم اختلاطها بتعاليمه، إلا أن النصارى يعتبرونه من القديسين والآباء الأوائل، فيقول عنه القمص تادرس يعقوب ملطي:

"لقد كان القديس إكليمنضس السكندري فيلسوفًا ولم يخلع ثوب الفلاسفة حتى بعد استلامه مدرسة الإسكندرية المسيحية، لكن الفلسفة لم تكون عائقًا له عن إيمانه، إنّما رآها طريقًا يعلن خلاله عن الإيمان بين الفلاسفة"[22].

ومن آراء أكليمندس الملفتة للانتباه رأيه عن آلام سيدنا المسيح عليه السلام، فهو يرى -تأثرًا بالفلسفة الرواقية- أن سيدنا المسيح كان فوق الألم والمؤثرات الحسية، فلم يكن للعطش أو الجوع أو الآلام أي سلطان عليه، لأن القوة الإلهية قد حلت فيه محل هذه الدوافع[23].

وكان هذا محاولة منه للخروج من التناقض الذي وقعت فيه النصرانية البولسية بقولها بالتثليث وتأليه سيدنا المسيح عليه السلام، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فنشأت مشكلة لاهوتية عويصة؛ كيف يتألم الإله ويجوع ويعطش ويقضي حاجته؟

وهذه المشكلة لا تزال موجودة حتى اليوم حتى داخل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، فرغم أنها تزعم أنها الكنيسة الجامعة، وأنها الحافظة للتقليد الذي ورثته الكنيسة عن رسل المسيح عليه السلام، ففي داخلها خلافات خطيرة، منها الخلاف حول من تألم على الصليب؟ الجسد البشري أم الله سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا.

ويتبنى الأب متى المسكين[24] قولًا قريبًا من قول أكليمندس السكندري، فيرى أن الإله انفصل عن جسد المسيح وقت الصلب، فكتب عن ذلك:

---

19 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ص: 507.

20 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ص: 512.

21 Encyclopædia Britannica, Clement of Alexandria, Saint.

22 من تفسير وتأملات الآباء الأولين- الإنجيل بحسب القديس متى ص: 304.

23 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ص: 510.

24 متى المسكين: اسمه يوسف اسكندر، وهوصيدلي، كان يمتلك صيدلية بدمنهور، انقطع للرهبنة في دير أبي مقّار قرب الإسكندرية. [الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة- الأرثوذكس ج: 2 ص: 589].

وقيل إنه كان شيوعيًا، ثم انتمى لجماعة (الأمة القبطية) المتشددة، التي خطفت البابا يوساب الثاني، وقيل إنه شارك في العملية مع بعض تلاميذه.

وتتلمذ متى المسكين على يد عازر يوسف عطا (البابا كيرلس السادس)، ثم تتلمذ على يد متى المسكين نظير جيد (البابا شنودة الثالث).

ثم اختلف متى المسكين مع شنودة خلافًا شديدًا خرج للعلن، وكان من مظاهره كتاب متى المسكين (الكنيسة والدولة)، الذي قال عنه شنودة "لم يحدث أن أحدًا حارب الكنيسة مثلما حاربها هذا الكتاب".

وقيل أنه كانت بين متى المسكين وشنودة خلافات عقائدية مثل: تشكيك متى المسكين في بعض أجزاء إنجيل مرقس، ومثل قول متى المسكين: لأن الأب انفصل عن جسد المسيح عند صلبه، وكذلك حول تأليه الإنسان، وعقيدة الكفارة والمبادلة الخلاصية، والنقد الكتابي، ودور الأعمال الصالحة في نوال الخلاص، ومفهوم الوحدة مع الكنائس الأخرى، وغيرها.

وهي من الأمور التي اعتبرها شنودة وأتباعه هرطقة وكفرًا.

وقيل إن البابا تاوضرس الثاني من تلاميذ متى المسكين، وكذلك رئيس دير أبي مقار الأنبا أبيفانيوس، الذي قتل في الدير في أغسطس عام 2018، واتهمت النيابة الراهب أشعياء المقاري -الذي وصف بأنه من مدرسة شنودة- بقتله، وذكرت التحريات أن من دوافع القتل: الاختلاف العقدي، والنزاع حول توزيع التبرعات.

"هناك علاقة جوهرية بين الظلمة التي حدثت على الأرض، وبين صرخة المسيح للآب **لماذا تركتني**، فهي حدث واحد يصعب الحديث المطول فيه ولكن باختصار نقول: إن المسيح قادم لتقبل الموت، وفي العادة، ولكل إنسان، الذي يقبض روح الذي يموت هو الشيطان، ولكن في المسيح فلا، ولا يمكن، فمعروف أنه استودعها في يد الآب وليس بين يدي الشيطان. ولكن **السؤال اللاهوتي الخطير**: كيف يموت الابن؟ لأن المُحقَّق أن "الابن مات بالجسد" ولكن هذا لا يعني أن الجسد مائت واللاهوت في مسرة الاتحاد الجوهري متمتع! إذن لا بد أن الابن "يعاني موت الجسد" باعتباره واحدًا مع جسده. هنا **الصعوبة والاستحالة** تأتي من الاتصال الجوهري بحياة الآب، فأي موت للابن حتى بالجسد يطال الاتصال بين الآب والابن. إذن هنا يتحتم لكي يموت الابن بالجسد أن **يترك الآب الابن المتجسد** حتى يموت وإلا استحال الموت على الابن بالجسد"[25].

وهذا القول يعد هرطقة عند بابا الكنيسة القبطية الأرثوذكسية؛ شنودة الثالث، فهذان خلطان عقائديان وتخبطان في كنيسة واحدة تدعي أنها تتبع نفس التقليد.

وهذا التخبط منشؤه تأليههم للسيد المسيح عليه السلام، وهو الأمر الذي وبخهم عليه القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (74) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[26].

[3] أما **أوريجان**، فكان يعاديه ديمتريوس أسقف الأسكندرية، ولما رسم شيخًا كنسيًا في قيصرية بفلسطين أصدر ديمتريوس استنكارًا سنودسيًا[27]، ولكن هذا الاستنكار لم يقبل في اليونان وفلسطين، ولذلك عاش أوريجان في قيصرية بفلسطين، والتف حوله عدد من التلاميذ من أشهرهم القديس جريجوريوس، الذي صار أسقفًا لقيصرية الجديدة[28].

وكان يرى استحالة اتحاد الطبيعة الإلهية بجسد بشري، ولكن الكلمة (اللوجوس) -في زعمه- اتحدت بجسد سيدنا المسيح عليه السلام- عن طريق روح بشرية مخلوقة منذ الأزل[29].

وكان يرى أن الابن أقل درجة في المكانة والمجد من الآب، وهو ما تخالفه الكنيسة الأرثوذكسية الحالية، كما أنه كان يعتقد بالوجود السابق للأرواح، وهو ما تخالفه الكنائس[30].

وكتب ول ديورانت عن أوريجان:

"وفي كتابه الشذرات Stromateis أخذ على عاتقه أن يثبت جميع العقائد المسيحية بالرجوع إلى كتابة الفلاسفة الوثنيين. وأراد أن يخفف عن نفسه عبء هذا الواجب الثقيل فاستعان بالطريقة الرمزية الاستعارية التي استطاع بها الفلاسفة الوثنيون أن يوفّقوا بين أقوال هومر وبين ما يقبله العقل المنطقي، والتي وفق فيلون بين اليهودية والفلسفة اليونانية.

ومن أقوال أرجن في هذا المعنى أن من وراء المعنى الحرفي لعبارات الكتاب المقدس طبقتين من المعاني أكثر منه عمقاً - هما المعنى الخلقي والمعنى الروحي - لا تصل إليهما إلا الأقلية الباطنية المتعلمة. وكان يرتاب في صحة ما ورد في سفر التكوين إذا فهم بمعناه الحرفي؛ ويفسر ما كان يلقاه بنو إسرائيل من يهوه من معاملة غير طيبة أحياناً بأن ما وصفت به هذه المعاملة إنما هو

---

25 الإنجيل بحسب القديس متى ص: 821.

26 سورة النساء، آية: 72 إلى 76.

27 أي صادر عن اجتماع كنسي.

كذلك أصدر ثوفيلس أسقف الأسكندرية واثناسيوس بابا رومية في عام 400 أو 401م قرارين بحرمان أوريجان. [تاريخ الأمة القبطية مج: 1 ص: 325].

28 Encyclopædia Britannica, Origen.

29 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 6 ص: 553 و554، وراجع أيضًا: تجسُّد الابن الوحيد ص: 30 و31.

30 Microsoft Encarta, Origen.

رموز؛ وقال إن القصص الواردة في الكتاب المقدس والتي تقول إن الشيطان صعد بعيسى إلى جبل عالٍ وعرض عليه ملكوت الأرض ليست إلا أساطير. ويضيف إلى ذلك إن هذه القصص قد اخترعت في بعضٍ لكي توضح بعض الحقائق الروحية.

وإذا ما واصل أرجن أقواله اتضح لقارئه أنه رواقي، وفيثاغوري حديث، وأفلاطوني حديث؛ وأدري، وأنه مع هذا كله مُصرٌ على أن يكون مسيحياً. ولو أننا طلبنا إلى رجل مثله أن يترك الدين الذي نشر فيه ألف كتاب وتخلى من أجله عن رجولته لكلفناه ضد طباعه. ولقد درس أرجن، كما درس أفلوطينس على أمونيوس سكاس Ammonius Saccas وإنا ليصعب علينا أحياناً أن نفرق بين فلسفته وفلسفتها. فالله عند أرجن ليس هو يهوه، بل هو الجوهر الأول لجميع الأشياء. وليس المسيح هو الإنسان الآدمي الذي يصفه العهد الجديد، بل هو العقل الذي ينظم العالم؛ وهو بهذا الوصف **خلقه الله الآب**، وجعله خاضعاً له"[31].

وأفلوطينس وأمونيوس سكاس كلاهما فيلسوفان وثنيان، وهما مؤسسا الأفلاطونية الحديثة، بل كان أمونيوس مسيحيًا، ولكنه ارتد إلى الوثنية، كما سيأتي إن شاء الله[32].

[4] **ترتليانوس**

يعد ترتليانوس في نظر المسيحيين من أكبر المدافعين عن عقيدة النصارى البولسية في القرن الثاني الميلادي، وقد كتب عنه الدكتور القس حنا جرجس الخضري:

أن أفريقيا "ولدت أبطالًا في الإيمان أصبحوا كالنجوم اللامعة في سمائها الزرقاء الصافية، فبشروا شعبها بالإنجيل وعلموه الإيمان الصحيح الذي تسلموه من خدام الرب الأمناء. ومن بين هذه النجوم الأفريقية اللامعة ترتليانوس وكيبريانوس، وأغسطينوس وآخرون.

....

وعلى ما يظن أن ترتليانوس رجع بعد تجديده[33] إلى وطنه قارطجنة ليخدم سيده هناك. ومع أنه لا يذكر في كتاباته أنه رسم كاهنًا إلا أن جيروم يؤكد هذا الأمر.

وقد احتل هذا الكاهن المحامي مكانة عظيمة جدًا في التعليم والتهذيب والإرشاد. إذ قد أسند إليه عند عودته إلى مسقط رأسه (التعليم المسيحي) أي الاهتمام بتعليم المسيحيين وغير المسيحيين الحقائق والعقائد المسيحية"[34].

وكان ترتليانوس متشددًا في التمسك بالتقليد الكنسي، الذي تستند إليه الكثير من الشعائر التي تمارسها الكنيسة، وليس لها سند في الأسفار المقدسة، لأن ممارسة الشعائر -في رأيه- لا تحتاج لدليل من الكتب المقدسة.

وكان يجادل؛ بأنه لو كان الكتاب المقدس هو السلطة الوحيدة لتحديد الحقيقة المقدسة، ولو كان الفهم الشخصي هو المفتاح الوحيد هو للتفسير الصحيح له، لكانت الكنيسة ستقف عاجزة عن الدفاع عن عقائدها أمام التفسيرات الثيوصوفية لفرق الغنوصيين.

وكتب ترتليانوس رسالة تتناول هذه المشكلة أكد فيها أن هناك قاعدة للإيمان موروثة من الرسل حول عقيدة الكنيسة عن المسيح وتجسد كلمة الله فيه، وصلبه وقيامه من الأموات، بينما يزعم الغنوصيون أنهم يفسرون فقط النص المقدس.

وأن الكنيسة المستقيمة الرأي لا تتوافق مع النص المقدس بل مع قاعدة الإيمان الرسولية، السائدة والمجمع عليها.

ويشغب على تأكيده هذا ما ورد في الكتاب المقدس للنصارى عن الخلاف بين بولس وتلاميذ المسيح.

---

31 قصة الحضارة ج: 11 ص: 310 و311.

32 الأمر الملاحظ والملفت للانتباه؛ أن الدكتور القس حنا جرجس الخضري لم يشر في ترجمتي أكليمندس وأوريجان إلى تأثرهما بأمونيوس وأفلوطين الوثنيين مؤسسي الأفلاطونية الحديثة، ولا إلى تتلمذ أوريجان عليهما!!!

فهل كان يحاول إخفاء مدى تغلغل الفلسفة اليونانية الوثنية في اللاهوت المسيحي؟

33 أي تعميده وتحوله لمسيحي.

34 تاريخ الفكر المسيحي ص: 514 إلى 517.

وكان ترتليانوس يرى أن الغنوصيون -لكونهم خارج الكنيسة- لا يحق لهم أن يقتبسوا أو يفسروا الكتاب المقدس، لأنه **كتاب الكنيسة**[35].

ورغم هذا التشدد في التمسك بالتقليد الكنسي -الذي لا يستند لأدلة كتابية- فقد اختلف ترتليانوس مع الكنيسة وانشق عنها لسببين رئيسيين:

الأول: أنه اعتنق عقيدة المونتانيين، التي تؤمن باستمرار الوحي من الروح القدس، الذي من حقه أن يعدل في النص المقدس، وكذلك تختلف مع الكنيسة في أمور أساسية؛ منها إنكار حق الكنيسة في غفران الذنوب[36].

والسبب الثاني: أنه كان يرى أن الكلمة وإن كانت أزلية كفكرة مع الآب، إلا أن الابن لما انبثق من الآب لم يكن أزليًا، وكان متأثرًا أيضًا بعقيدة التابعية، التي ترى أن الابن أقل درجة من الآب[37].

وهذا مخالف لعقيدة مجمع نيقية الأول.

وهذا مثال واضح على أن ما يسمى بالتقليد الكنسي ليس أمرًا محددًا، ولم يعصم الكنيسة من الشقاق، لأنه في الحقيقة هو ما يعتقده رهبان وقسس كل كنيسة على حدة، دون أي دليل من كتاب، حتى ولو كان محرفًا.

(ب) ومن هؤلاء الآباء من تعتبره الكنائس الحالية نصف مهرطق.

فمثلًا يوسابيوس القيصري الذي يعتبرونه أبا التاريخ الكنسي، والذي ينقلون عنه أخبار الآباء الأولين وأخبار مجمع نيقية، يعترفون بأنه كان متعاطفًا مع آريوس، ولم يكن يرى رأي أثناسيوس، ولا يعتقد بعقيدة مجمع نيقية.

وكتب عنه جون كلي[38]: بأنه كان- كأكثر رجال الكنيسة في ذلك الوقت- يتخذون موقفًا وسطًا بين أثناسيوس وآريوس، ويتشككون في عقيدة مجمع نيقية[39].

وكتب عنه القمص مرقس داود في مقدمة ترجمته العربية لكتابه (تاريخ الكنيسة)، وهي الترجمة المعتمدة من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المصرية:

"فإنه لما ظهرت بدعة آريوس في الأسكندرية حوالي سنة 318م، وجدت لها بعض المؤيدين في الشرق، وكان على رأس هؤلاء المؤيدين يوسابيوس أسقف نيقوميديا الذي كان رفيقًا لآريوس في التلمذة على لوسيان المعلم في أنطاكية، والذي نادى بأن الابن مخلوق، وأنه ليس مساويًا للآب في الأزلية.

وكان يوسابيوس أسقف قيصرية (مؤلف هذا الكتاب) معاصرًا ليوسابيوس أسقف نيقوميديا، ومعاصرًا لآريوس نفسه. ومع أنه لم يكن مؤيدًا لآراء آريوس مثل سميه يوسابيوس النيقوميدي، إلا أنه في حقيقته كان يعرج بين الآريوسية وبين التعاليم المستقيمة، بل كان أكثر ميلًا إلى الآريوسية"[40].

(ج) بل من هؤلاء الذين تمجدهم الكنائس الحالية (الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية) من لعن بعضهم بعضًا، بل وأصدر بعضهم ضد بعض قرارات الحرمان.

---

35 The Church in Ancient Society p: 119 & 120.

تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ص: 521.

36 The Church in Ancient Society p: 121 & 122 & The early Church p: 52 & 53.

37 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ص: 524 إلى 530.

38 مدير قاعة إدموند بأكسفورد، والمحاضر في الدراسات البتريستية بجامعة أكسفورد.

39 Encyclopædia Britannica, patristic literature, The Nicene Fathers..

40 تاريخ الكنيسة ص: 5 و6.

[1] فمن أمثلتهم القديس هيبوليتس الرومي، الذي هاجم البابا زيفيرينس ومساعده -وخلفه في البابوية- جاليستس المسمى بالقديس جاليستس الأول، واتهمهما بالتراخي في تنظيم الكنيسة، واستنكر عقيدتهما في المسيح، وأنهما يميلان لمذهب الانتحالية[41] (Modalism)، وهما بدورهما اتهماه بمذهب الثنوية (Ditheism)، والذي تلقاه من القديس يوستينوس الشهيد.

ولما تولى جاليستس البابوية من 217 إلى 222م، كان عدوًا لدودًا لمذهب الوحدوية (Monarchianism[42]) الذي كان يخالف عقيدة التثليث. ولكن رغم هذا العداء اتهمه القديس هيبوليتس الرومي بالوحدوية[43]، ولم يعترف ببابويته، وأعلن نفسه بابا.

[2] ومن أمثلة ذلك؛ الخلاف الذي وقع بين ثيوفيلوس أسقف الأسكندرية -تلميذ أثناسيوس- ويوحنا ذهبي الفم، وكلاهما يعده النصارى قديسًا، وواحدًا من آباء الكنيسة الأوائل، بل يوحنا ذهبي الفم يعد أحد دكاترة الكنيسة[44]،

وقد تحالف في هذا الخلاف ثيوفيلوس مع أيودكسيا زوجة الإمبراطور أركاديوس ضد يوحنا ذهبي الفم، بسبب إيواء الأخير لخمسين من الرهبان المصريين الساخطين على ثيوفيلوس، الذي اتهموه بالفساد والطمع في المال.

وقد أدى هذا الخلاف إلى أن عقد ثيوفيلوس سنودس[45]، أدان يوحنا بتهم كثيرة، أكثرها تافه ومضطرب، وبناء على ذلك نفاه الإمبراطور، حيث مات في منفاه[46].

ولما نُفِيَ يوحنا ذهبي الفم اعترض بابا روما (القديس) إنوسنت الأول، وأرسل اعتراضًا رسميًا للإمبراطور البيزنطي، وقطع كل علاقاته بالأساقفة الذين شاركوا في خلع يوحنا ذهبي الفم[47].

(د) ومن هؤلاء الآباء الذين تعظمهم كل الكنائس من يقول بخرافات وثنية.

- فمن أمثلة ذلك: أكليمندس الروماني، الذي يقولون بأنه ثالث بابا لروما، والذي يعتبرون رسالته الأولى أهم نص مسيحي خارج الكتاب المقدس، بل كان كثير من أوائلهم يعده سفرًا من أسفار الكتاب المقدس، أي وحيًا من الله.

ففي هذه الرسالة كتب أكليمندس الروماني عن طائر العنقاء، الذي يعيش لمدة خمسمائة عام في بلاد (العربية)، ثم يصنع لنفسه تابوتًا، ثم يموت فيه ويتحلل، ثم تخرج منه دودة، فإذا نمت وكثرت أجنحتها تحمل التابوت لمدينة هليوبوليس في مصر، وأمام الجميع وفي وضح النهار تضع التابوت عند مذبح الشمس، ثم تعود إلى حيث جاءت[48].

---

41 كلمة موداليسم تعني الطريقة أو الهيئة أو انتحال هيئة للظهور أمام الناس، والانتحالية عقيدة ترفض التثليث، وتعتقد أن الله -سبحانه وتعالى- وحدة واحدة، لا يقبل التجزؤ، وأنه كان قبل خلق العالم واحدًا، ثم خلق الخلق، ثم تجسد في جسد المسيح، وهذه هي المرحلة الثانية لله تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، وأن الله الواحد المتجسد في جسد المسيح -بزعمهم- هو الذي تألم وصلب ومات ثم قام من الأموات، فداءً لخطايا البشر!!! ثم كانت المرحلة الثالثة بأن ظهر الإله في هيئة الروح القدس، الذي ظهر لتلاميذ المسيح -عليه السلام- يوم الخمسين بعد قيام المسيح -عليه السلام- بزعمهم، فالله عندهم -تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا- إله واحد وليس ثلاثة أقانيم، وهذا الإله الواحد مر بثلاثة مراحل كان الآب ثم الابن المتجسد ثم الروح القدس. [تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ص: 595 و596].

42 يترجمها الدكتور القس حنا جرجس الخضري بـ(الوحدوية) [تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ص: 593]. وأرى أن الأصح وصفها بـ(الوحدانية أو التوحيد).

43 Microsoft Encarta 2009, Callistus.

44 Microsoft Encarta 2009, Fathers of the Church.

45 اجتماع كنسي.

46 Encyclopædia Britannica, Chrysostom, Saint John & Microsoft Encarta 2009, Saint John Chrysostom.

راجع لتفصيل القصة، وما حدث فيها من صراعات بين آباء الكنيسة، ووصفهم لبعضهم البعض بالأوصاف السيئة، مثل وصف ثيوفيلوس بالفساد وأنه فرعون: نفي ألوهية الروح القدس ص: 182 إلى 191، حيث نقل القصة بتفاصيلها عن: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى للدكتور أسد رستم مؤرخ الكرسي الأنطاكي ج: 1 ص: 272- 284- منشورات المكتبة البولسية- لبنان، وتاريخ الكنيسة المصرية للويزا بوتشر- تلخيص وتعليق دياكون د. ميخائيل مكسي اسكندر ص: 66- مكتبة المحبة- القاهرة، وتاريخ البطاركة للقديس أنبا يوساب أسقف فوة ص: 49- مكتبة المحبة- القاهرة.

وراجع أيضًا: تاريخ الأمة القبطية لبتشر- الفصل العشرون: الإخوة الطويلو القامة مج: 1 ص: 318 وما بعدها.

47 Microsoft Encarta 2009, Saint Innocent I.

48 الآباء الرسوليون- رسالة أكليمندس الروماني: 25: 1 إلى 5. نقلًا عن قناة الدعوة الإسلامية على اليوتيوب: محمد شاهين التاعب- شريط (الآباء الرسوليون الجزء الثاني)- الدقيقة (9,15) وما بعدها.

وهي أسطورة مصرية قديمة تبناها التقليد المسيحي المبكر كرمز للخلود والقيامة[49].

فهل يوحي الله -تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا- بالأساطير القديمة والخرافات؟ وهل يمكن أن تعد من التقليد الكنسي؟

***

(3) وأما عن المجامع الكنسية؛ فهذه المجامع -باعتراف النصارى- كانت ميادين للدسائس والمؤامرات، والخلاف والشجار بل والقتال أحيانًا.

ومنها ما وصفوه بأنه مجمع اللصوص، وبعض المجامع حرمت ما قررته أخرى.

بل بعض الكنائس قد تقبل بعض قرارات المجمع الواحد وترفض بقية القرارات، فمثلًا مجمع القسطنطينية الذي عقد عام 381م لتأليه الروح القدس، جاء في قراراته: "أسقف القسطنطينية يلي أسقف روما مرتبة"[50].

ولكن الكنيستين القبطية والبروتستانتية -اللتين قبلتا تأليه الروح القدس- ترفضان هذا القرار.

وكذلك لما انعقد مجمع هيبرية عام 754م وحرم السجود للأيقونات والتماثيل -بقوة وتأييد الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث ثم ابنه قسطنطين الخامس- احتج البروتستانت بقراراته، وعملوا بها.

ثم لما تولت العرش الإمبراطورة إيريني عُقِد مجمع مضاد، وهو مجمع نيقية الثاني عام 787م، فأمر بالسجود للأيقونات والتماثيل.

فالتزم بقراراته الكاثوليك، وخالفها البروتستانت، ووافق على بعضها الأقباط الأرثوذكس، فقبلوا السجود للأيقونات وتقبيلها، ورفضوا السجود للتماثيل، ولا يضعونها في كنائسهم للسجود لها.

وكانت الكلمة الفصل في هذه المجامع لسلطة الملوك والأباطرة[51].

***

ويزعم فريق النصارى الذين يؤمنون بالتقليد الكنسي؛ أن التقليد حافظ على عقيدة الكنيسة الجامعة من الهرطقات!!

فما هي الكنيسة الجامعة؟

لقد مرت الكنيسة بانشقاقات متوالية، فبعد المسيح -عليه السلام- نشأت الكنيسة البولسية في مواجهة الكنيسة التي كانت على عقيدة التوحيد، واستمر الخلاف حتى القرن الرابع الميلادي حين كان أغلب النصارى موحدين على مذهب آريوس كما سأبين إن شاء الله.

ثم غلب عليهم البولسيون المثلثون بمعونة الإمبراطور قسطنطين، ثم انقلب قسطنطين على المثلثين، ثم غلب الآريوسيون على المثلثين، ثم غلب المثلثون على الآريوسيين.

ثم انشقت الكنيسة في مجمع خلقدونية إلى القائلين بطبعتين في المسيح (الكاثوليك)، والقائلين بطبيعة واحدة (الأرثوذكس)، ثم انشق القائلون بالطبيعتين لكاثوليك وبروتستانت، واختلف البروتستانت مع كل من الكاثوليك والأرثوذكس في عدد أسفار الكتاب المقدس، ولو أحصيت الانشقاقات لبلغت الآلاف.

ويزعم هؤلاء أن الكنيسة (المستقيمة الرأي) تؤمن بالإيمان الصحيح عبر التقليد، الذي تسلمته من الرسل رضي الله عنهم، الذين تسلموه بدورهم من المسيح عليه السلام،

---

49 Microsoft Encarta 2009, Phoenix (mythology).

50 Councils of Constantinople, II.FIRST COUNCIL OF CONSTANTINOPLE.

نفي ألوهية الروح القدس ص: 204.

51 Microsoft Encarta 2009, Iconoclasm.

نفي ألوهية الروح القدس ص: 204 إلى 206.

وأنه قد حدثت عبر التاريخ بعض الهرطقات، ولكن الكنيسة الجامعة (المستقيمة الرأي) عقدت مجامعها، التي يتمسك التقليد الكنسي بقراراتها، فحرمت هذه الهرطقات وأصحابها، واستمرت الكنيسة الجامعة (المستقيمة الرأي) على الإيمان السليم حتى اليوم.

ولكن التاريخ الكنسي الذي كتبه النصارى والمؤرخون -غير المسلمين- لا يتفق مع ذلك، فالكنائس المختلفة متعارضة العقائد، وكل منها يعتبر ما تعتقده الأخرى هرطقة، وكل كنيسة تؤيد عقيدتها بقرارات بعض المجامع، وتنكر المجامع الأخرى.

فعن أي كنيسة جامعة يتحدثون؟

الكنيسة الجامعة في النهاية هي كل طائفة من طوائف النصارى، أي كل مجموعة من رهبانهم وقسيسيهم!!

بل حتى داخل الطائفة الواحدة يختلفون، فمثلًا النصارى واليهود يختلفون حول ما هو الكتاب المقدس، وما هي أسفاره، وفي داخل الكنيسة الأرثوذكسية يختلف الأحباش -الذين كانوا تابعين للمصريين حتى عام 1959م- في عدد أسفار الكتاب المقدس عن المصريين، بل المصريون الأرثوذكس يختلفون فيما بينهم، مثل خلاف شنودة ومتى المسكين حول خاتمة إنجيل مرقص، وحول هل صلب اللاهوت مع الناسوت أم فارقه وقت الصلب.

لو سألت أي مسيحي من االمؤمنين بالتقليد: أي تقليد كنسي ستتبع: البروتستانتي أم الكاثوليكي، أم الأرثوذكسي؟ وأي أرثوذكسي: اليوناني أم المصري أم الإثيوبي؟ فسيختار تقليد كنيسته فقط.

فبهذا يتضح أن التقليد أمر غير محدد، يحتج به كل على حسب عقيدته وعقيدة أسلافه، وإذا كانت الأسفار المقدسة لدى النصارى المكتوبة قد طرأ عليها من التغيير والتبديل والتحريف ما طرأ، كما سيتضح إن شاء الله، فكيف الأمر بالتعاليم غير المكتوبة.

***

القسم الثاني: وهم البروتستانت الذين يرفضون التقليد كله مكتفين بالكتب المنزلة، التي يعتبرونها دستورًا وحيدًا كافيًا للإيمان والعمل[52].

وقد اعتبروا أن هذه التقاليد هي باب الفساد الذي استشرى في الكنيسة، ونشر الانحلال الخلقي والتكالب على المال والشهوات وسط رجالها بتفسيراتهم وقراراتها، التي توصلوا بها لنهب أموال الناس، واستحلوا بها مخالفة الكتاب المقدس لديهم.

***

ج- تناقض معتقدي التقليد ومنكريه

أود هنا أن أوضح أن كلًا ممن يعتقد بحجية التقليد ومن يرفضه يتناقض مع ما يزعم.

(1) فالذين يزعمون حجية التقليد، ويؤكدون على أهميته في حفظ عقيدة الكنسية (الجامعة) (المستقيمة الرأي) ووحدتها، هؤلاء يرفضون كثيرًا من التقاليد، بل يتناقضون مع قرارات مجمع ترنت (1545- 1563م)، التي أكدت على قبول التقليد كمصدر للإيمان[53].

وكذلك تناقضوا مع ذلك المجمع ومع المجمع الفاتيكاني الأول (1869- 1870م) اللذين أكدا على أن مؤلف العهدين القديم والجديد هو الله، فجاء المجمع الفاتيكاني الثاني المنتهي في سنة 1965م، فناقض كل هذا، وأقر بأن العهد القديم فيه "الناقص والباطل"[54].

---

52 دائرة المعارف لبطرس البستاني- باب التاء- تقليد ج: 6 ص: 183،

Microsoft Encarta 2009, Protestantism, I. INTRODUCTION.

53 Encyclopædia Britannica, Trent, Council of.

54 هكذا جاءت العبارة في الترجمة الفرنسية: "de l'imparfait et du caduc". [المساومة الكبرى من مخطوطات قمران إلى المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني ص: 111 و112].

وجاءت في الترجمة الإنجليزية: "incomplete and temporary". أي: "ناقصة ومؤقتة".

ومن أمثلة رفضهم لكثير من التقاليد أيضًا:

= عدم قبولهم للتقاليد حول كُتاب الأناجيل، وحول أجزاء من الأناجيل، كما سيأتي إن شاء الله.

فمتى المسكين يرفض خاتمة إنجيل مرقس، وأجزاءً من متى، ويصف قصة يهوذا بأنها مقرفة، ويرفض أن يكون اللاهوت قد صلب على الصليب، وهذا جعله مهرطقًا في نظر شنودة وحزبه، لأنه يرفض التقليد.

= وكذلك يرفض شراح النسخة الرسمية للإنجيل الكاثوليكي أن يكون سيدنا موسى -عليه السلام- هو كاتب التوراة، خلافًا لما تتابع عليه اليهود وأسلافهم النصارى (آباء الكنيسة).

= بل يقر الكاثوليك -وأكثر المسيحيين الآن- بأن ما يسمونه التوراة تحتوي على أربع تقاليد: اليهوي والألوهيمي والكهنوتي ومصدر تثنية الشريعة، ويعنون بكل تقليد: مجموعة من الكُتَّاب، أي أن ما يسمونه التوراة -التي في أيديهم- لم يكتبها نبي الله موسى عليه السلام، بل شارك في كتابتها أربع مجموعات مختلفة من الكتاب عبر العصور، وهو أمر مخالف للتقليد الكنسي؛ أن سيدنا موسى -عليه السلام- هو كاتب الكتاب الذي بأيديهم، ويسمونه التوراة. كما سيأتي مزيد من بيانه إن شاء الله.

= ومن أمثلة ذلك أيضًا ما ذكره القس الدكتور حنا جرجس الخضري عن قيمة التقليد وتسرب الخطأ له:

"ومما لاشك فيه أن بعضًا من التقليد الذي سلمه لنا الآباء، هو ميراث عظيم وثمين جدًا، وهو كنز أُودع في عهدة الكنيسة يجب أن تحافظ عليه وأن تسهر على تطبيقه . على أن الأمانة المسيحية والدقة العلمية ، تتطلبان منا أيضًا أن نعلن الخطأ عندما نكتشفه ولو كان خطأنا الشخصي"[55].

(2) أما البروتستانت الذين يرفضون التقليد، فيتناقضون هم أيضًا، لأنهم يؤمنون بعقائد كثيرة لا دليل عليها عندهم إلا التقليد، مثل عقائد التثليث والتجسد وثنائية طبيعة المسيح، وقد نقلت من قبل عن بطرس البستاني -وهو المنصر البروتستانتي- أن عقيدة التثليث لا دليل عليها في الكتاب المقدس لدى النصارى، وإنما تستند على أقوال وشروح آباء الكنيسة، وعلى آراء فلسفية ترجع للفلسفة اليونانية.

وقد بين يوحنا الدمشقي (675- 749م) -وهو يدافع عن عبادة الأيقونات والتماثيل- أن كثيرًا من عقائد النصارى الأساسية مأخوذة من تقاليد الآباء ولا وجود لها في الكتاب المقدس لدى النصارى، فعن ذلك كتب دون كويت[56]:

"فلقد رد يوحنا على المنتقدين أن الأيقونات ليست في الكتب المقدسة، باعترافه بتلك الحقيقة مضيفًا: أنكم لن تجدوا أيضًا (التثليث) أو (وحدة مادة الآب والابن) .. أو (ثنائية الطبيعة في المسيح) في الكتب المقدسة، ولكننا نعلم أن هذه المعتقدات صحيحة. وهكذا بعد أن اعترف بأن الأيقونات والتثليث والتجسد كلها بدع مستحدثة ينتقل يوحنا لحث قرائه على التمسك الشديد بها كتقاليد مقدسة نقلها لنا آباؤنا. وإذا ضاعت -أي هذه التقاليد- يصبح الإنجيل كله مهددًا"[57].

بل أضاف يوحنا الدمشقي أن النصارى إن لم يعظموا الأيقونات والتمثيل، فإنهم سيقعون في إنكار تجسد المسيح، لأن الولادة البشرية للمسيح تؤدي لتعظيم الأمور التي تمثله[58]!!

وكلامه صحيح في أن أساسيات عقائد النصارى لا دليل عليها في كتابهم المحرف، وإنما هي آراء وفلسفات ومتابعات للأسلاف. وسيأتي شيء من تفصيل ذلك -إن شاء الله- عند الحديث عن الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس.

ولذلك رد الشيخُ رحمة الله الكيرانوي الهندي -رحمه الله- على البروتستانت ، وأثبت تناقضهم، وأقام عليهم الأدلة؛ أنهم يعتقدون أمورًا كثيرة تصل لستمائة أمر، لا دليل عليها في الكتاب المقدس لدى النصارى، فكتب رحمه الله:

[SECOND VATICAN COUNCIL, 11. Dei Verbum, Dogmatic Constitution On Divine Revelation, 1965, CHAPTER IV THE OLD TESTAMENT].

55 تاريخ الفكر المسيحي مج: 3 ج: 1 ف: 9 ص: 85 و86.

56 عميد كلية عمانوئيل بجامعة كمبردج. [أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح ص: 14].

57 أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح ص: 211.

58 Microsoft Encarta 2009, Iconoclasm.

"فظهر مما ذكرنا أن من أنكر من فرقة بروتستنت اعتبار الأحاديث مطلقًا في الملة المسيحية فهو إما جاهل أو متعسف عنيد، وقوله مخالف لكتبه المقدسة ولجمهور علمائه من القدماء، وهو داخل في زمرة المبتدعين على قول بعض القدماء، ومع ذلك لا بد له من اعتبارها في كثير من هوسات فرقته مثل أن الابن مساوٍ للأب في الجوهر، وأن الروح القدس منشق من الأب والابن، وأن المسيح ذو طبيعتين وأقنوم واحد، وأنه ذو إرادتين إلهية وإنسانية، وأنه بعد ما مات نزل الجحيم، وغيرها من هوساتهم، مع أن هذه الكلمات لا توجد بعينها في العهد الجديد، وما اعتقدوا هذه الأمور إلا من الأحاديث والتقليدات،

وأيضًا يلزم عليه أن ينكر كثير من أجزاء كتبه المقدسة مثل أن ينكر إنجيل مرقص ولوقا وتسعة عشر بابًا من كتاب أعمال الحواريين، لأنها كتبت بالروايات اللسانية لا بالمشاهدة ولا بالوحي كما عرفت في الباب الأول، ومثل أن ينكر خمسة أبواب من الخامس والعشرين إلى التاسع والعشرين من سفر الأمثال لأنها جمعت في عهد حزقيا من الروايات اللسانية التي كانت جارية بينهم، وما بين زمان الجمع وموت سليمان -عليه السلام- مدة مائتين وسبعين سنة.

....

إن الدكتور بريت الذي هو من فضلاء بروتستنت قال في الصفحة 73 من كتابه إن هذا الأمر ظاهر من الكتب المقدسة أن الدين العيسوي صار مفوضًا إلى الأساقفة الأولين وتابعي الحواريين بالرواية اللسانية وكانوا مأمورين بأن يحافظوا عليه، ويفوضوه إلى الجيل المتأخر، ولا يثبت من كتاب مقدس سواء كان كتاب بولس أو غيره من الحواريين أنهم كتبوا متفقين أو منفردين جميع الأشياء التي لها دخل في النجاة، وجعلوا قانونًا يفهم منه أنه لا يوجد فيه شيء ضروري له دخل في النجاة غير المكتوب، وقال في الصفحة 32 و33 من الكتاب المذكور ترى بولس وغيره من الحواريين أنهم كما بلغوا إلينا الأحاديث بواسطة التحرير كذلك بلغوا بواسطة الرواية اللسانية أيضًا والويل للذين لا يحفظونها، والأحاديث العيسوية في أمر الإيمان سند كالمكتوب، انتهى كلام داكتر بريت.

وقال أسقف مون نيك: (إن أحاديث الحواريين سند كمكتوباتهم ولا ينكر أحد من بروتستنت أن تقرير الحواريين اللساني أزيد من تحريرهم) وقال جلنك ورتهه: (إن هذا النزاع أن أي إنجيل قانوني وأي إنجيل ليس بقانوني يزول بالرواية اللسانية التي هي قاعدة الإنصاف لكل نزاع) انتهى كلام كاتلك هرلد. وقال القسيس طامس أنكلس كاتلك في الصفحة 180 و181 من كتابه المسمى بمرآة الصدق المطبوع سنة 1851: (يشهد أسقف ماني سيك من علماء بروتستنت أن ستمائة أمر قررها الله في الدين وتؤمر الكنيسة بها ويقبل في حقها أن الكتاب المقدس ما بينها في موضع وما عملها) انتهى. فعلى اعتراف هذا الفاضل ستمائة أمر ثبتت بالرواية اللسانية وواجبه التسليم عند فرقة بروتستنت"[59].

***

د- خاتمة

(1) فتبين بهذا أن الأغلبية العظمى من النصارى الحاليين يعتقدون اعتقادات ويتعبدون بعبادات لا صلة لها بسيدنا المسيح -عليه السلام- ولا برسله رضوان الله عليهم.

وعن ذلك كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "دعواهم أنهم متمسكون في هذا الوقت بالدين الذي نقله الحواريون عن المسيح -عليه السلام-كذب ظاهر، بل هم عامة ما هم عليه من الدين عقائده وشرائعه -كالأمانة[60]، والصلاة إلى المشرق، واتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس، واتخاذها وسائط، والاستشفاع بأصحابها، وجعل الأعياد بأسمائهم، وبناء الكنائس على أسمائهم، واستحلال الخنزير، وترك الختان، والرهبانية، وجعل الصيام في الربيع، وجعله خمسين يومًا، والصلوات والقرابين والناموس- لم ينقله الحواريون عن المسيح، ولا هو موجود لا في التوراة ولا في الإنجيل، وإنما هم متمسكون بقليل مما جاءت به الأنبياء.

59 إظهار الحق ج: 3 ص: 911 إلى 913.

60 يقصد العقيدة التي أقروها في مجمع نيقية عام 325م.

وأما كفرياتهم وبدعهم فكثيرة جدًا، لم ينقل أحد عن المسيح والحواريين أنهم أمروهم أن يقولوا ما يقولونه في صلاتهم السحرية: تعالوا بنا نسجد للمسيح إلهنا، وفي الصلاة الثانية والثالثة: يا والدة الإله مريم العذراء افتحي لنا أبواب الرحمة"[61].

وكتب أيضًا رحمه الله: "وأما الشرائع التي هم عليها فعلماؤهم يعلمون أن أكثرها ليس عن المسيح عليه السلام، فالمسيح لم يشرع لهم الصلاة إلى المشرق، ولا الصيام الخمسين، ولا جعله في زمن الربيع، ولا عيد الميلاد والغطاس وعيد الصليب، وغير ذلك من أعيادهم، بل أكثر ذلك مما ابتدعوه بعد الحواريين، مثل عيد الصليب، فإنه مما ابتدعته هيلانة الحرانية أم قسطنطين.

وفي زمن قسطنطين غيروا كثيرًا من دين المسيح والعقائد والشرائع، فابتدعوا الأمانة، التي هي عقيدة إيمانهم، وهي عقيدة لم ينطق بها شيء من كتب الأنبياء التي هي عندهم، ولا هي منقولة عن أحد الأنبياء، ولا عن أحد من الحواريين الذين صحبوا المسيح، بل ابتدعها لهم طائفة من أكابرهم، قالوا كانوا ثلاث مائة وثمانية عشر، واستندوا في ذلك إلى ألفاظ متشابهة في الكتب، وفي الكتب ألفاظ محكمة تناقض ما ذكروه، كما قد بسط في موضع آخر.

وكذلك عامة شرائعهم التي وضعوها في كتاب القانون، بعضها منقول عن الأنبياء وبعضها منقول عن الحواريين، وكثير منها مما ابتدعوه ليست منقولة عن أحد من الأنبياء ولا عن الحواريين، وهم يجوزون لأكابر أهل العلم والدين أن يغيروا ما رأوه من الشرائع ويضعوا شرعًا جديدًا، فلهذا كان أكثر شرعهم مبتدعًا، لم ينزل به كتاب، ولا شرعه نبي"[62].

وهذا مصداق قول الحق سبحانه: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

***

(2) وختامًا فإن ما يسميه النصارى (التقليد) كان له أثران سياسيان شديدا الخطورة:

أولهما: أنه كان سببًا في الفساد الشديد الذي استشرى في الكنيسة، وأدى لتغولها وتدخلها في السياسة وظهورها كدولة تسعى للسيطرة والاستحواذ.

وثانيهما: أنه كان السبب لحركة الإصلاح المسيحية، التي زعمت رفض سلطة الكنيسة، وكانت سببًا في قيام الدول القومية.

وهذان الأثران كانا من أهم أسباب نشوء الدولة الوطنية الحديثة، كما سيأتي إن شاء الله.

***

61 الجواب الصحيح ج: 2 ص: 87 إلى 89.

62 الجواب الصحيح ج: 3 ص: 29 و30.

الفقرة الثالثة:

الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس

أرى من الضروري -لفهم الانحراف الكنسي كأحد أهم عوامل قيام الدولة الوطنية التي تناقض خصائص الدولة في الشريعة الإسلامية- أن أوضح مفترق الطرق في المراحل الأولى للنصرانية، وكيف انحرفت ذلك الانحراف، الذي نتج عنه تحريف الأسفار التي يقدسها النصارى، ثم قيام الكنيسة بكل ما مثلته من فساد.

لكي يتبين كيف بدأ الانحراف، ثم التحريف، ثم ما انبني على ذلك من أفهام منحرفة.

ولذلك أحسب أنه من المفيد أن أشير بإيجاز لكيف انفصلت الكنيسة البولسية عن مسيحية المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وانفصلت بالتالي عن أتباعه -رضي الله عنهم- الذين تمسكوا بالوحي الذي أنزل عليه، وما مصير هؤلاء الذين تمسكوا بالدين الذي أنزل على نبي الله ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام؟

وأقسم الكلام في هذا المبحث للعناوين التالية:

النقطة الأولى: نبذة تاريخية

النقطة الثانية: الخلاف في العقائد

النقطة الثالثة: الخلاف في الشرائع

النقطة الرابعة: أهم فرق الكنيسة الأولى المخالفة لكنيسة بولس المثلثة

النقطة الخامسة: دوافع بولس لتبني تلك العقائد

***

النقطة الأولى:

نبذة تاريخية

أقسم البحث في هذه النبذة التاريخية الموجزة إلى:

المسألة الأولى: مقدمة عن مصادر دراسة تلك المرحلة

المسألة الثانية: التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى

***

المسألة الأولى: مقدمة عن مصادر دراسة تلك المرحلة

بداية فإن مصادر الوصول للحقيقية عن أي حدث أو أحداث هي: إما تاريخ مسند أو وحي منزل.

وكلاهما مفقود في النصرانية أو ضعيف جدًا.

ويمكن تلخيص مصادر دراسة تلك المرحلة في:

1- الأسفار التي بين أيدي النصارى وخاصة سفر (أعمال الرسل) ورسائل بولس.

2- كتابات المؤرخين.

3- ما اكتشفته البحوث الأثرية.

- أما الأسفار التي بأيدي النصارى -وخاصة سفر (أعمال الرسل) ورسائل بولس- فهي نصوص لا يمكن الاعتماد عليها، لما تراكم فيها من تحريفات متنوعة. فهي مصادر غير موثوق بها، ولكن يمكن الاستفادة من بعض ما ورد فيها، وخاصة إذا كان حجة على كاتبه، أو توافق مع حقيقة تاريخية، أو مع وحي منزل ثابت بالدليل القاطع.

أ- وهذا التشكك -في الاستدلال التاريخي بالأسفار التي يقدسها النصارى- قد أقر به رجال الدين النصارى أنفسهم. بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك؛ بتأكيدهم على أن كتابهم المقدس ليس كتاب تاريخ، وأنه كتاب إيمان حتى وإن تناقض مع التاريخ، فمن أمثلة ذلك:

- ما ذكره شراح النسخة اليسوعية من الكتاب المقدس لدى النصارى في المدخل إلى الكتاب المقدس:

"أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين عُرفوا بأنهم لسان حال الله في وسط شعبهم.

ظل عدد كبير منهم مجهولًا، لكنهم، على كل حال، لم يكونوا منفردين، لأن الشعب كان يساندهم، ذلك الشعب الذي كانوا يقاسمونه الحياة والهموم والآمال، حتى في الأيام التي كانوا يقاومونه فيها. معظم عملهم مُستوحى من تقاليد الجماعة. وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية، انتشرت زمنًا طويلًا بين الشعب وهي تحمل آثار ردود فعل القراء، في شكل تنقيحات وتعليقات وحتى في شكل إعادة صيغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية. لا بل أحدث الأسفار ما هي أحيانًا إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة"[1].

وهذا النص الخطير المعرف بحقيقة الكتاب المقدس لدى النصارى يحتاج لوقفات:

فأولًا: هو يعرف أسفار الكتاب المقدس لدى النصارى بأنها من عمل مؤلفين ومحررين، ولم يذكر أنها وحي من الله نقله -كما أُنزل إليهم- من كتبوا الأسفار، ثم ذكر أنهم مؤلفون، أي أن هذه الأسفار من تأليفهم، وزاد على ذلك بأنهم محررون، والمحرر هو من يجمع ويزيد وينقص ويقدم ويؤخر ... إلخ، أي يتدخل بما يرى أنه الأنسب.

وثانيًا: عرف هذا النص أولئك الكتاب بأنهم: "عُرفوا" بالبناء للمجهول، بأنهم "لسان حال الله ..". ولم يحدد من الذي عرفهم بهذا، أي: قيل أنهم لسان حال الله ...، وترك من عرفهم مجهولًا، ولم يؤكد أنهم نقلة وحي إلهي.

وهذا التعريف بالبناء للمجهول ينطبق أيضًا على السحرة والمشعوذين ومدعي النبوة وكهان الأصنام وأمثالهم.

وثالثًا: ذكر أن هذا التأليف والتحرير لم يكن فرديًا، ولكن "الشعب كان يساندهم"، أي أن عملية التأليف والتحرير كانت جماعية شعبية، فكما أنهم حرروا فأضافوا وحذفوا، فكذلك أسهم الشعب بنصيبه في ذلك، أي أننا لسنا أمام وحي إلهي محفوظ، منقول عن المولى سبحانه وتعالى لخلقه بنصه، لا، بل نحن أمام تقاليد وحكايات وقصص وموروثات شعبية، نقلت من جيل لجيل، وضرب كل منهم بسهمه في تحريرها، أي الزيادة فيها والنقصان منها.

ورابعًا: أن هذا الشعب الذي شارك أولئك المؤلفين والمحررين لم يكن دائمًا مساندًا ومؤيدًا ومتعاطفًا معهم، بل كان في بعض الأحيان مقاومًا لهم، أي أن الشعب المعادي للنص (المقدس) كان يتدخل في صياغة ذلك النص، فمثلًا إذا كان النص المقدس يدعو للتوحيد، وكان الشعب مشركًا وثنيًا، فإن هذا الشعب قد ساهم في تعديل ذلك النص.

وخامسًا: يؤكد شراح النسخة اليسوعية على هذا التدخل -الذي أسميه التلاعب والتحريف- الجماعي بقولهم: "معظم عملهم مُستوحى من تقاليد الجماعة". أي أننا لسنا أمام نص موحى به من الله محفوظ من التحريف، ولسنا حتى أمام

---

1 الكتاب المقدس- النسخة اليسوعية- مدخل إلى الكتاب المقدس ص: 30.

نص يزعم من يقدمه للناس أنه نص إلهي موحى به من الله، لا، بل نحن أمام تقاليد شعبية وجماعية، شكلت (معظم) ما تم تقديسه بعد ذلك على أنه ما عرف بـ(الكتاب المقدس).

وسادسًا: ذكر شراح النسخة اليسوعية عن مؤلفي ومحرري أسفار الكتاب المقدس لدى النصارى: "وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية، انتشرت زمنًا طويلًا بين الشعب وهي تحمل آثار ردود فعل القراء، في شكل تنقيحات وتعليقات وحتى في شكل إعادة صيغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية ".

وهذا النص الخطير يؤكد على معنيين في غاية الخطورة:

الأول: أن هذا الكتاب المقدس لدى النصارى قبل كتابته -ناهيك عن طباعته، فقد حُرف كثيرًا قبلها وبعدها- كان أقوالًا شعبية لزمن طويل، فاقدة للأصل والسند، كما سأبين بتفصيل إن شاء الله.

الأمر الثاني: أن هذه الأقوال الشعبية المتداولة لزمن طويل تأثرت بردود فعل قراء النص، وأن ردود فعل القراء تدخلت في النص الأصلي، وأنها اتخذت شكل تنقيحات وتعليقات وإعادة صياغة بعض النصوص، صياغة هامة أو غير هامة.

وسابعًا: أن " أحدث الأسفار ما هي أحيانًا إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة". أي أنه كانت هناك كتب قديمة، ولكن رأى البعض أن تعاد كتابتها لتتوافق مع فهم معين، وتناقض آخر.

فمثلًا إذا كان النص القديم -أصليًا أو غير أصلي- يدعو أو يفهم منه التوحيد، أو يخالف أو لا يؤيد عقيدة التثليث والفداء والصلب والخطيئة الأصلية وتجسد المولى سبحانه عن ذلك، فلا بأس من إصدار سفر جديد، لتفسير وتحديث النص القديم بما يوافق ما يراه المصدرون.

إذن نحن أمام اعتراف بتلاعب وتحريف متعدد الأشكال لنصوص، قيل عن مؤلفيها أو محرريها أنهم لسان حال الله.

- ثم نمضي مع أولئك الشراح، فقد ذكروا في المدخل إلى العهد الجديد:

"إن تأليف تلك الأسفار السبعة والعشرين وضمها في مجموعة واحدة أديا إلى تطوير طويل ومعقد.

والفجوة التاريخية والجغرافية والثقافية التي تفصلنا عن عالم العهد الجديد هي عقبة دون حسن التفهم لذلك الأدب".

ثم يذكر الشراح عن مدخلهم للعهد الجديد بأنه: "ولا غنى له في الوقت نفسه عن أن يشرح كيف يمكن ضبط النص بعدما طرأ عليه من اختلاف في الروايات في أثناء النسخ"[2].

إذن فهذا إقرار منهم بأن هذه الأسفار التي مرت بتطوير -أي تغيير عن الأصل- طويل ومعقد، أي تدخلت فيه عوامل كثيرة، هذه الأسفار تعاني من فجوة تاريخية تعيقنا عن حسن تفهمها.

إذن فهي لا تصلح للاستدلال التاريخي. ويقرون -أيضًا- بأن النص قد طرأت عليه اختلافات أثناء النسخ.

والذي أراه -وسأبينه بإذن الله- أن التغييرات في النسخ هي أحد عوامل التحريف المتعددة للكتاب المقدس لدى النصارى.

ثم يزيد شراح النسخة اليسوعية الأمر وضوحًا فيقرون في مدخلهم إلى العهد الجديد:

"إن نسخ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست كلها واحدة، بل يمكن المرء أن يرى فيها فوارق مختلفة الأهمية، ولكن عددها كثير جدًا على كل حال. هناك طائفة من الفوارق لا تتناول سوى بعض قواعد الصرف والنحو أو الألفاظ أو ترتيب الكلام، ولكن هناك فوارق أخرى بين المخطوطات تتناول معنى فقرات برمتها.

واكتشاف مصدر هذه الفوارق ليس بالأمر العسير. فإن نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت، وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت، مهما بُذل فيها من الجهد، بالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه. يُضاف إلى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أحيانًا، عن حسن نية، أن يصوبوا ما جاء في مثالهم وبدا لهم أنه يحتوي أخطاء واضحة أو قلة دقة في التعبير اللاهوتي".

2 الكتاب المقدس- النسخة اليسوعية- العهد الجديد- مدخل إلى العهد الجديد ص: 7.

أي أن بعض النساخ رأوا في الأصل ما يخالف عقيدتهم اللاهوتية، فتدخلوا فغيروا النص في النسخة التي يكتبونها.

أي أن النص الذي يقدسه النصارى لم يكن هو الأساس الذي استقوا منه عقيدتهم، بل إن ما اعتقدوه قد تم تطويع النصوص لتوافقه، وستأتي أمثلة على ذلك إن شاء الله.

ثم نواصل مع شراح اليسوعية في مدخلهم للعهد الجديد:

"وهكذا أدخلوا في النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ. ثم يمكن أن يضاف إلى ذلك كله أن الاستعمال لكثير من الفقرات من العهد الجديد أثناء إقامة شعائر العبادة أدى أحيانًا كثيرة إلى إدخال زخارف غايتها تجميل الطقس، أو إلى التوفيق بين نصوص مختلفة ساعدت عليه التلاوة بصوتٍ عالٍ".

أي أن القراء للنصوص كانوا يرفعون أصواتهم بالنص، وفي أثناء قراءتهم بصوت عال يدخلون ما يرون أنه زخارف! ويوفقون بين نصوص مختلفة، فيتوهم السامع -الذي لا يفرق بين الأصلي والمضاف- أن كل ما يسمعه هو النص الأصلي.

ونواصل مع شراح النسخة اليسوعية في مدخلهم للعهد الجديد:

"ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر، فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقلًا بمختلف ألوان التبديل ظهرت في عدد كبير من القراءات"[3].

إذن فهذا اعتراف صريح بالتحريف المتعدد الأشكال.

والذي لم يذكره شراح النسخة اليسوعية؛ أنه أيضًا -بعد عهد الطباعة- استمرت الخلافات والتبديلات، كما سيأتي -إن شاء الله- في مبحث التحريفات.

وذكر أيضًا شراح النسخة اليسوعية من الكتاب المقدس -لدى النصارى- في المدخل إلى الأناجيل الإزائية:

"لم يكن الإنجيل في الأصل كتابًا أو مؤلفًا أدبيًا أو تاريخيًا.

....

إن القارئ في عصرنا، وهو حريص على الدقة ولا ينفك يبحث عن الأحداث التي تم إثباتها والتحقق منها، يقع في **حيرة أمام تلك المؤلفات التي تبدو له مفككة يخلو تصميمها من التنسيق ويستحيل التغلب على تناقضاتها ولا يمكنها أن ترد على الأسئلة التي تُطرح عليها**. إن رد الفعل هذا يكون مفيدًا للقارئ، إن أدى إلى عرض المسائل الصحيحة، وأولها مسألة فن الأناجيل الأدبي. فالذين حرروها ليسوا بكُتَّاب انكبوا في مكاتبهم على وثائق مبوبة تبويبًا محكمًا فأقدموا على وضع تاريخ ليسوع الناصري، من ميلاده إلى موته. فطريقة تأليف الأناجيل التي يجب النظر إليها تختلف كل الاختلاف عن هذه الطريقة. فقد تكلم يسوع وأعلن بشرى الملكوت وجمع التلاميذ وشفى المرضى وقام بأعمال ذات مغزى. وبعد موته، وفي جو من الإيمان الفِصحي، بشر التلاميذ ثم الوعاظ بقيامته ورددوا أقواله وروَوا أعماله بحسب حاجات الكنيسة. فتكونت تقاليد شفهية مدة تقرب من أربعين سنة.

....

قد جمع الإنجيليون ودونوا، وفقًا لنظرتهم الخاصة، ما أتاهم من التقاليد الشفهية.

....

فالمرور من مرحلة التقليد الشفهي يبين لنا أيضًا لماذا يبدو الكثير من الفقرات وحدات أدبية صغيرة مركزة على قول من أقوال يسوع أو عمل من أعماله، بلا إطار زمني أو جغرافي دقيق.

....

فكل من هذه الروايات كان لها وجود مستقل عن الأخرى، وغالبًا ما كان تنسيقها من صنع الإنجيليين.

....

فكيف يجب النظر إلى تلك التقاليد، إذا كانت تأثرت مثل هذا التأثر، وهي تُستعمل قبل أن تتَّخذ صورة ثابتة في الأناجيل؟ **وأية ثقة نوليها**؟ وما هي الصلة بينها وبين تاريخ يسوع؟ عن هذه الأسئلة يمكننا أن نجيب أن وثائقنا هي

---

3 الكتاب المقدس- العهد الجديد- مدخل إلى العهد الجديد ص: 12 و13.

شهادات للإيمان بيسوع المسيح، وإنما يقصد منها أن نلتقي بذلك المسيح الذي نعرفه بالإيمان. ومع ذلك، فقولنا إن الأناجيل هي وعظ وإن مؤلفيها -حتى لوقا الحريص على التاريخ- أرادوا أن يكونوا قبل كل شيء شهودًا للبشرى لا يعني أنهم لا يبالون بحقيقة (تاريخية) الأحداث التي يروونها، لكنهم أكثر اهتمامًا بإبراز معناها منهم بالتعبير عن المضمون الحرفي لأقوال يسوع (راجع الصيغ المختلفة للتطويبات والأبانا وكلام التقديس) وظروف أعماله وتفاصيلها. **إنهم يعرضون تقليدًا قد أصبح تفسيرًا**.

....

وهنا أمران لا بد من توضيحها:

- فمع أن مضمون الأناجيل **لا يمكن أن يُحقق كله تحقيقًا تاريخيًا**، فمن المؤكد أن هناك أدلة كثيرة، تُلقي هي أيضًا ضوءًا على سائر النصوص.

....

- لا نصل إلى أقول وأعمال يسوع إلا من خلال "الترجمات" التي تأتينا بها التقاليد القديمة ومؤلفات الإنجيليين. فالتعبير باليونانية عما كان أصله في الآرامية ليس أبرز مظهر من مظاهر النقل هذا. فلا شك أنه من الممكن أن **نحاول** استعادة ما قاله يسوع في لغة مولده .... غير أن هذه **المحاولات** تتأثر عند التفصيل بكثير أو بقليل من الرجوح. وهذه الحدود المفروضة على التحقيق التاريخي تنتج عن طبيعة الأناجيل. فالإيمان بالمسيح الحي كان يُنير الذكريات عن يسوع ولم يكن من الممكن أن يُعبَّر عنه إلا بالشهادة الحية بما تتضمنه من روايات جزئية **وتكرار وتكييف وتدخل** الشاهد أو الراوي"[4].

إذن فهذا هو رأي شراح النسخة اليسوعية في أسفارهم، ورأيهم هو الرأي الرسمي الكاثوليكي في الكتاب المقدس لدى النصارى، إن هذه الأسفار في قولهم:

- لم تكن في الأصل كتابًا أو مؤلفًا أدبيًا أو تاريخيًا.

- **وأنها تبدو مفككة يخلو تصميها من التنسيق ويستحيل التغلب على تناقضاتها ولا يمكنها أن ترد على الأسئلة التي تُطرح عليها**.

- وليست وثائق مبوبة تبويبًا محكمًا.

- وأن كتاب الأسفار روَوا أعمال سيدنا عيسى -عليه السلام- بحسب حاجات الكنيسة.

إذن فما مصير الذي لم تحتجه الكنيسة؟؟

- وأن كتاب الأناجيل جمعوا ودونوا، وفقًا لنظرتهم الخاصة، ما أتاهم من التقاليد الشفهية.

إذن فهذه الأسفار هي **نظرات خاصة**، وليست نقلًا أمينًا موثقًا محفوظًا لما قاله سيدنا المسيح عليه السلام.

- وأن الروايات التي دونوها بلا إطار زمني أو جغرافي دقيق.

- وأن كل من هذه الروايات كان لها وجود مستقل عن الأخرى، وغالبًا ما كان تنسيقها من صنع الإنجيليين.

أي أن كتاب الأناجيل -الذين نجهلهم- جمعوا شتات قصص شعبية مختلفة كانت دائرة وسائرة بين النصارى.

وأن تنسيقها هو من صناعة أولئك المجهولين. والتنسيق يعني: تقديم هذه، وتأخير تلك، والزيادة والنقصان فيها، واجتزاء النقل، أو حشر نص داخل نص آخر، أو نزع نص من داخل نفس النص!!! (أي تلاعب متعدد الأشكال والألوان!!!).

- وأن شراح النسخة اليسوعية يتساءلون: إذا كانت الأناجيل قد تأثرت مثل هذا التأثر، وهي تُستعمل قبل أن تتَّخذ صورة ثابتة في الأناجيل؟ **فأية ثقة نوليها**؟ وما هي الصلة بينها وبين تاريخ يسوع؟

وجواب أي منصف عن السؤال الأول: **لا ثقة**.

وعن السؤال الثاني: لا صلة، ومع التساهل صلة في غاية الضعف.

- وأن كتاب الأناجيل قد اهتموا بمعنى ما قاله المسيح -عليه السلام- أكثر من اهتمامهم بالتعبير عن المضمون الحرفي.

---

4 الكتاب المقدس- النسخة اليسوعية- العهد الجديد- مدخل إلى العهد الجديد ص: 25 إلى 27.

إذن فهذه النصوص والأسفار هي **فهم** ما كتبه كتابها المجهولون، وليست نقلًا أمينًا نصيًا لما قاله سيدنا المسيح عليه السلام!

- وأن كتبة الأناجيل يعرضون **تقليدًا قد أصبح تفسيرًا**.

أي أن هذا الذي بين أيدى النصارى -من كتب يقدسونها- هي تفسير ما نسبوه للمسيح عليه السلام، وليست نصوص أقواله!

- وأن مضمون الأناجيل **لا يمكن أن يُحقق كله تحقيقًا تاريخيًا**.

- وأن **محاولات** استعادة ماقاله سيدنا عيسى -عليه السلام- بلغته الأصلية من ترجمات الأناجيل اليونانية تتأثر عند التفصيل بكثير أو بقليل من الرجوح.

أي أن اليقين مفقود.

- وأن هناك حدودًا مفروضة على التحقيق التاريخي للأناجيل.

- وأن التعبير عن الإيمان بالمسيح -عليه السلام- (أي بعقيدة الكنيسة عن المسيح عليه السلام) لم يكن ممكنًا إلا عبر الروايات الجزئية للأناجيل، وإلا عبر تكرار وتكييف وتدخل الشاهد أو الراوي.

إذن فالقوم قد أقروا على أنفسهم بالتحريف وفقدان المصداقية التاريخية!!!

- ومن أمثلة ذلك التشكك -أيضًا- لدى رجال الدين النصراني في الاستدلال التاريخي بالأسفار التي يقدسونها، وإقرارهم بأنها ليست كتب تاريخ؛ ما كتبه الدكتور القس حنا جرجس الخضري، وهو يتعرض لميلاد سيدنا المسيح عليه السلام:

"قبل أن ندخل في تفاصيل هذا الموضوع الخاص بميلاد يسوع يحسن بنا أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى عدة نقاط هامة:

1- إن المسيحي المؤمن الحقيقي عميق الإيمان لا يستمد إيمانه أو يثبته على ما يقوله العلماء أو المؤرخون عن يسوع، مع أن ما يقوله العلماء والمؤرخون هام و في بعض الأحيان في غاية الأهمية، ولكنه يستمد إيمانه من شخص يسوع المسيح الصخرة الحقيقية، ولذلك فمرجع المسيحي الحقيقي ليس ما يقوله المؤرخون والعلماء عن يسوع، بل ما يقوله يسوع نفسه عن نفسه، وما تقوله الكتب المقدسة التي تشهد له.

2- فالمؤمن الحقيقي يشكر الله من أجل النتائج الإيجابية والمؤيدة لبعض الحقائق، التي يتوصل إليها العلم والعلماء، ولكنه لا يخاف ولا يهتز إيمانه عندما تظهر بعض الآراء السلبية المضادة لبعض الحقائق الكتابية والمسيحية، وذلك لأنه يعلم أن الكتاب المقدس، كتاب الله، ليس كتابًا علميًا أو موسوعة علمية كتبها مجموعة من المتخصصين في مواد مختلفة، وكل همهم تجنب الأخطاء العلمية في مواد تخصصهم، في التاريخ، أو الجغرافيا، أو الطب أو الهندسة أو الميكانيكا أو التكنولوجيا ... إلخ، بل هو كتاب الله والوحي المقدس، أو بالمعنى الأصح هو رسالة الله المحب للإنسان الخاطئ. فالكتاب إذًا هو خطاب أو رسالة قبل أن يكون كتابًا علميًا، وهدفه ليس شرح القواعد العلمية بطريقة صحيحة، بل هدفه هو توصيل الرسالة للإنسان. فالكتاب المقدس هو موحى به من الله (وهو يختلف عن التنزيل)"[5].

وأتساءل: وما الدليل على أن ما نسب لعيسى -عليه السلام- في تلك الأسفار قد قاله عيسى فعلًا؟ وما الدليل على أن تلك الأسفار شهادة على عيسى عليه السلام؟ وهل تقبل شهادة من تناقض شهادته الحقائق الثابتة؟ فإذا قال رجل مثلًا: إني قابلت فلانًا في دمشق إحدى مدن مصر!! ألا يستدعي ذلك إسقاط شهادته؟

- ومن أمثلة تلك الأقوال -أيضًا- ما نقله الدكتور محمد عل البار عن الأب سيداروس اليسوعي في كتابه (تكوين الأناجيل) حيث ذكر في مقدمة كتابه:

"ليس الكتاب المسيحي (العهد الجديد) كتابًا منزلًا كتبه الله، بل هو كتاب بشر بإلهام الروح القدس".

---

5 تاريخ الفكر المسيحي ج: 1 ص: 169 و170.

أرجو من القارئ أن يتذكر هذه العبارة الهامة، ويقارن بينها وبين ما سأذكره عن رجال الدين النصراني -إن شاء الله- من أنهم يعدون كتابهم المقدس: "كلمة الله المحفوظة".

ونواصل مع ما نقله الدكتور محمد علي البار عن الأب سيداروس اليسوعي:

"وسيجرنا الحديث إلى أن نقرّ بأن الكتاب كان في بداية أمره عبارة عن رواية شفهية تداولتها الجماعات المسيحية الأولى ثم دونها الإنجيليون الأربعة، كل بأسلوبه الخاص وقصده اللاهوتي الخاص.

وستقودنا دراستنا إلى الإقرار بأن هذه الأناجيل الأربعة ليست بمثابة تحقيق صحفي أو كتاب تاريخي يراد به تدوين وقائع حديث لرجل اسمه يسوع الناصري".

أي أن كُتَّاب الأناجيل الأربعة المجهولين -كما سيتبين إن شاء الله- كتب كل منهم -ما كتب- حسب عقيدته اللاهوتية، وليس نقلًا أمينًا لوقائع محققة مسندة.

ونواصل مع ما نقله الدكتور محمد علي البار عن الأب سيداروس اليسوعي:

"فالأناجيل هي شهادة وإعلان ليسوع المسيح الممجد في سر موته على الصليب، وقيامته من بين الأموات، ومن منطلق سر حدوث موته/ قيامته كمحور وهدف، ذهبت الأناجيل إلى سرد أحداث حياة يسوع الناصري من ميلاد ومعجزات وأقوال.. فكل ما قلناه يكفي ليقنع باحثًا سطحيًا أن الأناجيل قد حرفها المسيحيون، إذ بين يسوع الناصري والروايات الشفهية والتدوين الرباعي عن يسوع الممجد فجوة وهاوية. والحقيقة كما بيناها هي أن الأناجيل والعهد الجديد بمجمله كتاب إيمان لا كتاب تاريخ"[6].

إذن فالأب سيداروس اليسوعي يؤكد على أن الأناجيل ليست كتب تاريخ، إذن فلا يجب أن يؤخذ منها تاريخ، هذه واحدة.

والثانية أنها لم تكتب للتاريخ ولكن لنشر عقيدة معينة عن سيدنا عيسى عليه السلام؛ أنه صلب ثم قام من بين الأموات، وأن كتابها المجهولين كتبوها بهذا القصد، لا بقصد توثيق تاريخ معين.

إذن فلا يجب أن نصدقها، فهي كتب لبث دعاية لا لعرض تاريخ صادق، وكل مشعوذ أو عابد وثن أو صاحب عقيدة باطلة يمكنه أن يكتب ما يشاء من عقيدته، ويخلط في التاريخ والأحداث، ثم يدعي نفس الدعوى الباطلة: أني كتبت لأنشر إيماني، لا لأوثق تاريخًا!!!

***

ب- وإذا كان هذا عن الأسفار المقدسة لدى النصارى عمومًا، فماذا عن سفر (أعمال الرسل)، الذي يستند عليه النصارى والعديد من الكتاب الغربيين في سردهم لأحداث القرن الأول بعد رفع المسيح عليه السلام.

تعاني نصوص سفر أعمال الرسل من الاضطراب والتحريف مما حدا بشراح النسخة اليسوعية لأن يعترفوا بذلك، ويحاولوا تبريره، فقد كتبوا في المدخل إلى سفر أعمال الرسل كلامًا هامًا خطيرًا صادرًا عن هيئة تمثل الرأي الرسمي للفاتيكان، ومما جاء في مدخلهم:

"وقد يكتشف هذا النقد[7] هنا وهناك، بعض آثار التنافر أو التوتر في الروايات، ويبدو أنها صادرة ، إما عن ارتياب أو نقص في ما لدى المؤلف من الأخبار، وإما عن قصد حمله على تحوير أو تفسير الأخبار التي حصل عليها من المراجع. ومعقولية الروايات تشكل مقياسًا آخر، ولكنه خطير الاستعمال، لأن الاعتبارات التي يأخذ بها ليس كلها من النوع التاريخي. فأصعب المسائل هي مسألة الخوارق ولا سيما رواية المعجزات. أجل، إنه من الممكن، لا بل من الأرجح، حينًا بعد آخر، أن المؤلف أو مراجعه قد بالغت في هذا الجانب من رواية بعض الأحداث، ولكن يجب على النقد أن لا ينسى أن المعجزات كانت ذات شأن هام في المسيحية القديمة (روم 18/15 و2 قور 12/12 وعب 4/2). ففي هذه الأحوال، فضلًا عن اهتداء بولس، فإن سفر أعمال الرسل يرسم صورة لأمور حقيقية تثبتها شواهد أخرى.

---

6 دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية ص: 14.

7 يقصدون النقد الداخلي للنصوص.

إن تاريخية الخطب في سفر أعمال الرسل تطرح مسائل أشد تعقيدًا من مسائل الأقسام الروائية. فلا يخفى على أحد أن المؤرخين القدماء كانوا يعدون أمرًا طبيعيًا أن يؤلفوا، بكثير أو قليل من التصرف، ما يجعلون من الخطب على ألسنة الأشخاص الذين يتكلمون عليهم. إن قِصَر أكثر خطب أعمال الرسل لا يسمح بأن نرى فيها خطبًا مختزلة أو ذكريات حُفظت بكاملها. فهناك أمور غير معقولة أو وجوه شبه في اللغة والتفكير بين الخطب والروايات، تدلُ على تدخّل المؤلّف في إنشاء الخُطب. لكنّ هذه الملاحظات لا تجيز لنا أن ننكر عليها كل قيمة وثائقية. فهناك أسباب وجيهة تحملنا على الاعتقاد على سبيل المثال أن البنية الإجمالية وبعض المواد التي تجدها في الخطب الرسولية أو في خطاب بولس إلى شيوخ أفسس (18/20-38) تعكس بأمانة مختلف أساليب إعلان البشارة المسيحية. أما سائر الخطب، فإنها مقبولة على العموم، ولكنّ التقدير الصحيح لقيمتها التاريخية متوقّف إلى حدٍ بعيد على الثقة المولّاة لأخبار المؤلَف ولا سيما "ليوميات السفر".

وهناك ناحية أخيرة لسفر أعمال الرسل من جهة كونه وثيقة تاريخية لا بّد من لفت النظر إليها، هي إغفاله بعض الأمور. فالكتاب على سبيل المثال لا يقول شيئًا في إنشاء كنائس كثيرة يذكرها (13/28) ولا يفوه بكلمة عمّا وقع من خلافات بين بولس وكنيسة قورنتس (1/19). فإغفال هذه الأمور وغيرها، أيًّا كانت أسبابه، يدل على أن أعمال الرسل **ليست تاريخًا عامًا للمسيحية القديمة** ولا سيرة كاملة لبولس"[8].

إذن هنا يقر شراح النسخة اليسوعية بأن نصوص سفر أعمال الرسل تعاني من:

- التنافر أو التوتر في الروايات.
- ارتياب أو نقص في ما لدى المؤلف من الأخبار.
- تحوير أو تفسير الأخبار.
- الشك في معقولية بعض الروايات.
- الراجح مبالغة المؤلف في رواية المعجزات. ولا حظ أن الشراح يذكرون كلمة (المؤلف)، ولا يذكرون اسمه، لأنهم لا يقطعون من هو؟
- تدخّل المؤلّف في إنشاء الخُطب.
- التقدير الصحيح لقيمة (أعمال الرسل) التاريخية متوقّف على الثقة في أخبار المؤلَف.
- إغفال المؤلف لبعض الأمور مثل الخلافات بين بولس وكنيسة قورنتس.

إذن فهو نص محرف متلاعب به، لا يمثل أية قيمة تاريخية، ولا يمكن أن تستفاد منه عقيدة أو شريعة.

***

ج- أما رسائل بولس فهي أيضًا لا تصلح للاحتجاج بها على إثبات وقائع أو تقرير عقائد أو تشريع أحكام، وذلك لأنها:

(1) قد حاق بها ما حاق بسائر نصوص الكتاب المقدس لدى النصارى من: فقدان الأصل، وغياب السند، وجهالة الكاتب، وتدخلات النساخ والمترجمين.

وسيأتي -إن شاء الله- أن رسائل بولس -اختلف رجال الدين النصراني والمؤرخون في نسبتها لبولس، ومنهم من يرى أنه لا يمكن القطع بنسبة أيًا منها إلى بولس.

(2) أنها تمثل وجهة نظر بولس في خلافاته العديدة مع تلاميذ المسيح عليه السلام، ومع العديد من الكنائس والمعاصرين له.

(3) أن بولس لا يمكن الاعتماد على صدقه، لأنه قال عن نفسه في رسالته الأولى لأهل كورنثوس:

"9: 20 فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس.

8 النسخة اليسوعية للكتاب المقدس لدى النصارى- العهد الجديد- أعمال الرسل- مدخل ص: 367

9: 21 وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس - مع أني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس للمسيح - لأربح الذين بلا ناموس"[9].

أي أنه يتقلب مع كل فئة حسب هواها، ليضمها له.

وهو الذي يستبيح الكذب لتمجيد الله حسب زعمه، حيث جاء في رسالته الثانية لأهل رومية:

"3: 7 فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أدان أنا بعد كخاطئ"[10].

(4) أن بولس يزعم أنه يتلقى الوحي مباشرة من المسيح، الذي لم يره، وبنى زعمه بناء على قصة ليس عليها أي شاهد ولا دليل، وهي أنه قد رأى المسيح في سفره.

(5) أن رسائل بولس تتناقض مع سفر (أعمال الرسل) في مواضع عديدة.

وهو ما أكده رجل الدين الملقب بـ(الموقر) كريستر ستندال[11] وإيميلي ساندر[12] في الموسوعة البريطانية؛ من أن معلومات التاريخ الشخصي عن رحلات بولس وأحواله تتناقض مع رسائله، ومع ما ورد في سفر أعمال الرسل[13].

وكتب أيضًا إي بي ساندرز[14]: "رغم أن معلومات (الأعمال) كثيرًا ما تكون مفيدة إلا أنها منقولة عن الغير، وأحيانًا ما تكون في تناقض مباشر مع (الرسائل)"[15].

***

وكون الكتاب المقدس -لدى النصارى- كتاب إيمان لا كتاب تاريخ، لا يبرر أن يكون مناقضًا للتاريخ، تلك المناقضة التي أقر بها العديد من رجال الدين النصارى، بل وأقر بها ضمنًا الأب سيداروس اليسوعي؛ حين ذكر أن هذه الحقائق تقنع باحثًا (سطحيًا) بتحريف الأناجيل.

كما أن من يكذب في التاريخ أو يخطئ أو يسهو، قد يكذب -أيضًا- أو يخطئ أو يسهو في الإيمان والعقائد.

ثم كيف تثبت الوقائع التي يقوم عليها الإيمان المسيحي كالصلب والقيامة من الأموات والفداء وأقوال المسيح عليه السلام، إذا كان من يرويها يكذب أو يخطئ أو يسهو في النقل والتأريخ.

ثم كيف لم يعصم الروح القدس ذلك الكاتب من ذلك؟

ثم إذا كان ما في هذه الكتب لا يجب أن يؤخذ حرفيًا في التاريخ والحقائق العلمية، فلماذا يجب أن يؤخذ بحرفيته في مسائل الإيمان، لماذا لا نعاملها -أيضًا- بالمثل؟

ثم بأية حجة يدعون أن الروح القدس ألهم كتاب الأناجيل؟ فهل ألهم أيضًا النساخ والمترجمين والنقلة، الذين حرفوا أيما تحريف؟

وسوف نرى -إن شاء الله- أن النصارى في تحريفاتهم المتعددة قد زعموا أنهم فعلوا ذلك بإلهام الروح القدس.

وقد علمنا القرآن الكريم أن الله لا يأمر بالفحشاء. قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[16]. وذم القرآن الكريم من ينسب لله -سبحانه وتعالى-

---

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس: 9: 20 و21.

10 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة لأهل رومية: 3: 7.

11 أسقف ستوكهلم (1984- 88م)، وأستاذ الإلهيات في جامعة هارفارد (1981- 84م)، وعميد مدرسة الإلهيات (1968- 79م).

12 الأستاذة المساعدة للعهد الجديد في جامعة يال (1973- 75م)، والمحررة المساعدة والمترجمة في (الكتاب المقدس ودور المرأة).

13 النص الأصلي هو:

"Biographical notes about Paul's journeys and situations contradict his own letters as well as the accounts in Acts". [Encyclopædia Britannica, biblical literature, New Testament literature, The Pauline Letters, The Pastoral Letters: I and II Timothy and Titus, The Pastoral Letters as a unit, Content and problems].

14 أستاذ العقيدة بجامعة دوك بالولايات المتحدة.

15 النص الأصلي هو:

“Although frequently useful, the information in Acts is secondhand, and it is sometimes in direct conflict with the letters”. [Encyclopædia Britannica, Paul, the Apostle, Saint].

16 سورة النحل، الآية: 90.

هذه المنكرات فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[17].

بل أمرنا سبحانه أن نؤدي الشهادة بصدق وأمانة، ولا نكتمها، وأن نشهد بالصدق ولو على أنفسنا أو أقاربنا، وأن نعدل حتى مع أعدائنا، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾.

ولم يأمرنا بأن نقدس كتبًا يناقض بعضها بعضًا، وتصطدم بأوضح الحقائق، ثم نزعم أن الله أوحى بها، ولا أن نحرف في النصوص، ثم ندعي أن الروح القدس قد ألهمنا بذلك.

ثم إذا كان الروح القدس -كما يزعم رجال الكنائس- قد ألهم كتاب الأناجيل فيما كتبوا، ثم ألهم النساخ فيما غيروا، فلماذا لم يفصل الروح القدس بين طوائف النصارى، ثم بين النصارى واليهود في اختلافهم حول أسفارهم؟

إنه الخداع، ومحاولة تمرير كتب محرفة، تنبني عليها عقائد منحرفة.

ثم هذه المزاعم يمكن أن يدعيها أي وثني أو مشرك أو صاحب ضلالة؛ أنه يكتب بإلهام من الله، فإذا طولب بالحجة قال: إن كتابه يقول ذلك، فتأمل الخداع.

ثم كيف نقبل في عقيدتنا عن الله سبحانه، وعن خلاصنا في الآخرة ما لا نقبله في إثبات دين بمئة دولار؟

إن خلاص البشرية هو في الوحي المنزل من الله، الذي يفصل في خلافات البشر، ويهديهم من الظلمات إلى النور، لا في أسفار لا يعلم كيف كتبت ولا نقلت ولا ترجمت، ثم يأتي أصحابها ويتحكمون بأنها من إلهام الله، ويحاكمون الناس لها، بل ويتقاتلون ويلعن بعضهم بعضًا على نصوصها!!!

وهذا الذي نقلته عن شراح النسخة اليسوعية والدكتور القس حنا جرجس الخضري والأب سيداروس اليسوعي هو اعتذار الكنائس النصرانية عن التناقضات الكثيرة والأخطاء المنتشرة في كتبهم المقدسة.

إن القول **بأن الكتاب المقدس هو كتاب إيمان وليس كتاب تاريخ**، يعني **أن الكتاب المقدس هو كتاب الكنيسة وليس كتاب الحقيقة**.

وهذا يبين جانبًا خطيرًا من جوانب الفساد السياسي، الذي مارسته الكنيسة، ألا وهو فصل الإيمان عن العقل والدليل والبرهان والخبر الصحيح والسند الثابت.

وأن الإيمان شيء يصعب توصيفه، عليك أن تؤمن به كما هو دون نقاش أو طلب دليل، وهذا ما مهد لفساد الكنيسة ومخالفاتها الفاحشة للعقل والعلم والأخلاق بل وللمسيحية، مما أدى لتمرد شعوب الغرب عليها، وانتقالهم من المسيحية للعلمانية والإلحاد، ونشوء الدولة الوطنية الحديثة على أساس فصل الدين عن الدولة.

وممن تعرض لهذه النقطة -أيضًا- مؤلفو كتاب

(الدم المقدس، الكأس المقدس[18]- Holy Blood, Holy Grail)، حيث أكدوا أن الأناجيل لا يمكن الاعتماد عليها في إثبات الأحداث التاريخية لكمية التلاعب الضخمة التي أصابتها، وإن كانوا لا يقولون إن كل ما فيها باطل، ولكنها على الأقل ليست مصدرًا تاريخيًا موثوقًا، وضربوا لذلك مثالًا بـ(إنجيل مرقس السري)، الذي احتوى على جزء تم حذفه من إنجيل مرقس المتداول حاليًا، فقد ذكروا أن الأستاذ مورتون سميث من جامعة كولومبيا قد اكتشف في عام 1958م جزءًا من إنجيل مرقس السري، تم حذفه بناء على أمر من القديس كلمنت السكندري[19]، وسأشير لتلك الحادثة بشيء من التفصيل -إن شاء الله- عند التعرض للتحريفات.

---

17 سورة الأعراف، الآية: 28.

18 يعد من أشهر الكتب التي كتبت عن تاريخ السيد المسيح -عليه السلام- في الغرب، وتدور فكرته الأساسية حول أن المسيح -عليه السلام- قد نجا من مؤامرة الصلب، وعاش، وتزوج كسائر أنبياء بني إسرائيل، وأنجب وترك ذرية، وأن الكنيسة تتكتم على هذه الحقيقة بكل ما تستطيع.

19 Holy Blood Holy grail, 2004 p: 326 to 333.

ثم لا يخفى أن التاريخ يكتبه المنتصر، ولذلك فإن معظم تاريخ تلك الحقبة قد كتبته الكنيسة البولسية وأنصارها، فهي التي تغلبت في النهاية على التوجهات التوحيدية المناهضة للتثليث، وهو الأمر الذي بدأ يظهر تدريجًا كانحراف ينتقل من غلو لغلو في القرون الثلاثة الأولى على يد بولس وأتباعه، رغم صراعهم الشديد مع أصحاب التوجهات التوحيدية، إلى أن تبنى الإمبراطور قسطنطين النصرانية المثلثة، وجعلها دين الدولة الرسمي، وفرض التثليث في مجمع نيقية عام 325م.

ولكن رغم ذلك -ورغم الاضطهاد الذي عاناه الموحدون من أتباع عيسى عليه السلام- فقد بقيت العديد من الشواهد، التي يقر بها الجميع بما فيهم أتباع التثليث البولسي، والتي تدل على أن الكنيسة الأولى كانت موحدة على شريعة موسى عليه السلام، وكانت معادية للعقائد التي سعى بولس وأنصاره لإدخالها في النصرانية.

***

المسألة الثانية: التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى

وأتناول هذا التطور بإيجاز مركزًا على أهم معالمه، وأقسم البحث فيه لمرحلتين:

المرحلة الأولى: (من سنة 30م إلى 135م)، وتمتد هذه المرحلة من رفع المسيح -عليه السلام- إلى سنة 135م، التي طرد فيها اليهود من القدس.

المرحلة الثانية: (من سنة 135م إلى 325م)، وتمتد من طرد اليهود من بيت المقدس حتى انعقاد مجمع نيقية سنة 325م.

***

المرحلة الأولى: (من سنة 30م إلى 135م)، وتمتد هذه المرحلة من رفع المسيح -عليه السلام- إلى سنة 135م، التي طرد فيها اليهود من القدس.

لقد كان تدمير هيكل اليهود عام 70 م ثم طرد اليهود من القدس عام 135 حادثين هامين أهمية شديدة في تاريخ المسيحية الأولى، ولذا فسأقسم البحث هنا إلى ذكر أحداث مدتين:

المدة الأولى: من رفع المسيح -عليه السلام- إلى تدمير الهيكل عام 70م

المدة الثانية: من تدمير الهيكل إلى طرد اليهود من القدس عام 135م

***

المدة الأولى: من رفع المسيح -عليه السلام- إلى تدمير الهيكل عام 70م

في هذه المدة بدأ الافتراق بين أتباع عيسى -عليه السلام- الذين كانوا على عقيدة التوحيد والتزام شرائع التوراة، وبين أتباع بولس، الذين ألَّهوا المسيح –عليه السلام- ورفضوا شرائع التوراة.

وأتناول البحث في هذه المدة تحت العناوين التالية:

[أ] حواريو المسيح -عليه السلام-كانوا على عقيدته

[ب] حواريو المسيح –عليه السلام-كانوا يلتزمون بالهيكل

[ج] يعقوب العادل ودوره في كنيسة القدس

[د] ظهور بولس ودوره في مشاقة الكنيسة المُوَحِدة

***

[أ] حواريو المسيح -عليه السلام- كانوا على عقيدته

لما رفع المسيح -عليه السلام- استمر حواريوه على دينه وعقيدته، وحيث أن المسيح –عليه السلام- كان يهوديًا، ولم يأت ليغير عقيدة اليهود، كما روى عنه كتاب الأناجيل، حيث نسبوا له أنه قال:

"لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل"[1].

إذن فالأصل أن أتباع المسيح من الحواريين وغيرهم، كانوا على عقيدة التوحيد الموسوية، أما ما ذكرته الأناجيل وسفر (أعمال الرسل) ورسائل بولس وغيرها من وقائع منافية للتوحيد، فلا يعتد بها أصلًا، لأني بينت أن هذه الأسفار -باعتراف النصارى- ليست كتب تاريخ، كما ذكرت آنفًا.

إذن فهي يحتج بها على بولس وكنيسته لا لهم، من باب إلزام القائل بقوله، والمعتقد بعقيدته، لا من باب تصديقه.

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- متى: 5: 17 ص: 3.

[ب] حواريو المسيح –عليه السلام- كانوا يلتزمون بالهيكل

جاء في سفر أعمال الرسل عن المسيحيين الأوائل:

"2: 42 وكانوا يواظبون على تعليم الرسل و الشركة و كسر الخبز و الصلوات.

.....

2 :46 وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج و بساطة قلب.

2 :47 مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون

3: 1 وصعد بطرس ويوحنا معًا إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة"[1].

إذن هنا يقرر كاتب سفر (أعمال الرسل) أن النصارى الأوائل كانوا مواظبين على تعليم رسل بني إسرائيل عليهم السلام، وأنهم كانوا يصلون في الهيكل، أي يتعبدون على حسب شريعة اليهود، ولم تكن لهم كنيسة.

كما أن جميع الشعب (أي عامة اليهود) كانوا يجلونهم، إذن لا يمكن أن يكونوا مخالفين لعقيدة التوحيد، التي تدعو لها اليهودية، رغم ما شابها من شوائب، مثل تصويرهم المولى سبحانه في صورة الأجسام، ومثل تقربهم للشيطان (عزازيل)، كما سأبين إن شاء الله.

ولو كان المسيحيون الأوائل يعتقدون ويجاهرون بأن المسيح –عليه السلام- هو الإله المتجسد وهو الأقنوم الثاني وهو الابن الأزلي للمولى تعالى عن ذلك؛ إله من إله، كما صاغوا عقائدهم في مجمع نيقية (325م)، لنبذهم اليهود، ولرجموهم.

وعن هذا يقول هيم ماكبي[2]:

"وظل أتباع عيسى -عليه السلام- يترددون على المعبد، ولم يعلن واحد منهم أنه يريد أن يؤسس كنيسة أو أن يكون راهبًا. صحيح أنهم كانوا تجمعًا متميزًا (عن اليهود) ولكنهم لم يشكلوا كنيسة. وظلوا دينيًا جزءًا لا يتجزأ من اليهودية. لهذا فمن غير الصحيح تاريخيًا أن نستخدم عبارة "كنيسة القدس" للحديث عن أتباع عيسى أنذاك.

وتعارض الكنيسة بالطبع هذه الحقيقة التاريخية، وتقول أن عيسى -عليه السلام- نفسه أسس كنيسة. وإذا كان ذلك صحيحًا فلماذا تصرف حواريوه وأتباعه بعد موته كأنه لم تكن هناك كنيسة؟

وإذا صح أن عيسى -عليه السلام- كما تقول الأناجيل قد اختار بطرس رأسًا لهذه الكنيسة فلماذا اختار الحواريون النصارى أخا المسيح "يعقوب" رأسًا لها ولم يختاروا بطرس؟ مع أن الأناجيل لا تعتبر "يعقوب" واحدًا من أتباع المسيح.

إنها إحدى التناقضات التي ترسم لنا صورة للتشويه الذي ألحق بتاريخ عيسى -عليه السلام- بعد وفاته"[3].

***

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 2: 42 إل 3: 1 ص: 94.

2 أستاذ تاريخ الأديان بمعهد (ليو بايك) بلندن.

3 بولس وتحريف المسيحية ص:59 و60.

[ج] يعقوب العادل ودوره في كنيسة القدس

وكان الزعيم الأول لهؤلاء المسيحيين الأوائل -حسب المصادر النصرانية- هو يعقوب العادل أو البار، وكان معه سمعان (بطرس) وبقية التلاميذ.

وهنا يحسن أن أذكر نبذة مختصرة عن يعقوب العادل، وعن الرسالة التي تنسب له.

***

{1} تعريف بدور يعقوب العادل

زعمت أسفار النصارى أن يعقوب -أول زعيم لكنيسة القدس- هو أخو المسيح عليه السلام، فقد ذكر كاتب إنجيل متى عن سيدنا المسيح عليه السلام:

"13: 54 ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم في مجمعهم حتى بهتوا وقالوا: "من أين لهذا هذه الحكمة والقوات؟

13: 55 أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم، وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا؟

13: 56 أوليست أخواته جميعهن عندنا؟ فمن أين لهذا هذه كلها؟"[1].

وذكر كاتب رسالة بولس لأهل غلاطية:

"1: 18 ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس، فمكثت عنده خمسة عشر يومًا.

1: 19 ولكنني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب"[2].

وذكر يوسابيوس القيصري في تاريخه:

"وبعد ذلك دون عن يعقوب -الذي لقبه الأقدمون بالبار بسبب سموه في الفضيلة- أنه صار أسقفًا لكنيسة أورشليم، ويعقوب هذا كان يدعى أخو الرب لأن المعروف عنه أنه كان ابنًا ليوسف"[3].

وحاولت الأناجيل أن تصور -من زعمتهم- إخوة المسيح -عليه السلام- بصورة منفرة، فقد ذكر عنهم كاتب إنجيل مرقس أنهم كانوا يعتبرون سيدنا المسيح مختلًا:

"3: 21 ولما سمع أقرباؤه خرجوا ليمسكوه، لأنهم قالوا: "إنه مختل!"[4].

بل يصورهم كاتب -أو كتبة- إنجيل يوحنا بأنهم لم يكونوا يؤمنون به عليه السلام:

"7: 5 لأن إخوته أيضًا لم يكونوا يؤمنون به"[5].

وذكر كاتب إنجيل مرقس أيضًا أن سيدنا المسيح -عليه السلام- كان لا يعبأ بهم:

"3: 31 فجاءت حينئذ إخوته وأمه ووقفوا خارجًا وأرسلوا إليه يدعونه.

3: 32 وكان الجمع جالسًا حوله، فقالوا له: "هوذا أمك وإخوتك خارجًا يطلبونك".

3: 33 فأجابهم قائلًا: "من أمي وإخوتي؟".

3: 34 ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال: "ها أمي وإخوتي،

3: 35 لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي"[6].

ولكن بولس يعتبره من رسل المسيح كما نقلت عنه آنفًا، وكذلك اعتبره من أعمدة المسيحيين الأوائل، حيث جاء عنه في رسالته لأهل غلاطية:

"2: 9 فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم، وأما هم فللختان"[7].

كما أن سفر (أعمال الرسل) يصوره كزعيم لكنيسة القدس، كما سيأتي إن شاء الله.

وتعترف أسفار النصارى ومؤرخوهم بأنه كان محافظًا على شريعة موسى عليه السلام، ويعتبرونه زعيم الغيورين على الناموس الموسوي[8]، ومما يستدلون به على ذلك؛ ما وبخ به بولسُ بطرسَ:

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 13: 54 إلى 56 ص: 12.
راجع أيضًا: مرقس: 6: 3.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس لأهل غلاطية: 1: 18 و19 ص: 149.

3 تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري ص: 51.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 3: 21 ص: 29.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 7: 5 ص: 78.

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 3: 31 إلى 35 ص: 29.

7 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس لأهل غلاطية: 2: 9 ص: 149.

8 دائرة المعارف الكتابية- حرف العين- مادة: يعقوب- يعقوب أخو الرب ج: 8 ص: 293.

"2: 11 ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهةً، لأنه كان ملومًا.

2: 12 لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه، خائفًا من الذين هم من الختان"[9].

وكان يتعبد في الهيكل، إلى أن استشهد عام 62م[10]، على حسب تقديرهم.

وكتب يوسابيوس القيصري -الذي يسميه النصارى أبا التاريخ الكنسي- عن أساقفة بيت المقدس حتى خرابه الثاني:

"(1) لم أجد في أي مكان قائمة مكتوبة بأسماء أساقفة أورشليم، لأن الروايات المتواترة تقول أنهم جميعا لم يعمروا طويلا.

(2) ولكني علمت من بعض الكتب أنه إلى وقت حصار اليهود، الذي تم في عهد أدريان، تولى الأسقفية فيها خمس عشر أسقفا بالتتابع، وقيل أنهم كانوا من أصل عبراني، وأنهم قبلوا معرفة المسيح نقية، ولذلك اعترف بهم من كان في قدرتهم الحكم على هذه الأمور، وحسبوا جديرين بمركز الأسقفية. لأن كنيستهم بأكملها كانت تتكون وقتئذ من مؤمني العبرانيين، الذين ظلوا من أيام الرسل حتى الحصار الذي حدث في هذا الوقت، والذي غلب فيه اليهود بعد مواقع قاسية إذ كانوا قد تمردوا ثانية على الرومانيين.

(3) ولكن لأن أساقفة الختان لم يعد لهم وجود منذ ذلك الوقت، فمن المناسب هنا أن نقدم قائمة بأسمائهم منذ البداية.

الأول يعقوب الملقب أخو الرب، الثاني سمعان، والثالث يسطس، الرابع زكا، الخامس طوبيا، السادس بنيامين، السابع يوحنا، الثامن متياس، التاسع فيلبس، العاشر سينكا، الحادي عشر يسطس، الثاني عشر لاوي، الثالث عشر أفريس، الرابع عشر يوسف، وأخيرا الخامس عشر يهوذا.

(4) هؤلاء هم أساقفة أورشليم الذين عاشوا بين عصر الرسل والعصر المشار إليه، وكلهم كانوا من أهل الختان"[11].

وقد نقل ابن تيمية -رحمه الله- عن ابن البطريق[12] بشأن حملة إيليا إندريانوس، التي قامت بالتخريب الثاني لبيت المقدس:

"فاتصل الخبر بإيليا بن قيصر[13] أندريانوس، فوجه إليهم بقائد من قواده مع خلق كثير، فحاصر المدينة، فمات كل من فيها من الجوع والعطش، ثم فتحها فقتل من اليهود ما لا يحصى، وهدم الحصن، وخرَّب المدينة حتى صيرها صحراء.

قال: وهذا آخر خراب بيت المقدس.

....

قال: ثم مات (إيليا الملك)، وملك بعده (أنطونيوس قيصر) برومية اثنين وعشرين سنة.

قال: وفي إحدى عشرة سنة من ملكه صيَّر يهودا أسقفًا على بيت المقدس، فأقام سنتين ومات.

---

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس لأهل غلاطية: 2:11 و12.

10 Encyclopædia Britannica, 2015, Christianity, The history of Christianity, The Gentile mission and St. Paul.

11 تاريخ الكنيسة- الكتاب الرابع- الفصل الخامس: أساقفة أورشليم من عصر مخلصنا إلى العصر موضوع تأملنا ص: 153.

12 سعيد بن البطريق (263 - 328 هـ = 877 - 940 م): طبيب مؤرخ، من أهل مصر. ولد بالفسطاط، وأقيم بطريكا في الإسكندرية وسمي إنتيشيوس (Entychius) سنة 321هـ. له (نظم الجوهر - ط) في التاريخ، و (الجدل بين المخالف والنصراني) و (علم وعمل) كناش في الطب. [الأعلام للزركلي ج: 3 ص: 92].

13 ذكر محققو (الجواب الصحيح) عن كتاب ابن البطريق (نظم الجوهر ج: 1 ص: 111) أن اسمه: إيليا أندريانوس قيصر، وأن إيليا لقب للقيصر أندريانوس، وليس ابنه. [الجواب الصحيح ج: 4 ص: 193].

وهو الإمبراطور الروماني المعروف بـ(هادريان)، واسمه الكامل: ببليوس إيليوس هادريانوس.

[Microsoft Encarta 2009, Hadrian].

قال: فمن يعقوب أسقف بيت المقدس الأول، إلى يهودا أسقف بيت المقدس هذا، كانت الأساقفة الذين صيروا على بيت المقدس مختونين"[14].

فإذا كان هادريان قد مات عام 138م[15]، فمما يستفاد من كلام ابن البطريق أن يهودا أسقف بيت المقدس قد تم تنصيبه بعده بإحدى عشرة سنة، أي في عام 149م، وبقي حتى عام 151م، أي بعد رفع المسيح -عليه السلام- بقرابة مائة وعشرين سنة، وكان أساقفة بيت المقدس النصارى خلالها كلهم مختونين، أي متابعين للشريعة الموسوية، خلافًا لتعاليم بولس.

وإذا كان رؤساء الكنيسة متمسكين بتعاليم الشريعة الموسوية، فبالتالي سيتمسك بها أتباعهم.

ومن الجدير بالذكر أن كنيسة أو تجمع القدس كانت هي صاحبة المرجعية العليا في بداية المسيحية، واستمرت هذه المكانة حتى التدمير الثاني لبيت المقدس على يد الإمبراطور هادريان.

وعن هذا كتب أستاذ اللاهوت ورجل الدين المسيحي الملقب بـ(الموقر جدًا) هنري تشادويك[16]:

"كانت المرجعية في الجيل المسيحي الأول تنحصر في أقارب يسوع أو في أولئك الذين فوضهم كرسل أو مبشرين. وكانت كنيسة القدس بزعامة يعقوب -أخو يسوع- هي الكنيسة الأم. وقد أقر بولس بأنهم إن رفضوا منح الاعتراف لمن حولهم من الأمم، فإن كل ما بذله سيذهب سدى"[17].

وكتب أيضًا:

"لقد نُظِر لصلب يسوع باعتباره العمل الافتدائي الأسمى بالإضافة لكونه وسيلة تكفير ذنوب بني البشر.

ولذا فالخلاص في فكر بولس لا تنشئه أخلاقيات الضمير الحي، بل هو منحة النعمة، وهي العقيدة التي سُبِق فيها بولس بـ(فيلو)، ولكن بولس أدرج هذه العقيدة في سياق أن الإنجيل يمثل التحرر من القانون الموسوي.

وهذا الطرح الأخير أوجد صعوبات في أورشليم، حيث كانت الجماعة المسيحية يقودها يعقوب -أخو يسوع- ودائرة الأتباع المقربين ليسوع.

وقد استشهد يعقوب في القدس في 63، وكان يعد المرجع الأعلى لليهود المسيحيين، وخاصة لأولئك المتضجرين من بولس.

وتعد الرسالة (القانونية) المنسوبة ليعقوب رفضًا لتفسيرات عقيدة الخلاص بالإيمان المناقضة للشريعة.

ويبدو أن بطرس قد اتخذ موقفًا وسطًا.

وتسجل كل الأناجيل تفويضًا خاصًا من يسوع لبطرس كزعيم ضمن الرسل الأثني عشر.

ولكن ترجمة بطرس لا يمكن استخلاصها إلا بغبش، فقد مات في روما -طبقًا لتقليد قديم- أثناء اضطهاد نيرون (64) تقريبًا في نفس الزمن مثل بولس.

وقد تأكدت سيادة (التبشير بين الأمم) في داخل الكنيسة بسبب ما حل بالمسيحية اليهودية من سقوط القدس (70) وطرد هادريان لكل اليهود من المدينة (135). فتضاءلت اليهودية المسيحية، وصارت عقيدة مجموعة صغيرة جدًا بلا

---

14 الجواب الصحيح ج: 4 ص: 194 و195.

15 Microsoft Encarta 2009, Hadrian.

16 الأستاذ الملكي المتقاعد للإلهيات بجامعة كمبردج، وقيم بيت بطرس بكمبردج (1987- 93م).

17 Encyclopædia Britannica, 2015, Christianity, The history of Christianity, The problem of jurisdictional authority.

النص الأصلي هو:

"In the first Christian generation, authority in the church lay either in the kinsmen of Jesus or in those whom he had commissioned as Apostles and missionaries. The Jerusalem church under James, the brother of Jesus, was the mother church. Paul admitted that if they had refused to grant recognition to his Gentile converts he would have laboured in vain".

صلة لا بالمعبد ولا بكنيسة الأمم، وبعضهم حمل اسم الأبيونيين "الفقراء" (راجع: متى: 5: 3)، ولم يقبلوا تقليد: أن عيسى ولد من عذراء"[18].

وتذكر الدكتورة بسمة جستنية أنه طبقًا لما اكتشف من آثار في نجع حمادي بمصر؛ فإن يعقوب كان الشخصية البارزة في الجماعة النصرانية الأولى، الذين كانوا من أصل يهودي.

وكان بيت المقدس عاصمة بني إسرائيل آنذاك، وكان يهود العالم المقيمين في الآفاق يقصدونه للعبادة، فاتصلت دعوة المسيح -عليه السلام- بهم.

ثم عندما انتشرت دعوته -عليه السلام- بين الأمصار كان وجود الجماعة الأم في بيت المقدس حجة على سيادتها الدينية في العقيدة -عقيدة التوحيد، بل مارست نوعًا من السيطرة على الجماعات اليهودية الأولى[19].

وقد كان يعقوب العادل هو رئيس هذا التجمع، ويساعده تلاميذ المسيح -عليه السلام- الاثنا عشر، حسب رواية الأناجيل وسفر أعمال الرسل، ولكن هذه الأسفار مع رسائل بولس تظهرهم بصورة باهتة، بل سنرى كيف يتهجم بولس عليهم ويحتقرهم.

وعن هذا كتب هيم ماكبي[20]:

"علينا أن نعرف أن "العهد الجديد" الذي نعرفه اليوم متأثر ببولس تأثرًا أكبر مما يظهر للعيان، على الرغم من أن الأناجيل لا تسلط أضواءها إلا على شخصية عيسى عليه السلام. إننا لا نعثر على بولس مباشرة إلا في رسائله.

وهنا لا بد من الإشارة إلى مسألة تاريخية هامة، وهي أن رسائل بولس في الواقع ليست إلا النصوص الأولى للعهد الجديد ما دام أنها كتبت بين سنة 50 و60 للميلاد، بينما لم تُكتب الأناجيل "العهد الجديد" التي وصلت إلينا إلا بين 70 و110 للميلاد، أي أن مؤلفي هذه الأناجيل تأثروا برسالة بولس، التي كُتبت قبلهم وتشربوا بأفكاره وتأويلاته لأعمال عيسى عليه السلام.

إن بولس حاضر ناظر في العهد الجديد منذ كلمته الأولى، على الرغم من أن هذه الأناجيل تتحدث عن أمور وقضايا سبقت تأثير بولس.

ولا شك في أن مفاهيم بولس ونظرته قد طغت على الأناجيل طغيانًا دل على انتصار نظرته على كل ما فعله المسيح على الأرض، وذلك في عقيدة الكنيسة بعد ذلك، وقد كانت هناك تفسيرات مختلفة عن تفسيرات بولس، وكانت

---

18 Encyclopædia Britannica, 2015, Christianity, The history of Christianity, The Gentile mission and St. Paul.

النص الأصلي هو:

"The crucifixion of Jesus he viewed as the supreme redemptive act and also as the means of expiation for the sin of mankind. Salvation is, in Paul's thought, therefore, not found by a conscientious moralism but rather is a gift of grace, a doctrine in which Paul was anticipated by Philo. But Paul linked this doctrine with his theme that the Gospel represents liberation from the Mosaic Law. The latter thesis created difficulties at Jerusalem, where the Christian community was led by James, the brother of Jesus, and the circle of the intimate disciples of Jesus. James, martyred at Jerusalem in 62, was the primary authority for the Christian Jews, especially those made anxious by Paul; the canonical letter ascribed to James opposes the antinomian (anti-law) interpretations of the doctrine of justification by faith. A middle position seems to have been occupied by Peter. All the Gospels record a special commission of Jesus to Peter as the leader among the 12 Apostles. But Peter's biography can only be dimly constructed; he died in Rome (according to early tradition) in Nero's persecution (64) about the same time as Paul.

The supremacy of the Gentile mission within the church was ensured by the effects on Jewish Christianity of the fall of Jerusalem (70) and Hadrian's exclusion of all Jews from the city (135). Jewish Christianity declined and became the faith of a very small group without links to either synagogue or Gentile church. Some bore the title Ebionites, “the poor” (compare Matthew 5:3), and did not accept the tradition that Jesus was born of a virgin".

19 تحريف رسالة المسيح -عليه السلام- عبر التاريخ ص: 67 و77.

20 أستاذ تاريخ الأديان بمعهد (ليو بايك) بلندن.

متمشية مع المسيحية الأولى، غير أن هذه التفسيرات والآراء أزيلت واتهمت بالكفر عندما ثبتت الكنيسة البولسية لائحة الكتابات، التي صارت تُعرف بعد ذلك بالعهد الجديد.

كل هذا يفسر لماذا عتّمت الأناجيل الأربعة على حواريي المسيح الاثني عشر، ولماذا جعلتهم شخصيات غامضة باهتة خائرة محدودة الذكاء، كأنهم لم يفهموا شيئًا من رسالة عيسى عليه السلام.

لقد خفت أهمية هؤلاء الحواريين وطمس عليها. فعلى سبيل المثال يقول لنا التاريخ أن يعقوب العادل أخا عيسى - عليه السلام- هو الذي تزعم "كنيسة القدس" بعد ارتفاع أخيه، بينما تصوره لنا هذه الأناجيل غريبًا عن رسالة أخيه جاهلًا لها، بل إنها تصفه لنا وصفًا موجزًا يوحي بأنه كان شديد العداء لعيسى وأنه كان يظن فيه (الجنون). فكيف تزعم يعقوب "كنيسة القدس" بعد موت أخيه مباشرة؟ إن النصوص المعتمدة لا تساعدنا كثيرًا على فهم هذه الشخصية. لقد رقعت الكنيسة هذه الثغرة بعد ذلك بأن اخترعت الأساطير والخرافات عن إيمان يعقوب وعن نزول الوحي عليه"[21].

***

21 بولس وتحريف المسيحية ص: 15 و16.

{2} رسالة القديس يعقوب

تنسب الكنيسة في أسفارها (القانونية) -التي تعترف بها- رسالة ليعقوب.

{أ} من كتب رسالة يعقوب؟

وهذه الرسالة لا تقطع الكنيسة بمن كتبها، فيقول شراح النسخة اليسوعية في المدخل لتلك الرسالة:

"وهناك مشكلة أيضًا في أن التقليد نسب الرسالة إلى يعقوب أخي الرب يسوع، حتى ولو تُخلي عن الرأي القائل بأن هذا الشخص هو يعقوب بن حلفي، وعضو جماعة الاثني عشر .....، فإنه ذو شأن عظيم في كنيسة أورشليم .....

وهو يبدو فلسطينيًا محضًا غريبًا عن الثقافة اليونانية .... أيعقل أنه كتب مؤلفًا يونانيًا بمثل هذا الوضوح؟ فإذا أخذنا بهذه النسبة بالحرف الواحد، فإنها لا تبدو محتملة. ومع ذلك، فإنها أقدم وأعم من أن تُنَحَّى من غير سبب.

....

وهناك من يقبل الرأي القائل أنه كلف أمير سر لغته اليونانية إنشاء الرسالة باسمه وفقًا لتوجيهاته.

ويرى آخرون رأيًا احتماله أرجح، وهو أنه كان هناك تقليد فيه أقوال يعقوب، أشبه، إذا روعي ما تجب مراعاته، بالتقليد الذي يضم الأناجيل الثلاثة الأولى، وأن كاتبًا استعمله فأراد أن يجعل مؤلفه في ظل شخص مشهور جريًا على العادات الأدبية في ذلك الزمان"[1].

إذن فشراح النسخة اليسوعية أدخلونا في متاهة من الاحتمالات:

- التقليد ينسب الرسالة ليعقوب أخي يسوع، الذي يسمونه الرب، تعالى الله عن ذلك، وهذه يرونها مشكلة.

وهذا يدل على أن التقليد -الذي يبجلونه ويقدسونه- لا يعبئون به، ويعتبرونه مشكلة حين يشاءون، ويحتجون به حين يشاءون.

- وربما كان صاحبها يعقوب بن حلفي أحد التلاميذ الاثني عشر.

- وهو يبدو فلسطينيًا غريبًا عن الثقافة اليونانية، فكيف كتب هذه الرسالة اليونانية؟

- وربما كتبها أمير سر ليعقوب.

- وربما كتبها كاتب ما، نقلًا عن تقليد سابق.

إذن من هو صاحب الرسالة وكاتبها؟

لا نعرف، كالعادة في أسفار النصارى. ومع ذلك يعتبرون هذه الرسالة نصًا مقدسًا، وأنها مع غيرها من أسفارهم تمثل (كلمة الله المحفوظة!!!).

***

{ب} متى اعترفت الكنائس بتلك الرسالة؟

كتب يوسابيوس القيصري:

"هذا ما دون عن يعقوب كاتب أول رسالة من الرسائل الجامعة. ومما تجدر ملاحظته أن هذه الرسالة متنازع عليها، أو على الأقل أن الكثيرين من الأقدمين لم يذكروها في كتاباتهم"[2].

وكتب شراح النسخة اليسوعية في المدخل لتلك الرسالة:

"بعض المشكلات

يكمن، تحت الصفاء الظاهر، مشكلات عويصة أحس بها التقليد القديم، فتردّد كثيرًا في أن يجعل لرسالة يعقوب المكانة التي جعلها لرسائل بولس. وأحصى جميع المسيحيين رسالة بطرس الأولى ورسالة يوحنا في عداد الأسفار المقدسة منذ القرن الثاني، في حين أنَّ رسالة يعقوب لم تحظَ بمكان في العهد الجديد إلا بتدرج بطيء جدًّا، منذ أول القرن الثالث. ولم تحصل إلا في آخر القرن الرابع، وبعد مناقشات طويلة في الغرب، على الصفة القانونية التي كان الشرق قد اعترف بها لها على

1 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس يعقوب- مدخل ص: 722.

2 تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري ص: 88.

نحو إجماعي. ومن المعروف أن لوثر بعث الجدل في أمر هذه الرسالة، وقد بدا له تعليمها "رسوليًا" على نحو قليل جدًا، حتى أنه كان يذهب إلى القول أحيانًا أنها مؤلف يهودي تجب إزالته من قانون الكتاب المقدس. ومع أنه لم يؤخذ برأيه، فإن ما لقيت رسالة يعقوب من صعوبة لتقبل في الكتاب المقدس على مر العصور هو ذو مغزى، فإن هذا المؤلف قائم في خارج التيارات اللاهوتية الكبيرة للمسيحية في القرن الأول"[3].

ويلاحظ على ما ذكره الشراح للنسخة اليسوعية الآتي:

أولًا: إن الرسالة لم تتقبلها الكنائس إلا في آخر القرن الرابع، وهذا يظهر مشكلة ما يسمى بـ(قانون الكتاب المقدس)، وكيف اختارت الكنائس بعض الأسفار وتركت بعضًا آخر، أو بالأحرى اختارت قلة من الأسفار وتركت أكثرها، دون إبداء أسباب واضحة، بل تمت العملية في صمت، ولتأييد وتبرير عقيدة الكنيسة، كما سأبين إن شاء الله.

والتردد والاختلاف في (قانون الكتاب المقدس) هو صورة من صور التحريف، لأن الذين لم يقبلوا بعض الأسفار يعتبرون محرفين بالحذف عند من قبلها، وبالعكس من يقبل بعض الأسفار يعتبر محرفًا بالزيادة عند من يرفضها.

وقبول أو رفض بعض الأسفار لا يستند لأدلة بينة ودلائل محكمة، لأن كل الأسفار ضاعت أصولها، ولا أسانيد لها، وتلاعبت بها أيدي النساخ والمترجمين، كما سأبين إن شاء الله.

ثانيًا: إن التردد في قبول هذه الرسالة نشأ من مخالفتها لتعاليم بولس، كما سأبين إن شاء الله، فقد كتب شراح النسخة اليسوعية: أنه حصل تردّد كثير "في أن يجعل لرسالة يعقوب المكانة التي جعلها لرسائل بولس"، وأن لوثر عدها مؤلفًا يهوديًا تجب إزالته، لأنها تؤكد على احترام الشريعة والالتزام بها متناقضة مع تعاليم بولس.

وعن هذا تذكر موسوعة إنكارتا: أن لوثر عارضها بشدة، لأنها رأى أن أجزاء منها تتناقض مع تعاليم بولس، وسماها (رسالة من القش)[4].

وهذا يؤكد على أن العقائد النصرانية لم تبن على نصوص منزلة، بل على العكس؛ تشكلت النصوص المقدسة بناء على العقائد الكنسية.

***

{ج} أهم ما تضمنته الرسالة

- نسبت الرسالة لكاتبها -المجهولة شخصيته- أنه ذكر سيدنا المسيح -عليه السلام- بأنه الرب في عددين:

"1: 1 يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح يهدي السلام الى الاثني عشر سبطًا الذين في الشتات"[5].

و" 2: 1 يا إخوتي لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح، رب المجد، في المحاباة"[6].

وعلق على هذا شراح اليسوعية بقولهم:

"وهي لا تذكر اسم يسوع المسيح إلا مرتين (1/1 و1/2) وعلى نحو عابر جدًا، حتى إن بعض النقاد رأوا في ذلك الأمر إضافتين ألحقتا بعدئذٍ لتجعل من مؤلف يهودي محض مؤلفًا مسيحيًا. وعندما يُنَحَّى هذا الافتراض المتصف بالمجازفة والذي يجعله النقاش في مسألة عَرَضت بعد ما علَّم بولس، ووردت في 2/ 14- 16، افتراضًا لا سبيل إلى الدفاع عنه"[7].

أي أن الشراح يعتبرون أن تعاليم بولس هي الأصل، وكل ما يخالفها "لا سبيل إلى الدفاع عنه".

- أكدت الرسالة على وجوب العمل الصالح مع الإيمان للخلاص، وأن الإيمان وحده لا يكفي.

- أكدت الرسالة على وجوب الالتزام بالشريعة.

---

3 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس يعقوب- مدخل ص: 721 و722.

4 Microsoft Encarta 2009, James (book of Bible).

النص الأصلي هو:

'He felt that parts of it contradicted the teachings of St. Paul, and he called it an “epistle of straw.”'.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة يعقوب: 1: 1 ص: 185.

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة يعقوب: 2: 1 ص: 185.

7 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس يعقوب- مدخل ص: 722.

- خلت الرسالة من أي من عقائد لبولس مثل: الخطيئة الأصلية والفداء والصلب.

ولذلك علق عليها شراح النسخة اليسوعية بقولهم:

"هذا كله يدل على أصل هليني للرسالة. والجدال الشديد الوارد في 2/ 14- 26، لرد تفسير فيه شطط للتعليم الذي تناول فيه بولس الخلاص بالإيمان من غير الأعمال، يتيح لنا أن ننسب على وجه أكيد تاريخ إنشاء الرسالة إلى ما بعد نصف القرن الأول بقليل.

....

وهذه الفقرات الثلاث تشن حملة لا تخلو من الشدة على العادات السيئة التي ربما دخلت بعض الكنائس التي أنشأها بولس، وهي التي قطعت صلاتها باليهود على وجه أتم.

....

يبدو أن كاتب رسالة يعقوب يشن حربًا على جبهتين: الجبهة الواحدة هي الكنائس المتمسكة بذكرى بولس تمسكًا مفرطًا، والجبهة الأخرى هي اليهود الأغنياء"[8].

وجاء في الرسالة:

"2: 14 ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد: إن له ايمانًا ولكن ليس له أعمال"[9].

فعلق عليها شراح النسخة اليسوعية بقولهم:

"يبدو أن الكاتب يقف موقفًا معاكسًا لمبدأ بولس القائل بالتبرير بالإيمان وحده"[10].

وقد حاول بعض الشراح أن يوفقوا بين ما في الرسالة وما جاء عن بولس بالخلاص بالإيمان وحده، ولكن التناقض واضح، وقد أقر به شراح النسخة اليسوعية، ونقلته آنفًا عن هنري تشادويك، حيث كتب:

"وتعد الرسالة (القانونية) المنسوبة ليعقوب رفضًا لتفسيرات عقيدة الخلاص بالإيمان المناقضة للشريعة"[11].

***

8 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس يعقوب- مدخل ص: 721 إلى 723.

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة يعقوب: 2: 14.

10 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس يعقوب- مدخل ص: 728.

11 Encyclopædia Britannica, 2015, Christianity, The history of Christianity, The Gentile mission and St. Paul.

[د] ظهور بولس ودوره في مشاقة الكنيسة المُوَحِدة

يعتبر كثير من الباحثين أن -النصرانية الغالبة في الدنيا- هي نصرانية بولس، وليست نصرانية المسيح عليه السلام. وقصة بولس قصة عجيبة، فهو لم ير سيدنا المسيح عليه السلام، ولكنه أعلن تنصره بعد رفع المسيح عليه السلام، ثم ادعى أنه يتلقى الوحي منه مباشرة، ثم قلب تعاليمه رأسًا على عقب. وتلخيصًا لقصته الطويلة، أتناولها تحت العناوين التالية:

{1} بدء قصة بولس

{2} زيارات بولس للقدس

{3} خلاف بولس مع تلاميذ المسيح

{4} خلاف بولس وأبلوس

{5} تهجم بولس على خصومه في العديد من الكنائس

***

{1} بدء قصة بولس

كان بولس يهوديًا معاديًا للمسيحيين مضطهدًا لهم، ويزعم كاتب سفر (أعمال الرسل) أنه طلب من رئيس الكهنة رسائل إلى الجماعات اليهودية في دمشق للقبض على من يجدهم من أتباع المسيح، ليسوقهم موثقين إلى أورشليم، ولكن في طريقه لدمشق ظهر له المسيح عليه السلام، وأمره بأن يكون مسيحيًا، حيث ذكر كاتب سفر أعمال الرسل:

"9: 1 أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددًا وقتلًا على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة

9: 2 وطلب منه رسائل إلى دمشق، إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناسًا من الطريق، رجالًا أو نساءً، يسوقهم موثقين إلى أورشليم.

9: 3 وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتةً أبرق حوله نور من السماء،

9: 4 فسقط على الأرض وسمع صوتًا قائلًا له: "شاول، شاول! لماذا تضطهدني؟".

9: 5 فقال: "من أنت يا سيد؟". فقال الرب: "أنا يسوع الذي أنت تضطهده"[1].

وهذه القصة فيها ثلاثة قوادح خطيرة:

القادح الأول: جهالة الراوي والمروي عنه.

القادح الثاني: ما بها من تناقضات.

القادح الثالث: أنها دعوى بلا دليل.

***

[1] نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 9: 1 إلى 5 ص: 100.

القادح الأول: جهالة الراوي والمروي عنه.

أما عن جهالة الراوي، فإن سفر أعمال الرسل لا يُعلم -كما سيأتي إن شاء الله- مَنْ كتبه، بل لا يُعلم هل كتبه كاتب واحد أم عدة كتبة. فقد ذكر شراح النسخة اليسوعية:

"لا شك أن واضع سفر أعمال الرسل قد استعمل بعض المراجع

....

إنه من العسير لسوء الحظ أن نعزل تلك المراجع ونحدِّدها على وجه أكيد، حتى في أمر "يوميات السفر" التي تدل فيها صيغة "نحن" على وجود تلك المراجع.

....

وأخيرًا فإذا كان صاحب "يوميات السفر" ومؤلف سفر أعمال الرسل رجلًا واحدًا، فقد كان له، وهو رفيق بولس، ذكريات خاصة به"[1].

كما أن واضع -أو واضعي سفر (أعمال الرسل)- يروي كثيرًا بصيغة الغائب، دون أن يذكر عمن نقل، وهو أمر شائع في كل أسفار الكتاب المقدس لدى النصارى، فتصير الجهالة مركبة: جهالة المصنف -أو المصنفين- ثم جهالة من روى -أو رووا- عنهم.

***

1 النسخة اليسوعية من الكتاب المقدس لدى النصارى- العهد الجديد- أعمال الرسل- مدخل ص: 366.

القادح الثاني: أن قصة رؤية بولس للسيد المسيح -عليه السلام- بها نوعان من التناقضات:

النوع الأول: هو تناقضاتها مع الأحوال التاريخية في زمن القصة.

والنوع الثاني: هو التناقضات الداخلية بين رواياتها، وكذلك بينها وبين رسائل بولس.

***

النوع الأول من التناقضات: تناقضات القصة مع الأحوال التاريخية في زمنها:

1- لم يكن لرئيس الكهنة سلطان على من في دمشق.

2- رئيس الكهنة كان صدوقيًا، بينما يعلن بولس عن نفسه أنه فريسي، والفريسيون أعداء ألداء للصدوقيين.

***

1- لم يكن لرئيس الكهنة سلطان على من في دمشق.

أ- بداية لم يكن لرئيس الكهنة في القدس سلطان على مجامع اليهود في دمشق، وكانت سلطاته الرسمية لا تتجاوز حدود معبد القدس.

ثم إن المجامع اليهودية المشيدة للتعليم والصلوات في الأماكن التي يوجد فيها اليهود داخل القدس وخارجها لم تكن ملة واحدة تتعبد على طريقة معبد القدس، بل كانت مجامع مستقلة. ولم يكن كهنة هذه المجامع يزعمون لأنفسهم مكانة تماثل مكانة الكاهن الأكبر في معبد القدس. كذلك لم يكن يحق لكبير الكهنة في القدس أن يأمرهم أو ينهاهم أو يبعث إليهم رسلًا كشاول (بولس) ليسوقوا من لا تروق له مواقفهم موثقين إلى القدس.

أما في منطقة يهودا -التي تحت سيطرة الرومان- من فلسطين فكان الكاهن الأكبر قادرًا على مثل ذلك، لا لأن الدين يعطيه ذلك الحق، بل لأن سلطات الاحتلال الرومانية هي التي منحته تلك الصلاحية، وكان للكاهن الأكبر شرطته، التي يستخدمها لتوقيف واعتقال من يعتبره خطرًا على روما، ولكن كان هذا في منطقة يهودا فقط، ولم يكن له سلطان على الذين خارج حدود يهودا، فكيف يتصور أن يعطي خطابات لبولس ليقبض على المسيحيين في دمشق، وهي خارج حدود سلطته[1].

ب- ثم **التناقض الأشد أن دمشق في هذا الوقت لم تكن تحت سلطة الرومان**، الذين يستمد الكاهن الأكبر سلطته منهم، فقد تخلى عنها الإمبراطور كاليجولا عام 37م، وصارت جزءًا من مملكة الأنباط العربية تحت سلطة الملك الحارث[2]، وبالتالي فليس للكاهن الأكبر أية سلطة عليها، ولا على اليهود ولا المسيحيين فيها، ولا يستطيع أن يطلب من أحد فيها أن يقبض أشخاص يعيشون فيها، ثم يسوقهم موثقين إليه.

وهذه المعضلة التاريخية كافية وحدها في نفي مصداقية قصة بولس التي اعتمدعليها طول حياته، وأسس عليها عقيدته.

بل زيادة على ذلك فإن ملك مملكة الأنباط -الملك الحارث العربي- لم يكن يساوم على سلطته أبدًا، ولم يكن يسمح لشخص مثل بولس بالدخول لأراضيه ومطاردة رعاياه، أو مطاردة جاليات تعيش في ظل حمايته، لا سيما إن كان هذا الوافد قادمًا من يهودا التي يحتلها أعداؤه الرومان.

ولذا فإن قصة سفر أعمال الرسل ليست منطقية، لأن من المستحيل على بولس أن يحصل على رسائل من الكاهن الأكبر تخوله مطاردة المسيحيين في دمشق لسبب منطقي أساسي، وهو أن هؤلاء المؤمنين هربوا إلى دمشق ليكونوا في مأمن من سطوة الرومان وسلطة الكاهن الأكبر.

ولكن ربما أوكلت إلى (شاول) بولس مهمة سرية تهدف للإمساك ببعض زعماء النصارى، وسوقهم إلى يهودا لتسليمهم إلى الرومان أو إلى أعواد المشانق.

وكان بعض المسيحيين قد سلكوا طريق المقاومة السرية للاحتلال الروماني، واختار بعضهم المنفى.

كذلك كان بعضهم ينشط في الخفاء داخل يهودا[3].

وكان الاحتلال الروماني في هذه المدة يواجه تذمرًا في مملكة يهودا أدى لثورتين ضد الرومان في ما بين (66-70م) ثم ما بين (132- 135م) انتهتا بتدمير الهيكل وطرد اليهود من القدس حتى القرن الرابع الميلادي[4].

وإذا كانت قصة كاتب أعمال الرسل غير منطقية، فهل من احتمال أو احتمالات أخرى؟

---

1 بولس وتحريف المسيحية ص: 36.

2 بولس وتحريف المسيحية ص: 37، دائرة المعارف الكتابية- حرف الدال- دمشق ج: 3 ص: 448، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية ص: 184.

3 بولس وتحريف المسيحية ص: 37.

4 Encyclopædia Britannica, biblical literature, New Testament history, Roman occupation and Jewish revolts.

أحد الاحتمالات المنطقية -التي يطرحها هيم ماكبي- أن الكاهن الأكبر قد أرسل مساعده شاول (بولس) في مهمة لخطف بعض المسيحيين المتمردين على سلطة الكاهن الأكبر، وكان معه عصابة من القتلة المأجورين، ولم يكن معه رسائل من الكاهن الأكبر كما يزعم كاتب (أعمال الرسل).

ويعضد هيم ماكبي رأيه بما ذكره كلمنت في كتابه (استكشافات) من أن شاول (بولس) قد توجه لدمشق ساعيًا في الإمساك ببطرس المختبئ هناك، بعد أن كان يعقوب -الذي يُزعم أنه أخو المسيح عليه السلام- قد تعرض لمحاولة اغتيال.

ويرى هيم ماكبي أن هذا يتعارض مع جاء في (أعمال الرسل) من أن حياة أبرز حواريي المسيح كانت في أمان.

وقد تغافل كاتب سفر (أعمال الرسل) عن حدث تاريخي أصيل، وهو أن أبرز أعضاء ما يُسمى بعصبة حنانيا، التي زعم كاتب سفر أعمال الرسل أنها آوت بولس في دمشق، كانوا يعيشون في الشام، وكان بولس وقتلته المأجورون يطاردونهم.

ونجد تأكيدًا مهمًا لهذا في الرسائل المنسوبة لبولس، ففي رسالته الثانية لأهل كورنثوس ذُكر فيها:

" 11: 32 في دمشق والي الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين، يريد أن يمسكني،

11: 33 فتدليت من طاقة في زنبيل من السور، ونجوت"[5].

وهذه الأسطر تشير إلى المرحلة اللاحقة لدخول بولس إلى دمشق، بعد أن جعلته رؤيا المسيح أعمى وشفاه الكاهن حنانيا، وبعد أن صار من أتباع المسيح.

غير أننا نجد تناقضًا واضحًا لهذه الرواية مع ما كتبه كاتب (أعمال الرسل):

"9: 22 وأما شاول فكان يزداد قوة، ويحير اليهود الساكنين في دمشق محَقِّقًا: "أن هذا هو المسيح".

9: 23 ولما تمت أيام كثيرة تشاور اليهود ليقتلوه،

9: 24 فعلِم شاول بمكيدتهم. وكانوا يراقبون الأبواب أيضا نهارًا و ليلًا ليقتلوه.

9: 25 فأخذه التلاميذ ليلًا وأنزلوه من السور مدلين إياه في سل"[6].

ورواية بولس أقرب إلى الواقع. وكان بولس قد كتب رسائله بين عامي 55 و60 م تقريبًا على حسب زعم النصارى، بينما لم تُكتب أعمال الرسل إلا عام 90م. وبولس يذكر أنه اضطر للهرب من الشام خلسة عندما كان رئيس شرطة الملك الحارث يحاول أن يمسك به، بينما يذكر كاتب (أعمال الرسل) أن حياة بولس كانت مهددة من قبل يهود دمشق، الذين أنكروا عليه قوله أن عيسى -عليه السلام- هو المسيح المنتظر.

وهذا التناقض هام، فقد حول كاتب (أعمال الرسل) الأحداث السياسية إلى رواية دينية. فإذا كان رئيس شرطة الملك الحارث هو الذي يريد الإمساك ببولس، وليس اليهود، فإن هذا يعني أن بولس قد ارتكب جناية سياسية معينة.

وقد حاول بعض مفسري (أعمال الرسل) تبرير هذا التناقض بقولهم: : إن رئيس الحرس كان يفعل ذلك باسم اليهود[7]. ولكن ليس هناك عذر جدي يبرر لرئيس شرطة الملك النبطي في دمشق أن يهتم بالخلافات الدينية بين الرعايا اليهود في دمشق. لكن الأرجح، والأقرب إلى المنطق أن رئيس الشرطة النبطية اكتشف أن عميل الكاهن الأكبر لمعبد القدس موجود في دمشق سرًا وفي مهمة تتنافى مع السيادة النبطية. ولا يستبعد أن هذه الحادثة لم تكن الأولى، فقد كانت دمشق يومها ملاذًا لكثير من المنشقين السياسيين من البلاد، التي احتلها الرومان، ولا يتوقع أن رئيس الشرطة كان ليصدق أن بولس قد أقلع عن المهمة التي يقوم بها لحساب رئيس الكهنة، وأنه صار من أتباع عيسى عليه السلام، بل المتوقع أن يعتبر

---

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: 11: 32 و33 ص: 147.

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 9: 22 إلى 25 ص: 101.

7 من ذلك ما ذكره الدكتور وليم إدي في تفسيره للإنجيل، حيث كتب: "لم يُذكر كيف علم. وأشار بولس إلى هذه المكيدة بقوله: "في دمشق والي الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكني". 2كو: 11: 32. والظاهر أن اليهود اتفقوا مع الوالي على مسك شاول". [الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ج: 4 شرح أعمال الرسل- 9: 24 ص: 124].

رئيس الشرطة أن هذا (الإيمان المفاجئ) ليس إلا تغطية للمهمة السرية، ولهذا فقد بادر إلى ملاحقته عندما علم بوجوده. واضطر بولس لمغادرة دمشق بسرعة فرارًا من الشرطة النبطية.

أما المعارضة المزعومة -التي لقيها بولس من يهود دمشق- فليست مقنعة، فإذا كان ذلك لأنه كان يقول أن عيسى هو المسيح المنتظر، فإن كثيرًا من يهود دمشق كانوا يؤمنون بذلك. ولم يكن بولس في تلك المدة قد أعلن عن أفكاره الجديدة الكافرة، ولم يقل بألوهية عيسى ونسخ التوراة. ومن هنا فإن يهود دمشق، إذا عرفوا بولس، لن يروا فيه أكثر من مؤمن آخر من المؤمنين بعيسى عليه السلام. وكان يهود دمشق يرحبون بهؤلاء، لأنهم ينشطون ضد الاحتلال الروماني للقدس. ومن المؤكد أنهم لم يشاطروا الكاهن الأكبر في تواطئه مع الرومان، وهم الذين لجأوا إلى دمشق أصلًا لأنها تخلصت من سلطة الرومان.

غير أن كاتب (أعمال الرسل) حول مهمة بولس من طبيعتها السياسية إلى طبيعة دينية. وبالتالي فقد تحول يهود دمشق، بعد إيمان بولس المفاجئ بعيسى -عليه السلام- إثر رؤيته في الطريق، إلى يهود ظالمين متعصبين[8].

***

8 بولس وتحريف المسيحية ص: 37 إلى 40.

2- رئيس الكهنة كان صدوقيًا، بينما يعلن بولس عن نفسه أنه فريسي، والفريسيون أعداء ألداء للصدوقيين.

من الغريب أن يزعم بولس أنه فريسي وابن فريسي[1]، وأنه درس الشريعة على يد أحد أكبر علماء الفريسيين وهو غمالائيل[2]، وفي نفس الوقت يزعم أنه كان أثيرًا لدى الكاهن الأكبر حنان، الذي كان صدوقيًا.

بل إن بولس لما ثار عليه اليهود وسلموه للرومان، وأراد أن يفرق جمع اليهود صاح فيهم حسب رواية كاتب أعمال الرسل:

"23 : 6 ولما علم بولس أن قسمًا منهم صدوقيون والآخر فريسيون، صرخ في المجمع: "أيها الرجال الإخوة، أنا فريسي ابن فريسي. على رجاء قيامة الأموات أنا احاكم".

23: 7 ولما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين، وانشقت الجماعة،

23: 8 لأن الصدوقيين يقولون: إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك.

23: 9 فحدث صياح عظيم، ونهض كتبة قسم الفريسيين وطفقوا يخاصمون قائلين: "لسنا نجد شيئًا رديًا في هذا الإنسان! وإن كان روح أو ملاك قد كلمه فلا نحارين الله".

23: 10 ولما حدثت منازعة كثيرة اختشى الأمير أن يفسخوا بولس، فأمر العسكر أن ينزلوا ويختطفوه من وسطهم ويأتوا به إلى المعسكر"[3].

***

1 أعمال الرسل: 23: 6.

2 أعمال الرسل: 22: 3.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 23: 6 إلى 9 ص: 114.

النوع الثاني من التناقضات: هو التناقضات الداخلية بين روايات القصة، وكذلك بينها وبين رسائل بولس.

ومن هذه التناقضات:

1- التناقضات بين روايات كاتب (أعمال الرسل) حول واقعة رؤية بولس لسيدنا عيسى عليه السلام.

2- حنانيا هو هل يهودي أم مسيحي؟

3- بولس لا يطلب سماع شهادة من يزعم أنهم يشهدون له.

4- رفاق بولس -أو عصابته- ما مصيرهم؟ ولماذا لم يستشهد بهم ولا مرة واحدة على صدقه؟

5- هل بولس فريسي؟ وإذا كان فريسيًا فكيف يناقض موقف الفريسيين من سيدناعيسى -عليه السلام- وأتباعه؟

6- بولس لم يذكر قصة طريق دمشق في رسائله.

***

1- التناقضات بين روايات كاتب (أعمال الرسل) حول واقعة رؤية بولس لسيدنا عيسى عليه السلام.

وردت هذه الرواية في ثلاثة مواضع من سفر (أعمال الرسل)، وأنا أوردها في الجدول الآتي:

الروايات الثلاث المتناقضة لواقعة رؤية بولس للسيد المسيح عليه السلام		
في الإصحاح 9 على لسان كاتب (أعمال الرسل)	في الإصحاح 22 على لسان بولس	في الإصحاح 26 على لسان بولس
9: 3 وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق **حوله** نور من السماء،	22: 6 فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار، بغتة أبرق **حولي** من السماء نور عظيم.	26: 13 رأيت في نصف النهار في الطريق، أيها الملك، نورًا من السماء أفضل من لمعان الشمس، قد أبرق **حولي وحول الذاهبين معي**.
9: 4 **فسقط** على الأرض وسمع صوتًا قائلًا له: "شاول، شاول! لماذا تضطهدني؟".	22: 7 **فسقطت** على الأرض، وسمعت صوتًا قائلًا لي: شاول شاول لماذا تضطهدني؟	26: 14 فلما **سقطنا جميعنا** على الأرض، سمعت صوتًا يكلمني ويقول باللغة العبرانية: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ صعب عليك أن ترفس مناخس
9: 5 فقال: "من أنت يا سيد؟". فقال الرب: "أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس".	22: 8 فأجبت: من أنت يا سيد؟ فقال لي أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده.	26: 15 فقلت أنا: من أنت يا سيد؟ فقال: أنا يسوع الذي أنت تضطهده.
9: 6 فقال وهو مرتعد ومتحير: "يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟". فقال له الرب: "**قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل**".	22: 9 والذين كانوا معي **نظروا** النور وارتعبوا، ولكنهم **لم يسمعوا** صوت الذي كلمني.	26: 16 ولكن قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرت لك، **لأنتخبك خادمًا وشاهدًا** بما رأيت وبما سأظهر لك به،
9: 7 وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين، **يسمعون** الصوت **ولا ينظرون** أحدًا.	22: 10 فقلت ماذا أفعل يا رب؟ فقال لي الرب: **قم واذهب إلى دمشق، وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل**.	26: 17 منقذًا إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم[3].
9: 8 فنهض شاول عن الأرض، وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحدًا. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق[1].	22: 11 وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور، اقتادني بيدي الذين كانوا معي، فجئت إلى دمشق[2].	

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 9: 3 إلى 8 ص: 100.
2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 22: 6 إلى 11 ص: 113.
3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 26: 13 إلى 17 ص: 117.

تحليل تناقضات الروايات					
	موضع التناقض	الرواية الأول: الإصحاح: 9	الرواية الثانية: الإصحاح: 22	الرواية الثالثة: الإصحاح: 26	ملاحظات
1	بريق النور	أبرق **حوله**	أبرق **حولي**	أبرق **حولي وحول الذاهبين معي**	
2	السقوط على الأرض	**فسقط** على الأرض	**فسقطت** على الأرض	**سقطنا جميعنا** على الأرض	
3	تكليف المسيح له	**قم وادخل المدينة**	**قم واذهب إلى دمشق**	قم وقف .... **لأنتخبك خادمًا وشاهدًا**	
4	حفظ المسيح له	....	....	منقذًا إياك	لم تتحقق النبوءة
5	المرسل لهم	....	....	الشعب والأمم	يتناقض مع تأكيد بولس أنه رسول للأمم
6	ما سمعه الرجال	**يسمعون** الصوت	**لم يسمعوا** صوتًا	....	لم يذكر عن سماعهم أو نظرهم شيئًا، مع أن النور أبرق حولهم. ما مصير رفاقه؟ ولماذا لم يستشهد بهم؟
7	ما نظره الرجال	**ولا ينظرون** أحدًا	**نظروا** النور	....	
8	إصابته بالعمى	وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحدًا. فاقتادوه بيده	لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور، اقتادني بيدي الذين كانوا معي	لأني لهذا ظهرت لك	- ما دام قد ظهر له، إذن فهو يراه - وهذا يتناقض مع ما ذكره بولس من أنه رأى المسيح وأن الله أظهر له ابنه.

إذن خلاصة هذه الروايات الثلاث:

- الرواية الأولى في (أعمال الرسل): 9: 3 إلى 8.

يتبين منها:

أ- أبرق النور حوله (حوله ومن معه في الرواية الثالثة)

ب- سقط بولس على الأرض (سقط الجميع في الرواية الثالثة).

ج- أن المسافرين مع بولس: سمعوا الصوت (تناقض مع الرواية الثانية).

د- ولا ينظرون أحدًا (تناقض مع الرواية الثانية).

هـ- لم يعموا مثله، ولذلك اقتادوه إلى دمشق.

و- هناك في دمشق سيتلقى الرسالة، ويعرف ما ينبغي فعله (تناقض مع الرواية الثالثة).

ز- أصيب بالعمى واقتادوه (تناقض مع:

(1) الرواية الثالثة،

(2) ومع ما ذكره بولس في رسائله:

(أ) من أنه رأى المسيح عليه السلام: "ألست أنا رسولًا؟ ألست أنا حرًا؟ أما رأيت يسوع المسيح ربنا؟"[4].

(ب) ومن أن الله قد أظهر له ابنه: "أن يعلن ابنه فيَّ لأبشر به بين الأمم"[5].

- أما الرواية الثانية في (أعمال الرسل): 22: 6 إلى 11.

فيتبين منها:

أ- أبرق النور حوله (حوله ومن معه في الرواية الثالثة)

ب - سقط بولس على الأرض (سقط الجميع في الرواية الثالثة).

ج - أن المسافرين مع بولس لم يسمعوا الصوت (تناقض مع الرواية الأولى).

د - نظروا النور (تناقض مع الرواية الأولى).

هـ- لم يعموا مثله، ولذلك اقتادوه إلى دمشق.

و- هناك في دمشق سيتلقى الرسالة، ويعرف ما ينبغي فعله (تناقض مع الرواية الثالثة).

ز- أصيب بالعمى واقتادوه (تناقض مع الرواية الثالثة).

- أما الرواية الثالثة في (أعمال الرسل): 26: 13 إلى 17.

فيتبين منها:

أ- أبرق النور حوله وحول من معه (في الروايتين الأولى والثانية أبرق حوله).

ب- سقط الجميع على الأرض (تناقض مع الروايتين الأولى والثانية).

ج- تلقى بولس الرسالة من المسيح -عليه السلام- فورًا (تناقض مع الروايتين الأولى والثانية).

د- تلقى بولس من المسيح -عليه السلام- وعدًا بإنقاذه من الشعب (اليهود) والأمم (لم تتحقق النبوءة لأن بولس قتله الرومان).

هـ- زعم بولس أن المسيح -عليه السلام- أرسله لليهود وللأمم (تناقض مع تأكيد بولس أنه رسول للأمم وبطرس رسول لليهود). مثل ما جاء في رسالة بولس إلى أهل غلاطية:

"1: 15 و لكن لما سر الله الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته،

1: 16 أن يعلن ابنه فيَّ لأبشر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحمًا و دمًا"[6].

و- لم يصب بالعمى، لأن المسيح ظهر له (تناقض مع الروايتين الأولى والثانية).

وهذه التناقضات والاختلافات بين الروايات الثلاث وبينها وبين ما ذكره بولس من رسالته للأمم فقط، وعدم تحقق نبوءة إنقاذه، كلها كافية لإسقاط الروايات الثلاث.

ولكن شراح النسخة اليسوعية يرون شيئًا آخر، ألا وهو أن تعدد الروايات دليل على أهمية الواقعة، فكتبوا:

"إن تكرار هذه الرواية ثلاث مرات، بما فيها من فروق تُذكر، هو، في نظر لوقا، تشديد على أهمية حدث ... يعد من أهم تدخلات يسوع القائم من الموت"[7].

والذي أفهمه أن تضارب الروايات دليل على عدم مصداقيتها، وليس دليلًا على أهمية الحدث.

فأي قاض منصف يسقط شهادات الشهود إذا تضاربت، ولا يعد ما قالوه أمرًا هامًا أو من أهم الأمور.

وهذا الأسلوب في تبرير التناقضات هو الذي أدى بأغلب النصارى لنبذ الكنيسة والاندفاع نحو العلمانية والإلحاد.

***

---

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس: 9: 1 ص: 135.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 1: 11 إلى 16 ص: 149.

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 1: 15 و16 ص: 149.

7 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- أعمال الرسل: 9 ص: 396.

2- حنانيا هو هل يهودي أم مسيحي؟

زعم كاتب -أو كتبة (أعمال الرسل)- أن بولس التقى في دمشق بشخص اسمه حنانيا، وذكره في موضعين بروايتين مختلفتين. والجدول التالي يبينهما:

الرواية الأولى	الرواية الثانية
9: 10 وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا، .... 9: 17 فمضى حنانيا ودخل البيت ووضع عليه يديه وقال: "أيها الأخ شاول، قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه، لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس". 9: 18 فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور، فأبصر في الحال، وقام واعتمد[1].	22: 12 ثم ان حنانيا رجلًا تقيًا حسب الناموس، ومشهودًا له من جميع اليهود السكان ...... 22: 16 والآن لماذا تتوانى؟ قم واعتمد واغسل خطاياك داعيًا باسم الرب[2].

والروايتان بهما اختلافات عن بعضهما، وفيهما أيضًا تناقض:

- ففي الأولى حنانيا مسيحي من تلاميذ المسيح، وفي الثانية نجده يهوديًا تقيًا مشهودًا له من جميع اليهود، واليهود لا يشهدون للمسيحي بالتقوى!!!

بل حسب رواية كاتب -أو كاتبي- سفر أعمال الرسل؛ فإن بولس كان مرسلًا من كبير الكهنة لليهود في دمشق للقبض على أتباع عيسى عليه السلام. فالمفترض إذا كان حنانيا تلميذًا للمسيح -عليه السلام- أن يقبض عليه اليهود ليسلموه لبولس، لا أن يشهدوا له بالتقوى!!!

- وإذا صح أن حنانيا يهودي، فلماذا يدعو بولس إلى العماد؟ "22: 16 والآن لماذا تتوانى؟ قم واعتمد واغسل خطاياك داعيًا باسم الرب."[3]. إن اليهود لا يفعلون ذلك[4].

بل إن المسيح -عليه السلام- لم يرو عنه أنه أمر أحدًا من أتباعه بذلك؟ ولا روي عنه أنه عمد أحدًا.

- ثم إذا كان حنانيا ملتزمًا بالناموس، مثل اليهود والمسيحيين الأوائل، فلماذا خالف بولس الناموس وشن عليه حملة شعواء؟

أليس عجيبًا أن تلاميذ المسيح -عليه السلام- الذين رأوه وتنصروا علي يديه يلتزمون بالناموس، بينما بولس الذي لم يره ينقض الناموس!!!

أليس هذا دليلًا على أن بولس قد خالف ديانة المسيحيين الأوائل.

إن الكنيسة تحاول أن تثبت أن المسيح لم يبلغ رسالته كاملة لأتباعه، ورُفع إلى السماء وهو مقصر في تبليغها، إلى أن جاء بولس فأتمها: الكفارة والفداء ونقض الناموس، بل محصلة دعوة الكنيسة أن تلاميذ المسيح كانوا على باطل، إذ كانوا يلتزمون بالناموس، الذي أبطله بولس!!!

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 9: 10 إلى 18 ص: 100.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 22: 12 إلى 16 ص: 113.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 22: 16 ص: 113.

4 بولس وتحريف المسيحية ص: 40 إلى 43.

3- بولس لا يطلب سماع شهادة من يزعم أنهم يشهدون له.

أ- رغم زعم بولس أن رئيس الكهنة كان يستخدمه في اضطهاد المسيحيين، وأنه أعطاه رسائل للقبض عليهم، وأن رئيس الكهنة والشيوخ **يشهدون له بذلك**، إلا أنه لم يطلب سماع شهادتهم، بل لم يتعرف على رئيس الكهنة في اليوم التالي.

وكل هذا التناقض ينسبه كاتب (أعمال الرسل) لبولس في قضية واحدة خلال يومين. فقد جاء في سفر (أعمال الرسل) أن بولس لما قبض عليه بعد عودته للقدس، وقف على درج المعسكر الروماني، وخطب خطبة جاء فيها:

"22: 1 "أيها الرجال الإخوة والآباء، اسمعوا احتجاجي الآن لديكم".

....

22: 4 واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدا ومسلمًا إلى السجون رجالًا ونساءً،

22: 5 كما **يشهد** لي أيضًا **رئيس الكهنة وجميع المشيخة**، الذين إذ أخذت أيضًا منهم رسائل للإخوة إلى دمشق، ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا.

....

22: 29 وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه. واختشى الأمير لما علم أنه روماني، ولأنه قد قيده.

22: 30 وفي الغد إذ كان يريد أن يعلم اليقين: لماذا يشتكي اليهود عليه حله من الرباط، وأمر أن يحضر رؤساء الكهنة وكل مجمعهم. فأحدر بولس وأقامه لديهم.

23: 1 **فتفرس** بولس في المجمع وقال: "أيها الرجال الإخوة، إني بكل ضمير صالح قد عشت لله إلى هذا اليوم".

23: 2 فأمر حنانيا **رئيس الكهنة**، الواقفين عنده أن يضربوه على فمه.

23: 3 حينئذ قال له بولس: "سيضربك الله أيها الحائط المبيض! أفانت جالس تحكم علي حسب الناموس، وأنت تأمر بضربي مخالفًا للناموس؟".

23: 4 فقال الواقفون: "أتشتم رئيس كهنة الله؟".

23: 5 فقال بولس: "**لم أكن أعرف أيها الإخوة أنه رئيس كهنة**"[1].

ب- فإن قيل أن حنانيا رئيس الكهنة ربما لا يكون ومشايخ اليهود هم من أعطوا الخطابات لبولس، وإنما هو رئيس كهنة سابق على حنانيا المذكور هنا، فالجواب: أن بولس قال في اليوم السابق: "كما **يشهد** لي أيضًا **رئيس الكهنة وجميع المشيخة**". بصيغة الفعل المضارع، أي أنهم موجودون في وقت دفاعه عن نفسه، ويشهدون في وقت كلامه، ولم يقل مثلًا: "كما يعلم -أو يدرك أو يطلع- رئيس الكهنة وجميع المشيخة". لا بل قال: "كما **يشهد** لي أيضًا **رئيس الكهنة وجميع المشيخة**". أي جميع مشايخ اليهود بما فيهم مجلس السنهدرين (مجلس الكهنة الأعلى) الذي انعقد في اليوم التالي للنظر في قضيته، ووقف أمامه بولس.

ج- وإن قيل أن حنانيا لم يكن رئيسًا للكهنة، لما توجه بولس لدمشق ليقبض على المسيحيين كما زعم، فالجواب:

(1) أن بولس وضح -في خطابه لليهود على درج المعسكر الروماني- أن "رئيس الكهنة" يشهد له بصيغة الفعل المضارع، ولم يقل رئيس الكهنة السابق، فيفهم من الكلام أنه يعني رئيس الكهنة الحالي، وأنه يشهد في الوقت الحاضر.

(2) وحتى لو لم يكن حنانيا رئيسًا للكهنة في ذلك الوقت، فهو من مشايخ اليهود، الذين أكد بولس أنهم جميعًا يشهدون له.

د- ولكن الغريب العجيب:

(1) أن مجلس السنهدرين (المجلس الأعلى لكهنة اليهود) لما انعقد أمامه في اليوم التالي للنظر في قضيته، لم يطلب بولس أحدًا منهم ليشهد له، ولم يقل مثلًا: "يا فلان ويا فلان ويا فلان أنتم تشهدون لي". مع أنه ذكر أن "**جميع المشيخة**". يشهدون له.

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 22: 1 إلى 23: 5 ص: 113 و114.

مع أن كاتب -أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) ذكر أن بولس لما أقيم أمام مجلس الكهنة: "**فتفرس** في المجمع". أي دقق النظر فيهم، فكيف لم يستخرج منهم من يشهد له.

مع أن ما ادعاه في اليوم السابق من أن "كما **يشهد** لي أيضًا **رئيس الكهنة وجميع المشيخة** ". هو أقوى دليل لتبرئته، ولكنه لم يطلب الاحتجاج به.

بل إن بولس لما أعيدت محاكمته بعد ستة أيام، أمام الوالي الروماني في قيصرية، لم يحتج بشهادة رئيس الكهنة وجميع المشيخة له التي ادعاها[2].

ثم نفس الأمر تكرر -لما أعيدت محاكمته- بعد سنتين في قيصرية، ولم يحتج بولس بما ادعاه من شهادة رئيس الكهنة وجميع المشيخة له[3].

(2) بل أن بولس لم يتعرف على رئيس الكهنة الذي أمامه، مع أنه يجلس في صدر المجلس، ورغم أنه تفرس في المجمع، كما يزعم كاتب -أو كتبة- سفر (أعمال الرسل).

وقد أصاب هذا الأمر شراح الكتاب المقدس لدى النصارى بحيرة، عبر عنها محررو (دائرة المعارف الكتابية)، حيث كتبوا:

"عندما وقف الرسول بولس ليدافع عن نفسه أمام المجمع اليهودي

....

فلما قالوا له: "أتشتم رئيس كهنة الله؟". سيطر على انفعاله وقال: "لم أكن أعرف أيها الإخوة أنه رئيس كهنة ...".

...

وقد **حير** هذا الدفاع -من الرسول بولس- الكثيرين، فلا شك أن رئيس الكهنة لم يكن شخصًا نكرة، بل إن أبهة مركزه وجلوسه على رأس المجمع كانا كفيلين بأن يدرك منهما بولس أنه رئيس الكهنة".

ثم ذكروا عدة تعليلات غير مقنعة، من أن بولس كان يتهكم، أو أنه كان ضعيف النظر!!، أو أنه قالها عفوًا بغير قصد[4].

(3) بل إن بولس لما أثار الخلاف بين الصدوقيين والفريسيين كما ذكرت آنفًا، لم يحتج الفريسيون بشهادة جميع مشيخة اليهود له، بل احتجوا بحجة ضعيفة -على حسب رواية كاتب (أعمال الرسل)- ألا وهي: "لسنا نجد شيئًا رديًا في هذا الإنسان! وإن كان روح أو ملاك قد كلمه فلا نحارِبن الله"[5].

***

---

2 أعمال الرسل: 24: 10 إلى 21.

3 أعمال الرسل: 25: 8 إلى 11.

4 دائرة المعارف الكتابية- حرف الحاء- مادة: حنانيا ج: 3 ص: 181، راجع أيضًا: قاموس الكتاب المقدس- حرف الحاء- مادة: حنانيا ص: 389 و399.

5 أعمال الرسل: 23: 9.

4- رفاق بولس -أو عصابته- ما مصيرهم؟ ولماذا لم يستشهد بهم ولا مرة واحدة على صدقه؟

من العجيب أن بولس لم يستشهد برفاقه الذين زعم كاتب سفر (أعمال الرسل) أنهم كانوا معه لما حدث له الحادث العجيب في طريقه لدمشق، وفي رواية أنهم رأوا النور، وفي أخرى أنهم سمعوا الصوت، وكانوا معه لما أصيب بالعمى، واقتادوه لدمشق.

ولم يرد لهم ذكر -بعد أن اقتادوه لدمشق- في أي من أسفار الكتاب المقدس لدى النصارى، مع أن بولس كان في حاجة لشهادتهم، لأنه واجه شكًا وارتيابًا من الحواريين، ولم يزكه لديهم إلا برنابا، كما ذكر -كاتب أو كتبة- سفر (أعمال الرسل):

"9: 26 و لما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ.

9: 27 فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل، وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع"[1].

كما أن في سفر (أعمال الرسل) ورسائل بولس أسماء لكثير من المشككين في تعاليمه والمخالفين له، ولم يحتج عليهم بولس بهؤلاء الذين زعم أنهم رافقوه عند حدوث هذا الحادث العجيب، وكان ذكر اسم واحد منهم في غاية الأهمية لإثبات صحة دعواه.

وبهذا صار بولس هو الراوي الوحيد لقصة وحي المسيح -عليه السلام- إليه، وصار هو المدعي والشاهد.

وكما رأينا من قبل من عدم استشهاد بولس برئيس الكهنة وجميع مشيخة اليهود، الذين زعم كاتب (أعمال الرسل) أنهم أعطوه خطابات للجماعات في دمشق، كذلك نجده هنا لا يستشهد بمن زعم أنهم كانوا رفاقه في وقت حدوث هذا الحادث العجيب، الذي بنى عليه عقيدته، التي غيرت النصرانية.

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 9: 26 و27 ص: 101.

5- هل بولس فريسي؟ وإذا كان فريسيًا فكيف يناقض موقف الفريسيين من سيدنا عيسى -عليه السلام- وأتباعه؟

يذكر كاتب رسالة بولس لأهل فيلبي أن بولس زعم أنه فريسي، فقال عن نفسه:

"3: 5 من جهة الختان: مختون في اليوم الثامن، من جنس إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين. من جهة الناموس: فريسي"[1].

ويذكر -كاتب أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) عن بولس:

"23 : 6 ولما علم بولس أن قسمًا منهم صدوقيون والآخر فريسيون، صرخ في المجمع: "أيها الرجال الإخوة، أنا فريسي ابن فريسي"[2].

وذكر -كاتب أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) أن بولس قال أنه تربى عند العالم الفريسي الشهير غمالائيل:

"22: 3 أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية، ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدبًا عند رجلي غمالائيل"[3].

وغمالائيل كان من أعلم معلمي اليهود في أيامه[4]، وكان رئيسًا للسنهدرين (المجلس الأعلى لكهنة اليهود).

وقد ذكر عنه -كاتب أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) أنه دعا السنهدرين للتلطف في معاملة أتباع المسيح عليه السلام[5]، ونهاهم عن قتلهم:

"5: 34 فقام في المجمع رجل فريسي اسمه غمالائيل، معلم للناموس مكرم عند جميع الشعب، وأمر ان يخرج الرسل قليلًا.

5: 35 ثم قال لهم: "أيها الرجال الإسرائيليون، احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس في ما أنتم مزمعون أن تفعلوا.

....

5: 38 والآن أقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس و اتركوهم! لأنه إن كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض،

5: 39 وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه، لئلا توجدوا محاربين لله ايضًا".

5: 40 فانقادوا اليه، ودعوا الرسل وجلدوهم، وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع، ثم أطلقوهم"[6].

ولكن هذا يتناقض مع ما ذكره كاتب -أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) من أن بولس:

أولًا: كان يعمل لصالح رئيس الكهنة الصدوقي، المعادي للفريسيين.

وثانيًا: كان يضطهد المسيحيين الأوائل ويسعى في القبض عليهم لقتلهم، مخالفًا سياسة كبير علماء الفريسيين، وعامتهم.

ألا يشكك هذا في دعوى بولس وقصته عن اضطهاد المسيحيين، ثم ظهور المسيح -عليه السلام- له، ونهيه عن ذلك؟؟

فهل كان بولس فريسيًا حقًا؟ أم كان ماذا؟

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي: 3: 5 ص: 158.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 23: 6 ص: 114.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 22: 3 ص: 113.

4 دائرة معارف بطرس البستاني- باب: الباء- مادة: بولس مج: 5 ص: 699.

5 Microsoft Encarta 2009, Gamaliel.

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 5: 34 إلى 40 ص: 97.

6- بولس لم يذكر قصة طريق دمشق في رسائله.

لم يذكر بولس في رسائله كلها قصة ظهور سيدنا المسيح -عليه السلام- له في طريق دمشق، وهي التي القصة التي وردت في سفر أعمال الرسل بثلاث روايات مخالفة لبعضها.

فكيف يغفل الأستاذ القصة على أهميتها له في إثبات صحة دعوته، ويذكرها تلميذه أو من يزعم النصارى أنه تلميذه؟

ولم يرد في رسائل بولس إلا قوله في رسالته لأهل غلاطية:

"أن يعلن ابنه فيَّ لأبشر به بين الأمم"[1].

وقوله في رسالته الأولى لأهل كورنثوس:

"9: 1 ألست أنا رسولًا؟ ألست أنا حرًا؟ أما رأيت يسوع المسيح ربنا؟"[2].

ومرة أخرى يظهر بولس نفسه على أنه المدعي والشاهد، والخصم والحكم.

دون أية إشارة لما حدث له في طريق دمشق، ودون الاستشهاد بأي شهود!!!

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 1: 11 إلى 16 ص: 149.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس: 9: 1 ص: 135.

القادح الثالث: أنها دعوى بلا دليل.

القادح الخطير الثالث في قصة رؤية بولس للسيد المسيح -عليه السلام- هي أنها دعوى بلا دليل، فبالإضافة لكون القصة متناقضة مع الظروف التاريخية، ولكونها مليئة بالاختلافات والتناقضات، فهي أيضًا دعوى بلا دليل.

ويمكن لأي مشعوذ أو مدع أن يزعم مثلها، والأديان الوثنية مليئة بأشباهها.

وقد علمنا القرآن الكريم ألا نقبل قولًا إلا بدليل، قال الحق سبحانه: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

***

وبعد هذه القصة التي لا دليل على دعواها ومزاعمها، بدأ بولس فورًا بالدعوة لعقيدته المخالفة للتوحيد، فيذكر سفر (أعمال الرسل):

"9: 20 وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح: "أن هذا هو ابن الله"[1].

إذن -حسب هذه الروايات- ذهب بولس لدمشق، وفور وصوله بدأ يعلن وسط المسيحيين: أن المسيح هو ابن الله، زاعمًا أنه كان آتيًا لاضطهاد المسيحيين، ولكن عيسى -عليه السلام- ظهر له في الطريق، وأمره بأن يدعو لتلك العقيدة المخالفة للتوحيد.

ومن هذه النقطة بدأ الانحراف العقدي لدى النصارى.

إذن كان هذا تعليقًا موجزًا على أهم قصة تسببت في انحراف المسيحية من التوحيد إلى تأليه المسيح، ثم فيما بعد التثليث، وما صاحبه من العقائد المناقضة للعقل: من الخطيئة الأصلية والصلب والفداء، بل وأدت لتبديل شرائع النصارى، ولظهور الكنائس، وتدعيم سلطتها بكل ما مثل ذلك من فساد سياسي أدى لظهور الدولة الوطنية العلمانية المعاصرة.

لقد دعا المسيح -عليه السلام- للتوحيد والتوبة والشريعة، فجاء بولس بتأليه المسيح والخطيئة الأصلية والفداء.

وبشر المسيح بملكوت السموات، فجاء بولس بالكنيسة.

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 9: 20 ص: 101.

{2} زيارات بولس للقدس

من ينظر في أسفار الكتاب المقدس لدى النصارى، يجد أنها قد ورد فيها -على حسب زعم كاتبيها- أن بولس قد تعددت زياراته -بعد ادعائه التحول للنصرانية- للقدس، وقد لخصها بطرس البستاني، فأحصى خمس زيارات قام بها بولس للقدس:

الأولى: بعد ثلاث سنوات من تحوله للنصرانية.

والثانية: كانت في حوالي عام 45م.

والثالثة: كانت في المدة من 47 إلى 55م، ويرجح البستاني أن سنة 50م أقرب للصواب.

والرابعة: كانت مرورًا بالقدس في رحلته من قرنثية (كورنثوس) إلى أنطاكية.

والخامسة والأخيرة: كانت في عام 58م[1].

وأشير لها بإيجاز فيما يلي إن شاء الله.

***

1 دائرة معارف بطرس البستاني- باب: الباء- مادة: بولس مج: 5 ص: 700 و701.

{أ} زيارة بطرس الأولى للقدس بعد ادعائه اعتناق النصرانية

ذكر كاتب رسالة بولس لأهل غلاطية:

"1: 11 وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به، أنه ليس بحسب إنسان.

1: 12 لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمتُهُ بل بإعلان يسوع المسيح.

....

1: 15 ولكن لما سرَّ اللهَ الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته،

1: 16 أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحمًا ودمًا،

1: 17 ولا صعدت إلى أورشليم، إلى الرسل الذين قبلي، بل انطلقت إلى العربية، ثم رجعت أيضًا إلى دمشق.

1: 18 ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس، فمكثت عنده خمسة عشر يومًا.

1: 19 ولكنني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب.

....

1: 22 ولكنني كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التي في المسيح"[1].

إذن نستفيد من هذا النص الذي كتبه كاتب رسالة بولس لأها غلاطية، والذي يؤمن به النصارى، ويزعمون أنه (كلمة الله المحفوظة)، نستفيد منه الآتي:

1- أن بولس بعد قصته عن ظهور سيدنا المسيح –عليه السلام- له، ثم دخوله لدمشق، ثم خروجه منها هاربًا كما ذُكِر، انطلق للعربية، ثم لدمشق، لمدة ثلاث سنوات.

2- وفي هذه السنوات الثلاث كان يدعو إلى المسيحية بمفهومه الخاص، الذي من عناصره: أن المسيح –عليه السلام- هو ابن الله، تعالى الله عن ذلك.

3- وأن هذا الذي كان يبشر به:

أ- لم يتلقه عن المسيح عليه السلام قبل رفعه، لأنه لم يشاهد المسيح ولا سمعه قبل رفعه عليه السلام.

ب- ولا تلقاه من حواري المسيح رضي الله عنهم.

ج- ولا من أي إنسان.

د- بل تلقاه من المسيح مباشرة، بناء على القصة التي ادعاها.

4- وأنه بعد ثلاث سنوات من قصته عن ظهور المسيح –عليه السلام- في طريق دمشق، صعد لأورشليم، وهناك قابل بطرس ويعقوب.

وعن هذه الزيارة كتب أيضًا كاتب أو واضع -أو كتبة أو واضعو- سفر (أعمال الرسل):

"9: 26 ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ.

9: 27 فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل، وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع.

9: 28 فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع.

9: 29 وكان يخاطب ويباحث اليونانيين، فحاولوا أن يقتلوه.

9: 30 فلما علم الإخوة أحدروه إلى قيصرية وأرسلوه إلى طرسوس"[2].

وهنا يبرز سؤال لماذا حاول هؤلاء اليونانيون (أي اليهود اليونانيين الذين ولدوا خارج فلسطين، واعتبروا هلينستيين، والذين تنصروا منهم) قتله؟

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 1: 11 إلى 22 ص: 149.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 9: 26 إلى 30 ص: 101.

المنطقي أن يكون ذلك بسبب ما سمعوه منه خارج فلسطين، من انحراف عن الشريعة اليهودية، ورفعه للسيد المسيح -عليه السلام- إلى مرتبة الألوهية.

ولا يعقل أن يكون سعيهم في قتله بسبب اعتناقه للنصرانية، لأن أتباع المسيح الأوائل كانوا يعيشون في القدس ويترددون على المعبد، ويحافظون على عقيدة التوحيد وشعائر اليهودية.

5- وما جاء في هذه الرواية من أن بولس -بعد ثلاث سنوات من تنصره- لم يكن يعرف بطرس ولم يكن معروفًا بالوجه عند الكنائس التي في اليهودية، يتناقض مع ما ذكره كاتب –أو كتبة- (أعمال الرسل) من أن بولس بدأ اضطهاده للمسيحيين في أورشليم، مثل ما ذكره عن استفانوس:

"7: 58 وأخرجوه خارج المدينة ورجموه، والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلي شاب يقال له شاول.

7: 59 فكانوا يرجمون استفانوس وهو يدعو ويقول: "أيها الرب يسوع، اقبل روحي".

....

8: 1 وكان شاول راضيًا بقتله.

وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم، فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة، ما عدا الرسل،

....

8: 3 وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة، وهو يدخل البيوت ويجر رجالًا ونساءً ويسلمهم إلى السجن"[3].

كتب إي بي ساندرز[4]: "بدأ بولس اضطهاده –طبقًا لـ(الأعمال)- في أورشليم، وهو الرأي الذي يتناقض مع تأكيده أنه لم يكن يعلم أيًا من أتباع المسيح المقدسيين لمدة غير قليلة بعد تحوله (غلاطية: 1: 4- 17)"[5].

***

{ب} زيارة بولس الثانية للقدس بعد تنصره.

تمت هذه الزيارة في حوالي 45م[6]. وفيها حمل تبرعات للمسيحيين في القدس بسبب مجاعة أصابتهم[7].

***

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 7: 58 إلى 8: 3 ص: 99.

4 أستاذ العقيدة بجامعة دوك بالولايات المتحدة.

5 النص الأصلي هو:

''According to Acts, Paul began his persecutions in Jerusalem, a view at odds with his assertion that he did not know any of the Jerusalem followers of Christ until well after his own conversion (Galatians 1:4–17)''. [Encyclopædia Britannica, Paul, the Apostle, Saint].

6 دائرة معارف بطرس البستاني- باب: الباء- مادة: بولس مج: 5 ص: 700.

7 أعمال الرسل: 11: 28 إلى 30.

{ج} زيارة بطرس الثالثة للقدس بعد ادعائه اعتناق النصرانية

ذكر النصارى أن هذه الزيارة وقعت في المدة من 47 إلى 55م، ويرجح بطرس البستاني أن سنة 50م أقرب للصواب[1].

وقد ذكر قصة هذه الزيارة بولس في رسالته لأهل غلاطية، وكذلك ذكرها كاتب -أو كتبة- (أعمال الرسل)، وبين الروايتين اختلافات بل وتناقضات أشير لها بإيجاز:

جاء في رسالة بولس لأهل غلاطية:

"2: 1 ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضًا إلى أورشليم مع برنابا آخذًا معي تيطس أيضًا،

2: 2 وإنما صعدت بموجب إعلان، وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم، ولكن بالانفراد على المعتبرين، لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلًا.

2: 3 لكن لم يُضطر ولا تيطس الذي كان معي، وهو يوناني أن يختتن.

2: 4 ولكن بسبب الإخوة الكذبة المدخلين خفية، الذين دخلوا اختلاسًا ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا.

2: 5 الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة، ليبقى عندكم حق الإنجيل.

2: 6 وأما المعتبرون أنهم شيء -مهما كانوا، لا فرق عندي، الله لا يأخذ بوجه إنسان- فإن هؤلاء **المعتبرين لم يشيروا علي بشيء**.

2: 7 بل بالعكس، إذ رأوا أني أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان.

2: 8 فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل في أيضًا للأمم.

2: 9 فإذ عَلِمَ بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم، وأما هم فللختان.

2: 10 غير أن نذكر الفقراء وهذا عينه كنت اعتنيت أن أفعله

2: 11 ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة، لأنه كان ملومًا.

2: 12 لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه، خائفًا من الذين هم من الختان.

2: 13 وراءى معه باقي اليهود أيضًا، حتى إن **برنابا أيضًا انقاد إلى ريائهم!**

2: 14 لكن لما رأيت أنهم لا **يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل،** قلت لبطرس قدام الجميع: "إن كنت وأنت يهودي تعيش أمميًا لا يهوديًا، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا؟".

2: 15 نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة"[2].

وجاء في سفر (أعمال الرسل):

"15: 1 وانحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلمون الإخوة أنه: "إن لم تختتنوا حسب عادة موسى، لا يمكنكم أن تخلصوا".

15: 2 فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم، رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسألة.

15: 3 فهؤلاء بعدما شيعتهم الكنيسة اجتازوا في فينيقية والسامرة يخبرونهم برجوع الأمم، وكانوا يسببون سرورًا عظيمًا لجميع الإخوة.

15: 4 ولما حضروا إلى أورشليم قبلتهم الكنيسة والرسل والمشايخ فأخبروهم بكل ما صنع الله معهم.

---

1 دائرة معارف بطرس البستاني- باب: الباء- مادة: بولس مج: 5 ص: 700.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 2: 1 إلى 15 ص: 149.

15: 5 ولكن قام أناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين، وقالوا: "إنه ينبغي أن يختتنوا، ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى".

15: 6 فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الأمر.

15: 7 فبعدما حصلت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم: "أيها الرجال الإخوة، أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون.

15: 8 والله العارف القلوب، شهد لهم معطيًا لهم الروح القدس كما لنا أيضًا.

15: 9 ولم يميز بيننا وبينهم بشيء، إذ طهر بالإيمان قلوبهم.

15: 10 فالآن لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع اباؤنا ولا نحن أن نحمله؟

15: 11 لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضًا".

15: 12 فسكت الجمهور كله. وكانوا يسمعون برنابا وبولس يحدثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهم.

15: 13 وبعدما سكتا أجاب يعقوب قائلًا: "أيها الرجال الإخوة، اسمعوني.

15: 14 سمعان قد اخبر كيف افتقد الله أولًا الأمم ليأخذ منهم شعبًا على اسمه.

15: 15 وهذا توافقه أقوال الأنبياء، كما هو مكتوب:

15: 16 سأرجع بعد هذا وأبني أيضًا خيمة داود الساقطة، وأبني أيضًا ردمها وأقيمها ثانية،

15: 17 لكي يطلب الباقون من الناس الرب، وجميع الأمم الذين دعي اسمي عليهم، يقول الرب الصانع هذا كله.

15: 18 معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله.

15: 19 لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم،

15: 20 بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم"[3].

***

إذن هاتان روايتان مختلفتان لزيارة بولس الثالثة -بعد ادعائه التنصر- للقدس، وتدور الروايتان حول موضوع الزيارة، ثم تختلفان اختلافًا بينًا في التفاصيل، ولذا أعلق -إن شاء الله- على هاتين الروايتين تحت العناوين التالية:

أ- مسألة إسقاط الختان عن المتنصرين من الأمم الوثنية

ذكر كاتب (أعمال الرسل) أن تلاميذ المسيح في القدس قد اتفقوا على أسقاط وجوب الختان عن المتنصرين من الوثنيين، وأن يكتفوا فقط بتحريم نجاسات الأصنام (أي ما ذبح للأصنام) والزنا والمخنوق والدم.

وهذا الاتفاق يعارضه الآتي:

[1] أن المسيح -عليه السلام- كان مختونًا، وكان يقر بوجوب الختان، وبأن وجوبه مؤكد، حتى أنه يقدم على تحريم العمل في السبت، كما جاء في أناجيل الكنيسة، فكيف يناقضه بولس ومؤتمر أورشليم.

جاء في إنجيل لوقا:

"2: 21 ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبي سمي يسوع، كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن"[4].

وجاء في إنجيل يوحنا:

"7: 22 لهذا أعطاكم موسى الختان، ليس أنه من موسى، بل من الآباء. ففي السبت تختتنون الإنسان.

7: 23 فإن كان الإنسان يقبل الختان في السبت لئلا ينقض ناموس موسى، أفتسخطون عليَّ لأني شفيت إنسانًا كله في السبت؟"[5].

---

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 9: 15: 1 إلى 20 ص: 106.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 2: 21 ص: 46.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 7: 22 و23 ص: 78.

بل من الغريب والعجيب أن الكنيستين الكاثوليكية الرومانية والإنجيلية -وهما من أنصار بولس- تحتفلان كل عام في الأول من يناير بعيد ختان المسيح عليه السلام[6].

[2] ويعارض الاتفاق أيضًا أن بولس لم يذكر في رسائله أي شيء عن هذا الأمر الهام. وبولس متقدم على كاتب أعمال الرسل، ورسائل بولس كتبت قبل (أعمال الرسل)، وبولس هو صاحب المسألة، والذي يزعم كاتب (أعمال الرسل) أنه ذهب للقدس لإيجاد حل لها، فكيف لا يذكرها؟

وقد اشتكى بولس كثيرًا من الذين يتمسكون بشرائع التوراة، وذمهم كما سيتبين لنا إن شاء الله، ولو كان ما وقع في مجمع أورشليم صحيحًا حسب رواية كاتب -أو كتبة- سفر (أعمال الرسل)، لكان ذلك أقوى حجة يرمي بها بولس في وجه خصومه؛ بأن كنيسة أورشليم -وهي الكنيسة الأم- قد صححت مذهبه، ولكنه لم يذكر شيئًا من ذلك البتة، مما يطعن في رواية كاتب -أو كتبة- سفر (أعمال الرسل).

علمًا بأن بولس -حسب قول علماء النصارى- قد عاش قرابة خمسة عشر عامًا بعد هذا المجمع الأورشليمي، ونسبوا له كتابة ثلاث عشرة رسالة بعده، دون ورود حرف واحد فيها، عن هذا المجمع أو قراراته!!

[3] بل إن بولس أنكر أن يكون تلاميذ المسيح -عليه السلام- قد اتفقوا على شيء وكلفوه به، سوى أن يذكر الفقراء، وأقروه على أن يكون رسولًا للأمم. فقد جاء في رسالته لأهل غلاطية:

"2: 6 وأما المعتبرون أنهم شيء -مهما كانوا، لا فرق عندي، الله لا يأخذ بوجه إنسان- فإن هؤلاء **المعتبرين لم يشيروا علي بشيء.**

2: 7 بل بالعكس، إذ رأوا أني أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان.

2: 8 فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل في أيضًا للأمم.

2: 9 فإذ عَلِمَ بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم، وأما هم فللختان.

2: 10 غير أن نذكر الفقراء وهذا عينه كنت اعتنيت أن أفعله".

[4] يزعم كاتب -أو كتبة- سفر أعمال الرسل، أن بولس وبرنابا ومن معهما لما وصلوا لأورشليم، اجتمع المشايخ، وحصلت مباحثة كبيرة في الأمر، وعلى العكس من ذلك يزعم كاتب رسالة بولس لأهل غلاطية أن بولس تباحث مع المعتبرين على انفراد[7].

[5] ويزعم كاتب -أو كتبة- سفر أعمال الرسل أن بولس وبرنابا ورفاقهما ذهبوا لأورشليم بسبب المشكلة التي أثارها اليهود المتنصرون حول وجوب الختان، بينما يذكر بولس في رسالته لأهل غلاطية أنه ذهب وبرنابا وتيطس لأورشليم بموجب إعلان، أي بوحي حسب زعمه[8].

بل النص في النسخة اليسوعية هكذا: "ثم إني بعد أربع عشرة سنة صعدت ثانية إلى أورشليم مع برنابا واستصحبت طيطس أيضًا، وكان صعودي إليها بوحي".

ويحاول شراح اليسوعية أن يجمعوا بين المتناقضين، بأن الوحي لبولس لا ينفي أن تكون كنيسة أنطاكية قد أرادت هذه الرحلة[9].

ولكن بولس في الرسالة المنسوبة له لأهل غلاطية كان واضحًا، ونفى أن تكون مسألة الختان قد قرر فيها المشايخ في أورشليم شيئًا، حيث ذكر -أو ذكر عنه- بالنص:

"فإن هؤلاء **المعتبرين لم يشيروا علي بشيء**".

---

6 Microsoft Encarta 2009, Feast of Circumcision.

7 رسالة بولس لأهل غلاطية: 2: 2.

8 سالة بولس لأهل غلاطية: 2: 2.

9 النسخة اليسوعية للكتاب المقدس لدى االنصارى- العهد الجديد- رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية: 2: 1 و2 ص: 573.

ولو كان قد ذهب بطلب من كنيسة أنطاكية لحل مشكلة الخلاف حول وجوب الختان -كما جاء في (أعمال الرسل)- لذكر نقاش المسألة، وما انتهى إليه البحث فيها.

وكلتا الروايتين لا مصداقية لها، فهما متضاربتان، بالإضافة للأسباب الأخرى العامة كفقدان الأصل والسند، والخاصة كالاختلافات والتناقضات.

[6] يزعم كاتب أعمال الرسل أن بطرس دعا لإسقاط نير الناموس، أي طالب بإسقاط كل أحكام الشريعة، فكتب:

"15: 10 فالآن لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع اباؤنا ولا نحن أن نحمله؟".

وهذا يتناقض مع ما ذكره بولس أنه بعد مغادرته أورشليم، جاء بطرس لأنطاكية، واتهمه بولس بالرياء لأنه كان يأكل مع الأمميين، بل ويعيش أمميًا، ثم يتظاهر أمام أتباع يعقوب بأنه يريدهم أن يتهودوا، أي يتبعوا كامل الشريعة اليهودية، حيث كتب:

"2: 11 ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة، لأنه كان ملومًا.

2: 12 لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه، خائفًا من الذين هم من الختان.

2: 13 وراءى معه باقي اليهود أيضًا، حتى إن **برنابا أيضًا انقاد إلى ريائهم!**

2: 14 لكن لما رأيت أنهم لا **يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل،** قلت لبطرس قدام الجميع: "إن كنت وأنت يهودي تعيش أمميًا لا يهوديًا، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا؟".

[7] ثم إذا كانت الأمم قد حرم عليها أكل الدم والمخنوق وما ذبح للأصنام، كما ذكر كاتب (أعمال الرسل)، فلماذا يؤخر بطرس وبرنابا نفسيهما من الأكل مع الأمم لما جاء قوم من عند يعقوب؟ هل يزعم بولس أن الرياء ومداهنة الوثنيين بلغا ببطرس وبرنابا أن يأكلا -من الدم والمخنوق وما ذبح للأصنام- المحرم عليهما وعلى الأمم؟؟؟

[8] يزعم كاتب (أعمال الرسل) أن برنابا وبولس تنازعا مع الذين جاءوا من اليهودية، وكانوا يطالبون المتنصرين من الوثنيين بالختان حسب شريعة موسى، ومن أجل ذلك ذهب برنابا مع بولس إلى أورشليم لإيجاد حل لهذه المشكلة[10].

وهذا يتناقض مع ما ذكره بولس؛ من أن برنابا مثل بطرس لم يكن ينازع من جاءوا من عند يعقوب، بل كان يراءيهم، بأن يطلب من المتنصرين الوثنيين أن يتهودوا[11].

[9] يزعم كاتب (أعمال الرسل) أن يعقوب طلب أن يرسل لجميع الأمم أن لا يلتزموا بالختان، ويكتفوا بتحريم نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم[12].

ولكن هذا يتناقض مع ما ذكره بولس من أنه لما جاء قوم من عند يعقوب، رآي بطرس -الذي كان يرى إسقاط الشريعة- وبرنابا وبعض اليهود، وظهروا بمظهر من يريد من المتنصرين الوثنيين أن يتهودوا[13]، ومن أهم أحكام التهود الختان كما هو معلوم.

[10] زعم كاتب (أعمال الرسل) أن المشايخ وبولس وبرنابا اتفقوا في أورشليم على تحريم ما ذبح للأصنام، ولكن هذا يتناقض مع ما تكرر في رسائل بولس من إباحتها. وسأتعرض لذلك عند الحديث -إن شاء الله- عن الاختلاف بين الكنيسة الموحدة وبولس في الشرائع، ولكني أكتفي بهذا المثال، حيث جاء في رسالة بولس الأولى لتيموثاوس:

"4: 1 ولكن الروح يقول صريحًا: إنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان، تابعين أرواحًا مضلة وتعاليم شياطين،

....

10 أعمال الرسل: 15: 1 و2.

11 رسالة بولس لأهل غلاطية: 2: 13.

12 أعمال الرسل: 15: 20.

13 رسالة بولس لأهل غلاطية: 2: 12 إلى 14.

4: 3 مانعين عن الزواج، وآمرين أن يُمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق.

4: 4 لأن كل خليقة الله جيدة، ولا يرفض شيء إذا أُخذ مع الشكر"[14].

ويعلق على ذلك شراح النسخة اليسوعية بقولهم:

"لا شك أن التحريمات الغذائية كان مصدرها البيئات اليهودية. غالبًا ما يشدد بولس على الحرية التي أتى بها المسيح في هذا المجال"[15].

إن هذا التعارض والتناقض نستخلص منهما النتائج التالية:

الأولى: أن كاتب سفر (أعمال الرسل) وكتبة رسائل بولس، طرف منهما كاذب والآخر صادق، وهذا يطعن في مصداقية الكتاب المقدس لدى النصارى، الذي يجمع النقيضين.

والثانية: إن كان كاتب (أعمال الرسل) هو الصادق، فمعنى ذلك أن بولس تمرد على قرارات تلاميذ المسيح عليه السلام، التي نسبها لهم كاتب (أعمال الرسل).

والثالثة: أنه من المؤكد أن الشريعة اليهودية تحرم المذبوح للأوثان، وأتباع المسيح كانوا ملتزمين بذلك، ويأمرون به، كما نقل عنهم كاتب (أعمال الرسل)، إذن فبولس قد اخترع دينًا جديدًا، يخالف الشريعة اليهودية، ويتمرد على ما أمر به أتباع المسيح الأولين، الذين كانوا يشكلون الكنيسة الأم.

إذن فنحن بين كذب أو اختراع في الدين، أو كليهما.

وعن هذا نقل الأستاذ أحمد عبد الوهاب عن إي إم بليك لوك -الأستاذ بجامعة أوكلاند بنيوزيلاند- أنه كتب في تفسيره لسفر (أعمال الرسل) (ACTS, p: 114 & 115):

"إن الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس 8: 4[16] تبين أن بولس قد تبنى علنًا وجهة نظر أكثر انطلاقًا عما تساهل فيه المرسوم الذي صدر عن كنيسة أورشليم من قيود (وذلك في قوله: من جهة أكل ما ذبح للأوثان، نعلم أن ليس وثن في العالم)..

لقد كان مسار التاريخ العابس هو المسئول عن تحطيم قوة كنيسة أورشليم.. هذه التي شعر بولس أنها قد أدانته (كما في أعمال الرسل 21: 20- 26، وكما يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية: لكي أنقذ من الذين هم غير مؤمنين في اليهودية)..

ففي أثناء التمرد الذي حدث عام 66 ميلادية هرب المسيحيون من أورشليم .. وبعد أن أقفرت أورشليم عقب حصارها وتدميرها عام 70 ميلادية، فإن تأثيرهم كان قد انتهى"[17].

[11] من تناقضات كاتب -أو كتبة- سفر أعمال الرسل، أنه بعد أن ذكر قصة مجمع أورشليم، الذي نسب فيه لتلاميذ المسيح -عليه السلام- إعفاء الوثنيين المتنصرين من الختان، وبعد أن ذكر أن التلاميذ كتبوا رسالة بذلك للأمم[18].

ذكر عن بولس:

"16: 1 ثم وصل إلى دربة ولسترة، وإذا تلميذ كان هناك اسمه تيموثاوس، ابن امراة يهودية مؤمنة ولكن أباه يوناني،

16: 2 وكان مشهودًا له من الإخوة الذين في لسترة وإيقونية.

16: 3 فأراد بولس أن يخرج هذا معه، فأخذه وختنه من أجل اليهود الذين في تلك الأماكن، لأن الجميع كانوا يعرفون أباه أنه يوناني.

---

14 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس: 4: 1 إلى 4 ص: 169.

15 النسخة اليسوعية للكتاب المقدس لدى النصارى- العهد الجديد- الرسائل الرعائية- رسالة القديس بولس الأولى إلى طيموتاوس: 4: 3 ص: 664.

16 "8: 4 فمن جهة أكل ما ذبح للأوثان: نعلم أن ليس وثن في العالم، وأن ليس إله آخر إلا واحدًا". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 8: 4 ص: 135].

17 حقيقة التبشير ص: 33 و34.

18 أعمال الرسل: 15: 29.

16: 4 وإذ كانوا يجتازون في المدن كانوا يسلمونهم القضايا التي حكم بها الرسل والمشايخ الذين في أورشليم ليحفظوها"[19].

فلماذا يختنه بولس؟ مع أن في يده -كما زعم كاتب سفر (أعمال الرسل)- حكم مشايخ أورشليم، وفيه إعفاء الوثنيين من الختان، وكانوا يدفعون لهم تلك الأحكام ليحفظوها!

[12] ومن الملفت للنظر أن كاتب (أعمال الرسل) لم يذكر أقوال خصوم بولس، الذين استمر خلافهم معه لقرون، وذكر فقط ما نسبه لبطرس من تأييده لبولس في إلغاء الشعائر التوراتية، وهو ما نفاه بولس بعد ذلك، وكذلك ذكر كاتب (أعمال الرسل) الحل الوسط الذي تقدم به يعقوب، وهو ما ناقضته رسالة بولس لأهل غلاطية كما بينت آنفًا.

[13] من الأمر المقرر عند علماء النصارى أن رسالة بولس لأهل غلاطية كتبت ما بين 56 إلى 57م، أي بعد مجمع أورشليم حول الختان بقرابة ست سنوات، وفي هذه الرسالة يذكر بولس -أو من كتب رسالته- بأن بطرس وبرنابا كانا حريصين على الالتزام بشرائع التوراة حتى آخر أمرهم، وهو ما يناقض ما نسب لهما في سفر (أعمال الرسل)، ويشكك في مصداقية كاتبه.

[14] جاء في رسالة بولس لأهل غلاطية ذم بطرس وبرنابا، ووصفهما بالرياء، بسبب حرصهما على التمسك بشرائع التوراة، وهذا يطعن فيما نسبه لهما كاتب -أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) من تأييدهما لبولس في مجمع أورشليم، لأن هذا لو كان قد حدث، لاحتج بولس عليهما به، ولكانت حجة من أقوى الحجج ضدهما.

[15] ومما يثير الريبة في رواية كاتب (أعمال الرسل) أنه مؤيد لبولس، فهي وجهة نظر أنصار بولس، كتبت بعد وفاة بولس في خضم الصراع العقدي بين بولس وحزبه وخصومه، وهو الصراع الذي استمر لقرون حتى انفجر في القرن الرابع الميلادي بظهور آريوس ودعوته، التي كادت أن تطيح بالنصرانية البولسية المثلثة، لولا تدخل الدولة الرومانية، ثم ظلت الأريوسية هي المسيطرة على العالم النصراني، حتى قضت الدولة الرومانية على أكثر معتنقيها، كما سيتضح لنا إن شاء الله.

[16] إذن ما ذكره كاتب أعمال الرسل عن نتائج مؤتمر القدس لا يثبت؟ أو أن كلام بولس عنه لا يثبت، أو في الحقيقة أن كليهما لا يثبتان، فهما بلا أصل موجود ولا سند، وإنما هي نصوص جاءت بها الكنيسة، ووضعت عليها أسماء وعناوين، وفرضتها على الناس، وحرمت وحرقت غيرها، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

[17] ومن الأمور العجيبة عند النصارى أنهم يحتجون برواية كاتب –أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) هذه على سقوط الختان عنهم، ولكنهم يأكلون المخنوق من الحيوانات، التي ورد تحريمها في نفس تلك الرواية.

فلا يلتزمون بما في سفر (أعمال الرسل) من حرمة أكل المخنوق، ويأخذون بما أحله بولس لهم من أكل كل شيء.

***

ب- ذكر كاتب -أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) أن تلاميذ سيدنا المسيح -عليه السلام- قد أعطوا لأنفسهم الحق في تبديل الشريعة التي يؤمنون أنها منزلة من عند الله، وهذا الحق توسع فيه بولس أكثر من ذلك، بل ونشر عقائد لم تنقل عن المسيح عليه السلام، مدعيًا أنها أوحيت له كما سيتبين إن شاء الله.

وهذا يبين معلمًا خطيرًا من معالم الإفساد السياسي، وهو ادعاء البشر الحق في تبديل الشرع المنزل، بل واختراع شرائع جديدة، وعقائد مستحدثة، بدعوى أن الروح القدس يلهمهم، أو أن المسيح -عليه السلام- كما في حالة بولس، قد أوحى بها مباشرة لهم.

وقد ذكرت من قبل قول الحق سبحانه عن النصارى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وتفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- لها لعدي بن حاتم -رضي الله عنه- بأنهم كانوا يتبعون أحبارهم ورهبانهم في التحليل والتحريم.

***

19 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 16: 1 إلى 4 ص: 107.

ج- في النص المذكور أعلاه -من رسالة بولس لأهل غلاطية- يذكر بولس أنه عرض على المعتبرين في القدس بالانفراد الإنجيل الذي يبشر به.

وهذا يتناقض مع:

أولًا: زعم بولس أن الإنجيل الذي يبشر به أتاه من المسيح مباشرة، وكرر ذلك عدة مرات، مثل ما جاء في رسالة بولس إلى أهل غلاطية:

"1: 11 وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان.

1: 12 لأني لم أقبله من عند إنسان لا عُلِّمته. بل بإعلان يسوع المسيح.

....

1: 15 و لكن لما سر الله الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته،

1: 16 أن يعلن ابنه فيَّ لأبشر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحمًا و دمًا"[20].

ويتناقض ثانيًا: مع زعمه أنه لا يعتبر تلاميذ المسيح عليه السلام، مثل قوله في رسالته لأهل غلاطية:

"2: 6 وأما المعتبرون أنهم شيء -مهما كانوا، لا فرق عندي، الله لا يأخذ بوجه إنسان- فإن هؤلاء **المعتبرين لم يشيروا علي بشيء**"[21].

ومثل قوله في رسالته الثانية لأهل كورنثوس:

"11: 5 لأني احسب أني لم أنقص شيئًا عن فائقي الرسل.

....

11: 13 لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون، مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح.

....

11: 22 أهم عبرانيون؟ فأنا ايضًا. أهم إسرائيليون؟ فأنا ايضًا. أهم نسل إبراهيم؟ فأنا ايضًا.

11: 23 أهم خدام المسيح؟ أقول كمختل العقل، فأنا افضل: في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجون أكثر، في الميتات مرارًا كثيرة"[22].

فإذا كان بولس يزعم أنه تلقى الوحي مباشرة من سيدنا المسيح عليه السلام، وأنه لا يعتبر تلاميذه، ولا يرى نفسه ينقص شيئًا عن فائقي الرسل، فلماذا يحرص على أن يعرض إنجيله عليهم؟

وكيف يتفق هذا مع ما دونه كاتب -أو كتبة سفر (أعمال الرسل)- من أنه لما نشب الجدال حول وجوب الختان، حرص على أن يسافر للقدس ليستصدر من تلاميذ المسيح قرارًا بعدم وجوبه على الوثنيين المتنصرين، ثم ينشر ذلك بين الكنائس؟ لماذا يحتاج لحكم من تلاميذ المسيح الذين لا يعتبرهم، إذا كان الوحي يأتيه من المسيح مباشرة؟

***

د- إنجيل بولس

يذكر بولس في النص الذي اقتبسته من رسالته لأهل غلاطية: أنه عرض إنجيله على المعتبرين من تلاميذ المسيح، إذن فقد كان له إنجيل، فأين هو؟

وقد يجادل النصارى بأن إنجيله هو بشارته، ولكن لماذا كانت له رسائل مكتوبة، بينما بشارته غير مكتوبة؟

ولماذا وُجِدت -لبشارات متى ومرقس ولوقا ويوحنا- نصوصٌ مكتوبة في كتب وضعت عليها الكنيسة أسماءهم، بينما بشارة بولس غير مكتوبة في كتاب؟

***

20 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 1: 11 إلى 16 ص: 149.

21 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 2: 6 ص: 149.

22 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: 11: 5 إلى 23 ص: 147.

هـ- قيمة التلاميذ عند بولس

ويتضح من النصوص التي أوردتها آنفًا كأمثلة ما هي قيمة تلاميذ المسيح عند بولس، فهو لا يعتبرهم، بل وصفهم بالمراء والمخادعة والكذب .. إلخ.

***

و- ويتضح من تلك النصوص أيضًا: تناقض بولس حيث يزعم أنه مؤتمن على إنجيل الغرلة (أي التبشير بين الوثنيين غير المختتنين)، بينما بطرس مؤتمن على إنجيل الختان (أي التبشير بين اليهود)، ولكنه يذكر أن بطرس جاءه في أنطاكية، وكان يبشر بين الوثنين، ويأكل معهم.

بل ويتناقض ذلك أيضًا مع ما جاء في رسالة بطرس الأولى التي وجهها للمسيحيين في آسيا، الذين كانوا يتعبدون للأوثان:

":1: 1 بطرس رسول يسوع المسيح إلى المتغربين من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيثينية المختارين ....

4: 3 لأن زمان الحياة الذي مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين في الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرمة"[23].

***

ز- كذلك يتضح من النصين اللذين نقلتهما عن رسالة بولس لأهل غلاطية وعن سفر (أعمال الرسل) مدى النزاع الشديد بين بولس وأنصاره وبين المتمسكين بالشريعة اليهودية من تلاميذ المسيح ومن المتنصرين اليهود. وهو النزاع الذي امتد لقرون كما سيتبين لنا إن شاء الله.

***

23 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بطرس الرسول الأولى: 1:1 و4: 3 ص: 188 و190.

{د} زيارة بولس الرابعة للقدس

كانت مرورًا بالقدس في رحلته من قرنثية (كورنثوس) إلى أنطاكية[1].

وهذه الزيارة لم يُذكر عن تفاصيلها شيء، في الكتاب المقدس لدى النصارى، بل اختلفت نصوص الترجمات حولها، فبعض الترجمات لم تذكرها، وهذا أمر متكرر في كتاب النصارى، فالأصل مفقود، والسند معدوم، وليس إلا ثمة مخطوطات مختلفة، أقدمها يرجع للقرن الرابع الميلادي، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

فالنسخة التي ترجمها هالي سميث وكرنيليوس فان ديك، جاء فيها:

"18: 20 وإذ كانوا يطلبون أن يمكث عندهم زمانًا أطول لم يجب.

18: 21 بل ودعهم قائلًا: "ينبغي على كل حال أن أعمل العيد القادم في أورشليم. ولكن سأرجع إليكم أيضًا إن شاء الله". فأقلع من أفسس.

18: 22 ولما نزل في قيصرية صعد وسلم على الكنيسة، ثم انحدر إلى أنطاكية"[2].

ولكن عبارة "العيد القادم في أورشليم". غير موجودة في النسخة اليسوعية، التي جاء فيها:

"18: 20: فسألوه أن يطيل الإقامة بينهم فأبى.

21: ولكنه ودعهم وقال: "سأعود إليكم مرة أخرى إن شاء الله". وأبحر من أفسس.

22: فنزل في قيصرية، وصعد فسلم على الكنيسة. ثم انحدر إلى أنطاكية".

وعلق شراح اليسوعية على قول كاتب (أعمال الرسل): "وصعد فسلم على الكنيسة". بقولهم: ""كنيسة" أورشليم، لا كنيسة قيصرية. لكن لوقا يلقي ظلًا على هذه الزيارة، لأن خطته هي أن يجعل بولس ينطلق من أورشليم ليجعله يعود إليها"[3].

والتعليل غير منطقي، فلماذا يلقي ظلًا على زيارة بولس لكنيسة أورشليم؟ وما أدراهم بأن لوقا (الذي يزعمون أنه كاتب (أعمال الرسل) مع تشككهم في ذلك -كما سيأتي إن شاء الله- أراد إلقاء هذا الظل؟ هل حدثهم بهذا؟ هل شقوا عن صدره؟ أم أنها التعليلات الكنسية!!

أما النسخة الأمريكية المراجعة فتتفق مع النسخة اليسوعية[4].

ولكن النسخة البريطانية العالمية، تتفق مع نسخة هالي سميث وكرنيليوس فان ديك في ورود عبارة "ينبغي على كل حال أن أعمل العيد القادم في أورشليم. ولكن سأرجع إليكم أيضًا إن شاء الله".

ولكنها تختلف معها في عبارة: "وصعد فسلم على الكنيسة". فقد جاء فيها:

“he went up and greeted the assembly”.

"وصعد فسلم على المجمع"[5].

ولكن النسخة المشتركة تفيدنا بمعلومة هامة، تكشف نوعًا من أنواع التحريفات العديدة في الكتاب الذي يقدسه النصارى، فقد جاء فيها:

"20: فطلبوا إليه أن يطيل الإقامة بينهم فاعتذر،

21: ولكنه قال لهم عندما ودعهم: "سأعود إليكم إن شاء الله". وسافر في البحر من أفسس،

22: فنزل في قيصرية، ومنها صعد إلى أورشليم، وسلم على الكنيسة، ثم نزل إلى أنطاكية".

ثم علقوا في الهامش على عبارة: "ومنها صعد إلى أورشليم". بقولهم: "إلى أورشليم: إضافة توضيحية"[6].

---

1 دائرة معارف بطرس البستاني- باب: الباء- مادة: بولس مج: 5 ص: 700 و701.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 18: 20 إلى 22 ص: 109.

3 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- أعمال الرسل: 18: 20 إلى 22 ص: 426 و427.

4 American Standard Version (1901), Acts: 18: 20 to 22, p: 851.

5 World English Bible British Edition with Deuterocanon, Acts: 18: 20 to 22 p: 1138.

6 النسخة المشتركة- العهد الجديد- أعمال الرسل: 18: 21 و22 ص: 211.

أي أن أحد النساخ، رأى أن النص غير واضح، فأضاف تفسيرًا من عنده، ثم أُدْخِل التفسير في النص –الذي يرونه- مقدسًا، والذي يعتبرونه كلمة الله المحفوظة، وكلمات المحرفين أيضًا.

وهذا الأمر متكرر في الكتاب الذي يقدسه النصارى، كما سيتبين إن شاء الله.

وهذا أمر لا يقبله أي كاتب في كتاب له، ولا يقبله أي إنسان في شيك مصرفي بمائة دولار، ولكن الكنائس تقبله، وتستحله، بزعم أنه تم بإلهام الروح القدس، كما سيأتي إن شاء الله.

والتلاعب في النصوص ونسبة هذا التلاعب للمولى سبحانه من كبائر الذنوب، وهو أمر ينكره كل البشر، وعذر النصارى فيه أقبح من الذنب.

قال المولى سبحانه: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[7].

وقال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[8].

***

[7] سورة الأعراف، آية: 28.

[8] سورة البقرة، آية: 79.

{هـ} زيارة بولس الخامسة لأورشليم بعد تنصره

يقدر النصارى أن هذه الزيارة كانت في 58م[1].

وقد ورد ذكرها في سفر (أعمال الرسل) حيث كتب كاتبها أو كاتبوه:

"...........

18: 21 بل ودعهم قائلًا: "ينبغي على كل حال أن أعمل العيد القادم في أورشليم. ولكن سأرجع إليكم أيضًا إن شاء الله". فأقلع من أفسس.

....

19: 21 ولما كملت هذه الأمور، وضع بولس في نفسه أنه بعدما يجتاز في مكدونية وأخائية يذهب إلى أورشليم، قائلًا: "إني بعدما أصير هناك ينبغي أن أرى رومية أيضًا".

....

21: 17 ولما وصلنا إلى أورشليم قبلنا الإخوة بفرح.

21: 18 وفي الغد دخل بولس معنا إلى يعقوب وحضر جميع المشايخ.

21: 19 فبعدما سلم عليهم طفق يحدثهم شيئًا فشيئًا بكل ما فعله الله بين الأمم بواسطة خدمته.

21: 20 فلما سمعوا كانوا يمجدون الرب. وقالوا له: "أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا، وهم جميعًا غيورون للناموس.

21: 21 وقد أخبروا عنك أنك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى، قائلًا: أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد.

21: 22 فإذًا ماذا يكون؟ لا بد على كل حال أن يجتمع الجمهور. لأنهم سيسمعون أنك قد جئت.

21: 23 فافعل هذا الذي نقول لك: عندنا أربعة رجال عليهم نذر.

21: 24 خذ هؤلاء وتطهر معهم وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم، فيعلم الجميع أن ليس شيء مما أُخبروا عنك، بل تسلك أنت أيضًا حافظًا للناموس.

21: 25 وأما من جهة الذين آمنوا من الأمم، فأرسلنا نحن إليهم وحكمنا أن لا يحفظوا شيئًا مثل ذلك، سوى أن يحافظوا على أنفسهم مما ذُبح للأصنام، ومن الدم والمخنوق والزنا".

21: 26 حينئذ أخذ بولس الرجال في الغد، وتطهر معهم ودخل الهيكل، مخبرًا بكمال أيام التطهير، إلى أن يُقرب عن كل واحد منهم القربان.

21: 27 ولما قاربت الأيام السبعة أن تتم، رآه اليهود الذين من آسيا في الهيكل، فأهاجوا كل الجمع وألقوا عليه الأيادي

21: 28 صارخين: "يا أيها الرجال الإسرائيليون، أعينوا! هذا هو الرجل الذي يعلم الجميع في كل مكان ضدًا للشعب والناموس وهذا الموضع، حتى أدخل يونانيين أيضًا إلى الهيكل ودنس هذا الموضع المقدس"[2].

إذن هذا هو ما ورد عن زيارة بولس الأخيرة لأورشليم، حسب رواية سفر (أعمال الرسل)، وقد ذكرت من قبل قول النصارى في مدى صدقيته، ودلالته التاريخية.

ولو افترضنا صدق هذه الرواية فماذا نستخرج منها؟

1- يستفاد من رواية كاتب –أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) أنه كان هناك حزب من اليهود المتنصرين ساخط على بولس وتصرفاته، لأنه كان يطالب اليهود بترك شرائع التوراة.

كتب بطرس البستاني:

---

1 دائرة معارف بطرس البستاني- باب: الباء- مادة: بولس مج: 5 ص: 701.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 18: 21 إلى 21: 28 ص: 109 إلى 113.

"وكان الحزب المسيحي في أورشليم تحت سطوة العاصمة اليهودية وكانوا يرغبون أن يرضوا أبناء وطنهم وفضلًا عن أنهم لم يرفضوا شريعة موسى كانوا لا يزالون يحفظونها بكل تدقيق وإذ كانوا عالمين أن المرتدين[3] من اليهود كانوا يكرهون بولس لاختلافه معهم في الرأي من جهة شريعة موسى أقنعوه بأن يمارس أمورًا جهارية من شأنها أن تخفف كرههم"[4].

2- وهذا الاتهام لم يرده بولس. فلم ينكر اتهام اليهود المتنصرين له بأنه يطلب من اليهود -الذين بين الأمميين- ألا يعملوا بأحكام التوراة، وأنه لم يقتصر فقط على إباحة الختان للأمميين.

3- كذلك لم ينف –هذا الاتهام- مشايخ أورشليم. بل طلبوا منه أن يفعل شيئًا ينفيه، فيكون –أمام اليهود المتنصرين وغير المتنصرين- من قبيل التوبة أو إثبات البراءة.

4- وهذا الاتهام يعني أن بولس لم يلتزم بما زعم كاتب –أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) أنه تم الاتفاق عليه بين مشايخ أورشليم في زيارة بولس الثالثة لأورشليم بعد إعلانه التنصر، فهو لم يكتف بإسقاط الختان عن الأمميين الذين يتنصرون، بل كان يدعو اليهود المتنصرين -أيضًا- لأن لا يلتزموا -ليس فقط- بالختان، بل بسائر أحكام الشريعة اليهودية.

ونحن هنا أمام احتمالين:

الأول: إما أن بولس لم يلتزم بقرارات المجمع الأورشليمي حول الختان.

والثاني: أن رواية كاتب –أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) -حول ذلك المجمع وقراراته- غير صحيحة.

5- ومما يؤكد هذا الاتهام؛ أن بولس كان يبادل خصومه في أورشليم العداء، ومن ذلك قوله عنهم، وهو في طريقه لأورشليم:

"15: 30 فأطلب إليكم أيها الإخوة، بربنا يسوع المسيح، وبمحبة الروح، أن تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي إلى الله،

15: 31 لكي أنقذ من الذين هم غير مؤمنين في اليهودية، ولكي تكون خدمتي لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين"[5].

ويعلق الدكتور وليم إدي على عبارة: " لكي أنقذ من الذين هم غير مؤمنين في اليهودية". بقوله:

"كان هؤلاء أشد أعداء بولس منذ آمن بالمسيح، وأخذ يبشر بالإنجيل، لأنه حسبوه مرتدًا عن إيمان آبائهم".

ويعلق على عبارة: " ولكي تكون خدمتي لأجل أورشليم مقبولة". بقوله:

"كان بعض هؤلاء الإخوة في أورشليم يبغضونه ويعترضون عليه بأنه أدخل الأمم إلى شركة الكنيسة دون أن يخضعوا لشريعة موسى الرمزية"[6].

6- وقد وردت في رسائل بولس -التي يزعم النصارى أنها ثابتة عنه[7]- نصوص عديدة تدل على مطالبته بعدم الالتزام بالشريعة اليهودية، ومن أمثلة ذلك ما جاء في رسالة بولس إلى أهل غلاطية:

"5: 1 فاثبتوا إذًا في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضًا بنير عبودية".

أي حرية التخلص من الناموس اليهودي، الذي اعتبره بولس عبودية.

ثم يواصل بولس:

"5: 2 ها أنا بولس أقول لكم: إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا!

5: 3 لكن أشهد أيضًا لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس.

5: 4 قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس. سقطتم من النعمة

---

3 يقصد المرتدين إلى النصرانية، أي المتحولين لها من اليهود.

4 دائرة معارف بطرس البستاني- باب: الباء- مادة: بولس مج: 5 ص: 701.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 15: 30 و31 ص:129.

6 الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ج: 5 شرح الرسالة الرومية ص: 214.

7 لبولس في الكتاب -المقدس لدى النصارى- أربع عشرة رسالة، اتفق النصارى على أن منها ما لم يكتبه بولس، ومنها ما كتبه، ومنها ما هو مشكوك في نسبته له، واختلفوا في تفصيل ذلك، وستأتي الإشارة لذلك إن شاء الله.

ورغم ذلك ضموها كلها في كتابهم الذي يقدسونه، ثم زعموا أنه: (كلمة الله المحفوظة). فتأمل.

5: 5 فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بر.
5: 6 لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئًا ولا الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة.
....
5: 11 وأما أنا أيها الإخوة فإن كنت بعد أكرز بالختان، فلماذا أُضطهد بعد؟ إذًا عثرة الصليب قد بطلت.
....
5: 13 فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الإخوة. غير أنه لا تصيِّروا الحرية فرصة للجسد، بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضًا.
5: 14 لأن **كل الناموس في كلمة واحدة يكمل: "تحب قريبك كنفسك"**"[8].
ومن الجدير بالذكر أن هذا العدد الأخير (5: 14) من كلام بولس يظهر فيه تناقضه في تعامله مع الناموس، فهذه العبارة اقتبسها من سفر اللاويين (19: 18)، واعتبرها هي كل الناموس، بينما سفر اللاويين مملوء بعشرات الأوامر والنواهي، التي دعا بولس للتحرر منها.
وعن هذا التناقض كتب إم بي ساندرز[9]:
"رغم تقبل بولس للسلوك اليهودي كسلوك صحيح، إلا أنه اعتقد أن الأمميين لا يلزمهم أن يتهودوا ليشاركوا في الخلاص. وهذه الآراء لا تتوافق بسهولة.
ولكن إذا كان الإله الحق هو إله إسرائيل، ألا ينبغي أن يطيع المرء كل أوامره التي في (الكتاب)، مثل تلك التي تتعلق بالسبت والختان والغذاء، وإذا كانت "تحب قريبك كنفسك". (سفر اللاويين: 19: 18، والمقتبسة في الرسالة لأهل غلاطية: 5: 14، ولأهل رومية: 13: 9) ملزمة، فلماذا لا تُلْزِم سائر الأوامر في سفر اللاويين: 19؟
لا تقدم رسائل بولس أي حل عام لتلك المشكلة.
لقد كان متأكدًا من أن متحوليه الأمميين لا يلزمهم تقبل الختان وبعض أمور أخرى من الشرع اليهودي.
ولكنه لم يقرر -في رسائله الموجودة- مبدأً يلزم متحوليه أن يعملوا ببعض –وليس كل- الشرع اليهودي.
بل من الجدير بالذكر- أنه لم يعتبر أن تعظيم السبت –وهو أحد الوصايا العشر- ضروري (الرسالة لأهل رومية: 14: 5[10]، ولأهل غلاطية: 4: 10- 11[11])"[12].
7- ومما نستفيده أيضًا من ذلك النص في سفر (أعمال الرسل) أن بولس كان يتعامل بسياستين:
واحدة مع شيوخ أورشليم، فلا يظهر لهم مخالفتهم لشريعة التوراة.

---

8 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 5: 2 إلى 14 ص: 151.

9 أستاذ العقيدة بجامعة دوك بالولايات المتحدة.

10 "14: 5 واحد يعتبر يومًا دون يوم، وآخر يعتبر كل يوم. فليتيقن كل واحد في عقله:
14: 6 الذي يهتم باليوم، فللرب يهتم. والذي لا يهتم باليوم، فللرب لا يهتم. والذي يأكل، فللرب يأكل لأنه يشكر الله. والذي لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله".
[نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 14: 5 و6 ص: 126].

11 "4: 10 أتحفظون أيامًا وشهورًا وأوقاتًا وسنين؟
4: 11 أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثًا!". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 4: 10 و11 ص: 151].

12 النص الأصلي هو:
“Although Paul accepted Jewish behaviour as correct, he thought that Gentiles did not have to become Jewish in order to participate in salvation. These views are not easily reconciled. If the one true God is the God of Israel, should not one obey all the commandments in the Bible, such as those regarding the Sabbath, circumcision, and diet? If “love your neighbour as yourself” (Leviticus 19:18, quoted in Galatians 5:14 and Romans 13:9) is valid, why not the rest of the commandments in Leviticus 19? Paul's letters reveal no general solution to this problem. He was sure that his Gentile converts were not obliged to accept circumcision and some other parts of the law. In his surviving letters, however, he does not work out a principle that would require his converts to observe some but not all of the Jewish law. It is noteworthy that he did not regard Sabbath observance—which is one of the Ten Commandments—as obligatory (Romans 14:5; Galatians 4:10–11)”. [Encyclopædia Britannica, Paul, the Apostle, Saint, Jewish law].

وأخرى مع من يدعوهم من الأمميين والوثنيين.

وهذه المراوغة اكتشفها:

أ- ربوة من اليهود الذين آمنوا، أي اليهود المتنصرين.

ب- وزوار المعبد ممن وصفهم كاتب –أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) بأنهم من (اليهود الذين من آسيا).

ولا يتفق هيم ماكبي[13] مع كاتب –أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) في وصف هؤلاء باليهود، بل يرى أنهم من المسيحيين ذوي الأصل اليهودي، الذين اكتشفوا حقيقة بولس في آسيا، وعارضوه، ويتهم كاتب سفر (أعمال الرسل) بمحاولة إخفاء الحقائق، مستدلًا بعدة قرائن منها ما انتشر عن بولس من إنكاره وجوب الالتزام بشرائع التوراة في رحلاته في آسيا، ومنها ما قاله له يعقوب في رواية سفر (أعمال الرسل): من أن هنا يهودًا آمنوا يتهمونك؛ بأنك تدعو لترك التوراة، وربط ما كبي بين اليهود المسيحيين في آسيا، وبين اليهود المسيحيين في أورشليم، وأن الآسيويين كانوا شهودًا على بولس في رحلاته في آسيا، فنقلوا الأمر لأورشليم.

ويستدل أيضًا بأن في محل عبارة: "لا بد على كل حال أن يجتمع الجمهور. لأنهم سيسمعون أنك قد جئت"، وردت -في أحد المخطوطات القديمة للعهد الجديد- عبارة: "ولا شك أن الجموع ستثور عليك حينما تعلم أنك هنا"، ولكن هذه المخطوطة تنكرها الكنيسة والمجامع المسكونية.

ويبين ماكبي بأن هدف كاتب سفر (أعمال الرسل) من ذلك أن يظهر أن الخلاف كان بين بولس واليهود، وليس بينه وبين المسيحيين في القدس، وبينهم حواريو المسيح وتلاميذه، الذين لم يعرفوا شيئًا عما ادعاه بولس من ربوبية المسيح وغيرها مما افتراه بولس[14].

***

13 أستاذ تاريخ الأديان بمعهد (ليو بايك) بلندن.

14 بولس وتحريف المسيحية ص: 77 إلى 85.

{3} خلاف بولس مع تلاميذ المسيح

حسب ما يستفاد من الكتاب الذي تقدسه النصارى؛ أن بولس كان يتصرف بسياستين مع تلاميذ المسيح عليه السلام: فإذا كان معهم في القدس أظهر لهم الطاعة، وإذا كان بعيدًا عنهم انتقدهم بشدة، ومن أمثلة ذلك:

{أ} زعم بولس أنه لم يتلق عن تلاميذ المسيح -عليه السلام- شيئًا

ففي رسالته لأهل غلاطية ذكر كاتبها:

"1: 1 بولس، رسول لا من الناس ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات،

....

1: 11 وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به، أنه ليس بحسب إنسان.

1: 12 لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمتُهُ بل بإعلان يسوع المسيح.

....

1: 15 ولكن لما سرَّ اللهَ الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته،

1: 16 أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحمًا ودمًا،

1: 17 ولا صعدت إلى أورشليم، إلى الرسل الذين قبلي"[1].

***

{ب} خلاف بولس مع بطرس وبرنابا

1- اتهامهما بالرياء

جاء في رسالة بولس لأهل غلاطية:

"2: 11 ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة، لأنه كان ملومًا.

2: 12 لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه، خائفًا من الذين هم من الختان.

2: 13 وراءى معه باقي اليهود أيضًا، حتى إن برنابا أيضًا انقاد إلى ريائهم!

2: 14 لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل، قلت لبطرس قدام الجميع: "إن كنت وأنت يهودي تعيش أمميًا لا يهوديًا، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا؟".

2: 15 نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة"[2].

2- التشاجر مع برنابا

أ- ثناء كاتب (أعمال الرسل) على برنابا

يُعرف كاتب (أعمال الرسل) برنابا بأنه من السابقين في خدمة دعوة سيدنا المسيح عليه السلام، فذكر:

"4: 36 ويوسف الذي دعي من الرسل برنابا، الذي يُترجم ابن الوعظ، و هو لاوي قبرسي الجنس،

4: 37 اذ كان له حقل باعه، وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل"[3].

وذكر عنه أيضًا:

"11: 22 فسمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أورشليم، فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية.

11: 23 الذي لما أتى ورأى نعمة الله فرح، ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب،

11: 24 لأنه كان رجلًا صالحًا وممتلئًا من الروح القدس والإيمان. فانضم إلى الرب جمع غفير.

11: 25 ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول. ولما وجده جاء به إلى أنطاكية.

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 1: 11 إلى 17 ص: 149.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 2: 11 إلى 15 ص: 149.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 4: 36 و37 ص: 96.

11: 26 فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعًا غفيرًا. ودعي التلاميذ "مسيحيين" في أنطاكية أولًا"[4].

ب- تزكية برنابا لبولس

وكتب واضع سفر (أعمال الرسل) أن برنابا هو الذي زكى بولس للتلاميذ:

"9: 26 ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ.

9: 27 فاخذه برنابا وأحضره إلى الرسل، وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع.

9: 28 فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع"[5].

ج- مشاجرة بولس مع برنابا

ولكن رغم سبق برنابا لبولس في خدمة دعوة المسيح عليه السلام، ورغم أنه هو الذي زكاه للتلاميذ، فقد ذكر كاتب -أو كتبة- سفر (أعمال الرسل)؛ أن بولس تشاجر معه مشاجرة شديدة وفارقه، ثم بعد ذلك وصفه بالرياء:

"15: 13 وبعدما سكتا أجاب يعقوب قائلًا: "أيها الرجال الإخوة، اسمعوني.

....

15: 23 وكتبوا بأيديهم هكذا: "الرسل والمشايخ والإخوة يهدون سلامًا إلى الإخوة الذين من الأمم في أنطاكية وسورية وكيليكية:

....

15: 25 رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبينا برنابا وبولس،

....

15: 28 لأنه قد رأى الروح القدس ونحن، أن لا نضع عليكم ثقلًا أكثر، غير هذه الأشياء الواجبة:

15: 29 أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام، وعن الدم، والمخنوق، والزنا، التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعمًا تفعلون كونوا معافين".

15: 30 فهؤلاء لما أطلقوا جاءوا إلى أنطاكية، وجمعوا الجمهور ودفعوا الرسالة.

....

15: 35 أما بولس وبرنابا فأقاما في أنطاكية يعلمان ويبشران مع آخرين كثيرين أيضًا بكلمة الرب.

15: 36 ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا: "لنرجع ونفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب، كيف هم".

15: 37 فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضًا يوحنا الذي يدعى مرقس،

15: 38 وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل، لا يأخذانه معهما.

15: 39 فحصل بينهما **مشاجرة** حتى فارق أحدهما الآخر. وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرس"[6].

إذن يستفاد من هذا النص أن بولس وبرنابا مع اثنين آخرين حملا رسالة المجمع الأورشليمي للأمميين، ووصلوا لأنطاكية، ثم بعد أيام شرعا في السفر لتفقد المدن التي بشروا فيها، فحصلت بينهما مشاجرة بعد هذه المدة القصيرة من وصولهما لأنطاكية.

ويبرر كاتب -أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) هذه المشاجرة بأنها كانت بسبب اصطحاب يوحنا الذي يدعى مرقس، وهو ابن أخت برنابا[7].

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 11: 22 إلى 26 ص: 103.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 9: 26 إلى 28 ص: 101.

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 15: 13- 39 ص: 106 و107.

7 رسالة بولس لأهل كولوسي: 4: 10.

ولكن يشغب على هذا التفسير ما ذكره كاتب رسالة بولس لأهل غلاطية (2: 11 إلى 15)؛ من اتهام بولس بطرس وبرنابا بالرياء، كما ذكرت آنفًا.

وقد حدث هذا الفراق بين بولس وبرنابا بُعيد المجمع الأورشليمي، أي في حوالي سنة 50 م، حسب قول النصارى، بينما الرسالة لأهل غلاطية كتبت -حسب قولهم- في حوالي 56 أو 57م، أي بعد المشاجرة المذكورة بحوالي ست سنوات.

وفي الرسالة لأهل غلاطية يذكر بولس أن بطرس وبرنابا -لما وصلا لأنطاكية- كانا حريصين على التزام شرائع التوراة أمام القادمين من ناحية يعقوب.

أي أن بولس أثبت هنا أمرين:

الأول: أن بطرس وبرنابا اختلفا معه في أنطاكية، لما وصلوا لها بسبب الالتزام بشرائع التوراة.

والثاني: أن هذا الخلاف مستمر حتى كتابته رسالته لأهل غلاطية أي بعد حوالي ست سنوات من هذه المشاجرة. أي أن بطرس وبرنابا كانا متمسكين بشرائع التوراة طوال هذه السنين الست، بعد مشاجرة بولس وبرنابا.

وإذا كان الخلاف بينهم قد وصل لدرجة أن يذكر كاتب رسالة بولس لأهل غلاطية عن بطرس قوله: "قاومته مواجهة". إذن فقد كان خلافًا علنيًا شديدًا. وبالتالي فمن المنطقي أن يكون هذا هو سبب المشاجرة، أو على الأقل أحد أهم أسبابها، لا ما ذكره كاتب رسالة بولس لأهل غلاطية.

وإذًا أخذنا في الاعتبار أن بولس في رسائله قد أنكر الناموس كله، وليس فقط التزام الختان وترك ذبائح الأصنام والمخنوق والزنا، وأنه شن حملات شديدة -وصلت للسباب- على من أراد أن يلتزم بالناموس التوراتي، إذا أخذنا ذلك في الاعتبار، فمن المرجح جدًا أن هذا الشجار كان بسبب هذا التوجه من بولس، وعدم اقتصاره على قرارات مجمع أورشليم، التي ذكرها كاتب سفر (أعمال الرسل)، والتي بينت سابقًا أنها رواية متهافتة.

بقيت ملاحظة هامة، وهي إن كل من اصطدم ببولس يختفي ذكره من سفر (أعمال الرسل)، وهكذا اختفى ذكر برنابا من سفر (أعمال الرسل)، الذي هو في الحقيقة سفر أعمال بولس.

***

{ج} تهجم بولس على التلاميذ عامة

مثل قوله في رسالته لأهل غلاطية:

"2: 1 ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضًا إلى أورشليم مع برنابا آخذًا معي تيطس أيضًا،

....

2: 4 ولكن بسبب الإخوة الكذبة المدخلين خفية، الذين دخلوا اختلاسًا ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا.

2: 5 الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة، ليبقى عندكم حق الإنجيل.

2: 6 وأما المعتبرون أنهم شيء -مهما كانوا، لا فرق عندي، الله لا يأخذ بوجه إنسان- فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علي بشيء"[8].

ومثل قوله في رسالته الثانية لأهل كورنثوس؛ أنه يرى نفسه لا يقل عن فائقي الرسل، ويحذرهم من خداع من يخالفونه:

"11: 3 ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.

11: 4 فإنه إن كان الآتي يكرز بيسوع آخر لم نكرز به، أو كنتم تأخذون روحًا آخر لم تأخذوه، أو إنجيلًا آخر لم تقبلوه، فحسنًا كنتم تحتملون!

11: 5 لأني أحسب أني لم أنقص شيئًا عن فائقي الرسل.

8 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 2: 1 إلى 6 ص: 149.

....

11: 13 لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون، مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح.

....

11: 22 أهم عبرانيون؟ فأنا ايضًا. أهم إسرائيليون؟ فأنا أيضًا. أهم نسل إبراهيم؟ فأنا أيضًا.

11: 23 أهم خدام المسيح؟ أقول كمختل العقل، فأنا أفضل: في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجون أكثر، في الميتات مرارًا كثيرة.

....

12: 11 قد صرت غبيًا وأنا أفتخر. أنتم ألزمتموني! لأنه كان ينبغي أن أمدح منكم، إذ لم أنقص شيئًا عن فائقي الرسل، وإن كنت لست شيئًا"[9].

ومثل رسالته إلى تيطس يحذر من الذين من الختان (أي من المتمسكين بشرائع التوراة)، ويشمل هذا تلاميذ المسيح -عليه السلام- واليهود المتنصرين:

"1: 10 فإنه يوجد كثيرون متمردين يتكلمون بالباطل، ويخدعون العقول، ولا سيما الذين من الختان،

1: 11 الذين يجب سد أفواههم، فإنهم يقلبون بيوتًا بجملتها، معلمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح.

1: 12 قال واحد منهم، وهو نبي لهم خاص: "الكريتيون دائمًا كذابون وحوش ردية بطون بطالة".

1: 13 هذه الشهادة صادقة. فلهذا السبب وَبِّخهم بصرامة لكي يكونوا أصحاء في الإيمان،

1: 14 لا يصغون إلى خرافات يهودية، ووصايا أناس مرتدين عن الحق.

1: 15 كل شيء طاهر للطاهرين، وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهرًا، بل قد تنجس ذهنهم أيضًا وضميرهم.

1: 16 يعترفون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه، إذ هم رجسون غير طائعين، ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون"[10].

وهنا تجدر ملاحظة أمر هام، وهو أن بولس حسب تلك النصوص، وكما هو سائد في رسائله، لم يكتف بأن يعفي الوثنيين المتنصرين من الختان، كما كتب واضع سفر (أعمال الرسل) في روايته عن اجتماع أورشليم.

لا، بل هو يذهب لأبعد من ذلك بكثير، فهو ينهى المتنصرين من الوثنيين أن يستجيبوا لمن يدعوهم لاتباع شرائع التوراة، ويذم من استجاب منهم، ويصفهم مع من يدعو لذلك بصفات دنيئة (كذبة، كالحيات، يفسدون الأذهان، ماكرون، يتشبهون برسل المسيح، متمردون، متكلمون بالباطل، خادعون للعقول، مرتدون...إلخ).

إذن فهو ينشئ **دينًا جديدًا** منفصلًا عن شرائع التوراة، التي كان يتعبد بها تلاميذ المسيح في القدس، ويذم تلك الشرائع، ومن يدعو لها، ومن يستجيب له.

***

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: 11: 3 إلى 12: 11 ص: 146إلى 148.

10 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى تيطس: 1: 10 إلى 16 ص: 174.

{4} خلاف بولس وأبلوس

{أ} من الأشخاص المهمين -الذين ذُكِروا في الكتاب، الذي يقدسه النصارى- معلم اسمه أبلوس (أبولوس، أبُلّس، Apollos)، كان معاصرًا لبولس، واختلف معه في عقيدته في المسيح، فقد كان يعمد بمعمودية يحيى عليه السلام، أي يدعوهم للمسيحية بالتوبة من الخطايا، وأن عيسى بشر مرسل من الله، وكان يعظ اليهود، ويقنعهم بأن سيدنا عيسى -عليه السلام- هو المسيح.

{ب} وقد ذكرت الأناجيل معمودية يوحنا، فقد جاء في الإنجيل المنسوب لمتى:

"3: 1 وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية

3: 2 قائلًا: "توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السماوات.

....

3: 5 حينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن،

3: 6 واعتمدوا منه في الأردن، معترفين بخطاياهم.

....

3: 13 حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه.

3: 14 ولكن يوحنا منعه قائلًا: "أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إلَي!".

3: 15 فأجاب يسوع وقال له: "اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر". حينئذ سمح له"[1].

ويستفاد من هذا:

1- أن الأناجيل تذكر أن يوحنا المعمدان كان يعمد اليهود في نهر الأردن، بأن يتوبوا، ويعترفوا بخطاياهم.

2- وأن المسيح -عليه السلام- قد جاءه أيضًا ليعتمد منه، أي يعتمد بالتوبة من الخطايا، وهي المعمودية التي يعمد بها يوحنا المعمدان عليه السلام.

وهذا إقرار منهم ببشرية المسيح عليه السلام، لأن الإله لا يتوب!

ولعل هذا من بقايا التوحيد في أسفارهم، ومنها أمثلة عديدة، كما سيأتي إن شاء الله.

{ج} وكان أبلس يعمد بهذه المعمودية. ولكن هذا لم يرق لبولس، على حسب ما جاء في سفر (أعمال الرسل):

"18: 24 ثم أقبل إلى أفسس يهودي اسمه أبلوس، إسكندري الجنس، رجل فصيح مقتدر في الكتب.

18: 25 كان هذا خبيرًا في طريق الرب. وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب. عارفًا معمودية يوحنا فقط.

18: 26 وابتدأ هذا يجاهر في المجمع فلما سمعه أكيلا وبريسكلا أخذاه إليهما، وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق.

18: 27 وإذ كان يريد أن يجتاز إلى أخائية كتب الإخوة إلى التلاميذ يحضونهم أن يقبلوه. فلما جاء ساعد كثيرًا بالنعمة الذين كانوا قد آمنوا،

18: 28 لأنه كان باشتداد يفحم اليهود جهرًا، مبينًا بالكتب أن يسوع هو المسيح.

19: 1 فحدث فيما كان أبلوس في كورنثوس، أن بولس بعدما اجتاز في النواحي العالية جاء إلى أفسس، فإذ وجد تلاميذ

19: 2 قال لهم: "هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟". قالوا له: "ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس".

19: 3 فقال لهم: "فبماذا اعتمدتم؟". فقالوا: "بمعمودية يوحنا".

19: 4 فقال بولس: "إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة، قائلًا للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده، أي بالمسيح يسوع".

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- متى: 3: 1 إلى 15 ص: 2.

راجع أيضًا: مرقس: 1: 4 إلى 9، لوقا: 3: 2 إلى 21.

19: 5 فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع"[2].

ويستفاد من هذا أن أبلس المسيحي:

1- لم يكن يدعو إلى ما يدعو له بولس، بل كان يدعو إلى ما دعا له يوحنا المعمدان وعيسى عليهما السلام، وأن هذه العقيدة لا بد أن يكون قد تلقاها من تلاميذ المسيح أو ممن تلقوها عنهم، لأنه لم ير المسيح عليه السلام.

2- وأنه كان يدعو أهل أفسس وغيرهم إلى هذه العقيدة.

3- وأن هذه الدعوة لم ترق لأكيلا وبريسكلا، وأنهما شرحا له عقيدتهما، ولكن لم يذكر كاتب –أو كتبة- سفر (أعمال الرسل) أنه أقتنع بما يقولان، وغير عقيدته. وهذا أمر مهم جدًا.

ويؤيد هذا ما ذكره كاتب (أعمال الرسل)؛ أن بولس لما جاء لأهل أفسس وجدهم لا يعلمون شيئًا عن الروح القدس.

4- وأن بولس عمد أهل أفسس باسم الرب يسوع.

وقد علق شراح النسخة اليسوعية على ما جاء في أعمال الرسل: "18: 24 ثم أقبل إلى أفسس يهودي اسمه أبلوس". بقولهم:

"سينجح "ابلس" في قورنتس (18/27-28) وسيكون فيها سبب جدال في الكنيسة"[3].

وكذلك يعلقون على ما جاء في أعمال الرسل: 18: 25 بقولهم:

"جدير بالذكر أن ابلس لا يوجه كلامه إلا إلى اليهود"[4].

وهذا يؤيد أن رسالة المسيح -عليه السلام- كانت لبني إسرائيل، ولم تكن عالمية كما حولها لذلك بولس ومن بعده. وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

وكذلك يعلقون على ما جاء في أعمال الرسل: "19: 2 ..... "ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس". بقولهم:

"من غير المعقول أن يجهل هؤلاء "التلاميذ"، وهم مؤمنون (الآيتان ا و 2)، وجود الروح القدس، فلا شك أنهم لم يسمعوا بهبة الروح منذ العنصرة (راجع يو 39/7). يشبه إيمانهم إيمان ابلس"[5].

وهذا يشكك في ما جاء في الأناجيل عن الروح القدس، فكيف يجهل ذلك شخص مثل أبلوس؟ مع اعتراف كاتب (أعماال الرسل) أنه: " مقتدر في الكتب "، وكان "خبيرًا في طريق الرب"، " ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب ".

ويعلقون أيضًا على ما جاء في (أعمال الرسل): "19: 5 فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع". بقولهم:

"تبدو هنا "المعمودية المسيحية" مختلفة كل الاختلاف عن "معمودية يوحنا""[6].

وهذا يؤكد أن عقيدة أبلس مختلفة كل الاختلاف عن عقيدة بولس.

{د} ثم يحدثنا كاتب رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس عن نشوب الخلافات بين أهلها؛ بسبب تحزب بعضهم لبولس، وبعضهم لأبلوس، وبعضهم لبطرس.

فقد جاء في تلك الرسالة:

"1: 10 ولكنني أطلب إليكم أيها الإخوة، باسم ربنا يسوع المسيح، أن تقولوا جميعكم قولًا واحدًا، ولا يكون بينكم انشقاقات، بل كونوا كاملين في فكر واحد ورأي واحد،

1: 11 لأني أُخبرت عنكم يا إخوتي من أهل خلوي أن بينكم خصومات.

1: 12 فأنا أعني هذا: أن كل واحد منكم يقول: "أنا لبولس"، و"أنا لأبلوس"، و"أنا لصفا". و"أنا للمسيح".

---

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 18: 24 إلى 19: 5 ص: 109 و110.

3 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- أعمال الرسل: 18: 24 ص: 427.

4 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- أعمال الرسل: 18: 25 ص: 427.

5 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- أعمال الرسل: 19: 2 ص: 427 و428.

6 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- أعمال الرسل:19: 5 ص: 428.

1: 13 هل انقسم المسيح؟ ألعل بولس صلب لأجلكم، أم باسم بولس اعتمدتم؟"[7].

وعلق شراح النسخة اليسوعية تعليقًا يستحق التوقف عنده على عبارة: "وأنا مع المسيح". فقالوا:

"أما حزب المسيح، فقد عُرضت اراء مختلفة جدًا في شأنه: قيل انهم **مسيحيون متهودون لا يريدون ان يروا في يسوع إلا مشيح اليهود**.

....

لربما لم يكن لهذا الحزب من وجود، فقد تكون العبارة "وانا مع المسيح" (12/1) مجرد **تعليق احد النساخ أُقحم في المتن**"[8].

أي أن أحبار الكاثوليك -الذين يعلقون على الترجمة العربية الرسمية للفاتيكان للكتاب الذي يقدسه النصارى- يقرون:

1- بأنه كان هناك تياران متضادان بين المسيحيين الأوائل: تيار يرى المسيح بشرًا، وتيار بولسي يراه إلهًا.

2- وبأنهم يشكون في نصوص كتابهم، الذي يزعمون أنه "كلمة الله المحفوظة". فهم لا يجزمون ولا يتيقنون إذا ما كانت تلك العبارة موجودة أصلًا أم لا، وإذا كانت موجودة، فهل أقحمها أحد النساخ؟ **أليس هذا هو التحريف بعينه**؟ وكذلك أليس هذا دليلًا على **عدم مصداقية تلك النصوص**، التي لا يعلم هل هي من وحي الروح القدس كما يزعمون، أم من إضافات النساخ!!

وجاء في تلك الرسالة أيضًا؛ أن هذه الخلافات أدت لخصام وشقاق:

"3: 3 لأنكم بعد جسديون فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق، ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر؟

3: 4 لأنه متى قال واحد: "أنا لبولس" وآخر: "أنا لابلوس" أفلستم جسديين؟

3: 5 فمن هو بولس؟ ومن هو أبلوس؟ بل خادمان آمنتم بواسطتهما، وكما أعطى الرب لكل واحد:

3: 6 أنا غرست وأبلوس سقى، لكن الله كان ينمي.

3: 7 إذًا ليس الغارس شيئًا ولا الساقي بل الله الذي ينمي

3: 8 والغارس والساقي هما واحد، ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه.

3: 9 فإننا نحن عاملان مع الله، وأنتم فلاحة الله، بناء الله"[9].

و عن هذا الخلاف كتب إي بي ساندرز[10]:

"لقد عامل بولس بعض هؤلاء المنافسين المحتملين –مثل بريسكا وأكيلا وجونيا وأندرونيكس- بطريقة ودية جدًا (رومية: 16: 3، 7). بينما نظر للآخرين بشك وعداوة.

وكان منزعجًا خاصة من أبلوس، وهو مبشر مسيحي معروف للكورنثوسيين (كورنثوس1: 3: 1-22)، وقد ذم المنافسين في كورنثوس بأنهم رسل مزيفون وخدام الشيطان (كورنثوس2: 11)"[11].

---

7 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 1: 10 إلى 13 ص: 131.

8 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل قورنتس- مدخل ص: 506.

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 3: 3 إلى 9 ص: 132.

10 أستاذ العقيدة بجامعة دوك بالولايات المتحدة.

11 Encyclopædia Britannica, Paul, the Apostle, Saint, Travels and letters.

النص الأصلي هو:

"Paul treated some of these possible competitors—such as Prisca, Aquila, Junia, and Andronicus—in a very friendly manner (Romans 16: 3, 7), while he looked on others with suspicion or hostility. He was especially wary of Apollos, a Christian missionary known to the Corinthians (1 Corinthians 3:1–22), and he vilified competitors in Corinth as false apostles and ministers of Satan (2 Corinthians 11)".

وقد نقل الدكتور محمد علي البار عن دائرة المعارف الأمريكية أن أبلس كان له إنجيل رفضته الكنيسة البولسية[12].

***

12 دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية ص: 70 و71.

{5} تهجم بولس على خصومه في العديد من الكنائس

مما يستوقف القارئ لما نسب لبولس من نصوص؛ موقفه المعادي والمتهجم والساب والقادح في من يخاصمه، وخاصة ممن يتمسكون بعقيدة التوراة وشرائعها، وأدرج هنا أمثلة على ذلك:

{أ} فمن ذلك ما جاء في رسالته لأهل فيلبي عن المتمسكين بالختان وشرائع التوراة:

"3: 2 انظروا الكلاب. انظروا فعلة الشر. انظروا القَطعَ.

3: 3 لأننا نحن الختان، الذين نعبد الله بالروح، ونفتخر في المسيح يسوع، ولا نتكل على الجسد.

3: 4 مع أن لي أن اتكل على الجسد أيضًا. إن ظن واحد آخر أن يتكل على الجسد فأنا بالأولى.

3: 5 من جهة الختان: مختون في اليوم الثامن، من جنس إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين. من جهة الناموس: فريسي.

3: 6 من جهة الغيرة: مضطهد الكنيسة. من جهة البر الذي في الناموس: بلا لوم.

....

3: 9 وأوجَدَ فيه، وليس لي بِري الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح، البِر الذي من الله بالإيمان"[1].

وفي النسخة اليسوعية:

"إحذروا الكلاب. إحذروا العملة الأشرار. إحذروا ذوي الجَب"[2].

ويعلق شراح اليسوعية على عبارة: "إحذروا الكلاب". بقولهم:

"كان "الكلب" حيوانًا نجسًا يذكر أحيانًا مع الخنزير (متى 6/7 و2 بط 22/2). وكان اليهود يلقبون به الوثنيين".

ويعلقون على عبارة: "ذوي الجب". بقولهم:

"تقصد هذه الكلمة الذين يتمسكون بالختان المادي".

فهنا بولس لم يكتف بما ذكره كاتب (أعمال الرسل) عن اجتماع أورشليم بإسقاط الختان عن الوثنيين، بل تعدى الأمر إلى احتقار الذين يتمسكون بشرائع التوراة، ويصفهم بالكلاب كما كان يصف اليهود الوثنيين.

أما النسخة المشتركة، فترجمت هذا النص كالآتي:

"احترسوا من الكلاب. احترسوا من عمال السوء. احترسوا من أولئك الذين يشوهون الجسد".

ثم علقت في الهامش على كلمة "الكلاب" بقولها:

"حيوان محتقر، وبه يشير الرسول إلى دعاة الختان"[3].

ويعترف بولس في نفس الرسالة بأن الكثيرين ممن كان يثق فيهم، ويزكيهم لأهل فيلبي، صاروا يخالفونه في عقيدته في صلب المسيح، ولذا يحث أهل فيلبي على التمثل والاقتداء به:

"3: 17 كونوا متمثلين بي معًا أيها الإخوة، ولاحظوا الذين يسيرون هكذا كما نحن عندكم قدوة.

3: 18 لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مرارًا، والآن أذكرهم أيضًا باكيًا، وهم أعداء صليب المسيح"[4].

***

{ب} ويقر بنفس هذا الارتداد عن عقيدته في رسالته الثانية لتيموثاوس:

"1: 15 أنت تعلم هذا أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني، الذين منهم فيجلس وهرموجانس"[5].

ويضيف في نفس الرسالة:

"4: 9 بادر أن تجيء إلي سريعًا،

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي: 3: 2 إلى 9 ص: 158.

2 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبي: 3: 2 ص: 613.

3 النسخة المشتركة- العهد الجديد- رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل فيلبي: 3: 2 ص: 303.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي: 3: 17 و18 ص: 158.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس: 1: 15 ص: 171.

4: 10 لأن ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي، وكريسكيس إلى غلاطية، وتيطس إلى دلماطية"[6].

***

{ج} وفي رسالته إلى تيطس يحذر من الذين من الختان (أي من المتمسكين بشرائع التوراة)، ويشمل هذا تلاميذ المسيح -عليه السلام- واليهود المتنصرين، بل ويسب الكريتيين:

"1: 10 فإنه يوجد كثيرون متمردين يتكلمون بالباطل، ويخدعون العقول، ولا سيما الذين من الختان،

1: 11 الذين يجب سد أفواههم، فإنهم يقلبون بيوتًا بجملتها، معلمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح.

1: 12 قال واحد منهم، وهو نبي لهم خاص: "الكريتيون دائمًا كذابون وحوش ردية بطون بطالة".

1: 13 هذه الشهادة صادقة. فلهذا السبب وَبِّخهم بصرامة لكي يكونوا أصحاء في الإيمان،

1: 14 لا يصغون إلى خرافات يهودية، ووصايا أناس مرتدين عن الحق.

1: 15 كل شيء طاهر للطاهرين، وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهرًا، بل قد تنجس ذهنهم أيضًا وضميرهم.

1: 16 يعترفون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه، إذ هم رجسون غير طائعين، ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون"[7].

ويعلق شراح النسخة اليسوعية على الرسالة إلى تيطس بقولهم:

"فالمعلمون الكذابون، الذين يعملون، على ما يبدو، في داخل الكنيسة، هم متأثرون خصوصًا بعقائد المسيحيين المتهودين: فإن معظمهم من اليهود (طي 10/1)"[8].

ويقصد بـ"خرافات يهودية". الخرافات القادمة من منطقة "يهودية"، وهي المنطقة الواقعة جنوب الضفة الغربية من فلسطين، وتدخل فيها منطقة أورشليم، وهي منطقة الشيوخ وتلاميذ المسيح عليه السلام، مما يدل على خلافه الشديد معهم.

***

{د} هجوم بولس على خصومه في كورنثوس

فقد جاء في رسالته الثانية لأهل كورنثوس:

11: 3 ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.

11: 4 فإنه إن كان الآتي يكرز بيسوع آخر لم نكرز به، أو كنتم تأخذون روحًا آخر لم تأخذوه، أو إنجيلًا آخر لم تقبلوه، فحسنًا كنتم تحتملون!

"11: 5 لأني أحسب أني لم أنقص شيئًا عن فائقي الرسل.

....

11: 12 ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجدوا كما نحن أيضًا في ما يفتخرون به.

11: 13 لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون، مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح.

11: 14 ولا عجب. لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور!

11: 15 فليس عظيمًا إن كان خدامه أيضًا يغيرون شكلهم كخدام للبر. الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم.

....

11: 21 على سبيل الهوان أقول: كيف أننا كنا ضعفاء! ولكن الذي يجترئ فيه أحد، أقول في غباوة: أنا أيضًا أجترئ فيه.

---

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس: 4: 9 و 10 ص: 172.

7 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى تيطس: 1: 10 إلى 16 ص: 174.

8 النسخة اليسوعية- رسائل القديس بولس الرعائية- مدخل ص: 656.

11: 22 أهم عبرانيون؟ فأنا ايضًا. أهم إسرائيليون؟ فأنا ايضًا. أهم نسل إبراهيم؟ فأنا ايضًا.

11: 23 أهم خدام المسيح؟ أقول كمختل العقل، فأنا افضل: في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجون أكثر، في الميتات مرارًا كثيرة

12: 20 لاني أخاف اذا جئت أن لا أجدكم كما أريد، وأوجَدَ منكم كما لا تريدون. أن توجد خصومات ومحاسدات وسخطات وتحزبات ومذمات ونميمات وتكبرات وتشويشات"[9].

ففي هذا النص يحذر بولس أهل كورنثوس الذين انقسموا لقسمين، قسم معه وقسم مع خصومه، وهؤلاء الخصوم يدعون أنهم خدم المسيح، وأنهم أصح منه عقيدة، وأنهم منتمون للرسل، ولذا يؤكد بولس على أنه لا يقل عن فائقي الرسل، بل أفضل في تضحياته منهم.

ويصفهم بولس بأنهم: كالحية في الخداع، وأنهم كذبة وماكرون وخدم الشيطان.

ثم الأمر الخطير أنه يبين أنهم يدعون ليسوع آخر، ولإنجيل آخر، غير الذي يدعو له، إذن لهم **عقيدة أخرى** غير عقيدته.

وتأكيدًا لذلك كتب شراح النسخة اليسوعية:

"تكشف قراءة 2 قور 10- 13 عن فئة أخرى من الخصوم يميزها انها تستوحي آراءها من اليهودية. ولا تمكننا هذا الآراء من ان نعرف معرفة اكيدة هل اعضاء هذه الفئة خدم المسيح ام مسيحيون متهودون ام أناس ظلوا يهود على وجه تام.

.....

ويبدو خصومه منتمين إلى الكنيسة: "عبرانيون، من ذرية إبراهيم، خدم المسيح...".

......

اتراهم يعدون غير كاف القرار الذي اتخذ في مجمع اورشليم (رسل 15 وغل 1) والذي جُعل فيه حد ادنى للاحكام المفروضة على الوثنيين؟ اتراهم يريدون فرض جميع احكام اليهودية على الذين من اصل آخر؟ ان الامر محتمل"[10].

إذن ما جاء في هذه الرسالة يتناقض مع رواية كاتب –أو كتبة- (أعمال الرسل) عن مجمع أورشليم، لأنه يبين أنه كانت هناك فئة تعتبر نفسها خدامًا للمسيح وتنتسب إلى الرسل، وترى أن على الوثنيين المتنصرين أن يختتنوا، كما ذكر شراح النسخة اليسوعية.

وهذا ما أظهره شراح اليسوعية في تعليقهم على عبارة: "وأرى أني لست أقل شأنًا من أولئك الرسل الأكابر". بقولهم:

"من هؤلاء الأشخاص؟ متهودون، ولا شك، مخلصون للشريعة يرفضون سلطة بولس"[11].

***

{هـ} خلاف بولس مع طائفة من أهل أفسس

وقد ذكرت من قبل الخلاف الذي حصل في أفسس بين من اتبعوا أبلس ومن اتبعوا بولس.

ويقرر هذا الخلاف بولس في رسالته الأولى لتيموثاوس:

"1: 3 كما طلبت إليك أن تمكث في أفسس، إذ كنت أنا ذاهبًا إلى مكدونية، لكي توصي قومًا أن لا يعلموا تعليمًا آخر،

1: 4 ولا يصغوا إلى خرافات وأنساب لا حد لها، تسبب مباحثات دون بنيان الله الذي في الإيمان.

1: 5 وأما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء.

---

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: 11: 3 إلى 12: 20 ص: 146 إلى 148.

10 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- الرسالة الثانية لأهل قورنتس- مدخل ص: 540.

11 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- الرسالة الثانية لأهل قورنتس: 11: 3 إلى 12: 20 ص: 560.

1: 6 الأمور التي إذ زاغ قوم عنها انحرفوا إلى كلام باطل.

1: 7 يريدون أن يكونوا معلمي الناموس، وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقررونه"[12].

وعبارة "معلمي الناموس". تدل على أن من يخاصمهم بولس هم من المتمسكين بشريعة التوراة، ومع ذلك يصفهم بأنهم أصحاب تعليم آخر، وخرافات، وكلام باطل، وهم لا يفهمون ما يقولون!

وكذلك جاء في نفس الرسالة:

"6: 3 إن كان أحد يعلم تعليمًا آخر، ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة، والتعليم الذي هو حسب التقوى،

6: 4 فقد تصلف، وهو لا يفهم شيئًا، بل هو متعلل بمباحثات ومماحكات الكلام، التي منها يحصل الحسد والخصام والافتراء والظنون الردية،

6: 5 ومنازعات أناس فاسدي الذهن وعادمي الحق، يظنون أن التقوى تجارة. تجنب مثل هؤلاء"[13].

***

{و} هجوم بولس على أهل غلاطية

شن بولس هجومًا على أهل غلاطية، لأنهم تركوا دعوته، والتزموا بشريعة التوراة والتوحيد، فجاء في رسالته لهم:

"1: 6 إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى إنجيل آخر!

1: 7 ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح.

1: 8 ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن "أناثيما"[14]!

1: 9 كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضًا: إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم، فليكن "أناثيما"

....

1: 11 وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به، أنه ليس بحسب إنسان.

1: 12 لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته. بل بإعلان يسوع المسيح.

....

3: 1 أيها الغلاطيون الأغبياء، من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق؟ أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبًا!

3: 2 اريد أن أتعلم منكم هذا فقط: أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان؟

3: 3 أهكذا أنتم أغبياء! أبعدما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد؟

3: 4 أهذا المقدار احتملتم عبثًا! إن كان عبثًا!

....

4: 9 وأما الآن إذ عرفتم الله، بل بالحري عرفتم مِن الله، فكيف ترجعون أيضًا الى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستعبدوا لها من جديد؟

4: 10 أتحفظون ايامًا وشهورًا وأوقاتا وسنين

4: 11 أخاف عليكم أن اكون قد تعبت فيكم عبثًا!

....

4: 16 أفقد صرت إذًا عدوًا لكم لأني أصدق لكم؟

4: 17 يغارون لكم ليس حسنًا، بل يريدون أن يصدوكم لكي تغاروا لهم.

4: 18 حسنة هي الغيرة في الحسنى كل حين، وليس حين حضوري عندكم فقط.

---

12 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى لتيموثاوس: 1: 3 إلى 7 ص: 168.

13 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى لتيموثاوس: 6: 3 إلى 5 ص: 170.

14 أناثيما: أي محروم ومطرود من الطائفة المؤمنة.

4: 19 يا أولادي الذين اتمخض بكم أيضًا الى أن يتصور المسيح فيكم.

4: 20 ولكني كنت ريد أن أكون حاضرًا عندكم الآن وأغير صوتي، لأني متحير فيكم!

4: 21 قولوا لي أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس ألستم تسمعون الناموس

....

5: 7 كنتم تسعون حسنًا. فَمَنْ صدكم حتى لا تطاوعوا للحق ؟

....

6: 12 جميع الذين يريدون أن يعملوا منظرًا حسنًا في الجسد، هؤلاء يلزمونكم أن تختتنوا، لئلا يضطهدوا لأجل صليب المسيح فقط.

6: 13 لأن الذين يختتنون هم لا يحفظون الناموس، بل يريدون أن تختتنوا أنتم لكي يفتخروا في جسدكم"[15].

وفي هذا النص نجد الآتي:

1- أن أهل غلاطية هجروا دعوته إلى مسيحية أخرى.

2- وهذه المسيحية تلتزم بشرائع التوراة، وبالأحرى بعقيدة التوحيد.

كتب الدكتور وليم إدي في تفسيره:

"إنجيل آخر: وصفه بآنه آخر لانه ينفي نعمة المسيح وينادي بطريق خلاص غير طريق الاتكال على استحقاق المسيح وموته ويجعل حفظ الرسوم الموسوية ضروريًا للخلاص. وسماه "إنجيلًا" لأن المعلمين الكاذبين ادعوا أنه كذلك وانه الذي بشر به الرسل"[16].

3- ولذا يسبهم بولس بأنهم أغبياء، ويسخر من تمسكهم بأيام وشهور وسنين، أي بمراعاة حرمة السبت، وشرائع التوراة.

4- ثم يقرر أنهم يعدونه عدوًا لهم، لأن هناك من صدهم عما يزعمه (الحق).

***

وقد أكد الأب متى المسكين –وهو يدافع عن بولس- أن تلاميذ المسيح، الذين عارضوا بولس كانوا يهاجمون إنجيله، كما يهاجم إنجيلهم، فقال فى كتابه (القديس بولس الرسول ص 340):

"فإنجيل بولس قالوا عنه: إنه ليس هو إنجيل المسيح بل هو إنجيل آخر. وبرهانهم على ذلك أنَّ بولس نفسه لم يَرَ المسيح ولا المسيح أرسله بواقعة تاريخية مسجَّلة. أمَّا إنجيلهم هم فهو الآنجيل الحقيقى لأنهم عرفوا المسيح وخدموا معه فهم رُسُلٌ حقيقيون".

ثم عقب قائلًا:

"ولكنهم -كيهود- اتضح لبولس الرسول أنهم يتمسكون ويكرزون بالمسيح حسب الجسد فقط، وليس المسيح حسب الروح كابن الله. من هنا ظهر فعلًا وبالتالى أنه إنجيل آخر وهو حتمًا وبالضرورة لا يحيي ولا يقيم من موت. وإنما إنجيل يتبع الناموس والحرف فهو إنجيل قاتل"[17].

ونقل الدكتور محمد منقذ السقار عن دائرة المعارف الأمريكية قولها:

"لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جدًا في التاريخ أو في حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين".

ونقل عن دائرة معارف لاوس الفرنسية:

---

15 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 1: 6 إلى 6: 13 ص: 149 إلى 152.

16 الكنز الجليل- الرسالة إلى أهل غلاطية: 1: 6 ج: 7 ص: 12.

17 مباحث هامة فى المسيحية والإسلام ص: 38.

"إن عقيدة إنسانية عيسى كانت غالبة طيلة مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين، فإن الناصريين سكان مدينة الناصرة وجميع الفرق النصرانية التي تكونت عن اليهودية اعتقدت بأن عيسى إنسان بحت مؤيد بالروح القدس، وما كان أحد يتهمهم إذ ذاك بأنهم مبتدعون وملحدون"[18].

***

18 جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى في القرن الرابع عشر الهجري- التوحيد قبل مجمع نيقية ص: 353.

المدة الثانية: من تدمير الهيكل إلى طرد اليهود من القدس عام 135م

تعتبر المدة ما بين سنة 70م (تخريب الهيكل وأورشليم) وسنة 135م (الحملة الثانية على أورشليم وتدميرها مرة أخرى بعد أن أُعيد بناؤها، وذلك في عهد الإمبراطور أدريان) مدة شبه مجهولة.

وينقل الدكتور محمد علي البار عن حبيب سعيد في كتابه (تاريخ الكنيسة: 1/ 47):

"من اليسير جمع نتف من هنا وهناك عن هذه الفترة إلا أن الأربعين سنة من 70م إلى 110م تبقى أكثر فترات التاريخ غموضًا وإبهامًا؛ لأن هذه الفترة حفلت بكثير من معالم التغيير في الكنيسة نفسها، وفيها برز كثير من الأفكار التي حملها المتنصرون الوثنيون من مصادر غير مسيحية، وخاصة حول العقائد والممارسات المسيحية مثل: الأسرار، والصوم، وأشكال العبادة، ودستور الكنيسة نفسه خضع لبعض التعديلات".

وفي هذه المدة الهامة ظهرت الأناجيل وسفر (أعمال الرسل)، كما تم تجمُّع رسائل بولس والرسائل المنسوبة إلى بطرس. ولكن نهاية الحواريين وبولس كلها غامضة. وإن كانت مصادر النصارى تشير إلى أن معظمهم قتلوا أو صلبوا.

وأخذت الكنائس خارج فلسطين تمتلئ باليونان والرومان المتنصرين، وأصبح لها طابع روماني- يوناني بعيدًا عن الدين اليهودي[1].

وعن هذه المدة وما حدث فيها من تدمير للهيكل وأثره الخطير على عقائد النصارى كتب القس أكرم لمعي:

"ولقد كان للكارثتين العظيمتين في تاريخ اليهود 70، 135م الأثر في وضع نهاية لتاريخ الدولة اليهودية، وقد وضح هذا في أمرين غاية في الأهمية:

الأمر الأول: الانفصال النهائي بين اليهودية والمسيحية، فقد بدأت كتابات المسيحيين تتجه إلى العالم اليوناني والأمم بصورة عامة منفصلة تمامًا عن اليهودية.

فيلاحظ أن إنجيل لوقا[2] ومعه إنجيل يوحنا[3] يتجهان مباشرة إلى الأمم يؤكدان مع رسائل بولس أن الأمم يحملون تراثًا أخلاقيًا، وأنه يمكن للأممي بتراثه الغني أن يصبح مسيحيًا دون المرور باليهودية كدرجة تمهيدية، فلقد حطم خراب أورشليم الكنيسة اليهودية المسيحية في أورشليم والتي كانت تصر على التصاق اليهودية بالمسيحية"[4].

وقد لخص -الجراح الفرنسي المهتدي للإسلام- الدكتور موريس بوكاي مصير الكنيسة الموحدة في هذه المرحلة الهامة من تاريخ المسيحية (من رفع المسيح -عليه السلام- إلى التدمير الثاني للهيكل عام 135م) في كتابه الهام (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)، فكتب مقالًا هامًا –وهو يبحث أصل الأناجيل- بعنوان (عودة تاريخية- اليهودية- المسيحية والقديس بولس)، وأشار فيه للدراسة الهامة، التي كتبها الكاردينال دانييلو عن اليهودية المسيحية، واقتبس منها فقرات هامة.

وأنا هنا أنقل من مقال الدكتور موريس بوكاي بعض الفقرات لأهميتها:

"يعتقد غالبية المسيحيين أن الأناجيل الأربعة كتبت من الشهود المعايشين لحياة المسيح.

....

على أن الدراسات الحديثة عن بدايات المسيحية توضح أن هذا الأسلوب لتقديم الأشياء لا يتفق مع الواقع أبداً.

......

---

1 دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية ص: 417.

2 لوقا هو من ينسب له النصارى إنجيل لوقا ورسالة أعمال الرسل، وسيأتي –إن شاء الله- أنهم لا يجزمون بذلك، ويتشككون فيه. والنصارى يعتبرون أن لوقا هو الصاحب المقرب لبولس.

3 سيأتي -إن شاء الله- أن إنجيل يوحنا هو الوحيد من بين الأناجيل الأربعة الذي صرح بتأليه سيدنا المسيح عليه السلام، وسيأتي -إن شاء الله- إقرار علماء النصارى أن كاتبه مجهول، وأنهم لا يجزمون بأنه يرحنا تلميذ سيدنا المسيح عليه السلام.

4 الاختراق الصهيوني في المسيحية ص: 56.

بل على العكس لقد شاهدنا خلال أكثر من قرن، بين الفترة التي ترك فيها المسيح هذه الأرض وحتى منتصف القرن الثاني، معركة بين اتجاهين: بين ما يمكن أن نسميه المسيحية البولسية، واليهودية- المسيحية.

ولقد أخذت الأولى بكثير من التدرج مكانة الثانية. فانتصرت البولسية على اليهودية- المسيحية.

لقد سمح عدد كبير من الأعمال يعود إلى عشرات السنين الأخيرة، ويرتكز على اكتشافات زماننا بالوصول إلى هذه المفاهيم الحديثة التي يرتبط بها اسم الكاردينال دانييلو. ان البحث الذي نشره في كانون الأول سنة 1967 في مجلة "دراسات" رؤية جديدة في أصول المسيحية التي هي "اليهودية- المسيحية" متناولاً أعمالاً سابقة وموضحاً تاريخها، ويسمح لنا بأن نضع ظهور الاناجيل في ظرف مختلف جداً عما يفهم من الأبحاث المخصصة للنشر الواسع، وسنجد فيما يلي ملخصًا للنقاط الأساسية لمقاله مع مقتطفات واسعة.

تشكل "جماعة الرسل الصغيرة" بعد المسيح "مذهباً يهودياً أميناً على الممارسات ومراسم المعبد. ولكن كان يطرح عليهم نظام خاص، كلما تتصل بهم مجموعات المرتدين من الوثنيين –ان صح هذا التعبير- فلقد أعفاهم مجمع القدس لسنة 49 من الختان، ومن ممارسات اليهود "كثير من اليهود- المسيحيين رفض هذا التنازل""[5].

وقد بينت سابقًا تهافت هذه القصة، التي وردت في سفر (أعمال الرسل) عن إسقاط الختان عن الوثنيين، ونجد هنا أن الكاردينال دانييلو -مع ذكره لها- يستدرك بأن كثير من اليهود- المسيحيين رفضوا ذلك.

ونواصل مع الدكتور موريس بوكاي وما ينقله عن الكاردينال دانييلو:

"وقد انفصلت هذه الجماعة عن بولس تمامًا. وبالإضافة أنه، بالنسبة إلى المرتدين[6]، من الوثنيين، فان بولس واليهود- المسيحيين قد تصادموا "حادث انطاكية 49" "فقد أسقط بولس الختان، والسبت، ومراسم المعبد حتى بالنسبة إلى اليهود. وقد كان على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسي الديني إلى اليهودية لتنفتح على الوثنيين".

وأما بالنسبة إلى اليهود المسيحيين، وقد بقوا "إسرائيليين أمناء" فقد كان بولس خائنًا. ولدى اليهود- المسيحيين وثائق تصفه "بالعدو" وتتهمه "بالازدواجية المداهنة" ولكن "اليهودية المسيحية"كانت تمثل حتى سنة 70 غالبية الكنيسة و"ظل بولس معزولًا". وكان رئيس الجماعة اذ ذاك يعقوب قريب المسيح وكان معه في البداية بطرس، ويوحنا. "يمكن أن يكون يعقوب معتبراً كعمود لليهودية- المسيحية التي ظلت بقصد مندمجة في اليهودية في مواجهة المسيحية البولسية"

....

وهنا يذكر الكاردينال دانييلو كتابات يهودية- مسيحية مترجما الرؤى عن مسيح هذه الطائفة التي شكلت ابتداء حول الرسل، انجيل اليهود [منقولًا عن طائفة يهودية- مسيحية مصرية] ورسامو كليمان، والمعارف الكليمنتية ورؤيا يعقوب الثانية وانجيل توما وإلى هؤلاء اليهود- المسيحيين يجب من دون ريب ربط أقدم آثار الادب المسيحي التي يذكرها بالتفصيل الكاردينال دانييلو.

"ولم تكن هيمنة اليهودية- المسيحية طيلة القرن الأول للكنيسة فقط في القدس وفلسطين، بل كانت رسالتها منتشرة في كل مكان سابقة على الرسالة البولسية. وهذا ما يفسر، لماذا شكلت رسائل بولس دوما انقطاع حضاً على نزاع" أولئك كانوا الخصوم أنفسهم الذين كانوا يرون في كل مكان من جالاتيا وكورنثيا وكولوسيكا[7] وروما وانطاكية.

والساحل السوري الفلسطيني من غزة حتى انطاكية هو يهودي- مسيحي "كما تشهد به أعمال الرسل وكتابات كليمنتين" أما في آسيا الصغرى، فقد ثبت وجود اليهود- المسيحيين في الرسائل إلى الكالات والكولسيين[8] لبولس. وقد عرفت

---

5 التوراة والإنجيل والقرآن والعلم- عودة تاريخية- اليهودية- المسيحية والقديس بولس ص: 70 و71.

6 يقصد المنتقلين إلى النصرانية.

7 غلاطية وكورنثوس وكولوسي.

8 أهل غلاطية وكولوسي.

كتابات بابياس باليهودية- المسيحية لفريجي. وأول رسالة من بولس للكورنثيين نوهت في اليونان بوجود يهود- مسيحيين في أبولوس على الخصوص. ان روما "مركز مهم" كما تفيد رسالة كليمان وراعي هرمياس. ويشكل المسيحيون في رأي سوباتون وتاسيت مذهباً يهودياً. ويذهب الكاردينال دانييلو إلى أن أول أَنْجَلَة لافرقيا كانت يهودية- مسيحية. وأن أنجيل العبرانيين وكتابات كليمان الاسكندري يرتبطان بها.

من المهم أن نعرف هذه الوقائع لندرك في أي جو من النزاع بين الطوائف كتبت الاناجيل، ولتوضيح أن النصوص التي بين أيدينا اليوم بدأت بعد كثير من تعديلات المصادر، حوالي سنة 70، في العصر الذي كانت الطائفتان المتنافستان في ألد الخصام، وان اليهود- المسيحيين، كانوا ما برحوا هم المسيطرين، ولكن في سنة 70 انقلب الوضع مع الحرب اليهودية وسقوط القدس.

والكاردينال دانييلو يوضح السقوط كما يلي:

لما كان اليهود قد ضعفوا في الإمبراطورية، فقد اتجه المسيحيون الى الانفصال عنهم، فهيمن المسيحيون اليونان، وتخلصت المسيحية اجتماعياً وسياسياً من اليهودية وأصبحت الشعب الثالث بينما ظلت اليهودية- المسيحية المهيمنة ثقافياً حتى الثورة اليهودية الأخيرة سنة 140.

ومنذ سنة 70 حتى مرحلة هي قبيل سنة 110 كما نحددها، ظهرت أناجيل مرقس ومتى- ولوقا ويوحنا. فهي لا تمثل الوثائق الثابتة الأولى للمسيحية، لان رسائل بولس سابقة جداً عليها.

.....

ولما كان بولس لم يعرف المسيح حياً، فقد برر شرعية مهمته، بالتأكيد على أن المسيح قد ظهر له بعد قيامته، وعلى طريق دمشق؛ في الوقت نفسه الذي كان يمثل فيه الوجه الأكثر مناقشة في المسيحية، وينظر اليه على أنه خائن فكرة المسيح من قبل أسرته، ومن قبل الرسل الذين بقوا في القدس حول يعقوب. لقد صنع بولس المسيحية على حساب هؤلاء الذين أحاط بهم المسيح نفسه لينشر تعاليمه.

وأنه لمن الحق التساؤل ماذا كان مصير المسيحية لولا وجود بولس؟ ويمكن في هذا المجال وضع العديد من الافتراضات. غير أنه يمكن المراهنة فيما يتعلق بالاناجيل، بأنه لو لم يكن جو الخصومة المثارة من انقسام الفكر البوليسي[9]، لما وصلت إلينا هذه الكتابات التي بين أيدينا اليوم "كتابات القتال هذه" كما وصف ذلك الاب كننفِسر. فقد برزت هذه الكثرة من الكتابات التي ظهرت عن المسيح، عندما كانت المسيحية ذات الأسلوب البولسي، بعد أن انتصرت نهائياً، قد كونت مجموعة نصوصها الرسمية "القانون" الذي أبعد كل الوثائق الأخرى التي لا تتفق مع الخط المختار من الكنيسة، وحكم بأنها معادية للارثوذكسية.

وهكذا اختفى اليهود المسيحيون كطائفة مؤثرة، وظل يسمع الحديث عنهم في ظل تسمية عامة هي "المتهودون"، ويعرض الكاردينال دانييلو نهايتهم كما يلي:

"بمجرد أن فصلوا من الكنيسة الكبرى التي تحررت تدريجياً من ارتباطاتها اليهودية، قضى عليهم في الغرب سريعاً. وتتبعت آثارهم في الشرق من القرن الثالث حتى الرابع، وبخاصة في فلسطين والجزيرة العربية وشرق الأردن وسوريا، وبلاد ما بين النهرين، واندمج بعضهم في الإسلام الذي كان وريث قسم من تعاليمهم، بينما ارتبط البعض الاخر بأرثوذكسية الكنيسة الكبرى محتفظين بترسب ثقافي سامي. ولا يزال شيء منها موجوداً في الكنيسة الاثيوبية والكلدانية""[10].

وتنقل الدكتورة زينب عبد العزيز عن الأب الجزويتي جان دانييلو (Jean Daniélou)، وأحسب أنه نفس الكاردينال دانييلو الذي نقل عنه الدكتور بوكاي، قوله في كتابه (مخطوطات البحر الميت وأصول المسيحية):

---

9 لعله يقصد: البولسي. وأنبه القارئ أني أنقل النصوص بنفس طريقة كتابتها دون تعديل أو تصويب.

10 التوراة والإنجيل والقرآن والعلم- عودة تاريخية- اليهودية- المسيحية والقديس بولس ص: 71 إلى 74.

"إن الكنيسة البدائية كانت يهودية تمامًا ولعبت دورًا أساسيًا حتى سنة 70 عند سقوط القدس وقيام الرومان بحرق المعبد وتشتيت اليهود، أنها حقائق تاريخية تعتم عليها الوثائق الرسمية ومن المهم إعادتها إلى الأذهان".

ثم تواصل الدكتورة زينب عبد العزيز:

"ونطالع في كتابه التالي المعنون "التاريخ الجديد للكنيسة 1962" "أن لوقا يقدم وجهة نظر بولس، الذي لم يكف عن التصارع مع فريق يعقوب (شقيق عيسى ورئيس كنيسة القدس) ويتهمهم بالرياء (غلاطية 2: 12-14). وباختفاء جماعة يعقوب سنة 70 محيت ذكراهم. إلا أن هذا المحو يحرّف تاريخ أصول المسيحية (...) وفي النهاية سنصل إلى عملية قلب للأوضاع، إذ أن الكنيسة البدائية ستنهار سنة 70، والوثنية- الميسحية- البولسية ستبدأ طريقها المنتصر"!

ومن الأمور المؤكدة بين العلماء حاليًا، أن آباء الكنيسة قد سمحوا بنشر حياة مختلفة أو غير حقيقية عن السيد المسيح وقد تم التعتيم على كيفية نسجها بشراسة كاسحة.. ومعروف أن الأب دانييلو قد توصل إلى حقائق أثناء أبحاثه لم يجرؤ على نشرها"[11].

***

11 المساومة الكبرى ص: 247 و248.

المرحلة الثانية: (من سنة 135م إلى 325م)، وتمتد من طرد اليهود من بيت المقدس حتى انعقاد مجمع نيقية سنة 325م.

لم يفرق الرومان حين طردوا اليهود من القدس بين اليهود والمسيحيين من أصل يهودي (اليهود المتنصرين)، بل اضطهدوا الجميع وطردوهم، ونتيجة لذلك تفرق المسيحيين في البلاد وخاصة في العالم اليوناني الغارق في العقائد الوثنية.

وبطرد اليهود المتنصرين من القدس فقدوا مكانتهم المركزية بتدمير هيكل اليهود، وتشرذموا. وفي المقابل تزايدت أعداد المتنصرين طبقًا لتعاليم بولس، ودار صراع بين التيارين، إلى أن انفجر بدعوة آريوس للاعتقاد ببشرية المسيح عليه السلام، وهي الدعوة التي حاربتها الدولة الرومانية، ونصرت عليها الكنيسة البولسية، ثم دارت بين التيارين جولات، انتهت بسيادة الكنيسة البولسية على أغلب النصارى، وهو الذي مهد لفساد الكنيسة ثم نشوء الدولة الوطنية الحديثة.

وكانت أكبر ضربة تلقتها كنيسة بولس المتأثرة بالوثنيات هي ظهور الإسلام بتوحيده الصافي، مما دفع ملايين النصارى للدخول في دين الله أفواجًا، ثم دار الصراع السياسي والعسكري بين المسلمين والصليبيين إلى اليوم.

وأنا هنا أستعرض بعض الأدلة على هذا الصراع الذي امتد من تدمير الهيكل عام 135م إلى مجمع نيقية عام 325م.

1- وضع بولس بذرة عقيدة التثليث الشركية والفداء والخطيئة الأصلية كما سيأتي إن شاء الله، ولكن لم تأخذ عقيدة التثليث شكلها البارز، الذي يؤمن به أغلب النصارى حتى اليوم -باستثناء طوائف النصارى الموحدين القليلة- إلا في مجمع نيقية، وقبل هذا المجمع كانت عقائد النصارى -المتابعين لبولس- في حالة يصفها مؤرخوهم بـ(الضبابية).

وعن هذا يذكر ج. ويلتز:

"والحال أنه كان على الدين المسيحي- لكي يكون قادراً على التغلب على الوثنية المحتضرة وسط تكاثر مرضي لأيديولوجيات غريبة، ولكي يكون في وسعه، من جهة أخرى، أن ينافس تعاليم الرواقيين، أو الأبيقوريين، الفلسفية. كان عليه أن يتمكن من حيازة عقيدة واضحة ودقيقة. لا بل كان يلزم ذلك لأجل الحفاظ على إيمان اولئك المسيحيين الأوائل الذين خيب آمالهم الانتظار العبثي للملكوت الله الذي بشر به الإنجيل على أساس أنه وشيك جداً[1]، .... وطالما كان المسيح سيظهر بلحمه ودمه، هل كان يهمهم أن يفقهوا سر طبيعته المزدوجة أو سر علاقاته بكلمة الله؟

فضلًا عن ذلك لم يكن تمحص بعد بتلك الأسرار أحبار الكنيسة الأوائل، أولئك الآباء الرسوليين المفترض أنهم كانوا تلامذة الرسل بالذات كليمان الروماني، واغناطيوس الأنطاكي، وبوليكاربيوس الإزميري، وآخرون. لم تكن قد أُرسيت بعد بنية فوقية لاهوتية على تعاليم يسوع والرسل، وهي تعاليم كانت قد بقيت ناقصةً جداً على صعيد مبادئ الإيمان، حتى في إنجيل يوحنا ورسائل القديس بولس.

كانت أصول العقيدة المسيحية، إبان المرحلة التي سبقت مجمع نيقية، لا تزال في الطور الضبابي، إذا أمكن القول. لم تكن الحقائق الإلهية قد أصبحت بعد تلك النجوم الثابتة التي سيشع بريقها في القرون اللاحقة. فلقد كان يتم تفسير النصوص المقدسة وفق مشيئة كلٍّ من أولئك الذين ينصرفون إلى ذلك، ووسط المشادات والصياح وُلدت الكريستولوجيا، أو مجمل النظريات المتعلقة بشخص المسيح وعلاقاته بالله وبالإنسان. وسجالات تلك الحقبة كانت لا تزال تنحي جانباً مسألة الثالوث، التي ستثير لاحقاً جدالات عنيفة جداً، فلن يُعلن بروزها قبل ظهور الأريوسية وإدانة مجمع نيقية الأول لها"[2].

---

1 الكاتب كاثوليكي متمسك بكاثوليكيته، وهو هنا يتحدث عما جاء في أناجيل النصارى؛ من أن سيدنا المسيح عليه السلام، سيعود للأرض قبل موت الجيل الذي رآه، وهذا لم يحدث حتى الآن، ويعلل مفسرو الأناجيل ذلك بتعليلات واهية، وهي من النبوءات التي نسبها النصارى لسيدنا المسيح عليه السلام في كتبهم المحرفة، وهي من أدلة تحريف تلك الكتب. وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله.

2 الهرطقة في المسيحية ص: 45 إلى 48.

2- وقد كان الخلاف بين التيارين بارزًا حتى منتصف القرن الثاني الميلادي، وعن هذا كتب أستاذ اللاهوت ورجل الدين المسيحي الملقب بـ(الموقر جدًا) هنري تشادويك[3]:

أن اليهود المتنصرين كانوا يؤمنون بعيسى المسيح، ولكنهم لم يتخلوا عن التقاليد الموسوية، ورأوا أن تميزهم مستمد من الكنيسة الأصلية في القدس في وقت يعقوب البار، وهو الأمر الذي أقر به بولس في رسائله، حيث وصفهم بـ(الفقراء) أو (الأبيونيين)، وهناك من سماهم بـ(الناصريين).

وأن جوستين (الشهيد) قد كتب في منتصف القرن الثاني الميلادي أن اليهود المتنصرين حافظوا على الشعائر اليهودية (الختان وأحكام الأطعمة والمحافظة على السبت وأعياد اليهود) وهي الأمور التي لم يعبأ بها المسيحيون الأمميون، وأنه لم يدرك فرقًا بين الطائفتين في الاعتقاد، ولكن تشادويك يناقض هذا؛ بتأكيده على أن هؤلاء اليهود المتنصرين كان لهم موقف شديد الانتقاد من بولس.

وهو الأمر الذي ينقله تشادويك أيضًا عن أوريجون -المتوفى عام 254م[4]- أن (الفقراء) أو اليهود المتنصرين كانوا متفقين على إنكار المكانة القانونية لبولس ولرسائله[5].

3- كذلك ينقل تشادويك عن أغناطيوس أنه في رحلته لروما مقبوضًا عليه -في بداية القرن الثاني الميلادي- التقى بعدد من التجمعات المسيحية التي تحافظ على الشعائر اليهودية

وأنه في سميرنا (Smyrna) التقى بمجموعة تنأى بنفسها عن القربان المقدس من أسقفها، وتنكر تحول القربان المقدس للحم المسيح.

وفي مجنيزيا (Magnesia) كانت هناك مجموعة تتجاهل أسقفها، وكان هناك تخوف من أنهم أيضًا يتمسكون بالشعائر اليهودية مثل تعظيم السبت.

كما ينقل تشادويك عن أوريجون أنه اشتكى في إحدى مواعظه في ليفيتكس (Leviticus) من أن هناك من يحاول أن يكرر في كنيسة اليوم ما قد تعلمه في معبد الأمس.

كما ينقل تشادويك أيضًا عن أغناطيوس أنه في فيلادلفيا (Philadelphia) واجه انشقاقًا في الكنيسة، بين فريق يرى أن العهد القديم هو الأساس الذي يجب أن يقاس عليه صدقية رسالة الإنجيل، بينما على الطرف الآخر كان هناك الأسقف، الذي كان يرى أن الإنجيل هو الذي يجب أن يكون الأساس الذي يحدد صدقية نصوص العهد القديم. وكان الفريق الأول يتساءل: ما هي سلطة أغناطيوس وأسقفهم، التي تخولهم أن ينحوا جانبًا النصوص الموحاة في العهد القديم[6].[7]

---

3 الأستاذ الملكي المتقاعد للإلهيات بجامعة كمبردج، وقيم بيت بطرس بكمبردج (1987- 93م).

4 Encyclopædia Britannica, Origen.

5 The Church in Ancient Society, p: 57 & 58.

6 The Church in Ancient Society, p: 70 to 72 & Encyclopædia Britannica, Ignatius of Antioch, Saint.

7 وتبقى هناك مشكلة خطيرة جدًا تهدد صدقية كتابات الآباء الرسوليين مثل أغناطيوس، وهي نفس المشكلة التي تواجه الكتاب الذي يقدسه النصارى، وهي مشكلة صدقية تلك الكتابات، فأقدم مخطوطة لكتابات أغناطيوس ترجع إلى القرن الحادي عشر الميلادي، أي أن بينها وبين وفاة أغناطيوس قرابة ألف سنة، بدون أي سند أو مصدر أصلي.

بل ليس هناك إجماع من علماء النصارى على نسبة كتابات أغناطيوس له، بل هناك من يشكك في ذلك، وكتاباته قد أصابها تحريف كبير، حتى أنه توجد منها ثلاث صيغ، واحدة طويلة، ومعها ستة رسائل يعتبرها علماء النصارى مزورة، وأخرى متوسطة -معها بعضًا من تلك الرسائل المزورة- يميل أكثرهم لاعتبارها الأصح، وأخرى قصيرة.

ولكن لا يوجد دليل يقيني يرجح كون الصيغة المتوسطة هي الأصح.

إذن نستنتج من هذا أنه -بلا شك- هناك من زور باسم أغناطيوس.

ويرى لودويج جي جيه بيلر: أن رسائل أغناطيوس قد أفسدت بالتدخلات الثقيلة من محرف في القرن الرابع الميلادي، وزيدت المجموعة بست رسائل مزورة.

[Encyclopædia Britannica, Ignatius of Antioch, Saint]

وأقدم نسخة كاملة للصيغة المتوسطة هي ترجمة يونانية تمت إعادة صياغتها من عدة مخطوطات، ليس منها كاملة إلا واحدة ترجع للقرن الحادي عشر الميلادي، أي بعد قرابة ألف سنة من كتابة النص الأصلي. [قناة الدعوة الإسلامية- محمد شاهين التاعب- شريط (الآباء الرسوليون الجزء الثاني) نقله عن: الآباء الرسوليون- كتابات أغناطيوس].

4- وكتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري عن ترتليانوس، المتوفى بعد عام 220م، والذي عاش في قرطاجنة بتونس، أنه كان:

"يحارب إذن في عدة جبهات في وقت واحد. إذ إنه كان يدافع عن عقيدة التجسد محاولًا أن يشرح هذه العملية للدخلاء من الوثنية، وللوثنيين أنفسهم، هؤلاء الذين كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة، وكانوا مشدودين إلى فكرة أن يسوع المسيح هو واحد من هذه الآلهة العديدة. كان يحارب أيضًا ضد اليهود الدخلاء وغير الدخلاء الذين لم يروا في يسوع المسيح إلا مجرد إنسان. كان يناضل أيضًا ضد جماعة أخرى من اليهود رأت في لاهوت المسيح تهديدًا عظيمًا لوحدة اللاهوت وهي جماعة (وحدة الله) (MONRCHIANISME). وفوق هذا كان عليه أيضًا أن يحارب الهرطقات الموجودة في داخل الكنيسة وفي خارجها مثل أتباع ماركيون وفالنتنيوس وغيرهما"[8].

ويقصد الدكتور القس حنا جرجس الخضري بـ(الدخلاء): المتحولين حديثًا للنصرانية.

ويستفاد من كلامه أن المسيحيين في القرون الثلاثة الأولى كانوا أخلاطًا من عقائد شتى، فمنهم من كان متمسكًا بوثنيته، ويرى أن المسيح هو أحد الآلهة، وهذا الأمر مهم في تتبعنا -إن شاء الله- لتأثير الوثنية في المسيحية، وكيف تدخلت الدولة الرومانية في عقائدها، كمظهر من مظاهر الفساد السياسي، الذي أفسد الدين، ونشأت عنه الدولة الوطنية الحديثة.

كذلك كان في الكنيسة موحدون يرفضون تأليه المسيح، وأنهم كانوا منتشرين في شمال إفريقيا موطن ترتليانوس.

ومما يوضح مدى الخلط الذي كان سائدًا بين المسيحيين في القرون الثلاثة الأولى؛ أن ترتليانوس هذا نفسه، الذي يعده الخضري أحد المدافعين الأوائل عن العقيدة المسيحية، قد انشق عن الكنيسة، كما أشرت لذلك آنفًا، عند الكلام على التقليد المسيحي.

5- وفي هذه المدة ظهر العديد من الآباء والمعلمون المسيحيون الذي يرفضون التثليث، ويعلنون التوحيد، ويؤكدون على بشرية سيدنا المسيح عليه السلام.

ومن هؤلاء طائفة (الموحدين أو الوحدانيين) (Monarchianism)، ومن هؤلاء ثيودتس، وأرتمون وبولس الشمشاطي، وسأذكر نبذة عنهم -إن شاء الله- عند الحديث عن الطوائف الموحدة في القرون الثلاثة الأولى.

ولكن يهمني هنا أن أذكر -من باب الاستدلال التاريخي على وجود الموحدين وخاصة المتنصرين من اليهود- نبذة عن سابليوس.

- سابليوس (...- 261م):

كان سابليوس يدعو لعقيدة ملخصها أن الله سبحانه واحد في ذاته، ولكنه تدرج في عدة مراحل فمرة كان الآب ثم الابن المتجسد بشريًا ثم الروح القدس، تعالى الله عن ذلك، والذي دفعه لهذا هو معارضة اليهود الموحدين لفكرة التثليث، واعتبارها لوثة وثنية.

وعن هذا كتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري:

"ولقد تأثر سابليوس بأفكار وتعاليم جماعة الوحدانيين (MONARCHIANISME). والمختصة بوحدة الله. ولقد بدا لهذه الجماعة أن عقيدة الثالوث في الله الواحد عقيدة صعبة وغير معقولة. وكيف يمكن أن الله الواحد الذي لا يمكن أن يقسم أو أن يجزأ، أن يكون أبا وابنا والروح القدس في نفس الوقت. إن هذه الفكرة كانت مرفوضة رفضا كليا من اليهود وصعبة الفهم على الوثنيين.

بل أغناطيوس نفسه لا يُعرف من هو، وليست هناك معلومات عن تاريخ حياته قبل القبض عليه.

[Encyclopædia Britannica, Ignatius of Antioch, Saint].

8 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ص: 526.

ولتسهيل هذه العقيدة لليهود أولا وللوثنيين ثانيا، وجد سابليوس شرحا بسيطا .... وتتلخص نظرية الكاهن سابليوس في الآتي:

....

فالله الآب ظهر في هيئة الآب أو انتحل شكل الآب من بدء الخليقة إلى التجسد وفي التجسد أخذ الأب هيئة الابن فعمل كمصالح وفاد، وبحلول الروح القدس أخذ الآب الذي هو الابن هيئة الروح القدس فعمل مقدسا ومرشدا.

فسابليوس يؤمن بوجود شخص واحد إلهي قام بأدوار ثلاثة في ثلاث حقبات من الزمن.

كان سابليوس يهدف بهذه التعاليم إلى المحافظة محافظة كاملة على وحدة الله من ناحية وعلى لاهوت المسيح من ناحية أخرى، وهي المشكلة التي كانت تعاني وتقاسي منها كنيسة العصور الأولى. فإن اليهود المتنصرين لم يقبلوا بسهولة مساواة المسيح بالله. الأمر الذي بدا لهم عقيدة وثنية مصدرها تعدد الآلهة.

....

ومع أن هذا المذهب يبدو جذابًا وبسيطا للتعليم والفهم، وقد انغوى به كثيرون في القرون الأولى، وما زال منصبا كشرك أيضا للكثيرين في العصر الحاضر، إلا أن كثيرين من آباء الكنيسة وقادتها أدركوا خطورة هذه التعاليم ودانوها.

....

إن تعاليم سابليوس لاقت نجاحا عظيما كما سبق القول، بل إن تعاليمه انتشرت بين الأساقفة أنفسهم في روما، لدرجة أن المذهب الانتحالي أصبح تقريبا مذهبا رسميا. لكن البابا كاليسوس (... 217 - 222) أصدر حرمانا ضد سابليوس وأتباعه.

ويظن البعض أن سابليوس ظل في روما بعد حرمانه واستمر في نشاطه وعمله في الكنيسة التي كان يقوم برعايتها، وأن بقاءه في روما سهل عليه الاتصال بكنائس الشرق ونشر تعاليمه فيها على أن البعض الآخر يعتقد بأن سابليوس ذهب بعد حرمانه إلى مصر حيث وجد عددا كبيرا من أتباعه هناك. ويقال إن تعاليم هذا اللاهوتي الليبي انتشرت بسرعة عظيمة في مصر وخاصة بعد موت أوريجانوس، لدرجة أن الوعظ عن المسيح وعن ابن الله أصبح نادرا جدا. على أن الأسقف المصري ديونيسيوس قام بحملة شعواء ضد هذه االتعاليم، وكذلك أيضًا اللاهوتي الروماني هيبوليتوس وعدد كبير في الشرق والغرب كتبوا ضدها. وبالرغم من ذلك فإن مذهب الانتحالية انتشر بسرعة عظيمة وفي مناطق كثيرة"[9].

إذن فقد كان هناك صراع في داخل الوسط المسيحي بين الموحدين والمثلثين، وحاول سابليوس أن يجد طريقًا وسطًا؛ بأن زعم أن ذات الله -سبحانه- واحدة، ولكنها تنتقل في ثلاثة أحوال، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

كما أن مذهبه انتشر انتشارًا عظيمًا في روما نفسها وفي الشرق وفي مصر، وصار مذهبًا شبه رسمي في مواجهة مذهب المثلثين، لدرجة أن الوعظ بمذهب المثلثين أصبح في مصر نادرًا جدًا.

وقد بينت من قبل أن هذا القول وأمثاله، لا يعد توحيدًا، بل هو شرك أيضًا، وإن لم يكن من شرك التثليث، وبينت الأدلة على ذلك من القرآن ومن دلالة العقل، وذلك في تعليقي على قول فضيلة الشيخ أحمد السقا: إن الأرثوذكس المصريين موحدون، ولكن كفروا من باب تأليههم للسيد المسيح عليه السلام، في مقدمته لكتاب الشيخ نعمان بن محمد الألوسي رحمه الله (الجواب الفسيح فيما لفقه عبد المسيح).

ومن نعم الله على خلقه أن أرسل لهم نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- بالتوحيد الصافي، وبين لهم -عليه الصلاة والسلام- أنواع الشرك، ليحمي جناب التوحيد.

ومن أنواع الشرك التي بينها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: عبادة الأشخاص تقربًا للمولى سبحانه، وتقديس البشر، والتحاكم للرؤساء والكهان والرهبان في تحليل الحرام وتحريم الحلال، وقد وقع في ذلك النصارى البولسيون، فألهوا سيدنا

---

9 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 10 ص: 593 إلى 599.

عيسى عليه السلام، ثم أشركوا بتقديسهم للكنيسة وادعاء عصمتها وإطاعتها فيما تشرع مخالفًا لما أنزل الله، ثم قدسوا الملوك وأطاعوهم، ثم قدسوا الشعب والطبقة والحزب، وهكذا ينتقلون من شرك لشرك، حتى وصلوا للنظام العالمي الحالي، الذي يطيع خمسة من الأقوياء.

6- وفي القرن الثاني الميلادي ظهرت رسالة منسوبة لبطرس (بشارة بطرس) (The Preaching of Peter)، وقد تضمنت هذه الرسالة هجومًا على تعاليم بولس بخصوص القانون الموسوي، وأرجعت ذلك للساحر سيمون ماجنس[10].

ويزعم النصارى أن الرسالة مزورة[11]، وأيًا كان الأمر: مزورة أو غير مزورة، فإنها تثبت أنه كان في القرن الثاني الميلادي، من يستنكر تعاليم بولس، ويرى أن سعيه لتغيير شرائع التوراة مستمد من الساحر سيمون ماجنس.

7- ومن الدلائل أيضًا على هذا الصراع في تلك المدة، تدخل أكليمندس الروماني (ثالث بابا لكنيسة روما كما يزعمون) لتهدئة الخلاف الناشب في كنيسة كورنثوس بإرسال رسالة لأهلها[12]، ويرى الدكتور القس حنا جرجس الخضري أنه من المحتمل؛ أنها كتبت ما بين عامي 96 و100م،

ويعلق على تلك الرسالة بقوله:

"فعلى ما يظهر أن النزاعات والانشقاقات التي بدأت في كنيسة كورنثوس في عهد الرسول بولس (1كو 3 : 1 -23) ما كانت إلا بذورا أعطت ثمارها الرديئة والكثيرة في هذه الكنيسة في أيام أكليمندس حتى أن كثيرين من أعضاء هذه الكنيسة تمردوا على رعاتها وطردوا البعض منهم. ولذلك تدخل أكليمندس محاولا أن يهدئ من شدة العاصفة التي كادت تقوض ظهر الكنسة في كورنثوس"[13].

وقد أشرت من قبل لذلك الخلاف في زمن بولس[14].[15].

---

10 The Church in Ancient Society From Galilee to Gregory the Great, p: 58.

11 دائرة المعارف الكتابية ج: 1 ص: 53.

12 Microsoft Encarta 2009, Saint Clement I.

13 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 3 ص: 421 و422.

14 (2) التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى/ (أ) المرحلة الأولى (من سنة 30م إلى 135م)/ [1] المدة الأولى: من رفع المسيح -عليه السلام- إلى تدمير الهيكل عام 70م/ [د] ظهور بولس ودوره في مشاقة الكنيسة المُوَحِدة/ {5} تهجم بولس على خصومه في العديد من الكنائس/ {د} هجوم بولس على خصومه في كورنثوس.

15 أود هنا أن أعلق تعليقًا هامًا على رسالة أكليمندس الأولى وهو:

1- أن من المشاكل في هذه الرسالة -مثل المشاكل في الأناجيل- أن رسالة أكليمندس -التي يحتفي بها النصارى باعتبارها أقدم نص خارج العهد الجديد- لا يُعرف من كاتبها، هل هو أكليمندس رفيق بولس (في 4: 3) أو هو القنصل تيطس فلافيوس من عائلة الإمبراطور أو غيرهما. [تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 3 ص: 421
Microsoft Encarta, Saint Clement I].

ويجزم الدكتور القس حنا جرجس الخضري بنسبتها لأكليمندس، وأنا أتساءل: كيف يجزم إذا كان لا يستطيع أن يجزم من هو أكليمندس؟ كيف يمكن الجزم بنسبة وثيقة لشخص مجهول؟

بينما يذكر مايكل هولمز أنها ليست من شخص واحد، ولكنها من المؤمنين في روما للمؤمنين في كورنثوس، وأن هوية كاتبها الدقيقة غير واضحة.

كما أن النص الكامل اليوناني لهذه الرسالة يقع في مخطوطة كتبت في عام 1056م، أي بعد ألف عام تقريبًا من النص الأصلي [الآباء الرسوليون ص: 38 و39].

وأقدم مخطوطة تحتوي أجزاء غير كاملة من هذه الرسالة هي المخطوطة الأسكندرية من القرن الخامس، وترجمة قبطية من القرن الرابع الميلادي. [الآباء الرسوليون ص: 43 و44].

2- أن هذه الوثيقة تخلو من أية إشارة لعقيدة االتثليث أو التجسد أو تأليه المسيح عليه السلام.

سوى نص محرف جاء كالتالي:

"فضلًا عن ذلك، كنتم كلكم متضعين بغير غطرسة، خاضعين غير مطالبين بإخضاع الآخرين، مغبوطين في العطاء أكثر من الأخذ، قانعين بما قسمه الله لكم، مسرعين إلى سماع كلامه، مفتكرين باجتهاد في قلوبكم تحفظون آلامه نصب أعينكم".

فهذا النص بهذه الصورة يوحي بأن الهاء في كلمة (آلامه) تعود على لفظ الجلالة (الله)، فإذن الله هو المسيح المتألم على الصليب.

ولكن في الهامش ورد التعليق الهام التالي:

"الله: معظم المخطوطات القديمة تقرأها: المسيح". [الآباء الرسوليون ص: 52].

8- ومن الأدلة على استمرار هذا الصراع بين الموحدين والمثلثين؛ ذلك الصراع الذي نشب بين هيبوليتس والبابا زيفيرينس المتوفي عام 217م، ومساعده -وخلفه في البابوية- جاليستس، واتهمها بالعجز في مواجهة مذهب الوحدوية، وانشق عن الكنيسة، وأعلن نفسه بابا مستقلًا، وقد أشرت لهذا الخلاف عند الكلام على آباء الكنيسة الذين تنسب لهم الكنيسة التقليد، وأن منهم من كان يلعن بعضهم بعضًا.

9- ومن الأدلة أيضًا ما كتبه الفيلسوف اليوناني المتنصر أرستيدس -الذي عاش في القرن الثاني الميلادي- من تقدير وإجلال للتوحيد في الديانة اليهودية.

ويعتبر المسيحيون أرستيدس رائد الكتابات الدفاعية عن المسيحية، وفي كتابه (دفاع عن الإيمان المسيحي) (Apology for the Christian Faith) يؤكد أرستيدس على أن التوحيد اليهودي المثالي يستحق الاحترام لإيمانه بالخالق، ولكنه يذكر أن المسيحيين هم من يملكون تصورًا صحيحًا عن الله، الذي خلق كل الأشياء عبر ابنه والروح القدس[16].

وينسب الدكتور أحمد غنيم لأرستيدس أنه كان يقرر: أن عبادة المسيحيين الأولين كانت أكثر التزامًا بالتوحيد من عبادة اليهود أنفسهم[17].

10- وقد وردت في كتابات الآباء الرسوليين[18] نصوص تدعو صراحة للتوحيد الخالص، وقد أوردت مثالًا منها من رسالة أكليمندس الروماني الأولى.

وقد قام الأستاذ محمد شاهين التاعب -جزاء الله خير الجزاء- بعرض جيد لتلك الكتابات، وخرج منها بالنتائج التالية:

النتيجة الأولى: لا يمكن الجزم بصحة أي مخطوطة من مخطوطات تلك الكتابات.

النتيجة الثانية: لم يرد في تلك الكتابات أي نص يدل على:

أ- التثليث.

ب- أو أن الله -سبحانه- قد تجسد.

النتيجة الثالثة: وردت في تلك الكتابات نصوص تدل على التوحيد الصافي، وتضاد التثليث، مثل ما ورد في رسالة راعي هرماس:

"قبل كل شيء، آمنوا أن الله واحد، خلق كل شيء وحفظه في نظام، ومن غير الموجود، صنع كل شيء موجود".

بل قد ورد نص في رسالة برنابا يفهم منه أن المسيح مخلوق، حيث ورد فيها عند الحديث عن سيدنا المسيح عليه السلام:

أي أن المسيح هو المتألم، وليس الله سبحانه.

فيستفاد من هذا أن ناسخ هذه المخطوطة، قد غير كلمة (المسيح) في المخطوطات القديمة، ووضع بدلًا منها لفظ الجلالة (الله)، ليوحي بألوهية المسيح.

3- بل في مقابل هذا التحريف تحوي الرسالة نصوصًا واضحة في أن الله سبحانه هو الواحد الخالق، وأن المسيح -عليه السلام- هو عبده مثل:

"59. ولكن إن قاوم بعض الناس، ما قلناه بواسطته لكم، فليدركوا أنهم يرتكبون في حق أنفسهم خطية ليست بالهينة فهم يوقعون أنفسهم في خطر أشد. 2. رغم ذلك فإننا من جهتنا سنكون أبرياء من هذه الخطية، فنطلب بصلاة جادة وتوسل عميق أن يحفظ مختاريه في كل العالم، بخادمه الحبيب، يسوع المسيح، الذي به دعانا من الظلمة إلى النور ومن الجهل إلى معرفة مجد اسمه". [الآباء الرسوليون ص: 128].

وكلمة خادمه (بايدوس) اليونانية (παιδσς) يمكن ترجمتها إلى عبده أو فتاه. وسأشير لذلك -إن شاء الله- عند الحديث عن التحريف في الترجمات.

ومن النصوص الصريحة أيضًا في نفي الألوهية عن سيدنا المسيح -عليه السلام- وإثبات عبوديته لله النص التالي:

"3. هبنا يا رب أن نترجى اسمك، أصل كل الخليقة، وافتح أعين قلوبنا لنعرفك، أنت الوحيد الأعلى من كل عادل، .... أنت وحدك حافظ الأرواح، وإله كل جسد. ..... خالق وحامي كل روح. أنت تكبر الأمم على الأرض، ومن بينهم جميعهم، اخترت الذين أحبوك بيسوع المسيح، فتاك الحبيب، الذي به أدبتنا وقدستنا وكرمتنا. 4. نسألك أيها السيد، أن تكون معيننا وحامينا. ..... فلتعرف كل الشعوب أنك أنت الإله الوحيد. وأن يسوع هو فتاك، وإننا شعبك، وغنم مرعاك".

راجع: موقع الدعوة الإسلامية: محمد شاهين التاعب، شريط (الآباء الرسوليون الجزء الأول).

16 Encyclopædia Britannica, Aristides.

17 إنجيل برنابا دراسة توثيقية ص: 150.

18 وهي أقدم كتابات مسيحية -خارج العهد القديم- كتبها آباء القرن الأول الميلادي.

"الذي قال عنه الآب (الله) عند تأسيس العالم "لنخلق العالم على صورتنا كشبهنا".

وورد في رسالة راعي هرماس نصوص تدل على أن الروح القدس مخلوق، مثل:

"ألا تفهم ان الحزن هو أكثر هذه الأرواح جميعها شرًا، وسيء جدًا لعبيد الله، فهو يفسد الشخص أكثر من كل الأرواح، ويسحق الروح القدس".

فالذي يسحقه الحزن مخلوق وليس إلهًا.

وهذا يضاد التثليث.

النتيجة الرابعة: وردت في تلك الكتابات -التي لا يمكن الجزم بصحتها- نصوص تفيد المغالاة في شخص سيدنا المسيح -عليه السلام- وأنه يقترب من مقام الإلوهية، وأن الله سبحانه خلق به كل المخلوقات، وأنه كابن لله قد تجسد في صورة بشر، ويرى الأستاذ محمد شاهين التاعب أن هذه العبارات تقترب من عقيدة الآريوسية، التي رأت أن المسيح -عليه السلام- مخلوق، ولكنه خلق قبل المخلوقات وبه خلق الله الكائنات، ولذا فهو يستحق التقديس، كما سيأتي إن شاء الله[19].

وسيأتي -إن شاء الله- أيضًا هل حقًا اعتقد آريوس بذلك؟ أم نسب خصومه له ذلك؟

وأرى -والله أعلم بالصواب- أن هذه العقائد -التي نسبها التقليد المسيحي للآباء الرسوليين- تقترب من عقائد مشركي العرب الذين كانوا يعبدون البشر -مع علمهم ببشريتهم- ليتقربوا بهم لله.

فإذا علمنا أن معظم هذه المخطوطات قد كتبت بعد قرابة ألف سنة من زمن هؤلاء الآباء، ووردت في مخطوطات منقطعة السند مجهولة الكاتب، فلا يجب أن نستبعد أبدًا، وجود عمليات تحريف حُشِرت بها هذه العبارات في النصوص، خاصة أن التحريف قد ثبت في تلك النصوص.

النتيجة الخامسة: أنه قد وقع تحريف كبير في تلك الكتابات.

فاجتمع فيها قدحان كبيران: عدم ثبوت صحتها، ووقوع التحريف فيها.

النتيجة السادسة: أن بعض هذه الكتابات مثل: الرسالة الأولى لأكليمندس الروماني ورسالة برنابا وإنجيل الديداكي- كانت تعد عند بعض النصارى كتبًا مقدسة، وتعد جزءًا من الكتاب المقدس لدى النصارى، ولكن تم إخراجها بعد ذلك[20].

وهذا يبين الأسلوب الغريب الذي اتبعته الكنائس في إدخال نصوص وإخراج أخرى من كتابهم المقدس دون إبداء الأسباب، وهو ما سأتناوله بشيء من التفصيل -إن شاء الله- عند بحث (قانون الكتاب المقدس).

***

19 قناة الدعوة الإسلامية- سلسلة (الآباء الرسوليون) من ثلاثة أجزاء.

20 قناة الدعوة الإسلامية- سلسلة (الآباء الرسوليون) من ثلاثة أجزاء.

- إنجيل الديداكي

وأود هنا أن أعرج بشيء من الاختصار على إحدى أهم هذه الكتابات وهو إنجيل الديداكي.

إنجيل الديداكي أو (تعليم الاثني عشر رسولًا) هو نص مسيحي قديم، اكتشف نصه الكامل في عام 1873م في مخطوطة كتبت في عام 1056م[1]، إلا أن عددًا من الكتاب النصارى كانوا قد اقتبسوا منه منذ القرنين الرابع والخامس الميلادي.

وترجح الموسوعة البريطانية أنه قد كتب في القرن الثاني الميلادي[2].

بينما ذكر الشيخ أحمد حجازي السقا أنه كتب في أواخر القرن الأول أو بداية القرن الثاني الميلادي، وأنه أقدم من إنجيل يوحنا[3].

كما عده عدد من الآباء الأوائل كتابًا قانونيًا[4]، أي سفرًا من أسفار العهد الجديد، أي عدوه نصًا موحىً به من الله، ثم أخرجته الكنيسة بعد ذلك من العهد الجديد، لأسباب -كالعادة- لم تعلنها.

وقد ذكر هنري تشادويك أنه قد وردت فيه مقاطع تتشابه لحد كبير -مع مقاطع من إنجيل لمتى- وعزا ذلك إلى أن كاتب الديداكي أو طائفته كان لهم تواصل مع مصدر مشترك نقل عنه متى[5].

وقد بين الشيخ أحمد حجازي السقا في تعليقاته على هذا الإنجيل بالتفصيل مواضع اتفاقه مع الأناجيل الأربعة وكتب العهد القديم، وكذلك مع إنجيل برنابا، الذي يرفضه النصارى، ويزعمون أنه قد كتبه مسلم.

وذكر الشيخ أحمد حجازي السقا أن النصارى إذا رفضوا هذا الإنجيل فعليهم أن يرفضوا المقاطع المشابهة في كتابهم الذي يقدسونه، فكتب في مقدمة الطبعة الثانية:

"كل آية من إنجيل الديداكي؛ ذكرتُ نظيرها من الأناجيل الأربعة المقدسة عندهم. وهذا توثيق لمعاني هذا الإنجيل. لا يقدر أحد به على التهوين من شأنه؛ لأنه إن كانت آية في الديداكي سيرفضونها بحجة أنه ليس بإنجيل؛ يلزمهم رفض نظيرها من الأناجيل الأربعة؛ لأنه لا فرق بين المعنيين"[6].

وذكر هنري تشادويك أن محرر هذا الإنجيل ابتغى أن يكتب باسم الرسل، لقناعته بأن نقاء الاعتقاد -في أيام الرسل- قد صار مهددًا في وقته[7].

ومن أهم ما يلفت نظر القارئ لإنجيل الديداكي:

أ- أن إنجيل الديداكي ليس فيه أي ذكر لعقائد النصارى البولسيين مثل تأليه المسيح وتجسد الله في المسيح والخطيئة الأصلية والصلب والفداء، ولا التثليث الذي صاغته الكنيسة البولسية في مجمع نيقية 325م، إلى آخر تلك المتاهات العقلية، التي أراد بها النصارى البولسيون أن يتوافقوا مع عقائد الرومان الوثنيين؛ بأن يزعموا: أنهم موحدون على عقيدة موسى من جهة، وفي نفس الوقت يشابهون وثنية الرومان من جهة أخرى؛ بزعمهم: أن إلههم الواحد مركب من ثلاثة أقانيم، أحدها نزل للأرض وتجسد من أجل خطايا البشر.

ب- بل زيادة على ذلك؛ قد وردت فيه عبارات تدل على عبودية المسيح عليه السلام، من أمثال قوله في الأصحاح التاسع عن الدعاء مع القربان المقدس:

---

1 قناة الدعوة الإسلامية- محمد شاهين التاعب- شريط (الآباء الرسوليون الجزء الثالث)، نقلها عن: الآباء الرسوليون.

2 Encyclopædia Britannica, Didachē.

3 إنجيل الديداكي لأحمد حجازي السقا ص: 17.

4 Encyclopædia Britannica, Didachē.

5 The Church in Ancient Society From Galilee to Gregory the Great, p: 84 & 85.

6 إنجيل الديداكي لأحمد حجازي السقا ص: 3.

7 The Church in Ancient Society From Galilee to Gregory the Great, p: 84 & 85.

"2: أولًا بخصوص الكأس: نشكرك يا أبانا لأجل كرمة داود فتاك المقدسة، التي عرفتنا إياها بواسطة يسوع فتاك، لك المجد إلى الآباد.

3-أما بخصوص كسر الخبز: نشكرك يا أبانا من أجل الحياة والمعرفة التي أظهرتها لنا بواسطة يسوع فتاك، لك المجد إلى الآباد".

وكذلك في الأصحاح العاشر:

"2- وبعد أن تمتلئوا، أشكروا هكذا:

2- نشكرك أيها الآب القدوس، من اسمك القدوس الذي أسكنته في قلوبنا. ومن أجل المعرفة والإيمان الخلود التي عرفتنا بها بواسطة يسوع فتاك، لك المجد إلى الآباد.

3- أيها السيد الكلي القدرة ..... أما نحن فمنحتنا طعاماً وشراباً روحيين، وحياة أبدية بواسطة فتاك

4- .... لك المجد إلى الآباد"[8].

فيلاحظ هنا أمران خطيران:

الأول: أن كاتب إنجيل الديداكي يصف سيدينا داود وعيسى -عليهما السلام- بوصف (فتاك)، وهو دال على العبودية، وعلى أن عيسى مثل داود مخلوق مملوك لله سبحانه.

الثاني: أنه يوجه الشكر والتمجيد لله وحده[9].

ج- كذلك ورد فيه التمسك بشريعة التوراة، والنهي المشدد عن تناول الذبائح التي ذبحت للأصنام، وهو أمر يخالف ما دعا له بولس: من التحررمن الناموس ومن إباحة ما ذبح للأوثان، كما أشرت من قبل في تعليقي على زيارة بولس الثالثة -بعد زعمه التنصر- للقدس، وسأزيد الأمر تفصيلًا إن شاء الله.

حيث جاء في إنجيل الديداكي في الإصحاح السادس:

"2- إذا استطعت أن تحمل كل نير الرب؛ تكون كاملًا، أما إذا لم تستطع؛ فافعل ما تقدر عليه.

3- أما بخصوص الطعام؛ فاحتمل ما تقدر عليه من صوم، وتجنب جدًا ما ذُبح للأوثان، لأنها عبادة آلهة مائتة"[10].

ويرى هنري تشادويك أن كاتب إنجيل الديداكي وطائفته كانوا يهودًا متنصرين مصممين على التمسك بالقانون الموسوي بأقل ما يمكن من تنازل، مع اعتقادهم بأن يسوع هو مسيح الله[11].

بينما يرى الشيخ أحمد حجازي السقا أن إنجيل الديداكي مكتوب قبل تحريف المسيحية وانفصالها عن اليهودية، بدليل أنه جاء في إنجيل الديداكي: 8: 2- 3 نقلًا عن سيدنا المسيح عليه السلام:

---

8 إنجيل الديداكي لأحمد حجازي السقا ص: 22 و23.

9 ملاحظة هامة: في ترجمة نص إنجيل الديداكي في كتاب (الآباء الرسوليين) تمت التفرقة في الوصف بين سيدنا داود الذي وصُف بكلمة (عبدك)، وبين سيدنا عيسى الذي وُصف بكلمة (فتاك)، مع أن الكلمة اليونانية واحدة، في محاولة من المترجم لإبعاد العبودية عن سيدنا عيسى عليه السلام، فمثلًا جاء في الأصحاح التاسع:

"نشكرك أيها الآب

من أجل الكرمة المقدسة التي لداود عبدك

التي أعلنتها لنا

بيسوع خادمك

لك المجد إلى الأبد"

وهذه مخالفة للأمانة في الترجمة، لأن كلمة (بايدوس) اليونانية (παιδσς) يمكن ترجمتها إلى عبد أو خادم أو فتى، فترجمها مترجم كتاب (الآباء الرسوليون) مع داود بـ(عبد) ومع يسوع بـ(خادم) في محاولة لأبعاد صفة العبودية عن سيدنا عيسى عليه السلام، ولكن (خادمك) أيضًا تقتضي العبودية.

[راجع: قناة الدعوة الإسلامية- محمد شاهين التاعب- شريط (الآباء الرسوليون الجزء الثالث) الدقيقة (13,38) وما بعدها، نقلًا عن: الآباء الرسوليون].

10 إنجيل الديداكي لأحمد حجازي السقا ص: 33.

11 The Church in Ancient Society From Galilee to Gregory the Great, p: 84 & 85.

"هكذا فصلوا: أبانا الذي في السماء

....

هكذا تصلون ثلاث مرات في اليوم".

وهو يوافق عدد مرات الصلاة اليومي عند اليهود، مثل ما جاء في دانيال: 6: 10:

"فلما علم دانيال بإمضاء الكتابة ...... فجثا على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك"[12].

د- كذلك وردت فيه عبارات تدل على (إنجيل سيدنا عيسى) عليه السلام، وتأمر باتباع ما جاء فيه من أوامر وترك ما نهى عنه من نواه، وهو يدل على أن الإنجيل الذي يتكلم عنه كاتب إنجيل الديداكي ليس مجرد (البشارة)، كما يزعم آباء الكنيسة في تأويلهم ما جاء في الإنجيل الذي ينسب لمرقس:

"16: 15 وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع و اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها"[13].

بل هو يتكلم عن إنجيل فيه شرائع من أوامر ونواه. فمثلًا جاء في إنجيل الديداكي في الأصحاح الثامن:

"2- ولا تصلوا كالمرائين، بل كما أمر الرب في إنجيله، فصلوا هكذا:

أبانا الذي في السموات"[14].

وفي الأصحاح الخامس عشر:

"1- أقيموا لكم أساقفة وشمامسة جديرين بالرب ...

2- فلا تحتقروهم ...

3- وبخوا بعضكم بعضاً، لا بغضب بل بمودة، بحسب الإنجيل، وإذا أهان أحد قريبه، فلا تكلموه أو تصغوا إليه حتى يتوب.

4- اعملوا صلواتكم وصدقاتكم وجميع أعمالكم بحسب إنجيل ربنا"[15].

هـ- كذلك وردت في إنجيل الديداكي تعاليم ينسبها للإنجيل، لا توجد في أي من الأناجيل الحالية التي بأيدي النصارى، مما يدل على أنه يتحدث عن إنجيل آخر مختلف عن تلك الأناجيل، فمن ذلك مثلًا ما جاء في الأصحاح الحادي عشر:

"3- أما بخصوص الرسل والأنبياء، فاعلموا أنه وفقاً لتعليم الإنجيل يكون الأمر هكذا:

4- كل رسول يأتي إليكم اقبلوه كرب.

5- لا يبقى عندكم سوي يوم واحد أو يوم آخر عند الضرورة، فإن مكث ثلاثة أيام، فهو نبي كاذب". إلى آخر الأصحاح.

كذلك ما جاء في الأصحاح الثاني عشر من النهي عن البقاء وسط الجماعة المسيحية بلا عمل، وأن فاعل ذلك متاجر بالمسيح، وهو يضاد ما شرعه النصارى من الرهبنة والعيش على صدقات الناس بلا عمل:

"1- كل من يأتي باسم الرب، اقبلوه، بعد اختباره؛ تعرفونه؛ ....

2- أما إذا كان الآتي عابر سبيل، فساعدوه ...، ولا يبقى عندكم إلا يومين أو ثلاثة ....

3- أما إذا أراد أن يمكث عندكم، وكان صاحب حرفة، فليعمل ويأكل.

4- وإن لم تكن له حرفة فدبروه بفطنتكم، فكيف يحيا بينكم مسيحي بدون عمل؟

---

12 إنجيل الديداكي لأحمد حجازي السقا ص: 50.

13 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 16: 15 ص: 43.

14 إنجيل الديداكي لأحمد حجازي السقا ص: 22.

15 إنجيل الديداكي لأحمد حجازي السقا ص: 25.

5- فإذا لم يُرِد أن يعمل، فهو متاجر بالمسيح؛ فاحذروه مثل هؤلاء"[16].

***

16 إنجيل الديداكي لأحمد حجازي السقا ص: 24.

كانت هذه عينة مختصرة للدلائل على الصراع الذي كان قائمًا في القرون الثلاثة الميلادية الأولى بين الموحدين وأنصار بولس، الذين وضعوا أسس التثليث والتجسد وتأليه المسيح عليه السلام، والخطيئة الأصلية والفداء، التي تطورت حتى وصلت لشلكها شبه النهائي في عقيدة مجمع نيقية 325م.

فيتبين مما سبق أن المسيحية المعاصرة بدأت مطابقة للتوحيد، لأن المسيح ولد يهوديًا، ودرس الشريعة اليهودية، ولم يثبت عنه أنه دعا لغير عقيدة التوحيد الصافي، ثم بالتدريج أخذت طوائف ممن ينتسبون للمسيح -عليه السلام- يغيرون من عقائدهم حتى صار البون شاسعًا، بين البداية والخاتمة، وكانت القرون الثلاثة الأولى هي مدة ذلك التحول، وعن هذا كتب أستاذ اللاهوت ورجل الدين المسيحي الملقب بـ(الموقر جدًا) هنري تشادويك[1]:

"كان التنوع هو سمة المسيحية في منتصف القرن الثاني، نظرًا لوجود مجموعات مختلفة تتخذ أناجيل مختلفة كمرجعيتها العليا.

وكانت هناك أسئلة تُسأل مثل: هل ألوهية المسيح قد عُلِمَتْ في الإنجيل المنسوب لمتى؟ أوليس من الأيسر -دون أن يعد ذلك قدحًا في الدين- أن نعتبر أن عيسى هو مجرد ابن لأبيه يوسف؟ وما مدى حجية رسائل بولس؟ وكيف يمكن الإجابة على قبول مرقيون الحصري لنص إنجيل لوقا الذي أزيلت منه اقتباسات تحقق نبوءة العهد القديم، نتيجة لتحريفات يهودية؟ أو اعتقاده أن بولس هو الرسول الوحيد المتحرر من اليهودية والمستحق للاعتراف به"[2].

وعن ذلك كتبت الدكتورة زينب عبد العزيز:

"لذلك يؤكد نورمان جولب أن التوازنات بين المخطوطات والعهد الجديد تسمح بعمل ملاحظة هامة هي: "أنها تشير وتدل بلا أي لبس أن كثيرًا من العادات والأعراف المتبعة الواردة في العهد الجديد كانت تتجانس مع اليهودية القديمة، وقبل نهاية القرن الأول الميلادي انتقل هذا الإيمان إلى ما وراء المهد الذي نشأ فيه في فلسطين، ليتوغل في العالم اليوناني والروماني. وفي أواخر القرن الميلادي الثاني كانت الكنيسة تتكون من وثنيين أكثر مما بها من يهود، وتحول لاهوتها بالتدريج ليعكس بصورة متزايدة رؤيا وممارسات الوسط غير اليهودي" (من كتب مخطوطات البحر الميت، صفحة 285)"[3].

وهذا الخلط الذي ساد تلك القرون أكده الدكتور القس حنا جرجس الخضري في أكثر من موضع من كتابه (تاريخ الفكر المسيحي)، فمن ذلك مثلًا قوله عن بوليكاربوس المتوفى عام 156م:

"ولا شك أن بوليكاربوس يواصل نفس المعركة التي شنها يوحنا الرسول[4] ضد الذين ينكرون لاهوت المسيح وضد الذين ينكرون ناسوته. خاصة أن هذه البدع انتشرت انتشارا كبيرا في طول البلاد وعرضها في ذلك الوقت.

....

---

1 الأستاذ الملكي المتقاعد للإلهيات بجامعة كمبردج، وقيم بيت بطرس بكمبردج (1987- 93م).

2 The Church in Ancient Society From Galilee to Gregory the Great, p: 100.

النص الأصلي هو:

"Diversity was a mark of mid-second century Christianity with different groups adopting different gospels as their supreme authority. Questions were asked such as whether the divinity of Christ was taught in the gospel according to Matthew, and whether it was not simpler and no less religious to hold Jesus to be merely the son of his father Joseph; what measure of authority attached to the letters of Paul, how one could answer Marcion's exclusive acceptance of a text of Luke's gospel from which references to fulfilled Old Testament prophecy had been removed as Judaistic interpolations, or his belief that Paul was the only apostle emancipated from Judaism and deserving recognition".

3 المساومة الكبرى ص: 249.

4 هذه الجملة نقلتها كما هي حرصًا على أمانة النقل، ولكنها غير مسلمة بالمرة، فيوحنا الرسول أصلًا لا يعلم من هو، كما سيتبين في الحديث عن شخصية من ينسب له إنجيل يوحنا. ولذا فإن عبارة "ولا شك". فيها (شك) كبير.

ففي عهد بوليكاربوس بدأت التعاليم المختلفة المتنوعة المختصة بشخص يسوع المسيح تهز الكنيسة وتهدد سلامة عقيدتها وإيمانها في المسيح"[5].

لذا أود أن أؤكد على حقيقة هامة؛ وهي أن ما تدعيه الكنائس الحالية؛ من أنه كانت هناك كنيسة واحدة (أرثوذكسية أو مستقيمة الرأي) شذت عنهاا بعض الفرق المهرطقة، خطأ تاريخي جسيم.

بل نشأت المسيحية -باعتراف الجميع- معتنقة العقيدة الموسوية، ثم تفرقت لفرق وأحزاب عديدة، نصر إحداها الإمبراطورُ الرومانيُ قسطنطين، لتصبح الكنيسة الرسمية، التي تدعي كل كنيسة من الكنائس المعاصرة أنها وريثها الشرعية، وأن الآخرين ضالون مهرطقون.

وعن ذلك كتب دينيس ناينهام[6]:

"لستُ مستعدًا للانضمام إلى الذين ينكرون الوجود التاريخي ليسوع إلا أن على الإنسان أن يكون مستعدًا للاعتراف بأن الدين الذي أصبح مسيحية الأمبراطورية الرومانية ... ربما لم يكن له إلا صلة قليلة بالواقع التاريخي لمؤسسه"[7].

مما يقدم لنا مثالًا صارخًا على تدخل الفساد السياسي في الدين لمصلحة الملك والسلطة والجبروت، وهو ما يعنيني تتبعه في هذه الصفحات.

***

ملاحظة تاريخية هامة:

إذا نظرنا إلى من يسميهم النصارى بالآباء الرسوليين، وهم الذين يذكر النصارى –على تفصيل بينهم- أنهم تلقوا العقيدة عن رسل المسيح رضي الله عنهم، فسنجدهم كلهم من أصل يوناني[8]، أو لا يعرف من هم.

وكذلك إذا نظرنا لمن بعدهم ممن يسمون بآباء الكنيسة، ومنهم من يسمون بدكاترة الكنيسة، فسنجد أنهم كلهم لم يكونوا يهودًا متنصرين، بل كانوا مسيحيين من أصول مسيحية أو وثنية على عقيدة بولس.

فمن الطبيعي أن يكون بينهم وبين شعائر اليهودية -مثل الختان وتحريم الميتة وذبائح الأوثان وحفظ السبت- نفور وعداوة متابعة لبولس في عدائه للشريعة اليهودية.

وهنا يأتي التساؤل: أين كتابات اليهود المتنصرين؟

فالمسيح –عليه السلام- كان يهوديًا، وتلاميذه كانوا يهودًا، فمن الطبيعي أن يكون أغلب الجيل الذي بعدهم -ثم الذين بعدهم وهكذا- من اليهود المتنصرين. فأين كتابات هؤلاء؟

وقد نقلت من قبل عن يوسابيوس القيصري وابن البطريق وابن تيمية رحمه الله: أن أساقفة بيت المقدس لقرابة مائة وعشرين عامًا بعد المسيح -عليه السلام- كانوا خمسة عشر أسقفًا كلهم كانوا عبرانيين مختونين، أي ملتزمين بشريعة التوراة، وأن كنيستهم كانوا من مؤمني العبرانيين، أي من اليهود المتنصرين.

فأين كتابات هؤلاء؟

لا نقرأ عن اليهود المتنصرين إلا من خلال كتابات البولسيين، وهو نفس الأمر بالنسبة للآريوسيين وغيرهم ممن خالفوا البولسيين.

مما يدل على أنه كان هناك تدمير ممنهج لكتاباتهم.

---

5 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 3 ص: 429 و430.

6 مدير كلية كيبل بجامعة أكسفورد.

7 أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح- الفصل العاشر (خاتمة) كتبه دنيس نانيهام ص: 290 و291.

8 Encyclopædia Britannica, 2015, Apostolic Father.

Microsoft Encarta 2009, Apostolic Fathers.

تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 3 ف: 2 ص: 415 و420، وف: 4 ص: 426.

وهو نفس الأمر الذي اعترف به آباء الكنيسة حول إنجيل متى العبري، كما سيأتي إن شاء الله.

كتب رجل الدين الملقب بـ(المرقر جدًا) وأستاذ اللاهوت في أكسفورد هنري تشادويك:

"بينما تعطينا رسائل بولس وأعمال الرسل شيئًا ما عن تطور الطوائف الأممية، فإننا نعلم القليل نسبيًا عن الكنيسة الأم في يهودا. فمعظم الرسل الأثنا عشر اختفوا من التاريخ. فبطرس ويوحنا ويعقوب أخو الرب فقط أزيد من أسماء"[9].

***

9 The Early Church p: 17.

والنص الأصلي هو:

"While the Pauline letters and the Acts of the Apostles tell us something of the development of the Gentile communities, we know relatively little of the mother-church in Judaea. Most of the twelve disciples disappear from history. Only Peter, John, and James the Lord's brother are more than names".

النقطة الثانية:

الخلاف في العقائد

ذكرت فيما سبق نبذة تاريخية عن الخلاف بين أتباع المسيح -عليه السلام- الموحدين وبين أتباع بولس، الذين تطورت عقائدهم حتى وصلت للعقائد الكنسية الغالبة الآن (الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية)، واقتصرت في هذه النبذة الموجزة على عرض تاريخي مختصر لذلك الخلاف حتى قبيل مجمع نيقية (325م)، لأني سأتعرض -إن شاء الله- لمجمع نيقية الأول (325م) -كأحد أظهر الأمثلة على تدخل السلطة السياسية في الدين- عند الحديث عن الطوائف الموحدة المخالفة لكنيسة بولس المثلثة.

وقد عرضت فيما سبق بعض ملامح الخلاف العقدي بين بولس ومخالفيه الموحدين، وأود هنا أن أشير له ببعض التوضيح المختصر، فأقسم تناوله -بعون الله- إلى:

1- تمهيد: المسيح -عليه السلام- كان على التوحيد.

2- بقايا التوحيد في الكتاب الذي يقدسه النصارى

3- ملخص لما اعتقده بولس مخالفًا للتوحيد

4- تسرب الوثنية للمسيحية

***

1- تمهيد: المسيح -عليه السلام- كان على التوحيد.

أ- ذكر شراح النسخة اليسوعية للكتاب المقدس لدى النصارى عن العهد القديم:

"كان العهد القديم الكتاب الوحيد بالنسبة الى يسوع والى الكنيسة في أول أمرها. وهو، بصفته كتاب التربية اليهودية، قد هذَّب إلى حد ما نفس يسوع، ويسوع بدوره تبنى قيمه وأدخلها في إنجيله"[1].

وعن هذا كتب أستاذ اللاهوت ورجل الدين المسيحي الملقب بـ(الموقر جدًا) هنري تشادويك[2]:

"لقد ورث المسيحيون (بلا جدال أول الأمر) الكتاب العبري على أنه كلمة الله لشعب الله في مرحلتهم الحالية المنسوخة في رحلتهم عبر التاريخ. وعندما نجحت مهمة بولس الأممية، لم يعد حينئذ قانون العهد القديم يعتبر كلمة الله الخاتمة لشعبه، ولذا بدأ الكتاب العبري يسمى العهد القديم"[3].

وحيث أن العهد القديم كان يدعو لتوحيد الله -رغم بعض الشوائب التي علقت به- فالمسيح -بالتالي- كان يدعو لتوحيد الله، ولم يثبت -كما سنرى- أن زعم أنه إله.

ويؤكد هذا الأمر البابا شنودة الثالث، بابا الكنيسة المصرية الأرثوذكسية السابق، في جوابه على سؤال:

"كيف نصدق لاهوت المسيح بينما هو نفسه لم يقل عن نفسه أنه إله ولا قال للناس اعبدوني؟".

فأجاب البابا شنودة:

"لو قال عن نفسه أنه إله لرجموه ولو قال للناس: اعبدوني لرجموه أيضًا وانتهت رسالته قبل أن تبدأ إن الناس لا يحتملون مثل هذا الأمر"[4].

وهذا إقرار من البابا شنودة يعقبه تبرير، ولنا إقراره وعليه تبريره.

لنا إقراره بأن سيدنا المسيح -عليه السلام- لم يقل عن نفسه أنه إله، ولم يأمر أحدًا بأن يعبده.

وعليه تبريره الغير معقول، لأنه يستلزم أمورًا خطيرة:

(1) يستلزم أن سيدنا المسيح -عليه السلام- قد كتم الحق الذي أمر بإبلاغه، والأنبياء جميعهم -عليهم السلام- أرسلهم المولى سبحانه مبلغين عنه، وهادين لصراطه المستقيم، وداعين لوحدانيته، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[5].

وبين سبحانه أن الله بعث الرسل والأنبياء -عليهم السلام- ليكونوا حجة على الخلق، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[6]، وقال عز من قائل: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[7]، فكيف تقوم بهم الحجة، وهم يكتمون الحق الذي تقوم به الحجة؟

---

1 الكتاب المقدس- النسخة اليسوعية- العهد القديم- مدخل إلى العهد القديم ص: 55.

2 الأستاذ الملكي المتقاعد للإلهيات بجامعة كمبردج، وقيم بيت بطرس بكمبردج (1987- 93م).

3 Encyclopædia Britannica, Christianity, The history of Christianity, The problem of scriptural authority.

النص الأصلي هو:

"Christians inherited (without debate at first) the Hebrew Bible as the Word of God to the people of God at a now superseded stage of their pilgrimage through history. If St. Paul's Gentile mission was valid, then the Old Testament Law was viewed as no longer God's final word to his people. Thus, the Hebrew Bible began to be called the "old" covenant".

4 عبادة مريم في المسيحية والظهورات المريمية، نقلها عن: سنوات مع أسئلة الناس- أسئلة لاهوتية وعقائدية (أ)- السؤال رقم: 18 ص: 46.

5 سورة النحل، آية: 36.

6 سورة النساء، آية: 163 إلى 165.

7 سورة الإسراء، آية: 15.

ونهاهم وحذرهم سبحانه أن يكتموا الحق الذي كلفوا به، فقال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وإذا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تكتمونه﴾[8]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَاْ مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[9].

وضمن المولى سبحانه لأنبيائه الحفظ حتى يبلغوا ما أمروا بإبلاغه، فقال عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[10]، وقال لنبييه موسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[11].

(2) ويلزم من قول البابا شنودة أن تلاميذ المسيح -عليه السلام- وتلاميذهم كانوا أشجع منه، لأنهم صبروا على العذاب، ولم يتراجعوا عن إيمانهم، بينما المسيح -عليه السلام- كتم إيمانه -على زعم شنودة- خوف القتل، وفي سفر أعمال الرسل (الأصحاح السادس والسابع) أن أول شهيد في المسيحية هو استفانوس، الذي خطب في اليهود؛ أن الله قد بعث لهم المسيح -عليه السلام- هاديًا، فقتلوه رجمًا، وذكر لهم بشرى سيدنا موسى -عليه السلام- بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث جاء في سفر أعمال الرسل قوله: "هذا هو موسى الذي قال لبني إسرائيل: نبيًا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون"[12].

وهذه بشارة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه نبي من بني إسماعيل إخوة بني إسرائيل، كما ذكر كاتب أو كتبة سفر أعمال الرسل، والله أعلم.

فهل كان استفانوس وهو تلميذ تلاميذ المسيح عليه السلام، أقدر على إبلاغ الحق، وأصبر على الأذى من سيدنا المسيح عليه السلام، المؤيد بالوحي وبالحفظ من الله في تبليغ رسالته!؟

(3) ويلزم من قول شنودة أن الله سبحانه غير قادر على حفظ أنبيائه ليبلغوا ما أرسلوا به.

(4) شنودة يزعم أن الكنيسة أظهرت ما لم يستطع المسيح -عليه السلام- إظهاره، مع أنهم يزعمونه إلهًا قادرًا خالقًا رازقًا، ومع ذلك لم يستطع ما يستطيعونه.

(5) شنودة يزعم أن على الناس أن لا يأخذوا عقائدهم من كلام سيدنا المسيح عليه السلام، بل من كلام آباء الكنيسة والمجامع، فإنهم أظهروا ما لم يظهره سيدنا المسيح.

وأكد الأب سيداروس اليسوعي في كتابه (تكوين الأناجيل دراسات في الكتاب المقدس، دار المشرق بيروت، 1990م، ص: 5 و6) أن سيدنا المسيح لم يقل عن نفسه سوى أنه بشر، ولم يقل أنه الأقنوم الثاني ولا غير ذلك من المصطلحات التي أطلقتها عليه الكنيسة، وقد نقل ذلك عنه الدكتور محمد علي البار عند قوله عن سيدنا المسيح عليه السلام:

"هو يسوع الذي عاش في الناصرة، وبدأ يعلم ويدعو، وهو في سن الثلاثين. **وتظهره الأناجيل بصورة بشرية** عادية، وهو نفسه لا يدعي **سوى أنه بشر**، **رسول** من عند الله، وله معجزات شفاء المرضى وتكثير الطعام، وإقامة بعض الأشخاص بعد موتهم. ولكنه **لا يعلم أنه المسيح** فضلًا عن أن يكون **ابن الله**، **والأقنوم الثاني** في التثليث المسيحي (الله

8 سورة آل عمران، آية: 187.

9 سورة آل عمران، آية: 81.

10 سورة المائدة، آية: 67.

11 سورة طه، آية: 45 إلى 47.

12 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 7: 37 ص: 98.

الآب، يسوع الابن، والروح القدس). وكل واحد منهم إله منذ الأزل إلى الأبد، ومع ذلك فهو إله واحد، وهو أمر **يصعب فهمه** وشرحه للآخرين **ولا سبيل إلى إدراكه بالعقل** والفكر. وطريقه الوحيد هو الإيمان والتسليم"[13].

فسيدنا المسيح -عليه السلام- لم يقل عن نفسه -حتى في كتابهم المحرف- أنه إله، ولكن الكنيسة البولسية قالت عنه: إنه إله، ولذا يجب على الناس -في منطق الكنيسة- أن يأخذوا بما تقوله هي، ولا يأخذوا بما قاله هو عن نفسه في أناجيل الكنيسة المحرفة، حتى وإن كان ما تقوله الكنيسة أمر لا يعقل، وليس أمام المسيحي إلا أن يلغي عقله ويتبع الكنيسة التي ستقود أتباعها للفساد السياسي ثم للعلمانية والإلحاد والدولة الوطنية الحديثة.

وسأزيد الأمر بعض التفصيل عند ذكر (بقايا التوحيد في الكتاب المقدس لدى النصارى) إن شاء الله.

***

ويقول دنيس ناينهام[14]:

"وحسب قول (ولهاوسن) على كل حال:

"لم يكن يسوع مسيحياً، كان يهودياً، ولم يدع لدين جديد ولكنه علَّم الناس أن يطيعوا إرادة الله، وفي نظره -وكذلك في نظر اليهود- كانت إرادة الله موجودة في القوانين وفي الكتب المقدسة الأخرى"."[15].

وكتب -المهتدي إلى الإسلام من النصرانية- أكرم حسن مرسي:

"يَسُوعُ الْمَسِيحُ مَا عَرَفَ عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ، وَلَا قَالَ بِهَا أَبَدًا؛ بَلْ قَالَ: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ دُونَ ابْنٍ أَوْ غَيْرِهِ ...

وذَلِكَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا أَصْحَاحُ 17 عَدَدُ 3 "وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأبَديةِ أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ".

نُلاحِظُ كَلِمَةَ:"وَحْدَكَ". أَيْ: لَا يُوجَدُ ابْنٌ، وَلَا رُوحٌ قُدُّوسٌ، ثُمَّ تَحَدَّثَ هو عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ رَسُولٌ .... !

فَهَذَا النَّصُّ وَحْدَهُ فَقَطْ كَافٍ لَهدْمِ هَذِهِ العَقِيدَةِ الَّتِي اُبْتُدِعَتْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وُجُودِ نُصُوصٍ كَثِيرَةٍ عَلَى لِسَانِ يَسُوعَ ذَكَرَهَا نَفْسُ أَنْبِيَاءِ الْعَهْدِ الجَدِيدِ[16] عَنِ التَّوْحِيدِ؛ مِثْلِ مَا جَاءَ فِي إِنْجِيلِ مُرْقُس أَصْحَاحِ 12 عَدَدِ 29 "أَجَابَهُ يَسُوعُ إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: إِسْرَائِيلُ إِلَهُنا الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ".

جَاءَ النَّصُّ عينُه فِي (سِفْرِ التَّثْنِيَةِ 6/ 4)"[17].

وكتب -المهتدي إلى الإسلام من النصرانية- الأستاذ محمد مجدي مرجان؛ أن الباحث القبطي عوض سمعان كتب في كتابه (الله- طرق إعلانه عن ذاته) ص: 28 ما يلي:

"إن المتفحص لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح، يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان، ولم يتصوروا على الإطلاق أنه إله، ولكن لماذا؟ لأنهم أي الرسل والحواريين كيهود كانوا يعلمون تمام العلم أن الاعتراف بأن إنسانا هو الله يعتبر تجديفًا يستحق الرجم في الحال، ولأنهم كيهود أيضا كانوا يستبعدون أن يظهر الله في هيئة إنسان، نعم كانوا ينتظرون "المسيا" لكن المسيا بالنسبة إلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم لم يكن سوى رسول ممتاز يأتيهم من عند الله، وليس هو ذات الله".

ثم يعلق الأستاذ محمد مجدي مرجان على ذلك بقوله:

"اعتراف صريح يفضح كثيراً من البهتان الذي حاول البعض إدخاله على الحقائق، يفضح كذب القائلين بأن الحواريين ألهوا عيسى أو اعتبروه فوق الناس، فهؤلاء الحواريون هم التلاميذ كتّاب الأناجيل، وليس في الأناجيل الحقيقية ما يفيد تأليها لعيسى، بل إن هذا الاعتراف يفضح أيضاً افتراءات البعض بأن بعض آيات التوراة تحدثت عن عيسى الإله وتنبأت عن ظهوره في الجسد، هذا الاعتراف يدحض هذه الترهات ويؤكد أن نصوص العهد القديم كتبها يهود موحدون

---

13 دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد المسيحية ص: 306 و307 و388.

14 مدير كلية كيبل بجامعة أكسفورد.

15 أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح- الفصل العاشر (خاتمة) كتبه دنيس ناينهام ص: 292 و293.

16 لعلها: "القديم".

17 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيا؟ ص: 100.

أتباع لموسى، لم يتصوروا قط بأن إنسانا هو الله أو أن خالق الكون سينزل إلى الأرض ويعاشر المخلوقات، فالقول بهذا تجديف وكفر يستحق الموت"[18].

وكتب الدكتور نظمي لوقا[19] في كتابه الشهير (محمد الرسالة والرسول) ص: 65 و66:

"ولم يرد على لسان المسيح في أقواله الواردة في الأناجيل إشارة إلى أنه الله أو ابن الله، بل كان يدعو نفسه على الدوام بـ(ابن الإنسان)"[20].

وكذلك كتب الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- أن المسيح عليه السلام:

"جَاءَ مُصَدِّقًا لِلتَّوْرَاةِ فِي جَمِيعِ الْعَقَائِدِ، وَإِنَّمَا نَسَخَ بَعْضَ الْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ، كَمَا نَقَلَ عَنْهُ رُوَاةُ الْأَنَاجِيلِ فِي قَوْلِهِ: "مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ، وَإِنَّمَا جِئْتُ لِأُتَمِّمَ". وَأَوَّلُ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ التَّوْرَاةِ فِي الْإِيمَانِ التَّوْحِيدُ الْمُطْلَقُ، وَالْوَصِيَّةُ الْأُولَى مِنْ وَصَايَاهَا الْعَشْرِ الَّتِي هِيَ أَسَاسُ الدِّينِ التَّوْحِيدُ، وَالنَّهْيُ الصَّرِيحُ عَنِ اتِّخَاذِ الصُّوَرِ وَالتَّمَاثِيلِ، وَنَقَلُوا عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: "وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ، وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ"[21].

كذلك نقلت الدكتورة عزية علي طه -في رسالتها القيمة للدكتوراه (منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل دراسة مقارنة)- عددًا من نقول العلماء الغربيين المتخصصين في المسيحية تبين قناعتهم بأن سيدنا المسيح -عليه السلام- كان يهوديًا موحدًا. فمن أمثلة ذلك:

- ما نقلته مترجمًا عن دافيد فليسار في كتابه (Jesus) ص: 18 إلى 25:

"إذا كنا نريد أن نفهم شيئاً عن المسيحية البدائية فعلينا أن نعرف شيئاً عن خلفياتها. أن اليهود كانوا موحدين. فقد جاء في أسفار العهد القديم قول الإله لهم: استمعوا يا بني إسرائيل، إن الرب إلهكم إله واحد.

....

ولقد جاءت الديانة المسيحية البدائية في هذا الجو المشحون بالأفكار الداعية إلى التوحيد، ولذلك حاول النصارى تقليد معظم طوائف اليهود ومن ثم المناداة بالتوحيد مثلهم. ولا شك أن معظم معتنقي المسيحية في فترتها الأولى كانوا يهوداً لذا فإنهم لم يحاولوا فصل هذه الديانة عن الديانة اليهودية"[22].

- وكذلك ما نقلته مترجمًا عن جيزا فيرميس في كتابه (Jesus The Jew) ص: 2245:

"وعيسى إنما جاء ليوضح العلاقة الحقيقية بين الإنسان وربه، إلا أن المسيحية في تطورها أخذت شكلاً مغايراً لديانته الأصلية وجعلت منه إلهاً وهو لم يكن إلا نبيًّا كأنبياء بني إسرائيل من قبله"[23].

- وكذلك ما نقلته مترجمًا عن كيلي في كتابه (Early Christian Doctrines) ص: 30 إلى 34:

"إن المسيحيين في الفترة الأولى وحتى منتصف القرن الثاني الميلادي لم يكن لهم كتاب خاص يدونون فيه أقوال السيد المسيح كدستور ثابت لهم، ولم يكن لهم قانون ينظم طقوسهم وعباداتهم هذا بالرغم من أن الإنجيل الذي جاء به عيسى كان معروفاً لديهم، وكان النصارى دائمًا يلجأون إلى كتب العهد القديم والتوراة ويتحاكمون إليها. وهذا بالطبع يرجع إلى أن المسيحية لم تكن قد أثبتت بعد وجودها وانفصلت عن اليهودية في كيان مستقل بها.. كان النصارى يحضرون طقوس العبادة مع اليهود في نفس المعابد إلى أن ظهر كليمونت Clement وتلميذه أوريجان Origin حوالي عام 200م وأعلنا أن

---

18 المسيح إنسان أم إله ص: 155 و156.

19 الدكتور نظمي لوقا قبطي نصراني أرثوذكسي مصري، كتب كتابه الشهير (محمد الرسالة والرسول)، وأثار الكتاب ضجة، لأنه أثنى على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتساءل: لماذا نؤمن بعيسى ولا نؤمن بمحمد؟ وقد حرمته الكنيسة الأرثوذكسية وطردته، وعلى حد علمي: أنه لم يعلن إسلامه، ولكني أرجو أن يكون قد مات مسلمًا، ولما توفي رفضت الكنيسة الصلاة عليه.

20 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 355.

21 تفسير المنار- سورة التوبة- آية: 29 ج: 10 ص: 336.

22 منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل ص: 135 و136.

23 منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل ص: 136.

المسيحية يجب أن تنفصل في معابدها عن اليهود، وأنه يجب أن تشيّد للمسيحيين معابد خاصة بهم، ثم بدأوا في كتابة إنجيل السيد المسيح معتمدين على الآراء الشخصية والتقاليد الشائعة بين الناس"[24].

***

ب- وليس هذا فقط، بل في أناجيل الكنائس البولسية المحرفة -كما سنرى إن شاء الله- نفى سيدنا المسيح عن نفسه تهمة أنه يدعي أنه إله، فقد جاء في إنجيل يوحنا أن سيدنا المسيح قال لليهود لما هموا برجمه:

"10: 32 أجابهم يسوع: "أعمالًا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أي عمل منها ترجمونني؟".

10: 33 أجابه اليهود قائلين: "لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا".

فأجابهم سيدنا المسيح -عليه السلام- أن هذا من المجاز، وأنهم كانوا يستعملون هذا اللفظ لتكريم قضاتهم ورؤسائهم، فقال:

"10: 34 أجابهم يسوع: "أليس مكتوبًا في ناموسكم: أنا قلت إنكم آلهة؟

10: 35 إن قال آلهة لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب،

10: 36 فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون له: إنك تجدف، لأني قلت: إني ابن الله؟"[25].

***

ج- كذلك جاء في أناجيل الكنائس البولسية؛ أن سيدنا المسيح -عليه السلام- كان يدعو أتباعه لطاعة أحبار اليهود الفريسيين.

حيث جاء في إنجيل متى:

"23: 1 حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه

23: 2 قائلًا: "على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون،

23: 3 فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون"[26].

وعقيدة الفريسيين تقوم على توحيد الله سبحانه، ويعدون القول بتجسد الإله في البشر، أو تأليه البشر، أو اتخاذ الله سبحانه للولد من أعظم الجرائم والكفر البواح.

صحيح أنها تلوثت ببعض اللوثات الوثنية، ولكنهم كانوا يصرون على وحدانية الله سبحانه.

***

---

24 منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل ص: 136 و137.

25 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 10: 34 إلى 36 ص: 82.

26 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 23: 1 إلى 3 ص: 18 و19.

2- بقايا التوحيد في الكتاب الذي يقدسه النصارى

بينت فيما سبق أن المسيح -عليه السلام- وأتباعه الأوائل الذين صاحبوه كانوا على التوحيد، إلى أن بدأ الانحراف العقدي يظهر على يد بولس.

ومن الأدلة على ذلك بقاء نصوص عديدة -في الكتاب الذي تقدسه النصارى- تدل على التوحيد وتنفي الشرك وتجسد الإله في البشر، وتأليه البشر، والصلب والفداء والخطيئة الإصلية، إلى آخر ما ابتدعت الكنائس البولسية، بقيت تلك النصوص رغم التحريف والتلاعب الهائل الذي تعرضت له أسفار ذلك الكتاب، كما سيتبين -إن شاء الله- فيما يأتي، ولكن رغم كل ذلك بقيت تلك النصوص حجة ودليلًا على التوحيد وبطلان أسس عقائد الكنائس البولسية.

وأقسم تناولها إلى:

أ- بقايا التوحيد في العهد القديم

ب- بقايا التوحيد في العهد الجديد

***

أ- بقايا التوحيد في العهد القديم:

(1) نصوص من التوراة تدعو للتوحيد وعدم الشرك:

- سفر الخروج:

- "20: 2: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية

20: 3: لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.

20: 4: لا تصنع لك تمثالًا منحوتًا، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض.

20: 5: لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك إله غيور"[1].

- سفر اللاويين:

- "19: 4: لا تلتفتوا إلى الأوثان، وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأنفسكم. أنا الرب إلهكم"[2].

- سِفْرُ التَّثْنِيَةِ:

- "6: 4: اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ.

6: 5: فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ"[3].

- سفر إشعياء:

- "45: 5: أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي"[4].

- "45: 21: أخبروا. قدموا. وليتشاوروا معًا. من أعلَمَ بهذه منذ القديم، أخبَرَ بها منذ زمان؟ أليس أنا الرب ولا إله آخر غيري؟ إله بار ومُخَلِّص. ليس سواي.

45: 22: التفتوا إلي واخلُصوا يا جميع أقاصي الأرض، لأني أنا الله وليس آخر"[5].

- "46: 5: بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلونني لنتشابه"[6].

- "46: 9: اذكروا الأوَّلياتِ منذ القديم، لأني أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلي"[7].

***

(2) نصوص تدل على أن الرب لا يموت:

- سِفْرُ التَّثْنِيَةِ:

- "32: 39: انظروا الآن! أنا أنا هو وليس إله معي. أنا أميت وأحيي. سحَقتُ، وإني أشفي، وليس من يدي مُخَلِّص.

32: 40: إني أرفع إلى السماء يدي وأقول: حَيٌّ أنا إِلَى الأَبَدِ"[8].

- سِفْرُ إِرْمِيَا:

- "10 :10: أَمَّا الرَّبُّ الإِلهُ فَحَقٌّ. هُوَ إِلهٌ حَيٌّ وَمَلِكٌ أَبَدِيٌّ. مِنْ سُخْطِهِ تَرْتَعِدُ الأَرْضُ، وَلاَ تَطِيقُ الأُمَمُ غَضَبَهُ"[9].

---

1 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر الخروج: 20: 2 إلى 5 ص: 54.

2 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر اللاويين: 19: 4 ص: 85.

3 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التثنية: 6: 4 و5 ص: 131.

4 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر إشعياء: 45: 5 ص: 474.

5 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر إشعياء: 45: 21 و22 ص: 474.

6 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر إشعياء: 46: 5 ص: 474.

7 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر إشعياء: 46: 9 ص: 475.

8 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التثنية: 32: 39 و40 ص: 151.

9 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر إرميا: 10: 10 ص: 493.

***

(3) نُصُوصٌ تُفِيدُ اسْتِحَالَةَ تَجَسُّدِ الرَّبِّ فِي إِنْسَانٍ، مِنْهَا:

- سِفْرُ العَدَدِ:

"23: 19: لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلَا ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ"[10].

- سِفْرُ التَّكْوِينِ:

"6: 3: فَقَالَ الرَّبُّ: لَا يَدِينُ رُوحِي فِي الْإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً"[11].

يقول -المهتدي إلى الإسلام من النصرانية- الأستاذ أكرم حسن مرسي:

"نُلاحِظُ: أَنَّ اللهَ لَا يَحِلُّ عَلَى إِنْسَانٍ أَبَدًا (يَتَجَسَّدُ فِي إِنْسَانٍ)"[12].

***

(4) نصوص تنفي عقيدة الخطيئة الأصلية، وأن الإنسان لا يحاسب إلا على عمله، وبالتالي فهي تبطل ما زعمه بولس من صلب المسيح من أجل فداء البشرية من الخطيئة.

- سفر التكوين:

"18: 23: أفتهلك البار مع الأثيم، عسى أن يكون خمسون بارًا في المدينة. أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارًا الذين فيه، حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر، أن تميت البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم. حاشا لك! أديان كل الأرض لا يصنع عدلًا"[13].

- سفر التثنية:

"24: 16: لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيته يقتل"[14].

- سفر أخبار الأيام الثاني:

"25: 4: لا تموت الآباء لأجل البنين، ولا البنون يموتون لأجل الآباء، بل كل واحد يموت لأجل خطيته"[15].

- سفر إرميا:

- "31: 30: بل كل واحد يموت بذنبه. كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه "[16].

- "32: 19: الذي عيناك مفتوحتان على كل طرق بني آدم لتعطي كل واحد حسب طرقه، وحسب ثمر أعماله "[17].

- سفر حزقيال:

- "18: 17: فإنه لا يموت بإثم أبيه "[18].

- "18: 20: النفس التي تخطئ هي تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون"[19].

10 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر العدد: 23: 19 ص: 114.

11 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 6: 3 ص: 4.

12 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيًا؟ ص: 33.

13 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 18: 23 ص: 11.

14 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التثنية: 24: 16 ص: 144.

15 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر أخبار الأيام الثاني: 25: 4 ص: 324.

16 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر إرميا: 31: 30 ص: 508.

17 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر إرميا: 32: 19 ص: 509.

18 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر حزقيال: 18: 17 ص: 542.

19 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر حزقيال: 19: 20 ص: 542.

ب- بقايا التوحيد في العهد الجديد:

وأقسم البحث فيه إلى:

(1) نصوص من العهد الجديد تدعو للتوحيد وعدم الشرك

(2) نصوص تنفي ألوهية سيدنا المسيح عليه السلام، وبالتالي تنفي التثليث، وتصرح بأن المسيح -عليه السلام- عبد الله، ويصدر منه ما يصدر من العبيد المخلوقين، ويتصرف مثلهم.

(3) نصوص تدل على أن الرب لا يموت، ونصوص تدل على أن يسوع (ابن الإنسان) يموت

(4) نُصُوصٌ تُفِيدُ اسْتِحَالَةَ تَجَسُّدِ الرَّبِّ فِي إِنْسَانٍ، وأن الرب سبحانه لم يره أحد قط ولا سمع صوته

(5) نصوص تفيد أن الخلاص يكون باتباع وصايا موسى والتوحيد، ولم يذكر فيها الخلاص بالإيمان بالثالوث والصلب والفداء والخطيئة الأصلية ووجوب الاعتراف بالذنوب للكنيسة التي لا خلاص إلا عن طريقها... إلخ

(6) نصوص تفيد أن سيدنا عيسى -عليه السلام- نبي مرسل من الله سبحانه

***

(1) نصوص من العهد الجديد تدعو للتوحيد وعدم الشرك

- إنجيل متى:

- "19: 16 وإذا واحد تقدم وقال له: "أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟".

19: 17 فقال له لماذا تدعوني صالحًا ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله"[1].

وأعلق على هذا النص بأمور:

(أ) يؤكد هذا النص بأسلوب النفي المتبوع بالحصر والقصر: أن المسيح -عليه السلام- ليس هو الله، لأن المسيح قصر الصلاح على الله وحده، واستنكر أن يصفه أحد بالصلاح.

(ب) والنصارى البولسيون -على اختلاف كنائسهم- يزعمون أن الله سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا- مكون من ثلاثة أقانيم من نفس الجوهر الإلهي: الآب والابن والروح القدس، فبناء على النص السابق؛ لا بد أن يقر النصارى البولسيون المثلثون: أن أقنوم الآب فقط هو الصالح، أما الأقنومان الآخران فغير صالحين، فكيف يكونان من نفس الجوهر؟

وهل يوصف الإله بأنه غير صالح، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

(ج) ويجادل الأرثوذكس (أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة) بأن الأقانيم هي ثلاثة صفات لازمة لذات الله سبحانه عما يقولون علوًا كبيرًا، فيلزمهم من النص السابق: أن صفتين من الثلاثة غير صالحتين، وأن الصلاح مقصور على صفة واحدة فقط!!!

فهل يوصف الله الكبير المتعال بهذا الوصف؟؟؟

يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

- إنجيل يوحنا:

"17: 3: وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ"[3].

فرَّق النص هنا بين الإله الحقيقي وحده، وبين المسيح، الذي أرسله الله، أي أن المعنى: يعرفوك أنت الله وحدك، دون شريك أو قسيم أو أقنوم، ويعرفوا المسيح الذي أرسله الله الواحد. إذن فالمسيح -عليه السلام- ليس هو الله الواحد، بل هو من أرسله الله الواحد.

***

1 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 19: 16 و17 ص: 16.

2 سورة آل عمران، آية: 59.

3 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 17: 3 ص: 88.

(2) نصوص تنفي ألوهية سيدنا المسيح عليه السلام، وبالتالي تنفي التثليث، وتصرح بأن المسيح -عليه السلام- عبد لله، ويصدر منه ما يصدر من العبيد المخلوقين، ويتصرف مثلهم.

(أ) وقد لخص بعضها -المهتدي إلى الإسلام من النصرانية- الأستاذ أكرم حسن مرسي، فأجاد جزاه الله خيرًا، وأنا أنقل عنه:

"أَوَّلًا: إِقْرَارُ المَسِيحِ -عليه السلام- عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ عَبْدٌ للهِ وَرَسُولُه، وَذَلِكَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْهَا:

1 - الْمَسِيحُ -عليه السلام- نَفَى عن نفسه عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ، وَإِلُوهِيَّتَهُ وبُنُوَّتَهُ للهِ على الحقيقةِ ....

وَذَلِكَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا أَصْحَاحِ 17 عَدَدِ 3 " وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الحَقِّيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ ".

2 - الْمَسِيحُ -عليه السلام- أَخَبَرَ أَنَّهُ يَسْجُدُ للهِ - سبحانه وتعالى - ..... وأَخْبَرَ عَنْ يَوْمٍ يَسْجُدُ فِيهِ أُنَاسٌ لَهُ - سبحانه وتعالى -؛ ولَمْ يَقُلْ: السَّاجِدُ للابْنِ، وَلَمْ يَطْلُبِ السُّجُودَ لِغَيْرِ اللهِ - سبحانه وتعالى - ....

وذَلِكَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا أَصْحَاحِ 4 عَدَدِ 22 " أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ. لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الحَقِّيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالحَقِّ، لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. ".

2 - الْمَسِيحُ -عليه السلام- أَخَبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ إِنْسَانٌ ولَيْسَ إِلَهًا ذا سلطان ....

وَذَلِكَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا أَصْحَاحِ 8 عَدَدِ 49 "وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ. هَذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ ".

النص وغيره يَتَنَاقَضُ مَعَ صِفَاتِ اللهِ؛ فإِنَّهُ - سبحانه وتعالى - لَيْسَ إِنْسَانًا، ولا يتمثل أبدًا في إنسانٍ .... !

وَذَلِكَ فِي سِفْرِ العَدَدِ أَصْحَاحِ 23 عَدَدِ 19 " لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلَا ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ ".

3 - الْمَسِيحُ -عليه السلام- قَالَ: "إِنَّهُ سَيَصْعَدُ إِلَى رَبِّهِ وَرَبِّهِم .... "!

وَذَلِكَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا أَصْحَاحِ 20 عَدَدِ 17 " قَالَ لَهَا يَسُوعُ: لَا تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُم: " إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ ".

وأتساءلُ: هَلِ اللهُ يَصْعَدُ إِلَى اللهِ أم أنه مُرسل من خالقه ومولاه؟!

والجَوَابُ: قاله الْقُرْآنُ حَاكِيًا عَنِ المَسِيحِ -عليه السلام- لَمَّا قَالَ: {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51)} (آل عمران).

7 [1]- الْمَسِيحُ -عليه السلام-كَانَ يَدْعُو اللهَ وحده - سبحانه وتعالى - وَلَيْسَ أحدًا غيره ...

وَذَلِكَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا أَصْحَاحِ 17 عَدَدِ 25 " أَيُّهَا الآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ، وَهَؤُلَاءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي ".

وأتساءلُ: هَلْ هُنَاكَ إِلَهٌ يُرْسِلُ إِلَهًا آخَر، ويَدْعُو الإِلَهُ إِلَهًا آخَر؟!

....

8 - الْمَسِيحُ -عليه السلام- أَوْصَاهُم بِدُعَاءِ اللهِ -سبحانه وتعالى- وَحْدَهُ ولا يدعوا أَحَدًا غَيْرَهُ ....

وَذَلِكَ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى أَصْحَاحِ 23 عَدَدِ 9 " وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ أَبًا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ".

1 هناك خطأ في الترقيم في الأصل، وقد نقلته كما هو.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ المَسِيحَ -عليه السلام- قَالَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا أَصْحَاح 10 عَدَدِ 30" أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ ".

قُلْتُ: إِنَّ إِنْجِيلَ يُوحَنَّا وَضَّحَ هَذَا النَّص بنص آخر جاء فِي الأَصْحَاحِ 17 عَدَدِ 20 "وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ. لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي ".

رابعًا: شَهَادَةُ الأَنَاجِيلِ نَفْسِهَا نَصَّتْ عَلَى أَنَّ يسوع المَسِيحَ -عليه السلام- رجلٌ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ - سبحانه وتعالى - ....

لَمْ تقلِ الأَنَاجِيلُ أبدًا: إِنَّ يسوع المَسِيحَ إِلَهٌ كَمَا سَبَقَتْ مَعَنَا النُّصُوصُ النافِيَةُ لِذَلِكَ قطعًا ...

كما أن القارئ للأناجيل لو قام بشطب كلمة (يسوع) ووضع مكانها كلمة (نبي) سيعلم يقينًا أنّه يقرأ عن سيرةِ حياةِ نبيٍّ عظيمٍ عاشَ كريمًا حليمًا ...

لَكِنَّ الْعَجِيبَ أَنّنَا نَسْمَعُ مِنْ بَعْضِهِم يَقُولُ: "إِنَّ المَسِيحَ لَاهُوتٌ (إِلَهٌ لِأَبِيهِ)، ونَاسُوتٌ (إِنْسَانٌ لِأُمِّهِ)! أَيْ: أَخَذَ الطَّابِعَ الإِلَهِي مِنْ أَبِيهِ، وأَخَذَ الطَّابِعَ والجَسَدَ الإِنْسَانِيّ مِنْ أُمِّهِ .... "!

فَإِنْ قيل: **<u>أَيْنَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَاهُوتٌ</u>**، **<u>أَيْنَ قَالَ الْمَسِيحُ أَنَا اللهُ</u>**، **<u>أَيْنَ قَالَ الْمَسِيحُ أُعْبُدُونِي</u>**؟

قُلْتُ: **<u>لَا يُوجَدُ دَلِيلٌ عَلَى إِلُوهِيَّتِهِ الْمَزْعُومَةِ</u>**، بَلْ نَسْمَعُ رُدُودًا نَاتِجَةً عَنِ اسْتِنْتَاجَاتٍ وهمية .... ولا يملكون ردًا حقًا ....

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الأَنَاجِيلَ نَصَّتْ صَرَاحَةً عَلَى أَنَّهُ ربٌّ أَيْ: إِلَهٌ يُعبد!

قُلْتُ: إِنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى جَهْلِ قَائِلِهِ، لِمَاذا؟! لأَنَّ كَلِمَةَ (رَبٍّ) أَوْ (رَبُّونِي) الَّتِي قِيلَتْ للمَسِيحِ -عليه السلام- فِي الأَنَاجِيلِ مَعْنَاهَا (يَا مُعَلِّمُ) وعدا ذلك يُعَدُّ كذبًا ....

دَلِّل عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الآتِي:

1 - إِنْجِيلُ يُوحَنَّا أَصْحَاحُ 1 عَدَدُ 38 " فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَنَظَرَهُمَا يَتْبَعَانِ، فَقَالَ لَهُمَا: «مَاذَا تَطْلُبَانِ؟» فَقَالاَ: رَبِّي، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ، أَيْنَ تَمْكُثُ؟ ".

2 - إِنْجِيلُ يُوحَنَّا أَصْحَاحُ 20 عَدَدُ 40 "قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا مَرْيَمُ» فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي!» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ".

4 - إِنْجِيلُ مَتَّى أَصْحَاحُ 23 عَدَدُ 8 " وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ، وَأَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ. 9 وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَبًا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. 10 وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ ".

لا تعليق!

خَامِسًا: صَلَاةُ يَسُوعَ المسيح للهِ تَعَالَى ...

وذلك فِي الآتِي:

1 - إِنْجِيلُ لُوقَا أَصْحَاحُ 23 عَدَدُ 34 " فَقَالَ يَسُوعُ: "يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُم، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ". وَإِذِ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا ".

2 - إِنْجِيلُ لُوقَا أَصْحَاحُ 11 عَدَدُ 1 " وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ، لَمَّا فَرَغَ، قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: يَارَبُّ، عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يُوحَنَّا أَيْضًا تَلاَمِيذَهُ». 2 فَقَالَ لَهُمْ: «مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ. 3 خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا كُلَّ يَوْمٍ، 4 وَاغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضًا نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا، وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ".

3 - إِنْجِيلُ يُوحَنَّا أَصْحَاحُ 11 عَدَدُ 41 "فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعًا، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَقَالَ: أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي"

4 - إِنْجِيلُ لُوقَا أَصْحَاحُ 11 عَدَدُ 41 " وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى ".

سَادِسًا: يَسُوعُ الْمَسِيحُ لَا يَعْلَمُ مَتَى السَّاعَةُ (يَوْمُ القِيَامَةِ)، و لَا يَعْلَمُ وَقْتَ إِنْبَاتِ شَجَرَةِ التِّينِ .... !

وذَلِكَ فِي الآتِي:

أَوَّلًا: يَسُوعُ الْمَسِيحُ الإِلَهُ - بِحَسَبِ زَعْمِهِمْ - لَا يَعْلَمُ متى تقوم السَّاعَةُ .... ! جَاءَ ذَلِكَ في الآتِي:

أ- إِنْجِيلُ مَتَّى أَصْحَاحُ 24 عَدَدُ 36 " وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ ".

ب- إِنْجِيلُ مُرْقُسَ أَصْحَاحُ 13 عَدَدُ 32 "وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الابْنُ، إِلَّا الآبُ ".

ثَانِيًا: يَسُوعُ دَمَّرَ شَجَرَةَ التِّينِ تَدْمِيرًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَوْسِمَ إنبات التِّينِ ... !

جَاءَ ذَلِكَ في الآتِي:

أ- إِنْجِيلُ مُرْقُسَ أَصْحَاحُ 11 عَدَدُ 11 " فَدَخَلَ يَسُوعُ أُورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلَ، وَلَمَّا نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذْ كَانَ الْوَقْتُ قَدْ أَمْسَى، خَرَجَ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ. 12 وَفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنْيَا جَاعَ، 13 فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ التِّينِ. 14 فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: "لَا يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ!". وَكَانَ تَلَامِيذُهُ يَسْمَعُونَ".

ب- إِنْجِيلُ مَتَّى أَصْحَاحُ 21 عَدَدُ 19 " فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ عَلَى الطَّرِيقِ، وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا فَقَطْ. فَقَالَ لَهَا: "لا يَكُنْ مِنْكِ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ!". فَيَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الْحَالِ "!

قُلْتُ: إِذَا كَانَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ إِلَهًا وَلَا يَعْلَمُ مَتَى السَّاعَةُ، وَلَا يَعْلَمُ مَوْسِمَ ظهور شجر التِّينِ التي من المفترض أنه خالقها ومثمرها .... !

أتساءلُ:

1 - هَلْ يَسْتَحِقُّ هَذَا الإنسان لَقَبَ إِلَهٍ؟!

2 - هَلْ هُنَاكَ إِلَهٌ لَا يَعْلَمُ غَيْبًا .... ؟!

3 - هَلْ يَسْتَحِقُّ هَذَا الإِلَهُ أَنْ يُعْبَدَ ... أَمْ أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ لَا يَعْلَمُ مَتَى السَّاعَةُ كأي نبيٍّ ... ؟!"[2].

(ب) ومن النصوص -أيضًا- التي تنفي ألوهية سيدنا المسيح عليه السلام، وبالتالي تنفي التثليث، وتصرح بأن المسيح -عليه السلام- عبد لله؛ ما جاء من أن سيدنا المسيح لا يمنح الثواب، بل الذي يمنحه هو الله فقط، فمن ذلك:

- إنجيل متى:

"20: 20: حينئذ تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنيها، وسجدت وطلبت منه شيئًا.

20: 21 فقال لها: "ماذا تريدين؟". قالت له: "قل أن يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك".

20: 22 فأجاب يسوع وقال: "لستما تعلمان ما تطلبان. أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها أنا، وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا؟". قالا له: "نستطيع".

20: 23 فقال لهما: "أما كأسي فتشربانها، وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان. وأما الجلوس عن يميني و عن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أُعِد لهم من أبي"[3].

- إنجيل مرقس:

---

2 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيًا؟ ص: 39 إلى 43.

3 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 20: 20 و23 ص: 17.

"10: 35: وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدي قائلين: "يا معلم نريد أن تفعل لنا كل ما طلبنا".

10: 36: فقال لهما: "ماذا تريدان أن أفعل لكما؟".

10: 37: فقالا له: "أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك".

10: 38: فقال لهما يسوع: "لستما تعلمان ما تطلبان. أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا، وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا؟".

10: 39: فقالا له: "نستطيع". فقال لهما يسوع: "أما الكأس التي أشربها أنا فتشربانها، وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان.

10: 40: وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن اعطيه إلا للذين أُعِد لهم"[4].

وهذان النصان وغيرهما مثل:

نصي إنجيلي متى (24 :36) ومرقس (13: 32) من أن سيدنا المسيح -عليه السلام- لا يعلم متى تقوم الساعة، اللذين ذكرا آنفًا، ومثل نص متى (19: 17): "ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله"، الذي مر بنا من قبل، ومثل ما جاء في أعمال الرسل: "1: 7 فقال لهم: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه"[5].

هذه النصوص تشكل مشكلة لاهوتية عويصة بين طوائف النصارى:

- فالكاثوليك والبروتستانت يتهربون من الحرج بقولهم: إن الابن أقل امتيازًا من الآب، وعن ذلك كتب شراح النسخة اليسوعية تعليقًا على نص مرقس (13: 32):

"ففي هذا الأمر وفي غيره من الأمور، **يؤكد يسوع امتيازات الله** (راجع: مر 18/10 و37 و40 ورسل 7/1)"[6].

إذن فالثالوث عندهم مكون من أقنوم (إله) كامل الصلاحيات، وأقنومين آخرين ناقصي الصلاحية، فهل يعدان إلهين؟؟؟ أرادوا أن يخرجا من مشكلة فوقعوا في أكبر منها!!!

فهذه هي عقيدة (التابعية)، التي يعدونها هرطقة.

- أما الأرثوذكس الذين يرون أن ما يقوله الكاثوليك والبروتستانت هرطقة وكفرًا، ويصرون على تساوي الأقانيم الثلاثة، فتسبب لهم هذه النصوص مشكلة كبيرة، وما أكثر مشاكلهم، وعن ذلك كتب الأب متى المسكين عن نص متى (34: 36):

"24: 36 "وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ مَلاَئِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلاَّ أَبِي وَحْدَهُ".

هنا لم يذكر ق. متى اسم الابن، إذ تأتي عند القديس مرقس "ولا الابن إلا الآب" (مر 13: 32). وهذه الآية قد دوَّخت العلماء واللاهوتيين وكل من حاول الاقتراب منها لأنها خطيرة للغاية. لأن المسيح يقطع فيها بأن هذا اليوم وتلك الساعة لا يعرفها أحد ولا الابن إلا الآب وحده، ومعروف أن الآب والابن واحد. فهنا توجد استحالة لاهوتية في أن يكون الآب يعلم والابن لا يعلم! ولكن تفسير الآية سهل للغاية ولا يحتاج إلا إلى عمق الرؤيا والتأمل. إذ إن نهاية العالم هو **نهاية الزمن** ......

هي من صميم اللاموجود الزمني واللامعروف الزمني. وبذلك امتنع على الإنسان كان من كان أن يدركها وهو المخلوق الزمني الخاضع للزمن. بالتالي هي ليست من رسالة الابن **المتجسد** ولا هي من عمله، لأن رسالته هي في الزمن وعمله ينتهي بانتهاء الزمن"[7].

فالأب متى المسكين هنا يذكر أمرين:

---

4 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 10: 35 إلى 40 ص: 36.

5 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 1: 7 ص: 93.

6 النسخة االيسوعية- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 13: 32 ص: 168.

7 الإنجيل بحسب القديس متى ص: 675.

الأول: أن هذا يناقض عقيدتهم، ويشكل (استحالة لاهوتية).

الثاني: أنه حاول أن يهرب من هذا التناقض (الاستحالة اللاهوتية) فوقع فيه، إذ أقر بأن الابن كان -في حال تجسد الإله فيه- أنقص من الآب، ولم يكن إلهًا كاملًا. إذن كان هناك إله كامل في السماء، وإله ناقص على الأرض، ولكن على أتباعهم أن يعتقدوا أنهما إله واحد[8]!!!

وهكذا تخبط الفريقان، والحمد لله الذي هدانا للإسلام، قال الحق سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[9].

(ج) كذلك من النصوص أيضًا التي تثبت عبودية المسيح عليه السلام لله سبحانه وتعالى ما جاء في الأناجيل: أن المسيح -عليه السلام- ذكر أنه لا يصنع المعجزات من نفسه بل بإذن الله.

وعن ذلك كتب -المهتدي إلى الإسلام من النصرانية- الأستاذ أكرم حسن مرسي:

"الْعَجِيبُ إِنَّ الأَنَاجِيلَ نَفْسَهَا ذَكَرَتْ أَنَّ يَسُوعَ المَسِيحَ الإِلَهَ بِحَسَبِ مُعْتَقَدِ النصارى صَنَعَ الْمُعْجِزَاتِ - بِإِذْنِ اللهِ - سبحانه وتعالى - - وَلَيْسَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ .... !

دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ أدلة جَاءَتْ فِي الآتِي:

1 - يَسُوعُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا بَلْ بِإِذْنِ اللهِ - سبحانه وتعالى - يفعل .... وَذَلِكَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا أصحاحِ 5 عَدَدِ 30 " أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لِأَنِّي لَا أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي ".

الملاحظ: أَنَّ يَسُوعَ المَسِيحَ - عليه السلام - لَا يَستطيعُ أَنْ يَفْعَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا؛ بَلْ بِإِذْنِ اللهِ يَفْعَلُ ... كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ} (الرعد 38).

وَقد صَرّحَ بذَلِكَ - عليه السلام - عنه نفسه فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ إِنْجِيلِ مَتَّى أَصْحَاح 11 عَدَدِ 27 "كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلَّا الآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلَّا الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ ".

2 - يَسُوعُ أَحيَا الْمَيْتَ (لِعَازَرَ) بِإِذْنِ اللهِ - سبحانه وتعالى - ... وَذَلِكَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا أَصْحَاحِ 11 عَدَدِ 41 " فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعًا، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَقَالَ: أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، 42 وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلكِنْ لأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي".

الملاحظ مِنَ النُّصُوصِ: أَنَّ يسوع المَسِيحَ - عليه السلام -كَانَ يَدعُو اللهَ لِيُحْيِيَهُ (لِعَازَرَ)، ويَرْفعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ لِيَشْكُرَ اللهَ عَلَى سَمَاعِهِ لِدُعَائِهِ، وَعَلَى تَأْيِيدِهِ بِالْمُعْجِزَاتِ؛ لِيَشْهَدَ الْجَمْعُ الْوَاقِفُ عَلَى أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِهِ - سبحانه وتعالى - مُرْسَلٌ .. وَبِهَذَا فَهِمَ النَّاسُ فِي زَمَانِهِ، فَلَمْ يَقُولُوا: إِنَّهُ إِلَهٌ كَمَا يَزْعُمُ معظم نصارى اليَوْمَ وَالأَمْسَ ..... !

2 - النَّاسُ المعاصرون الَّذِينَ شَاهَدُوا الْمُعْجِزَاتِ شَهِدُوا لَهُ بِالنُّبُوَّةِ لَا الأُلُوهِيَّةِ .... وَذَلِكَ فِي الآتِي:

1 - إِنْجِيلُ يُوحَنَّا أَصْحَاحُ 6 عَدَدُ 14 " فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: إِنَّ هَذَا هُوَ بِالحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ ".

2 - أَعْمَالُ الرُّسُلِ أصحاحُ 2 عَدَدُ 22 " أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هَذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ ".

3 - إِنْجِيلُ يُوحَنَّا أَصْحَاحُ 9 عَدَدُ 17 " قَالُوا أَيْضًا لِلأَعْمَى: «مَاذَا تَقُولُ أَنْتَ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟» فَقَالَ: إِنَّهُ نَبِيٌّ! ".

---

8 وقد ذكرت من قبل ما وصفه بـ(السؤال اللاهوتي الخطير) عند كلامه عن موت سيدنا المسيح -عليه السلام- على زعمه على الصليب.

9 سورة الإخلاص.

4 - النُّصُوصُ الإِنْجِيلِيَّةِ أَكَّدَتْ أنّ يسوع الْمَسِيح بعد فعل بَعْض الْمُعْجِزَاتِ كَانَ يُؤَكِّدُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ - سبحانه وتعالى -، وَلَمْ يَنْسُبْهَا إِلَى نَفْسِهِ ...... وَذَلِكَ فِي الآتِي:

1 - قَالَ يَسُوعُ: " أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخرِجُ الشياطينَ ". (مَتَّى 12/ 28).

3 - قَالَ يَسُوعُ: "كُنْتُ بِأَصْبعِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ ". (لُوقَا 11/ 20)"[10].

وكتب أيضًا:

" هَكَذَا ما فهِمَه النَّاسُ فِي زَمَانِهِ، فَلَمْ يَقُولُوا: إِنَّهُ إِلَهٌ كَمَا يَزْعُمُ نصارىَ الْيَوْمَ وَالْأَمْسِ ... جَاءَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا أَصْحَاحِ 6 عَدَدِ 14 " فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: إِنَّ هَذَا هُوَ بِالحَقِّيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ".

....

وعلى هذا فإِنَّ الثَّابِتَ أَنَّ يَسُوعَ المَسِيحَ -عليه السلام- كَانَ مُؤَيَّدًا مِنْ قِبَلِ اللهِ بِالْمُعْجِزَاتِ، وَهَذَا مُعْتَقَد المسلم أَنَّهُ - عليه السلام- لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ مُعْجِزَةً مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ بَلْ بِإِذْنِ اللهِ يَفْعَلُ كَمَا كَانَ مِنْ النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ومعظم أنبياء الله .... هذا يجعلني أوقن في قرارة نفسي أنّ دين الإسلام حقًا وصدقًا ... وأنّ دين النصرانية أقامت بدعًا"[11].

(د) كذلك من النصوص الدالة على عبودية المسيح -عليه السلام- لله؛ استجابة المولى سبحانه لدعاء المسيح عليه السلام.

وعن ذلك كتب -المهتدي إلى الإسلام من النصرانية- الأستاذ أكرم حسن مرسي:

"وَقَدِ اسْتَجَابَ اللهِ لِدُعَاءِ يَسُوعَ الْمَسِيح بِحَسَبِ الأَنَاجِيلِ ...... وَذَلِكَ فِي الآتِي:

1 - إِنْجِيلُ يُوحَنَّا أَصْحَاحُ 11 عَدَدُ 41 " فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعًا، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي ".

2 - الرِّسَالَةُ إِلَى العِبرانِيَّةِ أَصْحَاحُ 5 عَدَدُ 7 " الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ "[12].[13].

---

10 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيًا؟ ص: 134 إلى 136.

11 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيًا؟ ص: 141.

12 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيًا؟ ص: 139.

13 وقد كتب العلامة السيد محمد رشيد رضا -رحمه الله- كلامًا نفيسًا جدًا في إبطال عقيدة التثليث، وذلك في رده على ما كتبه الدكتور جورج بوست في (قاموس الكتاب المقدس)، وأنا أورده هنا لفائدة المهتمين بالبحث في مقارنة الأديان، قال -رحمه الله- عن عبارة (ابن الله) في كتب اليهود والنصارى:

"﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾ هَذَا الْقَوْلُ كَانَ يَقُولُهُ الْقُدَمَاءُ مِنْهُمْ، وَيَقْصِدُونَ بِهِ مَعْنًى مَجَازِيًّا كَالْمَحْبُوبِ وَالْمُكَرَّمِ، ثُمَّ سَرَتْ إِلَيْهِمْ فَلْسَفَةُ الْهُنُودِ فِي (كِرِشْنَا) وَغَيْرِهِمْ مِنْ قُدَمَاءِ الْوَثَنِيِّينَ، ثُمَّ اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ فِرَقُهُمُ الْمَعْرُوفَةُ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ، وَعَلَى أَنَّهُ حَقِيقَةٌ لَا مَجَازٌ، وَعَلَى أَنَّ (ابْنَ اللهِ) بِمَعْنَى (اللهِ) وَبِمَعْنَى (رُوحِ الْقُدُسِ) ; لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ عِنْدَهُمْ وَاحِدٌ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا، هَذَا تَعْلِيمُ الْكَنَائِسِ الَّذِي قَرَّبَتْهُ الْمَجَامِعُ الرَّسْمِيَّةُ، بِتَأْثِيرِ الْفَلْسَفَةِ الرُّومِيَّةِ، وَلَكِنْ بَعْدَ الْمَسِيحِ وَتَلَامِيذِهِ بِثَلَاثَةِ قُرُونٍ، وَيُخَالِفُهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَعْظَمُهُمْ شَأْنًا الْمُوَحِّدُونَ وَالْعَقْلِيُّونَ.

وَالْكَنَائِسُ الْكَاثُولِيكِيَّةُ وَالْأَرْثُوذُكْسِيَّةُ وَالْبُرُوتِسْتَانْتِيَّةُ لَا تَعْتَدُّ بِنَصْرَانِيَّتِهِمْ وَلَا بِدِينِهِمْ،

....

كُنَّا بَيَّنَّا فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمَائِدَةِ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ (5: 18) أَنَّ لَقَبَ " ابْنِ اللهِ " أُطْلِقَ فِي كُتُبِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عَلَى آدَمَ، كَمَا تَرَاهُ فِي نَسَبِ الْمَسِيحِ فِي آخِرِ الْفَصْلِ الثَّالِثِ مِنْ إِنْجِيلِ لُوقَا وَهُوَ: " ابْنُ شَيْثِ بْنِ آدَمَ بْنِ اللهِ " وَعَلَى يَعْقُوبَ كَمَا فِي الْفَصْلِ الرَّابِعِ مِنْ سِفْرِ الْخُرُوجِ (4: 22) هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ وَعَلَى أَفْرَايِمَ كَمَا فِي سِفْرِ أَرْمِيَا: (31: 9) لِأَنِّي صِرْتُ أَبًا وَأَفْرَايِمَ هُوَ بِكْرِي وَعَلَى دَاوُدَ: مِنْ (89: 26) هُوَ يَدْعُونِي أَبِي أَنْتَ إِلَهِي وَصَخْرَةُ خَلَاصِي 270 أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا أَعْلَى مِنْ كُلِّ مُلُوكِ الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ أَطْلَقَ أَيْضًا عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ وَسَمَّى اللهَ أَبًا لَهُمْ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كُتُبِ الْعَهْدَيْنِ، وَيُقَابِلُهُ إِطْلَاقُ الْمَسِيحِ لَقَبَ " أَوْلَادِ إِبْلِيسَ " عَلَى غَيْرِ الصَّالِحِينَ، وَتَسْمِيَةُ إِبْلِيسَ أَبَاهُمْ كَمَا تَرَى فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا: (8: 41) أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ، قَالُوا: إِنَّنَا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنًا لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ 42 فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: لَوْ كَانَ اللهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي - إِلَى أَنْ قَالَ - أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا، وَهُنَالِكَ شَوَاهِدُ أُخْرَى مِنِ اسْتِعْمَالِ كَلِمَةِ ابْنِ اللهِ فِي الْأَفْرَادِ كَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ، وَتَسْمِيَتِهِمْ مَوْلُودِينَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَتَسْمِيَتِهِ سُبْحَانَهُ أَبًا لَهُمْ.

وَبَيَّنَّا أَيْضًا أَنَّ هَذَا الاِسْتِعْمَالَ مَجَازِيٌّ قَطْعًا لَا يَحْتَمِلُ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، **وَلَكِنَّ النَّصَارَى قَدْ خَرَجُوا عَنْ قَوَانِينِ الْعَقْلِ وَاللُّغَاتِ بِجَعْلِ إِطْلَاقِ لَفْظِ " ابْنِ اللهِ " عَلَى الْمَسِيحِ وَحْدَهُ حَقِيقِيًّا وَعَلَى غَيْرِهِ مَجَازِيًّا**، وَوَعَدْنَا بِتَوْضِيحِ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: فَالنَّصَارَى قَدْ تَحَكَّمُوا فِي تَفْسِيرِ (ابْنِ اللهِ) وَتَفْسِيرِ (الْكَلِمَةِ) وَتَفْسِيرِ (رُوحِ الْقُدُسِ) وَتَفْسِيرِ اسْمِ الْجَلَالَةِ (اللهِ) بِمَا يُنَافِي الْعَقْلَ وَنُصُوصَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَالْعَهْدِ الْجَدِيدِ، فَجَعَلُوهَا مُتَعَارِضَةً مُتَنَاقِضَةً.

كُلُّ ذَلِكَ لِإِدْخَالِ عَقِيدَةِ قُدَمَاءِ الْوَثَنِيِّينَ مِنَ الْهُنُودِ وَالْمِصْرِيِّينَ وَالْيُونَانِ عَلَى دِينِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمَبْنِيِّ عَلَى أَسَاسِ التَّوْحِيدِ الْمُطْلَقِ.

وَلَكِنَّنَا نَأْتِي بِخُلَاصَةٍ أُخْرَى فِي الْمَوْضُوعِ نَرْجُو أَنْ تَكُونَ أَوْضَحَ وَأَظْهَرَ مِمَّا سَبَقَ، وَأَدَلَّ عَلَى نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ تَحْدِيدُ الْحَقَائِقِ فِيمَا اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، مِمَّا كَانَ مَجْهُولًا لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ، كَمَا وَعَدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي آيَاتٍ مِنْهُ كَاخْتِلَافِهِمْ فِي الْمَسِيحِ نَفْسِهِ وَفِي مَعْنَى اسْمِ اللهِ وَكَلِمَتِهِ، وَرُوحِهِ أَوْ رُوحِ الْقُدُسِ فَنَقُولُ:

قَالَ جُورْجُ بُوسْتُ فِي قَامُوسِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ: (اللهُ) اسْمُ خَالِقِ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ وَالْحَاكِمِ الْأَعْظَمِ عَلَى جَمِيعِ الْعَوَالِمِ، وَالْمُعْطِي كُلَّ الْمَوَاهِبِ الْحَسَنَةِ، وَاللهُ " رُوحٌ غَيْرُ مَحْدُودٍ، أَزَلِيٌّ غَيْرُ مُتَغَيِّرٍ فِي وُجُودِهِ وَحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَقَدَاسَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَجَوْدَتِهِ وَحَقِّهِ " وَهُوَ يَظْهَرُ لَنَا بِطُرُقٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَأَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي أَعْمَالِهِ وَتَدْبِيرِ عِنَايَتِهِ (رو 1: 20) وَلَا سِيَّمَا فِي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ حَيْثُ يَتَجَلَّى غَايَةَ التَّجَلِّي فِي شَخْصِيَّتِهِ وَأَعْمَالِ ابْنِهِ الْوَحِيدِ الْمُخَلِّصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

(ثُمَّ قَالَ) : (طَبِيعَةُ اللهِ) عِبَارَةٌ عَنْ ثَلَاثَةِ أَقَانِيمَ مُتَسَاوِيَةِ الْجَوْهَرِ (مت 28: 19 و2 كو 13: 14) اللهُ الْآبُ، وَاللهُ الِابْنُ، وَاللهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ، فَإِلَى الْآبِ يَنْتَمِي الْخَلْقُ بِوَاسِطَةِ الِابْنِ (مز 33: 6 وكو 1: 16 وعب 201) وَإِلَى الِابْنِ الْفِدَى، وَإِلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ التَّطْهِيرُ، غَيْرَ أَنَّ الثَّلَاثَةَ أَقَانِيمَ تَتَقَاسَمُ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ. أَمَّا مَسْأَلَةُ التَّثْلِيثِ فَغَيْرُ وَاضِحَةٍ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ كَمَا هِيَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، وَقَدْ أُشِيرَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ فِي تك ص1 حَيْثُ ذُكِرَ " اللهَ " " وَرُوحَ اللهِ " (قَابِلْ مز 33: 6 وَيو 1: 1 و3) وَالْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْمُشَخِّصَةُ أَمْ ص8 تُقَابِلُ الْكَلِمَةَ " (فِي يو ص 1)

وَرُبَّمَا تُشِيرُ إِلَى الْأُقْنُومِ الثَّانِي، وَتُطْلَقُ نُعُوتُ الْقَدِيرِ عَلَى كُلِّ أُقْنُومٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ عَلَى حِدَتِهِ.

(ثُمَّ قَالَ) : **(وَحِدَةُ اللهِ) ظَاهِرَةٌ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ أَكْثَرَ مِنْهَا فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ**، وَالتَّثْلِيثُ بَيِّنٌ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ خَفِيٌّ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَالدَّاعِي الْأَعْظَمُ لِهَذَا الْأَمْرِ إِنَّمَا هُوَ إِظْهَارُ لِخَطَأِ الشِّرْكِ بِاللهِ وَمَنْعِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ الَّتِي كَانَتْ كَثِيرَةَ الشُّيُوعِ فِي الْأَزْمِنَةِ الْأُولَى قَدِيمًا فَفِي تث 6: 4 يُدْعَى اللهُ " رَبًّا وَاحِدًا " وَكَانَ يُدْعَى الْإِلَهَ الْحَيَّ " تَمْيِيزًا لَهُ عَنْ آلِهَةِ الْوَثَنِيِّينَ الْكَاذِبَةِ، وَالِاعْتِقَادُ بِأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ بَيِّنٌ جِدًّا فِي دِيَانَةِ الْيَهُودِ.

(ثُمَّ قَالَ) : (ابْنُ اللهِ) - د 31: 25 ابْنُ الْآلِهَةِ - **لَقَبٌ مِنْ أَلْقَابِ الْفَادِي وَلَا يُطْلَقُ عَلَى شَخْصٍ آخَرَ سِوَاهُ** إِلَّا حَيْثُ يُسْتَفَادُ مِنَ الْقَرِينَةِ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْمُلَقَّبِ غَيْرُ ابْنِ اللهِ الْحَقِيقِيِّ، وَقَدْ تَسَمَّتِ الْمَلَائِكَةُ بَنِي اللهِ (أي 38: 7) وَأُطْلِقَ هَذَا الِاسْمُ عَلَى آدَمَ (لو 3: 38) إِذْ أَنَّهُ هُوَ الشَّخْصُ الْأَوَّلُ الْمَخْلُوقُ مِنَ الْبَارِي رَأْسًا. وَقَدْ تَسَمَّى الْمُؤْمِنُونَ أَبْنَاءَ اللهِ (رو 8: 14 و2 كو 6: 18) وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَعْضَاءٌ فِي **عَائِلَةِ اللهِ الرُّوحِيَّةِ**، وَأَمَّا إِذَا أُرِيدَ بِهَذَا اللَّقَبِ الْمَسِيحُ فَيُذْكَرُ مَعَ التَّفْخِيمِ وَالْعَظَمَةِ حَتَّى إِنَّ الْقَارِئَ يَعْرِفُ الْقَصْدَ بِكُلِّ سُهُولَةٍ.

وَهَذَا اللَّقَبُ يَدُلُّ عَلَى طَبِيعَةِ الْمَسِيحِ الْإِلَهِيَّةِ، كَمَا أَنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ " ابْنُ الْإِنْسَانِ " يَدُلُّ عَلَى طَبِيعَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ، وَالْمَسِيحُ هُوَ ابْنُ اللهِ الْأَزَلِيُّ وَالِابْنُ الْوَحِيدُ (قَابِلْ يو 1: 18 و5: 19 - 26 و9: 35: 38 ومت 11: 27 و16: 16 و21: 37 وَآيَاتٍ أُخْرَى غَيْرِ هَذِهِ فِي الرَّسَائِلِ) وَمَعَ أَنَّ الْمَسِيحَ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نَدْعُوَ اللهَ " أَبَانَا " فَهُوَ لَا يَدْعُوهُ كَذَلِكَ، إِنَّمَا يَدْعُوهُ " أَبِي " وَذَلِكَ إِيمَاءٌ لِمَا هُنَالِكَ مِنَ الْأُلْفَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالْعَلَاقَةِ الشَّدِيدَةِ الْكَائِنَةِ بَيْنَهُمَا مِمَّا تَفُوقُ عَلَاقَتُهُ كُلَّ عِلَاقَةٍ بَشَرِيَّةٍ. وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّنَا نَحْنُ أَوْلَادُهُ لَيْسَ عَلَى سَبِيلِ الْبُنُوَّةِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ رَبِّنَا، بَلْ مِنْ قَبِيلِ الْبُنُوَّةِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهَا بِوَاسِطَةِ التَّبَنِّي وَالتَّجْدِيدِ اهـ. بِحُرُوفِهِ.

أَقُولُ: إِنَّ مَا لَخَّصَهُ صَاحِبُ هَذَا الْقَامُوسِ مِنْ عَقِيدَةِ النَّصَارَى، هُوَ أَوْضَحُ مَا تُعْرَفُ بِهِ هَذِهِ الْعَقِيدَةُ بِالِاخْتِصَارِ الْمُتَوَخَّى فِي هَذَا الْقَامُوسِ، عَلَى غُمُوضِهِ وَضَعْفِهِ فِي نَفْسِهِ، وَمَا يَذْكُرُونَهُ فِي عَامَّةِ كُتُبِهِمْ قَلَّمَا يُفْهَمُ الْمُرَادُ مِنْهُ لِمَا فِي عِبَارَاتِهَا مِنَ التَّعْقِيدِ اللَّفْظِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ فِي مَوْضُوعٍ غَيْرِ مَعْقُولٍ فِي نَفْسِهِ. وَفِيمَا ذَكَرَهُ مُؤَاخَذَاتٌ كَثِيرَةٌ نَذْكُرُ أَهَمَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَوْضُوعِنَا هُنَا مِنْهَا، وَلِذَلِكَ نَغُضُّ الطَّرْفَ عَمَّا قَالَهُ فِي بَيَانِ الْمُرَادِ مِنِ اسْمِ الْجَلَالَةِ ; لِأَنَّنَا نَقَلْنَاهُ تَمْهِيدًا لِمَا بَعْدَهُ فَنَقُولُ:

(1) مَا ذَكَرَهُ فِيمَا سَمَّاهُ " طَبِيعَةَ اللهِ " لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُ الِاسْمِ الْكَرِيمِ، وَلَا شَيْءَ مِنْ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَلَا مِمَّا جَاءَ عَنْ مُتَقَدِّمِيهِمْ فِي سِفْرِ التَّكْوِينِ. فَثَبَتَ بِهَذَا أَنَّ هَذِهِ الطَّبِيعَةَ الْمُدَّعَاةَ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ أَنْبِيَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ قَبْلَ النَّصْرَانِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ، وَهِيَ أَصْلُ الدِّينِ فِيهَا، وَنَتِيجَةُ هَذَا أَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ مُبْتَدَعَةٌ بَعْدَهُمْ وَهُمْ بُرَآءُ مِنْهَا.

(2) إِنَّ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنْ نَصِّ الْإِنْجِيلِ فِيهَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا، وَهُوَ مَا فِي إِنْجِيلِ مَتَّى مِنْ قَوْلِهِ فِي آخِرِهِ رِوَايَةً عَنِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (28: 19) " وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالِابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ " فَهَذَا اللَّفْظُ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ الثَّلَاثَةَ عِبَارَةٌ عَنْ ثَلَاثَةِ أَقَانِيمَ مُتَسَاوِيَةِ الْجَوْهَرِ، وَأَنَّ كُلًّا مِنْهَا عَيْنُ الْآخَرِ، وَأَنَّهُ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ (اللهِ) الْخَالِقِ لِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَهُ فِي مَعْنَى اسْمِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا عَلَى أَنَّهَا تَتَقَاسَمُ الْأَعْمَالَ الْإِلَهِيَّةَ عَلَى السَّوَاءِ كَمَا ادَّعَاهُ فِيمَا سَمَّاهُ طَبِيعَةَ اللهِ".

[تعليق مني: سياتي -إن شاء الله- أن عبارة متى (28: 19) **مضافة لإنجيل متى باعتراف شراحهم وعلمائهم**].

"وَكَذَلِكَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنْ رِسَالَةِ بُولُسَ الثَّانِيَةِ إِلَى كُورِنْثُوسَ وَهُوَ قَوْلُهُ فِي آخِرِهَا (13: 14) نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَحَبَّةُ اللهِ وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِهِمْ) عَلَى أَنَّنَا نَعْتَقِدُ أَنَّ **بُولُسَ هُوَ وَاضِعُ أَسَاسِ الدِّيَانَةِ النَّصْرَانِيَّةِ الْحَاضِرَةِ**، وَجَاءَ فِيهَا بِمَا لَمْ يُؤْثَرْ عَنِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا عَنْ تَلَامِيذِهِ الْحَوَارِيِّينَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ -.

(3) إِنَّ مَا ذُكِرَ فِي كُتُبِ الْعَهْدَيْنِ مِنِ اسْتِعْمَالِ ابْنِ اللهِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ يُنَافِي هَذَا الْمَعْنَى وَلَا يَتَّفِقُ مَعَهُ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي تَفْسِيرِنَا عِنْدَ ذِكْرِهَا فِي الْآيَاتِ مِنْ سُورَتَيْ آلِ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءِ. وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى أَهَمِّهَا آنِفًا.

(4) إِنَّ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَارَةِ الْمَزْمُورِ (33: 6) لَيْسَ فِيهِ أَدْنَى إِشَارَةٍ إِلَى هَذِهِ الطَّبِيعَةِ الْمُبْتَدَعَةِ فِي هَذَا التَّثْلِيثِ وَهَذَا نَصُّهَا (بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا) وَهُوَ يَزْعُمُ هُنَا أَنَّ الْمُرَادَ (بِكَلِمَةِ " الرَّبِّ " الْمَسِيحُ، تَفْسِيرًا لَهَا بِرَأْيِ يُوحَنَّا فِي أَوَّلِ إِنْجِيلِهِ، وَهَذَا الْمَعْنَى لِلْكَلِمَةِ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا لِغَيْرِهِ مِنْ أَنْبِيَاءِ الْيَهُودِ، بَلْ هُوَ **مَعْنًى اخْتَرَعَهُ الَّذِي كَتَبَ إِنْجِيلَ يُوحَنَّا**،

[تعليق مني: سيأتي -إن شاء الله- أن ما ورد في أول إنجيل متى فيه مشكلة في الترجمة].

"وَالْمُرَجَّحُ عِنْدَ بَعْضِ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّهُ أَحَدُ تَلَامِيذِ بُولُسَ. وَكَانَ الدُّكْتُورُ جُورْجُ بُوسْتُ كَتَبَ هَذَا الشَّاهِدَ هُنَا قَبْلَ أَنْ يَكْتُبَ تَفْسِيرَ " الْكَلِمَةِ " فِي قَامُوسِهِ، وَكَأَنَّهُ لَمَّا كَتَبَهُ نَسِيَ مَا كَانَ كَتَبَهُ هُنَا، فَإِنَّهُ قَالَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْهُ مَا نَصُّهُ: يُقْصَدُ بِالْكَلِمَةِ السَّيِّدُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، **وَلَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا فِي مُؤَلَّفَاتِ يُوحَنَّا** اهـ. فَكَيْفَ فَسَّرَ بِهَا عِبَارَةَ الْمَزْمُورِ إِذًا ؟

وَكَذَلِكَ مَا نَقَلَهُ عَنْ رِسَالَتَيْ بُولُس إِلَى كُولُوسِي، وَإِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ لَا يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرَهُ، وَلَوْ دَلَّ عَلَيْهَا لَكَانَ أَحَدَ دَلَائِلِنَا عَلَى **أَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ قَدْ وَضَعَ بُولُس أَسَاسَهَا**، إِذْ **لَمْ يَعْرِفْهَا أَحَدٌ مِنْ أَنْبِيَاءِ التَّوْرَاةِ قَبْلَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَا الْمَسِيحُ**.

(5) قَوْلُهُ: إِنَّ مَسْأَلَةَ التَّثْلِيثِ غَيْرُ وَاضِحَةٍ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، صَوَابُهُ: **غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِيهِ أَلْبَتَّةَ لَا بِالنَّصِّ وَلَا بِالظَّاهِرِ وَلَا بِالْفَحْوَى وَالْإِشَارَةِ الْوَاضِحَةِ**.

وَعَلَى أَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ عِنْدَ النَّصَارَى هِيَ أَسَاسُ الدِّينِ أَوْ رُكْنُهُ الْأَعْظَمُ ، فَلَوْ كَانَتْ عَقِيدَةً إِلَهِيَّةً مُوحًى بِهَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ لَصَرَّحُوا كُلُّهُمْ بِهَا تَصْرِيحًا لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ كَمَا صَرَّحُوا بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي اعْتَرَفَ هُوَ وَغَيْرُهُ بِأَنَّهُ ظَاهِرٌ (وَبَيِّنٌ جِدًّا) فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ ، وَهَاتَانِ الْعَقِيدَتَانِ عَلَى أَتَمِّ التَّنَاقُضِ .

وَمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَيْهَا فِي أَوَّلِ سِفْرِ التَّكْوِينِ بِذِكْرِ اللهِ وَلَفْظِ (رُوحِ اللهِ) غَيْرُ مُسَلَّمٍ ; فَإِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ ذَلِكَ مِنْهُمَا أَحَدٌ مِنَ الْيَهُودِ ، وَلَا غَيْرِهِمْ قَبْلَ ابْتِدَاعِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ ، **وَلَا يَجُوزُ بَلْ لَا يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ أَسَاسُ الْعَقِيدَةِ فِي كِتَابِ اللهِ مُبْهَمًا لَا يَفْهَمُهُ الْمُخَاطَبُونَ مِنْهُ** ، كَمَا عَلِمْتَ آنِفًا مِنِ اسْتِشْهَادِهِ بِالْمِزْمَارِ (33 : 6) وَهَذَانِ اللَّفْظَانِ مَوْجُودَانِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ الَّذِي يُصَرِّحُ بِكُفْرِ الْقَائِلِينَ بِالتَّثْلِيثِ .

(6) مَا ذَكَرَهُ فِي مَسْأَلَةِ (وِحْدَةِ اللهِ) مِنْ سَبَبِ التَّصْرِيحِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى بِأَقْوَى النُّصُوصِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ ، وَهُوَ سَدُّ ذَرِيعَةِ الْوَثَنِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ كَثِيرَةَ الشُّيُوعِ فِي الْأَزْمِنَةِ الْأُولَى هُوَ حُجَّةٌ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ تِلْكَ الْوَثَنِيَّةَ الَّتِي أَرَادَ اللهُ تَعَالَى سَدَّ ذَرَائِعِهَا بِنُصُوصِ التَّوْحِيدِ الْقَطْعِيَّةِ لِمُوسَى وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، **كَانَ مِنْ أَرْكَانِهَا عَقِيدَةُ التَّثْلِيثِ الْهِنْدِيَّةُ الْمِصْرِيَّةُ الْيُونَانِيَّةُ** ، فَمَا وَقَعَ فِيهِ النَّصَارَى مِنَ الْوَثَنِيَّةِ هُوَ الَّذِي أُرِيدَ وِقَايَةُ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْهُ بِتِلْكَ النُّصُوصِ الْإِلَهِيَّةِ فِي كُتُبِهِمْ ، وَلَا سِيَّمَا الْوَصِيَّةُ الْأُولَى مِنْ وَصَايَا التَّوْرَاةِ ، وَإِنَّمَا أَوْقَعَهُمْ فِيهِ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ الْمُجْمَلَةُ فِي رَسَائِلِ بُولُس وَأَنَاجِيلِ تَلَامِيذِهِ ، وَعَدَمِ تَأْوِيلِهِمْ لَهَا بِمَا يُوَافِقُ تَوْحِيدَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَنُصُوصَ التَّنْزِيهِ فِيهَا وَفِي الْإِنْجِيلِ أَيْضًا .

(7) إِنَّ اسْتِشْهَادَهُ عَلَى "كَلِمَةِ ابْنِ اللهِ " بِمَا جَاءَ فِي الْفَصْلِ 3 مِنْ سِفْرِ دَانْيَالَ غَرِيبٌ جِدًّا جِدًّا ، فَإِنَّ عَادَتَهُ فِي قَامُوسِهِ أَنْ يَذْكُرَ بِجَانِبِ كُلِّ كَلِمَةٍ تَفْسِيرًا لَهَا وَشَاهِدًا عَلَيْهَا مِنْ كَلَامِ اللهِ أَوْ كَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالْعِبَارَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا هُنَا هِيَ كَلِمَةُ الْمَلِكِ بَابِلَ بَنُوخَذْ نَصْرِ الْوَثَنِيِّ قَالَهَا فِي أَحَدِ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ أَلْقَاهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ وَلَمْ يَحْتَرِقُوا ، وَهِيَ " وَمَنْظَرُ الرَّابِعِ شَبِيهٌ بِابْنِ الْآلِهَةِ " فَلْيَنْظُرِ الْمُسْلِمُونَ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُقَلَاءِ بِمَ يُؤَيِّدُ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى تَسْمِيَتَهُمُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ ؟ ! وَبِمَ يُثْبِتُونَ أَنَّ لِلَّهِ ابْنًا حَقِيقِيًّا ؟ إِنَّهُمْ يُحَاوِلُونَ إِثْبَاتَ هَذَا أَوْ **يُؤَيِّدُونَهُ بِكَلَامِ الْوَثَنِيِّينَ فِي عَقَائِدِهِمْ** ، **ثُمَّ يُنْكِرُونَ أَنَّهُمْ وَثَنِيُّونَ** .

(8) إِنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ مَا أَمَرَ الْمَسِيحُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ خِطَابِهِمْ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الصَّلَوَاتِ بِقَوْلِهِ فِي أَوَّلِ الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ " أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ " إِلَخْ وَمَا فِي مَعْنَاهُ كَقَوْلِهِ " أَبِي وَأَبِيكُمْ " وَبَيْنَ رِوَايَتِهِمْ عَنْهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ مِنْ قَوْلِهِ " أَبِي " فَهُوَ يَزْعُمُ تَقْلِيدًا لِرُؤَسَاءِ مِلَّتِهِ أَنَّ إِضَافَةَ الْأَبِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِضَافَتَهُ إِلَى ضَمِيرِ الْجَمِيعِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ قَوْلِ " أَبَانَا " دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أُبُوَّتَهُ تَعَالَى لَهُ حَقِيقِيَّةٌ وَأُبُوَّتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى سَبِيلِ التَّبَنِّي.

وَهَذَا مِنْ أَغْرَبِ مَا يُؤْثَرُ عَنْهُمْ مِنَ التَّحَكُّمِ وَالِابْتِدَاعِ الْمُخَالِفِ لِلُّغَةِ وَلِلْعَقْلِ وَلِلنَّقْلِ الْمَأْثُورِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ ، **فَأُبُوَّةُ اللهِ الْحَقِيقِيَّةُ لِبَعْضِ الْبَشَرِ أَوْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ لَا تُعْقَلُ** ، **وَأُبُوَّةُ التَّبَنِّي تَزْوِيرٌ يَجِلُّ اللهُ عَنْهُ** كَمَا يَتَنَزَّهُ عَنْ مُجَانَسَةِ الْخَلْقِ بِالْأُبُوَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، وَالْأَظْهَرُ فِي هَذِهِ الْأُبُوَّةِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ إِنْ صَحَّ النَّقْلُ أَنَّهَا **مَجَازٌ عَنِ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالتَّكْرِيمِ** ، وَلَا نُنْكِرُ أَنَّ حَظَّ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا جَدِيرٌ بِأَنْ يَكُونَ أَعْلَى مِنْ حَظِّ يَعْقُوبَ وَأَفْرَايِمَ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ مِمَّنْ أُطْلِقَ عَلَيْهِمْ هَذَا اللَّقَبُ فِي أَسْفَارِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ ، **وَمِنَ الْكُفْرِ الصَّرِيحِ ، وَالطَّعْنِ فِي تَنْزِيهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَنَا وَعِنْدَ كُلِّ عَاقِلٍ مُسْتَقِلِّ الْفِكْرِ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ لَهُ سُبْحَانَهُ ابْنًا حَقِيقِيًّا** ، **وَأَبْنَاءً بِالتَّبَنِّي** ، أَيْ أَدْعِيَاءَ ، وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي أَبْنَاءِ التَّبَنِّي الَّذِي كَانَ مَعْهُودًا عِنْدَ الْعَرَبِ وَأَبْطَلَهُ بِالْإِسْلَامِ : ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ (33 : 4 و5) .

وَأَمَّا الْفَرْقُ بَيْنَ ضَمِيرِ الْجَمْعِ وَضَمِيرِ الْمُفْرَدِ فِيمَا نَقَلُوهُ فَسَبَبُهُ يَعْرِفُهُ الْعَوَامُّ كَالْخَوَاصِّ ، وَهُوَ أَنَّ الْجَمْعَ لِلْجَمَاعَةِ وَالْمُفْرَدَ لِلْمُفْرَدِ ، وَلَوْ نَقَلُوهُ عَنِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ : " أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ " لَكَانَ لَهُمْ شُبْهَةٌ فِي هَذِهِ التَّفْرِقَةِ . عَلَى أَنَّهُ مُعَارَضٌ بِقَوْلِ الرَّبِّ فِي دَاوُدَ (مز 89 : 26 هُوَ **يَدْعُونِي أَنْتَ أَبِي**) فَإِذَا كَانَتْ إِضَافَةُ لَفْظِ أَبٍ إِلَى ضَمِيرِ الْمُفْرَدِ الْمُتَكَلِّمِ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ ابْنًا حَقِيقِيًّا لِلَّهِ تَعَالَى ، فَقَدْ كَانَ هَذَا الْفَخْرُ لِدَاوُدَ قَبْلَ الْمَسِيحِ ، وَأَنَّ لِإِضَافَةِ ابْنٍ إِلَى ضَمِيرِ الرَّبِّ الْمُفْرَدِ مِنَ الِاخْتِصَاصِ مَا يُسَاوِي بَلْ يَفُوقُ إِضَافَةَ لَفْظِ الْأَبِ إِلَى ضَمِيرِ الْعَبْدِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا فِي سِفْرِ الْخُرُوجِ مِنْ قَوْلِ الرَّبِّ (4 : 22 **ابْنِي بِكْرِي إِسْرَائِيلُ**) وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ فِي سِفْرِ أَرْمِيَا (31 : 9 إِنِّي صِرْتُ **أَبًا لِإِسْرَائِيلَ وَإِفْرَايِمَ هُوَ بِكْرِي**) وَوَصْفُ الْأَبِ الِابْنَ بِكَوْنِهِ بِكْرًا لَهُ يَقْرُبُ بِهِ مِنَ الْحَقِيقَةِ أَوِ الِاخْتِصَاصِ مَا لَا يَقْرُبُ مِثْلَهُ بِإِضَافَةِ الِابْنِ اسْمَ أَبِيهِ إِلَى ضَمِيرِ نَفْسِهِ ، إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمُتَبَنِّيَ يُخَاطِبُ مُتَبَنِّيَهُ وَيُخْبِرُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ " أَبِي "كَالِابْنِ مِنَ الصُّلْبِ ، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ لَا يَصِفُ مَنْ تَبَنَّاهُ وَلَا يُخْبِرُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ ابْنِيَ الْبِكْرِ .

(9) قَوْلُهُ : إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَعْضَاءٌ فِي عَائِلَةِ اللهِ الرُّوحِيَّةِ - مَا أَمْلَاهُ عَلَيْهِ إِلَّا أَنَّ عَقْلَهُ لَا يَفْهَمُ مِنْ لَفْظِ " ابْنِ اللهِ وَأَبْنَاءِ اللهِ " إِلَّا الْمَعْنَى الْمَجَازِيَّ . وَمُقْتَضَاهُ أَنَّ كُلَّ مَا يُعْقَلُ مِنْ نُصُوصِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ فِي إِطْلَاقِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَسِيحِ بِكَثْرَةٍ أَوْ نَوْعِ امْتِيَازٍ ، إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ أَعْضَاءِ هَذِهِ الْعَائِلَةِ الرُّوحِيَّةِ الْمُدَّعَاةِ ، وَالْمُسْلِمُونَ لَا يُنْكِرُونَ هَذَا الِامْتِيَازَ فَإِنَّهُمْ يُفَضِّلُونَهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى أَجْدَادِهِ إِسْرَائِيلَ وَدَاوُدَ وَغَيْرِهِمَا مِمَّنْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ لَقَبُ (ابْنِ اللهِ) فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ بَلْ يُفَضِّلُونَهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ مَا عَدَا إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَمُحَمَّدَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

(10) إِنَّنَا عَلَى بَحْثِنَا هَذَا فِي كَلَامِهِ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى النَّصَارَى كُلِّهِمْ نُنْكِرُ لَفْظَ " عَائِلَةِ اللهِ " وَأَمْثَالَهُ مِمَّا يُخِلُّ بِتَنْزِيهِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَمَّا تَقْتَضِيهِ مِنَ الْمُجَانَسَةِ ، فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ لَهُ جِنْسٌ مَادِّيٌّ وَلَا رُوحِيٌّ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (42 : 11) وَ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (37 : 180) وَ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (112 : 1 - 4) .

وَأَمَّا مَعْنَى " رُوحِ الْقُدُسِ " وَبُطْلَانُ مَا زَعَمُوهُ مِنْ كَوْنِهِ هُوَ اللهَ فَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ مُفَصَّلًا فِي تَفْسِيرِ آيَةِ : ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (2 : 87) وَآيَةِ : ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (4 : 171) الْمُشَارُ إِلَيْهَا فِيمَا تَقَدَّمَ قَرِيبًا .

(11) إِنَّهُ مِنْ أَجْلِ عَدَاوَتِهِ لِلتَّوْحِيدِ ، وَلِتَنْزِيهِ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْجِنْسِ وَالْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ ، لَمْ يَذْكُرْ فِي صِفَاتِهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا وَرَدَ فِي الْعَهْدَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ ، مِنْ تَنَزُّهِهِ تَعَالَى عَنِ النِّدِّ وَالنَّظِيرِ وَالشَّبِيهِ ، الَّذِي يَجِبُ بِحُكْمِ الْعَقْلِ أَنْ تُئَوَّلَ لِأَجْلِهِ أَوْ تُحْمَلَ عَلَيْهِ وَتُقَيَّدَ بِهِ جَمِيعُ النُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّشْبِيهِ ، كَمَا جَعَلَ الْمُسْلِمُونَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَقَوْلَهُ : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أَصْلَ عَقِيدَةِ التَّنْزِيهِ وَقَيَّدُوا بِهَا مَعَانِيَ الْآيَاتِ الْمُوهِمَةِ لِلتَّشْبِيهِ .

وَقَدْ جَاءَ فِي سِفْرِ الِاسْتِثْنَاءِ مِنْ أَسْفَارِ التَّوْرَاةِ (4 : 12) فَكَلَّمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ جَوْفِ النَّارِ فَسَمِعْتُمْ صَوْتَ كَلَامِهِ ، وَلَمْ تَرَوُا الشَّبَهَ أَلْبَتَّةَ (15) فَاحْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ بِحِرْصٍ فَإِنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا شَبَهًا يَوْمَ كَلَّمَكُمُ الرَّبُّ فِي حُورِيبَ مِنْ جَوْفِ النَّارِ) وَالْعُقَلَاءُ مِنَ الْيَهُودِ يَرُدُّونَ جَمِيعَ الْعِبَارَاتِ الَّتِي ظَاهِرُهَا التَّشْبِيهُ وَالْأَعْضَاءُ لِلرَّبِّ تَعَالَى إِلَى هَذَا النَّصِّ النَّافِي لِلتَّشْبِيهِ .

***

وَقَدْ جَاءَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا الَّذِي تَفَرَّدَ بِأَقْوَى الشُّبُهَاتِ عَلَى التَّثْلِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّنْزِيهِ قَالَ (1 : 18 اللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ . الابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي فِي حِضْنِ الْآبِ هُوَ الَّذِي خَبَّرَ وَمِثْلُهُ فِي الرِّسَالَةِ الْأُولَى لِيُوحَنَّا (4 : 12 اللهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ) بَلْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ أُسْتَاذُهُ بُولُس فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى تِيمُوتَادُس ، فَإِنَّهُ وَصَّاهُ بِحِفْظِ الْوَصِيَّةِ إِلَى ظُهُورِ الْمَسِيحِ ، وَقَالَ عَنْ هَذَا الظُّهُورِ : (15 الَّذِي سَيُبَيِّنُهُ فِي أَوْقَاتِهِ الْمُبَارَكُ الْوَحِيدُ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الْأَرْبَابِ 16 الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ سَاكِنًا فِي نُورٍ لَا يُدْنَى مِنْهُ ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الْأَبَدِيَّةُ) .

فَتَبَيَّنَ بِمَا تَقَدَّمَ أَنَّ هَذِهِ عَقِيدَةُ التَّثْلِيثِ ، وَأُلُوهِيَّةُ الْمَسِيحِ الْمُخَالِفَةُ لِحُكْمِ الْعَقْلِ ، **لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا قَطْعِيٌّ وَلَا ظَنِّيٌّ** ، **وَأَنَّ شُبُهَاتِهَا فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ ضَعِيفَةٌ لَيْسَتْ نَصًّا وَلَا ظَاهِرَةً فِيهَا** . عَلَى أَنَّ **كُتُبَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لَا يُوثَقُ بِهَا** ، فَإِنَّ النَّصَارَى قَدْ أَضَاعُوا أَكْثَرَ مَا كُتِبَ مِنْ إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ فِي عَصْرِهِ ثُمَّ رَفَضَتْ مَجَامِعُهُمُ الْمَسْكُونِيَّةُ الرَّسْمِيَّةُ بَعْدَ دُخُولِ التَّعَالِيمِ الْوَثَنِيَّةِ فِيهِمْ مِنْ قِبَلِ الرُّومَانِيِّينَ أَكْثَرَ مَا وُجِدَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَنَاجِيلِ الَّتِي كَانَتْ تُعَدُّ بِالْعَشَرَاتِ ، **وَقِيلَ بِالْمِئَاتِ** ، **وَاعْتَمَدَتْ أَرْبَعًا مِنْهَا لَيْسَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا رَوَاهُ مِنْ أَقْوَالِ الْمَسِيحِ وَأَفْعَالِهِ** ، كَمَا قَالَ يُوحَنَّا فِي آخِرِ إِنْجِيلِهِ : " وَأَشْيَاءُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ آمِينَ " اهـ .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ بِالْبَدَاهَةِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ عِنْدَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، فَلَمْ تُكْتَبْ أَقْوَالُهُ وَلَا أَفْعَالُهُ الْكَثِيرَةُ .

وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي كُتُبِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ وَمِنْهَا الْأَنَاجِيلُ الْأَرْبَعَةُ ذِكْرُ **إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ** ، وَفِي بَعْضِهَا يُسَمَّى " إِنْجِيلَ اللهِ " وَمِنَ الْمَعْلُومِ بِالْبَدَاهَةِ أَنَّهُ لَا يُرَادُ بِهَذَا الْإِنْجِيلِ أَحَدُ هَذِهِ التَّوَارِيخِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي تُحُدِّثَ عَنْهُ ، وَفِي هَذِهِ الْكُتُبِ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ يُوجَدُ أَنَاجِيلُ كَاذِبَةٌ وَأَنَاجِيلُ مُحَرَّفَةٌ وَرُسُلٌ كَذَبَةٌ ، وَقَدْ فَصَّلْنَا الْقَوْلَ فِي مَسْأَلَةِ إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ وَهَذِهِ الْأَنَاجِيلِ ، وَأَثْبَتْنَا عَدَمَ الثِّقَةِ بِهَا ، وَأَنَّ مَجْمُوعَهَا يُثْبِتُ مَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ اللهِ الْمُنَزَّلُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، وَهُوَ أَنَّ النَّصَارَى كَالْيَهُودِ نَسُوا حَظًّا عَظِيمًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَأَنَّهُمْ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْهُ ، وَأَنَّهُمُ انْتَحَلُوا عَقَائِدَ وَثَنِيِّ الْهِنْدِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْقُدَمَاءِ فِي الثَّالُوثِ [فَرَاجِعْهُ فِي ص239 - 25 ج 6 ط الْهَيْئَةِ]". [تفسير المنار- سورة التوبة- تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾. آية 31 ج: 10 ص: 385 إلى 398].

(3) نصوص تدل على أن الرب لا يموت، ونصوص تدل على أن يسوع (ابن الإنسان) يموت:

أَوَّلًا: نُصُوصٌ تُفِيدُ عَدَمَ مَوْتِ الرَّبِّ منها:

- رِسَالَةُ بُولُسَ الأُولَى إِلَى تِيمُوثَاوُسَ:

- "6: 15: ... المبارك العزيز الوحيد: ملك الملوك ورب الأرباب،

6: 16: الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، ساكنا في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه"[1].

ثَانِيًا: نصوص تدل على أن يسوع (ابن الإنسان) يموت مِنْهَا:

- إِنْجِيلُ مَتَّى:

"12: 40: لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ، هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ"[2].

- إِنْجِيلُ يُوحَنَّا:

"19: 30: فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: "قَدْ أُكْمِلَ". ونكّس رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرّوحَ"[3].

يقول -المهتدي إلى الإسلام من النصرانية- الأستاذ أكرم حسن مرسي:

"وتَبْقَى أَسْئِلَةٌ تَطْرَحُ نَفْسَهَا هِيَ: هَلْ مَاتَ الرَّبُّ الْإِلَهُ أَمْ لَا؟

وَكَيْفَ نَقُومُ بِحَلِّ لُغْزِ هَذَا التَّنَاقُضِ الوَاضِحِ؟! وَلَوْ مَاتَ الْإِلَهُ حَقًّا كَمَا يَزْعُمُ المُنَصِّرُونَ عَلَى الصَّلِيبِ مَنْ كَانَ يَحْكُمُ هَذَا الكَوْنَ، وَيُصَرِّفُ شُئُونَهُ ...؟!

ومن الذي مات على الصليب؛ اللاهوت أم الناسوت؟!

السؤال الأخير أعجز الكنائس الشرقية والغربية؛ لأنهم مختلفون حول الطبيعة والطبيعيتن[4]، والمشيئة والمشيئتين ....!

فلو مات اللاهوت كما تعتقد الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية (اللاهوت لم يفارق الناسوت طرفة عين) وهذا يخالف نصوص الكتاب المقدس التي تؤكد بأنّ الله حي لا يموت...

ولو مات الناسوت فقط كما تعتقد الكنيسة الغربية الكاثوليكية فإن هذا يُعد خطأً أيضًا؛ لأن الناسوت محدود، والخطيئة الأصلية غير محدودة تفترضُ تدخل الربّ نفسه، فالناسوت وحدة ليس كافيًا للكفارةِ والفداء"[5].

وقد أشرت من قبل إلى أن زعم النصارى؛ أن ربهم قد مات على الصليب من المعضلات التي أوقعوا أنفسهم فيها، وتفرقوا فيها وتنازعوا، ولا زالوا حتى اليوم حتى داخل الكنيسة الواحدة، وقد أشرت لخلاف البابا شنودة مع الأب متى المسكين حول هذه المعضلة وغيرها من المسائل[6].

***

1 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس: 6: 15 و16 ص: 170.

2 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 12: 40 ص: 10.

3 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 19: 30 ص: 90.

4 صوابها: الطبيعتين.

5 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيًا؟ ص: 33.

6 ذكر الأنبا مكسيموس المنشق عن البابا شنودة -والذي أصدر البابا شنودة بحقه قرارًا بالحرمان- في حديثة لقناة الجزيرة؛ أن البابا شنودة أمر بجمع كتب الأب متى المسكين من مكتبات الرهبان، وأحرقها في فناء الكاتدرائية المرقسية.

(4) نُصُوصٌ تُفِيدُ اسْتِحَالَةَ تَجَسُّدِ الرَّبِّ فِي إِنْسَانٍ، وأن الرب سبحانه لم يره أحد قط ولا سمع صوته، مِنْهَا:

- إنجيل يوحنا:

- "1: 18: الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خَبَّرَ"[1].

- "5: 37: والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته"[2].

- رِسَالَةُ بُولُسَ الأُولَى إِلَى تِيمُوثَاوُسَ:

- "6: 15: ... المبارك العزيز الوحيد: ملك الملوك ورب الأرباب،

6: 16: الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، ساكنًا في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه"[3].

يقول -المهتدي إلى الإسلام من النصرانية- الأستاذ أكرم حسن مرسي:

"نُلاحِظُ: أَنَّ الله لم يسمعه ولم يبصره أحدٌ، وهذا بخلاف حال الإنسان الذي يُسمع ويُرى ...

وأتساءل: كيف تجسد الله في يسوع، وهذا هو كلام يسوع نفسه ينفي ذلك ... ؟!

وَبِالتَّالِي فالحق أنّ اللهَ لَا يَتَجَسَّدُ فِي إِنْسَانٍ أَبَدًا ويقتل أو يموت، وأَنَّ التَّجَسُّدَ دخيل من أساطير أديان مصرية وهندية قديمة، وفي حال إيمانهم به واجب عليهم حل تَّنَاقُضَاتِ نصوص الكِتَابِ الْمُقَدَّسِ"[4].

***

1 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 1: 18 ص: 72.

2 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 5: 37 ص: 76.

3 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس: 6: 15 و16 ص: 170.

4 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيًا؟ ص: 33.

(5) نصوص تفيد أن الخلاص يكون باتباع وصايا موسى والتوحيد، ولم يذكر فيها الخلاص بالإيمان بالثالوث والصلب والفداء والخطيئة الأصلية ووجوب الاعتراف بالذنوب للكنيسة التي لا خلاص إلا عن طريقها... إلخ:

- إنجيل متى:

- "19: 16 وإذا واحد تقدم وقال له: "أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟".

19: 17 فقال له: "لماذا تدعوني صالحًا؟ ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله. ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا".

19: 18 قال له: "أية الوصايا؟". فقال يسوع: "لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد بالزور.

19: 19 أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك".

19: 20 قال له الشاب: "هذه كلها حفظتها منذ حداثتي. فماذا يعوزني بعد؟".

19: 21 قال له يسوع: "إن أردت أن تكون كاملًا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني".

19: 22 فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينًا، لأنه كان ذا أموال كثيرة.

19: 23 فقال يسوع لتلاميذه: "الحق أقول لكم: إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السماوات!

19: 24 وأقول لكم أيضًا: أن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله"[1].

- "22: 35 وسأله واحد منهم، وهو ناموسي، ليجربه قائلًا:

22: 36 "يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟".

22: 37 فقال له يسوع: "تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك،

22: 38 هذه هي الوصية الأولى والعظمى.

22: 39 والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك.

22: 40 بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء"[2].

- إِنْجِيلُ مُرْقُسَ:

- وجاءت قصة هذا الشاب الغني -أيضًا- في إنجيل مرقس، وفيها:

"10: 21: فنظر اليه يسوع وأحبه"[3].

فيقال للنصراني البولسي: إذا كنت تريد أن يحبك سيدنا المسيح -عليه السلام- فاتبع هذه الوصايا، التي أمر بها (التوحيد ونبذ الشرك، ووصايا سيدنا موسى -عليه السلام- في التوراة)، ودع عنك معضلات الكنائس البولسية، التي لا يقبلها العقل، وتنفر منها الفطرة: الخطيئة الأصلية، والفداء، والصلب، والتثليث، وتجسد الآله، وتأليه البشر، وأسرار الكنيسة ... إلخ.

- وجاء في إنجيل مرقس أيضًا:

"12: 28: فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُم يَتَحَاوَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا، سَأَلَهُ: "أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟".

12: 29: فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: "إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ.

1 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 19: 16 إلى 24 ص: 16.

2 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 22: 35 إلى 40 ص: 19.

3 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 10: 21 ص: 36.

12: 30: وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى.

12: 31: وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ".

12: 32: فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: "جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالحَقِّ قُلْتُ، لِأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ.

12: 33: وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الفَهْمِ، وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ".

12: 34: فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلٍ، قَالَ لَهُ: "لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ". وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَسْأَلَهُ!"[4].

يقول -المهتدي إلى الإسلام من النصرانية- الأستاذ أكرم حسن مرسي بعد أن ذكر نصوص العهد القديم التي تنفي الخطيئة الأصلية، وتؤكد على أن كل إنسان محاسب على عمله:

"بينما بولس أكد لأتباعه أن يسوع المسيح لما صلب -بحسب زعمه- حمل آثام وخطايا من آمن بصلبه مهما كانت تلك الآثام والخطايا، وهذا يتناقض مع ما سبق من النصوص التي تتحدث عن عدل الله مع أعمال عباده، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى...!

جاء ذلك في الآتي:

1 - رسالته إلى غلاطية إصحاح 3 عدد 13 "المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة".

2 - رسالته إلى العبرانيين إصحاح 9 عدد 22 "وكل شيء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة".

وتبقى أسئلة تطرح نفسها:

- هل الله يغفر الخطايا ويحاسب الإنسان على علمه[5]، أم أن يسوع المسيح رفع الآثام بموته على الصليب؟

- ما حل هذا التناقض الواضح بين النصوص السابقة؟

- ما هو حال ومصير الأنبياء والصالحين السابقين ليسوع المسيح الذين لم يعرفوا ولم يؤمنوا ولم يشاهدوا الفداء والصلب...؟!

- ما هو حال ومصير الأمم والشعوب السابقة ليسوع المسيح الذين لم يخبروا من أنبيائهم ورسلهم عن شيء اسمه الفداء والصلب، بل أخبروهم أن الذي يعمل صالحا يحيا، والذي يعمل سيئا يموت...؟!

وعلى هذا فأني اخترت الإسلام الذي لا تناقض فيه؛ بل عدل الله يحويه...

بينما في النصرانية نصوص كتابها المقدس متعارضة متناقضة...

والأظهر منها أن أنبياء العهد القديم لم يتكلموا أبدا عن ذلك المعتقد، ولم يعرفوه البتة، ومع ذلك وقد باركهم الله، وأيد دعوتهم، وأحبهم، ونصرهم ومن شايعهم.....

بل العجيب أن يسوع المسيح نفسه لم يتكلم عنها أبدا، وحينما سئل عن طريق الملكوت

لم يقل للسائل:" تؤمن بالفداء والصلب الذي سيحدث معي...."!

بل قال له: أنت تعرف الوصايا: "لا تزن. لا تقتل. لا تسرق. لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأمك"؛ وصايا الله في العهد القديم لنبيه موسى وكل من تبعه من أنبياء وأصفياء...

---

4 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 12: 28 إلى 34 ص: 38.

5 أحسب أن صوابها: عمله.

ثم أوصاه يسوع بأن يتصدق على الفقراء...

جاء ذلك في إنجيل لوقا أصحاح 18 عدد 18 وسأله رئيس قائلا:

"أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟" 19 فقال له يسوع: "لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله. 20 أنت تعرف الوصايا: لا تزن. لا تقتل. لا تسرق. لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأمك". 21 فقال: "هذه كلها حفظتها منذ حداثتي". 22 فلما سمع يسوع ذلك قال له: "يعوزك أيضا شيء: بع كل ما لك ووزع على الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني". 23 فلما سمع ذلك حزن، لأنه كان غنيا جدا. 24 فلما رآه يسوع قد حزن، قال: "ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله! 25 لأن دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله!". 26 فقال الذين سمعوا: «فمن يستطيع أن يخلص؟" 27 فقال: "غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله"...".

ويبدو أن هذا هو إيمان يسوع المسيح الذي يعرفه، ولم يعرف ما أحدثه بولس، بل كل أنبياء الله لم يعرفوا إيمانا اسمه الفداء والصلب الذي ينافي العدل، ويدعو إلى سوء الأخلاق والنفاق والشقاق...

فما أسهل من أن الإنسان يزني ويقتل ويسرق ويكذب.... ثم يقول الرب يسوع قام بفدائي على الصليب فخلصني من ذنوبي وآثامي....!

هذا الإيمان يؤيده الشيطان، ويفرحه، ويسعى على سعيه، إن لم يكن شارك في مهده...!

إيمان ضد مشيئة الله وعدله....!"[6].

كذلك ورد في هذا النص عن سيدنا المسيح عليه السلام: " فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلٍ، قَالَ لَهُ: "لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ".

وهذا دليل على أن العقل مناط التكليف، وأن العقيدة يفهمها العقل، بينما النصارى البولسيون المثلثون يقولون: إن التثليث سر مغلق لا يفهمه الناس.

***

6 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيا؟ ص: 36 و37.

(6) نصوص تفيد أن سيدنا عيسى -عليه السلام- نبي مرسل من الله سبحانه:

أولًا: ما نقلته الأناجيل عن سيدنا عيسى عليه السلام:

- إنجيل يوحنا:

- "17: 3: وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ"[1].

- "4: 33: فقال التلاميذ بعضهم لبعض: "ألعل أحدًا آتاه بشيء ليأكل؟".

4: 34: قال لهم يسوع: "طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله"[2].

إذن فسيدنا المسيح مرسل من ربه، خاضع لمشيئته، مكلف بتكليف منه.

وإذا سألنا النصارى البولسيين: هذا المسيح -عليه السلام- الذي أرادوا أن يأتوا له بطعام: أهو الإنسان أم الإله؟

فجوابهم: إنه الإنسان.

فنقول: ولكن المتكلم هنا هو المرسل للخلاص والفداء، وهو عندكم الابن، أي الإله، ثم هذا الإله تزعمون أنه خاضع لمشيئة إله آخر، ثم تقولون إنهما إله واحد، فهل هما إله واحد؟ أم إله يخضع لإله آخر؟ أم إله وإنسان؟

ثم نقول لهم: هل الله أرسل أنبياء أم أرسل آلهة؟ وهل الإله يرسل إلهًا؟ وهل يخضع الإله لإله غيره؟

وتلك من المعضلات التي أدخل النصارى البولسيون فيها أنفسهم، ولم يخرجوا منها حتى اليوم: هل للمسيح عليه السلام- طبيعة أم طبيعتان؟ ومشيئة أم مشيئتان؟ وإرادة وطبيعتان؟ إلى غير ذلك من التفريعات، التي تاهوا فيها لما تركوا الفطرة والشرع الذي أرسل لهم، واتبعوا بولس فيما زعم أنه قد رآه.

ومن الغريب أن الكاثوليك يبررون خضوع المسيح -عليه السلام- لسلطة المولى سبحانه وتعالى؛ بأن أقنوم الآب أكثر امتيازًا من أقنوم الابن، وعن ذلك كتب شراح النسخة اليسوعية تعليقًا على نص مرقس (13: 32):

"ففي هذا الأمر وفي غيره من الأمور، **يؤكد يسوع امتيازات الله** (راجع: مر 18/10 و37 و40 ورسل 7/1)"[3].

إذن فالثالوث عندهم مكون من أقنوم (إله) أكثر امتيازًا من الأقنومين الآخرين، والأقنوم الأكثر امتيازًا أرسل الأقنوم الأقل اميتازًا!!! ومع ذلك فهم واحد!!!

وأخرج دماغك من جمجمتك، وسلمه لأب اعترافك، لأنه يزعم أنه سيقودك للخلاص!!!

والأرثوذكس يرون ذلك كفرًا وهرطقة وضلالًا، والحمد لله على نعمة الإسلام، الذي هدانا لدين الفطرة الذي عليه الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، فقال عز من قائل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[4].

ونواصل مع إنجيل يوحنا:

فقد تكررت كلمة "أرسلني" في إنجيل يوحنا 29 مرة، واحدة على لسان يوحنا المعمدان، و28 مرة على لسان المسيح عليهما السلام.

فأما التي على لسان يوحنا المعمدان -عليه السلام- فهي:

---

1 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 17: 3 ص: 88.

2 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 4: 33 و34 ص: 75.

3 النسخة االيسوعية- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 13: 32 ص: 168.

4 سورة الإخلاص.

"1: 33 وأنا لم أكن أعرفه[5]، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء، ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلًا ومستقرًا عليه، فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس"[6].

فيوحنا المعمدان -عليه السلام- نبي مرسَل مخلوق، وكذلك سيدنا عيسى نبي مرسَل مخلوق، لأن المرسَل:

1- تابع للمرسِل،

2- ومنفصل عنه.

وخاصة أن كلمة "أرسلني" التي نسبت لسيدنا عيسى -عليه السلام- اقترنت بما يدل على عبوديته وخضوعه لإرادة ربه، فمنها مثلًا:

- "5: 30 أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا. كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة، لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني"[7].

أي أنه غير قادر بذاته على فعل شيء، أي مفتقر لله سبحانه، وهذه من أخص صفات العبودية، قال الله سبحانه في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[8].

وثانيًا أنه لا يفعل بمشيئته؟ فهل هذا رب أم عبد؟

- "6: 38 لأني قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني.

6: 39 وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني: أن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئًا، بل أقيمه في اليوم الأخير.

6: 40 لان هذه مشيئة الذي أرسلني: أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير"[9].

- "6: 44 لا يقدر أحد أن يقبل إليَّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني، وأنا أقيمه في اليوم الأخير"[10].

أي أن هدى الناس ليس بيده، بل بيد الله سبحانه. فهل هذا إله؟

- "7: 15 فتعجب اليهود قائلين: "كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم؟".

7: 16 أجابهم يسوع وقال: تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني"[11].

فهل الإله لا يعلم، ويتعلم من غيره، أم هذه صفة العبد؟

لقد كانت مشكلة علم المسيح -عليه السلام- وجهله ببعض الأشياء، ومشكلة تقدمه "في الحكمة والقامة"[12]، ومثلها مشكلة عدم علمه باليوم الآخر، التي قال عنها الأب متى المسكين أنها: " دوَّخت العلماء واللاهوتيين وكل من حاول الاقتراب منها لأنها خطيرة للغاية"[13]. كل هذه كانت -وما زالت- من المعضلات العويصة التي ورط النصارى البولسيون فيها أنفسهم[14]، وحاولوا عبثًا أن يخرجوا منها، حتى وصل الأمر بالبعض منهم مثل (قديسهم) كيرلس، الذي يسمونه عمود الدين، تلميذ أثناسيوس الذي يسمونه (معلم المسكونة)، أنهم زعموا أن المسيح -عليه السلام- كان يتظاهر بالجهل، أي نسبوا له الكذب.

كما نسب له البابا شنودة الكذب بأنه -عليه السلام- لم يقل لليهود أنه إله، وإلا لرجموه!!!

---

5 هذه مشكلة في النص، فكيف لا يعرفه، وهو ابن بنت خالته السيدة مريم عليها السلام؟

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 1: 33 ص: 72.

7 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 5: 30 ص: 76.

8 سورة فاطر، آية: 35.

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 6: 38 إلى 40 ص: 77.

10 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 6: 44 ص: 77.

11 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 7: 15 و16 ص: 78.

12 إنجيل لوقا: 2: 52.

13 الإنجيل بحسب القديس متى ص: 675.

14 راجع: تاريخ الفكر المسيحي مج: 3 ج: 1 ف: 12- مفهوم كيرلس لمشكلة تقدم يسوع المسيح في القامة والمعرفة ص: 127 وما بعدها.

ومثل ما نقلته آنفًا من انتقاد المهتدي للإسلام الدكتور محمد مجدي مرجان لقول المنصر عوض سمعان لذلك[15].

حسبنا الله ونعم الوكيل، نسبة الكذب لسيدنا عيسى -عليه السلام- أهون عليهم من تنازلهم عن عقائدهم الشركية.

قارن هذه العقائد العويصة المغرقة في الوثنية، بالعقيدة الصافية النقية، التي أرشدنا لها المولى سبحانه في كتابه الكريم المعجز الثابت المنزه عن التحريف، بما ذكره على لسان نبي الله عيسى عليه السلام:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[16].

حقًا لقد اختلف النصارى أحزابًا في الطبيعة والطبيعتين والمشيئة والمشيئتين واللاهوت والناسوت، ومن منهم يحيى ومن منهم يموت، وكل ذلك بسبب تركهم للتوحيد، ودخولهم في الأغلوطات الباطلة.

- "8: 16 وإن كنت أنا أدين، فدينونتي حق، لأني لست وحدي، بل أنا والآب الذي أرسلني.

8: 17 وأيضًا في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق:

8: 18 أنا هو الشاهد لنفسي، ويشهد لي الآب الذي أرسلني"[17].

وهذا النص يدل على مفارقته لله سبحانه، وأنه ليس متحدًا معه، فلو تقدم ثلاثة شهود (نظمي وفهمي ومجدي) لمحكمة، فلا يمكن أن يقال: نظمي وفهمي ومجدي شاهد واحد! كما تقول النصارى: الآب والابن وروح القدس إله واحد.

- "8: 26 إن لي أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم، لكن الذي أرسلني هو حق. وأنا ما سمعته منه، فهذا أقوله للعالم".

8: 27 ولم يفهموا انه كان يقول لهم عن الآب.

8: 28 فقال لهم يسوع: "متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون أني أنا هو، ولست أفعل شيئًا من نفسي، بل أتكلم بهذا، كما علمني أبي"[18].

فهل الله يكون ناقص العلم يتكلم بما يعلمه به غيره؟

- "8: 29 والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الآب وحدي، لأني في كل حين أفعل ما يرضيه"[19].

فهل يرضي اللهُ اللهَ؟

- "9: 4 ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني"[20].

- "12: 49 لأني لم أتكلم من نفسي، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية: ماذا أقول وبماذا أتكلم"[21].

- "14: 24 الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي. والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني"[22].

- وقال: يسوع لرسله ما يؤكد أنه رسول مثلهم:

---

15 راجع: النقطة الثانية: الخلاف في العقائد- 1- تمهيد: المسيح -عليه السلام- كان على التوحيد.

16 سورة مريم، آية: 30 إلى 37.

17 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 8: 16 إلى 18 ص: 80.

18 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 8: 26 إلى 28 ص: 80.

19 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 8: 29 ص: 80.

20 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 9: 4 ص: 81.

21 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 12: 49 ص: 85.

22 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 14: 24 ص: 86.

"20: 21 فقال: لهم يسوع أيضًا: "سلام لكم! كما أرسلني الآب أرسلكم أنا"[23].

***

- إِنْجِيلِ مَتَّى:

"15: 24: "لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ"[24].

يقول -المهتدي إلى الإسلام من النصرانية- الأستاذ أكرم حسن مرسي:

"وأتساءلُ: هَلِ الإِلَهُ يُرْسِلُ إِلَهًا أَمْ يُرْسِلُ رَسُولاً؟!

الجَوَابُ: قَالَهُ الْقُرْآنُ الكَرِيمُ: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (49) (آل عمران)"[25].

ثانيًا: ما نقلته الأناجيل عن تلاميذ المسيح عليه السلام:

- أعمال الرسل:

- "2: 22: أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هَذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ"[26].

- "3: 19: فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب.

3: 20: ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل.

3: 21: الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء، التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر.

3: 22: فإن موسى قال للآباء: إن **نبيًا مثلي** سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون في كل ما يكلمكم به.

3: 23: ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك **النبي** تباد من الشعب.

3: 24: وجميع الأنبياء أيضًا من صموئيل فما بعده، جميع الذين تكلموا، سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام.

3: :25 أنتم أبناء الأنبياء، والعهد الذي عاهد به الله آباءنا قائلًا لإبراهيم: وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض.

3: 26: إليكم أولًا إذ أقام الله **فتاه** يسوع، أرسله يباركم برد كل واحد منكم عن شروره"[27].

وفي نص النسخة اليسوعية: "3: 26: فمن أجلكم أولًا أقام الله **عبده** وأرسله ليباركم"[28].

يقول -المهتدي إلى الإسلام من النصرانية- الأستاذ أكرم حسن مرسي عن الحواريين رضي الله عنهم:

"لَمْ يَقُلْ وَاحِدٌ مِنْهُم قَطُّ: "إِنَّ المَسِيحَ إِلَهٌ أو أقنوم من الاقانيم الثلاثة"[29].

ثالثًا: شهادة الجموع المعاصرة والمؤيدة له:

- إِنْجِيلُ مَتَّى:

"21: 10: وَلَمَّا دَخَلَ أُورُشَلِيمَ ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا قَائِلَةً: "مَنْ هَذَا؟".

21: 11: فَقَالَتِ الْجُمُوعُ: "هَذَا يَسُوعُ النَّبِيّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ الجَلِيلِ"[30].

- إِنْجِيلُ يُوحَنَّا:

---

23 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 20: 21 ص: 91.

24 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 15: 24 ص: 13.

25 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيًا؟ ص: 40.

26 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 2: 22 ص: 94.

27 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 3: 19 إلى 26 ص: 95.

28 النسخة اليسوعية- العهد الجديد: أعمال الرسل: 3: 26 ص: 383.

29 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيًا؟ ص: 40.

30 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 21: 10 و11 ص: 18.

- "4: 19: قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: "يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ"[31].
- "4: 43: وَبَعْدَ الْيَوْمَيْنِ خَرَجَ مِنْ هُنَاكَ وَمَضَى إِلَى الْجَلِيلِ،
- "4: 44: لأَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ شَهِدَ أَنْ: لَيْسَ لِنَبِيٍّ كَرَامَةٌ فِي وَطَنِهِ"[32].
- "6: 14: فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ"[33].
- "7: 40: فَكَثِيرُونَ مِنَ الْجَمْعِ لَمَّا سَمِعُوا هذَا الْكَلاَمَ قَالُوا: "هذَا بِالْحَقِيقَةِ هُوَ النَّبِيُّ"[34].
- "9: 17: قَالُوا أَيْضًا لِلأَعْمَى: "مَاذَا تَقُولُ أَنْتَ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟" فَقَالَ: "إِنَّهُ نَبِيٌّ!"[35].

***

31 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 4: 19 ص: 74.
32 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 4: 44 ص: 75.
33 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 6: 14 ص: 77.
34 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 7: 40 ص: 79.
35 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 9: 17 ص: 81.

3- ملخص لما اعتقده بولس مخالفًا للتوحيد

أتناول البحث في هذا الملخص -ما خالف فيه بولس عقيدة التوحيد- تحت العناوين التالية:

أ- تمهيد

ب- تأليه بولس للسيد المسيح -عليه السلام- واعتباره ابنًا لله سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا

ج- التجسد

د- الخطيئة الأصلية (الظلم المقدس)، والصلب والفداء والكفارة والخلاص (المغالطات المقدسة)

هـ- المجيء الثاني للمسيح عليه السلام

و- الخلاص بالإيمان فقط

ز- الشيطان له سلطان الموت، وهو إله الدنيا

ح- المسيح -عليه السلام- نزل إلى الجحيم

ط- تطور غلو بولس في المسيح -عليه السلام- إلى عقيدة المجامع

***

أ- تمهيد

أود في هذا التمهيد أن ألفت نظر القارئ لعدة ملاحظات قبل الخوض في عقائد بولس:

الملاحظة الأولى:

أن بولس بدأ مسيرة الانحراف العقدي بعيدًا عن توحيد الله، الذي هو رسالة الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام- عبر التاريخ البشري، ووضع أسس وبذور ذلك الانحراف، الذي استمر في الغلو والازدياد في الشرك، حتى وصل للعقائد الحالية للنصارى البولسيين المثلثين.

أي أننا في تتبعنا لعقائد بولس لن نجد تلك العقائد النصرانية الحالية كالتثليث مثلًا، ولكننا سنجد بذور وأسس ذلك الانحراف.

***

الملاحظة الثانية:

1- يعتمد الباحثون في التعرف على عقائد بولس على نوعين من المصادر:

الأول: سفر أعمال الرسل بالإضافة لرسائل بولس، وهي مصادر غير موثوق بها من الناحية التاريخية كما قدمت، بالإضافة لعدم ثبوتها من ناحية السند وفقدان الأصول، وأيضًا من ناحية ثبوت نسبتها لبولس، وهو ما سيأتي إن شاء الله.

وهذه المصادر هي التي يعتمد عليها أغلب الباحثين، وكذلك يستقي منها النصارى عقائدهم التي ينسبونها لبولس.

النوع الثاني: هو ما نسب لبولس من بعض من تسميهم الكنائس المعاصرة الكبرى (البولسية) بـ(الهراطقة):

أ- سواءً كانوا من خصومه من اليهود المتنصرين من أمثال الإبيونيين، الذين أشرت لهم من قبل، وسأضيف بعض التفاصيل عنهم -إن شاء الله- عند بحث أهم طوائف الموحدين قبل مجمع نيقية.

ب- أو سواءً من المتحمسين له من أمثال ماركيون، وهؤلاء ينسبون لبولس تعاليم تختلف عما في الكتاب المقدس لدى النصارى.

وهؤلاء الهراطقة -في الأعم الأغلب- قد ضاعت أو أبيدت كتاباتهم، ولم يتبق إلا ما كتبه خصومهم عنهم.

2- وفي الحقيقة إن عقائد النصارى أهم لدينا من عقائد الهراطقة، لأننا نتتبع تاريخ الفساد السياسي، وأثر عقائد النصارى في هذا الإفساد.

3- ولكن لعله من المفيد أن أذكر نبذة عن ماركيون، لتوضيح حالة اللبس والتخبط التي كان يعيش فيها المسيحيون في القرون الثلاثة الأولى بعد المسيح عليه السلام.

أ- ولد ماركيون في حوالي سنة 120م[1]، ويقال في سنة 100م[2]، في مدينة سينوب على شاطئ البحر الأسود. وتربى في جو مسيحي، فقد كان أبوه أسقفًا بمدينة سينوب. وكان كما يصفه -من تكلموا عنه- شابًا ذا صلاة وتقشف، ويبدو أن ماركيون وأباه (أسقف سينوب) كانا على خلاف وشقاق، حتى أن أباه حرمه من الاشتراك في كنيسته.

وعلى إثر هذا النزاع توجه ماركيون لروما في حوالي سنة 140م، وانضم فيها إلى إحدى الكنائس، وأظهر حماسة في التعليم والعمل، إلا أن مجلس تلك الكنيسة قرر حرمان ماركيون في يوليو 144م إثر خلافهم معه على عقيدته في طبيعة المسيح وأمور أخرى[3].

ب- فما هي تلك العقائد التي اعتقدها ماركيون؟

(1) كان يعتقد بأبدية المادة[4].

(2) وكان يعتقد بوجود إلهين للعالم:

---

1 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 1 ص: 478.

2 Microsoft Encarta 2009, Marcion.

3 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 1 ص: 478 و479.

4 Microsoft Encarta 2009, Marcion.

(أ) إله اليهود العادل المنتقم الجبار، وهو خالق الكون، وهو الذي أنزل العهد القديم، ولذلك رفض ماركيون العهد القديم.

(ب) الإله المحب السامي العظيم، الذي أرسل سيدنا المسيح عليه السلام[5].

وأنقل هنا نصًا هامًا جدًا كتبه (القديس) إيرينيوس[6] في كتابه (ضد الهرطقات) (Adversus haereses)، وهو يتكلم عن ماركيون وكيردو:

"وماركيون البنطي جاء بعده[7]، وطور تعليمه. وفي عمله هذا صنع أكثر التجاديف جسارة ضد ذاك الذي نودي به إلهًا بواسطة الناموس والأنبياء[8]، وأعلن أنه مصدر الشرور، إذ يسر بالحرب، وأنه متردد في مقاصده، لدرجة أنه يناقض نفسه.

ولكن يسوع لكونه من ذلك الأب الذي هو فوق الإله الذي صنع العالم[9]، وجاء في اليهودية في زمن بيلاطس البنطي الوالي، وكيل طيبارنوس قيصر[10]، وهو يسوع ظهر في هيئة إنسان لأولئك الذين كانوا في اليهودية وأبطل الأنبياء والناموس، وكل أعمال ذلك الإله الذي صنع العالم، والذي يدعوه أيضًا Cosmocrator (ضابط الكون)"[11].

إذن نستفيد من هذا النص أن إيرنيوس يزعم: أن ماركيون كان يعتقد:

[1] بوجود إلهين، أحدهما أعلى من الآخر.

[2] والأعلى هو الذي أرسل يسوع، والأدنى هو إله العهد القديم الذي خلق العالم.

[3] وأن يسوع لما جاء:

[أ] ظهر في صورة إنسان.

[ب] أبطل التوراة والشريعة الموسوية، وكل أعمال إله الشر.

(3) المعتقد الثالث لماركيون: أنه كان يرفض العهد القديم، لأنه من عمل إله الشر[12].

(4) المعتقد الرابع لماركيون: أنه كان يعتبر أن العهد الجديد قد تم تحريفه بواسطه المتهودين، ليدسوا فيه نصوصًا توحي بأن هناك وحيًا سماويًا ونبوءات بقدوم المسيح في العهد القديم[13]، ولذا فإن العهد الجديد الصحيح أقل حجمًا من العهد الجديد الحالي، وأنه مكون فقط من:

(أ) جزء من إنجيل لوقا.

(ب) عشر رسائل فقط من رسائل بولس الأربع عشرة الموجودة في الكتاب المقدس الحالي.

وعن هذا كتب إيرنيوس:

"وإلى جانب ذلك فإنه يشوه الإنجيل حسب لوقا، إذ يزيل منه كل ما هو مكتوب عن ولادة الرب[14]، ويستبعد جزءًا كبيرًا من تعليم الرب، الذي فيه يعترف الرب بأن خالق هذا الكون هو أبوه. وبالمثل فقد أقنع تلاميذه أنه هو نفسه أكثر جدارة بالتصديق من أولئك الرسل الذين سلمونا الإنجيل، مزودًا إياهم ليس بالإنجيل، بل بمجرد شذرة منه. وبنفس الطريقة

---

5 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ص: 482.

6 ولد عام 140 م، وتوفي في عام 202م. [نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى- الفصل الثالث ص: 59].

7 أي بعد كيردو.

8 يقصد به الإله المذكور في التوراة وكتب أنبياء بني إسرائيل، أي العهد القديم.

9 أي أن الإله الذي أرسل يسوع -عليه السلام- أعلى درجة من الإله الذي خلق العالم.

10 سيأتي -إن شاء الله- ذكر هذا القيصر (طيباروس- Tiberius) عند البحث في الدوافع السياسية لحركة بولس.

11 ضد الهرطقات للقديس إيرينيوس- الفصل السابع والعشرون (تعاليم كيردو Cerdo، وماركيون Marcion)- فقرة: 2 ص: 115.

12 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ص: 484.

13 راجع ما كتبه رجل الدين الملقب بـ(الموقر جدًا) وأستاذ اللاهوت هنري تشادويك في:

Encyclopædia Britannica, Christianity, The history of Christianity, The problem of scriptural authority.

14 يقصد به سيدنا عيسى عليه السلام.

أيضًا، قلص عدد رسائل بولس، حاذفًا كل ما قاله الرسول من جهة الله الذي خلق العالم، أنه هو أبو ربنا يسوع المسيح، وأيضًا تلك المقاطع من الكتابات النبوية التي اقتبسها الرسول لكي يعلمنا أنها أعلنت مسبقًا عن مجيء الرب"[15].

(5) المعتقد الخامس لماركيون: أنه كان يعتقد بتجسد مخالف لما تعتقده الكنائس الحالية المثلثة؛ وهو أن يسوع ظهر فجأة في وقت عماده في نهر الأردن، وليس في وقت ولادته من مريم العذراء، ويظن البعض أنه يعتقد أن الإله السامي هو الذي تجسد في صورة المسيح في وقت العماد، وأن هذا التجسد كان ظاهريًا، لأن الإلهي لا يتصل بالمادي[16].

(6) المعتقد السادس: أنه كان ينكر قيامة المسيح من الأموات، لأن المسيح في -اعتقاده- لما مات نزل للجحيم ليبشر أسرى الإله اليهودي، ثم صعد للسماء دون قيامة، وفي اليوم الأخير سيحكم على إله اليهود، ويطرحه في الجحيم[17]!!!

(7) المعتقد السابع لماركيون: أنه كان يعتقد أن بولس هو الوحيد الذي أدرك حقيقة الفرق بين الإلهين: إله اليهود المنتقم العادل، والإله السامي[18].

ج- وقد نمت الطائفة الماركونية حتى صارت الثانية في العدد بعد الكنيسة المثلثة البولسية، واستمر وجودها في الغرب حتى القرن الرابع الميلادي، ثم تلاشت، واستمرت بقايا منها في الشرق حتى العصور الوسطى، ولازالت لها بقايا حتى الآن[19].

د- إذن الذي أود التركيز عليه في هذا الشأن هو:

(1) أن ماركيون كان يعتبر نفسه الأمين على عقائد بولس، ويروي عنه عقائد تخالف ما تنسبه له الكنائس المثلثة البولسية.

(2) أن كلًا من الطائفتين تتهم الأخرى بتحريف الكتب المقدسة.

ولا نملك دليلًا للحكم بين الفريقين، بل كل ما وصلنا عن ماركيون هو قول خصومه.

بل الأكثر في الغبش والضبابية عن ذلك النزاع؛ أن كتاب إيرينيوس (ضد الهرطقات) يعتقد جوستاف وينجرن[20] أنه كتب باليونانية في قرابة عام 180م، ولكن هذا الأصل قد فقد، ولم تبق إلا ترجمة لاتينية يشك في كتابتها ما بين عامي 200 أو 400م[21]. بالإضافة لبعض المقاطع من ترجمات سريانية وأرمنية[22].

إذن فالجهالة بأقوال ماركيون جهالة مركبة: فهي مروية عن طريق خصومه، في أصل مفقود، بين أصله وترجمته قرابة قرنين.

إذن فقد كان هناك **تحريف**، إما من فريق واحد، أو من كلا الفريقين، ولكن يستحيل أن يكون كلًا منهما صادقًا.

وهذا يعد دليلًا من **أقدم الأدلة التاريخية على وقوع التحريف في الكتاب المقدس لدى االنصارى من أوائل القرن الثاني الميلادي**، بل ماركيون يتهم الرسل من وقت بولس بالتحريف، أي **من القرن الأول الميلادي**.

وفي هذا رد قوي مفحم على بعض رجال الدين النصارى، مثل القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، الذين يزعمون أن المسلمين هم أول من ادعى تحريف الكتاب المقدس لدى النصارى، وأن هذا الأمر لم يكن مطروحًا من قبل القرآن الكريم، وأن النصارى البولسيين المثلثين وخصومهم -ممن يسمون بالهراطقة- كانوا يتجادلون حول العقائد دون الزعم بتحريف الكتاب المقدس لدى النصارى[23].

وسيأتي مزيد من الرد على هذه الشبهة -إن شاء الله- عند بحث تحريف الكتاب المقدس لدى النصارى.

---

15 ضد الهرطقات للقديس إيرينيوس- الفصل السابع والعشرون (تعاليم كيردو Cerdo، وماركيون Marcion)- فقرة: 2 ص: 115.

16 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ص: 482 و483.

17 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ص: 483 و484.

18 Encyclopædia Britannica, Marcion of Pontus.

19 Microsoft Encarta 2009, Marcion.

20 أستاذ اللاهوت النظامي في جامعة لُند بالسويد.

21 Encyclopædia Britannica, Irenaeus, Saint.

22 نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى القمص تادرس يعقوب ملطي- الفصل الثالث ص: 59.

23 الكتاب المقدس يتحدى نقاده والقائلين بتحريفه ص: 23.

(3) أن عقيدة ماركيون برفض تعاليم العهد القديم، تتفق مع ما في رسائل بولس، ويرجع ماركيون ذلك لأن تلك التعاليم من أوامر إله العهد القديم المنتقم الجبار مصدر الشرور، وهذه الثنوية رأى اثنان من الباحثين[24] أنها وجدت -أيضًا- لدى بولس، فيما نقله عن عقائد السامريين.

***

الملاحظة الثالثة:

لقد بدأ بولس معاديًا للمسيح -عليه السلام- وللمسيحيين أشد العداء كما ذكر النصارى عنه في كتابهم الذي يقدسونه.

وجاء في ذلك الكتاب أن من مظاهر هذا العداء: أن بولس كان مجدفًا ومضطهدًا و**مفتريا** وشاتمًا للمسيح.

كما جاء في رسالة بولس الأولى لتيموثاوس:

"1: 12 وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قواني، أنه حسبني أمينًا إذ جعلني للخدمة،

1: 13 أنا الذي كنت قبلًا مجدفًا ومضطهدًا ومفتريًا. ولكنني رُحمت، لأني فعلت بجهل في عدم إيمان"[25].

وفي النسخة اليسوعية: "مجدفًا مضطهدًا عنيفًا"[26].

وفي النسخة المشتركة: "أنا الذي جدف عليه واضطهده وشتمه"[27].

أي أن بولس اليهودي الفريسي -كما نقل عنه النصارى- عمل في خدمة كبير الكهنة الصدوقي مع الخلاف الشديد بين الفئتين، من أجل محاربة سيدنا المسيح -عليه السلام- واضطهاد المسيحيين.

مع أن طائفة الآبيونيين تنكر يهودية بولس أصلًا، وترى أنه كان يونانيًا، ولم يكن يهوديًا.

المهم أن بولس عمل مع رئيس الكهنة الصدوقي، الموالي للدولة الرومانية، لاضطهاد المسيحيين.

ثم فجأة تحول لمسيحي لرؤيا زعم أن رآها. وهنا أسأل سؤالين:

السؤال الأول: هل توقف افتراء بولس على المسيح -عليه السلام- أم استمر؟

سنرى أن بولس افترى على المسيح في أمور هامة:

الأول: المسيح -كما مر بنا- لم يدع في كتب النصارى التي يقدسونها -رغم تحريفها الذي أقر به العديد من رجال دينهم- أنه إله أو أقنوم من الثالوث، ولم يدع أحدًا لعبادته.

بينما بولس دعا لعبادة المسيح، وصدرت منه عبارات متناقضة فهم البعض منها تأليه المسيح، وفهم البعض أنه يعتبره كائنًا سماويًا فائقًا، خلق الله به البشر، وهو ما لم يقل سيدنا المسيح -عليه السلام- حرفًا واحدًا منه.

الثاني: أنه زعم أن المسيح صلب، من أجل تكفير الخطيئة الأصلية التي ورثها البشر عن أبيهم آدم عليه السلام، وهو ما لم يقل المسيح -عليه السلام- حرفًا واحدًا منه.

الثالث: أنه دعا بجرأة ووضوح لنبذ الشرائع الموسوية، وارتكاب ما تحرمه، مع أن سيدنا المسيح دعا صراحة -في الكتاب المقدس لدى النصارى- للعمل بها.

وهذا من أشد الافتراء على سيدنا المسيح عليه السلام، كما أشار إليه -رائد مقارنة الأديان- الإمام العظيم أبو محمد بن حزم رحمه الله، كما سأبين -إن شاء الله- عند البحث في الخلاف في الشرائع -بين الموحدين والبولسيين- في تاريخ المسيحية.

السؤال الثاني: هل توقف عداؤه للمسيح -عليه السلام- أم استمر؟

---

24 هما ميكائيل جولدر (Michael Goulder) محاضر في اللاهوت في جامعة بيرمنجهام ببريطانيا، وفرنسيس يونغ (Frances young) محاضرة في دراسات العهد الجديد بجامعة بيرمنجهام، في الفصلين الرابع والخامس من كتاب (The Myth of God Incarnate) (أسطورة تجسد الإله).

25 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس: 1: 12 و13 ص: 168.

26 النسخة اليسوعية- - العهد الجديد- رسالة القديس بولس الأولى إلى طيموتاوس: 1: 12 و13 ص: 661.

27 المشتركة- العهد الجديد- رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس: 1: 12 و13 ص: 321.

نقرأ في رسالة بولس لأهل غلاطية أنه يلعن سيدنا المسيح عليه السلام، حيث نسب له النصارى قوله:
"3: 13: المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: "ملعون كل من علق على خشبة"[28].

فهل توقف افتراء بولس وعداؤه لسيدنا المسيح عليه السلام؟
ثم إني أتساءل:
- أليس الملعون مطرودًا من رحمة الله؟ فكيف يهدينا ويقودنا المطرود من رحمة الله إلى رحمة الله؟
هل يمكن أن يهدينا الشيطان الملعون مثلًا إلى رحمة الله؟
- ثم كيف يكون الإله المعبود المستحق لصفات الكمال والجلال معلونًا؟؟؟
أليست هذه وثنية مفرطة مقيتة؟
بل يزيد أيضًا بأن للمسيح عارًا، فنسب له في الرسالة للعبرانيين:
"13: 12 لذلك يسوع أيضًا، لكي يقدس الشعب بدم نفسه، تألم خارج الباب.
13: 13 فلنخرج إذًا إليه خارج المحلة حاملين عاره"[29].
لقد وصف الله سبحانه المسيح -عليه السلام- في القرآن بأنه (عبده المخلوق الوجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين)، وليس ملعونًا ولا عارًا، قال سبحانه:
﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ **وَجِيهًا** فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ **يَخْلُقُ** مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ **كُنْ فَيَكُونُ** (47) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) **وَرَسُولًا** إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ **اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ** هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[30].

***

الملاحظة الرابعة:
تتعلق باعتراف بولس بأنه كان يكذب ويتلون من أجل نشر دعوته.
فأما عن كذبه فنسب له النصارى قوله في رسالته لأهل رومية:
"3: 7 فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده، فلماذا أدان أنا بعد كخاطئ؟"[31].
وأما عن تلونه فجاء في رسالته الأولى لأهل كورنثوس:
"9: 18 فما هو أجري؟ إذ وأنا أبشر أجعل إنجيل المسيح بلا نفقة، حتى لم أستعمل سلطاني في الإنجيل.
9: 19 فإني إذ كنت حرًا من الجميع، استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين.
9: 20 فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس.
9: 21 وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس - مع أني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس للمسيح - لأربح الذين بلا ناموس"[32].

28 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 3: 13 ص: 150.
29 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- الرسالة إلى العبرانيين: 13: 12 و13 ص: 184.
30 سورة آل عمران، آية: 45 إلى 51.
31 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 3: 7 ص: 121.
32 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 9: 18 إلى 21 ص: 135.

***

الملاحظة الخامسة:

عن تصوره الغريب الغامض عن الروح.

فقد نُسب لبولس أن عنده روح الله!!!

فقد جاء في رسالته الأولى لأهل كورنثوس:

"7: 40 ..... وأظن أني أنا أيضًا عندي روح الله"[33].

وأن -ما أسماه- الروح تفحص أعماق الله!!!

فجاء في نفس الرسالة:

"2: 10 فأعلنه الله لنا نحن بروحه لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله"[34].

***

الملاحظة السادسة:

حول تعظيم بولس لنفسه، حتى أنه يزعم أنه سيدين الملائكة، فقد جاء فيما نسب له في الرسالة الأولى لأهل كورنثوس:

"6: 3 ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة؟ فبالأولى أمور هذه الحياة!"[35].

وعن هذا كتب نبيل نيقولا جورج بو خاروف، المهتدي من النصرانية للإسلام:

"وأتساءل: من الذي فوض بولس ليحاسب الملائكة؟! وماذا فعلت الملائكة حتى تحاسب؟ ومن سيحاسب الملائكة غير خالقها؟ فهل نصب نفسه وأتباعه بدلاً من الخالق عز وجل؟ أليس هذا امتهان للعقل البشري، وتحقير من عظمة الله؟ تعالى الله عما يقول علواً كبيرا"[36].

***

33 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 7: 40 ص:135.

34 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 2: 10 ص: 132.

35 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 6: 3 ص: 133.

36 المسيحية هي دين الله أم دين بولس ص: 35.

ب- تأليه بولس للسيد المسيح -عليه السلام- واعتباره ابنًا لله سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا

اختلفت الآراء حول تعاليم بولس بشأن تأليه المسيح عليه السلام، وذلك بسبب تضارب عباراته: بين معان متضادة، أو تعبيرات مبهمة.

ويمكن تقسيم الآراء حول ما يفهم مما نسب لبولس بشأن هذا الأمر إلى ثلاثة آراء:

الرأي الأول: أن بولس يؤله سيدنا المسيح عليه السلام، ويعتبره ابنًا أزليًا لله سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

الرأي الثاني: أن بولس لا يؤله سيدنا المسيح عليه السلام، ولكنه يعتبره ابنًا مخلوقًا، فائقًا على كل المخلوقات، ولكنه لا يشترك مع الله سبحانه في الألوهية.

الرأي الثالث: أن الأقوال التي نسبت لبولس متناقضة، وتحمل العقيدتين السابقتين.

***

الرأي الأول: أن بولس يؤله سيدنا المسيح عليه السلام، ويعتبره ابنًا أزليًا لله سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

1- من الجدير بالذكر -بادئ ذي بدء- أن الأسفار التي يقدسها النصارى -ويسمونها الكتاب المقدس- لم ينقل فيها عن سيدنا عيسى بن مريم -عليه السلام- أنه قال: أنا الله، أو اتخذوني إلهًا، أو اعبدوني مع الله أو من دون الله، أو اسجدوا لي أو ما أشبه ذلك.

بل وردت في تلك الأسفار نصوص صريحة بأن سيدنا المسيح -عليه السلام- يعتبر نفسه عبدًا لله سبحانه وتعالى، وقد أقر علماء النصارى وكتابهم بذلك، كما نقلت آنفًا.

وبرروا ذلك بتأويلات متهافتة وتفسيرات متناقضة، لا زالوا يتصارعون حولها إلى اليوم.

وأول من نسب له عبارات فهم منها البعض -وخالف آخرون- أن المسيح إله مع الله، أو من جوهر الله، هو بولس، ثم تلاه في ذلك كتبة[1] إنجيل يوحنا، لأن بولس أسبق كتابة من كُتَّاب الأناجيل، كما سأبين إن شاء الله.

كما سيأتي -إن شاء الله- أن القول بأن عيسى -عليه السلام- عبد مخلوق لله سبحانه كان هو القول السائد في القرون الأربعة الأولى بعد المسيح عليه السلام، إلى أن تغلبت الكنيسة البولسية المتحالفة مع الدولة الرومانية، فاضطهدت القائلين بعبودية عيسى عليه السلام، إلى أن ظهر نور الإسلام في القرن السابع الميلادي بالتوحيد الخالص، وأن رسل الله بما فيهم خاتمهم سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشر مخلوقون عبيد لله، فدخل الناس في دين الله أفواجًا.

قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[2]. وقال جل ذكره لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3]. وفي هذه الآية الكريمة إثبات عقيدتين كريمتين:

الأولى: عبودية سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لله سبحانه.

والثانية: أن النجاة في الآخرة هي بالعمل الصالح، خلافًا لعقيدة (الخطيئة الأصلية والصلب والفداء) التي اخترعها بولس، أو هي في الحقيقة (**الجريمة الأصلية**) في حق البشرية، كما سأبين إن شاء الله.

***

2- وغني عن الذكر أن تأليه المسيح -عليه السلام- هو ما تعتقده الكنائس البولسية الحالية (الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية)[4]، وتخالفهم -حاليًا- في ذلك طوائف نصرانية قليلة العدد مثل شهود يهوه، وطائفة الموحدين، وتيارات نصرانية معاصرة أخرى مثل مدرسة (موت الإله) التي أشرت لها سابقًا، ومثل حركة (العودة ليسوع)[5].

***

3- ويؤيد نسبة هذه العقيدة لبولس -سوى الكنائس البولسية- عدد من الباحثين منهم:

---

1 سيأتي -إن شاء الله- أن الراجح لدى علماء النصارى وأحبارهم؛ أن إنجيل يوحنا قد كتبته مجموعة من الكتاب المجهولين، أو ما يسمونها بالمدرسة أو الدائرة اليوحناوية.
[النسخة اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل يوحنا- مدخل إلى الإنجيل كما رواه يوحنا ص: 286.

Encyclopædia Britannica, biblical literature, New Testament canon, texts, and versions, The fourth Gospel: The Gospel According to John].

2 سورة النساء، آية: 172.

3 سورة الكهف، آية: 110.

4 راجع حول التصور الكنسي: دائرة المعارف الكتابية- حرف الباء- بولس الرسول- ثالثًا: تعليمه- 1- المسيح، و2- الروح مج: 2 ص: 270 وما بعدها.
وكذلك تاريخ الفكر المسيحي- المسيح في رسائل بولس: مج: ج:3 ف: 1 ص: 384 وما بعدها.

5 دائرة المعارف الكتابية- حرف الباء- بولس الرسول- ثالثًا: تعليمه مج: 2 ص: 277.

أ- الأستاذ نيقولا جورج بوخاروف، المهتدي من النصرانية للإسلام، حيث استعرض أمثلة من أقوال بولس، يرى أنها تفيد أن بولس قد أله سيدنا المسيح عليه السلام، وأنه قد ذكر أن المسيح -عليه السلام- هو الرب مع الله سبحانه وتعالى، فكتب:

"وضع بولس الباحثين من العلماء في حيرة من أمرهم عندما تلاعب بالألفاظ والألقاب التي نقلها من بعض المعتقدات التي وفدت إليه من فلسفات قديمة ومن روابسب الديانات الوثنية التي كانت سائدة في بلاده، فأدمجها في رسائله، كفكرة المشيئة (القوة، القدرة) التي اختلف فيها المسيحيون الفلاسفة فيما بعد أهي واحدة للاب والابن أم هما مشيئتان، وكذلك طرح فكرة (الطبيعة) أهي إلهية أم ناسوتية (بشرية)؟ أم مشتركة؟ وفي إطلاق لفظة الجلالة على الله واسم الرب على المسيح كألفاظ مفردة أم مركبة تركيباً إضافياً، وفكرة قدسية المسيح وألوهيته التي لم يقل بها أحد من قبله، فهذه الأفكار تطورت عبر السنين فطرحت أفكار جديدة مشابهة، فاختلفت حول طبيعة الروح، أهي عقل الله أم كائن أزلي؟ وفي طبيعة الروح القدس أهو مخلوق من الآب أم منبثق عنه أم عن الاب والابن؟ وهل تجسد الله نفسه في المسيح أم أرسل المسيح ليتجسد؟ فهذه الأفكار أدت إلى انشقاق صفوف النصارى الأوائل من القرن الأول الميلادي حتى منتصف القرن الثالث طيلة ثلاثة قرون، كانت هناك معارك فكرية جارية بين تيارين أساسيين: الأول (النصرانية التوحيدية) بإشراف تلاميذ المسيح (عليه السلام) وأتباعهم من الموحدين في أرض كنعان أرض (فلسطين) وبين التيار (النصراني البولسي) التابع للامبراطورية الرومانية الوثنية بزعامة بولس وأتباعه، فنشبت المعارك الطويلة بينهما حتى انتصر التيار الوثني على الموحدين في القرن الثالث الميلادي برآسة[6] الامبراطور الوثني (قسطنطين)

....

وفيما يتعلق بمدى صحة نسبة ألوهية المسيح لبولس نتتبع أقواله في رسائله في وصف المسيح وعلاقته بالله والناس، ونستخلص من نصوصه التالي:

أولاً: تأليه المسيح:

يعطي بولس الطبيعة الإلهية الكاملة للسيد المسيح فيقول: "ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الآبد آمين". "رومية9-5".

في هذا نص نرى بولس يعطي الطبيعة الإلهية الكاملة للمسيح كما لله طبيعة إلهية كاملة.

ثانياً: المسيح بين الناسوت واللاهوت:

يربط بولس بين الناسوتية (البشرية) التي عرفها عن المسيح وبين لاهوتيته (الألوهية) التي منحها للمسيح فيقول في رسالته إلى فيلبي:

"الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله.

لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس"."فيلبي2-6-8".

أي أن المسيح كان له دائماً نفس طبيعة الله -حسب زعمه- ولكنه لم يفكر في أن يصبح مساوياً لله بواسطة القوة (المشيئة) بل تخلى عن هذه القوة وأخذ طبيعة الخادم فأصبح إنساناً وتجسد في شكل بشر.

فنستخلص من هذا النص أن المسيح كان له مشيئة (القوة) غير مشيئة الله تخلى عنها بإرادته وتجسد بكامل الناسوتية (بشراً) كاملاً فأصبح ناسوتياً (بشرياً) كاملاً.

ثالثاً: ذكر اسم الله (الآب) مقروناً بالرب يسوع (المسيح) في كثير من رسائله:

1- نسب بولس الأبوة الحقيقية للمسيح فقال: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح"."أفسس 1-3"

يشير هذا النص إلى أن الشكر لله الذي هو أبو المسيح.

---

6 أرجو أن ينتبه القارئ أني أحرص -إلى حد كبير- أن أنقل الاقتباسات كما هي من حيث الإملاء وعلامات الترقيم.

2- يصف بولس المسيح رباً للبشرية فيقول: "تمجدوا الله أبا ربنا يسوع المسيح بنفس واحدةٍ وفم واحدٍ"."رومية15-6"

وأيضاً قوله: " بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات"."رومية4-24"

وأيضاً قوله: " فاذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح"."رومية5-1""[7].

***

ب- كذلك يرى هذا الرأي المؤرخ الأمريكي مايكل هارت، مؤلف الكتاب الشهير (المائة: قائمة بأعظم الناس أثرًا في التاريخ)، حيث نقل عنه المهندس أحمد عبد الوهاب قوله:

"إن المسيحية لم يؤسسها شخص واحد، وإنما أقامها اثنان: المسيح وبولس. فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية وكذلك نظرتها الروحية وما يتعلق بالسلوك الإنساني، أما مبادئ اللاهوت فهي من صنع بولس. فالمسيح هو صاحب الرسالة المسيحية، ولكن بولس أضاف إليها عبادة المسيح،

....

إن عددًا من الباحثين يرون أن مؤسس الديانة المسيحية هو بولس، وليس المسيح، وليس من المنطق في شيء أن يكون المسيح مسؤولا عما أضافته الكنيسة أو رجالها إلى الديانة المسيحية، فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه".

ثم يضيف عن أفكار بولس:

"إن يسوع لم يكن فقط نبياً بشراً، بل كان إلهاً حقاً، وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر، وأنه إذا آمن الإنسان بيسوع المسيح فسوف تغفر خطاياه.

وبولس هو الذي أوضح فكرة الخطيئة الأولى، وأعلن أنه لا داعي للتمسك بكثير من الشعائر اليهودية في الطعام والطهارة، ولا داعي للتمسك بتعاليم موسى، لأن تطبيق ذلك ليس كافياً لخلاص الإنسان.

لكن المسيح لم يكن يبشر بشيء من هذا الذي قاله بولس الذي يعتبر المسئول الأول عن تأليه المسيح"[8].

***

ج- كذلك يؤيد هذا الرأي المهندس أحمد عبد الوهاب، حيث ينقل عن إيه إم هنتر في كتابه (PAUL AND HIS PREDECESSORS, p: 81- 84):

"لقد أنكر ولهلم بوسيه أن تكون الكنيسة الأولى قد عبدت المسيح أبداً كرب، فقد كانت عقيدة المسيحيين الأوائل فيه تجزم أنه "ابن الإنسان".

أما الصلاة إليه كرب، أو التوسل باسمه في الشفاء والرقية والتعميد، كل ذلك قد جاء فيما بعد، وقد لعب بولس فيه دوراً كبيراً ولا شك".

ثم يضيف المهندس أحمد عبد الوهاب:

"نعم ... لقد لعب بولس الطور الأكبر في الدعوة إلى ألوهية المسيح، وكانت رسائله أقدم كتب قبلتها الكنيسة، ودعا فيها المسيح ابن الله، بنوة حقيقية -لا مجازية- باعتبار "الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد" فكان بذلك أول دعي مسيحي يقول: لله ولد"[9].

***

د- ومن مؤيدي هذا الرأي أيضًا الشيخ محمد تقي العثماني، حيث كتب عن بولس:

"ويقول في رسالته إلى الكولسيين:

---

7 المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم هي ديانة بولس؟ ص: 79 إلى 83.

8 حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص: 42.

9 حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص: 47 و48.

"فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًا".

لقد رأيت أن الحواريين قد استخدموا لسيدنا المسيح -عليه السلام- كلمة "الرب" أو "ربي" التي معناها في ضوء الدلائل المذكورة أعلاه هو "المعلم"، لكنهم لم يستخدموا له في موضع ما كلمة "الألوهية" أو "التجسد" وإنما نجد هذه العقيدة أول ما نجد عند "بولس""[10].

***

10 ما هي النصرانية ص: 114 و115.

الرأي الثاني: أن بولس لا يؤله سيدنا المسيح عليه السلام، ولكنه يعتبره ابنًا مخلوقًا، فائقًا على كل المخلوقات، لا يشترك مع الله -سبحانه- في الألوهية.

1- استدل أصحاب هذا الرأي بنصوص وردت في الرسائل المنسوبة لبولس، تدل على التوحيد، وأنه لا يساوي بين المسيح -عليه السلام- والله سبحانه وتعالى، ومن أمثلة تلك النصوص:

- ما جاء في الرسالة الأولى لأهل كورنثوس:

"8: 4 فمن جهة أكل ما ذبح للأوثان: نعلم أن ليس وثن في العالم، وأن ليس إله آخر إلا واحدًا.

8: 5 لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة، سواءٌ كان في السماء أو على الأرض، كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون،

8: 6 لكن لنا إله واحد الآب: الذي منه جميع الأشياء، ونحن له. ورب واحد: يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء، ونحن به"[1].

ففي هذا النص يفرق بولس بين الله -سبحانه- الذي منه جميع الأشياء، ويسوع الرب الذي به جميع الأشياء، ففي هذا النص يقترب بولس من عقيدة الآريوسين، الذين اعتقدوا أن الله -سبحانه- قد خلق المسيح -عليه السلام- قبل كل المخلوقات، ثم خلق بواسطة المسيح -عليه السلام- جميع المخلوقات.

- ومثل ما جاء في نفس الرسالة من تسوية بين آدم والمسيح -عليهما السلام- في الإنسانية:

"15: 21 فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضًا قيامة الأموات.

15: 22 لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيحيا الجميع"[2].

- وماجاء في رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس:

"2: 5 لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح"[3].

***

2- وذكرت الدكتورة بسمة جستنية أن أصحاب هذا الرأي يستندون -أيضًا- إلى أن النص المشهور في الرسالة إلى أهل رومية: 9: 5:

"ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الآبد. آمين"[4]. هذا النص اختلفت ترجماته، ففي بعض الترجمات مثل الترجمة القياسية المراجعة جاء النص كالآتي:

"وإليهم ينتسب الآباء، ومن جنسهم المسيح حسب الجسد. تبارك الله الذي هو فوق كل شيء إلى الأبد. أمين".

وتتفق مع هذا ترجمة (إنجليزية اليوم) حيث تجعل التبريك خاصًا بالله فقط، ولا تنسب للمسيح ألوهية[5].

وقد ردت عليهم الدكتورة بسمة جستنية، كما سيأتي -إن شاء الله- في بيان الرأي الثالث القائل بتناقض بولس.

***

3- ويؤيد هذا الرأي؛ بأن بولس لا يؤله سيدنا المسيح عليه السلام: الأستاذ أكرم حسن مرسي، المهتدي من الإسلام إلى النصرانية، حيث كتب:

"فهَذَا بُولُس رسول النصرانية حَرَّمَ عَلَيْهِم مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُم فِي رَسَائِلِهِ مِنْ أَحْكَام وَتَعَالِيمَ وَعَقَائِدَ .. وَظَلَّ يَنْقُض الشَّرِيعَةَ بِرَأْيِهِ هُوَ فَسَلَكُوا نَهْجَهُ دُونَ تَفَحُّصٍ أو نَظْرَةٍ مِنْهُم؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ....

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 8: 4- 6 ص: 135.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 15: 21 و22 ص: 139.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس: 2: 5 ص: 168.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 9: 5 ص: 126.

5 تحريف رسالة المسيح -عليه السلام- عبر التاريخ ص: 179.

وهذا لا يعنى أن بولس الرسول قد بدل دين المسيح تمامًا؛ بل كان موحدًا وليس مُجسدا أو مُثلثًا .... وفي نفس الوقت كان متناقضًا متخبطًا بسبب عداوته مع بقية التلاميذ وغير ذلك ... !

جاء في رسالته الأولى إلى تيموثاوس أصحاح 1 عدد 17

"وَمَلِكُ الدُّهُورِ الَّذِي لاَ يَفْنَى وَلاَ يُرَى، الإِلهُ الْحَكِيمُ وَحْدَهُ، لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ".

ومن ضلالاته الفداء والصلب، وتحليله للطعام والشراب المُحرم، ورفع عهد الختان.

....

وَالمُشاهدُ فِي زَمَانِنَا أن دِين النصرانية يَتَحَكَّمُ فِيهِ الآباء الكهنة مِنْ لَدُنِ بُولُس الرسول إِلَى الرُّهْبَانِ والقَسَاوِسَةِ بِدَرَجَاتِهِم الكَهَنُوتِيَّةِ؛ فمنهم من ظن أنه يملك مفاتيح الجنة بصكوك الغفران، ومنهم بطقس الاعتراف والتناول .... فأحلوا ما حرم الله، وعُبدوا من دون الله، وجعلت كلمتهم على رعيتهم العليا ... فكنزوا الأموال، واستحيوا النساء .. !

هم أمس واليوم وغدا مثل الفريسيين الذي غيروا تعاليم التوراة وحاربهم يسوع المسيح بكل ما أوتي من قوة ... فما أشبه اليوم بالبارحة"[6].

***

4- ويؤيد هذا الرأي شارل جنيبير[7]، وهو يبين كيف قدَّم بولسُ المسيحَ للوثنيين المتأثرين بالثقافة والفلسفة اليونانية، حيث كتب:

"أن السيد عيسى يُصور لنا ابنا لله. ولكن فكرة الله، بالنسبة الى بولس، تدخل ضمن ميراثه من العقيدة اليهودية. وقد نتج عن هذا أن االتوحيد اليهودي يفرض نفسه على عقله فرضا مطلقا سابقا لكل الأمور الأخرى. والاله عنده هو "الأعلى"، المتميز تماما عن الطبيعة والذي لا ينتشر فيها على أية صورة من صور وحدة الوجود. فكيف اذن يتأتى أن يكون له ابن؟ أو -بعبارة أخرى- كيف تفهم علاقة البنوة التي يراها بولس بين السيد والله".

ثم يشرح شارل جنيبير كيف أن اليهود كانوا يطلقون عبارة "خادم يهوه" على كل إنسان يظنون لديه إلهامًا، وأن هذه الكلمة ترجمت في اليونانية إلى كلمة خادمه (بايدوس) اليونانية (παιδσς)، التي يمكن ترجمتها إلى عبده أو فتاه، التي تحولت إلى ابنه.

ولكنه يرى أن الأمر عند بولس أعمق من ذلك، فكتب:

"إلا أن التحليل الدقيق لكتابات صاحبنا يدل على أنه كان أكثر عمقا في التفكير من أن يتنزل إلى مثل هذا التلاعب الهزيل بالالفاظ. ويكفي لاثبات ذلك أن نذكر النص المشهور من "الرسالة إلى أهل روما" (32/8)، حيث يقول: ان الله "لم يعف ابنه نفسه وضحى به من أجلنا جميعا". ولكن بولس لم يكن ليدرك في ذلك الوقت كل ما ترتب على مفهوم "ابن الله" بعد ذلك من مشاكل في فلسفة الدين لا تحصى.

....

أما ما يجب تجنبه في هذا المجال، فهو القول بأن هناك خلطا بين "السيد" وبين "الله"؛ فمثل ذلك الخلط لا يمكن تصوره لدى بولس الذي لم يكن لتخطر على باله فكرة "الثالوث". أن "السيد"، عنده، يهمن عليه الله (انظر "الرسالة الأولى الى أهل كورينثيا"، 3/ 23)، وهو طوع أمر الله "حتى الموت" (انظر "الرسالة الى أهل فيلبيا"، 2/ 8)، وخاضع له تمام الخضوع (انظر "الرسالة الأولى الى أهل كورينثيا"، 15/ 28). ولا نجازف بالقول عندما نرى أن نص "الرسالة الأولى الى أهل كورينثيا" (8/ 6) يحكم سائر جوانب المسألة. وفيما يلي هذا النص: "بالنسبة الينا نحن على الأقل، ليس هناك سوى اله واحد ......". وهكذا، فمهما بلغ أمر "السيد" من خطورة ووجوب بالنسبة إلى عمل الله، فإنه لا يتساوى معه قط.

......

6 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيا ص: 122.

7 أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس.

وتلك هي العلاقة الوثيقة التي عبر عنها بلغة البشر عندما قال: ان "السيد" هو "ابن الله"، دون ان يفترض هذا التعبير ايمانا بنظرية البنوة في معناها الحرفي.

وإذا أردنا التحديد، وجب القول بأن بولس كان يرى أن "السيد" يمثل بمفرده "صنفا من أصناف الخليقة"، يعتبر أقرب صنف الى الله"[8].

***

5- ونجد فيما كتبه إي بي ساندرز[9] -في الموسوعة البريطانية- عن طبيعة المسيح في عقيدة بولس مثالًا جيدًا لهذا الرأي، حيث كتب مستندًا لما في الكتاب المقدس لدى النصارى:

"في البداية كان ليسوع اسمًا واحدًا؛ يسوع، وكان يشار إليه بـ"يسوع من الناصرة" (متى 21: 11)، أو "ابن يوسف" (لوقا 4: 22)، أو "يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة " (يوحنا 1: 45) إذا دعت الحاجة لتدقيق أكثر.

وربما بدأ تلاميذه في حياته يظنون أنه المسيح ("كريست" في الترجمة اليونانية)، الشخص الممسوح الذي سيعيد مجد إسرائيل.

وبعد موته وقيامته واظب أتباعه على تسميته بالمسيح (أعمال: 2: 36 "أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًا ومسيحًا ")

وفي مرحلة ما بدأ أتباعه يشيرون له بـ"ابن الله".

واستعمل بولس كلًا من "المسيح" و"ابن الله" بحرية، وكان -أيضًا- المسؤول عن الاستخدام الواسع لـ"المسيح"، كما لو كان اسم عيسى وليس لقبه.

وقد توقعت العديد من الجماعات اليهودية ملوكًا مختلفين أو ممسوحين، أو حتى لم يتوقعوا شيئًا على الإطلاق، ولهذا لم تعبر هذه الألقاب عن معان محددة حينما بدأ المسيحيون في استخدامها.

وقد استخدم "ابن الله" في التوراة اليهودية مجازيًا (الله هو الأب، والبشر أبناؤه)، واستمر هذا الاستعمال في أدب ما بعد التوراة. والشعب اليهودي عامة يمكن أن يسمى "أبناء الله"، والمفرد "ابن الله" يمكن أن ينطبق على أشخاص لهم قرب معين من الله. ولأن كلًا من "المسيح" و"ابن الله" لا يمكن أن يحملا تلقائيًا معنى محددًا، فلا بد أن يتحدد مدلول هذين المصطلحين بناء على دراسة كيف يستخدمها أي كاتب.

ولا يمكن أن يعلم بالتحديد ماذا عنى بولس بـ"المسيح" و"ابن الله". فيبدو أنه عرف شخص عيسى غيبيًا (مثلًا: أنه كان نصف إنسان ونصف إله). ففي فيلبي 2: 6-11 يقرر بولس أن المسيح كان سابق الوجود، وجاء للأرض: وأنه "أخلى نفسه آخذًا صورة عبد صائرًا في شبه الناس". وهذا يُبين كما لو أن عيسى كان كائنًا سماويًا ظهر فقط على أنه بشر. ولكن في رومية 1: 1-6 كتب بولس أن الله قد عين يسوع لأن يكون "ابن الله" بإقامته من الأموات. وهذا يُبين كما لو أن يسوع كان كائنًا بشريًا تم تبنيه.

ورغم أن كلا الرأيين -أن يسوع لم يكن بشرًا حقيقيًا، ولم يكن إلهًا حقيقيًا- كان لهما تاريخ طويل في المسيحية، إلا أن الكنيسة قررت في منتصف القرن الخامس: أن يسوع كان إلهًا تامًا وأيضًا بشرًا تامًا. وهذا الحل يبدو أنه لم يكن في ذهن بولس، وقد استغرق عدة قرون من الجدال ليتطور".

ثم كتب عن العودة الثانية للمسيح -عليه السلام- بناء على النصوص التي نسبت لبولس:

"وعندما يهزم المسيح كل أعدائه -بما فيهم الموت- فإنه سيعيد الخلق لله، حتى يكون الله هو "الكل في الكل" (1كورنثوس 15: 20- 28، رومية: 8: 18- 25). فأظهر بولس بهذه النظرة الواسعة للفداء للنظام المخلوق أنه يؤمن بعمق بإله واحد صانع السموات والأرض، وبالأهمية الكونية لابنه (يسوع المسيح)"[10].

---

8 المسيحية نشأتها وتطورها ص: 105 إلى 107.

9 أستاذ الديانة بجامعة دوك.

10 Encyclopædia Britannica و Paul, the Apostle, Saint.

والنص الأصلي هو:

فالذي يستفاد من استقراء إي بي ساندرز للنصوص المنسوبة لبولس:

أ- أن لقب (المسيح) ولقب (ابن الله) لم يكن لهما معان محددة عند اليهود ولا المسيحيين الأوائل.

ب- وأنه لا يمكن أن يعلم بالتحديد ماذا عنى بولس بـ(المسيح) و(ابن الله).

ج- وأن بولس كان يتكلم عن المسيح أحيانًا وكأنه كائن سماوي، وأحيانًا كأنه كائن بشري.

د- وأن تصور الكنيسة المثلثة عن المسيح لم يدر بخلد بولس.

هـ- وأن بولس يظهر إيمانه بالله الواحد عند كلامه عن العودة الثانية للمسيح.

***

6- وقد أيد هذا الرأي الأستاذ محمد شاهين التاعب وفقه الله، وعرضه عرضًا جيدًا في كلمة مرئية[11]، وكانت خلاصة رأيه:

أ- أن بولس لا يؤله المسيح، وأن عقيدته أقرب إلى الآريوسية، وبالتالي فهو لا يؤمن بعقيدة تجسد الله في المسيح عليه السلام.

ب- ويبني رأيه على أساس أن الرسائل السبعة التي يُجْزَم بنسبتها لبولس وهي (من الأقدم للأحدث: 1- الرسالة الأولى لأهل تسالونيكي، 2- الرسالة الأولى لأهل كورنثوس، 3- الرسالة الثانية لأهل كورنثوس، 4- الرسالة لأهل غلاطية،

"Originally, Jesus had only one name, "Jesus"; he was referred to as "Jesus from Nazareth" (Matthew 21:11), "Joseph's son" (Luke 4:22), or "Jesus son of Joseph from Nazareth" (John 1:45) when greater precision was necessary. During his lifetime his disciples may have begun to think of him as the Messiah ("Christ" in Greek translation), the anointed one who would restore the fortunes of Israel. After his death and resurrection, his followers regularly referred to him as the Messiah (Acts 2:36: "God made him both Lord and Messiah"). At some point, his adherents also began to refer to him as "Son of God." Paul employed both "Christ" and "Son of God" freely, and he is also responsible for the widespread use of "Christ" as if it were Jesus' name rather than his title.

....

Various Jewish groups, however, expected different kings or messiahs or even none at all, and these titles therefore did not have precise meanings when the Christians started using them. "Son of God" in the Hebrew Bible is used metaphorically (God is the father, human beings are his children), and this usage continued in postbiblical Jewish literature. The Jewish people in general could be called "sons of God," and the singular "son of God" could be applied to individuals who were especially close to God. Since neither "messiah" nor "son of God" automatically conveys a specific meaning, the significance of these terms must be determined by studying how each author uses them.

What Paul meant by "Christ" and "Son of God" cannot be known with certainty. He seems not to have defined the person of Jesus metaphysically (for example, that he was half human and half divine). In Philippians 2:6–11 Paul states that Christ Jesus was preexistent and came to earth: he "emptied himself, taking the form of a slave, being born in human likeness." This sounds as if Jesus was a heavenly being who only appeared to be human. In Romans 1:1–6, however, Paul writes that God declared Jesus to be "Son of God" by raising him from the dead. This sounds as if Jesus was a human being who was "adopted." Although both views—that Jesus was not really human and that he was not really divine—would have a long life in Christianity, the church decided by the middle of the 5th century that Jesus was both entirely divine and entirely human. This solution, however, seems not to have been in Paul's mind, and it took centuries of debate to evolve.

....

Once Christ defeated all of his enemies, including death, he would turn creation over to God, so that God would be "all in all" (1 Corinthians 15:20–28; Romans 8:18–25). In this grand vision of the redemption of the created order, Paul shows how deeply he believed in one God, maker of heaven and earth, and in the cosmic importance of his Son, Jesus Christ".

11 راجع: قناة الدعوة الإسلامية- محمد شاهين التاعب- شريط (مدخل إلى دراسة المسيحية 37 بولس الرسول لا يؤمن بعقيدة الثالوث أو التجسد) الدقيقة (3,35) وما بعدها.

5- الرسالة لأهل فيلبي، 6- الرسالة إلى فيلمون، 7- الرسالة إلى أهل رومية) لم يُعَلِّم فيها بولس بعقيدة الثالوث، ولا بعقيدة التجسد المبنية على الثالوث.

ج- وأورد عددًا من الأمثلة من رسائل بولس، التي تدل على أنه يعتقد بوحدانية الله، وأن المسيح -عليه السلام- خاضع له، منها مثلًا:

- ما جاء في الرسالة الأولى لأهل تسالونيكي:

"1: 1 بولس وسلوانس وتيموثاوس، إلى كنيسة التسالونيكيين، في الله الآب والرب يسوع المسيح: نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح"[12].

فهنا يفصل بولس بين الله سبحانه وتعالى، وبين الرب يسوع.

- والرسالة إلى أهل أفسس:

"1: 17 كي يعطيكم إلهُ ربِّنا يسوعَ المسيح، أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته"[13].

- ومثل ما جاء في الرسالة الأولى لأهل كورنثوس، التي يعلن فيها أن المسيح -عليه السلام- سيخضع لله، الذي سيكون (الكل في الكل):

" 15: 24 وبعد ذلك النهاية، متى سلم الملك لله الآب، متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة.

15: 25 لأنه يجب أن يملك حتى "يضع جميع الأعداء تحت قدميه".

15: 26 آخر عدو يبطل هو الموت.

15: 27 لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه. ولكن حينما يقول: "إن كل شيء قد أخضع"، فواضح أنه غير الذي أخضع له الكل.

15: 28 ومتى أخضع له الكل، فحينئذ الابن نفسه أيضًا سيخضع للذي أخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل"[14].

د- ولكنه ذكر أن هناك نصًا في الرسالة لأهل غلاطية يمكن أن يفهم على أكثر من وجه:

"1: 1 بولس، رسول لا من الناس ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات"[15].

فيفهم من النص نفي الإنسانية عن سيد المسيح، ولكنه يرى أن هناك نصوصًا أخرى تنفي الإلهية عن سيدنا المسيح عليه السلام، وأن يولس وإن نفى الإنسانية عن سيدنا المسيح عليه السلام، فإنه لا يعتقد بكونه إلهًا، ولكن يرى أنه كائن سماوي مخلوق متفوق على سائر المخلوقات.

ولكن يُرد على هذا الرأي بالتالي:

أولًا: إن كل رسائل بولس -بما فيها السبع التي ذكرها- لا يمكن إثبات نسبتها له، فكل ما ليس له أصل ولا سند صحيح، فهو غير ثابت.

ثانيًا: إن هناك من العلماء من يشكك في نسبة هذه الرسائل السبع لبولس، كما سيأتي -إن شاء الله- عند بحث جهالة كتبة الكتاب المقدس لدى النصارى.

ثالثًا: إن سلمنا بنسبة هذه الرسائل السبع لبولس، فإن فيها نصوصًا تنسب الألوهية للسيد المسيح عليه السلام، مثل ما جاء في الرسالة إلى أهل رومية:

"9: 5: ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الآبد. آمين"[16].

---

12 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي: 1: 1 ص: 163.

13 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس: 1: 17 ص: 153.

14 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 15: 24 إلى 28 ص: 139 و140.

15 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 1: 1 ص: 149.

16 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 9: 5 ص: 126.

ومثل ما جاء في الرسالة الثانية لأهل كورنثوس:

"4: 4 الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله"[17].

***

17 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: 4: 4 ص: 143.

الرأي الثالث: أن الأقوال التي نسبت لبولس متناقضة، وتحمل العقيدتين السابقتين.

اعتبر العديد من الباحثين؛ أن النصوص المنسوبة لبولس تحوي تناقضات، فهو يصف سيدنا المسيح -عليه السلام- أحيانًا بأوصاف تدل على بشريته، وأنه مرسل من الله، وأحيانًا أخرى يصفه بصفات الألوهية.

ومن هؤلاء الباحثين المهندس أحمد عبد الوهاب، حيث كتب:

"من الواضح أن بولس لا يعبر إلا عن فكر مضطرب في المسيح، فهو يكاد يخلط بينه وبين الله حيناً (**مخلصنا الله** .. سلام من الله الآب **والرب يسوع مخلصنا** - تيطس 1:3-4) ثم يركز على أن المسيح ابن الله في أغلب الأحيان.

إن لغة أسفار العهد القديم قد تحدثت عن "بنوة" لله حين أشارت إلى الشعب الإسرائيلي وبعض أنبيائه، لتعني بذلك المحبة والرعاية من الله لخلقه، ولا شيء غير هذا.

وكذلك تحدثت الأناجيل عن تلك البنوة بنفس المفهوم الذي لا يعطي للمسيح وضعاً يميزه عن سائر المؤمنين.
ويكفي التذكرة هنا بما أورده إنجيل يوحنا على لسان المسيح، مشيراً إلى الله: "أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم - يوحنا 20:17".

لكن دعوة بولس للمسيح بأنه ابن الله، جاءت -كما يقول هنتر- منقطعة النظير، فهي شيء يختلف تماماً عن لغة أسفار العهد القديم، ولغة الأناجيل ورسائل التلاميذ، لأنها تقوم على الألوهية الأزلية للمسيح"[1].

***

ومن مؤيدي هذا الرأي أيضًا الدكتور منقذ بن محمود السقار، حيث كتب أن رسائل بولس:

"تمتلئ بالغلو في المسيح، والنصوص التي تعتبر المسيح كائنًا فريدًا عن البشر.

فماذا في أقوال بولس عن المسيح؟ وهل يعتبره رسولًا أم إلهًا متجسدًا أم ..

عند التأمل في رسائل بولس نجد إجابة متناقضة بين رسالة وأخرى، إذ ثمة نصوص تصرح ببشرية المسيح، وثمة أخرى تقول بألوهيته فهل هذا التناقض يرجع إلى تلون بولس حسب حالة مدعويه أم أنه متوافق مع تطوير بولس لمعتقده في المسيح؟

أم أن التناقض يرجع إلى ما تعرضت له الرسائل من تغير وتبديل .. هذا كله يبقى محتملًا من غير ترجيح.

فمن النصوص التي تحدثت عن المسيح كعبد من البشر يتميز عنهم بمحبة الله له واصطفائه قول بولس: "يوجد إله واحد، ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح" (تيموثاوس (1) 2/ 5).

ومثله يقول معترفًا بوحدانية رب الأرباب "أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح، الذي سيبينه في أوقاته، المبارك، العزيز، الوحيد، ملك الملوك، ورب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت .. " (تيموثاوس (1) 6/ 14-16)، فالمسيح رب ولكن الله وحده رب الأرباب.

....

لكن لبولس نصوص أخرى تبالغ في وصف المسيح حتى تكاد تجعله ابنًا حقيقيًا لله لكثرة ما فيها من الغلو

....

"الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله .." (رومية 8/ 32).

....

ويقول جاعلًا المسيح هو الله -كما في الترجمة المتداولة- : "عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد"[2] (تيموثاوس (1) 3/ 16)"[3].

***

1 حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص: 45 و46.

2 سيأتي -إن شاء الله- بيان المشاكل في ترجمة هذا النص.

3 الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟ ص: 199 و200.

ومن مؤيدي هذا الرأي أيضًا الدكتورة بسمة أحمد جستنية في كتابها القيم (تحريف رسالة المسيح -عليه السلام- عبر التاريخ)، الذي كان أطروحتها في نيل الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

فقد خلصت بعد استعراض الآراء المختلفة فيما يفهم من أقوال بولس حول تأليه سيدنا المسيح عليه السلام، وما زعمه بولس من بنوة المسيح -عليه السلام- للمولى سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، خلصت إلى:

"وبهذا يصح لنا أن نقول أن بولس يقول بألوهية المسيح، أو على الأقل أنه ذو طبيعة إلهية، بل إن هذا الحكم ليس مجرد استنتاج من استقراء النصوص على النحو الذي ذكرناه، ولكن جاء إطلاق وصف الألوهية عليه صراحة حيث يقول: "الكائن على الكل إلهاً مباركاً للأبد".

كما يظهر في كلام بولس التناقض الشديد في موقفه من المسيح -عليه السلام- فمرة يجعله ابناً ومرة يقول بالحلول والتجسد الإلهي فيه، ومرة يفصل بينه وبين الإله، وهذا لا شك حال الكذبة المفترين والمبتدعين"[4].

***

والذي يتبين لي -والله أعلم- أن بولس متناقض، سواء تعمد هذا التناقض، أم جاء كتطور فكري في تقلبه العقدي، فحينًا يتحدث عن سيدنا المسيح -عليه السلام- على أنه بشر مرسل من الله، وحينًا يفهم من كلامه عقيدة قريبة من عقيدة الآريوسيين؛ أن المسيح -عليه السلام- مخلوق سام، خلق الله به الخلائق، وتارة يصرح بألوهية المسيح عليه السلام.

ولا يستبعد أن تكون دوافع بولس لهذا التناقض ما ذكره الدكتور منقذ بن محمود السقار آنفًا، وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله.

***

4 تحريف رسالة المسيح -عليه السلام- عبر التاريخ ص: 183.

ج- التجسد

1- سنرى عند تناولنا لما يُفهم من تعاليم بولس -حول تجسد الله في المسيح- نفس الخلاف السابق بين الباحثين: هل علَّم بولس أن الله سبحانه قد تجسد في المسيح، أم أنه لم يدع لذلك، وإنما زعم أن كائنًا سماويًا قد تجسد في رحم السيدة مريم عليها السلام.

أ- فأما من اعتبر أن بولس علَّم أن الله سبحانه قد تجسد في المسيح:

(1) فمن أشهرهم وأهمهم: الكنائس الحالية البولسية المثلثة (الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية)، التي تتبع عقائد المجامع الكنسية، وتؤمن بأن الأقنوم الثاني لله (الكلمة) قد تجسد في المسيح، ثم اختلفوا بعد ذلك في طبيعة المسيح، ولا زالوا مختلفين ويختلفون.

وعن هذا التجسد كتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري وهو يتحدث عن استخدام بولس للقب "السيد" في وصف المسيح:

"ولهذا فإن بولس يستخدم هذا الاصطلاح لكي يعبر به عن عقيدته في المسيح بأنه الله الذي ظهر في الجسد : " عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد "[1] (ا تيمو 3 : 16) . وفي رسالته إلى أهل فيلبي يقدم لنا لحنا جميلا وتعليما في غاية العمق عن المسيح الذي هو نفسه صورة الله : "أخلى نفسه آخذا صورة عبد ... لذلك رفعه الله وأعطاه اسما فوق كل اسم ... " (في 2 : 5 - 11) . والرسول يصف في هذه الأعداد حالتي المسيح قبل التجسد وبعده"[2].

ونفس المعنى يؤكده كُتاب دائرة المعارف الكتابية، ويستدلون بنصوص منسوبة لبولس مثل: "فإن فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًا"[3].

***

(2) وذهب لهذا القول محررو الموسوعة البريطانية، حيث جاء في مادة (Incarnation):

"يشار إلى الوجود السابق للمسيح في العديد من رسائل العهد الجديد، ولكن بالذات في رسالة بولس للفليبيين، التي عُرِضَ فيها التجسد على أنه إخلاء المسيح يسوع، الذي كان إلهًا بالطبيعة، ومساويًا لله (أي الأب)، ولكنه أخذ طبيعة عبد ثم مُجِد بعد ذلك بواسطة الرب"[4].

***

(3) ويؤيد هذا التصور عن تعاليم بولس؛ نبيل نيقولا جورج بو خاروف، المهتدي من النصرانية للإسلام[5].

وقد كتب وهو يعرض لمعاني لفظة (الكلمة) في الكتاب المقدس لدى النصارى:

"المثال السابع عشر: الآلات التي يستخدمها الله تعالى لتنفيذ وعده، هي أيضاً تسمى الكلمة لأنها سبب إتمام الوعد. فإذا وعد الله بتدمير مدينة وتكلم بهذا الوعد، تم إرسال ملائكة ليدمرها، فيسمى الملاك كلمة الله لأنه سبب حدوث، ففي المزمور مئة وثمانية وأربعون يقول: "سبحي الرب من الأرض يا أيتها التنانين ولكل اللجج. النار والبرد والثلج وضباب الريح العاصفة الصانعة كلمته". "مزمور 148-7-8"

1 سيأتي -إن شاء الله- التحريف الذي وقع في هذا النص، عند البحث في التحريف الذي وقع في الترجمات.

2 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 3 ف: 1 ص: 387.

3 دائرة المعارف الكتابية- حرف الباء- بولس الرسول- ثالثًا: تعليمه- 1- المسيح، و2- الروح ج: 2 ص: 271.

4 Encyclopædia Britannica, Incarnation.

والنص الأصلي هو:

"Belief in the preexistence of Christ is indicated in various letters of the New Testament but particularly in the Letter of Paul to the Philippians, in which the Incarnation is presented as the emptying of Christ Jesus, who was by nature God and equal to God (i.e., the Father) but who took on the nature of a slave and was later glorified by God".

5 المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم هي ديانة بولس؟- عقيدة التجسد ص: 51.

والأمر أيضاً يسمى كلمة وههنا الأسباب هي: النار والبرد والثلج والضباب والرياح العاصفة، وبناءً على ما قدمنا، فإن قوله تعالى في سورة النساء: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ (171)﴾

يعني أنه أصدر أمره ولا يعني أن صفة كلامه قد نزلت وجسدت في بطن مريم (عليها السلام) وبقي بلا صفة الكلام، فقوله: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا﴾ أي أرسلها، ومثل كلمته التي هي النار والبرد والثلج والضباب والرياح العاصفة، أي هي أسباب استخدمها الله لتنفيذ أوامره.

فإن كانت الكلمة الملقاة إلى مريم هي صفة كلام الله تجسدت وحدها من سائر الصفات، فلماذا لا يقال إذن بتجسد النار والبرد والثلج والضباب والرياح العاصفة فالكل كلمته؟

وإذا كان يقصد بتجسد الكلمة (إحدى الأقانيم الثلاثة) وحلولها على الأرض أنه أصبح يوجد إلهان: الله في السماء الذي هو أقنوم الخالق الموجود، والمسيح في الأرض الذي هو الاقنوم الثاني (الكلمة)، فأين أقنوم الثالث الروح القدس؟

وبما أن النصارى يعتقدون أن الثالوث هو الله فلماذا نسب التجسد إلى الأقنوم الثاني ولم ينسب إلى الأقانيم الثلاثة معاً ؟"[6].

***

(4) ومن المؤيدين للقول بأن بولس قد قال بتجسد الله في المسيح الدكتورة بسمة أحمد جستنية، حيث كتبت بعد أن ذكرت استدلال النصارى على عقيدة التجسد بما ورد في أقوال بولس:

"والنصارى يقررون بهذا، أن بولس هو أول من قال بالتجسد في النصرانية حيث لم تظهر هذه العقيدة في قول أحد قبله لا من الحواريين ولا من غيرهم في رواية مكتوبة أو شفوية، وهذا يرد على من قال إن فكرة التجسد لم ترد صراحة في رسائل بولس أو في أسفار الكتاب المقدس.

ومن الملاحظ أن مفهوم التجسد لم يظهر بعد بولس إلا في إنجيل يوحنا - وليس هو يوحنا الحواري - حيث يقول في مستهل إنجيله: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله... والكلمة صار جسداً وحل بيننا"[7]"[8].

***

(5) ويؤيد هذا الرأي أيضًا الشيخ محمد تقي العثماني، حيث كتب:

"لقد رأيت أن الحواريين قد استخدموا لسيدنا المسيح -عليه السلام- كلمة "الرب" أو "ربي" التي معناها في ضوء الدلائل المذكورة أعلاه، هو "المعلم"، لكنهم لم يستخدموا له في موضع ما كلمة "الألوهية" أو "التجسد" وإنما نجد هذه العقيدة أول ما نجد عند "بولس""[9].

وكتب عما يسمى بـ(يوحنا الأرشد) الذي نسب له البعض كتابة إنجيل يوحنا:

"بما أن بولس كان قد مات من قبل، وقد بيّن في رسائله عقيدة الحلول والتجسد في عبارة مكشوفة صريحة، فإن أول مَن طرح هذه العقيدة ليس هو يوحنا الأرشد، وإنما هو بولس"[10].

وسيأتي -إن شاء الله- أن السفر المسمى بـ(إنجيل يوحنا) إنما كتبه مجموعة من المجهولين.

***

ب- وفي مقابل هذا الرأي يرى باحثون آخرون رأيًا مقابلًا، وهو أن بولس لم يكن يقول بتجسد الله في المسيح.

---

6 المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم هي ديانة بولس؟- عقيدة التجسد ص: 59 و60.

7 سيأتي -إن شاء الله- بيان التحريف في هذا النص.

8 تحريف رسالة المسيح -عليه السلام- عبر التاريخ ص: 166.

9 ما هي النصرانية ص: 115.

10 ما هي النصرانية ص: 127.

(1) فمن هؤلاء فرانسيس يونج[11]، حيث كتبت -في الكتاب الهام (أسطورة تجسد الله) (The Myth of God Incarnate)[12]- أن رسالة بولس للرومان: 8: 3:

"تتحدث عن الله مُرْسِلًا له[13] في شبه جسد الخطية، وهذا يقتضي تجسد (ابن الله) سابق الوجود. فهل هذه إذن "عقيدة التجسد الإلهي في المسيح" في منشئها.

هناك نقطتان تشيران إلى أن الأمر ليس كذلك؛ (1) بولس لم يسم هذا الشخص "الله" ولا عرفه في أي موضع على أنه (الله). صحيح أنه يقوم بأعمال الله، إنه بالتأكيد وكيل لله فوق مستوى الطبيعة يعمل بمبادئة من الله، ولكن في النهاية عليه أن يتخلى عن السلطة الممنوحة له ليبقى الله هو الكل في الكل. (2) وهذا الشخص سابق الوجود، ليس ببساطة على أنه نوع من كائن إلهي -وإن كانت الحكمة الأقنومية قريبة من هذا- ولكن على أنه إنسان من السماء، وبنوته لا يعبر عنها بصيغة طبيعة إلهية، ولكن كنتيجة لخلق واختيار إلهيين من جهة، ولإذعانه الكامل في قيامه بعمل الله وإطاعته التامة لإرادة الله"[14].

ولكنها تذكر أن بولس:

"طور خطة تتضمن عناصر تجسدية".

ثم تضيف:

"إن فكرة التجسد بمعناها المقبول تقليديًا لم توجد في رسائل بولس بل في أذهان من قرأوها"[15].

(2) ويذهب الأستاذ محمد شاهين التاعب لتأكيد هذا الرأي[16].

(3) وكذلك الأستاذ أكرم حسن مرسي المهتدي للإسلام كما نقلت عنه سابقًا.

ولكن يرد على هذا الرأي ما نُسب لبولس، مثل ما جاء في الرسالة إلى أهل رومية:

"8: 3 لأنه ما كان الناموس عاجزًا عنه، في ما كان ضعيفًا بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد"[17].

والذي أراه -والله أعلم بالصواب- أن بولس يتناقض في أقواله، كما تبين سابقًا عند بحث معتقده في تأليه المسيح عليه السلام، فقد نُسبت له أقوال تدل على تجسد الأقنوم الإلهي الثاني -ابن الله- في جسد المسيح عليه السلام، مع تناقضها مع ما نُسب له من أقوال يوحد فيها الله.

***

---

11 المحاضرة في دراسات العهد الجديد بجامعة برمنجهام.

12 هذا الكتاب قيم وهام، كتبه سبعة من علماء اللاهوت والمسيحية، منهم رجال دين، أحدهم -وهو موريس ويلز- رئيس لجنة العقيدة في كنيسة إنجلترا، وفي هذا الكتاب يرفض كتابه السبعة عقيدة ألوهية سيدنا المسيح عليه السلام، ويعتبرون أنها مما أدخلته الكنيسة على المسيحية. وقد ترجمه الدكتور نبيل صبحي بعنوان (أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح)، ولخصه الدكتور محمد علي البار في الباب السابع من كتابه (دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية).

13 تقصد: المسيح عليه السلام.

14 The Myth of God Incarnate p: 21.

والنص الأصلي هو:

"Romans 8.3 speaks of God *sending* him in likeness of sinful flesh, which seems to imply the incarnation of a previously existing 'Son of God'. Is this then a 'divine incarnation christology' in germ?

Two points suggest that this is not the case; (*i*) Paul neither calls this figure God, nor identifies him anywhere with God. It is true he does God's work; he is certainly God's special supernatural agent, who acts because of God's initiative. But ultimately he is to give up his delegated authority so that God will be all in all. (*ii*) This figure is pre-existent not simply as a kind of divine being (though hypostatized Wisdom near to that), but as the 'man from heaven'; and his Sonship to God is not expressed in terms of 'divine nature', but as the result of divine creation and election on the one hand, and on the other hand, his own perfect obedience in doing God's work and obeying God' will".

15 The Myth of God Incarnate p: 22.

16 موقع الدعوة الإسلامية- محمد شاهين التاعب- شريط (مدخل إلى دراسة المسيحية 37 بولس الرسول لا يؤمن بعقيدة الثالوث أو التجسد)- الدقيقة (22,18) وما بعدها.

17 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولي إلى أهل رومية: 8: 3 ص: 124.

2- عمومًا أيًا كان الأمر فإن الكنائس البولسية المثلثة (وأكثرها أتباعًا: الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية) قد استندت إلى أقوال بولس، لتزعم أن الله -سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا- قد تجسد في جسد المسيح، على خلافات ونزاعات كثيرة متواصلة من عشرين قرنًا حتى الآن، بل حتى داخل الكنيسة الواحدة ما زالوا يختلفون حول طبيعة سيدنا المسيح -عليه السلام- اختلافًا شديدًا، وقد أشرت من قبل للخلاف بين تيار متى المسكين وتيار شنودة داخل الكنيسة الأرثوذكسية القبطية، وكذلك للخلافات المعاصرة بين البروتستانت حول ألوهية المسيح، مثل حركة (العودة ليسوع)، التي كتب عنها محررو دائرة المعارف الكتابية في خاتمة مادة (بولس):

"ويرفض بعض النقاد كتابات بولس ويوحنا ، بل وكل أصحاب الرسائل تقريباً ، فيما يطلقون عليه "حركة العودة ليسوع"[18].

وهذا مصداق قول الحق سبحانه: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[19].

وذلك لأنهم تركوا التوحيد الصريح، الذي جاءت به الرسل والأنبياء عليهم السلام، واتبعوا البدع والاختراعات في الدين، فانتهوا لأغلوطات: الخطيئة الأصلية والتثليث والتجسد، التي يقرون بأنها لا تعقل، ويتناسون أنها: **لا تعقل لأنها باطلة**.

ينقل الأب متى المسكين عن (القديس) كيرلس قوله عن التجسد:

"إن كيفية الإتحاد عميقة حقاً وفائقة الوصف وفائقة لمداركنا. فمن الجهالة التامة أن نُخضِعَ للبحث (العقلي) ما يفوق العقل وأن نحاول أن ندرك بعقولنا الذي لا يُدرَك بالعقل. أم لست تعلم أن ذلك السر العميق ينبغي أن يُعبَدَ بإيمان بلا فحص ؟"[20].

وفي كتاب (القديس) كيرلس (حوار حول الثالوث) يجري كيرلس حوارًا مع شخص يسميه إرميا، وجاء في ذلك الحوار:

"إرميا: هذا هو التَّفكير الصَّحيح، ولكنَّهم سوف يتساءلون مرَّة أخرى، على ما أظُنّ، عن كيفية أنَّ الآب عندما وَلَدَ، لماذا لم يُصِبْه شيء ممّا يحدث في العادة للذين يلدون، مثل التَّجزئة، أو انفصال جزء منهم عنهم؟ وكيف لا تكون العِلَّة أقدم من المعلول في كلّ الأحوال؟

كيرلُّس: هذا أمرٌ صعبٌ للغاية يا إرميا، وليس من السَّهل أن نصِل إلى عُمقه، وهو أمرٌ ليس سهل المنال، حتى للقادرين على الشَّرح، لأنَّ العقل لا يستطيع أن يُدرِك مَنْ هو فوق العَقْل، ومَنْ هو فوق الكلام، لا يُمكن شرحه بالكلام، فالله أب، وقد وَلَدَ الابن بالحقيقة من جوهره الخاصّ، وهذا تسلَّمناه بالإيمان، **والكُتُب المُقَدَّسة الموحى بها من الله** تذكُر في كلّ مكان الله الآب، وأنَّه وَلَدَ. وأعتقد أنَّه **يجب أن لا نكون فُضُوليين** أكثر من ذلك، وألَّا نُجازِف بالفَحْص المُتهوِّر لما تسلَّمناه بالإيمان، وذلك لأنَّ الذي من الإيمان لا نسعى بامتلاكه بطُرُق أُخرى"[21].

والكتب التي يسميها كيرلس (مقدسة موحى بها من الله) ليست موحى بها من الله، وإنما هي روايات تاريخية لأشخاص لم يروا كثيرًا مما رووا، ولا تعرف شخصيات كاتبيها، وقد أصابها تحريف هائل، كما سيتبين إن شاء الله، كما لم يرد فيها شيء عن الثالوث، بل بولس نفسه لم يقل به، كما نقلت عن النصارى من قبل.

وجاء في موضع آخر:

"إرميا: لكن إن قالوا إنه لو قبلنا بوجود ثلاثة أقانيم، فإنه سيُمكن أن نفهم حينئذٍ أن الألوهة مُثلثة (أي يوجد ثلاثة آلهة).

---

18 دائرة المعارف الكتابية- حرف الباء- بولس الرسول- ثالثًا: تعليمه مج: 2 ص: 277.

19 سورة المائدة، آية: 14.

20 التجسد الإلهي في تعليم القديس كيرلس ص: 22.

21 حوار حول الثالوث ج: 1 ص: 113.

كيرلس: بالنسبة لنا فإن الحقيقة الإلهية تُعلِّمنا أن الأمور ليست هكذا. لأننا قد تعمَّدنا باسم الآب والابن والروح القدس، وبالطبع لا نقول إننا نؤمن بثلاثة آلهة، لكن بألوهة واحدة مُمجَّدة في الثالوث القدوس. فلماذا إذاً تتسرع مُحاولاً أن تُخضع تلك الأمور التي تفوق العقل لأفكار بشرية، تلك الأمور التي اعتقد أنه يجب أن يُنظر إليها فقط **بالإيمان الخالي من كل شك**؟ لأن التساؤل عن ماهية الثالوث وعن طبيعة الألوهة هو **أمر غير لائق بالمرة ويدل على عدم التقوى**"[22].

وفارق بين أن تقول: إن الله سبحانه له صفات نعرفها ونعقلها، ولكن لا نعلم كيفيتها، ككيفية حياته وقدرته وعلمه سبحانه، وبين أن تنسب للمولى المستحيل، مثل أن تقول: إن الله واحد وثلاثة في نفس الوقت، أو إنه إله وجسد بشري في آن واحد، أو إنه حي ولكنه قتل على الصليب في آن واحد، أو أنه عادل ولكنه عاقب أبناء آدم بالخطيئة الأصلية. كأنك تقول: إن الله غني ومحتاج، ومتناه ومحدود، وسرمدي وحادث، وعادل وظالم في نفس الوقت.

ففارق بين ألا ندرك حقيقة صفات وذات الله سبحانه، وبين أن ننسب له أمرًا مستحيلًا متناقضًا.

فإذا سألتك مثلًا: أين كنتُ أمس؟ فقد تكون إجابتك: لا أعلم، لا علم لي بالغيب.

ولكن إن قلت لك: إني أمس كنت في أمريكا وأفريقيا في نفس الوقت، فستقول لي: أنت كاذب متناقض.

ونفس الأمر لو قلت لك: كم في جيبي من الدراهم؟ فستقول لي: لا أعلم، لا يخترق نظري ثيابك، فقدراتي محدودة.

ولكن لو قلت لك: إن في جيبي درهم واحد وثلاثة في وقت واحد، فستقول لي: أنت متناقض مثل ثالوث النصارى!!!

ويجادل النصارى بأن التجسد ممكن لأن الله على كل شيء قدير، وهذه سقطة كبرى، لأن الأمر لا يتعلق بقدرة الله، بل يتعلق بما لا يليق بجلال وكمال الله سبحانه.

فهل يقبل أحد أن يقال: إن الله قد يظلم أو يكذب -تعالى الله عن ذلك- لأنه على كل شيء قدير.

هل يقبل النصراني أن يقال له: إن أباك سارق، لأنه قادر على السرقة!!!

فكيف يقبل في حق الله سبحانه ما لا يقبله في حق أبيه.

ولذلك سفه القرآن الكريم هذه الشبهة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[23].

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[24].

وذكر المولى سبحانه عن عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[25].

وقال عز من قائل: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾[26].

إذن فقد اجتمعت على النصارى المثلثين طامتان: كتاب محرف لا أصل له ولا سند، تلاعب به الكتاب والمترجمون، ثم عقائد غير معقولة، زعموا أنها من وحي الله في ذلك الكتاب، بلا دليل على زعمهم.

---

22 حوار حول الثالوث ج: 2 ص: 13.

23 سورة النساء، آية: 171.

24 سورة الأنعام، آية: 100و 101.

25 سورة مريم، آية: 30 إلى 35.

26 سورة مريم، آية: 88 إلى 93.

ثم طالبوا أتباعهم أن يؤمنوا بتلك العقائد، ولا يناقشوها، ولا يطالبوا عليها بدليل، فكانت النتيجة الثورة على الكنيسة والعلمانية والإلحاد، ثم الحلقة الأخيرة في الفساد السياسي؛ الدولة الوطنية الحديثة.

وحقيقة أن عقائد الكنيسة تقود للإلحاد ذكرها بصراحة الدكتور محمد مجدي مرجان، المهتدي من النصرانية للإسلام في كتابه القيم (الله واحد أم ثالوث)، الذي تلمس بين سطوره مشاعر ومعاناة من قطع الطريق من الشك إلى أن هداه الله للإسلام.

فقد كتب فيه بعد أن ناقش عقيدة الثالوث بأسلوب بديع سهل ممتنع:

"هكذا يبين لنا مدى مجافاة عقيدة الثالوث لأبسط قواعد العقل والمنطق والحساب، ومدى بعدها عن الواقع والحق والصواب، ولقد قمت بنفسي بمناقشة كثير من الأخوة المسيحيين في مدى فهممهم وتقبلهم لهذه العقيدة، تارة حين كنت محسوبًا في الجماعة المسيحية وتارة بعد انسلاخي عنها، وكثير من هؤلاء المسيحيين أصدقاء وأقارب يولوني ثقتهم ويصدقوني الحديث فأخبروني أنهم لا يستطيعون فهم كنه الثالوث المقدس، وأن كثيرين منهم يعيشون في صراع بين عقولهم وموروث معتقداتهم، وحين تناقشت في ذلك مع بعض الآباء الكهنة أخبروني أنه يجب الإيمان بالثالوث دون أي تمحيص أو تفكير، وأنه يلزم التسليم بهذا الاعتقاد الثالوثي تسليمًا مطلقًا أي تسليمًا أعمى، فعلى المسيحي أن يؤمن ويعتقد أولًا في الثالوث المقدس ثم يمكنه أن يجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقد، فإذا لم يفلح في ذلك فإنه خير له أن يلغي عقله ولا يلغي عقائد الآباء، وتراث الأجداد، وتعاليم القسوس.

والحقيقة أن هذا الذي يدعو له آباؤنا الكهنة ويبغون قسرنا عليه شيء عجيب، فكيف يستطيع الإنسان منا أن يلغي عقله الذي لا يعيش إلا بهديه والذي يفضله على العيش نفسه، إن الأخ المسيحي في محاولته فهم عقيدة الثالوث إنما يصارع كل عقل وفكر ومنطق، وفي خضم هذا الصراع بين منطق عقله وموروث اعتقاده قد يصل به الأمر إلى الإلحاد، وهذا ما وصل إليه الكثيرون فعلًا للأسف المرير".

ثم ينقل اقتباسًا عن عالم أمريكي خلاصته: أن مجهودات المنظمات المسيحية في حمل الأطفال على الاعتقاد في إله له صورة إنسان تؤدي في النهاية بهم إلى نبذ فكرة الله كلية.

ثم كتب الدكتور محمد مجدي مرجان:

"إن العالم الأمريكي يقرر هنا أن تمثيل رجال الدين الله بالإنسان مكون من ثلاثة عناصر أو أجزاء: ذات ونطق وحياة، هذه الصورة الغريبة التي تخالف كل فكر وطبع والتي يسعى رجال الدين جاهدين في دعوة الناس إلى تقبلها، تجعل المسيحي المثقف في صراع دائم بين هذه الأفكار وبين مقتضيات عقله ومنطقه، وفي دوامة هذا الصراع إما أن يصل إلى الحقيقة ويجهر بها معلنًا التوحيد وإما أن يفضل السلامة فيكتفي بالإلحاد.

وهذا الذي يدعونا إليه آباؤنا الكهنة من إلغاء العقول وتقبل النقول دون فكر أو روية إنما يخالف الدين الذي يرتدون زيه بل ويخالف كافة الأديان السماوية التي ما نزلت إلا لذوي العقول، فالعقل هو المخاطب دائمًا برسالات السماء، وكل من يطالع تلك الرسالات يجد الحض فيها دائمًا على التفكير وإعمال العقل فالتوراة تدعو الناس إلى استعمال عقولهم، والله في التوراة يخاطب الإنسان في حنو وترفق "أقبل علينا ودعنا نفكر معًا" والأناجيل أيضًا تدعو إلى إعمال العقل، ولقد كان السيد المسيح عليه السلام حريصًا في كافة عظاته للناس أن يقرنها بالأمثلة العقلية التي تدفعهم إلى التفكير والتدبر. أما القرآن خاتم الرسالات السماوية فإنه يخاطب العقل في كافة آياته ويجعل التفكير والتدبير أعلى درجات العبادة، ويضع العقلاء والعلماء في أقرب المراتب وأدناها إلى الله، يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: 9). ولأولي الألباب نزلت الأديان، وتفضل الله بمخاطبة الإنسان، أما غير أولي الألباب فهم الأحجار والدواب، وهؤلاء لا دين لهم ولا عقيدة"[27].

***

27 الله واحد أم ثالوث ص: 60 إلى 62.

3- وقد أكرم الله البشرية بالإسلام، الذي جاء بالتوحيد الصريح، ودعا البشر لعبادة ربهم ونبذ عبادة العباد، وصدق الله العظيم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[28].

وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[29].

وقال عز من قائل: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[30].

وقال الله -سبحانه- لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[31].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم- وهو يرشد البشرية لمقام النبوة: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ"[32].

والمسيح عليه -السلام- سيتبرأ من هؤلاء المثلثين، وقد ورد ذلك في إنجيل متى، فجاء فيه:

"7: 21 ليس كل من يقول لي: يا رب، يا رب! يدخل ملكوت السماوات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات.

7: 22 كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب، يا رب! أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟

7: 23 فحينئذ أُصرح لهم: إني لم أعرفكم قط! اذهبوا عني يا فاعلي الإثم"[33].

وقد علق الشيخ أحمد ديدات -رحمه الله- في محاضرة له على هذا النص تعليقًا مؤثرًا بديعًا بقوله موجهًا خطابه للمسيحيين ما ملخصه:

إن هذا الخطاب موجه لكم، وليس للمسلمين ولا لغيرهم، لأنكم أنتم الذي تزعمون أنكم تقومون بأعمال كثيرة باسم المسيح "باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة"، فأنتم تقومون بأعمال خيرية كثيرة، وتزعمون أنكم قد علمتم الهنود والأفارقة، ونقلتموهم للحضارة في سبيل المسيح، ولكن المسيح لن يقبل ذلك منكم، فيقول لكم: اذهبوا عني يا فاعلي الإثم. أتدرون لماذا؟ لأنكم تقولون له: "يا رب". وهو **ليس ربكم ولا إلهكم**.

وهذا مصداق حديث رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلاً، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ، حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا". ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[34].

---

28 سورة آل عمران، آية: 64.

29 سورة آل عمران، آية: 79 و80.

30 سورة النساء، آية: 172.

31 سورة الكهف، آية: 110.

32 صحيح البخاري-كتاب: أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ- باب: قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾- حديث رقم: 3445 ج: 2 ص: 490.

33 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 7: 21 إلى 23 ص: 5 و6.

34 صحيح البخاري-كتاب: أحاديث الأنبياء- باب: نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليهما السلام- حديث رقم: 3448 ج: 2 ص: 490، صحيح مسلم-كتاب: الإيمان- باب: نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم- حديث رقم: 242 ج: ص: 80.

وقد فاق النصارى المثلثون مشركي العرب، فمشركو العرب لم يعبدوا البشر كآلهة، ولكن كانوا يتخذونهم وسطاء بينهم وبين الله، قال سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[35]

فالمسيحيون أكثر إغراقًا في الوثنية من مشركي العرب.

***

4- وهذا المعتقد الذي ينافي التوحيد، ويتفق مع صنمية الوثنيين، ويؤدي لعبادة البشر مع الله، هذا المعتقد قد تطور في المسيحية لتقديس الأباطرة مثل حال يوسابيوس القيصري مع قسطنطين، ومثل إضفاء الكنيسة على نفسها القداسة والعصمة، وإعطائها لنفسها حق التحدث باسم الله، وحق تنصيب الملوك وعزلهم، وحق غفران الذنوب، لأن ما تقوله الكنيسة هو كلمة الله، كما سيأتي -إن شاء الله- في تتبعنا لمسيرة الفساد السياسي التي أدت للدولة الوطنية الحديثة.

***

35 سورة الزمر، آية: 3.

د- الخطيئة الأصلية (الظلم المقدس) والصلب والفداء والكفارة والخلاص (المغالطات المقدسة)

هذه العقيدة من أهم ما دعا له بولس، وسأتناولها -بإذن الله- تحت العناوين التالية:

(1) تمهيد

(2) تناقضات في قصة التوراة عن خطيئة آدم عليه السلام

(3) اليهود -الذين أخذ منهم النصارى التوراة- لا يؤمنون بالخطيئة الأصلية، بل العهد القديم نصوصه تنفي الخطيئة الأصلية.

(4) الأناجيل تروي عن سيدنا المسيح -عليه السلام- أنه لا يؤمن بالخطيئة الأصلية والكفارة والفداء.

(5) عقيدة بولس في الصلب والفداء والكفارة والخلاص

***

(1) تمهيد

أذكر أن صديقًا لي -هداه الله للإسلام- قال لي: لا توجد مسيحية بدون الخطيئة الأصلية.

وهذا قول من هداه الله للحق، عارف بالضلال.

وفي الحقيقة، إن الخطيئة الأصلية (أو **الجريمة الأصلية في حق البشرية**)، هي إحدى أهم دعامتين تقوم عليهما النصرانية البولسية المثلثة:

(أ) الخطيئة الأصلية والفداء والصلب.

(2) والتثليث.

وحيث أن هذا الكتاب ليس من شأنه التعمق في العقائد النصرانية، لذا سأحاول الإلمام -بإيجاز- بما دعا إليه بولس بشأن الخطيئة الأصلية والصلب والفداء، ليتضح لنا كيف تطور هذا الانحراف للفساد الكنسي، الذي شكل أهم خطوات الفساد السياسي، الذي أنشأ الدولة الوطنية الحديثة.

ولعل القارئ المسلم -الذي لم يلم بتفاصيل المسيحية البولسية المثلثة- يستغرب؛ كيف يقبل العقل هذه العقيدة المنافية لأبسط بديهيات التفكير، ولكن هذه هي ما تسمى بـ(الحضارة الغربية) في تطورها التاريخي عبر تراكمات عقدية لا يقبلها العقل، من الوثنية الشركية، للبولسية المثلثة، ثم للعلمانية الملحدة.

فما هي هذه العقيدة باختصار شديد؟ يعتقد النصارى البولسيون المثلثون:

(أ) أن آدم -عليه السلام- عصى ربه في الجنة بغواية حواء، التي احتالت عليها الحية، فأكل من الشجرة التي منعه الله من الأكل منها، فطرده الله من الجنة. ولم يتب عليه.

(ب) وحمَّل ذريته -الذين لم يعصوا ربهم، ولم يكونوا قد وجدوا بعد- وزر خطيئة لم يرتكبوها، بل ولم يكونوا قد خلقوا بعد لما ارتكبت.

(ج) وجعل الله هذه الخطيئة جزءًا من طبيعتهم، يولدون بها عصاة خاطئين!!!

(د) ثم أشفق عليهم، فقرر أن يخلصهم من هذه اللعنة.

(هـ) فقتل ابنه على الصليب.

(و) ولما قتل ابنه تاب على كل من آمن بهذه القصة، حتى وإن كان مستمرًا على ذنوبه مستغرقًا فيها.

وهذه المغالطات المركبة يمكن أن أقربها لذهن القارئ بالقصة التالية:

لنفترض أن ملكًا من الملوك كان عنده عبد في جنته، فأخطأ العبد، فطرده الملك من الجنة، ثم أنجب العبد أبناءً وأحفادًا، فلعنهم الملك، واعتبرهم خطاة مذنبين، مع أنهم لم يشاركوا جدهم في خطئه.

ثم إن هؤلاء الأحفاد بالإضافة لذنبهم الموروث ارتكبوا جرائم أخرى.

ثم بعد مدة أشفق الملك عليهم، فقرر أن يخلصهم من اللعنة وعقاب الذنوب، فسلط بعضهم على ابنه الوحيد فذبحوه، وقال لهم: استمروا في ذنوبكم فلا ينالكم مني عقاب، بشرط أن تصدقوا أني قد ابني ذُبِحَ من أجلكم.

أي: أن **الله قتل الله**، **ليُرضي الله**، **ليعفو عمن لم يعصوا الله**.

ثم تقول الكنيسة لأتباعها: التثليث لا يدركه العقل، وتجسد الإله في رحم مريم -عليها السلام- لا يدركه العقل، والخطيئة الأصلية لا يدركها العقل، وموت الإله على الصليب لا يدركه العقل، وعليك أن تؤمن بما لا يدركه العقل.

وزد على هذا مشكلة أخرى، وهي أن كتاب النصارى المحرف، الفاقد للأصل والسند، والذي تلاعب فيه الكتاب والمترجمون، والذي اختارته الكنيسة من بين مئات الكتب الأخرى، بلا تبرير واضح، هذا الكتاب لم ينسب فيه للسيد المسيح -عليه السلام- كلمة واحدة تدل بوضوح على عقيدة الخطيئة الأصلية أو الصلب والفداء، بل العكس هو الواقع.

ثم زد على ذلك مشكلة ثالثة؛ وهي أن اليهود الذي أخذ عنهم النصارى العهد القديم، بما فيه من نصوص تحكي قصة آدم -عليه السلام- وزوجه في الجنة، هؤلاء اليهود لا يؤمنون بالخطيئة الأصلية، بل الخطيئة الأصلية هي تفسير بولسي لقصة آدم -عليه السلام- وزوجه في الجنة.

ثم زد على ذلك مشكلة رابعة؛ وهي أن قصة آدم -عليه السلام- وزوجه في الجنة مملوءة بالتناقضات.

ثم زد على ذلك مشكلة خامسة؛ وهي أن العهد القديم، الذي وردت فيه قصة آدم -عليه السلام- وزوجه في الجنة، مملوء بالنصوص التي تنفي الخطيئة الأصلية.

ولنمض في تلخيصنا للانحراف البولسي في مسيرة تتبعنا لتاريخ الفساد السياسي.

***

(2) تناقضات في قصة التوراة عن خطيئة آدم

احتوت قصة خطيئة آدم -عليه السلام- في العهد القديم على العديد من المتناقضات، والأمور التي لا تعقل، لبطلانها، ومن أمثلتها:

(أ) لم يتحقق وعيد الرب بموت آدم!!!

جاء في سفر التكوين:

"2: 16 وأوصى الرب الإله آدم قائلًا: "من جميع شجر الجنة تأكل أكلًا،

2: 17 وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت"[1].

وآدم أكل ولم يمت.

وفي القصة التوراتية المسيحية لم يتحقق وعيد الله لآدم عند الأكل من الشجرة "موتًا تموت"، ولكن تحقق ما قالته الحية، التي يرى المسيحيون أنها الشيطان.

وهذه القصة التي يفهم منها أن الإنسان قد يستطيع أن يماثل الإله إذا أكل شيئًا معينًا لها جذورها الوثنية[2].

ثم كيف يحاسب الله -سبحانه وتعالى- آدم وحواء إذا كان لا يعرفان الخير والشر، ولا يعرفان هل متابعة الحية خير أم شر؟؟؟ إن الذي لا يعرف الخير من الشر لا يستحق العقوبة، وهو كالطفل الغير مدرك، والغير محاسب على أفعاله.

***

(ب) من يعرف الخير والشر يصير مثل الله، ولذلك حرم الله آدم من ذلك!!!

جاء في سفر التكوين:

"3: 1 وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة: "أحقًا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟".

3: 2 فقالت المرأة للحية: "من ثمر شجر الجنة نأكل،

3: 3 وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: "لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا".

3: 4 فقالت الحية للمرأة: "**لن تموتا!**

3: 5 بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان **كالله** عارفين الخير والشر"[3].

فهل البشر الآن كالله لأنهم عرفوا الخير والشر، بعد ما أكل آدم من الشجرة، وكيف يصير المخلوق كالخالق؟ ولماذا يحرم الله آدم من معرفة الخير والشر؟؟؟

أليست هذه نزعة تأليه البشر، التي ظهرت بعد ذلك في تأليه المسيح عليه السلام؟

ثم زعمت الكنيسة أنها وارثة المسيح، الذي ألهته، وألا خلاص إلا من خلالها، فأسست للفساد السياسي، الذي أدى للدولة الوطنية المعاصرة.

وهل تعد معرفة الخير والشر خطيئة؟

ألم يرسل المولى سبحانه وتعالى الرسل -عليهم السلام- ليهدوا الناس، ويحذروهم من الشر، ويدعوهم للخير؟

قال المولى سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[4].

وجعل المولى سبحانه الرسل -عليهم السلام- حجة على الخلق، فقال عز من قائل: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[5].

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 2: 16 و17 ص: 2.

2 سيأتي -إن شاء الله- كيف تسربت الوثنية للعقيدة المسيحية.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 3: 1 إلى 5 ص: 2.

4 سورة النحل، آية: 36.

5 سورة النساء، آية: 165.

***

(ج) الله سبحانه وتعالى يمشي في الجنة، ولا يعرف مكان آدم!!!

جاء في سفر التكوين:

"3: 8 وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإله ماشيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فاختبأ آدم وامرأته مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإله فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ.

3: 9 فَنَادَى الرَّبُّ الإله آدم وَقَالَ لَهُ: "أَيْنَ أنت؟".

3: 10 فَقَالَ: "سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأني عُرْيَانٌ فاختبأتُ"[6].

المولى سبحانه يمشي في الجنة، ولا يعلم أين آدم؟؟؟

تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

***

(د) عقوبة الحية أن تمشي على بطنها وتأكل التراب!!!

جاء في سفر التكوين:

"3: 14 فَقَالَ الرَّبُّ الإله لِلْحَيَّةِ: "لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذا، مَلْعُونَةٌ أنت مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تأكلينَ كُلَّ أيام حَيَاتِكِ.

3: 15 وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ المرأة، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ"[7].

وهذا يناقض التفسير المسيحي أن الحية هي الشيطان. فهل الشيطان يمشي على بطنه ويأكل التراب؟

وثانيًا: هل كانت الحية تسعى على غير بطنها من قبل؟

وثالثًا: هل تأكل الحية التراب الآن؟؟؟

ورابعًا: إن الحية لا تسحق عقب الإنسان فقط، بل قد تلدغه في أي مكان من جسده، والإنسان أيضًا قد يقتلها بضربها في غير رأسها.

***

(هـ) المرأة أصل الشر والغواية، وآدم لم يغو!!!

جاء في سفر التكوين:

3: 11 فَقَالَ: "مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أوصيتك أَنْ لاَ تأكل مِنْهَا؟".

3: 12 فَقَالَ آدم: "المرأة الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ"[8].

وهذا ما تعتقده الكنائس البولسية المثلثة، ويستدلون على ذلك بما نسب لبولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس:

"2: 14 وَآدم لَمْ يُغْوَ، لكِنَّ المرأة أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي".

إذن فلم عوقب آدم؟

***

(و) عقوبة المرأة أصابتها وانتقلت لنسلها!!!

جاء في سفر التكوين:

"3: 16 وَقَالَ للمرأة: "تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ".

فما ذنب بناتها اللاتي لم يخطئن!!!

وهذه إحدى معضلات العقيدة الكنسية البولسية.

---

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 3: 8 إلى 10 ص: 2.

7 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 3: 14 و15 ص: 2.

8 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 3: 11 و12 ص: 2.

ولذلك اعترض رجال الدين المسيحي، لما قام الدكتور سمبسون أستاذ علم الولادة في جامعة إدنبره باستخدام غاز الإثير في عام 1846م ثم الكلورفورم في عام 1847م للمعافاة من آلام الوضع[9]، وقد استمر هذا الاعتراض، لما قام الدكتور سنو في عام 1853م بإعطائه للملكة فيكتوريا أثناء ولادتها[10].

***

وقد علق على هذه المعضلات الأستاذ أكرم حسن مرسي المهتدي للإسلام، فكتب:

"سألتُ أحدَهم سؤالاً هو: هل ربُّ العالمين المذكور في العهدِ القديمِ كان جاهلاً بمكانِ آدم - عليه السلام - لم يكن يعرف مكانه بعد أن أكل من الشجرةِ .... وذلك بزعم النصوص الوارد في سفر التكوين الاصحاح 3 عدد 8 وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإله ماشيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فاختبأ آدم وامرأته مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ

....

وَقَالَ للمرأة: "تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ".

فقال لي: هناك آية في القرآنِ تقول: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22)﴾ (الأعراف).

فكان ردي كالتالي:

أولًا: إن نصَ سفرِ التكوين يؤكد لنا تمام التأكيدِ أن الربَّ لم يكن يعرف مكان آدم - عليه السلام - ... النصُ قال:" 9 فَنَادَى الرَّبُّ الإله آدم وَقَالَ لَهُ: "أَيْنَ أنت؟".

وأتساءل: هل الربّ ليس كلي المعرفة، يجهل مكانَ آدم ... ؟!

بينما الآية القرآنية ليس فيها أن اللهَ - سبحانه وتعالى -كان جاهلًا بمكان آدم - عليه السلام - خطابه مباشرة هو وزوجته ... في عدة مواضع بعد الأكل من الشجرة كما يلي:

1 - قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22)﴾ (الأعراف).

2 - قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأرض مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آدم مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)﴾ البقرة).

ثانيًا: إن الملاحظ من نصوصِ سفرِ التكوين أن المرأة (حواء) هي صاحبة الخطيئة (الأكل من الشجرة) وليس آدم - عليه السلام -؛ النص يقول: "12 فَقَالَ آدم: "المرأة الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ". 13 فَقَالَ الرَّبُّ الإله للمرأة: "مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟" فَقَالَتِ المرأة: "الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ" ".

لذلك يبيّن لنا الكتابُ المقدس أنها (المرأة) مصدر الشر فالمتأمل فيه يجد هذا الوصف؛ لأنها أصل كل خطيئةٍ؛ نجد ذلك في العهدينِ: القديم والجديد:

أولًا: العهدُ الجديد: نقرأ في رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس إصحاح 2 عدد 14 وَآدم لَمْ يُغْوَ، لكِنَّ المرأة أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي. 15 وَلكِنَّهَا سَتَخْلُصُ بِوِلاَدَةِ الأَوْلاَدِ، إِنْ ثَبَتْنَ فِي الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْقَدَاسَةِ مَعَ التَّعَقُّلِ.

نلاحظ: أن آدم لم يخطئ، وأن حواء هي صاحبة الخطيئة الأصلية مصدر الإغواء ...

ونلاحظ أيضًا: أن الحكمة من وراءِ آلامِ الولادةِ عند المرأة سببها يرجع لهذا النص، وما جاء في سفر التكوين إصحاح 3 عدد 16 وَقَالَ للمرأة: "تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ".

---

9 Encyclopædia Britannica, Simpson, Sir James Young, 1st Baronet.

10 Encyclopædia Britannica, chloroform.

قلتُ: إن هذا النصَ يبيّن لنا أن عقابَ اللهِ - سبحانه وتعالى - لحواء على ثلاثةِ أصنافٍ هي: الولادة بالوجع، واشتياقها للرجل، وسيادة الرجل عليها، وذلك لأن حواء أكلت من الشجرة المحرمة، وخضعت لإغواء الحية، فغوت آدم فغضب اللهُ عليها .. .

وعليه: فإن هناك عدة تساؤلات تطرح نفسها هي:

1 - هل الولادة عقاب؟ وهل ألم الولادة عقاب؟ إن جميع إناث الحيوانات تلد وتتألم أثناء الولادة، مثلاً: هل ولادة البقرة عقاب لها أم أن هذا من وظائفها الطبيعية، وفطرتها التي فطرها اللهُ عليها؟!

2 - هل اشتياق المرأة للرجل عقاب لها؟! كيف؟ والرجل يشتاق للمرأة أيضًا، فهل هذا عقاب له أيضًا؟!

الجواب: أن الاشتياق فطرة فطر اللهُ - سبحانه وتعالى - الناس عليها حتى تتكون الأسرة، وتحصل المودة، والرحمة، ويُحفظ النسل، وليس عقابًا كما يذكر سفر التكوين ..... يقول اللهُ - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)﴾ (الروم).

2 - هل النص يتفق مع ما جاء به يسوع لِفعلِه (الصلب لرفعِ الإثمَ عن البشرية) كما يعتقد المعترضون ... هم يقولون: إن اللهَ صالحنا بموتِ يسوع على الصليبِ ....

وعليه أتساءل: لماذا تظل المرأة تلد بالأوجاع، لدرجة أن البعضَ منهن يستخدمن المخدر من شدةِ الألمِ (البنج)، في حين أن يسوعَ بزعمِهم رفعَ الإثمَ عن الجميعِ بما فيهم المرأة؟!

ولماذا عقاب الاشتياق ما زال موجودًا منها؟

ولماذا ما زال عقابُ الربِّ للحيَّة مستمرًا أن تمشي على بطنِها (تكوين 3/ 14)

فأين هو عدل اللهِ - سبحانه وتعالى - بحسبِ معتقدِهم؟!"[11].

***

(ز) الأرض ملعونة بسبب خطيئة آدم، وفرض عليه التعب، وأن تنبت الأرض شوكًا وحسكًا!!!

جاء في سفر التكوين

"3: 17 وقال لآدم: "لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلًا: لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك.

3: 18 وشوكًا وحسكًا تنبت لك، وتأكل عشب الحقل.

3: 19 بعرق وجهك تأكل خبزًا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب، وإلى تراب تعود"[12].

فلماذا تلعن الأرض؟

ثم الأرض لا تنبت شوكًا وحسكًا فقط، بل أكثر منه بكثير الفواكه والورود والنباتات النافعة والغابات والبساتين ... إلخ. ومن خيراتها تنمو البهائم والطيور، التي نأكل من أطايب لحومها وبيضها وألبانها.

يقول الحق سبحانه وتعالى ممتنًا على خلقه، وداعيًا لهم للتفكر في آلائه: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[13].

كما أن الإنسان يستطيع بالآلات -وخاصة الحديثة- أن يحصد -بدون تعب- ثمرات الأرض ويجني أطايبها.

بل وملكت الكنيسة -وما زالت تملك- بلادًا كاملة ومساحات شاسعة من تلك الأرض (الملعونة التي تنبت شوكًا وحسكًا)، وسخرت الملايين في العمل فيها.

***

(ح) الإنسان صار كواحد من الآلهة، ويخشى الله أن تصير حياته أبدية!!!

جاء في سفر التكوين:

---

11 تنزيه المجيد عن افتراءات العبيد ص: 183 إلى 186.

12 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 3: 17 إلى 19 ص: 2.

13 سورة النمل، آية: 60.

"3: 22 وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد.

3: 23 فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها.

3: 24 فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة"[14].

ونلاحظ في القصة التوراتية المسيحية أن وعيد الله لآدم -بشأن الأكل من الشجرة "موتًا تموت"- لم يتحقق، ولكن الذي تحقق هو ما قالته الحية لحواء، وها هو النص التوراتي يؤكد -بما ينسبه للمولى تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا- ما قالته الحية لحواء:

"3: 4 فقالت الحية للمرأة: "لن تموتا!

3: 5 بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر"[15].

وهذه القصة -التي يفهم منها أن الإنسان قد يستطيع أن يماثل الإله إذا أكل شيئًا معينًا- لها جذورها الوثنية، وهي غير معقولة، وبناء على هذه القصة الغير معقولة استدل النصارى على التثليث بعبارة: "كواحد منا"؟ فهو بطلان مركب.

ثم إذا كانت عبارة "كواحد منا" تدل على التثليث، فلماذا بنفس المنطق لا تدل على التثنية والتربيع والتخميس والتسديس؟ بل لماذا لا تدل على أن الآلهة بالمئات والآلاف؟

هذا فهم إشراكي ينافي التوحيد.

ثم إن اليهود الذي نقل عنهم النصارى هذا النص لا يستدلون به على التثليث، بل يعتبرونه كفرًا شنيعًا، ويؤمنون بواحدانية الله سبحانه، على شوائب، ستأتي أمثلة لبعضها إن شاء الله.

ومن المعلوم اليقيني أن سيدنا المسيح -عليه السلام- ولد يهوديًا، وكان معظمًا لشريعة سيدنا موسى عليه السلام، ولم يذكر عنه أبدًا مثل ذلك الاستدلال، بل نسب له النصارى -في كتبهم التي يقدسونها- أقوالاً تدعو للتوحيد الصرف، كما ذكرت من قبل.

ثم هذا النص يُفهم منه أن الله سبحانه طرد آدم من الجنة، ليس بسبب خطيئته، بل لخوفه من أن يأكل من شجرة الحياة، بعد أن صار كواحد من الآلهة!!! وهذا يهدم نظرية الخطيئة الأصلية البولسية.

ثم كيف يخاف الله من أن يحيا آدم للأبد، وهو سبحانه المحيي المميت الخالق المبدع القادر الغالب على أمره؟ هل إذا أكل المخلوق شيئًا يغلب إرادة الخالق؟؟؟

***

14 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 3: 22 ص: 2 و3.

15 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 3: 1 إلى 5 ص: 2.

(3) اليهود -الذين أخذ منهم النصارى التوراة- لا يؤمنون بالخطيئة الأصلية، بل العهد القديم نصوصه تنفي الخطيئة الأصلية.

ذكرت من قبل في مبحث (بقايا التوحيد في العهد القديم) عددًا من النصوص من العهد القديم تثبت أن كل إنسان مسؤول عن عمله، وتنفي بالتالي عقيدة الخطيئة الأصلية.

وقد أكد هذا الأمر محررو الموسوعة البريطانية، فجاء فيها عن الخطيئة الأصلية:

"لهذه العقيدة جذورها في الكتاب[1]، ورغم أن الحالة الإنسانية (المعاناة والموت والنزعة الكلية نحو الإثم) تم تناولها بقصة سقوط آدم في الإصحاحات الأولى من سفر التكوين، إلا أن النصوص اليهودية لا تذكر أي شيء عن تناقل الخطيئة الوراثية لسائر الجنس البشري.

كما لا توجد في الأناجيل -أيضًا- سوى تلميحات لعقيدة سقوط آدم والخطيئة الكلية.

ويوجد التأكيد النصي الأساسي لهذه العقيدة في كتابات القديس بولس وخاصة في رومية 5: 12- 19، وهي فقرة صعبة، أرسى فيها بولس التوازي بين آدم والمسيح، ذاكرًا أنه بينما دخل الإثم والموت للدنيا بآدم، فإن النعمة والحياة الأبدية جاءتا -بوفرة أكثر- عبر المسيح.

وهذه العقيدة هي المتطلب الأساسي للفهم المسيحي لمعنى صلب المسيح والكفارة.

ورغم أهميتها لفهم تضحية يسوع، إلا أن عقيدة الخطيئة الأصلية قد تضاءلت منذ التنور الأوروبي"[2].

والغريب أن اليهود -الذين أخذ عنهم المسيحيون العهد القديم- لا يؤمنون بالخطيئة الأصلية، ولكنها تفسير بولسي مسيحي لقصة سقوط آدم.

***

---

1 الكتاب هي ترجمة كلمة (The Bible)، وليس الكتاب المقدس، فتلك ترجمة كلمة (The Holy Bible).

2 Encyclopædia Britannica, original sin.

والنص الأصلي هو:

"The doctrine has its basis in the Bible. Although the human condition (suffering, death, and a universal tendency toward sin) is accounted for by the story of the Fall of Adam in the early chapters of the book of Genesis, the Hebrew Scriptures say nothing about the transmission of hereditary sin to the entire human race. In the Gospels also there are no more than allusions to the notion of the Fall of Man and universal sin. The main scriptural affirmation of the doctrine is found in the writings of St. Paul and particularly in Romans 5:12–19, a difficult passage in which Paul establishes a parallelism between Adam and Christ, stating that whereas sin and death entered the world through Adam, grace and eternal life have come in greater abundance through Christ.
The doctrine is the prerequisite for the Christian understanding of the meaning of Jesus' crucifixion and atonement. Despite its importance for understanding Jesus' sacrifice, the doctrine of original sin has been minimized since the European Enlightenment".

(4) الأناجيل تروي عن سيدنا المسيح -عليه السلام- أنه لا يؤمن بالخطيئة الأصلية والكفارة والفداء.

(أ) ذكرت من قبل[1] نصوصًا نسبها كُتَّاب الأناجيل للسيد المسيح -عليه السلام- تنفي عقيدة الخطيئة الأصلية، وتنفي أن الخلاص يتحقق بالإيمان بصلب المسيح كفارة عن خطيئة البشر، التي توارثوها من أبيهم آدم على حسب زعم آباء الكنيسة.

ومن ذلك -أيضًا- ما نسبه كاتب إنجيل متى للسيد المسيح عليه السلام:

- "12: 36 ولكن اقول لكم: إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابًا يوم الدين.

12: 37 لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان"[2].

- "16: 27 فان ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله"[3].

***

(ب) بل نسب كتاب الأناجيل تناقضًا لبولس نفسه، فرغم أنه صاحب نظرية الخطيئة الأصلية والفداء والصلب، إلا أنه نُسب إليه قوله في رسالته لأهل رومية:

"2: 5 ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب، تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة،

2: 6 الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله"[4].

فهنا يعتبر أن الإنسان سيحاسب حسب عمله، ولن يؤاخذ بجريرة أبيه آدم، ولا يذكر أن صلب سيدنا المسيح -عليه السلام- سيحمل عنه آثامه.

***

(ج) وليس في العهد الجديد نص صريح على أن المسيح عليه السلام سيصلب من أجل خطيئة آدم.

***

(د) وليس فيما ترويه الأناجيل عن سيدنا عيسى -عليه السلام- أنه ذكر أن الخلاص يكون بالصلب، وإنما الخلاص بالتوبة.

[1] فقد ذكر كاتبو إنجيل متى عن يوحنا المعمدان عليه السلام- أنه كان يدعو الناس للتوبة، ولم يكن يدعوهم للإيمان بالصلب والفداء والخطيئة الأصلية:

"3: 1 وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية

3: 2 قائلًا: "توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السماوات"[5].

[2] وذكر أيضًا كاتبو إنجيل متى أن يوحنا المعمدان -عليه السلام- كان يدعو الناس للتوبة والاعتماد في نهر الأردن لغفران ذنوبهم، وأن المسيح بنفسه جاء واعتمد على يديه، وأصر على يوحنا أن يعمده، كما كان يعمد الناس بالاغتسال في نهر الأردن لغفران الذنوب، فجاء في إنجيل متى:

"3: 4 ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل، وعلى حقويه منطقة من جلد. وكان طعامه جرادًا وعسلًا بريًا.

3: 5 حينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن،

---

1 في مبحث: ب- بقايا التوحيد في العهد الجديد- (5) نصوص تفيد أن الخلاص يكون باتباع وصايا موسى والتوحيد، ولم يذكر فيها الخلاص بالإيمان بالثالوث والصلب والفداء والخطيئة الأصلية ووجوب الاعتراف بالذنوب للكنيسة التي لا خلاص إلا عن طريقها... إلخ.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 12: 36 و37 ص: 10.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 16: 27 ص: 14.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 2: 5 و6 ص: 121.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 3: 1 و2 ص: 2.

3: 6 واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم.

3: 7 فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته، قال لهم: "يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟

3: 8 فاصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة.

3: 9 ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم: لنا إبراهيم أبًا. لأني أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادًا لإبراهيم.

3: 10 والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تقطع وتلقى في النار.

3: 11 انا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلًا أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار.

3: 12 الذي رفشه في يده، وسينقي بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ".

3: 13 حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه.

3: 14 ولكن يوحنا منعه قائلًا: "أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إلي".

3: 15 فأجاب يسوع وقال له: "اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر". حينئذ سمح له"[6].

إذن فيستفاد من هذا النص الآتي:

{أ} أن يوحنا المعمدان كان يدعو الناس للتوبة، وكان يطالبهم بأن يعملوا أعمالًا صالحة لينالوا التوبة، "3: 8 فاصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة". وهذا نفس ما قرره يعقوب في رسالته التي ينسبونها له، كما نقلت عنه آنفًا[7].

وهذا يخالف عقيدة بولس أن النجاة بالإيمان فقط. قال بولس في رسالته الأولى لأهل رومية: "10: 9 لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك ان الله أقامه من الأموات، خلصت"[8].

{ب} أن يسوع كان يعتبر نفسه، ويعتبره من معه كسائر البشر يخطئ ويتوب، وليس إلهًا، ولذلك ذهب واعتمد كسائر الناس على يد يوحنا المعمدان، الذي كان يعمد الناس في نهر الأردن للتوبة.

{ج} أن يوحنا المعمدان يبشر بنبي -يأتي من بعده- ذي قوة وسلطان، "سيعمدكم بالروح القدس ونار"، ويحفظ الصالحين ويهلك الفاسدين، "ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ"، وهذه ليست من صفات المسيح عيسى عليه السلام، الذي لم يتحقق له أي سلطان ولا قوة، ولكنها علامات النبي المجاهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

[3] وذكر أيضًا كاتبو إنجيل متى أن سيدنا المسيح -عليه السلام- بعد أن علم أن يوحنا المعمدان أُسْلِمَ، أخذ يدعو الناس للتوبة:

"4: 12 ولما سمع يسوع أن يوحنا أُسلِمَ، انصرف إلى الجليل.

....

4: 17 من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات"[9].

وكون سيدنا المسيح في هذا النص يدعو الناس لأن يتوبوا فقد اقترب ملكوت السماوات، يدل على أن هذا الملكوت ليس في بعثته وعهده، وإنما هو سيأتي من بعده، وكذلك لما أرسل الحواريين الاثني عشر والتلاميذ السبعين أمرهم

---

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 3: 4 إلى 15 ص: 2.

7 (2) التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى- (أ) المرحلة الأولى (من سنة 30م إلى 135م)- [1] المدة الأولى: من رفع المسيح -عليه السلام- إلى تدمير الهيكل عام 70م- [ج] يعقوب العادل ودوره في كنيسة القدس.

8 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 10: 9 ص: 126.

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 4: 12 و17 ص: 2 و3.

بان يبشروا باقتراب ملكوت السماوات، وهذه بشارة بشر بها سيدنا يحيى وسيدنا المسيح عليهما السلام، وكذلك الحواريون والتلاميذ، إذن فهي بشارة بنبوة نبي من بعدهم، وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم[10].

[4] كذلك مما يؤكد أن سيدنا المسيح -عليه السلام- نُسِب له في الأناجيل؛ أن الخلاص يكون بالتوبة، وليس بالصلب والفداء، ما جاء في إنجيل لوقا عن زكا:

"19: 5 فلما جاء يسوع إلى المكان، نظر إلى فوق فرآه، وقال له: "يا زكا، أسرع وانزل، لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك".

19: 6 فأسرع ونزل وقَبِله فرحًا.

19: 7 فلما رأى الجميع ذلك تذمروا قائلين: "إنه دخل ليبيت عند رجل خاطئ".

19: 8 فوقف زكا وقال للرب: "ها أنا يا رب أعطي نصف أموالي للمساكين، وإن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف".

19: 9 فقال له يسوع: "اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضًا ابن إبراهيم"[11].

***

(هـ) وفي الأناجيل المنسوبة لمرقس[12] ولوقا[13] ومتى ما يدل على نفي الخطيئة الأصلية عن الأطفال، فقد نسب كاتبو الأناجيل للسيد المسيح عليه السلام- أنه قال أن لأمثال الأطفال ملكوت السماوات، والأطفال في عقيدة بولس يحملون الخطيئة الأصلية، يرثونها عن سيدنا آدم -عليه السلام- في زعم النصارى، دون إثم ارتكبوه، ولا ذنب اقترفوه.

ولا يمكن أن يخلصوا إلا إذا آمنوا بالمسيح الذي زعم بولس أن أباه (الله) قتل الله على الصليب ليُرضي الله!!!

[1] فجاء في الإنجيل المنسوب لمتى:

19: 13 حينئذ قدم إليه أولاد لكي يضع يديه عليهم ويصلي، فانتهرهم التلاميذ.

"19: 14 أما يسوع فقال: "دعوا الأولاد يأتون إلي ولا تمنعوهم لان لمثل هؤلاء ملكوت السماوات".

19: 15 فوضع يديه عليهم، ومضى من هناك"[14].

فهنا لم يشترط سيدنا المسيح عليه السلام -حسب رواية كاتبي إنجيل متى- عقيدة مجمع نيقية لدخول ملكوت الله. بل أكد أن من أراد أن يدخل ملكوت الله فعليه أن يقبله كطفل.

وحواريو عيسى لم يكونوا يعرفون الخطيئة الأصلية، لأنهم على عقيدة موسى عليه السلام، الذي ينفي توارث الخطيئة، ولذا لم يعترضوا عليه لما قال إن لأمثال هؤلاء ملكوت السموات، ولم يرددوا عليه عقيدة بولس: أن هؤلاء خطاة بالوراثة، كيف يدخلون ملكوت السموات؟

وقد حاول شراح النسخة اليسوعية نفي براءة الطفل، تعصبًا لعقيدة بولس، فكتبوا:

"ليس الطفل رمز البراءة، بل الطاعة والاستعداد للتقبل. فالذي يقبل بشرى الملكوت بهذه الاستعدادات الباطنية (الآية 15)، وبدون جدال يدخل الملكوت فورًا (الآية 14)".

وهذه مكابرة تأباها العقول، فقد أجمع البشر على براءة الأطفال، حتى إنها ليضرب بها المثل، فيقال: في براءة الطفل. ولذلك لا يحاسب الطفل على تصرفاته لأنه ناقص الأهلية.

أما قولهم: إن الطفل رمز الطاعة، فغلط واضح، بل الطفل متمرد غير مهذب ذو طمع، لأنه ناقص العقل، لا لأنه وارث ظلمًا خطيئة لم يرتكبها، ولذا يحتاج للتربية والتهذيب والتصويب والزجر عن عدوانه وطمعه.

---

10 راجع لتفصيل هذا الأمر وغيره من البشارات: إظهار الحق ج: 4 ص: 1173.

11 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 19: 5 إلى 9 ص: 64.

12 مرقس: 10: 13 إلى 16.

13 لوقا: 18: 15 إلى 17.

14 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 19: 13 إلى 15 ص: 16.

ثم هم لم يجيبوا على الاعتراض الأساسي: كيف يدخلون الملكوت وهم حاملو الخطيئة الأصلية، ولم يطلب منهم سيدنا المسيح أن يؤمنوا بالصلب والفداء وعقيدة نيقية؟؟؟

ثم أوردوا كلمتين تكشفان عن حقيقة معتقدهم، وهي قولهم: "بدون جدال". فهذا -حقيقةً- ما تطلبه الكنيسة من أتباعها، أن يقبلوا -بغير جدال- ما تقدمه لهم من عقائد لا تُعقل، وهذا أحد أهم أسباب الفساد السياسي، كما سنرى إن شاء الله.

وهذا القبول الأعمى لعقائد آباء الكنيسة يخالف ما أوردته آنفًا، مما نسب للسيد المسيح عليه، عن جوابه لأحد كتبة اليهود في إنجيل مرقس:

"12: 28: فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُم يَتَحَاوَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا، سَأَلَهُ: "أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟".

12: 29: فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: "إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ.

12: 30: وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى.

12: 31: وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ".

12: 32: فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: "جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتُ، لِأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ.

12: 33: وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الفَهْمِ، وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ".

12: 34: فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلٍ، قَالَ لَهُ: "لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ". وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَسْأَلَهُ!"[15].

فهنا استشهد سيدنا المسيح حسب رواية كاتب إنجيل مرقس- بنص العهد القديم، وجاء فيه "الرب إلهنا". بضمير الجمع للمتكلم، أي إلهنا: أنا وأنت وجميع الخلق.

ثم أثنى سيدنا المسيح -عليه السلام- على الكاتب اليهودي لأنه أجاب بعقل؛ مؤكدًا وحدانية المولى سبحانه الخالصة، ولم يقل له: تقبل ما أقول بلا جدال، كما يقول آباء الكنيسة لأتباعهم.

وقد علق على هذا النص السيد محمد رشيد رضا -رحمه الله- تعليقًا بليغًا، فكتب:

"فَعُلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ التَّوْحِيدَ الْخَالِصَ هُوَ الْعَقِيدَةُ الْمَعْقُولَةُ الَّتِي تُؤْخَذُ عَلَى ظَاهِرِهَا بِلَا تَأْوِيلٍ، فَإِنْ فَرَضْنَا أَنَّهُ وَرَدَ مَا يُنَافِيهَا، وَجَبَ رَدُّهُ أَوْ إِرْجَاعُهُ إِلَيْهَا"[16].

[2] وجاء أيضًا في الإنجيل المنسوب لمتى:

21: 15 فلما رأى رؤساء الكهنة والكتبة العجائب التي صنع، والأولاد يصرخون في الهيكل ويقولون: "أوصنا لابن داود". غضبوا

21: 16 وقالوا له: "أتسمع ما يقول هؤلاء؟". فقال لهم يسوع: "نعم! أما قرأتم قط: من أفواه الأطفال و الرضع هيأت تسبيحًا؟"[17].

وفي هذا النص ينسب كاتبو الإنجيل -المنسوب لمتى- للسيد المسيح -عليه السلام- أنه استشهد بقول سابق في العهد القديم، ويزعم شارحو الإنجيل أنه يشير لنص المزمور 8: 2، وفي هذا النص وفي نص المزمور 8: 2 دليل على براءة الأطفال والرضع من الخطيئة الأصلية، التي يزعم بولس والكنائس المثلثة أنهم ورثوها من أبيهم آدم. لأنهم من أفواههم قد هيأ الله تسبيحًا، فكيف يهيئ الله تسبيحًا من أفواه الخطاة ورثة خطيئة أبيهم آدم؟؟؟

---

15 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 12: 28 إلى 34 ص: 38.

16 تفسير المنار- تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ... الآية﴾ سورة: النساء، آية: 171 ج: 6 ص: 94.

17 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 21: 15 و16 ص: 18.

ومن الجدير بالملاحظة أن هذا النص نسبه العهد القديم لسيدنا داود عليه السلام، أي قبل صلب المسيح بقرون، وكانت البشرية غارقة في غضب الله -بزعمهم- بسبب الخطيئة الأصلية، ولم يكن الله -تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا- قد أرسل ولده (الله) ليقتله، ليرضي اللهَ!!! فكيف يهيئ الله لنفسه تسبيحًا على لسان الخطاة المغضوب عليهم، الذين لم يفدهم بعد بصلب ولده؟؟؟

أسئلة محيرة بعضها فوق بعض!!!

ثم في هذا النص مشكلتان أخريان:

أولها: أن نصه يختلف عن النص في المزمور 8، وهذه مشكلة متكررة في العهد الجديد في استدلال كاتبوه بالعهد القديم، وهي مشكلة تدل على عدم عصمة العهد الجديد وتحريفه، وأنه كتب بأيدي بشر غير معصومين، يخطئون حتى في الاستشهاد بالنصوص السابقة، كما سأبين إن شاء الله.

وثانيها: أن النص في المزمور 8 فيه فرق واضح بين ترجماته المختلفة، وهذه من المشاكل التي تقدح في عصمة أسفار النصارى، وسأشير لها -إن شاء الله- عند بحث ترجمات الكتاب المقدس لدى النصارى.

وسبب هذه المشكلة الاختلافات البالغة الكثرة بين المخطوطات، والتي يحاول كُتَّاب -كل كنيسة أو جمعية- أن يركبوا من بعضها كتابًا مقدسًا بالحدس والتخمين والترجيح، لا بالقطع واليقين.

وكل هذه المخطوطات مفقودة الأصل، وبلا سند، وبينها وبين نصوصها الأولى قرون، تمت فيها كل أنواع التحريفات، كما سأبين إن شاء الله.

وهذا الذي نسبه كاتبو أناجيل متى ولوقا ومرقس للسيد المسيح -عليه السلام- عن براءة الأطفال، هو من بقايا الحق في النصوص التي وصلت للنصارى، بعد التحريف والتغيير، وهو يتفق مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ"[18].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"[19].

***

(و) والخطية التي نسب للسيد المسيح -عليه السلام- التوبيخ عليها؛ هي التكذيب بالأنبياء وبرسالاتهم، وليست الخطيئة الأصلية الموروثة عن سيدنا آدم عليه السلام، الذي لم ينسب للسيد المسيح في أسفار النصارى أنه ذكرها، ولو مرة واحدة.

جاء في الإنجيل المنسوب ليوحنا أو لليوحاناويين[20]:

- أن سيدنا المسيح -عليه السلام- قال للفَرِّيسيين:

"9: 41 قال لهم يسوع: "لو كنتم عميانًا لما كانت لكم خطية. ولكن الآن تقولون إننا نبصر، فخطيتكم باقية"[21].

ففي هذا النص يقرر لهم يسوع: أنهم لو لم يكونوا قد رأوا معجزاته، لما كان عليهم إثم، أما تنكرهم لنبوته بعد أن رأوا معجزاته فهو سبب إثمهم.

إذن الإثم سببه عصيان تعاليم الأنبياء عليهم السلام.

وهذا ينافي عقيدة الخطيئة الأصلية (أو الخطيئة في حق البشرية) البولسية، التي تزعم أن كل الناس قد ولدوا خطاة، بما ورثوه من خطيئة أبيهم آدم، وأنه لا خلاص لهم إلا بالاعتقاد: بأن الله قد أرسل الله ليقتل الله ليرضي الله!!!

- وجاء فيه أيضًا:

" 16: 7 لكني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم

---

18 متفق عليه، واللفظ للبخاري- كتاب: الجَنَائِزِ- باب: مَا قِيلَ فِي أَوْلاَدِ المُشْرِكِينَ- حديث رقم: 1385 ج: 1 ص: 424.

19 متفق عليه، واللفظ للبخاري- كتاب: الحَجِّ- بَابُ: فَضْلِ الحَجِّ المَبْرُورِ- حديث رقم: 1521 ج: 1 ص: 470 و471.

20 سيأتي -إن شاء الله- أن كاتب إنجيل يوحنا مجهول، وأن العديد من علماء النصارى يرون احتمال كتابته بأيدي مجموعة من الأشخاص، لا بيد شخص واحد.

21 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 9: 41 ص: 81.

16: 8 ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة

16: 9 أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي"[22].

ففي هذا النص يخبر سيدنا المسيح -عليه السلام- أصحابه: أنه سيأتي رسول من بعده، وأن هذا الرسول سيحاسب أهل الخطية، وأن الخطية التي سيحاسبهم عليها ليست هي الخطية الأصلية، التي لا ذكر لها في أسفار النصارى (العهدين القديم والجديد) إلا في رسائل بولس فقط، ولكنها عدم الإيمان لسيدنا المسيح عليه السلام.

***

(ز) وكتب الأستاذ أكرم حسن مرسي المهتدي للإسلام من النصرانية:

"رابعًا: إِنَّنِي مُسْلِمٌ وَلَسْتُ نَصْرَانِيًّا؛ لِأَنَّنِي لَا أَعْتَقِدُ بِعَقِيدَةِ الفِدَاءِ والصَّلْبِ الَّتِي لَا وُجُودَ لَهَا فِي الْقُرْآنِ الكَرِيمِ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ العظيم، وَلَا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَلَا عَلَى لِسَانِ يَسُوعَ المَسِيحِ قَطُّ؛ فَلَمْ يَذْكُرْ يَسُوعُ الْمَسِيحُ نفسه اسْمَ آدَمَ أَبَدًا وَهُوَ صَاحِبُ الخَطِيئَةِ الأَصْلِيَّةِ؛ والَّتِي مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنَّ يَسُوعَ تَجَسَّدَ مِنْ أَجْلِهَا ليموت ... !

هَذِهِ العَقِيدَةُ تَتَنَافَى مَعَ عَدْلِ اللهِ - سبحانه وتعالى -؛ فاللهُ - سبحانه وتعالى - يُحَاسِبُ عَلَى أَعْمَالِ كل إنسان؛ فمَن عمل صالحا فاز بالنعيم والملكوت، ومن عمل سيئا عُذب بجهنم منعوت ...

عَقِيدَةِ الفِدَاءِ والصَّلْبِ اخْتَرَعَهَا بُولُس فَضَلَّ وأَضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَبِيلِ، وتَبَعَ نهجَه أهلُ الكهنوت"[23].

***

(ح) وينسب النصارى للسيد المسيح -عليه السلام- بعض الأقوال، التي يزعمون أنها تفيد أنه دعا لعقيدة الصلب والفداء.

وبداية أود أن أذكر القارئ، أننا لا نؤمن بصدقية ولا عصمة الكتاب الذي يقدسه النصارى، وبالتالي فلا نرى -كمسلمين- أن نصوص هذا الكتاب حجة يحتج بها، بل قد بينت من قبل أن علماء النصارى لا يعتبرون هذه النصوص أدلة تاريخية، ولكنها أدلة على ما أسموه (الإيمان)، أي عقيدة آباء الكنيسة[24].

بل إن هذه النصوص احتج بها مخالفو الكنيسة البولسية المثلثة، والذين يسميهم آباء الكنيسة بـ(الهراطقة).

ولكن ذِكْرُنا لهذه النصوص الغرض منه أن نبين للنصارى أن الأسفار التي بين أيديهم -مع عدم اعتقادنا بصدقيتها- نُسب فيها للسيد المسيح وللأنبياء قبله -عليهم السلام- أقوال تتصادم مع عقائد الكنيسة البولسية المثلثة.

وعند فحص تلك النصوص، التي يزعم النصارى أنها تدل على عقيدة الكفارة والخلاص، نجد أنها لا تفيد المعنى الذي ذهبوا له، بل هي نصوص عامة تفيد أن سيدنا المسيح -عليه السلام- مستعد أن يبذل نفسه ودمه في سبيل هداية بني إسرائيل ومغفرة ذنوبهم، وهذه النصوص هي:

[1] ما جاء في الإنجيل المنسوب لمتى:

- "1: 21 فستلد ابنًا وتدعو اسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم"[25].

---

22 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 16: 7 إلى 9 ص: 87.

هذا النص، وغيره من النصوص التي ذكر فيها المعزي، من البشارات بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويجادل النصارى؛ بأن المعزي هو الروح القدس، وقد رد عليهم علماء المسلمين في ذلك مبينين تحريفهم، والبشارات التي وردت بسيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في العهدين القديم والجديد كثيرة.

وهي من بقايا الحق في هذه الكتب المحرفة.

راجع لتفصيل ذلك: ما كتبه الأستاذ أكرم حسن مرسي في كتاب (لماذا أنا مسلم ولست نصرانيا؟)- عاشرًا: إِنَّنِي مُسْلِمٌ وَلَسْتُ نَصْرَانِيًّا؛ لِأَنَّنِي لَمَّا قَرَأْتُ الكِتَابَ الْمُقَدَّسَ الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ النَّصَارَى وَجَدْتُ نُبُوءَاتٍ تَتَحَدَّثُ عَنْ نَبِيٍّ قَادِمٍ للبشرية ص: 75 وما بعدها.

وراجع أيضًا: ما كتبه الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- في تفسير المنار في تفسير قول الحق سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾. [سورة النساء، آية: 171].

23 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيا؟ ص: 33.

24 راجع: المقصد الأول: تحريف النصرانية- المقالة الأولى: ملاحظات مبدئية- الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس- النقطة الأولى: نبذة تاريخية- (1) مقدمة عن مصادر دراسة تلك المرحلة.

25 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 1: 21 ص: 1.

[2] وما جاء أيضًا في الإنجيل المنسوب لمتى وللإنجيل المنسوب لمرقس[26]:
"20: 28 كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليَخدم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"[27].
[3] وما جاء أيضًا في الإنجيل المنسوب لمتى:
- "26: 28 لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا"[28].
[4] ما جاء في الإنجيل المنسوب للوقا:
- "2: 11 إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب"[29].
[5] وما جاء أيضًا في الإنجيل المنسوب للوقا:
- "2: 30 لأن عيني قد أبصرتا خلاصك،
2: 31 الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب"[30].
[6] وما جاء أيضًا في الإنجيل المنسوب للوقا:
- " 19: 10 لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك"[31].
وهذه نصوص عامة لا تفيد العقيدة المركبة، التي دعا لها بولس، ثم طورتها المجامع فيما بعد، وعن هذا كتب الشيخ محمد تقي العثماني:

"أفليس معنى هذه الجمل البسيط الساذج أن سيدنا المسيح -عليه السلام- جاء يهدي التائهين في ظلمات الضلال، إلى طريق النجاة السوي، ويريد أن ينقذ الذين استحقوا بكفرهم وشركهم وسيئاتهم العقاب الدائم، من عذاب جهنم، بهدايتهم الصراط المستقيم، مهما كلفته خدماته التبليغية هذه من أذى ومشاق.

"وليبذل نفسه فدية عن كثيرين". و"هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا"، إذا لم يكن تصور عقيدة الكفارة راسخًا في الذهن من قبل، فسيكون المفهوم الواضح البسيط لهذه الجمل أن المسيح -عليه السلام- من أجل إخراج الناس من الضلال ولتوفير أسباب مغفرة خطاياهم الماضية، مستعد حتى ليبذل نفسه، وهو في هذه الجمل يعرب عن استعداده هذا.

وأنى تفيد هذه الجمل الفلسفة القائلة بأن سيدنا آدم -عليه السلام- كان قد سُلب حريته الإرادية من أجل ما أخطأ، ولذلك فركبت "الخطيئة الأصلية" مع طبيعته وطبيعة أولاده، فاستحق كل رضيع العقاب والعذاب الدائم، ثم تحمّل هذه "الخطيئة الأصلية" للعالم كلّه، أقنوم الله الابن، بكونه مصلوبًا، مما غفرت منه خطايا جميع الناس؟!

وإذا كان غرض سيدنا المسيح -عليه السلام- من الجمل المذكورة أعلاه بيان عقيدة الكفارة، فلماذا لم يبينها بتفاصيلها؟ على حين أنها كانت من العقائد الأساسية في الدين، وكان الإيمان بها مناط النجاة؟

وإنك لتستخدم ليل نهار للأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بل وللزعماء والقادة أمثال الجمل الآتية: إن فلانًا قد ضحى بنفسه في سبيل تخليص أمته، لكن أحدًا لا يفهم منها أن "الخطيئة الأصلية التي ارتكبها آدم -عليه السلام- كانت محمولة على الأمة، فهذا الزعيم أو القائد، قد تحمل عذابها بنفسه".

ثم إنه إذا كان بالإمكان استنباط مثل هذا المفهوم من هذه الجمل، فهلا يمكن أن يستنبط منها المفهوم الآخر؟ وهو أن سيدنا المسيح قد تحمل خطايا وذنوب جميع أمته، فمهما أذنب الناس إلى يوم القيامة لا يعذبون، وذلك ما ظلت الكنائس تنفيه منذ اليوم الأول.

....

26 مرقس: 10: 45.

27 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 20: 28 ص: 17.

28 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 26: 28 ص: 23.

29 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 2: 11 ص: 44.

30 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 2: 30 و31 ص: 46.

31 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 19: 10 ص: 64.

وقد أكد البحث المسرود أعلاه أن المفهوم المتَبع لعقيدة الكفار اليوم، لا يثبت بقول من أقوال سيدنا المسيح عليه السلام، وأن الجمل التي استدل بها عليها، مفهومها الواضح البسيط غير ما أريد منها.

وإذا أتينا إلى الحواريين فلا نجد عندهم أيضًا جملة تستند إليها عقيدة الكفارة، إذًا فإن الرجل الأول الذي جاء بعقيدة الكفار بجميع فلسفاتها هو بولس"[32].

***

32 ما هي النصرانية ص: 130 إلى 132.

(5) عقيدة بولس في الصلب والفداء والكفارة والخلاص

أشرت من قبل -تحت عنوان (تمهيد)- لملخص لعقيدة النصارى في الخطيئة والفداء والخلاص، التي طوروها من الكتابات المنسوبة لبولس، وهنا أود أن أفصل قليلًا فيما دعا له بولس في هذا الشأن تحت العنوانين التاليين:

(أ) عناصر عقيدة بولس في الصلب والفداء والكفارة والخلاص

(ب) إقرار بولس بمقاومة الجيل الأول من المسيحيين لتعاليمه

***

(أ) عناصر عقيدة بولس في الصلب والفداء والكفارة والخلاص

يمكن سرد عناصر هذه العقيدة مجملة كما يلي:

[1] الخطيئة الأصلية (الظلم المقدس، أو جريمة بولس وكنيسته في حق البشرية):

[أ] الحية أغوت حواء، وحواء أغوت آدم، والمرأة هي أصل الشرور.

[ب] المرأة ستخلص بطاعة زوجها وولادة الأولاد.

[2] بخطيئة آدم دخلت الخطيئة والموت للعالم.

[3] ليس هناك شخص بار قبل المسيح.

[4] الله -سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا- قد صالحنا بالمسيح.

[5] قدم المسيح نفسه فداءً لخطايا البشر.

[6] لا بد للمغفرة من سفك دم.

[7] أقام الله -سبحانه- المسيح -عليه السلام- من الأموات.

[8] لا يتسلط الموت على سيدنا المسيح -عليه السلام- بعد قيامته من الأموات، وإذا متنا في المسيح سنحيا معه!!!

***

[1] الخطيئة الأصلية (الظلم المقدس، أو جريمة بولس وكنيسته في حق البشرية):

[أ] الحية أغوت حواء، وحواء أغوت آدم، والمرأة هي أصل الشرور.

جاء في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس:

"11: 3 ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح"[1].

[ب] المرأة ستخلص بطاعة زوجها وولادة الأولاد، ولم يذكر صلب المسيح!!!

جاء في رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس:

"2: 14 وآدم لم يغو، لكن المرأة أُغويت فحصلت في التعدي.

2: 15 ولكنها ستخلص بولادة الأولاد، إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل"[2].

وهنا نلاحظ أمرين:

الأول: أن المرأة هي أصل الغواية، وهي التي أجرمت "فحصلت في التعدي".

الثاني: أن خلاصها بالولادة!!! والثبات في الإيمان.

ولا أفهم علاقة بين الخلاص والولادة.

ثم هنا لم يذكر أنها تخلص بصلب المسيح كفارة عن خطايا البشر!!!

وهنا أود أن أوضح أن المولى -سبحانه وتعالى- أخبرنا في القرآن الكريم بأمور:

الأول: أن المعصية حصلت من آدم وزوجه كليهما.

والثاني: أنهما تابا إلى ربهما فتاب عليهما.

والثالث: أن كل إنسان محاسب على عمله، لا صلة له بما فعله غيره: أبًا كان أو ابنًا أو غيرهما.

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[4].

وعن هذا الأمر كتب الأستاذ أكرم حسن مرسي، المهتدي من النصرانية للإسلام:

"سَادِسًا: إِنَّنِي مُسْلِمٌ وَلَسْتُ نَصْرَانِيًّا؛ لِأَنَّ الإِسْلَامَ كَرَّمَ الإِنْسَانَ، بَيْنَمَا أُهِينَ فِي دِينِ النصرانية؛ فيوصَفُ بِعَدَمِ الفَهْمِ، وبالجَحْشِ، وبِالبَهِيمَةِ ...

وتُوصَفُ المَرْأَةُ فِيهِ بِأَنَّهَا عجلةٌ، وتُوصَفُ بالنَّجَاسَةِ وكَأَنَّهَا كَلْبٌ أَجْرَبٌ .... !

أدلةُ ذَلِكَ من وَجْهَيْنِ:

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: 11: 3 ص: 146.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس: 2: 14 و15 ص: 168.

3 سورة الأعراف، آية: 22 إلى 25.

4 سورة طه، آية: 121 إلى 124.

الوَجْهُ الأَوَّلُ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَهم سُورَتَانِ فِي الْقُرْآنِ الكريم بِاسْمِ امْرَأَةٍ هُمَا: النِّسَاءُ، ومَرْيَمُ، وَقَدْ بَيَّنَ النبيُّ محمد - صلى الله عليه وسلم - أَنَّ الإنسان الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجَسُ أبداً؛ وَذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ كِتَابِ (الْغُسْلِ) بَابِ (عَرَقِ الْجُنُبِ وإن الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ) بِرَقْمِ 274 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - لَقِيَهُ فِي بَعْضِ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ فَانْخَنَسْتُ مِنْهُ فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: "كُنْتُ جُنُبًا فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ ". فَقَالَ: " سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ".

وقَالَ - سبحانه وتعالى -: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدم وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (الإسراء 70).

....

بل إن الله سخر ما في هذا الكون لصالح الإنسان ...

قال - سبحانه وتعالى -: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)} (الجاثية).

وَجَعَلَ الْإِسْلَامُ العَظِيمُ للمَرْأَةِ مَكَانَةً خاصةً عُظْمَى، وأَعْطَاهَا حَقَّهَا كَإِنْسَانٍ مُكَرَّمٍ؛ فَالنِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ؛ فهنّ الأمهات، والخالات، والعمات، والأخوات، والزوجات والبنات ...

قال النبيُّ محمدُ: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي".

(سنن الترمذي برقم 3830 (صحيح)).

أَوْصَى بِهِنَّ الْإِسْلَامُ خَيْرًا؛ فمنْ حقوقهن التي عُلمت عبر الأزمان والأعراق أنْ جَعَلَ لَهن نَصِيبًا فِي المِيرَاثِ.

....

كَذَلِكَ أَعْطَاهَا حقَّ الخُلْعِ مِنْ زَوْجِهَا إذا اسْتَحَالَتِ العِشْرَةُ مَعَهُ بالمعروف[5].

....

بَيْنَمَا فِي دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ هي أساس الخطيئة الأصلية فآدم لم يخطأ بينما حواء هي صاحبة الخطيئة الأصلية التي ابتليت بها البشرية .... !

جاء في رسالةِ بولس الأولى إلى تيموثاوس أصحاح 2 عدد 14 وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ، لكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي. 15 وَلكِنَّهَا سَتَخْلُصُ بِوِلاَدَةِ الأَوْلاَدِ، إِنْ ثَبَتْنَ فِي الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْقَدَاسَةِ مَعَ التَّعَقُّلِ.

الملاحظ: أنّ آدم لم يخطئ، وإن حواء هي صاحبة الخطيئة، وسبب الإغواء ...

---

5 الكنيسة الكاثوليكية لا تبيح الطلاق حتى ولو لعلة الزنا، ولكنها تتوسع في فسخ عقد الزواج بسبب بطلان العقد أصلًا، كثبوت الغش مثلًا.

أما الكنيسة الأرثوذكسية فتبيح الطلاق بسبب بطلان العقد، وبسبب علة الزنا أو تغيير الملة (الزنا المعنوي)، وهذا الأمر يسبب مشاكل اجتماعية مستفحلة بين المسيحيين، فالكنيسة لا تقبل التطليق حتى ولو كان الزوج مجنونًا أو مجرمًا يعتدي على زوجته بالسكين أو مريضًا بمرض معد، أو غير قادر على إتيان زوجته، وأكثر ما تحكم به الكنيسة هو الفراق الجسدي، والفراق الجسدي في حد ذاته مصيبة اجتماعية.

ونفس الأمر بالنسبة للزوج، فلا تقبل الكنيسة تطليقه لزوجته -إذا كان العقد صحيحًا في نظرها- لسبب غير الزنا أو تغيير الملة مهما كانت الزوجة فاسدة أو مؤذية هي أو أهلها للزوج.

ثم المطلق أو المطلقة لعلة الزنا أو تغيير الملة لا تسمح له الكنيسة بالزواج.

ولهذا انشق الأنبا مكسيموس عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وسمح للمطلقين من أتباع كيسته بالزواج الثاني، وذكر أن من أسباب انشقاقه أن الآباء الأولين كانوا يعددون الزوجات، وأنه يريد أن يحافظ على النصارى الأرثوذكس، الذي يتناقص عددهم باستمرار بتحولهم للإسلام، أو بتحايلهم للتطليق عبر انتقالهم للكنائس الأخرى الكاثوليكية أو البروتستانتية.

راجع: لقاء الأنبا مكسيموس في برنامج (بلا حدود) في قناة الجزيرة، وراجع أيضًا: قناة المخلص: ماذا يفعل الزوج والزوجة ؟ خاص وسري جداً !! للأستاذ معاذ عليان.

وسنرى -إن شاء الله- في تتبعنا لمسيرة الفساد السياسي وتلاعب الملوك والرهبان بالدين؛ أن البابا -رغم تشدده في منع الطلاق للعامة-كان يصدر قرارات خاصة بالطلاق والزواج للملوك، ومن أشهر الأمثلة التاريخية على ذلك المشاكل التي حصلت بين البابا والملك هنري الثامن، والتي نتج عنها انفصال كنيسة انكلترا، بسبب شهوات ومغامرات هنري الثامن النسائية، ونصب هنري الثامن نفسه رئيسًا لكنيسة انكلترا، ولا زالت رئاستها حتى اليوم تسند للملوك، فتأمل.

والحكمة من وراءِ آلام الولادة عند المرأة بعد أنْ أكلت من الشجرة المحرمة يرجع إلى ما جاء في سفر التكوين أصحاح 3 عدد 16 وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أُكثر أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ".

النص ذكر أنّ عقابَ اللهِ لحواء صاحبة الخطيئة الأصلية على ثلاثةِ أصنافٍ هي: الولادة بالوجع، واشتياقها للرجلِ، وسيادة الرجل عليها!

كما أنها لَا تَرِثُ؛ فقد يظلمُ الرجلُ المرأةَ، كأنْ يظلم الأخُ الأختَ .... فليس في الكتاب المقدس أي أحكام للميراث ... بَلْ إنهم يَتَحَاكَمُونَ إلى الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ - نَصَارَى مِصْرَ- وكَذَلِكَ لَيْسَ لَهَا الحَقُّ فِي أَنْ تَخْلَعَ زَوْجَهَا إِنِ اسْتَحَالَتِ العِشْرَةُ، بَلْ إذا أَرَادَتِ الطَّلَاقَ فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ زَانِيَةً أو مُغيرة مِلَّتِهَا للاستحقاق ... !

....

الوَجْهُ الثَّانِي: القَارِئُ لِلكِتَابِ المُقَدَّسِ يَجِدُ فِيهِ أَنَّ الإنسان مُشَبَّهٌ بالجَحْشِ، والإِنْسَانُ كَلِمَةٌ تُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ والأنثى؛ فَلَا يُوجَدُ فِي اللغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَفْظَة (إِنْسَانَةٍ) على الإطلاق ...

جَاءَ فِي سِفْرِ أَيُّوبَ أَصْحَاح 11 عَدَدِ 12 " أَمَّا الرَّجُلُ فَفَارِغٌ عَدِيمُ الفَهْمِ، وَكَجَحْشِ الْفَرَا يُولَدُ الإنسان ".

نُلاحِظُ: " وَكَجَحْشِ الْفَرَا يُولَدُ الإنسان "!

ويَجِدُ أيضًا أَنَّ الإنسان مُشَبَّهٌ بِالبَهِيمَةِ ...... وَهَذَا مَا قَالَهُ كَاتِبُ سِفْرِ الْجَامِعَةِ فِي الأصحَاح 3 عَدَدِ 18 " قُلْتُ فِي قَلْبِي: «مِنْ جِهَةِ أُمُورِ بَنِي الْبَشَرِ، إِنَّ اللهَ يَمْتَحِنُهُمْ لِيُرِيَهُمْ أنه كما الْبَهِيمَةِ هكَذَا هُمْ». 19 لأَنَّ مَا يَحْدُثُ لِبَنِي الْبَشَرِ يَحْدُثُ لِلْبَهِيمَةِ، وَحَادِثَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُم. مَوْتُ هَذَا كَمَوْتِ ذَاكَ، وَنَسَمَةٌ وَاحِدَةٌ لِلكُلِّ. فَلَيْسَ لِلإِنْسَانِ مَزِيَّةٌ عَلَى الْبَهِيمَةِ، لأَنَّ كِلَيْهِمَا بَاطِلٌ. 20 يَذْهَبُ كِلَاهُمَا إلى مَكَانٍ وَاحِدٍ. كَانَ كِلَاهُمَا مِنَ التُّرَابِ، وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ كِلَاهُمَا ".

نُلاحِظُ مِنَ النَّصِّ: أَنَّ الإنسان لَيْسَ لَهُ مَزِيَّةٌ عَلَى الْبَهِيمَةِ؛ فالإِنْسَانُ كالبَهِيمَةِ فِي نصوص الكِتَابِ المُقَدَّسِ .... !

ويَجِدُ أيضًا أَنَّ الْمَرْأَةَ كَالكَلْبِ الأَجْرَبِ الَّذِي يَبْتَعِدُ النَّاسُ عَنْ لَمْسِهِ؛ لإنه يُنَجِّسَهُم .....

وَذَلِكَ فِي سِفْرِ اللاوِيِّينَ أَصْحَاح 15 عَدَد 25 "وَإِذَا كَانَتِ امْرَأَةٌ يَسِيلُ سَيْلُ دَمِهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً فِي غَيْرِ وَقْتِ طَمْثِهَا، أو إذا سَالَ بَعْدَ طَمْثِهَا، فَتَكُونُ كُلَّ أَيَّامِ سَيَلَانِ نَجَاسَتِهَا كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْثِهَا. إِنَّهَا نَجِسَةٌ. 26 كُلُّ فِرَاشٍ تَضْطَجِعُ عَلَيْهِ كُلَّ أَيَّامِ سَيْلِهَا يَكُونُ لَهَا كَفِرَاشِ طَمْثِهَا. وَكُلُّ الأَمْتِعَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً كَنَجَاسَةِ طَمْثِهَا. 27 وَكُلُّ مَنْ مَسَّهُنَّ يَكُونُ نَجِسًا، فَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إلى الْمَسَاءِ ... ".!

مثل هذه النصوص جعلت من المرأة خليقة الله إنسانًا مُنحطًا نجسًا مُنجسًا لكلّ ما حوله، وليس للماء ولا غيره سبيل للطهارة أو للنجاسة واق، بل تُعامل بلا رحمة وإشفاق .... !"[6].

***

وعن هذا التصور البولسي كتبت الموسوعة البريطانية:

"إن آدم في (العهد الجديد) المسيحي شخصية ذات أهمية عقدية في الكتابات البولسية.

فبولس يرى آدم سلفًا للمسيح (مثال للشخص الذي سيأتي) (رومية 5: 12).

فكما بدأ آدم الحياة البشرية على الأرض، فكذلك المسيح بدأ الحياة الجديدة للإنسانية.

وبسبب ذنب آدم جاء الموت للجميع، وبسبب استقامة المسيح منحت الحياة للجميع.

ولهذا ففي لاهوت بولس: خطيئة آدم -وليست مخالفة شريعة موسى- هي التي جعلت الأمميين خطاة.

وبناء عليه فإن كلًا من اليهود والأمميين في حاجة لنعمة المسيح.

وقد ترسخ معتقد (الخطيئة الأصلية) في اللاهوت المسيحي المتأخر، كإثم أُسِرَ فيه الجنس البشري منذ سقوط آدم وحواء.

---

6 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيًا؟ ص: 43 إلى 46.

واستندت هذه العقيدة إلى كتابات بولس، ولكن لم يتقبلها عدد من الطوائف المسيحية والمفسرون، خاصة أولئك المسيحيين الذين اعتبروا قصة آدم وحواء مجازًا أكثر منها حقيقة فيما يتعلق بعلاقة الله بالإنسان"[7].

***

ومن أقدم النصوص التي تخالف عقيدة الخطيئة الأصلية البولسية، سفر يسمى بـ(إنجيل مريم المجدلية)، وهذا السفر اكتشف في نجع حمادي بمصر، وتوجد منه نسختان: إحداهما يونانية يرجع تاريخها لنهاية القرن الأول الميلادي، وأخرى قبطية أحدث من اليونانية، ومن أهم المسائل التي وردت في هذا السفر:

- الأولى: نفي الخطيئة الأصلية.

وبالتالي انهدم أساس العقائد البولسية.

فبطرس في هذا السفر يسأل سيدنا المسيح عليه السلام: "قل لنا ما هي خطيئة العالم؟".

فيجيبه المسيح عليه السلام: "ليست هناك خطيئة، لكنكم تخطئون حين تزنون. إن الزنى هو الخطيئة. وقد جبل الإنسان على الخير والصلاح".

- الثانية: أن لسيدنا المسيح -عليه السلام- كتابًا وشريعة، وأن كتابه هو الإنجيل، وأن شريعته يجب أن تتبع.

فقد جاء في هذا السفر قول سيدنا المسيح عليه السلام: "السلام عليكم. وتقبلوا سلامي، وحاذروا أن يزلكم أحد عن الصراط المستقيم. إن ابن الإنسان معكم فانطلقوا وبشروا بالإنجيل، ولا تفرطوا بأي من الشرائع التي جئتكم بها".

- الثالثة: هو حديث هذا السفر عن سيدنا عيسى -عليه السلام- بأنه (ابن الإنسان)، ووصفه للذين ينكرون الطبيعة الإنسانية للمسيح -عليه السلام- بأنهم وثنيون يؤلهون المسيح.

فقد جاء فيه قول الحواريين: "كيف نمضي إلى من يعبد الأوثان وندعوهم إلى إنجيل ابن الإنسان؟ ومن سينجينا منهم بعد أن لم ينج من كيدهم ابن الإنسان؟"[8].

وهذا الإنجيل ترفضه -بالطبع- الكنائس البولسية، ولكن كل الأسفار التي تقبلها تلك الكنائس، يقال عنها كل ما يقال عن الأسفار المرفوضة، وسيأتي مزيد بيان عن ذلك -إن شاء الله- عند الحديث عن كيفية تشكل (قانون الكتاب المقدس).

***

ومن هؤلاء الذين رفضوا التصور البولسي للخطيئة الأصلية بلاجيوس (Pelagius) (354- 418م)، وهو راهب من أصل بريطاني، انتقل لروما في عام 380م، ورغم أنه لم يكن قد رُسم راهبًا بعد، إلا أنه نال احترام العديد من رجال الدين والعامة نظرًا لتقشفه وزهده، ولذا اعتبروه مرشدًا روحيًا لهم.

وقد صدمه الانحلال الخلقي السائد بين المسيحيين الرومان، وأرجع ذلك لعقيدة النعمة الإلهية والخطيئة الأصلية، والتي كان يعلم بها (القديس) أوغسطين، والتي كانت جبرية محضة، تركز على أن إرادة الإنسان لا دخل لها بالخلاص، وأن

---

7 Encyclopædia Britannica, Adam and Eve.

والنص الأصلي هو:

"In the Christian New Testament, Adam is a figure of some theological importance in the Pauline writings. Paul sees Adam as a forerunner to Christ, “a type of the one who was to come” (Romans 5:12). As Adam initiated human life upon earth, so Christ initiates the new life of humanity. Because of the sin of Adam, death came upon all. Because of the righteousness of Christ, life is given to all. Thus, in Paul's theology, it was Adam's sin and not failure to observe the Law of Moses that made the Gentiles sinners; therefore, Jews and Gentiles alike stand in need of the grace of Christ.
In later Christian theology, the concept of original sin took hold—a sin in which humankind has been held captive since the Fall of Adam and Eve. The doctrine was based on Pauline Scripture but has not been accepted by a number of Christian sects and interpreters, especially among those Christians who consider the story of Adam and Eve less a fact and more a metaphor of the relation of God and man".

8 الأصول الوثنية للمسيحية ص: 159 إلى 162.

الله سبحانه قد اختار مجموعة من البشر ليخلصهم، والباقي حكم عليهم بالهلاك السرمدي. وأن الإنسان لا ينال الخلاص بعمله أبدًا. وهي عقيدة تنبني على تعاليم بولس[9].

وهاجم بلاجيوس هذه التعاليم، التي اعتبرها تقوض كل القيم الأخلاقية، ورفض تبرير من يزعمون أنهم يخطئون بسبب الضعف البشري الموروث، وأكد أن الذنب هو عمل اختياري، يرتكبه الإنسان ضد شريعة الله، ونتيجة لذلك اكتسب عددًا كبيرًا من الأتباع في روما.

وأنكر عقيدة الخطيئة الأصلية الكنسية وضرورة تعميد المواليد.

وبين أن فساد الجنس البشري ليس موروثًا، ولكنه ناشئ من سوء القدوة والعادات، وأن ميزات البشر الطبيعية لم تتأثر سلبًا بـ(سقوط آدم).

وبعد سقوط روما في يد القوط عام 410م، رحل بلاجيوس وتلميذه سِلِستيس (Celestius) لأفريقيا، وهناك واجههم (القديس) أوغسطين (Augustine) بحرب شعواء، وألف ضدهم عددًا من الكتابات، مهاجمًا ما قال به بلاجيوس عن الطبيعة الخيرة للبشر، ومسؤولية الإنسان في اختياره للتقشف المسيحي.

ورحل بلاجيوس لفلسطين في عام 412م، وحاز تأييد يوحنا أسقف القدس، وانتشرت آراؤه في الشرق، وخاصة وسط تلاميذ أوريجن (Origen)، وقد تعاطف -فيما بعد- نسطورس[10] (Nestorius) أسقف القسطنطينية مع آرائه، واحتفى بتلميذيه سلستيس وجوليان (Julian).

وفي فلسطين اتهم بلاجيوس بالهرطقة، ثم تم حرمانه (الحكم عليه بالضلال) بعد ذلك[11].

ومن أقواله: "إذا كان عن اضطرار فهو إذن ليس بذنب، وإن كان اختياريًا فيمكن إذن تجنبه"[12].

وقد سُمي أتباعه بـ(البلاجيين Pelgians)، وشبيهًا بهم ظهرت طائفة أخرى سميت بـ(شبه البلاجيين)، ومنهم جون كاسيان (John Cassian) (360؟- 433؟م)، الذي رفض جبرية (القديس) أوغسطين المحضة، التي تؤكد عل أن الجنس البشري كله مدان بخطيئة آدم، وأن الخلاص هو لفئة معينة، ولا سبيل لكسبه، بل هو نعمة الله لمن يشاء[13].

وفي مقابل تعاليم بلاجيوس تبنت الكنيسة البولسية آراء (القديس) أوغسطين الجبرية المحضة، والتي كان يؤكد فيها على أن الخلاص هو بيدي الرب كليًا، وليس هناك من كسب للإنسان، ولا اختيار له ليفعله، وقد اختار الرب قلة من الناس، قرر أن يمنحهم المباركة والخلاص، ومن أجل هؤلاء القلة جاء المسيح إلى الدنيا، وأما غيرهم فمحكوم عليهم بالهلاك الأبدي.

وأن الخلاص لا سبيل له إلا بنعمة الرب فقط، وليس بواسطة أو سبب عمل الفرد أو إرادته.

وقد آمن أوغسطين بأن حريتنا بالاختيار وتفضيل الخير على الشر قد ضاعت مع خطيئة آدم عليه السلام، وحسب ما قاله حرفيًا: "إنه في طبيعة المني الذي منه أنجبنا جاءت المعاناة، وجاء الموت للدنيا، وأخذ ذلك حرية إرادتنا، وتركنا مع ملازمة طبيعة الشر"[14]. وأن أرواح الرضع الذين ماتوا -قبل أن يُعمدوا- لا بد أن تنتهي إلى الجحيم، رغم براءتهم من أي إثم شخصي[15].

---

9 Encyclopædia Britannica, Pelagius & The Church in Ancient Society p: 447.

10 نسطورس اتهم بعد ذلك بالهرطقة، لأنه أنكر أن السيدة العذراء مريم -عليها السلام- هي (أم الإله).

11 Encyclopædia Britannica:

- Pelagius.

- Pelagianism.

12 Microsoft Encarta 2009, Pelagius.

والنص الأصلي هو:

"If it is a necessity, then it is not a sin; if it is optional, then it can be avoided".

13 Microsoft Encarta 2009, John Cassian.

14 الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ص: 46.

15 Microsoft Encarta 2009, Limbo.

وكتب أوغسطين إلى أسقف روما في عام 416م يحذره من أن أفكار بِلاجيوس قد تقوض قواعد السلطة الأسقفية وأسسها، وأن استرضاءه سوف يهدد الكنيسة الكاثوليكية المؤسسة حديثًا.

وسعيًا في محاربة بلاجيوس جلب أليبيوس (Alypius) -صديق أوغسطين- إلى البلاط الإمبراطوري ثمانين مهرًا نوميديًا كرشوة، لإقناع الكنيسة لتقف في صف أوغسطين ضد بلاجيوس، وربح أوغسطين، فأصدر الإمبراطور هونوريوس (Honorius) في 30 إبريل عام 418م قرارًا بطرد بلاجيوس ومؤيديه من روما، وصدق عليه البابا زوسيمُس (Zosimus)، وأصدر حرمانًا كنسيًا ضد بلاجيوس، وفي الأول من مايو عقد الأساقفة الأفارقة (أوغسطين وأنصاره في شمال أفريقيا) سينودًا أكدوا فيه على أن الموت الجسدي هو من تبعات (سقوط آدم)، وأن الأطفال غير المعمدين لا يمكن أن ينالوا الخلاص[16].

ومنذ ذلك الحين تبنت الكنيسة الكاثوليكية بشكل رسمي دائم عقيدة الخطيئة الأصلية وانتقالها لذرية آدم[17].

وهكذا **بالرشوة والمزاعم العقدية البولسية** المنافية لعدل الله سبحانه، ولتعاليم أنبيائه عليهم السلام، **تشكلت العقيدة النصرانية** (المستقيمة الرأي) ضد الهراطقة.

واستمرت هذه العقيدة -بصورتها العامة مع بعض التفاصيل- سائدة طوال القرون الوسطى، ثم أعيد التأكيد عليها والتمسك بها مع حركة الإصلاح المسيحي في القرن السادس عشر الميلادي، حيث أكد قادتها من أمثال مارتن لوثر وجون كالفين على عقيدة (القديس) أوغسطين.

ولكن بدأ الفكر البروتستانتي -فيما بعد- يحاول تخفيف هذه العقيدة أو الالتفاف حولها، ولما ظهر البروتستانت المتحررون طوروا تصورًا متفائلًا عن الطبيعة البشرية لا يتفق مع عقيدة الخطيئة الأصلية، ولكن مع مآسي الحضارة الغربية الممتدة، والتي ظهرت خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، عاد بعض المفكرين العقائديين البروتستانت لفكرة الخطيئة الأصلية، ولكن ليس على أنها موروثة من قبل الخليقة، بل على أنها كامنة في المجتمعات الفاسدة[18].

وممن أعلن رفضه لهذه العقيدة، الكاتب المصري القبطي الأرثوذكسي المولد نظمي لوقا، حيث كتب في كتابه (محمد الرسالة والرسول):

"الحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال الفرد، فيمضي حياته مضي المريب المتردد، ولا يقبل عليها إقبال الواثق بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث.

إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها، ورفعها عن كاهل الإنسان منّة عظمى، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه، بل هو ولادة جديدة حقاً...

وإن أنسى لا أنسى ما ركبني صغيراً من الفزع والهول من جراء تلك الخطيئة الأولى، وما سيقت فيه من سياق مروع يقترن بوصف جهنم... جزاء وفاقاً على خطيئة آدم بإيعاز من حواء... وإن أنسى لا أنسى القلق الذي ساورني وشغل خاطري على ملايين البشر قبل المسيح أين هم، وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة"[19].

***

ولعله يستحق التنبه هنا لأمرين:

الأول: هو التخادم بين الكنيسة البولسية والدولة الرومانية في مسألة الخطيئة الأصلية وغيرها من العقائد، وكيف أن أوغسطين حذر أسقف روما من عقائد بلاجيوس وتهديدها لسلطة الكنيسة!!! وسيأتي مزيد تفصيل له إن شاء الله، وكيف أن العقائد البولسية تبنتها الدولة الرومانية.

---

16 الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ص: 49 و50.

The Church in Ancient Society p: 456 &457.

17 الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ص: 49 و50.

18 Microsoft Encarta 2009, Original Sin.

19 هل افتدانا المسيح على الصليب ص: 172 و173.

والثاني: هو هذه النزعة الجبرية في الحضارة الغربية:

- فبولس اقتبس فكرة الخطيئة الأصلية -كما سنرى إن شاء الله- من الوثنيات السابقة له والسائدة حوله، واستمرت هذه الفكرة مسيطرة، وشكلت قيدًا من قيود الكنيسة الهامة التي سيطرت بها على الشعوب والدول، فالكل هالك إلا من آمن بالمسيح، الذي ائتمن الكنيسة على البشر، فعلى من يريد الخلاص أن يسلك سبيله عبر باب الكنيسة.

- وحتى الإصلاح الكنسي لما ظهر، تبنى بقوة (التبرير بالإيمان) فقط المنبثق عن منظومة الخلاص البولسية -كما سيأتي إن شاء الله- تهربًا من فساد الكنيسة وما فرضته على الناس من إتاوات وعقوبات مقابل تكفير ذنوبهم.

- وبعد أن بدأت المرحلة العلمانية في الغرب، وزعم روادها أنهم ينصرون العقل وحرية الإنسان، تبنت الحضارة الغربية جبرية فكرة سيادة الجنس الأبيض ودوره في الحضارة، وأن بقية الشعوب محكوم عليها بالخضوع له.

- وانتجت الحضارةُ الغربيةُ الشيوعيةَ، التي دعت لجبرية الحتميات التاريخية.

- وساد في تلك الحضارة (المادية)، التي زعمت أن الكون كله خاضع للمادة وقوانينها، وأن كل شيء ينتهي للذرات والجسيمات والشحنات، وبالتالي فليس هناك قيم متجاوزة وأخلاق ومبادئ تحكم البشرية، وإنما كل ذلك من صنع المادة.

- ثم جاءت مرحلة فكرة الحداثة والعبث، وألا معنى لشيء.

فمن تخبط لتخبط. والحمد لله على نعمة الإسلام.

يقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

***

[2] بخطيئة آدم دخلت الخطيئة والموت للعالم.

- جاء في رسالة بولس لأهل رومية:

- "5: 12 من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع.

5: 13 فإنه حتى الناموس كانت الخطية في العالم. على أن الخطية لا تحسب إن لم يكن ناموس.

5: 14 لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم، الذي هو مثال الآتي.

5: 15 ولكن ليس كالخطية هكذا أيضًا الهبة. لإنه إن كان بخطية الواحد مات الكثيرون، فبالأولى كثيرًا نعمة الله، والعطية بالنعمة التي بالانسان الواحد يسوع المسيح، قد ازدادت للكثيرين!

5: 16 وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية. لأن الحكم من واحد للدينونة، وأما الهبة فمن جَرَّى خطايا كثيرة للتبرير.

5: 17 لإنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيرًا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح!

5: 18 فإذا كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس، لتبرير الحياة.

5: 19 لإنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعِلَ الكثيرون خطاة، هكذا أيضًا بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبرارًا.

5: 20 وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطية. ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدًا.

5: 21 حتى كما مَلَكَتِ الخطيةُ في الموت، هكذا تملك النعمة بالبر، للحياة الأبدية، بيسوع المسيح ربنا"[1].

وهذه النصوص المنسوبة لبولس بغض النظر عن مجافاتها للعقل، وتناقضها مع العدل الإلهي، بغض النظر عن ذلك، فقد ذكرتُ من قبل أمثلة لما يناقضها من نصوص في العهد القديم، ومن أقوال ينسبها كتاب الأناجيل للسيد المسيح -عليه السلام- تنفي الخطيئة الأصلية، وأضيف لها أيضًا:

- جاء في إنجيل لوقا منسوبًا للسيد المسيح عليه السلام:

" 16: 19 كان إنسان غني وكان يلبس الأرجوان والبز وهو يتنعم كل يوم مترفهًا.

16: 20 وكان مسكين اسمه لعازر، الذي طرح عند بابه مضروبًا بالقروح،

16: 21 ويشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني، بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه.

16: 22 فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ومات الغني أيضًا ودفن،

16: 23 فرفع عينيه في الجحيم وهو في العذاب، ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه،

16: 24 فنادى وقال: يا أبي إبراهيم، ارحمني، وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويبرد لساني، لأني معذب في هذا اللهيب.

16: 25 فقال إبراهيم: يا ابني، اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك، وكذلك لعازر البلايا. والآن هو يتعزى وأنت تتعذب.

16: 26 وفوق هذا كله، بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت، حتى إن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا.

16: 27 فقال: أسألك إذا يا أبت أن ترسله إلى بيت أبي،

16: 28 لأن لي خمسة أخوة، حتى يشهد لهم لكي لا يأتوا هم أيضًا إلى موضع العذاب هذا.

16: 29 قال له إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء، ليسمعوا منهم.

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس إلى أهل رومية: 5: 12 إلى 21 ص: 122 و123.

16: 30 فقال: لا يا أبي إبراهيم، بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون.

16: 31 فقال له: إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون"[2].

فنستفيد من إيراد هذا النص؛ أن كاتب إنجيل لوقا ينسب للسيد المسيح أنه يقرر:

أولًا: وجود أبرار مثل سيدنا إبراهيم -عليه السلام- قبل مبعث سيدنا عيسى -عليه السلام، أي قبل ما يزعمه النصارى من صلبه فداءً لأخطاء البشر، وهؤلاء الأبرار يتنعمون في الجنة، دون صلب ولا فداء ولا كفارة ولا خطيئة أصلية.

أي أن كاتب لوقا ينسب للسيد المسيح -عليه السلام- أن في الجنة أبرارًا مثل لعازر وسيدنا إبراهيم عليه السلام، دخلوها دون أن يغضب (اللهُ) على ورثة الخطيئة الأصلية، فيرسل ابنه (اللهَ)، ليقتلَ (اللهُ) (اللهَ)، ليرضي (اللهَ)!!!

قال الحق سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[3].

ثانيًا: إن لعازر دخل الجنة بعمله الصالح، وليس بالإيمان البولسي النيقي، وكذلك الرجل الغني دخل العذاب بسيئاته، إذن سبب الخلاص هو العمل الصالح.

ثالثًا: إن الهداية هي في اتباع شرائع الأنبياء "قال له إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء، ليسمعوا منهم". الأنبياء الذين أرسلهم الله بالتوحيد، وهي الشريعة (الناموس)، التي حاربها بولس في أصلها، فأتى بعقيدة الصلب والفداء والخطيئة الأصلية، وتأليه البشر، خلافًا للتوحيد.

وحاربها في فروعها، بأن طالب بإلغاء الناموس، وأحل المحرمات، ومنع الختان.

وهؤلاء الأنبياء -عليهم السلام- لم يدعوا للخطيئة الأصلية ولا للفداء ولا للتثليث، وإنما دعوا للتوحيد الخالص، ولاتباع الأوامر الشرعية.

وهي الحقيقة التي أكدها القرآن الكريم في قول الحق سبحانه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إلا أنا فَاعْبُدُونِ (25) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[4].

***

---

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 16: 19 إلى 31 ص: 62.

3 سورة النساء، آية: 171 و172.

4 سورة الأنبياء، آية: 25 إلى 29.

[3] ليس هناك شخص بار قبل المسيح.

جاء في رسالة بولس لأهل رومية:

"3: 9 فماذا إذًا؟ أنحن أفضل؟ كلا البتة! لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية،

3: 10 كما هو مكتوب: "أنه ليس بار ولا واحد.

3: 11 ليس من يفهم. ليس من يطلب الله.

3: 12 الجميع زاغوا وفسدوا معًا. ليس من يعمل صلاحًا ليس ولا واحد"[1].

ولكن جاء في كلا العهدين القديم والجديد ما يناقض ذلك:

ففي العهد القديم في قصة نوح عليه السلام:

"6: 9 هذه مواليد نوح: كان نوح رجلًا بارًا كاملًا في أجياله. وسار نوح مع الله"[2].

فنوح -عليه السلام- كان بارًا قبل ما زعمته الكنيسة البولسية من التجسد والصلب والفداء، وفي هذا النص تظهر صلة نوح -عليه السلام- بالمولى سبحانه، وهي صلة روحية، وفي ذلك رد على جدال النصارى؛ بأن الموت الذي عوقب به آدم وأبناؤه هو الموت الروحي، لما قال الله لآدم -على رواية العهد القديم- تحذيرًا من الأكل من الشجرة المحرمة: "موتًا تموت". وإن البر الذي لنوح هو البر الجسدي وليس الروحي، وهو جدال يكذبه نفس النص: " وسار نوح مع الله".

أما العهد الجديد فقد جاءت فيه نصوص تنفي الخطيئة الأصلية، وتنفي أن الموت الذي عوقب به آدم وأبناؤه هو الموت الروحي، الذي يحرمهم من دخول ملكوت السماوات، حتى يرسل اللهُ اللهَ، ثم يقتل اللهُ اللهَ، ليرضي الله.

ومن أمثلة ذلك قصة الغني ولعازر التي أوردتها من قبل.

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 3: 9 إلى 12 ص: 121.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 6: 9 ص: 4.

[4] الله -سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا- قد صالحنا بالمسيح.

جاء في رسالة بولس لأهل رومية:

"5: 10 لإنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيرًا ونحن مصالحون نخلص بحياته!

5: 11 وليس ذلك فقط، بل نفتخر أيضًا بالله، بربنا يسوع المسيح، الذي نلنا به الآن المصالحة"[1].

وبغض النظر عن المغالطة العقلية في مصالحة الله سبحانه للبشر بأن يقتل اللهَ، ليرضي اللهَ عن البشر الذي ورثوا ذنبًا لم يرتكبوه، بغض النظر عن ذلك، فقد وردت في الكتاب -المقدس لدى النصارى- نصوص تثبت أن الله سبحانه قد رضي عن عباده الصالحين وأنبيائه -عليهم السلام- قبل قصة الصلب والفداء، وقد ذكرت آنفًا ما ورد عن سيدنا نوح عليه السلام، كذلك جاء في سفر التكوين عن أخنوخ:

"5: 22 وسار أخنوخ مع الله"[2].

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 5: 10 و11 ص:122.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 5: 22 ص: 4.

[5] قدم المسيح نفسه فداءً لخطايا البشر.

- جاء في رسالة بولس لأهل غلاطية:

"1: 3 نعمة لكم وسلام من الله الآب ومن ربنا يسوع المسيح

1: 4 الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا"[1].

- وجاء فيها أيضًا:

"4: 4 ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس"[2].

- وجاء في رسالته لأهل رومية:

"3: 24 متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح،

3: 25 الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهار بره، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله"[3].

- وجاء فيها أيضًا:

"8: 32 الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضًا معه كل شيء؟"[4].

- وجاء في رسالته الأولى لأهل تسالونيكي:

"5: 9 لأن الله لم يجعلنا للغضب، بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح،

5: 10 الذي مات لأجلنا، حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعًا معه"[5].

وهذه التعاليم، يلقيها بولس بلا دليل سوى زعمه أن المسيح -عليه السلام- أوحى بها له.

ولكن هذه التعاليم تناقض ما ورد في العهدين القديم والجديد، بل وتطرح أسئلة خطيرة، كتب عنها الأستاذ أكرم حسن مرسي المهتدي -بنعمة الله- إلى الإسلام بعد أن أورد نصوصًا من العهد القديم تناقض ما دعا له بولس:

"بَيْنَمَا بُولُس أَكَّدَ لأَتْبَاعِهِ أَنَّ يسوع المَسِيحَ لَمَّا صُلِبَ - بِحَسَبِ زَعْمِهِ- حَمَلَ آثامَ وخطايا مَنْ آمَنَ بِصَلْبِهِ مَهْمَا كَانَتْ تِلْكَ الآثام والخَطَايَا، وَهَذَا يَتَنَاقَضُ مَعَ مَا سَبَقَ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ عَدْلِ اللهِ مع أعمال عباده، وإن لَيْسَ للإِنْسَانِ إلا مَا سَعَى ... !

وَتبْقَى أسئلة تطْرَحُ نَفْسَها:

هَلِ اللهُ يَغْفِرُ الخَطَايَا ويُحَاسِبُ الإِنْسَانَ عَلَى عِلْمِهِ[6]، أم أَنَّ يسوع المَسِيحَ رَفَعَ الآثامَ بِمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ؟

-مَا حلُّ هَذَا التَّنَاقُضِ الوَاضِحِ بَيْنَ النُّصُوصِ السَّابِقةِ؟

-ما هو حال ومصير الأنبياء والصالحين السابقين ليسوع المسيح الذين لم يعرفوا ولم يؤمنوا ولم يشاهدوا الفداء والصلب ... ؟!

-ما هو حال ومصير الأمم والشعوب السابقة ليسوع المسيح الذين لم يُخبروا من أنبيائهم ورسلهم عن شيء اسمه الفداء والصلب، بل أخبروهم أنّ الذي يعمل صالحًا يحيا، والذي يعمل سيئًا يموت ... ؟!

وعلى هذا فأنّي اخترت الإسلام الذي لا تناقض فيه؛ بل عدل الله يحويه...

بينما في النصرانية نصوص كتابها المقدس متعارضة متناقضة...

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 1: 3 و4 ص: 149.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 4: 4 ص: 150.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 3: 24 و25 ص: 121 و122.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 8: 32 ص: 125.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي: 5: 9 و10 ص: 164.

6 أحسبها: "عمله".

والأظهر منها أنّ أنبياء العهد القديم لم يتكلموا أبدًا عن ذلك المعتقد، ولم يعرفوه البتة، ومع ذلك وقد باركهم الله، وأيّد دعوتهم، وأحبهم، ونصرهم ومن شايعهم.....

بل العجيب أنّ يسوع المسيح نفسه لم يتكلم عنها أبدًا، وحينما سُئل عن طريق الملكوت؟

لم يقل للسائل:" تؤمن بالفداء والصلب الذي سيحدث معي!" ....

بل قال له: أنت تَعْرِفُ الْوَصَايَا:" لاَ تَزْنِ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ"؛ وصايا الله في العهد القديم لنبيه موسى وكل من تبعه من أنبياء وأصفياء...

ثم أوصاه يسوع بأنْ يتصدق على الفقراء ..."[7].

***

7 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيًا؟ ص: 36.

[6] لا بد للمغفرة من سفك دم.

- جاء في رسالة بولس للعبرانيين:

"9: 22 وكل شيءٍ تقريبًا يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة!

9: 23 فكان يلزم أن أمثلة الأشياء التي في السماوات تطهر بهذه، وأما السماويات عينها، فبذبائح أفضل من هذه.

9: 24 لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا.

9: 25 ولا ليقدم نفسه مرارًا كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر.

9: 26 فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مرارًا كثيرة منذ تأسيس العالم، ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه"[1].

ولكن هذه القاعدة التي وضعها بولس: "وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة". ليدلل بها على نظريته بأن سيدنا المسيح -عليه السلام- سفك اللهُ دمه (أي سفك دم الله)، ليرضي الله. هذه القاعدة يناقضها ما جاء في العهد القديم من قبول الله لقرابين بدون سفك دم.

- فقد جاء في سفر اللاويين:

"2: 1 وإذا قرب أحد قربان تقدمة للرب، يكون قربانه من دقيق. ويسكب عليها زيتًا، ويجعل عليها لبانًا"[2].

وجاء فيه أيضًا:

"5: 11 وإن لم تنل يده يمامتين أو فرخي حمام فيأتي بقربانه عما أخطأ به عشر الأيفة من دقيق، قربان خطية. لا يضع عليه زيتًا، ولا يجعل عليه لبانًا لإنه قربان خطية"[3].

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- الرسالة إلى العبرانيين: 9: 22 إلى 26 ص: 181.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر اللاويين: 2: 1 ص: 72.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر اللاويين: 5: 11 ص: 74.

[7] أقام الله -سبحانه- المسيح -عليه السلام- من الأموات.

- جاء في رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس:

"4: 14 عالمين أن الذي أقام الرب يسوع سيقيمنا نحن أيضًا بيسوع، ويحضرنا معكم"[1].

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: 4: 14 ص: 143.

[8] لا يتسلط الموت على سيدنا المسيح -عليه السلام- بعد قيامته من الأموات، وإذا متنا في المسيح سنحيا معه!!!

- جاء في رسالة بولس لأهل رومية:

"6: 3 أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته،

6: 4 فدفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضًا في جدة الحياة؟

6 :5 لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضًا بقيامته.

6 :6 عالمين هذا: أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية، كي لا نعود نستعبد أيضًا للخطية.

6 :7 لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية.

6 :8 فإن كنا قد متنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضًا معه.

6 :9 عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضًا. لا يسود عليه الموت بعد.

6: 10 لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة، والحياة التي يحياها فيحياها لله"[1].

وبغض النظر عن تتبع هذه العقائد المتعمدة الغموض، والتي تخلط بين الجبرية بالخطيئة الأصلية (الجريمة الأصلية في حق البشرية)، والمغفرة لمجرد تصديق قصة بولس عن المسيح، وبغض النظر عن: ما هو معنى: أن المسيحيين ماتوا مع المسيح؟ بغض النظر عن كل هذا إلا أن القارئ تستوقفه عبارة: "بشبه موته"؟ هل تعني أن بولس يشك في أن المسيح مات موتًا حقيقيًا على الصليب؟

ومما يزيد الأمر تعقيدًا؛ أن النسخة اليسوعية ترجمتها ترجمة مختلفة، فجاء فيها:

"6: 5 فإذا اتحدنا به فصرنا على مثاله في الموت، فسنكون على مثاله في القيامة أيضًا"[2].

ثم لم يجدوا بدًا من الاعتراف بالغموض، فعلقوا على العدد: 7: "لإن الذي مات تحرر من الخطية". فكتبوا: "آية عسيرة التفسير"[3].

ثم إن الأمر العجيب؛ أن بولس يلقي هذه المفاهيم للناس بلا أي دليل، سوى قصة: أن المسيح يوحي إليه!!!

فهل مرت هذه التعاليم والمزاعم -التي كان يلقيها بولس على الناس- بسهولة وسلاسة؟ أم واجهت صراعًا ومعارضة وعداء؟

لنمض مع بولس وقصة الفساد السياسي والدولة الوطنية.

***

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 6: 3 إلى 10 ص: 123.

2 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس بولس إلى أهل رومة: 6: 5 ص: 478 و479.

3 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس بولس إلى أهل رومة: 6: 7 ص: 479.

(ب) إقرار بولس بمقاومة الجيل الأول من المسيحيين لتعاليمه.

ذكرت سابقًا ما روته أسفار النصارى من خلاف بين بولس وتلاميذ المسيح عليه السلام[1]، ولكني أود هنا أن أركز على ما ذكرته تلك الأسفار عن خلافه معهم بخصوص الصلب والفداء خاصة.

[1] فقد نسب لبولس -في الرسائل التي في الأسفار المقدسة لدى النصارى- أنه هاجم بشدة (**أعداء صليب المسيح**)، أي أعداء عقيدته بصلب المسيح تكفيرًا لخطايا البشر، التي ورثوها عن أبيهم آدم كما زعم، وكما دعت لها الكنائس البولسية المثلثة ليومنا هذا، فمن ذلك:

[أ] ما جاء في رسالة بولس لأهل فيلبي:

"3: 17 كونوا متمثلين بي معًا أيها الأخوة، ولاحظوا الذين يسيرون هكذا كما نحن عندكم قدوة.

3: 18 لأن كثيرين يسيرون ممن كنت وأذكرهم لكم مرارًا، والآن وأذكرهم أيضًا باكيًا. وهم **أعداء صليب المسيح**،

3: 19 الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم، الذين يفتكرون في الأرضيات"[2].

وفي اليسوعية: 3: 18 ".... يسيرون سيرة أعداء صليب المسيح"[3].

إذن كان هناك من يقاومون عقيدة الصلب، ممن كان يعتبرهم بولس قدوة "الذين يسيرون هكذا كما نحن عندكم قدوة"، ويثني عليهم مرارًا " ممن كنت وأذكرهم لكم مرارًا".

وسبب الخلاف أن هذه العقيدة لم يقل بها سيدنا المسيح -عليه السلام- ولا أنبياء العهد القديم عليهم السلام، بل ورد عنهم ما يناقضها، وأن الخلاص في الآخرة يكون باتباع الناموس (الشريعة) والوصايا التي أولها وأهمها "اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا إله واحد"[4].

[ب] وكذلك نُسب لبولس في رسالته لأهل غلاطية:

"1: 6 إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى إنجيل آخر!

1: 7 ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح.

1: 8 ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن "أناثيما"[5]!

1: 9 كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضًا: إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم، فليكن "أناثيما"

....

6: 12 جميع الذين يريدون أن يعملوا منظرًا حسنًا في الجسد، هؤلاء يلزمونكم أن تختتنوا، لئلا يُضَطهدوا لأجل **صليب المسيح فقط**.

6: 13 لأن الذين يختتنون هم لا يحفظون الناموس، بل يريدون أن تختتنوا أنتم لكي يفتخروا في جسدكم"[6].

وفي هذا النص نجد الآتي:

أولًا: أن أهل غلاطية هجروا دعوته إلى مسيحية أخرى.

ثانيًا: وهذه المسيحية تلتزم بشرائع التوراة، وبالأحرى بعقيدة التوحيد.

ثالثًا: يزعم بولس: أن مقصدهم من أمرهم بالختان ألا يُضَطهدوا -مثله- من أجل الإيمان بصليب المسيح فقط، بل من أجل الفخر بالشريعة الظاهرية.

---

1 راجع: المقصد الأول: تحريف النصرانية، الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس، النقطة الأولى: نبذة تاريخية، (أ) المرحلة الأولى (من سنة 30م إلى 135م) [1] المدة الأولى: من رفع المسيح -عليه السلام- إلى تدمير الهيكل عام 70م، [د] ظهور بولس ودوره في مشاقة الكنيسة المُوَحِدة، {3} خلاف بولس مع تلاميذ المسيح.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي: 3: 17 إلى 19 ص: 158.

3 النسيخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبي: 3: 18 ص: 614.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التثنية: 6: 4 ص: 136.

5 أناثيما: أي محروم ومطرود من الطائفة المؤمنة.

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 1: 6 إلى 6: 13 ص: 149 إلى 152.

أي أنه بخلاف خصومه يعاني الاضطهاد من أجل نشر عقيدته بصلب المسيح من أجل تكفير خطايا البشر الموروثة.

كتب الدكتور وليم إدي في تفسيره:

"إنجيل آخر: وصفه بأنه آخر لانه ينفي نعمة المسيح وينادي بطريق خلاص غير طريق الاتكال على استحقاق المسيح وموته ويجعل حفظ الرسوم الموسوية ضروريًا للخلاص. وسماه "إنجيلًا" لأن المعلمين الكاذبين ادعوا أنه كذلك وأنه الذي بشر به الرسل"[7].

وقد أكد الأب متى المسكين –وهو يدافع عن بولس- أن تلاميذ المسيح، الذين عارضوا بولس كانوا يهاجمون إنجيله، كما يهاجم إنجيلهم، فقال فى كتابه (القديس بولس الرسول ص 340):

"فإنجيل بولس قالوا عنه: إنه ليس هو إنجيل المسيح بل هو إنجيل آخر. وبرهانهم على ذلك أنَّ بولس نفسه لم يَرَ المسيح ولا المسيح أرسله بواقعة تاريخية مسجَّلة. أمَّا إنجيلهم هم فهو الآنجيل الحقيقى لأنهم عرفوا المسيح وخدموا معه فهم رُسُلٌ حقيقيون".

ثم عقب قائلًا:

"ولكنهم -كيهود- اتضح لبولس الرسول أنهم يتمسكون ويكرزون بالمسيح حسب الجسد فقط، وليس المسيح حسب الروح كابن الله. من هنا ظهر فعلًا وبالتالى أنه إنجيل آخر وهو حتمًا وبالضرورة لا يحيي ولا يقيم من موت. وإنما إنجيل يتبع الناموس والحرف فهو إنجيل قاتل"[8].

- **وما نسب لبولس عن (أعداء صليب المسيح) يعد دليلًا من -أقدم الأدلة التاريخية- على أنه كان هناك من يعارض صلب المسيح، ويرفض عقيدة الصلب والفداء في زمن بولس.**

[2] وبولس في رسائله كان يكتب عن المشاكل في الكنائس التي أسسها، ومن أهم تلك المشاكل الارتداد عن إيمان بولس، وحيث أن أهم ما بشر به بولس هو الصلب والفداء والقيامة، إذن نستطيع أن نتأكد أن هؤلاء المرتدين انتقلوا لعقيدة أخرى تضاد عقائد الصلب والفداء والقيامة، وذلك لوجود معلمين آخرين كانوا يبشرون بعقائد أخرى. ومن أمثلة ذلك:

[أ] ما جاء في رسالته الأولى لأهل كورنثوس:

"15: 1 وأعرفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به، وقبلتموه، وتقومون فيه،

15: 2 وبه أيضًا تخلصون، إن كنتم تذكرون أي كلام بشرتكم به. إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثًا!

15: 3 فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضًا: أن **المسيح مات من أجل خطايانا** حسب الكتب،

15: 4 وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب،

15: 5 وأنه ظهر لصفا ثم للاثني عشر.

15: 6 وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمئة أخ، أكثرهم باق إلى الآن. ولكن بعضهم قد رقدوا.

15: 7 وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين.

15: 8 وآخر الكل -كأنه للسقط - ظهر لي أنا.

15: 9 لأني أصغر الرسل، أنا الذي لست أهلًا لأن أدعى رسولًا، لأني اضطهدت كنيسة الله.

15: 10 ولكن بنعمة الله أنا ما أنا، ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي.

15: 11 فسواء أنا أم أولئك، هكذا نكرز وهكذا آمنتم.

15: 12 ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات، **فكيف يقول قوم بينكم: "أن ليس قيامة أموات"؟**

7 الكنز الجليل- الرسالة إلى أهل غلاطية: 1: 6 ج: 7 ص: 12.

8 مباحث هامة فى المسيحية والإسلام ص: 38.

15: 13 فان لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام!

15: 14 وإن لم يكن المسيح قد قام، **فباطلة كرازتنا وباطل أيضًا إيمانكم،**

15: 15 ونوجد نحن أيضًا شهود زور لله، لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يقمه، إن كان الموتى لا يقومون.

15: 16 لأنه إن كان الموتى لا يقومون، فلا يكون المسيح قد قام،

15: 17 وإن لم يكن المسيح قد **قام، فباطل إيمانكم.** أنتم بعد في خطاياكم"[9].

فيتضح من هذا النص:

أولًا: أن إنجيله: "أن المسيح مات من أجل خطايانا"، بخلاف إنجيل خصومه.

ثانيًا: أن هناك بينهم من يقول: إنه لا قيامة للأموات. إذن فقد كان هناك من ينكر صلب المسيح وقيامته. سواء كان هؤلاء ينكرون قيامة الأموات أصلًا، أم ينكرون فقط قيامة المسيح.

ثالثًا: أنه يظهر فضله على رسل المسيح، لأنه تعب أكثر منهم، وفي ذلك إشارة لخصومته معهم، وقد فصلتها من قبل.

رابعًا: أنه يقرر: أنه إن كان ما يقوله خصومه حقًا، فإن كل عقيدته -وبالتالي عقيدة أتباعه من النصارى- باطلة.

خامسًا: وبما أنه لم يستطع أن يثبت -بأي دليل- قيام المسيح ولا صلبه، ولم يستطع تقديم أي دليل تاريخي على ذلك، بل على العكس -كما سنرى إن شاء الله- أن كل ما ذكره عمن ظهر لهم المسيح، وكل ما ذكره عن زعمه: أن الكتب السابقة بشرت به "حسب الكتب". كل هذا متناقض مع ما ورد في روايات أخرى، بل في الحقيقة: إن قصة الصلب هي مجموعة من المتناقضات. **إذن فقد شهد بولس على نفسه: بأن عقيدته وعقيدة حزبه باطلة.**

وهذه التناقضات -من بولس وسائر كتاب العهد الجديد- من المشكلات العويصة، التي يُستدل بها على عدم صدقية وعصمة الأسفار التي يقدسها النصارى.

وسوف أتعرض لهذه التناقضات -إن شاء الله- عند سرد أمثلة على تناقضات أسفار النصارى مع التاريخ، ومع العهد القديم، ومع بعضها، ومع حقائق العلم.

ولكنني هنا فقط -من باب التمثيل- أنقل ما كتبه الدكتور القس حنا جرجس الخضري، وهو يناقش المشكلة العويصة في تناقض الأناجيل حول تاريخ العشاء الأخير والفصح، فطبقًا لأناجيل (متى ومرقس ولوقا)، فإن العشاء الأخير كان فصحًا، وكان يوم الخميس، أما كاتب إنجيل يوحنا، فيذكر أن المسيح قبض عليه قبل الفصح، وبالتالي لم يكن العشاء الأخير فصحًا، فإذا كانت الأناجيل الأربعة متفقة على أن الصلب قد حدث يوم الجمعة، إذن فهناك يوم مفقود -في قصة الصلب- عند يوحنا، وعن هذا اليوم المفقود تاريخيًا -في قصة يوحنا- كتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري:

"هذا يعني بأن الفصح الذي عمله يسوع غير قانوني لأنه يسبق ميعاد الفصح الرسمي بيوم كامل . ولهذا السبب فإن معظم المفسرين والمؤرخين متفقون على وجود هذا اليوم الكامل بين ما يقوله كتاب الأناجيل الثلاثة الأولى وبين ما يقوله يوحنا . ولقد حاول كثيرون إيجاد حل لهذه المشكلة"[10].

فبعد صفحات عديدة من محاولته حل المشكلة، كتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري:

"هذه هي بعض الآراء التي أثيرت والاقتراحات التي قدمت كحلول لهذه المشكلة التي ما زالت إلى الآن مفتوحة للنقاش والبحث، ويبدو لنا أن الذين ناقشوا ودرسوا هذه المشكلة ناقشوها ودرسوها من الناحية التاريخية والفنية والقانونية، ومن حق كل باحث ومدقق، أن يتساءل عن صحة اليوم الذي تم فيه الفصح وعن قانونيته، وعن توافقه التقويمي"[11].

---

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: 15: 1 إلى 17 ص: 139.

10 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 2 ص: 317 و318.

11 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 2 ص: 320.

والمسألة ليست مشكلة، وحلها ببساطة: هو الاعتراف بأن إنجيل يوحنا محرف ومخترع ومؤلف، وليس رواة شهود عيان عن حادثة الصلب، التي تعد محور العقيدة المسيحية. وهذه هي إحدى المشاكل العويصة في إنجيل يوحنا، وسيأتي مزيد بيان عن هذا الإنجيل ومشاكله المعضلة -بإذن الله- عند بحث التحريفات في كتاب النصارى الذي يقدسونه.

ثم كتب عن مسألة قيام المسيح -عليه السلام- من الأموات:

"إن القيامة من الناحية التاريخية، تختلف نوعا عن حادثة الصلب والموت[12]، لأن الذي ينقص حادثة القيامة من الناحية التاريخية، هو عدم ذكرها في التاريخ من ناحية، ومن ناحية أخرى أن شهود هذه الحادثة شهود منحازون. وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن هذه الحادثة لم تحدث، لأنه كما سبق القول إن إيماننا بالمسيح لا يتوقف على ما يقوله الناس والتاريخ عن يسوع وقيامته، بل ما يقوله يسوع نفسه والتلاميذ وشهود العيان"[13].

وكتب أيضًا:

"إن حادثة القيامة ليست حادثة تاريخية بالمعنى الذي تحمله كلمة تاريخ، لأن ما هو تاريخي يجب أن يكون معروفا من الجميع، أما حادثة القيامة فهي من طبيعة أخرى، فهي ليست تاريخية إلا للمؤمن لأنها تفوق التاريخ"[14].

فلك أن تتصور أيها القارئ المنصف: هذه هي الطريقة التي تقدم بها الكنيسة البولسية المثلثة عقائدها لأتباعها، عقيدة متناقضة مع بعضها ومع التاريخ، "ما زالت إلى الآن مفتوحة للنقاش والبحث"، ولا تنبني على حقائق، بل على ما تقوله الكنيسة: "إن إيماننا بالمسيح لا يتوقف على ما يقوله الناس والتاريخ عن يسوع وقيامته".

فإذا تذكرنا ما نسبوه لبولس سابقًا:

"وإن لم يكن المسيح قد قام، **فباطلة كرازتنا** و**باطل أيضًا إيمانكم**".

إذن فقد حكم عليهم بولس، وحكموا على أنفسهم -بمتابعتهم لبولس- بأن **عقيدتهم باطلة**.

وصدق الله العظيم:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[15].

وسيأتي -إن شاء الله- مزيد بحث لهذا الأمر بعون الله وتوفيقه.

[ب] ما جاء في رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس:

"11: 3 ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.

11: 4 فإنه إن كان الآتي يكرز بيسوع آخر لم نكرز به، أو كنتم تأخذون روحًا آخر لم تأخذوه، أو إنجيلًا آخر لم تقبلوه، فحسنًا كنتم تحتملون!

11: 5 لأني أحسب أني لم أنقص شيئًا عن فائقي الرسل.

11: 6 وإن كنت عاميًا في الكلام، فلست في العلم، بل نحن في كل شيء ظاهرون لكم بين الجميع.

11: 7 أم أخطأت خطية إذ أذللت نفسي كي ترتفعوا أنتم، لأني بشرتكم مجانًا بإنجيل الله

....

11: 12 ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجدوا كما نحن أيضًا في ما يفتخرون به.

11: 13 لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون، مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح.

11: 14 ولا عجب. لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور!

---

12 وصلب المسيح -عليه السلام- أيضًا لم يثبت تاريخيًا. وسيأتي مزيد بحث للأمر إن شاء الله.

13 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 2 ص: 354 و355.

14 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 2 ص: 361.

15 سورة النساء، آية: 157.

11: 15 فليس عظيمًا إن كان خدامه أيضًا يغيرون شكلهم كخدام للبر. الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم"[16].

فيتضح من هذا النص:

أولًا: أن هناك خصوم له يمكرون -في زعمه- ليخدعوهم كما خدعت الحية حواء، وأوقعتها في الخطيئة.

ثانيًا: أنهم يكرزون بعقيدة أخرى "بيسوع آخر ..... أو إنجيلًا آخر". وحيث أن لب عقيدته هو الصلب والكفارة، إذن فالآخرون يخالفونه في ذلك.

ثالثًا: أنه يفضل نفسه على أفضل الرسل، إذن هذه إشارة لأنهم يخالفونه في عقيدته.

رابعًا: أن هؤلاء يفتخرون عليه، أي أنهم يقولون: إنهم أفضل منه، وهذا ينطبق على الرسل الذين رأوا سيدنا المسيح عليه السلام، بينما بولس لم يره، ولم يصاحبه في حياته. وهذا ما يؤكده الأب متى المسكين كما ذكرت سابقًا.

خامسًا: أن هؤلاء الخصوم يقولون: إنهم رسل المسيح، ولكنه يصفهم بأنهم كذبة ماكرون.

إذن كان هناك من يبشر بإنجيل وبشارة أخرى وعقيدة أخرى، وكان هؤلاء من رسل المسيح، بل كانوا من فائقي الرسل.

ويؤكد ذلك؛ اعتراف مفسرو كتاب النصارى بوجود اختلاف في العقيدة بين رسالة يعقوب العادل وعقيدة بولس، كما ذكرت سابقًا[17].

***

16 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: 11: 3 إلى 15 ص: 146 و147.

17 راجع لتفصيل ذلك: النقطة الأولى: نبذة تاريخية- (2) التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى- (أ) المرحلة الأولى (من سنة 30م إلى 135م- [1] المدة الأولى: من رفع المسيح -عليه السلام- إلى تدمير الهيكل عام 70م- [ج] يعقوب العادل ودوره في كنيسة القدس- {2} رسالة القديس يعقوب.

هـ- المجيء الثاني للمسيح عليه السلام.

نُسِب لبولس في الرسالة الأولى لأهل تسالونيكي:

"4: 13 ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين، لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم.

4: 14 لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضًا معه.

4: 15 فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب: إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب، لا نسبق الراقدين.

4: 16 لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولًا.

4: 17 ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعًا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب.

4: 18 لذلك عزوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام"[1].

وكما يتبين من هذا النص، فإن بولس كان يؤكد على أن مجيء المسيح -عليه السلام- قريب جدًا، وأنه سيكون من الأحياء عند مجيئه، وأنه سيلتقي بالرب في الهواء ...إلخ.

وهذه من أدلة عدم عصمة الكتاب الذي يقدسه النصارى، ودليل على فساد تبريرهم المتهافت؛ بأن الروح القدس يلهم كتاب الأسفار المعاني، ويترك لهم التفاصيل حسب علمهم وثقافتهم، وهي حجة تدل على الكذب ليس إلا.

فهل هنا أيضًا ألهم الروح القدس بولس بأن يعد الناس بما لم يقع؟؟؟

وكذلك نسب كتاب الأناجيل للسيد المسيح -عليه السلام- أقوالًا عديدة تؤكد على أنه سيأتي في حياة الجيل المعاصر له، والذي رآه، ومن أمثلة ذلك:

- ما ورد في الإنجيل المنسوب لمتى:

"16: 28 الحق أقول لكم: "من الحاضرين ههنا من لا يذوقون الموت حتى يشاهدوا ابن الإنسان آتيًا في ملكوته"[2].

- ثم كرره كاتب الإنجيل المنسوب لمتى مرة أخرى بتفصيل أكثر:

"24: 3 وبينما هو جالس في جبل الزيتون، دنا منه تلاميذه فانفردوا به وسألوه: "قل لنا متى تكون هذه الأمور وما هي علامة مجيئك و نهاية العالم؟".

24: 4 فأجابهم يسوع: "إياكم أن يضلكم أحد!

24: 5 فسوف يأتي كثير من الناس منتحلين اسمي يقولون: "أنا هو المسيح". ويضلون أناسًا كثيرين.

....

24: 29 وعلى أثر الشدة في تلك الأيام، تظلم الشمس، والقمر لا يرسل ضوءه، وتتساقط النجوم من السماء وتتزعزع قوات السموات.

24: 30 وتظهر عندئذ في السماء آية ابن الإنسان في السماء. فتنتحب جميع قبائل الأرض، وترى ابن الإنسان آتيًا على غمام السماء.

....

24: 34 الحق أقول لكم: لن يزول هذا الجيل حتى تحدث هذه الأمور كلها"[3].

وكل هذه الأمور لم تقع في جيل المسيح، بل ولا حتى الآن!!!

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي: 4: 13 إلى 18 ص: 164.

2 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- متى: 16: 28 ص: 84.

3 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- متى: 24: 3 إلى 34 ص: 102 إلى 104.

بل أكثر من ذلك؛ أن كاتب الإنجيل -المنسوب لمتى- أكد أن سيدنا المسيح -عليه السلام- سيأتي مرة ثانية قبل أن يكمل تلاميذه التبشير في مدن إسرائيل، حيث ورد في الإنجيل المنسوب لمتى:

"10: 5 هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قال: "لا تسلكوا طريقًا إلى الوثنيين ولا تدخلوا مدينة للسامريين،

10: 6 بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل.

....

10: 23 وإذا طاردوكم في مدينة فاهربوا إلى غيرها. الحق أقول لكم: لن تنهوا التجوال في مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان"[4].

وهذه -وغيرها من الأدلة الكثيرة- تدل على تحريف كتاب النصارى وعدم مصداقيته.

ومن بقايا التوحيد -في الإنجيل لمنسوب لمتى- عن مجيء سيدنا المسيح عليه السلام:

"7: 15 احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة!

7: 16 من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنبًا، أو من الحسك تينًا؟

7: 17 هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارًا جيدة، وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا ردية.

7: 18 لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارًا ردية، ولا شجرة ردية ان تصنع أثمارًا جيدة.

7: 19 كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تقطع وتلقى في النار.

7: 20 فإذًا من ثمارهم تعرفونهم.

7: 21 "ليس كل من يقول لي يا رب يا رب! يدخل ملكوت السماوات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات.

7: 22 كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب، يا رب! أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟

7: 23 فحينئذ أصرح لهم: إني لم أعرفكم قط! اذهبوا عني يا فاعلي الإثم"[5].

علق الشيخ أحمد ديدات -رحمه الله- في محاضرة له على هذا النص تعليقًا مؤثرًا بديعًا بقوله موجهًا خطابه للمسيحيين ما ملخصه:

إن هذا الخطاب موجه لكم، وليس للمسلمين ولا لغيرهم، لأنكم أنتم الذي تزعمون أنكم تقومون بأعمال كثيرة باسم المسيح "باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة"، فأنتم تقومون بأعمال خيرية كثيرة، وتزعمون أنكم قد علمتم الهنود والأفارقة، ونقلتموهم للحضارة، ولكن المسيح لن يقبل ذلك منكم، فيقول لكم: اذهبوا عني يا فاعلي الإثم. أتدرون لماذا؟ لأنكم تقولون له يارب، بينما هو **ليس ربكم ولا إلهكم**.

ثم في محاضرة أخرى يعلق على نفس النص، فقال ما ملخصه:

ثم المسيح يقول: "من ثمارهم تعرفونهم". وأنا لا أقول: إن المجتمع المسلم بلا خطاة ولا آثمين، ولكن المجتمع المسلم -بين كل المجتمعات- هو أفضل المجتمعات في التقوى والأخوة والخيرات والعفة، وهو أقل المجتمعات في نسبة تعاطي الخمور وممارسة القمار وارتكاب الفاحشة والطلاق، و"من ثمارهم تعرفونهم".

***

وأرى أن **أول من ينطبق عليه هذا النص هو بولس**. لأنه ناقض عقيدة المسيح عليه السلام، وناقض شريعة موسى، التي كان عليها سيدنا المسيح عليه السلام.

***

4 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- متى:10: 5 إلى 23 ص: 64 و65.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 7: 15 إلى 23 ص: 5 و6.

و- الخلاص بالإيمان فقط

(1) جاء بولس بمبدأ ثار به على كل شرائع الأنبياء عليهم السلام؛ وهو أن الخلاص يكون بالإيمان بـ(قصته عن المسيح) فقط، وليس بالأعمال.

(أ) ومِن أوضح النصوص المنسوبة له في ذلك: ما جاء في الرسالة لأهل رومية:

"10: 9 لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خلصت"[1].

وهذه العقيدة تمسك بها البروتستانت بحرفيتها[2]، وسبب تمسكهم بها؛ هو ثورتهم على فساد الكنيسة الكاثوليكية، فيما فرضته على الشعوب من إتاوات، وتجارتها في الدين: كبيعها لصكوك الغفران وفائض فضائل القديسين، وغير ذلك من الدجل، الذي ثارت عليه البشرية، فتعنت البروتستانت في التمسك بعقيدة بولس الجافية للشرائع، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وصدق الله العظيم: ﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3].

***

(ب) ونُسِبت له نصوص أخرى تتفق مع هذا المعتقد مثل:

[1] ما جاء في رسالة بولس الرسول لأهل رومة:

"3: 20 لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه. لأن بالناموس معرفة الخطية.

3: 21 وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس، مشهودًا له من الناموس والأنبياء،

3: 22 بر الله بالإيمان بيسوع المسيح، إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لأنه لا فرق"[4].

[2] ونسب له في الرسالة لأهل غلاطية:

"2: 16 إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح، آمنا نحن أيضًا بيسوع المسيح، لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما.

....

2: 21 لست أبطل نعمة الله. لأنه إن كان بالناموس بر، فالمسيح إذًا مات بلا سبب!

....

3: 10 لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنةٍ، لأنه مكتوب: "ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به".

3: 11 ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهرٌ، لأن: "البار بالإيمان يحيا".

3: 12 ولكن الناموس ليس من الإيمان، بل "الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها".

3: 13 المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: "ملعون كل من علق على خشبة"[5].

ومن هذا النص يتبين ما يلي:

أولًا: أن بولس يؤكد على أن العمل بالشريعة (الناموس) لا يحصل به الخلاص " بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما". وإنما الخلاص بالإيمان بعقيدة بولس عن المسيح!!!

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 10: 9 ص: 126.

2 Microsoft Encarta 2009, Protestantism, III. BELIEFS AND PRACTICES, A. Justification by Grace Through Faith.

3 سورة التوبة، آية: 34.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 3: 20 إلى 22 ص: 122.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 2: 16 إلى 3: 13 ص: 149 و150.

ثانيًا: يعتقد بأن الله كلفنا بما لا نستطيع "ملعون كل من لا يثبت.."، لأن الذي لا يأتي بالناموس كاملًا ولو أخطأ خطأ وأحدا فهو ملعون، وهذا أمر لا يطيقه البشر.

وأكد هذا المفهوم شراح النسخة اليسوعية فكتبوا في تعليقهم على ما نسب لبولس في الرسالة لأهل رومة:

"10: 5 وقد كتب موسى في البر الآتي من أحكام الشريعة: " إن الإنسان الذي يتمها يحيا بها ".

فكتبوا معلقين:

"يقول بولس بوضوح ان الشريعة ، إذا عُمل بأحكامها على وجه تام ، أدت إلى البر (راجع غل 12/3). ولكن ما من أحد يستطيع أن يعمل بأحكامها على وجه تام"[6].

ثالثًا: ولما كان البشر لا بد أن يخطئوا ويخالفوا الناموس، فلهذا كلهم ملعونون "لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنةٍ".

ولا بأس هنا من وقفة: لتوضيح كيف أن بولس ينتقل من شطط لشطط:

- فبداية: البشر كلهم ملعونون بخطيئة لم يرتكبوها.

- ثم هم ملعونون مرة أخرى، لأن الله كلفهم بشريعة، الخلاص بها مستحيل، لأن أي تقصير فيها يستنزل اللعنة، ولذا فالبشر ملعونون من وجه ثان.

- وهكذا ييئس بولس الناس من غفران الله لذنوب عباده، ومن إمكانهم النجاة بما يستطيعون من طاعة.

- ثم ينتقل بهم بعد ذلك لإسقاط الشرائع، وأن نجاتهم هي فقط بتصديق قصته، مهما أتوا من ذنوب.

- ثم الأهم من ذلك؛ أن الكنيسة التي أسقطت شريعة موسى عليه السلام، فرضت هي على البشر شرائع كثيرة أخرى، لا أصل لها في كتاب منزل من الله، وأسندتها لما أسمته التقليد.

- ثم تنازعت الكنائس فيما بينها حول تلك الشرائع المخترعة، وكان نزاعهم قديمًا، فكما يحكون كان أول نزاع -أو من أوائل النزاعات- بين الكنائس في عهد إيرينيوس (120/ 140- 200/ 203م) بين كنيسة آسيا الصغرى وكنيسة روما حول تاريخ عيد الفصح[7]، ولا زالت نزاعاتهم مستمرة.

- وهذا الانحراف المتراكب قد عصمنا الله من بكتابه المنزل، فقال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[8]، ووعد خلقه بمغفرة الذنوب إن تابوا، فقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[9]، بل وقد يغفر لهم -إن تجنبوا الشرك- بأعمالهم الصالحة، أو بما نزل بهم من ابتلاءات، أو بدعاء الصالحين لهم، أو بمحض فضله وكرمه.

وأنزل سبحانه شريعة تتدرج معهم بقدر طاقتهم، فمثلًا من لم يستطع الصلاة قائمًا فليصل قاعدًا، ومن لم يستطع القعود فليصل مضجعًا، ومن لم يستطع مع الاضجاع الحركة فليصل بالإشارة، وهكذا. فالقدرة مناط التكليف.

ومن أمثلة ذلك ما أخرجه الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه:

"أَتَى النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلٌ، فَقَالَ: هَلَكْتُ، قَالَ: "وَلِمَ؟". قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: "فَأَعْتِقْ رَقَبَةً". قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي، قَالَ: "فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ". قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ، قَالَ: "فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا". قَالَ: لاَ أَجِدُ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ، فَقَالَ: "أَيْنَ السَّائِلُ؟". قَالَ: هَا أَنَا ذَا، قَالَ: "تَصَدَّقْ بِهَذَا". قَالَ: عَلَى أَحْوَجَ مِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ مِنَّا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، قَالَ: "فَأَنْتُمْ إِذًا""[10].

وبعد هذه الوقفة، فلنكمل مع بولس في ما نسب له في رسالته لأهل رومة.

---

6 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس بولس إلى أهل رومة: 10: 5 ص: 489 و490.

7 Encyclopædia Britannica, Irenaeus, Saint.

8 سورة البقرة، آية: 286.

9 سورة الزمر، آية: 53.

10 صحيح البخاري- كِتَابُ النَّفَقَاتِ- بَابُ نَفَقَةِ المُعْسِرِ عَلَى أَهْلِهِ حديث رقم: 5386 ج: 3 ص: 428.

رابعًا: فجاء يسوع ليكون لعنة ليحمل عن البشر اللعنة!!!

أي أن الله لعن البشر، ثم جعل نفسه لعنة، ليرفع -وهو ملعون- عن البشر اللعنة؟؟؟

ولا يهم أن يكون المعتقد مقبولًا للعقل والمنطق، ولكن هذا هو ما نسبوه لبولس.

وليتأمل هنا القارئ لعنَ بولس للسيد المسيح عليه السلام، فهل هذا ما ظهر من حقده السابق على سيدنا المسيح عليه السلام؟؟؟

كما قال زهير:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلَمِ

[3] وجاء أيضًا في الرسالة المنسوبة لبولس لأهل غلاطية:

"5: 2 ها أنا بولس أقول لكم: "إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا!

5: 3 لكن أشهد أيضًا لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس.

5: 4 قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس. سقطتم من النعمة.

5: 5 فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بر.

5: 6 لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئًا ولا الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة"[11].

أي أن الناموس ليس سببًا في الخلاص، بل التبرير والخلاص فقط بالإيمان بقصته عن المسيح.

ثم تأمل الأسلوب الذي يخاطب به بولس غيره: " ها أنا بولس أقول لكم "إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا!".

أي أنه يرى لنفسه سلطانًا أن يغير الشرائع التي أوحى الله -سبحانه- بها لأنبيائه عليهم السلام.

***

(ج) بل وصل الأمر به -أو بمن كتبوا ما نسب له- أن يصف شرائع الأنبياء بالضعف وعدم النفع، مسيئًا بذلك للمولى سبحانه، الذي أنزل هذه الشرائع، فجاء فيما نُسب له في الرسالة للعبرانيين:

"7: 18 فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها،

7: 19 إذ الناموس لم يكمل شيئًا. ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله"[12].

وكتب شراح النسخة اليسوعية في المدخل لرسائل بولس الرعائية:

"والحقيقة ان المرء يجد في الرسائل الرعائية كثيرًا من أقوال بولس الرئيسية ، من أن رحمة الله ظهرت في يسوع المسيح الذي جاء ليخلص الخاطئين (ا طيم 12/1 - 17) ، وان الانسان ينال الخلاص من النعمة (طي 7/3) وبالايمان (ا طيم 6/1 و2 طيم 15/3) ، وان البرَ لا يكون بالاعمال (طي 5/3 و 2 طيم 9/1) ، وانه تقام علاقة وثيقة بين العماد والخلاص (طي 5/3).

....

ان البدع التي تتصدى لها الرسائل الرعائية تصديًا متواصلًا ، والتي تستوجب الدعوة الى الحزم في التعليم ، محددة وعلى وجه اعم من ان يمكن تمثيلها بالعرفان المعروف بطابعه الخاص في القرن الثاني. فالمعلمون الكذابون ، الذين يعملون ، على ما يبدو ، في داخل الكنيسة ، هم متأثرون خصوصًا بعقائد المسيحيين المتهودين: فإن معظمهم من اليهود (طي 10/1) ، ويدعون أنهم علماء الشريعة (1 طيم 7/1) فيناقشون في الشريعة (طي 9/3) ويعنون بخرافات يهودية"[13].

وكتب الدكتور وليم إدي -في تفسيره للإنجيل- عن بولس:

---

11 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 5: 2 إلى 6 ص: 151.

12 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- الرسالة إلى العبرانيين: 7: 18 و19 ص: 179.

13 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسائل القديس بولس الرعائية- مدخل ص: 655 و656.

"فكانت نتيجة أعماله نجاحًا عظيمًا للدين المسيحي ومقاومة اليهود الشديدة له لأنه نادى بأن يسوع الناصري هو المسيح وأنه علَّم الأمم أنهم يخلصون بمجرد الإيمان بالمسيح وبدون أعمال الناموس الرمزية"[14].

وكتب مارتين جي لويس[15] عن نظرة بولس للخلاص:

"إن أساس نظرته للمسيح اعتمدت على تأكيده أن الله قد جعل المسيح هو المنتصر على قوة الخطيئة، و رفضًا منه لتأكيد المسيحيين المتهودين على التوبة ومغفرة الذنوب، لم يطالب بولس سامعيه بالتوبة من ذنوب معينة، ولكن في المقابل أعلن انتصار الله على الخطيئة بصلب المسيح"[16].

***

(2) مخالفة يعقوب لبولس:

(أ) وهذه التعاليم البولسية تخالف الرسالة التي نسبها النصارى ليعقوب البار، والذي ذكروا أنه كان رئيس التلاميذ بعد رفع المسيح عليه السلام.

فقد جاء في الرسالة المنسوبة ليعقوب[17]:

"2: 14 ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إن له إيمانًا ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلصه؟

2: 15 إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومي،

2 :16 فقال لهما أحدكم: "امضيا بسلام، استدفئا واشبعا"، ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد، فما المنفعة؟

2: 17 هكذا الإيمان أيضًا، إن لم يكن له أعمال، ميت في ذاته"[18].

وعلى هذا النص علق شراح النسخة اليسوعية، فكتبوا: "تشرح الآيات 14-26 الموضوع الكامن في الرسالة كلها، أي موضوع "الإيمان" والأعمال (راجع 1/3-6 و25 و13/3). يبدو أن الكاتب يقف موقفًا معاكسًا لمبدأ بولس القائل بالتبرير بالإيمان وحده"[19].

(ب) بل إن هناك نصًا في التوراة الحالية فسره كلٌ من كاتب رسالة يعقوب وكاتب رسالة بولس بطريقة متناقضة.

وهو النص الذي في سفر التكوين عن سيدنا إبراهيم عليه السلام:

"15: 6 فآمن بالرب فحسبه له برًا"[20].

فنُسب لبولس أنه قال عنه:

"4: 1 فماذا نقول إن أبانا إبراهيم قد وجد حسب الجسد؟

4: 2 لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر، ولكن ليس لدى الله.

4: 3 لأنه ماذا يقول الكتاب؟ "فامن إبراهيم بالله فحسب له برًا".

4: 4 أما الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين.

4: 5 وأما الذي لا يعمل، ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له برًا"[21].

---

14 الكنز الجليل في شرح الإنجيل ج: 5 شرح الرسالة إلى رومية- مقدمة ص: 7.

15 الأستاذ السابق للاهوت الكتابي في المعهد اللاهوتي المتحد.

16 Microsoft Encarta 2009, Saint Paul.

والنص الأصلي هو:

"but the essence of his view of Christ lies in the assertion that God has made Christ the victor over the power of sin. Rejecting the prevailing Jewish-Christian emphasis on repentance and forgiveness of sins, Paul did not call upon his hearers to repent of particular sins, but rather announced God's victory over all sin in the cross of Christ".

17 سيأتي -إن شاء الله- أنها كسائر أسفار ورسائل الكتاب المقدس لدى النصارى، لا يمكن الجزم بمن كتبها.

18 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة القديس يعقوب: 2: 14 إلى 17 ص: 186.

19 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس يعقوب: 2: 14 إلى 26 ص: 728.

20 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 15: 6 ص: 9.

21 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 4: 1 إلى 5 ص: 122.

أي الذي يعمل العمل الصالح ولا يؤمن بالفداء والصلب والكفارة والقيام من الأموات يوفى أجره، ولكن لا ينال البر الأبدي والخلاص، أما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بذلك، يوصله إيمانه للبر والخلاص، فتأمل المفارقة.

ولكن في الرسالة المنسوبة ليعقوب فُسِر النص بتفسير مناقض لما نسب لبولس، فجاء فيها:

"2: 20 ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت؟

2: 21 ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال، إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح؟

2: 22 فترى أن الإيمان عَمِلَ مع أعماله، وبالأعمال أكمل الإيمان،

2: 23 وتم الكتاب القائل: "فآمن إبراهيم بالله فحسب له برًا"، ودُعي خليل الله.

2: 24 ترون إذًا أنه بالأعمال يتبرر الإنسان، لا بالإيمان وحده"[22].

وهذا يؤكد وجود تيارين عقائديين في زمان بولس، تيار كان يمثله يعقوب ومعه التلاميذ يلتزم بعقيدة التوحيد والتمسك بالشريعة، وتيار يمثله بولس يدعو لعقيدة الصلب والفداء ونبذ الشريعة.

(ج) ولهذا تنازع آباء الكنيسة البولسية واختلفوا في عد رسالة يعقوب من الرسائل المعترف بها (القانونية)، ومشكلة الرسائل القانونية من المشاكل الضخمة في تاريخ الأسفار التي يقدسها النصارى، والتي تدل على أن هذه الأسفار هي اختيار آباء الكنيسة، وليس ما نزل به الوحي، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

فقد كتب شراح النسخة اليسوعية: أنه حصل تردّد كثير "في أن يجعل لرسالة يعقوب المكانة التي جعلها لرسائل بولس"، وإن لوثر عدها مؤلفًا يهوديًا تجب إزالته، لأنها تؤكد على احترام الشريعة والالتزام بها متناقضة مع تعاليم بولس[23].

وعن هذا تذكر موسوعة إنكارتا: أن لوثر عارضها بشدة، لأنه ا رأى أن أجزاء منها تتناقض مع تعاليم بولس، وسماها (رسالة من القش)[24].

وهذا يدل على أن عقيدة آباء الكنيسة هي التي شكلت كتابهم المقدس، وليس العكس، وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله.

وعن تناقض رسالة يعقوب مع عقيدة بولس كتب أستاذ اللاهوت ورجل الدين المسيحي الملقب بـ(الموقر جدًا) هنري تشادويك[25]:

"وقد استشهد يعقوب في القدس في 63، وكان يعد المرجع الأعلى لليهود المسيحيين، وخاصة لأولئك المتضجرين من بولس.

وتعد الرسالة (القانونية) المنسوبة ليعقوب رفضًا لتفسيرات عقيدة الخلاص بالإيمان المناقضة للشريعة"[26].

أي أن هنري تشادويك يقرر أن عقيدة (الخلاص بالإيمان) البولسية كانت تعد عند التلاميذ الأوائل للسيد المسيح -عليه السلام- مناقضة للشريعة.

وذكر شراح النسخة اليسوعية في مدخلهم لرسالة يعقوب العادل عبارة خطيرة وهي:

---

22 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة القديس يعقوب: 2: 20 إلى 24 ص: 186.

23 راجع لتفصيل ذلك: النقطة الأولى: نبذة تاريخية- (2) التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى- (أ) المرحلة الأولى (من سنة 30م إلى 135م- [1] المدة الأولى: من رفع المسيح -عليه السلام- إلى تدمير الهيكل عام 70م- [ج] يعقوب العادل ودوره في كنيسة القدس- {2} رسالة القديس يعقوب.

24 Microsoft Encarta 2009, James (book of Bible).

النص الأصلي هو:

'He felt that parts of it contradicted the teachings of St. Paul, and he called it an "epistle of straw."'.

25 الأستاذ الملكي المتقاعد للإلهيات بجامعة كمبردج، وقيم بيت بطرس بكمبردج (1987- 93م).

26 Encyclopædia Britannica, 2015, Christianity, The history of Christianity, The Gentile mission and St. Paul.

النص الأصلي هو:

"James, martyred at Jerusalem in 62, was the primary authority for the Christian Jews, especially those made anxious by Paul; the canonical letter ascribed to James opposes the antinomian (anti-law) interpretations of the doctrine of justification by faith".

"يبدو أن كاتب رسالة يعقوب يشن حربًا على جبهتين: الجبهة الواحدة هي االكنائس المتمسكة بذكرى بولس تمسكًا مفرطًا، والجبهة الأخرى هي اليهود الأغنياء. وهو يرجو بعمله هنا أن يجمع بين سائر المسيحيين وبين اليهود الوضعاء.

....

قد يعسر على قارئ من القرن العشرين، تعَّود تمييز اليهودية من المسيحية بوضوح، ان يتفهم ذلك التفكير الذي جعل تلك المحاولة لتقريب أحداهما من الأخرى"[27].

أي أن مسيحية القرن العشرين تختلف عن مسيحية الجيل الأول من تلاميذ المسيح عليه السلام، فمسيحية القرن العشرين هي مسيحية بولس؛ مسيحية الصلب والفداء والكفارة والخطيئة الأصلية، بينما مسيحية الجيل الأول هي مسيحية التوحيد والعمل بالشريعة!!!

***

(3) ولا شك أن عقيدة بولس هذه تؤدي لشيوع الفاحشة والجرأة على ارتكاب الكبائر والذنوب، طالما أن المسيحي البولسي قد ضمن الخلاص بمجرد الإيمان بقصة بولس عن المسيح.

وهذا ما صدم شخصًا مثل بلاجيوس في روما، لما رأى أثر هذه العقيدة على انحلال المسيحيين الأخلاقي، كما ذكرت سابقًا.

وهذه العقيدة بالإضافة لعقيدة الاعتراف وسلطة الكنيسة في غفران الذنوب أدت لشيوع الفساد في المجتمع المسيحي عامة وفي داخل الكنيسة خاصة، كما سيأتي إن شاء الله.

***

27 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس يعقوب- مدخل ص: 723.

ز- الشيطان له سلطان الموت، وهو إله الدنيا

(1) نسب النصارى لبولس اعتقاده بإن إبليس له سلطان الموت، فذكر كاتب الرسالة إلى العبرانيين، التي يضعونها ضمن رسائل بولس في الكتاب الذي يقدسونه:

"2: 14 فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس"[1].

وعن ذلك كتب الأب متى المسكين:

"هناك علاقة جوهرية بين الظلمة التي حدثت على الأرض، وبين صرخة المسيح للآب لماذا تركتني، فهي حدث واحد يصعب الحديث المطول فيه ولكن باختصار نقول: إن المسيح قادم لتقبل الموت، وفي العادة، ولكل إنسان، الذي يقبض روح الذي يموت هو الشيطان، ولكن في المسيح فلا، ولا يمكن، فمعروف أنه استودعها في يد الآب وليس بين يدي الشيطان"[2].

(2) كذلك نُسِب لبولس قوله بأن الشيطان هو إله هذه الدنيا.

فقد جاء في رسالته الثانية لأهل كورنثوس:

"4: 3 فإذا كانت بشارتنا محجوبة، فإنما هي محجوبة عن السائرين في طريق الهلاك،

4: 4 عن غير المؤمنين الذين أعمى بصائرهم إله هذه الدنيا"[3].

وعلق شراح النسخة اليسوعية على هذا النص بقولهم:

"هذا هو النص الوحيد الذي يسمى فيه الشيطان إلهًا"[4].

وسيأتي مزيد بيان عن الشيطان في الكتاب المقدس إن شاء الله. مثل تقديم القربان له، وأنه اختبر المسيح عليه السلام.

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- الرسالة إلى العبرانيين: 2: 14 ص: 177.

2 الإنجيل بحسب القديس متى ص: 821.

3 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس بولس الثانية إلى أهل قورنتس: 4: 3 و4 ص: 551.

4 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس بولس الثانية إلى أهل قورنتس ص: 551.

ح- المسيح -عليه السلام- نزل إلى الجحيم.

يتزايد غلو بولس في الانحراف عن جادة التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى، فيصل لحد أن يزعم أن المسيح -عليه السلام- بعد موته على الصليب -كما زعم- نزل إلى الجحيم.

فقد نسب النصارى لبولس في رسالته لأهل أفسس:

"4: 9 وأما أنه "صعد"، فما هو إلا إنه نزل ايضًا أولًا إلى أقسام الأرض السفلى"[1].

وفي رسالته لأهل رومية:

"10: 6 وأما البر الآتي من الإيمان فيقول هذا الكلام: " لا تقل في قلبك : من يصعد إلى السماء؟ (أي ليُنزلَ المسيحَ)

10: 7 أو: من ينزل إلى الهاوية؟ (أي ليُصعدَ المسيحَ من بين الأموات) "[2].

وهذه العقيدة يؤمن بها الكاثوليك والأرثوذكس، وينكرها أغلب البروتستانت، ويؤولنها[3].

أي أن الله أرسل الله، ثم قتل اللهُ اللهَ على الصليب، وجعل اللهُ اللهَ لعنة، ثم أنزل اللهُ اللهَ إلى الجحيم، ليرضى الله.

يقول الحق سبحانه وتعالى في سورة مريم عليها السلام: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (84) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (85) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (86) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (87) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾[4].

***

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس: 4: 9 ص: 153.

2 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس بولس إلى أهل رومة: 10: 6 و7 ص: 489 و490.

3 راجع لتفصيلها: تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 2 ف: 10: ونزل إلى الجحيم ص: 362 وما بعدها.

4 سورة مريم، آية: 84 إلى 93.

ط- تطور غلو بولس في المسيح -عليه السلام- إلى عقيدة المجامع

(1) مر بنا -من قبل- عرض موجز لآراء الباحثين والكتاب عن عقيدة بولس في سيدنا المسيح -عليه السلام- (في تأليه المسيح، وتجسده، والصلب والفداء).

(2) ولكن النصارى لم يتوقفوا عند انحراف بولس، بل زادوا عليه حتى وصلوا لعقيدة المجامع الكنسية التي جعلت المسيح -عليه السلام- أقنومًا من الثالوث.

(3) والثابت أن عقيدة الثالوث لم يقل بها بولس، وقد نقلت -من قبل- ذلك عن بطرس البستاني وإي بي ساندرز ومحمد شاهين التاعب وجينبيير وغيرهم، وكذلك ما نقلته عن يوحنا الدمشقي بأنه أقر بأن (التثليث) أو (وحدة مادة الآب والابن) أو (ثنائية الطبيعة في المسيح) لا وجود لها في الكتب المقدسة، وإنما أخذت من (تقليد) آباء الكنيسة.

وعن ذلك كتب الدكتور منقذ بن محمود السقار:

"دأب كثير من الكُتاب على اتهام بولس بوضع التثليث في النصرانية من غير أن يقدموا على ذلك دليلًا من أقوال بولس ، مكتفين بما عرف عن دور بولس في صياغة سائر المعتقدات النصرانية، وهذا الاتهام لا أراه محقًا ، إذ خلت رسائل بولس من تأليه الروح القدس ، كما خلت من ذكر عناصر التثليث مجتمعة إلا في نص واحد ، لا يفهم منه خالي الذهن ما يعتقده النصارى من التثليث ، وقد جاء ذلك في قوله: " نعمة ربنا يسوع ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم " (كورنثوس (2) 14/13) ، فليس في النص ما يفيد ألوهية الروح القدس ، ولا أن الثلاثة المذكورين هم واحد.

....

والصحيح أن التثليث لا علاقة له ببولس ، فقد كان ظهوره في مرحلة متأخرة جدًا عن بولس ، وأول من ذكره هو ترتليان (200م) ، وأصبح عقيدة رسمية عام (381م) في مجمع القسطنطينية ، ولم يرد له ذكر حتى في قرارات مجمع نيقية (325م)"[1].

(4) وبعد بولس تطورت هذه العقيدة تدريجيًا حتى وصلت لعقيدة الكنائس الحالية الكبرى (الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية).

وعن ذلك كتب محررو الموسوعة البريطانية:

"لم تذكر كلمة (ثالوث) ولا عقيدته المفصلة في العهد الجديد، ولم يقصد يسوع ولا أتباعه أن يناقضوا الشماع[2] في الأسفار اليهودية: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد" (التثنية: 6: 4).

......

وقد تطورت تلك العقيدة تدريجيًا على مدى عدة قرون وعبر مجادلات عديدة، وفي البداية بدا أن متطلبات التوحيد الموروث من الأسفار العبرانية ومقتضيات الحاجة لتفسير التعاليم الكتابية لأهل الديانات اليونان -رومية استدعت أن تفسر ألوهية المسيح -باعتباره الكلمة أو اللوجوس- على أنها تابعة للكائن الأعلى.

وكان الحل البديل أن يفسر الأب والابن والروح القدس على أنها ثلاث حالات للظهور الذاتي للإله الواحد، ولكنها ليست متميزة ضمن كيان الله ذاته.

وميزت النزعة الأولى بين الثلاثة، ولكن على حساب مساواتهم وبالتالي وحدتهم (التابعية[3])، والثانية مالت إلى وحدتهم، ولكن على حساب تميزهم كأشخاص (الانتحالية[4]).

ولم يذكر في قانون عقدي أرثوذكسي حتى القرن الرابع؛ تميز الأقانيم الثلاثة معًا كذات واحدة وثلاثة أقانيم.

---

1 الله جل جلاله واحد أم ثلاثة ص: 204 و205.

2 الشماع: أساس العقيدة عند اليهودي. ويتكون من بعض آيات من التوراة، (التثنية:6: 4 و11: 13-21 وأيضًا العدد: 15: 37-41)، ويجب على كل ذكر يهودي أن يتلوها مرتين يوميًا. [اليهود في عصر المسيح عليه السلام ص: 73، Encyclopædia Britannica, Shema].

3 عقيدة ترى أن الابن أقل درجة من الآب.

4 راجع لتفاصيل عنها: تاريخ الفكر المسيحي مج 1 ج: 4 ف: 10 الانتحالية ص: 592.

وفي مجمع نيقية 325م تقررت الصيغة المحددة للعقيدة؛ أن الابن من نفس جوهر الآب، وحتى ذلك الحين لم يُقل إلا اليسير عن الروح القدس.

وخلال النصف التالي من القرن، دافع أثناسيوس عن الصيغة وهذبها، وبنهاية القرن الرابع -وبتأثير بازيل الساريديسي وجريجوري النيسي وجريجوري النيزيانزي (الآباء الكابوتشيين)- أخذت عقيدة التثليث صيغتها الثابتة التي دامت من حينها"[5].

وكتب محررو موسوعة إنكارتا:

"بدأت المسيحية كطائفة يهودية، ولهذا التزمت بالشريعة العبرانية، والأسفار اليهودية صارت أخيرًا للمسيحيين؛ العهد القديم.

وكان ينظر للمسيح يسوع -خلال بعثته- على أنه نبي من الله، ولكن بنهاية القرن الأول، أخذ المسيحيون ينظرون له على أنه كائن إلهي بحد ذاته ... وهذا سبب توترًا مع التراث التوحيدي لليهودية.

وكان حل المشكلة هو إنشاء عقيدة الإله الثالوثي، أو التثليث، التي -وإن كان قد لُمِحَ لها في العهد الجديد- إلا أنها لم تتشكل نهائيًا إلا في نهاية القرن الرابع"[6].

***

5 Encyclopædia Britannica, Trinity.

والنص الأصلي هو:

"Neither the word Trinity nor the explicit doctrine appears in the New Testament, nor did Jesus and his followers intend to contradict the Shema in the Hebrew Scriptures: “Hear, O Israel: The Lord our God is one Lord” (Deuteronomy 6:4).

....

The doctrine developed gradually over several centuries and through many controversies. Initially, both the requirements of monotheism inherited from the Hebrew Scriptures and the implications of the need to interpret the biblical teaching to Greco-Roman religions seemed to demand that the divine in Christ as the Word, or Logos, be interpreted as subordinate to the Supreme Being. An alternative solution was to interpret Father, Son, and Holy Spirit as three modes of the self-disclosure of the one God but not as distinct within the being of God itself. The first tendency recognized the distinctness among the three, but at the cost of their equality and hence of their unity (subordinationism); the second came to terms with their unity, but at the cost of their distinctness as “persons” (modalism). It was not until the 4th century that the distinctness of the three and their unity were brought together in a single orthodox doctrine of one essence and three persons.

The Council of Nicaea in 325 stated the crucial formula for that doctrine in its confession that the Son is “of the same substance [*homoousios*] as the Father,” even though it said very little about the Holy Spirit

. Over the next half century, Athanasius defended and refined the Nicene formula, and, by the end of the 4th century, under the leadership of Basil of Caesarea, Gregory of Nyssa, and Gregory of Nazianzus (the Cappadocian Fathers), the doctrine of the Trinity took substantially the form it has maintained ever since".

6 Microsoft Encarta 2009, God, III. JUDAISM, CHRISTIANITY, AND ISLAM, B. Christian Conceptions.

والنص الأصلي هو:

"Christianity began as a Jewish sect and thus took over the Hebrew God, the Jewish Scriptures eventually becoming, for Christians, the Old Testament. During his ministry, Jesus Christ was probably understood as a prophet of God, but by the end of the 1st century Christians had come to view him as a divine being in his own right (*see* Christology), and this created tension with the monotheistic tradition of Judaism. The solution of the problem was the development of the doctrine of the triune God, or Trinity, which, although it is suggested in the New Testament, was not fully formulated until the 4th century".

4- تسرب الوثنية للمسيحية- يوم السبت أم يوم الشمس (Sunday)؟.

أقسم العرض في هذا المبحث إلى العناوين التالية:

أ- تمهيد

ب- التشابه بين العقائد النصرانية وبين ما سبقها من العقائد الوثنية

ج- منافذ تسرب العقائد الوثنية للنصرانية

***

أ- تمهيد

من الملفت للنظر في هذا الصدد؛ ليس فقط هذا التشابه الذي يصل -أحيانًا- لحد التطابق بين العقائد الوثنية وبين عقائد البولسيين المثلثين، وهو الأمر الذي أقر به آباء الكنيسة الأوائل، فقد كتب يوستينوس مخاطبًا الوثنيين، ومبينًا لهم أن المسيحية لا تختلف عن عقائدهم الوثنية:

"عندما نؤكد أن الكلمة معلمنا يسوع المسيح الذي هو المولود الأول لله ولم تكن هذه الولادة نتيجة لعلاقة جنسية، وأنه صُلِب ومات وقام من الأموات وصعد إلى السماء، فإننا في ذلك لا ندعي شيًا جديدًا أو مختلفًا عما تقولونه عن المدعوين أبناء زيوس"[1].

بل الملفت أيضًا افتخار النصارى -الذي قد يُصْدَم القارئ المسلم- بتلك الأصول الوثنية لمعتقدهم!!!

وأحسب أنهم ما حملهم على ذلك إلا مكابرتهم وتعصبهم لعقيدتهم، بعد أن رأوا الأدلة الدامعة على المشابهة -التي قد تصل لحد المطابقة أحيانًا- بين عقيدتهم البولسية التثليثية وبين عقائد الوثنيين السابقين لهم بقرون طويلة.

ومن أمثلة ذلك ما كتبته ا. ل. بتشر المشيدة بكنيسة الإسكندرية والمتحمسة لها، وهي تذكر فضلها على كنيسة قرطاجنة:

"ولعل سبب هذا الاختلاف والتباين في سلوك الكنيستين اختلافهما في ديانتيهما الوثنتين القديمتين اللتين ظل تأثيرهما فيهما حتى بعد اعتناقهما الدين المسيحي"[2].

وقد أخبرنا القرآن الكريم بهذه المتابعة من أهل الكتاب لمن قبلهم من المشركين في قوله تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[3].

وكتب السيد محمد رشيد رضا -رحمه الله- في تفسير هذه الآية:

"وَقَدْ عَلِمْنَا مِنْ تَارِيخِ قُدَمَاءِ الْوَثَنِيِّينَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَنَّ عَقِيدَةَ الابْنِ للهُ، وَالْحُلُولِ، وَالتَّثْلِيثِ، كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ الْبَرَاهِمَةِ فِي الْهِنْدِ وَالْبُوذِيِّينَ فِيهَا وَفِي الصِّينِ وَالْيَابَانِ وَقُدَمَاءِ الْفُرْسِ وَالْمِصْرِيِّينَ وَالْيُونَانِ وَالرُّومَانِ، وَقَدْ بَيَّنَّا هَذَا فِي تَفْسِيرِ آيَةِ: (4: 171) الَّتِي تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا آنِفًا وَهَذَا الْبَيَانُ لِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ مِنْ مُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَلَا مِمَّنْ حَوْلَهُمْ، بَلْ لَمْ تَظْهَرْ إِلَّا فِي هَذَا الزَّمَانِ، كَمَا يُقَالُ مِثْلُ هَذَا فِيمَا بَيَّنَهُ مِنْ حَقِيقَةِ أَمْرِ كُتُبِهِمْ"[4].

***

وكنت قد بينت من قبل:

(1) أن المسيح وأصحابه كانوا يهودًا على عقيدة التوحيد الخالص.

(2) وأن اليهودية مع تمسكها بالتوحيد، إلا أنها قد تسربت لها أوشاب وثنية.

(3) وأنه لم يثبت في أسفار النصارى المحرفة أن المسيح -عليه السلام- دعا الناس لعبادته، ولا إلى عقيدة الخطيئة الأصلية، بل ولم يذكر سيدُنا المسيحُ سيدَنا آدمَ -عليهما السلام- أصلًا في تلك الأسفار المحرفة، ولا دعا للتثليث، باعتراف النصارى، كما قدمت.

(4) وأنه كان هناك صراع في القرون الأولى للمسيحية بين التيار البولسي -الذي طور عقائد بولس للتثليث- وبين معارضيهم من الداعين للتوحيد أو -على الأقل- لعدم التثليث.

---

1 النصوص المسيحية في العصور الأولى- القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد- الدفاعان والحوار مع تريفو ونصوص أخرى- الدفاع الأول- الفصل الحادي والعشرون ص: 49.

2 تاريخ الأمة القبطية لبتشر ج: 1 ص: 120.

3 سورة التوبة، آية: 30.

4 تفسير المنار ج: 10 ص: 399.

(5) وقد مثل تيار التثليث البولسي الكنيسة، التي سادت أوروبا بفسادها وإفسادها، حتى ثار عليهم البروتستانت بثورتهم العاجزة عن الإصلاح.

(6) واستمر الصراع بين الموحدين والمثلثين في مد وجزر حتى ظهر الإسلام بنور التوحيد الصافي، ورفع رايته، فاندفع له الناس أفواجًا، وانتشر في معاقل المسيحية الأصلية كالشام ومصر، ثم امتد من شرق أوروبا للصين ومن القوقاز لأفريقيا.

(7) وكان انحراف بولس والكنيسة من بعده انحرافًا وثنيًا، سعوا فيه لاسترضاء الشعوب الوثنية، ووافقوا بينها وبين معتقدهم، الذي انحرفوا به عن عقيدة المسيح عليه السلام.

(8) وقد قدمت من قبل أن الكتاب والباحثين اتفقوا على أن بولس هو أول من دعا لعقيدة الخطيئة الأصلية والصلب والفداء، واختلفوا هل نادى بتأليه المسيح عليه السلام، وبتجسد الله فيه، وببنوته لله أم لا.

***

وأنا هنا أود أن أعرض بإيجاز للأصول الوثنية لهذه العقائد: عقيدة الثالوث، وتأليه السيد المسيح عليه السلام، وتجسد الله فيه، وزعم بنوته لله سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، والخطيئة الأصلية والصلب والفداء.

ونظرًا لتداخل الوقائع وتطوراتها، فقد استطرد لذكر بعض المظاهر الوثنية الأخرى التي لحقت بالمسيحية بعد بولس. والله الموفق والمعين.

***

بداية أود أن أبين أن العقائد الوثنية -وخاصة السرية- التي كانت منتشرة في طرسوس موطن بولس -كما زعم- وفي سائر العالم الوثني آنذاك، كانت تعتقد في مخلص أو منقذ يأتي ليخلص قومه، ثم يموت فداءً عنهم، ثم يبعث مع الأموات، ليمنحهم الخلاص والخلود.

وعن هذا نقل الدكتور أحمد علي عجيبة عن القس الدكتور فهيم عزيز في كتابه (الفكر اللاهوتي في رسائل بولس) ص: 19:

"والسمة الأساسية لهذه الديانات أنها تدور حول إله -أو بطل- إما أنه يموت ويقوم من الموت مثل أوزوريس المصري، أو ينتصر على الشر مثل مثرا الفارسي ، وكان معتنقو هذه الديانات يطلبون الخلاص بالاتحاد مع هذا الإله في موته وحياته بواسطة طقوس وعوائد وأكلات خاصة"[5].

وكتب المؤرخ هربرت فشر عن ذلك، وهو يتحدث عن الإمبراطور قسطنطين:

"غير أنه ليس ثمة شك أن اتخاذ المسيحية - فيما بعد - ديانة رسمية ساعد البلاد على ازدياد صفوف المسيحيين زيادة سريعة ، لا سيما أن التحول عن الوثنية إلى المسيحية لم يكن انتقالا إلى جو غريب تمام الغرابة ، أو شعوراً بانقلاب باغت مفاجئ ، بل بدا الولوج في المسيحية عملية رفيقة في كثير من التدرج الشعوري والعاطفي ، إذ شابهت طقوس الديانة المسيحة وأسرارها المقدسة ما للديانة القديمة من طقوس وأسرار ، كما اشتملت تعاليمها على تعاليم الأفلاطونية الحديثة . يضاف إلى ذلك أن القول بوجود واسطة بين الله والناس أمر مألوف عند الفرس وأهل الأفلاطونية الحديثة سواء ، وأن الثالوث فكرة دينية مستمدة من الحقيقة القائلة بأن الثلاثة هي العدد التام"[6].

وقد لخص الدكتور أحمد شلبي السمات العامة المشتركة بين الديانات الوثنية قبل ظهور المسيح عليه السلام، فكتب:

"قبل ظهور المسيح كانت هناك معابد كثيرة تقدس عدداً كبيراً من الآلهة فهناك مثلا آبلُّو الذي كان يقدسه الإغريق ، وهيركوليس معبود الرومان ، ومثرا معبود الفرس ، وأدونيس معبود السوريين ، وأوزوريس وإيزيس وحورس

5 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 203.

6 تاريخ أوربا العصور الوسطى القسم الأول ص: 8.

معبود المصريين ، وبعل معبود البابليين ، وسواهم كثيرون وكانت هذه الآلهة تعتبر كلها من نسل الشمس وفي هذه الأديان أو أكثرها كانت توجد المعتقدات الآتية:

- كل هذه الآلهة ينسب لها أنها وُلِدَتْ في نفس الفترة [الشهر أو الموسم] التي ينسب لعيسى أنه ولد فيها.
- كل هؤلاء وُلدوا في كهف أو حجرة أو بعيدا عن الناس.
- كلهم عاشوا حياة فيها عناء من أجل الجنس البشري.
- كلهم قُهروا بقوى الشر والظلام.
- أُلقي بهم بعد هزيمتهم في المدافن أو النيران السفلى.
- هبَّو جميعاً من مدافنهم بعد الموت وصعدوا إلى عالم السماء.
- أسسوا جميعاً خلفاء لهم ورسلا ومعابد.

ويتضح من هذا أن المسيحية اقتبست كل هذه المعتقدات"[7].

وكذلك كتب الأستاذ أحمد عبد الوهاب عن ذلك التشابه بين الوثنية والمسيحية:

"يوجد إجماع بين الباحثين على أن هناك تشابهاً قوياً بين المسيحية الصليبية - مسيحية بولس - وبين غيرها من ديانات العالم الروماني التي كانت منتشرة آنذاك ، وعاصرت مولد تلك الديانة الجديدة ، سواء من ناحية المعتقدات والأفكار ، أو نواحي العبادات والطقوس التي تعكس تلك المعتقدات".

ثم ينقل عن هربرت فيشر في كتابه (A HISTORY OF EUROPE) ص: 102 و103 و115:

"استدار العالم الروماني بشغف زائد إلى عبادات الشرق الملتهبة ، مثل عبادات إيزيس وسيرابيس وميثرا .. إن عبادة إيزيس المصرية ، وسيبيل الفريجية ، وميثرا الفارسي ، اشتركوا في معتقدات كثيرة وجدت بعد ذلك في النظام المسيحي .

فقد اعتقدوا في اتحاد سري مقدس مع الكائن الإلهي ، إما عن طريق اقتران خلال الشعائر ، أو بطريقة أبسط عن طريق أكل لحم الإله في احتفال طقسي ..

لقد كان الإله الذي يموت بين العويل والمراثي ، بيد أنه يقوم ثانية وسط صيحات الترحيب والسرور ، من الملامح الرئيسية في هذه العبادات الشرقية الغامضة"[8].

وينقل أيضًا عن ميخائيل جرانت في كتابه (THE WORLD OF ROME) ص: 207:

"من السهل أن نشير إلى أوجه التشابه بين المسيحية وديانات الطقوس السرية في العالم الروماني الإغريقي الذي انبثقت منه وجاءت لتلبي نفس المطالب .. إن العبادات المسيحية والوثنية كانت تلبي مطالب متشابهة ..

....

ونجد في آسيا الصغرى - في القرن الثاني - أن الناسيين والمونتانيين قد وحدوا المعتقدات المسيحية مع تبجيل أتيس أو اقتباسات من ديانته . كما نسمع عن بعض أهل الإسكندرية الذين عبدوا يسوع وسرابيس"[9].

وما نقله الأستاذ أحمد عبد الوهاب عن ميخائيل جرانت -بخصوص المصريين الذين عبدوا يسوع وسرابيس- تؤيده الكاتبة المتعاطفة مع أقباط مصر السيدة ا. ل. بتشر في كتابها (تاريخ الأمة القبطية)، فقد أوردت خطابًا من القيصر إدريانوس إلى القنصل سرفيانوس، جاء فيه:

"فإن مصر التي أطنبت لي في مدحها ايها العزيز قد وجدت أهلها على درجة عظيمة من الخفة والطياشة وقلة الحزم يصدقون كل ما يقال ويطيرون مع كل ريح تهب . فالذين يعبدون سيرابيس مسيحيون والذين يدعون انفسهم أساقفة

---

7 المسيحية لأحمد شلبي ص: 180 و181.

8 حقيقة التبشير ص: 78 و79.

9 حقيقة التبشير ص: 80.

المسيح عبيد لسيرابيس . وانك لا ترى رئيساً لليهود او سامرياً او شيخاً للمسيحيين إلا كان رياضياً وعرافاً ومشعوذاً . بل ان البطريرك نفسه لما جاء الى مصر قال عنه بعضهم انه يعبد الاله سيرابيس وقال آخرون انه يعبد المسيح"[10].

وكتبت أيضًا عن أحداث القرن الثاني الميلادي:

"وفي ذلك الوقت شعرت الكنيسة بضرورة الشروع في ترجمة حياة السيد المسيح إلى اللغة المصرية المعروفة الآن باللغة القبطية وقد تم لها ذلك غير ان هذا الانجيل الذي كان ينسب للمصريين ضاع منذ زمان طويل حتى انه ليصعب الان معرفة أي الاناجيل الأربعة كان هو بل قد اصبح من المرجح الآن استدلالاً من بعض شذرات وصلت الينا باللغة اليونانية ان الانجيل المذكور لم يكن ترجمة وانما هو مجموعة ادخل اليها شيء من العقائد المصرية القديمة بحيث أصبحت لا يصح اعتبارها ولذا قرر اوريجانوس وجيروم انها من الكتابات المزورة ومع ذلك فقد نشر هذا الكتاب حينئذ في البلاد بكل حرية وبدون ادنى معارضة من تلك الكنيسة المسيحية المثقفة بالعلوم والمعارف"[11].

ويستفاد مما كتبته السيدة بتشر أن الكنيسة ترجمت إنجيلًا للغة القبطية، ثم تستدرك بأنه لم يكن إنجيلًا، وإنما مجموعة أدخل إليها بعض من العقائد المصرية القديمة، وأيًا كان الأمر، فإن موضع الشاهد هنا؛ هو إقرار الكاتبة بأنه في القرن الثاني الميلادي كانت العقائد الوثنية مختلطة بالعقائد المسيحية.

فإذا وجدنا في عقائد المسيحيين البولسيين المثلثين -التي تشكلت في مجمع نيقية (325م)- عقائد تشابه -وأحيانًا تطابق- عقائد الوثنيين القديمة، التي سبقت ظهور المسيحية بقرون عديدة، وإذا لم نجد لهذه العقائد الوثنية أثرًا فيما نسبته الأناجيل المحرفة للسيد المسيح عليه السلام، ولا فيما نسبته أسفار العهد القديم المحرفة لأنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، فحينئذ نتأكد أن هذه العقائد تسربت من عقائد الوثنيين لعقيدة المجامع الكنسية.

وإذا وجدنا أن عقائد المجامع الكنسية قد وضع أصولها وبذر بذرتها بولس، وكانت كل حجته أن السيد المسيح -عليه السلام- قد أوحى بها إليه، فحينئذ نتأكد أيضًا أن تلك العقائد المشابهة لعقائد الوثنيين قد استقاها بولس من عقائد الوثنيين القديمة، والتي كانت ما زالت رائجة في عصره.

ولا شك أن اللاحق هو الذي ينقل عن السابق.

وتأكيدًا لهذا التسرب كتب المؤرخ القبطي عزيز سوريال عطية؛ أن تراث الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية له أصول قبطية امتزجت بأخرى من منابع وثنية ويهودية[12].

ويذكر أيضًا أن الأدب المسيحي الإثيوبي:

"قد ظل وقفًا على الكتابات حول السيدة العذراء . وكما هي الحال عن الأقباط في تبجيلهم الخاص للسيدة العذراء مريم ، ربما كامتداد للاحترام العظيم الذي كان أجدادهم يكنونه للربة المصرية إيزيس"[13].

وقد لفت النظر لهذا التشابه الدكتور أحمد علي عجيبة فيما نقله عن محمد شفيق غربال في كتابه (تكوين مصر) ص: 73، حيث كتب أن المسيحية:

"انتشرت بين المصريين -كما يقول هارناسك - لأنهم خلقوا لأنفسهم ديناً قومياً وذلك بأن لقحوا هذه الديانة ببقايا معتقداتهم القديمة وآمالها"[14].

وينقل الأستاذ أحمد عبد الوهاب عن ارنست كيللت:

"إن أوجه التشابه المحيرة بين شعيرة التعميد في المسيحية - على سبيل المثال - وبين طقوس التطهير في ديانة أتيس وأدونيس ، لتصدم كل دارس . لقد أظهرت الديانة المسيحية قدرة ملحوظة في جميع العصور على الأخذ لنفسها ما

10 تاريخ الأمة القبطية ج: 1 ص: 49 و50.

11 تاريخ الأمة القبطية ج: 1 ص: 61.

12 تاريخ المسيحية الشرقية ص: 192.

13 تاريخ المسيحية الشرقية ص: 200.

14 تأثر المسيحية بالديانات الوضعية ص: 340.

يناسبها من الديانات الأخرى، إن كثيراً من عبارات بولس يصعب شرحها إلا على فرض أنه قد قبل عن طيب خاطر تلميحات من هذا النوع

....

لقد حدثت قيامة أتيس في يوم الخامس والعشرين من مارس ، بدء الربيع ، وهو نفس اليوم الذي قام فيه المسيح من الأموات حسب أقوال كثير من المسيحيين ، وهو نفس اليوم الذي أتم الله فيه خلق العالم حسب التقاليد اليهودية .

....

كذلك فإن التشابه بين الطقوس السرية لديانة ميثرا والمسيحية مذهلة . وهي محيرة فعلًا لدرجة أن السبب الوحيد الذي أعطاه آباء الكنيسة لذلك ، كان قولهم إن الشيطان كان يقلد المسيح ..

....

إن الميثرية لها طقوسها المتعلقة بالعشاء الرباني ، ومن الصعب التفريق بينها وبين ما في عقيدتنا (المسيحية) ، ولها احتفالات تماثل احتفالات عيد الميلاد ، ولها عيد القيامة"[15].

وعن هذه الجذور الوثنية لعقائد الكنائس البولسية المثلثة كتب الأستاذ أكرم حسن مرسي المهتدي من النصرانية للإسلام:

"الثالث عشر: إِنَّنِي مُسْلِمٌ وَلَسْتُ نَصْرَانِيًّا؛ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ فِي الإِسْلَامِ يَتَّفِقُ مَعَ العَقْلِ، وَيَفْهَمُهُ كُلُّ عَاقِلٍ من دون كثير نقل لحل رموزٍ وطلاسم ...

فَاللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ مُثَلَّثَ الأَقَانِيمِ، أَوْ صَاحِبَ طَبِيعَتَيْنِ وَمَشِيئَتَيْنِ، أَوْ طَبِيعَةٍ وَاحِدَةٍ وَمَشِيئَةٍ وَاحِدَةٍ، نَاسُوتَ وَلَاهُوتَ".

ثم كتب بعد أن استعرض عدة أمثلة واضحة للتشابه بين المسيحية الحالية المثلثة والوثنية:

"وَكُلُّ مَا سَبَقَ هُوَ مِصْدَاقٌ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) " (التوبة).

....

و لهذا أكون قد اخترت دين الإسلام "التوحيد" دين كل الأنبياء والرسل الذين لم يعرفوا التثليث ولا الطبيعة والمشيئة ... ولا أنّ للإله أمّ، ولا أنّ أمّ الإله إله .... بينما أرفض إتباع دين النصرانية لرفضهم هم عقيدة التوحيد التي ذكرت في كتابهم واتبعوا اعتقاد آبائهم"[16].

***

15 حقيقة التبشير ص: 80 و81.

16 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيا؟ ص: 99 إلى 107.

ب- التشابه بين العقائد النصرانية وما سبقها من العقائد الوثنية

وأتناول هذا التشابه تحت العناوين التالية:

(1) الأصول الوثنية لعقيدة الثالوث

(2) الأصول الوثنية لعقيدة تأليه سيدنا المسيح عليه السلام، وزعمه ابنًا لله، وأنه هو خالق الأكوان

(3) الأصول الوثنية لعقيدة تجسد الله -سبحانه وتعالى عن ذلك- في سيدنا المسيح عليه السلام

(4) الأصول الوثنية لعبادة أم الإله

(5) الأصول الوثنية لعقيدة الخطيئة الأصلية والصلب والفداء

(6) الأصول الوثنية لعقيدة قيام الإله من الأموات

(7) الأصول الوثنية لعقيدة نزول سيدنا عيسى -عليه السلام- للجحيم

(8) الأصول الوثنية لعقيدة تجربة الشيطان لسيدنا عيسى عليه السلام

(9) الأصول الوثنية لعقيدة مجيء سيدنا عيسى -عليه السلام- لدينونة الخلائق

(10) مقارنة جامعة بين عقيدة النصارى في سيدنا عيسى -عليه السلام- وعقيدة البوذيين في بوذا والهندوس في كرشنا

***

(1) الأصول الوثنية لعقيدة الثالوث

أعرض لموجز لهذه الأصول تحت العنوانين التاليين:

(أ) إقرار آباء الكنيسة باعتقاد الوثنيين القدماء بالثالوث

(ب) الشواهد التاريخية على الأصول الوثنية للثالوث

***

(أ) إقرار آباء الكنيسة باعتقاد الوثنيين القدماء بالتثليث:

كتب القس منسى يوحنا تحت عنوان (التثليث في الأديان الأخرى):

"نجد في أصول الأديان الوثنية شيئا ينبئ عن الثالوث:

أولاً : في الهند

كان الثالوث الإلهي مؤلفا من ثلاثة : براهما وفيشنو وسيفا . فبراهما هو الموجود غير المتناهي الأزلي الذي أوجد المادة وظهر في إبداع العالم . وفيشنو هو الحكمة الحافظة هذا العالم المخلوق . وسيفا هو إله الموت والملاشاة فيلاشي كل ما يجد . وفي زعمهم أن هؤلاء الثلاثة يتولون معا تدبير العالم .

ثانياً : في الصين

إن الفيلسوف الصيني لاوشو يوضح عقيدة قومه في التثليث بقوله : إن الذي تفتش عنه ولا تجده ي I والذي تصغي له ولا تسمع صوته يدعى هـ HI والذي تمتد إليه يدك ولا تتمكن من لمسه يدعى و هـ WEI.

فتخيلوا في تقليدهم أولا المبدأ أو الآب (الذي تفتش عليه) ثانيا الكلمة أي الإبن (الذي تصغي إليه) ثالثا الروح القدس (الذي لا تتمكن من لمسه) والحروف الثلاثة ي هـ و هـ JHI تتألف منها كلمة غريبة عن اللغة الصينية ، فهي إذن بلا شك مأخوذة عن اللغة العبرانية وهي بلا ريب (يهوه) .

ثالثاً : في الفرس

إن الفيلسوف لزور واسنار كان يتعبد (أولا) إلى عقل هرموفورا الذي له الكلمة السامية . (ثانيا) إلى الروح الفاعل له الذي يتمم تلك الكلمة (ثالثا) إلى لسانه الذي يلفظ الكلمة السامية دون انقطاع .

رابعا : في اليونان

كان أفلاطون (400 ق. م.) قد فرض قبل كل شيء بوجود العقل السامي علة العالم . ثم بعد ذلك الروح الذي هو المثال الأول لكل تصورات فهو على وجه الفكر الإلهي أو كلمته ، وأخيرا يعترف ذلك الفيلسوف الشاعر بوجود روح عظيمة منتشرة تحيي العالم وتحركه ، وهي على مذهبه جزء أزلي من الله متحد بالمادة

ولما تأسست المدرسة الأفلاطونية الجديدة في الإسكندرية . علمت تعليم أفلاطون فيلوتين في سنة 260م الذي اعترف بوجود ثالوث واحد في ثلاثة أقانيم : الأول على مذهبه هو الوحدة الثابتة ، والثالث على مذهب أفلاطون هو الروح الذي يحرك العالم ، أما الثاني ، فهو الرابط بين الأول والثالث ، وهو معروف عنده بالعقل المتحرك الذي سوى التصور الإلهي .

إلا أن المعطلين، عوضا عن أن ينسبوا اهتداء الوثنيين إلى التثليث إلى الوجدان أو إلى الغريزة عينها التي تعلمنا بوجود إله ، قالوا أن عقيدة الثالوث المسيحية مستمدة من الفلسفات الوثنية . وقد فاتهم أن الوثنيين مضطربون في اعتقادهم بالتثليث كما اضطربوا في عقيدة الوجود الإلهي ، نظرا لأنهم لم يهتدوا بنور الوحي الإلهي كما بنور الوجدان ، وشتان ما بينهما كليهما من طرق التنوير . وكانت عقيدة الوثنيين في الثالوث أنه ثلاثة آلهة، بعكس المسيحية التي توحد الله ولا تشرك معه آخر"[1].

إذن نحن هنا أمام: إقرار دامغ وتبرير مراوغ.

فأما الإقرار الدامغ: فهو اعتراف القس منسى يوحنا بتوافق تثليثهم مع تثليث المشركين.

وأما التبرير المراوغ: فمحاولته التشنيع على أهل التوحيد، الذين على عقيدة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل وموسى وهارون ويحيى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام؛ بأنهم معطلون، وبأنهم لم يدركوا أن اهتداء الوثنيين كان نتيجة الوجدان والغريزة.

---

1 شمس البر ص: 130 و131.

ولكن لم يجب القس منسى يوحنا عن سؤال في غاية الخطورة، وهو: إذا كان الثالوث الذي اهتدى له الوثنيون جاء نتيجة الوجدان والغريزة، فلماذا لم يهتد له أنبياء الله: إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون ويحيى عليهم السلام، هل كان وجدان الوثنيين وغريزتهم أصفى وأنقى وأكثر إدراكًا للحق من وجدان وغريزة أنبياء الله عليهم السلام.

ولماذا لم نجد تصريحًا بالثالوث في العهد القديم رغم تحريفه؟

ولماذا لم نجد في العهد الجديد حرفًا واحدًا ينسب للسيد المسيح -عليه السلام- دعوة الناس للثالوث؟

أما قوله: "وكانت عقيدة الوثنيين في الثالوث أنه ثلاثة آلهة". فقول باطل، وسأورد -إن شاء الله- من أقوال آباء كنيسته الأرثوذكسية -ومن أقوال الوثنيين العديدة- ما يثبت أن الوثنيين كانوا يرون الثالوث -مثل ما كرره النصارى من بعدهم- إلهًا واحدًا.

ومحاولة النصارى الهروب من الشرك بقولهم: إن الثلاثة أقانيم إله واحد. هو تناقض لا ينقذهم من الشرك، لأنهم يؤكدون أنها ثلاثة كيانات حقيقية متميزة، إذن هي ليست إلهًا واحدًا في ذاته وصفاته، وقد فصلت بعض التفصيل في الرد على ذلك في تعليقي على قول الشيخ أحمد حجازي السقا: إن الأرثوذكس ليسوا مثلثين، ولكنهم كفروا لقولهم بتجسد الله في صورة البشر. فليراجع هناك.

أما المسلمون الموحدون من لدن آدم إلى محمد عليهم -الصلاة والسلام- فيؤمنون بأن الله واحد أحد لا شريك له، قال عز من قائل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. [سورة الإخلاص].

وتعبير القرآن بـ﴿أحد﴾ فيه دلالات عظيمة، فالعرب اختصت كلمة (أحد) بميزات تميزت بها عن كلمة (واحد)، منها:

- أن أحد أكمل من الواحد، ألا ترى أنك إذا قلت: "فلان لا يقوم له واحد". جاز في المعنى أن يقوم له اثنان فأكثر، بخلاف قولك لا يقوم له أحد.

- ومنها أن الأحد ممتنع الدخول في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من الحساب. بخلاف الواحد[2]. فالأحد لا قسيم له.

- ولهذا لا يوصف بكلمة (الأحد) غير الباري سبحانه، فلا يقال رجل أحد، ولا درهم أحد[3].

فالله سبحانه وتعالى لا شريك له ولا ند ولا مساو ولا ابن ولا أقنوم ولا منبثق عنه ولا من جوهره كائن، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[4].

فالله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء، ومن خلقه المسيح عليه السلام، قال سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[5]، وكفرت النصارى فقالت: إن الابن إله أزلي، وهو خالق كل شيء، متابعة لمن سبقهم من الوثنيين، كما سيأتي إن شاء الله.

وأعود للقس منسى يوحنا، الذي يزعم أن اهتداء الوثنيين للتثليث كان بالوجدان أو الغريزة، مع ما نقلته عن آبائهم؛ أن التثليث عقيدة فوق إدراك العقل، وأنهم يؤمنون بها لأنها جاءت في الكتاب الذي يقدسونه!!! فكيف يهتدي الوثني لأمر فوق العقل، الصحيح أن النصارى نقلوا عن الوثنيين خرافة تتناقض مع العقل.

---

2 إعراب القرآن الكريم وبيانه مج: 4 ج: 15 ص: 473، مج: 6 ج: 22 ص: 162.

3 المعجم الوسيط- باب: الواو- مادة: وحد ص: 1016.

4 سورة الأنعام. آية: 100 إلى 102.

5 سورة آل عمران، آية: 59.

وهنا نجد القس منسى يوحنا وكل مسيحي مثلث في ورطة، لأنه من ناحية يقول بأن عقيدة الثالوث غير معقولة، وفوق إدراك العقل، ولا بد من التسليم بها لأنها من الوحي المقدس، وفي نفس الوقت يقر بأنها (أي عقيدة الثالوث) ذات أصل وثني، فمن أين جاء بها الوثنيون؟

وإذا كانت من الوحي المقدس، فلماذا لم يدع لها أنبياء العهد القديم؟ ولماذا لم ينقل العهد الجديد عن سيدنا عيسى -عليه السلام- الدعوة لها؟؟؟

- وكتب القمص مينا جاد جرجس الكاهن بمدينة أسنا:

"إن أجدادي[6] كانت ديانتهم في جوهرها ترمز إلى الديانة المسيحية، كما قيل عنهم أنهم عرفوا مبادئ المسيحية قبل ظهورها، ولذلك في معبد إدفوا توجد هناك صورة حمل وجهه وجه إنسان وجسمة جسم حمل، وكان يعرف عندهم باللغة المصرية القديمة "خين أو هِبُستا سيسدا" ومعناه باللغة العربية "أقنوم" فهذا الرمز يشير إلى الأقنوم الثاني الذي قال عنه يوحنا كما جاء في إنجيله "وفي الغد نظر يسوع مقبلاً إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو1:29).

وقد جاء في كتاب الأدب والدين عند قدماء المصريين ص 76 "وأعتقد أهل طيبة بالثالوث وهو عبارة عن (آمون) و(خنو) و(موت). وكانوا يرون أنهم ثلاثة أقانيم في إله واحد.".

وفي هذا رد من القمص مينا جاد جرجس على القس منسى يوحنا، الذي زعم أن الوثنيين كانوا يعبدون ثلاثة آلهة متفرقة، خلافًا للمسيحيين الذين يعبدون ثلاثة أقانيم في إله واحد.

ونواصل مع القمص مينا جاد جرجس، حيث كتب:

"وقد ورد في هذا الكتاب المشار إليه عن ديانة قدماء المصريين: "وما ساعد على انتشار المسيحية في البلاد المصرية وجود الشبه في كثير من مبادئ المصرية والتعاليم التي نشرها السيد المسيح والاثنى عشر رسولاً فإن القواعد التي وضعها "بتاح حوتب" قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة هي من أسمى ما كتب وتُماثل ما ورد في الأمثال والجامعة.

....

وكانوا يعتقدون بأن إلهاً تجسد ويعيش على الأرض في شكل إنسان والإعتقاد بالدينونة وقيامة أوزيريس يرجع إلى عهد أول أسرة مصرية

....

ومجمل القول أن الخليقة تمت بكلمة الله، .... له ابن منظور معروف للناس.

....

والذي أوجد الميلاد الثاني هو ابن الله الوحيد.

وكان الثالوث عندهم يتكون من أوزوريس وإيزيس وحورس وهم ثلاثة في واحد"[7].

***

---

6 يقصد قدماء المصريين.

7 كنيستي عقيدة وإيمان ص: 134 و135.

(ب) الشواهد التاريخية على الأصول الوثنية للثالوث

أعرض هنا لأمثلة موجزة عن الأصول الوثنية التالية:

[1] الثالوث عند المصريين القدماء

[2] الثالوث عند الهنود القدماء

[3] الثالوث عند الفرس

[4] الثالوث عند أهل أوروبا والرومان وغيرهم

***

[1] الثالوث عند المصريين القدماء

-كتب مفتش الآثار المصري السابق باخوم فاخوري حنا مفتخرًا بفكر المصريين القدماء الوثني، ومثنيًا على قربه من ثالوث النصارى:

"لا يوجد فكر لاهوتي وثني في العالم أجمع يضارع فكر لاهوت مصر القديمة - الفرعونية - فارتفع فكر المصري القديم وارتقى تطوره ليصل إلى ظل الحقائق اللاهوتية لأبعد حد ممكن ان يصل إليه الفكر البشري والإيمان بالوحدانية، وأهم الفروق بين مصر الفرعونية والعالم في وثنية كلٍ منهما سنتعرف عليه في هذا الفصل، ومعرفة كيفية وصول مصر الفرعونية إلى قمة الفكر اللاهوتي وسنبدأ أولًا بعرض موضوع أعظم ثالوث مصري قديم سام.

ثالوث آمون ورع وبتاح:-

يعتبر بحق هو أعظم ثالوث في مصر القديمة وذلك لرفعة أفكاره اللاهوتية بالنسبة إلى أفكار وعقائد الثالوث الفرعوني وأيضاً لأنه تقارب في بعض مفاهيمه مع الحقائق اللاهوتية للإله الحقيقي مع ملاحظة اختلافه مع الحقائق اللاهوتية في الجوهر فهو تقارب فكري يدعو للإعجاب وهو يدل على القدرة العالية للمصري القديم وترجع عقيدة هذا الثالوث إلى عصر الدولة القديمة الفرعونية وتذكر عالمة تاريخ الكنيسة القبطية الأستاذة إيريس حبيب المصري، أن نصوص الأهرام تقول "ثلاثة هم كل الآلهة آمون ورع وبِتاح فالله مختبئ في اسمه بوصفه آمون وهو رع بالوجه وجسده هو بِتاح .. إنه مستعلن في آمون مع رع وبتاح وثلاثتهم متحدون".

....

وذكر ارمان "أن هذا الثالوث عظُم شأنه في عصر الإمبراطورية الحديثة بارتفاع شأن طيبة وتوقف في فترة إخناتون ثم عاد بقوة عندما أعاد توت عنخ آمون عقيدة آمون لطيبة والإمبراطورية كلها"[1].

وقفة لبيان موقف الكاتب من إخناتون وتفضيله ثالوث آمون عليه:

من المعلوم في تاريخ مصر أن أخناتون (أمنحتب الرابع) قد ألغى ثالوث آمون، ووحد العبادة لإله الشمس آتون.

وهل كان موحدًا يعبد الله وحده، ويعبر عن إلهه بنور الشمس، أم كان مفردًا لإله الشمس وملغيًا لسائر الآلهة المتعددة الكثيرة؟ هذا سؤال لا تعرف إجابته، وخاصة أن ما وصلنا عن أخناتون جاء محرفًا، تدخل فيه خصومه.

ولكن كانت ابتهالاته وصلواته للإله الواحد الأحد، فقد جاء في صلواته لإلهه:

"هو الحي المبتدئ الحياة، الملك الذي لا شريك له في الملك، خالق الجنين وخالق النطفة التي ينمو منها الجنين، نافث الأنفاس الحية في كل مخلوق، بعيد بكماله قريب بآلائه، تسبح باسمه الخلائق علي الأرض والطير في الهواء، وترقص الحملان من مرح في الحقول فهي تصلي له، وتستجيب لأمره، ويسمع الفرخ في البيضة دعاءه فيخرج إلي نور النهار واثبًا علي قدميه، قد بسط الأرض ورفع السماء وأسبغ عليهما حلل الجمال، وهو ملء البصر وملء الفؤاد، وهو الوجود وواهب الوجود، وشعوب الأرض كلها عبيده لأنه هو الذي أقام كل شعب في مواطنه ليأخذ نصيبه من خيرات الأرض ومن أيام العمر في رعاية الواحد الأحد آتون".

ويؤكد الدكتور محمد علي البار أن أخناتون لم يكن يعبد الله سبحانه، وإنما كان يعبد إله الشمس الواحد آتون، وبذلك لا يمكن أول موحد في التاريخ كما ادعى البعض. بل هو منحرف بعبادته عن توحيد الله إلى توحيد خلق من مخلوقات الله. ولأنه قد سبقه موحدون لا يعلمهم إلا الله، منهم آدم وأبناؤه وشيث وأخنوخ -الذي ربما كان إدريس- ونوح[2].

ومن أعمال أخناتون الهامة إلغاؤه للإله أوزيريس[3]، وعبادة هذا الإله وثيقة الصلة بثالوث النصارى، كما سيأتي إن شاء الله.

---

1 المسيحية ومصر الفرعونية ج: 1 ص: 80.

2 راجع لتفصيل بحث الدكتور محمد علي البار، ورده على من زعم أن المزمور 104 منقول عن نشيد أخناتون، ونفيه لأن يكون أخناتون يعبد الله وحده، ورفضه لأن يكون أخناتون أول موحد في التاريخ كما ادعى البعض: الله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ص: 403 إلى 407.

3 الله للعقاد ص: 84 إلى 88.

Encyclopædia Britannica, Akhenaton.

وعلى كل حال أيًا كان اعتقاد أخناتون الحقيقي، فهو أقرب للحق من ثالوث آمون الذي يفتخر به باخوم فاخوري، ويصفه بأنه أرقى ما وصلت له الوثنية، وذلك لأنه يشابه ثالوث النصارى الشركي، حتى وإن زعموا -متناقضين- أنهم موحدون، فبإجماع كل الباحثين أن أخناتون كان أرقى في عبادته من عباد ثالوث آمون.

ولكن النصارى المثلثين يتجاهلون أخناتون، ويفخرون بثالوث آمون للتشابه العقدي بينهم.

***

وقد ذكرت الأستاذة هبة عبد المنصف ناصف في أطروحتها المقدمة لنيل درجة الماجستير في الآثار:

"ولقد ظهر تثليث في عصر الرعامسة على قدر كبير من الأهمية لأنه اتصل بفكرة الوحدانية حيث جمع الآلهة كلها في ثلاثة فقط هم آمون ورع وبتاح، هؤلاء الآلهة الثلاثة اندمجوا معا كإله واحد كما جاء في أناشيد الإله آمون:

كل الآلهة ثلاثة (آمون - رع - بتاح) لا مثيل لهم وتكمل الأنشودة:

"اسمه خفي بوصفه آمون، وهو رع أمام البشر، وجسده بتاح ...."

والتثليث في هذه الأنشودة عبارة عن إله واحد وله ثلاثة أقانيم، حيث أنه جوهر واحد اسمه آمون ووجهه رع وجسده بتاح"[4].

وهذا رد آخر على القس منسى يوحنا، يظهر فيه التطابق بين عقيدة النصارى المثلثين البولسيين، وبين عقيدة قدماء المصريين الوثنيين.

ثم أضافت الأستاذة هبة عبد المنصف:

"وقد استمر التثليث حتى العصر البيزنطي حيث نقش على تميمة محفوظة الآن في المتحف البريطاني من نفس العصر "إن الآلهة المصرية ثلاثة برأس صقر ورأس ضفدعة (حتحور) وثعبان مجنح، إليهم تنتمي القوة الواحدة".

وواقع الأمر أن استمرار التثليث في العصر البيزنطي أظهر تأثير الموروث في الدين والعبادات حيث ظهر التثليث ومغزاه واضحا في المسيحية، وهو الثلاثة في واحد"[5].

***

- وكتبت المسز بتشر عن ديانة المصريين قبيل ميلاد المسيح عليه السلام:

"اما ديانة المصريين القديمة فكانت قد اندرست منذ عهد طويل وحل محلها مجرد عبادة الحيوانات.

...

نعم إن كثيرين من الكهنة والخواص كانوا لا يزالون يعتقدون بآله واحد في ثلاثة أقانيم وانه الفاعل لكل خير وان بقية الآلهة ليست إلا عبارة (رمز) عن مظاهره وتجلياته المتعددة"[6].

***

- ونقل الدكتور أحمد شلبي عن الأستاذ رءوف حبيب في كتابه (كنائس القاهرة القبطية) ص: 1:

"المصريون من أسبق الشعوب التي اعتنقت المسيحية ، إذ وَجد المصريون في حياة المسيح صدى لقصة أوزوريس الإله الذي ذهب ضحية روح الشر، وكذلك اتفقت قصة المسيح من ناحية نظام الثالوث الأقدس مع قصة التثليث في الفكر المصري".

ونقل أيضًا عن الدكتور سامي جبرة في كتابه (في رحاب المعبود توت) ص24:

"إن كثيرًا من المفكرين يتجهون إلى أن الثالوث يرجع إلى خمسة عشر قرناً على الأقل قبل مولد المسيح ، فقد وُجدَ في مصر في ذلك التاريخ ، وتأثر الفكر المسيحي بالفكر المصري وبخاصة بسبب قرب المسافة بين موطن الفكر الفرعوني والفكر المسيحي"[7].

---

4 الثالوث في مصر القديمة ص: 6.

5 الثالوث في مصر القديمة ص: 8.

6 تاريخ الأمة القبطية ج: 1 ص: 5.

7 المسيحية لأحمد شلبي ص: 177.

***

وكتب أندريه نايتون[8] في كتابه (المفاتيح الوثنية للمسيحية):

"إن مفهوم الإله الواحد المؤلف من ثلاثة أشخاص فكرة قديمة جداً . وهنا أيضاً لا بد من الرجوع إلى مصر ، مصر الممتلئة بالأسر الدينية التي كان الشعب يعبدها ، عائلات مؤلفة من أب وأم وابن . ويقول ماسبيرو وهو مؤرخ ديني علامة : "إن أحد الأبوين لم يكن سوى انعكاس للآخر ، مجرد نسخة عنه ذات جنس آخر " . وهذا ما جعل هذه العائلة الدينية المقدسة مجرد " ثلاثة مظاهر في معبود واحد " . وهذه العبارة نجدها منقوشة على أقدم الآثار المصرية . هكذا نجد الإله آمون هو الأب للإله خونس . ومنه تنزلت زوجته "موت" في طيبة اقنوما ثانياً . وفي داندره كانت الأم حاثور أم حوروس هي الإله ، ومنها يتحدر الأقنوم الثاني أحي زوجها ، ثم ابنها ، أما أشهر أسرة إلهية عُبدت في مصر فهي أسرة أوزيريس ، إيزيس ، حورس .

وهناك ثلاثية إلهية هيأت الطريق للتثليث المسيحي اللاحق ، وهي الإله الخالق بتاح ، وكلمته توت ، وروحه القدس حورس ، وهذا التثليث المصري القديم جداً هو الذي عبد الطريق للهرمسية السكندرية المؤلفة من العقل الأكبر أولاً ، ثم الكلمة الخلاقة ثانياً ، ثم الروح القدس . وكان الأفلاطونيون قد طوروا هذه التنظيرات الخاصة بالتثليث . وربما كان هذا ما دفع القديس سيريل المقدسي إلى أن يكتب في القرن الرابع أن الفلاسفة اليونان كانوا يؤمنون بالتثليث المقدس وأنهم كانوا يقولون أن الطبائع الثلاث متحدة بدون واسطة .

....

وليس غريباً إذن أن نقرأ على تمثال إيزيس : أنا الماضي والحاضر والمستقبل . وهذا ما ردده يوحنا وقلده في الرؤيا:" أنا الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي ... " . من هنا انبعث التقليد المسيحي الذي يعتبر " العائلة " رقماً مقدساً . ولقد أصرت الكاثوليكية على تقديس ذلك"[9].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هؤلاء الفلاسفة المشار إليهم كان الكثير منهم -إن لم يكن أكثرهم- وثنيون، وقد ظهر ذلك في أفكار العديد من الآباء الأوائل، كما أشرت لذلك في مبحث التقليد.

***

- وكتب الدكتور محمد مجدي مرجان -المهتدي من النصرانية للإسلام- عن الثالوث الفرعوني وأثره على الثالوث النصراني:

" تدل الرموز التي اكتشفت عن الثالوث المقدس عند قدماء المصريين على مشابهته تمامًا للثالوث المسيحي سواء في عدد الأقانيم أو في خاصية كل أقنوم منها.

ويتكون الثالوث الفرعوني من ثلاثة آلهة أو ثلاثة أقانيم إلهية وهي:

(1) الإله أوسيري (ويسمى الآب أو الوالد).

(2) الإله هور (ويسمى الابن أو النطق أو الكلمة).

(3) الإله إيس (وتسمى الأم أو الوالدة).

(1) الإله أوسيري:

الأقنوم الأول المصري، والاعتقاد عن أوسيري أنه هو الإله الأكبر العظيم علة ولادة الأقنوم الثاني هور، خالق كل المخلوقات وحاكم الأزلية ورب الأرباب.

ونجده مرسومًا على الآثار جالسًا على منبر القضاء ليدين كل واحد حسب أعماله، ونجده أيضًا قابضًا بيده اليمنى على علامة تعني الحق أو العدل، وتلفظ "هق أو حق" وبيده اليسرى علامة أخرى تعني الانتقام والمجازاة وهي تشير إلى أن

8 مؤرخ فرنسي، وأستاذ علم مقارنة الأديان في الجامعات الفرنسية.

9 الأصول الوثنية للمسيحية ص: 44 إلى 47.

الإله أوسيري حاكم عادل منتقم، وهذا القول يتفق مع عقيدة أصحاب الثالوث عن الله الآب (الأقنوم الأول في الثالوث المسيحي). وأنه يمثل العدل والقصاص لحكمه على آدم وذريته بالهلاك الأبدي بسبب أكله من الشجرة المحرمة.

(2) الإله هور:

وهو الأقنوم الثاني في الثالوث المصري، وهو ابن الإله أوسيري الأقنوم الأول، وهو النور والشمس المشرقة وهو إله النطق والكلام، ولذا صوروه رافعًا إصبعه إلى فمه، كما شبهوه أيضًا بعجل، ولكنه عجل ممتاز عن بقية العجول، وله نعرة بيضاء مثلثة على جبهته وجعران تحت لسانه رمز القيامة والخلود.

ولد من نار اللاهوت من عجلة بكر لم تلد سواه، وهو يحمل ذنوب وخطايا العالم وهو غير الأقنومين الآخرين تشبه وحده بإنسان ليكون قابلًا للموت ولذلك شبهوه بالثور وسموه جبي.

وقد ورد في الأصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا عن السيد المسيح ابن الله وكلمته أنه هو العجل المسمن وأنه المخلص الذي تجسد ليفدي البشر من الخطايا.

(3) الإله إيس:

الأقنوم الثالث الفرعوني والاعتقاد عنها أنها ملكة السماء وأنها أم الأقنوم الثاني، وقد رمزوا لها بصورة طائر جميل يشبه العصفور وعلى رأسه صولجان رسموا بجانبه علامة الحياة، وهم يشيرون بذلك أن الإله إيس هي باعثة الحياة للبشر، والمعروف عن الروح القدس أنها مصدر حياة البشر طبقًا لعقيدة أصحاب الثالوث. كما صوروا الإله إيس أيضًا امرأة جالسة عل عرش ترضع هور ابنها (الأقنوم الثاني) وعلى رأسها تاج الملك وقرص الشمس، وهذا أيضًا يشابه قانون الإيمان المسيحي الذي ينص على أن الإله الابن قد تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، قد أكد العلامة جارسلاف كريني أستاذ الحفريات بجامعة أكسفورد ببريطانيا في كتابه (ديانة قدماء المصريين) وجود التماثل والتطابق التام بين الثالوث المسيحي والثالوث الفرعوني الأمر الذي دعاه إلى التقرير بأن الثالوث المسيحي مأخوذ عن الثالوث الفرعوني"[10].

***

- ونقل الأستاذ محمد طاهر التنير عن العلامة دوان (Doane) في كتابه

(Bible Myths and Their Parallels in Other Religions) ص: 473:

"كان قسيسو هيكل ممفيس بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين في تعلم الدين بقولهم: إن الأول خلق الثاني، والثاني مع الأول خلقا الثالث، وبذلك تم الثالوث المقدس".

وأضاف أيضًا:

"وسأل (توليسو) ملك مصر الكاهن (تينشوكي) أن يخبره: هل كان قبله أحد أعظم منه، أو هل يكون بعده من هو أعظم منه؟

فقال له الكاهن: نعم، يوجد من هو أعظم وهو أولاً: الله، ثم الكلمة، ومعهما روح القدس، ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة، وهم واحد بالذات، وعنهم صدرت القوة الأبدية.. فاذهب يا صاحب الحياة القصيرة!!".

"ولا ريب أن تسمية الاقنوم الثاني من الثالوث المقدس (كلمة)، هو من أصل وثني مصري دخل في غيره من الديانات كالديانة المسيحية............. وفي علم اللاهوت الإسكندري الذي كان يعلمه (بلاتو) -أفلاطون- قبل المسيح بسنين عديدة: الكلمة هي الإله الثاني، ويدعى أيضاً ابن الإله البكر".

وقال العلامة BONWICK:

"أغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين -الوثنيين القدماء- هي قولهم (بلاهوت الكلمة)، وأن كل شيء صار بواسطتها، وأنها -أي الكلمة- منبثقة من الله، وأنها هي الله...، وكان بلاتو - أفلاطون عارفًا بهذه العقيدة الوثنية، وكذلك أرسطو وغيرهما، وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي بسنين، ولم نكن نعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا في هذه الأيام!!!"..

10 الله واحد أم ثالوث ص: 66 إلى 68.

وقال: "وكما أن للكلمة مقاماً سامياً عند المصريين -القدماء الوثنيين- كذلك يوجد في كتبهم الدينية المقدسة هذه الجملة: (إني أعلم بسر لاهوت الكلمة، وهي رب كل شيء وهو الصانع لها). فالكلمة هي الأقنوم الأول بعد الإله، وهي غير مخلوقة، وهي الحاكم المطلق على كافة المخلوقات"[11].

وعلق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي[12] على النص السابق فكتب:

"بعد أن اكتشفت وثائق الحضارة المصرية القديمة، واطلع عليها العلماء الغربيون أدهشهم، بل أذهلهم أن يتعرفوا على الأصل الوثني الذي استمد منه واضعو العقيدة النصرانية التي تطلق على المسيح أنه (الكلمة)..

يقول ج. هـ. بريستيد (ص56 من فجر الضمير):

"هل نستطيع أن نتعرف على الأساس التاريخي السحيق في القدم لعقيدة (الكلمة) في صدر إنجيل يوحنا؟!.

ويرى الأستاذ (توملين) في كتابه (فلاسفة الشرق صـ 40-43):

"أن كاتب إنجيل يوحنا قد أخذ هذه الفكرة القديمة (فكرة الكلمة الفعالة أو الخالقة التي وردت في وثيقة منف المصرية القديمة التي ترجع إلى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، وقد دونَّها كهنة هيليوبوليس، وقد درسها من علماء المصريات كل من زيتة، وإرمانن وهنري بريستيد، وجاردنر غيرهم).

وزاد عليها طبقاً للرؤية المسيحية أن (الكلمة) -ابن الله- صارت جسداً، وعاشت بيننا.

ومما يذكر ان هيراقليطس قد ذكر الكلمة Logos، وكانتت تعني عنده مبدءاً إبداعياً، أو نوعاً من تفكير خصب محرك لنشاط مقدس.

ثم وجدت بعد ذلك عند أفلاطون الذي استخدمها للإشارة إلى ذلك المظهر من قوة الإله الخلاقة التي ينجم عنها تعدد أعماله.

ثم وجدت (الكلمة) في الفكر العبري، وكانت تعني: الحكمة المقدسة .. وباختصار: فإن مؤلفي وثيقة منف - نظرًا لكونهم كهنة ميتافيزيقيين - ربما كانوا أول من أحكم وضع مفهوم (الكلمة).

.....

ومما هو جدير بالملاحظة أن أقدم نسخة لإنجيل يوحنا، وهي قد عثر عليها بمصر، ويقدر العلماء أنها ترجع للقرن الثاني الميلادي - لا تحتوي على صدر إنجيل يوحنا الذي جاء فيه: "في البدء كانت الكلمة.. الخ"."[13].

وقد كتب الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، وهو يعرض لبرديات الكتاب المقدس باللغة الإغريقية:

"وأهم هذه القطع " بردية شستربتي " في مجموعة Bodmer ، وهي محفوظة في متحف دبلن ، وتحتوي على بضع عبارات من إنجيل مرقس ، ولوقا ، وأعمال الحواريين ، ومتى ، ويوحنا ، .. ومما يشار إليه أن هذه القطعة - وقطع أخرى - لا تضم صدر إنجيل يوحنا ... وقد اكتشفت هذه القطعة ما بين سنتي 1897 ، 1907 في : Oxyrhnchus بالقرب من البهنسا في صعيد مصر ، على يد Hunt , Grenfell"[14].

***

---

11 العقائد الوثنية في الديانة المسيحية ص: 61 إلى 63.

12 أستاذ الفلسفة ومقارنة الأديان بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

13 العقائد الوثنية في الديانة المسيحية هامش ص: 61 و62.

14 في مقارنة الأديان ص: 47.

[2] الثالوث عند الهنود القدماء

اقتنع الباحثون والكاتبون -بما فيهم رجال الدين النصارى- بالتشابه الكبير بين المسيحية وديانات الهند القديمة. وقد نقلت من قبل ما كتبه القس منسى يوحنا عن ذلك.

وأشير هنا في إيجاز لما كتبه بعض الكاتبين في هذا الصدد:

[أ] الثالوث عند الهندوس

[ب] الثالوث عند البوذيين

***

[أ] الثالوث عند الهندوس

وأبدأ بالشيخ محمد ضياء الرحمن الأعظمي فهو هندي الأصل، ولم ينشأ مسلمًا، بل نشأ هندوكيا[1]، ثم هداه الله للإسلام، فكلامه كلام الخبير بقومه. ذكر الشيخ في كتابه القيم (دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند):

أن سكان الهند يمكن إرجاعهم لأصلين: الأول نسل ممتزج العرق، عرف في التاريخ باسم (الدرافيد)، والثاني هم من عرفوا بالآريين.

وهؤلاء الآريون قيل إنهم وفدوا على الهند في حقبة ترجع إلى ألف وخمسمائة عام قبل الميلاد، وبعد حروب بينهم وبين (الدرافيد) تمت لهم السيطرة على الهند في قرابة القرن الخامس قبل الميلاد.

وبعد أن تمت لهم السيطرة على الهند قسموا أهلها لأربع طبقات، وأخذوا في نشر عقائدهم الهندوسية.

ويقال أن أصل هؤلاء الآريين أقوام نشأوا ببلاد (الدانوب) بقارة أوروبا، ثم هاجروا للهند عبر سواحل الدانوب ثم البسفور والدردنيل، ثم إلى إيران وأفغانستان حتى وصلوا للسند، وبقيت منهم جماعات في تلك البلاد التي عبروها[2].

وتتلخص عقائد الهندوس في خمس عقائد، وهي:

1- خلق الكائنات: وتدور حولها عدة أساطير، وتنتهي إلى أن العالم تتحكم فيه ثلاثة أقانيم، وهذه الأقانيم في إحدى الأساطير: (شنكرا) الذي يمثل العلم والآفاقية، و(بروين) الذي يمثل القدرة والقوة، و(نرودها) الذي يمثل الحياة والجلال.

وفي أسطورة أخرى أن هذه الأقانيم هي: برهما (خالق الحياة) وفشنو (الرزاق) و(ما هيش) قابض الأرواح.

وهذه الأقانيم تشابه أقانيم النصارى.

2- العقيدة الثانية هي عقيدة (أفْتَارَ) (AVATAR):

ومعنى كلمة (أفتار) في اللغة السنسكرتية: النزول، وفي اصطلاح الهنادك: نزول الرب إلى الأرض بصورة البشر لإصلاح الناس وحمل خطاياهم، وهي نفس عقيدة النصارى في تجسد الأقنوم الثاني.

3- العقيدة الثالثة عقيدة التناسخ أو جولان الروح.

4- العقيدة الرابعة عقيدة (الكارما)، ومعنى (كارما) العمل في اللغة الهندية، وفي اصطلاح الهنادك: هي قانون الجزاء، الذي يقرر إن كان الإنسان صالحًا في إحدى دورات حياته الحلولية فإنه سيلقى جزاء ذلك في الدورة الثانية، والعكس إن كان طالحًا.

5- العقيدة الخامسة عقيدة النِرفَانا: وهي حالة الروح التي بقيت صالحة في دورات تناسخية متعاقبة، ولم تعد تحتاج لتناسخ جديد، فتحصل لها النرفانا (النجاة) من الجولان وتتحد الروح بالخالق[3].

وهذا الاتحاد بالخالق هو نفس ما ذكره بولس:

"6: 5 فإذا اتحدنا به فصرنا على مثاله في الموت، فسنكون على مثاله في القيامة أيضًا"[4].

وعن تسرب هذه العقائد للمسيحية كتب الشيخ ضياء الرحمن الأعظمي:

""والمسيحيون الذين لبوا دعوة بولس كانت لهم نزعات مختلفة من يهودية ووثنية وفلسفية، وكان لهجرات الآريين بطريق الشام ومصر لمدة ألف سنة أو أكثر قبل المسيح أثر واضح في أهل هذه المناطق، وكان دين آريا قد استقر في آخر أمره إلى التثليث، وهو أن الإله كان قبل الوجود، فأحب أن يعرف الخلق، فخلق العالم فسمى نفسه "البرهما" (الخالق) ثم انبثق منه الإله الثاني لرعاية هذا العالم وحفظه، فسمى نفسه في هذه المرحلة "فشنو" ولما كان مصير الممكنات إلى الفناء والانتهاء، لأنه لا يدوم العالم كدوام الخالق، انبثق منه الإله الثالث، وسمى نفسه في المرحلة "شيفا" وهو في الحقيقة إله

---

1 راجع قصة إسلامه في: رجال ونساء أسلموا ج: 2 ص: 195 وما بعدها.

2 دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص: 520 إلى 527.

3 دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص: 608 إلى 630.

4 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس بولس إلى أهل رومة: 6: 5 ص: 478 و479.

واحد، له ثلاثة أوصاف ذاتية، فكل منها تمثل ذاتاً مستقلة، فلا شك أن أهل تلك المناطق وسكانها تأثروا بهذا التعبير البدائي.

فلما أراد بولس أن يحارب المسيحية من داخلها، ابتكر معاني جديدة قريبة من هذه المفاهيم، التي كانت تعتبر نهاية الفكر الإنساني في تلك الأيام، فأدخل الوثنية الهندوسية في المسيحية ليخرجها من دين التوحيد"[5].

ولاحظ أن عقيدة الهندوس بأن إلههم: "إله واحد، له ثلاثة أوصاف ذاتية، فكل منها تمثل ذاتاً مستقلة". هي بالضبط عقيدة النصارى الأرثوذكس، كما ذكرت -سابقًا- عند مناقشة قول الشيخ أحمد حجازي السقا: أن الأرثوذكس ليسوا مثلثين، ولكنهم كفروا لقولهم بتجسد الله في المسيح.

***

وبعد الشيخ الأعظمي أقتبس من مهتد آخر، وهو االدكتور محمد مجدي مرجان المهتدي من النصرانية للإسلام، في كتابه الذي يفيض بتجربته الحية (الله واحد أم ثالوث):

"الثالوث الهندي:

يقرر الأستاذ مالفير وجود تشابه كبير بين الثالوث الهندي والثالوث المسيحي، ويضيف أنه ذكر في الكتب الهندية القديمة التي ترجمت إلى الإنجليزية شارحة عقيدة الهنود القدماء ما نصه "نؤمن بسافتري أي الشمس، إله واحد، ضابط الكل، خالق السموات والأرض وبابنه الوحيد آني أي النار، نور من نور مولود غير مخلوق، تجسد من فايو أي الروح من بطن مايا العذراء، ونؤمن بفايو الروح المحيي المنبثق من الآب والابن الذي هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد".

وأتوقف هنا عن الاقتباس من كتاب الدكتور محمد مجدي مرجان، لأدرج جدولًا يبين كلًا من قانوني الإيمان الهندوسي والمسيحي:

عقيدة الهندوس	قانون الإيمان المسيحي
"نؤمن بسافتري أي الشمس، إله واحد، ضابط الكل، خالق السموات والأرض وبابنه الوحيد آني أي النار، نور من نور، مولود غير مخلوق، تجسد من فايو أي الروح من بطن مايا العذراء، ونؤمن بفايو الروح المحيي المنبثق من الآب والابن الذي هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد".	"نؤمن بإله واحد ، آب ضابط الكل. خالق السماء والأرض ، كل ما يرى وما لا يرى، .... ابن الله الوحيد ..... نور من نور ...، مولود غير مخلوق ، .... تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ....، وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد ، ...."[6].

وأعود للاقتباس من الدكتور محمد مجدي مرجان:

"ويلاحظ هنا التشابه التام بين هذا القانون الإيمان[7] وبين قانون الإيمان المسيحي، والثالوث الهندي وهو بسافتري "الشمس" أي الآب السماوي وآني "النار" أي الابن وهو النار المنبثقة من الشمس وفايو "نفحة الهواء" أي الروح، هذا الثالوث هو أساس المذاهب عند الشعوب الهندية القديمة.

وتؤمن طوائف أخرى من الهنود بثالوث آخر، هو الإله براهما في صورة الخالق والإله فشنر في صورة الحافظ والإله سيفا في صورة الهادم.

وقد تأخذنا الدهشة، كيف بثالوث الشعوب الوثنية يتسرب إلى الديانة المسيحية؟! كيف بوثنية الأرض تتسلل إلى ديانة السماء..؟ إن المسيحية رسالة سماوية نزل بها عيسى عليه السلام من عند الله مناديًا بوحدانية الله وداعيًا الناس إلى

5 دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص: 479 و480.

6 وهو القانون الذي نشأ في مجمع نيقية 325م، ثم تعدل في مجمع القسطنطينية 381م..[تاريخ الفكر المسيحي مج: 1ج: 4 ف: 14 ص: 665 و666].

7 لعله: الإيماني.

صالح الأعمال، فكيف بالوثنية تشوه تلك الصورة الحلوة لهذه الرسالة العظيمة..؟ إن الأمر يدعونا إلى تتبع تاريخ نزول المسيحية ومعرفة كيفية انتشارها حتى يمكننا أن نتفهم هذا الأمر الغريب"[8].[9]

وهو الأمر الذي سأتعرض له -إن شاء الله- عند بحث منافذ تسرب الوثنية للمسيحية.

***

8 الله واحد أم ثالوث ص: 68.

9 لمزيد من التفصيل عن التثليث لدى البراهمة راجع: العقائد الوثنية في الديانة المسيحية ص: 55 إلى 58.

[ب] الثالوث عند البوذيين

نشأت البوذية في الهند، ثم انتشرت منها نحو الشرق، ونجد فيها ثالوثًا أيضًا، فقد كتب الأستاذ محمد طاهر التنير:

"وقال السيد فابر Mr. Faber:

"وكما نجد عند الهنود ثالوثاً مؤلفاً من برهما وفشنو وسيفا، نجد ذلك عند البوذيين؛ فإنهم يقولون: إن بوذا إله، ويقولون بأقانيمه الثلاثة، وكذلك نجد بوذيي (جينست) يقولون عن (جيفا) إنه مثلث الأقانيم.

....

وقال العلامة دوان:

"البوذيون الذين هم أكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم، يسمونه (فو)، ومتى ودوا ذكر هذا الثالوث المقدس، يقولون: (الثالوث النقي فو)، ويصورونه في هياكلهم بشكل الأصنام التي وجدت في الهند، ويقولون أيضاً: (فو): واحد لكنه ذو ثلاثة أشكال!!

....

وقال المستر فابر:

"والصينيون يعبدون بوذا ويسمونه فو، ويقولون: إنه ذو ثلاثة أقانيم، الألف والواو والميم كما تقول الهنود تماماً".

وقال العلامة دوان:

"أنصار لاوكومتذا -وهو الفيلسوف الصيني المشهور وكان قبل المسيح بأربع سنين وستمائة- يدعون (شيعة تاوو)، ويعبدون إلهاً مثلث الأقانيم، وأساس تعليم فلسفته اللاهوتية أن تاوو -وهو العقل الأبدي- انبثق منه واحد، ومن الثاني انبثق ثالث، وعن هذا الثالث انبثق كل شيء، وهذا القول بالتولد والانبثاق أدهش العلامة موريس ; لأن قائله وثني"[1].

وذكر دونالد إس لويز: أن بعض البوذيين يعتقدون بعقيدة الأجساد الثلاثة لبوذا (تريكايا) (trikaya)، أي أن بوذا لديه جسد مادي، وآخر يسمونه (الجسد العقلاني)، أو (جسد الانبثاق) (نِرماناكايا) (nirmanakaya)، وهو الجسد الذي كان يقوم فيه بمعجزاته، ثم هناك جسد ثالث أكثر خيالية ومجازية وهو (درماكايا) (dharmakaya)، وهو الحاوي لكل صفات بوذا الحميدة مثل الحكمة والشفقة والثبات والصبر، وهو جسد كوني يمثل قدرات بوذا المتسامية ومبدأ التنور الأبدي والحقيقة المطلقة وعقل معرفته الإلهي الغير محدود. وهذا هو الجسد الذي يجب أن يلجأ له الإنسان[2].

***

1 العقائد الوثنية في الديانة المسيحية ص: 58 و59.

2 Encyclopædia Britannica, Buddha.

[3] الثالوث عند الفرس

كتب الأستاذ محمد طاهر التنير:

"وقال العلامة HIGGINS:

" وكان الفرس يدعون (متروسا): الكلمة، والوسيط، ومخلص الفرس".

....

وقال دوان: ".. كان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم، مثل الهنود تماماً، وهم: (أوزمرد ومترات وأهرمن)، فأوزمرد: الخلاق، ومترات: ابن الله المخلص والوسيط، وأهرمان: المهلك.

ويوجد في كتابات (زورستر) سانن الشرائع الفارسية، هذه الجملة: الثالوث اللاهوتي مضيء في العالم، ورأس هذا الثالوث موناد"[1].

***

1 العقائد الوثنية في الديانة المسيحية ص: 63 إلى 66.

[4] الثالوث عند أهل أوروبا اليونان والرومان وغيرهم

كتب الأستاذ محمد طاهر التنير:

"وجاء في كتاب (سكان أوروبا الأول): "كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الإله واحد، ولكنه ذو ثلاثة أقانيم".

....

وكان اليونانيون -القدماء الوثنيون- يقولون: إن الإله مثلث الأقانيم.

....

ويذكر (دوان) نقلاً عن (أورفيوس) وهو أحد كتاب اليونان وشعرائهم الذين كانوا قبل المسيح بعدة قرون - ما نصه:

"كل الأشياء صنعها الإله الواحد مثلث الأسماء والأقانيم.

وهذا التعليم الثالوثي أصله من مصر.

....

وقال العلامة فسك:

"كان الرومانيون الوثنيون القدماء، يعتقدون بالتثليث، وهو أولاً الله، ثم الكلمة، ثم الروح".

وقال العلامة بارخورست:

وكان للفنلنديين - وهم برابرة كانوا يسكنون شمال بروسيا في القرون الخالية- إله اسمه (تريكلاف)، وقد وجد له تمثال في (هرتونجربرج) له ثلاثة رءوس على جسد واحد.

وقال دوان: " وكان الإسكندنافيون يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم يدعونه: (أودين، وتورا، وفرى)، ويقولون عن هذه الثلاثة الأقانيم أنها إله واحد، وقد وجد صنم يمثل هذا الثالوث المقدس بمدينة (أبسالا) من السويد. وكان أهالي السويد والنرويج والدنمارك يفاخرون بعضهم في بناء الهياكل لهذا الثالوث، وكانت جدران هذه الهياكل مصفحةً بالذهب، ومزينةً بتماثيل هذا الثالوث، ويصورون (أودين) وبيده حسام، و(تورا) واقفًا عن شمال (أودين)؛ وتمثاله فيه علامة الذكر والأنثى، ويدعون (أودين) الآب، و(تورا) الابن البكر ابن الأب أودين، و (فري) مانح البركة والنسل والسلام والغنى.

.....

وهكذا نرى التشابه بين أديان الوثنيين، وقد كان بعضهم يعبد آلهة متعددة لم نذكر عنها شيئاً؛ لأن قصدنا البيان عن الأمم التي كانت تعتقد التثليث"[1].

***

وعن هذا التشابه ذكرت -المهتدية إلى الإسلام- مريم جميلة: "لقد تتبعت أصول المسيحية القائمة فوجدتها مطابقة لمعظم الوثنيات القديمة، ولا يكاد يوجد فرق بين هذه الديانات وبين المسيحية سوى فروق شكلية بسيطة في الاسم والصورة"[2].

***

1 العقائد الوثنية في الديانة المسيحية ص: 55 إلى 68.

2 الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟ ص: 215 و216.

(2) الأصول الوثنية لعقيدة تأليه سيدنا المسيح عليه السلام، وزعمه ابنًا لله، وأنه هو خالق الأكوان

اعتقد كثير من الشعوب الوثنية بأن للإله ابنًا، وأن هذا الابن هو خالق الأكوان، وأعرض أمثلة موجزة لذلك فيما يلي:

- عند الهنود الأقدمين

تصرح كتب الهنود الدينية بأن:

"كرشنا ابن الإله من العذراء ديفاكي؛ وهو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، خلق السموات والأرض بما فيهما وهو عندهم: الأول والآخر وأنه كل شيء وموجد كل شيء ..

وجاء في كتاب "بهكوات جيتا" وهو أحد الكتب المقدسة عند الهنود: أن كرشنا قال لتلميذه أرجون الحبيب ما نصه: "أنا رب كل المخلوقات ومبدعها، خلقت الإنسان على أربعة أنواع متباينة الأصول والواجبات فاعرفني.. أنا المصور والخالق للإنسان، أنا الغير مخلوق فلا يلحقني العدم". وقال أيضاً في الموعظة السابعة المدعوة "القوى الطبيعية والروح الرئيسية" - "أنا الخالق والمبيد والعظيم الذي عليّ يتكل كل شيء".

وقال في الموعظة التاسعة المدعوة "الأسرار الرئيسية والعلوم الأولية": "أنا بسطت العالم بشكله في الحجاب ..... وأنا الرمز السري -الألف والياء- أنا السبيل الصالح والمعزي، والخالق ...".

....

وكافة كتب الهنود المقدسة تذكر كرشنا على أنه أصل الوجود، ولولاه لما كان شيء في هذا العالم"[1].

- وبوذا يصفه أتباعه بأنه "هو الألف والياء، ليس لوجوده ابتداء ولا انتهاء، وهو الرب المالك"[2].

- وعند الصينيين

"ويعتقد الصينيون أن الله الآب لم يخلق شيئاً؛ بل الابن هو الخالق للكائنات، ويدعون الاصنام المنحوتة على شكله "نتيكاي" ويصلون له، ويسألونه قضاء حوائجهم. ويقولون عن "لانوثوا" المولود من العذراء الطاهرة النقية أنه خالق كل شيء"[3].

- والتعاليم الكلدانية تصرح أن الابن الوحيد هو الخالق لكل شيء. وأتباع "تاو" الإله البطل يدعون أنه ابن الإله. وأنه الخالق لكل شيء[4].

- وعند الفرس

"وتعاليم الفرس الدينية الخرافية القديمة تصرح بوجود إله واحد لا يرى ولا يدرك ويدعونه "زروعانا عقارينا"، ومعنى هذه الجملة -غير محدود الوقت- (أي الأبدي الأزلي)، ومن هذا الإله انبثق أزرمزد ملك النور، الابن البكر الخالق الذي صدر منه كل شيء"[5].

- والتعاليم الدينية الأشورية تقول: "إن "مردوك" وهو ابن الله البكر وكلمته، خلق السموات والأرض وما عليهما وأنه الرحيم الواهب للحياة[6].

ويعتقد مؤلهو المخلص "أدوني" أنه هو الذي خلق الناس وسيبعثهم من بعد الموت[7].

---

1 العقائد الوثنية في الديانة المسيحية ص: 172.

2 العقائد الوثنية في الديانة المسيحية ص: 174.

3 العقائد الوثنية في الديانة المسيحية ص: 172 و173.

4 العقائد الوثنية في الديانة المسيحية ص: 173.

5 العقائد الوثنية في الديانة المسيحية ص: 173.

6 العقائد الوثنية في الديانة المسيحية ص: 173.

7 العقائد الوثنية في الديانة المسيحية ص: 173.

وقارن هذا بما قاله النصارى البولسيون في سيدنا المسيح عليه السلام، تجدهم على أثر الوثنيين حذو القذة بالقذة، ومن أمثلة ذلك:

- ما نسبه النصارى إلى بولس، حيث جاء عن سيدنا المسيح عليه السلام:

= في رسالته لأهل كولوسي:

"1: 16: فإنه فيه خلق الكل: ما في السماوات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى، سواءً كان عروشًا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله قد خلق.

1: 17: الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل"[8].

= وفي رسالته إلى العبرانيين:

"1: 2 كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثًا لكل شيء، الذي به أيضًا عمل العالمين"[9].

- وكذلك ما كتبه كتبة الإنجيل المنسوب ليوحنا:

"1: 3: كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان"[10].

- وكذلك ما كتبه كاتب السفر المسمى بـ(رؤيا يوحنا اللاهوتي):

"1: 5 ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين، البكر من الأموات، ورئيس ملوك الأرض: الذي أحبنا، وقد غسلنا من خطايانا بدمه،

....

1: 8 "أنا هو **الألف والياء** البداية والنهاية" يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي، القادر على كل شيء.

....

1: 10 كنت في الروح في يوم الرب، وسمعت ورائي صوتًا عظيمًا كصوت بوق

1: 11 قائلًا: "أنا هو **الألف والياء. الأول والآخر**"[11].

***

ويرى أندريه نايتون[12] أن عبارة (ابن الله) ذات أصل وثني، ثم كتب:

"وسواء قبلنا بهذا التفسير الغريب أم رفضناه فإن عبارة (ابن الله) كانت سبباً في هزيمة الديانة المسيحية بين اليهود الذين اعتبروا هذه العبارة كفراً وتجديفاً ، بينما كانت سبباً في انتشارها بين الوثنيين وعبدة الأصنام الذين كانوا يعايشون هذه الفكرة منذ فترات سحيقة ، وخاصة بين وثنيي البلدان الهيلينية .

ولم يكن مستغرباً في بلدان الشرق القديم أن يقوم من يزعم نفسه (ابن الله) . في مصر القديمة نجد الكثيرين ممن يزعمون أنفسهم أبناء الله ، كأبناء توت وبتاح ورع . ويُقال إن الفاتح الاسكندر الكبير حين دخل معبد سيوه سمع صنم الإله آمون يناديه : يا ابني"[13].

***

كذلك أشير إلى أن الوثنيات القديمة اتفقت مع المسيحية البولسية في أن ابن الإله يولد في الخامس والعشرين من ديسمبر، وسأبين ذلك -إن شاء الله- عند بحث توافق الأعياد الوثنية مع العديد من الأعياد المسيحية.

***

8 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة القديس بولس إلى أهل كولوسي: 1: 16 و17 ص: 160.

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- الرسالة إلى العبرانيين: 1: 2 ص: 177.

10 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 1: 3 ص: 72.

11 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رؤيا يوحنا اللاهوتي: 1: 5 إلى 11 ص: 199.

12 مؤرخ فرنسي، وأستاذ علم (مقارنة الأديان) بالجامعات الفرنسية.

13 الأصول الوثنية للمسيحية ص: 39 و40.

(3) الأصول الوثنية لعقيدة تجسد الله -سبحانه وتعالى عن ذلك- في سيدنا المسيح عليه السلام

وأتناول هذا الموضوع تحت العنوانين التاليين:

(أ) إقرار آباء الكنيسة بتشابه عقيدتهم في التجسد بعقائد الوثنيين

(ب) شهادات تاريخية على الصلة بين عقيدة النصارى وعقيدة الوثنيين في التجسد

(ج) علماء نصارى يخالفون التجسد

***

(أ) إقرار آباء الكنيسة بتشابه عقيدتهم في التجسد بعقائد الوثنيين

من أهم الشهادات الكنسية على انتشار عقيدة تجسد الآلهة في البشر قبل المسيحية وفي زمن المسيح عليه السلام، ما أورده كُتاب الكتاب الذي يقدسه النصارى.

فمن ذلك ما جاء في سفر أعمال الرسل:

"14: 8 وكان يجلس في لسترة رجل عاجز الرجلين مقعد من بطن أمه، ولم يمش قط.

14: 9 هذا كان يسمع بولس يتكلم، فشخص إليه، وإذ رأى أان له إيمانًا ليشفى،

14: 10 قال بصوت عظيم: "قم على رجليك منتصبًا!". فوثب وصار يمشي.

14: 11 فالجموع لما رأوا ما فعل بولس، رفعوا صوتهم بلغة ليكاونية قائلين: "إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا".

14: 12 فكانوا يدعون برنابا "زفس" وبولس "هرمس" إذ كان هو المتقدم في الكلام.

14: 13 فأتى كاهن زفس، الذي كان قدام المدينة، بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع، وكان يريد أن يذبح.

14: 14 فلما سمع الرسولان، برنابا وبولس، مزقا ثيابهما واندفعا إلى الجمع صارخين

14: 15 وقائلين: "أيها الرجال لماذا تفعلون هذا؟ نحن أيضًا بشر تحت آلام مثلكم، نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها،

14: 16 الذي في الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون في طرقهم

14: 17 مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد، وهو يفعل خيرًا يعطينا من السماء أمطارًا وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعامًا وسرورًا".

14: 18 وبقولهما هذا كفا الجموع بالجهد عن أن يذبحوا لهما"[1].

فهذا النص يستفاد منه أمور:

الأول: أن اعتقاد نزول الآلهة كان منتشرًا في وقت رسل المسيح عليه السلام. لقول الناس: "إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا".

الثاني: نفي بولس وبرنابا الألوهية عن نفسيهما مستدلين بأنهما يتألمان مثل الناس "نحن أيضًا بشر تحت آلام مثلكم".

والنصارى تزعم أن سيدنا المسيح -عليه السلام- تألم على الصليب، إذن هو ليس بإله.

الثالث: أنهما بينا للناس أن القول بتأليه البشر من الأباطيل، التي يجب أن يرجعوا عنها إلى عبادة الإله الحي الذي خلق السماء والأرض، إذن فقد شهد النصارى على أنفسهم ببطلان عقيدتهم، وأن عليهم أن يرجعوا إلى عبادة الإله الحي الذي خلق السماء والأرض.

الرابع: أن القول بتجسد سيدنا المسيح لم يكن عقيدة التلاميذ، وإلا لقال بولس وبرنابا للجموع: نحن لسنا آلهة، ولكن الإله االذي تجسد هو الإله يسوع الأقنوم الثاني!!!

ومن ذلك أيضًا ما ذكره كتبة سفر أعمال الرسل:

"17: 22 فوقف بولس في وسط أريوس باغوس وقال: "أيها الرجال الأثينويون! أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيرًا،

17: 23 لأنني بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم، وجدت أيضًا مذبحًا مكتوبًا عليه: "لإله مجهول". فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه، هذا أنا أنادي لكم به.

17: 24 الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه، هذا، إذ هو رب السماء والأرض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي"[2].

---

1 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 14: 8 إلى 18 ص: 105 و106.

2 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 14: 8 إلى 18 ص: 109.

وربّ السماء والأرض في لغة الأناجيل هو الله الآب، الذي كان يعبده سيدنا عيسى عليه السلام، فقد نسب كاتب إنجيل متى لسيدنا المسيح -عليه السلام- قوله:

"11: 25 في ذلك الوقت أجاب يسوع وقال: "أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال"[3].

إذن المستحق للعبادة هو رب السماء والأرض؛ الله سبحانه، وهو سبحانه -بنص كلام بولس- لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي، بينما سيدنا المسيح -عليه السلام- كان يسكن في بيوت مصنوعة بالأيادي، إذن لا يمكن أن يكون إلهًا.

***

ومن شهادات آباء الكنيسة:

ما أجاب به آباء كنيسة القديسين مار مرقس والبابا بطرس، لما سئلوا:

"هل عقيدة التَّجسُّد مُستوحاة من العبادات الوثنية كما قالوا عن فرعون إنَّه ابن آمون أو ابن رع، والإسكندر الأكبر ابن آمون، وقالوا عن بوذا إنَّه ابن الله ؟".

فجاء جوابهم:

"مُعظم الدِّيانات الوثنية القديمة كانت تؤمن بتجسُّد ابن الإله الذي تعبده. فمن أين جاءت هذه الفكرة المُتكرِّرة ؟ إنَّها جاءت في الوعد الإلهي بخلاص البشرية وأنَّ نسل المرأة يسحق رأس الحية، فبعد الطُّوفان تفرَّق بنو نوح شرقًا وغربًا وهم يحملون هذه الوعود، وعندما انحرف نسلهم وعبدوا الطَّبيعة، وسجدوا للمخلوق دون الخالق, ظهرت هذه الوعود في عباداتهم المُختلفة بصُوَر مُختلفة مع تكرار ذات الفكرة. كما أنَّ في الإنسان دافع فطري يدفعه إلى تلبية رغباته واحتياجاته، حتى لو كان الإنسان يجهل هذه الاحتياجات على وجه التَّحديد، ولكن شُعُوره بالاحتياج للخلاص من واقعه الأليم ومُستقبله المُظلم جعله يتصوَّر تجسُّد ابن الإله"[4].

وهذا التبرير قول على الله بغير علم، فمن أين لهم العلم بهذا؟ ثم إن اليهود لم يؤمنوا بهذا، مع أن النصارى أخذوا عنهم كتابهم المقدس.

وكان الأولى باليهود أن يحفظوا هذا الوعد عن سيدنا نوح عليه السلام كما زعم الكاتب!!!

- وكتب القسّ منسَّى يوحنا:

"مصر: وكذا نجد أصلاً لسِرّ التَّجسُّد في وثنية المصريين، فإنَّ «أزوريس» و«إيزيس» يُمثِّلان القوتين الفاعلة والمفتعلة، وأنَّ روح الشَّر المتمثل بهيئة التِّنين ملأ تيفوسه الأرض بالشُّرور، فلكي تضع الآلهة حداً لهذه المفاسد، وُلد لإيزيس من جيوبتر طفل يسمى «أوروس» فسحق التِّنين، وخلَّص الجنس البشري وأعاد إليه السَّلام"[5].

- وكتب القمص تادرس يعقوب ملطي:

"كانت كلمة " **لوغوس** " معروفة لدي اليهود والأمم، عرفها هيرقليتس Heracllitus حوالي ٥٠٠ق.م بأنها العقل الجامع الذي يحكم العالم ويخترقه، وقد تبناه الرواقيون وأشاعوه. وفي اليهودية الهيلينية "اللوغوس" هو أقنوم مستقل، تطورت فكرته ليكون مصاحبًا للحكمة (صوفيا) (الحكمة 9: 1، 2؛ 18: 15).

إذ ربط **فيلون السكندري** بين تعبيرات فلسفية ومفاهيم كتابية قال أن اللوغوس هو نموذج إلهي جاء العالم صورة له".

ثم ينقل عن القديس جيروم:

3 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 11: 25 ص: 9.

4 أسئلة حول حتمية التَّثليث والتَّوحيد وحتمية التَّجسُّد الإلهي ص: 361.

5 شمس البر ص: 234.

"**لوغوس"** في اليونانية لها معان كثيرة. فهي تعني الكلمة والعقل والتقدير وعلة الأشياء الفردية التي عليها تقوم. بكل هذه جميعًا نحن نعلن عن المسيح"[6].

إذن هذا إقرار بأنهم نقلوا عقيدتهم عن (اللوجوس: الكلمة) عن الفلسفة اليونانية الشركية، ولم يكتفوا بذلك، بل أضافوا لها عقيدة التجسد الوثنية، وسيأتي شيء من التفصيل عن ذلك -إن شاء الله- عند بيان منافذ تسرب الوثنية للمسيحية.

***

6 الإنجيل بحسب يوحنا لتادرس يعقوب ملطي ج: 1و2 ص: 53.

(ب) شهادات تاريخية على الصلة بين عقيدة النصارى وعقيدة الوثنيين في التجسد

فكرة تجسد الصفات الإلهية فكرة وثنية قديمة انتقلت لليهودية ثم للمسيحية، التي تأثرت بكليهما.

فقد ذكر ويندي دينجر[1]: أن التجسد في الدين؛ وهو اتخاذ إله لمظهر أرضي كان أمرًا معروفًا من العصور القديمة، فقد كان الكهان والملوك كثيرًا ما يُعدون تجسدًا إلهيًا، وفي الديانات الرومانية والإغريقية القديمة كثيرًا ما اعتقدوا اتخاذ الآلهة لهيئات بشرية، بل وتزوجهم من البشر[2].

***

- التجسد عند الهنود القدماء

في الديانة الجينية: يعد جينا -مؤسس الديانة- عند أتباعه كائنًا فوق الطبيعي، نزل من السماء وتجسد وعاش بلا خطيئة وكان كلي المعرفة.

أما عند الهندوس فإحدى عقائدهم -كما أشرت سابقًا- هي عقيدة (أفْتَارَ) (Avatar)، ومعنى كلمة (أفتار) في اللغة السنسكرتية النزول، وفي الاصطلاح عند الهنادك: نزول الرب إلى الأرض لإصلاح الناس بصورة البشر.

فينسبون لإلههم كرشنا قوله: "من أجل إنقاذ الأبرار، وإفناء الأشرار، ومن أجل إعادة إقامة شرع الدين أهبط بنفسي مرة بعد أخرى"[3].

ويرى ويندي دينجر أن عقيدة الأفتار الهندوسية تتشابه مع التجسد المسيحي، ولكنها تختلف عنه في أمرين: الأول أن الإله الهندوسي يمكنه أن يتجسد في أكثر من مكان في آن واحد، والثاني أنه لا يشارك مشاركة تامة في المعاناة البشرية[4].

وكتب الشيخ ضياء الرحمن الأعظمي:

"يقول القسيس "حنا مقار العيسوي" في رسالته إلى أبي عبيدة الخزرجي المتوفى سنة 582هـ: "إن الله هبط بذاته من السماء، والتحم في بطن مريم العذراء البتول، أم النور فاتخذ لنفسه منها حجاباً كما سبق في حكمته الأزلية، لأنه في البدء كانت الكلمة هو الله، وهو مخلوق من طريق الجسم، وخالق من طريق النفس، وهو خلق جسمه، وهو خلق أمه، وأمه كانت قبله في الناسوت، وهو كان من قبلها في اللاهوت، وهو الإله القائم وهو الإنسان النائم". **وهو نفس (AWATAR) عند الهندوس**"[5].

وقد ذكرت من قبل أن الشيخ ضياء الرحمن الأعظمي كان هندوكيا ثم هداه الله للإسلام، فهو أعلم بعقيدة الهندوس.

ونقل الأستاذ محمد طاهر التنير -رحمه الله- عن العلامة دوان قوله:

"وقد اندهش الأوربيون الذين ذهبوا إلى رأس كومورين في جنوبي الهند من رؤية السكان يعبدون إلهاً مخلصاً يدعون "سليفاهانا" واسم أبيه "تيشاكا" وذلك الولد الإلهي ولد من عذراء وأنه نفس فشنو العظيم المتجسد"[6].

***

- عند البوذيين في الهند وشرق آسيا

1 أستاذ تاريخ الأديان في مدرسة الإلهيات بجامعة شيكاغو.

2 Microsoft Encarta 2009, Incarnation.

3 دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص: 614 و615. راجع أيضًا: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 93 إلى 95.

4 Microsoft Encarta 2009, Incarnation.

5 دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص: 483.

6 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 98.

ذكر جيمس بول مكدِرمُت[7] أن طائفة ماهايانا (Mahayana) -وهي إحدى أهم طائفتي البوذيين- تعتقد بأن بوذا إله أزلي، وقد بدأ هذا المعتقد يظهر بين البوذيين منذ مجمعهم الثاني عام 383ق.م.، ثم تطور إلى عقيدة مهايانا، التي يعتقد بعض الدارسين أنها تأسست فيما بين القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الميلادي الأول.

والذي يهمنا في هذا المعتقد أنه يعتبر بوذا إلهًا قد نزل من السماء ليتجسد في هيئة بشر. وأن له طبيعة ثلاثية (trikaya)، كما أشرت لها من قبل، وأن نزوله حصل لمرات لا حصر لها لهداية البشر[8].

وقد نقل الشيخ ضياء الرحمن الأعظمي عن الأستاذ جون هيك (JOHN HICK) -أستاذ اللاهوت في جامعة برمنجهام- المقارنة التي عقدها بين بوذا وعيسى عليه السلام، في كتابه (عيسى والأديان العالمية)، فقال جون هيك:

"إن جوتاما[9] الإنسان أصبح ينظر إليه على أنه تجسد الإله الأزلي أو أنه ابن الإله. وفي كتاب "الماهايانا" يتحد بوذا المتعالي مع الحق المطلق كما يتحد في المسيحية شخص الابن الخالد مع الإله الأب"[10].

***

- والصينيون يعتقدون بآلهة تجسدت. منها: "فوهي وستين نونك" "وهوانكتي" وغيرها[11].

***

- عند الفرس القدماء

ذكرت نصوص زرداشتية عديدة أن زرادشت كان له وجود إلهي أزلي سابق، وهذا الوجود تجسد، وقد خلقت مادته في السماء، ثم نزلت للأرض مع المطر، ومرت لأمه عبر حليب بقرة صغيرة[12].

***

- عند المصريين القدماء

ينقل الدكتور أحمد علي عجيبة عن الدكتوز جوزيف نسيم يوسف في كتابه (دراسات في تاريخ العصور الوسطى) ص: 43 قوله:

"إن لاهوت المسيح وناسوته لهما شبيه في شخص أوزوريس الذي كان إلهاً وإنساناً في ذلك الوقت. وفي الحقيقة كان كل الفراعنة أشخاصاً مؤلهين".

....

ومن وجوه الشبه أيضًا بين المصريين الوثنيين والمسيحيين أن الإله أبيس كان يتجسد من عجلة بكر بعد حلول روح الإله بتاح فيها".

كما ينقل عن زكي شنودة في كتابه (تاريخ الأقباط) ج: 1 ص: 36 قوله:

"كما كان في معتقدات المصريين ما يجعل فكرة ابن الله من عذراء قريبة إلى فهمهم، فقد كانوا يعتقدون مثلاً أن حور محب آخر ملوك الأسرة الثامنة هو ابن الإله آمون من عذراء، وأن أبيس كان يتجسد في مولود عجلة بكر بعد حلول روح الإله بتاح فيها"[13].

وكتب الأستاذ محمد الطاهر التنير -رحمه الله- عن المصريين القدماء:

"ويقول المصريون إن حورس المخلِّص ولد من العذراء "إيزيس" وأنه المنبثق الثاني من عامون، ويقولون الابن المولود، ويصورونه إما على يدي أمه أو على حضنها.

---

7 رئيس قسم الدراسات الدينية بكلية كانيسوس بنيويورك.

8 Microsoft Encarta 2009, Buddhism.

دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص: 653 و654. ولمزيد من التفصيل راجع: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 95 إلى 99.

9 وهو اسم بوذا.

10 دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص: 481 و482.

11 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 98.

12 Microsoft Encarta 2009, Incarnation.

13 تأثر المسيحية بالديانات الوضعية ص: 402.

....

ويقول المصريون أيضاً: "إن الإله "را" ولد من جنب أمه لا كما يولد الناس، ويوجد على جدار أحد الهياكل في طيبة صورة تمثل الإله توت رسول الإله (كذا) قائلاً: "العذراء الملكة موتمس ستلد ابناً إلهياً يكون هو الملك أمونوتوف". وكانوا يقولون عن ملوكهم أنهم آلهة، كما أن كثيراً من ملوكهم من قد ادعى الألوهية"[14].

***

- اليونان والرومان وشعوب أوروبا

كان اليونانيون يدعون أبطالهم في القرون الماضية آلهة وأولاد آلهة، وأنهم ظهروا بالناسوت، ومن بعد موتهم انضموا للآلهة، ومن أمثلتهم هرقل ابن الإله المشتري من الأم المشترية "الكمين" ملكة تيبس، وقال زوس إله الآلهة عن هرقل: إنه ابنه.

ويعتقدون أن باخوص ابن الإله المشتري ولد من أم بشرية اسمها سمييل ابنة كدموس ملك تيبس، وكان يقول: "أنا باخوص ابن الإله زوس، .... واتخذت جسد إنسان عوضًا عن جسد إلهي".

ومثله أمفيون ابن الإله المشتري والأم البشرية أنثيوب ابنة الملك نيستيوس ملك بواتيا.

ويدعون أن برومسيوس إله اتحد لاهوته بناسوته، فهو ذو نشأتين: إلهية وبشرية في جسد واحد، وهو إنسان وإله حقيقيان في آن واحد.

وبير يسيوس ابن الإله المشتري من العذراء دانية، ابنة اكريسيوس ملك أرغوس، قالوا عنه إنه ابن إله وعبدوه.

ويقولون إن عطارد هو ابن المشتري من الأم البشرية أطلس، وقد عبدوه أيضًا.

ويعتقدون أن يوليوس ملك جزائر ليباري سيسيليا هو ابن الإله المشتري من الأم البشرية أفاسطا.

ويدعون أن بولو هو ابن الإله المشتري من الأم البشرية لاتوتا.

وكانوا يدعون أن أرتوس هو ابن المشتري من والدة بشرية، وكذلك كانوا يدعون أن أروكلوس ابن المشتري أيضًا من أم بشرية، وغيرهم عديدون[15].

ونقل الأستاذ محمد الطاهر التنير -رحمه الله- عن العلامة دوان قوله: "وكان الرومانيون يؤلهون ملوكهم ويعبدونهم ويقيمون لهم التماثيل".

ثم كتب:

"وهذه أسماء بعض ملوك الرومانيون الذين ألهوا: منهم روميلوس مؤسس رومية ويدعونه "ابن الله".... ويقولون عن يوليوس قيصر أنه ابن الله.... وقالوا أيضاً: إن أوغسطوس قيصر إنسان وإله...... وقد ألهوا كلوريوس وكانوا يدعون ملوك رومية بهذه الألقاب "ربنا، ومعلمنا، وسيدنا، وإلهنا".

وقد قالوا عن الاسكندر المقدوني الذي ولد قبل المسيح بـ 356 سنة أنه إله على الأرض.... وقد زار مرة هيكل المشتري عمون في وريقة صحراء لبنان وهنالك سمع صوتاً يناديه: أنت ابن الله، ومن ذاك الحين صار يمضي أوامره ومكاتباته وأحكامه وغير ذلك هكذا "الكسندر ابن المشتري عمون". وكذلك سقراط ذكر الاسكندر بشعره أنه إله وابن المشتري.

وقد ألهوا بطليموس أحد القواد الذين كانوا مع الإسكندر المكدوني وهذا صار ملكاً على مصر بعد موت الاسكندر وكانت تدعوه رعيته "بطليموس المخلص" ومعنى كلمة "صوتر" الموصوف بها "مخلص".

....

ويقولون عن أفلاطون أنه ابن الله وكانت ولادته في أثينا سنة 429 قبل المسيح عليه السلام.

....

14 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 99 و100.

15 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 100 و101.

وقالت والدة أبولونيوس أنها رأت أحد الآلهة يقول لها إنه سيلد منها .... وتاريخه قبل المسيح عليه السلام بـ 40 سنة.

ويقولون عن فيثاغورس أنه إله.

....

ويعتقدون أن اسكولابيوس صاحب القوات والآيات والعجائب ابن الإله.

....

وقد اعتقد سكان رومية بألوهية سمعان السامري الملقب "ما غوس" أو الساحر وكان معاصراً للمسيح عليه السلام.

......

وكانت الأمم الساكنة بشمالي أوروبا كالاسوجيين والنرويجيين والهولنديين وغيرهم يصفون أبطالهم بالألوهية وأنهم أولاد الإله "أودين"، وقد وصفوا الشعراء بالألوهية أيضاً.

ويقولون إن تورهو أول مولود من الإله أودين، ويقولون عن "بلدر" إنه: "الصالح" و"المخلص" و"ابن الإله أودين وأمه الآلهة فريجا"[16].

وكان الإمبراطور قسطنطين -الذي نصر المسيحية ونصر عقيدة تأليه المسيح عليه السلام- يؤمن بأن "أبولو" (إله الطب عند اليونانيين) هو إله الشمس، وأن "أفلاطون" ابن الله[17]. ولذا لا يستغرب أن يؤمن بأن المسيح -عليه السلام- ابن لله.

***

- وثنيات أخرى

وكان سكان المكسيك وكولومبيا والبيرو الأصليون وكذلك هنود أمريكا يعبدون آلهة يزعمونها تجسدت، وعاشت بينهم[18].

***

---

16 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 100 إلى 103.

17 تحريف رسالة المسيح ص: 365 و366.

18 راجع لتفاصيل عن ذلك: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 103 و104.

(ج) علماء نصارى يخالفون التجسد

ذكرت فيما مضى أمثلة لأقوال رجال دين نصارى يقرون بالتشابه بين عقائد الوثنيين -في تجسد آلهتهم- وعقائد الكنائس البولسية المثلثة في تجسد الله -سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا- في جسد سيدنا المسيح -عليه السلام.

وأود هنا أن أشير بإيجاز لعلماء نصارى خالفوا عقيدة التجسد، فمن أشهر هؤلاء أوريجانوس، الذي اختلف فيه النصارى بين التقديس والحكم بالحرمان، والذي كان رئيس مدرسة الإسكندرية.

فقد كان يرى استحالة اتحاد الطبيعة الإلهية بجسد بشري، ولكن الكلمة (اللوجوس) -في زعمه- اتحدت بجسد سيدنا المسيح عليه السلام- عن طريق روح بشرية مخلوقة منذ الأزل[1]. كما أنه كان يرى أن الابن أقل درجة في المكانة والمجد من الآب[2].

ثم أنكر ذلك التجسد كل من أنكر ألوهية سيدنا المسيح عليه السلام، وسأذكر أمثلة منهم -إن شاء الله- عند الحديث عن الطوائف الموحدة التي خالفت البولسيين المثلثين.

وفي العصر الحديث أنكر كثير من علماء النصارى تجسد الله في سيدنا المسيح عليه السلام، ومن أشهر هؤلاء في القرن التاسع عشر العالمان الألمانيان: فرديناند كريستيان باور وأدولف فون هرنك، اللذان أكدا على تسرب العقائد الوثنية الهللينية لعقائد الكنيسة، وسأفصل عنهما قليلًا -إن شاء الله- عند الحديث عن منافذ تسرب الوثنية للنصرانية.

ويعد أدولف هرنك من المراجع المعتمدة في معرفة التاريخ المسيحي، حتى عند الكنائس المثلثة وخاصة البروتستانتية.

ومن أشهر منكري التجسد في القرن العشرين العلماء السبعة مؤلفو كتاب (The Myth of God Incarnate) (أسطورة تجسد الإله)[3]، وقد أشرت له من قبل، وكل مؤلفيه من أساتذة اللاهوت، ومنهم اثنان من رجال الدين.

وفي هذا الكتاب كتب مايكل جولدر[4] في الفصل الرابع[5] (The Two Roots of the Christian Myth) (أصلان للأسطورة المسيحية): أن المسيح لم يقل أبدًا بتجسد الكلمة، وأن أسطورة التجسد دخلت المسيحية من أصلين:

الأول: ويسميه الأصل الجليلي: جاء من إحلال عقيدة قرب مجيء المسيح -عليه السلام- مكان عقيدة البعث والنشر المستقبلي.

والثاني: ويسميه الأصل السامري: جاء من جدال بولس مع السامريين وخاصة أبولوس في كورنثيا وأفسوس، باعتبار أن السامريين -في رأيه- كانوا يعتقدون بثنائية الله، وبتجسد الله في البشر، واستدل بما ورد في سفر أعمال الرسل عن (سيمون الساحر) السامري، الذي كتب عنه كتبة السفر:

" 8: 9 وكان قبلًا في المدينة رجل اسمه سيمون، يستعمل السحر ويدهش شعب السامرة، قائلًا إنه شيء عظيم!

8: 10 وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين: "هذا هو قوة الله العظيمة"[6].

ومن بولس انتقل معتقد التجسد إلى يوحنا في إنجيله.

بينما ترى فرنسيس يونج[7] في الفصل الخامس (Two Roots or a Tangled Mass?) (أصلان أم حزمة متشابكة) أن أسطورة التجسد لم تأت من أصلين فقط بل من حزمة من الأصول المتشابكة، وذكرت أمثلة عديدة من التاريخ

---

1 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 6 ص: 553 و554، وراجع أيضًا: تجسُّد الابن الوحيد ص: 30 و31.

2 Microsoft Encarta, Origen.

3 هذا الكتاب قيم وهام، كتبه سبعة من علماء اللاهوت والمسيحية، منهم رجال دين، أحدهم -وهو موريس ويلز- رئيس لجنة العقيدة في كنيسة إنجلترا، وفي هذا الكتاب يرفض كتابه السبعة عقيدة ألوهية سيدنا المسيح عليه السلام، ويعتبرون أنها مما أدخلته الكنيسة على المسيحية. وقد ترجمه الدكتور نبيل صبحي بعنوان (أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح)، ولخصه الدكتور محمد علي البار في الباب السابع من كتابه (دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية).

4 محاضر في اللاهوت في جامعة برمنجهام.

5 The Myth of God Incarnate, p: 64.

6 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 8: 9 و10 ص: 99.

7 المحاضرة في دراسات العهد الجديد بجامعة برمنجهام.

اليوناني الوثني القديم عن الآلهة المتجسدة، وكذلك روايات قديمة عن أناس ادعوا النبوة في فلسطين، وكانوا يرددون: "أنا الله"، أو "ابن الله"، أو "الروح القدس".

وأن هذا كان أمرًا مقبولًا في ثقافة تلك المناطق، بل لقد سادت فيها عبادة الملوك والأباطرة.

ولذا ترى أن أسطورة التجسد مستلهمة من الوثنية السائدة في ذلك العصر.

وفي ردها على الاعتراض بأن الوثنية تتعارض مع اليهودية، التي كانت ديانة المسيحيين الأوائل، ذكرت فرانسيس يونج أمثلة عديدة من التاريخ اليهودي، عن تسرب الوثنية لليهودية الهللينية، وتسرب تلك الأفكار للتوراة.

وذكرت أنه لا يستبعد كون السامريين قد سهلوا التحول الهلليني في الأفكار اليهودية، وأنهم كانوا -جزئيًا على الأقل- القناة التي دخلت منها أفكار (التجسد) و(التأليه) و(التثليث) في المسيحية[8].

وفي مواجهة هذه الموجات المتزايدة من رفض عقيدة التجسد، ما زالت الكنائس -وخاصة العربية منها- تتمسك بها في إصرار، وتقر أخيرًا بأن على المسيحيين أن يؤمنوا بها وإن خالفت عقولهم.

نقل الدكتور أحمد علي عجيبة عن القس وهيب عطا الله في كتابه (طبيعة السيد المسيح) ص: 18:

"إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل، والمنطق والحس، والمادة، والمصطلحات الفلسفية، ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن ولو لم يكن معقولًا".

كما نقل عن القس إنسطاسي شفيق: "غير أننا نقبل حقيقة التجسد بموجب الإعلانات الصريحة، ولا يجوز لنا أن نبحث فيها عقلياً، ولا نثبتها، ولا ندافع عنها بالأدلة والبراهين البشرية، لأنها تعلو عن أفكارنا بقدر ما لا يوصف وإنما نقبلها بالإيمان"[9].

والقسيس هنا يهرب من ميدان الحقيقة إلى سوق بيع الأوهام.

وهذا الكلام يستطيع أن يقوله أي مشعوذ تتناقض دعوته مع العقل.

والمولى سبحانه وتعالى كلف البشر العاقلين، ولم يكلف المجانين ولا الأطفال ولا الأحجار ولا الأشجار المحرومين من العقل والتفكير.

وآيات القرآن الكريم تؤكد على هذا، فذكر عن الحوار بين سيدنا موسى -عليه السلام- وفرعون:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[10].

كما ذكر عن قول أهل النار:

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[11].

وقد ذكرت من قبل ما نقله الأب متى المسكين عن (القديس) كيرلس عن التجسد:

"إن كيفية الإتحاد عميقة حقاً وفائقة الوصف وفائقة لمداركنا. فمن الجهالة التامة أن نُخضِعَ للبحث (العقلي) ما يفوق العقل وأن نحاول أن ندرك بعقولنا الذي لا يُدرَك بالعقل. أم لست تعلم أن ذلك السر العميق ينبغي أن يُعبَدَ بإيمان بلا فحص؟"[12].

وأنا ألفت نظر القارئ هنا إلى أسلوب الكنيسة في إلزام أتباعها بعقيدتها، التي جاءت نتيجة التوافق مع الوثنية الرومانية، ثم نصرها الإمبراطور قسطنطين الوثني بقوة الحديد والنار. أسلوب الكنيسة يقوم على إلزام الناس بعقائد يرفضها

---

8 The Myth of God Incarnate, p: 87.

9 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 419 و420.

10 سورة الشعراء، آية: 23 إلى 28.

11 سورة الملك، آية: 10.

12 التجسد الإلهي في تعليم القديس كيرلس ص: 22.

العقل، لم تنقل عن المسيح عليه السلام، استنتجوها من نصوص غير واضحة، مكتوبة في أسفار مجهولة الكاتب وفاقدة السند تلاعب بها النساخ والمترجمون.

ثم يقولون لأتباعهم عليكم أن تقبلوها، لأنها جاءت في الكتاب الذي يقدسونه، ولهذا ثارت الشعوب على الكنيسة، وانتقلت من المسيحية المحرفة إلى العلمانية المادية المنحرفة.

***

خاطب الشيخ أحمد ديدات -رحمه الله- المسيحيين في إحدى مناظراته: إنكم تقولون: إن المسيح -عليه السلام- قد ختن في اليوم الثامن، **فهل يختن الله**؟؟؟

***

(4) الأصول الوثنية لعبادة أم الإله

أشرت من قبل إلى عبادة أغلب النصارى -ما عدا البروتستانت- للسيدة مريم عليها السلام، وبينت أنهم يقدمون لها أنواع العبادة الشركية، التي لا يجوز تقديمها لغير الله، وليس ذلك بمستغرب على من أشرك في ذات الله، وزعم أنه قد تجسد في صورة إنسان.

وأود هنا أن أشير بإيجاز للأصول الوثنية لتلك العبادة.

نقل الأستاذ محمد الطاهر التنير -رحمه الله- عن العلامة داون في كتابه

(Bible Myths and Their Parallels in other religions) ص: 336 إلى 338:

"قال داون ما ملخصه:

كما نجد عند الوثنيين والدات للإلهة يعظمونهن ويلقبونهن بألقاب التمجيد والتفخيم. كذلك نجد عند النصارى والدة للإله يعظمونها ويلقبونها بالألقاب التي يلقب الوثنيون بها والدات آلهتهم؛ يؤكد ذلك الرسوم التي يصورونها بها وهي محتضنة ولدها المسيح فإنها مثل الرسوم التي يصور الوثنيون بها والدات آلهتهم تمامًا".

ثم كتب الأستاذ محمد الطاهر التنير رحمه الله- بعد أن طلب من القارئ مقابلة صور الوثنيين عن أمهات آلهتهم بصور النصارى عن السيدة مريم عليها السلام:

"مع ملاحظة تلك القرون الطويلة التي كانت بين آلهة الوثنيين بوذا وكرشنا وغيرهما وبين عيسى المسيح إله النصارى، وأيضاً فإن الصينيين يضعون صورة الآلهة "شيئمو" إلههم في أحسن محل من البيت ويجللونها بغطاء من الحرير كما يفعل أكثر النصارى بصورة العذراء مريم، ويبنون الهياكل على اسمها مثل "هيكل (والدة الإله) متسوبو" كما يبني النصارى كنائسهم مثل "كنيسة السيدة" و"كنيسة العذراء".

وكان المصريون القدماء يلقبون والدة الإله إيزيس أو والدة المخلِّص حورس بأسماء عديدة منها "السيدة"، "ملكة السماء"، "نجمة البحر" "والدة الإله"، "الشفيعة"، "العذراء" إلخ ويصورونها واقفة على الهلال يحيط بها اثنتا عشرة نجمة كما يصور النصارى مريم العذراء واقفة على الهلال يحيط بها اثنتا عشرة نجمة. غير أن تصوير الوثنيين لوالدات آلهتهم بهذا الشكل سابق لتصوير النصارى لمريم العذراء بقرون عديدة فتدبر!!.

....

وعيد دخول المسيح إلى الهيكل وتطهير العذراء الذي يقع في 2 شباط من كل سنة هو من أصل مصري، فقد كان المصريون يعيّدونه إجلالاً وتعظيماً للعذراء نايث وفي ذات اليوم يُعيد النصارى هذا العيد.

وأهالي بابل وأشور عبدوا عذراء زعموا أنها والدة إله وصوروها وعلى يدها ولدها الإله كما هي الحال عند النصارى تماماً، واسم هذه العذراء "ميليتا" واسم ابنها المخلِّص "تموز" ويلقب بالوسيط والمخلِّص. وكان يوجد في جزيرة قبرص هيكل اسمه "هيكل العذراء ميليتا"

وهو أعظم الهياكل التي كانت في عصور اليونانيين إبان مجدهم.

....

وما جاء عن ولادة "مرها" والدة الإله باخوص عند الرومانيين يشابه تمام المشابهة ما جاء في إنجيل متى الإصحاح الأول من عدد 18-26 .

....

وكان اليونانيون يدعون والدة الإله: العذراء "جونو" (ملكة السماء) ويعبدونها معتقدين أنها حارسة النساء من المهد إلى اللحد، كما تعتقد النصارى اليوم بمريم العذراء!!"[1].

***

1 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 105 إلى 107.

(5) الأصول الوثنية لعقيدة الخطيئة الأصلية والصلب والفداء

وأتناول هذه الأصول تحت العنوانين التاليين:

(أ) إقرار آباء الكنيسة باعتقاد الوثنيين القدماء بعقيدة الخطيئة الأصلية والصلب والفداء

(ب) شهادات تاريخية

***

(أ) إقرار آباء الكنيسة باعتقاد الوثنيين القدماء بعقيدة الخطيئة الأصلية والصلب والفداء

كتب القسّ منسَّى يوحنا:

"الهند : وفي الهند وفارس اللذين يقال أنَّ بلادهما في موقع جنّة عدن، حيث كان الوحي الأول محفوظاً. في تقاليدهم الاعتقاد بمجيء مُخلِّص العالم. ففي الهند، كانوا يزعمون أنَّ حيَّة تُدعى «شين كاليوغ» نفثت سمّها الزّعاف فسمَّمت الأرض وأهلكت سكانها، فنزل إله من السماء اسمه «شيفين»، ولبس جسماً بشرياً وامتصّ السّم، فنجا العالمون بفضله. ومن خُرافاتهم المُنبِّئة بانتظارهم لمولود مُخلِّص العالم قولهم عن إلههم «فشنوا» القُوَّة الثانية، تقمّص ثماني مرّات لينفي الشُّرور التي عمَّت المخلوقات بفعل سيد عدو البشر، ثمّ تجسَّد في المرَّة التاسعة واتَّخذ شكل إنسان, ليعمل عمل السَّلام على الأرض. وكان من أعظم ذبائح الهُنُود ذبيحة يدعونها «أكيام»، ويُقدِّمون فيها لآلهتهم حملاً للتَّكفير عن الذُّنُوب، وكانوا يَتْلُون في هذه التَّقدِمة صلاة من ضمنها قولهم: «متى يا تُرى يولد المُخلِّص المُنتظر ؟ متى يأتي الفادي لينقذنا ؟"[1].

وإني أتساءل: من أين للقس منسى يوحنا العلم بأن الوحي الأول كان محفوظًا في الهند وفارس؟

ثم إذا كان هذا الوحي محفوظًا، فكان أولى بالعلم به ونقله سيدنا نوح عليه السلام، ثم الأنبياء من بعده، وكان أولي بنقله ونشره اليهود الذين نقل عنهم النصارى العهد القديم، وكان أولى به سيدنا عيسى عليه السلام، الذي نشأ على ديانة إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وهارون، ولم ينشأ على عقيدة بولس، الذي لا يُعرف من هو؟ ولا من أبوه؟ ولا من قومه؟ ولا هل هو يوناني، أو يهودي؟ ولا هل هو فريسي أو صدوقي؟ لا يعرف عنه إلا عبارات نسبت له، يزعم فيها -بلا دليل ولا شهود- أن المسيح ظهر له، وأوحى له، فجاء ما زعمه وحيًا مطابقًا للعقائد الوثنية السائدة في عصره؟؟؟

وكتب القسّ منسَّى يوحنا أيضًا:

"الفُرس: أمَّا الفُرس فتنحصر خُرافتهم في نِزاع قام بين النُّور والظَّلام، بين عُنصري الخير والشَّر، بين «اهريمان» الذي تسَّلط بشروره على الأرض, وبين «ارموزد» إله الخير الذي تقمَّص في جسد إنسان دُعي «متراس», وانتصر على الشَّر وخلَّص الإنسانية وأعاد إليها السَّلام"[2].

وكتب أيضًا:

"الصِّين: ومثلهم الصِّين، فإنَّ «كونفوشيوس» مُشترعهم صرَّح غير مرَّة بمُعتقده بمُخلِّص يقوم ليُرشد العالم.

....

وسبق «كونفوشيوس» فيلسوف صيني آخر يدعى «ماتينوس»، ذكر المُخلِّص المُنتظر المُرسل من السَّماء, كما تنتظر الأرض اليابسة النَّدى والمطر لتنتعش بها. وكان لأهل الصِّين صورة تدُلّ على ذلك النَّعيم الرَّمزي، فيجعلون القماطة في حجر امرأة، دلالة على أنَّ المولود المُنتظر سوف يُولَد من امرأة، وإن كان أصله من السَّماء"[3].

وكتب أيضًا:

"اليونان: وكُلّ من يطَّلع على عقيدتها القديمة ويشعر بوصيتها، لا شكّ يعلم أنَّه وُجِدَ من يُدعى بـ «روميه» الذي تكَّبر وأراد أن يُساوي نفسه بالآلهة، فأرسلت له عقاباً يعذِّبه على جبال القوقاز، فشفقت اليونان عليه وأرسلت له هِرقل مُخلِّصاً فلم يفلح. قال «أشيل»: "الإله وحده هو الذي يأتي ويفتدي هذا اليائس".

....

وقال أفلاطون: «ليس لنا أن نعرف الحقائق إلا من الآلهة أو من أبناء الآلهة، ولا وسيلة لمعرفة إرادة الآلهة إلا بنبي يعلنها لنا". وقال أيضاً: "واحد هو الإله العلي في العُلا، الذي كلمته غير المحسوسة حبلت بها جارية. وهذا مثل الفأس المتروسة بالنار، وسلك في أحشائها، ويدخر للعالم ويقربه لأبيه قرباناً، واسم الجارية العذراء". ومن قوله: "إنَّ العلي الأعلى

---

1 شمس البِر ص: 232.

2 شمس البِر ص: 232، 233.

3 شمس البِر ص: 233.

يظهر في الأرض، ويُقيم الموتى، ويظهر آياته الرَّبانية، ويرجع إلى عرشه الرَّهيب، ولا يعودون يرونه إلى يوم الحكم العظيم".
وقال أرسطو في كتابه المُسمَّى الكُنُوز: "إنَّ كنز الحياة عندي أدوناي الإله الذي يظهر في المسكونة أجمع، ويسمع صوته الذين في القبور ويقومون"[4].

وكتب أيضًا:

"الرُّومان: وكذا نجد هذه العقيدة عينها عند الرُّومانيين، ولأنَّها كانت أمّة حروب وفتوحات، فآمنت بمجيء إنسان يسود على العالم ويخضعه لسلطانه. ولقد تساءل أكبر خطبائها "شيشرون": "من هو هذا الإنسان ومتى يجيء ؟". وقال الشّاعر الخالد "فيرجيل" في أنشودته الرابعة: "سترى الإنسانية جيلاً جديداً بولادة طفل ينزل من السَّماء وينتسب إلى الآلهة"[5].

وكتب أيضًا:

"وممّا حُفِظَ أيضاً عن حكماء العالم وفلاسفته من هذا القبيل، ما قاله "هرمن" في كتابه المعروف بكتاب "التسعة الأحجار": ..... "وهو آب يكون في الأرض وتتآمر الأمّة النَّجسة بالباطل هم وحكماؤهم على ملك الملوك". .... وقال "أدنس": "واحد هو الضوء غير المحسوس، وهو في كل وقت الذي يجوز الفكرين والكلمة المولود منه كامل في كل شيء"[6].

***

4 شمس البِر ص: 234، 235.

5 شمس البِر ص: 235، 236.

6 شمس البِر ص: 236.

(ب) شهادات تاريخية

كتب الدكتور محمد خليفة حسن[1] عن الأفكار الدينية القديمة، التي استمدت منها المسيحية عقيدة التجسد والتكفير:

"أما الفكرة الثالثة المستمدة من الفكر الديني القديم فهي فكرة الإنسان الضحية . ومضمونها أن أوزار القوم يحملها شخص معين اختير لهذا الغرض . فهو يحمل ذنوبهم والعقاب عنهم . وعيسى عليه السلام على الرغم من أنه بريء من الخطأ فهو يتحمل خطايا العالم ويكفر عن العالم من خلال الألم والموت. وقد صيغت هذه المعتقدات القديمة في قالب مسيحي خلفيته حادثة صلب المسيح . فالانسان يتخلص من الخطيئة من خلال موت المسيح ويتحول الشقاء بالنسبة للمسيحي من شر إلى خير"[2].

وينقل إبراهيم خليل أحمد[3] -المهتدي من النصرانية للإسلام- عن السير آرثر فندلاى في كتابه (الكون المنشور) صحيفة 78: "إن قصة الصليب قيلت قبل عيسى على الستة عشر إلهاً مخلصاً، وقصص حياتهم على الأرض من المهد إلى اللحد ثم البعث -كلها متشابهة، وكأن كل ديانة ترث من سابقتها".

ثم يستطرد:

"ونتيجة لهذا نشأت فكرة الفداء، فأولئك الذين يعبدون الشمس كانوا يقدمون آلاف الضحايا للشمس، وكان هذا العدد يتضاعف عندما يحل الكسوف، إذ كانوا يعتقدون أن الإله الشمس غاضب، أو أنه غير راض عن عباده، وكانوا يعتقدون عندما ينتهي الكسوف أن السبب في انتهائه فداء أحد زعماء القبيلة للشعب، بتقديم نفسه ضحية، وبهذا يعتبر ذلك الزعيم مخلصهم ومسيحهم، ويعتبر شخصاً إلهاً، حمل على نفسه عذاب شعبه.

وعلى هذا المنوال أحاطت بالمسيح عليه السلام مثل هذه الضلالات، إذ قيل: إنه قد حصل على الأرض ظلام، "ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة"[4]."[5].

وقد أوردت الدكتورة بسمة جستنية أسماء هؤلاء المخلصين الستة عشر، وهم[6]:

الاسم	المنطقة	التاريخ
1-أوزوريس	مصر	1700 ق.م.
2- بعل	بابل	1200ق.م.
3- أتيس	فرجيا	1170ق.م.
4- ناموسي	سوريا	1160ق.م.
5- ديوقيوس	اليونان	1100ق.م.
6- كرشنا	الهند	1000 ق.م.
7- هيوس	أوروبا	834 ق.م.
8- أندار	التبت	725 ق.م.
9- بالي	آسيا	725 ق.م.
10- أيار	نيبول	722 ق.م.

1 أستاذ تاريخ الأديان بجامعة القاهرة.

2 تاريخ الأديان ص: 224.

3 كان اسمه السابق القس إبراهيم خليل فيلبس، وكان قسيسًا وراعيًا في الكنيسة الإنجيلية، وأستاذ العقائد واللاهوت بكلية اللاهوت الكندية بأسيوط، وزميل للمراسلين الأمريكيين والسويسريين والألمانيين بمصر، وناشطًا في التنصير. [محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ص: 29].

4 إنجيل متى: 27: 45.

5 محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ص: 165.

6 تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ ص: 362.

11- التيس	فيريا	600 ق.م.
12- كويكي لكوت	المكسيك	587 ق.م.
13- وثيبا	ني فانسكو	552 ق.م.
14- برومتيوس	اليونان	547 ق.م.
15- كوربتوس	روما	506 ق.م.
16- مذرا	الفرس	400 ق.م.

***

- عند الإغريق والرومان

لقد كان الاعتقاد بالآلهة -التي تصلب وتموت ثم تقوم من الموت- منتشرًا في عصر بولس، حتى أن الفيلسوف الوثني سيلسوس (Celsus)، لما انتقد المسيحيين في عصره في القرن الثاني الميلادي، شنع عليهم بأن معبودهم قد مات ميتة مهينة، بينما الكائن الإلهي -في زعمه- كان لا بد أن يعاقب هؤلاء الذين عذبوه وصلبوه، وكان لا بد أن يختفي من فوق الصليب كما فعل أبولونيوس أمام الإمبراطور دوميتيان.

وكان عليه أن يظهر بعد الموت أمام خصومه: بيلاطس والجنود الذين صلبوه بل ولكل الناس في كل مكان.

كذلك أشار سيلسوس للخلافات العقدية داخل الكنيسة، وبين أن الأناجيل المختلفة تستعمل كأسلحة بين المجموعات المتعادية، وذكر من يتلاعبون في نصوص الأسفار[7].

وكتب الشيخ رحمة الله الكيرانوي رحمه الله:

"كان سلسوس من علماء المشركين الوثنيين في المائة الثانية من الميلاد، وكتب كتاباً في إبطال الدين المسيحي، ونقل إكهارن الذي هو من العلماء المشهورين من أهل الجرمن قول ذلك الفاضل المشرك في كتابه هكذا: "بدل المسيحيون أناجيلهم ثلاث مرات وأربع مرات بل أكثر من هذا تبديلاً كأن مضامينها بُدِّلت"[8].

ونقل الأستاذ محمد طاهر التنير رحمه الله عن العلامة دوان في كتابه

(Bible Myths and Their Parallels in Other Religions) ص: 181 و182:

"وكان الوثنيون يقدمون البشر ذبيحة ايضا، والغالب عندهم تقديم الأرقاء والأسارى ذبيحة فداءً عن الخطيئة، وليس هذا فقط بل ونفس أولادهم.

وكان الرومانيون واليونان يقدمون أنفسهم ذبيحة للآلهة استرضاءً لها"[9].

ونقل عنه أيضًا من نفس كتابه المذكور ص: 192:

"وكان الوثنيون يدعون (بروميسيون) مخلصاً، كما يدعونه أيضاً، الإله الحي، صديق البشر، المقدم نفسه ذبيحة للخلاص".

كما نقل عنه أيضًا:

"ورواية صلب القراسيوس الهائلة التي كتبها أسيوس في أثينا قبل المسيح عليه السلام بخمس مائة عام هي أقدم شعر باق إلى هذا الحين بخصوص الصلب.

.....

وكيف كان تأثر أولئك الذين كانوا يعتقدون بألوهية بطل هذه الرواية الذي هو: (خليلهم وخالقهم ونافعهم ومخلِّصهم)....... والأحزان التي قاساها كلها من أجل خلاصهم.

---

7 The Church in Ancient Society p: 112 & 113.

8 إظهار الحق ج: 2 ص: 543.

9 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 74.

وبسبب ذنوبهم جرح، وبداعي طغيانهم سحق وتحمل القصاص لنجاتهم، وبضربه وجلده شفوا، وأنه أضطهد، وتألم وامتهن ولم يتململ. وصبره العظيم حينما كانت كهنة إله الشر تسمِّر يديه ورجليه بجبل قوقاسوس، وليس له شبيه أو مثيل إلا الكمال الذي أجراه وهو معلق ويداه ممدوتان بشكل الصليب خدمة للناس وحباً فيهم وهذه الخدمة جلبت عليه هذا الصلب المخيف.

.....

وكان الوثنيون يدعون (بوخص) ابن المشتري من العذراء: المخلِّص، الابن الوحيد، الذبيح حامل الخطايا، الفادي، وكانوا يقولون: ولما كثر الشر في الأرض طلب بندورا وتوسل إلى المشتري سيد الآلهة كي يأتي ويخلص الناس من الآثام والخطايا فاستجاب المشتري لهم وجعل ابنه مخلصاً للمذنبين في العالم.

...

ومن أجل تتميم هذا العمل حل الإله المشتري (سميل) العذراء البديعة، فحملت ودُعيت والدة الإله.

....

وكان هيركلوس بن زنيس يدعى: "المخلِّص" وكانوا يدعونه أيضاً -الابن الوحيد- والكلمة، وأنه عاد واتحد مع الإله.

...

واسكولابيوس يُدعى أيضاً: "المخلص"، والهيكل المشاد على اسمه يدعى هيكل "المخلِّص" وأبولو يُدعى: "المخلص"[10].

***

- عند الهنود القدماء

نقل الأستاذ محمد طاهر التنير رحمه الله عن العلامة دوان في كتابه

(Bible Myths and Their Parallels in Other Religions) ص: 181 و182:

"إِنَّ تَصَوُّرَ الْخَلَاصِ بِوَاسِطَةِ تَقْدِيمِ أَحَدِ الْآلِهَةِ ذَبِيحَةً، فَدَاءٍ عَنِ الْخَطِيئَةِ، قَدِيمُ الْعَهْدِ جِدًّا عِنْدَ الْهُنُودِ الْوَثَنِيِّينَ، وَغَيْرِهِمْ، وذكر هذه التقدمة عند الهنود سابق لعصر الفديك Vedic. وكتاب الركفدا يمثل الآلهة يقدمون (بروشا) -أي: الذكر الأول- قرباناً، ويعدونه مساوياً للخالق.

وجاء في كتاب (التزيا برهمانا) ما نصه: "وسيد المخلوقات (برجاباتي) قدم نفسه ذبيحة للآلهة"[11].

ونقل الأستاذ محمد الطاهر التنير -رحمه الله- عن إم ويليام في كتابه (Hinduism) ص: 36:

"يعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية، ومما يدل على ذلك ما جاء في تضرعاتهم التي يتوسلون بها بعد (الكياتري)، وهي: إني مذنب، ومرتكب الخطيئة، وطبيعتي شريرة، وحملتني أمي بالإثم، فخلصني ياذا العين الحندقوقية[12]، يا مخلص الخاطئين، يا مزيل الآثام والذنوب".

ثم نقل عن العلامة (دوان):

"ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو، الذي لا ابتداء له ولا انتهاء، على رأيهم، قد تحرك -شفقة وحنواً- كي يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه".

ثم نقل عن العلامة هوك من كتابه (رحلة هوك) ج: 1ص: 326:

"ويعتقد الهنود (الوثنيون) بتجسد أحد الألهة وتقديم نفسه ذبيحة فداءً عن الناس والخطيئة".

---

10 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 79 إلى 81.

11 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 74.

12 قال ابن منظور الإفريقي:

"والحِنْدَقُوقُ: بَقْلَةٌ أَو حَشِيشة كالفَثِّ الرَّطْب، نبَطِيّة مُعرَّبة، وَيُقَالُ لَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ الذُّرَقُ. ..... والحَنْدَقوقُ: الطَّوِيلُ المُضْطرب، .... الأَزهري: أَبو عُبَيْدَةَ الحَنْدَقوق الرَّأْراء الْعَيْنِ". [لسان العرب ج:10 ص: 71].

وقال ابن السكيت: "والرارأة فتح العين واستدارة الحدقة". [الكنز اللغوي في اللسن العربي ص: 187].

ثم نقل عن العلامة القس جورج كوكس كما جاء في كتاب المستر كوينيو (Ancient Faiths):

"ويصفون (أي الهنود) كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً، لأنه قدم نفسه ذبيحة، ويقولون: إن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه".

ثم نقل عن نفس الكتاب:

"يذكر الهنود موت كرشنا بأشكال متعددة أهمها أنه مات معلقاً على شجرة؛ سمِّر بها بضربة حربة".

ثم نقل عن العلامة دوان في كتابه

(Bible Myths and Their Parallels in Other Religions) ص: 184:

"والمقصود من الشجرة؛ (خشبة الصليب)، وأن السيد (مور) قَدْ صَوَّرَ كَرَشْنَا مَصْلُوبًا، كَمَا هُوَ مُصَوَّرٌ فِي كُتُبِ الْهُنُودِ، مَثْقُوبَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، وَعَلَى قَمِيصِهِ صُورَةُ قَلْبِ الْإِنْسَانِ مُعَلَّقًا"[13].

وعلق الشيخ محمد رشيد رضا على ذلك بقوله:

"وَوَجَدْتُ لَهُ صُورَةَ مَصْلُوبًا وَعَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلٌ مِنَ الذَّهَبِ، وَالنَّصَارَى تَقُولُ: إِنَّ يَسُوعَ صُلِبَ وَعَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلٌ مِنَ الشَّوْكِ"[14].

وكتب الأستاذ محمد الطاهر التنير -رحمه الله:

"ومن الألقاب التي يدعى بها كرشنا: الغافر من الخطايا، والمخلص من أفعى الموت"[15].

وهذه العقيدة مطابقة لعقيدة بولس عن موت المسيح والحياة معه، كما نقلت من قبل[16]، وأذكر القارئ بما جاء في رسالة بولس لأهل رومية:

"6 :8 فإن كنا قد متنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضًا معه.

6 :9 عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضًا. لا يسود عليه الموت بعد"[17].

فمن ينقل عمن هنا؟ بولس عن الهندوس أم الهندوس عن بولس؟

وأذكر القارئ بما نقلته عن الدكتور القس حنا جرجس الخضري[18]؛ بأن عقيدة القيامة من الموت لا يمكن إثبات حدوثها تاريخيًا، وإنما تُتقبل بالإيمان، فمن أين جاءوا بها؟ جاءوا بها عن بولس، ومن أين جاء بها بولس؟

وقد نقل أيضًا الأستاذ محمد الطاهر التنير -رحمه الله- عن الرَّاهِبِ جورجيوس في كتابه

(Tibetinum Alphabetum) ص: 203 أنه:

"صور الْإِلَه (أَنْدَرَا) الذي يعبده أهالي النيبال مَصْلُوبًا".

وَنَقَلَ عن كتاب العلامة هِيجِينْ (The Celtic Druids) ما نقله عَنْ (أندرادا الكروزويوس) وَهُوَ أَوَّلُ أُورُبِيٍّ دَخَلَ بِلَادَ النِّيبَالِ وَالتِّبْتِ، أَنَّهُ قَالَ فِي الْإِلَهِ (أَنْدَرَا) الَّذِي يَعْبُدُونَهُ:

"ويقولون: إِنَّهُ سُفِكَ دَمُهُ بِالصَّلْبِ وَثَقْبِ الْمَسَامِيرِ، لِكَيْ يُخَلِّصَ الْبَشَرَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَإِنَّ صُورَةَ الصَّلِيبِ مَوْجُودَةٌ فِي كُتُبِهِمْ".

ونقل عن العلامة دوان قوله:

"في جنوب الهند وتنجور، وفي أيونديا، يعبدون إلهاً صُلب اسمه (بالي) ويعتقدون بأنه (فشنو) تجسد: (أي ظهر بالناسوت) ويصورونه مثقوب الجنب واليدين"[19].

---

13 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 75 و76.

14 تفسير المنار ج: 6 ص: 32.

15 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 76.

16 راجع: 3- ملخص لما اعتقده بولس مخالفًا للتوحيد- (أ) عناصر عقيدة بولس في الصلب والفداء والكفارة والخلاص- [8] لا يتسلط الموت على سيدنا المسيح -عليه السلام- بعد قيامته من الأموات، وإذا متنا في المسيح سنحيا معه!!!

17 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 6: 8 و9 ص: 123.

18 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 2 ص: 320.

19 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 76.

***

- عند المصريين القدماء

نقل الأستاذ محمد طاهر التنير -رحمه الله- عن العلامة دوان في كتابه

(Bible Myths and Their Parallels in Other Religions) ص: 181 و182:

"وكانوا في مصر يقدمون من البشر ذبيحة، وتمكنت بهم هذه العادة الشريرة حتى صاروا يقدمون الابن البكر من أحد العائلات الأثانية ذبيحة، يأخذونه إلى هيكل في (فستات في عالوس)، ويضعون على رأسه إكليلاً ثم يذبحونه قرباناً للإله، كما تذبح الأنعام"[20].

ونقل الأستاذ محمد طاهر التنير -رحمه الله- عن بونويك (Bonwick) في كتابه

(Egyptian Belief and Modern Thought) ص: 165:

"يعد المصريون أوزيريس أحد مخلِّصي الناس وأنه بسبب جِدِّه لعمل الصلاح يلاقي اضطهاداً، وبمقاومته للخطايا يقهر ويقتل".

كما نقل عن العلامة موري في كتابه (Manual of Mythology) ص: 384:

"يحترم المصريون أوزيريس، ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة".

وكان حورس يدعى المخلِّص والفادي وإله الحياة والواحد الأبدي والمولود الوحيد[21].

ويقر مفتش الآثار المصري السابق باخوم فاخوري حنا بالتشابه بين عقيدة المصريين القدماء في رمز منح الحياة الأبدية ( ) (عنخ) ، وبين الصليب كرمز للقوة الإلهية في عقيدة النصارى، فكتب مفتخرًا بهذا التشابه عن كلمة (عنخ):

"وتعني الحياة ونجدها كثيراً في النقوش المصرية القديمة وفي المناظر منها المباركة الإلهية للملك بتقديم نسمة الحياة له في شكل (☥) ليهبه الحياة الأبدية والملك يُمسك بيده هذه العلامة دليلاً على القوة التي استمدها من الإله كذلك يتحلى بها وهي مفتاح الحياة الأبدية له وبدونها لا يستطيع أن ينال الحياة الأبدية الموهوبة له من الإله، وهذه الكلمة أشبه بالصليب يحمل الكرة رأسياً، وهذا الشكل يعطي الحياة فنرى في ذلك أن المصري القديم حوى في لغته معنى الفداء على الصليب فعندما حمل السيد المسيح له المجد خطايا العالم كله على الصليب أعطى له هنا الحياة الأبدية.

....

وبذلك رمز المصري القديم في لغته إلى أن الحياة الابدية لم ينلها الإنسان إلا إذا أُعطي رمز الحياة (☥) عنخ من الإله أو أنه بإتمام حمل المصلوب على الصليب لخطايا العالم كله يبرز مصطلح الرمز إلى الحقيقة معلناً المرموز إليه محل الرمز، ولقد حدث ذلك في سنة 33 م حينما صُلِبَ السيد المسيح على الصليب، ....، وكما أنَّ القديس بولس الرسول يعلن قوة الله في الصليب "إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله" (1 كو 1: 18) هكذا كانت عنخ قديماً دليل قوة الحياة عن المصري القديم"[22].

وهنا يقر باخوم فاخوري حنا بالتشابه في الرمز والمعنى بين صليب النصارى وعنخ قدماء المصريين، فإذا لم يكن لهذا المعتقد أثر لدى أنبياء بني إسرائيل الذين سبقوا سيدنا المسيح عليه وعليهم السلام، فمن أين أتى به بولس وأتباعه؟ لا بد أن اللاحق يأخذ من السابق.

وهذا ما يؤكده الدكتور صابر جبره في كتابه (مجد الكتاب المقدس) ص: 103، حيث نقل عنه الدكتور أحمد شلبي ذلك، فكتب:

---

20 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 74.

21 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 78.

22 المسيحية ومصر الفرعونية ج: 1 ص: 34 و35.

"يقول الدكتور صابر جبره إن كلمة الحياة عند قدماء المصريين تُرسَم بما يُرسم الصليب ، وليس بعيداً إذاً أن يكون رسم الصليب مقتبساً من الفكر المصري ، بمعنى نهاية الحياة ، أو الحياة التي تلي الصلب ، ويقول كذلك . إن فكرة التثليث عند قدماء المصريين كانت نبوءة فطرية للتثليث في المسيحية"[23].

***

- عند البوذيين وسائر الوثنيين في الصين وشرق آسيا

فأما البوذيون فيدعون بوذا مخلص العالم والممسوح، والمسيح المولود الوحيد، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر آثام البشر[24].

ونقل الأستاذ محمد طاهر التنير -رحمه الله- عن العلامة دوان في كتابه (Bible Myths and Their Parallels in Other Religions):

"كان الفداء بواسطة التألم والموت لمخلص إلهي قديم العهد جداً عند الصينيين، وأن أحد كتبهم المقدسة المدعو (بيكنيك) يقول عن (تيان) إنه القدوس الواحد، ذو الفضائل السماوية والأرضية.

.....

وأنه الوحيد القادر على أن يقدم ذبيحة للرب تليق به.

......

أما القدوس (تيان) فلأجل الناس يموت، كي يخلص الصالح، ويقولون عنه أيضاً: إنه واحد مع الله منذ الأزل قبل كل شيء"[25].

***

- عند الفرس القدماء

ونقل الأستاذ محمد طاهر التنير -رحمه الله- عن العلامة دوان في كتابه (Bible Myths and Their Parallels in Other Religions) ص: 193:

"وكان الفرس يدعون مترا "الوسيط بين الله والناس، والمخلِّص الذي بتألمه خلص الناس ففداهم" ويدعونه: "الكلمة" و"الفادي"[26].

ويؤكد كارل يونج في كتابه (علم النفس والديانة الغربية) على ما اقتبسته المسيحية من الوثنيات -وخاصة الفارسية- فيما يتعلق بالأب والابن، "إن العالم السفلي الذي ينزل إليه الابن هو عالم مدنس شرير ، عالم الإنسان الذي لم ينضج بعد . ووظيفة الابن (الإله المتجسد) هو أن يقدم نفسه ضحية من أجل أن يخلص العالم من الأذى . وهذه النظرية موجودة في التصور الفارسي القديم للإنسان الأول الملقب جيومارت . فجيومارت هذا هو ابن إله النور . إنه يسقط في الظلمات ، ويجب أن يخرج منها كي ينقذ العالم . مثل هذا الإله كان النموذج الأصلي للمخلص الذي تبنته المسيحية"[27].

وكتب الدكتور أحمد شلبي عن ديانة متراس:

"هذه الديانة فارسية الأصل ، وقد ازدهرت في بلاد فارس قبل الميلاد بحوالي ستة قرن ، ثم نزحت إلى روما حوالي سنة 70 ق.م، وانتشرت في بلاد الرومان ، وصعدت إلى الشمال حتى وصلت بريطانيا ، وقد اكتشفت بعض آثارها في مدينة يورك ومدينة شستر وغيرهما من مدن انجلترا وتذكر هذه الديانة أن:

- مثرا كان وسيطاً بين الله والبشر .
- وأن مولده كان في كهف أو زاوية من الأرض .

---

23 المسيحية لأحمد شلبي ص: 177.

24 العقائد الوثنية في االديانة النصرانية ص: 77.

25 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 78.

26 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 81.

27 الأصول الوثنية للمسيحة ص: 94 و95.

- وأنه ولد في الخامس والعشرين من ديسمبر .
-كان له اثنا عشر حواريا .
- مات ليخلص البشر من خطاياهم .
- دفن ولكنه عاد للحياة وقام من قبره .
- صعد إلى السماء أمام تلاميذه وهم يبتهلون له ويركعون .
-كان يُدْعى مخلصاً ومنقذاً .
- ومن أوصافه أنه كان كالحمل الوديع .
-كان أتباعه يعمدون باسمه .
- وفي ذكراه كل عام يقام عشاء مقدس"[28].

***

- عند البابليين القدماء
كتب الدكتور أحمد شلبي[29]:
"مقارنة بين محاكمة بعل ومحاكمة عيسى:
وإذا كانت ديانة متراس قد أمدت المسيحية بهذه التعاليم فإن ديانة بعل إله البابليين كانت معيناً للمسيحية في موضوع هام من موضوعاتها العاطفية ذلك هو قصة محاكمة عيسى وصلبه ، وقد وضع البابليون قصة محاكمة بعل في تمثيلية مؤثرة كانت تُمَثَّل كل عام قبل المسيح بعدة قرون عديدة

....

وقد أُخذ اليهود الى سجن بابل منذ عهد بختنصر وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض كل مطلع ربيع ، وعندما عاد اليهود الى ديارهم كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم ومؤثرة في حياتهم ، فانعكست على آدابهم وحياتهم العامة ، وعقب نهاية المسيح ظهرت تمثيلية بعل بنفس عناصرها مع اسم جديد وضع مكان بعل وهذا الاسم هو المسيح ، حتى يمكن القول إن قصة صلب المسيح كما توردها الأناجيل هي قصة منتحلة تماماً وفيما يلي بعض عناصر التشابه بين القصتين :

	محاكمة بعل	محاكمة عيسى
1-	أُخذ بعل أسيراً.	أُخذ عيسى أسيراً.
2-	حوكم بعل علناً.	وكذلك حوكم عيسى.
3-	جرح بعل بعد المحاكمة.	اعتُدِي على عيسى بعد المحاكمة.
4-	اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل.	اقتيد عيسى لصلبه على الجبل.
5-	كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام ، وجرت العادة أن يُعفَى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت : وقد طلب الشعب إعدام بعل والعفو عن المذنب الآخر .	وكان مع عيسى قاتل اسمه باراباس محكوم عليه بالإعدام ، ورشح بيلاطس عيسى ليُعْفَى عنه كالعادة كل عام ، ولكن اليهود طلبوا العفو عن باراباس وإعدام عيسى.
6-	بعد تنفيذ الحكم على بعل عمَّ الظلام وانطلق الرعد واضطرب الناس.	عقب تنفيذ الحكم على عيسي زلزلت الأرض وغامت السماء.

28 المسيحية لأحمد شلبي ص: 181. وقد نقل هذه المقارنة عن (Ropertson: Pagan Christs p: 338).

29 أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بجامعة القاهرة.

7-	حرِس بعل في قبره حتى لا يَسرِق أتباعه جثمانه.	وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى لا يسرق حواريوه جثمانه.
8-	إلاهات جلسن حول مقبرة بعل يبكينه.	مريم المجدلية ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه.
9-	قام بعل من الموت وعاد إلى الحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء.	قام عيسى من مقبرته في يوم أحد وفي مطلع الربيع أيضاً وصعد إلى السماء.

"[30].

***

وبعد هذا العرض الموجز للتشابه -الذي يصل أحيانًا للتطابق- بين عقائد الوثنيين القدامي وبين عقيدة النصارى في الخطيئة الأصلية والصلب والفداء، وبعد أن بينت سابقًا أن هذه العقيدة لم تنسب -في الكتاب الذي يقدسه النصارى- لأنبياء العهد القديم ولا لسيدنا عيسى عليهم السلام، بعد هذا يتبين أن بولس -مؤسس هذه العقيدة- قد اقتبسها من الوثنيين من قبله ومن حوله.

***

30 المسيحية لأحمد شلبي ص: 182 183. وقد نقل هذه المقارنة عن
(Khwaja kamal - ud - din : The Sources of Christianity pp. 44 - 49).

(6) الأصول الوثنية لعقيدة قيام الإله من الأموات

أذكر موجزًا عن هذه الأصول تحت العنوانين التاليين:

(أ) إقرار آباء الكنيسة باعتقاد الوثنيين القدماء بقيام الآلهة من الأموات

(ب) شهادات تاريخية

***

(أ) إقرار آباء الكنيسة باعتقاد الوثنيين القدماء بقيام الآلهة من الأموات

نقل الدكتور أحمد علي عجيبة عن الدكتور القس فهيم عزيز من كتابه (المدخل إلى العهد الجديد) ص: 80:

"كانت الديانات السرية تشبه المسيحية في بعض الخطوط الرئيسية ، فمثلاً كانت الديانات السرية تعتقد بأن الإله يموت ويقوم"[1].

ونقل أيضًا عن زكي شنودة من كتابه (تاريخ الأقباط) ج: 1 ص: 37:

"نجد في قصة الإله أوزوريس وقتله ثم انتصاره في النهاية على الشر وجلوسه بعد ذلك في محكمة السماء ليحاسب الناس ، ما يجعل قصة حياة المسيح وموته وقيامته وصعوده قريبة إلى عقول المصريين وقلوبهم"[2].

ونقل الأستاذ محمد عنان -رحمه الله- عن القس عوض سمعان في كتابه (قضية صلب المسيح بين مؤيد ومعارض) ص: 106 عن أسطورة أوزيريس المصرية:

"إن أوزيريس كما تقول الأسطورة ، أحب أخته إيزيس وتزوجها وكان من عادته أن يسعى لأجل خير الناس وهنائهم ، فكان يطوف كل البلاد لينشر الرخاء والحضارة فيها ، لكن أخاه (ست) الذي كان ألد أعدائه في الوجود قتله وقطع جسده إلى أجزاء كثيرة ، ثم قذف بكل جزء منها في مكان ما فلما علمت إيزيس بذلك ، أخذت تبحث عن أجزاء جثة زوجها حتى عثرت عليها وجمعتها معا وأعادته إلى الحياة وفي أسطورة أخرى أنه عندما مات أوزيريس نزلت دموعها على جسده فقام من الأموات في الحال وعاش"[3].

وينقل -رحمه الله- عن القس الدكتور صموئيل حبيب من كتابه (هل حقاً قام المسيح) ص: 26 و27:

"يرى بعض النقاد أن قصة القيامة خرافة أو أسطورة ، كالأساطير التي كانت منتشرة في الديانات القديمة عن آلهة الوثنيين التي ماتت وقامت ! وقد كانت بلاد البحر الأبيض المتوسط مليئة بمثل هذه الخرافات في العصور القديمة . ومن المرجح جداً -كما يقولون - أن المسيحيين يؤلفون قصة على شبهها عن مؤسسي ديانتهم وبمرور الزمن ، صارت هذه القصة عقيدة راسخة"[4].

وقد حاول فريق من رجال الكنيسة البولسية المثلثة أن يخففوا من هذا الاتفاق بين العقائد الوثنية في قيام الآلهة من الموت، وبين عقيدة القيامة لدى النصارى، فأثبتوا الحقيقة التاريخية حول عقائد الوثنيين السابقين للمسيحية، ولكنهم زعموا أن عقائد الوثنيين كانت خرافات، أما قيامة المسيح فهي حقيقة واقعة.

ومن أمثلة من قال بذلك الدكتور فريز صموئيل، حيث نقل الأستاذ محمد عنان -رحمه الله- من كتابه (قيامة المسيح بين المنطق والخيال) ص: 48:

"يوجد عند اليونان والرومان بعض القصص والأساطير عن آلهة تموت وتقوم من الموت ، ولكن هذه لم تكن سوى أساطير وخرافات ليس لها أساس تاريخي"[5].

كذلك القس جورج خوري، حيث نقل الدكتور أحمد علي عجيبة من كتابه (قاموس الكتاب المقدس) ص: 904:

"إلا أن القصة المصرية القديمة قصة الإله الذي مات وقام أسطورة وخرافة، أما سجل حياة يسوع المسيح موته وقيامته كما ورد في الأناجيل فهو سجل تاريخي حقيقي وواقعي".

وكذلك نقل عن الدكتور القس فهيم عزيز من كتابه (المدخل إلى العهد الجديد) ص: 81:

---

1 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 578.

2 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 578 و579.

3 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 101.

4 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 101.

5 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 103.

"هذه الأديان كان ينقصها عنصر واحد أفقدها كل شيء وهو الحقيقة. إنها ديانات بنيت على الأساطير، والخلاص فيها كان خلاصاً وهمياً أو كما قيل (خرافات مصنعة) وهذا الأمر بالذات ما جعل المسيحية شيئاً آخر. إنه خلاص حقيقي، والمخلص أسطورة قديمة، ولكنه جاء إنساناً وحل بيننا وعاش مع الناس رأوه واختبروه في موته وقيامته وصعوده"[6].

وحرصًا على الإيجاز وعدم اخوض في تفاصيل العقائد النصرانية، فإني أكتفي بالرد على من يقول بأن قيامة المسيح -عليه السلام- حقيقة تاريخية، بذكر ما كتبه الدكتور القس حنا جرجس الخضري عن تلك العقيدة:

"إن القيامة من الناحية التاريخية، تختلف نوعا عن حادثة الصلب والموت[7]، لأن الذي ينقص حادثة القيامة من الناحية التاريخية، هو عدم ذكرها في التاريخ من ناحية، ومن ناحية أخرى أن شهود هذه الحادثة شهود منحازون. وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن هذه الحادثة لم تحدث، لأنه كما سبق القول إن إيماننا بالمسيح لا يتوقف على ما يقوله الناس والتاريخ عن يسوع وقيامته، بل ما يقوله يسوع نفسه والتلاميذ وشهود العيان"[8].

وكتب أيضًا:

"إن حادثة القيامة ليست حادثة تاريخية بالمعنى الذي تحمله كلمة تاريخ، لأن ما هو تاريخي يجب أن يكون معروفا من الجميع، أما حادثة القيامة فهي من طبيعة أخرى، فهي ليست تاريخية إلا للمؤمن لأنها تفوق التاريخ"[9].

وتأمل أيها القارئ المنصف في أسلوب الكنيسة البولسية في فرض العقائد:

- "إن إيماننا بالمسيح لا يتوقف على ما يقوله الناس والتاريخ عن يسوع وقيامته، بل ما يقوله يسوع نفسه والتلاميذ وشهود العيان".

سبحان الله. أليس ما يقوله يسوع والتلاميذ وشهود العيان هو أيضًا من التاريخ؟

إن حادثة القيامة التي يؤمن بها النصارى، ومثلها أية حادثة أخرى، لا يمكن أن تثبت إلا بطريق من طريقين لا ثالث لهما: إما نقل صحيح، أو وحي صريح.

أما الأول: فقد اعترفوا بانعدامه، وأما الثاني: وهو النصوص التي في أسفارهم التي يقدسونها.

فإذا كان ما نقلته الأسفار -التي يقدسها النصارى- عن يسوع والتلاميذ وشهود العيان لا يصمد للبحث الموضوعي عن الحقيقة، بل ليس لها سند أصلًا، ولا نص أصلي موجود، وتعج مخطوطاتها بالاختلافات، وتمتلأ بالتناقضات فيما بينها، إذن فهي نقول غير ثابتة (عن المسيح والتلاميذ وشهود العيان على حسب قوله)، فكيف يمكن الإيمان بها؟؟؟

فإذا انعدم النقل التاريخي الصحيح، والوحي الإلهي الصريح، فماذا بقي: قبض الريح!!!

وإذا كانت قيامة المسيح لم تثبت تاريخيًا، فبالتالي: فإن ما نسبوه عنها ليسوع والتلاميذ وشهود العيان لا يثبت تاريخيًا!!!

وتأمل أيضًا فيما كتبه:

- "إن حادثة القيامة ليست حادثة تاريخية بالمعنى الذي تحمله كلمة تاريخ، لأن ما هو تاريخي يجب أن يكون معروفا من الجميع، أما حادثة القيامة فهي من طبيعة أخرى، فهي ليست تاريخية إلا للمؤمن".

أي أن الكنيسة لها تاريخ خاص بها، يختلف عما تعرفه البشرية من التاريخ، وعلى المؤمن أن يؤمن بتاريخ الكنيسة، وإن لم تستطع أن تثبت الكنيسة حدوثه ووقوعه.

وكانت النتيجة اللازمة لهذا الأسلوب المتعنت في فرض العقائد؛ هي ثورة الشعوب على الكنيسة وفسادها وإفسادها، وهي من أهم الأسباب في قيام الدولة الوطنية المعاصرة.

---

6 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 578 و579.

7 وصلب المسيح -عليه السلام- أيضًا لم يثبت تاريخيًا. وسيأتي مزيد بحث للأمر إن شاء الله.

8 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 2 ص: 354 و355.

9 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 2 ص: 361.

وهذا العجز عن إثبات حادثة القيامة من الناحية التاريخية أقر به أيضًا الدكتور سعيد حكيم يعقوب، فيما نقله عنه الأستاذ محمد عليان -رحمه الله- من كتاب (دراسات آبائية ولا هوتية) من إصدار: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ص: 36:

"إن كيفية حدوث قيامة المسيح لم توصف في أي من الأناجيل ، ولا في أي موضع من العهد الجديد . الذي نعرفه فقط هو أمران :

1- القبر وُجد فارغاً . هذا ما تقوله لنا الأناجيل الأربعة .

2- ظهورات المسيح بعد القيامة"[10].

وللأسف فإن الأناجيل الأربعة لا سند لها، وظهورات المسيح -السلام- بعد القيامة مثلها.

وتأمل أيضًا فيما نسبوه لبولس في رسالته الأولى لأهل كورنثوس:

"15: 14 وإن لم يكن المسيح قد قام، **فباطلة كرازتنا** و**باطل أيضًا إيمانكم،**

15: 15 ونوجد نحن أيضًا شهود زور لله، لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يقمه، إن كان الموتى لا يقومون.

15: 16 لأنه إن كان الموتى لا يقومون، فلا يكون المسيح قد قام،

15: 17 وإن لم يكن المسيح قد **قام، فباطل إيمانكم.** أنتم بعد في خطاياكم"[11].

وحيث أن جهابذتهم اعترفوا بعجزهم عن إثبات وقوع قيامة المسيح عليه السلام، إذن فقد حكم عليهم بولس بأن عقيدتهم باطلة!!!

وقد أكد النصارى هذا المعنى؛ وهو أن الفشل في إثبات قيامة المسيح عليه السلام يعني سقوط النصرانية.

نقل الأستاذ محمد عليان -رحمه الله- عن جوش مكدويل في كتابه (برهان جديد يتطلب قراراً) ص: 213:

"المسيحية والقيامة يقومان معاً أو يسقطان معاً".

ونقل أيضًا عن القس الدكتور صموئيل حبيب من كتابه (هل حقاً قام المسيح) ص: 7:

"ليس هناك حادث في التاريخ يزيد أهمية وخطورة على قيامة يسوع . وليس هناك حادث يهمنا إثبات صحته كهذا الحادث لما له من تأثير خطير الشأن . لأنه إن كانت القيامة حقيقة ، فإن إنجيل المسيح حقيقي . إن لم تكن هناك قيامة ، فلا كيان للإنجيل"[12].

ونقل أيضًا عن الأب متى المسكين من كتابه (المسيح حياته وأعماله) ص: 438 قولًا في غاية الخطورة عن أهمية عقيدة القيامة بالرغم من تهافت أساسها التاريخي، حيث جاء في نقله:

"من المؤكد - حتى بأقصى معنى للتاريخ - أنه لم يكن هناك إنجيل ما ، ولا حقيقة إنجيلية ، ولا حتى حرف واحد من العهد الجديد ، بل ولا إيمان ما ، ولا كنيسة ولا عبادة ولا صلاة ، بل ولا مسيحية جملة وإلى هذا اليوم ؛ بدون قيامة يسوع المسيح من الأموات . حتى ولو كانت هناك **صعوبة بل واستحالة أن نحصل على سند تاريخي أكيد** عن كيف كانت حوادث يوم القيامة العظيم"[13].

لقد علمنا القرآن العظيم -وهو يكرم الإنسان ويحترم عقله- قاعدة عظيمة؛ وهي أنه **لا تصديق بلا برهان**، قال الحق سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[14]، وقال عز من قائل: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[15].

---

10 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 99.

11 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: 15: 14 إلى 17 ص: 139.

12 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 98.

13 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 99.

14 سورة البقرة، آية: 111.

15 سورة النور، آية: 13.

***

(ب) شهادات تاريخية

كان الاعتقاد ببعث الآلهة وقيامها من الموت من العقائد السائدة من قبل المسيحية بقرون، ولذلك كتب إي بي ساندرز[1] عن الأصل الذي أخذ منه بولس رأيه في الخلاص والفداء:

"إنه طبقًا للاهوت القرباني القديم، فقد حل موت يسوع محل موت الآخرين، وبهذا فقد حرر المؤمنون من الذنب والإثم"[2].

وكتب الدكتور محمد خليفة حسن[3] عن العقائد المسيحية:

"وقد تأثر مفهوم التجسد والتكفير ببعض الأفكار القديمة أولها فكرة الإله الميت الذي يبعث من جديد وهي فكرة مأخوذة عن الديانات السرية والهلينستية وأيضًا من بعض ديانات العالم القديم وبخاصة ديانات الشرق الأدنى القديم. والتعميد يعني المشاركة الحقيقية للمؤمن في جسد المسيح وفي موته وبعثه . فبالتعميد يتخلص الإنسان من طبيعته الفاسدة ويشترك في وجود جديد أزلي . وقد أخذت هذه الفكرة من دورة الطبيعة السنوية ووقوع الموت بالقوى النباتية في الشتاء بجفافها في الشتاء ثم عودتها إلى الحياة من جديد في الربيع. ولا غريب إذن أن يحتفل المسيحيون بميلاد المسيح بعد قدوم الشتاء[4] ويحتفلون بقيامته في بداية الربيع"[5].

***

- عند الهنود القدماء

وكتب الأستاذ محمد الطاهر التنير -رحمه الله:

"ومن الألقاب التي يدعى بها كرشنا: الغافر من الخطايا، والمخلص من أفعى الموت"[6].

وهذه العقيدة مطابقة لعقيدة بولس عن موت المسيح والحياة معه، كما نقلت من قبل[7]، وأذكر القارئ بما جاء في رسالة بولس لأهل رومية:

"6: 8 فإن كنا قد متنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضًا معه.

6: 9 عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضًا. لا يسود عليه الموت بعد"[8].

فمن ينقل عن من هنا؟ بولس عن الهندوس أم الهندوس عن بولس؟

وأذكر القارئ بما نقلته عن الدكتور القس حنا جرجس الخضري[9]؛ بأن عقيدة القيامة من الموت لا يمكن إثبات حدوثها تاريخيًا، وإنما تُتقبل بالإيمان، فمن أين جاءوا بها؟ جاءوا بها عن بولس، ومن أين جاء بها بولس؟

***

- عند قدماء المصريين

نقل الأستاذ محمد طاهر التنير عن العلامة دوان من كتابه

(Bible Myths and Their Parallels in Other Religions) ص:19 نقلًا عن السر ولكنسون:

---

1 أستاذ الديانة بجامعة دوك.

2 Encyclopædia Britannica, Paul, the Apostle, Saint.

والنص الأصلي هو:

"In accord with ancient sacrificial theology, Jesus' death substituted for that of others and thereby freed believers from sin and guilt".

3 أستاذ تاريخ الأديان بجامعة القاهرة..

4 سيأتي- إن شاء الله- بحث الأصل الوثني لعيد الميلاد، عند الكلام على الخلاف في الشرائع بين بولس والطوائف الموحدة.

5 تاريخ الأديان ص: 223.

6 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 76.

7 راجع: 3- ملخص لما اعتقده بولس مخالفًا للتوحيد- (أ) عناصر عقيدة بولس في الصلب والفداء والكفارة والخلاص- [8] لا يتسلط الموت على سيدنا المسيح -عليه السلام- بعد قيامته من الأموات، وإذا متنا في المسيح سنحيا معه!!!

8 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 6: 8 و9 ص: 123.

9 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 2 ص: 320.

"إن تألم وموت أوزيريس هما السر العظيم في ديانة المصريين .... ويعدونه (أي أوزيريس): الصلاح الإلهي، وجانب الفكر الصالح. وكيفية ظهورة على الأرض، وموته، وقيامه من بين الأموات، وأنه سيكون ديان الأموات في اليوم الأخير - تشابه آلهة الهنود؟

....

وكان حورس يدعى المخلِّص والفادي وإله الحياة والواحد الأبدي والمولود الوحيد"[10].

***

- سكان أسيا الصغرى

كانوا يعبدون أتيس، وكتب عنه الأستاذ محمد الطاهر التنير رحمه الله:

"ويدعى (أتيس) أيضاً الولد الوحيد المخلِّص؛ فقد كان يعبده الفريجيون (وهم سكان آسيا الصغرى) ويمثلونه برجل مقيد على شجرة وتحت رجليه حَلَ شبيه أبولو الذي كان يعبده الميلتيون، فإنهم يقولون: إنه مات بالجسد، وأنه حكيم عمل العجائب، وقد قبض عليه جنود الكلدانيين وقتلوه وسمَّروه كي يزداد تألماً، وأنه صلب لأجل خلاصهم".

ونقل -رحمه الله- عن السيدة جيمسون (Jameson) من كتابها (The History of Our Lord):

"كان الميليتيون يمثلون الإله إنساناً مصلوباً مقيّد اليدين والرجلين بحبل على خشبة، وتحت رجليه صورة حمل"[11].

***

- والسوريون القدماء كانوا يعتقدون أن تموز الإله المولود البكر، من عذراء، تألم من أجل الناس، وكانوا يدعونه المخلص والفادي والمصلوب.

وانتشرت عبادته بين الرومان، وأهل الأسكندرية وكانوا يدعونه أيضًا (أدوني).

وكذلك الفرس القدماء كانوا يعتقدون بألوهية زورستر، وأنه أرسل ليفدي الناس ويخلصهم من الطرق الشريرة.

وبالجملة فقد كانت عقيدة ابن الإله أو الإله الذي يتعذب ثم يموت ثم يقوم من الأموات ليخلص الناس من آثامهم، كانت تلك العقيدة منتشرة بين الوثنيين من قبل ميلاد المسيح -عليه السلام- بقرون[12].

وعن هذا كتب شارل جنيبير[13]:

"ومن المرجح كذلك أن الأحداث الخاصة بالصلب كانت قد فقدت الكثير من وضوحها في ذاكرة المؤمنين قبل تحرير الأناجيل، وأنها تأثرت في مخيلتهم بالأساطير المختلفة الشائعة في الشرق"[14].

وكتب أيضًا عن المكانة الخطيرة التي أخذتها فكرة البعث في المسيحية:

"فبسببها أصبح الإيمان بـ " السيد عيسى " أساس دين جديد لم يلبث أن انفصل عن اليهودية واتخذ ، في نظر الناس ، صورة الطريق الإلهي نحو النجاة . وبسببها أيضا تسربت آثار الاسطورة الشرقية القديمة التي تدور حول فكرة إله يموت ثم يبعث ليسير بأتباعه نحو حياة الخلود، تسربت الى ضمير المجتمعات المسيحية - أو على الأقل منها تلك المتأثرة بالفكر اليوناني - فلم يلبث عيسى أن تحول بها من مسيح يهودي وشخصية محلية لا أثر فيها للتراث اليوناني ولا يفهمها أهل اليونان ، إلى " عيسى المسيح ، السيد والمنقذ ، ابن الله وخليفته على الأرض ..." - على حد تعبير القديس بولس"[15].

وكتب ول ديورانت:

"ولقد كانت مصر، وآسية الصغرى، وبلاد اليونان تؤمن بالآلهة من زمن بعيد - تؤمن بأوزريس، وأتيس وديونيشس - التي ماتت لتفتدي بموتها بني الإنسان. وكانت ألقاب مثل سوتر (المنقذ) واليوثريوس Eleutherios (المنجي)

---

10 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 78.

11 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 78.

12 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 78 و158 إلى 164.

13 أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس.

14 المسحية نشأتها وتطورها ص: 29.

15 المسحية نشأتها وتطورها ص: 52.

تُطلق على هذه الآلهة، وكان لفظ كريوس Kyrios (الرب) الذي سمى به بولس المسيح هو اللفظ الذي تطلقه الطقوس اليونانية - السوريّة على ديونيشس الميت المفتدى، ولم يكن في وسع غير اليهود من أهل إنطاكية وسواها من المُدن اليونانية، الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه، أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين"[16].

وينقل الدكتور أحمد علي عجيبة عن الدكتور محمد الهاشمي -المهتدي إلى الإسلام من النصرانية- من كتابه (سر إسلامي) ص: 84:

"لقد تأثر المسيحيون بالمصريين والبابليين والسوريين والهنود والأسيويين والرومان والفرس وغيرهم حيث إن هذه الشعوب ظهر فيها قبل ميلاد المسيح آلهة مخلصون جاءوا لخلاص العالم وكلهم ماتوا من أجل خطايا البشر"[17].

***

16 قصة الحضارة ج: 11 ص: 264.

17 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 581 و582.

(7) الأصول الوثنية لعقيدة نزول سيدنا عيسى -عليه السلام- للجحيم

وأعرض هذه الأصول بإيجاز تحت العنوانين التاليين:

(أ) عقائد الوثنيين في نزول آلهتهم إلى الجحيم

(ب) عقيدة النصارى في نزول المسيح -عليه السلام- إلى الجحيم

***

(أ) عقائد الوثنيين في نزول آلهتهم إلى الجحيم

ذكر الأستاذ محمد الطاهر التنير -رحمه الله- أن الوثنيين يعتقدون أن آلهتهم المتجسدة قد نزلت إلى الجحيم بعد قتلهم أو صلبهم ليخلصوا الأموات.

فكرشنا مخلص الهنود قبل ذهابه إلى السماء نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات.

وزورستر معبود الفرس القدماء نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات، ومثله أدونيس وهرقل المولود كل منهما من عذراء، وعطارد، وبالدور إله الإسكندنافيين، وكوتزلكوتل مخلص المكسيكيين.

ومثل هذا يقال في كافة آلهة الوثنيين الذين ظهروا بالناسوت وماتوا إما صلبًا أو قتلًا فداء عن الخطيئة[1]، في زعم عبادهم.

***

1 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 151.

(ب) عقيدة النصارى في نزول المسيح -عليه السلام- إلى الجحيم

أشرت من قبل إلى عقيدة بولس في أن سيدنا عيسى -عليه السلام- سينزل إلى الجحيم، وقد وردت تلك العقيدة -بعد بولس- في عدة أسفار من الكتاب المقدس لدى النصارى، وهذه العقيدة يؤمن بها الكاثوليك والأرثوذكس، وينكرها أغلب البروتستانت، ويؤولنها[1].

***

1 راجع لتفصيلها: تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 2 ف: 10: ونزل إلى الجحيم ص: 362 وما بعدها.

(8) الأصول الوثنية لعقيدة تجربة الشيطان لسيدنا عيسى عليه السلام

من العقائد العجيبة الغريبة لدى النصارى، التي لا يستطيع العقل تصورها؛ عقيدة أن الشيطان اختبر سيدنا عيسى -عليه السلام- لمدة أربعين يومًا، رغم زعمهم أن عيسى -عليه السلام- هو الله، فكيف يختبر الشيطانُ اللهَ!!!

وهذه العقيدة من العقائد التي نقلها آباء الكنيسة البولسية المثلثة من الوثنيين.

وسأتناولها تحت العنوانين التاليين:

(أ) عقائد الوثنيين في تجربة الشيطان لابن إلههم

(ب) عقيدة النصارى حول تجربة الشيطان لسيدنا عيسى عليه السلام

***

(أ) عقائد الوثنيين في تجربة الشيطان لابن إلهم

نقل الأستاذ محمد الطاهر التنير -رحمه الله- عن كتاب (حياة بوذا الصيامية) تأليف منكيور كونوي الصيني ص: 44 و172 و173:

""والكائن العظيم بوذا" جرد نفسه في الزهد لدرجة عدم الأكل (أي: صام) والتنفس أيضا ... فأتى الأمير مارا (أي: أمير الشياطين) وقصد تجربة بوذا مرارا عديدة مدعيا الشفقة والحنو عليه وقال لبوذا: "انتبه أيها الكائن العظيم فإن حالتك محزنة لكل من يراك، وقد نحلت لحد لا يوصف ...... بل ارجع إلى ملكوتك وفي مدة سبعة أيام تكون الحاكم على أربع قارات".

فأجابه الكائن العظيم بوذا: "انتبه يا مارا (أي يا أمير الشياطين) أنا عالم أني بمدة سبعة أيام أربح الكون كله، لكنني لا أود ملكا كهذا؛ لأن التمسك بالدين خير من ملك العالم، أنت تفكر بالشهوات الشريرة، تروم إجباري على ترك الناس بغير مرشد حتى لا يكونون في مأمن من دهائك، فاذهب عني".

وكتب أيضًا رحمه الله:

"وجرب الشيطان زروستر (مؤسس ديانة المجوس) ووعده مواعيد عظيمة إذا أطاعه، واعتمد عليه، ولكن تجاربه ذهبت سدى.

....

وجرب الشيطان أيضاً (كوتزلكوتل) مخلص البرازيليين المولود من عذراء، وصام أيضا أربعين يوماً"[1].

***

1 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 145.

(ب) عقيدة النصارى حول تجربة الشيطان لسيدنا عيسى عليه السلام

جاء في الإنجيل الذي ينسبونه لمتى:

"4: 1 ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس.

4: 2 فبعد ما صام أربعين نهارًا وأربعين ليلة جاع أخيرًا

4: 3 فتقدم إليه المجرب وقال له: "إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزًا".

4: 4 فأجاب وقال: "مكتوب: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله".

4: 5 ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة، وأوقفه على جناح الهيكل،

4: 6 وقال له: "إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك".

4: 7 قال له يسوع: "مكتوب أيضًا: لا تجرب الرب إلهك".

4: 8 ثم أخذه أيضًا إبليس إلى جبل عال جدًا، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها،

4: 9 وقال له: "أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي".

4: 10 حينئذ قال له يسوع: "اذهب يا شيطان! لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"[1].

وفي هذا النص نجد:

- عقيدة وثنية بشعة متناقضة، كيف يسلط اللهُ الشيطانَ على الله؟ هل كان اللهُ يختبر كفاءة ابنه (الله)؟ حتى تظهر كفاءته؟ أم كان يدربه؟ أم ماذا؟ حسبنا الله ونعم الوكيل.

- ثم ينسب كتاب إنجيل متى لسيدنا عيسى قوله: "لا تجرب الرب إلهك" وقوله: "للرب إلهك تسجد".

فهل الله -سبحانه وتعالى- هو إله الله (يسوع)؟

وهل الله يسجد لله؟

وعن هذه العقيدة البشعة كتب المهتدي للإسلام الدكتور محمد مجدي مرجان:

"وتجربة الشيطان لعيسى تستحق التأمل، فإذا كان عيسى هو الله كما يزعمون، فكيف يتقدم الشيطان وهو المخلوق لتجربة الخالق، لا يجربه فقط بل يأخذه في قبضته كلعبة بين يديه ويتسلط عليه، ويمتحنه ويختبره ويسبر غوره، ويأمره بالركوع والسجود له، هل يستطيع الشيطان أن يتسلط على الخالق؟ وهل يعقل أن يسجد الله للشيطان؟

ثم بماذا يغري الشيطان ربه؟! أيغريه بالدنيا وهو صانعها، أم يغريه بالناس وهو خالقهم؟! ثم من هو الله الذي له وحده يسجد عيسى وإياه وحده يعبد؟!"[2].

ثم نجد أن الشيطان يتسلط على الدنيا، فيعدُ اللهَ (يسوعَ) أن يمنحه العالم كله، وهذه النظرة الثنوية، والعقيدة التعظيمية للشيطان بوصفه إله الدنيا، والمحارب لله سبحانه بجيش يقاتل جيش الله، والشيطان عزازيل الذي يجب تقديم القرابين له،... إلى آخر تلك الخرافات، سنجدها تتكرر في الكتاب الذي يقدسه النصارى.

وقد أشرت لها من قبل عند الكلام على ملخص لما اعتقده بولس.

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 4: 1 إلى 10 ص: 2.

2 المسيح إنسان أم إله؟ ص: 168 و169.

(9) الأصول الوثنية لعقيدة مجيء سيدنا عيسى -عليه السلام- لدينونة الخلائق

وأتناول هذه الأصول -بإيجاز- تحت العنوانين التاليين:

(أ) عقائد الوثنيين بإتيان إلههم المخلص للدينونة

(ب) عقيدة النصارى بمجيء سيدنا المسيح -عليه السلام- ليدين الخلائق

***

(أ) عقائد الوثنيين بإتيان إلههم المخلص للدينونة

كتب الأستاذ محمد الطاهر التنير -رحمه الله- أن الوثنيين الهنود يعتقدون:

"أن مخلصهم وحاميهم فشنو الذي ظهر بالناسوت باسم كرشنا سيأتي مرة ثانية في الأيام الأخيرة. وكتب الهنود الدينية تقول: إنه متى عادت النجوم الثوابت إلى المكان الذي كان منه ابتداء دورتها والحين الذي ابتدأ منه كل شيء (وذلك بشهر المقرب) يظهر فشنو بين الناس بهيئة فارس مدجج بالسلاح وراكب على فرس أشهب ذي أجنحة يحمل باليد الأولى حساماً مشتعلاً كمذنب يهلك به الأشرار الذين لا يزالون أحياء على وجه الأرض، ويحمل في اليد الثانية خاتماً مضيئاً إشارة لابتداء "الياكوس" أي الأجيال العظيمة، وأن الآخرة أتت، وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتهتز الأرض وتسقط النجوم"[1].

وهذه العلامات منقولة في إنجيل متى، كما سيأتي إن شاء الله.

وكتب عن ذلك الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن[2]: "ويعتقد الهندوس أن فشنو سيظهر في حلول أخير لم يتم بعد كمحارب قوي على فرس أبيض وبيده سيف ملتهب لكي يدمر الأشرار ويسترد أو يعيد الزمن الذهبي. وفي هذه علاقة واضحة بالمفهوم المسيحي والررادشتي لنفس الصورة. وهو بالتأكيد يمثل تأثيرا من الديانتين على المسيحية"[3].

وكتب الأستاذ محمد الطاهر التنير -رحمه الله- عن اعتقاد البوذيين:

"ويعتقد البوذيون بظهور بوذا مراراً عديدة بالناسوت ليؤهلهم، ..... وأنه في الأيام الأخيرة يأتي أيضاً ..... وأن المقصود من مجيئه إلى هذا العالم هو إعادة النظام إلى هذه الدنيا.

ويعتقد الصينيون أنه في الأيام الأخيرة عند انقضاء الألف عام يأتي إلى الدنيا إنسان إلهي يعيد إليها السلام والسعادة".

وكتب عن اعتقاد الفرس:

"ويعتقد المجوس القدماء أنه سيمر على الأرض ألف عام يؤمن عندها الناس جميعاً بدين زورستر؛ ومجوس هذا العصر (وهم بقايا أولئك المجوس المعتقدين بألوهية زورستر) يقولون إنه يوجد ذات مقدسة بأرض تدعي "كانكودر" .... وهذا المنتظر سيأتي إلى بلاد الفرس ..... ومتى أراد بعث الناس يأمر الأرض والبحر بإعادة بقايا الأموات.

....

وبعد البعث يجازي كل واحد بحسب عمله"[4].

وهكذا غيرهم العديد من الوثنيين[5].

***

1 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 167.

2 أستاذ تاريخ الأديان بجامعة القاهرة.

3 تاريخ الأديان ص: 66 و67.

4 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 167 و168.

5 العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 168.

(ب) عقيدة النصارى بمجيء سيدنا المسيح -عليه السلام- ليدين الخلائق

جاء ذلك في نصوص عديدة في الأسفار التي يقدسها النصارى، منها مثلًا ما كتبه كُتاب إنجيل متى:

"24: 29 وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماوات تتزعزع.

24: 30 وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتيًا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير.

....

25: 31 ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده.

25: 32 ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء،

....

25: 46 فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية"[1].

وألفت نظر القارئ هنا للتشابه بين عقيدة النصارى وعقائد الوثنيين، ولا سيما تطابق العلامات المذكورة في متى: 24: 29 مع عقائد الهندوس.

فإذا كانت هذه العقيدة من الأهمية بمكان، فلماذا لم يبشر بها أنبياء بني إسرائيل؟

فمن أين أتى بها كتاب الأناجيل وأسفار النصارى؟؟

كما أذكر القارئ أن من تفاصيل هذه العقيدة ما يثبت تحريف الكتاب الذي يقدسه النصارى، مثل ما كتبه كُتَّاب إنجيل متى:

"24: 34 الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله"[2].

وقد مضى قرابة ألفي عام، ولم يحدث من تلك الأمور شيء!!!

وسيأتي مزيد تفصيل لذلك -إن شاء الله- عند البحث في التحريفات في الأسفار التي يقدسها النصارى.

***

وأذكر القارئ بما بينته من كذب لويس شيخو حيث ذكر: "ومعلوم في معتقد المسلمين أنّ السيد المسيح "عيسى" هو الذي ينزل في آخر العالم ليدين العالمين"[3].

وقد رددت عليه -بعون الله- في موضعه؛ بأن المسلمين يعتقدون بأن الله سبحانه وحده هو الديان، الذي لا يدين الخلق سواه، وأن سيدنا المسيح -عليه السلام- سينزل في آخر السماء متبعًا للشريعة المحمدية، وليس إلهًا كما قلد النصارى الوثنيين.

***

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 24: 29 إلى 25: 46 ص: 21 و22.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 24: 34 ص: 21.

3 النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ج: 2 ص 170.

(10) مقارنة جامعة بين عقيدة النصارى في سيدنا عيسى -عليه السلام- وعقيدة البوذيين في بوذا والهندوس في كرشنا

وأوجز هذه المقارنة تحت عنوانين:

(أ) مقارنة بين عقيدة النصارى في سيدنا عيسى -عليه السلام- وعقيدة البوذيين في بوذا

(ب) مقارنة بين عقيدة النصارى في سيدنا عيسى -عليه السلام- وعقيدة الهندوس في كرشنا

***

(أ) مقارنة بين عقيدة النصارى في سيدنا عيسى -عليه السلام- وعقيدة البوذيين في بوذا

يمكن تبيين الصلة الوثيقة بين قصة النصارى عن سيدنا عيسى عليه السلام، وبين ما اعتقده البوذيون في بوذا - قبلهم بقرون عديدة- بمقارنة الاثنين ببعضهما على شكل جدول[1].

	عقيدة البوذيين في بوذا	عقيدة النصارى في سيدنا عيسى عليه السلام
1	عند مولد بوذا ظهر نجم في السماء يبشر به، وقد رئي هذا النجم يسير نحو مكان مولده، وتبعه من رآه ليسجدوا للوليد.	و عند مولد عيسى ظهر هذا النجم أيضًا يبشر بمولد المخلص، وقاد جماعات من المجوس نحو مكان ولادته، فرأوا الطفل، وسجدوا له.
2	ولد بوذا في اليوم الخامس والعشرين من ديسمبر كما تذكر الأساطير الهندية.	اعتبرت الكنيسة الغربية يوم ميلاد عيسى في الخامس والعشرين من ديسمبر[2].
3	عند مولد بوذا احتفلت الملائكة بولادته وسبحت بحمده قائلة: إن (المبارك) قد ولد اليوم ليمنح السلام للناس والمسرة للأرض.	وعند مولد عيسى ظهرت الملائكة في الجو مسبحة في الحقول بالقرب من بيت لحم، وكانت تسبح بحمد (المبارك)، وتقول: "المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة"[3].
4	وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وأشياء ثمينة.	وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب ولبان ومر[4].
5	كان مولد بوذا خطرًا على الملك والسلطان فهدده ملك بنباسارا وأراد قتله، حتى لا بكون سببًا في القضاء على سلطانه.	وكان عيسى خطرًا على مُلك هيرودوس، ولذلك أراد هيرودوس قتله، لولا أنه فر إلى مصر مع أمه.
6	ولما صار عمر بوذا اثنتي عشرة سنة دخل أحد الهياكل وصار يسأل أهل العلم مسائل عويصة، ثم يوضحها لهم، حتى فاق كافة مناظريه.	ولما صار عمر يسوع اثنتي عشرة سنة جاؤوا به إلى الهيكل في أورشليم، وصار يسأل الأحبار والعلماء مسائل مهمة، ثم يوضحها لهم، وأدهش الجميع[5].
7	وعندما كان بوذا على وشك أن يبدأ دعوته ظهر له الشيطان ليحاول تضليله.	وعند بدء عيسى لدعوته ظهر له الشيطان محاولًا تضليله.

1 وقد اقتبسته بتصرف من: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية- الفصل الثامن عشر: مقابلة النص الصريح بين ما يقوله الهنود الوثنيون عن بوذا بما يقوله النصارى عن يسوع المسيح ص: 201 إلى 218.

وكذلك مما نقله الدكتور أحمد شلبي عن تي دبليو دوان (T. W. Doane) من كتابه (Bible mythology) ص: 287 إلى 289، وعن إدوارد توماس (Edward Thomas) من كتابه (The life of Boddha) ص: 237 إلى 248، وعن خواجه كمال الدين (Khwaja Kamal - ud - din) من كتابه (The Sources of Christianity) ص: 62 إلى 70. [المسيحية لأحمد شلبي ص: 184 إلى 187].

2 تحتفل الكنائس الشرقية بميلاد سيدنا عيسى -عليه السلام- في السادس أو السابع من يناير، وسوف يأتي -إن شاء الله- أنها كلها تواريخ مخترعة، توافق عادات وثنية سابقة على المسيحية.

3 إنجيل لوقا: 2: 13 و14.

4 إنجيل متى: 2: 11.

5 إنجيل لوقا: 2: 41 إلى 48.

8	قال الشيطان لبوذا: ابتعد عن الدعوة الدينية وتصبح إمبراطور العالم.	وقال الشيطان لعيسى: إذا عبدتني سأجعلك ملكًا على العالم كله.
	ولم يأبه بوذا بالشيطان، وصاح به: ابتعد عني.	ولم يطع عيسى الشيطان، وصاح به: اخسأ أيها الشيطان.
9	وصام بوذا مدة طويلة.	وصام عيسى أربعين يومًا.
10	وتعمد بوذا بالماء المقدس، وفي أثناء تعميده كانت روح الله حاضرة، وكذلك الروح القدس.	وعمَّد يحيى عيسى في نهر الأردن، وكان ذلك في حضرة روح الله والروح القدس.
11	وتُقبل صلاة البوذيين، وتقودهم إلى الفردوس ما دامت باسم بوذا.	وتُقبل صلاة المسيحيين ما دامت باسم عيسى، وينالون بسببها الفردوس.
12	وفي آخر أيام بوذا على الأرض تبدلت هيئته، ونزل على رأسه نور على شكل إكليل، ويقولون: إن جسده أضاء منه نور عظيم.	وعيسى صعد مع أصحابه لجبل عال، ثم تغيرت هيئته، وأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور[6].
13	وعندما مات بوذا ودَفن شُق قبره بقوة من قوى ما فوق الطبيعة وعاد للحياة.	وعندما مات عيسى ودُفن أزاحت قوة من قوى ما فوق الطبيعة الحجارة عن قبره، وعاد عيسى للحياة.
14	وسيعود بوذا إلى الأرض في آخر الزمان ليواصل دعوته، ويستعيد مجده، ويملأ الأرض سعادة ونعيمًا.	وسيعود عيسى كذلك، ليحكم الأرض من جديد، وينشر دعوته، ويملأ الأرض بالخير والسلام.
15	وسيوكل حساب كل الناس إلى بوذا بعد البعث.	وسيوكل لعيسى أيضًا أن يحاسب الناس في الدار الآخرة.
16	وبوذا الألف والياء، لا أول له ولا نهاية، وهو خالد.	وعيسى الألف والياء، لا أول له ولا نهاية، وهو خالد كالأب[7].
17	ويروى عن بوذا أنه قال: إنني أحمل سيئات البشر عنهم ليصلوا إلى السلامة.	وعيسى مخلص البشر، الذي قدم نفسه فداء ليكفر عن خطيئة أبيهم آدم.
18	ويصفون بوذا بأنه ذات من نور غير طبيعية، والشيطان مارا (ويدعونه أيضًا الحية) ذات مظلمة غير طبيعية.	ويصفون يسوع بأنه ذات من نور غير طبيعية؛ شمس بر، وعدوه الشيطان الحية القديمة.
19	وفي أحد الأيام التقى أناندا -تلميذ بوذا- بامرأة من المنبوذين، فطلب إليها أن تسقيه، فأخبرته أنها من المنبوذين، ولا يجوز لها أن تقترب منه، فقال لها: يا أختي أنا لم أسألك عن سبطك وعن عائلتك، إنما سألتك شربة ماء، فصارت من حينها تلميذة بوذية.	وفي أحد الأيام مر يسوع ببئر قرب مدينة السامرة، وجاءت أمرأة سامرية لتملأ جرتها، فسألها شربة ماء، فأجابته بأنه يهودي، وهي سامرية[8].

***

6 إنجيل متى: 17: 1 و2.

7 سفر الرؤيا: 1: 8.

8 إنجيل يوحنا: 4: 4 إلى 6.

(ب) مقارنة بين عقيدة النصارى في سيدنا عيسى -عليه السلام- وعقيدة الهندوس في كرشنا[1]

	عقيدةالهندوس في كرشنا ابن الله في زعمهم	عقيدة النصارى في سيدنا عيسى عليه السلام
1	ولد كرشنا من العذراء ديفاكي، التي اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها.	ولد يسوع من العذراء مريم، التي اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها.
2	وآمن الناس بكرشنا، واعترفوا بلاهوته، وقدموا له هدايا من صندل وطيب.	وآمن الناس بيسوع، وسجدوا له، وأهدوا له -وهو طفل- هدايا من ذهب ولبان ومر[2].
3	عرف الناس ولادة كرشنا من نجمه الذي ظهر في السماء.	لما ولد يسوع ظهر نجمه في المشرق. وبظهوره عرف الناس محل ولادته.
4	لما ولد كرشنا سبحت الأرض، وأنارها القمر بنوره، وترنمت الأرواح، وهامت الملائكة فرحًا، ورتل السحاب بأنغام مطربة.	وعند مولد عيسى ظهرت الملائكة في الجو مسبحة في الحقول بالقرب من بيت لحم، وكانت تسبح بحمد (المبارك)، وتقول: "المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة"[3].
5	كان كرشنا من سلالة ملكية، ولكنه ولد فقيرًا في غار.	كان يسوع من سلالة ملكية، ولكنه ولد فقيرًا في مذود بقر.
6	وسمع نبي الهنود نارد بمولد الطفل الإلهي، فذهب وزاره في كوكول، وفحص النجوم، فتبين له أنه مولود إلهي يعبد.	ولما ولد يسوع جاء مجوس من الشرق، سائلين: أين هو المولود ملك اليهود؟
7	ولما ولد كرشنا كان ناندا خطيب أمه ديفاكي غائبًا عن البيت، حيث أتى إلى المدينة كي يدفع ما عليه من الخراج للملك.	ولما ولد يسوع كان خطيب أمه غائبًا عن البيت، وذهب لكي يدفع ما عليه من الخراج للملك.
8	وسمع ناندا خطيب ديفاكي والدة كرشنا نداءً من السماء يقول له: قم وخذ الصبي وأمه فهربهما، لأن الملك يطلب قتله.	وظهر ملاك ليوسف في حلم قائلًا: قم وخذ الصبي وأمه، واهرب إلى مصر، لأن الملك يطلب قتله[4].
9	وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنا الطفل الإلهي، فسعى في قتله، بالأمر بقتل كل المواليد الذكور، الذين ولدوا في تلك الليلة، التي ولد فيها كرشنا.	وسمع حاكم البلاد بولادة يسوع الطفل الإلهي، فسعى في قتله، بالأمر بقتل كل المواليد الذكور، الذين ولدوا في تلك الليلة، التي ولد فيها يسوع[5].
10	وأتي إلى كرشنا بامرأة فقيرة مقعدة ومعها إناء فيه طيب وزيت وصندل وزعفران وغير ذلك من أنواع الطيب، فدهنت منه جبين كرشنا، وسكبت الباقي على رأسه.	وفيما كان يسوع في بيت عينا تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن فسكبته على رأسه[6].

1 اقتبستها بتصرف من: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص: 192 إلى 200.

2 إنجيل متى: 2: 11.

3 إنجيل لوقا: 2: 13 و14.

4 إنجيل متى: 2: 13.

5 إنجيل متى: الأصحاح الثاني.

6 إنجيل متى: 26: 5 و7.

11	كرشنا صلب ومات على الصليب	يسوع صلب ومات على الصليب
12	لما مات كرشنا حدثت مصائب عظيمة، وأحاط بالقمر هالة سوداء، وأظلمت الشمس في وسط النهار، وأمطرت السماء نارًا ورمادًا، وتأججت أشعه نار حامية، وصار الشياطين يفسدون في الأرض، وشاهد الناس ألوفًا من الأرواح في جو السماء يتحاربون.	لما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوعة، وانشق حجاب الهيكل من فوق إلى تحت، وأظلمت الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، وفتحت القبور، وقام كثيرون من القديسين من قبورهم، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين[7].
13	وثقب جنب كرشنا بحربة.	وثقب جنب يسوع بحربة.
14	ومات كرشنا ثم قام من بين الأموات.	ومات يسوع ثم قام من بين الأموات[8].
15	ونزل كرشنا إلى الجحيم.	ونزل يسوع إلى الجحيم.
16	وصعد كرشنا بجسده إلى السماء، وكثيرون شاهدوه صاعدًا.	وصعد يسوع بجسده إلى السماء، وكثيرون شاهدوه صاعدًا[9].
17	ولسوف يأتي كرشنا إلى الأرض في اليوم الأخير، وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر، وتزلزل الأرض، وتهتز، وتتساقط النجوم من السماء.	ولسوف يأتي يسوع[10] إلى الأرض في اليوم الأخير، وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر، وتزلزل الأرض، وتهتز، وتتساقط النجوم من السماء.
18	ويدين كرشنا الأموات في اليوم الأخير.	ويدين يسوع الأموات في اليوم الأخير.
19	كان كرشنا يحب تلميذه أرجونا أكثر من بقية التلاميذ.	كان يسوع يحب تلميذه يوحنا أكثر من بقية التلاميذ.
20	وفي حضور أرجونا بدلت هيئة كرشنا، وأضاء وجهه كالشمس.	ويسوع صعد مع أصحابه لجبل عال، ثم تغيرت هيئته، وأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور[11].
21	كرشنا هو برهما العظيم القدوس، وظهوره بالناسوت سر من أسراره العجيبة الإلهية.	يسوع هو يهوه العظيم القدوس، وظهوره بالناسوت سر من أسراره العجيبة الإلهية.
22	كرشنا هو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند الهنود الوثنيين.	يسوع هو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند النصارى.
23	قال كرشنا: أنا علة وجود الكائنات، في كانت، وفي تحل، وعلي جميع ما في الكون يتكل.	يسوع "كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان"[12].

***

7 إنجيل متى: 27: 51 إلى 53

8 إنجيل متى: الأصحاح 28.

9 إنجيل مرقس: 16: 19، إنجيل لوقا: 24/ 51.

10 إنجيل متى: الأصحاح 24.

11 إنجيل متى: 17: 1 و2.

12 إنجيل يوحنا: 1: 3.

ج- منافذ تسرب العقائد الوثنية للنصرانية

(1) العقائد الهلينسية والوثنيات المعاصرة للمسيحية

(2) الفلسفة اليونانية

***

(1) العقائد الهلينسية والوثنيات المعاصرة للمسيحية

كانت العقائد الهلينسية (اليونانية) والوثنيات المعاصرة للمسيحية واحدة من أهم المنافذ التي تسربت منها الوثنية للمسيحية، وخاصة بعد تدمير الهيكل وتشتت اليهود المتنصرين، وغلبة المتنصرين من الوثنيين على المسيحيين المتمسكين بالشريعة الموسوية، كما بينت سابقًا.

وهذا الأصل الوثني للعقائد المسيحية -وخاصة البولسية- قد أقر به كثير من الباحثين والمؤرخين المسيحيين، فقد نقل الدكتور أحمد علي عجيبة عن الدكتور القس عزيز فهيم في كتابه (الفكر اللاهوتي في رسائل بولس) ص: 20:

"لقد اعتقد كثير من العلماء أن بولس أخذ تفكيره من الهلينية سواء أكانت الهلينية الوثنية أم الهلينية المسيحية فقد فسر (باور) موقف بولس على أنه بطل الأمم (غير اليهود) وضد اليهودية والمسيحية ، وأن المصدر الأصيل لفكره يكمن في إطار الديانات السرية التي انتشرت نتيجة تلاقي الفكر اليوناني والديانات الشرقية ، ويظهر ذلك في المتوازيات الموجودة بين عناصر لاهوت وعقائد هذه الديانات مثل: الإله الذي يموت ويقوم ، ولقب (الرب) والخلاص المتصل بالفرائض والأسرار ، والمعرفة ، والروح ، ولقد وقع بولس تحت تأثير هذه الديانات عندما كان ولداً في طرسوس وكذلك في رحلاته التبشيرية بعد أن صار مسيحياً"[1].

***

وباور هذا هو فرديناند كريستيان باور (1792- 1860م)، درَس اللاهوت، ثم أصبح أستاذًا فيه، ودرَّسه في جامعة توبنجن (Tübingen) إلى أن تُوفي، وأسس مدرسة توبنجن البروتستانتية للنقد الكتابي، وكان يلقب بأبي الدراسات المعاصرة للتاريخ المسيحي.

وكان يرى أن المسيحية الحالية هي نتيجة صراع بين عاملين: المسيحية اليهودية (خليط ممارسات اليهودية والمسيحية)، والعامل الثاني هو المسيحية الأممية، التي كانت متحررة من التأثير اليهودي.

وكان يرى أن أربع رسائل فقط -من المنسوبة لبولس- أصلية (غلاطية، كورنثوس 1- 2، رومية)، وأن مؤلف (أعمال الرسل) جاء بعد الرسل (postapostolic)، لأنه رآه يحاول أن يوافق ما بين المسيحيتين (اليهودية والأممية)، ولذا رأى أنه لا يمكن أن يكون ذلك السفر قد كُتِب في القرن الأول الميلادي.

وقد اتخذ موقفًا مماثلًا من مصداقية الأناجيل الأربعة، فقد استنتج ما سمي بـ(نظرية الميلان) (tendency theory)، فقد رأى أن كُتاب تلك الأناجيل كانت لديهم نزعة أو ميل توفيقي وتصالحي، للتغلب على الصراع اليهودي الأممي.

كما افترض باور أيضًا وجود (**إنجيل أولي**)، حرفه الكتبة بعد ذلك[2].

وإذا ذُكِر باور والمؤرخون الألمان للمسيحية، فلا بد أن يذكر أدولف فون هرنك (Adolf von Harnack) (1851- 1930م)، الذي تأثر بباور، وطور أفكاره، فقد أكد بقوة على التغلغل الهليني في المسيحية، التي فارقت المسيحية الأصلية.

نشأ هرنك في دوربات بأستونيا، وترقى في المناصب العلمية حتى صار أستاذًا للتاريخ المسيحي في عديد من الجامعات الألمانية، كما كان رئيسًا لاتحاد الإنجليين البروسيين، وعضوًا في الأكاديمية البروسية للعلوم.

وتركزت أفكاره حول الفحص التاريخي لتطور العقيدة المسيحية، حيث خلص إلى أن العقيدة المسيحية الحالية تشكلت في القرن الرابع الميلادي حين تم هلننة المسيحية (Hellenization of Christianity).

وكان يشكك في عقائد الكنيسة، ويراها نتيجة تطور تاريخي لتدخل العقائد الهلينية في المسيحية الأصلية، وأنه يجب الفصل بين المسيحية الأصلية وتلك التي اختلطت بالعقائد والأفكار الهلينية[3].

---

1 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 203 و204.

2 Encyclopædia Britannica, Baur, Ferdinand Christian.

3 Encyclopædia Britannica, Harnack, Adolf von.

وأن هذه العقائد قد أفسدت المسيحية بخلطها بالأساطير الإغريقية، وأنه لا بد من استعادة الإيمان البسيط الذي تضمنه (**الإنجيل الأصلي**)[4].

كما دعا لتطهير المسيحية مما أسماه (الهلننة الحادة) (acute Hellenization)، أي من الأفكار اليونانية حول الجوهر والمادة والوجود التي أُدْخِلت في التقاليد المسيحية في تاريخها المبكر[5].

ولهرنك كتابات عديدة أهمها كتابان، يعدان حجة ومرجعًا في التاريخ المسيحي حتى لرجال الدين البولسيين المثلثين، أولهما (تاريخ العقيدة) (The History of Dogma)، وفيه تتبع التطور التاريخي لعقيدة الكنيسة، وخلص إلى أن تلك العقيدة الكنسية يجب فصلها عن المسيحية الأصلية، لأنها عقيدة فرضتها السلطة الكنسية في القرن الرابع الميلادي بعد أن تغلغلت الروح الإغريقية الهلينية في (**إنجيل عيسى**).

وكتابه الثاني الهام هو (ما هي المسيحية؟) (What Is Christianity?)، الذي شكك فيه في العقائد الكنسية وعلى رأسها عقيدة التثليث وعقيدة القيامة.

ودعا لوجوب استكمال ما بدأه الإصلاح البروتستانتي، بمقاومة العقيدة الكنسية عبر استخلاص جوهر المسيحية، وكان يرى أن منهج الفحص التاريخي قادر على ذلك

وقد سعى هرنك -في كل أعماله- لأن يبين أن (**إنجيل عيسى**) لا علاقة له بالعقائد والمبادئ الكنسية، وأن المسيحية إذا أرادت أن تسترجع سلطتها في العالم المعاصر، فعليها ان تتحرر من أية علاقة بعقائد (الإله والمسيح) التي تعايشت معها من العالم الهليني[6].

وكان يؤكد على أن رسالة المسيح -عليه السلام- البسيطة قد حجبتها عقيدة الكنيسة، وأن جوهر رسالة المسيح هي: حب الله والجار[7].

وأعلق هنا فأقول: إن دعوة هرنك هذه تدل على فشل الإصلاح البروتستانتي في إصلاح المسيحية، لأنه انبنى على النص المحرف، الذي يرى هرنك أنه قد أفسدته العقائد والأساطير اليونانية.

ولذا لم يؤد هذا الإصلاح لإصلاح العقيدة، التي يجب أن تنبني على نص موحى به من الله سبحانه، ومحفوظ من التحريف والتبديل.

***

ومثل هذا ما نقله الدكتور أحمد على عجيبة عن المؤرخ النصراني فيليب حتى من كتابه (تاريخ سورية) ج: 1 ص: 366:

"قد بدت بعض مظاهر الدين الجديد (المسيحية) غريبة على الفكر الروماني اليوناني. ولكن الهوة أزيلت نهائياً بجهود بولس والآباء المسيحيين الأولين، ذلك بأن هؤلاء الكتاب قاموا بإعطاء المسيحية شكلها الهليني، وجعلوها ملائمة للانتشار في العالم، وكان بولس يعرف اللغة والفلسفة اليونانية، واستعمل التعابير والمصطلحات الفلسفية، وتبنى بعض آراء ديانات الأسرار، وبفضل الطريقة التي انتهجها تم التفاهم بين الديانة المسيحية والحضارة اليونانية، وقد اتخذت المسيحية طابعاً هلينياً قبل أن تصبح مقبولة لدى الرومان واليونان"[8].

***

وكتب ول ديورانت عن العوامل التي أثرت في لاهوت بولس:

---

4 Microsoft Encarta 2009, Adolf von Harnack.

5 Encyclopædia Britannica, Christianity, The church and its history, The essence and identity of Christianity.

6 Encyclopædia Britannica, Harnack, Adolf von.

7 Encyclopædia Britannica:

- Protestantism, New issues facing Protestantism in the 19th century.

- doctrine and dogma: Distinctions between doctrine and dogma.

8 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 335.

"ولقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح. وكانت العوامل التي أوحت إليه بالأسس التي أقام عليها ذلك اللاهوت هي انقباض نفسه، وندمه، والصورة التي استحال إليها المسيح في خياله؛ ولعله قد تأثر بنبذ الأفلاطونية والرواقية للمادة والجسم واعتبارهما شراً وخبثاً؛ ولعله تذكر السنة اليهودية والوثنية سنة التضحية الفدائية للتكفير عن خطايا الناس: أما هذه الأسس فأهما[9] أن كل إبن أنثى يرث خطيئة آدم، وأن لا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته. وتلك فكرة كانت أكثر قبولاً لدى الوثنيين منها لدى اليهود، ولقد كانت مصر، وآسية الصغرى، وبلاد اليونان تؤمن بالآلهة من زمن بعيد - تؤمن بأوزريس، وأتيس وديونيشس - التي ماتت لتفتدي بموتها بني الإنسان. وكانت ألقاب مثل سوتر (المنقذ) واليوثريوس (Eleutherios) (المنجي) تُطلق على هذه الآلهة، وكان لفظ كريوس (Kyrios) (الرب) الذي سمى به بولس المسيح هو اللفظ الذي تطلقه الطقوس اليونانية - السوريّة على ديونيشس الميت المُفتدى، ولم يكن في وسع غير اليهود من أهل إنطاكية وسواها من المُدن اليونانية، الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه، أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين"[10].

***

وقد أجمل هذا التسرب الوثني للمسيحية الدكتور محمد مجدي مرجان المهتدي للإسلام، فأجاد في كلام قيم موجز، حيث كتب:

"وبعد السيد المسيح اضطر[11] تلاميذه وحواريوه من أجل إحياء دعوته إلى نقلها من أرض اليهود إلى الشعوب الوثنية[12] المحيطة بها كالرومان واليونانيين وغيرهم، ورغبة من هؤلاء المبشرين في نشر الدعوة المسيحية بين تلك الشعوب الوثنية، وخوفًا من أن تجد بين هذه الشعوب نفس المصير الذي وجدته بين اليهود، اضطر[13] المبشرون المسيحيون إلى تطعيم المسيحية ببعض الطقوس والعادات والشعائر التي وجدوها في تلك الشعوب الوثنية، وأغلب الظن أن هؤلاء المبشرين كانوا حسني النية[14]، فقد رأوا أن هذه هي الطريقة الوحيد لتقريب الديانة المسيحية إلى أذهان الوثنيين، وظنوا أنه مع مرور الوقت فإن المسيحية ستتطهر من تلك العادات والطقوس وستعود إلى صفائها، ولقد تحول فعلًا إلى المسيحية كثير من الوثنيين ولكنهم نقلوا إليها أيضًا المزيد من العادات والشعائر الوثنية، واضطر[15] الحواريون والمبشرون المسيحيون كذلك إلى السكوت وغض الطرف والمجاملة، وذلك لإبقاء هؤلاء على المسيحية وعدم تنفيرهم منها، ولعلهم يستقيمون بعد ذلك على المنهج الصحيح، ولكن الواقع الأليم أن الذي حدث فعلًا هو عكس ما توقعه[16] أولئك المبشرون البسطاء، فلقد تغلبت تلك الطقوس والشعائر الوثنية وطمست جوهر الرسالة السماوية العظيمة التي أتى بها السيد المسيح عليه السلام.

ومن الإخوة المبشرين، القديس بولس الذي ولد في مدينة طرسوس مركز الديانة الميرية[17] الوثنية وتقبل الكثير من عادات ومصطلحات تلك الديانة ليتمكن من إقناع أتباعها بالمسيحية، يقول بولس في سفر كورنثوس الأول "استعبدت نفسي للجميع لكي أربح الأكثرين صرت لليهودي كيهودي لكي أربح اليهودي وللناموسيين كالناموسيين ولغيرهم كأنني بغير ناموس.. صرت لكل كل شيء لعلي أستخلص من كل حال قومًا..".

هكذا يتحدث القديس بولس رسول المسيحية عن نظريته بكل صراحة ووضوح أنه يتغير ويتلون ويتحول مع كل اتجاه، إنه يدعي لليهود أنه يهودي وللوثنيين أنه وثني، وللملحدين أنه ملحد، إنه يمثل لكل جماعة، ولكل فرد ما يتفق مع هواهم

---

9 لعلها: "فأهمها".

10 قصة الحضارة ج: 11 ص: 263 و264.

11 هذه اللفظة غير صحيحة، وكان الأصوب: "تصوروا أنهم محتاجون أو مضطرون"، أو "تنازل بعضهم متصورين أنهم مضطرون".

لأنهم كانوا ملزمين بنقل العقيدة كما تلقوها من سيدنا عيسى عليه السلام، وهذا ما سيؤكده الكاتب، وهو يبين ميزة الإسلام على النصرانية المحرفة، في وضوح المفاصلة بينه وبين الكفر.

12 سيأتي -إن شاء الله- أن المسيح -عليه السلام- كان رسولًا لبني إسرائيل فقط.

13 هذه اللفظة أيضًا غير صحيحة كسابقتها.

14 لا يعلم النيات إلا الله.

15 هذه اللفظة أيضًا غير صحيحة كسابقتها.

16 لا يعلم إلا الله ما الذي كانوا يتوقعونه.

17 لعل الصواب: المثرية.

ومشيئتهم كل ذلك ليربح الكل للمسيحية، يربحهم اسمًا وليس فعلًا، إنه بدلًا من أن يغيرهم فهو يتغير من أجلهم، بل ويغير التعاليم السماوية في سبيل إرضائهم، وتورد الأناجيل وقائع ومواقف ادعى فيها بولس تارة أنه يهودي وتارة أنه فرسي، وتارة أنه روماني وهكذا...

....

وهكذا بمرور الوقت وتعاقب الأجيال، أخذت الأحكام الإلهية تتغير لتحل محلها أحكام أرضية، وأخذت الحقائق تتباعد لتفسح الطريق للأوهام، وأخذت المسيحية بذلك تتباعد شيئًا فشيئًا عن الدين السماوي العظيم الذي أتى به السيد المسيح عيسى عليه السلام من لدن الرحمن، يقول القس بولس إلياس اليسوعي "لقد لقحت الكنيسة الفكر الوثني بالفكر المسيحي فحمل مرسلوها إلى اليونان حكمة التوراة وآداب الإنجيل، وأخذوا منهم وضوح التعبير ودقة التفكير، فنتج عن هذا التلاقح تراث جديد نقلوه إلى روما. ولقد احترمت الكنيسة تقاليد الشعوب وحافظت على تنوع الطقوس في مختلف الطوائف فما فرضت صيغة موحدة لصلاة" ويستطرد القس بولس قائلًا "إنه في مفتتح القرن السابع الميلادي كتب البابا غريغوريوس الأول الكبير إلى القديس أوغسطينوس أسقف كنتربري ببريطانيا يقول "دع البريطانيين وعادتهم وأبق لهم أعيادهم الوثنية واكتف بتنصير تلك الأعياد والموائد واضعًا إله المسيحيين موضع آلهة الوثنيين..".

هذا ما كتبه بالحرف أسقف من كبار أساقفة الدين المسيحي، كتبه بكل بساطة دون أن يشعر بوجود أي حرج فيما يقرره، ودون أن يحس بوجود غضاضة أو غرابة في هذا المزج الوثني المسيحي، هذا الخليط بين الوثنية والمسيحية والذي تغلبت فيه طقوس وعادات وأعياد الوثنية باعتراف القس الفاضل فصار لكل شعب ولكل فرقة ولكل طائفة من هؤلاء الوثنيين عاداتهم وطقوسهم وصلاتهم الخاصة بل مثلوا إله المسيحيين بآلهتهم وألبسوا إله السماء أثواب آلهة الأرض فجعلوا الله الواحد ثلاثة آلهة، دون غرابة أو شذوذ في ذلك عند أصحاب القداسة والطهارة الأحبار والكهان، ويتحسس المرء رسالة السماء بين هذا الخليط من طقوس البشر فلا يعثر لها على أثر.

وحين دخلت المسيحية مصر كان بها معبد قيصرون الوثني الذي شيدته الملكة كليوباترا وكان يوجد بهذا المعبد صنم كبير من النحاس يسمى عطارد، وكان يحتفل سنويًا بعيد هذا الصنم وتقدم له الذبائح، وظلت هذه التقاليد معمولًا بها بعد دخول المسيحية ولمدة تزيد على ثلاثمائة عام، فلما نصب الأسقف إسكندر بطريركًا فكر في إزالة هذا الصنم ولكن شعب الأسكندرية ثار في وجهه قائلًا: لقد اعتدنا إحياء هذا[18] الصنم ولقد تربع على هذا الكرسي اثنا عشر بطريركًا قبلك، ولم يجرؤ أحد منهم أن يصرفنا عن هذه العادة.

هكذا تطعمت المسيحية بالوثنية، الوثنية التي كان يدين بها وقتئذ معظم البشر من الرومان واليونانيين والمصريين والفرس والهنود وغيرهم والتي كان يدين بها معظم عرب الجاهلية رغم وجود اليهودية والمسيحية، ولقد كان الموقف المتهاون الذي وقفته المسيحية ومبشروها إزاء الوثنية وعاداتها هو السبب في تغلب الوثنية على المسيحية وتطويعها لمشيئتها ورغبتها، ذلك أن الوثنية قريبة لغرائز البشر، متلائمة مع أحاسيسهم وشهواتهم الحسية والبهيمية، فقد ارتد إليها قوم موسى عند غيابه وقالو[19] لهارون أخيه بعد أن شاهدوا الشعوب الوثنية تعبد الأصنام ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[20] (الأعراف: 138) ثم صنعوا لهم عجلًا مسبوكًا له خوار عبدوه بدلًا من إله السماء، ولولا عودة موسى ووقفته وقفة صارمة ضد هذا الشرود والكفر لما عاد القوم إلى عبادة الله الواحد.

وإذا ما حاولنا أن نعقد مقارنة بين موقف المسيحية من الوثنية وموقف الإسلام منها، وجدنا فارقًا كبيرًا بين الموقفين فارقًا جعل هناك حدًا فاصلًا بين الحق والباطل وبين الحقيقة والأوهام، بين رسالات السماء وترهات الأرض.

لقد دخل الإسلام إلى شبه الجزيرة العربية حيث كان أغلب سكانها يدينون بالوثنية وحاولت الوثنية أن تتسرب إلى الإسلام عن طريق مهادنته، فعرض عبدة الأوثان على الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يعبدوا إلهه فترة، وأن يعبد

---

18 لعله يقصد: إحياء عيد هذا الصنم.

19 الصواب: وقالوا.

20 هذا القول قاله بنو إسرائيل لسيدنا موسى عليه السلام، قال الحق سبحانه: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾. [سورة الأعراف، آية: 138].

آلهتهم أخرى، ولكم من أسباب كانت تدعو إلى قبول هذه العرض ولو مؤقتًا خاصة مع قوم يعملون جاهدين على وأد الدين الوليد، وفي وقت لم تكتمل فيه لهذا الدين أسباب القوة والمنعة، ولكن الرسول رفض العرض بشدة ودون أدنى مساومة أو تردد، ونزل عليه الوحي مخاطبًا الوثنيين ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

وبعد أن بدأ نور الإسلام يسطع في أرجاء شبه الجزيرة العربية ورغبت قبيلة ثقيف في اعتناقه بعثت وفدًا منها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- تعرض عليه إسلامها شريطة أن يوافق على أن يدع لهم صنمهم اللات ثلاث سنين لا يهدمها، وأن يعفيهم من الصلاة، فأبى محمد عليه الصلاة والسلام، فنزلوا يطلبون أن يدع لهم إلههم سنتين أو سنة أو حتى شهرًا واحدًا ريثما يتشرب القوم شرائع وعادات الدين الجديد، ولكن إباء الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان حاسمًا وتصميمه كان جازمًا فانصاع الباطل لصلابة الحق، ونزلت قبيلة ثقيف على كافة أحكام الإسلام وتم هدم إلهها المصنوع في الحال.

وعندما دخل الإسلام فارس بقي التوحيد توحيدًا وبقيت المجوسية مجوسية، فمن شاء البقاء على وثنيته بقي آمنًا ومن شاء دخل في الإسلام فأحل حلاله وحرم حرامه، ونزل على كافة أحكامه.

إن الإنسان إما أن يؤمن وإما ألا يؤمن، وليس بين ذلك إلا الارتياب والشك، والشك مرحلة مؤقتة نهايتها حتمًا إلى الإيمان أو الكفر، فليس بعد الإيمان شك وليس بعد الكفر شك، والإيمان والكفر لا يجتمعان في قلب واحد.

إن الخلاف الأساسي بين الإسلام والمسيحية بل بين المسيحية وكافة الرسالات السماوية هو في هذه الصورة المشوهة عن الله التي ألصقتها الوثنية بالمسيحية، بقصد هزيمتها والقضاء عليها"[21].

***

وكتب المهتدي إلى الإسلام نبيل نقولا جورج بوخاروف:

"لقد كان بولس أول من فسر عملية الصلب - المزعومة - على أنها فداء وتكفير للخطايا تلك إحدى الأفكار التي كانت شائعة في البيئة المحيطة بطرسوس التي عاش فيها.

....

لقد كان بولس في هذا التفسير خاضعاً لتأثير (الميثراسية) ، فقد كان اعتقاد الوثنيين القدماء أنهم يتخلصون من خطاياهم بمشاركتهم في مصير الإله المنقذ من أجل أن يصلو إلى عالم الخلود ، وذلك بالتعميد بالدم ومأدبة القربان، أي مراسم التضحية بالثور وسفك الدم (عقيدة المخلص) .

....

وكان أهل طرسوس -كما هو الأمر في معظم المدن اليونانية- يعتقدون أن الله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم، ثم قام من قبره، وأنه إذا دعي بإيمان حقيقي ورافق الدعاء الطقوس الصحيحة، إستجاب لهم وأنجاهم من الجحيم، وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة.

ومن هنا نستطيع القول أن بولس قد استمد فكرة الفداء والتضحية وتكفير الخطايا البشرية من عقائد الوثنية ثم دمجها في العقيدة النصرانية.

ومن الملاحظ أن فكرة موت المسيح المزعومة عند بولس كانت تضحية مثل موت الضحايا القديمة المقربة إلى الآلهة عند الوثنيين من أجل خلاصهم فنجده يقول في رسالته الأولى إلى أهل كونثوس:

"الآن فصحنا أيضاً المسيح ذبح لأجلنا". "(1)كورنثوس5-7"

وفي الحقيقة أن المسيح لم يذبح، والمعروف عند جميع الطوائف النصرانية على اختلاف عقائدها أن المسيح صلب، وهناك فرق بين الذبح والصلب، فالذبح معناه: سيل الدماء، وأما الصلب فمختلف، ولكن بولس يصر على الذبح لسيل الدم للتكفير، لا تكفير بلا دم، وبهذا الفكر فسر بولس عملية الصلب التي استمدها من العقائد الوثنية على أنها فداء للبشرية وتطهير لخطاياهم وهذا ما يعرف عند النصارى بعقيدة (الفداء) .

---

21 الله واحد أم ثالوث ص: 70 إلى 76.

فالذي بشر به عيسى كان ميلاداً جديداً للروح الإنسانية، أما الذي جاء به بولس فهو من موروثات الديانات القديمة، ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلباً لرضا الآلهة.

لقد كان عيسى (عليه السلام) في نظر بولس هو (حمل عيد الفصح) تلك التضحية البشرية المأثورة المبرأة من الدنس أو الخطيئة"[22].[23]

***

وقد رأينا من قبل مجادلة آباء الكنيسة؛ بأن بولس ومن تبعه من الآباء الأولين لم ينقلوا عقائدهم عن الوثنيين، ولكن الوثنيون قد هدتهم فطرتهم لعقائد الكنيسة. رغم أن تلك العقائد لم تنقل عن أنبياء الله عليهم السلام.

ولكن من باب (شر البلية ما يضحك): ماذا يقول آباء الكنيسة في الخرافات الوثنية، التي كتبها الآباء الأولون، مثل ما ذكرته -من قبل- عن أكليمندس الروماني، الذي يقولون بأنه ثالث بابا لروما، والذي يعتبرون رسالته الأولى أهم نص مسيحي خارج الكتاب المقدس، بل كان كثير من أوائلهم يعده سفرًا من أسفار الكتاب المقدس، أي وحيًا من الله.

ففي هذه الرسالة كتب أكليمندس الروماني عن طائر العنقاء، الذي يعيش لمدة خمسمائة عام في بلاد (العربية)، ثم يصنع لنفسه تابوتًا، ثم يموت فيه ويتحلل، ثم تخرج منه دودة، فإذا نمت وكثرت أجنحتها تحمل التابوت لمدينة هليوبوليس في مصر، وأمام الجميع وفي وضح النهار تضع التابوت عند مذبح الشمس، ثم تعود إلى حيث جاءت، ثم إذا فحص الكهنة السجلات وجدوه قد عاد بعد خمسمائة عام بالتمام[24].

وهي أسطورة مصرية قديمة تبناها التقليد المسيحي المبكر كرمز للخلود والقيامة[25].

وهنا يتحدث اكليمندس بابا روما الثالث عن طائر يقدم نفسه قربانًا للشمس، ويُذكر في سجلات كهنة معبد الشمس الوثنيين!!!

---

22 المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح؟ أم هي ديانة بولس؟ ص: 70 إلى 73.

23 وكتب المهتدي إلى الإسلام نبيل نقولا جورج بوخاروف في نقد عقيدة الفداء:

"أولاً: إذا كان (الفداء) هو خلاص البشرية من خطيئة آدم الموروثة، فلماذا يتبع النصارى المعمودية التي تعرف عندهم بأنها مطهر المصطبغ بها من خطيئة آدم الموروثة عنه بغمس الجسم أو جزء منه في الماء، حتى يتطهر من دنس تلك الخطيئة.

ونتساءل: لماذا (الفداء)؟ أليست المعمودية حسب الإعتقاد -هي مطهر من خطيئة آدم الموروثة ؟ فما حاجتهم إذن للفداء؟

ثانيا: إذا كان المسيح (ابن الله) -حسب الزعم -فأين كانت عاطفة الأبوة؟ وأين كانت رحمته حين كان هذا الابن الوحيد يلاقي ألوان التعذيب والسخرية؟

ثالثاً: إذا كان هدف المسيح هو تخليص البشرية من ذنوبها وخطاياها بعملية (الفداء)، فلماذا يدعو النصارى ربهم في عباداتهم وصلواتهم في الصباح والمساء أن يغفر لهم ذنوبهم: "واغفر لنا ذنوبنا...لخ" "متى 6- 13"

وهنا أيضاً أتساءل: اليس بالصلب تغفر الذنوب-حسب الإدعاء- فلماذا الصلاة والدعاء لغفران الذنب ؟!!!!!

رابعاً: إذا كانت عقيدة(الفداء)كفارة عن خطيئة آدم التي ارتكبها، فلماذا ينفي العهد القديم هذه الخطيئة عن ذرية آدم: "النفس التي تخطئ هي تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون". "حزقيا 18-20"

وفي سفر التثنية: "لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيته يقتل". "تثنية 24-16"

وفي سفر أخبار الأيام الثاني: "كما هو مكتوب الشريعة في سفر موسى حيث أمر الرب قائلاً لا تموت الآباء لأجل البنين ولا البنون يموتون لأجل الآباء بل كل واحد يموت لأجل خطيته". "أخبار الأيام الثاني25-4"

وأيضاً في سفر إرميا: "في تلك الأيام لا يقولون بعد الآباء أكلوا حصرماً وأسنان الأبناء ضرست. بل كل واحد يموت بذنبه كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه". "إرميا31-30"

وقد أكد القرآن الكريم دستور العدالة الإلهيةة أن كل إنسان مسؤول عن ذنبه وليس عن ذنب الآخرين لقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164)﴾وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (18)﴾ (سورة فاطر 18)

وقال تعالى: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7) ﴾ (سورة الزمر 7)

﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15) ﴾ (سورة الإسراء 15)".

[المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح؟ أم هي ديانة بولس؟ ص: 73 إلى 75].

24 الآباء الرسوليون- رسالة أكليمندس الروماني: 25: 1 إلى 5. نقلًا عن قناة الدعوة الإسلامية على اليوتيوب: محمد شاهين التاعب- شريط (الآباء الرسوليون الجزء الثاني)- الدقيقة (9,15) وما بعدها.

25 Microsoft Encarta 2009, Phoenix (mythology).

فهل هذا من هداية الفطرة للوثنيين؟ أم مما اغترفه الآباء الأولون من عقائد الوثنيين؟

***

(2) الفلسفة اليونانية

- تمهيد

تأثرت العقائد النصرانية بالفلسفة اليونانية أيما تأثر، وخاصة في القرون الثلاثة الأولى، التي تشكلت فيها تلك العقائد، ويكفي هنا أن أورد شهادة المنصر بطرس البستاني، حيث ذكر عن عقيدة التثليث:

"ومع أن لفظة ثالوث لا توجد في الكتاب المقدس، ولا يمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعليم الثالوث، قد اقتبس المؤلفون المسيحيون القدماء آيات كثيرةً تشير إلى وجود صورة جمعية في اللاهوت، ولكن إذ كانت تلك الآيات قابلةً لتفاسير مختلفة، كانت لا يؤتى بها كبرهان قاطع على تعليم الثالوث، بل كرموز إلى الوحي الواضح الصريح الذي يعتقدون أنه مذكور في العهد الجديد.

....

والجدال عن الأقانيم في اللاهوت ابتدأ في العصر الرسولي، وقد نشأ على الأكثر عن تعاليم الفلاسفة الهيلانيين والغنوسطيين،

....

وكتب اللوثيريين والكنائس المصلحة أبقت تعليم الكنيسة الكاثوليكية للثالوث على ما كان عليه من دون تغيير، ولكن قد ضاد ذلك منذ القرن الثالث عشر جمهور كبير من اللاهوتيين وعدة طوائف جديدة كالسوسينيانيين والجرمانيين والموحدين والعموميين وغيرهم حاسبين ذلك مضادًا للكتاب المقدس والعقل"[1].

- وكتب القمص تادرس يعقوب ملطي:

"كانت كلمة "**لوغوس**" معروفة لدي اليهود والأمم، عرفها هيرقليتس Heracllitus حوالي ٥٠٠ق.م بأنها العقل الجامع الذي يحكم العالم ويخترقه، وقد تبناه الرواقيون وأشاعوه. وفي اليهودية الهيلينية "اللوغوس" هو أقنوم مستقل، تطورت فكرته ليكون مصاحبًا للحكمة (صوفيا) (الحكمة 9: 1، 2؛ 18: 15).

إذ ربط **فيلون السكندري** بين تعبيرات فلسفية ومفاهيم كتابية قال أن اللوغوس هو نموذج إلهي جاء العالم صورة له".

ثم ينقل عن القديس جيروم:

"**لوغوس"** في اليونانية لها معان كثيرة. فهي تعني الكلمة والعقل والتقدير وعلة الأشياء الفردية التي عليها تقوم. بكل هذه جميعًا نحن نعلن عن المسيح"[2].

إذن هذا إقرار بأنهم نقلوا عقيدتهم عن (اللوجوس: الكلمة) عن الفلسفة اليونانية الشركية.

وقد بين بطرس البستاني أن هذه العقيدة لا وجود لها في العهد القديم، كما بين أنها لا يمكن أن يؤتى عليها ببرهان قاطع من العهد الجديد، وأنها نشأت في العصر الرسولي على الأكثر من الفلسفة الهيلنية والغنوصية، إذن السابق أستاذ اللاحق.

وعن التأثر بالفلسفة اليونانية كتب ول ديورانت:

"ومن حقنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدينية والأخلاقية للرواقية انتقلت من البيئة المدرسية في طرسوس إلى مسيحية بولس. فهو يستعمل اللفظ الرواقي نيوما (Uenma) أي النفس للدلالة على المعنى الذي يستعمل فيه مترجموه الإنجليز لفظ (Spirit) (الروح). وكان طرسوس[3] كما كان في معظم المُدن اليونانية أتباع للأرفية. وغيرها من العقائد الخفية، يعتقدون أن الله الذي يعبدونه قد قام من أجلهم، ثم قام من قبره، وإنه إذا دعي بإيمان حق، وصحب الدعاء الطقوس

---

1 دائرة المعارف لبطرس البستاني- باب الثاء- ثالوث مج: 6 ص: 305 و306.

2 الإنجيل بحسب يوحنا لتادرس يعقوب ملطي ج: 1و2 ص: 53.

3 لعل صوابها: وكان في طرسوس.

الصحيحة استجاب لهم وأنجاهم من الجحيم، وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة. وهذه الأديان الغامضة الخفية هي التي أعدّت اليونان لاستقبال بولص وأعدّت بولس لدعوة اليونان"[4].

وهذا ما أكده الدكتور محمد خليفة حسن، وهو يصف الجو الفكري عند ظهور المسيحية:

"ويضاف إلى هذا المناخ الفكري الجديد الذي شكلته الفلسفة اليونانية اختلاط الأديان والمذاهب.

.....

نشأت المسيحية وتأثرت في تطورها بهذه الأوضاع، ولم تكن دعوة عيسى عليه السلام في بدايتها وخلال عصر عيسى عليه السلام تمثل خروجا على اليهودية أو إعلانا عن دين جديد مستقل عن اليهودية.

....

ويعطي إنجيل يوحنا وكناباته الأخرى صور مختلفة عن عيسى عليه السلام تمثل خروجا واضحا على اليهودية وانفصالا عنها.

....

وإشارة إلى تأثير الفلسفة اليونانية فإن إنجيل يوحنا يشتمل على بعض الأفكار الميتافيزيقية التي لا وجود لها في الفكر اليهودي والمستمدة أصلا من الفلسفة الهللينستية"[5].

وكتب أيضًا المهتدي إلى الإسلام نبيل نيقولا جورج بوخاروف:

"لقد كان بولس هو أول من فسر عملية الصلب - المزعومة - على أنها فداء وتكفير للخطايا تلك إحدى الأفكار التي كانت شائعة في البيئة المحيطة (بطرسوس) التي عاش فيها، وشرب من بيئتها وتعلم من عقائدها، حيث استعار بعض التعبيرات الفلسفية منها مثل: صورة الله[6] واقتبس منها فكرة "النفس في الجسد"[7] وفكرة الملء الكوني[8] أو الشخصي[9] وفكرة الخلاص وفكرة المنقذ فنقل هذه الأفكار الوثنية إلى النصرانية التي لم تكن واردة فيها من قبل حتى عند مؤلفي الكتب الأربعة المعتمدة عند النصارى"[10].

***

4 قصة الحضارة ج: 11 ص: 249و 250.

5 تاريخ الأديان ص: 209 و210.

6 كولوسي:

"1: 15 الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي: 1: 15 ص: 160].

7 كورنثوس2:

"5: 6 فإذا نحن واثقون كل حين وعالمون أننا، ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب.

5: 7 لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان.

5: 8 فنثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب.

5: 9 لذلك نحترص أيضًا -مستوطنين كنا أو متغربين- أن نكون مرضيين عنده.

5: 10 لأنه لا بد أننا جميعًا نظهر أمام كرسي المسيح، لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع، خيرًا كان أم شرًا". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: 5: 6 إلى 10 ص: 144].

8 كولوسي:

"1: 19 لأنه فيه سر أن يحل كل الملء". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي: 1: 19 ص: 160].

9 كولوسي:

"2: 9 فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًا". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي: 2: 9 ص: 161].

أفسس:

"1: 22 وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأسًا فوق كل شيء للكنيسة،

1: 23 التي هي جسده، ملء الذي يملا الكل في الكل ". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس: 1: 22 و23 ص: 153].

10 المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح؟ أم هي ديانة بولس؟ ص: 70.

- وأود هنا أن أشير بإيجاز لاثنين من أهم تلك التيارات الفلسفية، التي تأثرت بها النصرانية: فلسفة فيلون السكندري، والفلسفة الأفلوطنية الحديثة.

- فلسفة فيلون السكندري

أما عن فيلون السكندري فقد عاش ما بين (10 أو 15 ق.م- 30م)، نشأ نشأة هيلينية كاملة[11]، وافتتن بالفلسفة اليونانية، فجعل هدفه في الحياة أن يوفق بين الكتاب المقدّس وعادات اليهود من جهة، والآراء اليونانية وبخاصة فلسفة أفلاطون "أقدس القدّيسين" من جهة أخرى. ولكي يصل إلى غرضه هذا لجأ إلى المبدأ القائل إن جميع الحادثات، والأخلاق، والعقائد، والشرائع المنصوص عليها في العهد القديم ذات معنيين أحدهما مجازي والآخر حرفي[12].

وكان الله في كتابات فيلو هو الكائن الجوهري في العالم، وهو كائن غير مجسّد، أزلي سرمدي، والله موجود في كل مكان، ولكنه ليس كل شيء، فالمادة أيضاً **سرمدية**، وغير مخلوقة؛ ولكنها لا تكون لها حياة، ولا حركة، ولا صورة، حتى تنبعثُ فيها القوّة الإلهية.

ولكي يخلق الله العالم بأن يشكّل المادة، ويوجد الصلات بينه وبين الإنسان، استخدم لذلك جمعًا من الكائنات الوسطى، وهي مجتمعة تكون ما يسميه الرواقيون (الكلمة) أو (العقل الإلهي) خالق العالم وهاديه.

ولقد كانت عقيدة (العقل الإلهي) التي يقول بها فيلون من الآراء ذات الأثر الأكبر في تاريخ التفكير البشري. ولرأيه هذا سابقات واضحة في فلسفة هرقليطس وأفلاطون، والرواقيين.

وكان فيلون معاصرًا للمسيح عليه السلام، ولكنه لم يذكر عنه شيئًا، ولكنه قد أسهم على غير علم منه في تكوين اللاهوت المسيحي. ولم يكن أحبار اليهود راضين عن تفسيراته المجازية للكتاب المقدّس، لظنهم أن هذه التفسيرات قد تُتّخذ حجة لنبذ الطاعة الحرفية للشريعة اليهودية؛ وكانوا يرتابون في عقيدة الكلمة ويعدّونها ارتدادًا عن عقيدة التوحيد[13].

وهذا يدل على أن عقائد النصارى (الكلمة والتثليث والتجسد والخطيئة الأصلية والفداء.. إلخ) لا صلة لها بالعهد القديم، ولا بالأنبياء السابقين، وإنما هي بدع الكنائس البولسية المثلثة.

وإذا كان أحبار اليهود قد رفضوا عقائد فيلون، فإن آباء الكنيسة المسيحية كانوا يعجبون بها، وكثيرًا ما كانوا يلجئون إلى آرائه وتعبيراته المجازية ليردّوا بها على من يتصدّون لنقد التوراة العبرية[14].

ويقرر ول ديورانت:

"ولقد حاول فيلو أن يوفق بين اليهودية والفلسفة الهلينية؛ فأما من وجهة النظر اليهودية فقد أخفق في مسعاه وأما من وجهة النظر التاريخية فقد أفلح، **وكانت ثمرة فلاحه هي الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا"**[15].

---

11 موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية المجلد الثالث: الجماعات اليهودية: التحديث والثقافة- الجزء الثاني: ثقافات أعضاء الجماعات اليهودية- الباب الثانى عشر: الفلاسفة من أعضاء الجماعات اليهودية- فيلون (بين 10 و15 ق.م - 30 م) والأفلاطونية المُحدَثة ج: 3 ص: 277

12 كتب الدكتور يوسف الكلام:

"لقد نص علماء الأصول المسلمون على عدم صرف اللفظ عن ظاهره إلا بقرينة، لأن من شأن ذلك أن يفتح الباب أمام التأويلات الرمزية التي تبعد النص عن حقيقته، ولا تخضع لأي ضابط علمي، كما حدث في الفكر المسيحي الغنوصي، ومن قبله الفكر اليهودي اللذين عرفا هذا النوع من التأويلات الرمزية، ويعد فيلون الاسكندري من أوائل اليهود الذين مارسوا هذا التفسير، وطبقوه على نصوص التوراة محاولاً رد التناقضات والمعاني السلبية التي يتضمنها ظاهر النص". [تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقديس والتقنين هامش ص: 58].

13 قصة الحضارة ج: 11 ص: 103 و104.

14 لم يتوقف انتهاج النصارى لأسلوب تأويلات فيلون المجازية على آباء الكنيسة في القرون الأولى، بل يمتد إلى اليوم، حتى في علماء المخطوطات النصارى، وعن هذا ذكر الدكتور يوسف الكلام، وهو يذكر أسلوب بعض هؤلاء النقاد في محاولة تبرير عمليات الدس والتغيير في النصوص:

"إلا أن المنهج الفيلولوجي المطبق على نصوص الكتاب المقدس لم يقتصر -كما هو حال النصوص اللاتينية الإغريقية- على محاولة إعادة بناء النص وتشكيله في صورته الأصلية، وإنما طمع إلى فك رموز هذا النص المشكل ودلالاته، فلجأ بعض النقاد إلى سلوك طريق التأويلات الرمزية، وحاولوا خلالها إبعاد الشكوك المحيطة بالنص، والتي أفرزتها دراساتهم الفيلولوجية، إذ خلصت هذه الدراسات إلى وجود اختلافات كبيرة في النص نتيجة التغييرات التي أصابته وعمليات الدس التي عرفها، فلا مناص للناقد المسيحي الذي تمنعه إيديولوجيته الكنسية من التطرق لقدسية النص ومصدريته الإلهية من تأويل كل ما كشفت الدراسة خطأه، ويعد الفيلسوف اليهودي فيلون الاسكندري أول من لجأ لهذا النوع من التأويلات الرمزية لإبعاد الشكوك عن النص وقدسيته". [تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقديس والتقنين ص: 41].

15 قصة الحضارة ج: 11 ص: 104 و105.

أي أن ما تفرد به إنجيل يوحنا في إصحاحه الأول -من أن سيدنا المسيح -عليه السلام- هو كلمة الله المتجسدة[16]- جاء -في رأي ول ديورانت- من تعاليم فيلون السكندري.

وقد لاحظ الباحثون تشابهًا كبيرًا بين الكتابات المنسوبة لبولس وبين الفلسفات الرائجة في عصره.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن بولس قد استعار من فلاسفة اليونان -وبخاصة فيلون- فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة.

ونقلت الدكتورة بسمة جستنية عن هنري تشادويك في كتابه

(History and thought of the early church) ص: 13 و13: أنه يقال: إن فيلون قد قابل بولس أثناء زيارته لروما، فلا يستبعد تأثر بولس به، لا سيما أننا نجد شواهد فلسفية كثيرة في كلام بولس[17].

وعن هذا التشابه الموجود بين فيلون السكندري وبين بولس ذكر رجل الدين وأستاذ اللاهوت هنري تشادويك: أن بعض عبارات فيلون المجازية تمهد للغة رسائل بولس، الذي كانت له -مثل فيلون- جذور في المعابد اليهودية الإغريقية.

وأن بعض الفقرات التي يرجع فيها فيلون وقوع الشر في العالم لتوقعه؛ أن بعض أعمال الخلق قد أسندت للملائكة المقصرين.

هذه الفقرات تشابه ما جاء عن بولس في رسالته لأهل غلاطية (3: 19 و20) [18]، من أن المنزلة المتدنية للتوراة نشأت من الدور الذي لعبته الملائكة -حسب التقليد اليهودي- في إيصال التوراة لموسى[19]!!!

ونلاحظ هنا النظرة الاحتقارية التي ينظر بها فيلون وبولس لنص التوراة، وأن مستواها المتدني يرجع لتقصير الملائكة في إيصالها لسيدنا موسى عليه السلام!!!

وجاء كل هذا تمهيدًا لإبطال الشريعة الموسوية، وإحلال شريعة أخرى بدلًا منها، وهو أحد أهم أهداف بولس. بزعم أن الشريعة تفرض العبودية للملائكة، وقد جاء المسيح ليحرر الناس من تلك العبودية، وقد وضح مفسرو النسخة العيسوية ذلك، بتفسيرهم العدد (3: 19) بتفسير تقشعر منه الأبدان، فكتبوا:

"لا ينفرد بولس بالقول إن الشريعة قد " أعلنها الملائكة " (راجع رسل 38/7 و53 وعب 2/2) . لكن اليهود كانوا يستنتجون من هذا الأمر سلطتها الإلهية ، في حين ان بولس يستنتج ان الشريعة تستعبد الإنسان لأولئك الملائكة الذين كان موسى وسيطهم . ولذلك ، فالمسيح، بتحريره البشر من الشريعة ، يحررهم من هذه العبودية أيضًا"[20].

ثم أضافوا تفسيرًا مماثلًا في تعليقهم على العدد (3: 20):

"لهذه الآية تفسيرات كثيرة تتضمن في أغلب الأحيان مُضمرات من الصعب أن نسلم بها. ان سياق الكلام يدعونا ، على ما يبدو ، إلى أن نرى في الجملة الأولى من هذه الآية ، لا حقيقة عامة : " الوسيط يفترض وجود فريقين " ، بل قولًا

---

16 يوحنا:

"1: 1 في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله.

....

1: 14 والكلمة صار جسدًا وحل بيننا". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 1: 1 إلى 14 ص: 72].

17 تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ ص: 187 و188

18 الرسالة لأهل غلاطية:

"3: 19 فلماذا الناموس؟ قد زيد بسبب التعديات، إلى أن يأتي النسل الذي قد وعد له، مرتبًا بملائكة في يد وسيط.

3: 20 وأما الوسيط فلا يكون لواحد. ولكن الله واحد". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ص: 150].

19 The Church in Ancient Society p: 34.

والنص الأصلي هو:

"A few passages explain the evil in the world by the speculation that some parts of the work of creation were delegated to angels who were incompetent. The idea is reminiscent of Paul in the epistle to the Galatians (3. 19-20) where the inferior status of the Torah is deduced from the role which, by Jewish tradition, angels had played in giving it to Moses".

20 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية ص: 577.

يعود إلى وساطة موسى في إعلان الشريعة :كان يتكلم باسم الملائكة ، باسم عدة أشخاص . والحال أن " الله واحد" (تث 4/6) . فلم يكن موسى وسيط الله. لا شك أن الشريعة إلهية ، بمعنى أن سلطة الملائكة تأتي من الله . لكن لها مفاعيل لا تعبر عن تدبير الله الواحد الذي يريد ان يخلصهم ، لا بالشريعة التي تستعبدهم وتفرق بينهم ، بل بابنه الوحيد يسوع الذي يحررهم ويوحدهم"[21].

وليس فيما ذكره هؤلاء البولسيون احتقار للشريعة فقط، بل إن فيه -أيضًا- اتهامًا للملائكة -نقلة الوحي- بأنهم تدخلوا بالتحريف فيه، وهذا اتهام خرافي، وبدلًا من أن ينسبوا التحريف للبشر، الذين نقلوه عن سيدنا موسى عليه السلام، نسبوه للملائكة، أي أن سيدنا موسى -عليه السلام- قد تلقى التوراة -أصلًا- ناقصة!!!

قارن هذه الأساطير بوصف القرآن الكريم للملائكة بقوله سبحانه:

﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[22].[23].

كما ذكر هنري تشادويك أن فيلون قد يكون قد أثر على كاتب الرسالة للعبرانيين[24]، حيث فسرت العبادة القربانية في العهد القديم مجازيًا على أنها التضحية المثالية ليسوع[25].

***

- الأفلاطونية الحديثة

أما التيار الثاني الذي أثر على بولس ومن تلاه من آباء الكنيسة في القرون الثلاثة الأولى، فهو تيار الأفلاطونية الحديثة. فما هي الأفلاطونية الحديثة؟

الأفلاطونية الحديثة فلسفة تزعم أن الحقيقة في الكون تنتهي إلى واحد أزلي كامل لا متناه لا يدرك ولا يوصف (الواحد) (ben)، ومن هذا الواحد انبثق (العقل الخالص) (pure intelligence) النوس (nous)، والذي انبثق منه بالتالي روح العالم (world soul) أو النفس (psyche)، والتي من نشاطها التخليقي تولدت أرواح البشر.

ولكن (العقل) و(الروح) يخضعان للواحد[26].

وقد تطورت الأفلاطونية المحدثة عن فلسفة أفلاطون، وأخذت أيضًا عناصر من أفكار فيثاغوروس، وأرسطو والرواقيين[27]. فجمعت ما بين نظرية فيثاغورس في تناسخ الأرواح، وآراء أفلاطون في الأفكار الإلهية، فأنشأ مؤسسوها من ذلك نظامًا من الزهد أرادوا به أن يقووا الإدراك الروحي بإماتة الحواس الجسمية، وأن يعودوا بتطهير أنفسهم إلى صعود الدرج التي انحطت بها الروح من عالم السماوات وسكنت في جسم الإنسان.

وقد بدأت الأفلاطونية الحديثة في الأسكندرية في القرن الثالث الميلادي، ومن أهم رموز هذا المذهب أمونيوس سكاس (Ammenius Saccas) وأفلوطين (Plotinus).

أما أمونيوس سكاس (Ammenius Saccas) فهو مسيحي ارتد إلى الوثنية، وكان يحاول التوفيق بين تعاليم أرسطو وأفلاطون، وبينهما وبين التعاليم المسيحية، كما فعل تلميذه أرجون من بعده.

---

21 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية ص: 578.

22 سورة عبس، آية: 13 إلى 16.

23 ستأتي -إن شاء الله- المقارنة -أيضًا- بين الأوصاف الذميمة، التي ألحقها الكتاب -الذي يقدسه النصارى- بالأنبياء عليهم السلام، وبين الصفات النبيلة السامية التي أثبتها لهم القرآن الكريم.

24 سيأتي -إن شاء الله- أنها من الرسائل التي اتفق علماء النصارى على عدم صحة نسبتها لبولس، وعلى جهالة كاتبها، ورغم كل ذلك يضعونها في الكتاب الذي يقدسونه، والذي يصفونه بأنه (كلمة الله المحفوظة)، ويتعبدون بها لله!!!

وصدق الله العظيم: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، آية: 78].

25 The Church in Ancient Society p: 34.

26 Microsoft Encarta 2009, Neoplatonism, II. THE NEOPLATONIC DOCTRINE.

27 الموسوعة العربية العالمية- الأفلاطونية المحدثة.

ومن قبله بحوالي قرنين سعى فيلون اليهودي السكندري في التوفيق بين تعاليم سيدنا موسى -عليه السلام- وكتب اليهود وبين الفلسفة اليونانية، كما ذكرت.

وأما أفلوطين فكان مولده في ليقوبوليس بمصر عام 203م، أي أنه كان قبطيًا مصريًا ذا اسم روماني وتربية يونانية. وبدأ دراسة الفلسفة في سن الثامنة والعشرين، وأخذ ينتقل من معلم إلى معلم دون أن يجد في أحد منهم بغيته حتى وجد طلبته في الأسكندرية، حيث تتلمذ على يد أمونيوس سكاس لمدة عشر سنين[28].

وقد تتلمذ على أفلوطين أوريجن المعلم المسيحي المشهور[29]. رغم أن أفلوطين لم يعتنق المسيحية طوال حياته.

كما كان له تلميذان آخران مشهوران وهما: برفيروس وكان يعارض العقيدة النصرانية، وخاصة تأليه سيدنا عيسى عليه السلام، والثاني هو يمبليخوس الذي كان يستخدم الفلسفة الأفلاطونية الحديثة لتأييد ديانة الوثنيين.

وبالإضافة لأوريجن فقد تأثر بهذه الفلسفة أيضًا عدد من آباء النصارى الأوائل ودكاترة الكنيسة، مثل اكليمندس السكندري وغريغوريس النيزنزي وكيرلس السكندري[30]، ومثل (القديس) أوغسطين[31].

واكليمندس السكندري كان رئيسًا لمدرسة الأسكندرية للاهوت، وخلفه في منصبه أوريجن، مما يظهر انتشار هذا المذهب في الأسكندرية، وتأثر آباء كنيستها به، ولذلك كان آباء هذه الكنيسة من أشد المتعصبين لعقيدة الثالوث، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

***

وقد تلقفت الكنيسة البولسية المثلثة الفلسفة الأفلوطنية الحديثة لتفسر بها عقيدة التثليث.

وإذا كانت الأفلاطونية الحديثة قد ظهرت في منتصف القرن الثالث الميلادي، مستمدة أصولها من فلسفة أفلاطون وأرسطو قبل المسيحية بقرابة أربعة قرون، ومشابهة لتثليث الوثنيات القديمة قبلها.

وإذا كانت عقيدة التثليث لم تأخذ شكلها النهائي إلا في مجمع نيقية عام 325م، ثم تقررت ألوهية الروح القدس في مجمع القسطنطينية عام 381م، أي جاءت صياغة هذه العقيدة بعد ظهور الأفلاطونية الحديثة بقرابة قرن.

وإذا ثبت أن كتاب النصارى -الذي يقدسونه- على رغم كل التحريف والتلاعب فيه، لم يرد فيه نص قاطع يصلح دليلًا لا غبار عليه لتأييد عقيدة التثليث، كما نقلت عن بطرس البستاني، وهو المنصر المخضرم المعلم للاهوت، الداعي للتثليث، وكما نقلت -أيضًا- عن يوحنا الدمشقي، بأنه أقر بأن (التثليث) أو (وحدة مادة الآب والابن) أو (ثنائية الطبيعة في المسيح) لا وجود لها في الكتب المقدسة، وإنما أخذت من (تقليد) آباء الكنيسة.

إذا تقرر كل هذا، فمن أين أتت الكنائس المثلثة البولسية بالتثليث؟

الجواب: من أساتذتهم فلاسفة اليونان الوثنيين، فالسابق أستاذ اللاحق.

وقد ذكرت من قبل -في شرح معنى (التقليد) عند النصارى- مدى تأثر عدد من الآباء الأول ودكاترة الكنيسة -الذين يقلدهم النصارى- بالعقائد الوثنية وتغلغلها في أفكارهم وكتاباتهم: مثل يوستينوس وأكليمندس السكندري وأوريجانوس وترتليانوس، بل حتى باعتقادهم بالخرافات الوثنية!!!

وينقل الدكتور أحمد شلبي عن ليون جوتيه في كتابه (المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية) ص: 93:

"إن المسيحية تشربت كثيرا من الآراء والأفكار الفلسفية اليونانية ، فاللاهوت المسيحي مقتبس من المعين الذي صبَّتْ فيه الأفلاطونية الحديثة ، ولذا نجد بينهما مشابهات كثيرة"[32].

وعن هذا التأثر الكبير بالوثنية في عقائد آباء الكنيسة الأوائل كتب ول ديورانت:

---

28 قصة الحضارة ج: 11 ص: 299 و311.

Microsoft Encarta 2009, Neoplatonism, III. HISTORY.

29 قصة الحضارة ج: 11 ص: 300.

30 دائرة المعارف للبستاني- حرف الألف- أفلاطون- الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ج: 4 ص: 70 و71.

31 Microsoft Encarta 2009, Neoplatonism, III. HISTORY.

32 المسيحية لأحمد شلبي ص: 138.

"**إن المسيحية لم تقضِ على الوثنية، بل تبنتها**، ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها، وأصبحت اللغة اليونانية التي ظلت قروناً عدة صاحبة السلطان على السياسة أداة الآداب، والطقوس المسيحية، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف. فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس، ويوم الحساب، وأبدية الثواب والعقاب، وخلود الإنسان في هذا أو ذاك، ومنها جاءت عبادة أم الطفل، والاتصال الصوفي بالله، ذلك الاتصال الذي أوجد الأفلاطونية الحديثة واللاأدرية، وطمس معالم العقيدة المسيحية. ومن مصر أيضاً استمدت الأديرة نشأتها والصورة التي نسجت على منوالها. ومن فريجيا جاءت عبادة الأم العظمى، ومن سوريا أخذت تمثيلية بعث اوتيس. ربما كانت تراقيا هي التي بعثت للمسيحية بطقوس ديونيشس، وموت الإله ونجاته. ومن بلاد الفرس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه الأرض ألف عام، وعصور الأرض، واللهب الأخير الذي سيحرقها، وثنائية الشيطان والله والظلمة والنور. فمن عهد الإنجيل الرابع يصبح المسيح نوراً "يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه". ولقد بلغ التشابه بين الطقوس المثراسية والقربان المقدس في القداس حداً جعل الآباء المسيحيين يتهمون إبليس بأنه هو الذي ابتدعه ليضل به ضعاف العقول.

وقصارى القول أن المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم"[33].

***

إذن من العرض الموجز السابق يتبين أن الكنيسة البولسية قد استعانت بالفلسفة اليونانية عمومًا وبالأفلاطونية الحديثة خصوصًا لتبرير التثليث، ومحاولة تقديمه في صورة معقولة، ولكن هل أفلحت؟

الواضح أنها قد فشلت، وذلك باعتراف آباء الكنيسة من القرون الثلاث الأولى حتى اليوم، الذين مازالوا يؤكدون مرارًا على أن التثليث لا يمكن فهمه، لأنه فوق العقل، بل هذا قول أحد أكبر الدعاة للتثليث، وهو القديس أثناسيوس، الذي كتب عنه ول ديورانت وهو يروي قصة مجمع نيقية عام 325م:

"وقد سلم بما في تصوير أشخاص ثلاثة في صورة إله واحد من صعوبة، ولكنه قال بأن العقل يجب أن يخضع لما فيه الثالوث من خفاء وغموض"[34].

وقد لخص إرنست ويلهلم بنز[35] ومارتن إي مارتي[36] هذه المشكلة في الموسوعة البريطانية، حين كتبا:

"لقد أخذ اللاهوت المسيحي من ميتافيزيقات (ما وراء طبيعيات) الأفلاطونية الحديثة عن المادة، وكذلك من عقيدتها عن الأقانيم نقطة انطلاق لتفسير علاقة (الأب) بـ(الابن).

وهذه العملية تمثل ربطًا مباشرًا بين التفسير الافتراضي للكريستولوجي (ألوهية المسيح) وبين افتراض اللوجوس في الأفلاطونية الحديثة.

وبتحويل عقيدة الأقانيم الأفلاطونية الحديثة للتفسير المسيحي للثالوث يكمن خطر: أن المظاهر المختلفة لله -حسب الإيمان المسيحي: الأب، الابن، الروح القدس- سوف تتحول إلى هرمية متدرجة بين الآلهة، وبالتالي **تتحول للشرك**.

ورغم أن هذا الخطر قد تم تجنبه بوعي ، ورغم التأكيد التام -أثناء البناء على لاهوت الكلمة- على الوحدة التامة لجوهر المظاهر الثلاثة لله، إلا أنه قد ظهر هناك خطر الانتكاس إلى تثليث آلهة متساوية القدر، مما **يبعد فكرة وحدة الله**.

محاولات تعريف الثالوث

وبحلول القرن الثالث بدا واضحًا أن كل محاولات التوفيق بين سر الثالوث الإلهي وبين نظريات ما وراء طبيعيات أقانيم الأفلاطونية الحديثة أضحت غير مقنعة، وأدت لسلسلة من النزاعات الجديدة، كان ذروتها ما سمي بالجدال الآريوسي"[37].

---

33 قصة الحضارة ج: 11 ص: 275 و276.

34 قصة الحضارة ج:11 ص: 395.

35 أستاذ التاريخ المسيحي بجامعة فيليبس بمربرج بألمانيا.

36 الأستاذ بمدرسة الإلهيات بجامعة شيكاغو.

37 Encyclopædia Britannica, Christianity, Christian doctrine, The Holy Trinity, Attempts to define the Trinity.

وما زالت هذه المشكلة موجودة حتى اليوم رغم كل جهود الكنيسة في حض أتباعها على قبول عقيدتها في سيدنا عيسى عليه السلام، بل يتوقع آباء الكنيسة أنها ستظل قائمة على مدى الأزمان.

وأقتبس هنا مقتطفات مما كتبه القس الدكتور حنا جرجس الخضري حول تلك المشكلة، فقد كتب تحت عنوان (مشكلة حياة يسوع في القرن العشرين):

"............

وحول هذا الموضوع دار حوار حاد وجاد في سنة 1923 بين هرنك وبين كارل بارت وكانت وجهة نظر هرنك أستاذ تاريخ العقائد المشهور في ألمانيا هي أن البحث العلمي والتاريخ والنقد التاريخي هي الأدوات التي بها وعن طريقها يجب الوصول إلى تكوين عقيدة منطقية وصحيحة عن المسيح، يمكن أن يقبلها الانسان العصري ، والتي بها يجب شرح الكتاب المقدس الغامض والتمييز بين يسوع الأحلام ويسوع الحقيقة.

أما كارل بارت فقد رفض رفضا باتا فكرة هرنك، لأنه كان يؤمن بأن العلم الأكيد والصحيح لا يأتي إلا عن طريق الايمان الذي يعطيه الله نفسه".

ثم يعقب القس الدكتور حنا جرجس الخضري مؤيدًا كارل بارت:

"والله هو الذي يعلن نفسه على مر العصور بطرق مختلفة متنوعة .

فعندما يتقابل "يسوع الايمان" مع الإنسان فإن هذا الأخير (الإنسان) لا يستطيع ببحثه وتنقيبه الوصول إلى يسوع التاريخ . وهذ يذكرنا بقول القديس انسام: "**أؤمن لكي أفهم ولست أفهم لكي أؤمن**".. وأنا لا أريد أن أقول إنه لا داعي للبحث العلمي والنقد التاريخي ، ولكن ما أريد قوله هو أن المقابلة الشخصية مع الرب يسوع كالمخلص وكالمسيح بالإيمان ، هي الخطوة الأولى التي يجب على كل باحث ودارس القيام بها ، هي **قبول المسيح الذي شهدت له الكتب المقدسة الصادقة** ، قبل البحث عن الأدلة التاريخية سلبية كانت أم إيجابية عن وجوده.

....

فمسيح الايمان **كان وما يزال وسيظل حجر عثرة أمام الأجيال وأمام الشعوب على مر العصور في كل مكان**"[38].

***

- تساؤل وتعليق:

وأنا تعقيبًا على ما كتبه القس الدكتور حنا جرجس الخضري أتساءل عما دعا له، وأعلق على نقله عن هرنك.

- فأما تساؤلي عما دعا له القس الدكتور الخضري:

والنص الأصلي هو:

"Christian theology took the Neoplatonic metaphysics of substance as well as its doctrine of hypostases as the departure point for interpreting the relationship of the "Father" to the "Son." This process stands in direct relationship with a speculative interpretation of Christology in connection with Neoplatonic Logos speculation.
In transferring the Neoplatonic hypostases doctrine to the Christian interpretation of the Trinity there existed the danger that the different manifestations of God—as known by the Christian experience of faith: Father, Son, Holy Spirit—would be transformed into a hierarchy of gods graduated among themselves and thus into a polytheism.
Though this danger was consciously avoided and, proceeding from a Logos Christology, the complete sameness of essence of the three manifestations of God was emphasized, there arose the danger of a relapse into a triplicity of equally ranked gods, which would displace the idea of the oneness of God.

Attempts to define the Trinity

By the 3rd century it was already apparent that all attempts to systematize the mystery of the divine Trinity with the theories of Neoplatonic hypostases metaphysics were unsatisfying and led to a series of new conflicts. The high point of these conflicts was the so-called Arian controversy".

38 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 2 ف: 1 ص: 159 إلى 164.

- فمن الواضح أن الدكتور القس الخضري يدعونا لقبول "المسيح الذي شهدت له الكتب المقدسة الصادقة". فما حل معضلة: أن هذه الكتب يستحيل إثبات صدقها؟ بل على العكس ثبت -بشهادة آباء الكنيسة والفاتيكان نفسه- أنها قد تم التلاعب فيها.

- وثانيًا: لماذا يظل ما يسميه الدكتور القس الخضري (مسيح الإيمان) "حجر عثرة أمام الأجيال وأمام الشعوب على مر العصور في كل مكان"؟.

هل يتعبدنا الله -سبحانه وتعالى- بالمعضلات والمشكلات وأحجار العثرة؟ أم يهدينا بالإيمان الذي أنزله برهانًا على الحق؟

لقد علمنا القرآن الكريم أن الله سبحانه أنزل لنا برهانًا ونورًا مبينًا، أي حجة قاطعة واضحة منيرة، ولم ينزل لنا مشكلات ومعضلات وأحجار عثرة، فقال عز من قائل:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[39].

وكتب الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- في تفسير هذه الآية كلامًا نفيسًا:

"أَيْ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ قِبَلِ رَبِّكُمْ، بِفَضْلِهِ وَعِنَايَتِهِ بِتَرْبِيَتِكُمْ وَتَزْكِيَةِ نُفُوسِكُمْ، بُرْهَانٌ عَظِيمٌ أَوْ جَلِيٌّ يُبَيِّنُ لَكُمْ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَجَمِيعَ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ، مُؤَيِّدًا لَكُمْ ذَلِكَ بِالدَّلَائِلِ وَالْبَيِّنَاتِ وَالْحِكَمِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ الْأُمِّيُّ، الَّذِي يَظْهَرُ لِكُلِّ مَنْ عَرَفَ سِيرَتَهُ فِي نَشْأَتِهِ، وَتَرْبِيَتَهُ وَحَالَهُ فِي بَعْثَتِهِ، وَسُنَّتَهُ، أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ بُرْهَانٌ عَلَى حَقِيقَةِ مَا جَاءَ بِهِ: أُمِّيٌّ لَمْ يَتَعَلَّمْ شَيْئًا مِنَ الْكُتُبِ قَطُّ، وَلَمْ يُعْنَ فِي طُفُولِيَّتِهِ، وَلَا فِي شَبَابِهِ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ يُسَمَّى عِلْمًا عِنْدَ قَوْمِهِ الْأُمِّيِّينَ ;كَالشِّعْرِ وَالنَّسَبِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ، قَامَ فِي كُهُولَتِهِ يُعَلِّمُ الْأُمِّيِّينَ وَالْمُتَعَلِّمِينَ حَقَائِقَ الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ، وَصِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَمَا يَجِبُ لِتِلْكَ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ، وَمَا تَتَزَكَّى بِهِ النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ، وَتَصْلُحُ بِهِ الْحَيَاةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ، وَيَكْشِفُ مَا اشْتَبَهَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ أُصُولِ دِينِهِمْ، وَمَا اضْطَرَبَ فِيهِ نُظَّارُ الْفَلْسَفَةِ الْعُلْيَا مِنْ مَسَائِلِ فَلْسَفَتِهِمْ، وَيَرْفَعُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ عَلَى أَسَاسِ الْحُجَجِ الْكَوْنِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَيَسْلُكُ هَذَا الْمَسْلَكَ فِي بَيَانِ الشَّرَائِعِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالْحِكْمَةِ الْأَدَبِيَّةِ، وَالسِّيَاسَةِ الْحَرْبِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى طَرِيقِ الْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، فَلَا غَرْوَ أَنْ يُسَمَّى هُوَ نَفْسُهُ بُرْهَانًا.

وَهُوَ بُرْهَانٌ بِسِيرَتِهِ الْعَمَلِيَّةِ، كَمَا أَنَّهُ بُرْهَانٌ فِي دَعْوَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ"[40].

- وأما تعليقي على ما نقله القس الدكتور الخضري عن أدولف هرنك فهو:

أن أمل هرنك ومن وافقه -من إمكان إعادة استعادة المسيحية الأصلية عبر الدراسة التاريخية والنقد التاريخي- غير ممكن، صحيح أنهم قد يستطيعون إبطال تحريفات وإضافات وزيوف كثيرة، مثل ما وصل له هرنك من أن العقيدة الكنسية الحالية هي ثمرة هلننة رسالة المسيح عليه السلام، كما نقلت عنه سابقًا، ومثل ما نقله الدكتور أحمد شلبي عن كتاب هرنك (What is Christianity) ص: 126 وهو يتحدث عن سيدنا عيسى عليه السلام:

"ووصف المسيح إله السماء والأرض بأنه إلهه وأبوه وبأنه الأعظم والإله الواحد، وأن المسيح يعتمد عليه في كل شيء ، وأن خضوعه له تام ، ويُدْخِل عيسى نفسه ضمن الناس معلنا أنه من طبيعة البشر التي تختلف عن طبيعة الله"[41].

وينقل عنه أيضًا من نفس الكتاب ص: 160:

أن تعدد الآلهة هو: "من عمل أتباع المسيح وهو بعيد كل البعد عن عمل المسيح وقوله"[42].

وهذه إنجازات عظيمة لا شك، ولكنهم لن يستطيعوا استعادة الدين الحقيقي الذي أنزل على سيدنا عيسى عليه السلام، لسبب بسيط وجوهري هو أن هذا الدين قد أتلفت أجزاء كبيرة -إن لم تكن الأكبر- من أصوله، وأبيدت وأحرقت وحجبت، وتم فيها كل أنواع التلاعب والتزييف، كما سيتبين إن شاء الله.

---

39 سورة النساء، آية: 174.

40 تفسير المنار ج: 6 ص: 98 و99.

41 المسيحية لأحمد شلبي ص: 154.

42 المسيحية لأحمد شلبي ص: 154.

أضف لذلك أن الدين الحقيقي والخلاص والنجاة والخروج من الحيرة والشك والضلال لا يمكن إلا بالوحي المنزل من المولى سبحانه وتعالى، والوحي الوحيد المحفوظ المعجز المنزل من رب العالمين هو القرآن الكريم.

قال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[43].

***

إذن الكنيسة أخذت من الأفلاطونية الحديثة التثليث، وركبته على الآب والابن والروح القدس، **ولكنها لم تأخذ منها خضوع العقل والنفس (الأقنومين الثاني والثالث) للواحد (الأقنوم الأول)**، وعدت هذه العقيدة -عقيدة (التابعية)- هرطقة وكفرًا، وعدت من يقول بها من أمثال أوريجان تلميذ -أمونيوس ساكاس وأفلوطين- مهرطقًا.

أي أنها أخذت ما أرادت، وتركت ما يخالفها، ثم أضافت لما أخذت عنصرين خطيرين:

الأول: التجسد من الديانات الوثنية.

والثاني: الفداء والصلب البولسي أيضًا من الوثنيات.

وسمت كل هذا الخليط الذي لا دليل عليه حتى في النص المحرف الذي يقدسونه، سمت ذلك (عقيدة الكنيسة المستقيمة الرأي)، وعدت كل ما عداها هرطقة، ثم هذه (الكنيسة المستقيمة الرأي) ما لبثت أن انشقت على نفسها، ولعنت بعضها بعضًا.

وصدق الله العظيم:

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[44].

***

والأفلاطونية الحديثة قد رد عليها علماء الإسلام، وذكر ذلك يخرج عن مقصود هذا المبحث[45].

---

43 سورة الأنعام، آية: 91 و92.

44 سورة المائدة، آية: 25.

45 رد علماء الإسلام على الأفلاطونية الحديثة وعلى الفلاسفة عمومًا، ومن أشهر من رد عليهم الإمامان الغزالي وابن تيمية رحمهما الله.

1- راجع لرد الإمام الغزالي -رحمه الله- على الفلاسفة في مسألة أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد: تهافت الفلاسفة ص: 143 وما بعدها.

وتجد تلخيصًا له في: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ص: 51 و52 و92.

2- ومثال على رد المتكلمين: غاية المرام في علم الكلام للآمدي- الْقَاعِدَة الأولى: فِي أَنه لَا خَالق الا الله تَعَالَى ص: 203 إلى 205.

3- أما ابن تيمية -رحمه الله- فقد رد عليهم ردًا سلفيًا عقليًا، اقتحم به حصونهم، وقلب أوضاعهم، وكشف تمويههم، واجتث شبهاتهم من جذورها، فلله دره من عالم مجاهد ومجاهد عالم، رحمه الله رحمة واسعة، وتجد ردوده عليهم وعلى النصارى منتشرة في كتبه ورسائله: الجواب الصحيح، درء تعارض العقل والنقل، تفسير سورة الإخلاص، منهاج السنة، والإيمان الأوسط، وغيرها.

وتجد تجميعًا وتلخيصًا مفيدًا لأقواله في:

-كتابا للعلامة محمد خليل هراس رحمه الله:

= دعوة التوحيد ص: 229 و230.

= باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص: 157 إلى 159.

- ابن تيمية للشيخ أبي الحسن الندوي -رحمه الله- ص: 206 إلى 208.

-كتابا الدكتور مصطفى حلمي:

= الإسلام والمذاهب الفلسفية نحو منهج لدراسة الفلسفة ص: 172 إلى 176.

= معرفة الله عز وجل وطريق الوصول إليه عند ابن تيمية ص: 93 إلى 96.

- موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها للدكتور صالح بن غرم الله الغامدي ص: 366 إلى 377.

- ابن تيمية وموقفه من اهم الفرق والديانات في عصره للدكتور محمد حربي.

- مقارنة بين الغزالي وابن تيمية للدكتور محمد رشاد سالم ص: 80 إلى 82.

ولكني أود هنا -بإيجاز- أن أبين التناقض الواضح البين بين تلك العقيدة وأصولها عند أفلاطون وأرسطو وبين عقيدة الإسلام، ثم أثر ذلك في الفساد السياسي الذي نشأ عن تلك العقيدة، ألا وهو العلمانية الغربية.

أما عن التناقض بين تلك التصورات وعقيدة الإسلام، فينشأ أساسًا من تصورهم عن الله سبحانه وتعالى.

كتب العلامة محمد خليل هراس رحمه الله- عن الفلاسفة أصحاب ما يسمى بـ(الفلسفة الإسلامية):

"هم فرقة نظرت في كتب فلاسفة اليونان كارسطو وأفلاطون وأفلوطين الإسكندري فآمنوا بما فيها من خزعبلات[46] ظنا منهم أن هؤلاء الفلاسفة لا يخطئون لأنهم يجرون في بحثهم على مقتضى البرهان.

.....

وقد انبرى كثير من العلماء للرد عليهم، والكشف عن تلبيساتهم لا سيما الغزالي في كتابه (تهافت الفلاسفة) وشيخ الإسلام (ابن تيمية) في (منهاج السنة) و (الموافقة بين المعقول والمنقول).

والفلسفة الإلهية لهؤلاء تقوم على أن أخص خصائص الألوهية هو وجوب الوجود بالذات، ولهذا يهتمون بإثبات أن لا واجب وجود إلا الله، وواجب الوجود عندهم لا بد أن يكون واحداً بسيطاً لا تكثر فيه لا ذهناً ولا خارجاً ولهذا نفوا كالمعتزلة جميع الصفات الوجودية ولم يثبتوا إلا سلوباً وإضافات. بل إن كلامهم في هذا الباب ينتهي كما يقول ابن تيمية رحمه الله - إلى إثبات وجود مطلق لا تعين فيه ومعلوم أن الوجود المطلق لا وجود له في الأعيان، بل في الأذهان ومعنى هذا أن كلامهم يؤول إلى نفي وجود الواجب وجعله أمراً تقديرياً صرفاً

....

وهم من جهة أخرى لا يقرون بتوحيد الربوبية الذي كان يقر به المشركون

فإن الله عندهم ليس خالقاً للعالم ولا مدبراً له بل ولا يعلم ما يجري فيه من حركات وأحداث، وإنما ينسبون الخلق والتدبير إلى ما يسمونه (العقل الفعال) أو عقل القمر ، فأثبتوا واسطة في الخلق، كالتي أثبتها المسيحيون، والصابئة والديانات الشركية الوثنية"[47].

وعن التباين بين التصور الإسلامي المنزل من رب العالمين وبين التصور الفلسفي البشري كتب الأستاذ الشهيد - كما نحسبه- سيد قطب رحمه الله:

"الإيجابية ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

والخاصية الخامسة البارزة في التصور الإسلامي هي ... الإيجابية ... الإيجابية الفاعلة في علاقة الله سبحانه بالكون والحياة والإنسان، والإيجابية الفاعلة كذلك من ناحية الإنسان ذاته، في حدود المجال الإنساني ... كما أشرنا إلى ذلك من قبل إشارات مجملة ...

إن الصفات الإلهية في التصور الإسلامي ليست صفات سلبية، والكمال الإلهي ليس في الصورة السلبية التي جالت في تصور أرسطو، وليست مقصورة على بعض جوانب الخلق والتدبير كما تصور الفرس في صفات "هرمز" إله النور والخير واختصاصاته وصفات "أهرمان" إله الظلام والشر واختصاصاته، وليست محدودة بدرجة من درجات الخلق كتصور أفلوطين، وليست محدودة بحدود شعب كتصورات بني إسرائيل، وليست مختلطة أو متلبسة بإرادة كينونة أخرى، كبعض تصورات الفرق المسيحية، وليست معدومة على الإطلاق، كما تقول المذاهب المادية، التي تنفي وجود الإله الحي المريد ... إلى آخر هذا الركام ...

---

46 قرأت مقالًا في منتدى الألوكة جاء فيه:

"ويقول ول ديورانت في كتابه (قصة الفلسفة) عن فلكيات ارسطو "ان علم الفلك الذي وضعه ارسطو ليس سوى سلسلة من الحكايات المضحكة " (ص75، مكتبة المعارف، بيروت، 1988، ط6)". [أرشيف منتدى الألوكة 2- انهيار شرفات الاستشراق، نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية].

وفي الحقيقة إن الذي يقرأ ما توصل له أرسطو عن العقول، التي انبثقت من الإله الواحد، وشكلت الأفلاك، من يقرأ هذه الخرافات ويقارن بينها وبين ما يدرسه اليوم تلاميذ المدارس الابتدائية والمتوسطة عن مبادئ الفلك، يدرك أن هذه الخرافات لا مكان لها اليوم إلا في متاحف الحفريات أو في مصحات الأمراض العقلية.

وللأسف إن هذه الخرافات ما زالت تدرس للآن في بعض المناهج الإسلامية تحت اسم الحكمة والعلوم العقلية.

47 دعوة التوحيد ص: 229 و230.

ولعله يحسن قبل أن نعرض التصور الإسلامي الواضح الصريح المريح، أن نثبت مجملاً سريعاً لهذه التصورات التي أشرنا إليها، أو لهذا الركام، الذي أشرنا إلى شيء منه في أوائل هذا الكتاب وفي ثناياه ...

"مذهب أرسطو في الإله أنه كائن أزلي أبدي، مطلق الكمال، لا أول له ولا آخر، ولا عمل له ولا إرادة! مذ كان العمل طلباً لشيء، والله غني عن كل طلب، وقد كانت الإرادة اختياراً بين أمرين، والله قد اجتمع عنده الأصلح الأفضل من كل كمال، فلا حاجة إلى الاختيار بين صالح وغير صالح، ولا بين فاضل ومفضول، وليس مما يناسب الإله - في رأي أرسطو - أن يبتدئ العمل في زمان، لأنه أبدي سرمدي، لا يطرأ عليه طارئ يدعوه إلى العمل، ولا يستجد عليه من جديد في وجوده المطلق بلا أول ولا آخر، ولا جديد ولا قديم، وكل ما يناسب كماله فهو السعادة بنعمة بقائه، التي لا بغية وراءها، ولا نعمة فوقها ولا دونها، ولا تخرج من نطاقها عناية تعنيه!

فالإله الكامل المطلق الكمال، لا يعنيه أن يخلق العالم، أو يخلق مادته الأولى - وهي الهيولي - ولكن هذه "الهيولي" قابلة للوجود، يخرجها من القوة إلى الفعل شوقها إلى الوجود، الذي يفيض عليها من قبل الإله، فيدفعها هذا الشوق إلى الوجود، ثم يدفعها من النقص إلى الكمال المستطاع في حدودها، فتتحرك وتعمل، بما فيها من الشوق والقابلية، ولا يقال عنها: إنها من خلقة الله، إلا أن تكون الخلقة على هذا الاعتبار".

....

أما "أفلوطين" الذي عاش في السنوات الأولى من القرن الثالث للميلاد ... فإنه يغلو فيما يراه تنزيها لإلهه الأحد، حتى يتجاوز كل معقول، فإذا كان أرسطو يرى أن من كمال إلهه ألا يشعر بغير ذاته، وألا يفكر إلا في ذاته لا يفكر إلا في أشرف الموجودات، وذاته هي أشرف الموجودات، وأنه لا يعلم الموجودات لأنها أقل من أن يعلمها ... إذا كان تنزيه أرسطو لإلهه وقف به عند هذا الحد، فإن أفلوطين راح يزعم أن من كمال إلهه الأحد أنه لا يشعر بذاته كذلك! لأنه يتنزه عن ذلك الشعور!

"وبديه أن المذهب يقتضي وسائط متعددة لربط الصلة بين هذا الإله "الأحد" المطلق الصفاء، وبين المخلوقات العلوية، وهذه المخلوقات السفلية، ولا سيما خلائق الحيوان المركب في الأجساد.

وهكذا لزم أفلوطين أن يقول: إن الواحد خلق العقل، وإن العقل خلق الروح، وإن الروح خلقت ما دونها من الموجودات، على الترتيب الذي ينحدر طوراً دون طور، إلى عالم الهيولي، أو علم المادة والفساد! ".

ومن ثم ينحصر اختصاص الإله - عند أفلوطين - في خلق العقل ... ثم تنتهي مهمته عند ذاك!

....

والآن ننتقل من هذا الركام المتناثر إلى التصور الإسلامي المستقيم الواضح المريح:

إن الإنسان - في التصور الإسلامي - يتعامل مع إله موجود، خالق، مريد، مدبر، مهيمن، قادر، فعال لما يريد ... كامل الإيجابية والفاعلية ... إليه يرجع الأمر كله، وإلى إرادته يرجع خلق هذا الكون ابتداء، وكل انبثاقة فيه بعد ذلك، وكل حركة، وكل تغير وكل تطور، ولا يتم في هذا الكون شيء إلا بإرادته وعلمه وتقديره وتدبيره، وهو سبحانه مباشر بإرادته وعلمه وتدبيره لكل عبد من عباده، في كل حال من أحواله ولكل حي ولكل شيء وفي هذا الوجود كذلك.

ويحفل القرآن الكريم بتقرير هذه الحقيقة الأساسية الكبيرة في التصور الإسلامي، بكل صورها وأشكالها، ويهتم بعرض مظاهرها في كل جانب من جوانب الكون، وفي كل صورة من صورها المتجددة التي لا تحصى ...

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: 44].

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 26،27].

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18].

....

وتصور الإنسان لإلهه، وتعلق صفاته بالحياة الإنسانية، هو الذي يحدد قيمة هذا الإله في نفسه، كما يحدد نوع استجابته لهذا الإله!

وفرق كبير بين الإنسان الذي يتصور أن إلهه لا يحفل به، ولا يحس بوجوده - أو لا يعلم بوجوده أصلاً كما يقول بعض الفلاسفة! - والإنسان الذي يحس ويعلم أن الله هو خالقه ورازقه، ومالك أمره كله في الدنيا والآخرة"[48].

ويضيف الأستاذ سيد قطب رحمه الله وهو يكتب عن خاصية (الواقعية) في التصور الإسلامي:

"وهكذا يتعامل التصور الإسلامي مع إله "موجود"، يدل خلقه على وجوده، "مريد"، "فعال لما يريد" تدل حركة هذا الكون وما يجري فيه على إرادته وقدرته.

ومن ثم يفترق تصور الإله في الإسلام افتراقاً رئيسياً عنه في تصورات أفلاطون وأرسطو وأفلوطين، حيث تتعامل تصوراتهم مع إله "مثالي" يفرضون هم عليه "مثالية" من صنع عقولهم، ومن تصورات أحلامهم، وهو إله لا إرادة له ولا عمل، لأن هذا من مقتضى كماله أو مثاليته! ثم يضطرهم هذا الافتراض إلى افتراض وسائط شتى بين الإله والخلائق، وإلى تصورات وثنية وأسطورية كالتي كانت سائدة في الوثنية الإغريقية"[49].

***

وإذا كان هذا هو انحراف الفلسفة اليونانية أستاذة التثليث البولسي، فماذا كانت آثاره، أكتفي في هذا المقام بذكر واحدة من أهم تلك الآثار، مؤجلًا التفصيل للحديث عن التطور التاريخي للدولة الوطنية إن شاء الله.

كانت العلمانية واحدة من أهم تلك الأثار التي أنتجتها هذه العقائد، العقائد التي تجعل الذات الإلهية كيانًا سلبيًا لا شأن له بالعالم.

فالعلمانية يمكن تقسيمها لنوعين من الإلحاد:

إلحاد نفي: وأصحابه ينكرون وجود الباري سبحانه أصلًا.

وإلحاد تعطيل: وأصحابه يقرون بوجود إله للكون، ولكنه لا يتدخل في ذلك الكون. أي أنه سبحانه -في عقيدتهم المعطلة- له الخلق وليس له الأمر، والقرآن يعلمنا أن الله سبحانه وتعالى له الخلق والأمر: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا **لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[50].

واستند هذا التصور لآراء أرسطو القائلة بأن الله -سبحانه وتعالى- عنايته موقوفة على ذاته، ولا يتدخل في الأحداث الجزئية بل ولا يعلم بها.

ويتناقض هذا التصور، الذي يبرر التفلت من الوحي الإلهي والشرائع الربانية مع العقيدة الإسلامية الصريحة الناصعة، التي يقتنع بها العقل، ويطمئن لها القلب؛ ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾[51]، وقال عز من قائل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[52].

ويتوافق مع هذا الشرك اليوناني الفلسفي احتقار بولس للشريعة -مقتفيًا آثار فيلون اليهودي قبله- وسعيه في إبطالها، وجعل نفسه المشرع المحلل لما يشاء، كما نسبوا له:

في رسالته الأولى لأهل كورنثوس:

---

48 خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ص: 151 إلى 155.

49 خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ص: 172.

50 سورة الأعراف، آية: 54.

51 سورة آل عمران، آية: 154.

52 سورة الأنعام، آية: 162 و163.

"10: 23 "كل الأشياء تحل لي"، لكن ليس كل الأشياء توافق. "كل الأشياء تحل لي"، ولكن ليس كل الأشياء تبني"[53].

ولم تكتف الكنيسة بإبطال الشريعة الموسوية، بل زعمت أنها معصومة، وأنها وارثة سلطان المسيح على الأرض، وأنها أعطيت مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولًا في السماوات[54].

ولأنها معصومة فلم تكتف بإبطال شريعة موسى عليه السلام، بل اخترعت لنفسها شريعة جديدة.

وبهذا مهدت الكنيسة للعلمانية ودفعت الشعوب لها دفعًا.

مهدت للعلمانية فلسفيًا بتبنيها للأفلاطونية الحديثة، التي تتصور الإله منشغلًا بنفسه، لا شأن له بالدنيا.

ودفعت الشعوب لها دفعًا بفسادها وإفسادها الذي تعدى الحدود، فكان شعار الثورة الفرنسية: (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس).

ولذا إذا كان أفلوطين يقول: إن العقل الفعال قد (انبثق) من الواحد، وإذا كانت الكنيسة تقول: إن الابن قد انبثق من الأب، فمن حق كل منصف أن يقول: **إن الفساد السياسي قد (انبثق) من الانحراف العقدي**.

ولنستمر في مسيرتنا في تتبع الفساد السياسي.

***

53 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 10: 23 ص: 136.

54 راجع إنجيل متى: 16: 19.

النقطة الثالثة: الخلاف في الشرائع

ذكرت سابقًا في مبحث (الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس) خلافات بولس مع معاصريه من تلاميذ المسيح وغيرهم حول العقائد والشعائر التي أدخلها للمسيحية، وأجملت في المبحث السابق (الخلاف في العقائد) خلافاته العقائدية، وأود أن أوجز في هذا المبحث خلافاته مع أتباع المسيح -عليه السلام- المتمسكين بدينه حول الشعائر، وقد ذكرت بعض تلك الخلافات فيما مضى، ولكني أود هنا أن ألم بها مجمعة موجزة مستعينًا بالله.

وأتناول هذا الأمر تحت العناوين التالية:

1- تمهيد

2- تحليل كل الأشياء، بما فيها ذبائح الأصنام

3- مقاومة الختان

4- القربان المقدس

5- الأعياد

6- التبشير بين الأمم

***

1- تمهيد

يعد بولس باتفاق الباحثين أهم شخصية في النصرانية، بل إن النصرانية الحالية هي نصرانية بولس، وليست نصرانية المسيح عليه السلام، وقد لحقت ببولس -فيما يخص تبديله لشرائع التوراة والمسيح- عدة صفات خطيرة، أشير لأمثلة منها تحت العناوين التالية:

أ- بولس والبرهان المفقود: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

ب- الوعيد لبولس وأتباعه في العهد القديم

ج- الوعيد لبولس في العهد الجديد

د- بولس والتلون والمكر والكذب

هـ- بولس وأتباعه كذبوا على المسيح عليه السلام.

***

أ- بولس والبرهان المفقود: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

يتعب المسيحيون أنفسهم في تتبع كل حرف من كلمات بولس.

وأنا أتساءل ما هي حجية ما تسمى بـ(رسائل بولس)، هل يمكن القطع بيقين أنها لبولس؟

ثم إذا كانت لبولس، فما هي حجية كلام بولس؟

رجل زعم أنه رأى المسيح -عليه السلام- بعد رفعه، ثم اختلف اختلافًا شديدًا مع أصحاب المسيح عليه السلام، بل سبهم سبًا بذيئًا، ووصفهم بصفات دنيئة: (يتكلمون بالباطل، يخدعون العقول، يجب سد أفواههم، ماكرون، مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح، كذبة، كالحيات، يفسدون الأذهان، متمردون، متكلمون بالباطل، خادعون للعقول، أصحاب خرافات يهودية، مرتدون، بالأعمال ينكرون الله، رجسون غير طائعين، من جهة كل عمل صالح مرفوضون...إلخ).

ويصف المتمسكين بالختان ومنهم المسيح -عليه السلام- ورسله: (الكلاب، فعلة الشر، القَطع).

كما ذكرت من قبل[2].

فما هي حجية كلام ذلك الرجل؟

ثم أسأل سؤالاً آخر: من هو بولس؟ من أبوه؟ من قومه؟ ما هي سيرته في شبابه وصباه؟ هل هو يهودي أم يوناني كما ذكر الأبيونيون؟

ثم إذا كان بولس يهوديًا، فهل هو فريسي أو صدوقي؟ وإذا كان فريسيًا فلماذا عمل تحت رئاسة الكاهن الأكبر الصدوقي؟

لا نجد عنه من أخبار إلا ما نسبه له النصارى في رسائله، أو ما حكاه عنه كاتب -أو كتبة- أعمال الرسل، وقد بينت من قبل بدلائل عديدة منها أقوال آباء الكنيسة أنفسهم:

1- التناقضات بين سفر أعمال الرسل ورسائل بولس.

2- عدم صلاحية الاعتداد بسفر أعمال الرسل كوثيقة تاريخية.

ثم ما دليله على كل مزاعمه؟ وهل من دليل غير ما نسب له من أقوال؟ أو بالأحرى هل من دليل على صحة ما نسب له من أقوال؟

عشرات الأسئلة لا تجيب عنها الكنيسة، التي اختارت رسائل بولس من بين مئات النصوص، وفرضتها مع ما اختارته، في صمت وسرية ودون إبداء الأسباب، كما سيأتي إن شاء الله.

وسنرى إن شاء الله-كيف أن أفكار بولس وضعت البذرة، التي طورتها الكنيسة في مسيرة الفساد السياسي في تاريخ البشرية. وهو ما شكل مرحلة من مراحل تلك المسيرة، التي أدت لما يسمى بالدولة الوطنية الحديثة.

***

---

1 سورة البقرة، آية: 111.

2 عند بحث: [د] ظهور بولس ودوره في مشاقة الكنيسة المُوَحِدة... {3} خلاف بولس مع تلاميذ المسيح... و{5} تهجم بولس على خصومه في العديد من الكنائس.

ب- الوعيد لبولس وأتباعه في العهد القديم

جاء في العهد القديم، الذي يقدسه النصارى، أن من لا يختتن ناكث لعهد الرب ويقطع من شعبه.

جاء في سفر التكوين:

"17: 12 ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم: وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك.

17: 13 يختن ختانًا وليد بيتك والمبتاع بفضتك، فيكون عهدي في لحمكم عهدًا أبديًا.

17: 14 وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي"[1].

فبولس -حسب كتابهم الذي يقدسونه- داع لنكث عهد الرب، وأتباعه ناكثون لعهد الرب.

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 17: 12 إلى 14 ص: 10.

ج- الوعيد لبولس في العهد الجديد.

جاء في العهد الجديد أن المسيح -عليه السلام- حكم على من ينقض وصية من وصايا الناموس، بأنه يدعى (أصغر أو صغيرًا) في ملكوت السموات، وبولس نقض كل الوصايا، والعجيب أن **اسمه (بولس) ومعناه (صغير)**.

جاء في دائرة المعارف الكتابية:

"و " بولس " هو الاسم الروماني ، ومعناه " صغير أو قليل "[1].

جاء في إنجيل متى في ترجمة هيلي سميث وفان ديك:

"5: 18 فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.

5: 19 فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلَّم الناس هكذا، **يُدعى أصغر** في ملكوت السماوات وأما من عمل وعلَّم، فهذا يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات"[2].

وفي النسخة الأمريكية القياسية (1901) (American Standard Version- 1901) جاءت ترجمة النص:

"سوف **يدعى أصغر**"[3].

أما في النسخة اليسوعية فجاء النص فيها:

"5: 18: الحق أقول لكم: لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتى يتم كل شيء، أو تزول السماء والأرض.

5: 19: فمن خالف وصية من أصغر تلك الوصايا وعلَّم الناس أن يفعلوا مثلَه، **عُدَّ الصغيرَ** في ملكوت السموات. وأما الذي يعمل بها ويُعَلِّمُها فذاك يُعَدُّ كبيرًا في ملكوت السموات"[4].

ولعل اليسوعيين استخدموا كلمة (عُدَّ) بدلًا من (يُدعى) لمحاولة صرف النظر عن قديسهم، الذي يدعى بولس، ولكن الوعيد -حسب الكتاب الذي يقدسونه- لاحق به في الحالين.

***

---

1 دائرة المعارف الكتابية- حرف الباء- بولس الرسول ج: 2 ص: 235.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 5: 18 و19 ص: 3.

3 النص الأصلي هو:

"18 For verily I say unto you, Till heaven and earth pass away, one jot or one tittle shall in no wise pass away from the law, till all things be accomplished.

19 Whosoever therefore shall break one of these least commandments, and shall teach men so, shall be called least in the kingdom of heaven: but whosoever shall do and teach them, he shall be called great in the kingdom of heaven".

4 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل متى: 17: 18 و19 ص: 48.

د- بولس والتلون والمكر والكذب

فأما عن تلونه فجاء في رسالته الأولى لأهل كورنثوس:

"9: 18 فما هو أجري؟ إذ وأنا أبشر أجعل إنجيل المسيح بلا نفقة، حتى لم أستعمل سلطاني في الإنجيل.

9: 19 فإني إذ كنت حرًا من الجميع، استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين.

9: 20 فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس.

9: 21 وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس - مع أني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس للمسيح - لأربح الذين بلا ناموس"[1].

وأما عن مكره فقد نسب له النصارى في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس:

"12: 16 فيلكن. أنا لم أثقل عليكم، لكن إذ كنت محتالًا أخذتكم بمكر"[2].

وأما عن كذبه فنسب له النصارى قوله في رسالته لأهل رومية:

"3: 7 فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده، فلماذا أدان أنا بعد كخاطئ؟"[3].

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 9: 18 إلى 21 ص: 135.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: 12: 16 ص: 148.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: 3: 7 ص: 121.

هـ- بولس وأتباعه كذبوا على المسيح عليه السلام.

ذكرت من قبل أمثلة عديدة تبين أن سيدنا عيسى -عليه السلام- وتلاميذه كانوا على التوحيد، وكانوا يلتزمون الشرائع الموسوية[1].

وفي أكثر من موضع في الكتاب المقدس لدى النصارى يأمر المسيح -عليه السلام- باتباع الناموس وكتب الأنبياء، بل أمرهم باتباع الكتبة والفريسيين في كل ما يأمرونهم بحفظه، ولكن لا يقتدون بهم في أعمالهم. كما ذكر كاتب -أو كُتَّاب- سفر أعمال الرسول عن استفانوس الحواري أنه وبخ أحبار اليهود بأنهم أخذوا الناموس ولم يحفظوه:

"7: 53 الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه"[2].

أي أن أتباع المسيح الأوائل كانوا يعظمون الناموس، قبل أن يخرج لهم بولس، باعتراف كاتب أعمال الرسل، الذي يقال إنه من حزب بولس.

وقد نقلت قبلًا عن رجال الدين النصارى وكتابهم ما يؤيد ذلك، مما يغني عن تكراره.

فكيف يستقيم أن يدعو المسيح –عليه السلام- أتباعه وحوارييه -رضي الله عنهم- ومن يدعوهم لاتباع الناموس، ثم يأتي شخص بعد انتقال المسيح –عليه السلام- للرفيق الأعلى، ويزعم أن المسيح أوحى له أن ينقض الناموس، إن كان ما يدعو له بولس من نقض الناموس حقًا، فقد كان واجبًا على المسيح عليه السلام- أن يبلغ حوارييه –رضي الله عنهم- بذلك في حياته.

زد على ذلك؛ أن هذا الشخص لم يأت ببرهان ولا دليل ولا شاهد على صدق ما يدعيه ويزعمه!!!

وتأكيدًا لهذا كتب جنبيير[3] عن سيدنا عيسى عليه السلام:

" ويجب علينا أن لا ننسى أنه لم يؤسس شيئا : لم يأت بدين جديد ، ولا حتى بأي من طقوس العبادة جديد . لم يأت إلا بتصور شخصي فريد للتقوى في اطار الديانة اليهودية ، تلك الديانة التي لم يزعم قط أنه يبغي التغيير من معتقداتها أو من شرعها وشعائرها.

....

أما أن تنسب اليه إرادة تأسيس كنيسة ... كنيسة تكون كنيسته هو ... كنيسة تختص بالعبادات والطقوس التي يعينها لها والتي يظهر فيها رضاه عنها ... كنيسة يمهد لها فتح الأرض جميعا ... فهذا قول لا يقره واقع الأحداث ، ولا صريح التسلسل التاريخي .

ولن نتعدى الحق إن أضفنا : إن كل ذلك لا يمكن اعتباره الا تحريفا لفكرته ، وأنه لم يكن ليرضى عنه قط لو نمى إلى علمه منه شيء"[4].

وكتب أيضًا عن تسرب الوثنية للعبادات المسيحية منذ عهد بولس:

"وهناك عامل آخر يجب البحث عنه في تأثير البيئة اليونانية الرومانية على المسيحية الاولى ؛ وهو تأثير نزع الى ادخال الطقوس الوثنية ، بعضها أو جميعها ، في عبادة كلها " روح وحق " بعد أن هجر أصحابها المعابد اليهودية . ونمت الشعائر في المسيحية بالتوازي مع العقيدة وبنفس الاساليب ؛ فبدأت بتلك العادات الاولى المبسطة الوافدة من اليهودية : التعميد ، كسرة الخبز ، وضع الأيدي على الرأس ، الصلاة ، الصيام ؛ وحملت هذه العادات معان لم تنفك تزداد عمقا و " سرية " ، ونميت وأضيفت اليها حركات شائعة عند الوثنيين ، ثم قرنت بالمفاهيم المتسعة الابعاد التي كانت تدخل مثلا في طقوس " الاسرار " اليونانية والشرقية.

.....

---

1 راجع: النقطة الثانية: الخلاف في العقائد: 1- تمهيد: المسيح -عليه السلام- كان على التوحيد، و2- بقايا التوحيد في الكتاب الذي يقدسه النصارى.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 7: 53 ص: 99.

3 أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس.

4 المسيحية نشأتها وتطورها ص: 48 و49.

وبدأ هذا التفاعل منذ انتقال ايمان الحواريين من فلسطين الى العالم اليوناني ، وقد لاقيناه وهو في طور متقدم لدى بولس وأتباعه"[5].

وكتب الأستاذ أكْرَم حَسَن مُرْسِي المهتدي للإسلام من النصرانية:

"فهَذَا بُولُس رسول النصرانية حَرَّمَ عَلَيْهِم مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُم فِي رَسَائِلِهِ مِنْ أَحْكَامٍ وَتَعَالِيمَ وَعَقَائِدَ .. وَظَلَّ يَنْقُض الشَّرِيعَةَ بِرَأْيِهِ هُوَ فَسَلَكُوا نَهْجَهُ دُونَ تَفَحُّصٍ أو نَظْرَةٍ مِنْهُم؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ....

....

ومن ضلالاته الفداء والصلب، وتحليله للطعام والشراب المُحرم، ورفع عهد الختان

....

ب- رِسَالَةُ بُولُس إِلى رُومِيَّةَ أَصْحَاحُ 7 عَدَدُ 6 "وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ، إِذْ مَاتَ الَّذِي كُنَّا مُمْسَكِينَ فِيهِ، حَتَّى نَعْبُدَ بِجِدَّةِ الرُّوحِ لاَ بِعِتْقِ الْحَرْفِ ".

وَالمُشاهدُ فِي زَمَانِنَا أن دِين النصرانية يَتَحَكَّمُ فِيهِ الآباء الكهنة مِنْ لَدُنِ بُولُس الرسول إِلى الرُّهْبَانِ والقَسَاوِسَةِ

....

هم أمس واليوم وغدا مثل الفريسيين الذي غيروا تعاليم التوراة وحاربهم يسوع المسيح بكل ما أوتي من قوة ... فما أشبه اليوم بالبارحة"[6].

ولكل ما سبق ألزم الإمام أبو محمد بن حزم -رحمه الله- رائد علم مقارنة الأديان النصارى **بالكذب** فيما اخترعوه من شعائر نقضوا بها الناموس، فكتب رحمه الله:

"وَفِي الْبَاب الرَّابِع من إنجيل مَتى أَن الْمَسِيح قَالَ لتلاميذه: "لَا تحسبوا أَنِّي جِئْت لنقض التَّوْرَاة وَكتب الْأَنْبِيَاء، إِنَّمَا أتيت لإتمامها، فَإِنِّي الْحق أَقُول لكم إِلَى أَن تبيد السَّمَاء وَالأَرْض لَا تبيد "يَا" وَاحِدَة وَلَا حرف وَاحِد من التَّوْرَاة حَتَّى يتم الْجَمِيع، فَمن حلل عهدًا من هَذِه العهود الصَّغِيرَة وَحمل النَّاس على تَحْلِيله فسيدعى فِي ملكوت السَّمَوَات صَغِيرًا، وَمن أتمه وحض النَّاس على إتْمَامه فسيدعى فِي ملكوت السَّمَوَات عَظِيمًا".

وَفِي الْبَاب السَّادِس عشر من إنجيل مَتى: "ستحول السَّمَوَات وَالأَرْض وَلَا يحول كَلَامي".

قال أبو محمد: وَهَذِه نُصُوص تَقْتَضِي التأييد وتمنع من النّسخ جملَة.

ثمَّ لم يمض بعد الْفَصْل الأول الْمَذْكُور إِلَّا أسطار يسيرَة حَتَّى ذكر مَتى أَنه قَالَ لَهُم الْمَسِيح: "قد قيل: "من فَارق امْرَأَته فليكتب لَهَا كتاب طَلَاق". قَالَ: "وَأَنا أَقُول لكم من فَارق امْرَأَته إِلَّا لزنا فقد جعل لَهَا سَبِيلًا إِلَى الزِّنَا، وَمن تزوج مُطلقَة فَإِنَّهُ يَزْنِي". وَهَذَا نقض لحكم التَّوْرَاة، الَّذِي ذكر أَنه لم يَأْتِ لنقضها لكِن لإتمامها".

ثم ذكر -رحمه الله- أنهم يحكون عَن بولس أَنه نهى عَن الْخِتَان، وَهُوَ من أوكد شرائع التَّوْرَاة، وحكوا عن بطرس أَنه أَبَاحَ أكل الْخِنْزِير وكل حَيَوَان وَطَعَام حرمته التوراة.

ثم كتب رحمه الله:

"ثمَّ هم قد نقضوا شرائع التَّوْرَاة كلهَا أَولهَا عَن آخرهَا من السبت وأعياد الْيَهُود وَغير ذَلِك، وهم مَعَ هَذَا الْعَمَل لَا يَخْتَلِفُونَ فِي أَن الْمَسِيح وَجَمِيع تلاميذه بعده **لم يزَالُوا يلتزمون السبت وأعياد الْيَهُود وفصحهم**، إِلَى أَن مَاتُوا على ذَلِك، وَأَن الْمَسِيح إِنَّمَا أَخذ لَيْلَة الفصح، وَهُوَ يفصح على سنة الْيَهُود وشريعتهم، فَكيف هَذَا؟

فَلَا بُد لَهُم من أَن يضيفوا الْكَذِب إِلَى الْمَسِيح جهارًا، إِذْ أخبر أَنه لم يَأْتِ لنقض التَّوْرَاة، ثمَّ نقضهَا، فصح أَنه أَتَى لما أخبر أَنه لم يَأْتِ لَهُ من نقضهَا وَهَذَا كذب لَا مزحل عَنهُ. وَلَا بُد لَهُم من أَن يقروا من أَن الْمَسِيح مسخوط يدعى فِي ملكوت السَّمَوَات صَغِيرًا لَا عَظِيمًا. لِأَنَّهُ هَكَذَا أخبر هُوَ عَمَّن حلل عهدا صَغِيرًا من عهودها، وَهُوَ قد حل عهودًا كبارًا من

---

5 المسيحية نشأتها وتطورها ص: 125 و126.

6 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيًا ص: 122.

عهودها، إِذْ حرم الطَّلَاق وَقد أباحته التَّوْرَاة، وَنهى عَن الْقصاص الَّذِي جاءَت بِهِ التَّوْرَاة، فَقَالَ: "قد قيل: "الْعين بِالْعينِ وَالسّن بِالسِّنِّ". وَأَنا أَقول: "لَا تكافئوا أحدًا بسيئة، وَلَكِن من لطم خدك الْأَيْمن فانصب لَهُ الخد الْأَيْسَر".

قال أَبو مُحَمَّد: ولَا بُد لَهُم من أَن يشْهدُوا على أنفسهم -أَوَّلهمْ عَن آخِرهم وسالفهم عَن خالفهم- بِمَعْصِيَة الله تَعَالَى وَمُخَالفَة الْمَسِيح، وَأَنَّهُمْ يدعونَ فِي ملكوت السَّمَوَات صغَارًا، إِذْ نقضوا حكم التَّوْرَاة أَولهَا عَن آخرهَا، **وَلَا يُمكنهُم هَا هُنَا دَعْوَى النّسخ الْبَتَّةَ**، لأَنهم حكوا -كَمَا أوردنا عَن الْمَسِيح- أَنه قَالَ: "أَقول لكم إِلَى أَن تبيد السَّمَاء وَالأَرض لَا تبيد "يا" وَاحِدَة وَلَا حرف وَاحِد من التَّوْرَاة حَتَّى يتم الْجَمِيع". **فَمنع من النّسخ جملَة**، وَأَن فِي هَذَا لعجبًا لَا نَظِير لَهُ.

....

ثمَّ ذكر فِي الْبَاب الثَّامِن عشر من إنجيل مَتى: أَن الْمَسِيح قَالَ للحواريين الاثْنَي عشر بأجمعهم وَمن جُمْلَتهمْ يهوذا الاشكريوطا الَّذِي دلّ عَلَيْهِ الْيَهُود برشوة ثَلَاثِينَ درهمًا: "كل مَا حرمتموه فِي الأَرض يكون محرمًا فِي السَّمَاء وكل مَا حللتموه فِي الأَرض يكون محللاً فِي السَّمَاء". وَفِي الْبَاب السَّادِس عشر من إنجيل مَتى أَنه قَالَ هَذَا القَوْل لباطره وَحده.

قَالَ أَبُو مُحَمَّد: وَهَذَا تناقض عَظِيم كَيفَ يكون التَّحْلِيل وَالتَّحْرِيم للحواريين أَو لباطره، مَعَ قَوْله أَنه لم يَأْتِ لتبديل التَّوْرَاة لَكِن لإتمامها، وَأَنه من نقض من عهودها عهدًا صَغِيرًا دعِي فِي ملكوت السَّمَوَات صَغِيرًا، وَأَن السَّمَاء وَالأَرض تبيدان قبل أَن تبيد من التَّوْرَاة "يَا" وَاحِدَة أَو حرف وَاحِد، ولَئِن كَانَ صدق فِي هَذَا فَإِن فِي نَص التَّوْرَاة أَن الله تَعَالَى قد لعن من صلب فِي خَشَبَة، وهم يَقُولُونَ أَنه صلب فِي خَشَبَة، وَلَا شكّ فِي أَن باطرة شَمْعُون أَخا يُوسُف وأندرياش أَخُو باطرة وفليش وبولس صلبوا فِي الْخشب، فعلى قَول الْمَسِيح لَا يبيد شَيْء من التَّوْرَاة حَتَّى يتم جَمِيعهَا، فَكل هَؤُلَاءِ ملعونون بلعنة الله تَعَالَى"[7].

وكتب الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله:

"وَالْمُرَادُ بِهِ فِي النَّصَارَى أَنَّهُمُ اسْتَبَاحُوا مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ مِمَّا لَمْ يَنْسَخْهُ الْإِنْجِيلُ ، وَاتَّبَعُوا مُقَدَّسَهُمْ بُولُسَ فِي إِبَاحَةِ جَمِيعِ مُحَرَّمَاتِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِيهَا ، إِلَّا مَا ذُبِحَ لِلْأَصْنَامِ إِذَا قِيلَ لِلْمَسِيحِيِّ : إِنَّهُ مَذْبُوحٌ لِوَثَنٍ فَيُرَاعِي ضَمِيرَ الْقَائِلِ أَمَامَهُ ، وَعَلَّلَهُ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ طَاهِرٌ لِلطَّاهِرِينَ ، وَأَنَّ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ لَا يُنَجِّسُ الْفَمَ ، وَإِنَّمَا يُنَجِّسُهُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ"[8].

وقد أجمل الإمام ابن القيم -رحمه الله- وأفاد وأجاد في تلخيص انحراف النصارى البولسيين عن شريعة المسيح عليه السلام، فكتب عن دينهم:

"وَأَمَّا فُرُوعُهُ وَشَرَائِعُهُ فَهُمْ مُخَالِفُونَ لِلْمَسِيحِ فِي جَمِيعِهَا، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ بِشَهَادَتِهِمْ وَإِقْرَارِهِمْ وَلَكِنْ يُحِيلُونَ عَلَى الْبَتَارِكَةِ وَالْأَسَاقِفَةِ، فَإِنَّ الْمَسِيحَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ كَانَ يَتَدَيَّنُ بِالطَّهَارَةِ، وَيَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَيُوجِبُ غُسْلَ الْحَائِضِ، وَطَوَائِفُ النَّصَارَى عِنْدَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَقُومُ مِنْ عَلَى بَطْنِ الْمَرْأَةِ يَبُولُ وَيَتَغَوَّطُ وَلَا يَمَسُّ مَاءً وَلَا يَسْتَنْجِي، وَالْبَوْلُ وَالنَّجْوُ يَنْحَدِرُ عَلَى سَاقِهِ وَفَخْذِهِ وَيُصَلِّي كَذَلِكَ وَصَلَاتُهُ صَحِيحَةٌ تَامَّةٌ، وَلَوْ تَغَوَّطَ وَبَالَ وَهُوَ يُصَلِّي لَمْ يَضُرَّهُ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَفْسُوَ وَيَضْرَطَ.

وَيَقُولُونَ: إِنَّ الصَّلَاةَ بِالْبَوْلِ وَالْغَائِطِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ بِالطَّهَارَةِ، لِأَنَّهَا حِينَئِذٍ أَبْعَدُ مِنْ صَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَأَقْرَبُ إِلَى مُخَالَفَةِ الْأُمَّتَيْنِ.

وَيَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّصْلِيبِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَهَذِهِ الصَّلَاةُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَرِيءٌ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ الْمَسِيحُ وَسَائِرُ الْحَوَارِيِّينَ الْمُبَيِّنِينَ، فَإِنَّ هَذَا بِالِاسْتِهْزَاءِ أَشْبَهُ مِنْهَا بِالْعِبَادَةِ، وَحَاشَا الْمَسِيحَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ صَلَاتُهُ أَوْ صَلَاةُ أَحَدٍ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ.

وَالْمَسِيحُ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاتِهِ مَا كَانَ الْأَنْبِيَاءُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَقْرَءُونَ فِي صَلَاتِهِمْ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَالزَّبُورِ.

وَطَوَائِفُ النَّصَارَى إِنَّمَا يَقْرَءُونَ فِي صَلَاتِهِمْ كَلَامًا قَدْ لَحَّنَهُ لَهُمُ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ وَيُصَلُّونَ بِهِمْ، يَجْرِي مَجْرَى النَّوْحِ وَالْأَغَانِي، فَيَقُولُونَ: هَذَا قُدَّاسُ فُلَانٍ يَنْسِبُونَهُ إِلَى الَّذِينَ وَضَعُوهُ لَهُمْ.

7 الفصل في الملل والأهواء والنحل ج: 2 ص: 45 إلى 47.

8 تفسير المنار- تفسير سورة التوبة- آية: 29 ج: 10 ص: 337.

وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى الشَّرْقِ، وَمَا صَلَّى الْمَسِيحُ إِلَى الشَّرْقِ قَطُّ، وَمَا صَلَّى إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ إِلَّا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَهِيَ قِبْلَةُ دَاوُدَ وَالْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَقِبْلَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَالْمَسِيحُ اخْتَتَنَ وَأَوْجَبَ الْخِتَانَ كَمَا أَوْجَبَهُ مُوسَى وَهَارُونُ وَالْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ.

وَالْمَسِيحُ حَرَّمَ الْخِنْزِيرَ، وَلَعَنَ آكِلَهُ، وَبَالَغَ فِي ذَمِّهِ - وَالنَّصَارَى تُصِرُّ[9] بِذَلِكَ - وَلَقَدْ رُفِعَ إِلَى اللَّهِ وَمَا طَعِمَ مِنْ لَحْمِهِ وَزْنَ شَعِيرَةٍ، وَالنَّصَارَى تَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِأَكْلِهِ.

وَالْمَسِيحُ مَا شَرَعَ لَهُمْ هَذَا الصَّوْمَ الَّذِي يَصُومُونَهُ قَطُّ، وَلَا صَامَهُ فِي عُمُرِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، لَا صَامَ الْعَذَارَى فِي عُمُرِهِ، وَلَا أَكَلَ فِي الصَّوْمِ مَا يَأْكُلُونَهُ، وَلَا حَرَّمَ مَا يُحَرِّمُونَهُ، وَلَا عَطَّلَ السَّبْتَ يَوْمًا وَاحِدًا حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ، وَلَا اتَّخَذَ الْأَحَدَ عِيدًا قَطُّ.

وَالنَّصَارَى تُقِرُّ أَنَّهُ رَقَى مَرْيَمَ الْمَجْدَلَانِيَّةَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَ شَيَاطِينٍ، وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ قَالَتْ لَهُ: أَيْنَ تَأْوِي؟ فَقَالَ لَهَا: اسْلُكِي هَذِهِ الدَّابَّةَ النَّجِسَةَ يَعْنِي الْخِنْزِيرَ. فَهَذِهِ حِكَايَةُ النَّصَارَى عَنْهُ.

وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْخِنْزِيرَ مِنْ أَطْهَرِ الدَّوَابِّ وَأَجْمَلِهَا، وَأَطْيَبِهَا.

وَالْمَسِيحُ سَائِرٌ فِي الذَّبَائِحِ وَالْمُنَاكَحِ وَالطَّلَاقِ وَالْمَوَارِيثِ سِيرَةَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ"[10].

***

وأختم هذا المبحث بالملاحظة القيمة التي سجلها الدكتور عبد المجيد الصغير، في تقديمه للكتاب القيم (تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقديس والتقنين) تأليف الدكتور يوسف الكلام، والذي كان أطروحته لنيل الدكتوراه:

"ولعل من بين الحقائق الصارخة والصادمة في الآن نفسه والتي أبرزها هذا العمل تلك الحقيقة التي بينت أن معنى القداسة في الفكر المسيحي خاصة، قد عرف تمييعاً حتى إن الدين معها يؤخذ منه ويترك، ويقرر فيه بالتصويت ومنطق الأكثرية!، وذلك أصل من أصول "أزمة الحقيقة" الدينية في المسيحية خاصة، بعد أن أصبحت الكنيسة تعوض سلطة "الأصول الضائعة" بسُلطٍ أخرى، لا نصيب لها من الشرعية الدينية الموصولة بالمسيح عليه السلام، حيث أصبح المشرع للكنيسة ليس هو الله ولا "كلمته"، وليس هو المسيح، بل صار **بولس "الرسول" هو الذي "يوحى" إليه**، ليقطع ما بين المسيح وشريعة موسى، وليفتح الباب على مصراعيه على أساطير الشعوب الوثنية وعقائدهم، ثم صار البابا بسبب عصمته صاحب السلطة المطلقة في التغيير والتبديل، كما صارت المجامع الكنسية تتجرأ على التغيير في أسس الديانة وعقائدها!، وذلك ما يجعلنا نؤكد أن من بين أهم ما أبرزه هذا العمل الذي ننوه به أن التاريخ النقدي للكتاب المقدس قد أوضح أن هناك فعلاً "أزمة وعي" لدى كبار رجال الكنيسة، إلا أنه بدلاً من مواجهة هذه الأزمة بما تتطلبه من إقرار بالحقيقة واعتراف بنتائج الكتاب المقدس يجري التحايل على كل ذلك إما بالتغاضي عنه أو بالتحايل عليه عبر تأويلات إسقاطية لا معقولة، أو بمحاولة تجنيد مزيد من جيوش "المنصرين" لاستدراج أتباع جدد داخل ذلك الوعي الشقي، أو باللجوء إلى الهجوم على الإسلام تحديداً عبر محاولة "تحريف" قرآنه، كما فعلوا عقب أحداث الخليج سنة 2001م، حين كتبوا نصاً محرفاً مشوهاً، وزعوه على المسلمين، وعدوه بديلاً عن القرآن الكريم!، وهو عمل يؤكد تعوُّد هؤلاء على التحريف والتبديل الذي ورثوه منذ قديم الزمان، وكأنهم بمحاولتهم التحريفية هذه ضد القرآن الكريم يقولون: "إذا لم يكن لدينا نص "مقدس" فلندنس كل النصوص، وإذا كنا سنغرق فلنُغرق معنا الجميع!"[11].

***

9 في النسخة التي نشرتها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: "والنصارى تقر بذلك".

10 هداية الحيارى ص: 483 إلى 485.

11 تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقديس والتقنين ص: 13 و14.

2- تحليل كل الأشياء، بما فيها ذبائح الأصنام

من الأمور الخطيرة التي أحدثها بولس وأتباعه؛ هو نقض كل ما حُرم من مأكولات ومشروبات ونجاسات في الديانة اليهودية، بل تعدى ذلك لنفي تحريم أي أمر:

أ- فنجد في العهد القديم الذي يزعم النصارى تقديسه، رغم أنهم لا يتبعون شرائعه، تحريمًا قاطعًا للخمر في بيت العبادة:

جاء في سفر اللاويين:

"10: 8 وكلم الرب هرون قائلًا:

10: 9 "خمرًا ومسكرًا لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا. فرضًا دهريًا في أجيالكم

10: 10 وللتمييز بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر،

10: 11 ولتعليم بني إسرائيل جميع الفرائض التي كلمهم الرب بها بيد موسى"[1].

ففي هذا النص نجد أن العهد القديم يحكي أن الرب -سبحانه وتعالى- كلم نبيه هارون عليه السلام، فنهاه عن شرب المسكر والخمر عند دخولهم لخيمة الاجتماع، التي هي بيت العبادة، حتى لا يسكروا، فلا يتمكنوا من التمييز بين المقدس والمحلل والنجس والطاهر.

إذن فقد كان في شريعة العهد القديم:

(1) تحريم لتناول الخمر في بيت العبادة.

(2) وتفريق بين النجس الذي يجب اجتنابه، والطاهر الذي يحل مسه وتناوله.

بينما نجد أن النصارى البولسيين:

(1) يتناولون الخمر في قداسهم الأسبوعي في محل العبادة، بزعم أن المسيح -عليه السلام- قد أمرهم بهذا.

(2) لا يفرقون بين النجس والطاهر.

فينسب كاتب إنجيل متى لسيدنا عيسى عليه السلام- قوله:

"15: 11 ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان، بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان"[2].

وهذا **كلام باطل يؤدي إلى استباحة المحرمات**، فبعض ما يدخل الفم ينجس الإنسان مثل بعض ما يخرج منه، إما لكونه نجاسة مادية مثل الدم والخنزير، اللذين حرمتها الديانة اليهودية، وأباحهما بولس، أو نجاسة معنوية مثل أكل الربا والرشوة والأجرة على المعاصي والكبائر والفواحش.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (173) إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يأكلون فِي بُطُونِهِمْ إلا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

وقال تعالى:

﴿الَّذِينَ يأكلون الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[4].

وقال تعالى:

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر اللاويين: 10: 8 إلى 11 ص: 78.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 15: 11 ص: 211.

3 سورة البقرة، آية: 172 إلى 174.

4 سورة البقرة، آية: 275.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يأكلون أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يأكلون فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[5].

ولما آوى (القديس) يوحنا ذهبي الفم الرهبان المصريين الساخطين على (القديس) ثيوفيلوس بطريك الإسكندرية وتلميذ أثناسيوس، واتهموه بالفساد والطمع في المال، ووصفه يوحنا ذهبي الفم بأنه فاسد وفرعون، لما قالوا عن ثيوفيلوس ذلك، ماذا كان يُدخل ثيوفيلوس -في نظرهم- في فمه؟ طيبًا أم نجسًا[6]؟

والبابوات الذين كانوا يستعبدون ملايين البشر في ممتلكاتهم الشاسعة، ماذا كانوا يدخلون في بطونهم؟

والبابوات الذين كانوا يبيعون صكوك الغفران ماذا كانوا يدخلون في بطونهم؟

والبابوات الذين كانوا يعاشرون الخليلات، وينجبون منهم أبناء الزنا، ثم يولون منهم كرادلة وبابوات، ويعيشون عيشة الملوك الفجرة، ماذا كانوا يدخلون في بطونهم؟

والبابوات الذين كانوا يبيعون المناصب الكهنوتية (وهو ما يعرف في الكنسية بالسيمونية) ماذا كانوا يأكلون في بطونهم؟

ولماذا كان شعار الثورة الفرنسية: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس؟ هل لأن ما كان في أمعائهم من مال حرام لا ينجسهم؟

وصدق الله العظيم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[7].

وصدق سبحانه:

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[8].

وصدق سبحانه:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[9].

فواضح أن هذا الكلام لا يتفق مع ما رواه النصارى -في كتابهم الذي يقدسونه، على كل ما فيه من تحريف- عن سيدنا عيسى عليه السلام؛ من أنه كان يعظم الشريعة اليهودية، ويأمر باتباعها.

***

ب- وقد جاء في العهد القديم تحريم أكل الدم، حيث ورد في سفر اللاويين:

" 17: 10 وكل إنسان من بيت إسرائيل ومن الغرباء النازلين في وسطكم يأكل دمًا أجعل وجهي ضد النفس الآكلة الدم، وأقطعها من شعبها"[10].

ولكن بولس أباح كل شيء، كما سيأتي إن شاء الله.

***

ج- العهد القديم حرم ذبائح الأصنام.

جاء في سفر الخروج:

"34: 15 احترز من أن تقطع عهدًا مع سكان الأرض، فيزنون وراء آلهتهم، ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم"[11].

---

5 سورة النساء، آية: 10.

6 أشرت للقصة باختصار في مبحث (التقليد).

7 سورة التوبة، آية: 34.

8 سورة البقرة، آية: 79.

9 سورة آل عمران، آية: 179.

10 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر اللاويين: 17: 10 ص: 84 و85.

11 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر الخروج: 34: 15 ص: 65.

ولكن بولس أباح لأتباعه أكل ما ذبح للأصنام، سوى الأكل على المآدب التي تقام للأصنام، أو أكل ما ذبح للأصنام مراعاة لشعور المتمسكين بشريعة التوراة، ليداريهم ويسايرهم في حضورهم، حتى لا يكون ذلك (عثرة) لهم، فيجاريهم ليضمهم إليه، ثم يساير مخالفيهم وهكذا، كما بين هو بنفسه منهجه في التلون والتقلب:

"9: 20 فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس.

9: 21 وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس - مع أني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس للمسيح - لأربح الذين بلا ناموس"[12].

فنسب النصارى لبولس نصوصًا عديدة في إباحة أكل ما ذبح للأوثان كما ذكرت أعلاه:

- ففي رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس:

"8: 4 فمن جهة أكل ما ذبح للأوثان: نعلم أن ليس وثن في العالم وأن ليس إله آخر إلا واحدًا.

8: 5 لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة، سواءً كان في السماء أو على الأرض، كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون،

8: 6 لكن لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء، ونحن له. ورب واحد: يسوع المسيح، الذي به جميع الأشياء، ونحن به.

8: 7 ولكن ليس العلم في الجميع، بل أناس بالضمير نحو الوثن إلى الآن يأكلون كأنه مما ذبح لوثن، فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجس.

8: 8 ولكن الطعام لا يقدمنا إلى الله، لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص.

8: 9 ولكن انظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرة للضعفاء.

8: 10 لأنه إن رآك أحد يا من له علم، متكئًا في هيكل وثن، أفلا يتقوى ضميره، إذ هو ضعيف، حتى يأكل ما ذبح للأوثان؟!

8: 11 فيهلك بسبب علمِك الأخُ الضعيف الذي مات المسيح من أجله.

8: 12 وهكذا إذ تخطئون إلى الأخوة وتجرحون ضميرهم الضعيف، تخطئون إلى المسيح.

8: 13 لذلك إن كان طعام يعثر أخي فلن آكل لحمًا إلى الأبد، لئلا أعثر أخي.

....

10: 19 فماذا أقول؟ أإن الوثن شيء، أو إن ما ذبح للوثن شيء؟!

10: 20 بل إن ما يذبحه الأمم فإنما يذبحونه للشياطين، لا لله فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين.

10: 21 لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس شياطين. لا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب وفي مائدة شياطين.

10: 22 أم نغير الرب؟ ألعلنا أقوى منه؟

10: 23 "كل الأشياء **تحل لي"**، لكن ليس كل الأشياء توافق. **"كل الأشياء تحل لي"**، ولكن ليس كل الأشياء تبني.

10: 24 لا يطلب أحد ما هو لنفسه، بل كل واحد ما هو للآخر.

10: 25 كل ما يباع في الملحمة كلوه غير فاحصين عن شيء، من أجل الضمير،

10: 26 "لأن للرب الأرض وملأها".

10: 27 وإن كان أحد من غير المؤمنين يدعوكم، وتريدون أن تذهبوا، فكل ما يقدم لكم كلوا منه غير فاحصين، من أجل الضمير.

12 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 9: 18 إلى 21 ص: 135.

10: 28 ولكن إن قال لكم أحد: "هذا مذبوح لوثن" فلا تأكلوا من أجل ذاك الذي أعلمكم، والضمير. لأن "للرب الأرض وملأها".

10: 29 أقول "الضمير"، ليس ضميرك أنت، بل ضمير الآخر. لأنه لماذا يُحكم في حريتي من ضمير آخر؟

10: 30 فإن كنت أنا أتناول بشكر، فلماذا يُفترى علي لأجل ما أشكر عليه؟

10: 31 فاذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئًا، فافعلوا كل شيء لمجد الله.

10: 32 كونوا بلا عثرة لليهود ولليونانيين ولكنيسة الله"[13].

أمر آخر أود أن أشير إليه في التعليق على هذا النص (الخروج: 34: 15) وهو أن النص ورد فيه تحريم الزنا، وفي التوراة عقوبة للزنا، أما في دين الكنائس البولسية، فليس على الزنا وسائر الفواحش عقوبة في الدنيا ولا في الآخرة.

أما في الدنيا فالأمر واضح بتخليهم عن الشريعة الموسوية، وكما نسبوه للمسيح -عليه السلام- في إنجيل يوحنا؛ أنه -عليه السلام- لم يرجم الزانية[14].

أما في الآخرة، فالعاصي في هذه الفواحش وغيرها، يذهب للقسيس، فيعترف له تفصيلًا بكل ما فعل، ويحقق معه القسيس بالتحقيق والتدقيق والتفتيش عن كل شيء، حتى إذا استوفى القسيس غرضه، نازع المولى سبحانه في سلطانه، فغفر له ذنبه، وألزمه بما يرى من كفارة.

وهذا (**التجسس المقدس**) سنرى -إن شاء الله- أنه كان من أهم وسائل الكنيسة في الفساد السياسي، ومن أخطر أسلحتها في التسلط على الشعوب، ففسدت به وأفسدت غيرها.

وكان من أهم أسباب الثورة البروتستانتية الناقصة عليها، كما سيأتي إن شاء الله.

وإعادة للبشرية لطريق التوحيد أرسل المولى سبحانه نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام، وأنزل عليه قرآنه الكريم المحفوظ.

وأرشدنا الله في قرآنه أنه هو غفار الذنوب، قال سبحانه: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[15].

وأخبرنا سبحانه أنه هو وحده من يغفر الذنوب:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[16].

لا يشاركه في ذلك نبي مرسل ولا ملك مقرب، ولا بابا ولا قسيس ولا كاهن، بل كلهم عباده المفتقرون إلى رحمته.

وأخبر نبيه الكريم -عليه الصلاة والسلام- بذلك، فقال سبحانه:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[17].

***

وهذا النقض للمأكولات المحرمة في الشريعة الموسوية نسبه كاتب -أو كتبة- أعمال الرسل لبطرس، ولا ننسى أن النصارى يزعمون أن كاتب أعمال الرسل هو لوقا تلميذ بولس.

فجاء في أعمال الرسل عن بطرس:

"10: 10 فجاع كثيرًا واشتهى أن يأكل. وبينما هم يهيئون له، وقعت عليه غيبة،

---

13 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 8: 4 إلى 10: 32 ص: 134 و135.

14 إنجيل يوحنا: 8: 3 إلى 11.

15 سورة الزمر، آية: 53.

16 سورة آل عمران، آية: 135.

17 سورة آل عمران، آية: 128.

10: 11 فرأى السماء مفتوحة، وإناءً نازلًا عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض.

10: 12 وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء.

10: 13 وصار إليه صوت: "قم يا بطرس، اذبح وكل".

10: 14 فقال بطرس: "كلا يا رب! لأني لم آكل قط شيئًا دنسًا أو نجسًا".

10: 15 فصار إليه أيضًا صوت ثانية: "ما طهره الله لا تدنسه أنت".

10: 16 وكان هذا على ثلاث مرات، ثم ارتفع الإناء أيضًا إلى السماء"[18].

وبتفحص هذا النص -كمثال- يتبين لنا نموذج لبعض آليات أحبار ورهبان النصارى لنقض الشرائع:

فأولًا: كاتب -أو كتبة- هذا النص مجهول، باعتراف آباء الكنيسة، كما سيأتي إن شاء الله.

وثانيًا: هذا الكاتب -أو الكتبة- المجهول -أو المجهولون- نقل رواية عن بطرس بطريقة لا نعلمها، فهل سمعها ممن سمعها من بطرس، أو ممن سمعها من غيره، لا يظهر الكاتب ذلك.

فإذا أخذنا في الاعتبار أن القصص عن سيدنا المسيح -عليه السلام- كانت -كما نقلتُ عن آباء الكنيسة وغيرهم- عبارة عن قصص شفهية، يدور بها مبشرون كثر في البلدان، يزيدون فيها وينقصون، ويلبون بها حاجات المستمعين، ويتدخل فيها المستمعون، وتم فيها كل أنواع التبديل قبل وبعد أن تدون[19].

وإذا أخذنا في الاعتبار أن علماء النصارى يقدرون زمن كتابة سفر أعمال الرسل بقرابة عام 80م[20]، إذن فقصة (حلم بطرس) كانت تدور كحكاية شفوية بين الناس -يزيدون فيها وينقصون- لمدة خمسين عامًا -بعد رفع المسيح عليه السلام- على حسب تقدير الآباء اليسوعيين.

وثالثًا: إن الرواية تذكر أن بطرس رأى في منامه تلك القصة، فصار ذلك تشريعًا ينسخ ما ذكرته أسفار النصارى عن سيدنا عيسى -عليه السلام- بوجوب الالتزام بالشريعة، فتأمل حجية رؤيا بطرس وطريقة النسخ.

وإذا سألت النصارى بأي كتاب أم بأي شريعة تعتدون بمثل هذه القصص، فإن لديهم إجابة واحدة متكررة: إنه الروح القدس، الذي حملوه كل تناقضات وأخطاء أسفارهم.

ورابعًا: إن مفاد هذه القصة أن بطرس كان يوحى إليه من الله بشريعة، تخالف الشريعة التي أوحى الله بها لعيسى ومن قبله لموسى، فتأمل التطور في الديانة.

المفروض أن أتباع كل نبي يحفظون شرعه وسننه، ويتبعونها وينشرونها بين الناس، ويحافظون عليها، ليكونوا قدوة لغيرهم، ولكن الكنائس البولسية تزعم أن الدين يتطور، والوحي يتجدد، حتى وصل للبابوات، ثم للأحبار والرهبان، فخالفوا به ما ذكروه -هم أنفسهم- عن نبيهم، الذي لم يكتفوا بكونه نبيًا، بل جعلوه إلهًا متجسدًا، ومع ذلك خالفوه.

أي أن **أقوال آباء الكنيسة عندهم مقدمة على أقوال الإله المتجسد في زعمهم**.

وإذا كان بولس -الذي لم ير المسيح عليه السلام- يزعم أن له وحيًا خاصًا، فبطرس الذي رأى المسيح -عليه السلام- أولى في دين الكنيسة!!!

وخامسًا: إن معنى هذه القصة أن المسيحي البولسي له أن يأكل كل شيء من: "كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء"، أي من الفئران والجرذان والحشرات والسحالي والضفادع والثعابين والخفافيش، وكل ما تتصوره من هذه الأنواع، بحسب التعريف المنسوب لبطرس.

فاذبح وكل أيها البولسي، فقد مضى عهد موسى وعيسى، وجاء عهد بولس ولوقا.

وسادسًا: إن هذا الحلم رآه بطرس -حسب رواية أعمال الرسل- وهو جائع جدًا "فجاع كثيرًا واشتهى أن يأكل"، والجائع كثيرًا لا يستغرب أن يرى هلاوس وتخريفات تتعلق بالأكل، كما يقال في المثل المصري العامي: "الجعان (الجوعان) يحلم

18 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 10: 10 إلى 16 ص: 101 و102.

19 راجع ما ذكرته موجزًا في مبحث: نبذة تاريخية- المسألة الأولى: مقدمة عن مصادر دراسة تلك المرحلة- 1- الأسفار التي بين أيدي النصارى وخاصة سفر (أعمال الرسل) ورسائل بولس.

20 النسخة اليسوعية للكتاب المقدس لدى النصارى- العهد الجديد- أعمال الرسل- مدخل ص: 373.

بسوق العيش (الخبز)"، ولكن الكنيسة البولسية -لأمر في نفسها- جعلت ذلك الحلم -بتلك الرواية المتهافتة- حجة لنقض الشريعة.

أي أن الشريعة عندهم لا تنقض فقط بأقوال أتباع الأنبياء سواء من رأوهم أو من لم يروهم، بل أيضًا بأحلامهم -وهم جائعون- برواية المجاهيل.

وسابعًا: إن كاتب أعمال الرسل ذكر أن الصوت قال لبطرس:

"ما طهره الله لا تدنسه أنت".

فيكون معنى النص: أن تأكل مما طهره الله.

وفي العهد القديم: أن الله -سبحانه- لم يطهر الخنزير ولا الدم ولا المخنوق ولا المذبوح للأصنام، فهي نجسة في التوراة.

فبأي مستند طهروا الخنزير والدم والمخنوق؟

وقد علق على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فكتب:

"مَعَ أَنَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرُوهُ عَنْ "بُطْرُسَ" رَئِيسِ الْحَوَارِيِّينَ، لَيْسَ فِيهِ تَحْلِيلُ كُلِّ مَا حُرِّمَ، بَلْ قَالَ: (مَا طَهَّرَهُ اللَّهُ فَلَا تُنَجِّسْهُ) وَمَا نَجَّسَهُ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ، فَقَدْ نَجَّسَهُ وَلَمْ يُطَهِّرْهُ، إِلَّا أَنْ يَنْسَخَهُ الْمَسِيحُ. وَالْحَوَارِيُّ لَمْ يُبِحْ لَهُمُ الْخِنْزِيرَ وَسَائِرَ الْمُحَرَّمَاتِ إِنْ كَانَ قَوْلُهُ مَعْصُومًا، كَمَا يَظُنُّونَ"[21].

***

د- بولس أباح كل شيء.

- وقد نقلت عنه -أعلاه- قوله:

"10: 23 "كل الأشياء **تحل لي"**، لكن ليس كل الأشياء توافق. **"كل الأشياء تحل لي**"، ولكن ليس كل الأشياء تبني"[22].

- وفي رسالة بولس الأولى لتيموثاوس:

"4: 1 ولكن الروح يقول صريحًا: إنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان، تابعين أرواحًا مضلة وتعاليم شياطين،

4: 2 في رياء أقوال كاذبة، موسومة ضمائرهم،

4: 3 مانعين عن الزواج، وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق.

4: 4 لأن كل خليقة الله جيدة، ولا يرفض شيء إذا اخذ مع الشكر،

4: 5 لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة"[23].

- وفي رسالة بولس لأهل رومية:

" 14: 2 واحد يؤمن أن يأكل كل شيء، وأما الضعيف فيأكل بقولًا.

14: 3 لا يزدر من يأكل بمن لا يأكل، ولا يدن من لا يأكل من يأكل، لأن الله قبله.

....

14: 6 الذي يهتم باليوم، فللرب يهتم. والذي لا يهتم باليوم، فللرب لا يهتم. والذي يأكل، فللرب يأكل لأنه يشكر الله. والذي لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله.

....

---

21 الجواب الصحيح ج: 4ص: 380.

22 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 10: 23 ص: 135.

23 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس: 4: 1 إلى 5 ص: 169.

14: 14 إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجسًا بذاته، إلا من يحسب شيئًا نجسًا، فله هو نجس.

....

14: 17 لأن ليس ملكوت الله اكلًا وشربًا ، بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس.

....

14: 20 لا تنقض لأجل الطعام عمل الله. كل الأشياء طاهرة، لكنه شر للإنسان الذي يأكل بعثرة.

14: 21 حسن أن لا تأكل لحمًا ولا تشرب خمرًا ولا شيئًا يصطدم به أخوك أو يعثر أو يضعف"[24].

ونقل الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي عن الخوري يوسف العلم في كتابه (تيسير الوسائل في فهم الرسائل) ص: 111 و112 تعليقًا على هذا النص:

"أي من كان عالماً في الإيمان وخبيراً في المذهب يعلم أنه يجوز له أن يأكل كل شيء لأنه لا شيء من المأكولات محرم في الإنجيل.

....

أي من كان يأكل كل شيء بحسب إباحة الإنجيل وتحديد الشريعة الجديدة لا يحتقر من لا يأكل تمسكاً بالشريعة القديمة لضعفه وعدم علمه، ولا يَعُده مخالفاً للشريعة الإنجيلية، كذلك من لا يأكل لا يحكم على من يأكل بأنه مخالف للشريعة الموسوية المحرِّمة لما لا يأكله؛ لأن الله قد اتخذ مثل هذا عبداً له وقبله وضي عنه، فلم يعد يسوغ لأحد أن يدينه ويعيبه، أي ليس يا من لا تأكل أن تدين من تأكل وتشجبه.

....

فالذي تحكم عليه أنت بأنه أذنب بأكلها هو عند الله بريء غير مذنب.

....

وسمح بالامتناع عن المآكل المذكورة لمن اعتقد بذلك، وكان سماحه إلى زمن إذ لم يكن يتأتى وقتئذ إلغاء الشريعة القديمة بالكلية"[25].

وقد لخص شراح النسخة اليسوعية للكتاب المقدس لدى النصارى عقيدة بولس في هذا الشأن، فكتبوا:

"وكذلك فإن المشاكل التي تعود الى الأخلاق في الشؤون الجنسية تنشأ هي أيضًا عن تلاقي الايمان الجديد والثقافة السائدة، وهي تتصف تارة بالتسامح المفرط في هذا الميدان (1/5 - 13 و 12/6 - 19) وتارة بازدراء الجسد ، وكان شائعًا في بعض النزعات الفلسفية في ذلك العصر (1/7) ، وكان يجعل من الامساك عن الزواج مثالًا اعلى مطلقًا . اهتم بولس قبالة هذه المبالغات المتناقضة بأن يدل الى الطريق القويم فقبح جميع انواع الفساد الجنسي ، واعلن ان الزواج امر شرعي ذو قيمة ، واثنى على البتولية (الفصل السابع) . ورد المبدأ الذي يقوم عليه التمييز بين هذه الأمور في 12/6 وكُرر في 33/10 وهو **"كل شيء حلال** ، ولكن ليس كل شيء بنافع " . ان **المسيحي محرر من جميع القيود الخارجية حتى في الميدان الخلقي** ، ولكنه يجب عليه ان يستفيد من هذه الحرية لكي يسعى في جميع الأحوال الى ما هو انسب للحياة الجديدة التي يعمل فيها الروح القدس .

وهذا المبدأ بعينه (23/10) يوضح المسألة هذه : مسألة لحم ما ذبح للاوثان (الفصول 8-10) ، فإننا هنا أيضًا قبالة مسألة يجب على الايمان المسيحي ان يختار فيها بين أمرين هما : الموافقة على مظهر من مظاهر الثقافة اليونانية او نبذه ، ومبادئ الحل هي هي هنا : كل ما يخالف الايمان ينبذ ، وذلك شأن الاشتراك في المآدب الدينية عند الوثنيين (14/10 - 22) . وأما ان يأكل المرء في بيته او عند الآخرين لحم ما يذبح للأوثان ، فهو امر **لا يُؤبه له من جهة الدين المسيحي** (7/8-

---

24 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل رومية: 14: 2 إلى 21 ص: 128.

25 اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية ص: 176.

8) . ولكن هناك امرًا يجب على تلميذ المسيح ان يراعيه ، وهو ان المحبة الأخوية تنهاه عن ان يكون سبب عثار للضعفاء (13-9/18)"[26].

إذن بولس أحل كل شيء، وأسقط التحريم، وجعل المسيحي هو المشرع فيما يناسب أو لا يناسب.

***

وعن هذا كتب الأستاذ أكرم حسن مرسي المهتدي من النصرانية للإسلام:

"فهَذَا بُولُس رسول النصرانية حَرَّمَ عَلَيْهِم مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُم فِي رَسَائِلِهِ مِنْ أَحْكَام وَتَعَالِيمَ وَعَقَائِدَ .. وَظَلَّ يَنْقُض الشَّرِيعَةَ بِرَأْيِهِ هُوَ فَسَلكُوا نَهْجَهُ دُونَ تَفَحُّصٍ أو نَظْرَةٍ مِنْهُم؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ....

....

ومن ضلالاته الفداء والصلب، وتحليله للطعام والشراب المُحرم، ورفع عهد الختان ... وذلك من التالي:

....

ب- رِسَالَةُ بُولُس إلى رُومِيَّةَ أَصْحَاحُ 7 عَدَدُ 6 "وَأَمَّا الآن فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ، إذ مَاتَ الَّذِي كُنَّا مُمْسَكِينَ فِيهِ، حَتَّى نَعْبُدَ بِجِدَّةِ الرُّوحِ لَا بِعِتْقِ الْحَرْفِ ".

وَالْمُشاهدُ فِي زَمَانِنَا أن دِين النصرانية يَتَحَكَّمُ فِيهِ الآباء الكهنة مِنْ لَدُنِ بُولُس الرسول إلى الرُّهْبَانِ والقَسَاوِسَةِ بِدَرَجَاتِهِم الكَهَنُوتِيَّةِ؛ فمنهم من ظن أنه يملك مفاتيح الجنة بصكوك الغفران، ومنهم بطقس الاعتراف والتناول .... فأحلوا ما حرم الله، وعُبدوا من دون الله، وجعلت كلمتهم على رعيتهم العليا ... فكنزوا الأموال، واستحيوا النساء .. !

هم أمس واليوم وغدا مثل الفريسيين الذي غيروا تعاليم التوراة وحاربهم يسوع المسيح بكل ما أوتي من قوة ... فما أشبه اليوم بالبارحة"[27].

لقد جاء عيسى -عليه السلام- بشريعة الأنبياء، وجاءت الكنيسة البولسية بشريعة الآباء.

وصدق الله العظيم:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[28].

أخرج الإمام الترمذي وغيره عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: "يا عدي اطرح عنك هذا الوثن". وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾. قال: "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه"[29].

***

وفي الخلاصة نستنتج أن بولس دعا لمبدأين في غاية الخطورة:

الأول: نبذ ونقض الشريعة المنزلة، والموحى بها للأنبياء عليهم السلام.

والثاني: أن الإنسان هو المشرع لنفسه.

وهذان المبدآن ورثتها الدولة العلمانية الوطنية الحديثة في تطورها من الكنيسة البولسية عبر مسيرة الفساد السياسي في التاريخ.

***

---

26 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة بولس الأولى لأهل قورنتس- مدخل ص: 508 و509.

27 لماذا أنا مسلم ولست نصرانيا ص: 122.

28 سورة التوبة، آية: 30 و31.

29 حسنه الألباني- سنن الترمذي-كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- باب: ومن سورة التوبة- حديث رقم: 3095 ج: 5 ص: 278.

3- مقاومة الختان

تعد شعيرة الختان من آكد الشعائر في الديانة اليهودية.

جاء في سفر التكوين، أن الرب سبحانه قال لإبراهيم عليه السلام:

"17: 12 ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم: وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك.

17: 13 يختن ختانًا وليد بيتك والمبتاع بفضتك، فيكون عهدي في لحمكم عهدًا أبديًا.

17: 14 وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي"[1].

وكان بولس معاديًا للشريعة اليهودية، وللختان كرمز لها، وقد تابعه النصارى المثلثون البولسيون على ذلك.

رغم أنهم يروون عن سيدنا المسيح أنه قد اختتن في يومه الثامن.

وقد فصلت في مواقف بولس حول هذه المسألة في النبذة التاريخية عن الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس بما يغني عن إعادته.

ولكني فقط أذكر بأن النصارى ينسبون لسيدنا عيسى أنه أمرهم بالاقتداء به، فقد نسبوا له -عليه السلام- في إنجيل يوحنا:

"13: 15 لأني أعطيتكم مثالًا، حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضًا"[2].

وفي النسخة اليسوعية:

"13: 15 فقد جعلت لكم من نفسي قدوة لتصنعوا أنتم أيضًا ما صنعت لكم"[3].

ولكنهم يتركون الاقتداء به، ويقتدون ببولس.

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 17: 12 إلى 14 ص: 10.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 13: 15 ص: 85.

3 اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 13: 15 ص: 333.

4- القربان المقدس (الوثنية العميقة)

تعد عقيدة تناول القربان المقدس من العقائد المحورية في النصرانية، وبولس هو أول من زعمها، وكانت لها آثارها السياسية، وسأعرض لها -بعون الله- موجزًا، تحت العناوين التالية:

أ- الله الأحد الصمد أم خمر وخبز وجسد؟

ب- النصوص التي ذكر فيها العشاء الأخير في كتاب النصارى الذي يقدسونه

ج - التطور التاريخي لعقيدة العشاء الرباني

د - أقوال النصارى في العشاء الرباني

هـ- الأصول الوثنية للعشاء الرباني

و- كلمة أخيرة

***

أ-الله الأحد الصمد أم خمر وخبز وجسد؟

كنت أضحك في نفسي حين أرى زملائي النصارى في الدراسة يتداولون -خفيةً- قطعًا من الخبز، وأتصور أنهم يتداولون -سرًا- خبزًا صلى عليه قساوستهم، ولم يدر بخلدي أبدًا أنهم وصلوا -في غلوهم في التجسد والوثنية- أن يظنوا أنهم يأكلون إلههم في خبزهم، الذي يقذفون به إلى داخل أحشائهم وسط فضلاتهم!!!

ثم اكتشفت أن النصارى البولسيين لم يكتفوا بتجسد الأقنوم الثاني، بل أوغلوا في التجسيد، فالخبز والخمر يتجسد فيهما الإله، والأمعاء والشرايين يجري فيهم الإله، والكنيسة يحل فيها الروح القدس، وكذلك مذبحها، ولذلك يسجدون له، ورفات القديسين، ولذلك يضعونها في المذبح، الذي يتوجهون له بالعبادة، وشطوا وزادوا في الشطط، فزعموا أن المسيح -بجسده وشحمه وشعره وأظفاره وأحشائه- سيجلس إلى يمين الأب ليدين الخلائق.

ومع كل هذا الانحراف العقدي يصرون ويكابرون ويكررون؛ أنهم موحدون!!!

والنصارى البولسيون يزعمون أن تناول القربان المقدس هو قمة الحب والتوحد مع المسيح عليه السلام، وإني لأسأل كل نصراني بولسي: تصور أن أباك قد مات، فهل ترى أكله دليلًا على محبتك له، وعلى تفانيك في متابعته، وأنك جزء منه؟

وهل لو دار عليك وعلى إخوانك شخص بصينية عليها أشلاء أبيك ممزقة في داخل أرغفة، ودمه موزع في كؤوس، فهل كنت ستأكل وتشرب؟؟؟

أم كنت ستعتبرها أكبر إهانة لأبيك؟؟؟

ولكن ما لا يقبله البولسي على نفسه وأبيه يقبله على إلهه!!!

***

ب- النصوص التي ذكر فيها العشاء الأخير في كتاب النصارى الذي يقدسونه

(1) يستند أغلب النصارى البولسيين في عقيدة أكل لحم وشرب دم المسيح -أساسًا- **لخمسة نصوص في كتابهم الذي يقدسونه**:

(أ) في الإنجيل المنسوب لمتى:

"26: 26 وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: "خذوا كلوا. هذا هو جسدي".

26: 27 وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلًا: "اشربوا منها كلكم،

26: 28 لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا""[1].

(ب) في الإنجيل المنسوب لمرقس:

"14: 22 وفيما هم يأكلون، أخذ يسوع خبزًا وبارك وكسر، وأعطاهم وقال: "خذوا كلوا، هذا هو جسدي".

14: 23 ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم، فشربوا منها كلهم.

14: 24 وقال لهم: "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين""[2].

(ج) في الإنجيل المنسوب للوقا:

"22: 17 ثم تناول كأسًا وشكر وقال: "خذوا هذه واقتسموها بينكم،

22: 18 لأني أقول لكم: إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله".

22: 19 وأخذ خبزًا وشكر وكسر وأعطاهم قائلًا: "هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري".

22: 20 وكذلك الكأس أيضًا بعد العشاء قائلًا: "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم""[3].

(د، هـ) في رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس:

- "10: 16 كأس البركة التي نباركها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح؟

10: 17 فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد""[4].

- "11: 23 لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضًا: إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها، أخذ خبزًا

11: 24 وشكر فكسر، وقال: "خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري".

11: 25 كذلك الكأس أيضًا بعدما تعشوا، قائلًا: "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري".

11: 26 فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء.

11: 27 إذًا أي من أكل هذا الخبز، أو شرب كأس الرب، بدون استحقاق، يكون مجرمًا في جسد الرب ودمه.

11: 28 ولكن ليمتحن الإنسان نفسه، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس.

11: 29 لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه، غير مميز جسد **الرب**"[5].

وجاء العدد الأخير في النسخة الأمريكية القياسية (1901م) بدون ذكر كلمة الرب، هكذا:

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 26: 26 إلى 28 ص: 23.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 14: 22 إلى 24 ص: 40.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 22: 17 إلى 20 ص: 67.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 10: 16 و17 ص: 136.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 11: 23 إلى 29 ص: 137.

"29 For he that eateth and drinketh, eateth and drinketh judgment unto himself, if he discern not the body"[6].

وترجمة هذا النص هي:

"11: 29 لأن الذي يأكل ويشرب، يأكل ويشرب دينونة لنفسه، غير مميز الجسد".

بدون ذكر كلمتي "بدون استحقاق"، ولا كلمة "الرب".

وهذا دليل واضح على التحريف (بالزيادة)، فقد أضافوا كلمة الرب، لينصروا عقيدتهم؛ بأن من يأكل خبز القربان ويشرب خمره، يأكل جسد الرب ويشرب دمه.

وهذا مثال على تحريف النصوص لخدمة العقائد، لأن الكتاب الذي يقدسه النصارى صنعته عقائد الآباء، ولم تتبن عقائدهم على نصوصهم التي يقدسونها، حتى مع تحريفها.

وفي هذا رد واضح على أمثال البابا شنودة الراحل، الذين يتساءلون: أين الدليل على التحريف؟ على من يزعم التحريف أن يأتي بالنص الأصلي، ويثبت الفرق بينه وبين النصوص الحالية.

وهذه مغالطة من مغالطات الكنيسة الكثيرة، التي أدت لكفر الشعوب بها. فهم يأتونك بنصوص لا مصداقية لها، ثم يقولون: "إن أصلها مفقود، ولذا لا يمكنك أن تقول إنها محرفة"!!! وأي واحد منهم لا يقبل ذلك في شيك مزور بمئة دولار، ولكنه يقبله في دينه، الذي يدعيه على الله سبحانه وتعالى.

وممن اعترف بارتكاب ذلك التحريف شراح النسخة اليسوعية للطبعة الثامنة للعهد الجديد الصادرة عام 1982م، حيث جاء فيها تعليقًا على ذلك العدد:

"الجسد: في الأصل اليوناني، **زِدْنا كلمةَ: الربّ، للإيضاح**"[7].

أما في نسخة الطبعة الثالثة للكتاب المقدس الصادرة عام 1994م، فجاء فيها التعليق مخففًا:

"الترجمة اللفظية : "**الجسد**"."[8].

وهؤلاء نزر قليل -من جم غفير- من المحرفين، الذين اضطروا للاعتراف أمام موجة النقد العارمة لنصوصهم التي يقدسونها، أما الأكثر فلا يعترفون.

وستأتي -إن شاء الله- أمثلة كثيرة لهذه التحريفات مع اعتراف آباء الكنيسة وعلماء النصارى بها، بالإضافة لتقريرات علماء النقد الكتابي، وما سبقهم إليه علماء المسلمين الأثبات رحمهم الله.

وقبل كل هؤلاء القرآن الكريم، الذي أثبت التحريف في كتابي اليهود والنصارى، كما أثبت -أيضًا- تلقبهم عقائدهم عن الوثنيين، قال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[9].

وعد بعض العلماء -مثل الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله- ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، كما ذكرت سابقًا[10].

***

(2) ملاحظات على استدلال النصارى -بهذه النصوص- على عقيدة أكل لحم المسيح وشرب دمه في خبز وخمر القربان:

وأقسمها إلى:

(أ) ملاحظات على موثوقية هذه النصوص

---

6 American Standard Version (1901), 1 Corinthians: 11: 29, p: 880.

7 اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية ص: 195.

8 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة بولس الأولى لأهل قورنتس: 11: 29 ص: 528.

9 سورة التوبة، آية: 30.

10 راجع: النقطة الثانية: الخلاف في العقائد- 4- تسرب الوثنية للمسيحية- أ- تمهيد.

(ب) ملاحظات على مفهوم هذه النصوص

***

(أ) ملاحظات على موثوقية هذه النصوص:

[1] بادئ ذي بدء أود أن أعيد التأكيد على أن نصوص الكتاب الذي يقدسه النصارى فاقدة للموثوقية، لأسباب عديدة منها:

[أ] فقدان الأصول.

[ب] جهالة القائل (أو القائلين) والكاتب (أو الكاتبين) الحقيقي (أو الحقيقيين) الذين تنسب لهم هذه النصوص.

[ج] انعدام الأسانيد أصلًا.

[د] اختفاء عدد كبير من تلك النصوص وتعمد تدميرها وإتلافها.

[هـ] وقوع مختلف أنواع التلاعب والتبديل والتغيير والزيادة والإنقاص (التحريف بكل صوره) في هذه النصوص.

ولو طبقنا على هذه النصوص قواعد المحدثين -رحمهم الله- لتحولت إلى هباء منثور، حتى تلك النصوص التي يرى بعض الباحثين أنها ثابتة النسبة لأصحابها مثل بعض رسائل بولس.

وستأتي أمثلة على ذلك -إن شاء الله- عند بحث (تحريف الكتاب المقدس لدى النصارى).

وقد مر بنا في هذا المبحث اعتراف شراح النسخة اليسوعية بتدخلهم في نص: كورنثوس 1: 11: 29.

وهو أمر مستساغ وشائع عند النصارى البولسيين، بل ويزعمون أن (الروح القدس) يهديهم في ذلك.

سبحان الله العظيم: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[11].

[2] هذا عن كتاب النصارى عامة، أما عن هذه النصوص خاصة فقد أحاطت بها شكوك عديدة منها:

[أ] إن هذه الروايات عن العشاء الأخير لسيدنا عيسى -عليه السلام- جاءت في الأناجيل المنسوبة لمتى ومرقس ولوقا، ولكنها لم تأت في الإنجيل المنسوب ليوحنا.

مع أن يوحنا كان له دور أساسي في العشاء الأخير، حيث أنه كان (التلميذ الحبيب)، الذي طلب منه الحواريون أن يسأل المسيح عمن سيسلمه، كما ذكر كاتب -أو كتبة- إنجيل يوحنا:

"13: 18 لست أقول عن جميعكم. أنا أعلم الذين اخترتهم. لكن ليتم الكتاب: الذي يأكل معي الخبز رفع عليَّ عقبه.

.....

13: 21 لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح، وشهد وقال: "الحق الحق أقول لكم: إن واحدًا منكم سيسلمني!".

13: 22 فكان التلاميذ ينظرون بعضهم الى بعض وهم محتارون في من قال عنه.

13: 23 وكان متكئًا في حضن يسوع واحد من تلاميذه، كان يسوع يحبه.

13: 24 فأومأ اليه سمعان بطرس أن يسال من عسى أن يكون الذي قال عنه.

13: 25 فاتكأ ذاك على صدر يسوع وقال له: يا سيد من هو؟".

13: 26 أجاب يسوع: "هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه!". فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي"[12].

فكيف يغفل هذا الشخص ذو المكانة المرموقة عند المسيح -على زعمهم- عن ذكر أهم ما جاء في هذا العشاء؟؟؟

مع أنه أحد اثنين كلفهما المسيح -عليه السلام- بإعداد وليمة الفصح، على حسب ما جاء في الإنجيل المنسوب للوقا:

"22: 1 وقرب عيد الفطير، الذي يقال له الفصح.

---

11 سورة البقرة، آية: 79.

12 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 13: 18 إلى 26 ص: 85.

....

22: 7 وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يذبح فيه الفصح.

22: 8 فأرسل بطرس ويوحنا قائلًا: "اذهبا وأعدا لنا الفصح لنأكل".

....

22: 13 فانطلقا ووجدا كما قال لهما، فأعدا الفصح"[13].

وليس هذا هو التناقض الوحيد بين ما كتبه كتبة الإنجيل المسمى بـ(إنجيل يوحنا) وبقية ما كتبه كتبة الأناجيل الثلاثة الأخرى، بل التناقضات كثيرة، وخاصة فيما يتعلق بقصة آلام المسيح عليه السلام، والتي تعتبر من أهم العقائد في المسيحية.

وسوف يأتي مزيد بيان عنها -إن شاء الله- عند بحث التحريفات في الكتاب المقدس لدى النصارى، ولكني أذكر هنا مثالًا من أشهرها؛ فكاتب -أو كتبة- الإنجيل المنسوب ليوحنا اعتبر العشاء الأخير **قبل** عيد الفصح، بينما اعتبره كُتّاب الأناجيل الثلاثة الأخرى **في** عيد الفصح.

فقد كتب كتبة الإنجيل المنسوب ليوحنا:

" 13: 1 أما يسوع **قبل** عيد الفصح، وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى.

13: 2 فحين كان **العشاء**، وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يسلمه.

13: 3 يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه، وأنه من عند الله خرج، وإلى الله يمضي،

13: 4 قام عن **العشاء**، وخلع ثيابه، وأخذ منشفة واتزر بها"[14].

أما في الإنجيل المنسوب للوقا، فكتب كاتبه المجهول:

"22: 1 وقرب عيد الفطير، الذي يقال له الفصح.

....

22: 7 وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يذبح فيه الفصح.

22: 8 فأرسل بطرس ويوحنا قائلًا: "اذهبا وأعدا لنا الفصح لنأكل".

....

22: 13 فانطلقا ووجدا كما قال لهما، فأعدا الفصح.

22: 14 ولما كانت الساعة اتكأ والاثني عشر رسولا معه،

22: 15 وقال لهم: "شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم،

22: 16 لأني أقول لكم: إني لا آكل منه بعد حتى يكمل في ملكوت الله"[15].

وهذه أحداث هامة تنبني عليها عقيدتهم، وهي مشهورة بحيث لا يمكن الخلط فيها بين شهودها.

وإنما يمكن الخلط فيها إذا صارت روايات شفهية تدور بين ألسنة الناس لعشرات السنين، فيلتقط كل كاتب من أفواه الناس أقاصيص شعبية، فيسجل منها ما يشاء[16].

---

13 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 22: 1 إلى 13 ص: 67.

14 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 13: 1 إلى 4 ص: 85.

15 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 22: 1 إلى 16 ص: 67.

16 أذكر القارئ هنا بما نقلته عن شراح النسخة اليسوعية في: [الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس- النقطة الأولى: نبذة تاريخية- المسألة الأولى: مقدمة عن مصادر دراسة تلك المرحلة]:

"لم يكن الإنجيل في الأصل كتابًا أو مؤلفًا أدبيًا أو تاريخيًا.

....

فقد تكلم يسوع وأعلن بشرى الملكوت وجمع التلاميذ وشفى المرضى وقام بأعمال ذات مغزى. وبعد موته، وفي جو من الإيمان الفِصحي، بشر التلاميذ ثم الوعاظ بقيامته ورددوا أقواله ورووا أعماله بحسب حاجات الكنيسة. فتكونت تقاليد شفهية مدة تقرب من أربعين سنة.

وعن هذا كتب الجراح الفرنسي -الشهير المهتدي للإسلام- موريس بوكاي وهو يبحث (الاستحالات والتضادات) بين الأناجيل الأربعة:

"وقد أشرنا في الفصول السابقة الى بعض من هذه الاستحالات والتضادات المقلقة. ولكن الاحداث الأخيرة التي طبعت بها حياة المسيح وتبعت الآلام موضوع الروايات المختلفة والمتضادة هي ذات وضع خاص.

روايات الآلام:

يقول الاب روغيه نفسه بأن الفصح في الاناجيل الثلاثة مختلف زمنياً مع عشاء المسيح الأخير مع الرسل، عنه في الانجيل الرابع. فبينما يضع يوحنا العشاء السري "قبل عيد الفصح" يضعه الثلاثة الآخرون أثناء الفصح نفسه. ويستنتج من هذا اختلاف صريح مع الحقيقة. ولا يمكن قبول هذه الواقعة بسبب وضع عيد الفصح المعين بالنسبة إليه. وعندما نعلم أهمية الفصح في الطقوس الدينية اليهودية - وأهمية عشاء المسيح الوداعي مع تلاميذه، فكيف يتصور أن تفقد الذاكرة مركز أحدهما بالنسبة إلى الآخر في الرواية المنقولة فيما بعد من الانجيليين؟

....

غياب رواية تأسيس الافخارستيا[17] من انجيل يوحنا:

والحدث الأهم الذي يصدم قارئ قصة الآلام في انجيل يوحنا، هو انه لا يتعرض لأي ذكر لتأسيس سر الافخارستيا خلال عشاء المسيح الاخير مع الرسل.

وما من مسيحي لا يعرف صورة "العشاء السري" حيث كان المسيح للمرة الأخيرة، الى المائدة وسط الرسل. وقد أبرز أعظم الرسامين في هذا الاجتماع الأخير وبالقرب من عيسى "عليه السلام" يوحنا الذي جرت العادة على اعتباره كاتب الانجيل المعروف باسمه.

ويوحنا الرسول مهما كان مدهشاً هذا للكثيرين، ليس معتبراً في نظر أكثرية الاختصاصيين كاتب الانجيل الرابع الذي لم يذكر تأسيس الافخارستيا. وهذا التقديس للخبز والخمر اللذين يستحيلان جسد المسيح ودمه هو العمل الطقسي

....

قد جمع الإنجيليون ودونوا، وفقًا لنظرتهم الخاصة، ما أتاهم من التقاليد الشفهية.

....

فالمرور من مرحلة التقليد الشفهي يبين لنا أيضًا لماذا يبدو الكثير من الفقرات وحدات أدبية صغيرة مركزة على قول من أقوال يسوع أو عمل من أعماله، بلا إطار زمني أو جغرافي دقيق.

....

فكل من هذه الروايات كان لها وجود مستقل عن الأخرى، وغالبًا ما كان تنسيقها من صنع الإنجيليين.

....

فكيف يجب النظر إلى تلك التقاليد، إذا كانت تأثرت مثل هذا التأثر، وهي تُستعمل قبل أن تتَّخذ صورة ثابتة في الأناجيل؟ **وأية ثقة نوليها**؟ وما هي الصلة بينها وبين تاريخ يسوع؟ عن هذه الأسئلة يمكننا أن نجيب أن وثائقنا هي شهادات للإيمان بيسوع المسيح، وإنما يقصد منها أن نلتقي بذلك المسيح الذي نعرفه بالإيمان. ومع ذلك، فقولنا إن الأناجيل هي وعظ وإن مؤلفيها -حتى لوقا الحريص على التاريخ- أرادوا أن يكونوا قبل كل شيء شهودًا للبشرى لا يعني أنهم لا يبالون بحقيقة (تاريخية) الأحداث التي يروونها، لكنهم أكثر اهتمامًا بإبراز معناها منهم بالتعبير عن المضمون الحرفي لأقوال يسوع (راجع الصيغ المختلفة للتطويبات والأبانا وكلام التقديس) وظروف أعماله وتفاصيلها. **إنهم يعرضون تقليدًا قد أصبح تفسيرًا**.

....

وهنا أمران لا بد من توضيحهما:

- فمع أن مضمون الأناجيل **لا يمكن أن يُحقق كله تحقيقًا تاريخيًا**، فمن المؤكد أن هناك أدلة كثيرة، تُلقي هي أيضًا ضوءًا على سائر النصوص.

....

- لا نصل إلى أقول وأعمال يسوع إلا من خلال "الترجمات" التي تأتينا بها التقاليد القديمة ومؤلفات الإنجيليين. فالتعبير باليونانية عما كان أصله في الآرامية ليس أبرز مظهر من مظاهر النقل هذا. فلا شك أنه من الممكن أن **نحاول** استعادة ما قاله يسوع في لغة مولده .... غير أن هذه **المحاولات** تتأثر عن التفصيل بكثير أو بقليل من الرجوح. وهذه الحدود المفروضة على التحقيق التاريخي تنتج عن طبيعة الأناجيل. فالإيمان بالمسيح الحي كان يُنير الذكريات عن يسوع ولم يكن من الممكن أن يُعبَّر عنه إلا بالشهادة الحية بما تتضمنه من روايات جزئية وتكرار وتكييف وتدخل الشاهد أو الراوي". [الكتاب المقدس- النسخة اليسوعية- العهد الجديد- مدخل إلى العهد الجديد ص: 25 إلى 27].

17 الأفخارستيا: هي شعيرة إحياء ذكرى العشاء الأخير أو العشاء الرباني.

الأساسي للمسيحية، يتكلم عنه الانجيليون الثلاثة الآخرون كما ذكرنا آنفاً وان كان بعبارات مختلفة. أما يوحنا فلا يذكر عنه أية كلمة"[18].

[ب] والأمر الثاني الذي يدل على عدم مصداقية هذه النصوص؛ أن رواية الأحداث فيها جاءت بصيغة الغائب، وهو أمر منتشر في كتب النصارى، ولم تأت بصيغة المتكلم.

فمثلًا ذكر كاتب إنجيل متى:

"14: 23 ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم، فشربوا منها كلهم.

14: 24 وقال لهم: "هذا هو دمي".

ولم يقل: "ثم أخذ الكأس وشكر وأعط**انا**، **فشربنا** منها **كلنا**. وقال **لنا**: "هذا هو دمي".

مما يدل على أن الكاتب ليس شاهدًا بل راويًا.

وهنا يأتي السؤال: عمن قد روى؟

ولا جواب عند آباء الكنيسة.

بل إذا علمنا أن كتبة هذه الأناجيل ليسوا معروفين أصلًا، وأن أسماء هذه الأناجيل قد وضعت عليها في القرن الثاني، كما سيأتي إن شاء الله، فإذن هذه النصوص رواها المجاهيل عن المجاهيل.

***

[ج] والأمر الثالث الذي يدل على عدم مصداقية هذه النصوص:

هو خلو نص إنجيل الديداكي أو (تعليم الاثني عشر رسولًا) من أي ذكر للحم ودم المسيح عليه السلام[19].

بل الأفخارستيا المذكورة في إنجيل الديداكي مختلفة عن التي يمارسها النصارى، فالنصارى يأخذ كل واحد لقمة من خبز القربان، أما كاتب إنجيل الديداكي فيتحدث عن أن كل الحاضرين يأكل كل منهم حتى يمتلئ، فقد جاء في الأصحاح العاشر:

"1- بعد أن تمتلئوا، أشكروا هكذا:

2- نشكرك أيها الآب القدوس"[20].

وقد نقلت من قبل عن رجل الدين الملقب بـ(الموقر جدًا) هنري تشادويك[21]؛ أن محرر هذا الإنجيل ابتغى أن يكتب باسم الرسل، لقناعته بأن نقاء الاعتقاد -في أيام الرسل- قد صار مهددًا في وقته[22]، وأن كاتب إنجيل الديداكي وطائفته كانوا يهودًا متنصرين مصممين على التمسك بالقانون الموسوي بأقل ما يمكن من تنازل، مع اعتقادهم بأن يسوع هو مسيح الله[23].

بينما يرى الشيخ أحمد حجازي السقا أن إنجيل الديداكي مكتوب قبل تحريف المسيحية وانفصالها عن اليهودية، بدليل أنه جاء في إنجيل الديداكي: 8: 2- 3 نقلًا عن سيدنا المسيح عليه السلام: "هكذا تصلون ثلاث مرات في اليوم".

وهو يوافق عدد مرات الصلاة اليومي عند اليهود، مثل ما جاء في دانيال: 6: 10[24].

---

18 التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ص: 121 و122.

19 ونص صلاة الأفخارستيا (القربان المقدس) في الديداكي هي:

"9: 1: فيما يختص بالإفخارستيا، اشكروا هكذا:

9: 2: أولاً بخصوص الكأس، نشكرك يا أبانا لأجل كرمة داود فتاك المقدسة، التي عرفتنا إياها بواسطة يسوع فتاك، لك المجد إلى الآباد.

9: 3: أما بخصوص كسر الخبز: نشكرك يا أبانا من أجل الحياة والمعرفة التي أظهرتها لنا بواسطة يسوع فتاك، لك المجد إلى الآباد.

9: 4: كما كان هذا الخبز المكسور ومنثوراً فوق الجبال، ثم جُمع فصار واحداً، هكذا اجمع كنيستك من أقصاء الأرض إلى ملكوتك، لان لك المجد والقدرة بيسوع المسيح إلى الآباد". [إنجيل الديداكي: 9: 1 إلى 4 ص: 35 إلى 37].

20 إنجيل الديداكي لأحمد حجازي السقا ص: 23.

21 الأستاذ الملكي المتقاعد للإلهيات بجامعة كمبردج، وقيم بيت بطرس بكمبردج (1987- 93م).

22 The Church in Ancient Society From Galilee to Gregory the Great, p: 84 & 85.

23 The Church in Ancient Society From Galilee to Gregory the Great, p: 84 & 85.

24 إنجيل الديداكي لأحمد حجازي السقا ص: 50.

***

(ب) ملاحظات على مفهوم هذه النصوص:

[1] أول ما يلاحظ على مفهوم هذه النصوص؛ أن المعنى الحرفي فيها غير مقصود، فالمسيح -عليه السلام- حسب رواية هذه النصوص كسر الخبز، وقال: هذا هو جسدي، وقدم كأس الخمر، وقال: هذا هو دمي.

ولم يقدم لهم قطعة من جسده فيها جلد ولحم وعظم، ويقطر منها الدم، ولم يقدم لهم ملء الكأس من دمه تفوح منه رائحة الدم.

إذن فالمعنى الحرفي غير مقصود، لأنه لو كان مقصودًا لقدم لهم قطعة من لحمه وعظمه وجلده، وقال: هذا هو جسدي، ولقدم لهم ملء الكأس من دمه القاني، وقال: هذا هو دمي.

ومما يؤكد عدم قصد المعنى الحرفي؛ اختلاف آباء الكنيسة الأوائل في معنى هذه النصوص، فمنهم من أنكر المعنى المادي فيها، كما سيأتي إن شاء الله.

فالمعنى الأقرب والأنسب والمتبادر هو أن المسيح عليه السلام -لو سلمنا بصحة هذه النصوص، ونحن لا نسلم بذلك- قصد أن يجتمعوا ويتناولوا الطعام سويًا، ويتذكروا أنه لا يبخل بروحه ودمه من أجل تبليغ رسالة الله لخلقه.

كذلك قد يكون مقصودًا منها معنىً آخر، وهو أن منكم من سيسلمني لقاء فتات من الدنيا، فإنما في الحقيقة يأكل جسدي ودمي من أجل ذلك الحطام، فها هو جسدي ودمي فكله أيها الخائن.

ويؤيد ذلك أن السياق يدل عليه، كما نقلت قبلًا عن الإنجيل المنسوب ليوحنا:

"13: 21 لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح، وشهد وقال: "الحق الحق أقول لكم: إن واحدًا منكم سيسلمني!".

....

13: 26 أجاب يسوع: "هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه!". فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي"[25].

فقد يكون تقديم الخبز لهم في الأناجيل الثلاثة (متى ومرقس ولوقا) هو إعطاء اللقمة ليهوذا في إنجيل يوحنا، وأن كاتب -أو كتبة- إنجيل يوحنا فهم هذا، فكتب ما فهمه أو ما فهموه. ولم يذكر الجسد والدم.

***

ومما يؤكد عدم قصد المعنى الحرفي في تلك النصوص؛ أن كاتب -أو كتبة- أناجيل متى ومرقس ويوحنا نسبوا لسيدنا المسيح -عليه السلام- في أكثر من موضع كلامه عن الخبز بما يختلف عن المعنى الحرفي.

ففي إنجيلي متى ومرقس حذر المسيح -عليه السلام- تلاميذه من خمير الفريسيين والصدوقيين بمعنى تفسيرهم للشريعة، فجاء في الإنجيل المنسوب لمتى:

" 16: 5 ولما جاء تلاميذه إلى العبر نسوا أن يأخذوا خبزًا.

16: 6 وقال لهم يسوع: "انظروا، وتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين".

16: 7 ففكروا في أنفسهم قائلين: "إننا لم نأخذ خبزًا".

16: 8 فعَلِمَ يسوع وقال لهم: "لماذا تفكرون في أنفسكم يا قليلي الإيمان أنكم لم تأخذوا خبزًا؟

....

16: 11 كيف لا تفهمون أني ليس عن الخبز قلت لكم أن تتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين؟".

16: 12 حينئذ فهموا أنه لم يقل أن يتحرزوا من خمير الخبز، بل من تعليم الفريسيين والصدوقيين"[26].

وفي الإنجيل المنسوب ليوحنا وصف المسيح -عليه السلام- نفسه بأنه الخبز النازل من السماء:

---

25 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 13: 21 إلى 26 ص: 85.

26 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 16: 5 إلى 12 ص: 14. ونفس القصة في إنجيل مرقس: 8: 13 إلى 21.

"6: 48 أنا هو **خبز الحياة**.

6: 49 اباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا.

6: 50 هذا هو **الخبز النازل من السماء**، لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت.

6: 51 **أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء**. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو **جسدي** الذي أبذله من أجل حياة العالم".

6: 52 فخاصم اليهود بعضهم بعضًا قائلين: "كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟".

6: 53 فقال لهم يسوع: "الحق الحق أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم.

6: 54 من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير،

6: 55 لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق.

6: 56 من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه.

6: 57 كما أرسلني الآب الحي، وأنا حي بالآب، فمن يأكلني فهو يحيا بي.

6: 58 **هذا هو الخبز الذي نزل من السماء**. ليس كما أكل اباؤكم المن وماتوا. من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد".

....

6: 63 **الروح** هو الذي يحيي. أما **الجسد فلا يفيد شيئًا**. الكلام الذي أكلمكم به هو **روح وحياة**"[27].

فإذا تأملنا في هذا المقطع من الإصحاح السادس نجد معان مهمة:

فأولًا: المسيح وصف نفسه بأنه "**خبز الحياة**"، وأنه "**الخبز النازل من السماء**"، والمسيح -عليه السلام- لم يكن رغيفًا من الخبز، بل كان إنسانًا.

إذن فمعنى الخبز هنا ليس هو المعني الحرفي، بل معناه رسالة المسيح -عليه السلام- إلى التوحيد مكملًا رسالة إخوانه الأنبياء -عليهم السلام- من قبله.

وثانيًا: نسبوا للمسيح -عليه السلام- قوله: "والخبز الذي أنا أعطي هو **جسدي** الذي أبذله من أجل حياة العالم". أي أنه كما كانت رسالة المسيح -عليه السلام- هي الخبز النازل من السماء، وليست رغيف الخبز الذي يؤكل، فكذلك جسده هو تضحيته بنفسه من أجل تبليغ رسالة التوحيد، وليست الجسد بالمعنى الحرفي.

وثالثًا: إن اليهود -في هذا الاقتباس من إنجيل يوحنا- فهموا المعنى المادي عن الخبز، كما فهم أغلب النصارى المعنى المادي من خبز العشاء الأخير "فخاصم اليهود بعضهم بعضًا قائلين: "كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل".

فبين لهم المسيح -عليه السلام- أن كلامه عن أكل جسده وشرب دمه لا يقصد به المعنى الحرفي، بل يقصد به تزكية أرواحهم، فجاء عنه عليه السلام: "الروح هو الذي يحيي. أما **الجسد فلا يفيد شيئًا**. الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة".

ورابعًا: إن المسيح -عليه السلام- أكد في هذا الاقتباس أنه مرسل من الأب الحي "كما أرسلني الآب الحي".

إذن فالمسيح رسول مرسل من الله، لأن اللهَ لا يرسل اللهَ، لأن المرسَل تابع ومنفصل عن المرسِل.

وقد أكد هذا؛ النص الواضح الدلالة في إنجيل يوحنا:

"17: 3 وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت **الإله الحقيقي وحدك** ويسوع المسيح الذي **أرسلته**.

17: 4 أنا مجدتك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته"[28].

فالله واحد، ويسوع رسوله المرسل منه، وقد كلفه بعمل فأتمه، فهل يكلف اللهُ اللهَ؟!!!

***

---

27 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 6: 48 إلى 63 ص: 77 و78.

28 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 17: 3 و4 ص: 88.

ومما يؤيد هذا الفهم للكلام المنسوب لسيدنا عيسى عليه السلام؛ أن كاتب -أو كتبة- إنجيل يوحنا نسب له أنه تكلم عن الطعام، ولم يقصد به المعنى الحرفي:

"4: 34 قال لهم يسوع: "طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله"[29].

***

[2] الملاحظة الثانية: أن المسيح -عليه السلام- لم يقل: إن الخبز سيتحول لجسدي إذا صليتم عليه، ولم يصل المسيح -عليه السلام- على الخبز والخمر، ولكن هذه من إضافات آباء الكنائس واختراعاتهم.

وقد رتبت الكنيسة قداسًا للصلاة على الخبز والخمر، اسمه (القداس الإلهي) لا وجود له في الكتاب الذي يقدسونه، ويعتبرون هذا القداس "قلب وجوهر العبادة المسيحية"[30]. ولم يقل المسيح -عليه السلام- لتلاميذه: إنكم لو صليتم القداس الإلهي على هذا الخبز، ثم سجدتم له، ثم ...، وثم ...، ستجدونني في بطونكم

***

[3] ثالث هذه الملاحظات: أن المسيح لم يقل لأصحابه في تلك النصوص: هذا الخبز قد تحول للإله، فاسجدوا له.

ولم يرد في تلك النصوص أن أصحاب المسيح -عليه السلام- قد سجدوا للخبز والخمر، أو قالوا له: أنت الإله أيها الخبز.

ولكن هذه من إضافات آباء الكنائس.

وقد أضاف آباء الكنائس عشرات من التفاصيل الأخرى لقصة القربان المقدس، منها مثلًا:

[أ] أن القربان المقدس لا يتناوله من لا يواظب على الاعتراف[31] (التجسس المقدس) لآباء الكنيسة[32].

وهذه من وسائل آباء الكنائس للسيطرة على الشعوب، فيجب على المسيحي أن يذهب لكنيسته، ليعترف أمام القسيس أو الراهب بكل ما ارتكبه بالتدقيق والتحقيق والتفتيش، فإذا اقتنع القسيس أو الراهب بأنه قد أدلى بكل شيء، فبعد ذلك يلزمه بما يرى من التزامات[33]، ثم يسمح له بحضور قداس التناول، ويعطى لقمة من الخبز ورشفة من الخمر فيهما جسد الإله ودمه، لينتشر الإله في جسمه، فيخلص بذلك من الهلاك.

وهؤلاء القسس والرهبان -باعتراف النصارى أنفسهم وبإجماع المؤرخين- يرتع فيهم الفساد والانحلال، فيكون تجسسهم على الناس وسيلة لممارسة الفساد، ولاستغلالهم لصالح الكنيسة.

ومن تغضب عليه الكنيسة، تحرمه من المشاركة في طقوسها، ولا تعطه قطعة من لحم الإله ولا رشفة من دمه، وتتركه للهلاك الأبدي.

وعن هذا كتب البابا الراحل شنودة الثالث جوابًا لمن يسأل: "هل يمكن الخلاص بدون تناول؟"، فأجاب:

"أقول كلا ، لأن جسد الرب يعطي عنا خلاصا وغفرانا للخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه".

ثم شرح ذلك فكتب:

"ان المعمودية قد خلصتك من الخطيئة الأصلية . وهذا هو الخلاص الأول الذي نلته .

....

---

29 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 4: 34 ص: 75.

30 راجع: كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك ج: 1 ص: 146.

31 الاعتراف من العقائد الثابتة لدى الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية، أما البروتستانتية فموقفها تجاهه فيه تفصيل.

32 راجع: كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك ج: 1 ص: 113.

33 جاء في كتاب كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك ج: 1 ص: 102 عن سر الاعتراف:

"ج- إرشادات أثناء جلسة الاعتراف :

- يذكر المعترف كل خطاياه سواء التي بالفعل أو بالقول أو بالفكر.

- لا يخفي المعترف شيئاً بل يذكر كل شيء بحرص .

....

د- إرشادات بعد جلسة الاعتراف :

....

- يجب عليه أن يسعى في تنفيذ ما أعطاه أبوه الروحي من قوانين وإرشادات".

ولكنك في كل يوم تخطئ.

....

وتحتاج إلى جسد المسيح المذبوح عنك . تحتاج الى الذبيحة المقدسة كفارة لخطاياك . وما الذبيحة المقدسة في سر الافخارستيا سوى امتداد لذبيحة المسيح . لذلك لا يمكن أن تخلص من خطاياك بدونها ، هذه التي تعطي عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا .كما أن بها تثبت في الرب كما قال"[34].

إذن يمكن أن نتتبع الخطوات التالية في سعي الكنيسة للسيطرة على الشعوب:

أولًا: تبنت مبدأ الإله المتجسد الذي حمل عن البشرية الخطيئة الأصلية، وضمن الخلاص بمجرد الإيمان بقتله على الصليب. فتهربت من الشريعة اليهودية، وتقربت من الوثنيين، فسهل عليهم الانضمام للمسيحية بالملايين، وبعد أربعة قرون من التقارب والصراع مع الدولة الرومانية تبنت الدولة الرومانية العقيدة الإثناسيوسية للإله المتجسد المثلث[35]، التي لم تنقل عن المسيح عليه السلام.

وثانيًا: لم تكتف الكنيسة بذلك بل أرادت أن تضمن مزيدًا من السيطرة، فجاءت بشعيرة العماد، الذي لا نجاة بدونه.

وثالثًا: أرادت السيطرة المستمرة على حياة الناس، فجاءت بسري الاعتراف والتناول المتكررين، لتضمن أن أتباعها سيظلون محتاجين لها لخلاصهم طوال عمرهم.

ولهذا ثارت الشعوب على هذه الخرافات كما سيأتي -إن شاء الله- في عرض تطور تاريخ الدولة الوطنية.

كذلك يشير البابا شنودة لأمر مهم في عقيدة تناول القربان المقدس، وهو أن القربان يجعل المسيحي **يثبت** في الرب، فيتمكن منه الإيمان، لأن الرب بذاته في داخله فكيف ينحرف أو يكفر!!!

ويستدلون على ذلك بما ورد في إنجيل يوحنا منسوبًا لسيدنا عيسى عليه السلام:

" 6: 55 لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق.

6: 56 من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه"[36].

ويتجاهل معظم النصارى النص الذي بعده:

يوحنا:

"6: 63 الروح هو الذي يحيي. أما الجسد فلا يفيد شيئًا. الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة"[37].

ومن الأدلة أيضًا- على بطلان زعمهم -بأن من يأكل القربان المقدس يثبت فيه الإله المتجسد- أن أكثر العلمانيين والملاحدة في التاريخ خرجوا من النصارى، فبسبب عقائد وأعمال الكنيسة ثارت عليها الشعوب في أوروبا، وكفرت بها واتجهت للعلمانية والإلحاد.

كذلك الكنيسة تتناقض مع نفسها، فتدعي أن المسيح -عليه السلام- يثبت فيمن يتناول الخبز والخمر، ومع ذلك تؤكد على تكرار التناول، وقبله الاعتراف، كل شهر أو شهر ونصف على الأقل!!!

أي أنها تقر بأن هذا المبتلع للإله المتجسد، يرتكب الموبقات رغم ثبات الإله فيه، فما فائدة ثبات الإله فيه؟

إن كان هذا المسيحي البولسي يذهب بالإله الثابت في شحمه ولحمه وعظمه وأوعيته الدموية لأماكن الفسق والفجور والفساد بل وربما الإلحاد؟؟؟

[ب] ومن هذه التفاصيل أيضًا؛ أن من يحضر قداس التناول يجب أن يكون صائمًا على الأقل لمدة تسع ساعات[38]. حتى يضمن امتصاص القربان المتأله، ولا يذهب لمكان آخر!!!

---

34 الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي ص: 34 و35.

35 سيأتي -إن شاء الله- بعض تفصيل عن ذلك عند بحث حركة آريوس، الذي نادى بأن المسيح مخلوق.

36 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 6: 55 و56 ص: 78.

37 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 6: 63 ص: 78.

38 راجع: كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك ج: 1 ص: 113.

ترى لو كان الإنسان مصابًا بإسهال، أو بعسر هضم، فماذا سيحدث لإلهه الذي ابتلعه؟

نعوذ بالله من الوثنية.

[ج] ومن التفاصيل أيضًا التي أضافتها الكنيسة، وتشددت فيها أيما تشدد؛ هل يكون خبز القربان مخمرًا أم فطيرًا غير مخمر؟

فالكنيسة الأرثوذكسية تصر على أن الخبز يجب أن يكون مخمرًا[39]، بينما الكاثوليك يفضلون الفطير غير المخمر!!!

وكان هذا من أسباب الشقاق بين الفريقين، أو قل: من الأسباب التي اتخذت لتبرير الشقاق بينهما، ذلك الشقاق الذي تصاعد حتى وصل للانفصال الرسمي، الذي سمي بالانشقاق الكبير في عام 1054م، وكان من نتيجته أن أصدرت كلتا الكنيستين قرارًا بالحرمان ضد الأخرى[40].

***

[4] رابع هذه الملاحظات: أن بولس هو أول من نسبت إليه عقيدة الشركة في جسد ودم المسيح عليه السلام، لأن النصارى متفقون على أن رسائل بولس كتبت قبل الأناجيل الأربعة.

وبولس يذكر أنه تلقى هذه العقيدة من المسيح نفسه بالوحي!!! لأن بولس لم ير المسيح، فجاء في رسالته الأولى لأهل كورنثوس:

"11: 23 لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضًا: إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها، أخذ خبزًا

11: 24 وشكر فكسر، وقال: "خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري"[41].

وهذه دعوى عريضة، لم يأت عليها بولس بدليل واحد، كما ذكرت سابقًا.

وإذا كانت رسائل بولس تدور بين المسيحيين في النصف الثاني من القرن الأول، ثم كتب بعدها كتاب الأناجيل أناجيلهم، فلا يستبعد أن يكونوا هؤلاء الكتاب (المجهولون) قد نقلوا من تلك الروايات الدائرة بين المسيحيين، والتي أسسها بولس بلا دليل قدمه.

ويحاول شراح النسخة اليسوعية علاج هذا الادعاء البولسي بقولهم:

"أي: تلقيت تقليدًا يرقى عهده إلى الرب"[42].

وهذا قول بلا علم، فمن أين لهم هذا الزعم؟

ثم هذا الزعم يناقض ما كرره بولس مؤكدًا -في أكثر من موضع- أنه يتلقى العقائد من المسيح، حتى أنه في بداية هذه الرسالة لأهل كورنثوس بدأها بقوله:

"من بولس الذي شاء الله أن يدعوه ليكون رسول المسيح يسوع"[43].

وكما جاء في رسالته لأهل غلاطية:

"1: 11 وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به، أنه ليس بحسب إنسان.

1: 12 لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمتُهُ بل بإعلان يسوع المسيح"[44].

ثم هم حاولوا أن يخرجوا من ورطة، فوقعوا في أخرى، فمن هم هؤلاء المجاهيل الذين نقل عنهم بولس؟ على زعمهم.

***

---

39 كيستي الأرثوذكسية ما أجملك ج: 1 ص: 108.

40 Microsoft Encarta 2009:

- Orthodox Church, V. HISTORY, A. The Schism of Eastern and Western Christianity.

- Great Schism.

41 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 11: 23 و24 ص: 137.

42 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل قورنتس: 11: 23 ص: 527.

43 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل قورنتس: 1: 1 ص: 510.

44 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 1: 11 و12 ص: 149.

[5] خامس هذه الملاحظات: هو وجود تناقضات بين روايات الأناجيل.

ويبينها الجدول التالي:

	متى	مرقس	لوقا	كورنثوس 1
كم كأسًا؟	1	1	2 (واحدة قبل العشاء وأخرى بعدها)	1
فائدة ومعنى تناول الخبز والخمر	دم المسيح للعهد الجديد يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا	دم المسيح للعهد الجديد يسفك من أجل كثيرين	جسد المسيح مبذول عن التلاميذ	تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء.

***

[6] سادس هذه الملاحظات: أن كاتب رسالة بولس لأهل كورنثوس الأولى ذكر أن بولس قال:

"10: 17 فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد"[45].

فلو كان أكل الخبز هو أكل الجسد، فبناء على قول بولس: "فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد". فإن متناولي القربان لا يأكلون فقط جسد المسيح، بل يأكلون أجساد ملايين المسيحيين من عصرهم حتى عصر المسيح!!!

***

[7] سابع هذه الملاحظات: أن كاتب رسالة بولس لأهل كورنثوس الأولى ذكر أن بولس قال:

" 11: 26 فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء"[46].

ولم يقل: كلما أكلتم هذا الجسد، وشربتم هذا الدم.

وخبر موت الرب -عندهم- قد حصل لهم، فلماذا التكرار؟

***

[8] ثامن هذه الملاحظات:

لما أعطى المسيح -حسب روايات كتاب الأناجيل والرسائل- التلاميذ الخبز والخمر، كان جالسًا بينهم، ولم يتحول إلى خبز ولا إلى خمر، ثم إن الخبز المعطى لهم لم يكن لحمًا يقطر منه الدم، ولم يكن دمًا، بل جسم المسيح ظل كاملًا، ودمه لم يفارق أوعيته الدموية.

***

[9] وتاسع هذه الملاحظات:

أن المسيح -عليه السلام- ظل في قصة العشاء الأخير مسيحًا واحدًا، ولم يكن مسيحين: مسيح يُعْطِي، ومسيح يُعْطَى ويؤكل ويُشْرَب.

***

[10] عاشر هذه الملاحظات أن جملة: "اصنعوا هذا لذكري". لم تأت إلا في رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس: 11: 24، وفي إنجيل لوقا: 22: 19.

ولم تأت في روايتي إنجيلي متى ومرقس.

وبولس ولوقا -بإقرار النصارى- لم يريا المسيح عليه السلام، والنصارى يؤكدون أن لوقا تلميذ لبولس.

---

45 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 10: 16 و17 ص: 136.

46 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 11: 26 ص: 137.

فهذا يشكك في هذه الجملة، وأنها ليست رواية شاهد، بل من مزاعم بولس، وبالتالي لا يصح استناد النصارى عليها في تكرار الاحتفال بتناول الخبز والخمر.

وإن كان الشك في الحقيقة مخيم على تلك النصوص طبقات فوق طبقات.

***

وأكتفي بهذه الملاحظات، وإلا فهناك ملاحظات عديدة ذكرها النقاد.

***

ج- التطور التاريخي لعقيدة العشاء الرباني

(1) المسيحيون الأوائل كانوا يتعبدون في الهيكل اليهودي، فلم يكونوا يخالفون الشعائر اليهودية، فلا يمكن أن يتصور أبدًا أن يقع منهم العشاء الرباني، الذي فيه أكل اللحم والدم للإله المتجسد، فكل هذه ممنوعات في الديانة اليهودية.

وإذا كان بولس قد اجتمع عليه اليهود وجميع سكان أورشليم، وطردوه من الهيكل، وكادوا يقتلونه، لأنه كان يعلم ضد الناموس. كما جاء في رواية أعمال الرسل.

فما بالك إذا علم اليهود أو اليهود المتنصرون أن هناك من يقول: إن الخبز الذي يكسرونه بينهم -كعادة اليهود- هو لحم ودم المسيح عليه السلام.

جاء في سفر أعمال الرسل عن المسيحيين الأوائل:

"2: 42 وكانوا يواظبون على تعليم الرسل و الشركة و كسر الخبز و الصلوات.

.....

2 :46 وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج و بساطة قلب.

2 :47 مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون"[1].

إذن هنا يقرر كاتب سفر (أعمال الرسل) أن النصارى الأوائل كانوا مواظبين على تعليم رسل بني إسرائيل عليهم السلام، وأنهم كانوا يصلون في الهيكل، أي يتعبدون على حسب شريعة اليهود، ولم تكن لهم كنيسة.

كما أن جميع الشعب (أي عامة اليهود) كانوا يجلونهم، إذن لا يمكن أن يكونوا مخالفين لشريعة التوراة.

ولذلك من الأمور الهامة؛ أن كاتب سفر أعمال الرسل -الذي يقول النصارى: إنه لوقا- لم يذكر أي شيء عن أن تلاميذ المسيح -عليه السلام- قد مارسوا طقوس القربان المقدس معلنين: أنهم يأكلون لحم المسيح ويشربون دمه.

ولو كان المسيحيون الأوائل يجاهرون بأنهم يأكلون لحم المسيح –عليه السلام- ويشربون دمه لنبذهم اليهود، ولرجموهم. فأكل الميتة وشرب الدم من المحرمات في الشريعة اليهودية، جاء في سفر اللاويين:

"17: 10 وكل إنسان من بيت إسرائيل ومن الغرباء النازلين في وسطكم يأكل دمًا، أجعل وجهي ضد النفس الآكلة الدم وأقطعها من شعبها،

....

17: 12 لذلك قلت لبني إسرائيل: لا تأكل نفس منكم دمًا، ولا يأكل الغريب النازل في وسطكم دمًا.

......

17: 14 لأن نفس كل جسد دمه هو بنفسه، فقلت لبني إسرائيل: "لا تأكلوا دم جسد ما، لأن نفس كل جسد هي دمه. كل من اكله يقطع.

17: 15 وكل إنسان يأكل ميتة أو فريسة، وطنيًا كان أو غريبًا، يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويبقى نجسًا إلى المساء ثم يكون طاهرًا.

17: 16 وإن لم يغسل ولم يرحض جسده يحمل ذنبه"[2].

***

(2) بعد عصر الرسل

نقلت سابقًا عن أستاذ اللاهوت بأكسفورد ورجل الدين المقلب بـ(الموقر جدًا) هنري تشادويك أنه ينقل عن أغناطيوس أنه في رحلته لروما مقبوضًا عليه -في بداية القرن الثاني الميلادي- التقى بعدد من التجمعات المسيحية التي تحافظ على الشعائر اليهودية.

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 2: 42 إلى 47 ص: 94.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر اللاويين: 17: 10 إلى 16 ص: 84 و85.

وأنه في سميرنا (Smyrna) التقى بمجموعة تنأى بنفسها عن القربان المقدس من أسقفها، وتنكر تحول القربان المقدس للحم المسيح[3].

وقد ذكرت دائرة المعارف الكتابية أن عشاء الرب استمر في الكنيسة، ولكنه تغلف بمغزى سري، وانفصل عن اجتماعات الصلاة، ففصل عن اجتماع الموعوظين المفتوح للجميع، وصار خاصًا باجتماع المؤمنين.

وسمى المسيحيون التقدمات "قرابين" أو "ذبائح"، وهكذا نشأ تدريجيًا مفهوم الذبيحة[4].

وبهذا يتبين أن فكرة: أن خبز وخمر القربان امتداد لذبيحة المسيح نشأت متأخرة عن عصر الرسل، مع التذكير بأن النصارى لا يقولون: إن المسيح قد ذبح، ولكنهم يعتقدون أنه قد صلب، ولكنهم يصرون على معنى ومفهوم الذبيحة، الذي هو أقرب للعقل الوثني.

وأضافت دائرة المعارف الكتابية أيضًا: "ويقدم لنا الكتاب المعروف باسم " تعاليم الرسل " فكرة عن العبادة في الكنيسة في نهاية القرن الثالث، فحتى في ذلك الوقت المبكر ، حلت الطقوس محل بساطة العبادة التي كانت في أيام الرسل"[5].

وقد نقلت سابقًا أن سفر الديداكي أو (تعليم الاثني عشر رسولًا) ليس فيه حرف واحد عن تحول الخبز والخمر لجسد ودم المسيح عليه السلام.

(3) أما آباء ما بعد نيقية فقد دافع كثيرون منهم عن المعنى الروحي للعشاء الرباني، بينما أصر آخرون على المعني المادي لها[6].

(4) ونشأت عقيدة حضور المسيح في أثناء العشاء الرباني نشأة بطيئة. وكانت الصياغة الرسمية الأولى لهذه العقيدة هي التي أذاعها مجلس نيقية في عام 787م. ثم أعلن راهب بندكتي فرنسي يدعى رتراموس (Ratramus) عام 855م أن الخبز والخمر المقدسين لم يكونا جسم المسيح ودمه إلا بطريقة روحية لا جسدية.

وقد غلبت النظرية الرمزية لبعض الوقت، وقد ظهر من يؤيدها في القرن الحادي عشر الميلادي مثل برنجاريوس (Berenegar) رئيس شمامسة تور، الذي جهر حوالي عام 1054م بارتيابه في تحول الخبز والخمر إلى جسم المسيح ودمه، فكان جزاؤه الحرمان من الدين، وكتب لافرانك (Lafrance) رئيس دير بك (Bec) ردًا عليه عام 1063م، يقرر فيه -ما يزعمه-العقيدة الدينية الصحيحة قال فيه:

"إنا لنعتقد أن المادة الأرضية تستحيل بتأثير القوة السماوية، التي لا يستطيع أحد وصفها أو إدراك كنهها إلى جوهر جسم المسيح، على حين أن مظهره، وبعض صفاته الأخرى المتصلة بهذه الحقائق نفسها، تبقى خافية حتى ينجو الناس من هول رؤية الأشياء النيئة المخضبة بالدماء، وحتى ينال المؤمنون الجزاء الكامل لإيمانهم. ومع هذا كله فإن جسم المسيح ذاته يبقى في الوقت عينه في السماء مصونًا كاملًا، لا يمسه أذى أو دنس".

مما يظهر أنه بحلول منتصف القرن الحادي عشر الميلادي صارت النظرة المادية هي المقبولة عمومًا[7].

(5) وقد استخدم هيلدبرت لأول مرة كلمة (تحول) -التي تعني تحول الخبز والخمر لجسد ودم المسيح عليه السلام- في عظة له عام 1134م.

ثم أقر البابا إنوسنت الثالث هذا التعليم مع استخدام هذا التعبير الجديد في مجمع لاتيران عام 1215م، وأكد أن جسد المسيح ودمه موجودان بالفعل على المذبح تحت صورة الخبز الخمر.

وأن المسيح بأكمله موجود في كل من هذين العنصرين. وأن هذه العقيدة من المبادئ الأساسية في الدين المسيحي.

---

3 The Church in Ancient Society, p: 70 to 72 & Encyclopædia Britannica, Ignatius of Antioch, Saint.

4 دائرة المعارف الكتابية- حرف الراء- رب- عشاء الرب ج: 4 ص: 52.

5 دائرة المعارف الكتابية- حرف الراء- رب- عشاء الرب ج: 4 ص: 52.

6 دائرة المعارف الكتابية- حرف الراء- رب- عشاء الرب ج: 4 ص: 52 و53.

7 دائرة المعارف الكتابية- حرف الراء- رب- عشاء الرب ج: 4 ص: 53، قصة الحضارة ج: 16 ص: 19 و20.

وأضاف مجلس ترنت (Trent) إلى هذا القول -في عام 1260م- أن كل جزء من الخبز المقدس مهما كسر يحتوي جسم عيسى المسيح كله، ودمه، وروحه[8].

وعلق على هذا ول ديورانت بقوله:

"وبهذه الطريقة تعظم الحضارة الأوروبية والأمريكية اليوم شعيرة من أقدم الشعائر في الأديان البدائية ـ وهي أكل الإله"[9].

(6) ولما جاء الإصلاحيون (البروتستانت) في القرن السادس عشر الميلادي رفضوا عقيدة (تحول) الخبز والخمر لجسد المسيح -عليه السلام- ودمه، ثم تراجع لوثر عن ذلك[10]، كما سيأتي إن شاء الله.

إذن نخلص من هذا:

- أن عقيدة أكل لحم المسيح وشرب دمه لم تكن موجودة في عصر المسيح ولا رسله.

- وأن أول من جهر بالشركة في جسد المسيح -عليه السلام- ودمه هو بولس، وإن كان لم ينسب له أنه ادعى أن الخبز والخمر يتحولان في جسم المتناول لجسد المسيح -عليه السلام- ودمه.

- وفي عصر آباء ما بعد نيقية ظهر الخلاف.

- واستمر هذا الخلاف حتى تقررت عقيدة أكل لحم المسيح وشرب دمه في مجمعي لاتيران وترنت في القرن الثالث عشر الميلادي[11].

***

---

8 دائرة المعارف الكتابية- حرف الراء- رب- عشاء الرب ج: 4 ص: 53، قصة الحضارة ج: 16 ص: 53 و ج: 16 ص: 19 و20.

9 قصة الحضارة ج: 16 ص: 20.

10 دائرة المعارف الكتابية- حرف الراء- رب- عشاء الرب ج: 4 ص: 52 و53.

11 راجع لتفصيل تطور عقيدة القربان المقدس: المسيحية نشأتها وتطورها ص: 160 إلى 162.

ج- أقوال النصارى في العشاء الرباني

بعد هذا العرض التاريخي أوجز أقوال النصارى في العشاء الرباني:

انقسم النصارى لقسمين حول هذا العشاء، فقسم أنكره، وقسم اعتقد به.

(1) فأشهر من أنكره، هم النقاد العقلانيون الألمان أنكروا وقوعه، واستندوا في ذلك إلى عدم ذكر شيء عن هذا الموضوع في إنجيل يوحنا، وعدم ورود عبارة "اصنعوا هذا لذكري" في إنجيل متى وفي إنجيل مرقس، بينما ينسبون ورود هذه العبارة في إنجيل لوقا إلى تأثره بما كتبه بولس.

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء النقاد ينكرون تمامًا عقيدة الكفارة[1].

***

(2) أما أغلب النصارى فيعتقدون بوقوعه، ولكن يختلفون حوله عقديًا:

(أ)- فطائفة قالت: إنه ذو مغزى روحي (أصحاب النظرة الديناميكية)

ومن هؤلاء أوريجانوس ويوسابيوي القيصري وباسيليوس الكبير، وغريغوويوس النارياتزي وغيرهم، ومثلهم أوغسطينوس، الذي لم يكن يعلم شيئًا عن تحول الخبز والخمر للحم ودم المسيح عليه السلام، بل كان يرى أن الشركة مع المسيح تحمل بركة للمؤمين، وأن الأكل الحقيقي للمسيح يكمن في الإيمان[2].

كذلك تنكر الكنيسة الإثيوبية عقيدة (تحول) الخبز والخمر لجسد ودم سيدنا المسيح عليه السلام[3].

***

(ب) وطائفة قالت إنه ذو مغزى مادي بتحول الخبز والخمر لجسد المسيح -عليه السلام- ودمه.

ومن هؤلاء الكاثوليك والأرثوذكس وبعض البروتستانت.

[1] فالكاثوليك والأرثوذكس يعتقدون أن الخبز والخمر يتحول بعد القداس عليه إلى جسد المسيح -عليه السلام- ودمه حقيقة، وعن هذا نقل الأستاذ محمد عليان -رحمه الله- عن لجنة التربية الكنسية في كتابها (موسوعة الخادم القبطي (لاهوت عقيدي) ج: 5 ص: 76 و77):

"تقول الكنيسة الأرثوذكسية إن المسيح طبيعة واحدة ، وهذ هو الإيمان الذي يجهر به الكاهن في القداس القبطي عندما يتلو الاعتراف الأخير وهو يحمل الصينية المقدسة على يديه قائلاً : " آمين ، آمين ، آمين ، أؤمن ، أؤمن ، لأؤمن ، وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيي الذي أخذه ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، "أخذه" من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله القديسة مريم"[4].

ولذا يسجدون للقربان، ويصلون له.

[2] أما البروتستانت فموجز أقوالهم:

[أ] رفض لوثر ورفاقه الإصلاحيون عقيدة (تحول) الخبز والخمر لجسد المسيح -عليه السلام- ودمه، ولكن سرعان ما تغير فكر لوثر، وصار يعتقد باتحاد الخبز والخمر بجسد المسيح ودمه، وتشكلت منذ عام 1524م عقيدته؛ بأن جسد المسيح -عليه السلام- موجود حقيقة في ومع وتحت العشاء.

وهذا هو معتقد الكنيسة اللوثرية.

[ب] أما زوينجلي فقد رأى أن العبارة المنسوبة لسيدنا عيسى عليه السلام: "هذا هو جسدي". تعني أن: هذا يمثل جسدي. وأن العشاء الرباني تذكار رمزي لآلام وموت المسيح عليه السلام.

وقد تبنى هذا الرأي قطاع كبير من الكنائس البروتستانتية.

---

1 دائرة المعارف الكتابية- حرف الراء- رب- عشاء الرب ج: 4 ص: 51.

2 دائرة المعارف الكتابية- حرف الراء- رب- عشاء الرب ج: 4 ص: 52 و53.

3 Microsoft Encarta 2009, The Abyssinian Church.

4 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 111.

[ج] أما كالفن فقد وافق زونجلي في إنكار كل حضور مادي أو مكاني أو جوهري للمسيح في العشاء الرباني، ولكنه يتفق مع لوثر في أن المسيح --عليه السلام- حاضر فقط بصورة روحية في العشاء الرباني[5].

***

5 دائرة المعارف الكتابية- حرف الراء- رب- عشاء الرب ج: 4 ص: 53 و54.

هـ- الأصول الوثنية للعشاء الرباني

تبين مما سبق أن أول من نسب له القول بالشراكة في جسد المسيح -عليه السلام- ودمه هو بولس، ثم طورت الكنائس البولسية قوله بعد ذلك إلى تجسد المسيح -عليه السلام- في الخبز والخمر، وإلى أكل لحمه وشرب دمه، كما ذُكِرَ في العرض الموجز الذي أسلفته.

ولما كان بولس لا مصدر له إلا ما زعمه من وحي المسيح -عليه السلام- له، وهي الدعوى التي لم يستطع أن يقدم عليها دليلًا، لذا وجب أن ننظر في المصادر المحتملة حول بولس، فهل كان لهذا القول من أصل وسابقة؟

كذلك الأمر بالنسبة لأناجيل متى ومرقس ولوقا، التي وردت فيها روايات عن العشاء الرباني، فتلك الأسفار لم تحز أية مصداقية، كما سيأتي إن شاء الله، وقد ثبت أنها نقلت عن مصادر متقدمة عنها، إما بولس أو غيره.

إذن فهي ليست مصادر تاريخية ولا عقدية موثوق بها.

لإن الحق لا يعرف إلا بخبر صادق أو وحي ثابت، وكلاهما معدومان في تلك الأسفار.

ولما كان سيدنا المسيح -عليه السلام- وأتباعه المقربون -رضي الله عنهم- قطعًا من اليهود، وملتزمين بشريعة التوراة، ولما كانت شريعة التوراة وعقيدتها تعتبران أكل الإله المتجسد وشرب دمه من الكفر البواح، إذن فمن أين أتى كتاب هذه الأسفار بهذه القصة؟؟؟

على الباحث المنصف أن ينظر في العقائد والعوائد التي كانت سارية في وقت كتابة هذه الأسفار.

كتب عن ذلك شارل جنيبير:

"وإننا لنجد في عباد الفريجيين للالهة بيل وللالهة أتيس ، كما نجد في بعض الديانات الآسيوية الأخرى المختلفة ، وفي تلك التي تؤمن بالاله ميثرا ، نوعا غريبا من الطقوس ، يدخل ضمن مدارج المعرفة الباطنية التي يختص بها الاتباع المخلصون ، ويدعى بـ " التوروبول "[1] ، أي : التضحية بالثور . ويحفر من أجله خندق داخل أسوار المعبد ، فينزل فيه المريد ، ثم تسدل عليه شبكة يذبح عليها ثور - حسب شعائر معلومة - وينهمر الدم في الحفرة ، فيتلقاه الذي بها ويحاول أن يغمس فيه سائر أعضاء جسده . وبعد إتمام هذا النوع من التعميد ، تنزع الأعضاء الذكر من الأضحية ، وتوضع في إناء مقدس ، ويتقدم بها السالك قربانا للآلهة، ثم تدفن تحت هيكل تذكاري"[2].

وأصل هذه الأسطورة؛ أن الإلهة الرئيسية للفريجيين كانت تدعى سيبل، وكانت تعرف بأم الآلهة العظيمة، وقد اتخذت لنفسها حبيبًا إلهًا وسيمًا يدعى أتيس، ولكنها اكتشفت عدم إخلاصه لها، ففرضت عليه أن يختصي، فمات من جروحه، ولكنه عاد للحياة مرة أخرى.

وكان كهنة سيبل مُخْتَصِين، حتى يؤدوا دور أتيس[3].

وينسب كاتب إنجيل متى لسيدنا المسيح -عليه السلام- قوله:

"19: 12 لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات. من استطاع أن يقبل فليقبل"[4].

وكذلك جاء في رسالة بطرس الأولى:

"2: 11 أيها الأحباء أطلب إليكم كغرباء ونزلاء، أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس"[5].

وهذا المدح للخصاء يخالف ما في شريعة التوراة الحالية؛ من أنه لا يتقدم لخدمة الرب في الهيكل من كان به عيب جسدي كالخصاء. جاء في سفر اللاويين:

"21: 16 وكلم الرب موسى قائلًا:

---

1 راجع أيضًا: قصة الحضارة ج: 11 ص: 150.

2 المسيحية نشأتها وتطورها ص: 75.

3 Microsoft Encarta 2009, Ancient Middle Eastern Religions, IV. ASIA MINOR, B. The Phrygians.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 19: 12 ص: 16.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بطرس الأولى: 2: 11 ص: 189.

21: 17 "كلم هرون قائلًا: "إذا كان رجل من نسلك في أجيالهم فيه عيب فلا يتقدم ليقرب خبز إلهه.

....

21: 20 ولا أحدب ولا أكشم، ولا من في عينه بياض، ولا أجرب ولا أكلف، ولا مرضوض الخصى"[6].

***

ونواصل مع شارل جنيبير:

" وموجز تفسير هذا المذهب : ان الحفرة تمثل مملكة الأموات ، واذا نزل اليها المريد ، فكأنه مات . والثور هو أتيس ؛ أما دماؤه فتمثل جوهر حياته الآلهية ، ينزف منه، فيتلقاه المريد ويتشربه ويمتزج به ، حتى اذا خرج من الحفرة اعتبر " مولودا من جديد " فسقي باللبن كما يسقى الوليد . ولكنه لم يولد من جديد بشرا كما كان : بل هو قد تشرب بذات الإله في جوهره ، وأصبح بدوره - حسب أدوار السر المقدس - الها هو نفسه أتيس ، وتقدم له الفروض على هذا الاعتبار . ثم عليه بعد ذلك أن يتحد مع الالهة سيبيل كما فعل أتيس ، زوجها ، في سيرته الالهية ؛ والتقرب اليها بتقديم الأعضاء الذكر من الثور.

......

وبهذا يضمن المؤمن - لفترة طويلة - مشاركته في مصير أتيس ، الموت الذي لا مناص منه ثم بالبعث في ديار السعادة والخلود مع الآلهة"[7].

ونلاحظ هنا إصرار النصارى البولسيين على وصف سيدنا عيسى -عليه السلام- بالذبيحة،

فقد قال كاتب رسالة بولس للعبرانيين، التي يقر النصارى أنهم لا يعرفون من كتبها، ومع ذلك حشروها في الكتاب الذي يقدسونه، وقالوا إنه كلمة الله المحفوظة، قال ذلك الكاتب المجهول عن سيدنا عيسى عليه السلام:

"10: 10 فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة.

10: 11 وكل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدم مرارًا كثيرة تلك الذبائح عينها، التي لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية.

10: 12 وأما هذا فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحةً واحدةً، جلس إلى الأبد عن يمين الله"[8].

ومثلما كتب كاتب رسالة بولس إلى أهل أفسس:

"5: 2 واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضًا وأسلم نفسه لأجلنا. قربانًا وذبيحة لله رائحة طيبة"[9].

ومثل ما نقلت عن البابا شنودة الراحل سابقًا:

"وتحتاج إلى جسد المسيح المذبوح عنك . تحتاج الى الذبيحة المقدسة كفارة لخطاياك . وما الذبيحة المقدسة في سر الافخارستيا سوى امتداد لذبيحة المسيح"[10].

مع أن النصارى يزعمون أن سيدنا المسيح قد مات على الصليب، ولا يقولون: إنه قد ذبح، ولكن فكرة الذبيحة تتناسب مع عقائد ومفاهيم الوثنيين الذين يدعونهم.

***

ونواصل مع شارل جنيبير:

"وان الكثير من ديانات هؤلاء الآلهة المنقذين الشفعاء - أمثال : ميثرا ، وبعل السوري ، وسيبيل ، وغيرهم - كان يجدد الاتحاد المنجي المترتب على الشعائر والطقوس المذكورة ، أو يدعمه أو يقويه ، بواسطة مآدب خاص يتناول المؤمنون الطعام فيها جماعة على موائد الاله .

....

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر اللاويين: 21: 16 إلى 19 ص: 87.

7 المسيحية نشأتها وتطورها ص: 76.

8 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- الرسالة إلى العبرانيين: 10: 10 إلى 12 ص: 181.

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس: 5: 2 ص: 155.

10 الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي ص: 34 و35.

وقد نقل الينا جوستين ، وهو أحد المدافعين عن المسيحية في القرن الثاني الميلادي ، أن " أسرار " ميثرا احتوت على نوع من الشعائر يفرض تقديم كأس من الشراب وقطعة خبز الى المؤمن ، مع النطق ببعض العبارات المعروفة آنذاك والتي لم يوضحها الكاتب[11] .

....

هل نحن بحاجة الى إيضاح أوجه الشبه الساطعة بين هذه الطقوس والشعائر المختلفة - حتى وان كانت النظرة اليها عاجلة سطحية - وبين طقوس وشعائر التعميد والقربان عند المسيحيين ؟ ان كبار رجال الكنيسة - من القديس بولس الى القديس أغوسطين ، أي من القرن الأول الى القرن الخامس الميلادي - لم يتجاهلوا هذا التشابه ، وهناك من الشواهد عدد وفير يدل على شدة اهتمامهم به . الا أنهم فسروه حسب أهوائهم ، فقالوا : ان الشيطان أراد أن يتشبه بالمسيح ، وان شعائر وطقوس الكنيسة كانت مثلا أراد المشركون أن يحتذوه في " أسرارهم " . وتلك نظرية لا يمكن الدفاع عنها في عصرنا الحاضر . فمن المرجح أن المسيحية أثرت في كثير من الأحوال على أديان المشركين التي كانت مثلها تهتم بتأمين النجاة في الخلود لبني البشر بواسطة شفيع الهي ؛ الا أن الأساطير الجوهرية والمراسم الدينية الأساسية والرموز والشعائر الفعالة ، كانت **سابقة** في تلك الديانات على مولد المسيحية ، وكانت تجد العديد من التطبيقات في العبادات المنتشرة بالعالم اليوناني ابان العهد الذي عاش فيه القديس بولس .

ولنذكر القارئ بأن الأمر لا يتعلق بطقوس وشعائر معينة فحسب؛ انه يذهب الى مدى أبعد من ذلك : يذهب الى نوع من التصوير للمصير الإنساني ولخلاص البشر ، ثم يرمز الى الايمان والاطمئنان المرتبطين بـ " السيد الالهي " الذي يشفع للإنسان عند الاله الأعظم ، بعد أن ارتضى هذا " السيد الالهي " لنفسه أن يعيش وأن يتعذب كالانسان حتى يصبح بنو البشر قريبين اليه لدرجة تسمح لهم بالاتحاد معه ، فيكون في ذلك طريق نجاتهم حيث يرتبط مصيرهم ومستقبلهم بمصيره ومستقبل انتصاره . وتلك هي بالذات **عقيدة القديس بولس في رسالة ودور السيد المسيح** . ولم تكن بالعقيدة الغريبة على الناس"[12].

***

وهذا التشابه بين المسيحية عامة -وشعيرة القربان المقدس خاصة- كتب عنه ول ديورانت:

"ويحدّثنا ترتليان Tertullian عن كهنة مثراسيين على رأسهم "حبر أكبر"، وعن عزّاب وعذارى في خدمة الإله؛ وكانت القرابين تقرب إليه على مذبحه في كل يوم، كما كان عباده يشتركون في تناول طعام مقدّس من الخبز والنبيذ؛ ....

وروع الآباء المسيحيين ما وجدوه من أوجه الشبه بين دينهم وبين المثراسية، وقالوا إن الثانية قد سرقت هذه العبادات عن المسيحية، أو أنها في المثراسية حيل مضللة احتال بها عليهم الشيطان"[13].

وكتب عباس العقاد عن التشابه بين المسيحية وعبادة مترا:

"والعشاء الرباني كان معروفاً في عبادة مترا على الطريقة التي عرف بها في المسيحية ، بل كان الخبز الذي يتناوله عباد مترا في ذلك العشاء يصنع على شكل الصليب ... وقد أسف جوستن مارتر في سنة 140 لهذه المشابهة وعدها مكيدة شيطانية لتضليل المؤمنين"[14].

والناظر في النصرانية البولسية يجد العديد من الشعائر التي تتشابه مع شعائر عبادة الشمس، مثل توجههم في الصلاة للشرق، مع أن المسيح -عليه السلام- كان يصلي لبيت المقدس، ومثل أعياد عباد الشمس التي جعلوها أعيادًا

---

11 راجع لمزيد من التفاصيل حول التشابه بين ديانة ميثرا والمسيحية وخاصة في القربان المقدس، وإقرار آباء النصرانية الأوائل بذلك:
Encyclopædia Britannica, sacrament, Types and variations, Variations, Sacramental ideas and practices in the Indo-Iranian world.

12 المسيحية نشأتها وتطورها ص: 76 إلى 78.

13 قصة الحضارة ج: 11 ص: 149.

14 الله للعقاد ص: 171.

مسيحية، ومثل يوم الرب الذي جعلوه الأحد (يوم الشمس: sunday) بدلًا من يوم السبت، الذي كان يعظمه المسيح عليه السلام.

فبدل الكنائسيون السبت للأحد توافقًا مع أوامر قسطنطين الوثني عابد الشمس، الذي لم يتنصر إلا على فراش الموت.

ومن الأمثلة -أيضًا- شكل خبز القربان، فقد جاء في كتاب (كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك) وهو يتحدث عن رغيف خبز القربان، الذي يسمونه القربانة:

"والقربانة عبارة عن خبزة مستديرة كقرص الشمس وهي تشير بهذا إلى المسيح شمس البر .

....

مكتوب على حافتها الخارجية باللغة القبطية :

قدوس الله . قدوس القوي . قدوس الحي الذي لا يموت .

....

بها من الوسط مربع به صليب كبير ...... وهو بهذا يشير إلى السيد المسيح"[15].

فهم قد كتبوا على حافتها اسم الله، ورمزوا في وسطها للمسيح، ليؤكدوا على أن من يأكلها يأكل المسيح، ثم ربطوا ذلك بالشمس. وفيما يلي صورة لذلك الرغيف[16]:

***



وهذا التشابه بين المسيحية عامة -وشعيرة القربان المقدس خاصة- ذكره أيضًا محررو موسوعة إنكارتا، حيث جاء فيها:

15 كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك ج: 1 ص: 109.

16 راجع: قناة الدعوة الإسلامية- محمد شاهين التاعب- سر التناول - الأفخارستيا - الجزء الثاني- الدقيقة (4,18) وما بعدها.

"كانت الميثرانية شبيهة بالمسيحية في جوانب عديدة، فمثلًا في قيم التواضع والحب الأخوي، والعماد، وشعيرة القربان المقدس، واستعمال الماء المقدس، وفي سيامة الرعاة في يوم ميلاد ميثرا، واتخاذ أيام الأحد و25 ديسمبر (يوم ميلاد ميثرا) كأيام مقدسة، والاعتقاد في خلود الروح، والحساب الأخير، والبعث.

واختلفت الميثرانية مع المسيحية في استبعاد المرأة من احتفالاتها وميلها للتفاهم مع الشرك.

ولكن التشابهات -على كل حال- جعلت من الممكن تحول أتباعها بسهولة للعقيدة المسيحية"[17].

وفي الحقيقة أن المسيحية تفاهمت أيضًا مع الشرك، وهو الأمر الذي أكده محررو الموسوعة البريطانية، حيث جاء فيها:

"لم تذكر كلمة (ثالوث) ولا عقيدته المفصلة في العهد الجديد، ولم يقصد يسوع ولا أتباعه أن يناقضوا الشماع[18] في الأسفار اليهودية: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد" (التثنية: 6: 4).

......

وقد تطورت تلك العقيدة تدريجيًا على مدى عدة قرون وعبر مجادلات عديدة، وفي البداية بدا أن متطلبات التوحيد الموروث من الأسفار العبرانية ومقتضيات الحاجة لتفسير التعاليم الكتابية **لأهل الديانات اليونان -رومية** استدعت أن تفسر ألوهية المسيح -باعتباره الكلمة أو اللوجوس- على أنها تابعة للكائن الأعلى.

وكان الحل البديل أن يفسر الأب والابن والروح القدس على أنها ثلاث حالات للظهور الذاتي للإله الواحد، ولكنها ليست متميزة ضمن كيان الله ذاته.

وميزت النزعة الأولى بين الثلاثة، ولكن على حساب مساواتهم وبالتالي وحدتهم (التابعية[19])، والثانية مالت إلى وحدتهم، ولكن على حساب تميزهم كأشخاص (الانتحالية[20]).

ولم يذكر في قانون عقدي أرثوذكسي حتى القرن الرابع؛ تميز الأقانيم الثلاثة معًا كذات واحدة وثلاثة أقانيم.

وفي مجمع نيقية 325م تقررت الصيغة المحددة للعقيدة؛ أن الابن من نفس جوهر الآب، وحتى ذلك الحين لم يُقل إلا اليسير عن الروح القدس.

وخلال النصف التالي من القرن، دافع أثناسيوس عن الصيغة وهذبها، وبنهاية القرن الرابع -وبتأثير بازيل الساردیسي وجريجوري النيسي وجريجوري النيزيانزي (الآباء الكابوتشيين)- أخذت عقيدة التثليث صيغتها الثابتة التي دامت من حينها"[21].

---

17 Microsoft Encarta 2009, Mithraism.

والنص الأصلي هو:

"Mithraism was similar to Christianity in many respects, for example, in the ideals of humility and brotherly love, baptism, the rite of communion, the use of holy water, the adoration of the shepherds at Mithra's birth, the adoption of Sundays and of December 25 (Mithra's birthday) as holy days, and the belief in the immortality of the soul, the last judgment, and the resurrection. Mithraism differed from Christianity in the exclusion of women from its ceremonies and in its willingness to compromise with polytheism. The similarities, however, made possible the easy conversion of its followers to Christian doctrine".

18 الشماع: أساس العقيدة عند اليهودي. ويتكون من بعض آيات من التوراة، (التثنية:6: 4 و11: 13-21 وأيضًا العدد: 15: 37-41)، ويجب على كل ذكر يهودي أن يتلوها مرتين يوميًا. [اليهود في عصر المسيح عليه السلام ص: 73، Encyclopædia Britannica, Shema].

19 عقيدة ترى أن الابن أقل درجة من الآب.

20 راجع لتفاصيل عنها: تاريخ الفكر المسيحي مج 1 ج: 4 ف: 10 الانتحالية ص: 592.

21 Encyclopædia Britannica, Trinity.

والنص الأصلي هو:

"Neither the word Trinity nor the explicit doctrine appears in the New Testament, nor did Jesus and his followers intend to contradict the Shema in the Hebrew Scriptures: "Hear, O Israel: The Lord our God is one Lord" (Deuteronomy 6:4).

....

***

ونواصل مع شارل جنيبير، حيث يشرح تطور عقيدة القربان المقدس وصلتها بالوثنية، فكتب عن الناس في بيئة بولس:

"كانوا يعيشون في بيئة لا تتصور دينا مجردا من الطقوس . وكانت أكثر هذه الطقوس اثارة للعواطف ، بالنسبة اليهم ، تلك المتعلقة بفكرة التطهر وبمفهوم التضحية : سواء منها التضحية المكفرة عن الذنوب ، بغية تهدئة الغضب الهي[22] ؛ أو المهداة الى اله ليرضى ؛ أو أضحية التقرب التي من شأنها أن توحد بين الاتباع وبين الههم وتبين أنهم جسد واحد أمامه . وكان الاثنا عشر ، وهو اليهود الأتقياء يواظبون على ارتياد المعبد الأكبر ، ولا يخطر ببالهم أنهم بحاجة الى طقوس غير تلك التي كانت تقام به ، الا أنهم كانوا يعلقون أهمية خاصة على شعائر التطهر بالتعميد . ولقد أصبح قبول التعميد ، لدى الكنائس المقامة في ديار الوثنية ، علامة اعتناق المسيحية . وكان الاثنا عشر أيضا ، عندما يلتقون في دارا أحد الاخوة ، " يطعمون الخبز جماعة " . واتخذ هذا التقليد الشائع بين بني إسرائيل والذي نرجح أن عيسى كان يقوم به أيضا عند مشاركته للحواريين في الطعام - اتخذ في معناه لديهم ثوب رمز للوحدة : وحدة بين أعضاء الجماعة ووحدة بينهم وبين المسيح . غير أن الدلائل كلها تشير الى أنهم ، حتى ذلك الوقت ، لم يكونوا ليربطوا بصلة ما بين "كسرة الخبز " وبين موت المسيح ، ولم يحملوا التقليد في ذاته قيما تبلغ به مستوى الشعائر القدسية ، كما لم يرجعوا أصل وجوده ووجوب القيام به الى تعليم أستاذهم .

وشعر بولس بضرورة الكشف عن المغزى العميق لتقليد "تناول الخبز جماعة " . ولقد وجد له تفسيرا ربطه برباط لا ينفصم الى عذاب عيسى الذي تحمله لتخليص البشرية ، وغمره غمرا بذلك المفهوم الخصب للتضحية من أجل التكفير ومن أجل التقرب والمشاركة في الذات الهية[23] ، فجعل منه غاية لسر رفيع ، وتذكرة ورمزا حيا - أرادهما عيسى نفسه - فيما زعم بولس لما لقيه من عذاب الصليب .

....

ولم يكن قد قدر لأي طقس من طقوس " الاسرار " الوثنية أن يذخر بمعاني وفيرة وبآمال جذابة ، مثل ما ذخرت به الطقوس الخاصة بالقربان لدى بولس ، غير أنها كانت من قبيل عائلة الطقوس الوثنية ولم تكن نابعة من روح الدين اليهودي ؛ ولقد أدخلت في كنيسة الحواريين " قطعة من الوثنية "[24] .

***

The doctrine developed gradually over several centuries and through many controversies. Initially, both the requirements of monotheism inherited from the Hebrew Scriptures and the implications of the need to interpret the biblical teaching to Greco-Roman religions seemed to demand that the divine in Christ as the Word, or Logos, be interpreted as subordinate to the Supreme Being. An alternative solution was to interpret Father, Son, and Holy Spirit as three modes of the self-disclosure of the one God but not as distinct within the being of God itself. The first tendency recognized the distinctness among the three, but at the cost of their equality and hence of their unity (subordinationism); the second came to terms with their unity, but at the cost of their distinctness as "persons" (modalism). It was not until the 4th century that the distinctness of the three and their unity were brought together in a single orthodox doctrine of one essence and three persons.

The Council of Nicaea in 325 stated the crucial formula for that doctrine in its confession that the Son is "of the same substance [*homoousios*] as the Father," even though it said very little about the Holy Spirit

. Over the next half century, Athanasius defended and refined the Nicene formula, and, by the end of the 4th century, under the leadership of Basil of Caesarea, Gregory of Nyssa, and Gregory of Nazianzus (the Cappadocian Fathers), the doctrine of the Trinity took substantially the form it has maintained ever since".

22 لعل صوابها: الإلهي.

23 لعل صوابها: الإلهية.

24 المسيحية نشأتها وتطورها ص: 109 و110.

ويذكر ول ديوارنت أن الفرس القدماء كان لهم شراب مسكر يسمى الهوما، يقدمونه قرباناً محبباً لآلهتهم، وكتب أيضًا:

"وكان أكبر الآلهة في الدين السابق للدين الزردشتي مثرا إله الشمس، وأنيتا إلهة الخصب والأرض، وهَوْما الثور المقدس الذي مات ثم بعث حياً، ووهب الجنس البشري دمه شراباً ليسبغ عليه نعمة الخلود. وكان الإيرانيون الأولون يعبدونه بشرب عصير الهَوْما المسكر.

....

وظلت العادة الآرية القديمة عادة تقديم عصير الهوما المسكر قرباناً إلى الآلهة باقية بعد انتشار الدين الزردشتي بزمن طويل، .... وكان الكهنة يحتسون بعض هذا العصير المقدس، ويوزعون ما بقي منه على المؤمنين المجتمعين للصلاة"[25].

-ويذكر عن العادات الدينية في الإمبراطورية الرومانية، وما ترسخ فيها من عقائد بعث الإله الميت وأكل لحمه وشرب دمه:

"وفي عيد دمتر كان الطلاب المبتدئون يندبون معها اختطاف ابنتها إلى الجحيم، ويختصرون في أثناء حزنهم هذا على تناول الكعك المقدس، وخليط رمزي من الدقيق والماء والنعناع. وفي الليلة الثالثة تعرض مسرحية دينية تمثّل بعث برسفوني، ويعد الكاهن الذي يقوم بالخدمة الدينية كل من تطهرت روحه بأن يبعث كبرسفوني بعثاً جديداً. وقد صوّرت الطائفة الأرفية، متأثرة بالآراء الهندوكية أو الفيثاغورية، موضوع هذه الطقوس في جميع الأراضي اليونانية، فقالت ان الروح تحبس في طائفة متسلسلة من الأجساد المذنبة، وإن في مقدورها أن تنطلق من هذا التجسد الثاني المشين بأن تسمو حتى تتحد اتحاداً هيامياً بديونيشس. وكان الإخوان الأرفيون في اجتماعهم يشربون دم ثور يضحّون به للمنقذ الميّت الذي يكفّر عن خطاياهم ويوحّدون بينه وبين هذا المنقذ. وكان الاشتراك الجماعي في تناول الطعام والشراب المقدّسين من المظاهر الكثيرة الحدوث في أديان البحر الأبيض المتوسط، وكثيراً ما كان أهل هذه الأديان يعتقدون أن هذا الطعام ستحل فيه بهذا التقديس قوى الإله، ثم تنتقل منه بطريقة سحرية خفية إلى المشتركين في تناوله"[26].

وكتب عن احتفالات النساء من اليونان القدماء بفصل الربيع:

"وكان محور هذا الاحتفال وأهم ما فيه أن يمسك النساء بماعز أو ثور أو رجل في بعض الأحيان (يرين أن الإله قد تقمصه) ويمزقنه إرباً وهو على قيد الحياة، إحياء لذكرى تمزيق ديونيسس؛ ثم يشربن دمه، ويأكلن لحمه يتخذنه عشاءً ربانياً مقدساً، معتقدات أن الإله سيدخل بهذه الطريقة إلى أجسامهن ويستحوذ على أرواحهن"[27].

وكتب اندريه نايتون[28] عن الأصول الوثنية للقربان المقدس لدى النصارى:

"قدمت لنا الاكتشافات الأثرية فهماً عميقاً جداً للعلاقة الوثيقة بين القداس المسيحي وبين الأسرار في الديانات الوثنية القديمة . من بين الآثار المكتشفة في بلاد فارس والموجودة حالياً في متحف اللوفر تمثال لأتباع الإله ميترا نراهم فيه يتناولون الخبز والنبيذ . ويصف الكاتب الفرنسي فرانز كومون في مجلة على الآثار لعام 1946 هذا الأثر قائلاً : نظراً لأن لحم الثور كان صعب المنال أحياناً فقد اضطر أتباع الإله ميترا إلى استخدام الخبز والنبيذ مكان اللحم . وكانوا يرمزون بذلك إلى لحم معبودهم ميترا ودمه (تماماً كما يرمز المسيحيون اليوم إلى دم المسيح ودمه بالخبز والخمر)".

ثم يضيف عن القداس المسيحي:

"غير أن القداس بجملة تعقيداته الطقسية لا ينتمي إلى اليهودية بل تضرب جذوره في أعماق التاريخ الوثني القديم . لقد كان لكل قبيلة طوطمها الحيواني (معبود حيواني) ، وكانت تعتبره إلهاً . وكان أفراد القبيلة يضحون بهذا الحيوان

25 قصة الحضارة ج: 2 ص: 412 و425 و433.

26 قصة الحضارة ج: 11 ص: 150 و151.

27 قصة الحضارة ج: 6 ص: 339.

28 أستاذ التاريخ وعلم مقارنة الأديان بجامعات فرنسا.

ويلتهمونه لحماً ودماً ، اعتقاداً منهم بأن ذلك سيكسبهم فضائل سماوية (كما تعتقد المسيحية الحالية أن التهام لحم المسيح ودمه سيكسب المؤمنين فضائل غير بشرية خالدة) .

....

وفي هذا الصدد يقول الأب لاغرانج في كتابه عن أورفيوس : " إن أكل اللحم النيئ كان يهدف إلى التوغل في الحياة الإلهية وذلك بالتهام الحيوان الإلهي لحماً ودماً" . أما فرانز كومون فيذهب إلى أبعد من ذلك عندما يقول إن نبيذ القربان المسيحي هو بديل للنبيذ الذي كان يقدم في أعياد باخوس وإنه شراب يضمن الخلود في العالم الآخر (من بحث حول رموز الدفن عند الرومان) .

ويقول العالم الفرنسي شارل غنيبير في كتابه عن المسيح (ص 373) أن علماء الآثار وجدوا نصوصاً على ورق البردي من مصر القديمة تدل على أن دم الإله أوزيريس كان يتحول إلى خمر . وكذلك يقول فرانز كومون في كتابه عن الأديان الشرقية القديمة " أن أتباع أتارغاتيس (المعبودة السورية القديمة)كانوا يلتهمون السمك الذي يقدمونه لها ثم ينشدون أنهم بذلك يتناولون لحم معبودتهم . (وهذا ما يفعله المسيحيون في القداس أيضاً)"[29].

***

وعن تلك الجذور الوثنية للقربان المقدس كتبت المهتدية للإسلام بربارا براون:

"وكل الأديان الوثنية تقريباً تعتقد بعمق أن القرابين المهداة إلى آلهتهم سوف تجلب بالتأكيد غفران الذنوب.

....

وليس هذا فقط فإن معظم الأديان الوثنية تنطوي على نوع من الطقوس يتشارك فيها معتنقوها بالطعام المقدس وخاصة الخبز والخمر.

فالوثنيون كانوا يعتقدون بأن بتناولهم لهذه الأطعمة المباركة فإنهم كانوا يشاركون في مزايا آلهتهم، وقواهم وأرواحهم سوف تستقر في داخل أجسادهم. وقد نقل بولص هذا المفهوم الوثني إلى المسيحية وسماه "القربان المقدس للعشاء الأخير"، أو القربان المقدس.

....

إن عقيدة التكفير لم تخلق مشكلة كبيرة لدى معتنقي المسيحية في زمن بولص من غير اليهود لأن فكرة إله يموت شاباً ويعود إلى الحياة لأجل أن ينقذ شعبه كانت حاضرة في خلفياتهم الوثنية على أي حال. فإذا كان أدونيس أو مثراس قد فعل هذا الشيء من أجلهم قبل أن يعتنقوا المسيحية، فما المانع من جعل عيسى يفعل ذلك الآن؟

ماذا أنجز بولص؟

لقد طُلب رضا الأميين مرة أخرى: لقد كان عندهم مخلصوهم في دياناتهم القديمة وجاء بولص فجهزهم بلباقة بمخلِّص في عقيدتهم الجديدة أيضاً. لقد أخبرهم أن كل ما عليهم أن يفعلوه حتى يتأكدوا من أن الله سيغفر لهم ذنوبهم هو أن يؤمنوا أن عيسى مات من أجل تلك الذنوب. إن هذا الاعتقاد هو كل ما في المسألة.

....

إن مسيحيي اليوم ليس لهم ذلك القرب من الوثنية التي كانت موجودة في زمان بولص. إن عقيدته في الغفران لا يعرف المسيحيون المعاصرون كيف يفسرونها على نحو مقنع عندما وجدوا أن القضية برمتها تصبح مربكة كثيراً في أذهانهم عندما تسلط عليها قوى المنطق وعلم اللاهوت"[30].

***

وكتب الدكتور محمد وصفي عن الصلة بين القربان المقدس وعبادة مشركي الهند القدماء:

---

29 الأصول الوثنية ص: 61 إلى 64.

30 نظرة عن قرب في المسيحية ص: 44 و45.

"إن الأفخارستيا فكرة مأخوذة عن مشركي الهند فإن قدماءهم يتوقف ظاهر عبادتهم على قربان النار ، يشعلها رب البيت صباحاً ، ويبعث مع حرارتها صلاة حارة يستنزل بها رحمة القوة المستترة وراء الطبيعة ، ورب البيت ويمثل الأب والكاهن تشاركه امرأته في تقدمة القربان المقدس للنار ، ويتكون القربان من شراب مخمر ، ومن أقراص دقيق معجون بالسمن كقربان المسيحيين"[31].

وعن التشابه بين عقيدة مثرا والمسيحية وخاصة في مسألة العشاء الرباني كتب الدكتور محمد خليفة حسن[32] عن عقيدة مثرا:

"وقد ازدهرت لتصبح لفترة من الوقت ديانة الإمبراطورية الرومانية في عهد الامبراطور أورليان الى درجة هددت فيها الديانة المسيحية تهديدا مباشرا .

....

وقد أدى انتشارها في بلدان الامبراطورية الرومانية الى وقوع تأثير لها في الديانة المسيحية . وهناك أسطورة عن الإله مثرا تنبئ بظهور نجم يقود المجوس الى المكان الذي سيولد فيه المخلص ، وقد وردت حادثة النجم في انجيل متى 1-2، 9- 10 كما يعتقد أيضا أن بعض طقوس العشاء الرباني وتناول الخبز والخمر من أجل الاتحاد في المسيح تعود الى ديانة مثرا . ويقوم الاعتقاد الأساسي في ديانة مثرا حول التضحية بثور يقوم به مثرا كعمل خلاق وكفداء في نفس الوقت"[33].

كما كتب أيضًا عن تطور المسيحية:

""تأثر بولس بعد ذلك بالأفكار الدينية في البيئة الهلنينستية المسيطرة على عالم يومه . وقد انتشرت في عصره واختلطت مجموعة من العقائد السرية والتي وعدت المعتقدين فيها بخلود شخصي من خلال تماثل صوفي مع إله مُخَلِّص مات وانتصر على الموت بأن بُعث الى حياة إلهية متجددة . وهذا التماثل يتم من خلال مراسيم مثل حمام دم أو المشاركة في قربان يعطي إحساسا بالتخلص من الفساد السابق واكتساب الطبيعة الأبدية للإله الموجود رمزيا في الدم أو الطعام المكرّس".

ثم كتب عن بولس:

"وكتب في العقد السادس من القرن الأول مجموعة رسائل وضع فيها تفسيره للاعتقاد المسيحي في اطار خلفيته اليهودية والهلينستية فخلط بين تعاليم أنبياء بني إسرائيل والخلاص الشخصي في العقائد السرية فظهر عيسى الناصري المصلوب ليس على أنه مجرد المسيح الموعود ولكن أيضا الإله المخلِّص . والخلاص عنده يتم من خلال التماثل مع موته وقيامته فيتغلب الانسان على الخطيئة والفناء وطبيعة الانسان الآثمة صلبت مع عيسى وبالقيامة مع المسيح يعيش المسيح فينا . وبهذا جمع بولس بين الفكرة النبوية عن الله والمفهوم الهللينستي عن الخلاص ، وفكرة يوحنا عن حاجة الانسان إلى الميلاد الروحي".

ثم كتب عن المسيحية بعد كتاب الأناجيل وبولس:

"مرت المسيحية بتطورات تاريخية متأثرة بفكرة الشعوب التي انتشرت بينها وبخاصة الفلسفة اليونانية، والقانون الروماني ونظم الإدارة عند الرومان . وقد تجلى هذا التأثير الروماني في النظام الكنسي . كما تأثرت المسيحية بالفكر الأوروبي الحديث وبخاصة في البلاد البروتستانتية ، ومن أهم المعتقدات التي تطورت عقيدة التجسيد والتكفير .

....

وقد تأثر مفهوم التجسيد والتكفير ببعض الأفكار القديمة أولها فكرة الإله الميت الذي يبعث من جديد وهي فكرة مأخوذة عن الديانات السرية والهلينستية وأيضا من بعض ديانات العالم القديم وبخاصة ديانات الشرق الأدنى القديم .

....

أما الفكرة الثانية المأخوذة من الفكر الديني القديم فهي الدلالة الصوفية للأضحية. وقد ظهر هذا في الاحتفال الكاثوليكي المعروف بالعشاء الرباني . وكذلك في ذكرى العشاء الرباني عند البروتستانت.

....

31 المسيح والتثليث ص: 134.

32 أستاذ تاريخ الأديان بكلية الآداب بجامعة القاهرة.

33 تاريخ الأديان ص: 168 إلى 170.

فعيسى هو حمل الإله الذي بالتضحية به تزول آثام العالم.

....

أما الفكرة الثالثة المستمدة من الفكر الديني القديم فهي فكرة الإنسان الضحية . ومضمونها أن أوزار القوم يحملها شخص معين .... وعيسى عليه السلام على الرغم من أنه برئ من الخطأ فهو يتحمل خطايا العالم"[34].

***

وعن القداس الإلهي الذي يتلى على القربان، وعن شعوره تجاه الخبز والنبيذ فيه كتب المهتدي للإسلام محمد أحمد الرفاعي:

"وعندما بدأت أقرأ أكثر في النصرانية وجدت أن ما يسمى "القداس الإلهي" الذي يتردد في الصلوات، ليس به دليل من الكتاب المقدس، والخلافات كثيرة بين الطوائف المختلفة، بل وداخل كل طائفة على حدة، وذلك حول تفسير "الثالوث" ... وكنت أشعر أيضاً بنفور شديد من مسألة تناول النبيذ وقطعة القربان من يد القسيس، والتي ترمز إلى دم المسيح وصبره".

ثم يذكر عن الداعية المجاهد الصابر -أخي ورفيقي في السجن وقبله وبعده- الشيخ رفاعي سرور رحمه الله:

"كانت نقطة التحول في حياتي في أول شهر سبتمبر عام 1988 عندما جلست إلى شيخي وأستاذي "رفاعي سرور" لأول مرة، وناقشني، وحاورني لأكثر من ساعة، وطلبت منه في آخر الجلسة أن يُقَرِّئني الشهادتين ويُعلمني الصلاة، فطلب مني الاغتسال، فاغتسلت، ونطقت بالشهادتين ، وأشهرت إسلامي، وتسميت باسم "محمد أحمد الرفاعي" بعد أن تبرأت من اسمي القديم "عزت إسحاق معوض" وألغيته من جميع الوثائق الرسمية"[35].

***

34 تاريخ الأديان ص: 222 إلى 224.

35 الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء ج: 1 ص: 161 و162.

و- كلمة أخيرة

بعد هذا العرض الموجز لعقيدة القربان المقدس وتطورها، أود أن أختم بملاحظات موجزة:

الملاحظة الأولى: لقد كان لما تسميه الكنيسة بسري القربان والمقدس والاعتراف آثار سياسية فادحة:

(أ) فمن أهم آثار سر القربان المقدس؛ أنه أكد على معنيين عقديين خطيرين:

الأول: تجسد الإله في جسد عيسى عليه السلام، ثم تطور هذا المفهوم الوثني حتى وصل لتجسد الإله في الخبز والخمر، واستشرى لتقديس الكنيسة والمذبح ورفات القديسين[1]، وغيرها من المظاهر.

الثاني: تأليه البشر.

فعيسى -عليه السلام- إله، ورغيف الخبز -تحته وفيه ومعه- الإله، ومتناول الخبز والخمر في بطنه ودمه الإله، وهو متحد مع الإله.

وهذان المعنيان العقديان نشأت عنهما صور متعددة من الفساد السياسي، منها:

- عصمة الكنيسة، وتحدثها باسم الله، رغم أنها في الحقيقة كيان بشري له أطماعه ونزعاته وشهواته.
- حكم الملوك بالحق الإلهي، الذي تواطأت معهم في تأسيسه الكنيسة.
- العلمانية الحديثة، فقد تم تجسيد الإله في صورة القانون والدستور والدولة والسلطة.

وتم تأليه الإنسان ليصبح -في العقيدة العلمانية- هو المسيطر على هذا العالم، وليس فوقه من مرجعية تحكمه، مما نتج عنه نسبية الأخلاق، التي أدت في الحقيقة لتدمير الأخلاق.

(ب) كذلك استغلت الكنيسة هذين السرين لتسيطر بهما على عقول أرباب الحكم والسلطان، بل وسائر التابعين لها.

الملاحظة الثانية: التي أود أن أشير إليها فيما يتعلق بالقربان المقدس؛ أنه يستخدم الخمر كوسيلة للاتحاد مع الله.

والخمر أم الخبائث، ومع ذلك نجد أسفار النصارى تتهم نبي الله عيسى -عليه السلام- بأنه ليس شاربًا للخمر فقط ، بل شريب خمر، فقد جاء في الإنجيلين المنسوبين لمتى ولوقا وصف سيدنا عيسى -عليه السلام- بأنه شريب خمر:

متى:

"11: 19 جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فيقولون: هوذا إنسان أكول وشريب خمر، محب للعشارين والخطاة".

والخمر تعد معلمًا أساسيًا في الحضارة الغربية اقتصاديًا واجتماعيًا، وتعد من وسائل التعبد في الكنيسة، رغم آثارها المدمرة على البشرية سلوكيًا واجتماعيًا وصحيًا[2]. ورغم ذلك تنتج الخمر في العديد من الأديرة، بل ويتاجرون فيها.

وقد بينت من قبل أن شريعة العهد القديم تحرم تناول الخمر في بيت العبادة، أما هؤلاء فيسجدون لها في بيت العبادة!!!

مما يدل على أن الكنيسة اخترعت دينًا جديدًا، لم يأت به لا موسى ولا عيسى.

وهل الرهبان والقساوسة والشمامسة الذين يتولون صناعة الخمر وإعدادها وتحضيرها للعبادة وتوزيعها، لا يشربونها؟

وإذا شربوها ألا يحدث أن يسكروا منها؟

وإذا سكروا فماذا عساهم فاعلين؟ هذا ما سأعرضه -إن شاء الله- عند بحث فساد الكنيسة، في تتبع تطور الدولة الوطنية الحديثة.

***

---

1 Encyclopædia Britannica, Christianity, The church and its history, Church tradition, Veneration of places, objects, and people.

Microsoft Encarta 2009, Relics.

2 راجع مبحث (الإدمان على الكحول): فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم ج: 1 ص: 397 وما بعدها.

5- الأعياد

من الأمور الهامة التي خالفت فيها النصرانيةُ البولسيةُ النصرانيةَ الأولى؛ الأعياد التي اخترعتها الكنيسة لتوافق أعياد الوثنيين، وأقسم الكلام في هذا المبحث إلى:

أ- تمهيد

ب- نبذ السبت واختراع الأحد (أيوم الشمس خير من يوم السبت؟)

ج - عيد ميلاد من: مثرا أم المسيح عليه السلام؟

د - عيد القيامة

***

أ- تمهيد

تعد العديد من الأعياد المسيحية من معالم الانحراف عن الشريعة الموسوية، ومن أدلة مسايرة آباء النصارى الأوائل للوثنيين متابعة لرائدهم بولس، وإن كان تغيير هذه الأعياد أو اختراعها لم يقل به بولس، إلا أنه من أهم معالم الكنيسة التي تبعته، وخالفت به أتباع عيسى -عليه السلام- الأوائل.

بل ووافقت فيه قوانين الإمبراطورية الرومانية، وخضعت لها، كمثال من أظهر الأمثلة على إفساد السياسة للدين.

قال ابن المبارك رحمه الله:

رأيت الذنوب تميت القلوب   وخير لنفسك عصيانها

وترك الذنوب حياة القلوب   وقد يورث الذل إدمانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك   وأحبار سوء ورهبانها

بداية أود أن أبين أن أعياد النصارى لم يأمرهم بها سيدنا عيسى -عليه السلام- في كتابهم المحرف، بل هي أعياد رتبتها الكنيسة، أو بالتحديد رتبتها كل كنيسة لأتباعها، بل حتى داخل الكنيسة الواحدة نجد اختلافات بين الكنائس الفرعية.

وهذا ما يؤكده آباء الكنيسة، ففي كتاب (كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك) جاء تعريف العيد كما يلي:

"أولاً- معنى كلمة عيد

رتبت الكنيسة بإرشاد إلهي أعياداً كنسية ليحتفل بها المؤمنون"[1].

وهو ما يؤكده أيضًا القمص متى مرجان، حيث كتب:

"رتبت الكنيسة المقدسة أعياد مخصصة إكراما للسيد المسيح له المجد"[2].

***

1 كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك ج: 1 ص: 266.

2 أرثوذكسيتي تراث وعقيدة وحياة ص: 104.

ب- نبذ السبت واختراع الأحد (أيوم الشمس خير من يوم السبت؟)

(1) يعد تعظيم السبت من أهم شعائر اليهودية، وقد أكد على ذلك ما ورد في العهدين القديم والجديد.

ففي العهد القديم مثلًا:

- سفر الخروج:

- "16: 28 فقال الرب لموسى: "إلى متى تأبون أن تحفظوا وصاياي وشرائعي؟

16: 29 انظروا! إن الرب أعطاكم السبت. لذلك هو يعطيكم في اليوم السادس خبز يومين. اجلسوا كل واحد في مكانه. لا يخرج أحد من مكانه في اليوم السابع"[1].

- "20: 8 اذكر يوم السبت لتقدسه.

20: 9 ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك،

20: 10 وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملًا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك"[2].

- سفر العدد:

"15: 32 ولما كان بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلًا يحتطب حطبًا في يوم السبت.

15: 33 فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطبًا إلى موسى وهرون وكل الجماعة.

15: 34 فوضعوه في المحرس لأنه لم يُعلَن ماذا يُفعل به.

15: 35 فقال الرب لموسى: "قتلًا يقتل الرجل. يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة".

15: 36 فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة ورجموه بحجارة، فمات كما أمر الرب موسى"[3].

وأما في العهد الجديد فقد روى النصارى أن المسيح -عليه السلام- لم ينكر حرمة السبت، ولكنه أنكر على اليهود حرفيتهم وجمودهم في فهم حرمة السبت، فمن أمثلة ذلك:

- ما جاء في الإنجيل المنسوب للوقا:

"13: 10 وكان يعلم في أحد المجامع في السبت،

13: 11 وإذا امرأة كان بها روح ضعف ثماني عشرة سنة، وكانت منحنية ولم تقدر أن تنتصب البتة.

13: 12 فلما رآها يسوع دعاها وقال لها: "يا امرأة، إنك محلولة من ضعفكِ".

13: 13 ووضع عليها يديه، ففي الحال استقامت ومجدت الله.

13: 14 فأجاب رئيس المجمع، وهو مغتاظ لأن يسوع أبرأ في السبت، وقال للجمع: "هي ستة أيام ينبغي فيها العمل، ففي هذه ائتوا واستشفوا، وليس في يوم السبت!".

13: 15 فأجابه الرب وقال: "يا مرائي! ألا يحل كل واحد منكم في السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضي به ويسقيه؟

13: 16 وهذه وهي ابنة إبراهيم، قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة، أما كان ينبغي ان تحل من هذا الرباط في يوم السبت؟"[4].

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر الخروج: 16: 28 و29 ص: 52.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر الخروج: 20: 8 إلى 10 ص: 54.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر العدد: 15: 32 إلى 36 ص: 108.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 13: 10 إلى 16 ص: 59.

- وما جاء في الإنجيل المنسوب ليوحنا:

"7: 22 لهذا أعطاكم موسى الختان، ليس أنه من موسى، بل من الآباء. ففي السبت تختنون الإنسان.

7: 23 فإن كان الإنسان يقبل الختان في السبت، لئلا ينقض ناموس موسى، أفتسخطون علي لأني شفيت إنسانًا كله في السبت؟

7: 24 لا تحكموا حسب الظاهر بل احكموا حكمًا عادلًا"[5].

أما النصارى البولسيون فقد نقضوا شرائع التوراة أصلًا، ومنها تحريم السبت، واخترعوا الأحد مكانه.

***

(2) موجز التطور التاريخي لنبذ السبت، واتخاذ الأحد يوم الشمس (Sunday) بدلًا منه.

-كان المسيحيون الأوائل يحفظون حرمة السبت، ويتعبدون في الهيكل كما ذكرت من قبل.

وقد نقلت من قبل عن يوسابيوس القيصري وابن البطريق وابن تيمية رحمه الله: أن أساقفة بيت المقدس لمدة مئة وعشرين عامًا بعد انتقال المسيح –عليه السلام- للرفيق الأعلى كانوا هم وأتباعهم من اليهود المتنصرين المتمسكين بالناموس الموسوي بما فيه حفظ السبت.

وعن ذلك كتب محررو دائرة المعارف الكتابية:

"كان المسيحيون الأوائل من اليهود الأمناء ، فكانوا يتعبدون يوميًا في الهيكل في أورشليم (أع 2:46 ، 5:42) ، ويخدمون في المجامع (أع 9:20 ، 13:14 ، 14:1 ، 17:1 و2 و10 ، 18:4) . وكانوا يحترمون ناموس موسى (أع 21:20) . وظل المسيحيون من اليهود يحفظون السبت . وعندما دخل الأمم إلى المجتمع المسيحي نشأت مشكلة فيما يتعلق بصلتهم بالناموس اليهود . فكان هناك من يتمسكون بضرورة خضوعهم لطقس الختان وحفظ ناموس موسى بما فيه وصية السبت (أع 15:1 و5 ، غل 2:3- 5). وكان هناك آخرون – على رأسهم بولس – يؤكدون أنه لا يلزم المتجددين من الأمم أن يتهودوا أولاً"[6].

- وأخذ بولس في مهاجمة كل الناموس اليهودي -بما فيه السبت- هجومًا شديدًا، فمن أمثلة ذلك ما نسبه النصارى لبولس في:

- الرسالة لأهل كولوسي:

"2: 16 فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب، أو من جهة عيد أو هلال أو سبت،

2: 17 التي هي ظل الأمور العتيدة، وأما الجسد فللمسيح"[7].

- الرسالة لأهل غلاطية:

"4: 9 وأما الآن إذ عرفتم الله، بل بالحري عُرِفتم مِن اللهِ، فكيف ترجعون أيضًا إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستعبدوا لها من جديد؟

4: 10 أتحفظون أيامًا وشهورًا وأوقاتًا وسنين؟"[8].

- ولما جاء عصر الآباء الأوائل البولسيين في القرنين الثاني والثالث الميلاديين، اتفقت أقوال أولئك الآباء على ترك السبت، وعلى أن المسيحيين غير مقيدين بالسبت اليهودي. ويجزم البعض منهم بأنه قد أبطل تمامًا، ويبرز البعض الآخر صفته الرمزية[9].

---

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 7: 22 إلى 24 ص: 78.

6 دائرة المعارف الكتابية- حرف السين- مادة: سبت ج: 4 ص: 334.

7 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي: 2: 16 و17 ص: 161.

8 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 4: 9 و10 ص: 151.

9 دائرة المعارف الكتابية- حرف السين- مادة: سبت ج: 4 ص: 334 و335.

وقد بينت من قبل أن كل هؤلاء الآباء لم يكن أحد منهم من اليهود المتنصرين، الذين يفترض أنهم كانوا هم الجيل الأول، وأغلب الجيل الثاني -وما بعده- من الأجيال التي بعد المسيح عليه السلام.

وقد ورث هؤلاء الآباء البولسيون -عن أستاذهم بولس- النفور من الشرائع التوراتية، وكذلك ورثوا عنه السعي في التقرب للوثنيين بتحوير النصرانية لتكون أقرب ما يكون من عقائد الوثنيين. كما سيأتي إن شاء الله.

ولكن الوثنيين وخاصة أباطرتهم لم يرضوا عن تنازلاتهم، لأنهم أرادوا منهم عبادة الأباطرة صراحة.

واستمرت هذه النزعة في التقارب مع الوثنية تتزايد، وخاصة بعد تبني قسطنطين للمسيحية.

أما تلاميذ المسيح من اليهود المتنصرين وتلاميذهم فقد اختفت أغلب كتاباتهم، أو لم يُعترف بقانونيتها، مثل إنجيل الديداكي، الذي كان يعد سفرًا قانونيًا، ثم استبعدته الكنيسة، لأنه يخالف عقائد وتعليمات بولس، وذلك بتأكيد كاتب- أو كتبة- الديداكي على حفظ الناموس الموسوي، كما بينت من قبل.

وعن هؤلاء اليهود المتنصرين المتمسكين بالسبت كتب محررو دائرة المعارف الكتابية:

"وفي العصور الأولى حفظ بعض المسيحيين اليوم السابع[10] مع الاجتماع للعبادة في اليوم الأول من الأسبوع[11] ، ولكن تأثيرهم على المسيحية سرعان ما تضاءل بعد خراب أورشليم في 70م"[12].

وقد بينت من قبل تأثير خراب القدس مرتين على تشتت النصارى الموحدين، وغلبة النصارى البولسيين الذين تنكروا للشريعة اليهودية، وتقبلوا تعاليم بولس، ثم طوروها للتثليث توافقًا مع الوثنيين.

- ومع نبذ السبت بدأ بالتدريج تعظيم يوم الأحد، الذي لم يكن تعظيمه وتخصيصه للعبادة معروفًا في الكنيسة الأولى، وعن هذا كتب محررو دائرة المعارف الكتابية:

"يرجع حفظ يوم الأحد إلى ما قبل الرسالة إلى الكنيسة في كورنثوس ، وقد نبت في تربة مسيحية ذات أصل يهودي ، إلا إنه لا يمكن تحديد متى بدأ ذلك ، وإن كان يبدو أنه لم ينشأ مع المسيحية من بداية نشأتها ، بل يبدو أن الكنيسة الأولى كانت تجتمع للعبادة في كل يوم".

وهنا يلاحظ القارئ تناقض محررو دائرة المعارف الكتابية بين قولهم: "يرجع حفظ يوم الأحد إلى ما قبل الرسالة إلى الكنيسة في كورنثوس"، وقولهم : "وإن كان يبدو أنه لم ينشأ مع المسيحية من بداية نشأتها".

وسبب ذلك التناقض أنه لا يوجد في العهد الجديد أي دليل على تخصيص الأحد بالعبادة، وإنما يتلمس المسيحيون أي شبهة ليحاولوا أن يدفعوا عن أنفسهم تقليد الوثنيين في تعظيم يوم الأحد (يوم الشمس- Sunday).

ثم ذكر محررو دائرة المعارف الكتابية أنه مع تزايد أعداد المسيحيين أصبحت الاجتماعات اليومية غير عملية:

"سرعان ما أصبحت تلك الاجتماعات اليومية أمرًا غير عملي ، وأصبح من اللازم اختيار يوم محدد للعبادة ، وكان أنسب يوم لذلك هو يوم الأحد ، يوم قيامة الرب من الأموات . إلا أن بعض الأفراد والجماعات ، استمروا في المواظبة على اجتماعاتهم اليومية حتى زمن متأخر . وهكذا كان ظهور " يوم الأحد " باعتباره اليوم الوحيد المخصص للعبادة ، أمرًا تدريجيا".

بل يؤكد محررو دائرة المعارف الكتابية على أن بولس قد شجب حفظ يوم بذاته للعبادة:

"ومن المؤكد تماما أنه في عصر الرسل ، لم يحدث إحياء للقواعد المتعلقة بيوم السبت أو نقلها إلى يوم الأحد بالنسبة للمؤمنين من الأمم . كما أن " الأشياء الواجبة " –التي تقررت في أول مجمع انعقد من الرسل والمشايخ في أورشليم- لم تتضمن حفظ يوم معين للراحة (أع15: 28و29)، بل -على النقيض- نجد أن حفظ يوم بذاته – كنوع من الالتزام الديني – قد شجبه الرسول بولس على أساس أنه يتضمن إنكارًا للمسيح (غل 4: 10)، كما يدين الرسول صراحة حفظ يوم السبت.

---

10 أي: السبت.

11 أي: الأحد.

12 دائرة المعارف الكتابية- حرف السين- مادة: سبت ج: 4 ص: 334.

....

وواضح أن ممارسة العبادة في يوم الأحد، لا تجعل منه يوما أكثر قداسة من يوم الأربعاء – مثلا – إذا أقيمت فيه العبادة.

ونلاحظ أيضا أن الخدمة الرسولية كانت تتم في المساء وكانت الغيرة المسيحية تجعل من كل يوم يوما مقدسًا في انتظار مجيء الرب الذي لم يكونوا يتوقعون أن يطول الأمر بهم في انتظاره .

(6) ولما طال بهم الانتظار ، أصبح من اللازم –في وسط دوامة الحياة ومشاغلها- ليس تخصيص فترات للعبادة فحسب ، بل أيضا تخصيص فترات للراحة من روتين الحياة.

....

إلا أن صياغة القواعد العامة لوضع هذه المبادئ موضع التنفيذ ، حدثت بعد أزمنة العهد الجديد.

....

وكان " ألكوين " (Alcuin – 733 ؟ - 804 م) أول من قال إن الكنيسة قد نقلت أحكام يوم السبت إلى يوم الأحد. وما زالت هذه الفكرة هي السائدة في عقيدة الكنيسة الكاثوليكية ، ولكنها استبعدت تمامًا – في عهد الإصلاح – من اللوثريين والكلفنيين الذين انحازوا إلى جانب الحرية المسيحية ...... بل إن كلفن اقترح اتخاذ يوم الخميس بدلا من يوم الأحد.

....

يقول أنصار السلطان الكنسي إنه يجب على المسيحي أن يحفظ يوم الأحد بناء على سلطان الكنيسة .

.....

نادى رجال الإصلاح بأن المسيحي ليس تحت التزام بحفظ أي يوم ، ولكن يحسن – من باب اللياقة – أن يحفظ يوم الرب.

....

وليس ثمة إشارة أو تلميح إلى أن المسيح أو تلاميذه قد غيروا السبت من اليوم السابع إلى اليوم الأول من الأسبوع .

....

ولم يصبح معتبرًا يوما للراحة إلا بالتدريج وليس قبل القرن الرابع .

وليس في الكتاب المقدس أمر محدد بحفظ يوم الأحد يوما للراحة والعبادة"[13].

***

فإذا تبين أن المسيح –عليه السلام- كان معظمًا للسبت بإقرار النصارى، ولم يثبت عنه أنه أمر بعدم تعظيمه، بل كان ينعي فقط على اليهود -حسب ما جاء في كتاب النصارى الذي يقدسونه- حرفيتهم وعدم إنصافهم، مثل منعهم لشفاء المرضى أو إطعام الجائع في يوم السبت.

بل ورد -في كتاب النصارى الذي يقدسونه- أنه أمر بحفظ الناموس، وأنه ما جاء لينقضه.

حيث نسبوا له أنه قال:

"5: 17 لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل.

5: 18 فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.

---

13 دائرة المعارف الكتابية- حرف- الراء- مادة: رب- يوم الرب ج: 4 ص: 54 إلى 56.

5: 19 فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلَّم الناس هكذا، **يُدعى أصغر** في ملكوت السماوات وأما من عمل وعلَّم، فهذا يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات"[14].

وكذلك كان تلاميذ المسيح من بعده -رضوان الله عليهم- يعظمون السبت، ولم ينقل عنهم لا نصراني ولا غير نصراني أنهم نبذوا تعظيم السبت، أو أنهم خصصوا الأحد للعبادة والراحة.

فما هو مصدر إلغاء تعظيم السبت؟ ومن الذي استبدل به يوم الأحد للعبادة والراحة؟ الذي كان يوم إله الشمس، ولا زال اسمه بالإنجليزية (يوم الشمس- Sunday).

هذا ما سيتضح في الفقرة التالية.

***

(3) الأصول الوثنية لإلغاء السبت واتخاذ الأحد يومًا للراحة والعبادة

كتب محررو موسوعة إنكارتا:

"الأحد أول أيام الأسبوع. واسمه الإنجليزي والألماني (Sonnatag) مشتقان من اللاتينية (dies solis) (يوم الشمس)، وهو اسم عطلة وثنية رومانية.

....

وقد بدأ الأحد يحل محل السبت في الأيام الأولى للمسيحية لتقديس قيام المسيح.

وقد قُرِرَ يوم الأحد يومًا للعطلة، وكُرس خصيصًا لخدمة الرب بأمر الإمبراطور الروماني قسطنيطين العظيم. ومنذ القرن االرابع كثيرًا ما نظمت التشريعات الكنسية والمدنية العمل وحضور الخدمة في يوم الأحد"[15].

والجدير بالذكر أن قسطنطين قد أصدر هذا التشريغ في عام 321م، أي عندما كان وثنيًا، فإنه لم يتنصر إلا على فراش الموت عام 337م[16].

وكتب محررو الموسوعة البريطانية:

"وقد كانت المجامع النصرانية في ذلك العصر أكثر حرصًا على فرض الالتزام بالعبادة في يوم الأحد، وكان أولها مجمع إلفيرا الأسباني (300م)، ولكن اجتماع لادوكية (381م) فرض على النصارى ألا (يتهودوا)، ولكن يعملوا يوم السبت، ويستريحوا –إن أمكن- في يوم الرب"[17]. ويقصدون به الأحد.

---

14 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 5: 17 إلى 19 ص: 3.

15 Microsoft Encarta 2009, Sunday.

والنص الأصلي هو:

“Sunday, first day of the week. Its English name and its German name (Sonntag) are derived from the Latin dies solis, “sun's day,” the name of a pagan Roman holiday.

....

In the early days of Christianity, Sunday began to replace the Sabbath and to be observed to honor the resurrection of Christ. Sunday was instituted as a day of rest, consecrated especially to the service of God, by the Roman emperor Constantine the Great. Since the 4th century, ecclesiastical and civil legislation has frequently regulated work on Sunday and service attendance”.

16 Encyclopædia Britannica, Sunday.

17 Encyclopædia Britannica, church year, History of the church year, Sunday.

والنص الأصلي هو:

“Church councils of the period were more concerned to enforce the obligation of Sunday worship, the earliest being the Spanish Council of Elvira (c. 300); but a synod of Laodicea (c. 381) enjoined Christians not to “Judaize” but to work on the sabbath and rest, if possible, on the Lord's Day".

وكتب ول ديورانت عن ذلك:

"وكان اليوم السابع من كل أسبوع يوماً مقدساً لإله الشمس، وكان أتباعه يحتفلون في الأيام الأخيرة من ديسمبر بمولد مثراس "الشمس التي لا تُغلَب" والإله الذي نال نصره السنوي على قوى الظلمة في يوم الانقلاب الشتائي، والذي بدأ من ذلك اليوم يفيض على العالم ضياء يزداد يوماً بعد يوم"[18].

وكتبت المهتدية للإسلام بربار براون:

"أما السبت اليهودي الذي خصصه الله في اليوم السابع من الأسبوع في الشريعة الموسوية فقد بُدّل في المسيحية إلى اليوم الأول من الأسبوع. إن يوم الأحد حُسب على أنّه اليوم الذي قام به عيسى من بين الأموات ولكن يجب أن لا يغيب عن البال أنَه أولاً وقبل كل شيء فإن يوم الأحد هو اليوم "المثراني" (للشمس المنتصرة)"[19].

وكتب عباس محمود العقاد عن يوم الأحد:

"وكان أتباعه يفردون لعبادته يوم الشمس أو يوم الأحد.

......

وقد كان المسيحيون الأولون يقابلون ذلك – بعد ظهور المسيحية وانتشارها – بتمجيد السيد المسيح في الأيام التي كان عباد مترا ينصرفون فيها إلى تمجيد هذا الإله الشمسي القديم"[20].

وقد أجمل الإمام ابن القيم -رحمه الله- في تلخيص انحراف النصارى البولسيين عن شريعة المسيح عليه السلام، فكتب عن دينهم:

"وَأَمَّا فُرُوعُهُ وَشَرَائِعُهُ فَهُمْ مُخَالِفُونَ لِلْمَسِيحِ فِي جَمِيعِهَا، .... فَإِنَّ الْمَسِيحَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ كَانَ يَتَدَيَّنُ بِالطَّهَارَةِ، وَيَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَيُوجِبُ غُسْلَ الْحَائِضِ، وَطَوَائِفُ النَّصَارَى عِنْدَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ.

....

وَالْمَسِيحُ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاتِهِ مَا كَانَ الْأَنْبِيَاءُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَقْرَءُونَ فِي صَلَاتِهِمْ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَالزَّبُورِ.

وَطَوَائِفُ النَّصَارَى إِنَّمَا يَقْرَءُونَ فِي صَلَاتِهِمْ كَلَامًا قَدْ لَحَّنَهُ لَهُمُ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ وَيُصَلُّونَ بِهِمْ.

....

وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى الشَّرْقِ، وَمَا صَلَّى الْمَسِيحُ إِلَى الشَّرْقِ قَطُّ، وَمَا صَلَّى إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ إِلَّا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ..

....

وَالْمَسِيحُ اخْتَتَنَ وَأَوْجَبَ الْخِتَانَ كَمَا أَوْجَبَهُ مُوسَى وَهَارُونُ وَالْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ.

وَالْمَسِيحُ حَرَّمَ الْخِنْزِيرَ، وَلَعَنَ آكِلَهُ، وَبَالَغَ فِي ذَمِّهِ.

....

وَالْمَسِيحُ مَا شَرَعَ لَهُمْ هَذَا الصَّوْمَ الَّذِي يَصُومُونَهُ قَطُّ، وَلَا صَامَهُ فِي عُمُرِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، لَا صَامَ الْعَذَارَى فِي عُمُرِهِ، وَلَا أَكَلَ فِي الصَّوْمِ مَا يَأْكُلُونَهُ، وَلَا حَرَّمَ مَا يُحَرِّمُونَهُ، وَلَا عَطَّلَ السَّبْتَ يَوْمًا وَاحِدًا حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ، وَلَا اتَّخَذَ الْأَحَدَ عِيدًا قَطُّ"[21].

***

18 قصة الحضارة ج: 11 ص: 149.

19 نظرة عن قرب في المسيحية ص: 82.

20 الله للعقاد ص: 118.

21 هداية الحيارى ص: 483 إلى 485.

ج- عيد ميلاد من: مثرا أم المسيح عليه السلام؟

من أمثلة التغلغل الوثني داخل المسيحية؛ عيد ميلاد المسيح، فلا بأس من نبذة عن هذا العيد.

تحتفل الكنائس الغربية بعيد ميلاد المسيح -عليه السلام- في الخامس والعشرين من ديسمبر، بينما تحتفل به الكنائس الشرقية في السابع من يناير، ولكن الكنيسة الأرمنية تحتفل به في يوم 6 يناير[1].

ولكن بداية هل يمكن تحديد يوم ميلاد المسيح؟ أم أنه كأغلب العقائد المسيحية مبني على إيمان الكنيسة؟

للأسف الشديد: يعترف رجال الدين النصراني -قبل غيرهم- بحقيقتين صادمتين:

الأولى: أن تاريخ ميلاد سيدنا عيسى المسيح -عليه السلام- مجهول، ولا يمكن معرفته.

والثانية: أن تاريخ الاحتفال الحالي هو تقليد لعيد وثني يتعلق بمولد إله الشمس مثرا، اتخذته الكنيسة البولسية كذبًا على المسيح عليه السلام، قاصدين متعمدين موافقة الوثنيين!!!

وسأقسم الكلام في هذا المبحث إلى:

(1) أقوال رجال الدين النصراني حول ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام

(2) أقوال غيرهم من الكتاب حول ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام

(3) خلاصة

***

(1) أقوال رجال الدين النصراني حول ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام

جاء في دائرة المعارف الكتابية:

"لا يمكن أن نحدد بدقة اليوم والشهر اللذين ولد فيهما يسوع ، وقد كانت هناك معارضة شديدة جدًا - في الكنيسة الأولى - للعادة الوثنية في الاحتفال بأعياد الميلاد . وقد بدأت الكنيسة الغربية في الاحتفال بيوم 25 ديسمبر ، بعد ارتقاء قسطنطين العرش . ويقول "هيبوليتس" (Hippolytius) إن هذه العادة بدأت في القرن الثاني . وقد اختارت الكنيسة الشرقية يوم السادس من يناير للاحتفال بميلاد يسوع . وربما كان سبب اختيار الكنيسة الغربية ليوم 25 ديسمبر ، هو أن الرومان كانوا يحتفلون في ذلك اليوم بعيد إله الشمس ، كما كان الانقلاب الشتوى يحدث في هذا الوقت . وقد اختارت الكنيسة هذا اليوم لتحويل العادات والممارسات الوثنية إلى يوم لعبادة الرب يسوع المسيح . وقد ردد كل من كيريانوس ويوحنا ذهبي الفم ، هذه الفكرة . لكن سهر الرعاة المتبدين على حراستهم لقطعانهم على تلال اليهودية يتعارض مع احتمال ولادة يسوع في الشتاء"[1].

وكتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري:

"ونعرف من التاريخ أن الكنيسة لم تبدأ في الاحتفال بعيد الميلاد قبل القرن الثالث ، وكان يحتفل به في السادس من يناير"[2].

وكتب الأب صبحي حموي اليسوعي:

1Microsoft Encarta 2009, Christma.

1 دائرة المعارف الكتابية- حرف الزاي- الزمن- أزمنة العهد الجديد ج: 4 ص: 258.

2 تاريخ الفكر المسيحي مج 1 ج: 2 ف: 1 ص: 165.

"عيد ميلاد المسيح، المحتفل به عادة في 25 كانون الأول (ديسمبر). أُنشئ هذا العيد في رومة في حوالي 330، وحُدِّد تاريخه في 25 كانون الأول (ديسمبر) ليحل محل محل "عيد الشمس غير المغلوبة" الذي كان الوثنيون الرومانيون يحتفلون به في ذلك اليوم، وهو يوم كان يُعد يوم الانقلاب الشتوي"[3].

وينقل الأستاذ محمد عنان رحمه الله عن الدكتور القس فهيم عزيز من كتابه (المدخل إلى العهد الجديد) ص: 104:

"وعيد مثرا هو يوم 25 ديسمبر ، وهو عيد قيامة الشمس .

فإن الناس قديماً كانت تظن أن الشمس تسير في طريقها إلى الموت حتى تصل إلى أقصى الضعف يوم 21 ديسمبر ثم تبدأ بعد ذلك في الحياة"[4].

ونقل عن الدكتور فريز صموئيل من كتابه (يسوع من هو) ص: 166 و167:

"من الصعب تحديد اليوم الذي ولد فيه المسيح ، وقد جاء في بشارة لوقا إن الوقت لم يكن شتاء ، لأن الرعاة كانوا يرعون قطيعهم في الحقول ، وليالي شهر ديسمبر ويناير وفبراير في بيت لحم وأورشليم ممطرة شديدة البرودة .

وفي هذا الوقت لا تكون قطعان الأغنام في مراعيها . وفي التلمود اليهودي تلميح إلى هذا يؤخذ منه أن القطعان تخرج إلى مراعيها في شهر مارس وتبقى إلى شهر نوفمبر . أما في الشتاء فتبقى داخل الحظائر ، وبناء على ذلك يرى البعض أن ميلاد المسيح قد تم في بداية الصيف أو نهاية الخريف ، وحددوا ذلك التاريخ ب 29 سبتمبر من السنة الرابعة قبل الميلاد ، في أول يوم من عيد المظال في نفس السنة ، وأن يوم 25 من السنة الخامسة قبل الميلاد هو يوم بشارة الملاك للعذراء مريم"[5].

وهنا نجد أن الدكتور فريز صموئيل قد بدأ بداية سعى فيها للاقتراب من الحقيقة، ولكنه لم يصرح بها كاملة، لأنه أكد على صعوبة تحديد يوم ولادة المسيح، والحقيقة -التي لم يصرح بها- هي أن تحديد يوم ولادة المسيح -عليه السلام- مستحيل. ثم بعد بدايته تلك أخذ يخبط خبط عشواء.

وكتب رجل الدين النصراني ماسي شيفرد[6] في الموسوعة البريطانية أنه:

"لا يوجد تقليد مؤكد عن تاريخ مولد المسيح.

......

وأن أقدم ملحوظة باقية عن عيد ولادة المسيح في التقويم الروماني ... تشير إلى أن العيد كانت تحتفل به الكنيسة منذ العام 336.

وأن العديدين قد تبنوا نظرية؛ أن عيد ولادة المسيح ..... قد أنشئ في روما -أو احتمالًا في شمال إفريقيا- كمنافس مسيحي للاحتفال الوثني بالشمس التي لا تقهر عند الانقلاب الشتوي.

....

وأن الظروف المحددة لبداية يوم الكريسماس تبقى غامضة"[7].

---

3 معجم الإيمان المسيحي ص: 497.

4 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 66.

5 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 67.

6 الأستاذ السابق للشعائر في مدرسة الكنيسة اللاهوتية للمحيط الهادئ بكالفورنيا.

7 Encyclopædia Britannica, church year, History of the church year, Christmas.

والنص الأصلي هو:

“There is no certain tradition of the date of Christ's birth.

....

The oldest extant notice of a feast of Christ's Nativity occurs in a Roman almanac .... which indicates that the festival was observed by the church in Rome by the year 336.

وينقل الأستاذ محمد عنان -رحمه الله- عن الأرشمنديت سلوان موسى من كتابه (سر التجسد) ص: 60:
"أما ابتداء تعييد الميلاد في 25 ديسمبر "كانون الأول" فبدأ منذ سنة 345"[8].
ونقل عنه أيضًا قوله:
"أما تعييد الميلاد مع الغطاس في 6 يناير "كانون الثاني" فقد ذكر لأول مرة على ورقة بردي مصرية في القرن الرابع"[9].
فمما نقلته آنفًا يتضح أن رجال الدين النصراني -الذين نقلت عنهم- يقرون بالآتي:
أولًا: لا يمكن تحديد اليوم والشهر اللذين ولد فيهما يسوع.
ثانيًا: كانت هناك معارضة شديدة جدًا -في الكنيسة الأولى- للعادة الوثنية في الاحتفال بأعياد الميلاد.
بل سيأتي أن عددًا من كبار آباء النصارى البولسيين -مثل أوريجان (185- 253م)- كان يعارضون بشدة الاحتفال بميلاد المسيح –عليه السلام- في أي يوم كائنًا ما كان[10].
ثالثًا: وقد بدأت الكنيسة الغربية في الاحتفال بيوم 25 ديسمبر، بعد ارتقاء قسطنطين العرش.
وأن الكنائس الشرقية اختارت 6 أو 7 يناير للاحتفال بعيد ميلاد المسيح عليه السلام، واتهمت الكنائس الغربية بمتابعة الوثنيين. وسنرى –إن شاء الله- أن 6 أو 7 يناير تاريخ لا مستند له من تاريخ أو وحي، وأنه أيضًا يتوافق مع العادات والعقائد الوثنية.
وأن كلا التاريخين في ديسمبر أو يناير يتناقض مع ما جاء في الإنجيل النسوب للوقا؛ من أن الموسم لم يكن شتاءً.
أي أنهم كانوا يعلمون كذب هذا التاريخ بالقطع، أو كذب كاتب إنجيل لوقا.
وهنا ارتكب البولسيون المثلثون أكثر من جريمة:
الأولى: الكذب على المسيح عليه السلام.
والثانية: محاكاة الوثنيين للتقرب منهم.
والثالثة: اختراع دين جديد لم يأت به المسيح عليه السلام.
وقيل أن ذلك الاحتفال بدأ في 330 أو 336 أو 345م.
ويدافع رجال الكنيسة الأرثوذكسية المصرية عن تاريخ 7 يناير دفاعًا لا يستند لأي أساس علمي، كما جاء في كتاب (أرثوذكسيتي تراث وعقيدة وحياة) للقمص متى مرجان:
" عيد الميلاد (لو 2 : 1) ويقع في 29 كيهك إذا كانت السنه بسيطه ، و28 إذا كانت السنه السابقة كبيسه وكنيستنا الشرقية تحتفل يوم 7 يناير طبقاً للسيد المسيح الذي ولد 7 يناير كما تشير المصادر التاريخية القديمه"[11].
ومع أن القمص متى مرجان يشير للإصحاح الثاني من لوقا، ولكنه يتجاهل تمامًا ما ورد فيه:
"2: 8 وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم،
2: 9 وإذا ملاك الرب وقف بهم، ومجد الرب أضاء حولهم، فخافوا خوفًا عظيمًا.
2: 10 فقال لهم الملاك: "لا تخافوا! فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب:

Many have posited the theory that the feast of Christ's Nativity .... was instituted in Rome, or possibly North Africa, as a Christian rival to the pagan festival of the Unconquered Sun at the winter solstice.

....

The exact circumstances of the beginning of Christmas Day remain obscure".

8 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 64.

9 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 65.

10 حياة المسيح ص: 630.

11 أرثوذكسيتي تراث وعقيدة وحياة ص: 106.

2: 11أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب"[12].

ولا يحاول أن يعرض للتناقض بين كلامه وما جاء في الإنجيل المنسوب للوقا، كعادة الكنيسة الأرثوذكسية القبطية، التي تعيش في عالمها الخاص. وتتناقض مع الكتاب، الذي يقدسونه، والذي تزعم الكنائس كلها أنه (كلمة الله المحفوظة)!!!

فإذا كانوا يناقضون ما يزعمون أنه (كلمة الله المحفوظة)، فهل يلام غيرهم إذا قدموا الدلائل على تحريفه؟

رابعًا: أن الكنيسة قد اختارت يوم 25 ديسمبر قاصدة عن عمد، لتوافق أعياد الوثنيين، وزعم أباء الكنيسة البولسية الأوائل، الذين تدين لهم كل الكنائس الحالية بالولاء والطاعة والمتابعة، بأنهم استحسنوا ذلك لصرف أتباعهم المتشبعين بالوثنية عن الاحتفال بميلاد ميثرا، رغم المعارضة الشديدة التي أبداها غيرهم من الآباء البولسيين، بل ورغم اتهام الكنيسة الشرقية لهم بالوثنية وعبادة الشمس، كما سيأتي إن شاء الله.

وهو ما يدل على تغلغل الوثنية في عقائد المسيحيين في القرون الأربعة الأولى، وأن الكنيسة كانت تحاول التقرب منهم باختراع شعائر قريبة من شعائرهم.

***

(2) أقوال غيرهم من الكتاب حول ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام

كتب ول ديورانت عن نشأة سيدنا عيسى عليه السلام:

"ولسنا نعرف اليوم الذي وُلِدَ فيه بالتحديد، وينقل لنا كلمنت الإسكندري (حوالي 100م) آراء مختلفة في هذا الموضوع كانت منتشرة في أيامه؛ فيقول إن بعض المؤرخين يحدده باليوم التاسع عشر من إبريل وبعضهم بالعاشر من مايو، وإنه هو يحدده بالسابع عشر من نوفمبر من العام الثالث قبل الميلاد- وكان المسيحيون الشرقيون يحتفلون بمولد المسيح في اليوم السادس من شهر يناير منذ القرن الثاني بعد الميلاد. وفي عام 354 احتفلت بعض الكنائس الغربية ومنها كنيسة روما بذكرى مولد المسيح في اليوم الخامس والعشرين من نوفمبر، وكان هذا التاريخ قد عد خطأً يوم الانقلاب الشتائي الذي تبدأ الأيام بعده تطول؛ وكان قبل هذا يحتفل فيه بعيد مثراس، أي مولد الشمس التي لا تقهر. واستمسكت الكنائس الشرقية وقتاً ما باليوم السادس من يناير، واتهمت أخواتها الغربية بالوثنية وبعبادة الشمس؛ ولكن لم يكد يختتم القرن الرابع حتى اتخذ اليوم الخامس والعشرين من ديسمبر عيداً للميلاد في الشرق أيضاً"[1].

وجاء في الموسوعة البريطانية عن عبادة الشمس:

"خلال المدد الأخيرة من التاريخ الروماني، اكتسبت عبادة الشمس أهمية، وفي النهاية أدت إلى ما صار يُسَّمى بـ(التوحيد الشمسي). واكتسبت كل آلهة العصر تقريبًا خواصًا شمسية، وكذلك اكتسب كلًا من المسيح وميثرا سمات الآلهة الشمسية. وكان يحتفل بعيد (الشمس التي لا تقهر) في 25 ديسمبر بسرور عظيم، وأخيرًا جعله النصارى الكريسماس، يوم ميلاد المسيح"[2].

وينقل الأستاذ محمد عنان -رحمه الله- عن إسكندر صيفي من كتابه (المنارة التاريخية في مصر الوثنية والمسيحية) ص: 161:

---

12 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 2: 8 إلى 11 ص: 45.

1 قصة الحضارة ج: 11 ص: 212 و213.

2 Encyclopædia Britannica, sun worship.

والنص الأصلي هو:

"During the later periods of Roman history, sun worship gained in importance and ultimately led to what has been called a “solar monotheism.” Nearly all the gods of the period were possessed of solar qualities, and both Christ and Mithra acquired the traits of solar deities. The feast of Sol Invictus (Unconquered Sun) on December 25 was celebrated with great joy, and eventually this date was taken over by the Christians as Christmas, the birthday of Christ".

"وثابر المسيحيون على عاداتهم وكانوا في الخامس والعشرين من شهر طيبي الموافق عشرين من كانون الثاني يأكلهم الحلاوى فصاروا يأكلونها في السادس من هذا الشهر بعيد الظهور"[3].

ومقصده أن المصريين كانوا يأكلون الحلوى -في وثنيتهم- في العشرين من يناير (كانون الثاني)، فصاروا يأكلونها -فيما زعموه عيد الميلاد في مسيحيتهم- في السادس من يناير، مثابرين في مسيحيتهم على عاداتهم الوثنية.

وينقل الأستاذ محمد عنان –رحمه الله- عن سفينسيسكايا من كتابه (المسيحيون الأوائل) ص: 72:

"كانت الإمبراطورية الرومانية تحتفل يوم 25 كانون الأول، بيوم الانقلاب الشمسي الشتوي ، الذي كان مكرساً ليوم ميلاد إله الشمس "إله الشمس الذي لا يقهر" "ظهرت عبادة هذا الإله في ديانة عبادة مثرا" . ابتداء من القرن الرابع الميلادي ، بعد اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية كديانة معترف بها ، أخذ المسيحيون يحتفلون بهذا اليوم بصفته يوم ميلاد المسيح"[4].

وينقل الأستاذ محمد عنان -رحمه الله- عن ياروسلاف تشرني في كتابه (الديانة المصرية القديمة) تحت عنوان تأثير الديانة المصرية على المسيحية ص: 206:

"إن اختيار يوم 25 ديسمبر باعتباره يوم مولد المسيح واحتفالات أعياد الكريسماس قد حفظ العيد الشمسي القديم "مولد رع" الذي كان يطلق عليه في اللغة المصرية مسورع"[5].

وكتبت المهتدية إلى الإسلام بربارا براون:

"المسيحية تستمر في الانحراف عن الطريق المستقيم

وبحلول القرن الرابع، على اية حال، فإن المسيحية أصبحت قائمة بقوة كدين: فالعقائد قد شكّلت وكذلك قانون الكتب المقدسة. وكما لوحظ سابقاً فإن التعاليم الحقيقية لعيسى أصبحت تكاد تكون منسيّة من قبل المسيحيين مفضّلين عليها تعاليم بولص الطرطوسي. ولقد أُدخلت العقائد والتقاليد الوثنية في المسيحية من قبل بولص حتى يتمكن من كسب معتنقين جددد من بين الوثنيين الأُميين (غير اليهود) في زمانه، فإن كل العقائد المسيحية لها جذور في الوثنية. وبازدياد أعداد الوثنيين المتحولين إلى المسيحية فإن عقائد وثنية أكثر فأكثر وجدت طريقها غلى المسيحية.

فالأعياد الوثنية "تم تحويلها" إلى أعياد مسيحية. فعيد ميلاد مثراس في 25 كانون الأول (ديسمبر) أصبح يوم ميلاد المسيح"[6].

وكتب محمود عباس العقاد:

" فاليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر الذي يحتفل فيه بمولد المسيح كان هو يوم الاحتفال بمولد الشمس في العبادة المثرية.

....

وقد اعترضت الكنيسة الشرقية على اختيار الخامس والعشرين لهذا السبب وفضلت أن تختار لعيد الميلاد اليوم السادس من شهر يناير الذي " تعمد " فيه السيد المسيح . على أن هذا اليوم أيضاً كان عيد الإله ديونيسيس عند اليونان وبعض سكان آسيا الصغرى ، وكان قبل ذلك عيد أوزيريس عند المصريين ، ولا يزال متخلفاً في العادات المصرية إلى اليوم ففي

---

3 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 66.

4 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 66.

5 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 65.

6 نظرة عن قرب في المسيحية ص: 81.

اليوم الحادي عشر من شهر طوبة – وكان يوافق السادس من شهر يناير في التاريخ القديم -كان المصريون يحتفلون بعيد إلههم القديم ولا يزالون يحتفلون به في عصرنا هذا باسم عيد الغطاس"[7].

أي أن كل كنيسة اخترعت تاريخًا لميلاد المسيح عليه السلام، لا علاقة له بميلاد المسيح عليه السلام، بل له علاقة بموروثات وثنية سابقة.

وكتب محمود عباس العقاد عن المراسم والتقاليد التي لحقت بالمسيحية:

"وينبغي أن نذكر أن المسيحية وجدت قبل أن تقترن بها تلك المراسم والتقاليد ، وأن المسيحيين الأوائل أعرضوا عن كثير منها واستنكروه ومنعوه ، ومنهم من كان يحرم الاحتفال بمولد المسيح في يوم كائناً ما كان ، وعلى رأسهم أوريجين الفقيه العظيم . وقد مضت ثلاثة قرون قبل أن تحتفل كنيسة من الكنائس المعتمدة بعيد الميلاد في تاريخ من التواريخ، ثم اختلفت الكنائس . فاحتفلت الكنيسة الشرقية بالميلاد في السادس من شهر يناير واحتفلت به الكنيسة الغربية في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ، ويرجح انها اختارت هذا اليوم لتصرف المسيحيين عن حضور المحافل الوثنية التي كانت تتخذه عيداً للشمس.

....

وقد ظلت هذه السياسة مرعية عدة قرون ، إذ نقل الراهب بيد Bede في تاريخ الكنيسة الانجليزية خطاباً لغريغوري الأول (تاريخه سنة 601 ميلادية) يستشهد فيها بنصيحة المستشار البابوي مليتس Mellitus الذي كان ينهى عن هدم المعابد الوثنية ويرى الابقاء عليها " وتحويلها من عبادة الشياطين إلى عبادة الإله الحق ، كي يهجر الشعب خطايا قلبه ويسهل عليه غشيان المعاهد التي تعود ارتيادها"[8].

فانظر أيها القارئ المنصف لهذه السياسة الملتوية، التي تخلط التوحيد والحق بالوثنية والباطل، وقارنها بموقف الإسلام الحاسم من الوثنية، ذلك الموقف الذي كتب عنه الدكتور محمد مجدي مرجان المهتدي –بفضل الله- إلى الإسلام:

"وإذا ما حاولنا أن نعقد مقارنة بين موقف المسيحية من الوثنية وموقف الإسلام منها، وجدنا فارقًا كبيرًا بين الموقفين فارقًا جعل هناك حدًا فاصلًا بين الحق والباطل وبين الحقيقة والأوهام، بين رسالات السماء وترهات الأرض.

لقد دخل الإسلام إلى شبه الجزيرة العربية حيث كان أغلب سكانها يدينون بالوثنية وحاولت الوثنية أن تتسرب إلى الإسلام عن طريق مهادنته، فعرض عبدة الأوثان على الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يعبدوا إلهه فترة، وأن يعبد آلهتهم أخرى، ولكم من أسباب كانت تدعو إلى قبول هذه العرض ولو مؤقتًا خاصة مع قوم يعملون جاهدين على وأد الدين الوليد، وفي وقت لم تكتمل فيه لهذا الدين أسباب القوة والمنعة، ولكن الرسول رفض العرض بشدة ودون أدنى مساومة أو تردد، ونزل عليه الوحي مخاطبًا الوثنيين ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

وبعد أن بدأ نور الإسلام يسطع في أرجاء شبه الجزيرة العربية ورغبت قبيلة ثقيف في اعتناقه بعثت وفدًا منها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- تعرض عليه إسلامها شريطة أن يوافق على أن يدع لهم صنمهم اللات ثلاث سنين لا يهدمها، وأن يعفيهم من الصلاة، فأبى محمد عليه الصلاة والسلام، فنزلوا يطلبون أن يدع لهم إلههم سنتين أو سنة أو حتى شهرًا واحدًا ريثما يتشرب القوم شرائع وعادات الدين الجديد، ولكن إباء الرسول -صلى الله عليه وسلم-كان حاسمًا وتصميمه كان جازمًا فانصاع الباطل لصلابة الحق، ونزلت قبيلة ثقيف على كافة أحكام الإسلام وتم هدم إلهها المصنوع في الحال.

وعندما دخل الإسلام فارس بقي التوحيد توحيدًا وبقيت المجوسية مجوسية، فمن شاء البقاء على وثنيته بقي آمنًا ومن شاء دخل في الإسلام فأحل حلاله وحرم حرامه، ونزل على كافة أحكامه.

---

7 الله للعقاد ص: 170.

8 حياة المسيح ص: 630 و631، راجع أيضًا: الأصول الوثنية للمسيحية ص: 52 إلى 58.

إن الإنسان إما أن يؤمن وإما ألا يؤمن، وليس بين ذلك إلا الارتياب والشك، والشك مرحلة مؤقتة نهايتها حتمًا إلى الإيمان أو الكفر، فليس بعد الإيمان شك وليس بعد الكفر شك، والإيمان والكفر لا يجتمعان في قلب واحد.

إن الخلاف الأساسي بين الإسلام والمسيحية بل بين المسيحية وكافة الرسالات السماوية هو في هذه الصورة المشوهة عن الله التي ألصقتها الوثنية بالمسيحية، بقصد هزيمتها والقضاء عليها"[9].

***

9 الله واحد أم ثالوث ص: 74 إلى 76.

د - عيد القيامة

(1) ذكرت من قبل:

(أ) أقوال رجال دين نصارى عن أن قيامة المسيح -عليه السلام- من الأموات لا يمكن إثباتها تاريخيًا.

(ب) الأصول الوثنية لعقيدة قيام الإله من الأموات.

(2) هذا من ناحية التاريخ، فهل هناك وحي بنقل صحيح يُثبت واقعة قيامة المسيح -عليه السلام- من الأموات؟

سيتبين -إن شاء الله- عند بحث التحريفات في الكتاب المقدس لدى النصارى أن:

(أ) الكتاب كله لا مصداقية له.

(ب) أن النصوص في ذلك الكتاب عن قصة القيامة مملوءة بالتناقضات، كغيرها من النصوص الكثيرة.

(3) أما عن الاحتفال بعيد القيامة:

فكتب هانس جي هيلربراند[1] في الموسوعة البريطانية: أن أول تسجيل لشعيرة الاحتفال بعيد القيامة ترجع للقرن الثاني الميلادي[2].

أي أن تلاميذ المسيح -عليه السلام- والأجيال التي تلتهم طوال قرن من الزمان لم يكونوا يحتفلون بعيد القيامة.

ثم كتب أيضًا: أن أصل كلمة (Easter) التي تعني: الفصح، مصدرها مجهول، وحسب أحد الآراء، وهو رأي (القديس) بيدي (Bede) من القرن الثامن، فإن هذه الكلمة أصلها هو اسم إلهة الربيع والخصب الأنجلوساكسونية (إستروي- Eostrae)، ولكنه يستبعد هذا الرأي، ويرى أن الرأي السائد الآن أنها ترجع لكلمة (إيوستارم- eostarum) في الألمانية القديمة، التي تعني أوقات الفجر[3].

ولكن محررو موسوعة إنكارتا يخالفونه، ويرون أن عيد الفصح يتضمن العديد من التقاليد الوثنية من قبل المسيحية، ويذهبون مذهب بيدي في أن أصله هو اسم إلهة الربيع والخصب، وأن هذه الإلهة كان يحتفل بعيدها في يوم الانقلاب الربيعي، وهو أول أيام الربيع.

ويرون أن هذه الاحتفالات والأساطير والقصص التي تفسر أصلها كانت منتشرة في الديانات القديمة.

وأن أسطورة يونانية تذكر: عودة برسيفون (Persephone)، ابنة ديمتر (Demeter) إلهة الأرض، من العالم السفلي إلى ضوء النهار، وأن عودتها تمثل بعث الحياة في الربيع بعد هلاك الشتاء، وهو ما يشاركهم فيه العديد من القدماء[4].

وقد حرصت كنيسة روما على التمسك بهذا التوقيت الوثني عن الانقلاب الربيعي، وقاومت متابعة المسيحيين لليهود في توقيت فصحهم، الذي كان يحتفل به المسيح حسب شريعة موسى عليهما السلام، وحسب عقيدة النصارى: فإن المسيح -عليه السلام- قد قام من الأموات عقيب الفصح، فمن المنطقي أن يحتفلوا به مع فصح اليهود، ولكنهم لا يتوافقون مع ما نقلوه في أناجيلهم، وتوافقوا مع الوثنيين.

---

1 أستاذ التاريخ والديانة في جامعة دوك بكالورينا الشمالية.

2 Encyclopædia Britannica, Easter.

3 Encyclopædia Britannica, Easter.

4 Microsoft Encarta 2009, Easter, II. PRE-CHRISTIAN TRADITION.

ولذلك ذكر استاذ اللاهوت ورجل الدين المسيحي هنري تشادويك: أنه في حوالي عام 190م هدد فيكتور (Victor) أسقف روما المسيحيين في آسيا الصغرى بالحرمان والطرد إذا استمروا في الاحتفال بعيد الفصح تبعًا للتقليد اليهودي، خلافًا لمتوقيت الاحتفال به في روما، في الأحد التالي لتمام القمر بعد الانقلاب الربيعي[5].

وهو الأمر الذي تؤكده المهتدية للإسلام بربارا براون، فقد ذكرت أن اليوم المخصص لقيام الإله أتيس أصبح اليوم المخصص لقيامة المسيح عليه السلام[6].

وكتب الدكتور محمد خليفة حسن[7] عن العقائد المسيحية:

"وقد تأثر مفهوم التجسد والتكفير ببعض الأفكار القديمة أولها فكرة الإله الميت الذي يبعث من جديد وهي فكرة مأخوذة عن الديانات السرية والهلينستية وأيضًا من بعض ديانات العالم القديم وبخاصة ديانات الشرق الأدنى القديم. والتعميد يعني المشاركة الحقيقية للمؤمن في جسد المسيح وفي موته وبعثه . فبالتعميد يتخلص الإنسان من طبيعته الفاسدة ويشترك في وجود جديد أزلي . وقد أخذت هذه الفكرة من دورة الطبيعة السنوية ووقوع الموت بالقوى النباتية في الشتاء بجفافها في الشتاء ثم عودتها إلى الحياة من جديد في الربيع. ولا غريب إذن أن يحتفل المسيحيون بميلاد المسيح بعد قدوم الشتاء ويحتفلون بقيامته في بداية الربيع"[8].

***

فمن الأمثلة السابقة يتبين أن أعياد النصارى لم تنقل عن المسيح -عليه السلام- ولا عن تلاميذه، وإنما هي من اختراعات رهبانهم وقساوستهم.

وعن ذلك كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما الشرائع التي هم عليها فعلماؤهم يعلمون أن أكثرها ليس عن المسيح عليه السلام، فالمسيح لم يشرع لهم الصلاة إلى المشرق، ولا الصيام الخمسين، ولا جعله في زمن الربيع، ولا عيد الميلاد والغطاس وعيد الصليب، وغير ذلك من أعيادهم، بل أكثر ذلك مما ابتدعوه بعد الحواريين، مثل عيد الصليب، فإنه مما ابتدعته هيلانة الحرانية أم قسطنطين.

....

وهم يجوزون لأكابر أهل العلم والدين أن يغيروا ما رأوه من الشرائع ويضعوا شرعًا جديدًا، فلهذا كان أكثر شرعهم مبتدعًا، لم ينزل به كتاب، ولا شرعه نبي"[9].

وهذا مصداق قول الحق سبحانه: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[10].

وهذه مسألة هامة تعد من أهم أسباب الفساد السياسي، وهي تشريع البشر للبشر، مع تنحية الشرع المنزل من الله.

وسوف أعود لتناولها -إن شاء الله- عند بحث المفاهيم المنحرفة التي نشأت من النص المحرف.

***

5 Encyclopædia Britannica, Christianity, The church and its history, The history of Christianity, The internal development of the early Christian Church, The problem of jurisdictional authority.

6 نظرة عن قرب في المسيحية ص: 82.

7 أستاذ تاريخ الأديان بجامعة القاهرة..

8 تاريخ الأديان ص: 223.

9 الجواب الصحيح ج: 3 ص: 29 و30.

10 سورة التوبة، آية: 31.

6- التبشير بين الأمم

من الأمور الرئيسية التي خالفت فيها الكنائسُ البولسيةُ الكنيسةَ الأولى؛ مسألة التبشير بالنصرانية لغير اليهود. وقد كان لهذا التحول في دعوة االمسيح -عليه السلام- آثار تاريخية وسياسية خطيرة، أثرت على المسيحية بل وعلى تاريخ البشرية، وأتناول هذا الأمر بإيجاز تحت العناوين التالية:

أ- تمهيد

ب- نصوص في الكتاب -المقدس لدى النصارى- تؤكد على أن المسيح -عليه السلام- لم يرسل إلا لبني إسرائيل.

ج- نصوص يستند لها النصارى في التبشير بين الأمم.

***

أ- تمهيد

بداية أود أن أكرر التأكيد على أننا -كمسلمين- لا نسلم بصدق ولا حجية الأسفار التي يقدسها النصارى، وقد ذكرت أمثلة على المشاكل في هذه الأسفار من قبل، وسأزيد الأمر -بتفصيل أكثر- عند بحث التحريفات في الكتاب الذي يقدسه النصارى إن شاء الله.

ولكني لا أنكر أن في هذه الأسفار بقايا للتوحيد، وبقايا للحق الذي أرسل به سيدنا عيسى عليه السلام، تتضح من القراءة الدقيقة لهذه الأسفار، وهو الأمر الذي أقر به كثير من المحققين بل ومن آباء الكنيسة.

وبالإضافة لذلك، فإني أود أن أبين للنصارى المنصفين الذين يؤمنون بقدسية هذه الأسفار؛ أن ما في هذه الأسفار يخالف كثيرًا مما تدعو له الكنائس وتعتقده، مما يجعل الانحراف مركبًا.

ولهذه الأسباب أعرض هنا ما جاء في الكتاب -الذي يقدسه النصارى- عن مجال دعوة المسيح عليه السلام، وأناقش الأدلة التي استندت إليها الكنائس في إخراج هذه الدعوة من بني إسرائيل لسائر العالم.

لأبين مدى التخبط الذي تمارسه الكنيسة، ومدى التناقض في داخل تلك الأسفار المقدسة، وأنها -رغم تحريفها- لا تؤيد ما وصلت له الكنائس البولسية من مخالفة للمسيحية المنزلة على السيد المسيح عليه السلام.

***

ذكر هنري تشادويك أن بولس يعد في تاريخ النصرانية أهم شخصية نقلت التبشير بالنصرانية للعالم غير اليهودي، ورغم أنه كان هناك غالبًا من سبقه لذلك، إلا أنه كان الشخصية الأبرز من البداية، حتى أنه اعتقد أنه هو رسول الأمميين[1].

وأشار أيضًا إلى أن رسائل بولس وسفر أعمال الرسل قد وفرت بعض معلومات عن تطور المجتمعات الأممية، بينما لا نعلم إلا القليل نسبيًا عن الكنيسة الأم في اليهودية. وأنه فيما عدا بطرس ويوحنا ويعقوب الذين ذكرت عنهم بعض المعلومات، فإن معظم التلاميذ الاثني عشر قد اختفوا من التاريخ[2].

وتفرد بولس في رسائله وكاتب -أو كتاب- أعمال الرسل بتدوين تاريخ الكنيسة الأولى، ولم تذكر أخبار الكنيسة الأم إلا من خلال بولس وكاتب أعمال الرسل. ومن خلالهما ذكر الخلاف -أو الخلافات- بين التلاميذ وبولس ومؤيديه حول العديد من الأمور الهامة، ومنها التبشير بين الأممين.

ولا بد أن الفريق المخالف لبولس كانت له كتابات، ولكنها اختفت من التاريخ. مثل إنجيل متى العبراني الذي استبعدته الكنيسة وأهملته، لأن الهراطقة كانوا يستفيدون منه، كما سيأتي إن شاء الله.

***

1 The Early Church p: 16.

2 The Early Church p: 17.

ب- نصوص في الكتاب -المقدس لدى النصارى- تؤكد على أن المسيح -عليه السلام- لم يرسل إلا لبني إسرائيل.

وأذكرها تحت العناوين التالية:

(1) ما ورد في الإنجيل المنسوب لمتى

(2) ما ورد في الإنجيل المنسوب للوقا

(3) ما ورد في الإنجيل المنسوب ليوحنا

(4) ما ورد في سفر أعمال الرسل

***

(1) ما ورد في الإنجيل االمنسوب لمتى:

أورد كاتب إنجيل متى نصوصًا تحدد بوضوح أن دائرة تبشير المسيح -عليه السلام- هي لبني إسرائيل فقط، وأن الله لم يرسله إلا لهم، ومنها:

(أ) متى:

"1: 20 ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور، إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلًا: "يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس.

1: 21 فستلد ابنًا وتدعو اسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم"[1].

فهذا النص يحدد رسالة يسوع في تخليص شعبه -وهم اليهود- من خطاياهم، أي أنه مرسل لهم.

(ب) متى:

"2: 1 وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ

2: 2 قَائِلِينَ: أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ"

2: 3 فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه.

2: 4 فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب، وسألهم: "أين يولد المسيح؟".

2: 5 فقالوا له: "في بيت لحم اليهودية. لأنه هكذا مكتوب بالنبي:

2: 6 وأنت يا بيت لحم، أرض يهوذا، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل"[2].

فوُصف المسيح -عليه السلام- في هذا النص بأنه:

[1] ملك اليهود،

[2] وبأنه مدبر يرعى شعب إسرائيل.

أي أنه مرسل لهم.

(ج) متى:

"10: 5 هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قال: "لا تسلكوا طريقًا إلى الوثنيين ولا تدخلوا مدينة للسامريين،

10: 6 بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل"[3].

فهنا لم يُخْرِجِ المسيح -حسب رواية كاتب إنجيل متى- الوثنيين فقط -الذين لا يؤمنون بموسى -عليه السلام- والتوراة- من دائرة عمله، بل أخرج أيضًا السامريين، الذين يؤمنون بموسى -عليه السلام- والتوراة.

(د) متى:

"15: 22 وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك البلاد تصيح: "رحماك، يارب! يا ابن داود؛ إن ابنتي يتخبطها الشيطان تخبطًا شديدًا".

15: 23 فلم يجبها بكلمة. فدنا تلاميذه يتوسلون إليه فقالوا: "اصرفها، فإنها تتبعنا بصياحها".

15: 24 فأجاب: "لم أُرْسَلْ إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل".

15: 25 ولكنها جاءت فسجدت له وقالت: "أغثني يارب!"

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 1: 20 و21 ص: 1.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 2: 1 إلى 6 ص: 1.

3 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل متى: 10: 5 و6 ص: 64.

15: 26 فأجابها: "لا يحسن أن يؤخذ خبز البنين فيلقى إلى صغار الكلاب"[4].

ففي هذا النص ينسب كاتب إنجيل متى لسيدنا المسيح -عليه السلام- أمورًا:

الأول: إخباره أنه لم يرسل إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل. وهذا خبر، و**الأخبار لا يدخلها النسخ**.

فلا يصح أن يأتي آباء الكنيسة، فيقولوا: إنه نهى عن دعوة الأميين، ثم نسخ النهي بأمر، لأن هذا النص ليس أمرًا حتى يقبل النسخ، بل هو خبر عن الغرض من رسالته.

الثاني: أن النص نسب للمسيح عليه السلام قوله: "لم أُرْسَلْ"، ببناء الفعل للمجهول، أي أن هناك من أرسله، وهذا فيه إقرار بعبودية المسيح عليه السلام، وأنه مُرْسَل من الله سبحانه.

كذلك ورد الفعل في صيغة الماضي، فسيتفاد منه أنه أمر قد قرره الله سبحانه، الذي أرسل المسيح عليه السلام، فهو أمر قد قضاه الله سبحانه.

ليس هذا فقط، بل في العديد من النسخ الإنجليزية جاءت كلمة (only) أي (فقط) في النص.

ففي (إنجيل أورشليم) (The Jerusalem Bible) جاء النص هكذا:

"I was sent **only** to the lost sheep of the House of Israel"[5].

وترجمته: "أنا أُرْسِلْتُ **فقط** للخراف الضالة من بيت إسرائيل".

ونفس الأمر في نسخة إنجيل أورشليم طبعة القراء[6]، وفي إنجيل أورشليم الجديد[7].

أما الترجمات العربية فقد اختفت منها كلمة (فقط).

وفي النسخة الإنجليزية العالمية الطبعة البريطانية (The World English Bible British Edition) جاءت عبارة (to anyone) أي (لأي أحد)، فجاء النص هكذا:

"I wasn't sent to **anyone** but the lost sheep of the house of Israel"[8].

وترجمته: "أنا لم أُرْسَلْ **لأي أحد** إلا للخراف الضالة من بيت إسرائيل".

ونفس الأمر في النسخة الإنجليزية العالمية[9] (The World English Bible).

وهذه العبارة اختفت من الترجمات العربية أيضًا.

الثالث: نسبة ألفاظ غير لائقة للمسيح عليه السلام، تتسم بالعنصرية، وتصف غير اليهود بالكلاب.

وهذا الوصف ينسحب على كل النصارى من أصول غير يهودية!!!

(هـ) متى:

"19: 27 فقال له بطرس: "ها قد تركنا نحن كل شيء وتبعناك فماذا يكون مصيرنا؟".

19: 28 فقال لهم يسوع: "الحق أقول لكم: أنتم الذين تبعوني، متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده عندما يجدد كل شيء، تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر عرشًا، لتدينوا أسباط إسرائيل الاثني عشر"[10].

أي أنه في يوم القيامة -أيضًا- تنحصر دينونة المسيح وحوارييه في أسباط بني إسرائيل.

(و) مَتَّى:

"27: 37 وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلَّتَهُ مَكْتُوبَةً: "هَذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ".

27: 38 حِينَئِذٍ صُلِبَ مَعَهُ لِصَّانِ، وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ الْيَسَارِ"[11].

---

4 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل متى: 15: 22 إلى 26 ص: 80 و81.

5 The Jerusalem Bible, the new testament, the gospel according to Saint Mathew: 15: 24 p: 40.

6 The Jerusalem Bible Readers Edition, the new testament, the gospel according to Saint Mathew: 15: 24 p: 25.

7 The New Jerusalem Bible NJB, Mat 15:24 P: 795.

8 The World English Bible British Edition, the good news according to Matthew 15: 24, P: 39.

9 The World English Bible, the Good news according to Matthew 15: 24, P: 1024.

10 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل متى: 19: 27 و28 ص: 91.

11 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 27: 37 و38 ص: 25.

***

ويؤكد الدكتور وليم إدي في تفسيره للإنجيل على خصوصية دعوة السيد المسيح -عليه السلام- لليهود، حيث يذكر في مقدمة الإنجيل الذي ينسبه النصارى لمتى: "وتستحق هذه البشارة أن تذكر قبل غيرها في العهد الجديد، كتبت أولًا أم لا، لأنها العلاقة الفضلى بين العهدين القديم والجديد أي بين الشريعة والإنجيل. والأدلة على أنها كتبت لليهود لتبرهن لهم أن يسوع هو المسيح ثلاثة:

الأول: اقتباساتها العديدة من العهد القديم، وهي ليست أقل من خمسة وسبعين عددًا.

والثاني: أنها لا تتعرض لذكر عادات اليهود، بل تحسبها معلومة عند القارئ.

والثالث: أنها تصرح بيسوع مرسلًا مخصوصًا إلى اليهود"[12].

***

---

12 الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ج:1- شرح بشارة متى- المقدمة.

(2) ما ورد في الإنجيل االمنسوب للوقا:

(أ) أن الملاك لما جاء ليبشر السيدة مريم -عليها السلام- بابنها المسيح -عليه السلام- بين لها أن رسالته تختص ببني إسرائيل فقط، فقال لها:

"1: 31 فستحملين وتلدين ابنًا فسميه يسوع.

1: 32 سيكون عظيمًا وابن العلي يدعى، ويوليه الرب الإله عرش أبيه داود،

1: 33 ويملك على بيت يعقوب أبد الدهر، ولن يكون لملكه نهاية"[1].

فالعبارتان: "ويوليه الرب الإله عرش أبيه داود" و"ويملك على بيت يعقوب". تدلان على سلطانه على بني إسرائيل، فداود نبي إسرائيلي لبني إسرائيل فقط، وبيت يعقوب هو نفس بيت إسرائيل.

ومن المعلوم أن السيد المسيح -عليه السلام- لم يملك على بني إسرائيل يومًا واحدًا، إذن فالمُلك المقصود هنا هو المُلك والسلطان الروحي. كما جاء في رواية كاتب إنجيل يوحنا عن السيد المسيح عليه السلام:

"18: 36 أجاب يسوع: ليست مملكتي من هذا العالم"[2].

أي أن الملاك -حسب رواية كاتب إنجيل لوقا- بشر السيدة مريم عليها السلام؛ أن ابنها يوليه الله سلطانًا روحيًا على بني إسرائيل، أي نبي مرسل لهم.

(ب) وكذلك ما أورده كاتب إنجيل لُوقا أن المسيح -عليه السلام- بعد قيامه من القبر -بزعمهم- قد ظهر لتلميذين من تلاميذه، فسألهما عن الأحداث التي حدثت في أورشليم، فأجاباه:

"24: 19 فَقَالَ لَهُمَا: "وَمَا هِيَ؟" فَقَالاَ: "الْمُخْتَصَّةُ بِيَسُوعَ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ.

24: 20 كَيْفَ أَسْلَمَهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَحُكَّامُنَا لِقَضَاءِ الْمَوْتِ وَصَلَبُوهُ.

21 وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. وَلكِنْ، مَعَ هَذَا كُلِّهِ، الْيَوْمَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذلِكَ"[3].

فهذا النص يدل على أن تلاميذ المسيح -رضوان الله عليهم-كانوا يعتقدون أن المسيح -عليه السلام- إنسان ونبي مرسل لفداء بني إسرائيل، ولكن الكنائس تعتبر فهمها أصح من فهم تلاميذ المسيح، رغم أنهم يروون هذا الفهم في نصوصهم، التي تخالف -رغم التحريف الكثير الذي أصابها- كثيرًا من معتقداتهم.

***

1 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 1: 31 إلى 33 ص: 189.

2 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 18: 36 ص: 352.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 24: 19 إلى 21 ص: 70.

(3) ما ورد في الإنجيل المنسوب ليوحنا:

حيث جاء فيه عن المسيح عليه السلام:

"1: 11 إلى خاصته جاء، وخاصتُه لم تقبله"[1].

وخاصته هم بنو إسرائيل.

***

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 1: 11 ص: 72.

(4) ما ورد في سفر أعمال الرسل:

(أ) أن بطرس قال عن المسيح عليه السلام:

أعمال:

"5: 31 هذا رفعه الله بيمينه رئيسًا ومخلِّصًا، ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا"[1].

فهذا الكلام نسبه كاتب -أو كتبة- سفر أعمال الرسل لبطرس بعد رفع المسيح عليه السلام، ويذكر فيه أن الله رفع المسيح -عليه السلام- لتوبة وغفران خطايا بني إسرائيل، أي بين أن مهمته ورسالته محددة بذلك.

(ب) أن بطرس أقر بأنه رجل يهودي، وأنه يحرم على اليهودي أن يلتصق بغير اليهودي أو يأتي إليه:

أعمال:

"10: 28 فقال لهم: "أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه. وأما أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس"[2].

إذن في هذا النص نسب كاتب سفر أعمال الرسل إلى بطرس الآتي:

1- أنه رجل يهودي، أي يدين بدين اليهودية، وهو دين يؤمن بوحدانية الله، ولا يقر بالتثليث، ولا بنظريات بولس، ويدعو للتمسك بالشريعة الموسوية، التي هدمها بولس.

2- أنه محرم عليه كيهودي أن يخالط غير اليهود، ولكنه خالطهم لرأي ارتآه.

3- وإذا كان قد حرم عليه مخالطة غير اليهود، فبالأحرى يحرم عليه دعوتهم، وهو ما تؤكده الأوامر التي نسبوها لعيسى عليه السلام، والتي ذكرتها آنفًا.

وسيأتي أن تلاميذ المسيح خاصموا بطرس لما فعله.

إذن أين وصية يسوع بأن يكرزوا لكل الأمم؟؟؟ لو كانت موجودة لاحتج بها بطرس. إذن هذه الوصية غير صحيحة، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

(ج) أن أبلوس المعاصر لبولس والمخالف له في العقيدة، كان يدعو اليهود فقط:

أعمال:

"18: 24 ثم أقبل إلى أفسس يهودي اسمه أبلوس، إسكندري الجنس، رجل فصيح مقتدر في الكتب.

18: 25 كان هذا خبيرًا في طريق الرب. وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب. عارفًا معمودية يوحنا فقط.

18: 26 وابتدأ هذا يجاهر في المجمع فلما سمعه أكيلا وبريسكلا أخذاه إليهما، وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق.

18: 27 وإذ كان يريد أن يجتاز إلى أخائية كتب الإخوة إلى التلاميذ يحضونهم أن يقبلوه. فلما جاء ساعد كثيرًا بالنعمة الذين كانوا قد آمنوا،

18: 28 لأنه كان باشتداد يفحم اليهود جهرًا، مبينًا بالكتب أن يسوع هو المسيح"[3].

وقد علق شراح النسخة اليسوعية على ما جاء في أعمال الرسل: "18: 24 ثم أقبل إلى أفسس يهودي اسمه أبلوس". بقولهم:

"سينجح "ابلس" في قورنتس (18/27-28) وسيكون فيها سبب جدال في الكنيسة"[4].

وكذلك يعلقون على ما جاء في أعمال الرسل: 18: 25 بقولهم:

"جدير بالذكر أن ابلس لا يوجه كلامه إلا إلى اليهود"[5].

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 5: 31 ص: 97.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 10: 28 ص: 102.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 18: 24 إلى 28 ص: 109 و110.

4 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- أعمال الرسل: 18: 24 ص: 427.

5 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- أعمال الرسل: 18: 25 ص: 427.

وهذا يؤيد أن رسالة المسيح -عليه السلام- كانت لبني إسرائيل، ولم تكن عالمية كما حولها لذلك بولس ومن بعده.

***

ج- نصوص يستند لها النصارى في التبشير بين الأمم.

وأتناولها تحت العنوانين التاليين:

(1) أمثلة لهذه النصوص

(2) مناقشة هذه النصوص

***

(1) أمثلة لهذه النصوص

(أ) ما جاء في الإنجيل الذي ينسب لمرقس:

"16: 15 وقال لهم: "اذهبوا إلى العالم أجمع و اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها.

16: 16 من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن.

16: 17 وهذه الآيات تتبع المؤمنين: يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة.

16: 18 يحملون حيات، وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون".

16: 19 ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله.

16: 20 وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة. آمين"[1].

***

(ب) ما جاء في الإنجيل الذي ينسب لمتى على لسان المسيح -عليه السلام- بعد قيامه من الأموات كما يروون:

"28: 19 فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.

28: 20 وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر"[2].

***

(ج) ما جاء في الإنجيل الذي ينسب للوقا:

"24: 46 وقال لهم: "هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث،

24: 47 وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم"[3].

***

(د) ما جاء في الإنجيل الذي ينسب ليوحنا:

[1] يوحنا:

3: 16 لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية.

3: 17 لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم"[4].

[2] يوحنا:

"4: 3 ترك إليهودية ومضى أيضًا إلى الجليل.

4: 4 وكان لا بد له أن يجتاز السامرة.

4: 5 فأتى إلى مدينة من السامرة يقال لها سوخار، بقرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه.

4: 6 وكانت هناك بئر يعقوب. فإذ كان يسوع قد تعب من السفر، جلس هكذا على البئر، وكان نحو الساعة السادسة.

4: 7 فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماءً، فقال لها يسوع: "أعطيني لأشرب".

4: 8 لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعامًا.

4: 9 فقالت له المرأة السامرية: "كيف تطلب مني لتشرب، وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية؟". لأن اليهود لا يعاملون السامريين.

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 16: 15 إلى 18 ص: 43.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 28: 19 و20 ص: 26.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 24: 46 و47 ص: 71.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 3: 16 و17 ص: 74.

4: 10 أجاب يسوع وقال لها: "لو كنت تعلمين عطية الله، ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب، لطلبت أنت منه فأعطاك ماءً حيًا".

4: 11 قالت له المرأة: "يا سيد لا دلو لك والبئر عميقة. فمن أين لك الماء الحي؟

4: 12 ألعلك أعظم من أبينا يعقوب، الذي أعطانا البئر، وشرب منها هو وبنوه ومواشيه؟".

4: 13 أجاب يسوع وقال لها: "كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضًا.

4: 14 ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية".

4: 15 قالت له المرأة: "يا سيد أعطني هذا الماء، لكي لا أعطش ولا آتي إلى هنا لأستقي".

4: 16 قال لها يسوع: "اذهبي وادعي زوجك وتعالي إلى ههنا".

4: 17 أجابت المرأة وقالت: "ليس لي زوج". قال لها يسوع: "حسنًا قلت: ليس لي زوج،

4: 18 لأنه كان لك خمسة أزواج، والذي لك الآن ليس هو زوجك. هذا قلت بالصدق".

4: 19 قالت له المرأة: "يا سيد، أرى أنك نبي!

4: 20 آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون: إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه".

4: 21 قال لها يسوع: "يا امرأة، صدقيني إنه تأتي ساعة، لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب.

4: 22 أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود.

4: 23 ولكن تأتي ساعة، وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له.

4: 24 الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا".

4: 25 قالت له المرأة: "أنا أعلم أن مسيا، الذي يقال له المسيح، يأتي. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء".

4: 26 قال لها يسوع: "أنا الذي أكلمك هو".

4: 27 وعند ذلك جاء تلاميذه، وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع امرأة. ولكن لم يقل أحد: "ماذا تطلب؟" أو "لماذا تتكلم معها؟".

4: 28 فتركت المرأة جرتها ومضت إلى المدينة وقالت للناس:

4: 29 "هلموا انظروا إنسانًا قال لي كل ما فعلت. ألعل هذا هو المسيح؟".

4: 30 فخرجوا من المدينة و أتوا إليه.

....

4: 39 فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة التي كانت تشهد أنه: "قال لي كل ما فعلت".

4: 40 فلما جاء إليه السامريون سألوه أن يمكث عندهم، فمكث هناك يومين.

4: 41 فآمن به أكثر جدًا بسبب كلامه.

4: 42 وقالوا للمرأة: "إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن، لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم"[5].

[3] يوحنا:

"17: 18 كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم"[6].

***

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 4: 3 إلى 42 ص: 74 و75.

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 17: 18 ص: .

(هـ) ما جاء في سفر أعمال الرسل:

[1] أعمال:

"1: 8 لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهودًا في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض".

[2] أعمال:

"10: 44 فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة.

10: 45 فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان، كل من جاء مع بطرس، لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضًا.

10: 46 لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بألسنة ويعظمون الله حينئذ أجاب بطرس:

10: 47 أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضًا؟".

10: 48 وأمر أن يعتمدوا باسم الرب حينئذ سألوه أن يمكث أيامًا.

11: 1 فسمع الرسل والإخوة الذين كانوا في اليهودية أن الأمم أيضًا قبلوا كلمة الله.

11: 2 ولما صعد بطرس إلى أورشليم، خاصمه الذين من أهل الختان،

11: 3 قائلين: "إنك دخلت إلى رجال ذوي غلفة وأكلت معهم".

11: 4 فابتدأ بطرس يشرح لهم بالتتابع قائلًا:

....

11: 18 فلما سمعوا ذلك سكتوا، وكانوا يمجدون الله قائلين: "إذًا أعطى الله الأمم أيضًا التوبة للحياة!"[7].

***

7 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 10: 44 إلى 11: 18 ص: 102 و103.

(2) مناقشة هذه النصوص:

وأتناولها تحت العناوين التالية:

(أ) مناقشة ما جاء في الإنجيل الذي ينسب لمرقس

(ب) مناقشة ما جاء في الإنجيل الذي ينسب لمتى

(ج) مناقشة ما جاء في الإنجيل الذي ينسب للوقا

(د) مناقشة ما جاء في الإنجيل الذي ينسب ليوحنا

(هـ) مناقشة ما جاء في سفر أعمال الرسل

***

(أ) مناقشة ما جاء في الإنجيل الذي ينسب لمرقس:

مرقس:

"16: 15 وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع و اكرزوا بالإنجيل[1] للخليقة كلها.

16: 16 من آمن و اعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن.

16: 17 وهذه الآيات تتبع المؤمنين: يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة.

16: 18 يحملون حيات، وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون".

16: 19 ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله.

16: 20 وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة. آمين"[2].

وهذا النص محرف لا صدقية له، وبالتالي لا حجية له للأدلة الآتية:

[1] سيأتي -إن شاء الله- أن هذا الجزء من الإنجيل المنسوب لمرقس هو مما اتفق العلماء المحققون وأكثر رجال الدين النصارى على أنه مضاف له من الكتبة، أي تحريف على تحريف.

وهنا فقط أذكر مثالًا واحدًا من العديد من أقوال علماء النصارى، وهو ما جاء في المدخل إلى إنجيل مرقس في النسخة اليسوعية، التي تمثل النص الرسمي الصادر عن الفاتيكان، حيث جاء فيها:

"وهناك سؤال لم يلق جوابًا : كيف كانت خاتمة الكتاب ؟ من المسلم به على العموم أن الخاتمة كما هي الآن (9/16- 20) قد أضيفت لتخفيف ما في نهاية الكتاب من توقف فجائي في الآية 8"[3].

هكذا بكل بساطة: أضيفت!!!

وسيأتي مزيد تفصيل لهذا التحريف بالإضافة -إن شاء الله- عند بحث التحريف في الكتاب الذي يقدسه النصارى.

ومع هذه التحريفات، التي يعد هذا النص أحد أمثلتها العديدة، مع ذلك يقدمون هذه الأسفار والنصوص للناس على أنها: (كلمة الله المحفوظة)!!!

فهل ما زال الكتاب الذي يقدسه النصارى: كلمة الله المحفوظة، أم كلمة الكنيسة المحشورة؟

وصدق الله العظيم:

"فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ"[4].

هذا هو الدليل الأول على اختلاق واختراع هذا النص.

[2] أما الثاني فهو أن هذا النص يحتوي على الكذب، الذي لا يمكن أن ينطق به نبي مرسل.

ففي النص أن المسيح -عليه السلام- وعد المؤمنين به أنهم: يخرجون الشياطين، ويتكلمون بألسنة جديدة، ويحملون حيات، وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون. وهذا ما لا نراه من النصارى، ولا يستطيعونه، ولا يقبلون القيام به، رغم أنهم يزعمون أن هذا النص هو (كلمة الله المحفوظة).

ثم تأمل أيها القارئ المنصف النص: "وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرهم". ولم يقل: لا يقتلهم أو يميتهم، بل قال: لا يضرهم. أي لا يصابون منه بأي أذى، أي إذا شربوا سمًا مميتًا لا يصابون لا بغثيان ولا قيء ولا نزيف ولا مغص ولا إسهال ولا إغماء، لا يصابون بأي ضرر، فتأمل المبالغة.

---

1 أرجو أن يلاحظ القارئ أن كتاب النسخة اليسوعية كتبوا: "وأعلنوا البشارة"، بينما في النسخة البروتستانتية التي ترجمها إيلي سميث وكرنيليوس فان ديك: "واكرزوا بالإنجيل"، حتى يتحاشوا أن يذكروا أن لسيدنا عيسى -عليه السلام- إنجيلًا، وسأبين ذلك بشيء من التفصيل -إن شاء الله- عند مبحث (أين التوراة والإنجيل المنزلين).

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 16: 15 إلى 20 ص: 43.

3 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل مرقس: مدخل إلى الإنجيل كما رواه مرقس ص: 124.

4 سورة البقرة، آية: 79.

وقد تحدى الدكتورُ ذاكر نايك الدكتورَ ويليام كامبل في مناظرته معه؛ أن يشرب هو -أو أي مسيحي- أمامه سمًا قاتلًا ولا يضره، كما تحداه أن يتكلم مع الحاضرين بلغة لا يعرفها[5].

وحاشا لله أن يأتي نبي بوعود كاذبة، فما بالك بمن يعتقد النصارى أنه ليس مجرد نبي، بل هو الإله المتجسد!!!

كتب الشيخ رحمت الله الهندي -رحمه الله- تعليقًا على هذا النص:

"الغلط (85) : الآية الثالثة والعشرون من الباب الحادي عشر من إنجيل مرقس هكذا : "لأني الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون له، فيكون له مهما قال " .

وفي الباب السادس عشر من إنجيله[6] هكذا : " 17 - وهذه الآيات تتبع المؤمنين .... المرضى فيبرؤن" .

......

وكذا قوله تتبع المؤمنين عام لا يختص بالحواريين ولا بالطبقة الأولى، وكذا قوله : " من يؤمن بي عام لا يختص بشخص وبزمان ، .... وأن يكون من علامة من آمن بالمسيح في هذا الزمان أيضاً الأشياء المذكورة،

....

ورأينا في الهند عمدة زمرة المسيحيين - أعني العلماء من فرقة الكاثوليك والبروتستانت - يجتهدون في تعلم لساننا الأُردو مدة ، ولا يقدرون على التكلم بهذا اللسان تكلماً صحيحاً ، ويستعلمون صيغ المذكر في المؤنث ، فضلاً عن إخراج الشياطين وحمل الحيات وشرب السموم وشفاء المرضى ، فالحق أن المسيحيين المعاصرين لنا ليسوا بمؤمنين بعيسى عليه السلام حقيقة ، ولذلك الأمور المذكورة مسلوبة عنهم"[7].

وكتب الأديب المهتدي للإسلام أحمد فارس الشدياق معلقًا على ذلك النص:

"الثالث عشر: أنا لا نرى الآن أحداً من مطارنة النصارى وأساقفتهم وقسيسهم ورهبانهم معهم، يشرب السم الناقع فلا يؤذيه، فإما أن رواية مرقس كذب وإما أن النصارى الآن كلهم كفار بعيسى، وإن قالوا رياء ونفاقاً أنهم مؤمنون به"[8].

[3] الدليل الثالث على عدم صدقية هذا النص؛ أن النصارى ينسبون لكاتب إنجيل مرقس: أن المسيح طالبهم بأن يكرزوا (يبشروا) للخليقة كلها بالإنجيل، فأين هو هذا الإنجيل الذي دعاهم للتبشير به؟

النصارى ينكرون أن لسيدنا عيسى إنجيلًا.

ولكن هذا النص يثبت له إنجيلًا، دعاهم للتبشير به، فأين هو؟

ويتهرب النصارى بأن الإنجيل هنا معناه البشارة، وكلمة الإنجيل معناها البشارة، ولكننا وجدنا لأناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا -التي كتبت بعد المسيح بعقود- نصوصًا مكتوبة، مع أن الأناجيل تعني البشارات، فلماذا لا نجد لإنجيل عيسى -عليه السلام- نصًا مكتوبًا أيضًا.

فإن كان النصارى ينكرون وجود إنجيل لعيسى -عليه السلام- أصلًا، فقد سقطت وبطلت كل قضية التبشير للخليقة كلها، لأن المسيح في هذا النص -الذي يقدسه النصارى، ويزعمون صدقه- أمرهم بالتبشير بإنجيله هو، وليس بالأناجيل التي كتبت بعده بعقود.

وحتى لو زعم النصارى أن الإنجيل يعني البشارة، فالقضية كما هي، لأن المسيح -عليه السلام- أمرهم بالتبشير ببشارته هو، وعرف (الإنجيل) بالألف واللام، أي إنجيل محدد، أي بشارة محددة، تختص به هو، وليست الأناجيل (أو البشارات) التي كتبت بعده بعقود.

ولأضرب لذلك مثالًا يوضح المسألة، لنفترض أن رجلًا اسمه نظمي ترك وصية، وقال لأصحابه، وصيتي هذه انشروها بين الناس.

---

5 راجع لتفصيل هذه المناظرة شريط (اختبار المسيحي الحقيقي مع ويليام كامبل - ذاكر نايك Zakir Naik) من موقع (Youtube,com/Th3message2). والمناظرة طريفة، وحاول ويليام كامبل أن يتهرب، ولكن الدكتور ذاكر نايك حاصره.

6 يقصد المنسوب لمتى.

7 إظهار الحق ج: 2 ص: 329 إلى 331.

8 مماحكات التأويل في مناقضات الإنجيل ص: 143.

ثم جاء بعد حياته صاحبان له (فهمي ومجدي) فكتب كل منهما -بعد عقود- كتابًا عن حياة نظمي، ثم جاء رجلان آخران (عزمي ورشدي) لم يريا نظمي، وكتب كل منهما -بعد عقود- كتابًا عن حياة نظمي.

ثم إن هذه الكتب انتشرت بين الناس، دون أسانيد، ولا معرفة كاتب ولا ناسخ ولا مترجم.

ثم جاءت فئة فزعمت أنها هي وارثة وصية نظمي، وطالبت الناس بالالتزام بهذه الكتب التي نسبت لـ(فهمي ومجدي وعزمي ورشدي) دون معرفة سند لها ولا كاتب ولا ناسخ ولا مترجم.

وطالبتهم أيضًا بأن يتبعوا تفسيرها لتلك الكتب.

فجاء رجل متسائلًا، فقال لتلك الفئة: أين وصية نظمي؟ فقالوا: ليس لنظمي وصية، أو ضاعت وفقدت.

فقال لهم: إذن ليس لكم الحق:

أولًا: أن تزعموا أنكم وراثو وصية نظمي.

وثانيًا: أن تلزموا الناس بتفسيركم لتلك المذكرات، التي كتبها (فهمي ومجدي وعزمي ورشدي).

[4] الدليل الرابع: أن تلاميذ المسيح -حسب ما جاء في إنجيل لوقا- لم يخرجوا لكل مكان بل كانوا يذهبون للمعبد:

فقد جاء في الإنجيل المنسوب للوقا:

"24: 49 وها أنا أرسل إليكم موعد أبي. فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا "قوة من الأعالي".

24: 50 وأخرجهم خارجًا إلى بيت عنيا، ورفع يديه وباركهم.

24: 51 وفيما هو يباركهم، انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء.

24: 52 فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم،

24: 53 وكانوا <u>كل حين</u> في <u>الهيكل</u> يسبحون ويباركون الله. آمين"[9].

[5] الدليل الخامس على اختراع هذا النص؛ أن هذا النص يتناقض -أيضًا- مع ما ورد بأناجيل النصارى عن قرب مجيء المسيح -عليه السلام- الذي **لم يتحقق**، مما يؤكد على أن النصوص المنسوبة للسيد المسيح -بالتبشير لكل الأمم- مضافة، كما يقول الأستاذ أحمد عبد الوهاب عنها أنها:

"لا تعدو أن تكون إضافات ألحقت بالأناجيل، وحدثت في القرن الثاني من الميلاد، بعد أن انقطع الأمل في عودة المسيح سريعًا إلى الأرض، فيما يعرف بالمجيء الثاني، وهو الشيء الذي بشرت -ولا تزال تبشر به- الأناجيل"[10].

فقد ذكرت أناجيل النصارى أقوالًا عديدة نسبتها للسيد المسيح عليه السلام، تذكر أن المسيح -عليه السلام- سوف يعود قبل زوال جيل أتباعه، وبمجيئه ينتهي العالم، ومن أمثلة هذه النصوص ما ورد في الإنجيل المنسوب لمتى:

"16: 28 الحق أقول لكم: "<u>من الحاضرين ههنا من لا يذوقون الموت</u> حتى يشاهدوا ابن الإنسان آتيًا في ملكوته"[11].

ثم كرره كاتب الإنجيل المنسوب لمتى مرة أخرى بتفصيل أكثر:

"24: 3 و بينما هو جالس في جبل الزيتون، دنا منه تلاميذه فانفردوا به وسألوه: "قل لنا متى تكون هذه الأمور وما هي علامة مجيئك و نهاية العالم؟".

24: 4 فاجابهم يسوع: "إياكم أن يضلكم أحد!

24: 5 فسوف يأتي كثير من الناس منتحلين اسمي يقولون: "أنا هو المسيح". و يضلون أناسًا كثيرين.

....

24: 29 وعلى أثر الشدة في تلك الأيام، <u>تظلم الشمس</u>، <u>والقمر لا يرسل ضوءه</u>، <u>وتتساقط النجوم من السماء وتتزعزع قوات السموات</u>.

---

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 24: 49 إلى 53 ص: 71.

10 حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص: 19.

11 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- متى ص: 84.

24: 30 وتظهر عندئذ في السماء آية ابن الإنسان في السماء. فتنتحب جميع قبائل الأرض، وترى ابن الإنسان آتيًا على غمام السماء.

....

24: 34 الحق أقول لكم: لن يزول هذا الجيل حتى تحدث هذه الأمور كلها"[12].

بل أكثر من ذلك أن كاتب الإنجيل -المنسوب لمتى- أكد أن السيد المسيح -عليه السلام- سيأتي مرة ثانية قبل أن يكمل تلاميذه التبشير في مدن إسرائيل، حيث ورد في الإنجيل المنسوب لمتى:

"10: 5 هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قال: "لا تسلكوا طريقًا إلى الوثنيين ولا تدخلوا مدينة للسامريين،

10: 6 بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل.

....

10: 23 وإذا طاردوكم في مدينة فاهربوا إلى غيرها. الحق أقول لكم: لن تنهوا التجوال في مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان"[13].

وكل هذه النبوءات لم تقع، مما يدل على عدم صدق هذه النصوص، وعدم صدق النصوص الداعية للتبشير خارج بني إسرائيل، ويدل أيضًا على تحريف كتابهم الذي يقدسونه، وعلى عدم صدقيته.

فالمفترض -إذا كانت الأناجيل صحيحة- أن يكون المسيح قد جاءهم، وهم ما زالوا في إسرائيل قبل أن يذهبوا لكل مكان. **ولكن المسيح لم يأتهم حتى اليوم**، مما يدل على وقوع الكذب والتحريف في هذا النص بل وفي تلك الأناجيل.

فمن خالف هذه الأوامر التي نسبوها للمسيح عليه السلام، وخرج بالدعوة خارج مدن إسرائيل قبل مجيء المسيح، فقد خالف أوامره وعصاه.

وإذا كانت هذه الأناجيل صادقة، وهي (كلمة الله المحفوظة) كما تؤكد الكنائس، وأنها كتبت بإلهام من الله كما يعتقدون، فلماذا ينشرون دعوتهم التنصيرية في العالم كله مستندين على بعض نصوص الأناجيل، بينما هناك نصوص أخرى تؤكد أن سيدنا المسيح -عليه السلام- سيأتي للعالم قريبًا جدًا، وينتهي التاريخ والعالم قبل أن يكملوا التجوال في مدن إسرائيل القريبة المتجاورة.

ولكن رجال الكهنوت والقسس والمنصرين يأخذون من كتبهم ما يريدون، ويتركون ما يريدون، ويزعمون أن هذه نصوص تؤول بطريقة غير حرفية، كما كتب شراح النسخة اليسوعية:

"أما "مجيء ابن الإنسان" فيقصد به مجيئه المجيد في آخر الأزمنة"[14].

مناقضين ما نسبوه للمسيح -عليه السلام- أن جيله لن يزول حتى يعود المسيح!!!

إذن فلماذا لا يفسر كتابهم المقدس كله هكذا؟

فالأولى بالتفسير غير الحرفي تلك العقائد العويصة على الفهم، مثل التثليث وتجسد الإله والفداء والخطيئة الأصلية وغيرها، لماذا لا تفسر على أنها معان عامة غير محددة، لا يقصد بها معناها الحرفي.

تلك العقائد التي لعن النصارى بعضهم بعضًا وهم يحاولون تفسيرها، وخاضوا الحروب المهلكة، وأزهقوا ملايين الأنفس في سبيلها، وكل فرقة منهم تتمسك بحرفية كتب لا موثوقية لها، كما سنرى في رحلتنا مع بذور الفساد السياسي إن شاء الله.

[6] الدليل السادس: أمر المسيح -عليه السلام- التلاميذ -في رواية متى ومرقس- بالذهاب لكل مكان، ولكن في رواية لوقا وسفر الأعمال أمرهم بالبقاء في أورشليم.

جاء في إنجيل لوقا:

---

12 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل متى: 24: 3 إلى 34 ص: 102 إلى 104.

13 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل متى: 10: 5 إلى 23 ص: 64 و65.

14 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل متى هامش ص: 65.

"24: 49 وها أنا أرسل إليكم موعد أبي. فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا "قوة من الأعالي".
وجاء في سفر الأعمال:
"1: 4 وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم، بل ينتظروا "موعد الآب الذي سمعتموه مني"[15].
وعن هذه التناقضات كتب الأديب المهتدي للإسلام أحمد فارس الشدياق:
"الرابع: أن رواية متى تفيد أن عيسى أمر تلاميذه بالذهاب، وكذا رواية مرقس. وكلام لوقا صريح في أنه أمرهم بالمكث في أورشليم وكذا هي عبارة مؤلف الأبركسيس[16].
....
السابع: أن مرقس روى أنه بعد أن ارتفع عنهم عيسى خرجوا فبشروا في كل مكان. ورواية لوقا أنهم كانوا كل حين في الهيكل. الثامن: أنه يفهم من عبارة مرقس أن أمر عيسى تلاميذه، كان يريد به أنهم يذهبون في العالم كله، ولم يسمع قط أن أحداً منهم سافر إلى الصين وإلى أمريكا وأستراليا وزيلاندة"[17].
[7] الدليل السابع على عدم صحية هذا النص؛ أن كلمة (العالم) في الكتاب -الذي يقدسه النصارى- جاءت بمعنى اليهود، كما جاء في الإنجيل الذي ينسبونه ليوحنا:
"18: 20 أجابه يسوع: أنا كلمت العالم علانية، وإني علمت دائمًا في المجمع والهيكل حيث يجتمع اليهود كلهم"[18].
وهذا ما أكده القمص تادرس يعقوب ملطي في تفسيره بقوله:
"واضح أن كلمة" العالم "تشير إلى العالم اليهودي، لأن السيد المسيح تحدث معهم علانية، أما مع الأمم فالتقى على مستوى فردي مع أشخاص معينين أرادوا الحديث معه أو التمتع بأعمال محبته.
لم يقم السيد المسيح مدرسة سرية، بل كانت أحاديثه عامة وصريحة. وأنه لم يقف هو أو تلاميذه موقف المثيرين ضد المجتمع أو الدولة"[19].
وكما جاء في الإنجيل الذي ينسبونه ليوحنا أيضًا:
"15: 18 "إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم.
15: 19 لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم.
15: 20 اذكروا الكلام الذي قلته لكم: ليس عبد أعظم من سيده. إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم، وإن كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم.
15: 21 لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمي، لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني.
15: 22 لو لم أكن قد جئت وكلمتهم، لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم.
15: 23 الذي يبغضني يبغض أبي أيضًا.
15: 24 لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالًا لم يعملها أحد غيري، لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي.
15: 25 لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم: أنهم أبغضوني بلا سبب"[20].
فهنا النص يتحدث عن اليهود باسم (العالم):

15 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 1: 4 ص: 93.
16 أي سفر أعمال الرسل.
17 مماحكات التأويل في مناقضات الإنجيل ص: 142.
18 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- يوحنا: 18: 20 ص: 350.
19 الإنجيل بحسب- الأصحاح الثامن عشر- حوار مع رئيس الكهنة ص: 679.
20 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 15: 18 إلى 25 ص: 87.

- فهو يذكر: " أبغضني قبلكم". والذين أبغضوا السيد المسيح -عليه السلام- هم اليهود، أما الرومان فلم يكونوا يهتمون بأمره، بل -حسب رواية وزعم النصارى- أنهم لم يكونوا راغبين في صلبه لولا ضغط اليهود عليهم، بل حسب رواية النصارى أن الرومان هموا بالإفراج عنه.

- وكذلك يذكر النص عبارات: " اضطهدوني" و" جئت وكلمتهم" و" عملت بينهم أعمالًا لم يعملها أحد غيري" و"في ناموسهم". وهذه كلها لا يقصد بها إلا اليهود، فالمسيح -عليه السلام- لم يدع غير اليهود، بل نقل عنه كاتب إنجيل متى أنه نهى أصحابه عن دعوة غير اليهود.

ولذلك علق شراح النسخة اليسوعية على عبارة: "أبغضوني بلا سبب" بقولهم:

"النص المستشهد به مقتبس من مرجعين: مز 19/35 و5/69"[21]. فأرجعوها لسفر المزامير.

أي أن كلمة "ناموسهم" المقصود بها ناموس اليهود.

[8] الدليل الثامن على عدم صدقية هذا النص؛ أنه يذكر أشياء يستحيل على كاتب إنجيل مرقس أن يكون قد رآها بعينيه، ولا يمكن أن تنقل إلا عن نبي يوحى إليه.

بينما كاتب الإنجيل المنسوب لمرقس يذكرها بلا أي إسناد لأي شخص أو جهة.

فقد جاء فيه:

"16: 19 ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله".

فمن أخبره بهذا؟ وهو أمر يستحيل عليه أن يكون قد رآه بعينيه!!!

وبولس حينما أراد أن يؤسس لعقيدة جديدة تخالف دين المسيح عليه السلام، زعم أن المسيح -عليه السلام- أوحى إليه أكثر من مرة، وقد ناقشت هذه القصة المتهافتة من قبل.

ولكن حتى هذا الزعم نفقده هنا.

[9] الدليل التاسع: أن هذا النص لم يذكره بولس في رسائله، التي اتفق النصارى على أنها قد كتبت قبل أناجيلهم، فلو كان هذا النص منتشرًا في وقت بولس، لما تردد في الاستدلال به ضد خصومه بشأن دعوته للوثنيين غير اليهود.

[10] الدليل العاشر: تناقض هذا النص مع قول بطرس في أعمال الرسل بعد رفع المسيح عليه السلام:

أعمال:

"10: 28 فقال لهم: "أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه. وأما أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس"[22].

أين وصية يسوع بأن يكرزوا لكل الأمم؟؟؟ إذن هذه الوصية غير صحيحة.

[11] الدليل الحادي عشر: تناقض هذا النص مع ما جاء في سفر أعمال الرسل من مخاصمة التلاميذ لبطرس بعد رفع المسيح عليه السلام- لدعوة بطرس لغير اليهود.

أعمال:

"10: 44 فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة.

10: 45 فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان، كل من جاء مع بطرس، لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضًا.

10: 46 لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بألسنة ويعظمون الله حينئذ أجاب بطرس:

10: 47 أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضًا؟".

10: 48 وأمر أن يعتمدوا باسم الرب حينئذ سألوه أن يمكث أيامًا.

11: 1 فسمع الرسل والإخوة الذين كانوا في اليهودية أن الأمم أيضًا قبلوا كلمة الله.

---

21 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 15: 25 ص: 342.

22 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 10: 28 ص: 102.

11: 2 ولما صعد بطرس إلى أورشليم، خاصمه الذين من أهل الختان،
11: 3 قائلين: "إنك دخلت إلى رجال ذوي غلفة وأكلت معهم".
11: 4 فابتدأ بطرس يشرح لهم بالتتابع قائلًا:
....
11: 18 فلما سمعوا ذلك سكتوا، وكانوا يمجدون الله قائلين: "إذًا أعطى الله الأمم أيضًا التوبة للحياة!"[23].
فلماذا يخاصم التلاميذ في أورشليم بطرس؟
ألا يدل هذا على أنهم كان مستقرًا عندهم أن دعوة غير اليهود ممنوعة؟
وألا يدل هذا على أن نص الإنجيل المنسوب لمرقس (16: 15 إلى 20) لا وجود له في عصر تلاميذ المسيح، وإلا لاحتج به بطرس.

فهنا يظهر التناقض بين النص المنسوب لمرقس (16: 15 إلى 20)، وبين نص أعمال الرسل (10: 44 إلى 11: 18).

لأن بطرس كان أحد الأحد عشر تلميذًا الذين زعم كاتب إنجيل مرقس أن المسيح -عليه السلام- ظهر لهم بعد قيامته.

مرقس:
"16: 14 أخيرًا ظهر للأحد عشر وهم متكئون، ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم، لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام.
16: 15 وقال لهم: "اذهبوا إلى العالم أجمع و اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها"[24].
ثم بطرس هو الذي خاصمه التلاميذ والنصارى في أورشليم، كما في أعمال الرسل (19: 44 إلى 11: 18).
فهناك احتمال من اثنين لا ثالث لهما:
إما أن يكون أحد هذين النصين صدقًا والآخر كذبًا، ويلزم النصارى حينئذ أن يقروا بأن في كتابهم الذي يقدسونه كذبًا.
والاحتمال الثاني أن يكون كلا النصين كذبًا، وهو أشنع من الاحتمال الأول.
ولكن يستحيل أن يكون كلا النصين صدقًا.
[12] الدليل الثاني عشر: أن نص مرقس (16: 15 إلى 20) مذكور بصيغة الغائب، فعمن ينقل؟
والرواية بصيغة الغائب هي الأسلوب الغالب في الكتاب الذي يقدسه النصارى، فكتبة هذه الأسفار هم رواة، وليسوا شهودًا.
وهؤلاء الرواة لا يُعرف من هم، ولا يُعرف عمن نقلوا، ولا يُعرف من نقل عنهم!!!
فمثلًا في هذا النص كتب كاتبه:
"16: 15 وقال لهم". ولم يقل: وقال لنا.
و"16: 19 ثم إن الرب بعدما كلمهم". ولم يقل: كلمنا.
و"16: 20 وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعمل معهم". ولم يقل: فخرجنا وكرزنا ... والرب يعمل معنا.

وهذه الجهالة تمتد لمن نقلوا هذه النصوص ونسخوها وترجموها، حتى وصلت للنص المطبوع، وسيأتي مزيد تفصيل عن ذلك إن شاء الله.

***

23 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 10: 44 إلى 11: 18 ص: 102 و103.
24 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 16: 14 و15 ص: 43.

(ب) مناقشة ما جاء في الإنجيل الذي ينسب لمتى:

متى:

"28: 19 فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.

28: 20 وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر"[1].

وهذا النص تشكل عليه وتتناقض معه أمور عديدة، مثل ما أشكل على نص مرقس (16: 15 إلى 20) السابق، وكذلك يتناقض معه أيضًا أمور أخرى منها:

[1] أن كاتب إنجيل متى نفسه قد أورد نصوصًا تحدد بوضوح أن دائرة تبشير المسيح -عليه السلام- هي لبني إسرائيل فقط، وأن الله لم يرسله إلا لهم، وقد ذكرتها آنفًا.

وقد ذكرت من قبل ما كتبه الدكتور إدي في تفسيره في مقدمته لإنجيل متى؛ بأن متى بيَّن لليهود أن المسيح -عليه السلام- مرسل لهم فقط.

ولكنه في تعليقه على نص (متى: 28: 19) يحاول حل تناقضه مع ما ذكره في المقدمة، فيأتي بتفسير متناقض في حد ذاته، فكتب عند تفسير ذلك العدد:

"جميع الأمم: كان إرسال المبشرين بالإنجيل في أول الأمر إلى اليهود فقط (ص 10) ولكن المسيح أطلقه هنا، فأمر بتبشير كل الناس يهودًا وأممًا. وهذا مناقض لآراء اليهود كل المناقضة لأنهم اعتقدوا أن معرفة الدين الحق مقصورة عليهم حتى أن تلاميذ المسيح توقفوا عن إطاعة هذا الأمر لتعصبهم اليهودي (أع 11: 3 و15: 5 وعل: 2: 12). فتقضى عليهم سنون وهم يتأخرون من إجرائه حتى ألزمهم الاضطهاد في أورشليم أن يذهبوا منها ويبشروا الأمم. ولم يقدم بطرس على إجراء ذلك إلا برؤيا من السماء. ولم تقدم الكنيسة عليه إلا بشهادة بطرس لهم بتلك الرؤيا (أع 10)"[2].

فجعل تلاميذ المسيح عصاة لأمره، ورماهم بالتعصب، وجعل رؤيا بطرس -عند بطرس وما أسماه (الكنيسة)- أوجب في الاتباع من أمر المسيح!!

وفي هذا إقرار من الدكتور إدي أن تلاميذ المسيح لم يلتزموا بالأمر الذي ورد في (متى 28: 19)، مما يقوي القول بتحريفه.

أيضًا أود أن أذكر بأن ما نسبوه للمسيح عليه السلام في متى: "15: 24 فأجاب: "لم أُرْسَلْ إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل". يعد خبرًا، والأخبار **لا تحتمل إلا الصدق أو الكذب**، ولا يدخلها النسخ.

وأوضح هذا الأمر بمثال بسيط: لو جاء مدرس لمدرسة، فقال له المدير درِّس الرياضيات للمرحلة الثانوية، فرفض المدرس، وقال له: إن مديرية التعليم لم ترسلني إلا لتدريس اللغة للمرحلة الابتدائية. فهذا خبر جاء به المدرس.

وهو خبر محصور مقصور على تدريس اللغة للمرحلة الابتدائية، وناف لتدريس أي شيء غيرها، لأنه استخدم فيه (لم وإلا).

فلو قال المدرس بعدها: إن مديرية التعليم أرسلتني لتدريس كل المواد لكل المراحل، فهذ خبر آخر مناقض للخبر الأول. ولا يحتمل إلا الصدق والكذب، أي أنه إما أن يكون صدقًا، فيكون الخبر الأول كذبًا، وإما أن يكون كذبًا، فيكون الخبر الأول صدقًا. وفي الحالين المدرس كاذب.

وبالتالي فلو نسب النصارى للمسيح أنه قال أنه لم يرسل إلا لخراف بني إسرائيل، فهذا خبر لا يمكن نسخه، إلا بأن يسلم النصارى أن المسيح كان يكذب فيه، وحاشاه عن ذلك، بل هذه الكتب -التي لا أصل لها ولا سند- هي الكاذبة.

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 28: 19 و20 ص: 26.

2 الكنز الجليل ج:1 ص: 538.

[2] كذلك ورد في الإنجيل المنسوب للوقا (1: 31 إلى 33)، أن الملاك لما جاء ليبشر السيدة مريم -عليها السلام- بابنها المسيح -عليه السلام- بين لها أن رسالته تختص ببني إسرائيل فقط. وهذا أيضًا خبر لا يحتمل النسخ.

[3] وسيأتي -إن شاء الله- أن هذا النص من إنجيل متى (28: 19) فيه تحريف بإضافة كلمتي "الآب" و"الروح القدس". وهو تحريف اعترف به العديد من علماء النصارى. فإذا ثبت التحريف في بعضه، سقطت الثقة به، وجاز التحريف فيه كله.

ومن أمثلة ذلك تشكك أدولف هرنك في هذا النص في كتابه (HISTORY OF DOGMA) ص: 79، حيث ينقل عنه الأستاذ أحمد عبد الوهاب أنه أرجع هذا الشك إلى الآتي:

"1- لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقي مواعظ ويعطي تعليمات بعد أن أقيم من الأموات، وأن بولس لا يعلم شيئًا عن هذا.

2- إن صيغة التثليث هذه (التي تتكلم عن الآب والابن والروح القدس) غريب ذكرها على لسان المسيح، ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل، وهو الشيء الذي كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصيًا"[3].

وكذلك ذكر الأب سليم بسترس -رئيس أساقفة بعلبك وتوابعها للروم الكاثوليك- عن نص (متى 28: 19):

"يرجح مفسرو الكتاب المقدس أن هذه الوصية التي وضعها الإنجيل على لسان يسوع ليست من يسوع نفسه، بل هي موجز الكرازة التي كانت تُعد الموعوظين للمعمودية"[4].

وسيأتي مزيد من التفصيل عن مسألة التبشير بثالوث النصارى -إن شاء الله- عند الحديث عن التحريف في الإنجيل المنسوب لمتى.

[4] وسيأتي -إن شاء الله- أن متى كان له إنجيل بالعبري مفقود، غير هذا الإنجيل اليوناني الموجود بأيدي النصارى حاليًا، وأن الكنيسة نبذت الإنجيل العبري، لأن طائفة الأبيونيين الموحدة كانت تستخدمه. وأن هذا الإنجيل اليوناني الحالي لا يعرف من كتبه.

وسيأتي -إن شاء الله- عند الحديث عن أهم فرق الكنيسة الأولى المخالفة لكنيسة بولس؛ أن طائفة الأبيونيين كانت طائفة موحدة تعتقد ببشرية سيدنا عيسى عليه السلام، وكانت ملتزمة بالشريعة اليهودية، وبالتالي فلم تكن تدعو غير اليهود، فلا يمكن أن يكون في إنجيلها النص (متى: 28: 19).

[5] وسيأتي -إن شاء الله- أنه من الثابت عن رجال الدين النصراني أن متى ولوقا كانا ينقلان عن مرقس وعن مصدر آخر مفقود، فإذا كان نص مرقس المشار إليه آنفًا مضافًا، كما قرر ذلك المحققون والعديد من آباء الكنيسة، فمن أين أتى كاتب -أو كُتاب- إنجيل متى اليوناني بهذا النص؟

نقل الأستاذ أحمد عبد الوهاب عن عن جون فنتون في كتابه (SAINT MATHEW) ص: 499:

"على حسب معلوماتنا فإن إنجيل مرقس الذي كان بين يدي متى، قد انتهى عند 16: 8، وعلى هذا فإن ظهور يسوع للنساء في إنجيل متى 28: 9 قد أضافه متى.

وحسبما نعلم فإن إنجيل مرقس لم يحتو على أي روايات تتكلم عن ظهور الرب المقام من الأموات"[5].

أي أنه يرى أن كل النصوص التي تنسب للمسيح -عليه السلام- أقوالاً بعد قيامه من الأموات على ما يروي النصارى، بما فيها نص (متى 28: 19)، هي نصوص مضافة من كاتب إنجيل متى.

---

3 حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص: 18.

4 اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ج: 2 ص: 48.

5 المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص: 295.

[6] ثم إن هذا النص كتبه كاتب الإنجيل المنسوب لمتى بصيغة الغائب: "فدنا يسوع وكلمهم، قال: ...". ولم يقل (وكلمنا)، إذن فهو لم يكن حاضرًا، وإنما ينقل عن غيره، فمن هو -هذا المجهول- المنقول عنه؟

ذكر ستيفن م. ميلر وروبرت ف. هوبر عن كاتب إنجيل متى في كتابهما (تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم)، واللذين سعيا فيه للدفاع عن الكتاب المقدس لدى النصارى:

"وبناء على تقليد قديم، كتب متى جامع الضرائب الذي دعاه الرب يسوع رسولاً، هذا الإنجيل غير أن الحقيقة ، لا يبدو أن الكاتب كان شاهد عيان، حيث اعتمد على مرقس ومصادر أخرى في الحصول على مادته"[6].

والكاتبان هنا ينتقدان التقليد الكنسي، الذي ما زالت العديد من الكنائس متمسكة به، وتنشره بين أتباعها؛ أن متى العشار المذكور في الإنجيل المنسوب لمتى هو كاتب هذا الإنجيل.

وكما سيأتي -إن شاء الله- فإن هذا الزعم لا دليل عليه، بل تضحده الكثير من الأدلة، ولكن الكنيسة وخاصة في المشرق العربي ما زالت تصر على ذلك.

وهذا الذي ذكره الكاتبان المذكوران يقدم مثالًا واضحًا آخر؛ على أن ما تسميه الكنيسة (التقليد الكنسي) -وتعظمه، وتفرضه على أتباعها- ليس له حجية، ولا يؤمن به الكثيرون من المدافعين عن الكتاب الذي يقدسه النصارى.

[8] ثم إن هذا النص ذكر أن المسيح سيبقى معهم إلى نهاية العالم، ولكن هذا لم يحدث، ويؤول النصارى ذلك بأنه يشير للوجود الروحي معهم، كما جاء في النسخة اليسوعية حيث كتب الشراح: "بهذه الكلمات، يستخدم المسيح القائم من بين الأموات بدوره صورة الحضورر الإلهي .... وهو لا يمنح عطايا خاصة (لو 48/24 ويو 22/20)". أو حضورًا ثابتًا (متى 20/18) بل عونًا فعالًا "طوال الأيام"، حتى في الاضطهاد"[7].

فلماذا لا يمتد التأويل لعبارة "جميع الأمم" أيضًا؟

فقد يكون المقصود بها اليهود المقيمين في جميع الأمم، كما جاء في سفر أعمال الرسل:

"2: 5 وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم"[8].

خاصة أن سيدنا المسيح -عليه السلام- وصف اليهود بكلمة (العالم)، كما سبق أن أشرت.

ويؤيد هذا ما ورد في سفر أعمال الرسل عن تلاميذ المسيح عليه السلام:

"11: 19 أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرس وأنطاكية، وهم لا يكلمون أحدًا بالكلمة إلا اليهود فقط"[9].

***

6 تاريخ الكتاب المقدس ص: 74.

7 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل متى ص: 119.

8 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 2: 5 ص: 93.

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 11: 19 ص: 103.

(ج) مناقشة ما جاء في الإنجيل الذي ينسب للوقا:

"24: 46 وقال لهم: "هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث،

24: 47 وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم".

24: 48 وأنتم شهود لذلك.

24: 49 وها أنا أرسل إليكم موعد أبي. فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي"[1].

ويرد على هذا النص كثير من الإيرادات والاعتراضات التي أوردتها على نصي مرقس (16: 15 إلى 20) ومتى (28: 19 و20)، لأن كلًا من متى ولوقا نقلا عن مرقس كما أسلفت. كذلك عبارة (لجميع الأمم) هنا يمكن تفسيرها باليهود، كما أسلفت آنفًا.

ولكن يرد على هذا النص أيضًا:

[1] أن النصارى يقولون إن لوقا كاتب الإنجيل -كما يذكرون- تلميذ لبولس وكاتب لسيرته في رسالة (أعمال الرسل)، فكيف يعلم التلميذ ما يجهله أستاذه؟ فبولس --كما أسلفت- لم يذكر أي شيء عما جاء في الأناجيل عن وصية المسيح -عليه السلام- لتلاميذه بأن يبشروا بالنصرانية بين كل الأمم.

رغم النزاع الشديد الذي ترويه أسفار النصارى بين بولس وتلاميذ المسيح حول هذا الأمر[2]، وحول الالتزام بالناموس اليهودي. ورغم أن النصارى متفقون على أن بولس كتب رسائله قبل كتابة الأناجيل، فلو كانت تلك الوصية معلومة في وقت بولس لاحتج بها، مما يؤيد الرأي بأن تلك الوصية قد أضيفت فيما بعد.

[2] ثم إن لوقا باعترافه لم يكن من تلاميذ المسيح، فهو راو، ولكنه -كعادة رواة الكتاب الذي يقدسه النصارى- راو مجهول ينقل عن مجهولين.

فكاتب إنجيل لوقا يفتتح إنجيله بالآتي:

"1: 1 إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا،

1: 2 كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة،

1: 3 رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس،

1: 4 لتعرف صحة الكلام الذي علمت به"[3].

وبغض النظر عن تقليد الكنائس، الذي يرفضه العلماء المدققون، ومنهم الكثير من آباء الكنيسة، بغض النظر عن هذا التقليد، فإن الدارسون لهذه المقدمة يقرون بأن:

1- كاتب إنجيل لوقا مجهول،

2- الكثيرون -الذين كتبوا (قصصًا)- مجهولون.

3- ثاوفيلس مجهول،

4- الذين عاينوا الكلمة وسلموها لكاتب إنجيل لوقا مجهولون.

5- الذين نقلوا ونسخوا وترجموا إنجيل لوقا -حتى وصل للنص المطبوع- مجهولون.

إذن فهذا النص -وسائر إنجيل لوقا- نقله مجهولون عن مجهولين.

وسيأتي مزيد تفصيل عن هذا -إن شاء الله- عند بحث: مَن كتب أسفار الكتاب الذي يقدسه النصارى؟

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 24: 46 إلى 49 ص: 71.

2 مثل ما ورد (أعمال الرسل) عن نزاعه مع بطرس وبرنابا، ووصفه لهما بالرياء وعدم الاستقامة، وستأتي مناقشته بشيء من التفصيل -إن شاء الله- عند مناقشة ما ورد في سفر أعمال الرسل.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 1: 1 إلى 4 ص: 42.

[3] ومن الأدلة أيضًا على تحريف هذا النص الذي أناقشه (لوقا: 24: 46 إلى 49)؛ أنه تضمن القول الذي نسبوه للمسيح عليه السلام: "وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث"[4].

وما كتبه كاتب إنجيل لوقا يتفق مع ما كتبه كاتب إنجيل متى من أن المسيح يبقى في قبره ثلاثة أيام وثلاث ليال:

متى:

"12: 40 لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال"[5].

ولكن التناقض الصارخ؛ أن المسيح -عليه السلام- على حسب روايات الأناجيل **لم يقم في اليوم الثالث**!!!

وسوف يأتي -إن شاء الله- بيان ما في قصة قيام المسيح -عليه السلام- من تناقضات تعد من الأدلة القوية على تحريف الكتاب الذي يقدسه النصارى، ولكني هنا أجمل القول فأقول:

إن أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا متفقة على أن المسيح -عليه السلام- قد صلب -كما زعموا- يوم الجمعة الساعة الثالثة، واتفقوا جيعًا أنه في صباح أول يوم في الأسبوع -وهو يوم الأحد- لم يكن يسوع في قبره.

ومعنى هذا أننا إذا افترضنا أن يسوع قام صباح الأحد، فإنه يكون قد مكث في قبره ثلاثين ساعة تقريبًا (يوم وربع اليوم فقط) فقد وضع بالمقبرة عند غروب الشمس يوم الجمعة فظل الليلة التي تعقب نهار الجمعة ونهار السبت والليلة التي تعقب نهار السبت، ثم قام في صباح يوم الأحد بزعمهم، فيكون مجموع الأيام والليالي التي مكثها في القبر يومًا واحدًا وليلتين، وليس ثلاثة أيام كما في هذا النص.

أما إذا افترضنا أنه قام من القبر قبل صباح الأحد (يوم السبت أو مساء الجمعة مثلًا)، فإنه يكون قد بقي مدة أقل من ثلاثين ساعة.

وسيأتي مزيد تفصيل لهذه التناقضات -إن شاء الله- عند بحث التحريفات.

وعلى كل حال فالخلاصة: أن هذا النص (لوقا: 24: 46 إلى 49) يتضمن عبارة تكذبها نفس الأناجيل، وهي عبارة "أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث". كما بينت آنفًا.

فإذا كان كاتب إنجيل لوقا أو نساخه أو مترجميه قد كذبوا هذه الكذبة الواضحة، فتسقط الثقة فيما كتبوه أيضًا في نفس النص عن الوصية بالتبشير بين الأمم.

لأن الراوي الذي يثبت كذبه وتناقض كلامه بعضه مع بعض، لا تقبل روايته.

***

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 24: 46 ص: 71.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 12: 40 ص: 10.

(د) مناقشة ما جاء في الإنجيل الذي ينسب ليوحنا:

[1] يوحنا:

3: 16 لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية.

3: 17 لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم"[1].

هذا النص يرد عليه عدة إشكالات:

[أ] الأول: أني قد بينت آنفًا؛ أن كلمة (العالم) نسبها كاتب -أو كتبة- إنجيل يوحنا للمسيح -عليه السلام- وقصد بها اليهود (يوحنا: 18: 20).

[ب] الإشكال الثاني: أن عبارة هذا النص تدل على أن كلمة (العالم) لا يقصد بها كل البشر، بل يقصد بها الذين يؤمنون بالمسيح، بدليل عبارة "لكي لا يهلك من يؤمن به". لأنه لا يتفق أن يحب الله من يهلكهم من غير المؤمنين بالمسيح!!!

فبجمع هذا النص مع النصوص التي تحدد بعثة المسيح لليهود فقط، ومع النص الذي يفيد أن العالم يقصد به اليهود، فتكون النتيجة: أن كلمة (العالم) يمكن فهمها على أنها تعني المؤمنين بالمسيح -عليه السلام- من اليهود.

[ج] ثم الإشكال الثالث؛ أن هذا النص يتعارض مع نص آخر في إنجيل يوحنا أيضًا، وهو:

يوحنا:

"9: 39 فقال يسوع: "لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم، حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون".

ففي نص (يوحنا: 3: 16 و17) ينسب النصارى لله -سبحانه وتعالى- أنه لم يرسل ابنه ليدين العالم، وفي نص (يوحنا: 9: 39) ينسب النصارى للمسيح -عليه السلام- قوله أنه أتى للعالم للدينونة!!!

فأيهما الصدق؟ وأيهما الكذب؟

[د] ثم الإشكال الرابع والخطير؛ أن هذا النص من ضمن النصوص التي اتفق المحققون -مع العديد من علماء النصارى- على أنها مضافة للإنجيل المنسوب ليوحنا، أي تحريف فوق تحريف، فقد جاء في مقدمة الترجمة اليسوعية لإنجيل يوحنا:

" هذه الملاحظات كلها تؤدي إلى الجزم بأن انجيل يوحنا ليس من شهادة شاهد عيان دُوِّنت دفعة واحدة في اليوم الذي تبع الأحداث ، بل كل شيء يوحي ، خلافًا لذلك ، بأنه أتى نتيجة لنضج طويل .

لا بد من الإضافة ان العمل يبدو مع كل ذلك **ناقصًا** ، فبعض اللحمات غير محكمة وتبدو بعض الفقرات غير متصلة بسياق الكلام (**13/3 - 21** و 31 - 36 و 15/1). يجري كل شيء وكأن المؤلف لم يشعر قط بأنه وصل الى النهاية . وفي ذلك تعليل لما في الفقرات من قلة ترتيب. فمن الراجح ان الإنجيل ، كما هو بين أيدينا ، أصدره بعض تلاميذ المؤلف فأضافوا عليه الفصل 21 ولا شك انهم أضافوا أيضًا بعض التعليق (مثل 2/4 (وربما 1/4) و44،4 و39/7 و2/11 و35/19). أما رواية المرأة الزانية (53/7-11/8) فهناك اجماع على انها من مرجع مجهول فأدخلت في زمن لا حق (وهي مع ذلك **جزء من "قانون" الكتاب المقدس**)"[2].

وهذا إقرار خطير جدًا، يستفاد منه:

{1} أن نص إنجيل يوحنا " أتى نتيجة لنضج طويل". أي طبخ طبخًا في الكنيسة[3].

{2} وأن النص الذي بين أيدينا (يوحنا: 3: 16 و17) من النصوص التي تجعل الإنجيل "**ناقصًا** ، فبعض اللحمات غير محكمة وتبدو بعض الفقرات غير متصلة بسياق الكلام".

أي أن هذا النص من النصوص التي حشرت في الإنجيل.

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 3: 16 و17 ص: 74.

2 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- إنجيل يوحنا- مدخل إلى الإنجيل كما رواه يوحنا ص: 286.

3 بل ويذكر ستيفن م. ميلر وروبرت ف. هوبر أنه كانت هناك نسختان لذلك الإنجيل. [تاريخ الكتاب المقدس ص: 76].

{3} وأن كاتب هذا الإنجيل -ومنه النص الذي بين أيدينا- ليس من تلاميذ المسيح، بل هم قوم آخرون. قد يكونون من تلاميذ المؤلف (المجهول)، ولم يذكر اسم يوحنا، وأن هؤلاء التلاميذ أضافوا كثيرًا، واستمدوا قصة من "مرجع مجهول". وكل هذا تم ضمن عملية (النضج الطويل)، وهي عبارة مهذبة لما يسميه أي منصف وعادل بـ(التزوير والتحريف).

{4} ورغم كل هذا الإنضاج الطويل (الطبخ في الكنيسة) لهذا الإنجيل -بما فيه النص الذي بين أيدينا- فإنه "مع ذلك **جزء من "قانون" الكتاب المقدس**". أي ما يصر آباء الكنيسة على أنه: (كلمة الله المحفوظة!!!).

فهل هي كذلك أم (تحريفات الكنيسة المحشورة).

وإذا حسبت الأعداد التي اعترفوا بإضافتها فستجد أنها قرابة 40 عددًا، ومع ذلك **يعتبرونها قانونية**، ومنها نصوص هامة في عقيدة النصارى، مثل هذا النص الذي بين أيدينا (يوحنا: 3: 16 و17)، وهو من النصوص التي يستدلون بها على أن المسيح قد أرسل لكل العالم، وكذلك يدل على عقيدة الفداء.

ومثل نص يوحنا:

"3: 35 الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده"[4].

ويستدلون به على ألوهية المسيح عليه السلام.

ومثل النص الذي يستدلون به -بلا دليل فيه- على أن يوحنا الرسول هو كاتب إنجيل يوحنا:

" 21: 24 هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا و كتب هذا و نعلم أن شهادته حق"[5].

وسيأتي مزيد تفصيل عن إنجيل يوحنا -إن شاء الله- عند بحث التحريفات. لأنه أثار عاصفة من النقد رفضته، مما اضطر الكنيسة لهذه التراجعات، وفي الحقيقة: إن نقد الكتاب المقدس، الذي كان رواده علماء المسلمين الأئمة الأعلام رحمهم الله، ثم جاء بعدهم نقاد اليهود والنصارى، هذا النقد قد أتى على الكتاب الذي يقدسه النصارى من أساسه، كما سيأتي إن شاء الله.

***

[2] النص الآخر الذي يستدل به النصارى من إنجيل يوحنا على عالمية دعوة المسيح عليه السلام هو المتعلق بقصة مرور المسيح -عليه السلام- في السامرة، فقد جاء فيه:

"4: 3 ترك إليهودية ومضى أيضًا إلى الجليل.

4: 4 وكان لا بد له أن يجتاز السامرة.

4: 5 فأتى إلى مدينة من السامرة يقال لها سوخار، بقرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه.

4: 6 وكانت هناك بئر يعقوب. فإذ كان يسوع قد تعب من السفر، جلس هكذا على البئر، وكان نحو الساعة السادسة.

4: 7 فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماءً، فقال لها يسوع: "أعطيني لأشرب".

4: 8 لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعامًا.

4: 9 فقالت له المرأة السامرية: "كيف تطلب مني لتشرب، وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية؟". لأن اليهود لا يعاملون السامريين.

4: 10 أجاب يسوع وقال لها: "لو كنت تعلمين عطية الله، ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب، لطلبت أنت منه فأعطاك ماءً حيًا".

4: 11 قالت له المرأة: "يا سيد لا دلو لك والبئر عميقة. فمن أين لك الماء الحي؟

4: 12 ألعلك أعظم من أبينا يعقوب، الذي أعطانا البئر، وشرب منها هو وبنوه ومواشيه؟".

---

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 3: 35 ص: 74.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 21: 24 ص: 92.

4: 13 أجاب يسوع وقال لها: "كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضًا.

4: 14 ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية".

4: 15 قالت له المرأة: "يا سيد أعطني هذا الماء، لكي لا أعطش ولا آتي إلى هنا لأستقي".

4: 16 قال لها يسوع: "اذهبي وادعي زوجك وتعالي إلى ههنا".

4: 17 أجابت المرأة وقالت: "ليس لي زوج". قال لها يسوع: "حسنًا قلت: ليس لي زوج،

4: 18 لأنه كان لك خمسة أزواج، والذي لك الآن ليس هو زوجك. هذا قلت بالصدق".

4: 19 قالت له المرأة: "يا سيد، أرى أنك نبي!

4: 20 آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون: إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه".

4: 21 قال لها يسوع: "يا امرأة، صدقيني إنه تأتي ساعة، لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب.

4: 22 أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود.

4: 23 ولكن تأتي ساعة، وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له.

4: 24 الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا".

4: 25 قالت له المرأة: "أنا أعلم أن مسيا، الذي يقال له المسيح، يأتي. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء".

4: 26 قال لها يسوع: "أنا الذي أكلمك هو".

4: 27 وعند ذلك جاء تلاميذه، وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع امرأة. ولكن لم يقل أحد: "ماذا تطلب؟" أو "لماذا تتكلم معها؟".

4: 28 فتركت المرأة جرتها ومضت إلى المدينة وقالت للناس:

4: 29 "هلموا انظروا إنسانًا قال لي كل ما فعلت. ألعل هذا هو المسيح؟".

4: 30 فخرجوا من المدينة و أتوا إليه.

....

4: 39 فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة التي كانت تشهد أنه: "قال لي كل ما فعلت".

4: 40 فلما جاء إليه السامريون سألوه أن يمكث عندهم، فمكث هناك يومين.

4: 41 فآمن به أكثر جدًا بسبب كلامه.

4: 42 وقالوا للمرأة: "إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن، لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم"[6].

وهذا النص ترد عليه الإشكالات التالية:

[أ] أن هذه القصة لم تذكرها الأناجيل الثلاثة الأخرى.

[ب] في هذا النص يعلن يسوع عن نفسه أنه المسيح، ولكن ذلك يتناقض مع رفضه الإعلان عن ذلك في نصوص أخرى، فمثلًا ينسب له كاتب إنجيل متى أنه قال لتلاميذه في نواحي قيصرية ألا يقولوا لأحد ذلك:

"16: 20 حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح"[7].

وأيضًا ذكر كاتب إنجيل مرقس:

---

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 4: 3 إلى 42 ص: 74 و75.

7 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 16: 20 ص: 14.

"8: 27 ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس. وفي الطريق سأل تلاميذه قائلًا لهم: "من يقول الناس إني أنا؟".

8: 28 فأجابوا: "يوحنا المعمدان. وآخرون: إيليا. وآخرون: واحد من الأنبياء".

8: 29 فقال لهم: "وأنتم، من تقولون إني أنا؟". فأجاب بطرس وقال له: "أنت المسيح!".

8: 30 فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه"[8].

[ج] وهذه القصة تتناقض مع قصة أخرى في إنجيل لوقا:

"9: 51 وحين تمت الأيام لارتفاعه ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم،

9: 52 وأرسل أمام وجهه رسلًا، فذهبوا ودخلوا قرية للسامريين حتى يعدوا له.

9: 53 فلم يقبلوه لأن وجهه كان متجهًا نحو أورشليم.

9: 54 فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا، قالا: "يا رب، أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم، كما فعل إيليا أيضًا؟".

9: 55 فالتفت وانتهرهما وقال"لستما تعلمان من أي روح أنتما!

9: 56 لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس، بل ليخلص". فمضوا إلى قرية أخرى"[9].

ففي هذه القصة رفض السامريون استقبال المسيح ومن معه، لأنهم كانوا متوجهين لأورشليم، بينما في قصة إنجيل يوحنا أن المرأة وقريتها علموا أن المسيح وتلاميذه من العبرانيين المعظمين لأورشليم، ومع ذلك احتفوا بهم واستضافوهم، مع ما بين العبرانيين والسامريين من عداوة شديدة، وتكفير لبعضهم البعض!!!

ولذلك شكك في واقعية القصة بعض المفسرين النصارى، مثل وليم باركلي والدكتور سعيد حبيب، واعتبروها رمزية مجازية، تعبر عن انحراف أمة السامرة عن عبادة الإله الحقيقي (يهوه)[10].

[د] وإذا افترضنا ثبوت القصة، فإنها تخبر أن المسيح -عليه السلام- لم يقصد الذهاب لقرى السامريين، ولكنه كان مضطرًا للاجتياز عبرها، كما جاء في النص: "4: 4 وكان لا بد له أن يجتاز السامرة".

ثم المرأة هي التي بدأت بسؤاله، وهي التي أحضرت له أهل القرية.

فبهذا لا يتعارض هذا النص، مع النصوص التي حصرت مهمة المسيح -عليه السلام- في دعوة بني إسرائيل.

[هـ] ثم النصارى الذين يعتقدون ثبوت هذه القصة يُلزمهم هذا الاعتقاد بأمور هامة وردت في نص القصة، ففيها عبارات تدل على التوحيد وتخالف عقيدة النصارى في التثليث والتجسد:

{1} فقد جاءت فيها عبارة: "4: 24 الله روح" أي ليس جسدًا، وهذا يضاد عقيدة التجسد، ويتفق مع ما نُسِب لبولس في أعمال الرسل:

"17: 22 فوقف بولس في وسط أريوس باغوس وقال: "أيها الرجال الأثينويون! أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيرًا،

17: 23 لأنني بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم، وجدت أيضًا مذبحًا مكتوبًا عليه: "لإله مجهول". فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه، هذا أنا انادي لكم به.

17: 24 الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه، هذا، إذ هو رب السماء والأرض، لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي،

---

8 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 8: 27 إلى 30 ص: 34.

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 9: 51 إلى 56 ص: 55.

10 إنجيل يوحنا في الميزان ص: 386 و387.

17: 25 ولا يُخدم بأيادي الناس كأنه محتاج إلى شيء إذ هو يعطي الجميع حياة ونفسًا وكل شيء".

فبولس هنا ينادي أهل أثينا؛ بأن هذا الإله الذي لا تعرفون له شكل، وقد صنعتم له مذبحًا، هو الإله الحق الذي أدعوكم لعبادته، وهو لا يسكن في هياكل مصنوعة، ولا يُخدم بأيادي الناس كأنه محتاج لهم.

وهذا يضاد عقيدة تجسد الكلمة في جسد المسيح، الذي كان له شكل وجسد وجلد وشعر وعصب ولحم ودم، وكان يسكن في بيوت مصنوعة بالأيادي، وكان يخدمه الناس بأيديهم، حتى أنه في قصة المرأة السامرية يطلب منها أن تسقيه!!!

{2} وفي هذه القصة عبارات تدل على أن المسيح -عليه السلام- عبد يعبد ربه، فقد جاء فيها:

"4: 22 أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم".

فهل يسجد الله لله؟

الكنيسة تقول لك: نعم، والغ عقلك. ولهذا ثارت عليها الشعوب.

[و] الإشكال السادس في هذه القصة أنها تكاد تتطابق مع قصة بوذا مع المرأة التي من المنبوذين، كما ذكرت سابقًا[11].

فإذا علمنا أن النصارى يقولون: إن إنجيل يوحنا هو آخر ما كُتب من الأناجيل، ويقرون بتأثر كُتَّابه بالفلسفات السائدة في عصرهم، وأن هؤلاء الكُتَّاب لم يروا المسيح -عليه السلام- ولا سمعوا منه، وإذا أضفنا لهذا أيضًا؛ أن قصة المرأة السامرية لم يذكرها أحد سوى كُتَّاب إنجيل يوحنا، وأن الكنيسة لم تقدم على صدق وصحة هذا السفر -الذي وضعت عليه اسم (إنجيل يوحنا)- أي دليل. ثم نرى هذا التطابق بين القصتين الكنسية والبوذية، فمن حق أي باحث منصف ألا يسلم بأصالة وصحة ما يسمى بإنجيل يوحنا، وأن يشك في أن تلك القصة منقولة عن التراث البوذي.

***

[3] كذلك جاء في إنجيل يوحنا نص ثالث يستند له النصارى في أن دعوة المسيح -عليه السلام- عالمية، وهو ما نسبوه له -عليه السلام- وهو يناجي ربه عن تلاميذه:

"17: 18 كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم"[12].

ولكن يرد على هذا النص إشكالان:

[أ] الإشكال الأول: أن كلمة (العالم) جاءت في العهد الجديد، ويقصد بها اليهود، كما أسلفت.

والدليل عليه من نفس أصحاح هذا النص عبارة: "17: 14 أنا قد أعطيتهم كلامك، والعالم أبغضهم". وقد أشرت آنفًا في مناقشة نص إنجيل مرقس؛ أن الذين أبغضوا المسيح -عليه السلام- وتلاميذه -رضي الله عنهم- هم اليهود، أما الرومان -فكما تروي الأناجيل- لم يكونوا يأبهون بالمسيح -عليه السلام- وأتباعه.

[ب] الإشكال الثاني: أن هذا النص ليفهم معناه الحقيقي، لا بد أن يوضع في سياقه، وهو:

"17: 1 تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال: "أيها الآب، قد أتت الساعة. مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضًا،

17: 2 إذ أعطيته سلطانًا على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته.

17: 3 وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته.

17: 4 أنا مجدتك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته.

17: 5 والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم.

17: 6 أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لي، وقد حفظوا كلامك.

---

11 راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس- النقطة الثانية: الخلاف في العقائد- 4- تسرب الوثنية للمسيحية- ب- التشابه بين العقائد النصرانية وما سبقها من العقائد الوثنية- (10) مقارنة جامعة بين عقيدة النصارى في سيدنا عيسى -عليه السلام- وعقيدة البوذيين في بوذا والهندوس في كرشنا- (أ) مقارنة بين عقيدة النصارى في سيدنا عيسى -عليه السلام- وعقيدة البوذيين في بوذا.

12 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 17: 18 ص: 88.

17: 7 والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك.

17: 8 لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم، وهم قبلوا وعلموا يقينًا أني خرجت من عندك، وآمنوا أنك أنت أرسلتني.

17: 9 من أجلهم أنا أسأل لست أسأل من أجل العالم، بل من أجل الذين أعطيتني لأنهم لك.

17: 10 وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي، وأنا ممجد فيهم.

17: 11 ولست أنا بعد في العالم، وأما هؤلاء فهم في العالم، وأنا آتي إليك. أيها الآب القدوس، احفظهم في اسمك الذين أعطيتني، ليكونوا واحدًا كما نحن.

17: 12 حين كنت معهم في العالم كنتُ أحفظهم في اسمك. الذين أعطيتني حفظتهم، ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب.

17: 13 أما الآن فإني آتي إليك. وأتكلم بهذا في العالم ليكون لهم فرحي كاملًا فيهم.

17: 14 أنا قد أعطيتهم كلامك، والعالم أبغضهم، لأنهم ليسوا من العالم، كما أني أنا لست من العالم،

17: 15 لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير.

17: 16 ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم.

17: 17 قدسهم في حقك. كلامك هو حق.

17: 18 كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم،

17: 19 ولأجلهم أقدس أنا ذاتي، ليكونوا هم أيضًا مقدسين في الحق.

17: 20 ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضًا من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم،

17: 21 ليكون الجميع واحدًا، كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك، ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني.

17: 22 وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحدًا كما أننا نحن واحد.

17: 23 أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني.

17: 24 أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم"[13].

فالتأمل في هذا النص يدل على وجود عبارات واضحة قاطعة تدل على عبودية سيدنا المسيح -عليه السلام- لله سبحانه، مثل:

{1} هذا النص المحكم، الذي يجب أن يرد له النصارى -الذين يعتقدون بعصمة الكتاب المقدس لديهم- بقية النصوص الأخرى، وهو:

"17: 3 وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته".

فهذا نص واضح على أن الله سبحانه واحد، وأنه هو قد أرسل يسوع.

{2} ومثل تكرر العبارات التي تدل على أن سيدنا المسيح -عليه السلام- نبي مرسل، مثل:

{أ} كلمة "أرسلته"، فقد وردت في هذا النص مرة واحدة، وكلمة "أرسلْتَني" وردت أربع مرات[14]، فسيدنا عيسى نبي مرسَل مخلوق، لأن المرسَل:

---

13 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 17: 1 إلى 24 ص: 88.

14 وقد ذكرت من قبل أن كلمة "أرسلني" ذكرت في إنجيل يوحنا 29 مرة، واحدة على لسان يوحنا المعمدان عليه السلام، والباقيات على لسان سيدنا المسيح عليه السلام، وذكرت أن التي وردت على لسان سيدنا عيسى -عليه السلام- اقترنت بما يدل على عبوديته. [راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس-

1- تابع للمرسِل،

2- ومنفصل عنه.

{ب} ووردت جملة: "العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته".

وهي تدل على أن سيدنا المسيح -عليه السلام- عبد مكلف بعمل من آمر يكلفه به، فهل يكلف الألهُ الإلهَ؟ الكنيسة تقول: نعم. والغ عقلك.

{3} الفعل (أعطى):

{أ} ورد بصيغة "أعطيته"، "ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته".

{ب} وورد بصيغة "أعطيتهم"،

{ج} وورد بصيغة "أعطيتني"، مثل: " والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك".

فهي تدل على أن المسيح -عليه السلام- يُعطَى عطيةً من معطٍ واهبٍ رازق، وأنه -أي المسيح عليه السلام- يتلقى هذه العطية، إذن فهو ليس إلهًا، لأن الإله مستغن بنفسه، ولا يتلقى من غيره. والذي يُعْطِي يعطي غيره، ولا يعطي نفسه.

وقد وضح ذلك بجلاء في القول الذي نسبوه له عليه السلام: "17: 7 والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك".

{4} الفعل "أسأل"، وهو يدل على دعاء المحتاج السائل من المسؤول، وهو الله سبحانه.

إذن المسيح -عليه السلام- سائل محتاج، أي مخلوق عبد لله سبحانه وتعالى.

ويوضحه بجلاء القول الذي نسبوه له عليه السلام: "17: 15 لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير". أي أن المسيح -عليه السلام- يدعو الله -سبحانه- أن يحفظ أصحابه، ولو كان المسيح إلهًا لحفظهم بنفسه، وما احتاج أن يسأل ربه وإلهه وخالقه.

{5}كما ورد فيه نص ينافي عقيدة الثالوث، وهو:

"17: 21 ليكون الجميع واحدًا، كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك، ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني".

أي أن وحدة المسيح في الله هي وحدته في تلقي النعمة والكرم والرزق من الله سبحانه، وهي بمعنى القرب والاصطفاء والمكانة الرفيعة، بدليل أنه يسأل أن يشاركه التلاميذ فيها "ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا".

وإلا للزم أن تكون الأقانيم خمسة عشر أقنومًا: الآب والابن والروح القدس والاثني عشر تلميذًا!!!

وللزم أيضًا؛ أن يكون الله -تعالى عن ذلك- قد تجسد في التلاميذ الاثني عشر، وليس فقط في المسيح -عليه السلام- كما زعم النصارى.

وفي ضوء هذا تفهم عبارة: "17: 10 وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي، وأنا ممجد فيهم".

أي أن كل ما لي من النعم فهو بفضلك وكرمك، وكل ما اهتدى به المدعوون لوحيك فهو بواسطتي.

أما إذا فهمناها بالمعنى الكنسي الإشراكي، أن المسيح له كل ما لله من صفات وإرادات وكمال وقدرة، لوقعنا في مأزقين خطيرين:

الأول: تعارض وتناقض هذا الفهم الإشراكي مع ما ذكرته من النصوص العديدة التي تدل على عبودية المسيح -عليه السلام- لله سبحانه.

ومنها مثلًا ما نسبه كاتب إنجيل متى للمسيح عليه السلام:

النقطة الثانية: الخلاف في العقائد- 2- بقايا التوحيد في الكتاب الذي يقدسه النصارى- ب- بقايا التوحيد في العهد الجديد- (6) نصوص تفيد أن سيدنا عيسى -عليه السلام- نبي مرسل من الله سبحانه].

"24: 36 "وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ"[15].

وهو النص الذي نقلت عن الأب متى المسكين قوله عنه:

"وهذه الآية قد دوَّخت العلماء واللاهوتيين وكل من حاول الاقتراب منها لأنها خطيرة للغاية"[16].

والمأرق الثاني: أن الآب قد مات أيضًا على الصليب، وهي المعضلة التي أدخل فيها النصارى البولسيون أنفسهم، ولم يخرجوا منها، وهي التي وصفها الأب متى المسكين بـ"السؤال اللاهوتي الخطير"[17]. وهذا ما جنته أيديهم عليهم بتأليههم النبي المخلوق عيسى عليه السلام.

قارن هذه الظلمات والتخبطات بعقيدة الإسلام الصافية في قول الحق سبحانه:

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[18].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ"[19].

ولو كان محمد -صلى الله عليه وسلم- دعيًا أو كذابًا لفرح بهذا الإطراء، ولكنه عبد الله مخلوق مرسل برسالة، لا يستطيع أن يخالفها.

***

15 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 24: 36 ص: 21.

16 الإنجيل بحسب القديس متى ص: 675.

17 الإنجيل بحسب القديس متى ص: 821.

18 سورة المائدة، آية: 75.

19 صحيح البخاري-كتاب: أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ- باب: قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾- حديث رقم: 3445 ج: 2 ص: 490.

(هـ) مناقشة ما جاء في سفر أعمال الرسل:

[1] أعمال:

"1: 8 لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهودًا في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض".

والجواب على هذا الاستدلال:

[أ] أن عبارة "وإلى أقصى الأرض" لا تنفي أن يكون التبشير بين اليهود فقط في اليهودية والسامرة وفي كل الأرض، كما جاء في سفر الأعمال:

" 11: 19 أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرس وأنطاكية، وهم لا يكلمون أحدًا بالكلمة إلا اليهود فقط"[1].

وكما جاء في سفر الأعمال من قول حنانيا للوالي ضد بولس:

"24: 5 فإننا إذ وجدنا هذا الرجل مفسدًا ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة، ومقدام شيعة الناصريين"[2].

[ب] وجميع المسكونة لا تعني كل الدنيا، بل تعني أراضي الدولة الرومانية كما جاء في لوقا:

"2: 1 وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة"[3].

وكما جاء في أعمال الرسل:

"11: 27 وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية.

11: 28 وقام واحد منهم اسمه أغابوس، وأشار بالروح أن جوعًا عظيمًا كان عتيدًا أن يصير على جميع المسكونة، الذي صار أيضًا في أيام كلوديوس قيصر"[4].

وكذلك في أعمال الرسل:

"17: 4 فاقتنع قوم منهم وانحازوا إلى بولس وسيلا، ومن اليونانيين المتعبدين جمهور كثير، ومن النساء المتقدمات عدد ليس بقليل.

17: 5 فغار اليهود غير المؤمنين واتخذوا رجالًا أشرارًا من أهل السوق، وتجمعوا وسجسوا المدينة، وقاموا على بيت ياسون طالبين أن يحضروهما إلى الشعب.

17: 6 ولما لم يجدوهما، جروا ياسون وأناسًا من الإخوة إلى حكام المدينة صارخين: "إن هؤلاء الذين فتنوا المسكونة حضروا إلى ههنا أيضًا.

17: 7 وقد قبلهم ياسون. وهؤلاء كلهم يعملون ضد أحكام قيصر قائلين: إنه يوجد ملك آخر يسوع!"[5].

وفي أعمال الرسل أيضًا:

"19: 26 وأنتم تنظرون وتسمعون أنه ليس من أفسس فقط، بل من جميع أسيا تقريبًا، استمال وأزاغ بولس هذا جمعًا كثيرًا قائلًا: إن التي تصنع بالأيادي ليست آلهة.

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 11: 19 ص: 103.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 24: 5 ص: 115.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 2: 5 ص: 45.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 11: 27 و28 ص: 103.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 17: 4 إلى 7 ص: 108.

19: 27 فليس نصيبنا هذا وحده في خطر من أن يحصل في إهانة، بل أيضًا هيكل أرطاميس، الإلهة العظيمة، أن يُحسب لا شيء، وأن سوف تهدم عظمتها، هي التي يعبدها جميع أسيا والمسكونة"6.

فالمسكونة في كل هذه النصوص تعني أراضي الدولة الرومانية.

[ج] والدليل الواقعي أيضًا أن تلاميذ المسيح -عليه السلام- لم ينتشروا في كل الدنيا، فلم يصلوا لأمريكا ولا روسيا والصين ولا جنوب أفريقيا.

فالخلاصة: أن عبارة "أقاصي الأرض" لا تنفي أن يكون التبشير لليهود فقط، لأنها يمكن أن تعني اليهود في أراضي الدولة الرومانية، كما بينت.

***

[2] أعمال:

"10: 44 فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة.

10: 45 فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان، كل من جاء مع بطرس، لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضًا.

10: 46 لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بألسنة ويعظمون الله حينئذ أجاب بطرس:

10: 47 أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضًا؟".

10: 48 وأمر أن يعتمدوا باسم الرب حينئذ سألوه أن يمكث أيامًا.

11: 1 فسمع الرسل والإخوة الذين كانوا في اليهودية أن الأمم أيضًا قبلوا كلمة الله.

11: 2 ولما صعد بطرس إلى أورشليم، خاصمه الذين من أهل الختان،

11: 3 قائلين: "إنك دخلت إلى رجال ذوي غلفة وأكلت معهم".

11: 4 فابتدأ بطرس يشرح لهم بالتتابع قائلًا:

....

11: 18 فلما سمعوا ذلك سكتوا، وكانوا يمجدون الله قائلين: "إذًا أعطى الله الأمم أيضًا التوبة للحياة!"[7].

ويشكل على هذا النص الإشكالات الآتية:

[أ] بداية أذكر القارئ بما ذكرته سابقًا من إقرار شراح النسخة اليسوعية بعدم حجية كتابهم المقدس عامة، وسفر أعمال الرسل خاصة، من الناحية التاريخية[8]. هذه واحدة.

[ب] أما الثانية: فهذا النص يثبت أن بطرس قد أتى بأمر يخالف ما يعتقده بقية التلاميذ.

وهذا يؤكد على تحريف نص إنجيل (متى: 28: 19). لأن التلاميذ لو كان بلغهم أمر المسيح بالتبشير بين الأمم لما خاصموا بطرس.

ولو كان هذا النص موجودًا لاحتج به بطرس، ولم يلجأ للاحتجاج بالرؤيا التي رآها.

[ج] وثالثًا: أن كاتب أعمال الرسل -والكنيسة من بعده- قد جعلوا رؤيا بطرس مقدمة على أمر المسيح عليه السلام، وهذا من أعجب العجب، نبي مرسل يأمر أتباعه بأمر، ثم يأتي واحد من أصحابه فيأمر بنقيضه لرؤيا رآها.

وقد مر بنا من قبل أن بطرس أباح أكل كل شيء لرؤيا رآها أيضًا كما يزعمون.

[د] هذا النص يتعارض مع ما ورد في سفر أعمال الرسل على لسان بطرس عن سيدنا المسيح عليه السلام:

---

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 19: 26 و27 ص: 110.

7 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 10: 44 إلى 11: 18 ص: 102 و103.

8 راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس- النقطة الأولى: نبذة تاريخية- المسألة الأولى: مقدمة عن مصادر دراسة تلك المرحلة.

"10: 42 وأوصانا أن نكرز للشعب، ونشهد بأن هذا هو المعين من الله ديانًا للأحياء والأموات"[9].

فهنا ينسبون لبطرس أن المسيح أوصاهم أن يكرزوا للشعب أي اليهود.

[هـ] ويتعارض أيضًا مع ما ورد في سفر أعمال الرسل نفسه:

" 11: 19 أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرس وأنطاكية، وهم لا يكلمون أحدًا بالكلمة إلا اليهود فقط"[10].

[و] ويتعارض مع ما ورد في رسالة بولس لأهل غلاطية:

"2: 7 بل بالعكس، إذ رأوا أني أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان.

2: 8 فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل في أيضًا للأمم"[11].

إذن بطرس لا يكرز لكل الأمم كما جاء في (متى 28: 19)، وكما جاء في هذا النص.

[ز] ويتعارض مع ما ورد في رسالة بولس لأهل غلاطية أيضًا:

2: 11 ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة، لأنه كان ملومًا.

2: 12 لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه، خائفًا من الذين هم من الختان.

2: 13 وراءى معه باقي اليهود أيضًا، حتى إن **برنابا أيضًا انقاد إلى ريائهم!**

2: 14 لكن لما رأيت أنهم لا **يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل،** قلت لبطرس قدام الجميع: "إن كنت وأنت يهودي تعيش أمميًا لا يهوديًا، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا؟".

2: 15 نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة"[12].

فلو صدقنا بولس فيما نسب له فإذن:

هذا يدل على عدم وجود وصية يسوع بالكرازة لكل الأمم، وإلا لاحتج بطرس على بولس؛ بأني لست مراء، بل متبع لوصية المسيح عليه السلام.

***

ونتيجة لكل هذه الاعتراضات والتناقضات أعلن هنري تشادويك، وهو رجل الدين الملقب بـ(الموقر جدًا) وأستاذ اللاهوت في كمبردج وغيرها من الجامعات البريطانية، أعلن عن تشككه في هذه النصوص واعتقاده بأن المسيح لم يترك أمرًا واضحًا بشأن التبشير بين الأمم.

وأن الخلاف الحاد حول التبشير بين الأمم في أربعينات القرن الأول دليل قاطع على ذلك.

وأن ما ورد بالأناجيل عن التبشير بين الأمم هو من إضافة المجتمع المسيحي الأول[13].

---

9 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 10: 41 و42 ص: 102.

10 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 11: 19 ص: 103.

11 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 2: 7 و8 ص: 149.

12 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 2: 1 إلى 15 ص: 149.

13 Encyclopædia Britannica, Christianity, The history of Christianity, The relation of the early church to the career and intentions of Jesus.

والنص الأصلي هو:

“A closely related question is whether Jesus intended his gospel to be addressed to Jews only or if the Gentiles were also to be included. In the Gospels Gentiles appear as isolated exceptions, and the choice of 12 Apostles has an evident symbolic relation to the 12 tribes of Israel. The fact that the extension of Christian preaching to the Gentiles caused intense debate in the 40s of the 1st century is decisive proof that Jesus had given no unambiguous directive on the matter. Gospel sayings that make the

وتشكك هنري تشادويك في النصوص التي استندت لها الكنائس والمبشرون في التبشير بالنصرانية بين الأمم، هذا التشكك ينسحب على مصداقية الكتاب -الذي يقدسه النصارى- كله، فهو يدل على أن الرجل لا يسلم بحجية وصدقية كل ما في الكتاب الذي يقدسه النصارى، ويدل على أنه لا يعتبره (كلمة الله المحفوظة).

***

وبهذا أكون قد قدمت موجزًا عن الأسس التي بنت عليها الكنيسة البولسية تبشيرها بالمسيحية خارج بني إسرائيل، وهو الأمر الذي انبنى عليه آثار خطيرة في تاريخ البشرية والفساد السياسي، لأن نشر المسيحية خارج بني إسرائيل قد صاحبه أمران:

الأول: تغيير عقدي في النصرانية، لتوائم الشعوب الوثنية التي توجهت لها،

والثاني: تغير سياسي في العلاقة بين النصرانية البولسية والدولة الرومانية، بدأ بمرحلة من التذبذب في مواقف الدولة الرومانية من النصرانية البولسية، ثم انتهى بتحالفها مع الدولة الرومانية، ثم تطور الأمر لاستشراء نفوذ الكنيسة، ثم الصراع بينها وبين الملوك، الذي مهد لقيام الدولة الوطنية المعاصرة، وكانت الكنيسة في خلال هذه القرون تمثل دولة فاسدة مفسدة، ثارت عليها الشعوب.

ومن هنا تبرز أهمية رصد تحول النصرانية من دعوة لهداية بني إسرائيل إلى دعوة عالمية، تتحالف عقديًا وسياسيًا مع الدولة الرومانية، في مظهر من أوضح مظاهر إفساد السياسة للدين من ناحية، واستخدام الدين لتحصيل المنافع الدنيوية من ناحية أخرى.

وبعد العرض السابق الموجز عن أهم معالم الخلاف في العقائد والشرائع بين الكنيسة الأولى والكنيسة البولسية، أنتقل -بعون الله- لعرض أمثلة من أهم الطوائف الموحدة التي رفضت التحولات العقدية للكنيسة البولسية في القرون الأربعة الميلادية الأولى.

***

Jews' refusal to recognize Jesus' authority as the ground for extending the Kingdom of God to the Gentiles must, therefore, have been cast by the early community".

النقطة الرابعة: أهم فرق الكنيسة الأولى المخالفة لكنيسة بولس المثلثة

وأتناولها تحت العناوين التالية:

1- تمهيد

2- الحواريون رضي الله عنهم

3- مجموعات من الموحدين ورد ذكرها في الكتاب الذي يقدسه النصارى

4- الإبينويون

5- الأسينيون أو الأسيون

6- القمرانيون

7- الناصريون

8- الوحدويون

9- اللالوغوسيون: منكرو الكلمة

10- الآريوسيون

***

1- تمهيد

تحاول الكنيسة الحالية أن توهم الناس بأن العقيدة الأساسية هي التثليث، وأن ما عداها كان هرطقة، والعكس هو الصحيح، فإن المسيحية نشأت ديانة توحيدية، ثم تطورت بفعل عوامل وثنية وسياسية إلى عقيدة شركية مثلثة.

وسأعرض في هذا المبحث- بشيء من الإيجاز- أمثلة لتلك الطوائف الموحدة في القرون الأربعة الميلادية الأولى، حتى انعقاد مجمع نيقية في 325م.

وسنلحظ في أقوال بعض هذه الطوائف والفرق تخبطًا في العقيدة، ولكنها تتفق كلها على نفي ألوهية المسيح عليه السلام.

وكون المسيحية نشأت يهودية موحدة لا تعرف التثليث ولا تأليه المسيح؛ أمر أقر به رجال الدين المسيحي.

وقد نقلت من قبل ما كتبه الكاردينال دانييلو عن المسيحيين الأوائل.

فقد نقل عنه الدكتور موريس بوكاي:

"وأما بالنسبة إلى اليهود المسيحيين، وقد بقوا "إسرائيليين أمناء" فقد كان بولس خائنًا. ولدى اليهود- المسيحيين وثائق تصفه "بالعدو" وتتهمه "بالازدواجية المداهنة" ولكن "اليهودية المسيحية" كانت تمثل حتى سنة 70 غالبية الكنيسة و"ظل بولس معزولًا". وكان رئيس الجماعة اذ ذاك يعقوب قريب المسيح وكان معه في البداية بطرس، ويوحنا. "يمكن أن يكون يعقوب معتبراً كعمود لليهودية- المسيحية التي ظلت بقصد مندمجة في اليهودية في مواجهة المسيحية البولسية"

كما نقل عنه أيضًا:

"ولم تكن هيمنة اليهودية- المسيحية طيلة القرن الأول للكنيسة فقط في القدس وفلسطين، بل كانت رسالتها منتشرة في كل مكان سابقة على الرسالة البولسية. وهذا ما يفسر، لماذا شكلت رسائل بولس دونما انقطاع حضاً على نزاع" أولئك كانوا الخصوم أنفسهم الذين كانوا يرون في كل مكان من جالاتيا وكورنثيا وكولوسيكا[1] وروما وانطاكية.

والساحل السوري الفلسطيني من غزة حتى انطاكية هو يهودي- مسيحي "كما تشهد به أعمال الرسل وكتابات كليمنتين" أما في آسيا الصغرى، فقد ثبت وجود اليهود- المسيحيين في الرسائل إلى الكالات والكولسيين[2] لبولس. وقد عرفت كتابات بابياس باليهودية- المسيحية لفريجي. وأول رسالة من بولس للكورنثيين نوهت في اليونان بوجود يهود- مسيحيين في أبولوس على الخصوص. ان روما "مركز مهم" كما تفيد رسالة كليمان وراعي هرمياس. ويشكل المسيحيون في رأي سوباتون وتاسيت مذهباً يهودياً. ويذهب الكاردينال دانييلو إلى أن أول أَنْجَلَة لافرقيا كانت يهودية- مسيحية. وأن أنجيل العبرانيين وكتابات كليمان الاسكندري يرتبطان بها"[3].

وتنقل الدكتورة زينب عبد العزيز عن الأب الجزويتي جان دانييلو (Jean Daniélou)، وأحسب أنه نفس الكاردينال دانييلو الذي نقل عنه الدكتور بوكاي، قوله في كتابه (مخطوطات البحر الميت وأصول المسيحية):

"إن الكنيسة البدائية كانت يهودية تمامًا ولعبت دورًا أساسيًا حتى سنة 70 عند سقوط القدس وقيام الرومان بحرق المعبد وتشتيت اليهود، أنها حقائق تاريخية تعتم عليها الوثائق الرسمية ومن المهم إعادتها إلى الأذهان".

ثم تواصل الدكتورة زينب عبد العزيز:

"ونطالع في كتابه التالي المعنون "التاريخ الجديد للكنيسة 1962" "أن لوقا يقدم وجهة نظر بولس، الذي لم يكف عن التصارع مع فريق يعقوب (شقيق عيسى ورئيس كنيسة القدس) ويتهمهم بالرياء (غلاطية 2: 12-14). وباختفاء جماعة يعقوب سنة 70 محيت ذكراهم. إلا أن هذا المحو يحرّف تاريخ أصول المسيحية (...) وفي النهاية سنصل إلى عملية قلب للأوضاع، إذ أن الكنيسة البدائية ستنهار سنة 70، والوثنية- الميسحية- البولسية ستبدأ طريقها المنتصر"[4].

---

1 غلاطية وكورنثوس وكولوسي.

2 أهل غلاطية وكولوسي.

3 التوراة والإنجيل والقرآن والعلم- عودة تاريخية- اليهودية- المسيحية والقديس بولس ص: 71 و72.

4 المساومة الكبرى ص: 247 و248.

وهذا الأمر وهو يهودية المسيحية الأولى، ومناقضتها للمسيحية البولسية المثلثة يقر به الدكتور القس حنا جرجس الخضري في دفاعه عن المسيحية البولسية المثلثة، فكتب وهو يعرض لمذهب ثيودوتيوس التوحيدي[5]:

"ومع أن ثيودوتيوس بدأ المناداة بمذهب البنوية[6] في نهاية القرن الثاني ، فإن تعاليمه هذه لم تكن إلا ثمرة للبذور التي ألقيت في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني .

......

وكما سبقت الإشارة فإن الكنيسة نشأت أولا في بيئة يهودية وكان التلاميذ أنفسهم يهودا .

....

ومن هذا يتضح أن مذهب البنويين الذي نادى به ثيودوثيوس في نهاية القرن الثاني لم يكن جديدا على الكنيسة ، بل كان كالزوان الذي ينمو مع النباتات الصالحة في نفس الحقل . ومما لا شك فيه أن هذا الزوان الذي زرعته يد العدو في الحقل . سيظل هكذا موجودا فيه ويكبر مع النباتات الأخرى"[7].

ولما كتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري عن تعاليم أبولوناريوس، أقر مكررًا بنفس الأمر، وهو أن النصارى -في القرون الأربعة الأولى- لم يكونوا كلهم على عقيدة الكنيسة البولسية المثلثة، بل كانوا أخلاطًا مختلفة، وأن الأغلبية العظمى من النصارى -في تلك القرون- كانت مخالفة للعقيدة البولسية المثلثة. فكتب عن ذلك:

"ولقد تعودت الكنيسة في خلال القرون الأربعة الأولى أن تلتقط أنفاسها وأن تتنسم الصعداء في كل مرة كانت تحكم فيها في مجمع رسمي على هرطقة من الهرطقات أو على ضلالة من الضلالات ظنا بأنها قد قضت على هذه الهرطقة وعلى هذه الضلالة ...... ولكن للأسف الشديد لم يكن لهذه الأحكام الكنسية إلا تأثير جزئي.

.....

فهكذا انتشرت تعاليم الغنوسيين وتعاليم ماركيون وتعاليم البنويين وتعاليم الانتحاليين وتعاليم بولس السميساطي وتعاليم لوقيانوس وتعاليم آريوس وأتباعه .... الخ .

إن الفترة التي مرت بها الكنيسة في القرون الأربعة الأولى كانت فترة صعبة معقدة ، إذ أن معظم الهرطقات التي ظهرت في تاريخ الفكر المسيحي بخصوص التعاليم الكرستولوجية ، ظهرت في هذه الحقبة من الزمن ، ومما لا شك فيه أن هرطقات وتعاليم مضلة قد ظهرت في القرون الأخرى وسنتعرض لها في المجلد الثاني ، إلاا أن أغلبية التعاليم المضلة التي ظهرت في تاريخ العقائد المسيحية قد ظهرت خلال هذه القرون الأربعة ، بل منذ نشأة الكنيسة ، جاء إليها العدو ليلا : منتهزا فرصة نيام الناس وزرع زوانا في وسط الحنطة (مت 13 : 24 - 30) ، ولقد نما هذا الزوان في نفس التربة وفي نفس الحقل أسوة بالنباتات الجيدة التي بذرها صاحب الحقل وكبر هذا الزوان بجانب النباتات الجيدة الطيبة وأعطى أثماره الرديئة المدمرة والمخربة . ولقد سبق أن رأينا في دراستنا لهذه الفترة ، الأثمار الرديئة والمرة التي أنتجها هذا الزوان " تعاليم مضلة " وابتعادا عن الحق الالهي وانقساما مريرا محزنا في جسد المسيح أي الكنيسة ، التي في محاولتها للإجابة على سؤال المسيح "من يقول الناس إني أن ابن الإنسان ؟" (مت 16 : 13) انقسمت إلى جماعات وأحزاب وطوائف وكنائس يحارب بعضها بعضا باسم الله ولأجله، وهو عن كل هذا برئ . وهكذا نرى أن نبوة سمعان الشيخ قد تحققت في خلال هذه القرون الأربعة بل لا تزال

من اللافت للنظر أن الكاردينال دانييلو، رغم مكانته المشهورة في الكنيسة وفي الأوساط العلمية الفرنسية لكونه عضو الأكاديمية الفرنسية، فقد أحاط الغموض بظروف وفاته في 20 مايو 1974م، حيث توفي بما قيل أنه نوبة قلبية أصابته في شقة راقصة في ملهى ليلي، يقضي زوجها حينها عقوبة السجن بسبب سمسرة الفاحشة. وسرت إشاعات حول موته، فقيل إنه كان ذاهبًا ليدفع مال ابتزاز نيابة عن شخصية كبيرة، ثم أنكرت الكنيسة ما ادعته الصحف، ثم صدر تقرير رسمي في العام التالي ذكر: أن الحقائق تتناقض مع أي تأويلات خبيثة حول موته، وأنه مات بعد 30 دقيقة من خروجه من منزله، وهي المدة التي تقطع بين المكانين؟؟؟

Microsoft Encarta 2009, Archive, Religion 1974 & Religion 1975.

5 ستأتي الإشارة إليه إن شاء الله.

6 هو الاعتقاد بأن يسوع كان بشرًا، ولكن الله سبحانه تبناه، فأعطاه قوة إلهية، ولكنه لم يكن ابن الله بالطبيعة، وستأتي الإشارة إليه إن شاء الله.

7 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 2 ص: 493 إلى 498.

تتحقق أيضا منذ أن نطق بها إلى يومنا هذا ، أي أن المسيح : " قد وضع لسقوط وقيام الكثرين ... ولعلامة تقاوم " (لو : 2 : 34) أي أنه صار حجر عثرة يسقط عليه الكثيرون ، بل للأسف الشديد الأغلبية الساحقة ، ذلك لأن الأغلبية الساحقة رأت في المسيح عثرة وجعلته أيضا عثرة ! !

....

إن أمنية المسيح العظمى هي أن تختفي الانشقاقات والانقسامات البغيضة التي لا تلد إلا الكراهية وعدم التفاهم وعدم الانسجام . إنه يريد كنيسة واحدة متحدة بالروح ، متخذة عبرة من الانشقاقات والانقسامات التي مزقت الكنيسة في الماضي وتمزق في الحاضر أيضا جسد المسيح الذي هو الكنيسة"[8].

وما ذكره الدكتور القس من أن الأغلبية الساحقة رأت في المسيح عثرة فقول باطل، بل رأت في تأليه المسيح والفداء والصلب والتثليث وغفران الكنيسة للذنوب عثرة وعثرات.

أما المسيح عليه السلام فكان نورًا وهدى ورحمة، يقول الحق سبحانه وتعالى عنه:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[9].

***

8 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 15 ص: 674 إلى 676.

9 سورة المائدة، آية: 46.

2- الحواريون رضي الله عنهم

أول طوائف المسيحيين المتمسكين بالتوحيد هم حواريو المسيح وتلاميذه رضي الله عنهم.

وقد بينت من قبل أن المسيح -عليه السلام- كان على عقيدة التوحيد، عقيدة موسى عليه السلام، وعلى شريعته، وأنه كما -جاء في أناجيل النصارى- لم يأت لينقض الناموس بل ليتممه. حيث نسبوا له أنه قال: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل"[1].

كما ذكرت أمثلة من بقايا التوحيد في الكتاب المقدس لدى النصارى.

كما وضحت أن النصارى الأوائل كانوا مواظبين على تعليم رسل بني إسرائيل عليهم السلام، وأنهم كانوا يصلون في الهيكل، أي يتعبدون على حسب شريعة اليهود، ولم تكن لهم كنيسة خاصة بهم.

كما أن جميع الشعب (أي عامة اليهود) كانوا يجلونهم، إذن لا يمكن أن يكونوا مخالفين لعقيدة التوحيد، التي تدعو لها اليهودية، رغم ما شابها من شوائب، مثل تصويرهم المولى سبحانه في صورة الأجسام، ومثل تقربهم للشيطان (عزازيل)، كما سأبين إن شاء الله.

ولو كان المسيحيون الأوائل يعتقدون ويجاهرون بأن المسيح –عليه السلام- هو الإله المتجسد وهو الأقنوم الثاني وهو الابن الأزلي للمولى تعالى عن ذلك؛ إله من إله، كما صاغوا عقائدهم في مجمع نيقية (325م)، لنبذهم اليهود، ولرجموهم.

كما ذكرت من قبل -بشيء من التفصيل- خلاف بولس مع الحواريين، وفندت قصة بولس، وبينت ما أدخله من عقائد في ديانة المسيح عليه السلام.

كما بينت من قبل استخفاف بولس بالحواريين رضي الله عنهم، بل وذمهم بالألفاظ النابية.

وذكرت خلاف يعقوب مع بولس: في التزام الشريعة، وفي الخلاص بالعمل الصالح.

كما ذكرت الخلاف الشديد الذي حصل بين برنابا وبولس، وفندت تبرير كاتب -أو كتبة- أعمال الرسل لذلك الخلاف، وبينت أن الخلاف حول الالتزام بشرائع التوراة هو السبب المنطقي، أو أحد أهم أسباب هذا الخلاف.

كما بينت أن كل من ذكر كاتب -أو كتبة- أعمال الرسل اصطدامه ببولس، اختفى ذكره بعد ذلك من سفر أعمال الرسل، الذي هو في الحقيقة سفر أعمال بولس.

كما بينت أن رواية أعمال الرسل غير موثوق بها إلا في الاحتجاج على حزب بولس.

***

وقد أثنى الله -سبحانه وتعالى- في قرآنه الكريم على أصحاب عيسى -رضي الله عنهم- في أكثر من موضع، فقال سبحانه:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (56) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (58) إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2].

***

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- متى: 5: 17 ص: 3.

2 سورة آل عمران، آية: 52 إلى 59.

3- مجموعات من الموحدين مخالفي بولس ورد ذكرهم في الكتاب المقدس لدى النصارى

بالإضافة للحواريين فقد ورد -في الكتاب الذي يقدسه النصارى- ذكر مجموعات من النصارى -في عهد بولس- خالفوه، وذمهم بولس ذمًا نابيًا. فمن هؤلاء:

أ- من أسماهم بولس بـ(الضعفاء)، لأنهم متمسكون بتعاليم التوراة في الطعام، وعدم أكل ما ذبح للأوثان، فقد نسب النصارى لبولس أنه أباح لمن له علم أن يأكل ذبيحة الأوثان، ولكن لا يأكلون أمام الضعفاء، الذين قد يسبب لهم ذلك عثرة في إيمانهم، ففي رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس:

"8: 4 فمن جهة أكل ما ذبح للأوثان: نعلم أن ليس وثن في العالم وأن ليس إله آخر إلا واحدًا.

......

8: 7 ولكن ليس العلم في الجميع، بل أناس بالضمير نحو الوثن إلى الآن يأكلون كأنه مما ذبح لوثن، فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجس.

8: 8 ولكن الطعام لا يقدمنا إلى الله، لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص.

8: 9 ولكن انظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرة للضعفاء.

8: 10 لأنه إن رآك أحد يا من له علم، متكئًا في هيكل وثن، أفلا يتقوى ضميره، إذ هو ضعيف، حتى يأكل ما ذبح للأوثان؟!

8: 11 فيهلك بسبب علمِك الأخُ الضعيف الذي مات المسيح من أجله.

8: 12 وهكذا إذ تخطئون إلى الأخوة وتجرحون ضميرهم الضعيف، تخطئون إلى المسيح.

8: 13 لذلك إن كان طعام يعثر أخي فلن آكل لحمًا إلى الأبد، لئلا أعثر أخي.

....

10: 23 "كل الأشياء **تحل لي"**، لكن ليس كل الأشياء توافق. **"كل الأشياء تحل لي"**، ولكن ليس كل الأشياء تبني"[1].

ب- من أسماهم بولس بـ(الإخوة الكذبة) الذين أرادوا أن يمنعوا حريته في التحلل من الناموس، فقد جاء في الرسالة المنسوبة له لأهل غلاطية:

"2: 4 ولكن بسبب الإخوة الكذبة المدخلين خفية، الذين دخلوا اختلاسًا ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا.

2: 5 الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة، ليبقى عندكم حق الإنجيل"[2].

ج- من أسماهم بولس بـ(الرسل الكذبة)، نحو ما جاء في رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس:

"11: 3 ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.

11: 4 فإنه إن كان الآتي يكرز بيسوع آخر لم نكرز به، أو كنتم تأخذون روحًا آخر لم تأخذوه، أو إنجيلًا آخر لم تقبلوه، فحسنًا كنتم تحتملون!

....

11: 12 ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجدوا كما نحن أيضًا في ما يفتخرون به.

11: 13 لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون، مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح.

11: 14 ولا عجب. لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور!

11: 15 فليس عظيمًا إن كان خدامه أيضًا يغيرون شكلهم كخدام للبر. الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم"[3].

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: 8: 4 إلى 10: 23 ص: 135.

2 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 2: 4 و5 ص: 149.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: 11: 3 إلى 15 ص: 146 و147.

د- من وصفهم بولس بـ(الكلاب)، لأنهم يتمسكون بالختان والشريعة، فقد جاء في رسالته لأهل فيلبي عن المتمسكين بالختان وشرائع التوراة:

"3: 2 انظروا الكلاب. انظروا فعلة الشر. انظروا القَطعَ.

3: 3 لأننا نحن الختان، الذين نعبد الله بالروح، ونفتخر في المسيح يسوع، ولا نتكل على الجسد"[4].

هـ- من وصفهم بولس بـ(المتمردين المتكلمين بالباطل)، ففي رسالته إلى تيطس يحذر من الذين من الختان (أي من المتمسكين بشرائع التوراة)، ويشمل هذا تلاميذ المسيح -عليه السلام- واليهود المتنصرين، بل ويسب الكريتيين:

"1: 10 فإنه يوجد كثيرون متمردين يتكلمون بالباطل، ويخدعون العقول، ولا سيما الذين من الختان،

1: 11 الذين يجب سد أفواههم، فإنهم يقلبون بيوتًا بجملتها، معلمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح.

1: 12 قال واحد منهم، وهو نبي لهم خاص: "الكريتيون دائمًا كذابون وحوش ردية بطون بطالة".

1: 13 هذه الشهادة صادقة. فلهذا السبب وَبِّخهم بصرامة لكي يكونوا أصحاء في الإيمان،

1: 14 لا يصغون إلى خرافات يهودية، ووصايا أناس مرتدين عن الحق.

1: 15 كل شيء طاهر للطاهرين، وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهرًا، بل قد تنجس ذهنهم أيضًا وضميرهم.

1: 16 يعترفون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه، إذ هم رجسون غير طائعين، ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون"[5].

و- ذكرت من قبل خلاف بولس مع أبلوس، وبينت أن الخلاف بينهما كان خلافًا عقديًا، وأنه كان يعمد بعمودية يوحنا المعمدان عليه السلام، وهي معمودية التوبة من الخطايا، والتي تعمد بها المسيح عليه السلام، كما يروي النصارى في كتابهم، وهذا دليل على بشرية المسيح عليه السلام، فإن الإله لا يتوب[6].

ز- خلاف بولس مع طائفة من أهل أفسس

وقد ذكرت من قبل الخلاف الذي حصل في أفسس بين من اتبعوا أبلوس ومن اتبعوا بولس.

ويقرر هذا الخلاف بولس في رسالته الأولى لتيموثاوس:

"1: 3 كما طلبت إليك أن تمكث في أفسس، إذ كنت أنا ذاهبًا إلى مكدونية، لكي توصي قومًا أن لا يعلموا تعليمًا آخر،

1: 4 ولا يصغوا إلى خرافات وأنساب لا حد لها، تسبب مباحثات دون بنيان الله الذي في الإيمان.

1: 5 وأما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء.

1: 6 الأمور التي إذ زاغ قوم عنها انحرفوا إلى كلام باطل.

1: 7 يريدون أن يكونوا معلمي الناموس، وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقررونه"[7].

وعبارة "معلمي الناموس". تدل على أن من يخاصمهم بولس هم من المتمسكين بشريعة التوراة، ومع ذلك يصفهم بأنهم أصحاب تعليم آخر، وخرافات، وكلام باطل، وهم لا يفهمون ما يقولون!

وكذلك جاء في نفس الرسالة:

"6: 3 إن كان أحد يعلم تعليمًا آخر، ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة، والتعليم الذي هو حسب التقوى،

6: 4 فقد تصلف، وهو لا يفهم شيئًا، بل هو متعلل بمباحثات ومماحكات الكلام، التي منها يحصل الحسد والخصام والافتراء والظنون الردية،

---

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي: 3: 2 إلى 9 ص: 158.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى تيطس: 1: 10 إلى 16 ص: 174.

6 راجع: النقطة الأولى: نبذة تاريخية/ المسألة الثانية: التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى/ المرحلة الأولى (من سنة 30م إلى 135م)/ المدة الأولى: من رفع المسيح -عليه السلام- إلى تدمير الهيكل عام 70م/ [د] ظهور بولس ودوره في مشاقة الكنيسة المُوَحِدة/ {4} خلاف بولس وأبلوس.

7 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى لتيموثاوس: 1: 3 إلى 7 ص: 168.

6: 5 ومنازعات أناس فاسدي الذهن وعادمي الحق، يظنون أن التقوى تجارة. تجنب مثل هؤلاء"[8].

ح- شن بولس هجومًا على أهل غلاطية، لأنهم تركوا دعوته، والتزموا بشريعة التوراة والتوحيد، فجاء في رسالته لهم:

"1: 6 إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى إنجيل آخر!

1: 7 ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح.

1: 8 ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن "أناثيما"[9]!

1: 9 كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضًا: إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم، فليكن "أناثيما"

....

1: 11 وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به، أنه ليس بحسب إنسان.

1: 12 لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته. بل بإعلان يسوع المسيح.

....

3: 1 أيها الغلاطيون الأغبياء، من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق؟ أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبًا!

3: 2 اريد أن أتعلم منكم هذا فقط: أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان؟

3: 3 أهكذا أنتم أغبياء! أبعدما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد؟

3: 4 أهذا المقدار احتملتم عبثًا! إن كان عبثًا!

....

4: 9 وأما الآن إذ عرفتم الله، بل بالحري عرفتم مِن الله، فكيف ترجعون أيضًا الى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستعبدوا لها من جديد؟

4: 10 أتحفظون ايامًا وشهورًا وأوقاتا وسنين

4: 11 أخاف عليكم أن اكون قد تعبت فيكم عبثًا!

....

4: 16 أفقد صرت إذًا عدوًا لكم لأني أصدق لكم؟

4: 17 يغارون لكم ليس حسنًا، بل يريدون أن يصدوكم لكي تغاروا لهم.

4: 18 حسنة هي الغيرة في الحسنى كل حين، وليس حين حضوري عندكم فقط.

4: 19 يا أولادي الذين اتمخض بكم أيضًا الى أن يتصور المسيح فيكم.

4: 20 ولكني كنت ريد أن أكون حاضرًا عندكم الآن وأغير صوتي، لأني متحير فيكم!

4: 21 قولوا لي أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس ألستم تسمعون الناموس

....

5: 7 كنتم تسعون حسنًا. فمَنْ صدكم حتى لا تطاوعوا للحق؟

....

6: 12 جميع الذين يريدون أن يعملوا منظرًا حسنًا في الجسد، هؤلاء يلزمونكم أن تختتنوا، لئلا يضطهدوا لأجل صليب المسيح فقط.

6: 13 لأن الذين يختتنون هم لا يحفظون الناموس، بل يريدون أن تختتنوا أنتم لكي يفتخروا في جسدكم"[10].

---

8 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول الأولى لتيموثاوس: 6: 3 إلى 5 ص: 170.

9 أناثيما: أي محروم ومطرود من الطائفة المؤمنة.

10 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: 1: 6 إلى 6: 13 ص: 149 إلى 152.

وعن هذا الخلاف -بين بولس ومعاصريه حول العقيدة- كتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري عن التيارات التوحيدية، التي صاحبت نشوء المسيحية في القرنين الأول والثاني الميلاديين:

"ومع أن ثيودوتيوس بدأ المناداة بمذهب البنوية[11] في نهاية القرن الثاني ، فإن تعاليمه هذه لم تكن إلا ثمرة للبذورة التي ألقيت في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني".

ثم تكلم عن زعمه بأن الجماعة المسيحية الأولى اعترفت بالمسيح كابن أزلي لله، ولكن رفض بعض المسيحيين من أصل يهودي تلك العقيدة، وخاصة تعاليم بولس، وأن هذه الجماعات كانت في داخل الكنيسة، وأن هذه الجماعات كانت تستدل بأقوال للمسيح عليه السلام، فكتب:

"ولكن ظهرت جماعات أخرى عديدة في الكنيسة المسيحية نفسها ، لم تقبل هذا الاعتراف ، وعلى الخصوص أقوال الرسول بولس التي تشير إلى لاهوت المسيح ووجوده السابق لكل وجود ، " اللوغوس " ، الكلمة الأبدي ، الذي به كل شيء كان وبغيره لم يكن شيء مما كان . فإن هذه الجماعات قبلت المسيحية ودخلت فيها ولكنها أرادت أن تحتفظ بناموس موسى ، بل إنها وجدت في أقوال المسيح نفسه سندا يؤيد زعمهم هذا ، أي التمسك بناموس موسى ، ألم يقل السيد " ... لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ... " (مت 5 : 17 ، 18) . فمنذ البداية ظهرت هذه الجماعات في داخل الكنيسة نفسها وأرادت المحافظة على الناموس والتقليد والصيام والعادات التي كان يتبعها اليهود . ومن هذه الجماعات :

1 - جماعة الاخوة " الضعفاء " الذين يتكلم عنهم الرسول بولس (1كو 8 : 9) .

2 - الاخوة الكذبة الذين يذكرهم نفس الرسول في الرسالة إلى أهل غلاطية (غل 2 : 4) والذين كانوا يتمسكون بالختان كأمر ضروري للخلاص .

3- المعلمون الكذبة الذين ظهروا في كولوسي وأفسس (أف 4 : 14) .

4 - الناصريون

.....

5 - ثم جماعة الأبيونيين

.....

إن هذه الآراء كانت منتشرة ومعروفة في وسط اليهود المتنصرين ، والذي يقرأ رؤية راعي هرماس[12] (LE PASTEURE D'HERMAS) يستطيع أن يدرك بدون عناء التأثير اليهودي الذي يسيطر على الكاتب في تفسيره لمفهوم ابن الله والروح القدس .

فإن راعي هرماس يعتقد بأن الروح الذي أسكنه الله في جسد يسوع **لا يعتبر شخصا إلهيا ولكن قوة إلهية**"[13].

ط- كذلك ذكر كاتب رسالة بطرس الثانية: أن بين الشعب (أنبياء كذبة) ينكرون ألوهية المسيح.

جاء في رسالة بطرس الثانية:

"2: 1 ولكن، كان أيضًا في الشعب أنبياء كذبة، كما سيكون فيكم أيضًا معلمون كذبة، الذين يدسون بدع هلاك. وإذ هم ينكرون الرب الذي اشتراهم، يجلبون على أنفسهم هلاكًا سريعًا.

2: 2 وسيتبع كثيرون تهلكاتهم. الذين بسببهم يجدف على طريق الحق"[14].

---

11 يقصد به القائلين أن المسيح عليه السلام كان بشرًا، ولم يكن إلهًا، ولكن الله سبحانه تبناه، بأن رفع قدره فوق الخلائق، وسيأتي بعض تفصيل عن ذلك إن شاء الله.

12 أشرت لها من قبل، راجع: النقطة الأولى: نبذة تاريخية/ المسألة الثانية: التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى/ المرحلة الثانية: (من سنة 135م إلى 325م).

13 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 2 ص: 493 إلى 497.

14 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بطرس الرسول الثانية: 2: 1 و2 ص: 191.

ي- وذكر كاتب رسالة يوحنا الأولى: أن هناك كثيرون ينكرون ألوهية المسيح، وأن هذه علامة نهاية الزمان وقيام الساعة، التي لم تقم حتى الآن بعد عشرين قرنًا من تلك الكتابة، بل -بفضل الله- زاد ويزيد عدد منكري ألوهية المسيح عليه السلام.

جاء في رسالة يوحنا الأولى:

"2: 18 أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة. وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتي، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون. من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة.

2: 19 منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا. لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا.

2: 20 وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء.

2: 21 لم أكتب إليكم لأنكم لستم تعلمون الحق، بل لأنكم تعلمونه، وأن كل كذب ليس من الحق.

2: 22 من هو الكذاب، إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح؟ هذا هو ضد المسيح، الذي ينكر الآب والابن.

2: 23 كل من ينكر الابن ليس له الأب أيضًا، ومن يعترف بالابن فله الآب أيضًا.

2: 24 أما أنتم فما سمعتموه من البدء فليثبت إذًا فيكم. إن ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء، فأنتم أيضًا تثبتون في الابن وفي الآب"[15].

***

15 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة يوحنا الرسول الأولى: 2: 18 إلى 24 ص: 193.

4- الإبيونيون

هم طائفة من اليهود آمنوا بالمسيح -عليه السلام- كنبي مرسل من الله.

وتمتد فرقتهم زمنيًا إلى ما قبل بعثة المسيح عليه السلام.

واشتق اسمهم من كلمة (إبيون) العبرية، وتعني الفقير.

وبعد بعثة المسيح -عليه السلام- استمرت هذه الطائفة في التمسك بالعقيدة والشريعة اليهودية مع الإيمان بعيسى -عليه السلام- كنبي بشري مرسل من الله سبحانه.

وقد وردت بعض أخبار عن الإبيونيين في كتابات آباء الكنيسة الأوائل، مثل ترتوليان وأريجن وغيرهما، تفيد أنهم حافظوا على الشريعة الموسوية كما هي في التوراة بكل تفاصيلها، ولكنهم آمنوا بعيسى المسيح إيمانًا خاصًا، فهم يقولون إنه ليس مخلصًا سياسيًا ولا دنيويًا، ولكنه منقذ للأرواح، يظهر للناس تفاهة الحياة الدنيا، وأن الخير كله في التقوى.

وهم لا يؤمنون بالمسيح -عليه السلام- عل أنه الأقنوم الثاني لله كما يزعم النصارى، ولا بأن له قدرة إلهية، بل هو بشر ورسول وعبد من عباد الله، ولذلك فإنهم قاموا في وجه بولس وتعاليمه[1]. وعدوه مرتدًا لإعلائه التعاليم النصرانية على الشريعة الموسوية[2].

فقد ذكر يوسابيوس القيصري أنهم:

"ظنوا من الضروري رفض كل رسائل الرسول الذي قالوا عنه بأنه مرتد عن الناموس. ثم إنهم استعملوا فقط ما يدعى إنجيل العبرانيين، ولم يبالوا كثيرا بالأسفار الأخرى"[3].

ولذا ناصب النصارى من أتباع بولس الإبيونيين العداء، الذين كانوا من جانبهم يتهمون هؤلاء المسيحيين بخيانة تعاليم المسيح، وتأليهه، وجعل دينه وسيلة لاكتساب عرض الدنيا[4].

وذكر هيم ماكبي: أن الكنيسة حرصت على إخفاء كتابات الإبيونيين، لكن ما كتبه أبيفان في كتابه (ضد الهرطقات) عن الإبيونيين يبين أنهم كانوا يؤكدون على أن بولس لم يكن فريسيًا أبدًا، ولم يتلق تعليمهم على الإطلاق، بل لم يولد يهوديًا، ولكنه اعتنق اليهودية وهو في طرسوس، ثم جاء للقدس بالغًا راشدًا، فالتحق بخدمة الكاهن الأكبر.

غير أن آماله في الشهرة لم تتحقق، فراح يسعى في إنشاء دين جديد[5].

وذكر محررو موسوعة إنكارتا أن طائفتهم بقيت منهم بقايا حتى القرن الخامس الميلادي[6].

وقد كتب عنهم الدكتور حنا جرجس الخضري، مع الأخذ في الاعتبار أنه ينقل عن خصومهم، وليس عنهم:

"وهم يشبهون إلى حد كبير الإخوة الكذبة الذين ذكرهم الرسول بولس (غل: 2: 4)"[7].

وهذا يؤكد العداء بين بولس الذي لم يشاهد المسيح عليه السلام، بل زعم أنه ظهر له، وبين الإبيونيين الذين شاهدوا المسيح -عليه السلام- وسمعوا منه.

ثم ذكر الدكتور القس حنا جرجس الخضري:

"أما بخصوص عقيدة هذه الجماعة ، فقد تمسكوا بالختان ، والناموس والتقاليد لخلاص الأمم ، واعتبروا يسوع كالمسيا[8] ولكنه في نفس الوقت **إنسان ومجرد إنسان عادي** ولد ولادة طبيعية من مريم ويوسف . ولقد حصل نعمة خاصة في أثناء العماد . ولا يرون في أعمال

---

1 الفكر الديني الإسرائيلي ص: 283 إلى 288.

2 Microsoft Encarta, Ebionites.

3 تاريخ الكنيسة- الفصل السابع والعشرون- هرطقة الأبيونيين ص: 130.

4 الفكر الديني الإسرائيلي ص: 288.

5 بولس وتحريف المسيحية ص: 30 و31.

6 Microsoft Encarta, Ebionites.

7 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 2 ص: 496.

8 المسيا عند اليهود: هو ملكهم المنتظر، الذين ينتظرون أن يعيد لهم ملكهم وسلطانهم.

المسيح إلا أعمالا تعليمية كاملة ومكملة لأعمال موسى . كما أنهم يؤمنون بمجيء المسيح الثاني بل ينتظرونه بفارغ الصبر لكي يمحو بهذا المجيء عثرة الصليب المخجلة . وهم لا يقبلون بولس كرسول حقيقي .

إن هذه الجماعة شددت كثيرًا على ناسوت المسيح وأنكرت لاهوته، وكانت لا ترى في يسوع إلا مجرد انسان . وعندما ندرس بالتدقيق عقيدتهم في يسوع ، نلاحظ تمسكهم باليهودية بل بالمسيانية المنتصرة على االعدو".

لأن هذا المسيا المنتظر "بمجيئه الثاني سيزيل لطخة العار التي تركها الصليب على وجوه هؤلاء الذين ينتظرون مجيء ملكوت الله بقوة ...

ومع أنهم كانوا يرون في المسيح مجرد إنسان إلا أنه كان إنسانا عظيما ، فهو مختار الله بل هو النبي الحقيقي . وبما أنهم أنكروا الميلاد العذراوي ، فقد حذفوا من كتابهم الأصحاحين الأولين من إنجيل متى"[9].

وما ذكره الدكتور القس الخضري عن كتابهم، فهو ما نقله عن خصومهم، وهو رواية ورأي الخصوم المنقول عنهم، كما أكده محررو الموسوعة البريطانية، الذين ذكروا أيضًا: أنه يقال إنهم كان لهم كتاب **يشبه** إنجيل متى، مع حذف الأصحاحين الأولين، ويسمى بـ(**إنجيل الإبيونيين**)، ولكن لا وجود له الآن[10].

وذكر بطرس البستاني أنهم:

"وكانوا يقبلون العهد القديم بتمامه ويرفضون العهد الجديد مستغنين عنه بانجيل مؤسس على الحوادث المدرجة في انجيل متى وكان المسيحيون الاولون يعرفون ذلك الانجيل باسم **انجيل العبرانيين**"[11].

وسوف أعرض -إن شاء الله- لهذين الإنجيلين وغيرهما من الأناجيل التي رفضتها الكنيسة البولسية عند بحث قانون الكتاب الذي يقدسه النصارى، ولكني هنا أكتفي باقتباس موجز من دائرة المعارف الكتابية عنهما:

"وقد أطلق الأبيونيون اسم " إنجيل العبرانيين " على نسخة مشوهة من إنجيل متى.

....

فإنجيل الأبيونيين أو إنجيل الاثني عشر رسولاً -كما كان يسمى أيضاً - يمثل مع إنجيل العبرانيين - المذكور سابقاً - الروح المسيحية اليهودية"[12].

أي يمثلان المسيحيين الأوائل المتمسكين بالتوحيد والشرائع الموسوية، ولذلك رفضتها الكنيسة البولسية المترومة.

وأضاف الدكتور القس حنا جرجس الخضري أيضًا عن الإبيونيين:

"وأنكروا أيضا أن المسيح سابق الوجود أو أنه ابن الله بالطبيعة . ويعلمون بأن المسيح لم يولد عن الله بل أنه خلق كأحد رؤساء الملائكة ، وهو يملك ليس على الملائكة فقط بل على كل الخلائق لأنه هو ذاك الذي له كل السلطان ، ويؤمنون أيضا بأن لحظة العماد كانت حاسمة بالنسبة ليسوع ، لأنه في هذه اللحظة رفعه الله فوق الخليقة .

إن هذه الآراء كانت **منتشرة ومعروفة في وسط اليهود المتنصرين**"[13].

وأنا لا أسلم بما نسبه لهم الدكتور القس حنا جرجس الخضري بشأن إنكارهم للميلاد المعجز لسيدنا عيسى عليه السلام، لأنه إنما ينقل عن خصومهم[14].

---

9 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 2 ص: 496 و497.

10 Encyclopædia Britannica, Ebionite.

11 دائرة المعارف للبستاني مج: 2 ص: 426 مادة: أبيونيون.

12 دائرة المعارف الكتابية- أبوكريفا: الأناجيل- إنجيل العبرانيين، أبوكريفا: أناجيل الهراطقة- (1) إنجيل الأبيونيين ج: 1 ص: 55.

13 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 2 ص: 496 و497.

14 راجع لتأكيد هذه النقطة ولمزيد من التفصيل عن الإبيونيين:

Encyclopædia Britannica, Ebionite.

فقد نُقل عن أوريجن أنه قسم الإبيونيين لمجموعتين: من اعتقد بالميلاد العذراوي للمسيح عليه السلام، ومن رفضه[15].

وقد عد آباء الكنيسة البولسية الأوائل الإبيونيين من أول الهراطقة، مع أن الإبيونيين عاصروا -باتفاق مؤرخو الكنيسة- المسيح عليه السلام، وسمعوا منه، وشاهدوا أفعاله، بينما أتباع بولس لم يشاهدوا المسيح عليه السلام، بل سمعوا عنه من بولس وغيره ممن لم يروا المسيح عليه السلام.

وقد ذكر بطرس البستاني أن لفظ (الإبيونيين): "كان يطلق في أوائل الكنيسة على كل المسيحيين الذين كانوا يتمسكون بآراء اليهود

....

والظاهر ان الابيونيين بقوا الى القرن الرابع متحدين في أعمالهم مع طائفة الناصريين وقد استعمل اباء الكنيسة في كتاباتهم اسم احدى الطائفتين للاخرى"[16].

ويؤكد هذا ما نقله الأستاذ فاضل سليمان عن جون تولاند في كتابه (The Nazarenes) ص: 73:

"اتفق مؤرخو الكنيسة بالإجماع على أن الناصريين والإبيونيين هم **المسيحيون الأول**، أو أنهم أول من آمن بالمسيح من بين اليهود الذين كانوا هم قومه الذين عاش ومات بينهم، وكانوا هم شهود أعماله **وخرج منهم كل الحواريون**، وبأخذ ما سبق في الاعتبار أقول كيف أمكن أن يصبحوا أول الهراطقة؟ وكيف أصبح الأميون الذين آمنوا به بعد موته من خلال مواعظ أناس لم يعرفوه أبدا هم أصحاب العقائد والمفاهيم الصحيحة؟"[17].

وهكذا زورت الكنيسة البولسية المثلثة المترومة التاريخ، وجعلت الغائب حكمًا على الشاهد، في مثال من أوضح أمثلة التاريخ على إفساد السياسة للدين.

***

---

15 Microsoft Encarta, Ebionites.

دائرة المعارف الكتابية- حرف الألف- مادة: الأبيونية ج: 1 ص: 70.

16 دائرة المعارف للبستاني مج: 2 ص: 426 مادة: أبيونيون.

17 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 37.

5- الأسينيون أو الأسيون

الأسينيون طائفة يهودية مهمة جدًا في التاريخ المعاصر لسيدنا عيسى عليه السلام، وجذروها تمتد لقبل بعثته بأكثر من قرن، واستمرت في أثناء بعثته، ثم اختفت.

وهذه الطائفة تتداخل مع طائفة أخرى هي طائفة القمرانيين، وقد اختلف الباحثون هل هما طائفة واحدة أم طائفتين؟

وحرصًا على الحياد سأذكرهما منفصلتين.

ولكن لعل القارئ يسأل لماذا تورد هذه الطائفة، وهي يهودية، ضمن الطوائف المسيحية التي خالفت الكنيسة البولسية؟

الجواب: أن هذه الطائفة شك بعض الباحثين في أنها كانت على صلة بسيدنا المسيح عليه السلام، كما سيأتي إن شاء الله. كما كانت تعارض وتعادي الحاخام الأكبر، وتتهمه بالفساد، وهذا وجه شبه بينها وبين المسيح -عليه السلام- وأتباعه.

ولكني قبل أن أقدم عرضًا موجزًا عن هذه الطائفة أود أن أوضح نقطة هامة تتعلق بموضوع هذا الكتاب، وهو أن النصوص التي يقدسها النصارى خلت من أي ذكر لهذه الطائفة، وهو ما أثار ملاحظة الباحثين والمؤرخين، بل وشاركهم في ذلك عدد من رجال الدين النصراني[1]، كيف أنهم رغم معاصرتهم لسيدنا عيسى عليه السلام- لم تذكر الأناجيل عنهم شيئًا؟

كتب شراح النسخة اليسوعية للكتاب المقدس لدى النصارى:

"لا ذكر للأسينيين في العهد الجديد ، وليس فيه ما يدل على تأثير مباشر لعقيدة الأسينيين في المسيحية . غير ان أناسًا مثل يوحنا **المعمدان ويسوع والتلاميذ الأولون** عاشوا ، وهم إلى بيئة " الشيع " اليهودية في القرن الأول أقرب منهم الى بيئة اليهودية الرسمية . وكانت هذه البيئات كلها ، على قدر ما يتيسر لنا الاطلاع على الأمر ، تميل إلى آراء الأسينيين على درجات متفاوتة . فليس من المستحيل ان تكون المسيحية في اول نشأتها قد أفسحت قليلًا في المجال لتلك الآراء وانه ساد الجماعة المسيحية في اورشليم تفكير وسلوك مطبوعان بما عند الأسينيين من تفكير وسلوك ، ولو مدة من الزمن"[2].

وفي نظري أن الأمر يتعدى مجرد إغفال الذكر إلى عدم أمانة عرض الأحداث التاريخية في الكتاب الذي يقدسه النصارى، فقد تحدثت أسفار ذلك الكتاب عن الفريسيين والصدوقين من طوائف اليهود، ولكنها لم تذكر حرفًا واحدًا عن الأسينيين، مع أنهم كانوا معاصرين لهم وللمسيح عليه السلام.

وهذا يدلك على عدم صدق كاتب الإنجيل المنسوب للوقا، حين ذكر في مقدمته:

"1: 1 إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ،

1: 2 كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة،

1: 3 رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس،

1: 4 لتعرف صحة الكلام الذي علمت به"[3].

فغياب ذكر الأسينيين والإبيونيين والناصريين الموحدين في الأناجيل -التي كتبت كسير لحياة عيسى عليه السلام[4]- دليل على افتقاد الدقة فيها، وأنها ليست تأريخًا أمينًا لبعثة عيسى عليه السلام.

---

1 راجع ما كتبه أستاذ اللاهوت ورجل الدين الملقب بـ(الموقر جدًا) هنري تشادويك:

Encyclopædia Britannica, Christianity, The history of Christianity, The relation of the early church to late Judaism.

2 النسخة اليسوعية - العهد الجديد- مدخل إلى العهد الجديد ص: 18 و19.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 1: 1 إلى 4 ص: 42.

4 جاء في سفر أعمال الرسل قول حنانيا للوالي ضد بولس:

"24: 5 فإننا إذ وجدنا هذا الرجل مفسدًا ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة، ومقدام شيعة الناصريين". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 24: 5 ص: 115].

وكلمة (الناصريين) هنا لا يقصد بها طائفة الناصريين، التي سأذكرها إن شاء الله، فإنها كانت من المخالفين لبولس.

لأن هذه الطوائف لو كانت على ضلال لوجب على سيدنا المسيح -عليه السلام- أن يبين لهم الهدى من الضلال، ولو كانوا على حق لثبتهم المسيح عليه السلام، وذكرهم ضمن أصحابه.

ولكن هذه الأسفار -التي يقدسها النصارى- كتبت لتخدم التوجهات البولسية، ثم زادت عليها الكنيسة بتطوير ما فيها لخدمة العقيدة التي أملتها السلطات الحاكمة الرومانية.

فقد مر بنا مثلًا؛ أن بولس لم يقل صراحة بالتثليث، ولكنه وضع بذوره، ولكن الكنيسة قررته بعده في مجمعي نيقية 325م والقسطنطينية 381م. وهما -كالكثير غيرهما من المجامع- تما تحت سلطة ورقابة الإمبراطورية الرومانية. بل إن النصارى يعتبرون أن من شروط كون المجمع (مسكونيًا) أن يدعو له الإمبراطور.

وقد نقلت من قبل أن شراح النسخة اليسوعية ذكروا أن نص إنجيل يوحنا " أتى نتيجة لنضج طويل".

أي (طُبخ) في الكنيسة ليوافق عقيدتها، وهو يتوافق مع ما أكده القس فهيم عزيز، بأن الكتاب المقدس قد كُتِب في الكنيسة لخدمتها، فقد كتب:

"هذا الأمر يختلف عما يقوله الإسلام من أن الإنجيل نزل على يسوع أو (عيسى) بلغة القرآن، فالمسئول الأول عن كتابة هذا الكتاب الذي نسميه العهد الجديد ليس يسوع بل المسيحيين، سواء من الجيل الأول أو من الجيل الثاني من التلاميذ. وهذا الكتاب ليس كتابًا أزليًا محفوظًا في اللوح المحفوظ، ولكنه كتاب نشأ في وسط الكنيسة وبواسطتها ومن أجلها"[5].

***

من هم الأسيون أو الأسينيون؟

هم فرقة من أهم فرق اليهود في زمن بعثة المسيح -عليه السلام- وأكثرها نشاطًا وأوفرها احترامًا. لدرجة أنه جرت عادة من يكتبون عن الفكر الديني اليهودي في عصر المسيح عليه السلام أن يذكروا الأسينيين كواحدة من الفرق اليهودية الأربعة الرئيسية: الصدوقيين والفريسيين والقنائين والأسينيين.

إلا أنه من المثير للدهشة أن الأسينيين خلافًا للفرق الثلاثة الأخرى لم تكتب عنهم إلا معلومات قليلة، مما جعل الغموض يحيط بهم.

فمن المؤرخين القدماء لم يكتب عنهم إلا المؤرخ اليهودي يوسيفوس قليلًا، وكذلك العالم الروماني بلينوس الأكبر الذي عاش في القرن الأول الميلادي، بالإضافة للفيلسوف اليهودي فيلون. وكان الأمر المثير أن هذه الفرقة -على رغم ما اشتهرت به من العلم والثقافة- لم تترك مؤلفات أو كتبًا.

وظل هذا هو اعتقاد العلماء إلى أواخر صيف سنة 1947م، عندما اكتشفت وثائق وادي قمران -البالغة الأهمية- في منطقة أريحا بفلسطين على الجانب الغربي لنهر الأردن.

ولكن اسم الأسينيين لم يرد ولو مرة واحدة في هذه النصوص على رغم غزارتها.

ومع ذلك فقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن هذه الوثائق هي تراث الأسينيين، بينما تحفظ البعض الآخر، واكتفوا بتسميتها بـ(كتابات البحر الميت أو مخطوطات قمران).

***

كذلك يحيط الغموض بأصل اسم هذه الطائفة، فهو لم يرد مكتوبًا بالعبرية قط، ولكنه ورد مكتوبًا باليونانية واللاتينية.

والشائع بين العلماء أن الكلمة معناها (الأطباء)، وأن أصلها آرامي وهو كلمة (آسيا) بمعنى الطبيب والمداوي، وهي قريبة من الكلمة العربية (الآسي). وعلى هذا الرأي يمكن تسمية هذه الطائفة بـ(الأساة).

---

5 المدخل إلى العهد الجديد ص: 76.

ويستند أصحاب هذا الرأي إلى وصف الفيلسوف اليهودي السكندري فيلون لهم باليونانية بكلمة (ثيرابوتي ثيو)، التي تعني (أطباء الله)، إلا أن كلمة ثيرابوتي لها معنى آخر، وهو الخدم أو الوصفاء.

ومما يؤيد هذا الرأي وصف المؤرخ اليهودي يوسيفوس لهم بأنهم يلتزمون لبس الثياب البيضاء النظيفة، ويظهرون في المجتمع بصورة مهيبة محترمة تدعو الناس إلى الثقة بهم والإقبال عليهم.

وهناك آراء آخرى من أهمها أن أصل اسمهم (عيساويون)، ففي رأي الباحث أحمد عثمان؛ أن جمع كلمة (آسي) ليس (إيسيين)، وإنما (آسيين)، فإن هؤلاء النساك -وإن كانوا يستخدمون العقاقير لعلاج بعض الأمراض المستعصية- إلا أنهم لم يكونوا أطباء، وليس هناك في الكتابات القديمة التي تحدثت عنهم ما يفيد بأنهم اشتهروا بممارسة الطب.

واسم الجماعة الذي ورد في كتابات يوسيفوس وبليني الكبير هو (إيسينوي) أو (إيسايو)، واسم الشخص الذي ينتمي إليها هو (إيساوي)، وقد احتار فيه الباحثون.

لأن اسم هذه الجماعة مصدره لغة محلية، ولكنه لم يعثر عليه إلا مكتوبًا باليونانية.

بالإضافة لوجود مؤشرات عديدة تشير إلى ارتباط هذه الجماعة بتلاميذ النبي إشعياء، الذين انفصلوا عن يهود المعبد، وراحوا يعدون الطريق في البرية لمجيئ المخلص في آخر الأيام[6].

واسم إشعياء بالعبرية (يشع يا) مثل (يشوع) و(يسوع)، وكل هذه الأسماء لها معنى واحد؛ وهو (خلاص الرب)، واسم يسوع باليونانية -والذي هو (عيسى) بالعربية- يكتب (إيسو).

ويبدو أن اسم إشعياء نفسه قد أطلق على عدة تلاميذ للنبي إشعياء، فقد توصل الباحثون إلى وجود ثلاثة أجزاء في سفر إشعياء كتبت -على مدى قرنين من الزمان- ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد.

وعلى أي حال فمن المؤكد أن جماعة قمران كانت على علاقة قوية بالنبي إشعياء، حيث تم العثور في مكتبتها على عدد كبير من كتاباته، وكانوا يفسرونها تفسيرهم الخاص الذي احتفظوا به سرًا.

وحرف العين في العربية -وسائر اللغات السامية- يتحول إلى ألف في اللغات الأوروبية، ومن بينها اليونانية، فكلمة (عرب) تتحول إلى (أرب)، وكلمة (عيسى) تتحول إلى (إيسا)، وبالتالي فكلة (إيساوي) -التي تعني عضو الجماعة في اليونانية- هي ترجمة كلمة (عيساوي) في اللغات السامية، ويكون اسم الجماعة (عيسويين).

وبحسب ما جاء في كتاب بليني عن التاريخ الطبيعي فإن هذه الجماعة كانت تسكن فيما بين مدينة أريحا في وادي الأردن شمالًا، ومدينة عين جدي على البحر الميت جنوبًا، وهو نفس المكان الذي يضم خربة قمران[7].

***

وهذه المكانة التي تمتعوا بها في المجتمع اليهودي -كما ذكر يوسيفوس- تثير التساؤل عن إغفال كتاب الأسفار التي يقدسها النصارى لهم!!!

وإذا كان سيدنا المسيح -عليه السلام- قد ورد عنه في الأناجيل؛ أنه انتقد بشدة الصدوقيين والفريسيين، فقد يفسر عدم ورود نقد منه للأسينيين بأنه نوع تعاطف معهم.

***

6 كما جاء في سفر إشعياء:

"40: 3 صوت صارخ في البرية: "أعدوا طريق الرب. قَوِّموا في القفر سبيلًا لإلهنا". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر إشعياء: 40: 3 ص: 470].

وسيأتي -إن شاء الله- أن كتاب الأناجيل الأربعة المجهولين قد استشهدوا بهذا النص كدليل على نبوة عيسى عليه السلام، وهو استشهاد خاطئ، مما يثبت عدم عصمة كاتبي الأناجيل المجهولين.

7 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان: 17 إلى 20.

كذلك يلف الغموض تاريخ هذه الفرقة، فقد ذكر يوسيفوس أنهم كانوا موجودين على عهد الأمير الحشموني يوناثان (161- 148ق م).

ولكن يبدو من مسلكهم أنهم ما كانوا يتيحون للعالم الخارجي أن يعرف عنهم الكثير[8].

***

ويمكن تلخيص معتقدهم وسمتهم العام في النقاط الآتية:

1 - من أهم عقائدهم الاعتقاد في خلود الروح، والثواب والعقاب، ولكنهم لا يؤمنون بالبعث الجسدي، ولا يشاركون في العبادة في الهيكل. ويعتبر الأسينيون أنفسهم الممثلين الحقيقيين الخلص لإسرائيل.

2- كانوا يؤمنون بأن الله هو المتصرف في كل شيء، وليس من الضروري أن تتفق تصرفاته مع اجتهادات عقولنا.

3- وكانوا يؤمنون بمجيء المسيح.

4- كما كانوا يؤمنون باليوم الآخر.

5- كانوا من أكثر الفرق اليهودية إيمانًا بالقضاء والقدر.

6- كانوا يؤمنون بالأعمال السحرية، وتأثير البروج والأفلاك على صحة الإنسان ومقدراته.

7- كانوا يؤمنون بالأرواح والملائكة، ويعطونها أسماء، ويحاولون بطقوس معينة أن يوجهوها إلى تحقيق ما يريدون.

8- الاعتزال عن الناس، والارتباط القائم بين أعضاء هذه الطائفة بعهد مقدس، ويمين يحلفونه عند الانضمام للطائفة، ثم لا يحلفون بعده يمينًا أبدًا.

وقد لاحظ الباحثون هنا التشابه بينهم وبين ما ورد في الأناجيل منسوبًا لسيدنا عيسى -عليه السلام- والحواريين، من كون الحواريين كانوا مع سيدنا عيسى -عليه السلام- مرتبطين في هيئة جماعة تعتزل الناس، ومما نسب له -عليه السلام- من النهي عن الحلف[9].

ورغم العزلة والزهد اللذين اتصفت بهما فرقة الأسينيين فإنها شاركت في الحرب ضد الرومان.

9- المعيشة الجماعية في دار عامة للطائفة بعيدة عن الناس، يتولى كل واحد منهم فيها مهمة من مهام الحياة اليومية: من زراعة أو صناعة أو طبخ أو تعليم أو تأليف. ويشتركون في ممتلكاتهم، وعملهم الأساسي الزراعة.

10- كان لهم تنظيم داخلي دقيق في فرقتهم، ففي كل دار من دورهم التي يعيشون فيها لهم رئيس يعظمونه ويطيعونه، ومن تحته كان كل فرد من أفراد الطائفة له مكان في الترتيب الهرمي لمجتمعهم، لا يجوز له أن يتعداه، حتى بالكلام، فعند المحادثات تعطى لكل فرد منهم الأولوية بحسب منزلته.

11- التقشف والقناعة، فلا يقبلون هدية أو زكاة أو راتبًا من أحد، وعلى كل منهم أن يعيش من عمل يديه، وربما كان علماؤهم يحترفون الطب، حتى تجتمع لهم فضيلة علاج الأجسام والأرواح.

12- وكانوا يؤمنون بضرورة التمسك بالتوراة وأحكامها، وإن جر ذلك عليهم القتل[10].

---

8 الفكر الديني الإسرائيلي ص: 269.

9 ورد في الإنجيل المنسوب لمتى:

5: 33 "أيضًا سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تحنث، بل أوف للرب أقسامك.

5: 34 وأما أنا فأقول لكم: "لا تحلفوا البتة، لا بالسماء لأنها كرسي الله،

5: 35 ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه، ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم.

5: 36 ولا تحلف برأسك، لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدةً بيضاء أو سوداء.

5: 37 بل ليكن كلامكم: نعم نعم، لا لا. وما زاد على ذلك فهو من الشرير". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 5: 33 إلى 37 ص: 4].

10 الفكر الديني الإسرائيلي ص: 269 إلى 271.

وهذا يشكك فيما نسبه لهم المؤرخون من أمور تخالف التوراة والشريعة الموسوية، ويشكك أيضًا في أنهم كانوا يعبدون الشمس في صلاتهم الصباحية.

13- لبس الثياب البيضاء مع الحرص على نظافتها ونظافة أجسامهم والظهور بمظهر طيب ووقور. وهم في ذلك يشبهون سيدنا المسيح -عليه السلام- والحواريين رضي الله عنهم[11].

14- الاهتمام بتهذيب شعر الرأس واللحية، والتطهر بالاغتسال والغطاس في الماء.

15- الاهتمام بشروق الشمس، فقد كانوا يستيقظون قبل الفجر، ويقفون جماعة في انتظار لحظة الشروق، حيث يؤدون صلاة معينة يسمونها "صلاة الأسلاف".

وقد رأى بعض الكتاب في هذه المسألة اقترابًا من الشرائع القديمة المصرية والمجوسية[12].

وكتب بطرس البستاني؛ أنهم كانوا إذا طلعت الشمس "سجدوا لها على ما ذكر يوسيفوس. ودعوها بتوسلات حتى ترسل نورها". مع الأخذ في الاعتبار أنه ذكر قبل هذا عن يوسيفوس: "والظاهر أنه لم يكن متضلعا في معرفتها"[13].

ولكن ذكر بروز ميللر أن صلاتهم في الفجر قبل الشروق لا توجد لها أية علاقة بعبادة الشمس، التي أشار إليها يوسيفوس[14].

16- تحريم الذبائح، مخالفين في ذلك أكثر فرق اليهود[15].

وذكر بطرس البستاني أنهم لم يكونوا في هذا الشأن على رأي واحد، فكتب:

"اما الذين كانوا في سورية فاعتقدوا انه يمكن ارضاء الله بالذبائح وان تقريبها واجب لكن بطريقة مخالفة للعادة الجارية بين اليهود فيتضح أنهم لم يرفضوا معنى الناموس الموسوي الحرفي .واما الذين كانوا في صحارى مصر فاعتقدوا انه لا يجوز تقديم ذبيحة لله الا ذبيحة العقل الهادي المستغرق بالتأملات الإلهية فيظهر من ذلك انهم جعلوا لكل الشريعة الموسوية معاني رمزية"[16].

ورأى بعض العلماء أنهم قد يكونون بهذا قد اقتربوا من المجوسية أو بعض الديانات الهندية القديمة.

ونقل الدكتور حسن ظاظا عن جنيبير؛ أنهم لم يكونوا يحرمون الذبائح فقط، بل يحرمون كل إسالة للدماء، وكانوا نباتيين في طعامهم[17].

وكانوا يقربون قرابينهم في الهيكل من النباتات، وهذا مما يضر بالصدوقيين، الذين يرغبون في أن تكون القرابين من اللحوم[18].

17- تحريم الزواج حسب رواية فيلون، ولكن ينقل بطرس البستاني عن يوسيفوس أنه كان جائزًا عندهم، فكتب: "ومع أن الزواج كان جائزًا عندهم كان المتزوجون منهم قليلين والذين كانوا يتزوجون انما كانوا يفعلون ذلك على زعمهم لاقامة النسل البشري لا للتمتع باللذات الطبيعية"[19].

---

11 قال الإمام القرطبي رحمه الله:

"وَأَصْلُ الْحَوَرِ فِي اللُّغَةِ الْبَيَاضُ، وَحَوَّرْتُ الثِّيَابَ بَيَّضْتُهَا، وَالْحَوَارِيُّ مِنَ الطَّعَامِ مَا حُوِّرَ، أَيْ بُيِّضَ، وَاحْوَرَّ ابْيَضَّ وَالْجَفْنَةُ الْمُحَوَّرَةُ: الْمُبَيَّضَةُ بِالسَّنَامِ، وَالْحَوَارِيُّ أَيْضًا النَّاصِرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِيِّي الزُّبَيْرُ". وَالْحَوَارِيَّاتُ: النِّسَاءُ لِبَيَاضِهِنَّ، وَقَالَ:

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا   وَلَا تَبْكِنَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَابِحُ". [تفسير القرطبي ج: 5 ص: 150].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله:

"أَقُولُ: وَلَعَلَّ لَفْظَ " الْحَوَارِيِّ " مَأْخُوذٌ مِنَ " الْحُوَّارَى " وَهُوَ لُبَابُ الدَّقِيقِ وَخَالِصُهُ ; لِأَنَّهُ مِنْ خِيَارِ الْقَوْمِ وَصَفْوَتِهِمْ، أَوْ مِنَ " الْحَوَرِ " وَهُوَ الْبَيَاضُ". [تفسير المنار ج: 4 ص: 314].

12 الفكر الديني الإسرائيلي ص: 270.

13 دائرة المعارف لبطرس البستاني- حرف الألف- مادة: أسينيون مج: 3 ص: 497 و498.

14 مخطوطات البحر الميت تأليف: بروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي ص: 282.

15 الفكر الديني الإسرائيلي ص: 270.

16 دائرة المعارف لبطرس البستاني- حرف الألف- مادة: أسينيون مج: 3 ص" 497 و498.

17 الفكر الديني الإسرائيلي ص: 271.

18 اليهود في عصر المسيح ص: 41.

19 دائرة المعارف لبطرس البستاني- حرف الألف- مادة: أسينيون مج: 3 ص: 498.

وينقل الدكتور حسن خليفة أحمد عن يوسيفوس؛ أنه كانت من بينهم جماعتان: إحداهما تحرم الزواج، والأخرى تجيزه[20].

وينقل الدكتور حسن ظاظا عن شارل جنيبير؛ أن تحريم الزواج عندهم -رغم تعارضه مع الشرع اليهودي- إلا أنه قد يرجع لتصور يهودي، وهو أن اللقاء الجسدي بين الرجل والمرأة ينجس جسديهما، ويبعدهما عن الطهارة[21].

18- وكانوا يحرمون الاستعباد والرق.

19- كانوا يحرصون على الفضيلة، ويبتعدون عن الشر، ولا يلجئون للعنف.

ولعل ذلك هو السبب في نظرة الاحترام التي كانوا يتمتعون بها بين الناس البسطاء، وبين المخالفين لهم من أتباع الفرق الأخرى، كما كان من عوامل فنائهم واندثارهم.

20- ويشترك الأسينيون مع الفريسيين في عدة أمور منها معاداة الصدوقيين كهنة أورشليم، ويتشدد الأسينيون في عدم العبادة في الهيكل إلا في تقديم القرابين، بينما يتعبد فيه الفريسيون، كما تتشابه الفرقتان في التركيز في الاعتزال من أجل الطهارة الطقوسية ومن أجل الحاجة إلى التفرغ للعبادة والتقوى الشخصية، وتشترك الفرقتان في الاعتقاد في خلود الروح، ويختلف الأسينيون في رفض البعث الجسدي، الذي يؤمن به الفريسيون.

ويقترب الأسينيون من الفريسيين في الخلفية الاجتماعية، بينما تركزت فرقة الصدوقيين في الطبقة الارستقراطية والعسكرية والطبقة العليا من الكهنة[22].

***

وقد اختفت هذه الطائفة في حملة الرومان لتدمير الهيكل في ثورة 70م[23].

***

20 تاريخ الديانة اليهودية ص: 225.

21 الفكر الديني الإسرائيلي ص: 271.

22 هذه السمات والخصائص ملخصة من: الفكر الديني الإسرائيلي ص: 264 إلى 272، اليهود في عصر المسيح ص: 39 إلى 45، تاريخ الديانة اليهودية ص: 225 إلى 227، دائرة المعارف لبطرس البستاني- حرف الألف- مادة: أسينيون مج: 3 ص 497 إلى 500.

23 النسخة اليسوعية- العهد الجديد- مدخل إلى العهد الجديد ص: 19.

6- القمرانيون

القمرانيون طائفة يهودية وجدت قبل مبعث سيدنا عيسى -عليه السلام- وعاصرته، وكانت تسكن وادي قمران جنوب أريحا، وبرزت أهميتها للعلماء والباحثين بعد العثور على مخطوطات وادي قمران عام 1947م.

وسأتناول البحث فيها تحت العناوين التالية:

أ- قصة العثور على وثائق قمران

ب- وثائق جماعة قمران

ج- نبذة عن جماعة القمرانيين

د- هل القمرانيون هم الأسيون؟

هـ- هل تم التلاعب بوثائق وادي قمران؟

و- أهم ما يستخلص من الوثائق

ز- خلاصة

***

أ- قصة العثور على وثائق قمران

(1) بدأ اكتشاف وثائق قمران عام 1947م، حينما وجد بدوي -من قبيلة التعامرة- مغارة بها جرار فخارية تحوي لفائف قديمة، فأخذ سبعًا منها، وعرضها على تاجر سلع سياحية وآثار في بيت لحم اسمه اسكندر خليل شاهين، ويعرف تدليلًا بـ(كاندو)، وهو الاسم الذي سيعرف به عالميًا بعد ذلك.

ولم يفهم التاجر من كتاباتها شيئًا، ولكنه لاحظ أنها تشبه لغته السريانية، فعرضها على المطران السرياني (مار أثاسيوس يشوعا صاموئيل) مطران دير القديس مرقس بالقدس، فلم يفلح هو أيضًا في قراءتها، فحملها لمطران سرياني آخر في المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية في القدس، الذي عرضها على الدكتور تريفو، الذي أبدى بها اهتمامًا كبيرًا.

وبعد محاولات كثيرة لفك رموزها تبين أن الكتابات هي من سفر إشعياء من العهد القديم، كتبت قبل كتابة أقدم سفر للعهد القديم المتداول بين أيدي اليهود والنصارى اليوم بألف سنة.

وفي النهاية -دون الدخول في تفاصيل- وصلت هذه المخطوطات السبع للجامعة العبرية عبر جهود الأستاذ العامل بها سوكينوك وابنه **إيجال يادين**، الذي كان عضوًا بمنظمة الهاجاناه منذ عام 1933م، فرئيسًا لقسم العمليات بها بعد عشر سنوات[1]، ثم صار -فيما بعد- جنرالاً في الجيش الإسرائيلي فرئيسًا لأركانه، ثم نائبًا لرئيس الوزراء[2]، وأيضًا عالمًا وأستاذًا للآثار بالجامعة العبرية.

(2) وعندما تم إعلان الهدنة بين الدول العربية وإسرائيل -في 7 يناير 1949- أصبحت منطقة قمران والثلث الشمالي من منطقة البحر الميت تحت سيطرة المملكة الأردنية الهاشمية.

وبدأ الأردنيون ينظمون عمليات أثرية للبحث عن المخطوطات، وتمكنوا من العثور على الكهف الذي وجدت به المخطوطات السبع.

فنظم الأردنيون عمليات تنقيب داخل الكهف، بإشراف البريطاني هاردنج، الذي كان مديرًا للآثار بالأردن، **والكاهن رولاند دي فو**[3]، الذي كان مديرًا للمدرسة الكتابية والأثرية الفرنسية بالقدس[4] الشرقية.

وعثر الأثريون على مئات القصاصات الصغيرة داخل الكهف، إلى جانب قطع من الفخار والقماش والخشب، ساعدت في تحديد تاريخ المخطوطات.

ثم تم بعد ذلك العثور على أطلال القرية القديمة التي عاش فيها القمرانيون، وبها بقايا رومانية من بينها عملات نقدية، يشير تاريخها إلى أن هذا الموقع كان مسكونًا إلى أن قامت حركة التمرد اليهودية ضد الرومان في المدة ما بين 66 و70م، والتي انتهت بحرق مدينة القدس، وطرد اليهود من المنطقة المحيطة بها.

وهذا يدل على أن أهل منطقة قمران عاصروا بعثة المسيح عليه السلام، طبقًا للتاريخ الذي تذكره أسفار النصارى!!!

وانتهى الأمر في عام 1956م باكتشاف أحد عشر كهفًا في منطقة قمران، تم ترقيمها من 1 إلى 11.

(3) أصبح الأب دي فو هو المسئول عن عمليات البحث الأردنية عن مخطوطات قمران، فأوكل قصاصات الكهف رقم 1 إلى دومينيك بارثيلمي وميليك، اللذين يعملان معه في المدرسة الكتابية والأثرية الفرنسية.

وقامت الحكومة الأردنية في عام 1953م بتشكيل لجنة دولية من ثمانية باحثين -ليس بينهم مسلم ولا عربي واحد، ولا حتى ممثل عن الكنائس الشرقية- لتولي عملية إعداد المخطوطات ونشرها برئاسة دي فو.

---

1 المساومة الكبرى ص: 244.

2 Encyclopædia Britannica, Yadin, Yigael.

3 له مقدمة هامة على سفر التكوين، أقر فيها بالتناقضات التي فيه، ولكنه حاول تبريرها؛ بأن كُتّاب التوراة حاولوا تضخيم بعض الأحداث، ولذا لا يجب التمسك بحرفية نصوصها، وستأتي الإشارة لذلك -إن شاء الله- عند بحث تحريفات الكتاب الذي يقدسه النصارى.

4 Ecole Biblique et Archéologique Française de Jérusalem.

(4) واستمر البحث في كهوف أخرى في مناطق غير قمران، عثر بداخلها على مخطوطات قديمة، في مناطق الميرد في الجنوب الغربي لقمران، ووادي مربعات في الجنوب الشرقي، وماسادا وهي القلعة اليهودية القديمة في المنطقة الخاضعة لإسرائيل في النصف الجنوبي للبحر الميت.

فعثر البدو على مخطوطات عبرية ويونانية في وادي مربعات، وكذلك على بعض الكتابات المسيحية في منطقة الميرد.

كما قامت بعثة من الأثريين الإسرائيليين -بقيادة إيجال يادين- فيما بين 1963 و1965م، بالبحث في بقايا قلعة ماسادا بالمنطقة التي تقع تحت سيطرتهم في الجنوب الشرقي من مدينة الخليل، وتم العثور على بعض المخطوطات هناك.

(5) نشبت الحرب بين العرب وإسرائيل عام 1967م، وكان من نتيجتها سقوط منطقة قمران وسائر الضفة الغربية في قبضة إسرائيل، وكذلك سقط متحف القدس الذي كان به الكثير من المخطوطات، ولم تنج إلا المخطوطة النحاسية، التي كانت في عمَّان.

(6) وفي ديسمبر عام 1967 أعلن إيجال يادين أنه عثر على (مخطوطة المعبد)، وبعد عشر سنوات ضمها عام 1977م إلى مخطوطات قمران، ونشرها للمرة الأولى، وزعم إيجال يادين أنه حصل عليها من منزل (كاندو)، حيث كانت مخبأة هناك لمدة ست سنوات!!! وتلك قصة أخرى من قصص مخطوطات قمران[5].

وسأتناول بعض تلك القصص -إن شاء الله- عند الإجابة على سؤال: هل تم التلاعب بوثائق قمران؟

***

---

5 تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس- المطلب الثاني: تاريخية الكتاب المقدس بناء على مخطوطات وادي قمران ص: 269 إلى 272، مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان- الأسرار الحقيقية وراء إخفاء مخطوطات كهوف قمران ص: 7 إلى 16 ومخطوطة المعبد ص: 84 إلى 90.

ب- وثائق جماعة قمران

(1) ملاحظات مبدئية:

بداية أود أن أنبه القارئ لعدة ملاحظات:

الأولى: أنه لا يُعلم -على وجه اليقين- إن كانت كل المخطوطات المكتشفة قد نشرت أم لا، كما سيأتي إن شاء الله.

الثانية: أن هناك شكوكًا بأن مخطوطات من غير كهوف قمران قد دست فيما بينها، كما سيأتي إن شاء الله.

الثالثة: أن استخراج هذه المخطوطات وإعدادها للنشر لم يحضره أي عالم عربي أو مسلم أو مسيحي من الكنائس الشرقية.

الرابعة: أن المخطوطات معظمها عبارة عن آلاف الجذاذات والقطع الصغيرة، ومعظمها حالتها سيئة ومهلهلة ومعطوبة، وتحتاج لتنظيف وفرد، وكثير منها كان يجب ترميمه أولًا، ثم تجميعه وبالتالي تحقيقه[1].

بل بعض هذه الجذاذات قد فسد أثناء التجميع، كما ذكر الأب موريس بابيه[2] (Maurice Baillet)، فقد نقلت عنه الدكتورة زينب عبد العزيز عن كتاب (اكتشافات في الصحراء اليهودية) -وهو الكتاب الجماعي الصادر بمناسبة مرور خمسين عامًا على تلك الاكتشافات- قوله:

"من قبل الحرب (1967) تصور بعض "المتخصصين" الإنجليز والأمريكان أنه يمكنهم عمل مونتاج نهائي لبعض المخطوطات، لكنهم في الواقع قد أفسدوها. وبالنسبة لبعض الأجزاء الأخرى الكبيرة، فقد كانت الأمور أكثر بساطة: فبعد رحلة رسمية طويلة عبر العالم، لم تعد أبدًا هذه المخطوطات إلى موقعها، ولا يعلم أحد أين هي حتى يومنا هذا"[3].



صورة تجميع جذاذات المخطوطات في المتحف الأثري الفلسطيني بالقدس[4]

---

1 التوراة-كتابات ما بين العهدين- مخطوطات قمران- البحر الميت- 1- الكتب الأسينية ص: 26.

2 التحق عام 1958م باللجنة المشرفة على إعداد ونشر وثائق قمران برئاسة الأب دي فو. [مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 96]..

3 المساومة االكبرى ص: 243.

4 مخطوطات البحر الميت لبروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي ص: 331.

الخامسة: أن عدد المخطوطات الكاملة هي إحدى عشرة مخطوطة فقط[5].

السادسة: أنه قد قدر عدد المخطوطات المستخرجة من الكهوف الأحد عشر بستمائة مخطوطة تقريبًا، وليس على وجه التأكيد، لأن ما وجد هو عبارة عن آلاف القطع الصغيرة، والتي قام الدارسون بجمعها، ولهذا يذهب بعض العلماء إلى القول بأن عددها خمسمائة مخطوطة[6]. وقد كتبت كلها بالعبرية والآرامية.

ويرى فيليب أر. دافيس أن عدد الجذاذات يصل إلى 15000 جذاذة، وأن عدد المخطوطات ما بين ثمانمئة إلى تسعمائة مخطوطة أصلية[7]!

وتقدر الدكتورة زينب عبد العزيز عدد الجذاذات بحوالي مئة ألف موزعة على قرابة 870 مخطوطة[8].

بينما وصف بروز ميللر الجذاذات بأنها "لا تحصى ولا تعد"[9].

وكتب جيزا فيرم: "وغير معروف عدد الجذاذات"[10].

السابعة: أن هذا الاختلاف يرجع لاختلاف رأي العلماء في طريقة جمع تلك القطع الصغيرة[11]، بل ولعقيدتهم وآرائهم أيضًا.

أضف لهذا: رأي الدارس في الكلمات والمقاطع الناقصة، وهل يملأ الفراغ من رأيه، أم من مخطوطات وجذاذت أخرى من كهوف قمران؟ أم من نصوص أسفار اليهود والنصارى الحالية؟ أم من الأسفار التي لا يعترفون بها؟

الثامنة: يعود زمن كتابة هذه المخطوطات إلى ما بين القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي.

***

---

5 التوراة-كتابات ما بين العهدين- مخطوطات قمران- البحر الميت- 1- الكتب الأسينية ص: 47.

6 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 4، التوراة-كتابات ما بين العهدين- مخطوطات قمران- البحر الميت- 1- الكتب الأسينية ص: 47.

7 Encyclopædia Britannica, Dead Sea Scrolls.

8 المساومة الكبرى ص: 242.

9 مخطوطات البحر الميت لبروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي فقرة: 291 ص: 306.

10 النصوص الكاملة لمخطوطات البحرالميت ص: 40.

11 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 4.

(2) نبذة موجزة عن مخطوطات قمران:

يمكن تقسيم المخطوطات المكتشفة في كهوف قمران إلى ثلاث مجموعات:

(أ) النصوص التوراتية

(ب) الكتب المنحولة

(ج) الكتب الخاصة بالملة القمرانية (أو الأسينية)

***

(أ) النصوص التوراتية

تمثل المخطوطات التوراتية ربع المخطوطات المكتشفة تقريبًا، ومن ضمنها أجزاء من كل كتب القانون العبري ما عدا سفر إستير[1]، وهي كالتالي:

[1] أسفار التوراة الخمسة:

معظم أجزاء الأسفار الخمسة في المخطوطات تتوافق مع النص العبري الماسوري، إلا أن بعضها يتوافق مع النص السبعيني، بينما تتوافق أجزاء أخرى مع التوراة السامرية.

[2] الأنبياء الأوائل:

أهم المخطوطات المكتشفة المخطوط (QSm^{a}4) لسفر الملوك، ويقترب نصه من النص السبعيني، أما المخطوط (QSm^{b}4) فيمثل نصًا أعلى من النص السبعيني والماسوري، وهو أقدم نص توراتي معروف تمامًا، إذ يرجع زمن تدوينه إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

[3] الأنبياء المتأخرون:

وتعد أسفارهم الأكثر تمثيلًا من بين المخطوطات المكتشفة، خصوصًا سفر إشعياء[2]، الذي وجد محفوظًا بشكل جيد جدًا، وقد وجدت له 15 مخطوطة[3]، منها المخطوطة (QIs^{b}1)، وتحوي نصًا غير كامل، يتوافق مع النص الماسوري، وأخرى كاملة، وهي (QIs^{a}1)، ونصها من نوع شعبي قريب من النص الماسوري، أما نص سفر حزقيال ونصوص أسفار الأنبياء الصغار فتتوافق مع النص الماسوري عدا سفر إرميا الذي يتوافق مع النص السبعيني، وهو (QIr^{b}4)[4].

وقد ساعدت مخطوطات قمران في تعديل سفر إشعياء الحالي، مع العلم أن النصوص الأصلية لكل من العهدين القديم والجديد مفقودة، ولا يرجى العثور عليها كما سيأتي إن شاء الله.

وكذلك نصوص قمران لا تمثل النص الأصلي، وإن كانت أقدم من النصوص المتداولة حاليًا بين أيدي اليهود والنصارى.

وعن أثر مخطوطات قمران على تعديل سفر أشعياء الحالي كتب شراح النسخة اليسوعية تحت عنوان (سفر أشعيا في التقليد الكتابي):

"أخيرًا ، دخل سفر أشعيا ، بجميع الأقسام التي تؤلفه[5] ، في قانون أسفار الأنبياء ، على أنه مؤلَّف واحد . ومن ذلك الحين ، كان له تاريخ جديد . من العثور في قمران على عدة أجزاء وعلى ملف كامل (نسميه مخطوطة قمران الرئيسية) لسفر أشعيا ، يمكننا أن نستخلص أن أشعيا كان عبارة عن برنامج في نظر أعضاء جماعة قمران الذين كانوا يعدون أنفسهم إسرائيل الحقيقي والبقية الأمينة . بالعثور على مخطوطة قمران الرئيسية ، استعدنا أقدم مخطوط كتابي ، يسبق النص المسوري بألف سنة . إنه يختلف عن النص المسوري بعدد كبير من القراءات . وان الاهتمام الذي أثاره سفر أشعيا في البيئات اليهودية يظهر أيضًا في الترجمة اليونانية السبعينية ، فإننا نجد فيها أحيانًا نصًا يختلف عن النص العبري"[6].

وهذا التعديل على سفر إشعياء بسبب اكتشاف وثائق قمران نقله الأستاذ سامي عامري عن الموسوعة الأمريكية طبعة 1959 م المجلّد الثالث ص 615 وما بعدها، فنقل عنها:

"لم تصلنا أيّ نسخة بخطّ المؤلف الأصلي لكتب العهد القديم، أمّا النصوص التي بين أيدينا فقد نقلتها إلينا أجيال عديدة من الكتبة والنساخ.

ولدينا شواهد وفيرة تبين أنّ الكتبة قد غيّروا بقصد أو بدون قصد في الوثائق والأسفار التي كان عملهم الرئيسي هو كتابتها أو نقلها.

---

1 سوف يأتي -إن شاء الله- ذكر قصة نشوء هذا السفر وما أضيف إليه عند الحديث عن تحريف العهد القديم.

2 تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس ص: 276.

3 التوراة-كتابات ما بين العهدين- مخطوطات قمران- البحر الميت- 1- الكتب الأسينية ص: 47.

4 تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس ص: 276 و277.

5 سفر أشعياء خليط من ثلاثة أجزاء، كتبها ثلاثة كُتّاب، أو بالأحرى ثلاث مجموعات من الكُتّاب، كما سيأتي -إن شاء الله- في بيان جهالة كُتّاب الكتاب الذي يقدسه النصارى.

6 النسخة اليسوعية- العهد القديم- سفر أشعيا- مدخل - سفر أشعيا في التقليد الكتابي ص: 1527.

وقد حدث التغيير بدون قصد حين أخطؤوا في قراءة أو سماع بعض الكلمات، أو في هجائها، أو أخطؤوا في التفريق بين ما يجب فصله من الكلمات وما يجب أن يكون تركيبا واحدا.

كذلك فإنّهم كانوا ينسخون الكلمة أو السطر مرتين، وأحيانا ينسون كتابة كلمات بل فقرات بأكملها.

وأما تغييرهم في النص الأصلي عن قصد فقد مارسوه مع فقرات بأكملها حين كانوا يتصوّرون أنها مكتوبة خطأ في صورتها التي بين أيديهم. كما كانوا يحذفون بعض الكلمات أو الفقرات، أو يزيدون على النصّ الأصلي فيضيفون فقرات توضيحية.

وهكذا لا يوجد سبب يدعو للافتراض بأنّ وثائق العهد القديم لم تتعرّض للأنواع العادية من الفساد النسخي، على الأقل في الفترة التي سبقت اعتبارها أسفارا مقدّسة.

لقد كتبت أسفار العهد القديم على طول الفترة من القرن 11 ق م إلى 1 ق م.

وأخذ (العهد القديم) صورته النهائية في القرن الأول ميلادي.

وعلى مدى القرون الطويلة التي كتبت فيها أسفار العهد القديم نجد أنّ نصوصه قد نسخت مرارا وأعيدت كتابتها باليد. ولقد حدثت أخطاء في عملية النسخ، وكان يحدث أحيانا أنّ بعض المواد التي كتبت على هامش النصّ تضاف إليه.

ولقد أكّد اكتشاف وثائق البحر الميت ضرورة إدخال بعض التغييرات على النسخة العبرية الحديثة، في سفر إشعياء"[7].

فمثلًا كشفت نصوص قمران التحريف الذي أدخله اليهود مترجمو التوراة السبعينية على سفر إشعياء، فمن ذلك مثلًا إضافتهم كلمة (يعقوب) بعد كلمة (عبدي) في نص أشعيا: 42: 1:

"هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي"[8].

وعن هذا كتب شراح النسخة اليسوعية:

"إن اليهود المتهلّنين الذين نقلوا النص العبري إلى اليونانية (الترجمة السبعينية) لم يترددوا في إطلاق اسم على العبد المجهول الاسم الوارد ذكره في 1/42 ، فكتبوا : "هوذا عبدي يعقوب الذي أؤيده، إسرائيل مختاري ... " . وهكذا فإن إسرائيل هو الذي يعرض على الأمم ذلك الحق الذي يطالب الله به وتلك "الشريعة" التي عهد إليه بها لكي يبلّغها إلى العالم"[9].

وليس اليهود فقط هم الذين أضافوا تحريفًا للنص العبري، بل النصارى أيضًا، فلم يتورع كُتَّاب الإنجيل المنسوب لمتى من أن يضيفوا عبارة -من عندهم- لنص تلك البشارة التي وردت في العهد القديم، رغم أن كلا العهدين يضمهما كتاب واحد يقدسه النصارى، فجاء في الإنجيل المنسوب لمتى:

"12: 14 فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه،

12: 15 فعَلِم يسوع وانصرف من هناك. وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعًا.

12: 16 وأوصاهم أن لا يظهروه،

12: 17 لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل:

12: 18 "هوذا فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي سرت به نفسي. أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق.

12: 19 لا يخاصم ولا يصيح، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته.

12: 20 قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ حتى يخرج الحق إلى النصرة.

12: 21 وعلى اسمه يكون رجاء الأمم"[10].

فأضاف كُتَّاب الإنجيل المنسوب لمتى عبارة: "وعلى اسمه يكون رجاء الأمم" على النص في سفر إشعياء.

---

7 محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة ص: 136 و137.

8 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- أشعياء: 42: 1 ص: 472.

9 النسخة اليسوعية- العهد القديم- سفر أشعيا- مدخل ص: 1521.

10 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 12: 14 إلى 21 ص: 9 و10.

ولكن شراح النسخة اليسوعية ذكروا فقط ما أضافه اليهود في الترجمة السبعينية، ولم يذكروا ما أضافه كُتَّابُ متى في الإنجيل المنسوب له، وهذا يخالف الأمانة العلمية.

وإضافة نصوص للاقتباسات، بل واختراع الاقتباسات اختراعًا أمر متكرر كثيرًا في العهد الجديد عامة وفي الإنجيل المنسوب لمتى خاصة، كما سيأتي -إن شاء الله- عند بحث التحريفات.

وهذا غيض من فيض التحريفات -بأشكالها وألوانها- التي تستشري في الكتاب الذي يقدسه النصارى.

وهذا النص يزعم اليهود أنه بشارة لسيدنا يعقوب عليه السلام، ويزعم النصارى أنه بشارة بسيدنا عيسى عليه السلام، وفي الحقيقة: إنه بشارة بسيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم[11].

---

11 فنص بشارة سفر إشعياء هي:

42: 1 "هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم.

42: 2 لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته.

42: 3 قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ. إلى الأمان يخرج الحق.

42: 4 لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته".

42: 5 هكذا يقول الله الرب، خالق السماوات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها، معطي الشعب عليها نسمة، والساكنين فيها روحًا:

42: 6 "أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم،

42: 7 لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة.

42: 8 "أنا الرب هذا اسمي، ومجدي لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات.

42: 9 هوذا الأوليات قد أتت، والحديثات أنا مخبر بها. قبل ان تنبت أعلمكم بها".

42: 10 غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحه من أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها،

42: 11 لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا.

42: 12 ليعطوا الرب مجدًا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- أشعياء: 42: 1 إلى 12 ص: 472].

وهي بشارة تنطبق على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لا على سيدنا عيسى عليه السلام، فقد جاء في نص بشارة إشعياء:

1- وصف النبي القادم بأنه: عبد، والنصارى يقولون إن يسوع هو الإله المتجسد، وأن كلمة (عبد) هنا تتعلق بالناسوت، ولكنهم يتناسون أن الذي يرضى عليه الله هو يسوع، وهو -في زعمهم- الإله، فالله يرضى عن يسوع وليس عن الناسوت الفاني، ثم كيف يكون الله عبدًا لله؟ وهذه من أغاليطهم المعضلة.

2- وصف النص النبي الآتي بأنه -على لسان الرب- (مختاري)، ومعنى الاختيار هو التعيين بين عدة خيارات، بينما النصارى يزعمون أن عيسى هو الله، وليس مَن اختاره الله من ضمن العديدين.

3- وصفه النص بأنه : " لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته".

أي أن له شريعة يجاهد حتى تتحقق واقعًا على الأرض، وعيسى عليه السلام، لم تكن له شريعة، بل جاء متمًا لشريعة موسى عليه السلام، ورُفِعَ من الدنيا دون أن تتحقق له شريعة، بل كان أصحابه -رضوان الله عليهم- مضطهدين.

4- وصفه النص بأن الله -سبحانه- قال له: " فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم".

وعيسى -عليه السلام- في معتقد النصارى: قد قُتِل على الصليب، ولم يحفظه الله من أعدائه، الذين -على حسب زعم النصارى- قد أهانوه وعذبوه ثم قتلوه، بل إن كُتَّاب إنجيلي متى ومرقس زعموا أن عيسى -عليه السلام- صرخ على الصليب:

"27: 46 ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلًا: "إيلي، إيلي، لما شبقتني؟" أي: إلهي إلهي لماذا تركتني؟". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 27: 46 ص: 25].

نعم، نحن المسلمين نؤمن بأن سيدنا عيسى قد رفعه الله إليه، ولم يصلب ولم يُقتل، ولكن النصارى لا يؤمنون بذلك، بل يؤمنون أنه عُذب عذابًا مهينًا، وأهين إهانة بالغة، وتألم الألم الشديد من أجل الخلاص من الظلم المقدس الذي يسمونه (الخطيئة الأصلية).

بينما حفظ الله -سبحانه وتعالى- نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- حتى بلغ رسالته، كما جاء في قوله سبحانه:

﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. [سورة المائدة، آية: 67]،

وقال سبحانه:

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾. [سورة الزمر، آية: 36].

وقال سبحانه:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. [سورة الأنفال، آية: 30].

وقال سبحانه:

كذلك وجدت مخطوطة فيها تعليق على سفر حبقوق، ولكنها تنقص عن سفر حبقوق الحالي في أيدي النصارى واليهود بغياب الفصل الثالث من السفر.

وعن ذلك كتب شراح النسخة اليسوعية للكتاب المقدس لدى النصارى:

"في النص العبري للفصول الثلاثة التي يتألف منها سفر حبقوق مشاكل كثيرة لم تُحل الى اليوم . ان التراجم القديمة تعرض علينا قراءات كثيرًا ما هي متنوعة ، ولكنها مفيدة دائمًا ، بين مخطوطات جماعة قمران التي عُثر عليها في برية يهوذا (" مخطوطات البحر الميت ") ، شرح لسفر حبقوق يعيد - ويُثبت -كامل نص الفصلين الأولين تقريبًا . وهو أقدم شاهد للنص العبري"[12].

ولكن لم يذكر شراح النسخة اليسوعية؛ أن غياب الفصل الثالث لا يشهد للنص العبري، ويدل على أن ذلك الفصل قد أضيف فيما بعد للنص القمراني.

وغن ذلك كتب بروز ميللر:

"ولكن ومما يلفت النظر في عبارات التعليق على سفر حبقوق هو حذف الإصحاح الثالث وكون العمود الأخير لا يحوي سوى أربعة أسطر من الكتابة قد تمت في نهاية التعليق . وقد اعتقد كثير من العلماء منذ امد طويل أن الفصل الثالث لم يكن جزءاً من النص الأصلي لحبقوق وان عدم وجوده في المخطوط يتفق مع هذه النظرية"[13].

وفي تعليق على هامش سفر (حبقوق)، أن أحد قواد الجماعة قد ألقي القبض عليه، وعذب وأهين، ثم صلب[14].

[4] المكتوبات:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. [سورة التوبة، آية: 33].

وقال سبحانه:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾. [سورة الفتح، آية: 1 إلى 3].

وقال سبحانه في نفس السورة:

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (27) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾. [سورة الفتح، آية: 27 و28].

إلى غير ذلك من الآيات، التي وعد الله -سبحانه وتعالى- فيها نبيه -صلى الله عليه وسلم- بالحفظ والتأييد والنصر على الأعداء، وظهور دينه على سائر الأديان، وهو ما تحقق لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يتحقق لسيدنا عيسى عليه السلام، فقد رفعه الله إليه، وما زال أتباعه مضطهدين مطاردين رضوان الله عليهم.

بينما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم- وقد دانت له ولأتباعه -رضي الله عنهم- جزيرة العرب، كما جاء في سورة العصر:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾. [سورة العصر، آية: 1 إلى 3]. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

5- وجاء في نص بشارة إشعياء: "لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا".

أي أن دعوة هذا النبي تأتي من الديار التي سكنها قيدار، وقيدار من أبناء سيدنا إسماعيل عليه السلام، كما جاء في سفر التكوين:

"25: 13 وهذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم: نبايوت بكر إسماعيل، وقيدار وأدبئيل ومبسام

25: 14 ومشماع ودومة ومسا

25: 15 وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التكوين: 25: 13 إلى 15 ص: 17].

وسيدنا إسماعيل -عليه السلام- سكن جزيرة العرب، وسيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من نسله عليه السلام.

وسالع: جبل في جزيرة العرب، وأتباع محمد من شعائرهم الصعود على جبل عرفات وجبلي الصفا والمروة، والتلبية والدعاء والتهليل عليهم. والله أعلم.

فالمقصد أن هذه البشارة لا تنطبق على سيدنا عيسى عليه السلام، بل تنطبق على سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا تعليق على سبيل الإيجاز، وإلا فإن البشارات بسيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كتب اليهود والنصارى كثيرة، وسردها يخرج بنا عن مقصود الكتاب.

بل في وثائق قمران بشارات بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما سيأتي إن شاء الله.

12 النسخة اليسوعية- العهد القديم- سفر حبقوق- مدخل ص: 1980.

13 مخطوطات البحر الميت لبروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي فقرة: 292 ص: 308.

14 المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ص: 267.

وتتوافق المخطوطات التي ضمت المكتوبات مع النص الماسوري، ولسفر أيوب مخطوطان أحدهما مكتوب بالخط المربع، كما جرى اكتشاف ترجمة آرامية له في المغارة الحادية عشرة.

كما جرى العثور على نحو اثني عشر مخطوطًا لأجزاء من المزامير، ومخطوط كامل للمزامير في المغارة الحادية عشرة[15]. إلا أن هذا المخطوط فيه مزمور زائد عن المزامير المئة والخمسين المتداولة حاليًا بين اليهود والنصارى[16].

وتضم هذه المخطوطات -بالإضافة للمزامير القانونية الحالية- مزامير أخرى (منحولة)[17]، وربما ضاع أكثرها بسبب ما ورد في العمود السابع والعشرين من مدرج المغارة الحادية عشرة؛ أنه كانت تنسب لداود ثلاثة آلاف وستمائة مزمور!

وقد جاء في مدرج المغارة الحادية عشرة خمس مقطوعات (منحولة) مباشرة عقب ستة وثلاثين مزمورًا توراتيًا، بالإضافة لتتالي المزمور الحادي عشر بعد المائة مع قصائد تعتبر ضد الأرواح الشريرة، الأمر الذي يثبت عدم تصلب القمرانيين بشأن الكتب التي عدت لاحقًا قانونية[18].

وكتب ناحوم سارنا[19] أن نصوص المزامير القمرانية تخالف النص العبري المستلم في الترتيب والمحتوى. وإذا كان القمرانيون يعدونها قانونية، وليست طقسية فقط، فهذا يدل على أنهم كان لهم قانون مخالف للقانون الحالي[20].

أما سفر دانيال فقد عثر له على سبع مخطوطات يوافق نصها النص الماسوري[21].

[5] الكتب القانونية الثانية:

ومن الكتب التي عثر عليها في مغارات قمران الكتب التي يرفضها اليهود، ويعدونها كتبًا منحولة (أبوكريفية- Apocryphes)، بينما يقبلها المسيحيون الكاثوليك والأرثوذكس، ويسمونها الكتب القانونية الثانية، مثل سفر الجامعة وطوبيا ورسالة أرميا وسفر يشوع بن سيراخ، وتشكل هذه الكتب نحو ربع المكتبة القمرانية.

وتتوافق هذه النصوص مع المخطوطة السينائية.

كما وجد جزء لسفر سيراخ، وهو سيراخ: 6: 20 إلى 31، ويتوافق هذا النص مع نص الجينيزا، الذي وجد بالقاهرة[22].

***

15 تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس ص: 277.

16 مخطوطات البحر الميت لبروز ميللر، ، ترجمة وتعليق: محمود العابدي فقرة: 294 ص: 312.

17 الأسفار المنحولة هي التي لا تعترف بها الكنائس أو اليهود على خلاف وتفصيل في ذلك، سأتطرق له -إن شاء الله- عند بحث قانون الكتاب المقدس.

18 التوراة-كتابات ما بين العهدين- مخطوطات قمران- البحر الميت- 1- الكتب الأسينية ص: 58 و59.

19 الأستاذ الأسبق للدراسات التوراتية في جامعة برانديز الأمريكية.

20 Encyclopædia Britannica, biblical literature, Old Testament canon, texts, and versions, The canon, The divisions of the TaNaKh, The canon at Qumrān.

21 تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس ص: 277.

22 التوراة- كتابات ما بين العهدين- مخطوطات قمران- البحر الميت- 1- الكتب الأسينية ص: 47، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس ص: 277.

(ب) الكتب المنحولة (الأبوكريفا)

وتتميز مكتبة قمران بغزارة الكتب التي يسميها الكاثوليك المنحولة، وهي كتب من نمط رؤيوي في معظمها، وتتعلق بالأحوال الأخروية، والتي لم يعترف بها اليهود.

وإنما احتفظت بها الكنيسة القديمة، وأولتها احترامًا كبيرًا، قبل أن تخرجها الكنيسة من قانون الكتب، خاصة في مجمع ترنت.

وقد عثر على نسخ من كتاب الخمسينيات بالعبرية، وعشر نسخ من كتاب أخنوخ الحبشي بالآرامية، وعدة نصوص آرامية لسفر لاوي، وأخرى بالعبرة لسفر نفتالي:

[1] كتاب أخنوخ

وله عشر مخطوطات بالآرامية، وليس فيها الجزء الثاني الخاص بابن الإنسان، وهو أمر لا يمكن عزوه للصدفة.

[2] وصايا الشيوخ الاثنا عشر

وهي وصايا ضمتها مخطوطات المغارتين الأولى والرابعة، ومنها وصية لاوي بالآرامية، ووصية نفتالي بالعبرية.

[3] سفر التكوين المنحول

وهو شرح أسطوري لسفر التكوين[1]. وفيه نص عن وصف تفصيلي لجسم السيدة سارة عليها السلام، وقد حذف من التوراة الحالية[2].

***

1 تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس ص: 277 و278.

2 مخطوطات البحر الميت لبروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي فقرة: 294 ص: 311.

(ج) الكتب الخاصة بالملة القمرانية (أو الأسينية)

وتتمثل في: دستور الجماعة، ومدرج الهيكل، وكتاب دمشق، وتنظيم الحرب والأناشيد ومزامير داود المنحولة[1]، والشروح التوراتية، والتكوين المنحول، وبعض الأجزاء المتفرقة[2].

ومن هذه الأجزاء المخطوطة النحاسية (3Q15)[3]، وهي مخطوطة كتبت على صحيفة من النحاس، وتتحدث عن أربعة وستين مكانًا متفرقة في فلسطين، أودعت فيها كميات كبيرة من الذهب والفضة، تقدر بستة وعشرين طنًا من الذهب وخمسة وستين طنًا من الفضة، يدعي اليهود أن هذه الكميات من الذهب والفضة تخص هيكلهم المزعوم[4].

***

1 وقد أشرت لها من قبل.

2 تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس ص: 278.

3 سأعود للإشارة لها -إن شاء الله- عند الحديث عن: هل تم التلاعب بوثائق قمران؟

4 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 9.

(3) نبذة موجزة عن الاختلافات بين وثائق قمران والنصوص الحالية للتوراة والكتاب المقدس لدى النصارى

وجدت في نصوص وثائق قمران نصوص موافقة للنص الماسوري وأخرى موافقة أو قريبة الشبه بالنص العبري وأخرى موافقة للنص السامري، ووجدت مجموعة رابعة مختلفة عن الثلاثة المذكورة[1]، بل وجدت نصوص قمرانية لأسفار توراتية مختلفة مع بعضها.

كتب رهبان دير الأنبا مقار في مجلة (مرقس) أن مخطوطات قمران:

"تُمثِّل مجموعة مُتعدِّدة الأنواع من حيث النَّص. فبعضها مُطابق للنَّص الماسوري، بينما البعض الآخر شديد الشَّبه بالنَّص العبري التي أُخِذَت عنه الترجمة السبعينية، كما توجد نُصُوص أخرى أكثر قُرباً للنَّص السامري، وغيرها خليط من أنواع مُختلفة. إلا أنَّه لوحظ وُجُود اتِّجاه سائد نحو تحديد نوع مُعيَّن من النُّصُوص، فالمخطوطات التي وُجِدَت في وادي المُربَّعات والتي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني بعد الميلاد وُجِدَت كُلُّها مُطابقة للنَّص الماسوري. وهذا يُشير إلى أنَّ التَّطوُّر وصل مداه في ذلك الزَّمان"[2].

ولم يصرح رهبان دير الأنبا مقار بالصنف الرابع، ولكن أشاروا له مجملًا بقولهم: "وغيرها خليط من أنواع مُختلفة".

إذن بناء على رأي رهبان دير الأنبا مقار أن نص العهد القديم تطور مع الزمن، وما زال يتطور حتى القرن الثاني بعد الميلاد حسب رأيهم[3].

وكلمة (التطور) هي تعبير مهذب أو مراوغ للكلمة الحقيقة، وهي (التحريف).

فإذا علمنا أن سيدنا موسى -عليه السلام- يقدر المؤرخون زمن بعثته بالقرن الثاني عشر قبل الميلاد، فللقارئ أن يتخيل حجم التطورات في النصوص الأصلية، مع التذكير بأن الكتاب الذي يقدسه النصارى وتوراة اليهود يقدح فيها -بالإضافة لما ذُكر من التطور الزمني- قوادح خطيرة:

الأول: فقدان النصوص الأصلية.

والثاني: غياب أي سند.

والثالث: ثبوت التحريف، الذي أقر به رجال الدين النصراني قبل غيرهم، كما سيأتي إن شاء الله.

***

---

1 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 36.

2 رهبان دير الأنبا مقار: فكرة عامة عن الكتاب المقدس، عدة مقالات من مجلة مرقس، دار مجلة مرقس، القاهرة ص: 95.

3 في الحقيقة أنه استمر في التطور بعد ذلك التاريخ، فالنص العبري للتوراة لم يستقر إلا في النص الماسوري الذي اعترف به في القرن العاشر بعد الميلاد، وما زال أحبار اليهود ينتقدون هذا النص الماسوري حتى اليوم، كما سيأتي إن شاء الله.

(4) علاقة مخطوطات البحر الميت بمنطقة قمران

ليس لدى الباحثين دليل قطعي أن كل ما اكتشفوه من نصوص في وادي قمران يرجع للجماعة القمرانية، فقد يكون بعضه قد جلب من خارج المنطقة، ودفن فيها.

وعن ذلك كتب بروز ميللر:

"ولما كان اهتمامنا يدور حول كل النصوص القديمة التي وجدت فلا نقدر أن نقول انها جميعها جاء عن جماعة قمران ، مع العلم بأن الملفات الاثرية والجذاذات المخطوطة التي عثر عليها في كهوف قمران أصبحت ذات شأن وأهمية . فلا ضرورة لأن نحسبها من كتابات تلك الشيعة حتى ولو ضمت عدة فروع وأوضحت شيئاً من التاريخ اليهودي . ويمكننا أن نعتبر العمودين الموجودين في المتحف الفلسطيني جاءا عن جماعة " الحسيد " القدماء بينما جاء كتاب النظام عن طائفة الاسينيين التي جاءت بعدهم . والحسيد هم المخلصون الأوفياء للناموس"[1].

ونقل الدكتور عبد الرزاق الحباشنة عن الدكتور باولين دونسيل فوت[2] قوله:

"إننا لا نستطيع أن نؤكد أن الذين كتبوا اللفائف أو نسخوها أو قرأوها كانوا على علاقة قريبة مع الناس الذين عاشوا في هذه المنطقة.ولكن نستطيع أن نؤكد فقط العلاقة بين الناس الذين خبأوا هذه اللفائف والناس الذين عاشوا في هذه المنطقة لأنها كانت مخبأة في الحدائق الخلفية. وهذه العلاقة الوحيدة والتي يمكن أن نؤكدها بين اللفائف والمنطقة".

ونقل أيضًا تعليق الأستاذ ميتشيل وايز[3] على قول الدكتور باولين الآنف، حيث ذكر:

"إن الدكتور باولين قد وصل إلى نتيجة وهي أن اللفائف لم تؤلف في منطقة قمران، وأنا سعيد جداً وموافق على هذه النتيجة ، وقد وصلت أنا بنفسي عن طريق عدة أدلة أهمها ، أن مئات ومئات الأيدي الناسخة لهذه اللفائف لا تتناسب مع الفكرة القائلة أن هذه اللفائف ألفت في مكان واحد عن طريق جماعة صغيرة"[4].

***

---

1 مخطوطات البحر الميت لبروز ميللر ص: 271 و272.

2 المحاضر في جامعة لوفين الكاثوليكية.

3 أستاذ اللغة الآرامية بجامعة شيكاغو.

4 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 10.

ج- نبذة عن جماعة القمرانيين

وبعد أن ذكرت موجزًا عن قصة الكشف عن وثائق قمران، وأهم ما تتضمنته، فلعله من المفيد الآن أن أذكر شيئًا عن هذه الجماعة من حيث العقائد والشرائع والنظم.

(1) العقائد:

(أ) كانوا على التوحيد، خلافًا لبولس وعقائده، التي تطورت للتثليث والصلب والفداء.

فقد جاء في المخطوطة (1QH4, 11- 12) ما ترجمته:

"دونك لا يوجد طريق كامل، ودون إرادتك لا يمكن لشيء أن يعمل، إنه أنت الذي علمت العلم، وأن كل شيء يفنى بإرادتك وإنه لا أحد بجانبك يستطيع أن ينازع إرادتك"[1].

(ب) وكانوا يؤمنون بأن حياتهم ومصيرهم بيد الله وحده[2].

(ج) وكانوا يعتقدون بأنهم مهتدون، وكجائزة على اهتدائهم فإن (معلم الصدق) قد أرسل إليهم، حتى يؤسس لهم عهدًا ليصبح هذا هو العهد الوحيد الصالح بين الله وبين إسرائيل، وهو العهد الخالد[3].

وهذا خلافًا لعقيدة بولس، الذي زعم أن الله -سبحانه وتعالى عما يقول علوًا كبيرًا- قد قتل ابنه (اللهَ) ليخلص المؤمنين به، ويكون دمه المسفوك على الصليب هو العهد الأبدي.

فقد قال كاتب رسالة بولس للعبرانيين، التي يقر النصارى أنهم لا يعرفون من كتبها، ومع ذلك حشروها في الكتاب الذي يقدسونه، وقالوا إنه كلمة الله المحفوظة، قال ذلك الكاتب المجهول عن سيدنا عيسى عليه السلام:

"13: 20 وإله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم، ربنا يسوع، بدم العهد الأبدي"[4].

(د) وقد كرس القمرانيون أنفسهم في البرية لدراسة الكتاب المقدس وشرحه، كما أوصى به الأنبياء، لأن القمرانيين كانوا يعتقدون أنهم هم الوحيدون المهتدون، ولذا فهم الوحيدون الذين يشرحون الكتاب المقدس شرحًا صحيحًا[5].

(هـ) وكانوا يتوقعون النبي القادم الذي وعد به في موسى في سفر التثنية: 18: 18:

"أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به"[6].

وهذه النبوءة تتحقق -على التحقيق- في سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم[7].

وكانوا يتوقعون مسيحيَيْن اثنين: أحدهما مسيح كهنوتي من هارون، وآخر سياسي من موسى.

وذكر هنري تشادويك أنه لا يوجد في نصوصهم ما يشير إلى أن (معلم الحق) هو المسيح[8].

---

1 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 13.

2 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 11.

3 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 12.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- الرسالة إلى العبرانيين: 13: 20 ص: 184.

5 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 12.

6 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التثنية: 18: 18 ص: 140.

7 راجع لتفصيل ذلك: البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل للشيخ أحمد حجازي السقا ص: 226 وما بعدها.

وراجع أيضًا فصلًا مما كتبه السيد محمد رشيد رضا -رحمه الله- في تفسير المنار، في تفسير الآية 157 من سورة الأعراف: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ... الآية﴾، بعنوان: (فَصْلٌ فِي بَيَانِ بِشَارَاتِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِهِمَا) بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ج: 9 ص: 230، وقد أشار لنص التثنية: 18: 18 في ج: 9 ص: 251.

وقد نقل -رحمه الله- أيضًا عن كتاب (إظهار الحق) للعلامة الشَّيْخُ رَحْمَةُ اللهِ الْهِنْدِيُّ رحمه الله [إظهار الحق ج: 4 ص: 1078 وما بعدها]، وقد وردت فيه هذه البشارة (التثنية: 18: 18) في ج: 4 ص: 1116.

8 The Church in Ancient Society p: 14.

وكانوا يعتقدون أن مسيح الرب الذي ينتظرونه يعرف كل أسرار الإنسان، وتحل حكمته على كل الشعوب، ويتسلط على المخلوقات كلها، وقد دعي هذا المسيح مختار الإله[9].

(و) وكان أتباع تلك الطائفة يعدون أنفسهم للمعركة الفاصلة بين (أبناء النور) و(أبناء الظلام)، وهي المعركة التي سيتنصر فيها أبناء النور على أبناء الظلام، فتحل نهاية العالم، وتقوم مملكة العدل، وجاء وصف تلك الحرب في مخطوط عرف باسم (مخطوط الحرب)، وجاء فيه وصف تفاصيل جيش أبناء النور، وطرق قتالهم، وراياتهم وما يدون عليها[10]. وكانوا يسمونها (الملحمة)، والتي تعني الحرب بالعبرية.

(ز) وكان الرئيس الأعلى للطائفة مقدسًا عندها، وكانوا يطيعونه طاعة عمياء، ويسمونه (معلم الحق) أو (المعلم الحق)، وبالعبرية (مُوريه صِدِق)، ويبدو من إشارات وردت في التفسير الرمزي على سفر حبقوق، أن أحد رؤسائها المقدسين كان قد قبض عليه وعذب وأهين وجرد من ملابسه البيضاء ثم قتل على الصليب[11].

ولا يُعرف اسم (معلم الحق) الحقيقي حتى الآن، وحسب أكثر المتخصصين فإن هذا الرجل كان شخصية حقيقية، وتذكر المخطوطات القمرانية أن (الكاهن الشرير) كان يلاحقه، ولم ينجح العلماء في تحديد أي من الشخصيتين، ويعتقد -حسب أغلب الآراء- أن معلم الحق عاش في القرن الثاني قبل الميلاد، أما تاريخ وفاته فغير معروف.

وكان القمرانيون يعتقدون أن معلم الحق على قرب خاص من الله، ولا يمكن -حسب زعمهم- تحقيق النصر على قوى الظلام والكفر والطغيان إلا إذا قام معلم الصدق في نهاية الأيام[12].

(2) الشعائر:

(أ) كانواملتزين بكل ما جاء به موسى والأنبياء، خلافًا لبولس الذي أسقط حرمة الشريعة.

فقد جاء في مخطوطة الأحكام:

"وبخصوص قوله: "واعمل كما نذرت" (تثنية: 23/ 24) لا يجوز لأي رجل حتى لو تعرض للموت أن يبطل أو ينسخ أي قسم مغلظ أقسم فيه أن يحافظ على كل أوامر الشريعة"[13].

(ب) وكانوا دقيقين في مراقبة أوقات الصلاة، ويصلون ويأكلون جماعة[14].

وكانت لهم صلاتان جماعيتان: واحدة عند الفجر، يذهبون بعدها لأعمالهم، التي غالبًا تتعلق بفلاحة الأرض، ثم صلاة عند غروب الشمس، وبعدها يتناولون الطعام، الذي يتألف من الخبز ونوع من الخضروات[15].

وكان طقس الاغتسال اليومي من أهم طقوسهم، وكان ينبغي على كل فرد قبل الشروع فيه أن يستشعر الندامة بينه وبين نفسه، ويطرد من نفسه كل الرغبات والأفكار السيئة[16].

(ج) وكانوا يقيمون شعائرهم التعبدية بعيدًا عن هيكل القدس[17].

وقد وردت نصوص تبين سبب هجرانهم لهيكل القدس، مثل نص المخطوط (12 -7 ,1QH4)، وترجمته:

---

9 المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون ص: 59.

10 المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون ص: 58.

11 الفكر الديني الإسرائيلي ص: 279 و280.

12 المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون ص: 59.

13 النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت ص: 242.

14 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 11.

15 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 23.

16 المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون ص: 57.

17 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 11.

"فمعلمو الكذب تملقوا شعبك بكلمات، والأنبياء المزيفون أضلوهم .... لقد طردوني من أرضي كطرد الطير من عشه .... ومعلمو الكذب وأنبياء الباطل كادوا لي مكيدة شيطانية حتى يغيروا القانون الذي طبقته في قلبي .... ولقد أمسكوا العطشى عن شرب العلم والمعرفة، وقد سقوا العطشى الخل بدلًا من الماء"[18].

(د) وكانوا يمضون ثلث كل ليلة في الصلاة وقراءة الكتاب المقدس ومدارسة الفقه[19].

(3) نظام الجماعة

(أ) وكانوا يعتبرون أنفسهم؛ أنهم هم بنو إسرائيل الحقيقون، ولذلك قسموا أنفسهم إلى الكهنة، وعوام الناس.

فأما الكهنة فسموا أنفسهم أبناء صادوق (Zadok)، الذي كان كبير الكهنة في عهد داود، وأما العوام فقُسموا لاثنتي عشرة قبيلة، وهو التقسيم الذي سيكون -حسب اعتقادهم- آخر الزمان[20].

(ب) وكان للجماعة مجلس يتألف من اثني عشر شخصًا وثلاثة كهنة، يطبقون القانون تطبيقًا حرفيًا، وكان قانونهم يحث على الصدق والتقوى والعدل والتواضع واللطف، ويحثهم أيضًا على حفظ الأيمان، وعلى التوبة من الذنوب، والتزام العدل، والصبر على الحزن والألم، وأن يتعاملوا مع الناس جميعًا بناء على معيار الصدق والحق والقانون[21].

(ج) ويأخذون العهد على من يريد اللحاق بجماعتهم بأن يحفظ سرهم، وأن يلتزم بالتوراة التي جاء بها موسى[22].

(د) وكانوا متحابين، ويتشاركون في ممتلكاتهم.

***

18 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 12.

19 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 11.

20 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 11.

21 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 11.

22 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 12، مخطوطات البحر الميت تأليف: بروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي ص: 250.

د- هل القمرانيون هم الأسيون؟

لم يسم القمرانيون أنفسهم بلقب معين، ولذلك حار الباحثون: هل هم الأسيون الذين تكلم عنهم المؤرخون؟ أم هم طائفة مختلفة؟

وذلك أن بين الطائفتين أوجه تشابه وأوجه اختلاف.

فمن أوجه التشابه:

1- الإقامة في دار خاصة بالجماعة، ومنعزلة عن الجمهور.

2- تشابه النظام الداخلي للفئتين.

3- الإيمان باليوم الآخر.

4- التفرغ لطلب العلم.

5- التقشف.

6- لبس البياض[1].

7- اتفاق المكان: فبحسب ما جاء في كتاب بليني عن التاريخ الطبيعي؛ فإن الأسيين كانوا يسكنون فيما بين مدينة أريحا في وادي الأردن شمالًا، ومدينة عين جدي على البحر الميت جنوبًا، وهو نفس المكان الذي يضم خربة قمران[2].

ومن أوجه الخلاف:

1- الخلاف في التوجه الثقافي، ففرقة قمران حريصة على النقاء اللغوي بالارتباط الوثيق بالعبرية، سواء أكان ذلك في اللغة أو في الخط. بينما يرجع اسم طائفة الأسينيين -على أرجح الأقوال- لأصل أجنبي، كما تقدم. مما لا يسهل قبوله من طائفة شديدة التزمت والتمسك بالعبرية، وإن كان لا يمنع أن يكون للإسينيين -فيما بينهم- اسم عبري آخر[3].

ومما يرجح هذا الخلاف أن القمرانيين لم يطلقوا على طائفتهم -في وثائقهم- اسمًا يتميزون به.

2- كما أن الأسينيين كانوا طائفة مسالمة، بينما تدل كل القرائن، وفي مقدمتها تعرض طائفة قمران للإبادة، وهجرتها العاجلة الجماعية من مستعمرتها، على أنها طائفة أشد عنفًا.

ويتأكد ذلك في كتابها الذي عنوانه (حرب أبناء النور مع أبناء الظلام)[4].

ويرى الدكتور محمد علي البار أن ذلك لا يبرر التفريق بين الطائفتين فمن الطبيعي أن يستعد الأسينيين -المؤمنين بمجيء المسيح الحق والمنتظرين له- للجهاد في سبيل الله، لأن قوى الظلام والكفر ستجتمع كلها لمحاربة المسيح، وعليهم أن يستعدوا لنصرته.

ويرى أيضًا: أن هذا ما حدث بالفعل للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فقد تجمعت كل قوى الشر في المجتمع اليهودي لمحاولة الفتك به.

ومن المحتمل أنهم كانوا في مرحلة الانتظار يمنعون أتباعهم من القتال، ويأمرونهم بالصبر على الأذى[5].

---

1 الفكر الديني الإسرائيلي ص: 279. راجع أيضًا لمزيد من التفصيل: تأليف: بروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي فقرة 271 إلى 279ص: 277 إلى 287.

2 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان: 17 إلى 20، مخطوطات البحر الميت تأليف: بروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي فقرة: 271 ص: 277.

3 الفكر الديني الإسرائيلي ص: 280.

4 الفكر الديني الإسرائيلي ص: 280 و281.

5 المدخل إلى دراسة التوراة والعهد القديم ص: 267 و268.

3- ومن الفروق أيضًا عدم تحريم القمرانيين للذبائح[6].

4- كذلك لم يرد أي شيء عن (معلم الحق) ولا عن (العهد الجديد) لدى الأسينيين[7].

ويرى بروز ميللر أنهما كانتا من الشيع اليهودية، وأن بينهما كثير من التشابه وقليل من الاختلاف بسبب اختلاف الظروف والمكان[8].

ولا يستبعد أن يكون القمرانيون -والأسينيون والإبينيون والناصريون ويحيى (يوحنا المعمدان) عليه السلام وتلاميذه وأمثالهم- من الطوائف التي كثرت في المجتمع اليهودي في فلسطين قبيل ومع ظهور سيدنا عيسى عليه السلام، وكانت تبحث عن الحق، وتعترض على انحرافات الأحبار والكهنة.

وكان هذا الاعتراض والشوق إلى المصلح المنتظر هو بمثابة الإرهاصات التي سبقت ومهدت لظهور سيدنا عيسى عليه السلام، الذي أرسله الله ليصلح ما انحرف من عقائد اليهود وشرائعهم.

ولا يستبعد أن يكون بين هذه الطوائف والتيارات وبين تلاميذ المسيح -رضوان الله عليهم- تداخل وتفاعل وتأثير وتعارف.

وكان الجامع المشترك بينها هو الحرص على الدين الصحيح بعيدًا عن تبديل وتحريف الكهان والأحبار.

وبناء على هذا فهي تعد من أقوى المعارضين للانحراف البولسي عن شريعة موسى وعيسى عليهما السلام.

كما كانت هذه الطوائف معادية للدولة الرومانية، التي تفاهم معها البولسيون في القرن الرابع، واعتنقوا نصرانية قسطنطين، الذي أفسد النصرانية من أجل السياسة الفاسدة.

***

---

6 مخطوطات البحر الميت تأليف: بروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي فقرة: 275 ص: 281 و282.

7 مخطوطات البحر الميت تأليف: بروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي فقرة: 277 ص: 283.

8 مخطوطات البحر الميت تأليف: بروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي فقرة: 279 ص: 287.

هـ- هل تم التلاعب بوثائق وادي قمران؟

مرت خمسون عامًا حتى أعلن في نيويورك في نوفمبر 2001م؛ بأنه قد تم الكشف التام عن كل مخطوطات قمران.

فهل هذه هي الحقيقة؟ وماذا تم في خلال تلك الخمسين عامًا؟

إنها قصة مريبة، تحوط بها الشكوك والريب، ألخصها -بعون الله- تحت العناوين التالية:

(1) كشف يثير حماسًا

(2) تداول السيطرة على الوثائق

(3) موجز مراحل نشر المخطوطات

(4) هل نشرت كل المخطوطات؟

***

(1) **كشف يثير حماسًا**

أثار الإعلان عن اكتشاف مخطوطات عبرية وآرامية قديمة بمنطقة قمران -في أعقاب الحرب العالمية الثانية- حماس الباحثين في تاريخ الكتب المقدسة، وراحوا ينتظرون العثور بينها على المعلومات التي يمكن أن تزيل الغموض عن مرحلة هامة من التاريخ الإنساني.

ذلك أن أقدم نسخة عبرية موجودة الآن من كتب العهد القديم ترجع إلى القرن العاشر بعد الميلاد، وهي تتضمن اختلافات عديدة عن النسخة السبعينية اليونانية، التي ترجمت في الإسكندرية خلال القرن الثالث قبل الميلاد[1].

بل تختلف كلتا النسختين عن النسخة السامرية.

فأيهم أكثر صحة عند الاختلاف؟ وأيهم يمكن الاعتماد عليه؟

ولا يتوقف الأمر على الجماعات اليهودية، فإن الكنائس المسيحية تعتبر العهد القديم جزءًا من كتابها المقدس، وبينما كان المسيحيون حتى القرن العاشر يستخدمون الترجمة السبعينية اليونانية فهم قد تحولوا عنها -باستثناء الكنيسة اليونانية- إلى ترجمة النسخة العبرية منذ القرن العاشر[2].

بل إن حركة الإصلاح البروتستانية -في القرن السادس عشر- رفضت كل الأسفار (المنحولة: الأبوكريفا)، التي لم ترد في النسخة العبرية.

كما أن المعلومات التي وصلتنا عن السيد المسيح جاءت كلها من كتابات كتبت بعد نصف قرن من الزمن الذي حدده النصارى لوفاته، وليس هناك نص واحد -ولو صغير- جاء فيه ذكر المسيح -عليه السلام- في المصادر التاريخية المعاصرة للمدة التي قيل إنه عاش فيها.

بل إن كتب العهد الجديد نفسها -وهي المصدر الوحيد النصراني عن تاريخ المسيح- تعطينا معلومات متضاربة في شأن حياته ومماته.

فبينما يذكر الإنجيل المنسوب لمتى -مثلًا- أن مولده كان أيام حكم الملك هيرود، الذي مات في العام الرابع قبل الميلاد، فإن الإنجيل المنسوب للوقا يجعله في عام الإحصاء الروماني، أي في العام السادس بعد الميلاد.

والخلاف قائم كذلك في تحديد وقت رفعه عليه السلام، فبحسب ما ورد في أناجيل النصارى: هناك من يحدده في العام الثلاثين أو في العام الثالث والثلاثين أو السادس والثلاثين[3].

---

1 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 7.

2 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 7.

3 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 7 و8.

وفي الحقيقة؛ إنه ليس هناك أي دليل تاريخي قطعي على وجود سيدنا عيسى عليه السلام، وأن الدليل القطعي هو ما جاء في الوحي المنزل، فالقرآن الكريم -الذي ثبت صدوره قطعًا من لسان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي ثبت إعجازه بأوجه إعجاز مختلفة، والذي ثبت حفظه وتوثيقه في كل حرف وحركة فيه، هو الدليل القطعي على وجود سيدنا عيسى عليه السلام، بل وعلى وجود سائر الأنبياء، وإلا فإن كتب اليهود والنصارى لا موثوقية بها، وهي كقبض الريح[4].

وبينما كانت الكنيسة تؤكد أن اثنين من كتبة الأناجيل الأربعة هما من تلاميذ المسيح، الذي رأوه وعايشوه، تبين بعد ذلك أن كل أسفار النصارى كتبها مجهولون، بل لا يقطع بنسبة أي سفر للشخص الذي نسب إليه.

ولهذا فقد كان العثور على كتابات قديمة سابقة، ومعاصرة للمدة الزمنية التي عاش فيها سيدنا عيسى عليه السلام، وفي منطقة لا تبعد إلا بضعة كيلومترات عن مدينة القدس، التي زعم النصارى أنه قتل فيها، قد أنعش -هذا العثور- الآمال في وجود معلومات بها تبين حقيقة تاريخ مؤسس الديانة المسيحية، وعلاقته بالجماعات اليهودية في عصره، وزاد الحماس عندما تم نشر الأجزاء الأولى من المخطوطات في الستينيات، وتبين أنها تنتمي إلى جماعة يهودية/ مسيحية، وأنه كان لهم معلم يشبه في صفاته عيسى عليه السلام.

إلا أن الحماس الذي ساد بين الباحثين والقراء العاديين قابله قلق وخشية من جانب السلطات الدينية -وما يتبعها من هيئات أكاديمية- لدى كل الطوائف اليهودية والمسيحية، ولم يكن باعث القلق هو ما قد تكشفه هذه النصوص من تغيير وتبديل في حقائق التاريخ القديم، بل ما قد تكشفه في تفسير ومغزى النصوص الدينية.

ومما زاد القلق أنه منذ استولت القوات الإسرائيلية على مدينة القدس القديمة عام 1967م توقف نشر المخطوطات إلا قليلًا. ويقدر الأستاذ أحمد عثمان عدد المخطوطات التي لم تنشر بما يزيد عن النصف[5].

***

(2) تداول السيطرة على الوثائق

---

4 قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

"لَوْ لَمْ يَظْهَرْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَبَطَلَتْ نُبُوَّةُ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، فَظُهُورُ نُبُوَّتِهِ تَصْدِيقٌ لِشَهَادَتِهِمْ وَشَهَادَةٌ لَهُمْ بِالصِّدْقِ". [هداية الحيارى ص: 525].

وقد حاول الدكتور القس حنا جرجس الخضري جاهدًا أن يجمع أية أدلة تاريخية على وجود سيدنا عيسى عليه السلام، وبعد قرابة عشرين صفحة من دفاعه، كتب الآتي:

"والله هو الذي يعلن نفسه على مر العصور بطرق مختلفة متنوعة .

فعندما يتقابل "يسوع الايمان" مع الإنسان فإن هذا الأخير (الإنسان) لا يستطيع ببحثه وتنقيبه الوصول إلى يسوع التاريخ . وهذ يذكرنا بقول القديس انسام: "أؤمن لكي أفهم ولست أفهم لكي أؤمن".. وأنا لا أريد أن أقول إنه لا داعي للبحث العلمي والنقد التاريخي ، ولكن ما أريد قوله هو أن المقابلة الشخصية مع الرب يسوع كالمخلص وكالمسيح بالإيمان ، هي الخطوة الأولى التي يجب على كل باحث ودارس القيام بها ، هي قبول المسيح الذي شهدت له الكتب المقدسة الصادقة ، قبل البحث عن الأدلة التاريخية سلبية كانت أم إيجابية عن وجوده.

....

فمسيح الايمان كان وما يزال وسيظل حجر عثرة أمام الأجيال وأمام الشعوب على مر العصور في كل مكان". [تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 2 ف: 1ص: 163 و164].

ولكن الدكتور القس لم يقل لنا: وما الحل إذا كانت الكتب -التي يقدسها- ليست صادقة؟؟؟

ولماذا جعل المسيح -عليه السلام- عثرة؟ مع أن الله -سبحانه- أرسله بالنور والهدى. إن العثرة هو مسيح الكنيسة البولسية؛ مسيح الخطيئة الأصلية والصلب والفداء والثالوث وغيرها من المغالطات المعضلة.

وكتب الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله:

"أَنَّ أَحَدَ فَلَاسِفَةِ الْهُنُودِ دَرَسَ تَارِيخَ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، وَبَحَثَ فِيهَا بَحْثَ مُسْتَقِلٍّ مُنْصِفٍ، وَأَطَالَ الْبَحْثَ فِي النَّصْرَانِيَّةِ لِمَا لِلدُّوَلِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَيْهَا مِنَ الْمُلْكِ وَسَعَةِ السُّلْطَانِ وَالتَّبْرِيزِ فِي الْفُنُونِ وَالصِّنَاعَاتِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي الْإِسْلَامِ فَعَرَفَ أَنَّهُ الدِّينُ الْحَقُّ فَأَسْلَمَ وَأَلَّفَ كِتَابًا بِاللُّغَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ، سَمَّاهُ (لِمَاذَا أَسْلَمْتُ) بَيَّنَ فِيهِ مَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ مَزَايَا الْإِسْلَامِ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ، وَكَانَ أَهَمَّهَا عِنْدَهُ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الدِّينُ الْوَحِيدُ الَّذِي لَهُ تَارِيخٌ صَحِيحٌ مَحْفُوظٌ، فَالْآخِذُ بِهِ يَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الدِّينُ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الْعَرَبِيُّ، الْمَدْفُونُ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ مَثَارِ الْعَجَبِ عِنْدَهُ أَنْ تَرْضَى أُورُبَّةُ لِنَفْسِهَا دِينًا، تَرْفَعُ مَنْ تَنْسُبُهُ إِلَيْهِ عَنْ مَرْتَبَةِ الْبَشَرِ فَتَجْعَلُهُ إِلَهًا، وَهِيَ لَا تَعْرِفُ مِنْ تَارِيخِهِ شَيْئًا يُعْتَدُّ بِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَنَاجِيلَ الْأَرْبَعَةَ عَلَى عَدَمِ ثُبُوتِ أَصْلِهَا، وَعَدَمِ الثِّقَةِ بِتَارِيخِهَا وَمُؤَلِّفِيهَا، لَا تَذْكُرُ مِنْ تَارِيخِ الْمَسِيحِ إِلَّا وَقَائِعَ قَلِيلَةً حَدَثَتْ - كَمَا تَقُولُ - فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ. وَلَا يُذْكَرُ فِيهَا شَيْءٌ يُعْتَدُّ بِهِ عَنْ نَشْأَةِ هَذَا الرَّجُلِ وَتَرْبِيَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَأَيَّامِ صِبَاهُ وَشَبَابِهِ، وَلِلَّهِ فِي خَلْقِهِ شُئُونٌ". [تفسير المنار- سورة المائدة- آية: 14 ج: 6 ص: 302].

5 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 7 إلى 9.

(أ) في البداية وجد بدوي سبع مخطوطات في المغارة الأولى، ووصلت هذه المخطوطات السبع -كما ذكرت آنفًا- إلى حوزة الجامعة العبرية بالقدس عن طريق الأستاذ سوكينوك وابنه إيجال يادين.

(ب) وعندما تم إعلان الهدنة بين الدول العربية وإسرائيل في 7 يناير 1949م، أصبحت منطقة قمران والثلث الشمالي من منطقة البحر الميت تحت سيطرة الأردن.

ونظم الأردن عمليات التنقيب تحت إشراف مدير الآثار الأردنية البريطاني هاردنج والكاهن رولاند دي فو، الذي كان مديرًا للمدرسة الكتابية والأثرية الفرنسية بالقدس[6] الشرقية. والذي شكل فريقًا من الباحثين ليس من بينهم عربي واحد، ولا حتى نصراني من الكنائس الشرقية.

(ج) وكان الأب دو فو مشهورًا بتعصبه الكاثوليكي، ولذا قام باستبعاد كل من لا ينتمون للمجال الكنسي[7].

ومن المهم هنا أن أوضح أن رئيس تلك اللجنة -سواء كان دو فو أو من خلفه من الآباء الكاثوليك- ملزم برفع تقرير للمدرسة الكتابية الأثرية في القدس، وهي بدورها ترفع تقاريرها إلى بابا الفاتيكان.

ومن المعروف أن رجال الدين الكاثوليك يؤدون قسم الولاء للفاتيكان عند تعيينهم، وذلك يعني أن المدرسة الكتابية الأثرية في القدس كانت على صلة مباشرة بالفاتيكان.

وتنقل الدكتورة زينب عبد العزيز عن مايكل بيجنت وريتشارد لي في كتابهما (الكتاب المقدس المصادر[8]) أن: "المعهد الإنجيلي عبارة عن ملحق لترسانة اللجنة الإنجيلية البابوية - وهي أداة نشر عقيدة الإيمان الكاثوليكي تحتت مسمى الأبحاث التاريخية والأثرية".

ثم يوضحان كيف كان الكاردينال راتزنجر -الذي صار بابا باسم بنيديكت السادس عشر منذ أبريل 2005م- مديرًا للجنة، ويدير جهازًا كاثوليكيًا آخر هو لجنة (عقيدة الإيمان)، وهو اسمها الحالي منذ عام 1965م، وكان اسمها قبل ذلك منذ عام 1908م (المكتب المقدس)، وقبلها كان اسمها الرسمي (محاكم التفتيش)، وكان اسم من يتولى رئاسة هذه اللجنة (كبير المحققين أو المفتشين).

وتعد لجنة (عقيدة الإيمان) أو محاكم التفتيش أقوى لجان الفاتيكان قاطبة من حيث السلطة والتحكم. والقرارات التي يتخذها راتزنجر في لجنة (عقيدة الإيمان) تحدد مسار قرارات اللجنة الإنجيلية البابوية، التي يترأسها هو أيضًا، ومنها تساق القرارات إلى المعهد الإنجيلي وباقي المنفذين.

ويصف الباحثان الكاردينال جوزيف راتزنجر بأنه: "رجل شديد التشاؤم ويرى أن إلغاء أو محو أي شيء مخالف للأعراف المتوارثة يضمن استمرارية حياة الكنيسة كعقيدة واحدة متماسكة. كما أنه يرى أن كل من لا يقاسمونه الرأي عميان أو مساقون إلى الخطأ"[9].

لذلك يؤكدان أن: "الدور الذي لُعب على مستو عال في الكنيسة في أبحاث مخطوطات البحر الميت لا يمكن إلا أن يولد الشك والريبة".

ومن هنا فإن كل ما لا يتماشى أو لا يمكن أن يتم إخضاعه لقيود الكنيسة ليصبح مطابقًا لتعاليمها، يتم استبعاده. وهو ما يتمشى مع توجيهات البابا بيوس الثاني عشر (1867- 1958م) الذي كان له دور في التلاعب بالمخطوطات فقد قال تحديدًا: "إن التفسير الديني تقع عليه مسؤولية تولي المسائل ذات الانعكاس الموَّرط للكنيسة".

---

6 Ecole Biblique et Archéologique Française de Jérusalem.

7 المساومة الكبرى ص: 242.

8 كتبت الدكتورة زينب عبد العزيز أن هذا الكتاب قد تمت مصادرته فعلًا، وأن السلطات الكنسية أخفت ترجمته الفرنسية. [المساومة الكبرى ص: 245].

9 لمزيد من التفصيل عن جوزيف راتزنجر أو البابا بنديكتوس السادس عشر -الذي تهجم على الإسلام وإله الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم- راجع كتاب الدكتور محمد عمارة (الفاتيكان والإسلام أهي حماقة؟ أم عداء له تاريخ) ص: 12 إلى 16 و21 إلى 27.

وهو ما يوضح لماذا كان الأب دي فو يماطل في الكشف عن ترجمة نصوص المخطوطات لكي لا يورط السلطات المسيحية فيما يمكنه أن يهدمها.

ومما لا شك فيه أن بعض معطيات هذه المخطوطات يمكنها القيام بذلك، الأمر الذي دفعه إلى فرض اتجاه معين يسير فيه تفسير هذه المخطوطات.

وهنا يؤكد الباحثان:

"إن أي ابتعاد عن هذه التوجيهات كان يعد بمثابة هرطقة.. ومع الوقت تحول هذا الفرض إلى عقيدة متزايدة التطبيق"[10].

ومما يؤكد هذا الرأي أن الكهف الرابع قد استخرجت منه 500 مخطوطة سنة 1952م، ولكن لم ينشر منها إلا مائة فقط خلال خمسين عامًا، والأفراد القلائل الذين سيطروا على مخطوطات الكهف الرابع يمنعون أي شخص من الاطلاع عليها، وهم جميعًا من الكاثوليك.

ويؤكد هذا الأمر ما نقلته الدكتورة زينب عبد العزيز عن شانكس من كتابه (مغامرة مخطوطات البحر الميت) (L'Aventure des manuscrits de la Mer morte) ص: 330، حيث ينقل عن الأب سكيهان (Skehan)[11] قوله:

"وفي نهاية المطاف، فإن عمل كل باحث متخصص في الكتاب المقدس يجب أن يعمل وفقًا لما تحدده لجنة عقيدة الإيمان من منهج عمل، وأن يخضع دومًا للحق السيادي للكنيسة الأم، المقدسة، التي تحكم وترى ما يتفق فعلًا مع التعاليم التي تلقتها من يسوع"[12].

وتنقل الدكتورة زينب عبد العزيز عن كتاب شانكس المشار إليه آنفًا: أن أخطر ما قامت به اللجنة الدولية من محاولات تعتيم؛ هو التلاعب في نتائج تحليل الكربون 14 لترحيل تاريخ المخطوطات إلى الوراء -على الأقل- مائة عام، لفصلها عن بدايات المسيحية تمامًا. لكي تجهض المخطوطات من مضمونها، وتفقد أية فاعلية للمساس بالمسيحية.

ونقلت الدكتورة زينب عبد العزيز عن نورمان جولب في مقدمة كتابه (Qui a écrit les manuscrits de la Mer morte):

"لقد بدا لي بوضوح أن البحث التقليدي حول المخطوطات قد اتخذ شكل عملية سياسية شديدة الحبكة، تهدف إلى حماية المقولات القديمة وليست عبارة عن عمل علمي جماعي يبحث بحماس عن أفكار جديدة ..... فإن كل ما لدينا من معلومات فهي عبارة عن جزء صغير في بحر من الصمت"[13].

وكذلك ذكرت الدكتورة زينب عبد العزيز أن الناقد الأمريكي إدمون ويلسن (Edmon Wilson) أول من أعلن أن هناك شكوكًا حول موقف اللجنة الدولية من نتائج تحليل الكربون 14، ونقلت عن كتابه (مخطوطات البحر الميت): "ما أن نبدأ في دراسة المنازعات الناجمة عن دراسة المخطوطات نلحظ توترًا غريبًا .. إلى أن هذا التوتر لا ينجم عن مشكلات تحديد التاريخ والتي أثارت معارك ضارية، لكن معارك تحديد التاريخ تخفي اهتمامات أخرى ليست علمية".

وقام العالم فيليب ديفز (Philip Davies) -أستاذ الدراسات الإنجيلية بجامعة شفيلد ومؤلف كتابين حول المخطوطات- بتأييد ويلسن مشيرًا إلى أن أغلب العاملين على المخطوطات مسيحيون تكونوا على العهد الجديد وتعاليمه ويذكروننا بالخلط الأزلي بين التاريخ واللاهوت.

---

10 المساومة الكبرى ص: 253 و245.

11 وهو أحد أعضاء اللجنة التي كان يرأسها الأب دي فو لجمع وإعداد وترجمة ونشر مخطوطات قمران. [مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 96].

12 المساومة الكبرى ص: 254 و255.

13 المساومة الكبرى ص: 250.

أما الأستاذ جودفري درايفر (Godfery Driver) فقد أعلن بجريدة التايمز في 23/ 8/ 1949 أنه يعترض على تحديد تاريخ المخطوطات بقبل عصر المسيحية "لأن الأدلة الظاهرة لذلك واهية جدًا، في حين أن الأدلة الجوهرية القائمة تفند ذلك". لذلك تمسك بعمل تحليل دقيق وأمين للأدلة الجوهرية التي تؤكد انتماءها للقرن الأول الميلادي[14].

وأود أن أوضح للقارئ أن طريقة تحديد عمر المواد العضوية -بواسطة قياس محتواها من الكربون 14 المشع- ليست دقيقة دقة قاطعة، وتتدخل فيها عوامل كثيرة، ويبلغ مدى الخطأ في تقدير عمر العينة ما بين 2000 إلى 5000 سنة[15]!

وذكر جيزا فيرم أن نسبة الخطأ فيها تصل إلى 10% تقديمًا أو تأخيرًا[16].

وسواء كان تاريخ المخطوطات معاصرًا لحياة سيدنا المسيح -عليه السلام- أو قبله فإنه يسبب للكنيسة حرجًا بالغًا. لأنه إن كانت المخطوطات في القرن الثاني قبل الميلاد، فهذا يلقي ظلًا من الشك على أناجيل النصارى المجهول كاتبوها، فلا يستبعد أنهم استقوا كثيرًا مما فيها من كتابات القمرانيين وأقوال الطوائف السابقة لهم وكتاباتهم المنتشرة.

وإن كانت المخطوطات معاصرة لبعثة سيدنا عيسى عليه السلام، فما هي الصلة بين سيدنا عيسى ومعلم الحق؟ فإن بينهما عدة أوجه من الشبه، ولكن بينهما فارق أساسي، وهو أن معلم الحق شخصية بشرية، وليس إلهًا ولا أقنومًا، كما زعم النصارى المثلثين عن عيسى عليه السلام. كما أن معلم الحق -كسائر الطوائف اليهودية التي سعت للإصلاح في ذلك الزمان- كان شديد التمسك بالشريعة الموسوية، وهو ما حاربه وتنصل منه بولس ومن تابعه.

بل هناك ما هو أشد من ذلك، وهو أن المخطوطات احتوت مبشرات بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووافقت عقيدة الإسلام وشريعته في أمور عديدة، مما يدل على أن فيها بقايا من الحق، الذي جاء به موسى وأنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، كما سيأتي إن شاء الله.

ولا يقتصر الحظر على المساس بالعقيدة النصرانية، بل كان من المحظور أيضًا التعرض لإسرائيل، كما سيأتي -إن شاء الله- في قصة استروجنيل.

(د) ولما قامت الحرب العربية الإسرائيلية عام 1967م، سقطت القدس في يد إسرائيل، واستولوا على المتحف الفلسطيني والمخطوطات القمرانية التي به، ولم تنج إلا المخطوطة النحاسية، لأنها كانت في عَمان.

- **نبذة عن المخطوطة النحاسية**

هي مخطوطة من رقائق النحاس طولها متران و46 سم، ومقطوعة إلى جزئين، وقد بقيت في متحف القدس لمدة ثلاث سنوات، وكان النحاس قد تأكسد بفعل الرطوبة، وأصبح من الصعب فتحها، فأرسلت إلى الأستاذ رايت بيكر أستاذ الهندسة الميكانيكية في كلية مانشستر للعلوم والتكنولوجيا، حيث قطعها إلى 23 جزءًا مستطيلًا، وأعادها للأردن عام 1956م.

وتبين أن بها نصًا عبريًا غير ديني يحوي بعض العلامات السرية والحروف اليونانية، وهو يتعلق ببعض الكنوز من الذهب والفضة، مخبأة في أربعة وستين موقعًا سريًا في أنحاء فلسطين.

وتمكن جون اليجرو (John Allegro) -وهو أحد الثمانية التي عهدت لهم الحكومة الأردنية بدراسة وترجمة المخطوطات- من الحصول على صورة فوتوغرافية لشرائح المخطوطة، وكان أول من قام بترجمتها إلى الإنجليزية عام 1960.

---

14 المساومة الكبرى ص: 255 و256.

15 Microsoft Encarta 2009, Dating Methods, III. ABSOLUTE DATING METHODS, E. Radiometric Dating, 2. Carbon-14 Method.

16 النصوص الكاملة لمخطوطات البحرالميت ص: 42.

إلا أن دي فو عهد إلى ميليك[17] -وهو قس وباحث بولندي كان يعمل في للمدرسة الكتابية والأثرية الفرنسية بالقدس[18] الشرقية، وأصبح واحدًا من الثمانية المسؤولين عن المخطوطات القمرانية- بعمل ترجمة ثانية للمخطوطة النحاسية، نشرتها جامعة أكسفورد عام 1962م.

واختلفت الترجمتان اختلافًا كبيرة في مواضع كثيرة.

وتبلغ مجمل كميات الكنز المختفي حوالي 3000 وزنة من الفضة و1300 وزنة من الذهب، بالإضافة لخمسة وستين قضيبًا من الذهب والفضة، وبحساب الوزن الإجمالي لهذا الكنز يبلغ 65 طنًا من الفضة و26 طنًا من الذهب.

ونشأ خلاف بين جون اليجرو وبين باقي أعضاء الجماعة المشرفة على دراسة المخطوطات، عندما بدأ يتحدث في جامعة مانشتر -الذي كان يعمل بها أستاذًا للدراسات السامية- عن تفاصيل اكتشاف المخطوطة النحاسية ودلالاتها، فقد وصلته رسالة من القدس تطالبه بالكف عن الحديث في هذا الموضوع.

وكان الأب دي فو -رئيس جماعة الباحثين- قد أصدر بيانًا أشار فيه إلى أن قصة الكنز هذه ما هي إلا رواية من صنع الخيال، لأن هذه الكمية من المعادن الثمينة كانت تعتبر ثروة هائلة ليس من الممكن لجماعة فقير مثل جماعة قمران امتلاكها، واتفق الأب ميليك مع الأب دي فو على أن قصة الكنز ما هي إلا رواية رمزية.

إلا أن اليجرو أصر على القول بأن الكنز الذي تتحدث عنه المخطوطة النحاسية؛ إنما هو كنز حقيقي ما زال مختفيًا، وأنه لا يخص جماعة قمران الفقراء، ولكنه يخص كهنة معبد القدس، وقد أخفوه قبل محاصرة الرومان للمدينة وتحطيمهم للمعبد[19].

وكان جون الليجرو العلماني الوحيد في اللجنة الدولية بحكم منصبه في متحف روكفلر، وأول من فضح عملية التباطؤ في النشر، وقال معلقًا عليها: "إن حوليات المخطوطات تكشف عن صلب وبعث مسيحهم"! وكانت مجرد هذه الجملة كافية لتؤكد تأثر أو نقل الأناجيل المعتمدة من تراث القمرانيين[20].

كما أنه كان أول من تخطى الحظر الذي كان يفرضه الكاثوليك -وعلى رأسهم الأب دو فو- على نشر المخطوطات، فبادر بنشر ترجمة كل ما أسند إليه من مخطوطات، وعلق عليها خارجًا بنتيجة أن عيسى لم يوجد مطلقًا بالصورة التي تقدمه بها الكنيسة.

وما هي إلا أيام حتى حث الأب دو فو ثلاثة من أتباعه للكتابة ضد الليجرو، ونشروا في الصحف أبحاثًا تعد بمثابة هدم لكيانه ومكانته العلمية. فاضطر إلى الاستقالة، وبهذا تم استبعاده من الجامعة، ومنع من الأحاديث الإذاعية والتلفزيونية، وانعزل، إلا أنه قبل وفاته أصدر كتابًا يوضح فيه "أن المسيحية الحالية لا سند تاريخي لها، وأنها نتيجة هلوسة"[21].

(هـ) **هيئة الآثار الإسرائيلية تتنازع مع إكول بيبليك الفرنسية الكاثوليكية، ثم تسيطر على المخطوطات**

لاشك أن طبيعة التركيبة الأولى للجماعة المشرفة على إعداد المخطوطات قد ساعدت على حدوث هذه التطورات السلبية، فبينما سيطرت جماعة المدرسة الكتابية والأثرية الفرنسية بالقدس[22] على أعمال اللجنة، استبعدت جماعات لها مصلحة واضحة، فلم تضم اللجنة أيًا من الباحثين غير الكاثوليك، ونشب الصراع خفيًا بين لجنة المخطوطات وبين سلطات الآثار الإسرائيلية منذ اليوم الأول لسقوط متحف القدس تحت سلطة الاحتلال الإسرائيلي في يونيو عام 1967م.

ولم يكن الأب دو فو يرغب في التعامل مع الحكومة الإسرائيلية، وظل حتى وفاته عام 1971م يعلن كرهه لها.

---

17 يرى الأستاذ أحمد عثمان: أن الإسرائيليين أقنعوه بألا يتكلم عن المخطوطات نهائيًا، بعد أن ترك الرهبنة الكاثوليكية وتزوج، وعاش في فرنسا. [مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 113، النصوص الكاملة مخطوطات البحر الميت ص: 33].

18 Ecole Biblique et Archéologique Française de Jérusalem.

19 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان- لغز الكنز المفقود ص: 73 إلى 77.

20 المساومة الكبرى ص: 249.

21 المساومة الكبرى ص: 250 و257.

22 Ecole Biblique et Archéologique Française de Jérusalem.

وخلال هذا الوقت كان إيقاع نشر المخطوطات قد تباطأ[23].

إلا أن الأمور استمرت على ما هي عليه لأكثر من عشرين عامًا بعد ذلك، حتى انفجر الصراع علنيًا، الذي أدى -في النهاية- إلى التخلص من السيطرة الكاثوليكية وسيطرة سلطات الآثار الإسرائيلية على التصرف في المخطوطات عام 1991م[24].

ثم قام أمير دروري مدير هيئة الآثار الإسرائيلية عام 1990م بتعيين إيمانيويل توف -الأستاذ بالجامعة العبرية بالقدس- مديرًا للجنة المخطوطات إلى جانب استروجنيل المدير الأصلي لها.

وغالبًا استاء استروجنيل من هذا التصرف.

ولهذا السبب أو لغيره صرح استروجنيل في حديث مع صحفي إسرائيلي اسمه (أفي كاتسمان) نشر في جريدة (ها آريتس) بأن الديانة اليهودية مرعبة، وأنها ليست إلا هرطقة للديانة الصحيحة، التي هي المسيحية، وأن دولة إسرائيل قائمة على أكذوبة كبرى. واعتبرت السلطات الإسرائيلية الحديث معاديًا للسامية.

وكل ما يعرف بعده أنه كان آخر حديث صحفي لاستروجنيل، اختفى بعده من القدس، وظهر في مستشفى في هارفارد، ومنع من لقاء الناس، وقيل إن أحد أبنائه حصل على تقرير طبي بأن أباه يعاني من مرض نفسي خطير، استطاع بواسطته الحصول على أمر قضائي بفرض العلاج القسري على والده، كما قامت جامعة أكسفورد -في نفس الوقت- بطرد استروجنيل من عمله كأستاذ بها.

وقام أمير دروري باستصدار قرار بطرد استروجنيل من اللجنة بزعم تدهور حالته الصحية والعقلية بسبب إفراطه في تعاطي الكحول، وتثبيت إيمانيويل توف مديرًا لها في عام 1991م. ثم أضافت السلطات الإسرائيلية عددًا آخر من الباحثين للجنة، حتى صار عددهم خمسين، أغلبهم من الإسرائيليين[25].

***

(3) **موجز مراحل نشر المخطوطات**

(أ) تمت ترجمة ونشر المخطوطات السبع التي عثر عليها -بداية- في الكهف رقم (1) في الخمسينيات بعد مدة قصيرة من العثور عليها، وبحلول عام 1956 -وكانت المخطوطات لا تزال تحت سيطرة سلطات الآثار الأردنية- كانت جميع النصوص التي عثر عليها في كهف قمران رقم (1) قد تمت ترجمتها ونشرها. كما تمت ترجمة ونشر المخطوطات التي عثر عليها في الكهوف رقم (2) و(3) و(5) و(10) في عامي 1961 و1962م، والتي تعتبر قليلة الأهمية في محتواها، كما نشرت محتويات الكهف رقم (11)[26] في السبعينيات.

(ب) إلا أن المشكلة الحقيقية تتعلق بمحتويات الكهف رقم (4) حيث عثر به على عشرات الآلاف من القصاصات الصغيرة[27].

وفي مارس عام 1952 قام البريطاني لانكستر هاردنج -وكان يشغل منصب مدير هيئة الأثار الأردنية- بتعيين الأب دي فو -الكاثوليكي الفرنسي الذي كان مديرًا للمدرسة الكتابية والأثرية الفرنسية بالقدس[28]- رئيسًا للجنة المسئولة عن إعداد قصاصات الكهف رقم (4) ونشرها، وتم اختيار ثمانية من المختصين العالميين المتخصصين في الدراسات السامية للمشاركة في اللجنة.

وواجه أعضاء اللجنة مهمة عسيرة في محاولتهم ترتيب عشرات الآلاف من القصاصات الصغيرة من الجلد أو أوراق البردي، ثم تجميع هذه القصاصات على أساس التشابه في نوع الخط أو موضوع الكتابة، والتعرف على مكان كل منها في المخطوطة

23 التوراة- كتابات ما بين العهدين- مخطوطات قمران- البحر الميت- 1- الكتب الأسينية ص: 29.

24 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 93 و94.

25 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 99 و100، المساومة الكبرى ص: 259.

26 وهو الكهف الذي زعم إيجال يادين أن مخطوطة الهيكل كانت به، كما سيأتي إن شاء الله.

27 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 95.

28 Ecole Biblique et Archéologique Française de Jérusalem.

بشكلها الأول قبل تمزقها، ولم تكن هذه هي المهمة الوحيدة التي كان عليهم القيام بها، إذ أن معظم هذه القصاصات كانت متسخة ومنطوية، فكان عليهم أولًا تنظيفها بعناية، حتى لا تتأثر الكتابة، ثم حفظها بين سطحين من الزجاج الشفاف لتسويتها وحمايتها.

وتمكن الباحثون من تقسيم آلاف القصاصات إلى ما يزيد على خمسمائة قسم، كل منها يمثل مخطوطة أصلية!

إلا أنه منذ سقوط القدس في يد الإسرائيليين وسيطرتهم على المتحف الفلسطيني لم يتم نشر إلا عدد قليل من المخطوطات التي تم تجميعها من الكهف الرابع[29].

(ج) **نشر المخطوطات بعد عام 1967م**

كما ذكرت من قبل، فما عدا مخطوطة الهيكل تم إسدال الستار تقريبًا على نشر المخطوطات القمرانية، حتى نوفمبر 2001م حين أُعْلِنَ عن نشر كل المخطوطات، وبين التاريخين (1967- 2001م) حدثت أحداث كثيرة وصراعات خفية وظاهرة حول المخطوطات، سأحاول أن أوجزها في النبذة التالية:

- **نبذة عن مخطوطه المعبد أو الهيكل**

رغم عدم نشر السلطات الإسرائيلية لأية مخطوطات منذ استيلائها على القدس عام 1967م، إلا أن إيجال يادين -الذي كان قد خلف أباه سوكينوك كأستاذ للحفريات في الجامعة العبرية- أعلن في ديسمبر عام 1967م أنه عثر على (مخطوطة المعبد)، والتي كان مصدرها كهف قمران رقم (11)، وبعد عشر سنوات ضمها عام 1977م إلى مخطوطات قمران، ونشرها للمرة الأولى.

وكل المعلومات عن هذا الاكتشاف جاءت عن طريق إيجال يادين، فقد كتب في ديسمبر 1967م في النشرة الأمريكية "بيبليكال أركيولوجيت":

"لا يمكنني في هذه المرحلة الكشف عن الطريقة التي وصلت بها هذه المخطوطة إلى أيدينا".

وفي مقابلة مع ديفيد براي جونز في أوائل عام 1968م ذكر إيجال يادين: إنه كان يعلم بوجود مخطوطات أخرى من منطقة قمران في أيدي البدو، وبأن (كاندو: خليل إسكندر شاهين)، التاجر الذي كان مشتركًا في الاكتشاف الأصلي يعرف مكانها، ولذلك أرسل يادين أعضاء آخرين من الجامعة العبرية، ومعهم ثلاثة ضباط إلى منزل كاندو في بيت لحم، وأخذوه تحت الحراسة إلى تل أبيب، وعندما ظهر بعد خمسة أيام من الاستجواب اصطحب الضباط إلى منزله وأحضر مخطوطة كانت مخبأة هناك لمدة ستة أعوام، وتبين أنها مخطوطة المعبد الشديدة الأهمية، والتي تم نشرها لأول مرة عام 1977م.

وهذه الوثيقة تعد أطول من أي من المخطوطات التي عثر عليها في كهوف قمران، إذ يبلغ طولها أكثر من تسعة أمتار[30].

ونقل الدكتور عبد الرزاق الحباشنة عن العالم البريطاني جيزا فيرمز من كتابه

(The Dead Sea Scrolls in English, p: 128):

"بداية المخطوطة مشوه بطريقة سيئة . وعمود رقم 1 مفقود . والأعمدة من 3-12 مقطعة قطعاً صغيرة وهي فقط إعادة تجميع افتراضي وليس مؤكداً"[31].

---

29 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 96 و97.

30 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 84 إلى 86.

31 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ص: 26.

والنص الأصلي الذي ترجمه الدكتور الحباشنة هو:

“The beginning of manuscript is badly mutilated. Column 1 is missing. Columns 3-12 are so fragmented that only a very hypothetical reconstruction”.

وفي ترجمة الدكتور سهيل زكار لكتاب جيزا فرمز:

"ولحق التشويه أوائل المخطوط بشكل كبير، ثم إن العمود الأول مفقود، كما أن العمودين 3 و12 مفتتان كثيرًا، وإعادة تركيبها فرضية إلى حد كبير". [النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت ص: 299].

والصواب هو: "والأعمدة من 3-12"، كما ترجمها الدكتور الحباشنة.

وتتضمن نصًا عبريًا يرجع أصله إلى ثلاثة قرون قبل الميلاد، وإن كان قد أعيد نسخه عند بداية العصر الميلادي، وهو ينقسم إلى أربعة أقسام:

[1] قواعد الطهارة والنجاسة

[2] طريقة الاحتفال بالأعياد

[3] بناية معبد القدس

[4] سلوك الملك الإسرائيلي وجيشه.

وتتعلق معظم الكتابة الموجودة على هذه المخطوطة بشئون معبد القدس، من ناحية البناء والمفروشات، وكذلك طريقة القيام بالطقوس التعبدية، وهناك فقرة تتعلق بطريقة عقاب من يخون الأمة اليهودية عن طريق تعليقه على شجرة:

"إذا افترى رجل على قومه وسلمهم إلى أمة أجنبية مسيئًا إلى قومه، فلسوف تعلقونه على شجرة (حتى) يموت".

الشكوك حول وثيقة المعبد:

[1] ويشكك الباحث أحمد عثمان في قصة إيجال يادين وملخص أسباب تشكيكه هي:

[أ] أن ما ورد في مخطوطة المعبد ليس فقط لا يعبر عن اعتقادات القمرانيين، بل إنه يتعارض معها.

فقد كان القمرانيون يقاطعون طقوس العبادة في معبد القدس، وكانت لهم في عباداتهم طرق ومواعيد مختلفة، بينتها وثائقهم مثل: مخطوطة دمشق وحرب أبناء النور والظلام.

بينما مخطوطة المعبد تذكر تفاصيل العبادات والطقوس التي يقيمها الكهنة في المواعيد التي حددوها.

[ب] اتبع القمرانيون تقويمًا شمسيًا قائمًا على أساس التقويم المصري القديم، بينما كان الكهنة في معبد القدس يتبعون تقويمًا قمريًا مشتقًا من التقويم البابلي.

وكانوا يعتبرون كهنة الهيكل من أتباع الشيطان (بليعال)، ويصرون على أن الكهنة اليهود قد زوروا في مواعيد الاحتفالات الدينية ودلالاتها، فهم كانوا يتبعون التقويم الشمسي، ويحددون المواعيد حسبه، بينما كان الكهنة يتبعون التقويم القمري مع بعض التعديلات، فكانت مواعيد احتفالاتهم تقع في أوقات مختلفة عما ذكره موسى في التوراة، حيث اتبع موسى التقويم المصري.

وهناك احتفال له أهمية خاصة بالنسبة لجماعة قمران، فهم كانوا يقولون: إن (الكاهن الشرير) قد هجم على (المعلم الصادق) في (يوم كيبور) أي (يوم الغفران)، وقد تم هذا حسب زعمهم في يوم جمعة، وكان أتباع جماعة قمران يقيمون احتفالًا في هذا اليوم، وكان هذا التاريخ يوافق احتفال الكهنة بعيد الخروج من مصر، ولذا اعتبروا الكهنةَ قد غيروا موعد عيد الغفران.

[ج] لم تكن مخطوطة المعبد من بين المخطوطات التي عثر عليها بدو قبيلة التعامرة، ولا كانت من بين ما عثرت عليه بعثة الآثار الأردنية، وإنما ظهرت لأول مرة في حوزة الجنرال الإسرائيلي إيجال إيادين، وهو الذي وضعها ضمن مكتبة قمران بعد سقوط القدس عام 1967م.

[د] لم تظهر مخطوطة المعبد إلا بعد انتهاء حرب يونيو 1967م، ووقوع متحف فلسطين بالقدس الشرقية تحت السيطرة الإسرائيلية، وكان العمل الأثري قد انتهى وتوقف العثور على مخطوطات جديدة في منطقة قمران منذ عام 1956م، الذي جرى خلاله آخر موسم للبحث الأثري في خربة قمران.

وكان البحث قد امتد جنوبًا، ليشمل المنطقة الواقعة بين قمران وعين فشخة على ساحل البحر الميت حوالي ثلاثة كيلومترات جنوبًا، إلا أنه لم يتم العثور على مخطوطات.

ومع هذا فقد بدأت السلطات الإسرائيلية بأعمال كشف أثري في المنطقة الواقعة تحت سيطرتها بجنوب البحر الميت، واستمر الإسرائيليون في البحث الأثري، خاصة في المنطقة التي تعرف باسم ماسادا، وهناك عثر الإسرائيليون على العديد من البقايا الأثرية والمخطوطات.

[هـ] أن إيجال يادين قد جرب عليه الكذب، فهو قد ادعى أن مدينة حازورة القديمة، قد دمرتها النيران، حتى يثبت صحة قصة التوراة في استيلاء بني إسرائيل على أرض كنعان خلال القرن 13 ق. م. ثم تبين أن كل آثار النيران التي عثر عليها يادين كانت عبارة عن رماد مذبح المعبد.

ويرجح الباحث أحمد عثمان أن إيجال يادين -الذي أشرف بنفسه على البحث الأثري في ماسادا- قد عثر على مخطوطة المعبد هناك، لأن جماعة الماسادا كانوا من اليهود الأصوليين الذين يدافعون عن المعبد وطقوسه.

ولما سقطت القدس في يد الرومان عام 70م، احتمت جماعة من المتطرفين اليهود بقلعة ماسادا، وظلوا هناك أربع سنوات،فأرسل لهم الرومان فرقة حاصرتهم، فلما يئسوا من النجاة قتل معظمهم بعضهم بعضًا. فمن الطبيعي أن تكون مخطوطة المعبد قد أتت من هناك.

وبينما تهاجم كتابات القمرانيين قيادة الكهنة والدولة اليهودية التي قضى عليها الرومان، فإن كتابات الماسادا تعبر عن الكفاح والتضحية بالنفس من أجل الدفاع عن الكهنة ومعبدهم.

ويرى الباحث أحمد عثمان أن إيجال يادين وغيره من اليهود الذين قاتلوا في الحروب الإسرائيلية يبحثون عن مبررات تدعم دعواهم في الحق التاريخي في فلسطين، التي جاءوا إليها من شرق أوروبا[32].

[2] ويشير الدكتور عبد الرزاق الحباشنة لأمرين يبعثان على الشك في تلك الوثيقة، بل وفي سائر مخطوطات قمران:

[أ] الأول: هو الحالة البالية التي وجدت عليها مقدمتها وغياب أجزاء منها.

[ب] احتواؤها على نصوص تبيح لليهود التسلط على الآخرين واستعبادهم مثل:

"وعندما تأتي إلى مدينة لتحاربها، أولاً اعرض عليها السلام. فإذا طلبت السلام وفتحت أبوابها لكم، فجميع الشعب فيها عمال لكم وسوف يخدمونكم، وإذا لم تعمل سلامًا معكم، حاربوها، وحاصروها وسوف أجعلها في أيديكم".

ثم علق الدكتور عبد الرزاق الحباشنة على ذلك:

"ومن هنا يظهر جلياً مدى التزييف والتحريف في تلك اللفائف البالية والتي يصعب على المرء استخراج جملة مفيدة منها، وكل ذلك من أجل خدمة الحركة الصهيونية في تبرير احتلالها لأرض فلسطين، وهذا هو السر الذي يكمن وراء الاهتمام العالمي المدعوم من يهود بما يسمى بلفائف قمران أو لفائف البحر الميت"[33].

وأذاع جون الليجرو أخبارًا تفيد بأن الجماعة الكاثوليكية -المسيطرة على لجنة المخطوطات- تتعمد إخفاء ما تتضمنته بعض النصوص نظرًا لمخالفتها لتعاليم الكنيسة[34].

وبمرور الزمان اخترمت المنية عددًا من أعضاء اللجنة إلى أن تولى رئاستها جون استروجنيل عام 1978م، وتبين أنه تحول من مذهبه البروتستانتي للمذهب الكاثوليكي قبل توليه رئاسة اللجنة!

ولم يكتف استروجنيل بضم عدد جديد للجنة كلما توفي أحدهم كالعادة، بل خالف هذه العادة، فضم للجنة عددًا من الباحثين اليهود، حتى صار عدد أعضائها عشرين.

إلا أن هذا لم يكن كافيًا في نظر هيئة الآثار الإسرائيلية.

ولا يمكن الفصل بين عدم رضا هيئة الآثار الإسرائيلية وبين ما حدث لاستروجنيل بعد ذلك[35].

---

32 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان- مخطوطة المعبد ص: 84 إلى 90. راجع أيضًا للخلاف حول التقويم وتواريخ الأعياد والطقوس:
Encyclopædia Britannica, Dead Sea Scrolls, The scrolls in context.

33 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ص: 26 و27.

34 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 97.

35 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 98.

فقد بدأت حملة منظمة من الدعاية والإعلام تزعمها ثلاثة من الباحثين اليهود هم: روبرت أيزنمان -أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة كاليفورنيا- وجيزا فيرميز -أستاذ دراسات العهد القديم بجامعة أكسفورد- وهيرشل شانكس -رئيس تحرير بيبليكال أركيولوجي بواشنطن- تتهم استروجنيل بالتآمر لإخفاء أسرار المخطوطات، وتطالب بالسماح للجميع بالاطلاع عليها[36]، إلى أن انتهى استروجنيل محجورًا عليه في مستشفى، كما ذكرت آنفًا.

وكانت الشكوك قد صارت مشروعة بأن هناك يد تمنع النشر، بل وتحرض عليه[37].

- وفي محاولة من السلطات الإسرائيلية لإسكات الأصوات التي ارتفعت في العالم كله -وكانت أقواها أصوات الباحثين اليهود أنفسهم- عمدت إلى القيام بتمثيلية مرسومة للتخلص من هذا الإلحاح، فقد أرسلت سلطات الآثار الإسرائيلية صورًا فوتوغرافية، زعمت أنها تمثل كل المخطوطات الموجودة في متحف روكفلر بالقدس، إلى جامعة أكسفور البريطانية وإلى إحدى الجامعات الأمريكية.

وفي سبتمبر عام 1991م أعلنت مكتبة هانتينجتون بسان مارينو بكاليفورنيا بأن لديها صورًا فوتوغرافيه لجميع مخطوطات قمران، وأنها سوف تسمح لكل من يرغب من الباحثين بالاطلاع عليها، وقالت جامعة أكسفورد نفس الشيء، ولا يُدرى كيف ولا متى حصلت هذه الهيئات على هذه الصور، وكل ما أذيع أن السلطات الإسرائيلية كانت قد أرسلت هذه النسخ المصورة لحفظها مع عدم السماح بالاطلاع عليها إلا بتصريح منها.

وقام أيزنمان في الولايات المتحدة بنشر ترجمة هذه الصور، كما قام فيرميز في بريطانيا بنشر الصور، وأعلن الجميع أن المشكلة قد انتهت، وأن كل المخطوطات قد تم نشرها.

وبعد تمثيلية غير محبوكة تظاهرت فيها السلطات الإسرائيلية بعدم موافقتها على النشر وعزمها اللجوء للقضاء لإيقافه، سرعان ما أعلنت عدم اعتراضها على هذا النشر.

والغريب أن نفس الأصوات التي كانت تطالب بالسماح للباحثين بالاطلاع على المخطوطات المحفوظة بمتحف روكفلر بالقدس، هي التي أعلنت رضاها على ما تم، والاكتفاء بما نشرته مكتبة هانتينجتون وجامعة أكسفورد.

ومن العجيب أن تتكتم مكتبات مشهورة على وثائق شديدة الأهمية كل هذه المدة!!!

وكان الهدف من هذه التمثيلية هو الإيحاء بأن كل نصوص المخطوطات قد تمت ترجمتها ونشرها، ولم يعد هناك مبرر لمطالبة السلطات الإسرائيلية بالكشف عما في حوزتها من كتابات[38].

***

(4) **هل نشرت كل المخطوطات؟**

من المؤكد أن هناك بعض النصوص وبعض القصاصات التي لم تترجم بعد، والتي يراد لها الاختفاء تمامًا في ذاكرة النسيان، إلا أن الجزء الذي كان قد نشر في البداية، يكفي كي يبين لنا طبيعة الأسرار التي يحرص البعض على عدم الكشف عنها[39].

ففي عام 1991م ظهر في لندن كتاب بعنوان (خداع مخطوطات البحر الميت) للكاتبين مايكل بيجنت وريتشارد لي، اتهما فيه الفاتيكان صراحة بالتدخل في ترجمة ونشر مخطوطات قمران، ومحاولة إخفاء معلومات وردت بها مخالِفةٍ للتعاليم الكاثوليكية، واعتمد المؤلفان في أدلتهما على التأخير الذي زاد على أربعين عامًا في نشر مخطوطات كهف قمران رقم (4)، فمن بين

---

36 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 99.

37 التوراة- كتابات ما بين العهدين- مخطوطات قمران- البحر الميت- 1- الكتب الأسينية ص: 30.

38 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 99 إلى 101.

39 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 8 إلى 10.

خمسمائة نص عثر عليها في هذا الكهف لم ينشر إلا حوالي المائة. كما أن أعضاء لجنة المخطوطات لم يسمحوا لأحد بالاطلاع على ما تحت أيديهم منها.

وقال المؤلفان: إن -الإيكول بيبليك المسيطرة على أعمال اللجنة- تخضع في عملها لبابا الفاتيكان مباشرة، وإن هذا الولاء يهدد بضياع أي نص قد يتعارض صراحة مع مصلحة الفاتيكان[40].

فمن المعلوم أن المدرسة الكتابية والأثرية بالقدس تتبع للفاتيكان ولجانه المتخصصة، التي تحظر نشر كل ما يتعارض مع الخط الرسمي، الذي تفرضه[41].

ثم بدأت حملة إعلامية كبيرة في أواخر عام 1990م وأوائل 1991 خاصة في الصحف الأمريكية مثل النيويورك تايمز والواشنطن بوست، تهاجم مجموعة الباحثين المسئولة عن ترجمة ونشر المخطوطات، وتتهمهم بالاشتراك في مؤامرة يحيكها الفاتيكان لمنع نشر بعض ما ورد بنصوص قمران.

كما انتشرت عدة شائعات بوجود مؤامرة لإخفاء بعض محتويات مخطوطات قمران، لأن محتوياتها سيكون لها تأثير سلبي على بعض المعتقدات اليهودية والمسيحية.

ولم تكن لجنة المخطوطات تضم بين أعضائها أيًا من اليهود أو المسلمين أو المسيحيين التابعين للكنائس الشرقية.

ولا زالت أسئلة عديدة تحوم حول الأمر:

فما الدليل على أن ما نشر جاء من مكتبة قمران[42]؟

وما هو الدليل على أن ما نشر هو كل الموجود بالمتحف؟

وتنقل الدكتورة زينب عبد العزيز عن كتاب (الكتاب المقدس المصادر ص: 25):

"فهناك سبع مخطوطات كاملة قد تسللت إلى القطاع العام، إضافة إلى أجزاء متعددة من حوالي 21 مخطوطة أخرى لا يعرف عنها شيئًا"[43].

كما نقلت أيضًا عن هرشل شانكس (Hershel Shanks) من نهاية المقدمة التي وضعها للكتاب الجماعي الذي أشرف عليه، وهو بعنوان (مغامرة مخطوطات البحر الميت): أنه يؤكد وجود مخطوطات أخرى مخفية، وأن آخر مدير بريطاني لقسم الآثار بمتحف الأردن، لانكستر هاردنج (Lancaster Hurding) هو الذي أبلغ العالم شتراجنل (Strugnell) بذلك وهو على فراش الموت، وأن أحد البنوك بالأردن هو الذي يمتلكها، ويحافظ عليها بأكبر عناية فائقة، إذا أنها تمثل مجال استثمار أعلى بكثير من البورصة الإسرائيلية أو بورصة نيويورك[44].

كما نقلت الدكتورة زينب عبد العزيز عن الصحفيين مايكل بيجنت وريتشارد لي أن: "الأب دي فو وفريق العمل الخاضع له قد استبعدوا ودمروا بعض المخطوطات المورطة للكنيسة[45].

أما الأب موريس بابيه[46] (Maurice Baillet) فقد نقلت عنه الدكتورة زينب عبد العزيز عن كتاب (اكتشافات في الصحراء اليهودية) -وهو الكتاب الجماعي الصادر بمناسبة مرور خمسين عامًا على تلك الاكتشافات- قوله:

---

40 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 96.

41 المساومة الكبرى ص: 239.

42 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 101.

43 المساومة الكبرى ص: 241.

44 المساومة االكبرى ص: 243.

45 المساومة الكبرى ص: 260.

46 التحق عام 1958م باللجنة المشرفة على إعداد ونشر وثائق قمران برئاسة الأب دي فو. [مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 96]..

"من قبل الحرب (1967) تصور بعض "المتخصصين" الإنجليز والأمريكان أنه يمكنهم عمل مونتاج نهائي لبعض المخطوطات، لكنهم في الواقع قد أفسدوها. وبالنسبة لبعض الأجزاء الأخرى الكبيرة، فقد كانت الأمور أكثر بساطة: فبعد رحلة رسمية طويلة عبر العالم، لم تعد أبدًا هذه المخطوطات إلى موقعها، ولا يعلم أحد أين هي حتى يومنا هذا"[47].

فحتى الآن لم يصدر من اللجنة المكلفة رسميًا بإعداد المخطوطات للنشر بيانًا بمجمل محتويات الكهف رقم (4)، ولا أية تفاصيل تؤكد أو تنفي صحة ما تم نشره في بريطانيا والولايات المتحدة[48].[49].

***

47 المساومة االكبرى ص: 243.

48 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 102.

49 لمزيد من التفاصيل حول الشكوك حول وثائق قمران راجع: مخطوطات البحر الميت تأليف: أحمد عثمان، مكتبة الشروق، ص: 93 إلى 102، التوراة- كتابات ما بين العهدين- مخطوطات قمران- البحر الميت- 1- الكتب الأسينية ص: 29 إلى 33، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس ص: 274 و275.

و- أهم ما يستخلص من وثائق قمران

ألخص أهم ما يستخلص من وثائق قمران تحت العناوين التالية:

(1) تحريف كتب اليهود والنصارى

(2) حجية وثائق قمران وخاصة في صورتها الحالية

(3) التشابه والاختلاف بين عقائد وثائق قمران والمسيحية

(4) الصراع اليهودي المسيحي على اللفائف

(5) أوجه تشابه نصوص قمران مع القرآن الكريم والسنة المطهرة

***

(1) تحريف كتب اليهود والنصارى

أظهرت مخطوطات قمران التحريف المتفشي في أسفار اليهود والنصارى، حتى بين أسفار القمرانيين أنفسهم.

فعن ذلك كتب ناحوم سارنا[1] أن لفائف المزامير الكثيرة تخالف النص العبري المستلم في الترتيب والمحتوى. وأن لفافة المزامير لو كانت قانونية وليست طقسية، فهذا يدل على أن القمرانيين كان لهم قانون مخالف[2].

وأهمية الكتب التي عثر عليها في قمران أنها ترجع -على الأقل- إلى القرن الثاني قبل الميلاد، أي تقريبًا في الوقت الذي تمت فيه الترجمة السبعينية للتوراة، قبل أن يقرر أحبار اليهود اختيار الكتب التي تدخل القانون وإعدام ما سواها[3].

وكتب فيليب أر دافيس[4] في الموسوعة البريطانية عن مخطوطات قمران:

"وفوق كل ما عداه، فإن محتويات المخطوطات تظهر المرونة البالغة والتنوع اليهودي في الفكر والممارسة، وتمحو أي انطباع عن "اليهودية" الموحدة في ذاك الوقت. وتظهر أن فكرة العبادة المقدسة والقربان يمكن أن تُتصور بدون الهيكل، لأنه كانت هناك تقاويم طقسية مختلفة (تستلزم أوقاتًا مختلفة للاحتفالات والشعائر الكهنوتية المختلفة في الهيكل) وجدت في نفس الوقت".

وأضاف أنها أيضًا أبانت عن:

"الضرورة الحتمية للطاعة المطلقة لقانون موسى (كيفما فُسِر)"[5].

وهنا تتناقض المخطوطات القمرانية مع مزاعم بولس في هدم الناموس.

ونقل الأستاذ سامي عامري عن القس الدكتور تشارلس فرنسيس بوتر في كتابه" السنون المفقودة من عيسى تكشف" (تعريب ع. ع. راضي) ص 12:

"من العسير العثور على كتاب في العهد القديم لا يحتاج إلى تصحيحات تحت ضوء مخطوطات البحر الميّت".

ثم علق الأستاذ سامي عامري كاتبًا:

"الهوامش الكثيرة في الترجمة الانجليزية لمخطوطات البحر الميت حيث تذكر الاختلافات بين تلك المخطوطات وبين الترجمة السبعينية والنص الماسوري، تؤكد ما قرره الدكتور بوتر.

وهذه الحقيقة تكشف ثبوت التحريف الفاحش في أسفار التوراة، وتضبط أحد أزمانه: من ما قبل ولادة المسيح إلى القرن الرابع زمن ظهور أقدم المخطوطات المعتمدة لإعداد التراجم الحديثة للكتاب المقدس.

....

---

1 الأستاذ الأسبق للدراسات التوراتية في جامعة برانديز الأمريكية.

2 Encyclopædia Britannica, biblical literature, Old Testament canon, texts, and versions, The canon, The divisions of the TaNaKh, The canon at Qumrān.

والنص الأصلي هو:

“Still, the great Psalms scroll departs from the received Hebrew text in both sequence and contents. If the Psalms scroll were a canonical Psalter and not a liturgy, then evidence would indeed be forthcoming for the existence of a rival canon at Qumrān”.

3 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 34.

4 أستاذ الدراسات الكتابية في جامعة شيفلد بالمملكة المتحدة.

5 Encyclopædia Britannica, Dead Sea Scrolls, The scrolls in context.

والنص الأصلي هو:

“Above all else, the contents of the scrolls show the remarkable flexibility and variety of Jewish thought and practice and demolish any notion of a uniform “Judaism” at that time. They show that the notion of cultic holiness and sacrifice could be contemplated without the Temple, that different liturgical calendars (implying different times for festivals and different priestly rituals at the Temple) existed at the same time”.

“and the absolute necessity of complete obedience to the Law of Moses (however interpreted)”.

شهادة أقدم المخطوطات:

تعتبر مخطوطات البحر الميّت (القمرانية) أقدم مخطوطات متاحة لأسفار العهد القديم إذ تعود إلى قرن أو قرنين قبل ميلاد المسيح. ورغم أنّ الذين حفظوها قد عاشوا في زمن واحد إلا أنّهم قد تركوا لنا مخطوطات متخالفة للسفر الوحد[6] في أكثر من موضع.. فبمعالجة 37 مخطوطة للمزامير و 30 مخطوطة لسفر التثنية و 21 مخطوطة لسفر إشعياء ... ظهر أنّ القمرانيين كانوا يعلمون أنّ التحريف قد لحق كتبهم، ولذلك حفظوا تلك النصوص رغم ما بينها من اختلافات لأنّهم كانوا عاجزين عن رفع الخلاف بينها ...

من أهم المخطوطات القمرانية التي يظهر الخلاف بينها، مخطوطات سفر إشعياء.. وهو ما جعل كتابة ترجمة إنجليزية قياسية لها أمرا لا يخلو من عسر (انظر =The Dead Sea Scrolls= لمارتن أبيج Martin Abegg وبيتر فلنت Flint Peter وأوجين أولرش Eugene ulrich ص ص 267- 269) !" [7].

وقد نقلت من قبل قول شراح النسخة اليسوعية عن أن مخطوطات قمران أدت لتغييرات في نص سفر إشعياء:

" بالعثور على مخطوطة قمران الرئيسية ، استعدنا أقدم مخطوط كتابي ، يسبق النص المسوري بألف سنة . إنه يختلف عن النص المسوري بعدد كبير من القراءات"[8].

ونقلت مثالًا لتحريف كل من اليهود والنصارى لنص سفر أشعياء.

ومن الأمثلة أيضًا ما ذكره الأستاذ أحمد عبد الوهاب عن نص أشعياء 49: 24:

"ولقد أكد اكتشاف وثائق البحر الميت "عام 1947" ضرورة إدخال بعض التغييرات على النسخة العبرية الحديثة كما في سفر أشعياء 49: 24 حيث تستبدل كلمة "البار" المذكورة بها إلى كلمة "الجبار" التي تتفق عليها النسخ السبعينية والسوريانية واللاتينية "وهي تقرأ في الترجمة العربية لنسخة البروتستانت هكذا:

"هل تسلب من الجبار غنيمة وهل يفلت سبي المنصور".

ويرجح أن يكون خطأ الكاتب في النسخة العبرية الحديثة بسبب تشابه كلمتي البار والجبار"[9].

وهكذا جعلوا الأخطاء وحيًا مقدسًا، يبيعونه وهمًا للبسطاء.

وقد تكرر هذا في العهد الجديد، فقد أقر به شراح اليسوعية في مدخلهم للعهد الجديد:

"يُضاف إلى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أحيانًا ، عن حسن نية، أن يصوبوا ما جاء في مثالهم وبدا لهم أنه يحتوي أخطاء واضحة أو قلة دقة في التعبير اللاهوتي. وهكذا أدخلوا في النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ. ثم يمكن أن يضاف إلى ذلك كله أن الاستعمال لكثير من الفقرات من العهد الجديد أثناء إقامة شعائر العبادة أدى أحيانًا كثيرة إلى إدخال زخارف غايتها تجميل الطقس، أو إلى التوفيق بين نصوص مختلفة ساعدت عليه التلاوة بصوتٍ عالٍ"[10].

أي أن القراء للنصوص كانوا يرفعون أصواتهم بالنص، وفي أثناء قراءتهم بصوت عال يدخلون ما يرون أنه زخارف! ويوفقون بين نصوص مختلفة، فيتوهم السامع -الذي لا يفرق بين الأصلي والمضاف- أن كل ما يسمعه هو النص الأصلي.

وصدق الله العظيم:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[11].

---

6 هكذا هي في المكتبة الشاملة، والصواب: الواحد، والله أعلم.

7 محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة ص: 121 و122.

8 النسخة اليسوعية- العهد القديم- سفر أشعيا- مدخل - سفر أشعيا في التقليد الكتابي ص: 1527.

9 النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام ص: 164.

10 الكتاب المقدس- العهد الجديد- مدخل إلى العهد الجديد ص: 12.

11 سورة آل عمران، آية: 78.

كتب الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- في تفسير هذه الآية:

كذلك من الملاحظات الهامة التي تثبت التحريف المستشري في كتب اليهود والنصارى؛ اتفاق مخطوطات قمران مع إنجيل برنابا، الذي ترفضه الكنيسة. وعن هذا كتب الأستاذ سامي عامري:

"قال الدكتور القس" تشارلز فرنسيس بوتو" في كتابه" السنون المفقودة من حياة عيسى تكشف": إنّ إنجيلا يدعى إنجيل برنابا استبعدته الكنيسة في عهدها الأول، والمخطوطات التي اكتشفت حديثا في منطقة البحر الميت جاءت مؤيدة لهذا الإنجيل..

وقد أفاض الباحث م. أ. يوسف في كتابه" مخطوطات البحر الميت وإنجيل برنابا والعهد الجديد Barnabas and the New Testament ==The Dead Sea Scrolls ,The Gospel of """"في شرح هذا الأمر، وهو أفضل كتاب إسلامي في بابه، ومن أهم ما أشار إليه هو تطابق ما جاء في إنجيل برنابا مع ما جاء في مخطوطات إنجيل برنابا[12]، وهو وجود مسيحان: أولهما عيسى عليه السلام وثانيهما سيأتي بعده (وهو محمد صلى الله عليه وسلّم)"[13].

إذن الخلاصة:

(أ) مخطوطات قمران أقدم من العهد القديم المتداول حاليًا بين اليهود والنصارى.

(ب) مخطوطات قمران تختلف فيما بينها، مما يدل على شيوع التحريف من قبل القمرانيين.

(ج) مخطوطات قمران كتبت بعد موسى بعشرة قرون، وبعد أشعياء بأكثر من أربعة قرون، فهي:

[1] ليست نسخًا أصلية،

[2] ولا سند لها.

(د) مخطوطات قمران لا تتطابق -بل تزيد وتنقص- عن أي من نسخ التوراة المتداولة بين اليهود والنصارى (السامرية، الماسورية، السبعينية). كل هذا يدل على أنه كانت هناك -على الأقل- أربع كتابات مختلفة لنفس الأسفار التي تشكل مجموعة العهد القديم[14].

(هـ) مخطوطات قمران لها قانون يختلف بالزيادة والنقصان عن الكتب القانونية (المعترف بها) لدى اليهود والنصارى، مع اختلاف الكتب القانونية فيما بينهم (السامريون، العبرانيون، الكاثوليك، الأرثوذكس، البروتستانت).

(و) هذه الأسفار التي بين أيدي اليهود والنصارى لها احتمالان:

[أ] إما أن تكون قد تم تحريفها بعد زمن مخطوطات قمران خلافًا لها، فهي أكثر تحريفًا منها.

"وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا الْفَرِيقِ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا حَوَالَي الْمَدِينَةِ وَإِنْ كَانَ التَّشْنِيعُ عَلَيْهِمْ يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَنْ كَانَ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ. وَيَرْوُونَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) أَنَّ هَذَا الْفَرِيقَ هُمُ الْيَهُودُ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ أَحَدِ زُعَمَائِهِمُ الْمُلِحِّينَ فِي عَدَاوَةِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَإِيذَائِهِ وَالْإِغْرَاءِ بِهِ، غَيَّرُوا التَّوْرَاةَ وَكَتَبُوا كِتَابًا بَدَّلُوا فِيهِ صِفَةَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَأَخَذَتْ قُرَيْظَةُ مَا كَتَبُوهُ فَخَلَطُوهُ بِالْكِتَابِ الَّذِي عِنْدَهُمْ وَجَعَلُوا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِقِرَاءَتِهِ ; يُوهِمُونَ النَّاسَ أَنَّهُ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَهَذَا الْعَمَلُ يُنْبِئُ بِفَسَادِ اعْتِقَادِهِمْ وَعَدَمِ اسْتِمْسَاكِهِمْ بِكِتَابِهِمْ. وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا الدِّينَ جِنْسِيَّةً وَصَارَ الِانْتِصَارُ لَهُ عِنْدَهُمْ عِبَارَةً عَنْ مُقَاوَمَةِ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِهِمْ وَإِنْ كَانَ أَقْرَبَ مِنْهُمْ إِلَى مَا جَاءَ فِي كِتَابِهِمْ، بَلْ إِنَّهُمْ يَخْرُجُونَ عَنْ كِتَابِهِمْ وَيُحَرِّفُونَهُ لِمُقَاوَمَةِ الْغَرِيبِ، وَيُعِدُّونَ ذَلِكَ انْتِصَارًا لَهُ،

......

أَمَّا لَيُّ اللِّسَانِ بِالْكِتَابِ فَهُوَ فَتْلُهُ لِلْكَلَامِ وَتَحْرِيفُهُ لَهُ بِصَرْفِهِ عَنْ مَعْنَاهُ إِلَى مَعْنًى آخَرَ

....

فَاللَّيُّ وَالتَّحْرِيفُ قَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْهُمْ أَحْيَانًا بِتَغْيِيرٍ فِي اللَّفْظِ وَأَحْيَانًا بِصَرْفِهِ إِلَى غَيْرِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْهُ، وَمِنْهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقَارِئُ شَيْئًا بِالْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يَقْرَأُ بِهَا الْكِتَابَ مِنْ جَرْسِ الصَّوْتِ وَطَرِيقَةِ النَّغَمِ وَإِظْهَارِ الْخُشُوعِ لِيَحْسَبَهُ السَّامِعُ مِنَ الْكِتَابِ فَيَقْبَلُهُ

....

مِثَالُ ذَلِكَ الْأَلْفَاظُ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَكَلِمَةِ ابْنِ اللهِ وَتَسْمِيَةِ اللهِ أَبًا لَهُ وَأَبًا لِلنَّاسِ فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ اسْتِعْمَالًا مَجَازِيًّا، وَلَوَاهُ بَعْضُهُمْ فَنَقَلَهُ إِلَى الْحَقِيقَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَسِيحِ وَحْدَهُ أَيْ فَهُمْ يُفَسِّرُونَ لَفْظًا بِغَيْرِ مَعْنَاهُ الْمُرَادِ فِي الْكِتَابِ يُوهِمُونَ النَّاسَ أَنَّ الْكِتَابَ جَاءَ بِذَلِكَ كَمَا قَالَ:﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ كَاذِبُونَ﴾.

أَكَّدَ الْخَبَرَ بِتَعَمُّدِهِمُ التَّحْرِيفَ وَسَجَّلَ الْكَذِبَ الصَّرِيحَ عَلَيْهِمْ ; كَأَنَّهُ يَقُولُ إِنَّهُمْ لَا يُعَرِّضُونَ وَلَا يُوَرُّونَ وَإِنَّمَا يُصَرِّحُونَ بِالْكَذِبِ تَصْرِيحًا لِفَرْطِ جَرَاءَتِهِمْ وَعَدَمِ خَوْفِهِمْ مِنَ اللهِ - تَعَالَى - لِأَنَّ الدِّينَ عِنْدَهُمْ رَسْمٌ ظَاهِرٌ وَجِنْسِيَّةٌ هِيَ مَصْدَرُ الْغُرُورِ ; إِذْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ جَمِيعُ مَا يَجْتَرِمُونَ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ، وَمِنْ سُلَالَةِ أُولَئِكَ النَّبِيِّينَ". [ج: 3 ص: 343 إلى 345].

12 لعل الصواب هو: "مع ما جاء في مخطوطات قمران".

13 محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة ص: 394 و395.

14 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 36.

[ب] وإما أن تكون كل هذه الأسفار -القمرانية وغيرها- منقولة عن نسخ مجهولة مختلفة أقدم، لا يُعلم كُتَّابها ولا نساخها، وهذا يدل على أن التحريف أقدم وأكثر انتشارًا وتجذرًا.

والحقيقة؛ إن التحريف ظاهرة قديمة جديدة متفشية مستمرة حتى اليوم، كما سيأتي إن شاء الله.

فنحن مع اليهود والنصارى في (**متاهة تحريفية**)!!!

***

(2) حجية وثائق قمران وخاصة في صورتها الحالية

تبين مما سبق أن المخطوطات السليمة في مكتشفات قمران هي إحدى عشرة مخطوطة فقط[1].

أما الباقي فمخطوطات مهترئة، وعشرات الآلاف من القطع والجذاذات.

وأن هذه الجذاذات -التي لا يُعلم عددها الحقيقي- تم تجميعها بواسطة فريق الأب دو فو الكاثوليكي، ثم بواسطة اليهود من بعدهم، وأن عدد المخطوطات التي جُمِّعت يتراوح ما بين 500 إلى 800!!! أي أن التجميع كان حيص بيص! واعتمد على رأي المحقق وهواه ومذهبه والعوامل الأخرى، التي أشرت لها من قبل. وأن هذا التجميع كان يتم كثيرًا استرشادًا بنصوص التوراة الحالية، وهذه حيدة علمية للموافقة بين هذه المخطوطات ونصوص التوراة الحالية.

بل من هذه المخطوطات ما تعذر قراءته، وعن هذه الضبابية كتب موسى ديب الخوري في مقدمته لكتاب (التوراة- كتابات ما بين العهدين- مخطوطات قمران- البحر الميت- 1- الكتب الأسينية):

"أما الأب البولوني ميليك J. T. Milik، فقد حصل بحسب تعبير الأب دو فو على الحصة الكبرى من المخطوطات غير التوراتية من المغارة VI وهي من الكتب المنحولة وكتب الملة. وقد اعترف بأنه عمل على 120 مخطوطة، ولكنه لم يكشف أبدًا عن اللائحة الكاملة لها. وكان ميليك قد حصل على المخطوطات المرقمة من 196 إلى 363، وتشتمل على نصوص مصنفة بالشكل التالي: الكتب المنحولة، مؤلفات وأجزاء تتعلق بأسفار شرعية، شرح لأسفار موسى الخمسة، مخطوطات الدستور وكتاب دمشق والتقاويم والصلوات، مؤلفات الجامعة والأمثال، أجزاء أدبية غير محددة الصفة، نصوص فلكية وزمنية، نصوص أدبية، **نصان لم يمكن فك رموزهما**. ولم ينشر من ذلك كله سوى ثماني مخطوطات من كتاب أخنوخ و22 من تفيلين Tefilin ونزوزوت neuzuzot وترجوم Targum بين عامي 1970 و1977.

أما بقية أفراد المجموعة فبعضهم توفي منذ ذلك الوقت، وآخرون فضلوا نقل المهمة إلى طلابهم.

وكان عام 1977 يصادف الذكرى الثلاثين لاكتشافات قمران، فإذا ببعض الأصوات ترتفع لتطالب بنشر النصوص معبرة عن دهشتها لتأخر ذلك. وانتقد أليغرو الوحيد الذي نشر حصته كاملة زملاءه لتأخرهم. ثم أخذ يلمح شيئاً فشيئاً إلى إمكانية تكتمهم على وثائق خطيرة تمس الإيمان"[2].

إذن هناك نصوص لم تمكن قراءتها.

وهناك من أخفى لائحة ما معه، وقد مر بنا من قبل؛ أن ميليك قد ترك الرهبنة الكاثوليكية وتزوج وعاش في فرنسا، ومر بنا رأي الباحث أحمد عثمان في أن ذلك كان ثمنًا لسكوته.

ومر بنا المصير الذي لاقاه أليجرو من الفصل من منصبه الجامعي، وعزله عن الحياة العامة!!!

ومر بنا أن استروجنيل أودع مستشفى للأمراض العقلية، وفرض عليه العلاج القسري، أي الاحتجاز في المستشفى!!!

وإذا أضفنا لذلك أن المخطوطات التوراتية ومخطوطات الأسفار المنحولة كلها لا سند لها ولا أصل.

إذن فتنحصر دلالة مخطوطات قمران في أنها:

(أ) أقدم من الأسفار التي بين أيدي اليهود والنصارى حاليًا.

(ب) وأنها لا تتطابق مع تلك النصوص بل تخالفها في مواضع كثيرة جدًا.

(ج) أنها تعرض عقيدة وشعائر طائفة يهودية معاصرة لبعثة المسيح عليه السلام، تخالف ما عليه اليهود والنصارى الحاليين.

(د) أنها تكشف عن الصراع العقدي الذي كان دائرًا بين اليهود وقت بعثة سيدنا عيسى عليه السلام.

(هـ) أنها تكشف عن عدم مصداقية أسفار النصارى حول تاريخ ووقائع بعثة سيدنا عيسى عليه السلام.

---

1 التوراة- كتابات ما بين العهدين- مخطوطات قمران- البحر الميت- 1- الكتب الأسينية ص: 47.

2 التوراة- كتابات ما بين العهدين- مخطوطات قمران- البحر الميت- 1- الكتب الأسينية ص: 30

فأسفار النصارى (الأناجيل، أعمال الرسل، الرسائل) ليس فيها أي ذكر لطائفة القمرانيين ولا الأسينيين، بل ولا للإبيونيين ولا الناصريين، أي الطوائف الموحدة والرافضة لعقائد بولس في عصر المسيح -عليه السلام- وأصحابه رضي الله عنهم.

(و) ويبقى الغموض مخيمًا حول حقيقة عدد هذه الأسفار، وما هو الأصلي منها؟ وما هو المدسوس فيها؟ وحقيقة محتواها.

***

(3) التشابه والاختلاف بين عقائد وثائق قمران والمسيحية:

طرح العديد من الباحثين آراء عديدة عن التشابه أو الاختلاف بين عقائد القمرانيين -كما أظهرتها المخطوطات- وبين النصرانية الحالية، وكثير من هذه الآراء يقوم على التخمين والافتراض، إلا أن هناك بعض المعالم الواضحة في هذا الشأن منها:

(أ) الخلاف العقدي بين القمرانيين والنصارى حول التوحيد، فبينما يتمسك القمرانيون بالتوحيد بغير إشراك كما جاء في تعاليم موسى عليه السلام، أضاف النصارى الأقانيم والتثليث للتوحيد، ثم جادلوا بأنهم ما زالو موحدين.

(ب) يصر ويؤكد القمرانيون على التمسك التام بالشريعة الموسوية، وهو الأمر الذي رفضه بولس، وسعى في التحلل منه، وهو ما انتهى له أمر النصارى كما نشاهده.

(ج) ليس لدى القمرانيين أية فكرة عن الخطيئة الأصلية والفداء التي دعا لها بولس وأتباعه.

كتب بروز ميللر معلقًا على ما ادعاه بعض الباحثين من مواضع متشابهة في رسائل بولس الموجهة لليهود مع مخطوطات القمرانيين:

"فإن كانت الرسائل تعني بأصول الطقوس في الأسفار الخمسة، فإنها تحاول أن تعطي صورة عن تضحية المسيح العظمى ، أما القمرانيون فلم يكن لديهم أي فكرة عن فداء إلهي . ولكنهم اعتبروا أنفسهم دعاة إلى عهد جديد واستخدموا فكرة التضحية والفداء بشكل مجازي أو رمزي"[1].

(د) كذلك اختلفت عقيدة القمرانيين مع عقيدة بولس حول الطريق إلى الخلاص، فالقمرانيون اعتبروا أن الطريق للخلاص هو العمل بالناموس والإيمان بمعلم الخير، أما بولس وأتباعه فاعتبروا أن الخلاص هو بالإيمان فقط.

وعن ذلك كتب بروز ميللر:

"فإن مخطوطات البحر الميت ووثيقة دمشق تتضمن المفهوم بأن الإيمان بمعلم الخير والعمل بالناموس يؤلفان معاً طريق الخلاص . أما بولس فيقول بأن طريق الخلاص هو الايمان وحده . ولم تكن الاعمال الصالحة شرطاً للخلاص"[2].

وهنا نلحظ اقترابًا أو توافقًا بين عقيدة القمرانيين، والعقيدة التي نسبت ليعقوب في الرسالة المنسوبة له.

(هـ) القمرانيون ويوحنا المعمدان عليه السلام:

[1] من الأمور المتفقة بين القمرانيين ويوحنا المعمدان عليه السلام؛ التعميد بالماء لمغفرة الخطايا حسب رواية الأناجيل، وليس باسم الآب والابن والروح القدس، وهو النص الذي ثبت تحريفه، كما سيأتي إن شاء الله.

وقد عمد يوحنا المعمدان بني إسرائيل لغفران الخطايا ، وعمد المسيحَ بنفس هذه المعمودية، كما تروي أناجيل النصارى.

وكانت جماعة القمرانيين مزدهرة على بعد أميال منه، فهل كان ليوحنا المعمدان صلة بهم؟

[2] كذلك من أوجه الشبه التبشير بالنبي أو المسيح القادم من الصحراء، فقد ورد في أناجيل النصارى عن يوحنا المعمدان عليه السلام:

متى:

"3: 1 وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية

3: 2 قائلًا: "توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السماوات.

3: 3 فان هذا هو الذي قيل عنه بإشعياء النبي القائل: صوت صارخ في البرية: أعدوا طريق الرب. اصنعوا سبله مستقيمة"[3].

وهذه البشارة اقتبسها كاتب إنجيل متى من سفر إشعياء:

"40: 3 صوت صارخ في البرية: "أعدوا طريق الرب. قوِّموا في القفر سبيلًا لإلهنا"[4].

---

1 مخطوطات البحر الميت تأليف: بروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي ص: 324، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون ص: 61.

2 مخطوطات البحر الميت تأليف: بروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي ص: 323.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 3: 1 إلى 3 ص: 211.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر إشعياء: 40: 3 ص: 470.

وبحسب ما جاء في مخطوطة الحرب فإن المعركة الفاصلة التي يشنها أبناء النور على جيش "بليعال" -أي الشيطان- من أبناء الظلام، سوف تبدأ عندما يعود المنفيون من أبناء النور من منفاهم في الصحراء[5].

وبعد انتهاء معركتهم في القدس يتوجهون إلى مصر، ليقاتلوا ملك الكيتيم، والكيتيم في مخطوطات قمران هم أبناء الظلام[6].

فمن أصحاب الصوت الصارخ في البرية؟ ومن هؤلاء القادمون من الصحراء؟ هل هم نبي الإسلام وجيوش الفتح الإسلامي؟

[3] لكن يوحنا المعمدان كان يوجه مواعظه للشعب أجمع، أما القمرانيون فكانت تعاليمهم خاصة وسرية.

[4] كذلك لم يرد دليل على أن يوحنا المعمدان -عليه السلام- كان لتلاميذه تنظيم محكم، مثل تنظيم القمرانيين.

[5] لكن قد تكون دعوة يوحنا المعمدان -عليه السلام- قد تشابهت مع طائفة القمرانيين، في كونها من الدعوات الإصلاحية التي كانت إرهاصات ببعثة سيدنا عيسى عليه السلام.

(و) المسيح ومعلم الصدق

حاول بعض الباحثين والكتاب الربط بين شخصيتي معلم الصدق وسيدنا عيسى عليه السلام، ولكنها آراء لا تستند لدليل يعتمد عليه، بالإضافة لوجود فروق جوهرية بين الاثنين:

[1] فمعلم الصدق قد قُتل على يد الكاهن الشرير، والمسلمون يعتقدون أن سيدنا عيسى -عليه السلام- لم يُقتل، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[7].

[2] ومعلم الصدق كان رجلًا مخلوقًا، ولم يكن ابن الله ولا أقنوم من ثلاثة أقانيم، كما تعتقد الكنائس البولسية.

[3] ولكن المعضلة التاريخية في أناجيل النصارى، أنها حددت موعدًا لمولد سيدنا عيسى -عليه السلام- ووفاته، تجعله معاصرًا لطائفة القمرانيين[8]، التي لم يرد لها أي ذكر في الأناجيل.

على الرغم من أن تلك الأناجيل قد ذكرت طائفتي الصدوقيين والفريسيين اليهوديتين.

كذلك لم يرد في مخطوطات قمران أي ذكر للمسيح -عليه السلام- ولا لمذبحة الأطفال التي نسبها كاتب إنجيل متى لهيرودس[9].

فهل قصة الأناجيل عن سيدنا عيسى -عليه السلام- تتناقض مع التاريخ؟

أم هل تعمد كُتَّاب الأناجيل تجاهل الطوائف الموحدة المعاصرة لسيدنا عيسى عليه السلام (الإبيونيين، الأسينيين، الناصريين، القمرانيين)؟.

أم هل حُذف ذكرهم من أسفار النصارى؟

أسئلة تحتاج إجابات من النصارى.

[4] كذلك من الأمور الهامة في هذا الصدد أن القمرانيين كانوا ينتظرون مسيحَين اثنين، وكانوا ينتظرون نبيًا[10]. وهذا يفسره ظهور عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

[5] كذلك من الفروق بين الشخصيتين؛ أن معلم الحق لم تنسب له أية معجزات[11]، بينما أجرى الله -سبحانه- على يد عيسى -عليه السلام- معجزات كثيرة.

---

5 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 61.

6 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 61.

7 سورة النساء، آية: 157.

8 راجع لتفصيل ذلك: مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 48.

9 متى: 2: 16.

10 مخطوطات البحر الميت تأليف: بروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي فقرة: 300 ص: 317.

11 مخطوطات البحر الميت تأليف: بروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي فقرة: 306 ص: 322.

[6] كذلك ذكر الدكتور حسن ظاظا الفارق اللغوي؛ فالقمرانيون كانوا متمسكين بالعبرية إلى حد التعصب، بينما سيدنا عيسى - عليه السلام- كان غالب كلامه بالآرامية، ولم يكن يستعمل العبرية إلا في محاورات الكتبة والفريسيين على حسب روايات الأناجيل[12].

***

12 الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص: 282.

(4) الصراع اليهودي المسيحي على اللفائف[1]

لقد اهتم اليهود بهذه اللفائف اهتمامًا كبيرًا، وهم الذين كانوا وراء لفت أنظار العالم إليها، وذلك عن طريق دراستها، وترجمتها، وعقد المؤتمرات المتعلقة بها، وإيجاد مئات المواقع على الإنترنت التي تتناولها، وكانوا يسعون -من كل هذه الفعاليات- لأن يثبتوا للعالم بأنها تراث يهودي يخصهم وحدهم، وقد أغاظهم بعض العلماء المسيحيين، الذين تناولوا هذه اللفائف بالبحث والدراسة، ثم خلصوا إلى القول بأنها تراث مسيحي، وليست تراثًا يهوديًا.

واهتمام اليهود بهذه اللفائف نابع من حرصهم على إثبات أمرين:

الأول: الإثبات للعالم بأن منطقة قمران هي منطقة يهودية، وذلك عن طريق إثبات وجود تلك اللفائف فيها.

الثاني: أن اليهود أرادوا أن يثبتوا من خلال تلك المخطوطات صحة العهد القديم.

أما بعض العلماء المسيحيين فيرون أن هذه المخطوطات تراث مسيحي، كتبت بعد الميلاد، واحتوت على كثير من أصحاحات العهد الجديد، وكانوا من وراء ذلك يسعون أن يثبتوا للعالم صحة العهد الجديد.

وهذا الصراع الذي دار بين الطرفين قد أدى لخروج كتابات وأبحاث غير موضوعية تتعلق بتلك المخطوطات، وكل طرف يحاول أن يفسر أو يترجم هذه المخطوطات حسب هواه ومعتقده، وهذا الأمر دفع الدكتور ميتشيل وايز[2] (Michael Wise) لأن يقول:

"ويجب أن تكون عندنا الموضوعية عند طرح هذه المواضيع، وأن نجعل مسافة بين أنفسنا وأفكارنا، ولكن هذا نادرًا ما يكون في مثل هذا الحقل".

وقد قامت حوارات ومؤتمرات بهذا الصدد، أشهرها وأهمها المؤتمر الذي عقد في جامعة نيويورك عام 1993م، وذلك عندما قام العالمان الأمريكيان روبرت إيزمان (Robert Eiseman)[3] والدكتور ميتشيل وايز بإصدار كتابهما

(The Dead Sea Scrolls Uncovered- لفائف البحر الميت تُكْشَف)، والمتعلق بترجمة اللفائف، فقد أقبل الأكاديميون المهتمون بمثل هذه الدراسات على دراسة هذا الكتاب، والذي حاول فيه الدكتور إيزمان أن يقدم نظرية جديدة من خلال اللفائف، تتعلق بأصول الديانة المسيحية، وتتلخص هذه النظرية فيما يلي:

(أ) لفائف البحر الميت تبين أصول الديانة المسيحية، ولا علاقة لها بالديانة اليهودية.

(ب) إن عيسى الناصري لم يكن على الصورة التي وجدت في الأناجيل، ولكنه كان أقرب بكثير للصورة التي جاءت في لفائف البحر الميت.

(ج) إن المسيحية التي نراها اليوم هي مسيحية مسالمة، بينما ما ورد في لفائف قمران نرى فيه مسيحية تتحدث عن حركة في فلسطين تدعو للحرب، في شكل جيش رباني في مخيمات على طول البحر الميت، يعد لحرب ضد الشر، وهذا يتناقض مع الصورة التي أمامنا عن المسيحية.

وخلال المؤتمر حدث حوار تاريخي بين الأستاذ إيزمان والأستاذ لورانس شيفمان[4] (Lawrance Schiffman)، حيث بدأ الحديث الأستاذ إيزمان بقوله:

"في عام 1973م كنت في كاليفورنيا مدرسًا في قسم الدراسات الدينية، وقد وجدت أن لفائف البحر الميت لها أمر عظيم وجذاب، فبدأت دراستها كلمة كلمة، وبدأت أيضًا قراءة كتابات العهد الجديد بتمعن وتركيز، وعندما وصلت إلى رسائل بولس، وخاصة الرسالة (للغلاطيين)، وجدت فيها نصوصًا تشبه بعض النصوص الواردة في لفائف قمران، وكذلك أيضًا بالنسبة لكتاب (أعمال الرسل)".

---

1 هذا المبحث لم أظفر به إلا عند الدكتور عبد الرزاق الحباشنة في رسالته القيمة (لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة)، وأنا هنا أقتبس منها هذا المبحث مع اختصار وتصرف.

2 أستاذ اللغة الآرامية في جامعة شيكاغو.

3 أستاذ الأديان في قسم الدراسات الشرقية في جامعة كاليفورنيا.

4 أستاذ اليهودية في قسم الدراسات الشرقية بجامعة نيويورك.

ثم تحدث الدكتور لورانس قائلًا: "إن هذه اللفائف تخص الديانة اليهودية، ولا علاقة لها بالديانة المسيحية، وإنها وجدت قبل ميلاد عيسى". ثم أضاف قائلًا: "أنا لا أعتقد أن أحدًا في الفاتيكان يستطيع أن يقرأ تلك اللفائف، ولا أعتقد أيضًا أن أحدًا مهتم بها، وهذه ليست المشكلة، ولكن المشكلة أن تكون هناك مؤامرة من الفاتيكان، فلا يسمح لأحد غير المفكرين المسيحيين أن يصلوا إليها حتى يؤكدوا أنها تخص الديانة المسيحية فقط، وهذه ليست فقط مؤامرة دينية، ولكنها فضيحة علمية".

ثم ختم الدكتور لورانس قوله بالعبارة التالية:

"This is the literature of the Jewish people of that period".

وترجمته:

"هذا هو أدب الشعب اليهودي في تلك الحقبة".

وقد استدل الدكتور لورانس على ما يقول بالأدلة التالية:

(أ) الفحص الكربوني للفائف، حيث قامت وكالة ناسا الفضائية بأخذ ثمانية قطع من اللفائف إلى مختبرات زيوريخ لتتعرف على تاريخها من خلال فحص الكربون، وقد كانت نتيجة هذا الفحص أن ست قطع منها تعود إلى ما قبل ميلاد المسيح[5]، وقطعتان لم يستطع الفحص أن يؤكد تاريخهما.

(ب) إن اللفائف لم تذكر سيدنا عيسى، ولم تذكر المسيحية التي نراها اليوم، فمسيحية اليوم ديانة مسالمة، بينما اللفائف تتحدث عن حركة محاربة.

وقد رد الأستاذ الدكتور إيزمان على الأستاذ لورانس بما يلي:

(أ) إن الفحص الكربوني لمعرفة تاريخ اللفائف فحص غير دقيق، ولهذا فإن الفحص بهذه الطريقة لم يستطع أن يعطي تاريخ وثيقة دمشق ولا تاريخ قانون الجماعة، ولم يعط أيضًا تاريخ الوثائق المعروفة باسم (MMT)، كذلك فإنه من المعلوم أن فحص الكربون لا يعطي نتيجة دقيقة، ولهذا فلا بد من إعطاء مجال لاحتمال الخطأ من خمسين إلى مائة سنة، فبعد ذلك تكون النتيجة صحيحة، وهي أن اللفائف جاءت بعد الميلاد.

(ب) هناك نصوص في لفائف البحر الميت تتشابه مع نصوص في العهد الجديد، وخاصة رسالة بولس (للغلاطيين)، وكذلك الأمر بالنسبة لكتاب (سفر الأعمال).

(ج) إن صورة عيسى في الأناجيل تختلف عن صورته في لفائف البحر الميت[6]، فاللفائف تعطي الصورة الحقيقية لما حدث في القرنين الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد، وإذا قارنا بين محتويات لفائف قمران مع محتويات الأناجيل نجد أن الأناجيل ليس تاريخًا، ولكنها شيء آخر، فهي نوع من الرومانسيات اليونانية، ومهما يكن عيسى فلم يكن كالصورة التي وجدناها في الأناجيل، ولكن أقرب بكثير للصورة التي جاءت في لفائف قمران. وصحيح أن المسيحية التي نراها اليوم هي مسيحية سلام، بينما ما ورد في لفائف قمران فإنه يتحدث عن حركة مسيحانية في فلسطين مسلحة، تدعو إلى الحرب ضد الشر، الذي على الأرض، وهذا يتناقض كليًا مع الصورة التي أمامنا عن المسيحية ....

وبعد ذلك رد الدكتور لورانس بغضب وبصوت مرتفع أمام الجمهور بقوله:

"هذا يعني أنك تنطلق من منطلقات إسلامية، **فأنت إذن مسلم**؟"، فقال له إيزمان حتى يغيظه:

"**نعم أنا مسلم**"[7].

***

5 من المضحك المبكي أن أسأل: ومتى ولد المسيح عليه السلام؟ راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس/ النقطة الثالثة: الخلاف في الشرائع/ 5- الأعياد/ ج - عيد ميلاد من: مثرا أم المسيح عليه السلام؟

6 إيزمان يفترض هنا أن عيسى -عليه السلام- هو (معلم الحق)، وقد رددت على هذا سابقًا.

7 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 14 إلى 17.

(5) أوجه تشابه نصوص قمران مع القرآن الكريم والسنة المطهرة

على الرغم من حالة المخطوطات المفتتة، وشيوع التحريف في أسفار اليهود، حتى فيما بين أسفار القمرانيين، ، وعلى الرغم من عدم الثقة فيمن اكتشف وجمَّع آلاف الجذاذات، وبالإضافة لتدخل عوامل خارجية في إعداد المخطوطات والإعلان عن أعدادها ومحتوياتها وترجمتها ونشرها.

على الرغم من كل ذلك فقد بقيت فيها آثار من التوحيد والوحي الصادق، ومن الباحثين الذين قاموا بجهود مشكور في البحث في ما نشر منها؛ الدكتور عبد الرزاق الحباشنة، فقد وجد فيها نصوصًا كثيرة توافق القرآن الكريم والسنة المطهرة، رغم اعتذاره بأنه لا ينقل عن النصوص الأصلية بل عن الترجمات الإنجليزية لها، التي يجزم بأنها قد دخلها الهوى، مما أدى لتحريف كثير من نصوصها[1].

وأنا أقتبس مما كتب عن ذلك:

[1] فيما يتعلق بالإلهيات

[2] فيما يتعلق بالنبوات

[3] فيما يتعلق بالسمعيات

[4] بعض النصوص التي تبين شيئًا من التشريعات

***

1 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 31.

[1] **فيما يتعلق بالإلهيات**

[أ] الإيمان بإله واحد

جاء في المخطوطة (1QH):

"لا إله معه"[1].

وهذا يتفق مع ما جاء في القرآن من آيات تشهد بأن الله هو الواحد الأحد، مثل سورة الإخلاص:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[2].

ومثل آية الكرسي:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ .... الآية﴾[3].

وهذا بالقطع يتناقض مع التلفيق الكنسي بين الشرك والتوحيد: الآب والابن والروح القدس إله واحد!!!

كذلك وردت نصوص عديدة تنص على أن الله سبحانه وتعالى:

[ب] مستحق للحمد والشكر والتمجيد في كل وقت وعلى كل فعل، فقد جاء في المخطوطة (1Qs):

"قبل أن أحرك يداي وقدماي

سوف أقدس اسمه

سوف أحمده قبل ان أخرج أو أدخل

وقبل أن أجلس أو أنهض

وبينما أنا مستلق على سريري للنوم

....

وقبل أن أرفع يداي للأكل

سوف اقدسه لأعماله العظيمة الوفيرة".

وهذا يتفق بعض الشيء مع معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ... الآية﴾[4]. ويتطابق أيضًا مع الأحاديث الكثيرة التي وردت بذكر الله عند الطعام والنوم والاستيقاظ ودخول الخلاء والخروج منه، ودخول البيوت والخروج منها والسفر وغيرها من أحوال المسلم[5].

[ج] الإيمان بإله قوي، كما جاء في المخطوطتين (1Qs) و(1QH)[6].

[د] الله هو مصدر نور المؤمن ، كما جاء في المخطوطة (1Qs)[7].

[هـ] الله عليم قدير، كما جاء في المخطوطة (1Qs)[8].

[و] الله عادل يحاسب على الذنوب، ويغفرها ، كما جاء في المخطوطة (1Qs):

"سوف يقاضيني بتقوى حقيقية

وبعظمة فضله

---

1 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 31.

2 سورة الإخلاص.

3 سورة البقرة، آية: 255.

4 سورة آل عمران، آية: 191.

5 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 31 و32.

6 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 32.

7 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 32 و33.

8 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 32 و33.

ويفقر ذنوبي"[9].
وهذا يتنافى مع المفهوم البولسي في الخطيئة الأصلية (الظلم المقدس).
[ز] الله -سبحانه- إرادته مطلقة، كما جاء في المخطوطة (1Qs).
[ح] الله -سبحانه- خالق الكون، كما جاء في المخطوطتين (1QM) و(4QM).
[ط] الله -سبحانه- حكيم، كما جاء في المخطوطة (1QH).
[ي] الله -سبحانه- بيده غفران الذنوب، كما جاء في المخطوطة (1QH).
وهذا يتناقض مع المفهوم البولسي في الفداء بقتل الله لولده على الصليب، ومع المفهوم الكنسي، الذي يجعل أحبار الكنيسة قطاعًا للطريق بين العبد وربه في غفران الذنوب، فلا بد أن يعترف المذنب لهم أولًا، ثم يحاسبوه بما يستحق في نظرهم، ثم يمنحوه الغفران[10].
[ك] الله رحيم، كما جاء في المخطوطتين (1Qs) و(1QH)[11].

***

9 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 33.
10 كتب المهتدي إلى الإسلام القس -سابقًا- إسحاق هلال مسيحة:
"في اليوم السادس من الشهر الثامن من عام 1978م كنت ذاهباً لإحياء مولد العذراء بالإسكندرية
......
بعد ذلك ذهبت إلى الإسكندرية لإحياء أسبوع مولد العذراء يوم الأحد أثناء صلاة القداس المعتاد وفي فترة الراحة ذهبت إلى كرسي الاعتراف لكي أسمع اعترافات الشعب الجاهل الذي يؤمن بأن القسيس بيده غفران الخطايا.
جاءتني امرأة تعض أصابع الندم. قالت: "أني انحرفت ثلاث مرات وأنا أمام قداستك الآن أعترف لك رجاء أن تغفر لي وأعاهدك ألا أعود لذلك أبداً ". ومن العادة المتبعة أن يقوم الكاهن برفع الصليب في وجه المعترف ويغفر له خطاياه. وما كدت أرفع الصليب لأغفر لها حتى وقع ذهني على العبارة القرآنية الجميلة (قل هو الله أحد) فعجز لساني عن النطق وبكيت بكاءً حارّاً وقلت: "هذه جاءت لتنال غفران خطاياها منّي فمن يغفر لي خطاياي يوم الحساب والعقاب". هنا أدركت أن هناك كبير أكبر من كل كبير، إله واحدٌ لا معبود سواه. ذهبت على الفور للقاء الأسقف وقلت له: "أنا أغفر الخطايا لعامة الناس فمن يغفر لي خطاياي" . فأجاب دون اكتراث: "البابا". فسألته: "ومن يغفر للبابا"، فانتفض جسمه ووقف صارخاً وقال: "أنت قسيس مجنون واللي أمر بتنصيبك مجنون حتّى وإن كان البابا لأنّنا قلنا له لا تنصّبه لئلاّ يفسد الشعب بإسلاميّاته وفكره المنحل". بعد ذلك صدر قرار البابا بحبسي في دير (ماري مينا) بوادي النطرون". [موقع هداية الحيارى، وموقع طريق الإسلام].
11 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 35.

[2] **فيما يتعلق بالنبوات**

[أ] لقد ذكرت نصوص اللفائف أسماء أنبياء ذُكِروا أيضًا في الكتاب والسنة، وهؤلاء الأنبياء هم: آدم، ونوح، وإبراهيم، ويعقوب، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان عليهم الصلاة والسلام.

وتؤكد نصوص اللفائف على نبوة داود عليه السلام، بينما العهد القديم لا يعترف بنبوة داود، بل يعتبره ملكًا اختاره الشعب.

فقد جاء في سفر صموئيل الثاني:

"2: 4 وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكًا على بيت يهوذا. وأخبروا داود قائلين: "إن رجال يابيش جلعاد هم الذين دفنوا شاول".

....

2: 7 والآن فلتتشدد أيديكم وكونوا ذوي بأس، لأنه قد مات سيدكم شاول، وإياي مسح بيت يهوذا ملكًا عليهم"[1].

بينما تذكر نصوص مخطوطات قمران أنه كان نبيًا يوحى إليه من الله، مثل ما جاء في المخطوطة (11QPsa):

"داود بن جيس كان حكيمًا ولامعًا كنور الشمس، وكان كاتبًا، وذكيًا وكاملًا في جميع طرقه أمام الرب وأمام البشر .... وكل ما نطق به من خلال النبوة التي وهبها الله له"[2].

وقد ذكر القرآن الكريم نبوة داود في أكثر من آية:

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[3].

***

[ب] وقد ذكرت لفائف البحر الميت أوصافًا لشخص سوف يأتي في المستقبل، وهذه الأوصاف وردت في نص المخطوطة (4Q186):

"أنا (مفقود) آمر. عيناه سوداوان ومتوهجتان. لحيته (مفقود) وهي (مفقود)، صوته جميل، أسنانه جميلة ومرتبة جيداً. لا هو بالطويل ولا بالقصير. وهو (مفقود)، وأصابعه رفيعة وطويلة (مفقود)، وهذا هو تاريخ ميلاده الذي سوف يولد فيه (مفقود) وحيوانه هو (مفقود)".

كما أن هناك نصًا آخر في المخطوطة (4Q Mess Ar) وردت فيه بعض الأوصاف الأخرى:

"أنا (مفقود) من يده، اثنان (مفقود) علامة خلقية في الجسد . الشعر سوف يكون أحمر . وسوف تكون عدسات[4] (مفقود) علامات خلقية على فخذه . وبعد سنتين سوف يعرف كيف يميز بين الشيء والآخر . في شبابه سوف يكون يشبه (مفقود) ، يشبه الرجل الذي لا يعرف شيئًا حتى يأتي الوقت عندما يعرف الكتب الثلاثة . وعندما يطلب الحكمة ويتعلم الفهم (مفقود) سوف يأتي إليه التجلي الإلهي وهو على ركبتيه . ومع أبيه وأجداده (مفقود) ، الحياة والعصر القديم . المشورة والحصافة سوف تبقيان معه . وسوف يعرف أسرار الإنسان . حكمته سوف تصل إلى جميع الناس ، وسوف يعرف أسرار جميع الأحياء . وجميع مكائدهم ضده سوف تبوء بالفشل ، وحكمه سيكون عظيمًا . مخططاته سوف تنجح لأنه المصطفى من الإله. ميلاده ونفس روحه (مفقود) سوف تبقى للأبد (مفقود)"[5].

---

1 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- صموئيل الثاني:2: 4 إلى 7 ص: 219.

2 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 37.

3 سورة النساء، آية: 163 إلى 165.

4 ترجم الدكتور عبد الرزاق الحباشنة كلمة (lentils) بكلمة (بنات عرس) وهي خطأ، والصواب (عدسات).

5 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 37 و38.

وقد وردت في كتب السنة أحاديث في صفات النبي صلى الله عليه وسلم تتفق مع ما ورد في مخطوطات قمران، ومن هذه الأحاديث:

ما ورد في صحيح البخاري:

- عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَصِفُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "كَانَ رَبْعَةً مِنَ القَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالقَصِيرِ .... قَالَ رَبِيعَةُ: "فَرَأَيْتُ شَعَرًا مِنْ شَعَرِهِ، فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ، فَسَأَلْتُ، فَقِيلَ: احْمَرَّ مِنَ الطِّيبِ"[6].

- وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ، قَالَ: أَرْسَلَنِي أَهْلِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ، وَقَبَضَ إِسْرَائِيلُ ثَلاَثَ أَصَابِعَ[7] مِنْ قُصَّةٍ[8] فِيهِ شَعَرٌ مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ إِذَا أَصَابَ الإِنْسَانَ عَيْنٌ أَوْ شَيْءٌ بَعَثَ إِلَيْهَا مِخْضَبَهُ[9]، فَاطَّلَعْتُ فِي الجُلْجُلِ[10] فَرَأَيْتُ شَعَرَاتٍ حُمْرًا"[11].

- وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، "فَأَخْرَجَتْ إِلَيْنَا شَعَرًا مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَخْضُوبًا". وَقَالَ لَنَا أَبُو نُعَيْمٍ: حَدَّثَنَا نُصَيْرُ بْنُ أَبِي الأَشْعَثِ، عَنْ ابْنِ مَوْهَبٍ: "أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ، أَرَتْهُ شَعَرَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَحْمَرَ"[12].

- وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَخْمَ اليَدَيْنِ وَالقَدَمَيْنِ، حَسَنَ الوَجْهِ، لَمْ أَرَ بَعْدَهُ وَلَا قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَكَانَ بَسِطَ الكَفَّيْنِ"[13].

كما وردت في صحيح مسلم أحاديث تصف شكل النبي صلى الله عليه وسلم، مثل:

- عن البراء يَقُولُ: ".... مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[14].

- وعَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: "مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَعْرُهُ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ"[15].

- وعَنْ سِمَاكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ، يَقُولُ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، وَكَانَ إِذَا ادَّهَنَ لَمْ يَتَبَيَّنْ، وَإِذَا شَعِثَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ، وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشْبِهُ جَسَدَهُ"[16].

- وعن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: "فَلَمْ أَزَلْ أُحَدِّثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ، وَحَتَّى كَشَرَ فَضَحِكَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا"[17].

---

6 صحيح البخاري-كتاب المناقب- باب: صفة النبي صلى الله عليه وسلم- حديث رقم: 3547 ج: ص: 515.

7 (قبض إِسْرَائِيلُ ثَلاَثَ أَصَابِع) إشارة إلى صغر القدح.

8 قصة: رويت بالقاف والصاد، ورويت بالفاء والضاد، وعل رواية القاف والصاد نقل ابن حجر عن الكرماني -رحمهما الله- أن تكون (من) سببية، أي أرسلوني بقدح من ماء بسبب قُصة فيها شعر، ثم قال ابن حجر: "وَقَدْ ذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ بِلَفْظٍ دَالٍّ عَلَى أَنَّهُ بِالْفَاءِ وَالْمُعْجَمَةِ وَلَفْظُهُ أَرْسَلَنِي أَهْلِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَجَاءَتْ بِجُلْجُلٍ مِنْ فِضَّةٍ فِيهِ شَعْرٌ ...... قَالَ بن دِحْيَةَ وَقَعَ لِأَكْثَرِ الرُّوَاةِ بِالْقَافِ وَالْمُهْمَلَةِ وَالصَّحِيحُ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ بِالْفَاءِ وَالْمُعْجَمَةِ وَقَدْ بَيَّنَهُ وَكِيعٌ فِي مُصنفه بعد مَا رَوَاهُ عَنْ إِسْرَائِيلَ فَقَالَ كَانَ جُلْجُلًا مِنْ فِضَّةٍ صِيغَ صَوَّانًا لِشَعَرَاتٍ كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .... وَالْمُرَادُ أَنَّهُ كَانَ مَنِ اشْتَكَى أَرْسَلَ إِنَاءً إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَتَجْعَلُ فِيهِ تِلْكَ الشَّعَرَاتِ وَتَغْسِلُهَا فِيهِ وَتُعِيدُهُ فَيَشْرَبُهُ صَاحِبُ الْإِنَاءِ أَوْ يَغْتَسِلُ بِهِ اسْتِشْفَاءً بِهَا فَتَحْصُلُ لَهُ بَرَكَتُهَا". [فتح الباري ج: 10 ص: 352 و353].

9 مخضبه: وعاءه.

10 الجلجل: وهو شيء يتخذ من فضة أو غيرها يشبه الجرس وقد تنزع منه الحصاة التي تتحرك فيوضع فيه ما يحتاج إلى صيانته.

11 صحيح البخاري-كتاب اللباس- باب: ما يذكر في الشيب- حديث رقم: 5896 ج: 4 ص: 73.

12 صحيح البخاري-كتاب: اللباس- باب: ما يذكر في الشيب- حديث رقم: 5898 ج: 4 ص: 73.

13 صحيح البخاري-كِتَابُ اللِّبَاسِ- بَابُ: الجَعْدِ- حديث رقم: 5907 ج: 4 ص: 74 و75.

14 صحيح مسلم-كتاب الفضائل- باب: بَابٌ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا- حديث رقم: 91 مج: 2 ص: 1100.

15 صحيح مسلم-كتاب الفضائل- باب: بَابٌ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا- حديث رقم: 92 مج: 2 ص: 1100.

16 صحيح مسلم-كتاب الفضائل- باب: شَيْبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حديث رقم: 109 مج: 2 ص: 1102.

17 صحيح مسلم-كتاب: الطلاق- باب: فِي الْإِيلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ، وَتَخْيِيرِهِنَّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾- حديث رقم: 30 مج: 2 ص: 682.

- وعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَلِيعَ الْفَمِ، أَشْكَلَ الْعَيْنِ مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ" قَالَ: قُلْتُ لِسِمَاكٍ: مَا ضَلِيعُ الْفَمِ؟ قَالَ: "عَظِيمُ الْفَمِ"، قَالَ قُلْتُ: مَا أَشْكَلُ الْعَيْنِ؟ قَالَ:"طَوِيلُ شَقِّ الْعَيْنِ"، قَالَ: قُلْتُ: مَا مَنْهُوسُ الْعَقِبِ؟ قَالَ: "قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقِبِ"[18].

وأخرج الإمام البخاري في الأدب المفرد عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَصِفُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَانَ رَبعةً، وَهُوَ إِلَى الطُّوَلِ أَقْرَبُ، شَدِيدُ الْبَيَاضِ، أَسْوَدُ شَعْرِ اللِّحْيَةِ، حَسَنُ الثَّغْرِ[19]، أَهْدَبُ[20] أَشْفَارِ الْعَيْنَيْنِ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، مُفَاضُ الْجَبِينِ[21] يَطَأُ بِقَدَمِهِ جَمِيعًا، لَيْسَ لَهَا أَخْمُصُ، يُقبل جَمِيعًا وَيُدْبِرُ جَمِيعًا، لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قبل ولا بعد"[22].

وأخرج الإمام البيهقي رحمه الله- عن عمر بن علي بن أبي طالب قَالَ: قِيلَ لِعَلِيٍّ: انْعَتْ لَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "كَانَ أَبْيَضَ مُشْرَبًا بَيَاضُهُ حُمْرَةً، قَالَ: وَكَانَ أَسْوَدَ الْحَدَقَةِ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ"[23].

وقد وصفت أم معبد حضرة النبي -صلى الله عليه وسلم- لزوجها رضي الله عنها، فقالت:

"رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ[24]، أَبْلَجَ الْوَجْهِ[25]، حَسَنَ الْخَلْقِ، لَمْ تَعِبْهُ نُحْلَةٌ[26]، وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صَعْلَةٌ[27]، وَسِيمٌ قَسِيمٌ[28]- وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى: وَسِيمًا قَسِيمًا- فِي عَيْنِهِ دَعَجٌ[29]، وَفِي أَشْفَارِهِ عَطَفٌ[30]، وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ[31]، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ[32]، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ، أَزَجُّ[33] أَقْرَنُ[34]. إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَا[35] وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ. حُلْوُ الْمِنْطِقِ، فصل، لا نزر ولا هزر[36]. كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ ينحدرن. ربعة لَا يَأْسَ مِنْ طُولٍ[37]، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ[38]، غُصْنًا بَيْنَ غُصْنَيْنِ فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ

---

18 صحيح مسلم-كتاب: الْفَضَائِلِ- بَابٌ فِي صِفَةِ فَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَيْنَيْهِ وَعَقِبَيْهِ-حديث رقم: 2339 مج: 2 ص: 1101.

19 الثغر: مقدم الأسنان.

20 هو الذي طالت أهداب عينيه، وكثرت أشفارها.

21 أي مستوي الجبين.

22 قال الشيخ الألباني رحمه الله: "حسن لغيره". [الأدب المفرد- بَابُ إِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا- حديث رقم: 1155 ص: 395].

23 دلائل النبوة للبيهقي ج: 1 ص: 212. صححه الألباني رحمه الله [صحيح الجامع الصغير وزيادته- حديث رقم: 4621 ج: 2 ص: 847، السلسلة الصحيحة الكاملة ج: 5 ص: 52].

24 ظاهر الجمال.

25 مشرق الوجه.

26 الدقة والضمر.

27 صغر الرأس.

28 الوسيم: الحسن الوضيء، وكذلك القسيم.

29 الدعج: السواد في العينين وغيره.

30 الغطف: أن تطول الأشفار ثم تنعطف.

31 الصهل: أَي: حِدة وصلابة، وَمِنْه صَهِيل الْخَيل، وَفِي رِوَايَة صَحِلَ، أَي: بحة، وَهُوَ أَلا يكون حاد الصَّوْت، وَذَلِكَ حسن إذا لم يكن شَدِيدًا.

32 أي طول.

33 الزَّجَجُ: طُولُ الْحَاجِبَيْنِ وَدِقَّتُهُمَا وَسُبُوغُهُمَا إِلَى مُؤَخَّرِ الْعَيْنَيْنِ.

34 الْقَرَنُ: أَنْ يَطُولَ الْحَاجِبَانِ حَتَّى يَلْتَقِي طَرَفَاهُمَا.

35 تريد عَلَا بِرَأْسِهِ أَوْ يَدِهِ.

36 تُرِيدُ أَنَّهُ وَسَطٌ لَيْسَ بِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ.

37 لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الَّذِي يُؤْيِسُ مُبَارِيَهُ عَنْ مُطَاوَلَتِهِ.

38 لَا تَحْتَقِرُهُ وَلَا تَزْدَرِيهِ.

مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا، لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ، إِنْ قَالَ أَنْصَتُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ، مَحْفُودٌ[39] مَحْشُودٌ[40]، لَا عَابِسٌ[41] وَلَا مُفْنِدٌ[42]"[43].

في جامع معمر بن راشد:

- عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: سُئِلَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَحْسَنُ الصِّفَةِ وَأَجْمَلُهَا، كَانَ رَبْعَةً إِلَى الطُّولِ مَا هُوَ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، أَسِيلَ الْجَبِينِ، شَدِيدَ سَوَادِ الشَّعْرِ، أَكْحَلَ الْعَيْنِ، أَهْدَبَ، إِذَا وَطِئَ بِقَدَمِهِ وَطِئَ بِكُلِّهَا، لَيْسَ لَهَا أَخْمُصٌ، إِذَا وَضَعَ رِدَاءَهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَكَأَنَّهُ سَبِيكَةُ فِضَّةٍ، وَإِذَا ضَحِكَ كَادَ يَتَلَأْلَأُ فِي الْجُدُرِ، لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[44].

وتمكن المقارنة بين ما جاء في مخطوطات قمران عن النبي الآتي في آخر الزمان وبين أوصاف سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من خلال الجدول الآتي:

أوصاف النبي الآتي في المستقبل في مخطوطات قمران	**أوصاف سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم - في القرآن والسنة**
عيناه سوداوان ومتوهجتان	أَشْكَل الْعَيْنِ، أَسْوَد الْحَدَقَةِ، فِي عَيْنِهِ دَعَجٌ، أَكْحَل الْعَيْنِ
لحيته (مفقود)	فِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ
صوته جميل.	وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ (أو صحل)، .... إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَا وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ، .... حُلْوُ الْمِنْطِقِ، فصل، لا نزر ولا هزر. كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ ينحدرن.
أسنانه جميلة ومرتبة جيداً	مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا (الثغر: مقدم الأسنان)، ضَلِيع الْفَمِ، حَسَنُ الثَّغْرِ، وَإِذَا ضَحِكَ كَادَ يَتَلَأْلَأُ[45].
لا هو بالطويل ولا بالقصير	لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ.
أصابعه رفيعة وطويلة.	بَسِط الكَفَّيْنِ[46].

39 أَيْ مَخْدُومٌ.

40 الْمَحْشُودُ: الْمَحْفُوفُ. وحشده أَصْحَابُهُ: أَطَافُوا بِهِ.

41 تُرِيدُ لَا عَابِسَ الْوَجْهِ.

42 أَيْ لَا يَنْسِبُ إِلَّا الْجَهْلَ، والذي لا فائدة في كلامه لكبر أصابه.

43 دلائل النبوة للبيهقي رحمه الله ج: 1 ص: 276. وأخرجه الحاكم -رحمه الله- في المستدرك وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، وعلق عليه الذهبي رحمه الله: "ما في هذه الطرق شيء على شرط الصحيح". [المستدرك- كِتَابُ الْهِجْرَةِ- حديث رقم: 4274 ج: 3 ص: 10] . قال الشيخ الألباني رحمه الله: "ضَعِيف وَقد يرقى إِلَى الْحسن بِتَعَدُّد طرقه". [مشكاة المصابيح-كتاب الفضائل والشمائل- باب في المعجزات- حديث رقم: 5943 ج: 3 ص: 1672].

44 جامع معمر بن راشد- بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حديث رقم: 20490 ج: 11 ص: 259.

ضعفه الشيخ الألباني -رحمه الله- وقال: "وهذا إسناد ضعيف؛ لانقطاعه بين الزهري وأبي هريرة. وقد جاء جله مفرقاً في أحاديث". [سلسلة الأحاديث الضعيفة- حديث رقم: 4161 ج: 9 ص: 182 و183].

ولكن وصله الإمام ابن كثير -رحمه الله- فقال:

"وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذُّهَلِيُّ: ثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، ثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ سُئِلَ أَبُو هُرَيْرَةَ، «عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَحْسَنُ الصِّفَةِ وَأَجْمَلُهَا.....". وَقَدْ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى مِنْ وَجْهٍ آخَرَ مُتَّصِلٍ، فَقَالَ: ثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ يَعْنِي الزُّبَيْدِيَّ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ عَنِ الزُّبَيْدِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ". [البداية والنهاية-كِتَابُ الشَّمَائِلِ-صِفَةُ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِكْرُ مَحَاسِنِهِ ج: 8 ص: 409].

45 ورد في حديث ضعيف: أنه صلى الله عليه وسلم: "أشنب مفلج الأسنان". [صحيح وضعيف الجامع الصغير- حديث رقم: 9947 ج: 21 ص: 19].

وفلج الأسنان: يعني: أن أسنانه الشريفة -صلى الله عليه وسلم- منتظمة ومنفرجة، وليست متراصة ومتضايقة فوق بعضها.

وأشنب الثغر: رقت أسنانه وابيضت. [المعجم الوسيط- باب الشين- مادة: شنب ص: 496].

46 ورد في حديث ضعيف: أنه كان صلى الله عليه وسلم: " رَحْبَ الرَّاحَةِ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ، كَأَنَّ أَصَابِعَهُ قُضْبَانُ فِضَّةٍ". [دلائل النبوة للبيهقي- حَدِيثُ هِنْدِ بْنِ أَبِي هَالَةَ فِي صِفَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ج: 1 ص: 298 إلى 306] وفيه صبيح بن عبد الله الفرغاني، قال عنه ابن حجر رحمه الله: "قال الخطيب في كتاب التلخيص: صاحب مناكير". [لسان الميزان- حرف الصاد المهملة- من اسمه صبيح والصبي- ترجمة رقم: 733 ج: 2 ص: 181].

علامة خلقية في الجسد	الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ.
الشعر سوف يكون أحمر.	احْمَرَّ الشعرُ من الطيب.
يشبه الرجل الذي لا يعرف شيئًا حتى يأتي الوقت عندما يعرف الكتب الثلاثة	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[47]. ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[48].
سوف يأتي إليه التجلي الإلهي وهو على ركبتيه	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[49].
حكمته سوف تصل إلى جميع الناس	﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[50].
وجميع مكائدهم ضده سوف تبوء بالفشل	﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[51]. ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[52].
وحكمه سيكون عظيمًا	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[53].
مخططاته سوف تنجح لأنه المصطفى من الإله	﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[54]. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ"[55].
سوف تبقى للأبد[56]	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[57].

47 سورة الأعراف، آية: 157.
48 سورة النساء، آية: 113.
49 سورة النساء، آية: 163.
50 سورة الأعراف، آية: 158.
51 سورة المائدة، آية: 67.
52 سورة الأنفال، آية: 30.
53 سورة الفتح، آية: 1 إلى 3.
54 سورة الأنفال، آية: 62.
55 صحيح مسلم-كتاب: الفضائل- بَابُ: تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ- حديث رقم: 2278 مج: 2 ص: 1080.
56 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 31 إلى 39 مع تصرف وزيادة.
57 سورة التوبة، آية: 33.

ولا يمكن أن تتفق هذه الأوصاف مع عقيدة النصارى في سيدنا عيسى عليه السلام، لأنهم يزعمون أن المسيح -عليه السلام- كان قبيح المنظر، فقد نقل الشيخ سامي عامري عن كليمنت وترتليان ذلك، فكتب أن:

"أئمتهم يقرّرون أنّ المسيح كان قبيح المنظر.. فقد قال مثلا كلمنت الاسكندري عن المسيح: " إنّ جماله كان في روحه وفي أعماله، وأمّا منظره فكان حقيرا"، وقال ترتليان: " أمّا شكله فكان عديم الحسن الجسماني، وبالحري كان بعيدا عن أي مجد جسدي"[58].

أما المسلمون فقد أخبرهم نبيهم الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم، بأن عيسى ابن مريم صورته كأحسن الرجال السمر:

"عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: " أُرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الكَعْبَةِ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا آدَمَ، كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، لَهُ لِمَّةٌ[59] كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ قَدْ رَجَّلَهَا، فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئًا عَلَى رَجُلَيْنِ، أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ .... الحديث"[60].

ومما يؤكد اتفاق صفات النبي -صلى الله عليه وسلم- مع بقايا الحق في أسفار اليهود ما نقله الإمام ابن كثير -رحمه الله- عن الواقدي بسنده إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الْيَمَنِ، فَإِنِّي لَأَخْطُبُ يَوْمًا عَلَى النَّاسِ، وَحَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ وَاقِفٌ فِي يَدِهِ سِفْرٌ يَنْظُرُ فِيهِ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: صِفْ لَنَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَ عَلِيٌّ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ وَلَا بِالسَّبْطِ، هُوَ رَجِلُ الشَّعْرِ أَسْوَدُهُ، ضَخْمُ الرَّأْسِ، مُشْرَبٌ لَوْنُهُ حُمْرَةً، عَظِيمُ الْكَرَادِيسِ، شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، طَوِيلُ الْمَسْرُبَةِ، وَهُوَ الشَّعْرُ الَّذِي يَكُونُ مِنَ النَّحْرِ إِلَى السُّرَّةِ، أَهْدَبُ الْأَشْفَارِ، مَقْرُونُ الْحَاجِبَيْنِ، صَلْتُ الْجَبِينِ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ كَأَنَّمَا يَنْزِلُ مِنْ صَبَبٍ، لَمْ أَرَ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ. قَالَ عَلِيٌّ: ثُمَّ سَكَتَ، فَقَالَ لِيَ الْحَبْرُ: وَمَاذَا؟ قَالَ عَلِيٌّ: هَذَا مَا يَحْضُرُنِي. قَالَ الْحَبْرُ: فِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ، حَسَنُ اللِّحْيَةِ، حَسَنُ الْفَمِ، تَامُّ الْأُذُنَيْنِ، يُقْبِلُ جَمِيعًا وَيُدْبِرُ جَمِيعًا. فَقَالَ عَلِيٌّ: هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَتُهُ. قَالَ الْحَبْرُ: وَشَيْءٌ آخَرُ. قَالَ عَلِيٌّ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ الْحَبْرُ: وَفِيهِ جَنَأٌ[61]. قَالَ عَلِيٌّ: هُوَ الَّذِي قُلْتُ لَكَ: كَأَنَّمَا يَنْزِلُ مِنْ صَبَبٍ.

قَالَ الْحَبْرُ: فَإِنِّي أَجِدُ هَذِهِ الصِّفَةَ فِي سِفْرِ آبَائِي، وَنَجِدُهُ يُبْعَثُ فِي حَرَمِ اللَّهِ وَأَمْنِهِ وَمَوْضِعِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يُهَاجِرُ إِلَى حَرَمٍ يُحَرِّمُهُ هُوَ، وَيَكُونُ لَهُ حُرْمَةٌ كَحُرْمَةِ الْحَرَمِ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ، وَنَجِدُ أَنْصَارَهُ الَّذِينَ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، قَوْمًا مِنْ وَلَدِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ أَهْلَ نَخْلٍ، وَأَهْلَ الْأَرْضِ قَبْلَهُمْ يَهُودَ. قَالَ عَلِيٌّ: هُوَ هُوَ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ الْحَبْرُ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، فَعَلَى ذَلِكَ أَحْيَا وَعَلَيْهِ أَمُوتُ وَعَلَيْهِ أُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: فَكَانَ يَأْتِي عَلِيًّا فَيُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ وَيُخْبِرُهُ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ خَرَجَ عَلِيٌّ وَالْحَبْرُ مِنْ هُنَالِكَ حَتَّى مَاتَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُصَدِّقٌ بِهِ"[62].

***

[ج] كذلك جاءت -في مخطوطة (4Q174)، والتي تعرف بـ(التفسير اليهودي للأيام الأخيرة- A Midrash on the Last Days)- نبوءتان:

- الأولى: أنه سيأتي مسيحان: الأول يكون من نسل داود، والثاني هو الذي سيقوم بشرح التوراة، وهي تنطبق على سيدنا عيسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام. فقد جاء في المخطوطة ما ترجمته:

---

58 محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة ص: 51.

59 (آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال) الأدم جمع آدم كسمر وأسمر وزنًا ومعنى. (له لمة) وجمعها لمم كقربة وقرب، قال الجوهري: ويجمع على لمام وهو الشعر المتدلي الذي جاوز شحمة الأذنين فإذا بلغ المنكبين فهو جمة. (قد رجلها) معناه سرحها بمشط مع ماء أو غيره. [صحيح مسلم بشرح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. نقلًا عن المكتبة الشاملة ج: 1 ص: 154].

60 صحيح البخاري- كتاب: اللباس- باب: الجعد- حديث رقم: 5902 ج: 4 ص: 74.

61 الجَنَأُ: مَيَلٌ فِي الظَّهْر، وَقِيلَ: فِي العُنُق. وجَنَأَتِ المرأَةُ عَلَى الْوَلَدِ: أَكبَّتْ عَلَيْهِ. قَالَ:

.....

وَقَالَ ثَعْلَبٌ: جَنِئَ عَلَيْهِ: أَكَبَّ عَلَيْهِ يُكلِّمُه. [لسان العرب- فصل الجيم- مادة: جنأ ح: 1 ص: 50].

62 البداية والنهاية ج: 8 ص: 398 و399.

"والرب يخبرك[63] أن الرب يصنع لك بيتاً (صموئيل الثاني: 7/ 11) "أقيم بعدك نسلك" (7/ 12) أنا أثبت كرسي مملكته إلى [الأبد] (صموئيل الثاني: 7/ 13) وأنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً . (صموئيل الثاني: 7/ 14) .

فهو من فرع داود الذي سيظهر مع مفسر الشريعة [ليحكم] في صهيون [نهاية الزمان]"[64].

- والنبوءة الثانية: عن إقامة بيت لله، يكون محفوظًا من العدوان، ولا يدخله إلا المختونون. فقد جاء في المخطوطة ما ترجمته:

"وعينت مكاناً لشعبي إسرائيل وغرسته فسكن في مكانه ولا يضطرب بعد ولا يعود بنو الإثم يذللونه كما في الأول . ومنذ يوم أقمت قضاة على شعبي إسرائيل (صموئيل الثاني 10/7 - 11) .

هذا هو البيت الذي سوف يبنيه لهم في آخر الزمان ،

....

هذا هو البيت الذي لا يدخله [النجسون] ولا يدخله [إلا المختونون] ولا يدخله العموريون ولا المآبيون ولا الأجانب ولا الغرباء إلى الأبد، لأن المقربين المقدسين سيكونون له دوماً. وسوف يدوم مجده إلى الأبد، وسيظهر مجده فوقه بشكل دائم، ولن يعيث به الأجانب كما عاثوا في حرم بني إسرائيل في الماضي بسبب ذنوبهم ولقد قضى الرب أن يُبنى له حرم لنفسه حيث هناك تخرج أعمال الشريعة كما يخرج دخان البخور ورائحته"[65].

فهذا المكان ليس هو هيكل سليمان الذي تزعمه اليهود لسببين:

الأول: أن هيكل سليمان ما بني في آخر الزمان.

والثاني: أن هيكل سليمان قد نال اليهود فيه أذى شديد.

كما أن هذا المكان تتفق أوصافه مع الحرم المكي في أمور:

الأول: عدم عبث الأجانب فيه.

الثاني: ظهور مجده واستمراره بفضل الله.

الثالث: أن المسلمين ينطبق عليهم وصف المختونين.

***

[د] كما جاء في المخطوطة (4Q175) -المعروفة بـ(مقتطفات مسائحية-A Messianic Anthology)- كلام الرب سبحانه لنبيه موسى -عليه السلام- ما ترجمته:

"تكلم الرب مع موسى قائلًا:

....

أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيته به . ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به النبي باسمي أنا أطالبه (التثنية : 18/ 18 - 19)"[66].

وهذا ينطبق تقريبًا مع سفر التثنية في التوراة المتداولة. وقد أشرت لهذه البشارة آنفًا.

***

63 الكلام -حسب السياق- لداود عليه السلام.

64 النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت ص: 568، وراجع أيضًا نفس النص في: التوراة كتابات ما بين العهدين- مختارات ص: 439 440.

65 النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت ص: 567 و568.

66 النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت ص: 570 و571.

[3] **فيما يتعلق بالسمعيات**

لقد وردت بعض الأمور في مخطوطات قمران مما يتعلق بالغيب، ولا سبيل لمعرفتها إلا عن طريق الوحي، وتتفق هذه الأمور لحد ما مع ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، فمن هذه الأمور:

[أ] ظهور المسيح في آخر الزمان

ومن هذه النصوص التي تحدثت عن ذلك ما جاء في المخطوطة (1Qsb) وترجمته:

"المعلم سوف يبارك أمير المؤمنين .... وسوف يجدد له عهد المجتمع حتى يؤسس مملكة شعبه للأبد ، وحتى يقاضي الفقراء بكل تقوى ويبسط العدل مع المساواة[1] للمظلومين في الأرض وحتى يسير بكل كمال أمام الرب في جميع طرق الحق".

وجاء في نفس المخطوطة ما ترجمته:

"الرب أقامك كحاكم".

وهذا يتفق مع ما جاء في الأحاديث النبوية من نزول عيسى في آخر الزمان، ليحكم بشريعة الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير. فقد ثبت في الصحيحين، واللفظ للبخاري:

"قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلاً، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ، حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا". ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾"[2].

وأن عيسى بن مريم عليه السلام سيقر أمير المؤمنين في آخر الزمان على إمارته وإمامته، فقد جاء في صحيح مسلم رحمه الله:

"لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، قَالَ: "فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ"[3].

وجاء في تلك المخطوطة أيضًا ما ترجمته:

"وقد تجلب الموت على الكافرين بنَفَس شفتيك"[4،5].

وهذا يتفق ما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم رحمه الله:

"فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ"[6].

***

[ب] ظهور المسيح الدجال

- وقد ورد في المخطوطات نص يدل على أن أمير المؤمنين سوف يقتل الدجال:

"أميرُ المؤمنين سوف يقتله".

---

1 النص الإنجليزي الذي ترجم منه الدكتور عبد الرزاق الحباشنة هو: "and dispense justice with equity"، وقد ترجمها الدكتور الحباشنة: "ويقيم العدالة مع المساواة"، والذي ذكرته هو الأقرب للأصل في رأيي.

2 صحيح البخاري-كتاب: أحاديث الأنبياء- باب: نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليهما السلام- حديث رقم: 3448 ج: 2 ص: 490، صحيح مسلم-كتاب: الإيمان- باب: نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم- حديث رقم: 242 ج: ص: 80.

3 صحيح مسلم-كتاب الإيمان- باب: بَابُ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حديث رقم: 247 (158) ج: 1 ص: 81 و82.

4 النص الأصلي الذي ترجمه الدكتور عبد الرزاق الحباشنة هو: "may you bring death to the ungodly with the breath of your lips"، وقد ترجمه كالتالي: "سوف يأتي الموت للكافرين عن طريق نفسك". والذي ترجمته قد يكون الأقرب للأصل، والله أعلم.

5 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 40 و41.

6 صحيح مسلم-كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ- باب: ذكر الدجال وصفته وما معه- حديث رقم: 2937 مج: 2 ص: 1340.

إلا أن هذا النص يمكن ترجمته على وجهين لأن اللغة العبرية ليس فيها تشكيل، فيمكن قراءته كالآتي:
" سوف يقتل أميرَ المؤمنين"[7].
والاحتمال الأول يتفق مع جاء في السنة من أن سيدنا عيسى -عليه السلام- سوف يقتل الدجال، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم رحمه الله:
"فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ"[8].
- وجاء في المخطوطة (4Q171):
"فترة وجيزة والشرير سوف ينتهي ، سوف أنظر إلى مكانه ولكن لن يكون هناك"[9].
وهذا يشبه ما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم رحمه الله:
"فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ"[10].
- وجاء في المخطوطة (1Qp Hab) عن أعمال المسيح الدجال ما ترجمته:
" سوف تهتز الجبال أمامه، وترتفع الأرض والتلال والعالم وكل من فيه، من يستطيع أن يقف أمام غضبه؟ ومن يستطيع أن ينهض ضد غضبه الانتقامي[11]؟"[12].
وهذا يقترب في معناه من الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم رحمه الله:
"قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: "كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَم ... الحديث"[13].
وتكرُّرُ التحذيرِ من المسيح الدجال في بقايا الشريعة الموسوية -التي كانت مع القمرانيين- وفي أحاديث الصادق المصدوق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يؤيده الحديث، الذي أخرجه الشيخان وغيرهما، واللفظ للبخاري:
"قَالَ ابْنُ عُمَرَ: ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: "إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ"[14].

***

[ج] ظهور يأجوج ومأجوج
وقد وردت عدة نصوص في مخطوطات قمران تشير إلى يأجوج ومأجوج، ومنها:
- ما جاء في المخطوطة (1Qp Hab) وترجمته:

---

7 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 18.
8 صحيح مسلم-كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ- باب: ذكر الدجال وصفته وما معه- حديث رقم: 2937 مج: 2 ص: 1342.
9 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 41.
10 صحيح مسلم-كتاب: الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ- باب: فِي فَتْحِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَخُرُوجِ الدَّجَّالِ وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ- حديث رقم: 1897 مج: 2 ص: 1324.
11 جاء في ترجمة الدكتور الحباشنة: "ضد غضبة الإنتقامي". وربما كان خطأً مطبعيًا.
12 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 41 و42.
13 صحيح مسلم-كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ- باب: ذكر الدجال وصفته وما معه- حديث رقم: 2937 مج: 2 ص: 1342.
14 صحيح البخاري- كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ- باب كيف يعرض الإسلام على الصبي- حديث رقم : 3057 ج: 2 ص: 375.

= "خيولهم تسير بكبرياء ، وتنشر أجنحتها ، سوف يأتون من بعيد كالنسر شديد التوق ليفترس . كلهم يأتون من أجل الأذى أو العنف ، والنظر لوجوههم يشبه الريح القادمة من الشرق".

= "سوف يمشون على أرض منبسطة ، ويقتلون بقوة وينهبون مدن الأرض".

= "كل مكيدتهم الشريرة تعمل مقصودة، ويتعاملون مع الأمم ببراعة ومكر"[15].

وقد وردت أحاديث عديدة عن ظهور يأجوج ومأجوج، منها ما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله:

"ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ"[16].

***

[د] الملحمة

من المخطوطات التي وجدت في كهوف قمران مخطوطة تسمى (مخطوطة الحرب)، وتصف الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلام، وتسمى تلك الحرب بـ(الملحمة- Milhamah)، وتبين تلك المخطوطة تفاصيل تلك الحرب وتنظيم قوات الطائفة وراياتهم وما كتب عليها، وتذكر المخطوطة أن الملحمة ستبدأ حينما يعود أبناء النور المنفيون من الصحراء، ويخيمون في صحراء أورشليم، وأن الله سيؤيد أبناء النور، في حربهم، التي ستستمر أربعين عامًا، ثم يعقبها النصر النهائي على جيش الشيطان (أبناء الظلام)[17].

وهذا قريب مما جاء في السنة عن الملحمة، مثل حديث أبي الدرداء رضي الله عنه:

"سمعت النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "يومُ الملحمةِ الكبرى؛ فُسطاطُ المسلمين بأرضٍ يقالُ لها:"الغوطة"، فيها مدينةٌ يقالُ لها "دمشق"؛ خير منازِلِ المسلمين يومئذٍ"[18].

***

[هـ] ختم النبوة

جاء في المخطوطة (4Q169) ما ترجمته:

"وصوت أنبيائكم لن يعد يسمع"[19].

وهذه إشارة إلى ختم النبوة، وقد وردت أحاديث تتطابق مع هذا المعنى، ومنها الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري:

"عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَثَلِي، وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا، فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ"[20].

وهذا الحديث يوافق البشارة التي جاءت في سفر المزامير:

"118: 22 الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية.

---

15 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 42.

16 صحيح مسلم-كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ- باب: ذكر الدجال وصفته وما معه- حديث رقم: 2937 مج: 2 ص: 1342.

17 مخطوطات البحر الميت لأحمد عثمان ص: 60 و61، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية ص: 75.

18 قال الشيخ الألباني رحمه الله: " حديث صحيح، أخرجه أبو داود "2/ 210"، والفسوي "2/ 290"، والحاكم "4/ 486"، وأحمد "5/ 197"، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي، وأقرّه المنذريّ "4/ 63"، وهو كما قالوا". [تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق ص: 38].

19 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 43.

20 صحيح البخاري-كِتَابُ المَنَاقِبِ- بَابُ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-حديث رقم: 3534 ج: 2 ص: 513.

118: 23 من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا"[21].

وقد استشهد كاتبا -أو كُتَّاب- إنجيلي متى ولوقا بهذا النص، وأضافوا إليه قولًا نسبوه للمسيح عليه السلام:

متى:

"21: 42 قال لهم يسوع: "أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية؟ من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا!

21: 43 لذلك أقول لكم: "إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره.

21: 44 ومن سقط على هذا الحجر، يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه!"[22].

وزعم النصارى أن ما ورد في المزامير هو بشارة بسيدنا عيسى عليه السلام، وهذا زعم خاطئ، بل هو بشارة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأن المسيح لم يسحق أحدًا، أما سيدنا رسول الله، فقد نصره الله على أعدائه[23].

***

[و] وصف النار

جاء في المخطوطتين (1QM, 4QM) ما ترجمته:

"سوف تحرق المذنبين في هلاك جهنم في لهب دائم".

وجاء في المخطوطة (1QH):

"وأبواب جهنم سوف تفتح لكل أنواع الغرور"[24].

***

21 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- المزامير: 118: 22 و23 ص: 414.

22 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- متى: 21: 42 إلى 44 ص: 18. أيضًا: لوقا: 20: 17 و18.

23 راجع لتفاصيل مناقشة هذا الأمر: كتاب (محمد -صلى الله عليه وسلم- في الكتب المقدسة) للأستاذ سامي عامري ص: 232 إلى 240.

24 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 43.

[4] **بعض النصوص التي تبين شيئًا من التشريعات**

[أ] هيئة الصلاة

جاء في المخطوطة (1QH) ما ترجمته

"سوف أحمد اسمك بين الذين يخافونك وفي الركوع في الصلاة سوف ألتمس أفضالك من جيل إلى جيل ومن موسم إلى موسم دون نهاية"[1].

والركوع في الصلاة لا يرى اليوم إلا في صلاة المسلمين.

[ب] عدم دخول بيوت العبادة على غير طهارة

جاء في المخطوطة (11QT) ما ترجمته:

"سوف لا يدخلون حرمي في حالة عدم طهارتهم"[2].

وهذا يتفق مع ما أمرت به الشريعة الإسلامية من منع الجنب والحائض والنفساء من دخول المساجد.

[ج] تحريم الدم

جاء في المخطوطة (11QT) ما ترجمته:

"يجب أن تمتنعوا عن أكل الدم"[3].

وهذا يتفق مع تحريم الدم في الشريعة الإسلامية.

[د] تحريم عصير العنب المخمر

جاء في المخطوطة (1Qsa II, 17-21) ما ترجمته:

"شراب المؤمنين كان عصير العنب غير المخمر"[4].

ومما سبق يتبين أن مخطوطات قمران برغم ما أصابها من تحريف وتزييف إلا أنها ما زالت تحتفظ ببقايا من الحق، الذي يتفق مع القرآن الكريم والسنة المشرفة.

***

1 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 44.

2 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 44.

3 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 44.

4 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 44، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت ص: 93.

ز- خلاصة

يمكن أن ألخص أهم ما يتعلق بموضوع هذا الكتاب عن القمرانيين في الآتي:

(1) أنها كانت طائفة يهودية عاصرت المسيح عليه السلام، وكانت مخالفة لبولس في أهم عقائده، فقد كانت متمسكة بالتوحيد، ولا تعرف قصة الصلب والفداء، مع تمسكها الشديد بالشريعة الموسوية.

(2) بل وكانت مقاومة للسلطة الرومانية، التي سعى بولس للتوافق معها، ثم سيطرت على المسيحية بعد ذلك.

(3) كان اليهود وراء هذا الكم الهائل من الدراسات والاهتمام بلفائف قمران، محاولة منهم لأن يدعوا -من خلال هذه الوثائق- أن لهم حقًا تاريخيًا في منطقة قمران وما حولها.

(4) كان الأكثر الغالب من وثائق قمران جذاذات مقطعة لآلاف القطع، التي قام الباحثون بتجميعها وملء الفراغات بينها على حسب معتقد كل باحث.

(5) هناك صراع فكري في الغرب بين علماء اليهود والنصارى حول تلك اللفائف، وكل يدعي أحقيته فيها.

(6) كان من مظاهر التلاعب والتحريف اليهوديين محاولة تقديم نصوص يزعم أنها من اللفائف، تركز على أنهم شعب الله المختار، وأن لهم هيكلًا يجب أن يقام، وأن عهدهم مع الرب هو العهد الصحيح.

(7) القول بأن اللفائف كتبت في منطقة قمران ما هو إلا نظرية وليست حقيقة ثابتة، حيث أن هناك نظرية أخرى تقول بأن اللفائف قد جلبت لمنطقة قمران[1]، كما أن هناك من يقول بأن اللفائف تمثل مكتبة القمرانيين، التي تضم مكتوباتهم وغيرها من الكتابات.

(8) هناك أدلة قوية على أن تلك اللفائف قد تم التلاعب بها، ولا يعلم حتى الآن حقيقة عددها أو محتواها.

(9) أثبتت تلك اللفائف تفشي التحريف في الأسفار التي يقدسها اليهود والنصارى.

(10) أثبتت تلك الوثائق بأن ما يسمى بالكتب القانونية اليهودية، وبالتالي أسفار العهد القديم النصراني القانونية، ما هي إلا رأي مختلف عليه اختلافًا شديدًا، ولا يمثل إجماعًا، حتى بين اليهود، الذين عاصروا الترجمة السبعينية للتوراة ثم بعثة المسيح عليه السلام.

(11) أظهرت تلك الوثائق أنه كان هناك صراع دموي بين طوائف اليهود قبيل بعثة سيدنا عيسى عليه السلام، بسبب الفساد والانحراف الذي تفشى في الأحبار وكهنة المعبد.

(12) رغم ما أصاب تلك الوثائق من تلف وتلاعب وتحكم في ترتيبها وعرضها، إلا أنها توافقت مع معاني كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

(13) السؤال الأخير الذي أجلته حتى هذا الموضع هو:

لماذا حرصت الحكومة الأردنية - وهي صاحبة السلطة على الوثائق حتى سقوط القدس في عام 1967م- على أن تسند مهمة التصرف في وثائق قمران للمدرسة الكتابية الأثرية الكاثوليكية في القدس، وألا تشرك في فريق البحث والجمع والعرض أي عالم مسلم أو حتى مسيحي من الطوائف الشرقية؟؟؟

***

1 لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ص: 45 مع تصرف.

7- الناصريون

الناصريون طائفة من المسيحيين الأوائل، من اليهود المتنصرين، ومن أهم ما يتصفون به:

أ- التمسك بالتوحيد وعدم الاعتقاد بألوهية المسيح عليه السلام

فقد ذكر بطرس البستاني أن لفظ (الإبيونيين):

"كان يطلق في أوائل الكنيسة على كل المسيحيين الذين كانوا يتمسكون بآراء اليهود

....

والظاهر ان الابيونيين بقوا الى القرن الرابع متحدين في أعمالهم مع طائفة الناصريين وقد استعمل اباء الكنيسة في كتاباتهم اسم احدى الطائفتين للاخرى"[1].

والإبيونيون -باتفاق- يؤمنون بالتوحيد، وينكرون ألوهية المسيح عليه السلام.

ونقل الدكتور محمد منقذ السقار عن دائرة المعارف الأمريكية قولها:

"لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جدًا في التاريخ أو في حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين".

ونقل عن دائرة معارف لاوس الفرنسية:

"إن عقيدة إنسانية عيسى كانت غالبة طيلة مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين، فإن الناصريين سكان مدينة الناصرة وجميع الفرق النصرانية التي تكونت عن اليهودية اعتقدت بأن عيسى إنسان بحت مؤيد بالروح القدس، وما كان أحد يتهمهم إذ ذاك بأنهم مبتدعون وملحدون"[2].

ويؤكد هذا ما نقله الأستاذ فاضل سليمان عن جون تولاند في كتابه (The Nazarenes) ص: 73:

"اتفق مؤرخو الكنيسة بالإجماع على أن الناصريين والإبيونيين هم **المسيحيون الأول**، أو أنهم أول من آمن بالمسيح من بين اليهود الذين كانوا هم قومه الذين عاش ومات بينهم، وكانوا هم شهود أعماله **وخرج منهم كل الحواريون**، وبأخذ ما سبق في الاعتبار أقول كيف أمكن أن يصبحوا أول الهراطقة؟ وكيف أصبح الأميون الذين آمنوا به بعد موته من خلال مواعظ أناس لم يعرفوه أبدا هم أصحاب العقائد والمفاهيم الصحيحة؟"[3].

وذكر محررو دائرة المعارف الكتابية عن جيروم من القرن الرابع قوله:

"إنه وجد في فلسطين مسيحيين من اليهود يعرفون باسم " ناصريين وأبيونيين"".

ويضيفون:

"ولا نستطيع الجزم هل كانا مذهبين منفصلين ، أو أنهما كانا جناحين لمذهب واحد من ذوي الآراء المتحررة أو الضيقة . فالبعض مثل هارناك يعتقد أن الاسمين هما لقب مميز للمسيحيين من اليهود ، بينما يعتقد البعض الآخر أن الأبيونيين هم جماعة الرجعيين والمذهب الأضيق من المسيحيين اليهود ، بينما كان الناصريون أكثر تسامحًا مع من يختلفون معهم في العقيدة والممارسات"[4].

ونقل الأستاذ جمال شرقاوي عن الدكتور القس المصرى صموئيل مشرقى من كتابه (من هو يسوع المسيح) ص: 34 و35، مُعَرِّفا طائفة النصارى بأنهم:

---

1 دائرة المعارف للبستاني مج: 2 ص: 426 مادة: أبيونيون.

2 جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى في القرن الرابع عشر الهجري- التوحيد قبل مجمع نيقية ص: 353.

3 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 37.

4 دائرة المعارف الكتابية- الأبو كريفا: الأناجيل- إنجيل العبرانيين، أبوكريفا: أناجيل الهراطقة- إنجيل الأبيونيين ج: 1 ص: 54 و55.

"هم الفئة التى تبعته ـ أى المسيح ـ وهى لا تزال فى نطاق اليهودية حتى إننا نراها تؤدى شعائر عبادتها فى الهيكل فى أوقاتها المُعيَّنة .!! مع أنهم كانوا يقيمون فيما بينهم عبادات خاصة يومية فى بيوتهم ، وقد اعتبروا نواة المسيحية بعد انسلاخهم من الأمَّة اليهودية ورفضها للناصرى الذى كانوا قد آمنوا به . ومع ذلك كانوا فى البداية مجرد فرقة يهودية تميزت بانتسابها ليسوع الناصرى ، فهم الطائفة التى آمنت به من بنى إسرائيل ، وبقيت على يهوديتها وتبعيتها لموسى وتمسكوا بالختان وغيرتها على الشريعة (أ ع 15 : 5 ؛ 21 : 20) فليسوا هم المسيحيون الذين بدءوا يحملون هذا الاسم فى أنطاكية ومنها انتشروا فى أنحاء الأرض . وهذا ينفى الظن الشائع أنَّ المسيحية هى النصرانية بعينها"[5].

ونقل الأستاذ محمد عنان -رحمه الله- عن الكاتب اسكندر صيفي من كتابه (المنارة التاريخية في مصر الوثنية والمسيحية) ص: 137:

"وكان أولاً الاسم العام للمسيحيين " النصارى " وذلك لأن أولهم كانوا من اليهود قوم الناصري يسوع ، ثم لما شاعت المسيحية بين المصريين وذهبوا مذاهبهم فيها ، كفروا أولئك اليهود القائلين بأن يسوع هو المسيح والنبي المنتظر ، فلما لعن مجمع نيقية اليهود كره الجمهور الانتساب للنصارى وانحصر هذا الاسم بعد زمان قسطنطين بيهود الحبشة واليمن المتنصرين"[6].

أي أنه لما انتشر التثليث بين المصريين كفروا النصارى أو الناصريين القائلين بأن يسوع هو نبي فقط.

وذكر أستاذ اللاهوت ورجل الدين المسيحي الملقب بـ(الموقر جدًا) هنري تشادويك[7]:

أن اليهود المتنصرين كانوا يؤمنون بعيسى المسيح، ولكنهم لم يتخلوا عن التقاليد الموسوية، ورأوا أن تميزهم مستمد من الكنيسة الأصلية في القدس في وقت يعقوب البار، وهو الأمر الذي أقر به بولس في رسائله، حيث وصفهم بـ(الفقراء) أو (الأبيونيين)، وهناك من سماهم بـ(الناصريين)[8].

وقد مر بنا -من قبل- أن الإبيونيين كانوا يرون عيسى -عليه السلام- بشرًا مخلوقًا.

كما ذكر هنري تشادويك: أن جوستين (الشهيد) قد كتب في منتصف القرن الثاني الميلادي أن اليهود المتنصرين حافظوا على الشعائر اليهودية (الختان وأحكام الأطعمة والمحافظة على السبت وأعياد اليهود) وهي الأمور التي لم يعبأ بها المسيحيون الأمميون، وأنه لم يدرك فرقًا بين الطائفتين في الاعتقاد، ولكن تشادويك يناقض هذا؛ بتأكيده على أن هؤلاء اليهود المتنصرين كان لهم موقف شديد الانتقاد من بولس.

وهو الأمر الذي ينقله تشادويك أيضًا عن أوريجون -المتوفى عام 254م[9]- أن (الفقراء) أو اليهود المتنصرين كانوا متفقين على إنكار المكانة القانونية لبولس ولرسائله[10].

ومما يؤكد عدم صحة ما ينقله هنري تشادويك عن يوستينوس بأن اليهود المتنصرين لم يكن بينهم وبين المتنصرين الأمميين خلاف في الاعتقاد؛ أن يوستنيوس يخلط في العقائد، فقد ذكرت -سابقًا في مبحث التقليد- أن يوستينوس الملقب بـ(الشهيد) يعتبره النصارى مهرطقًا:

(1) لتلوثه بأفكار وثنية. ولا يقتصر الأمر على بعض الآثار الوثنية، بل -في الحقيقة- إن يوستينوس قد حاول أن يوفق ما بين العقيدة النصرانية والثقافة **الوثنية.**

(2) ولقوله بمذهب التابعية (أن الابن أدنى منزلة من الآب، والروح القدس أقل من الابن)[11].

---

5 مباحث هامة في المسيحية والإسلام ص: 36 و37.

6 ما لا تعرفه عن المسيحية ص: 18.

7 الأستاذ الملكي المتقاعد للإلهيات بجامعة كمبردج، وقيم بيت بطرس بكمبردج (1987- 93م).

8 The Church in Ancient Society, p: 57.

9 Encyclopædia Britannica, Origen.

10 The Church in Ancient Society, p: 57 & 58.

11 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 3 ص: 452 و453.

بل إنه ذهب إلى أن الإله الذي يتجلى للبشر في العهد القديم، مثل تجلي الله -سبحانه- لموسى عليه السلام، لا يمكن أن يكون هو أبو الكل المتعال، المتسامي للغاية، ولكنه لا بد أن يكون الابن/ الكلمة، الذي يمثل الحلول الإلهي في العالم، والذي هو **إله آخر** في العدد وليس في الإرادة، ولكنه متحد مثل الشمس وضوئها[12]!!!

ويؤكده أيضًا ما نقله الأستاذ ساجد مير في كتابه القيم (المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل) عن إدوارد جيبون (Edward Gibbon) من كتابه (Decline and Fall of the Roman Empire) ج: 2 ص: 10، وعن هانز ليتزمان (Hans Leitzman) من كتابه (The Beginning of the Christian Church) ص: 183: أن يوستينوس قد أثار في منتصف القرن الثاني الميلادي قضية نجاة الفرق المسيحية المتمسكة بالناموس الموسوي (أي النصرانيين والإبيونيين)، وأنه أعلن أن الفرق المتبعة للشريعة الموسوية ملحدة ومبتدعة[13].

فكيف يتفق كل هذا مع التوحيد الذي التزم به الإبيونيون والناصريون، متابعةً للعقيدة التي جاء بها موسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام.

كتب الدكتور نصر أبو طالب:

"نقل لنا المؤرخون أنَّ بولس كان من أول هؤلاء المُتَهمين بالكذب على المسيح عليه السلام.. جاء هذا الاتهام من قبل أتباع المسيح اليهود (أتباع كنيسة القدس المعرفون تاريخيا باسم النصارى Nazarenes)، وهم مَن عَرَف المسيح -عليه السلام- في حياته .. فعلى الرغم من أنَّ مؤلفات النصارى اليهود Nazarenes قد طمست وضُيّعت، فإن هناك عدد بسيط بقي من أجزاء من بعض الرسائل المنسوبة إليهم يتضح منها اعتبارهم لبولس نبياً كاذباً.. هذا إضافةً إلى إتضاح موقفهم كذلك مما كتبه عنهم أعداؤهم والمؤرخون من غيرهم..

والنصارى اليهود Nazarenes هم أتباع المسيح بفلسطين، وقد كان كل أتباعه في عهده يهوداً، وهم أتباع يعقوب James ابن خالة المسيح (يرى البعض أنه أخو المسيح الذي عين إماما أو قائدا للنصارى من بعد المسيح -عليه السلام- مباشرة، بل وأصبح إماماً لكل اليهود من بعد عيسى، فكانت أقدس بقعة في قلب الهيكل Holy of the Holies (لعلها تقابل داخل الكعبة) – وذلك كما نقل إيسنمان وغيره عن مؤرخي القرون المسيحية الأولى (يعقوب أخو عيسى ص 311 و 312)فكان هذا المكان المقدس جدا لا يسمح لأحد بدخوله غير يعقوب البار مرة كل عام، مما يدل على مكانته الفريده بين اليهود وعلى ظهور أمر النصارى من بعد عيسى -عليه السلام- بين اليهود، وهم – أي النصارى أو الناصريين - أتباع بقية تلامذة المسيح وحوارييه، وأتباع ما عرف فيما بعد بكنيسة القدس.. فهم المدرسة الأصيلة التي تلقت عن المسيح مباشرة، وهم أولى الناس بالحديث عن المسيح ودعوته.. وإن كانت المدرسة المسيحية التي اتبعت بولس سعت الى تجاهل يعقوب وتجاوزه الى حد بعيد، كما بين ذلك الباحث إيسنمان في كتابه الضخم عن " يعقوب أخو المسيح" .. وهو مما يشير الى افتراق خط المسيحية المعاصرة (المتبعة لبولس) عن تعاليم المسيح والأئمة الأوائل من بعده منذ عهد مبكر من بعد المسيح عليه السلام..

تذكر هيام ماكوبي Hyam Maccoby أن الكتابات المسماة Psuedo- clementine هي في الرأي الأرجح للباحثين من كتابات الناصريين Nazarenes في القرن الثاني الميلادي، وفيها : " تمسك شديد بالتوراة وهجوم شديد على من

Microsoft Encarta 2009, Saint Justin Martyr.

12 The Church in ancient Society P: 95 & The Early Church p: 77.

والنص الأصلي هو:

"A major theme for Justin is the demonstration that the God appearing in the theophanies of the Old Testament, as for example at the Burning Bush to Moses, cannot be the supreme Father of all, who is utterly transcendent, but must be the Son/Logos, who therefore represents divine immanence within the world and is 'a God other in number but not in will', yet as united as sun and sunlight".

13 المسيحية (النصرانية)- دراسة وتحليل ص: 67.

نسَب إلى الحواري بطرس نظرة مخالفة للتوراة،واتهام لشخصية سميت سمعان ماقص يعتقد الباحثون أنها تكنية لبولس بأنه النبي الكذّاب، وأنه نشر الأكاذيب عن بطرس، وأنه لا يعرف شيئاً عن التعاليم الصحيحه للمسيح عيسى "عليه السلام" لأنه لم يقابل المسيح قط في حياته، وأن كل أفكاره عن المسيح مبنية على أحلام مرضية.." ويستشهد المؤلف أعلاه باستشهادات أخرى لتوضيح رأي الناصريين عن بولس، ومن ذلك ما ذكره عنهم المؤرخ اليهودي ايبفانيوس في القرن الثاني حين كتب : " انَّهم أظهروا أنه يوناني .. وأنه ذهب الى أورشليم – حسب قولهم- فأمضى وقتا بها، وتعلق قلبه بغرام بنت الكاهن (لعله جاملائيل الذي ذكره بأعمال الرسل 22: 3 كأستاذه)، ولأجل ذلك اعتنق اليهودية واختتن. ثم إنه فشل في الحصول على الفتاة، فانفجر غضبه وكتب ضد الختان والتوراة والسبت..". ويذكر مؤلفوا كتابThe Messianic Legacy على سبيل المثال نقلاً عن مصادر قديمة أخرى أن الناصريين " رفضوا رسائل بولس وسموه بالمرتد عن الشريعة.." وينقل المؤلفون كذلك تسمية الناصريين لبولس بأنه النبي الكذاب ودفاعهم عن بطرس وأنه لم يستجب لأفكار بولس، وينقلون تحذيرهم للنصارى من اتباع أحداً غير علماءهم الناصريين، وينقل المؤلفون عن وثيقة أخرى وجدت في مكتبة استانبول إيمان الناصريين بالمسيح **كرجل لا إله**، والتزامهم بتعاليم التوراة واعتبارهم أتباع بولس بأنهم تركوا دين المسيح واتبعوا عقائد الرومان "،

....

ويذكر مؤلفوا كتاب The Hiram Key (سبقت الإشارة اليه) أن جماعة الناصريين هم أحفاد يعقوب خليفة المسيح الأول وأنهم آمنوا بالمسيح **كمعلم عظيم وكانسان فانٍ**، **لاإله**، وأنهم ظلوا ينظرون لانفسهم كيهود، و" أنهم كرهوا بولس واعتبروه عدو الحق" ، ومن الألقاب التي أطلقها النصارى اليهود على بولس وذكرها إيسنمان في كتابه "يعقوب أخو عيسى" (1996، ص 146)، من هذه الألقاب " الكذاب و الذي يكذب" " رجل الأحلام" و" العدو"[14].

-وقد ذكر بعض الكتاب أن الناصريين كانوا يرون ألوهية عيسى عليه السلام، مثل الدكتور القس حنا جرجس الخضري، فقد كتب عن الجماعات التي كانت محافظة على الناموس والعادات اليهودية منذ بداية الكنيسة:

"4- الناصريون ، ومع أن هذه الجماعة الأخيرة قد تمسكت بلاهوت المسيح والميلاد العذراوي وعمل المسيح الفدائي ، إلا أنهم تمسكوا أيضا وبشدة بالناموس الموسوى والتعاليم الربانية والوطنية ، فقد كانوا ينتظرون تأسيس مملكة يهودية إسرائيلية"[15].

كذلك ذكر ذلك محررو الموسوعة البريطانية[16]، ومحررو موسوعة إنكارتا، وج. ويلتز[17].

ب- التمسك بالشريعة اليهودية

ج- إنجيلهم

قيل إنهم كانوا يستخدمون إنجيلًا يسمى بـ(إنجيل العبرانيين).

وذكر أبيفانوس (376م): إن الناصريين "لديهم إنجيل متى في صورة أكمل في العبرية"[18].

وينقل عن ثيودوريت أحد مؤرخي الكنيسة اليونانيين (390- 459م): "إن الناصريين استخدموا إنجيلاً اسمه (بحسب بطرس)". كما يشير إليه أيضًا جيروم، وقد رفضت الكنيسة الكاثوليكية هذا الإنجيل في المرسوم الجيلاسياني (496م)، وقد عثر في صعيد مصر في منطقة أخيم عام 1886م على رقوق مكتوب عليها أجزاء من ثلاثة مؤلفات مسيحية

---

14 تباشير التوراة والإنجيل بالإسلام ورسوله محمد صلى االله عليه وآله وسلم ص: 158 و159.

15 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 2 ص: 495 و496.

16 Encyclopædia Britannica:

- Nazarene.

- Judaism.

17 الهرطقة المسيحية ص: 50.

18 دائرة المعارف الكتابية- الأبو كريفا: الأناجيل- إنجيل العبرانيين ص: 54 و55.

مفقودة هي: سفر أخنوخ وإنجيل بطرس ورؤيا بطرس، فنشرت في عام 1892م. وذكر هارناك حوالي ثلاثين إضافة في إنجيل بطرس لقصة الألام والدفن[19].

وفي القرن الثاني الميلادي ظهرت رسالة منسوبة لبطرس (بشارة بطرس) (The Preaching of Peter)، وقد تضمنت هذه الرسالة هجومًا على تعاليم بولس بخصوص القانون الموسوي، وأرجعت ذلك للساحر سيمون ماجنس[20].

ويزعم النصارى أن الرسالة مزورة[21]، وأيًا كان الأمر: مزورة أو غير مزورة، فإنها تثبت أنه كان في القرن الثاني الميلادي، من يستنكر تعاليم بولس، ويرى أن سعيه لتغيير شرائع التوراة مستمد من الساحر سيمون ماجنس.

وهذا الهجوم على بولس يتفق مع عقائد الإبيونيين والناصريين.

***

19 دائرة المعارف الكتابية- الأبو كريفا: أناجيل الهراطقة- إنجيل بطرس ج: 1 ص: 56 و57.

20 The Church in Ancient Society From Galilee to Gregory the Great, p: 58.

21 دائرة المعارف الكتابية ج: 1 ص: 53.

8- الوحدويون[1] الرئاسة الواحدة[2] (Monarchianism)

- تمهيد

أود أن أُذكر القارئ -قبل الحديث عن طائفة الوحدويين- بما ذكرته من قبل عن الآباء الرسوليين (آباء القرن الأول الميلادي)، وما نسب لهم من أقوال تنص على توحيد الله سبحانه، مثل ما جاء في رسالة اكليمندس الأولى[3] ورسالة برنابا[4] ورسالة راعي هرماس[5,6].

ومثل ما كتبه الفيلسوف اليوناني المتنصر أرستيدس -الذي عاش في القرن الثاني الميلادي- من تقدير وإجلال للتوحيد في الديانة اليهودية[7].

***

1 هذا الاصطلاح ذكره الدكتور القس حنا جرجس الخضري في كتابه (تاريخ الفكر المسيحي).

2 هذا الاصطلاح ذكره القمص تادرس يعقوب ملطي في كتابه (نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى)- ملحق 2 ص: 441 وما بعدها.

3 أود هنا أن أعلق على رسالة أكليمندس الأولى، بالآتي:

1- أن هذه الوثيقة تخلو من أية إشارة لعقيدة االتثليث أو التجسد أو تأليه المسيح عليه السلام.

سوى نص محرف جاء كالتالي:

"فضلًا عن ذلك، كنتم كلكم متضعين بغير غطرسة، خاضعين غير مطالبين بإخضاع الآخرين، مغبوطين في العطاء أكثر من الأخذ، قانعين بما قسمه الله لكم، مسرعين إلى سماع كلامه، مفتكرين باجتهاد في قلوبكم تحفظون آلامه نصب أعينكم".

فهذا النص بهذه الصورة يوحي بأن الهاء في كلمة (آلامه) تعود على لفظ الجلالة (الله)، فإذن الله هو المسيح المتألم على الصليب.

ولكن في الهامش ورد التعليق الهام التالي:

"الله: معظم المخطوطات القديمة تقرأها: المسيح". [الآباء الرسوليون ص: 52].

أي أن المسيح هو المتألم، وليس الله سبحانه.

فيستفاد من هذا أن ناسخ هذه المخطوطة، قد غير كلمة (المسيح) في المخطوطات القديمة، ووضع بدلًا منها لفظ الجلالة (الله)، ليوحي بألوهية المسيح.

2- بل في مقابل هذا التحريف تحوي الرسالة نصوصًا واضحة في أن الله سبحانه هو الواحد الخالق، وأن المسيح -عليه السلام- هو عبده مثل:

"59. ولكن إن قاوم بعض الناس، ما قلناه بواسطته لكم، فليدركوا أنهم يرتكبون في حق أنفسهم خطية ليست بالهينة فهم يوقعون أنفسهم في خطر أشد. 2. رغم ذلك فإننا من جهتنا سنكون أبرياء من هذه الخطية، فنطلب بصلاة جادة وتوسل عميق أن يحفظ مختاريه في كل العالم، بخادمه الحبيب، يسوع المسيح، الذي به دعانا من الظلمة إلى النور ومن الجهل إلى معرفة مجد اسمه". [الآباء الرسوليون ص: 128].

وكلمة خادمه (بايدوس) اليونانية (παιδσς) يمكن ترجمتها إلى عبده أو فتاه. وسأشير لذلك -إن شاء الله- عند الحديث عن التحريف في الترجمات.

ومن النصوص الصريحة أيضًا في نفي الألوهية عن سيدنا المسيح -عليه السلام- وإثبات عبوديته لله النص التالي:

"3. هبنا يا رب أن نترجى اسمك، أصل كل الخليقة، وافتح أعين قلوبنا لنعرفك، أنت الوحيد الأعلى من كل عادل، .... أنت وحدك حافظ الأرواح، وإله كل جسد. ..... خالق وحامي كل روح. أنت تكبر الأمم على الأرض، ومن بينهم جميعهم، اخترت الذين أحبوك بيسوع المسيح، فتاك الحبيب، الذي به أدبتنا وقدستنا وكرمتنا. 4. نسألك أيها السيد، أن تكون معيننا وحامينا. ..... فلتعرف كل الشعوب أنك أنت الإله الوحيد. وأن يسوع هو فتاك، وإننا شعبك، وغنم مرعاك". راجع: موقع الدعوة الإسلامية: محمد شاهين التاعب، شريط (الآباء الرسوليون الجزء الأول).

4 ورد نص في رسالة برنابا يفهم منه أن المسيح مخلوق، حيث ورد فيها عند الحديث عن سيدنا المسيح عليه السلام:

"الذي قال عنه الآب (الله) عند تأسيس العالم "لنخلق العالم على صورتنا كشبهنا". راجع: موقع الدعوة الإسلامية: محمد شاهين التاعب، شريط (الآباء الرسوليون الجزء الأول).

5 ورد في رسالة راعي هرماس نص يذكر أن كل موجود قد صنعه الله من العدم، أي أن المسيح مخلوق-:

"قبل كل شيء، آمنوا أن الله واحد، خلق كل شيء وحفظه في نظام، ومن غير الموجود، صنع كل شيء موجود".

وورد فيها أيضًا نصوص تدل على أن الروح القدس مخلوق، مثل:

"ألا تفهم ان الحزن هو أكثر هذه الأرواح جميعها شرًا، وسيء جدًا لعبيد الله، فهو يفسد الشخص أكثر من كل الأرواح، ويسحق الروح القدس".

فالذي يسحقه الحزن مخلوق وليس إلهًا. وهذا يضاد التثليث. راجع: موقع الدعوة الإسلامية: محمد شاهين التاعب، شريط (الآباء الرسوليون الجزء الأول).

6 راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس/ النقطة الأولى: نبذة تاريخية/ المسألة الثانية: التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى/ المرحلة الثانية: (من سنة 135م إلى 325م)، وتمتد من طرد اليهود من بيت المقدس حتى انعقاد مجمع نيقية سنة 325م.

7 Encyclopædia Britannica, Aristides.

من هم الوحدويون؟

هم طائفة من النصارى ظهروا في القرنين الثاني والثالث الميلاديين، ورفضوا عقيدة التثليث، والوجود المستقل للكلمة (اللوجوس)، وأكدوا على أحدية الإله الأب. ومع ذلك اعتبروا سيدنا المسيح -عليه السلام- مخلصًا، ولكن ليس إلهًا.

وكتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري عن ترتليانوس، المتوفى بعد عام 220م، والذي عاش في قرطاجنة بتونس، أنه كان: "يحارب إذن في عدة جبهات في وقت واحد. إذ إنه كان يدافع عن عقيدة التجسد محاولًا أن يشرح هذه العملية للدخلاء من الوثنية، وللوثنيين أنفسهم، هؤلاء الذين كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة، وكانوا مشدودين إلى فكرة أن يسوع المسيح هو واحد من هذه الآلهة العديدة. كان يحارب أيضًا ضد اليهود الدخلاء وغير الدخلاء الذين لم يروا في يسوع المسيح إلا مجرد إنسان. كان يناضل أيضًا ضد جماعة أخرى من اليهود رأت في لاهوت المسيح تهديدًا عظيمًا لوحدة اللاهوت وهي جماعة (وحدة الله) (MONRCHIANISME). وفوق هذا كان عليه أيضًا أن يحارب الهرطقات الموجودة في داخل الكنيسة وفي خارجها مثل أتباع ماركيون وفالنتنيوس وغيرهما"[1].

ويقصد الدكتور القس حنا جرجس الخضري بـ(الدخلاء): المتحولين حديثًا للنصرانية.

ويستفاد من كلامه أن المسيحيين في القرون الثلاثة الأولى كانوا أخلاطًا من عقائد شتى، فمنهم من كان متمسكًا بوثنيته، ويرى أن المسيح هو أحد الآلهة، وهذا الأمر مهم في تتبعنا -إن شاء الله- لتأثير الوثنية في المسيحية، وكيف تدخلت الدولة الرومانية في عقائدها، كمظهر من مظاهر الفساد السياسي، الذي أفسد الدين، ونشأت عنه الدولة الوطنية الحديثة.

ويفهم كذلك من كلامه: أنه كان في الكنيسة موحدون يرفضون تأليه المسيح، وأنهم كانوا منتشرين في شمال إفريقيا موطن ترتليانوس.

ومما يوضح مدى الخلط الذي كان سائدًا بين المسيحيين في القرون الثلاثة الأولى؛ أن ترتليانوس هذا نفسه، الذي يعده الخضري أحد المدافعين الأوائل عن العقيدة المسيحية، قد انشق عن الكنيسة، ولم يكن يعتقد بأزلية الابن، لأنه -في رأيه- قد انبثق من الأب في وقت ما قبل الخليقة، وكان يؤمن بعقيدة التابعية؛ أي أن الابن أقل درجة من الأب، كما أشرت لذلك آنفًا، عند الكلام على التقليد المسيحي.

ويقسم مؤرخو الكنيسة الوحدويين لقسمين:

أ- البنويون (Adoptionist)، وهم الذين اعتقدوا أن سيدنا المسيح -عليه السلام- ليس إلا بشرًا، رفعه الله -سبحانه- لأسمى الدرجات، وتبناه.

ب- الانتحاليون أو السابليون (Modalistic or Sabellian)، وهم الذين يعتقدون أن الله -سبحانه وتعالى- ذاتٌ واحدةٌ وأقنوم واحد، يظهر كالأب أو الابن أو الروح القدس، وقد أشرت لهم من قبل عند الحديث عن سابليوس[2]، بما يغني عن إعادة ذكرهم.

***

---

1 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ص: 526.

2 الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس/ النقطة الأولى: نبذة تاريخية/ المسألة الثانية: التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى/ المرحلة الثانية: (من سنة 135م إلى 325م)، وتمتد من طرد اليهود من بيت المقدس حتى انعقاد مجمع نيقية سنة 325م.

أ- البنويون (Adoptionist)

اعتقد البنويون أن عيسى عليه السلام مجرد بشر، حُمِلَ به بمعجزة، واعتُبِر ابنًا لله سبحانه، لأنه امتلأ من الله سبحانه بنعمة وحكمة وقدرة إلهية.

وقد دعا لهذه العقيدة ثيودوتيس (Theodotus) في نهاية القرن الثاني الميلادي، وبعده بقليل دعا لها أرتيمون (Artemon)، ثم بولس السميساطي في حوالي 260م (Paul of Samosata)[1]، ولوقيانوس الذي يعد أستاذًا لآريوس، وكورنثوس، وغيرهم، وأشير بشيء من الإيجاز لبعضهم:

= كيرنثوس (Cerinthus)

عاش في القرن الأول الميلادي، وغالبًا أنه كان يهوديًا، ولد في مصر.

وكان يعتقد بأن يسوع ولد من يوسف ومريم، وتلقى المسيح كقوة إلهية عند عماده من الأب، وأن المسيح فارق عيسى عند الآلام والقيامة، وكان يتمسك بالختان وتعظيم السبت[2].

***

= ثيودوتيوس (Theodotus)

جاء ثيودوتس لروما في نهاية القرن الثاني (189- 199م)، وكل ما يعرف عنه أنه جاء من الشرق، وكان يعرف بالشيخ الدباغ البيزنطي، وكان مثقفًا ثقافة واسعة، ويجيد اللغة اليونانية.

وقد رجع ثيودوتيوس كثيرًا للعهدين القديم والجديد لإثبات عقيدته، وخاصة إلى المزمور (2: 7):

"2: 7 إني أُخبِرُ من جهة قضاء الرب: قال لي: "أنت ابني، أنا اليوم ولدتك"[3].

وقول بولس -في الرسالة المنسوبة له لأهل فيلبي- عن المسيح عليه السلام:

"2: 9 لذلك رفعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم"[4].

وغيرها من نصوص الكتاب الذي يقدسه النصارى.

وبناء على هذه النصوص كان ثيودوتيوس يعتبر أن المسيح -عليه السلام- لم يكن بالطبيعة ابنًا لله، بل إن الله قد تبناه، وهذا يعني أن يسوع الذي وُلِد بطريقة معجزة بدأ وجوده كأي إنسان آخر من لحظة ميلاده، إلا أن يسوع الإنسان يختلف عن كل إنسان آخر بحادثين مهمين:

الأول: الميلاد العذراوي، والثاني: لحظة عماده.

فثيودوتيس يعتقد بأنه في تلك اللحظة -فقط- أصبح يسوع ابنًا لله بالتبني وليس بالطبيعة.

وقد قام يسوع بالمعجزات لأنه امتلأ بقوة علوية أهلته لذلك.

ويعتقد ثيودوتيس -أيضًا- بأن الروح القدس حل على يسوع في ميلاده بطريقة خفية، ولكن حادثة العماد كانت الإعلان الرسمي الظاهري الذي شهد به الله أن يسوع صار ابنه. وقد رفع الله يسوع ومنحه اسمًا فوق كل اسم وأعطاه كل ما وصل له من مجد وعظمة وقوة عندما أقامه من الأموات.

ومع أن فكتور أسقف روما قد حكم بضلالة تعاليم ثيودوتيس، إلا أن تعاليمه استمرت في الانتشار -رغم هذا الحكم- في روما وخارجها.

---

1 Encyclopædia Britannica, Monarchianism.

2 Encyclopædia Britannica, Cerinthus.

3 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- المزامير: 2: 7 ص: 379.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي: 2: 9 ص: 157.

بل إن تلاميذه وأتباعه قد تعهدوا بمواصلة الجهاد في نشر تعليمه ومذهبه، ومن هؤلاء التلاميذ ثيودوتيوس آخر، ثم ناتليوس الذي أصبح أسقفًا لكنيسة روما في سنة 200م، ثم أرتيمون[5].

وتوفي عام 220م[6].

وذكر الدكتور القس حنا جرجس الخضري كلامًا هامًا عن امتداد جذور هذه العقيدة لعصر المسيح عليه السلام، وأنا أنقله بنصه:

"ومع أن ثيودوتيوس بدأ المناداة بمذهب البنوية في نهاية القرن الثاني ، فإن تعاليمه هذه لم تكن إلا ثمرة للبذورة التي ألقيت في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني.

....

وكما سبقت الإشارة فإن الكنيسة نشأت أولا في بيئة يهودية وكان التلاميذ أنفسهم يهودا .

....

ولكن ظهرت جماعات أخرى عديدة في الكنيسة المسيحية نفسها ، لم تقبل هذا الاعتراف ، وعلى الخصوص أقوال الرسول بولس التي تشير إلى لاهوت المسيح ووجوده السابق لكل وجود ، " اللوغوس " ، الكلمة الأبدي ، الذي به كل شيء كان وبغيره لم يكن شيء مما كان . فإن هذه الجماعات قبلت المسيحية ودخلت فيها ولكنها أرادت أن تحتفظ بناموس موسى ، بل إنها وجدت في أقوال المسيح نفسه سندا يؤيد زعمهم هذا ، أي التمسك بناموس موسى ، ألم يقل السيد " ... لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ... " (مت 5 : 17 ، 18) . فمنذ البداية ظهرت هذه الجماعات في داخل الكنيسة نفسها وأرادت المحافظة على الناموس والتقليد والصيام والعادات التي كان يتبعها اليهود . ومن هذه الجماعات :

1 - جماعة الاخوة " الضعفاء " الذين يتكلم عنهم الرسول بولس (1كو 8 : 9) .

2 - الاخوة الكذبة الذين يذكرهم نفس الرسول في الرسالة إلى أهل غلاطية (غل 2 : 4) والذين كانوا يتمسكون بالختان كأمر ضروري للخلاص .

3- المعلمون الكذبة الذين ظهروا في كولوسي وأفسس (أف 4 : 14) .

4 - الناصريون

.....

5 - ثم جماعة الأبيونيين

.....

إن هذه الآراء كانت منتشرة ومعروفة في وسط اليهود المتنصرين ، والذي يقرأ رؤية راعي هرماس[7] (LE PASTEURE D'HERMAS) يستطيع أن يدرك بدون عناء التأثير اليهودي الذي يسيطر على الكاتب في تفسيره لمفهوم ابن الله والروح القدس .

فإن راعي هرماس يعتقد بأن الروح الذي أسكنه الله في جسد يسوع **لا يعتبر شخصا إلهيا ولكن قوة إلهية .**

ومن هذا يتضح أن مذهب البنويين الذي نادى به ثيودوثيوس في نهاية القرن الثاني لم يكن جديدا على الكنيسة ، بل كان كالزوان الذي ينمو مع النباتات الصالحة في نفس الحقل . ومما لا شك فيه أن هذا الزوان الذي زرعته يد العدو في الحقل . سيظل هكذا موجودا فيه ويكبر مع النباتات الأخرى"[8].

5 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 2 ص: 490 إلى 493.

6 تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ- عصر ظهور الفرق في النصرانية- عصر التوحيد ص: 301.

7 أشرت لها من قبل، راجع: النقطة الأولى: نبذة تاريخية/ المسألة الثانية: التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى/ المرحلة الثانية: (من سنة 135م إلى 325م).

8 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 2 ص: 493 إلى 498.

إذن هذا اعتراف صريح من الدكتور القس حنا جرجس الخضري بأن عقيدة بشرية المسيح، ووحدانية الله سبحانه، كانت عقيدة متأصلة في المسيحية، ومتفقة مع عقيدة سيدنا موسى عليه السلام، وهو ما أكده الإسلام.

فقد جاء في القرآن الكريم على لسان عيسى بن مريم عليه السلام:

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[9].

***

= أرتيمون (Artemon)

وقد كان معلمًا لطائفة ظهرت في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلاديين.

وقد كان يعتقد هو وأتباعه أن المسيح -عليه السلام- كان مجرد إنسان عادي، ولكنه ولد من عذراء، وامتلأ بقوة إلهية، وهو يفوق الأنبياء في الفضيلة.

وأن عقيدة ألوهية المسيح -عليه السلام- هي بدعة تعود إلى البابا زيفيرينوس، وهي تعتبر ارتدادًا إلى الآلهة الوثنية.

وقد تابعه على نفس العقيدة بولس السميساطي.

وقد أصدر البابا زيفيرينوس قرارًا بحرمان أرتيمون[10].

وقد نقل يوسابيوس القيصري هجومًا لكاتب مجهول على أرتيمون وأتباعه، ومن أهم ما جاء فيه:

- أنهم كانوا يقولون بأن:

"جميع المعلمين المتقدمين والرسل تقبلوا ما يعلنونه هم الآن، وكانوا ينادون به، وأن حق الإنجيل حفظ حتى أيام فيكتور الأسقف الثالث عشر لروما بعد بطرس، ولكن الحق فسد منذ أيام خلفه زفيرينوس.

....

وضعوا أيديهم بجرأة على الأسفار الإلهية، زاعمين بأنهم قد صححوها

......

لأنه إن جمع أحد نسخهم المختلفة وقارنها ببعضها وجدها تختلف عن بعضها اختلافا بينا"[11].

وهذه الرواية يستفاد منها أمران:

الأول: زعم طائفة أرتيمون بأن التوحيد هو الأصل في المسيحية، وأن تأليه المسيح -عليه السلام- بدعة طرأت على النصرانية.

والثاني: أن اتهام هذا الكاتب المجهول لجماعة أرتيمون بأنهم أفسدوا الأسفار الإلهية، وزعمهم أنهم قد صححوها يدل على تفشي التحريف والترامي به بين الطوائف النصرانية منذ القرنين الأول والثاني الميلاديين.

وقد ذكرت من قبل الاتهام المتبادل بين ماركيون وطائفته وإيرينيوس وطائفته بتحريف الكتب المقدسة لدى النصارى.

وذكرت أن هذا يعد دليلًا من **أقدم الأدلة التاريخية على وقوع التحريف في الكتاب المقدس لدى االنصارى من أوائل القرن الثاني الميلادي**، بل ماركيون يتهم الرسل من وقت بولس بالتحريف، أي **من القرن الأول الميلادي**.

وفي هذا رد قوي مفحم على بعض رجال الدين النصارى، مثل القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، الذين يزعمون أن المسلمين هم أول من ادعى تحريف الكتاب المقدس لدى النصارى، وأن هذا الأمر لم يكن مطروحًا من قبل القرآن الكريم، وأن النصارى البولسيين المثلثين وخصومهم -ممن يسمون بالهراطقة- كانوا يتجادلون حول العقائد دون الزعم بتحريف الكتاب المقدس لدى النصارى[12].

---

9 سورة آل عمران، آية: 50 و51.

10 نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى- ملحق 2 ص: 441 وما بعدها.

11 تاريخ الكنيسة- الكتاب الخامس- فصل: 28: أول من أذاعوا بدعة أرتيمون ص: 240 إلى 242.

12 الكتاب المقدس يتحدى نقاده والقائلين بتحريفه ص: 23.

وتوفي عام 230م[13].

***

= بولس السميساطي (Paul Of Samosata)

كانت التعاليم الوحدانية أو الانتحالية منتشرة في الغرب والشرق، ووجدت تربة خصبة في الأوساط اليهودية المسيحية، إذ أن كثيرين من اليهود المتنصرين وجدوا في هذه التعاليم توافقًا وانسجامًا مع معتقداتهم فيما يختص بوحدة الله وعدم تقسيمه إلى أقانيم.

فنوتوس (Noetus) نادى بوحدانية الله في نهاية القرن الثاني، وفي نهاية القرن الثالث ظهرت جماعة الانتحاليين، وعلى رأسهم الكاهن سابليوس، الذي أشرت له من قبل.

وقد لاقت هذه التعاليم نجاحًا عظيمًا في الأوساط اليهودية المسيحية، لدرجة أنها لم تنتشر بين بعض العلمانيين[14] والكهنة فقط، بل تلقفها أيضًا بعض الأساقفة في الغرب والشرق. ومن هؤلاء الأساقفة الأسقف بولس السميساطي.

كان بولس السميساطي خطيبًا مفوهًا وسياسيًا ماهرًا، ولذلك فقد احتل مركزًا مرموقًا في مملكة الملكة (زينب أو زنوبة أو زنوبيا) ملكة تدمر.

وصار بولس السميساطي أسقفًا لأنطاكية عام 260م[15].

والمصدر الوحيد -المتفق على صحته- المعاصر له بشأن عقيدته، هو خطاب كنسي أرسله بعض مخالفيه[16].

وعقيدة بولس السماسطي تركز على:

=- الله -سبحانه- واحد، أي أقنوم واحد، وفي هذا الأقنوم صفتا اللوجوس (الكلمة) والحكمة، وهما صفتان وليستا أقنومين. ولقد خرج اللوجوس من الله، أو انبثق منه منذ الأزل.

واللوجوس هو الذي كان يعمل في الأنبياء ويرشدهم، وهو -أيضًا- الذي كان يعمل في يسوع، المولود من العذراء.

=- يسوع إنسان مثلنا تمامًا، مع أنه أعظم من موسى والأنبياء، ولكنه إنسان كامل، ولقد حل اللوجوس في هذا الإنسان. ومن الضروري التمييز بين اللوجوس وبين يسوع، فالأول أعظم من الثاني، لأن يسوع بشري مثلنا.

=- ومريم لم تحمل اللوجوس في بطنها، بل حملت يسوع البشري.

=- وظل يسوع إنسانًا مثلنا إلي يوم عماده، الذي فيه أوحي له -بطريقة خاصة- أنه المسيح، الذي حل فيه اللوجوس.

=- ولأن يسوع قد سلك بأمانة وتدقيق أمام الله، ولأن اللوجوس قد اتحد به، فقد رفعه الله كمكافأة الله، وأعطاه اسمًا فوق كل اسم.

وقد حذف بولس السميساطي كل الترانيم، التي تصف المسيح كإله أزلي موجود قبل وجود العالم وتأسيسه.

وقد حوكم بولس السميساطي أمام ثلاث مجمعات كنسية، لم يفلح الأولان منها في إيقافه، وخاصة المجمع الثاني، الذي جاء له ممثلون من العالم المسيحي كله، وكان يدعى بالمجمع الأعظم، وشكلت نتيجة هذين المجمعين صدمة لمخالفي بولس السميساطي، وفي المجمع الثالث حكم عليه بالحرمان والطرد من الأسقفية[17]. وهو ما يشير لقوة نفوذه وانتشار عقيدته وأنصاره.

ولم يستجب بولس السميساطي لقرار الحرمان، وظل في منصبه بتأييد الملكة زينب لمدة أربع سنوات.

ولكن لما انتصر الإمبراطور أوريليانوس على الملكة زنوبيا، وأنهى ملكها، عزل بولس السميساطي من منصبه[18].

---

13 تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ- عصر ظهور الفرق في النصرانية- عصر التوحيد ص: 301.

14 العلمانيون في الاصطلاح الكنسي المسيحي هم المسيحيون من غير رجال الدين.

15 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 11 ص: 601 و602.

16 Encyclopædia Britannica, Paul Of Samosata.

17 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 11 ص: 603 إلى 608.

18 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 11 ص: 608.

Encyclopædia Britannica, Paul Of Samosata.

ولكن أتباعه استمر وجودهم إلى القرن الميلادي السابع[19].

وذكر محررو الموسوعة البريطانية أن عقيدة بولس السميساطي في المسيح عليه السلام، تمتد جذورها لطائفة الإبيونيين، التي كانت معاصرة للمسيح عليه السلام، ثم لثيودوتيوس وأرتيمون، بل وربما لعدد من الكتاب النصارى الأوائل، كما يشير لذلك سفر أعمال الرسل، فيما نسبه للحواري بطرس:

"2: 36 فليعلم يقينًا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا، الذي صلبتموه أنتم ربًا ومسيحًا"[20].[21].

***

= لوقيانوس (Lucian)

ولد عام 240م[22].

يظن البعض أنه من سميساط بلد بولس السميساطي، لأنه لما صار أسقفًا استدعى لوقيانوس -المشهور بسعة علمه وثقافته- ورسمه كاهنًا، وأوكل إليه مهمة التعليم في أنطاكيا.

ويُجهل الكثير عن حياته وتعاليمه، ويقدمه أدولف هرنك كشخصية لامعة، واسع الثقافة، مجيدًا للعبرية، ولذلك قام لوقيانوس بتصحيح ترجمة للعهد القديم.

وبالإضافة لسعة علمه، فقد أكسبه تقشفه شهرة عظيمة، كما كان متمسكًا بعقيدته، فقد دافع عنها بكل ما أوتي من مقدرة علمية، وختم حياته بالاستشهاد في 7 يناير 312م، على يد الإمبراطور مكسمنوس دايوس (Maximan Daia)، بعد أن قاسى أشد العذاب[23].

وقد استشهد -رحمه الله- بسبب التعذيب والتجويع الذي لاقاه بسبب رفضه الأكل من اللحم المقدم قربانًا لآلهة الرومان، وهذا الصمود والثبات على عقيدته جلب عليه الثناء حتى من خصومه[24]، وهذا الموقف يظهر الخلاف بل التناقض بين عقيدته وعقيدة بولس الطرسوسي، الذي أباح أكل كل شيء.

وكتب عنه يوسابيوس القيصري:

"وكان بين شهداء انطاكية لوسيان[25]، وهو قس في تلك الأبروشية، سمت حياته كل السمو . فإنه في نيكوميديا، أمام الإمبراطور، نادى بملكوت المسيح السماوي، أولا بدفاع شفوي، وبعد ذلك بالأعمال أيضا"[26].

وكتب أيضًا:

"أما لوسيان، وكان قسا في أبروشية أنطاكية، ممتازا جدا في كل ناحية، عائشا حياة نقية، واشتهر بسعة اطلاعه في الروحيات، فقد أحضر إلى مدينة نيكوميديا، وتصادف أن كان الامبراطور مقيما بها وقتئذ. وبعد أن قدم أمام الحاكم دفاعا عن الإيمان الذي اعتنقه ألقي في السجن وحكم عليه بالموت".

وعلق القمص مرقس داود على كلام يوسابيوس القيصري السابق بقوله:

---

19 جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى في القرن الرابع عشر الهجري- التوحيد قبل مجمع نيقية ص: 356.

20 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 2: 36 ص: 94.

21 Encyclopædia Britannica, Paul Of Samosata.

22 Encyclopædia Britannica, Lucian of Antioch, Saint.

23 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 12 ص 611 و612.

24 Encyclopædia Britannica, Lucian of Antioch, Saint.

25 لوسيان هو لوقيانوس، ولوسيان هي المقابل اللفظي لكلمة (Lucian) الإنجليزية، التي تقابل لوقيانوس اليونانية. ويبدو أن القمص مرقس داود قد ترجم كتاب (تاريخ الكنيسة) عن نسخة إنجليزية.

26 تاريخ الكنيسة- الكتاب الثامن- الفصل الثالث عشر ص: 366.

"وكان لوسيان هذا من أكبر علماء الكنيسة الأولى. وقد أعد الترجمة السبعينية ترجمة منقحة. وكتب بعض الكتب عن الايمان وبعض الرسائل وتفسيرا لسفر أيوب"[27].

ويعتبره عزيز سوريال عطية المؤسس الحقيقي لمدرسة أنطاكية اللاهوتية[28].

و كان للوقيانوس منهج في دراسة الكتاب المقدس لدى النصارى يقوم على التحليل اللغوي والعقلي ومقارنة النصين العبري واليوناني من الناحية النحوية.

وقد أنشأ تقليدًا من المخطوطات سميت بـ(النص اللوقياني البيزنطي أو السوري)، وقد ظل هذا النص حتى ظهور النقد الكتابي في القرن التاسع عشر هو النص الشائع.

وقد سعى في الحد من التفسير الرمزي لأسفار النصارى، الذي اشتهرت به مدرسة الإسكندرية، مقدمًا الجانب الحرفي للنص سواءً جاء مباشرة أو مجازيًا. وقد أثر هذا المنهج التحليلي على البناء العقدي الأنطاكي لتلاميذ لوقيانوس وزملائه فيما يتعلق بعقيدتهم في المسيح والثالوث الإلهي[29].

وأما عن عقيدته، فقد كان متبعًا لتعاليم بولس السميساطي وداعيًا لها، ومعلمًا لها في مدرسة أنطاكية.

وكان أستاذًا لآريوس، الذي كان يفخر بتتلمذه عليه، حتى أنه كان يصف نفسه بآريوس اللوقياني.

وقد أرسل أسقف الأسكندرية ألكسندر خطابًا -بعد وفاة لوقيانوس بعشر سنوات- إلى أساقفة مصر وسوريا وآسيا وكبادوكية يعرفهم فيه بأن لوقيانوس كان خليفة لبولس السميساطي وأبًا لآريوس[30]. كما أدانه وأدان مدرسته -في مجمع نيقية عام 325م- لكونه من المشايعين لآريوس[31].

وعقيدة لوقيانوس هي نفس عقيدة بولس السميساطي مع بعض الإضافات الطفيفة، فهو يؤمن:

=- بأن الله سبحانه واحد لا مساو له، وهو الخالق لكل الأشياء، وكل ما هو خارج عنه فهو مخلوق.

=- وهو -سبحانه- خلق الحكمة أو اللوجوس.

=- وهذا اللوجوس أو الكلمة أخذ جسدًا بشريًا لا روحًا.

=- وأن يسوع إنسان حقيقي.

=- وأن يسوع هو ابن لله بالتبني فقط، وليس ابن الله بالجوهر.

=- والمسيح هو الذي عرفنا بالله، وارتفع إلى المجد بعد أن أظهر طاعة كاملة ومحبة عارمة لله.

=- ويحتمل أنه علم أيضًا بنفس عقيدة أستاذه بالتمييز بين يسوع واللوجوس[32].

=- فكلًا من بولس السميساطي ولوقيانوس يعتقدان أن الله سبحانه أقنوم واحد أحد لا ثلاثة، وأن المسيح -عليه السلام- ليس إلا بشرًا مخلوقًا. ولكن يعتقد بولس أن صفة اللوجوس الإلهية (التي ليست أقنومًا) قد حلت في يسوع البشري، وعملت فيه لترشده، كما عملت في الأنبياء، وأنه يجب التمييز بين اللوجوس ويسوع، فالأول أعظم من الثاني.

أما لوقيانوس فيعتقد أن الله قد خلق اللوجوس، وهذا اللوجوس المخلوق تجسد في يسوع البشري[33].

---

27 تاريخ الكنيسة- الكتاب التاسع- الفصل السادس ص: 409.

28 تاريخ المسيحية الشرقية ص: 212.

29 Encyclopædia Britannica, Lucian of Antioch, Saint.

30 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 12 ص: 613.

31 Encyclopædia Britannica, Lucian of Antioch, Saint.

32 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 12 ص: 612 إلى 614.

33 راجع أيضًا بفارق بسيط: ما هي النصرانية- الذبن رفضوا أن يؤمنوا بألوهية المسيح ص: 55.

وعقيدة لوقيانوس التوحيدية، التي بناها على منهجه في تناول نص الكتاب المقدس لدى النصارى، وامتناعه عن الأكل من لحوم القرابين المقدمة للأوثان، يدلان بوضوح على أن التيار التوحيدي الملتزم بالشريعة الموسوية كان منتشرًا ومتأصلًا في المسيحين الأوائل وفي كبار علمائهم، خلافًا لبولس وخلفائه من المثلثين المترومين.

ويدل على تهافت ما تسميه الكنائس الحالية بالعقيدة المستقيمة (الأرثوذكسية)، التي يختلفون حتى اليوم فيها.

ويدل على ما أشرت له من قبل من أن عقائد التثليث، وتأليه المسيح عليه السلام، وتجسد الإله فيه، كلها ليس عليها دليل قاطع في نص الأسفار المحرفة، بل العكس هو الصحيح، فتلك الأسفار -على كل ما فيها من تحريف- مملوءة ببقايا التوحيد، من النصوص التي تدل على وحدانية الله سبحانه، وعبودية المسيح عليه السلام، كما أشرت لذلك آنفًا[34].

وقد تم حرمان لوقيانوس بعد عزل بولس السميساطي.

ويذكر محررو الموسوعة البريطانية أن الكنيسة قد قبلت تصريحًا تصالحيًا من لوقيانس عام 289م، ثم بعد موته في مجمع أنطاكية عام 341م[35]!!!

وهذا القول تلوح عليه علامات الزيف للأسباب التالية:

- أن ألكسندر أسقف الإسكندرية حينما أرسل للكنائس -بعد عشر سنوات من استشهاد لوقيانوس أي في عام 322م- لم يذكر ذلك، ونفس الأمر تكرر عند إدانته للوقيانوس في مجمع نيقية عام 325م.
- أن آريوس لما أعلن معتقده كان يفتخر بأستاذه لوقيانوس، ولم يحتج مخالفوه عليه بتراجع لوقيانوس.
- أين هذا التصريح؟ وما نصه؟
- أن الكنيسة أعلنت قبول هذا التصريح في عام 289م، أي بعد 17 سنة من استيلاء الرومان على تدمر وعزل لوقيانس وحرمه في عام 272م.
- أن الكنيسة قبلت تراجعه في مجمع عقد بعد موته بقرابة ثلاثين سنة، مما يثير الشك في الأمر.

وقد كانت دعوة لوقيانوس ممهدة لدعوة آريوس، كما سيأتي إن شاء الله.

***

= ديونيسيوس الإسكندري

يمكن أيضًا أن نلحق بطائفة الوحدويين أسقف كنيسة الإسكندرية (248- 265م) ديونيسيوس، فقد نسب له الدكتورالقس حنا جرجس الخضري القول بأن المسيح -عليه السلام- لم يكن بالطبيعة ابنًا لله، ولكنه خليقة يختلف جوهرها عن جوهر الله. كتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري:

"كان ديونيسيوس تلميذا غيورا ومتحمسا لتعاليم أوريجانوس ، ولقد تأثر به تأثرا عظيما . ولذلك لا نجد فرقا كبيرا بين تعاليم هذين المعلمين المصريين . فإن الأسقف المصري نادى كمعلمه أوريجانوس بأن اللوجوس هو إله "ثان" أي أنه غير مساو للآب . واتهمه البعض بأنه في احدى المناقشات الخاصة قد تلفظ ببعض التعبيرات التي يشتم منها رائحة الهرطقة . مثل قوله بأن المسيح لم يكن بالطبيعة ابنا لله . ولكنه **خليقة** يختلف جوهرها عن جوهر الله ، فان علاقة الابن بالآب شبيهة بعلاقة الكرمة بالكرام والسفينة بصانعها[36]. وعندما وصلت هذه الأخبار الى مسامع الأسقف سميه في روما ، كتب البابا ديونيسيوس الروماني الى ديونيسيوس المصري رسالة رقيقة ولكنها حازمة

34 راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس/ النقطة الثانية: الخلاف في العقائد/ 2- بقايا التوحيد في الكتاب الذي يقدسه النصارى.

35 Encyclopædia Britannica, Lucian of Antioch, Saint.

36 The Church in Ancient Society p: 163.

يرفض فيها التعبيرات واالتشبيهات التي استعملها والتي تحمل في طياتها انقساما في جوهر اللاهوت ، لأن اللاهوت غير منقسم الذات والابن مولود منذ الأزل ، وهما من نفس الجوهر"[37].

ويذكر محررو الموسوعة البريطانية أنه قد وافق بابا روما فيما أرسل به له[38].

وأيًا كانت الحقيقة فإن كونه تلميذًا لأوريجانوس قائلًا بعقيدة التابعية (الابن أقل من الأب) يجعله مهرطقًا في نظر كنيستي روما والإسكندرية.

ولا يستبعد أن تكون له آراء غير معلنة يقولها في مجالسه الخاصة، نقلت عنه لبابا روما.

***

---

37 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 9 ص: 588.

38 Encyclopædia Britannica:

- Dionysius of Alexandria, Saint.

- Dionysius, Saint.

9- اللالوغوسيون: منكرو الكلمة

وهذا الاصطلاح يعني الرافضين لعقيدة (اللوغوس).

وكان يرأس هذه الجماعة كاهن روماني يدعى غايوس (Gaius)، ظل على قيد الحياة حتى عام 200م.

وقد نادى وجماعته بكثير من المبادئ التي تبناها البنويون، وهي:

- أن المسيح -عليه السلام- ولد عذراويًا.
- ولكنه لم يكن ابن الله بالطبيعة، بل صار ابنًا لله عن طريق التبني في وقت العماد.
- ولم يقبلوا إنجيل يوحنا ولا سفر رؤيا يوحنا.
- وبرفضهم لهذين الكتابين وخاصة لإنجيل يوحنا رفضوا لاهوت المسيح، واعترفوا بناسوته فقط.
- وبالتالي لا تعترف هذه الجماعة بأن المسيح كان موجودًا منذ الأزل مع الله، بل بداية وجوده هي ميلاده[1].

***

1 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 2 ص: 498 و499، الهرطقة في المسيحية ص: 69.

10- الآريوسيون

تعد الحركة الآريوسية وما صاحبها من صدام مع الكنيسة البولسية المثلثة وتدخل الدولة الرومانية الوثنية في هذا الصدام؛ من أظهر الأمثلة التاريخية على إفساد السياسة للدين.

وقد تجلى هذا الصدام في مجمع نيقية عام 325م، وما تبعه من أحداث، جعلت الكنيسة جزءًا من الدولة الرومانية، وهو ما شكل مرحلة خطيرة في تطور الدولة في الغرب، الذي أدى في النهاية للدولة الوطنية المعاصرة.

ولذلك فإن هذه التطورات التاريخية تحتاج لشيء من البيان، حتى يتبين كيف تتلاعب السياسة بالدين، وكيف انتقلت النصرانية من توحيد عيسى -عليه السلام- إلى وثنية قسطنطين.

وأقسم البحث في هذا الشأن تحت العناوين التالية:

أ- في الطريق إلى نيقية

ب- مجمع نيقية

ج- ما بعد مجمع نيقية

***

أ- في الطريق إلى نيقية

برزت في الأحداث التي انتهت لمجمع نيقية ثلاث شخصيات هامة: الإمبراطور قسطنطين، والراهب آريوس، والشماس أثناسيوس. ولذا أقسم البحث في هذه الأحداث مصاحبًا هذه الشخصيات الثلاث، حتى تكتمل الصورة من أهم زواياها، تحت العناوين التالية:

(1) مع قسطنطين إلى نيقية

(2) مع آريوس إلى نيقية

(3) مع أثناسيوس إلى نيقية

***

(ا) مع قسطنطين إلى نيقية

(أ) حاول الإمبراطور دقلديانوس أن يصلح ما حل بالمجتمع الروماني من الركود السياسي والانحلال، فقام بعدة إصلاحات، ورغم أنه أبقى على القاعدة القائلة -نظريًا- بأن الإمبراطور هو الحاكم المختار من الناس لحمايتهم ورعايتهم، إلا أنه ذهب في الحكم مذهبًا استبداديًا، وادعى لنفسه حقوقًا إلهية، وجعل شخصيته مهيمنة على بيروقراطية هائلة طوع أمره.

وثمة ظاهرة أخرى جعلت عهد دقلديانوس حدًا فاصلًا في التاريخ، وهي أنه رأى أن الإشراف على شئون الدفاع عن الإمبراطورية في أربع جهات منفصلة لا يمكن أن يقوم بعبئه رجل واحد، وأن أداة ذلك الدفاع لا يجب أن تبقى جامدة في أماكن ثابتة، بل ينبغي أن تكون متحركة متنقلة، وأن مناداة الفرق الحربية بمن يروقها في المنصب الإمبراطوري (Pronunciamentos) طريقة ينبغي أن تنقطع، لأنها طالما أدت بالإمبراطورية إلى كثير من الخبل وإراقة الدماء.

لذا قرر دقلديانوس أن تكون مقاليد الحكم بيد إمبراطورين اثنين، أي هو ومكسيميانوس، فيحمل كل منهما لقب أغسطس، ويعاونهما في تصريف شئون الدولة اثنان لكل منهما لقب قيصر، على أن يتخلى الإمبراطوران عن الحكم بعد عشرين سنة، فيحل محلهما القيصران.

ثم رأى دقلديانوس أن روما لم تعد صالحة لأن تبقى عاصمة وحيدة للدولة، فجعل بدلها أربع مدن رئيسية وهي: تريف على نهر الراين بألمانيا، وميلان بشمال إيطاليا، وسرميوم وهي بلغراد الحالية، ونيقوميديا وهي إزمت الحالية بتركيا على شاطئ البسفور.

واختار دقلديانوس لنفسه نيقوميديا، ومن ذلك الموقع الآسيوي أخذ يراقب أحوال الشرق المضطرب.

غير أن تلك الفكرة لم تلق نجاحًا، إذ أعقب انقضاء مدة الإمبراطورين دقلديانوس ومكسيميانوس سنة 305م اضطراب داخلي وفتنة، كانت مهيئة لقيام قسطنطين وإمبراطوريته.

***

(ب) وكان قسطنطين ابنًا غير شرعي لضابط روماني يرجع أصله إلى إقليم إيلليريا من صاحبة حانة بمدينة نيش بالصرب الحالية، وتولى أبوه المنصب الإمبراطوري على النظام الدقلديانوسي، فلما مات بمدينة يورك ببريطانيا، نادت حاميتها الرومانية بقسطنطين الصغير إمبراطورًا سنة 306م، حسب الطريقة الوبيلة التي عمل دقلديانوس على التخلص منها.

واستطاع هذا القائد الشاب بما أوتي من مهارة وحيلة وإقدام في ساحات القتال من أن يشق طريقه إلى الإمبراطورية، بأن سار على رأس الحامية الرومانية من شواطئ بريطانيا إلى غالية التي استولى عليها، ثم دافع عن حدودها دفاعًا ماهرًا، وما لبث أن دحر منافسيه على العرش الإمبراطورى، وهما ماكسنتيوس حاكم إيطاليا، وليسنيوس إمبراطور الدولة الرومانية في الشرق[1].

وبذلك استطاع توحيد الإمبراطورية الرومانية مرة أخرى سنة 323م، وعندئذ أخذ على عاتقه مهمة إتمام الإصلاحات، التي بدأها دقلديانوس[2].

***

(ج) يضاف إلى ذلك أن قسطنطين لم تلحق به هزيمة طوال حياته الحربية، بل دلت خططه الحربية الهجومية الخاطفة على أنه رجل لم تعرف المخاوف إلى قلبه سبيلًا، إذ أمدته اعتقاداته الخرافية في عالم الأرواح بقوة دافقة، وازدادت نشوته في نفسه كلما ازدادت انتصاراته في عالم الحروب.

---

1 تاريخ أوربا العصور الوسطى لفشر القسم الأول ص: 3 و4.

2 تاريخ أوروبا في العصور الوسطى لسعيد عبد الفتاح عاشور ص: 23.

ولذا اعتقد في قرارة نفسه أنه الابن الحبيب المختار من الله الناصر القادر على كل شيء[3]!

فقد كتب في رسالة إلى الملك الفارسي شابور الثاني زعم فيها أنه قد أعانته العناية الإلهية ليجلب السلام والرخاء لكل البلاد[4].

وقد سايره في هذا التعظيم للنفس والزعم بأن له صلة خاصة بالله، صديقه وكاتب تاريخه يوسابيوس القيصري، الذي يعده النصارى أبا التاريخ الكنسي، بل بالغ فيه، فقد وصفه في كتابه (تاريخ الكنيسة) بأوصاف منها:

"الرجل الصالح العظيم"، و"إمبراطور كلي الصلاح"، وأن الله "كان حبيب قسطنطين وحاميه وحارسه"، وأنه تسلح بسلاح التقوى "وإذ تسلح امبراطورنا العظيم المحبوب بهذا السلاح نجا من المؤامرات العديدة التي دبرها ذلك الرجل الخائن"، وأن الله "كشف للإمبراطور محبوب الله كل مؤامرة وكل خبث"، وأن خصمه ليسينيوس "عزم على إشهار الحرب ضد الله نفسه حليف قسطنطين"، وأن الله المدافع عن شعبه لو لم يتدارك الأمر "ويبرق بنور عظيم وسط الليل الحالك الظلام، ويقم منفذا[5] للكل، وهو عبده قسطنطين"، و"لذلك منح الله قسطنطين، من السماء من فوق، ثمار التقوى الخليقة به، وعلامات الانتصار على ذلك الفاجر"، وأن ليسينيوس "رأى الإمبراطور حبيب الله أنه لا يليق التسامح معه"، ويبالغ في مدح قسطنطين وابنه فكتب: "وإذ مزج حامي الأتقياء مبادئ بغض الشر مع محبة الخير مع ابنه كريسبس، وهو أمير رحيم، .... وهكذا رأينا كليهما، الاب وابنه، تحت رعاية الله ملك الكل، وابن الله مخلص الكل، كقائد وحليف لهما، ..... لأن الله ساعدهما في القتال من جميع الوجوه حسب رغبتهما"، و"على أن قسطنطين، البطل الظافر، المتحلي بكل فضيلة التقوى، وابنه كريسبس الأمير محبوب الله، والمماثل لأبيه من كل الوجوه، .... مخضعين لحكمهما الرحيم كل العالم"، وأن البشر "مجدوا الإمبراطور التقي مع أبنائه محبوبي الله"[6].

على أن يوسابيوس القيصري لم يذكر أن قسطنطين -الذي وصفه بكل هذه الصفات- كان وثنيًا، ولم يتنصر إلا على فراش الموت، وأنه قد قتل زوجته وابنه كريسبس هذا، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

وكيف يذكر ذلك وهو يعده رسول المسيح الثالث عشر[7]، وهل قتل رسل المسيح -عليه السلام- أبناءهم وزوجاتهم؟؟؟

ملاحظة هامة:

وأتوقف هنا لأسجل ملاحظة هامة، وهي أن الكلام السابق قد ورد في كتاب (تاريخ الكنيسة)، الذي ترجمه القمص مرقس داود، وصدر عن مكتبة المحبة القبطية، وصدره بصورة البابا شنودة الثالث، وعلق في مقدمته وفي أثناء الكتاب -أكثر من مرة- على أن يوسابيوس القيصري كان منحرفًا عن (الإيمان المستقيم)، ولكنه لم يعلق بحرف واحد على هذا الشطط في الثناء على قسطنطين، مما يبين أن آباء الكنيسة لا يبالون بهذا الشطط والانحراف، وأن كل همهم متوجه لنزاعاتهم العقدية، التي دوخوا أتباعهم فيها، ومتوجه لتأكيد سلطانهم ونفوذهم، وأنهم مستعدون للتحالف -في سبيل ذلك- مع الملوك الظلمة الفسدة، بل الوثنيين!!!

وهذا التوجه المنحرف في تاريخ الكنيسة اشتكى منه المؤرخ القبطي[8] النصراني يعقوب نخلة روفيله حيث كتب:

---

3 تاريخ أوربا العصور الوسطى لفشر القسم الأول ص: 4 و5.

4 Encyclopædia Britannica, Constantine I, Career and conversion.

5 أحسب أن الصواب: "ومنقذا".

6 تاريخ الكنيسة ص: 450 إلى 455.

7 Encyclopædia Britannica, Constantine I, Assesment.

8 كلمة قبطي: تعني مصري، ولا تعني نصراني، بل أكثر القبط أسلموا كما أكد المؤرخون ذلك. بل كان من القبط النصارى موحدون، أعانوا جيش الفتح الإسلامي، وأسلموا بعده، كما سيأتي إن شاء الله.

"ولم يرتفع الإضطهاد عن المسيحيين بعد دقلديانوس بل إستمر[9] ثائرًا في كل أنحاء المملكة الرومانية حتى تولى القيصر ثيؤدوسيوس وإذ كان هذا قد إعتنق الدين المسيحي أصدر أمرًا ملوكيًا بالنهي عن عبادة الأصنام

....

وإستراح المسيحيون عمومًا والأقباط خصوصًا من هذه الإضطهادات بسبب هذا التغيير العظيم غير أن الزمان لم يساعدهم

....

فلم تدم هذه الراحة والسعادة إلا قليلًا حتى ظهر بين المسيحيين أنفسهم ما أدى إلى النفور والبغضاء والإيقاع ببعضهم البعض وذلك أن بعض أئمة الدين داخلهم الطمع في الإستقلال بالرئاسة فكثر ظهور البدع والشيع بين النصارى فإنقسموا على ذاتهم وإنشقوا إلى فئات متعددة كل فئة تلعن الأخرى وتحرمها وتزيف معتقدها ومذهبها .

كل يؤيد دينه   يا ليت شعري ما الصحيح

وإنتهى هذا الجدال والشقاق في مصر بوجود حزبين مضادين لبعضهما وهما القبط والروم والفرق بينهما أن القبط يعتقدون أن في المسيح طبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين والروم يقولون أن في المسيح طبيعتين ومشيئتين متحدين ولست أدري ما الفرق بين القولين غير العناد وإن يكن الفرق في الألفاظ دون الجوهر إلا أن كلًا من الحزبين لا يود التنازل عن رأيه وهذا من الغرابة بمكان. ومما زاد الحال أوحالًا تداخل ولاة الأمور والحكام في هذه المناقشات والمنازعات في مواضيع ليست من جوهريات الدين ولا يتوقف عليها ولكن أبت محبة الرئاسة والجنوح إلى الإفراد بالسلطة والسيادة ألا[10] يقوى الشقاق ويزداد النفور وتدب في عروق الفريقين دماء الشحناء والبغضاء مما أدى بهم ولا سيما الأقباط إلى الإضمحلال والدمار. ومن الغريب أن الأئمة الذين من واجبهم حث الناس على المواخاة والموالاة هم الذين كانوا يوغرون صدور الملوك ويحرضون الحكام على إيقاع الأذى والتنكيل بالفريق الآخر المخالف لرأيهم حتى جاء في بعض التواريخ أنه قتل في يوم واحد من الأقباط بمدينة الإسكندرية مائتا ألف نفس وإن كان هذا لا يخلو من مبالغة في القول والمغالاة في النقل إلا أنه يدل على شدة إضطرام نار الفتنة والضغينة بين الأقباط والروم وربما كان هذا عدد جميع الذين قتلوا من الأقباط في كل أنحاء مصر بسبب ما كان بينهم وبين الروم من الخلاف وهو عدد ليس بقليل[11]. كل هذا وزعماء الدين واقفون موقف المتفرج المتشفي معتقدون أنهم خدموا الدين خدمة يمدحون أو يثابون عليها وما دروا أنهم خلدوا لأنفسهم في التاريخ ذكرًا رديًّا مقرونًا بعار لا تمحوه مرور الأيام فكم من نساء ترملت وأطفال تيتمت وأموال سُلبت ومعالم دُرست بسبب مطامعهم فلا حول ولا قوة"[12].[13]

---

9 يلاحظ القارئ أني أحرص -قدر إمكاني- على نقل النصوص كما هي ،حتى بأخطائها الإملائية.

10 لعل الصواب: "إلا أن".

11 ذكر المؤرخ يعقوب نخلة روفيله الاضطهاد الشديد الذي لاقاه القبط على يد الروم، وذكر أن الذين أنقذوهم هم المسلمون الفاتحون، وأثنى على جيش الفتح الإسلامي، وعلى عدل ورحمة سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه.

ولكن الكنيسة القبطية اليوم تحرض القبط النصارى على التمرد على المسلمين، وتزعم أن المسلمين سلبوا من النصارى البلاد، وأن عليهم أن يرحلوا، فكان ردها على إحسان المسلمين أسوأ رد، وتناست أن معظم القبط قد أسلموا. وتتكتم على موجات الاهتداء الواسعة بين النصاري الأقباط بفضل الله.

12 من اللافت للانتباه أن الكاتب لم يكمل الجملة بالاستثناء "إلا بالله". ولا أدري أهو خطأ مطبعي ؟

13 تاريخ الأمة القبطية ليعقوب نخلة روفيله ص: 26 إلى 29.

وقد تم توقيع أكثر من اتفاق بين الأرثوذكس الأقباط والكاثوليك لتوحيد العقيدة، ولكنها اتفاقات لفظية، تقفز فوق الخلافات، وفيها الإقرار بأن للمسيح -عليه السلام- طبيعة إلهية وطبيعة بشرية.

فمنها اتفاق وقع في مايو 1973م. [تاريخ الفكر المسيحي مج: 3 ج: 1 ف: 9 ص: 86].

ومنها اتفاق وقع في عام 1988م. [الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم ص: 67].

ومنها اتفاق وقع في عام 1990م. [تاريخ الأمة القبطية ليعقوب نخلة روفيله هامش ص: 27].

ومنها صيغة مشتركة وضعت عام 2004م، وأجل الاتفاق عليها للعام التالي بين الطوائف الثلاثة: الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت [أرثوذكسيَّتي تُراث وعقيدة وحياة ج: 2 ص: 6].

***

وعودة إلى يوسابيوس القيصري الذي لم يكتف بهذا الشطط في الثناء، بل أضفي مسحة إلهية على قسطنطين، وبدأ الخطوة الأولى في حكم الملوك بالحق الإلهي، الذي تقاسموه مع الكنيسة.

كتب دون كوبيت (Don Cuppit) في فصل (مسيح البلاد المسيحية- The Christ of Christendom) ضمن الكتاب الهام (أسطورة تجسد الله- The Myth of God Incarnate):

"وفي مقالة موجزة لـ(ن. هـ. بينز) عن "يوسابيوس والإمبراطورية المسيحية" أظهر بينز كيف تبع أولُ تخطيط للسياسة اللاهوتية لبيزنطة -بصورة قريبة جدًا- الفلسفةَ الهللينية في المُلك. وكما أن الله هو للكون .. كذلك المَلك للدولة. فالكلمة الإلهية تستوطن الملك معلِّمة إياه محاكاة الفضائل الإلهية، ليصبح الراعي الصالح لشعبه، لينقذهم من الخطيئة، ويقودهم في طريق الخلاص إلى مملكة السماء، فالملك كان نوعًا من الإله المتجسد؛ الصلة بين السماء والأرض.

ولجعل هذا المخطط مسيحيًا لزم فقط الإعلان عن أن المسيح هو الإمبراطور العالمي للكون وجُعل إمبراطور الأرض خادمه ووكيله. ورُكِّزت العبادة والأيديولوجية الإمبراطورية كلها على المسيح، وبالمقابل توَّج المسيحُ نائبَه على الأرض، وأضفى الشرعية على حكمه. واتخذ يوسابيوس الخطوة الأولى فقط في هذا الاتجاه ولكن الآخرين سرعان ما اتبعوه"[14].

وهذا الفهم -الذي حرص يوسابيوس القيصري على نشره- هو ما كان يحتاجه قسطنطين والملوك من بعده، **إنه الخرافة التي بني عليها الفساد السياسي، الذي تحالفت في ممارسته الكنيسة مع الملوك، وكان رد الفعل على ذلك الانحراف هو الانحراف المقابل؛ الدولة الوطنية العلمانية.**

ولكن هذا التقديس لقسطنطين لا يوافق عليه بعض رجال الكنيسة المتعصبين لأثناسيوس، ربما لانقلاب قسطنطين على أثناسيوس، كما سيأتي إن شاء الله.

فقد نقل الأستاذ علي الريس عن القس صموئيل مشرقي[15] من كتابه (سر الأفخارستيا):

"يشهد التاريخ بما قامت به الأرثوذكسية في العصور الأولى للمسيحية على يد أثناسيوس الرسولي بدفاعه المجيد عن لاهوت الكلمة وناسوته إلى أن ظهر قسطنطين[16] ، ومع أنه أراح المسيحية من الاضطهاد ولكن تم على يده خلطها بالآثار الوثنية التي كانت سائدة من قبل مما جعل الذين استولوا على المناصب الدينية ليسوا على درجة كافية من التقوى ومعرفة كلمة الله .. الأمر الذي أفسح المجال للبدع والهرطقات من قبل المتقربين للعرش الأمر الذي عانى منه أثناسيوس نفسه أشد وأقسى اضطهاد ... وهكذا الحال مع بعض من الذين خلفوه!!

ولذلك فإنه وإن كان صوت الحق لم يخمد تماماً ، إلا أن البدع أخذت تنتشر بسرعة ولم يكن من السهل اكتشافها لعدم وجود النسخ الكافية من الكتاب المقدس في ذلك الوقت فبجانب المكتوبات السليمة التي لرجال الله الحقيقيين كانت هناك كتابات أخرى تحوي أضاليل وأكاذيب لا تدل إلا على جهل كاتبيها وعدم معرفتهم بكلمة الله"[17].

ولكنهم ما زالوا حتى اليوم يضلل بعضهم بعضًا، ويحرم أكثرهم الزواج بينهم،. وقد أشرت لذلك من قبل، [راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس/ النقطة الثانية: الخلاف في العقائد/ 3- ملخص لما اعتقده بولس مخالفًا للتوحيد/ د- الخطيئة الأصلية (الظلم المقدس) والصلب والفداء والكفارة والخلاص (المغالطات المقدسة)/ (5) عقيدة بولس في الصلب والفداء والكفارة والخلاص/ (أ) عناصر عقيدة بولس في الصلب والفداء والكفارة والخلاص/ [1] الخطيئة الأصلية (الظلم المقدس، أو جريمة بولس وكنيسته في حق البشرية)].

14 The Myth of God Incarnate, part II: TESTING THE DEVELOPMENT, 7: The Christ of Christendom p: 139.

15 هو بروتستانتي، ورئيس لمجمع كنائس الله الخمسينية. [نفي ألوهية الروح القدس ص: 181].

16 أثناسيوس لم يكن سابقًا لقسطنطين، بل كانا متعاصرين، وحضرا معًا مجمع نيقية عام 325م، بل قسطنطين أسن من أثناسيوس، فقد ولد قسطنطين بعد عام 280ق.م [Encyclopædia Britannica, Constantine I, Introduction]، أو قرابة 274ق.م

[Microsoft Encarta, Constantine the Great, I introduction].

أما أثناسيوس فقد ولد في عام 295 أو 298م [طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 21].

17 نفي ألوهية الروح القدس ص: 181 و182.

وبغض النظر عن دافع القس صموئيل مشرقي فإنه قد أفادنا فوائد خطيرة:

الأولى: أن قسطنطين قد خلط المسيحية بالآثار الوثنية، وهذا يؤكد ما ذكرته من قبل عن تسرب الوثنية للمسيحية، مما أضاف لها عقائد وشرائع لم يدع لها سيدنا عيسى عليه السلام.

الثانية: أن من الذين استولوا على المناصب الدينية أشخاصًا، ليسوا على درجة كافية من التقوى ومعرفة كلمة الله، وهذا يزعزع مبدأ التقليد، الذي تقدسه الكنيسة، فمن هو صاحب العقيدة الصحيحة، ومن المنحرف؟

وما هو المقياس في التعرف على ذلك؟ في الحقيقة لا مقياس إلا أقوال آباء كل كنيسة، وأحيانًا آباء كل مجموعة في داخل نفس الكنيسة. وقد ضربت أمثلة لذلك.

خاصة وأن الكنائس -من قديم وحتى اليوم- تكفر بعضها بعضًا، فمثلًا القس صموئيل مشرقي، يعتبر الأرثوذكس والكاثوليك مهرطقين ضالين، وهم يشاركونه نفس المشاعر[18].

الثالثة: هو انتشار البدع والهرطقات في زمن قسطنطين وما قبله، مما ينفي وهم (الكنيسة الواحدة المستقيمة الرأي).

الرابعة: أن مكتوبات النصارى كان يخالف بعضها بعضًا، وبعضها يراه القس صموئيل مشرقي يحوي أضاليل وأكاذيب، فما هو مقياس التفرقة بين الصحيح والسقيم؟ مع غياب النص الأصلي، وفقدان السند، وجهالة الكاتبين، وتحريف الناسخين، وتبادل التهم بالتحريف والتزوير، والاختلاف في عدد الأسفار ومحتواها، وسأفصل في الأمر -إن شاء الله- عند بحث قانون الكتاب الذي يقدسه النصارى.

***

(د) وعودة إلى قسطنطين الذي كان يرى في نفسه أنه حبيب الله المخلص، وكان يشايعه معاصروه من المسيحيين على ذلك، فلم يكن عجيبًا -بناء على هذا الفهم- أن يزيد قسطنطين من مظاهر الاستبداد التي ابتدعها دقلديانوس ليصل بها إلى أقصى الحدود.

وكانت المحافظة على نظم الحكم والإدارة التي ورثها قسطنطين من دقلديانوس تتطلب أوفر ما يستطاع من العدل والإنصاف، حتى لا تتردى الدولة في أسوأ ألوان الفساد والانهيار، ذلك أن الإدارة الرومانية في القرن الرابع الميلادي بدت قاصرة أشد القصور عن مبادئ العدل والإنسانية، برغم الإصلاحات التي أدخلت عليها، من كثرة الضرائب، وتحصيلها غلةً بسبب غش النقود وتدهور أسعارها، وإكراه أصحاب الأطيان على جمع الجند وجباية الضرائب من النواحي المجاورة، وربط الفلاحين بالأرض كأقنان لها، وتقييد التجارة بأثقال من القيود، وتحول النقابات التجارية الحرة لطوائف مغلقة على أبناء أعضائها، مع ما تتحمله من الالتزامات المالية[19].

وكان هذا الظلم المتفشي عاملًا هامًا في تقبل الناس للمسيحية، التي تنهى عن الظلم، وتدعو للمساواة بين الناس وإعانة الضعفاء والمحتاجين.

***

18 نقل الدكتور سامي عامري عن المهتدي الدكتور وديع أحمد أنه كتب:

"أشد ما كان يحيرني هو معرفتي بتكفير كل طائفة مسيحية للأخرى فسالت القمص (ميتاس روفائيل) أب اعترافي فأكد هذا وان هذا التكفير نافذ في الأرض والسماء.

فسألته متعجبا: معني هذا أننا كفار لتكفير بابا روما لنا؟

أجاب: للأسف نعم.

سألته: وباقي الطوائف كفار بسبب تكفير بطرك الإسكندرية لهم؟

أجاب: للأسف نعم

سألته: وما موقفنا إذا يوم القيامة؟

أجاب: الله يرحمنا!!! ". [محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة ص: 462 و463].

19 تاريخ أوربا العصور الوسطى لفشر القسم الأول ص: 5.

(هـ) إلا أن أخطر قرارين اتخذهما قسطنطين وأثرا في تاريخ الدولة الرومانية هما: دعمه وتأييده للمسيحيين، والثاني نقله لعاصمة الدولة إلى القسطنطينية.

أما عن تأييد المسيحيين، فقد ذكر فشر أنه ليس في استطاعة باحث أن يجرؤ على الجزم بأن قسطنطين كان مسيحيًا، لأنه وإن لم يكن من المستطاع اتهامه بإلقاء الأسرى من الجرمان إلى الوحوش الضارية بالملعب العام لتسلية النظارة، فمن المؤكد أنه قتل زوجته وابنه.

على أن جرائم القتل لا تلبث أن تصير نسيًا منسيًا في عصر يطفح بحوادث العنف والحرب، وسرعان ما اختفت نقائص قسطنطين تحت ستار الأعمال التي جعلته القديس الثالث عشر في عداد القديسين بالكنيسة الرومانية الشرقية.

وكيفما كان الأمر فقد كان الدين في ذلك العصر الغاشم يقاس ما فيه من الحق بمقدار ما يأتي به من نتائج، فإذا جاء بالفتح والنصر لأتباعه قال الناس: إنه الحق والهدى، وإذا جاء بالهزيمة قالوا: إنه ضلال مبين.

وبهذا المقياس اكتسب قسطنطين ما اكتسب من الفضل، إذ أيقن وهو يرتب شئون الدفاع عن غالية أول حياته العملية الطويلة أن الصليب -وهو رمز للمسيح وإله الشمس على السواء- سوف يأتيه بالنصر والتوفيق فيما يخوض من حروب[20].

وفي معركته الحاسمة عند جسر ملفيوس في السابع والعشرين من شهر أكتوبر عام 312 م رأى شيئًا قصه بنفسه على إيسابيوس القيصرى -على حسب روايته- فيما كتبه في في كتابه المتأخر في سيرة قسطنطين، ولم يكتبها في كتابه عن تاريخ الكنيسة، وهي أن قسطنطين شهد في السماء راية الصليب، وعليها طرة نصها: "In Hoc Signo Vinces" وتعني : "بهذه العلامة تغلب"[21].

ولكن كلًا من جي إف ماثيوس[22] ودونالد ماكجيليفراي نيكول[23] ذكرا أن هذه القصة غير مسلمة، لأن خطيبًا وثنيًا زعم في خطاب له عام 310م أن قسطنطين قد أعانته رؤياه للإله أبوللو في معبد في بلاد الغال[24].

ويؤكد هذه الرواية كُتَّاب كِتاب (الدم المقدس، الكأس المقدس- Holy Blood, Holy Grail)، وذكروا أن هناك دليلًا على أن قسطنطين كان قد انضم -قبيل هذه الرؤية- إلى عبادة الإله المسمى (الشمس التي لا تغلب- Sol Invictus)[25].

كذلك شكك في هذه الرواية عدد من المؤرخين، وكان مما استندوا عليه؛ أن ذلك الصليب المعلق في السماء، لو كان قد ظهر حقًا لقسطنطين، لرآه معه الآلاف، فلماذا لم يروه يوسابيوس القيصري -المقدس لقسطنطين- إلا عن قسطنطين فقط!!!

وفي صباح اليوم الثاني -كما يقول يوسابيوس ولكتنيوس رأى قسطنطين فيما يرى النائم أن صوتاً يأمره بأن يرسم جنوده على دروعهم ليس مجرد الصليب، بل حرف X وفي وسطه خط يقطعه وينثني حول أعلاه.

☧

فلما استيقظ من نومه صنع ما أُمر به، وكان عدد جنوده المسيحيين وقتئذ كبيراً، وبهذا جعل هذه المعركة التي انتصر فيها نقطة التحول في تاريخ المسيحية. ولم يكن الصليب يسيء إلى جنود قسطنطين من عُبّاد مثراس، لأنهم طالما حاربوا تحت لواء يحمل شعاراً مثراسّياً من الضوء[26].

وكتب الأستاذ فيصل بن علي الكاملي:

---

20 تاريخ أوربا العصور الوسطى لفشر القسم الأول ص: 5 و6.

21 تاريخ أوربا العصور الوسطى لفشر القسم الأول ص: 6، اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 69 و70.

22 أستاذ التاريخ الوسيط والروماني المتأخر بجامعة أكسفورد.

23 أستاذ التاريخ واللغة والأدب البيزنطي والروماني الحديث بجامعة لندن.

24 Encyclopædia Britannica, Constantine I, Career and conversion.

25 Holy Blood, Holy Grail p: 387.

26 قصة الحضارة ج: 11 ص: 384 و385.

Encyclopædia Britannica, Constantine I, Career and conversion.

"وليس الصليب في الحقيقة سوى أحد الرموز الوثنية التي تمثل الشمس. يقول الكاتب والفلكي "ويليام تايلر أولكوت" في كتابه التقاليد الشمسية في كل العصور":

كثير من الرموز الباطنية المألوفة لدى الوثنيين تتجلى اليوم، "ورجل الكنيسة الأعلى يزين قصره الذي يعمل فيه برموز مماثلة لتللك التي بعثت الرهبة والإجلال في قلوب عُباد آشور، عشتار أو الشمس. " يترأس هذه الرموزَ الشمسيةَ الكنسيةَ الصليبُ الذي هو شعار العقيدة النصرانية، وهو رمز سابق لميلاد المسيح وترجع أصوله إلى عبادة الشمس. فهو يُرى على آثار وأواني كل الشعوب البدائية من الصين إلى يوكاتان [بالمكسيك]"[27].

***

(و) وتقابل قسطنطين وليسنيوس في ميلان في أوائل عام 313م لينسقا حكمها: وأراد أولهما أن يجعل تأييده للمسيحيين عاماً يشمل الولايات جميعها، فأصدر هو وليسنيوس "مرسوم ميلان" يؤكدان فيه التسامح الديني ليشمل الأديان كلها، ويأمران بأن يعاد إلى المسيحيين ما انتزع من أملاكهم في أثناء الاضطهاد الأخير[28].

ومنذ ذلك الوقت صارت الكنيسة المسيحية متمتعة بحماية السلطات المدنية، ومع أن الإمبراطور لم يعتنق المسيحية رسميًا، ولم يسمح بتعميده إلا وهو فراش الموت سنة 337م، فإنه بذل كل ما لديه من سلطة ونفوذ في خدمة الديانة التي جاءت له بالظفر بأرجاء إيطاليا، حتى وصوله لجسر ملفيان قاب قوسين أو أدنى من أبواب روما.

فضلًا على ما برهن به المسيحيون على ما في طائفتهم من القدرة على مقاومة الاضطهاد الذي أنزله بهم الأباطرة السابقون، بالإضافة لما أبدوه من تنظيم لشئونهم، وما اجتذبوا لصفوفهم من أولي العزم والهمة، ولذا عقد قسطنطين العزم على تأييد هذه الطائفة القوية والاستفادة منها، كما عمد -أيضًا- إلى الإشراف على أنشطتها، والتدخل في شئونها لتهدئة ما ينشب بين أوساطها من فتن، مع العلم بأن المسيحيين حتى ذلك الوقت كانوا أقلية صغيرة العدد، على حين ظل على الوثنية سكان القسم الغربي جميعًا، وهم الجزء الأكبر من سكان الدولة الرومانية، فضلًا عن فيالق الجيش وجموع البرابرة الضاربين في تخوم الإمبراطورية.

ولكن لم يغب عن ذكاء إمبراطور محنك مثل قسطنطين؛ أن اتخاذ الأولياء من فئة قليلة من الناس يحدوها النظام، ويهديها إيمان راسخ، وترجع لكتب مقدسة، أجدى عليه من فئة كبيرة ذات عقائد شتى.

***

(ز) ومع ذلك يبدو أن الغرض الذي هدف إليه قسطنطين من ميله لجانب المسيحيين ظل غير واضح للعيان[29]، وذلك حتى انتصاره المبين في وقعة جسر ملفيان سنة 312م، إذ بات الإمبراطور يؤمن بالمسيح وبإله الشمس القهار(الشمس التي لا تقهر، Sol Invictus) معًا، فحبا المسيحيين بكثير من التسامح، على حين احتفظ لنفسه بمنصب الكاهن الأعظم (Pontifex Maximus)، وهو المنصب الإمبراطوري في الديانة الرومانية الوثنية. كما أن العملة في أيام قسطنطين ضُربت على أحد وجهيها علامة الصليب، وعلى الوجه الآخر شعار عبادة الشمس، وانقضى من عهد قسطنطين ما يزيد على عشر سنين قبل أن يصدر الأمر بعقوبة الجند على تقديم القرابين إلى جوبتر كبير آلهة الرومان، أو أن يستبعد الشعائر الوثنية من الحفلات الإمبراطورية الرسمية[30].

ولذلك كتب ول ديورانت:

"ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً في عمله هذا؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية، أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب.

---

27 اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 70.

28 قصة الحضارة ج: 11 ص: 385.

29 راجع أيضًا لتفصيل دوافع قسطنطين لإصدار مرسوم ميلان عام 323م: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى لسعيد عبد الفتاح عاشور ص: 36 و37.

30 تاريخ أوربا العصور الوسطى لفشر القسم الأول ص: 6 إلى 8.

لقد اعتنقت أمه هلينا الدين المسيحي حين طلقها قنسطنطيوس؛ ولعلها أفضت إلى ولدها بفضائل المسيحية، وما من شك في أنه تأثر بما ناله من انتصارات في المعارك الحربية التي خاض غمارها مستظلاً بلواء المسيح وصليبه. ولكن المتشكك وحده هو الذي يحتال هذا الاحتيال على استخدام مشاعر الإنسانية الدينية لنيل أغراضه الدنيوية.

....

وقد أحاط نفسه في بلاطه ببلاد غالة بالعلماء والفلاسفة الوثنيين؛ وكلما[31] كان اعتناقه دينه الجديد يخضع لما تتطلبه العبادات المسيحية من شعائر وطقوس، ويتضح من رسائله التي بعث بها إلى الأساقفة المسيحيين أنه لم يكن يعنى بالفروق اللاهوتية التي كانت تضطرب لها المسيحية - مع أنه لم يكن يتردد في القضاء على الانشقاق محافظة على وحدة الإمبراطوريّة. وقد كان في أثناء حكمه كله يعامل الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون؛ فكان يستدعيهم إليه، ويرأس مجالسهم، ويتعهد بتنفيذ ما تقره أغلبيتهم من آراء. ولو أنه كان مسيحياً حقاً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذ؛ ولكن الآية انعكست في حال قسطنطين، فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية.

ولقد شهد في حياته كيف أخفق الاضطهاد ثلاث مرات، وانطبع في نفسه بلا ريب انتصار المسيحية رغم كل اضطهاد. نعم إن أتباع هذا الدين كانوا لا يزالون قلة في الدولة، ولكنهم كانوا إذا قيسوا إلى غيرهم قلة متحدة، مستبسلة قوية، على حين أن الأغلبية الوثنية كانت منقسمة إلى عدة شيع دينية، وكان فيها عدد كبير من النفوس التي لا عقيدة لها ولا نفوذ في الدولة. وكان المسيحيون كثيرين في روما بنوع خاص في عهد مكسنتيوس، وفي الشرق في أيام ليسنيوس؛ وقد أفاد قسطنطين من تأييد المسيحية اثنا عشر فيلقاً لاقى بها هذين القائدين.

ولقد اعجب بجودة نظام المسيحيين إذا قيسوا بغيرهم من سكان الإمبراطوريّة، وبمتانة أخلاقهم، وحسن سلوكهم، وبجمال الشعائر المسيحية وخلوها من القرابين الدموية، وبطاعة المسيحيين لرؤسائهم الدينيين، وبرضاهم صاغرين بفوارق الحياة رضاء مبعثه أملهم في أنهم سيحظون بالسعادة في الدار الآخرة. ولعله كان يرجو أن يطهر هذا الدين الجديد أخلاق الرومان. ويعيد إلى الأسرة ما كان لها من شأن قديم، ويخفف من حدة حرب الطبقات، وقلما كان المسيحيون يخرجون على الدولة رغم ما لاقوه من ضروب الاضطهاد الشديد، ذلك بأن معلميهم قد غرسوا في نفوسهم واجب الخضوع للسلطات المدنية، ولقنوهم **حق الملوك المقدس**. وكان قسطنطين يأمل أن يكون ملكاً مطلق السلطان، وهذا النوع من الحكم يفيد لا محالة من تأييد الدين، وقد بدا له أن النظام الكهنوتي وسلطان الكنيسة الدنيوي يقيمان نظاماً روحياً يناسب نظام الملكية، ولعل هذا النظام العجيب بما فيه من أساقفة وقساوسة، يصبح أداة لتهدئة البلاد وتوحيدها وحكمها.

لكن قسطنطين اضطر إلى أن يتحسس كل خطوة يخطوها بحذر، لأن الوثنية كانت هي الغالبة على العالم الذي يعيش فيه. ولذلك ظل يستخدم ألفاظاً توحيدية يستطيع أن يقبلها كل وثني، وقام خلال السنين الأولى من سلطانه المفرد في صبر وأناة بجميع المراسيم التي يتطلبها منه منصب الكاهن الأكبر، والتي تحتمها عليه الطقوس التقليدية، وجدد بناء الهياكل الوثنية، وأمر بممارسة أساليب العرافة؛ واستخدم في تدشين القسطنطينية شعائر وثنية ومسيحية معاً، واستعمل رقى سحرية وثنية لحماية المحاصيل وشفاء الأمراض "[32].

***

(ح) وخلافًا للزعم التقليدي، فإن قسطنطين لم يجعل المسيحية هي الديانة الرسمية للدولة الرومانية، بل كانت الديانة الرسمية للدولة الرومانية في عهد قسطنطين هي عبادة الشمس الوثنية، وقد تصرف قسطنطين -طوال حياته- على أنه الكاهن الأكبر لتلك الديانة. وكان يسمي ملكه (إمبراطورية الشمس)، وكانت صور الإله المسمى (الشمس التي لا تقهر- Sol Invictus)

31 أحسب أن الصواب هو: "وقلما".

32 قصة الحضارة ج: 11 ص: 387 إلى 389.

ظاهرة في كل مكان، بما في ذلك الرايات الإمبراطورية والعملات. ولذلك من الخطأ تصوير قسطنطين على أنه المتحول المتحمس إلى المسيحية[33].

وكتب الأستاذ فيصل بن علي الكاملي:

"كانت عقيدة الأباطرة الروم هي عبادة الشمس. ولم يكن "قسطنطين" بدعاً منهم بل كان وثنيا يعبد إلهاً شمسياً يعرف باسم Sol Invictus "الشمس التي لا تقهر"، وهو إحدى صور "بعل". تقول مؤلفة "ظهور النصرانية":

....

وفي القرن الثالث قام "أورليان" - وهو تابع مخلص لإله الشمس الشرقي "بعل" - برفع هذا الإله المسمى Sol Invictus "الشمس التي لا تقهر" إلى مستوى معبود الدولة الرسمي الإمبراطوري.

....

اختار "قسطنطين" يوم الأحد ليكون عيدا للنصارى بدل يوم السبت الذي كان عيد اليهود قبلهم. وعرف يوم الأحد باسم Dies Solis أي "يوم الشمس" وانتقل هذا المفهوم إلى الانجليزية Sun-Day بنفس المعنى"[34].

***

(ط) ولا شك أن تأييد قسطنطين للمسيحية ساعد على زيادة أعداد المسيحيين زيادة كبيرة، لا سيما أن التحول عن الوثنية إلى المسيحية لم يكن انتقالًا إلى جو غريب تمام الغرابة، أو شعورًا بانقلاب باغت مفاجئ، بل بدا الولوج في المسيحية عملية رفيقة في كثير من التدرج الشعوري والعاطفي، إذ شابهت طقوس الديانة المسيحية وأسرارها المقدسة ما للديانة القديمة من طقوس وأسرار، كما اشتملت تعاليمها على تعاليم الأفلاطونية الحديثة[35]، يضاف لذلك أن القول بوجود واسطة بين الله والناس أمر مألوف عند الفرس وأهل الأفلاطونية الحديثة سواء، وأن الثالوث فكرة دينية مستمدة من القول بأن الثلاثة هي العدد التام[36].

وجاء في الموسوعة البريطانية عن عبادة الشمس:

"خلال المدد الأخيرة من التاريخ الروماني، اكتسبت عبادة الشمس أهمية، وفي النهاية أدت إلى ما صار يُسَّمى بـ(التوحيد الشمسي). واكتسبت كل آلهة العصر تقريبًا خواصًا شمسية، وكذلك اكتسب كلًا من المسيح وميثرا سمات الآلهة

---

33 Holy Blood, Holy Grail p: 387.

34 اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد ص: 70 إلى 72.

35 ذكرت من قبل أن الكنيسة أخذت من الأفلاطونية الحديثة التثليث، وركبته على الآب والابن والروح القدس، ولكنها لم تأخذ منها خضوع العقل والنفس (الأقنومين الثاني والثالث) للواحد (الأقنوم الأول)، وعدت هذه العقيدة -عقيدة (التابعية)- هرطقة وكفرًا، وعدت من يقول بها من أمثال أوريجان تلميذ -أمونيوس ساكاس وأفلوطين- مهرطقًا.

أي أنها أخذت ما أرادت، وتركت ما يخالفها، ثم أضافت لما أخذت عنصرين خطيرين:

الأول: التجسد من الديانات الوثنية. مع أن الفلسفة اليونانية -عامة- تنفي جميع الصفات الوجودية عن الباري سبحانه، ولم يثبتوا إلا سلوبًا وإضافات، أما أفلوطين فقد غلا في النفي، فزعم أن من كمال إلهه الأحد أنه لا يشعر بذاته كذلك! لأنه يتنزه عن ذلك الشعور!

ولكن الكنيسة مع اقتباسها من الأفلوطنية الحديثة ناقضتها، فغالت في التجسد، حتى زعمت أن الله قتل على الصليب، وهو يصرخ: إلهي إلهي لما تركتني!!!

والعنصر الثاني: الفداء والصلب البولسي أيضًا من الوثنيات.

وسمت كل هذا الخليط الذي لا دليل عليه حتى في النص المحرف الذي يقدسونه، سمت ذلك (عقيدة الكنيسة المستقيمة الرأي)، وعدت كل ما عداها هرطقة، ثم هذه (الكنيسة المستقيمة الرأي) ما لبثت أن انشقت على نفسها، ولعنت بعضها بعضًا.

راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس/ النقطة الثانية: الخلاف في العقائد/ 4- تسرب الوثنية للمسيحية/ ج- منافذ تسرب العقائد الوثنية للنصرانية/ (2) الفلسفة اليونانية/ الأفلاطونية الحديثة.

36 تاريخ أوربا العصور الوسطى لفشر ص: 8.

الشمسية. وكان يحتفل بعيد (الشمس التي لا تقهر) في 25 ديسمبر بسرور عظيم، وأخيرًا جعله النصارى الكريسماس، يوم ميلاد المسيح"[37].

وكتب ميتشيل جرانت[38] (Michael Grant) في الموسوعة البريطانية:

"استمرت العملات والآثار -لوقت ما- في ربط العقائد المسيحية بعبادة الشمس، التي كان قسطنطين مدمنًا عليها سابقًا، ولكن حتى لما انتهت هذه المرحلة، استمرت الوثنية الرومانية لتمارس تأثيرها كبيرًا كان أو صغيرًا. فالأباطرة قد منحوا البابوات لقب (الكاهن الأعظم- pontifex maximus). والقديسون بتوزع وظائفهم قلدوا كثيرًا (القوى الروحية- numina) في التقاليد القديمة. وكذلك احتفظ التقويم الكنسي ببقايا كثيرة من احتفالات ما قبل المسيحية، وخاصة (عيد الميلاد- Christmas)، الذي يضم عناصر من كل من عيد (الساتُرانليا[39]- Saturanalia) ويوم ميلاد ميثرا".

وأضاف:

"أن قسطنطين العظيم أعلن أن الشمس هي رفيقته على العملة الواسعة الانتشار في الإمبراطورية، وكان مخلصًا في عبادتها، إلى أن اعتنق المسيحية"[40].

وذكر كُتّاب كتاب (الدم المقدس الكأس المقدس- Holy Blood, Holy Grail):

أن عبادة الشمس كانت سورية المنشأ، وقد فرضها الأباطرة الرومان على رعاياهم قبل قسطنطين بقرن من الزمان.

وكانت توحيدية رغم احتوائها على عناصر من عبادة بعل وعشتارت. وقد صورت إله الشمس على أنه الجامع لكل صفات الآلهة الأخرى، وبهذا علت بسلاسة على كل المنافسين المحتملين.

زيادة على هذا فقد انسجمت مع عبادة ميثرا، التي انتشرت أيضًا في روما والإمبراطورية في ذلك العهد، والتي تضمنت أيضًا عبادة الشمس.

وقد استغل قسطنطين عبادة إله (الشمس التي لا تقهر- Sol Invictus)، فقد كان هاجسه الأساسي هو الوحدة: الوحدة في السياسة، الوحدة في الدين، والوحدة في الأراضي. وقد وافقت الديانة التي احتوت سائر الديانات الأخرى هذا الهدف. وتحت مظلة عبادة الشمس ثبتت المسيحية أقدامها[41].

ومن أجل تحقيق الوحدة تعمد قسطنطين أن يميع الفوارق بين المسيحية والميثرانية والـ(الشمس التي لا تقهر)، وتعمد ألا يرى أية تناقضات بينها، ولذلك تسامح مع يسوع المتأله، على أنه المظهر الأرضي لـ(الشمس التي لا تقهر).

ولذلك كان يبني كنيسة، وفي نفس الوقت يقيم تماثيل للإلهة الأم سيبل ولـ(الشمس التي لا تقهر)، وكان يصور إله الشمس على صورته.

---

37 Encyclopædia Britannica, sun worship.

والنص الأصلي هو:

"During the later periods of Roman history, sun worship gained in importance and ultimately led to what has been called a “solar monotheism.” Nearly all the gods of the period were possessed of solar qualities, and both Christ and Mithra acquired the traits of solar deities. The feast of Sol Invictus (Unconquered Sun) on December 25 was celebrated with great joy, and eventually this date was taken over by the Christians as Christmas, the birthday of Christ".

38 رئيس جامعة الملكة ببلفاست بشمال أيرلندا.

39 عيد الساترانليا كان عيدًا رومانيًا قديمًا يحتفل به في 17- 24 ديسمبر، بينما كان يوم ميلاد ميثرا يحتفل به في 25 ديسمبر.

[Encyclopædia Britannica, feast, Types and kinds of feasts and festivals, Carnivals and saturnalias].

وعيد ميلاد المسيح ابتدعته الكنيسة في 25 ديسمبر، أو 6 أو 7 يناير كما تقدم آنفًا. راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس/ النقطة الثالثة: الخلاف في الشرائع/ 5- الأعياد/ ج - عيد ميلاد من: مثرا أم المسيح عليه السلام؟

40 Encyclopædia Britannica, Roman religion.

41 Holy Blood, Holy Grail p: 378 & 388.

وباختصار فقد كان الدين لدى قسطنطين مسألة سياسية، وأي عقيدة تتماشى مع الوحدة كان يُتَسامح معها[42].

***

(ي) وعمت الإمبراطورية فورات دافقة من الشعور الخلقي ضد مظاهر الرذيلة والوحشية، التي سادت في المدنية الرومية القديمة.

على أن تلك الفورات لم تجد سبيلًا إلى نفس قسطنطين برغم خضوعه لأوهام الأساطير والخرافات، لأنه جعل الوحدة شعارًا وهدفًا.

واعتبر الكنيسة المتفرقة أحزابًا وشيعًا ضارة بمصالح الدولة، ولذا رأى أن الضرورة السياسية تفرض عليه أن يجعل من نفسه راعيًا ورئيسًا فخريًا للمجامع الدينية، وفيصلًا في المنازعات الدينية، ومشيرًا مطاعًا في تقرير عقائد الكنيسة.

والواقع أن اهتمام قسطنطين بإخماد حركة الدوناتيين في المجمع الغربي الذي عقد بمدينة آرل بجنوب فرنسا سنة 314م[43]، ثم ما تلا ذلك من محاربته للآريوسيين في مجمع نيقية عام 325م، دل كلاهما على ما جدَّ بالعالم من **حلف بين الكنيسة والدولة**، وهو الحلف الذي تطورت بحسبه مصائر جميع الشعوب المسيحية، وهذا يبين خطورة القرار الذي اتخذه قسطنطين بسياسته تجاه الكنيسة[44].

والواقع أن عهد الإمبراطور قسطنطين كان يموج بعدة تيارات دينية متضاربة، إذ لم يقتصر فيه الوضع على التطاحن بين المسيحيين والوثنيين، بل انقسمت المسيحية الناشئة على نفسها بين آريوسيين وأثناسيوسيين، مما جعل كل فريق يعمل للفوز بأكبر قدر من الامتيازات على حساب الآخرين، وهنا وجد قسطنطين فرصته، فحاول أن يرضي الجميع، وهكذا اعترف قسطنطين بالمسيحية بمذهبيها دون أن يتنكر لديانة الدولة، أو يتخلى عن عبادة الإمبراطور، التي كانت مصدرًا أساسيًا لقوة الأباطرة ونفوذهم، أي أنه اختار أن يقيم قوته السياسية على ثلاثة دعائم رئيسية، وهي: العبادة الإمبراطورية، والعقيدة الآريوسية والعقيدة الأثناسيوسية، كما أظهرت ذلك سياسة الإمبراطور وتصرفاته. ويرى الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشورأنه: "يمكن القول بأن قسطنطين ظل حتى أواخر حياته وثنيا مع الوثنيين وأثناسيوسيا مع الأثناسيوسيين وأريوسيا مع الأريوسيين"[45].

وبزوال الاضطهاد عن المسيحيين بدأت تطفو على السطح الخلافات العقدية بينهم[46]، ورأى قسطنطين أن هذه الخلافات تهز استقرار وحدة الدولة، وقد تمثلت هذه الخلافات في انشقاق الأديرة، والإنشقاق الدوناتي وقد أشرت له آنفًا، ثم أهمها وهي الدعوة أو العقيدة الآريوسية. وهي التي تعدها الكنائس الحالية هرطقة، وكانت -هي على التحقيق- العقيدة الغالبة، كما سيأتي إن شاء الله.

***

(ك) أما عن انشقاق الأديرة، فكتب عنه ول ديورانت:

---

42 Holy Blood, Holy Grail p: 388 & 389.

43 هي حركة نشأت في أوائل القرن الرابع الميلادي، ومؤسسها دوناتس (Donatus)، وقامت على أساس تقديس الشهداء، ولعن الذين ارتدوا عن المسيحية في أزمنة الاضطهاد، ورفض توليهم لمناصب كنسية. [راجع للتفصيل: Encyclopædia Britannica, Donatist.].

44 تاريخ أوربا العصور الوسطى لفشر ص: 9.

45 تاريخ أوروبا في العصور الوسطى لسعيد عبد الفتاح عاشور ص: 38 و39.

46 في الحقيقة أن هذه الخلافات ظهرت من قبل في عهد دقلديانوس، حينما كان للمسيحيين حرية، قبل أن يشن عليهم حملة البطش والاضطهاد. فمثلًا كتب يوسابيوس القيصري: "ولكن عندما سقطنا في التراخي والكسل - بسبب زيادة الحرية - وصرنا نحسد ونهين بعضنا بعضا، ونشهر العداء ضد بعضنا البعض، فالرؤساء يهاجمون الرؤساء بالكلمات القارسة كالحراب، والشعب يؤلب الأحزاب ضد الشعب، وبلغ الرياء والنفاق أعظم حدود الشر.

.....

والذين كانوا يوقرون رعاتنا نبذوا قيود التقوى فصاروا يحاربون بعضهم بعضا، ولم يفعلوا شيئا آخر سوى تكديس المنازعات، والتهديدات، والغيرة، والعدواة، والبغض نحو بعضهم البعض، كالطغاة الذين يتلهفون على إظهار قوة بطشهم". [تاريخ الكنيسة ص: 351 و352].

"وكانت الكنيسة، في الفترة الواقعة بين اضطهادي ديسيوس ودقلديانوس، قد أضحت أغنى الهيئات الدينية في الإمبراطوريّة، وخففت من هجماتها على الثراء. فترى سبريان يشكو من أن أبناء أبرشيته قد أضل حب المال عقولهم، ومن أن النساء المسيحيات يصبغ[47] وجوههن، وأن الأساقفة يتولون مناصب في الدولة تدر عليهم المال الكثير، فأثروا، وأقرضوا المال بربا فاحش، وارتدوا عن دينهم إذا بدت لهم أول علامة من علامات الخطر، ويبدي يوسابيوس حزنه من تناحر القساوسة في تنافسهم على المناصب الكنسية العليا.

وقصارى القول أن الدنيا جعلت المسيحيين رجال دنيا في الوقت الذي هدت فيه المسيحية العالم إلى ذلك الدين؛ وأظهرت الدنيا ما في الفطرة البشرية من غرائز وثنية. وقامت الرهبنة المسيحية احتجاجاً على هذا التوفيق المتبادل بين الروح والجسم. ذلك أن أقلية من المسيحيين كانت ترغب في الابتعاد عن كل طاعة للشهوات البشرية، وتطالب بالاستمرار على الانهماك المسيحي القديم في التفكير في الحياة الأبدية الخالدة. وجرى بعض هؤلاء الزهاد على الكلبيين[48] فتخلوا عن جميع أملاكهم، وارتدوا ثوب الفلاسفة الخلق، وعاشوا على ما يقدم لهم من صدقات. وذهب بعضهم ليعيشوا بمفردهم في الصحراء المصرية كما فعل بولس الناسك. وحدث حوالي عام 275 أن بدأ راهب مصري يدعى أنطونيوس ربع قرن من حياة العزلة قضى بعضها أولاً في قبر، وبعضها في حصن جبلي مهجور، وبعضها الآخر في فجوة ضيقة نحتها في الصخور، كانت تنتابه فيها أثناء الليل رؤى مخيفة وأحلام لذيذة تغلب عليها كلها، حتى اشتهر بالقداسة، وعمت هذه الشهرة جميع أنحاء العالم المسيحي، وعمرت الصحراء بالنساك المنافسين له. وأحس باخوميوس في عام 325 أن اعتزال الناس أنانية فجمع الزهاد في دير عند طابين في مصر، وأنشأ الرهبنة الجماعية التي صار لها أعظم الأثر في بلاد الغرب. وقاومت الكنيسة حركة الرهبنة وقتاً ما، ثم رضيت بها لتوازن اهتمامها المتزايد بشئون الحكم"[49].

***

(ل) أما مقالة آريوس فقد اشتد الجدل حولها بين آريوس وأنصاره، الذين كانوا يقولون: بأن الابن مخلوق، وبين أسقف الإسكندرية وأنصاره، الذين كانوا يؤكدون على ألوهية الابن، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

وصار الأمر مهددًا لأمن الإمبراطورية، وترددت في المدائن أصداء الضجيج والاضطراب، حتى كان الدين المسيحي، كما يقول يوسابيوس: "موضوع السخرية الدنسة من الوثنيين، حتى في دور التمثيل نفسها". ولما جاء قسطنطين إلى نيقوميديا بعد أن هزم ليسنيوس، سمع هذه القصة من أسقفها، فأرسل إلى الإسكندر وإلى أريوس رسالة شخصية يدعوهما فيها أن يتخلقا بهدوء الفلاسفة، وأن يوفقا بين آرائهما المختلفة في سلام، فإن لم يفعلا فلا أقل من أن يخفيا جدلهما عن آذان الجماهير، ويكشف هذا الخطاب، الذي نقله لنا يوسابيوس، في صراحة عن قلة اهتمام قسطنطين بعلوم الدين، وعن الهدف السياسي الذي كان يبتغيه من سياسته الدينية:

"لقد اقترحت أن أرّد جميع آراء الناس في الله إلى صورة واحد، لأني قوي الاعتقاد بأني إذا استطعت أن أوحد آراءهم في هذا الموضوع سهل علي كثيراً تصريف الشئون العامة. ولكني مع الأسف الشديد أسمع أن بينكما من الخلاف أكثر مما كان قائماً في أفريقية من وقت قريب. ويبدو لي أن سبب هذا الخلاف بينكما صغير تافه غير جدير بأن يثير هذا النزاع الشديد. فأنت يا ألكسندر تريد أن تعرف رأي قساوتك في إحدى النقاط القانونية، في جزء من سؤال هو في حد ذاته عديم الأهمية؛ وأما أنت يا أريوس فقد كان الواجب عليك، إذا كانت لديك أفكار من هذا القبيل، أن تظل صامتاً ... ولم يكن ثمة حاجة إلى إثارة

---

47 لعل الصواب: "يصبغن".

48 كلمة غير مفهومة.

49 قصة الحضارة ج: 11 ص: 390 و391.

هذه المسائل أمام الجماهير، لأنها مسائل لا يثيرها إلا مَن ليس لديهم عمل يشغلون به أنفسهم، ولا يرجى منها إلا أن تزيد عقول الناس حدة، تلك أعمال سخيفة بالأطفال العديمي التجربة لا برجال الدين أو العقلاء من الناس"[50].

ونقل الأستاذ ساجد مير عن جي كاي من كتابه (The Council of Nicea) ص: 25 أن تلك الرسالة جاء فيها:

"أصلحوا فيما بينكم، وأعيدوا إليّ أيامي الهادئة ولياليي الآمنة؛ حتى أستطيع أن أعيش حياة سعيدة آمنة"[51].

وهذه الرسائل تبين أن قسطنطين كان يعتبر أن هذا الخلاف تافه صغير، بل لم يكن يعتني بالخلافات العقدية، ولا خبرة له بها، خاصة وأن تعليمه كان أقل من المستوى الأدبي العالي في أيامه[52]، بل كتب ول ديورانت: "لم يتلقَ قنسطنطين من العلم إلا قليلاً"[53]، وكل ما كان يهمه هو أمن الدولة ووحدتها.

وأنقل هنا شهادة هامة عن الدكتور القس حنا جرجس الخضري، وهو المخالف لآريوس في عقيدته، والمتعاطف مع قسطنطين، عن مدى تفاقم هذا الخلاف:

"اتسعت شقة الخلاف واستفحلت إذ أن كلا من الجانبين حاول أن يجذب إليه العدد الأكبر وخصوصًا من الأساقفة ذوي النفوذ والتأثير على المستويين السياسي والديني . ولذلك فقد كتب كل من الطرفين رسائل عديدة وخطابات طويلة يشرح فيها عقيدته وموقفه مدعيا بأنه على حق ، وأنه لا يسلك إلا على الصراط المستقيم والايمان القويم. بل إن كلا من الطرفين رجع إلى الكتاب المقدس واقتبس آياته التي تؤيد وجهة نظره .

ولم تكن هذه المحاولات عبارة عن ثرثرة كلامية ومعارك خطابية وهجمات عظيمة[54] ، كما ظن الإمبراطور قسطنطين ذلك ، بل إن الأمر كان أخطر من ذلك بكثير ، إذ تولدت الأحزاب وشاعت الاضطرابات . وهنا انقسمت الكنيسة ليس في مصر فقط بين أتباع ألكسندروس الأسقف وأتباع الكاهن أريوس ، بل إن هذا الانقسام قد انتشر أيضا في كنائس كثيرة في الشرق كله ، بين الأساقفة وبين الشعب .

لقد بدأت الانقسامات في الكنيسة الشرقية في الوقت الذي بدأ فيه الإمبراطور قسطنطين يشعر بالاطمئنان الجزئي والسلام على وحدة الامبراطورية . إذ أنه بذل كل غال ورخيص للوصول الى عرش هذه الامبراطورية الرومانية وتوحيدها ، وقد وصل إلى هذا الهدف بعد موقعة خريسوبوليس التي فيها سويت الأمور بينه وبين ليكنيوس وأصبح سيدا للموقف في سنة 323 - 324 . وهنا يظهر خطر جديد لتمزيق هذه الامبراطورية ، ومع أنه ظن في بداية الأمر بأن هذه الانقسامات والنزاعات ما هي إلا نزاعات ومعارك كلامية ، لكنه أدرك حالا أن هذه النزاعات والانقسامات تهدد سلامة الامبراطورية تهديدا جديا وخطيرا .

ومن المؤسف والمؤلم والمحزن أن هذه الانقسامات والاضطرابات ظهرت في الكنيسة بصورة بشعة ، فأصبحت كنضال بين حزبين سياسيين، بل كحرب بين جيشين ، يقاتل أحدهما الآخر على مسمع ومرآى من الوثنيين ، الذين كانت الكنيسة تريد أن تكسبهم إلى ديانة يسوع المسيح ، ديانة الحب والسلام ، وأي حب وسلام ؟ !!!

لم يقبل الامبراطور قسطنطين هذه الصورة البشعة التي ظهرت بها المسيحية.وفي حقيقة الأمر لم يكن رفضه لهذه الصورة الغير المشرفة للمسيح ، نابعا من غيرته للمسيح وللمسيحية فقط ،بل كان يرى في هذه الانقسامات والمعارك اللاهوتية عاملا خطيرا وهداما لوحدة الامبراطورية الرومانية . ولهذا السبب فقد استشار الامبراطور صديقه العزيز الأسقف هوسيوس (HOSIUS) ، واتفق الاثنان على أن يكتب الامبراطور شخصيا إلى كل من ألكسندروس أسقف الإسكندرية وإلى أريوس

---

50 قصة الحضارة ج: 11 ص: 393 و394.

51 المسيحية (النصرانية)- دراسة وتحليل ص: 74.

52 Encyclopædia Britannica, Constantine I, Career and conversion.

53 قصة الحضارة ج: 11 ص: 382.

54 لعلها: "عقيمة" أو "وعظية" حتى تكون متسقة مع سياق الكلام.

داعيا اياهما إلى ترك المجادلات العقيمة التافهة والرجوع إلى الصلح والسلام والبنيان . وحمل هذه الرسالة الأسقف هوسيوس نفسه لكي يناقش الأشخاص المعنيين بالأمر في مشكلة الانقسام الخطيرة"[55].

وكتب ول ديورانت:

"ولم يكن لهذه الرسالة أثر ما لأن مسالة اتفاق الأب والابن في المادة لا مجرد تشابهها كانت في نظر الكنيسة مسألة حيوية من الوجهتين الدينية والسياسية، وكانت ترى أنه إذا لم يكن المسيح إلهاً فإن كيان العقيدة المسيحية كلها يبدأ في التصدع، وإذا ما سمحت باختلاف الرأي في هذا الموضوع فإن فوضى العقائد قد تقضي على وحدة الكنيسة وسلطانها، ومن ثم على ما لها من قيمة بوصفها عوناً للدولة. ولما انتشر الجدل في هذه المسألة، واشتعلت نيران الخلاف في بلاد الشرق اليوناني، اعتزم قسطنطين أن يقضي عليه بدعوة أول مجلس عام للكنيسة"[56].

***

(م) وسأرجئ تفاصيل ما قام به قسطنطين في مجمع نيقية إلى ما أذكره -إن شاء الله- تحت عنوان (مجمع نيقية).

ولكني أود أن أذكر أمرين قبل الختام:

الأول: أن قسطنطين بعد انتهاء مجمع نيقية عاد للغرب، وفي أثناء غيابه عن الشرق أمر في عام 326م بقتل ابنه الأكبر ونائبه كريسبس (Crispus)، الذي كان جنديًا ممتازًا، وكان نعم العون لأبيه في حروبه ضد ليسنيوس، والذي نقلت من قبل ثناء يوسابيوس المبالغ عليه وعلى أبيه!!!

وفي حوالي ذلك الوقت أمر قسطنطين بقتل ليسنيانس (Licinianus) بن ليسنيوس من قسطنطيا أخت قسطنطين.

وبعد ذلك بقليل قتل قسطنطين زوجته فوستا (Fausta).

ولا يعرف سبب مقتل هؤلاء الثلاثة، غير أن زوسمس (Zosimus) يؤكد أن كرسبس غازل فوستا، وإنها شكته إلى الإمبراطور، وإن هلينا أم قسطنطين، وكانت شديدة الحب لكرسبس، انتقمت لموته، بأن أقنعت قسطنطين أن زوجته قد استسلمت لولده.

لكن الأرجح من هذا كله أن فوستا عملت على أن تبعد كرسبس من طريق ابنها الذي كانت تريده وارثاً لعرش الإمبراطوريّة، وربما قُتل ليسنيانس لأنه كان يحيك المؤامرات ليحصل على نصيب أبيه في الدولة[57].

الأمر الثاني: أن قسطنطين ظل وثنيًا حتى شارف على الموت عام 337م، وحينئذ تعمد -وهو على فراش مرض موته- على يد الأسقف الآريوسي يوسابيوس النيقومندي[58]!!!

وينقل المهندس أحمد عبد الوهاب عن كامل صالح من كتابه (تاريخ أثناسيوس) ص: 61 قوله عن تعمد قسطنطين تأخير تعميده حتى الرمق الأخير:

"بأنه ككثيرين من أهل بلاده بعد تغيير دينه ، جمع بين الايمان المسيحي والميل الى الوثنية ، وكان يعتقد كغيره من أركان المسيحية أن العماد كفارة لمحو جميع الخطايا السابقة ولرغبته في أن يستمتع ما استطاع بالعالمين الدنيوي والديني فقد أجل عماده إلى آخر لحظة"[59].

---

55 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 623 إلى 625.

56 قصة الحضارة ج: 11 ص: 393 و394.

57 قصة الحضارة ج: 11 ص: 402،

Encyclopædia Britannica, Constantine I, Commitment to Christianity.

58 قصة الحضارة ج: 11 ص: 402،

Microsoft Encarta, Constantine the Great, III. SOLE RULER.

59 طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 20.

***

(2) مع آريوس إلى نيقية

في هذا المبحث أتناول التعريف بآريوس تحت العناوين التالية:

(أ) تمهيد

(ب) من هو آريوس؟

(ج) ما معتقده؟

(د) الصراع بينه وبين المثلثين حتى مجمع نيقية

***

(أ) تمهيد

[1] بداية لا بد أن أوضح أن معظم ما يعرف عن آريوس إنما هو من حصومه. أما كتاباته وكتابات مؤيديه فمعظمها قد أحرق، طبقًا لأوامر الإمبراطور قسطنطين[1]،

ولذا يعتمد في معرفة الخطوط العريضة لتعاليمه على منظومة (Thalia- المأدبة) الشعرية، التي كتبها، ولكن تحيط بها شكوك، لأنها لم يعثر منها إلا على نسختين فقط، وكلتاهما كانتا بحوزة أثناسيوس خصمه اللدود، وقد نقل الأستاذ فاضل سليمان عن الدكتور هانسون (Hanson) من كتابه (The Search for the Christian Doctrine- البحث عن العقيدة المسيحية) ص: 123:

"إن أصعب ما يواجهنا، أن الوليمة Thalia وهي المصدر الوحيد لفكر آريوس العقائدي هي مجموعة عبارات لا تخلو من كونها من تأليف أثناسيوس الذي لن يتورع عن إساءة تقديم مقولات آريوس".

وكذلك يُعتمد على كتابات خصومة عنه، وبعض خطاباته لزميله الأسقف يوسابيوس بالقسطنطينية، وخطابه لإسكندر أسقف الإسكندرية عام 318م[2].

***

[2] الأمر الثاني الذي أود الإشارة له هو أن دعوة التوحيد -المخالفة لعقيدة التثليث والخطيئة الأصلية والفداء- قديمة في الإسكندرية بشهادة كاتب (أو كتبة) سفر أعمال الرسل، الذي تكلم عن أبلس السكندري الذي خالف بولس، وكان يعمد بمعمودية يوحنا المعمدان -عليه السلام- للتوبة ومغفرة الخطايا[3]:

"18: 24 ثم أقبل إلى أفسس يهودي اسمه أبلوس، **إسكندري الجنس**، رجل فصيح مقتدر في الكتب.

18: 25 كان هذا خبيرًا في طريق الرب. وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب. عارفًا معمودية يوحنا فقط.

18: 26 وابتدأ هذا يجاهر في المجمع فلما سمعه أكيلا وبريسكلا أخذاه إليهما، وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق.

18: 27 وإذ كان يريد أن يجتاز إلى أخائية كتب الإخوة إلى التلاميذ يحضونهم أن يقبلوه. فلما جاء ساعد كثيرًا بالنعمة الذين كانوا قد آمنوا،

18: 28 لأنه كان باشتداد يفحم اليهود جهرًا، مبينًا بالكتب أن يسوع هو المسيح.

19: 1 فحدث فيما كان أبلوس في كورنثوس، أن بولس بعدما اجتاز في النواحي العالية جاء إلى أفسس، فإذ وجد تلاميذ

19: 2 قال لهم: "هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟". قالوا له: "ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس".

19: 3 فقال لهم: "فبماذا اعتمدتم؟". فقالوا: "بمعمودية يوحنا"[4].[5]

***

[3] الأمر الثالث: الذي أود الإشارة له، هو أن حزب المثلثين لم يكن هو الأكثرية في القرون الأربعة الأولى، فبالإضافة لمن كانوا يقولون بأن الابن مخلوق، ثم من تلاهم كمدرسة لوقيانوس وتلميذه آريوس، وهي الطائفة التي كانت سائدة في الشرق قبل مجمع نيقية وبعده،

---

1 نقل الأستاذ فاضل سليمان عن فردريك شلوتيس (Fredric Schluthis) من كتابه (Ecumenical councils from Nicaea to Chalcedon- المجامع المسكونية من نيقية إلى خلقدونية) ص: 1 و2 نص أمر من قسطنطين بحرق كتب آريوس، وبإعدام من يخفيها. [أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 54 و55].

2 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 54 إلى 56.

3 إنجيل مرقس: 1: 4.

4 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 18: 24 إلى 19: 3 ص: 109 و110.

5 راجع: النقطة الأولى: نبذة تاريخية/ المسألة الثانية: التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى/ المرحلة الأولى (من سنة 30م إلى 135م)/ المدة الأولى: من رفع المسيح -عليه السلام- إلى تدمير الهيكل عام 70م/ [د] ظهور بولس ودوره في مشاقة الكنيسة المُوَحِدة/ {4} خلاف بولس وأبلوس.

كما سيأتي إن شاء الله، بالإضافة لهؤلاء كانت هناك طوائف أخرى من النصارى -منهم آباء يعظمونهم- لم تعتقد التوحيد الصافي الصحيح، ولكنها لم تؤمن بالتثليث -حسب مجمع نيقية- الذي تعتقده الكنائس الحالية.

[أ] فقد كان هناك القائلون بعقيدة التابعية.

وهي عقيدة تحرم الكنائس البولسية المثلثة من يقول بها، فقد جاء في كتاب (أسئلة حول حتمية التَّثليث والتَّوحيد وحتمية التَّجسُّد الإلهي):

"ويقطع البابا أثناسيوس حرماً على كلّ من يُميِّز بين الأقانيم ويدَّعي أنَّ أقنوماً أعظم من الآخر، فيقول: "هكذا نُقرّ ونعترف أنَّ الابن والرُّوح القُدُس مُساويان للآب، وكلّ من لا يؤمن ولا يُقرّ أنَّهم (الأقانيم الثلاثة) جوهر واحد وطبع واحد بالقول والفعل فليكن محروماً"[6].

فمن هؤلاء الذين وصمهم البابا أثناسيوس بالحرمان:

- (القديس) **يوستينوس** (100 أو 105م- 165م) الذي يلقبونه بـ(القديس يوستينوس الشهيد)، ومع ذلك يعتبرونه حاملًا لآراء وثنية في المسيح.

فقد كتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري عنه:

"ومع أن يوستينوس يعتبر من لاهوتي القرن الثاني العظام،

....

فإن التعاليم الأفلاطونية تركت تأثيرًا عميقًا عليه لم يكن من السهل محوه. بل إن الدارس المدقق لكتاباته الدفاعية والحوار يشتم في بعض الأحيان رائحة وثنية في تعليمه عن اللوجوس[7] وطريقة الانبثاق، فإن خروج اللوجوس من الآب يشبه إلى حد ما خروج اللوجوس (بعض الأرواح) من الإله العظيم في المفهوم الوثني الغنوسي[8]، كما أن يوستينوس يعتقد بأن الابن أدنى من الآب، وأن الروح القدس أقل من الابن، فقد كتب يقول: "إن الله اللوجوس هو إله وسيد أقل من الله الخالق للكون". وعندما يتكلم عن الثالوث يضع الله السامي في المرتبة الأولى والمسيح في المرتبة الثانية والروح القدس في المرتبة الثالثة (دفاع 1: 13، 3: 4).

مما لا شك فيه أن الدراسات الفلسفية الكثيرة التي درسها القديس يوستينوس قبل تجديده[9]، تركت في تعاليمه بعض الآثار الوثنية"[10].

- كذلك من المخالفين لثالوث مجمع نيقية **ترتليانوس** (155 أو 165[11]- 220م؟[12])، الذي يقال: إنه أول كاتب لاتيني استخدم مصطلح (الثالوث)[13]، وقد أشرت له من قبل في مبحث (التقليد).

ويعد ترتليانوس في نظر المسيحيين من أكبر المدافعين عن عقيدة النصارى البولسية في القرن الثاني الميلادي، ويعتبره الدكتور القس حنا جرجس الخضري من أبطال الإيمان الذين ولدتهم أفريقيا، وأنهم: "أصبحوا كالنجوم اللامعة في سمائها الزرقاء الصافية ، فبشروا شعبها بالإنجيل وعلموه الإيمان الصحيح الذي تسلموه من خدام الرب الأمناء"[14].

---

6 أسئلة حول حتمية التَّثليث والتَّوحيد وحتمية التَّجسُّد الإلهي ص: 89.

7 اصطلاح فلسفي يقصد به السبب الأول الإلهي الآمر للكون، وفي اللاهوت النصراني قصروه على (الكلمة) المنبثقة عن الله سبحانه، ويقصدون بها سيدنا المسيح عليه السلام. [Microsoft Encarta 2009, Logos (philosophy and religion) & Encyclopædia Britannica, logos].

8 الغنوصية اعتقاد ثنوي (يؤمن بإلهين للكون: إله للعالم السفلي، وإله متسام)، ويؤمنون بأن الخلاص يتحقق بمعرفة خاصة سرية تكشف للناس أصولهم الروحية وحقائقهم ومصائرهم. [Encyclopædia Britannica, Clement of Alexandria, Saint].

وتعتقد طائفة منهم أن سيدنا المسيح -عليه السلام- كان كائنًا روحيًا، ظهر في شبه جسد.

9 يقصد: تنصره.

10 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 3 ف: 6 ص: 452 و453.

11 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 4 ص: 515.

12 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 4 ص: 517.

13 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 4 ص: 524.

14 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 4 ص: 514.

ورغم تشدده في التمسك بالتقليد الكنسي -الذي لا يستند لأدلة كتابية- فقد اختلف ترتليانوس مع ما يسمى بـ(الكنيسة المستقيمة الرأي) رغم ثناء الدكتور الخضري عليه بأنه كان ممن يعلم الإيمان الصحيح!!! وانشق عنها لسببين رئيسيين:

الأول: أنه اعتنق عقيدة المونتانيين، التي تؤمن باستمرار الوحي من الروح القدس، الذي من حقه أن يعدل في النص المقدس، وكذلك تختلف مع الكنيسة في أمور أساسية؛ منها إنكار حق الكنيسة في غفران الذنوب[15].

والسبب الثاني: أنه كان يرى أن الكلمة وإن كانت أزلية كفكرة مع الآب، إلا أن الابن لما انبثق من الآب لم يكن أزليًا، وكان متأثرًا أيضًا بعقيدة التابعية، التي ترى أن الابن أقل درجة من الآب[16].

وهذا مخالف لعقيدة مجمع نيقية الأول.

- ومنهم (القديس) **هيبوليتس** الرومي، الذي هاجم البابا زيفيرينس ومساعده -وخلفه في البابوية- جاليستس المسمى بـ(القديس) جاليستس الأول، واتهمهما بالتراخي في تنظيم الكنيسة، واستنكر عقيدتهما في المسيح، وأنهما يميلان لمذهب الانتحالية، وهما بدورهما اتهماه بمذهب الثنوية (Ditheism)، والذي تلقاه من(القديس) يوستينوس الشهيد.

ولما تولى جاليستس البابوية من 217 إلى 222م، كان عدوًا لدودًا لمذهب الوحدوية، الذي كان يخالف عقيدة التثليث. ولكن رغم هذا العداء اتهمه القديس هيبوليتس الرومي بالوحدوية، ولم يعترف ببابويته، وأعلن نفسه بابا[17].

وكان هيبوليتس:

{1} يشدد على عقيدة التابعية،

{2} وكان يعتقد أن اللوجوس ينمو ويتطور،

{3} وأن ميلاد اللوجوس أو انبثاقه هو عملية حرة كخلق الله للخليقة[18].

أي أن اللوجوس (أو الكلمة أو الأقنوم الثاني أو الابن) قد خلقه الله كما يخلق الخلائق.

ويعترف الدكتور القس حنا جرجس الخضري بأن هيبوليتس قد تابع الكثيرين ممن سبقوه في عقيدة التابعية، فكتب:

"ولم يستطع معلم روما الهروب من الخطأ الذي سقط فيه الكثيرون من المدافعين والمعلمين الذين سبقوه ، فقد انزلق كسابقيه في منحدر "التابعية""[19].

- وبعد هيبوليتس جاء **نوفاتيانوس**، الذي كان أسقفًا بروما، وكان يؤمن -أيضًا- بعقيدة التابعية، وكان يرى أن الأب سابق للابن، وأن الابن أقل في الدرجة من الأب[20].

وقد أصدرت ما تسمى -أو ما يسميها أتباعها- بـ(الكنيسة الجامعة أو الكنيسة الأرثوذكسية أو مستقيمة الرأي) حرمانًا بحق كل من هيبوليتس ثم من بعده نوفاتيانوس، ولكن هذا الحرمان لم يكن بسبب عقيدة التابعية، بل بسبب أمور تنظيمية، أي أن عقيدة التابعية كانت أمرًا مقبولًا في القرون الثلاثة الأولى، وعن هذا كتب القس الدكتور حنا جرجس الخضري:

---

15 The Church in Ancient Society p: 121 & 122 & The early Church p: 52 & 53.

16 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 4 ص: 524 إلى 530.

17 Microsoft Encarta 2009, Callistus.

تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 7 ص: 568.

18 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 7 ص: 572 إلى 578.

19 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 7 ص: 577.

20 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 8 ص: 581 إلى 583. من الجدير بالذكر أن الدكتور القس حنا جرجس الخضري ذكر أن نوفاتيانوس كان يطمح لمنصب الأسقفية، وأنه أرغم بالتهديد ثلاثة أساقفة ليرسموه أسقفًا.

بينما يروي يوسابيوس أن نوفاتيانوس زعم أن أخوانه أجبروه على الانشقاق، وأن ديونيسيوس كتب له ناصحًا بالعودة للكنيسة!!! [تاريخ الكنيسة ك: 6 ف: 45 ص: 299].

إذن فقد كانت الكنيسة -وما زالت- طافحة بالصراعات الداخلية على المناصب والمنافع، وهو ما سأفصل فيه إن شاء الله.

"نوفاتيانوس: الذي يشبه هو أيضا - إلى حد كبير - هيبوليتوس. فإن كليهما انفصل عن الكنيسة الرومانية وكليهما أيضا حرم منها على أنه جدير بالذكر أن الخلافات التي فصلت بين هذين المعلمين هيبوليتس ونوفاتيانوس . وبين أساقفتهما كان معظمها مختص بالنظام الكنسي ، والقليل بل والقليل جدا كان متعلقا ببعض الأمور العقائدية"[21].

بل تعتبر الكنيسة هيبوليتس من القديسين وتحتفل بعيده في 13 أغسطس[22].

- ومن أشهر القائلين بعقيدة التابعية **أوريجانوس**، وقد أشرت له من قبل، وأشرت لمخالفاته المتعددة لما يسمى بـ(الكنيسة المستقيمة الرأي)، وخاصة كنيسة الإسكندرية، التي أصدرت ضده عدة قرارات بالحرمان.

وكان من عقيدته:

{1} إنكار التجسد: فقد كان يرى استحالة اتحاد الطبيعة الإلهية بجسد بشري، ولكن الكلمة (اللوجوس) -في زعمه- اتحدت بجسد سيدنا المسيح عليه السلام- عن طريق روح بشرية مخلوقة منذ الأزل[23].

{2} وكان يرى أن الابن أقل درجة في المكانة والمجد من الآب، وهو ما تخالفه الكنيسة الأرثوذكسية الحالية، كما أنه كان يعتقد بالوجود السابق للأرواح، وهو ما تخالفه الكنائس[24].

{3} "فالله عند أرجن ليس هو يهوه، بل هو الجوهر الأول لجميع الأشياء. وليس المسيح هو الإنسان الآدمي الذي يصفه العهد الجديد، بل هو العقل الذي ينظم العالم؛ وهو بهذا الوصف خلقه الله الآب، وجعله خاضعاً له"[25].

- ومن تلاميذ أوريجانوس **ديونيسيوس الإسكندري** أسقف كنيسة الإسكندرية (248- 265م)، وقد أشرت له من قبل.

وقد نسب له الدكتورالقس حنا جرجس الخضري القول بأن المسيح -عليه السلام- لم يكن بالطبيعة ابنًا لله، ولكنه خليقة يختلف جوهرها عن جوهر الله:

"كان ديونيسيوس تلميذا غيورا ومتحمسا لتعاليم أوريجانوس ، ولقد تأثر به تأثرا عظيما . ولذلك لا نجد فرقا كبيرا بين تعاليم هذين المعلمين المصريين . فإن الأسقف المصري نادى كمعلمه أوريجانوس بأن اللوجوس هو إله "ثان" أي أنه غير مساو للآب . واتهمه البعض بأنه في احدى المناقشات الخاصة قد تلفظ ببعض التعبيرات التي يشتم منها رائحة الهرطقة . مثل قوله بأن المسيح لم يكن بالطبيعة ابنا لله . ولكنه **خليقة** يختلف جوهرها عن جوهر الله ، فان علاقة الابن بالآب شبيهة بعلاقة الكرمة بالكرام والسفينة بصانعها"[26].

- كذلك كان من القائلين بعقيدة (التابعية)؛ مدرسة أنطاكية، التي أسسها لوقيانوس، وقد أشرت له من قبل، وتتلمذ فيها آريوس، والتي كتب عنها محررو موسوعة إنكارتا:

"كان يُعرف عنها أنها تعتبر المسيح كائنًا مخلوقًا، وتابعًا لله الأب"[27].

***

[ب] وكان هناك الانتحاليون (السابيليون)، وقد أشرت لهم من قبل، وكان مجمل قولهم: أن الله -سبحانه وتعالى- واحد، وأن الأب والابن والروح القدس ما هي إلا مظاهر أو هيئات ظهر فيها الله، وليست بأقانيم، فقد كان الله الأب، ثم صار الابن، ثم صار الروح القدس.

---

21 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 8 ص: 580.

22 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 7 ص: 568.

23 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 6 ص: 553 و554، وراجع أيضًا: تجسُّد الابن الوحيد ص: 30 و31.

24 Microsoft Encarta, Origen.

25 قصة الحضارة ج: 11 ص: 310 و311.

26 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 9 ص: 588.

27 Microsoft Encarta 2009, Arius (of Alexandria).

والنص الأصلي هو:

"The school was also known for its tendency to regard Christ as a created being, subordinate to God the Father".

وقد انتشر مذهبهم انتشارًا واسعًا، حتى كاد أن يكون هو العقيدة الرسمية.

وقد كتب عنهم القس الدكتور حنا جرجس الخضري:

"لقد لاقى سابليوس نجاحا عظيما جدا لدرجة أن مذهب الانتحالية أو الهيئة يدعى أيضا بالسابلينية نسبة إلى سابليوس . وما ساعد على نجاح هذه التعاليم وانتشارها ليس فقط في الأوساط المثقفة بل أيضا في الأوساط البسيطة والعامة ، هو بساطة هذه التعاليم وابتعادها عن التعقيدات والتحليلات الفلسفية ، بل إن هذه التعاليم ظهرت لكثيرين ، ليس فقط من البسطاء بل من قادة الكنيسة وأعمدتها ، بأنها تعاليم سهلة وأرثوذكسية .

....

ومع أن هذا المذهب يبدو جذابًا وبسيطا للتعليم والفهم، وقد انغوى به كثيرون في القرون الأولى، وما زال منصبا كشرك أيضا للكثيرين في العصر الحاضر، إلا أن كثيرين من آباء الكنيسة وقادتها أدركوا خطورة هذه التعاليم ودانوها.

....

إن تعاليم سابليوس لاقت نجاحا عظيما كما سبق القول، بل إن تعاليمه انتشرت بين الأساقفة أنفسهم في روما، لدرجة أن المذهب الانتحالي أصبح تقريبا مذهبا رسميا. لكن البابا كاليسوس (... 217 - 222) أصدر حرمانا ضد سابليوس وأتباعه.

ويظن البعض أن سابليوس ظل في روما بعد حرمانه واستمر في نشاطه وعمله في الكنيسة التي كان يقوم برعايتها، وأن بقاءه في روما سهل عليه الاتصال بكنائس الشرق ونشر تعاليمه فيها على أن البعض الآخر يعتقد بأن سابليوس ذهب بعد حرمانه إلى مصر حيث وجد عددا كبيرا من أتباعه هناك. ويقال إن تعاليم هذا اللاهوتي الليبي انتشرت بسرعة عظيمة في مصر وخاصة بعد موت أوريجانوس، لدرجة أن الوعظ عن المسيح وعن ابن الله أصبح نادرا جدا. على أن الأسقف المصري ديونيسيوس قام بحملة شعواء ضد هذه االتعاليم، وكذلك أيضًا اللاهوتي الروماني هيبوليتوس وعدد كبير في الشرق والغرب كتبوا ضدها. وبالرغم من ذلك فإن مذهب الانتحالية انتشر بسرعة عظيمة وفي مناطق كثيرة"[28].

[ح] وكان هناك **بليريوس**، الذي كان أسقفًا لبوسترا ببلاد العرب، وكان يرى أن سيدنا عيسى عليه السلام:

"لم يكن له وجود سابق بكيفية متميزة، وأنه لم يكن موجودًا من تلقاء ذاته قبل حلوله بين البشر، وأنه ليس فيه شيء من اللاهوت بذاته، بل لاهوت حلول الآب فيه"[29].

ويذكر يوسابيوس أن أوريجانوس تناقش معه ورده إلى الصواب والعقيدة القويمة!!! فما هي تلك العقيدة القويمة؟ إذا كان أوريجانوس ويوسابيوس كلاهما يعد مهرطقًا في نظر الكنيسة، وخاصة كنيسة الإسكندرية؟؟؟

***

وهكذا يتبين من هذه الأمثلة التي هي غيض من فيض؛ أن النصارى كانت تدور وسطهم تيارات عقدية متصارعة مختلفة، وأن كلًا منها كانت تعتبر نفسها الحق المبين، وأن العقيدة التي تقررت في مجمع نيقية الأول 325م لم تكن إلا قولًا أو عقيدة من تلك الأقوال والعقائد، ولم تكن هي الغالبة، وسيزيد الأمر وضوحًا بسرد بعض التفاصيل عن عقيدة آريوس إن شاء الله.

وعن هذا الجو العقائدي كتب المهتدي للإسلام الدكتور مراد هوفمان الألماني، الذي ظل كاثوليكيًا لمدة خمسين عامًا، قبل أن يمن الله عليه بالإسلام:

"ولقد كان غالبية الأساقفة في الغرب المسيحي وكذلك في الشرق المسيحي حتى القرن الرابع، متفقين مع رأي القسيس السكندري آريوس Arius (260 - 336) القائل بأن المسيح مخلوق مباشر من الله (ولذلك فهو غير مميز على سائر البشر)، ولكنه ليس

---

28 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 10 ص: 596 إلى 599.

29 تاريخ الكنيسة ك: 6 ف: 33 ص: 282.

الله كما أنه لا يتمتع بحياة أبدية. وكان في هذا الوقت - أي قبل القرن الرابع -كل من يعتنق الإيمان الذي أقره مجمع نيقية فيما بعد، يجازف بأن تلصق به تهمة التجديف"[30].

***

30 الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود ص: 155.

(ب) من هو آريوس؟

ولد آريوس في عام 256م، وتوفي عام 336[1]. ولا يعرف عن نشأته شيئًا، وهل ولد في عائلة مسيحية أم وثنية؟

وكل ما يعرف عنه أنه ليبي الموطن، درس اللاهوت في مدرسة أنطاكيا على يد المعلم لوقيانوس، ثم جاء بعد ذلك إلى الإسكندرية، ورسم هناك شيخًا أو راهبًا في كنيسة بنكاليس في عام 310م[2].

وأجمع الكُتَّاب على أنه كان عالمًا مثقفًا، وواعظًا مفوهًا، وزاهدًا متقشفًا، وعالمًا بالتفسير، فالتف حوله جماعة من أهل الإسكندرية، وخاصة من الرهبان والراهبات الذين وجدوا في أسلوبه الوعظي التعليمي جديدًا يختلف عن العظات التي تعودوا أن يسمعوها.

وكان آريوس يهاجم في عظاته تعاليم سابليوس[3]، التي كانت تهاجمها كنيسة الإسكندرية، ولكنه كان أيضًا يهاجم في تعاليمه عقيدة (أزلية الابن)، و(وحدة جوهره مع الأب)، أي انبثاق جوهره من الأب، إذ أنه اعتقد أن هذه العقيدة تقود إلى السابلينية[4].

وقد اتهم آريوس أسقفه ألكسندر بتهمة السابلينية، وطوال النزاع الآريوسي اتهم أنصار آريوس المثلثين المتبعين لعقيدة نيقية بهذه التهمة[5].

***

1 Microsoft Encarta 2009, Arius (of Alexandria).

2 سيأتي -إن شاء الله- أن ا. ل. بتشر تقدر تاريخ توليه رعاية كنيسة بوكاليس بحوالي 312م.

3 مر بنا أن سابليوس كان من أشهر دعاة الاتحالية، الذين كانوا لا يؤمنون بالتثليث، ولكنهم كانوا يرون أن الله -سبحانه- ذات واحدة، ولكن الأقانيم الثلاثة ما هي إلا حالات يظهر فيها الله سبحانه وتعالى، فقد كان الأب، ثم كان الابن، ثم كان الروح القدس.

4 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 618 و619، أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 162.

5 Encyclopædia Britannica, Eusebius of Caesarea.

(ج) ما معتقده؟

1- اعتقد آريوس بأن الله -سبحانه وتعالى- واحد أزلي، أما الابن فهو ليس أزليًا. إذ أنه وجد وقت لم يكن الابن فيه موجودًا، صحيح أن وجود الابن سبق خلق العالم، ومع ذلك فهو ليس أزليًا.

2- إن هذا الابن -الغير الأزلي والغير المولود من جوهر الأب- خرج من العدم مثل كل المخلوقات الأخرى، طبقًا لقصد الله ومشيئته.

3- إن المسيح الذي يمجده المسيحيون ليس إلهًا، ولا يملك الصفات الإلهية المطلقة: كلية العلم، كلية المقدرة، عدم التغير .. إلخ.

4- إن معرفة الابن محدودة وليست مطلقة، ولا يستطيع أن يعلن لنا الأب بطريقة كاملة.

5- إن الله خلق الكلمة (الابن) لأجلنا، لأنه عندما أراد أن يخلقنا، خلق كائنًا يدعى الكلمة، أو الحكمة لكي نكون على صورته. فلو أراد الله أن لا يخلقنا لأصبح وجود الابن مستحيلًا.

6- الابن مخلوق مثل كل الخلائق، متغير، غير أزلي، ليس كلي العلم، ولقد كان حرًا أن يظل صالحًا، كما خرج من بين يدي الله أو يرتد إلى الشر مثل الشيطان.

على أن الله سبق وقرر بأن يسلك الابن في طريق الصلاح. ولهذا فقد منحه مجدًا إلهيًا، وهذا المجد الإلهي ما هو إلا هبة من الله، وعن طريق هذا المجد الممنوح ارتفع الابن فوق كل الخلائق[1].

7- العالم مخلوق للمسيح، لأنه العقل الأول المخلوق لله، والتي ترجع إليه المخلوقات التالية له، فاستخدم آريوس نظرية الفيض الأفلاطونية لتعديل المقولة الوثنية القائلة: بأن المسيح هو الكلمة (اللوجس- عقل الله) الصادر عنه بالضرورة، وليس بالإرادة[2]، والمتحد معه في الجوهر.

فقد ورد في منظومة (Thalia- المأدبة) الشعرية المنسوبة لآريوس البيت التالي:

"هو الذي ليس له بداية خلق الابن الذي كان بداية لأشياء مخلوقة"[3].

ذهب آريوس إلى هذا (التصور المعدل) للعقيدة النصرانية، فقال: إن كلمة الله **مخلوقة**، مباينة في الجوهر لذات الله سبحانه، لأنها عبارة عن العقل، الذي هو المعلول الأول، وهو أول ما خلق الله[4].

وبهذا قلب آريوس الأفلاطونية الحديثة على المثلثين البولسيين، الذين استخدموا فكرة الواحد والعقل والروح الأفلاطونية، فركبوها على الأب والابن والروح القدس، ولكنهم لم يأخذوا لازمها -من الأفلاطونية الحديثة- وهو أن العقل خاضع للواحد[5].

وعن هذا كتب ول ديورانت:

"ونحن نرى في هذه العقائد استمرار للأفكار المنحدرة من أفلاطون عن طريق الرواقيين، وفيلون، وأفلوطينس، وأرجن إلى أريوس. وبذلك أصبحت الأفلاطونية التي كان لها أعظم الأثر في اللاهوت المسيحي في نزاع مع الكنيسة"[6].

وكتب محررو الموسوعة البريطانية أن:

---

1 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 619 و620.

2 ذكرت من قبل أن هذه المقولة التثليثية الوثنية، خالفها هيبوليتس، الذي كان يعتقد بأن ميلاد اللوجوس أو انبثاقه هو عملية حرة كخلق الله للخليقة، ولازم قوله التسليم بأن المسيح مخلوق.

3 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 60 و61.

4 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم- تذييل بقلم الدكتور محمد عمارة ص: 162.

5 ثم لفقوا هذا الجزء -الذي أخذوه من الأفلاطونية الحديثة- مع التجسد الوثني، ومع مغالطة (الخطيئة والصلب والفداء) البولسية.

6 قصة الحضارة ج: 11 ص: 392.

"آريوس قد جذب أنصارًا كثر عبر رسالة جمعت بين الأفلاطونية الحديثة، التي رفعت وحدانية الله المطلقة لأعلى درجات الكمال، مع تناول حرفي عقلي لنصوص العهد الجديد"[7].

وصااغ آريوس للإيمان قانونًا يقول: إن الله جوهر أزلي أحد، لم يولد، وبحصر المعنى لم يلد، فكل ما سواه مخلوق، حتى "الكلمة" أو الابن. والكلمة -كغيره من الكائنات- مخلوق من لا شيء، وليس من جوهر الله في شيء.

وقد كان زمان لم يكن فيه "الكلمة"، ثم كان، بملء إرادة الله، لا بالضرورة. فليس إذن هو الله، ولا من جوهر الله، بل هو متميز عنه أقنومًا وطبعًا.

و(الكلمة) الخليقة الأولى، وبه خلق كل شيء، وهو من طبعه قابل للتغير، ولكن الله جعله غير متغير، فهو إذن نسيج وحده، ولهذا ولغيره من أوجه الشبه بينه وبين الله -لا عن طبع وحق، بل عن واقع ومنة- سُمِّيَ إلهًا.

والثالوث -الأب والابن والروح القدس- ثالوث متدرج، لا يتساوى في الجوهر الواحد[8].

وقد استند آريوس في الاستدلال على عقيدته بنصوص من الكتاب الذي يقدسه النصارى، ومنها ما نقله المهندس أحمد عبد الوهاب عن أدولف هرنك من كتابه (HISTORY OF DOGMA- تاريخ العقيدة) ص: 20:

- سِفْرُ التَّثْنِيَةِ:
- "6: 4: اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ"[9].
- "32: 39: أنا أنا هو وليس إله معي. أنا أميت وأحيي. سحَقتُ، وإني أشفي، وليس من يدي مُخَلِّص"[10].
- متى:
- "12: 28: ولكن إن كنت أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخرِجُ الشياطينَ، فقد أقبل عليكم ملكوت الله"[11].
- 26: 39 ثم تقدم قليلًا وخر على وجهه، وكان يصلي قائلًا: "يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت"[12].
- "27: 46: ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلًا: "إيلي، إيلي، لما شبقتني؟" أي: الهي الهي لماذا تركتني؟"[13].
- مرقس:
- "13: 32: وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الابْنُ، إِلَّا الآبُ"[14].
- لوقا:
- "2: 52 وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة، عند الله والناس"[15].
- "18: 18: وسأله رئيس قائلًا: "أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟".

---

7 Encyclopædia Britannica, Arius.

والنص الأصلي هو:

“Arius attracted a large following through a message integrating Neoplatonism, which accented the absolute oneness of the divinity as the highest perfection, with a literal, rationalist approach to the New Testament texts”.

8 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم- تذييل بقلم الدكتور محمد عمارة ص: 162 و163.

9 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التثنية: 6: 4 ص: 131.

10 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد القديم- سفر التثنية: 32: 39 ص: 151.

11 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 12: 28 ص: 10.

12 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 26: 39 ص: 23.

13 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 27: 46 ص: 25.

14 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل مرقس: 13: 32 ص: 39.

15 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 2: 52 ص: 46.

18: 19: فقال له يسوع: "لماذا تدعوني صالحًا؟ ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله"[16].

- يوحنا:

- "14: 28: سمعتم أني قلت لكم: أنا أذهب ثم آتي إليكم. لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت امضي إلى الآب، لأن أبي أعظم مني"[17].

- "17: 3: وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ"[18].

- الرسالة إلى العبرانيين:

- "3: 1 من ثم أيها الإخوة القديسون، شركاء الدعوة السماوية، لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع، 3: 2 حال كونه أمينًا للذي أقامه كما كان موسى أيضًا في كل بيته"[19].

كما استدل آريوس -أيضاً- بما يسمى بـ(التقليد)، فجاء في رسالة منسوبة لآريوس وجهها لإسكندر أسقف الإسكندرية عام 320م، نقلها الأستاذ فاضل سليمان عن أبيفانوس (Epiphanius) من كتابه (Refutations of All Heresies) ص: 69. 7-8:

"عقيدتنا التي تعلمناها من الآباء ومنك أيها الأب المبارك هي: أننا نشهد بإله واحد، هو وحده لم يولد، وهو وحده الأول، وهو وحده الباقي، وهو وحده بلا بداية، وهو وحده الحق، وهو وحده الخالد، الذي لا يموت، وهو وحده الحكيم، وهو وحده بيده الخير، وهو وحده الملك، الحكم، الحاكم، رازق كل شيء، الذي لا يتحول ولا يتبدل، عادل وخير الذي أنجب الابن الوحيد المولود قبل الزمان ومن خلاله خلق كل المخلوقات، جعله باقيًا بمشيئته لا يتغير ولا يتبدل، مخلوق كامل ليس كأي شيء من مخلوقاته".

ومما يشكك في عبارة: "الابن الوحيد المولود قبل الزمان" في خطاب آريوس لإسكندر أسقف الإسكندرية، بالإضافة لكونه في حوزة خصوم آريوس، ما نقله الأستاذ فاضل سليمان عن الدكتور بول داف رئيس قسم الأديان بجامعة جورج واشنطن أن لفظة "الابن المولود من الله- begotten son" أول من أضافها هو (القديس) جيروم مترجم الكتاب المقدس لدى النصارى من اليونانية للاتينية عام 399م -أي بعد كتابة هذا الخطاب بأكثر من 80 سنة- للقضاء على الأريوسية[20].

فهذا النص بالإضافة لمنظومة (Thalia- الوليمة) ادعى خصوم آريوس أنها له، فلا يمكن الوثوق بصحتها، والله أعلم.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن كثيرًا من الناس يخالفون في أن أريوس كان يعتقد بأن المسيح -عليه السلام- خالق:

"[فَصْلٌ: بَيَانُ أَنَّ عَامَّةَ دِينِ النَّصَارَى لَيْسَ مَأْخُوذًا عَنِ الْمَسِيحِ]

وَهَذَا الَّذِي قَدْ ذَكَرَهُ هَذَا الْبَتْرَكُ "سَعِيدُ بْنُ الْبِطْرِيقِ" الْمُعَظَّمُ عِنْدَ النَّصَارَى، الْمُحِبُّ لَهُمْ، الْمُتَعَصِّبُ لَهُمْ فِي أَخْبَارِهِمُ الَّتِي بَيَّنَ بِهَا أَحْوَالَهُمْ فِي دِينِهِمْ، مُعَظِّمًا لِدِينِهِمْ، مَعَ مَا فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ مِنْ زِيَادَةٍ فِيهَا تَحْسِينٌ لِمَا فَعَلُوهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُنْكِرُ ذَلِكَ وَيُكَذِّبُهُ، مِثْلُ مَا ذَكَرَهُ مِنْ ظُهُورِ الصَّلِيبِ، وَمِنْ مُنَاظَرَةِ "أَرْيُوسَ" وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُخَالِفُهُ فِيمَا ذَكَرَ. وَيَذْكُرُ أَنَّ أَمْرَ ظُهُورِ الصَّلِيبِ كَانَ بِتَدْلِيسٍ وَتَلْبِيسٍ وَحِيلَةٍ وَمَكْرٍ. وَيَذْكُرُ أَنَّ "أَرْيُوسَ" لَمْ يَقُلْ قَطُّ: إِنَّ الْمَسِيحَ خَالِقٌ"[21].

ولذلك لا يمكن القطع بأن آريوس كان يعتقد بأن المسيح -عليه السلام- قد خلق الله به المخلوقات، وأن الله قد جعله باقيًا لا يتغير ولا يتبدل.

ونقل المهندس أحمد عبد الوهاب عن دائرة المعارف الأمريكية (ENCYCLOPEDIA AMERICANA) 294 و295:

---

16 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل لوقا: 18: 18 و19 ص: 63.

17 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 14: 28 ص:86.

18 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل يوحنا: 17: 3 ص: 88.

19 نسخة الكتاب المقدس التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- الرسالة إلى العبرانيين: 3: 1 و2 ص: 177.

20 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 56 وملحق (4) ص: 127.

21 الجواب الصحيح ج: 4 ص: 379.

"لقد بدأت عقيدة التوحيد -كحركة لاهوتية- بداية مبكرة جدا في التاريخ ، ووفي حقيقة الأمر فانها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين .

لقد اشتقت المسيحية من اليهودية ، واليهودية صارمة في عقيدة التوحيد . ان الطريق الذي سار من أورشليم (مجمع تلاميذ المسيح الأوائل) الى نيقية (حيث عقد المجمع المسكوني الأول عام 325 م لمحاولة الاتفاق على عقيدة مسيحية واحدة بدلا من تلك العقائد المتضاربة) من النادر القول بأنه كان طريقا مستقيما .

ان عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع الميلادي ، لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الله .

لقد كانت ، على العكس من ذلك ، انحرافا عن هذا التعليم ولهذا فانها تطورت ضد التوحيد الخالص ، اذ على الأقل يمكن القول بأنها كانت معارضة لما هو ضد التثليث كما أن انتصارها لم يكن كاملا ..

ان التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة ، أما التثليث فانه انحراف عن هذه القاعدة ، لذلك نجد من الصواب أن نتكلم عن التثليث باعتباره حركة متأخرة ظهرت ضد التوحيد ، بدلا من اعتبار هذا الأخير حركة دينية جاءت لتقاوم التثليث .

ان أغلب المسيحيين لم يقبلوا التثليث ، ونجد ترتليان (200م) الذي كان أول من أدخل تعبير التثليث في التفكير المسيحي ، مسئولا عن الفقرة التي تقول أن في أيامه كان غالبية الشعب ينظرون الى المسيح باعتباره انسانا .

ان هذا الاعتقاد الشائع هو الذي كان آريوس يحاول انقاذه أو على الأقل انقاذ جزء منه في مجمع نيقية . ان المسيح هو (الكلمة) - كلمة الله وبناء عليه فانه لا يشارك الله وجوده الحقيقي . انه من جوهر مختلف عن جوهر الله الآب انه ليس أزليا مع الآب ، انه مخلوق رغم أنه أول المخلوقات وأرقاها .

لقد كان هناك زمن لم يكن الابن موجودا فيه .

ان الآريوسية ليست تثليثا ، فالمسيح أقل من الآب . وهي ليست توحيدا لأن المسيح ليس مجرد انسان انها وضع متوسط بين هذا وذاك .

وفي حقيقة الواقع التاريخي نجد أنه بمرور الزمن ، صارت الشقة بين الآريوسية والتثليث أكثر اتساعا . بينما قل الفرق بينها وبين التوحيد حتى صارا في النهاية شيئا واحدا"[22].

طبعًا يجب التنبيه على أن التوحيد الذي تتحدث عنه دائرة المعارف الأمريكية؛ تقصد به عبادة إله واحد أحد، لا أقانيم مثلثة، ولا تقصد به التوحيد الصحيح الصافي الخالص، الذي جاء به الإسلام؛ (لا إله إلا الله محمد رسول الله). مع الأخذ في الاعتبار أن ما نقل عن آريوس معظمه من نقل خصومه الألداء.

***

---

22 طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 9 إلى 11.

(د) الصراع بينه وبين المثلثين حتى مجمع نيقية

ذكر ول ديورانت أن آريوس اختلف مع أسقفه ألكسندر في عام 318م، ولكن ا. ل. بتشر ترجع الخلاف للأسقف بطرس الذي تولى االبطركية في 300م[1]، ، وذكرت أن بطرس قد حرم آريوس مرتين[2].

ثم ذكرت أن أخيلاس -الذي تولى البطركية بعد بطرس في عام 311م[3]- قد قبل عودة آريوس للكنيسة بعد سنة من توليه البطريركية، أي في حوالي 312م، ولم يكتف بذلك بل زاد عليه أن عهد إليه برعوية كنيسة بوكاليس، وهي أقدم كنيسة في الإسكندرية، وأن أريوس قد رشح نفسه للبطريركية بعد وفاة أخيلاس، ولكن تم اختيار ألكسندروس[4] في عام 313م[5].

فيمكن أن يستدل مما روته ا. ل. بتشر؛ أن أخيلاس كان متعاطفًا مع آريوس ومشجعًا له بدليل قبول عودته للكنيسة، وتوليته رعوية واحدة من أهم الكنائس، وأن آريوس حاز على شعبية في الكنيسة مكنته من أن يرشيح نفسه للبطركية.

ونقل ابن تيمية -رحمه الله- عن سعيد بن البطريق[6] من تاريخه (الجوهر المنظوم):

"قَالَ: وَكَانَ لِبُطْرُسَ تِلْمِيذَانِ، اسْمُ أَحَدِهِمَا "أَشْلَا" وَالْآخَرِ "الْأَكْصَنْدَرُوسُ" وَكَانَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: "أُورْيُوسُ" يَقُولُ: إِنَّ الْأَبَ وَحْدَهُ اللَّهُ الْفَرْدُ، وَالِابْنُ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ، وَقَدْ كَانَ (الْأَبُ) إِذْ لَمْ يَكُنِ الِابْنُ.

فَقَالَ "بُطْرُسُ" الْبَطْرَكُ لِتِلْمِيذَيْهِ: إِنَّ الْمَسِيحَ لَعَنَ "أَرِيُوسَ" فَاحْذَرَا أَنْ تَقْبَلَا قَوْلَهُ، فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَسِيحَ فِي النَّوْمِ مَشْقُوقَ الثَّوْبِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَيِّدِي مَنْ شَقَّ ثَوْبَكَ؟ فَقَالَ لِي: "أَرِيُوسُ"، فَاحْذَرُوا أَنْ تَقْبَلُوهُ وَيَدْخُلَ مَعَكُمُ الْكَنِيسَةَ، كَنِيسَةَ اللَّهِ.

قَالَ: وَبَعْدَ قَتْلِ "بُطْرُسَ" بِخَمْسِ سِنِينَ صُيِّرَ "أَشِيلَا" بَطْرَكًا عَلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فَأَقَامَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَمَاتَ.

وَكَانَ "أَرِيُوسُ" قَدِ اسْتَعَانَ عَلَى "أَشْلَا" بِأَصْدِقَائِهِ، فَأَوْرَى أَنَّهُ قَدْ رَجَعَ عَنْ تِلْكَ الْمَقَالَةِ، فَقَبِلَهُ "أَشْلَا" وَأَدْخَلَهُ الْكَنِيسَةَ وَجَعَلَهُ قِسِّيسًا"[7].

ثم ذكر بعد ذلك:

"فَمَنَعَ "الْأَكْصَنْدَرُوسُ" بَتْرَكُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ "أَرِيُوسَ" مِنْ دُخُولِ الْكَنِيسَةِ وَلَعَنَهُ، وَقَالَ: إِنَّ "أَرِيُوسَ" مَلْعُونٌ، لِأَنَّ "بُطْرُسَ" الْبَتْرَكَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدَ قَالَ لَنَا: إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ "أَرِيُوسَ" فَلَا تَقْبَلُوهُ وَلَا تُدْخِلُوهُ الْكَنِيسَةَ.

وَكَانَ عَلَى مَدِينَةِ "أَسْيُوطَ" مِنْ عَمَلِ مِصْرَ أُسْقُفٌ يَرَى رَأْيَ "أَرِيُوسَ" فَلَعَنَهُ أَيْضًا"[8].

وقصة سعيد بن البطريق عن تراجع آريوس وخداعه لأخيلاس تبدو متناقضة:

فأولًا: سعيد بن البطريق خصم لآريوس، فيجب الحذر في الأخذ بروايته.

وثانيًا: إذا كان آريوس قد خدع أخيلاس، فلماذا لم يخدع بطرس الذي قبله، وألكسندر الذي بعده؟؟؟

وثالثًا: إن آريوس كان صاحب رسالة ودعوة يجهر بها، ولم يكن يستتر بها ويخفيها، حتى أنه قد صاغها في منظومات شعرية، كان عامة الناس يتغنون بها. بل كان يجهر بمخالفة ألكسندر كما سنرى إن شاء الله، وكان يتهمه بالسابيلينية كما مر بنا.

وذكر الدكتور القس حنا جرجس الخضري: أن أسقف الإسكندرية ألكسندروس عندما سمع بدعوة آريوس استدعاه، وناقش معه هذه المشكلة، ولما أصر آريوس على قوله، طلب ألكسندروس عقد مجمع (سنودس) في حوالي 320 أو 321م، وقد

---

1 تاريخ الأمة القبطية لبتشر- جدول بطاركة الكنيسة القبطية مج: 1 ص: و.

2 تاريخ الأمة القبطية لبتشر مج: 1 ص: 198.

3 تاريخ الأمة القبطية لبتشر- جدول بطاركة الكنيسة القبطية مج: 1 ص: و.

4 تاريخ الأمة القبطية لبتشر مج: 1 ص: 198.

5 تاريخ الأمة القبطية لبتشر- جدول بطاركة الكنيسة القبطية مج: 1 ص: و.

6 سعيد بن البطريق (263 - 328 هـ = 877 - 940 م): طبيب مؤرخ، من أهل مصر. ولد بالفسطاط، وأقيم بطريركا في الإسكندرية وسمي إنتيشيوس (Entychius) سنة 321هـ، له (نظم الجوهر - ط) في التاريخ، و (الجدل بين المخالف والنصراني) و (علم وعمل) كناش في الطب. [الأعلام للزركلي ج: 3 ص: 92].

7 الجواب الصحيح ج: 4 ص: 208.

8 الجواب الصحيح ج: 4 ص: 215.

حضره حوالي مئة أسقف مصري وليبي للنظر في قضية أريوس، فناقشوا قضية آريوس، الذي لم يوافقه إلا أسقفان ليبيان، وهما ثيوفاس وسكوندس، وستة قسوس وستة شمامسة[9].

ولم يذكر القس الدكتور حنا الخضري أن ميليتيوس أسقف أسيوط وأتباعه كانوا يؤيدون آريوس، فهل لم يدعهم ألكسندر للاجتماع؟ أم أسقطت أسماؤهم من المؤيدين؟

ثم ذكر أن المجمع قرر قطع الكاهن آريوس من الخدمة.

وعندما صدر قرار الحرمان توجه إلى قيصرية بفلسطين، وهناك التقى بعدد من زملائه في التتلمذ على لوقيانوس، الذي كان يفتخر بالتتلمذ على يديه، ومن هؤلاء الزملاء الذين كانوا يتابعون لوقيانوس في عقائده: يوسابيوس أسقف نيقوميديا، ويوسابيوس أسقف قيصرية، وغريغوريوس أسقف بيروت، وثيودوتوس أسقف اللاذقية وآخرون.

فجاء آريوس إلى قيصرية وشرح ليوسابيوس القيصري (المعروف بأبي التاريخ الكنسي)، وكان هذا الأخير يميل لتعاليم لوقيانوس دون المجاهرة بها، ونصح يوسابيوس آريوس بأن يكتب إلى سميه أسقف نيقوميديا، فكتب إليه ثم ذهب لمقابلته[10].

وفي هذه الرسالة كتب آريوس يعدد أتباعه الذين آمنوا بدعوته، وساروا كما يقول: "على طريق الإيمان القويم طريق الإيمان بالرب الواحد"، وذكر في هذه الرسالة أسماء الأساقفة الذين آمنوا بالدعوة، وهم يوسابيوس أسقف قيصرية، وأثناسيوس أسقف عين زربة، وجريجوري أسقف بيروت، وإيتيوس (Aetuis) أسقف اللد، وختم رسالته بقوله: "كل أساقفة الشرق آمنوا بأن الرب ليس هو الابن"[11]. وهو الأمر الذي أكده -أيضًا- أدولف هرنك[12].

كذلك أيده في دعوته كثير من قادة الكنائس في العالم مثل: أوكسنتيوس (Auxentius) أسقف ميلانو، ويولفيلاس (Ulifas) أسقف داشيا، وميليتيوس (Meletius) أسقف ليكوبوليس (أسيوط)[13].

وذكر بطرس البستاني أن آريوس لما طرده ألكسندر أسقف الإسكندرية:

"فخرج قاصدًا فلسطين وسورية فتحزب له أساقفة كثيرون في تلك الجهات، ولا سيما اوسابيوس اسقف قيصرية وغيره من اساقفة بيروت وصور واللاذقية وغيرها"[14].

وكتب ا. ل. بتشر عن مدى انتشار دعوة آريوس:

"إذًا فالذنب ليس على آريوس بل على فئآت اخرى سبقته في إيجاد هذه البدع فاخذ هو عنها ولكن تأثير تلك الفئآت لم يكن شديداً كما كان تأثير آريوس الذي جعل الكثيرين ينكرون سر الالوهية حتى انتشر هذا التعليم وعمَّ"[15].

وكتب القمص متى مرجان أن آريوس:

"كسب لبدعته أغلبية كبيرة من النّاس، ومن رجال الدِّين أيضاً، وكانت له مراكز قُوَى، وأخذ يسعى إلى أن يُنصَّب في الكهنوت أساقفة وكهنة من مؤيِّدي نظريته، وقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً، فصارت لآريوس شعبية كبيرة. ونزل آريوس بالمُشكلة اللاهوتية إلى الشّارع، وبدأ يُكلِّم النّاس في الأسواق العامَّة في هذه القضية اللاهوتية الدَّقيقة، ويُبسِّطها بطريقة شوَّهتها ومسختها وأفسدتها وأتلفتها، وحوَّلتها إلى أمرٍ لا يقبله العقل، فصار عامَّة النّاس مع آريوس، يرون أن أفكار أثناسيوس أفكار غير معقولة،

---

9 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 620 و621.

10 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 621.

11 تاريخ وعقائد االكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس ص: 298.

12 طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 13.

13 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 52.

14 دائرة المعارف حرف الألف مادة: آريوس مج: 1 ص: 65.

15 تاريخ الأمة القبطية لبتشر مج: 1 ص: 202 و203.

أفكار مُحالة، وغير منطقية، وبدأ آريوس يَنْظُم قصائد شعرية يُحِبّها الشَّعب، وفي هذه القصائد دسّ هرطقته، وأودع أفكاره، فأخذ النّاس يُردِّدون هذه القصائد المحشُوَّة بالأفكار الهرطوقية ضدّ لاهوت المسيح"[16].

وهذا يدل على أن إنكار ألوهية المسيح -عليه السلام- كان هو المذهب الشائع في القرون المسيحية الأولى، وأن ارتباطه باسم آريوس ناتج عن حماسه في الدفاع عن هذه العقيدة، وهو الأمر الذي أكده الدكتور مراد هوفمان كما نقلته عنه آنفًا. وهو الأمر الذي ستثبته الأحداث التالية، كما سيأتي إن شاء الله.

وبعد أن اطلع يوسابيوس أسقف نيقوميديا على تعاليم آريوس، كتب -هو بدوره- إلى عدد كبير جدًا من الأساقفة، حاضًا إياهم على الوقوف بجانب آريوس وتأييده.

ودعا أسقف نيقوميديا إلى عقد مجمع فيها للنظر في قضية آريوس، واجتمع المجمع وقرر قبول آريوس الكاهن وأتباعه في الشركة. وكتب المجمع إلى الأسقف ألكسندروس بأن يرفع الحرمان عن آريوس، كما طلب أيضًا من آريوس أن يكتب إلى أسقفه رسالة يوضح فيها عقيدته وإيمانه، وكتب فعلًا آريوس رسالة رقيقة ولبقة معترفًا فيها بأن لم يعلم ولم يناد بغير ما نادى به أسقفه.

ويعتقد بونيفاس بأن مجمعين قد انعقدا في كل من بيت عنيا وفي قيصرية فلسطين لبحث مشكلة آريوس، وطالب كلاهما برجوع آريوس، ولكن ألكسندروس رفض ذلك، فانفصل آريوس مع أتباعه عن الكنيسة.

وأرسل ألكسندروس عددًا كبيرًا جدًا من الرسائل إلى الأساقفة شارحًا لهم قضية آريوس، وركز بشدة على وحدة الكنيسة.

أما آريوس فقد انتهز هذا القرار السنودسي الذي أصدره مجمع نيقوميديا في صالحه، وعاد إلى الإسكندرية مع جماعة من أتباعه، وبدأ نشاطه في الخدمة.

وألف في أثناء المدة التي أقامها في نيقوميديا كتابه المعروف بـ(THALIA- المأدبة أو الوليمة)، وهو منظومة شعرية.

وكان آريوس كاتبًا وشاعرًا، فألف بعض الترانيم العقائدية، التي انتشرت بين جميع طبقات المجتمع المصري، ولم تقتصر دعوة آريوس على مصر، بل انتشرت لبلاد أخرى في الشرق.

وبدأ نجم آريوس يلمع من جديد، وصار الناس -وخاصة الملاحين الذين كانوا يحملون ويفرغون السفن في ميناء الإسكندرية- يترنمون بالترانيم العقائدية، التي كتبها آريوس، والتي كان يصف فيها علاقة الأب بالابن، وزاد عدد أتباعه وأعداؤه[17].

وقد أشرت من قبل لمدى شدة ضراوة الخلاف بين الفريقين، الأمر الذي دعا الإمبراطور للتدخل وعقد مجمع نيقية.

***

---

16 أرثوذكسيَّتي تُراث وعقيدة وحياة, ج: 2 ص: 37 إلى 39.

17 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 621 إلى 623.

(3) مع أثناسيوس إلى نيقية

(أ) ولد أثناسيوس عام 296م، ورسم شماسًا في عام 319م، وتقلد منصب الأسقفية في سنة 328م[1]، وتوفي عام 373م[2].

ويذكر القمص متى مرجان عن حياة أثناسيوس:

"وُلِدَ أثناسيوس الرَّسوليّ عام 286م بمدينة الإسكندرية من أبوين وثنيَّين، ومات والده وهو صغير، فقامت أمّه بتربيته، ومن مُعاشرته لبعض الأصدقاء المسيحيين، عرف شيئاً من مبادئ الدّيانة المسيحية.

....

شبَّ أثناسيوس مُحبًّا للزُّهد والرَّهبنة، فأخذته أمّه وتقابلت مع البابا أليكسندروس بطريرك الإسكندرية آنذاك، وقصَّت له ظروفها وظروف ابنها، فسُرَّ كثيراً بأثناسيوس، وبعد أن قام بتعميدها، استبقى لديه الفتى تحت رعايته ليكون له تلميذاً، ثمّ التحق أثناسيوس بالمدرسة المرقسية اللاهوتية بالإسكندرية، وهُنا ظهرت مواهبه، إذ دأب على الدِّراسة والاستذكار بجدّ ونشاط حتى نبغ نبوغاً عظيماً، وفاق كافَّة أترابه في العلوم اللاهوتية والفلسفية، وليس أدلّ على ذلك من أنَّه قد أصدر عام 318م كتابه الأول "رسالة ضدّ الوثنية"، وكان لا يزال طالباً، امتاز بغزارة المادَّة وقوَّة الحُجَّة، لمّا أتمَّ دراسة اللاهوت، ذهب إلى البرِّيَّة الشرقية ليختبر حياة التَّقوى والزُّهد عملياً، وهُناك تتلمذ للقدِّيس أنطونيوس أب الرُّهبان وكوكب البرِّيَّة، فتعلَّم منه الحياة النسكية"[3].

....

"ولمس البابا أليكسندروس ما وصل إليه أثناسيوس، فرسمه شمّاساً عام 319م، ثمّ رئيساً لشمامسة الكرسي البطريركي، ثمّ عيَّنه البابا مُساعداً له، وكثيراً ما كان يُحيل إليه أعقد المشاكل والمُعضلات ليبحثها ويكشف عن غموضها ليجد حلًّا لها. ولمّا ظهرت الضلالة الآريوسية، بدأ بدحضها ومُقاومتها وتثبيت صحّة الإيمان القويم، وبقى هكذا إلى أن عُقِد المجمع المسكوني الأول في نقية سنة 325م، فاستحضره البابا أليكسندروس إلى هُناك"[4].

***

(ب) كانت هذه نبذة عن نشأة أثناسيوس كما يرويها أتباعه، فما هو معتقده؟

غني عن الذكر أنه معتقده هو معتقد الكنائس المثلثة البولسية، وليس من شأن هذا الكتاب تفصيل عقائدهم، ولكني أشير لبعض النقاط العقائدية المتعلقة بالنزاع الآريوسي الأرثوذكسي:

[1] بداية أؤكد على أن عقيدة ألكسندر وأثناسيوس حول طبيعة المسيح وعلاقته بالله -سبحانه وتعالى- لم تكن محل إجماع بين النصارى، بل كان هناك من يخالفها كليًا أو جزئيًا.

وقد بينت من قبل أن كتابات الآباء الرسوليين تخلو من أي نص يدل على: التثليث، أو أن الله -سبحانه- قد تجسد. بل وردت في تلك الكتابات نصوص تدل على التوحيد الصافي، وورد في رسالة راعي هرماس نصوص تدل على أن الروح القدس مخلوق[5].

---

1 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 14 ص: 645.

2 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 14 ص: 665.

3 أرثوذكسيَّتي تُراث وعقيدة وحياة ج: 2 ص: 30.

4 أرثوذكسيَّتي تُراث وعقيدة وحياة ج: 2 ص: 31.

5 راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس/ النقطة الأولى: نبذة تاريخية/ المسألة الثانية: التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى/ المرحلة الثانية: (من سنة 135م إلى 325م).

كذلك من أظهر الأدلة على ذلك؛ ما ذكرته من قبل من شيوع عقيدة آريوس وكثرة مؤيديها، وقد ذكرت من قبل أن آريوس لم يكن هو أول القائلين بها، بل كان من قبله معلمه لوقيانوس الشهيد -كما نحسبه رحمه الله- مؤسس مدرسة أنطاكية على التوحيد. وكان آريوس يفتخر بأنه من تلاميذ لوقيانوس، بل كان يلقب نفسه بـ(اللوقياني).

وقد مر بنا تأكيد القس الدكتور حنا جرجس الخضري على أن عقيدة التوحيديين تمتد جذورها إلى عصر المسيح عليه السلام:

"ولكن ظهرت جماعات أخرى عديدة في الكنيسة المسيحية نفسها ، لم تقبل هذا الاعتراف ، وعلى الخصوص أقوال الرسول بولس التي تشير إلى لاهوت المسيح ووجوده السابق لكل وجود

....

ومن هذه الجماعات :

1 - جماعة الاخوة " الضعفاء " الذين يتكلم عنهم الرسول بولس (1كو 8 : 9) .

2 - الاخوة الكذبة الذين يذكرهم نفس الرسول في الرسالة إلى أهل غلاطية (غل 2 : 4) ......

3- المعلمون الكذبة الذين ظهروا في كولوسي وأفسس (أف 4 : 14) .

4 - الناصريون

.....

5 - ثم جماعة الأبيونيين

.....

إن هذه الآراء كانت منتشرة ومعروفة في وسط اليهود المتنصرين ، والذي يقرأ رؤية راعي هرماس[6] (LE PASTEURE D'HERMAS) يستطيع أن يدرك بدون عناء التأثير اليهودي الذي يسيطر على الكاتب في تفسيره لمفهوم ابن الله والروح القدس .

فإن راعي هرماس يعتقد بأن الروح الذي أسكنه الله في جسد يسوع **لا يعتبر شخصا إلهيا ولكن قوة إلهية**"[7].

إذن فعقيدة آريوس قديمة، تمتد جذورها لعصر المسيح عليه السلام، مع ما طرأ عليها من شوائب بسبب فقدان النصوص الأصلية لتعاليم المسيح عليه السلام، أما عقيدة ألكسندر وأثناسيوس (عقيدة نيقية التثليثية)، فلم يقم دليل على امتدادها لعصر المسيح عليه السلام، ولا تستند لدليل قطعي الدلالة في الكتاب الذي يقدسه النصارى على رغم تحريفه، كما نقلت لك من قبل عن بطرس البستاني ويوحنا الدمشقي وغيرهم.

بل إن آريوس ومن وافقه قد استدلوا على صحة عقيدتهم بنصوص من الكتاب الذي يقدسه النصارى، واستدلوا -أيضًا- بالتقليد الكنسي كما ذكرت آنفًا.

وقد مر بنا: أن الآباء الرسوليين[8] وآباء القرنين الثاني والثالث الميلادي[9] لم يكونوا يقولون بالتثليث كما جاء في عقيدةة نيقية، ولا كانوا يقولون بأن الابن مساو للأب، كما نصت عقيدة نيقية.

بل مر بنا: أن بولس -نفسه- لم يقل بالتثليث، ولا بالتجسد، وبين الباحثين خلاف: هل قال بألوهية المسيح عليه السلام، أم اعتبره كائنًا سماويًا رفع الله قدره، كما جاء -في الرسالة المنسوبة له لأهل فيلبي- عن المسيح عليه السلام:

---

6 أشرت لها من قبل، راجع: النقطة الأولى: نبذة تاريخية/ المسألة الثانية: التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى/ المرحلة الثانية: (من سنة 135م إلى 325م).

7 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 2 ص: 493 إلى 497.

8 راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس/ النقطة الأولى: نبذة تاريخية/ المسألة الثانية: التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى/ المرحلة الثانية: (من سنة 135م إلى 325م).

9 راجع: المقالة الأولى: ملاحظات مبدئية/ الفقرة الثانية: عبارة التقليد أو التقاليد.

"2: 9 لذلك رفعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم"[10].

فعقيدة النصارى البولسيين المثلثين تطورت من غلو لغلو، مبتعدة عن التوحيد، الذي جاء به سيدنا المسيح وسائر الأنبياء عليهم السلام.

وعن ذلك كتب محررو الموسوعة البريطانية:

"لم تذكر كلمة (ثالوث) ولا عقيدته المفصلة في العهد الجديد، ولم يقصد يسوع ولا أتباعه أن يناقضوا الشماع[11] في الأسفار اليهودية: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد" (التثنية: 6: 4).

......

وقد تطورت تلك العقيدة تدريجيًا على مدى عدة قرون وعبر مجادلات عديدة، وفي البداية بدا أن متطلبات التوحيد الموروث من الأسفار العبرانية ومقتضيات الحاجة لتفسير التعاليم الكتابية لأهل الديانات اليونان -رومية استدعت أن تفسر ألوهية المسيح -باعتباره الكلمة أو اللوجوس- على أنها تابعة للكائن الأعلى.

وكان الحل البديل أن يفسر الأب والابن والروح القدس على أنها ثلاث حالات للظهور الذاتي للإله الواحد، ولكنها ليست متميزة ضمن كيان الله ذاته.

وميزت النزعة الأولى بين الثلاثة، ولكن على حساب مساواتهم وبالتالي وحدتهم (التابعية[12])، والثانية مالت إلى وحدتهم، ولكن على حساب تميزهم كأشخاص (الانتحالية[13]).

ولم يذكر في قانون عقدي أرثوذكسي حتى القرن الرابع؛ تميز الأقانيم الثلاثة معًا كذات واحدة وثلاثة أقانيم.

وفي مجمع نيقية 325م تقررت الصيغة المحددة للعقيدة؛ أن الابن من نفس جوهر الآب، وحتى ذلك الحين لم يُقل إلا اليسير عن الروح القدس.

وخلال النصف التالي من القرن، دافع أثناسيوس عن الصيغة وهذبها، وبنهاية القرن الرابع -وبتأثير بازيل الساردي وجريجوري النيسي وجريجوري النيزيانزي (الآباء الكابوتشيين)- أخذت عقيدة التثليث صيغتها الثابتة التي دامت من حينها"[14].

---

10 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي: 2: 9 ص: 157.

11 الشماع: أساس العقيدة عند اليهودي. ويتكون من بعض آيات من التوراة، (التثنية:6: 4 و11: 13-21 وأيضًا العدد: 15: 37-41)، ويجب على كل ذكر يهودي أن يتلوها مرتين يوميًا. [اليهود في عصر المسيح عليه السلام ص: 73، Encyclopædia Britannica, Shema].

12 عقيدة ترى أن الابن أقل درجة من الآب.

13 راجع لتفاصيل عنها: تاريخ الفكر المسيحي مج 1 ج: 4 ف: 10 الانتحالية ص: 592.

14 Encyclopædia Britannica, Trinity.

والنص الأصلي هو:

"Neither the word Trinity nor the explicit doctrine appears in the New Testament, nor did Jesus and his followers intend to contradict the Shema in the Hebrew Scriptures: “Hear, O Israel: The Lord our God is one Lord” (Deuteronomy 6:4).

....

The doctrine developed gradually over several centuries and through many controversies. Initially, both the requirements of monotheism inherited from the Hebrew Scriptures and the implications of the need to interpret the biblical teaching to Greco-Roman religions seemed to demand that the divine in Christ as the Word, or Logos, be interpreted as subordinate to the Supreme Being. An alternative solution was to interpret Father, Son, and Holy Spirit as three modes of the self-disclosure of the one God but not as distinct within the being of God itself. The first tendency recognized the distinctness among the three, but at the cost of their equality and hence of their unity (subordinationism); the second came to terms with their unity, but at the cost of their distinctness as “persons” (modalism). It was not until the 4th century that the distinctness of the three and their unity were brought together in a single orthodox doctrine of one essence and three persons.

The Council of Nicaea in 325 stated the crucial formula for that doctrine in its confession that the Son is “of the same substance [*homoousios*] as the Father,” even though it said very little about the Holy Spirit. Over the next half century,

وكتب محررو موسوعة إنكارتا:

"بدأت المسيحية كطائفة يهودية، ولهذا التزمت بالشريعة العبرانية، والأسفار اليهودية صارت أخيرًا للمسيحيين؛ العهد القديم.

وكان ينظر للمسيح يسوع -خلال بعثته- على أنه نبي من الله، ولكن بنهاية القرن الأول، أخذ المسيحيون ينظرون له على أنه كائن إلهي بحد ذاته ... وهذا سبب توترًا مع التراث التوحيدي لليهودية.

وكان حل المشكلة هو إنشاء عقيدة الإله الثالوثي، أو التثليث، التي -وإن كان قد لُمِحَ لها في العهد الجديد- إلا أنها لم تتشكل نهائيًا إلا في نهاية القرن الرابع"[15].

بل من آباء كنيسة الإسكندرية من كان يقول بأن المسيح مخلوق، وقد نقلت لك من قبل قول ديونيسيوس أسقف الإسكندرية (248- 265م)، الذي كان يرى أن ابن الله مخلوق. وقد ذكر رجل الدين الملقب بـ(الموقر جدًا) وأستاذ اللاهوت هنري تشادويك: أن أمونيوس (Ammonios) أسقف برنيس (Berenice) أرسل شكوى لبابا روما ديونيسيوس الروماني عن أن سميه السكندري يقول بتابعية الابن للأب، وأنه ارتكب خمسة أخطاء:

- أنه يفصل ما بين الأب والابن،
- وأنه ينكر أزلية الابن، ويلزم من ذلك أنه "كان هناك زمن لم يكن يوجد فيه الابن"،
- وأنه يسمي الأب دون أن يسمي الابن، والعكس بالعكس،
- وأنه يرفض أن يكون المسيح من نفس جوهر (homoousios) الله الأب،
- وأنه يتحدث عن الابن بأنه مخلوق لله، وله كيان أو جوهر (ousia) متميز عن الأب، تمامًا كما تتميز الكرمة عن الكرام والقارب عن الملاح[16].

كذلك ذكرت من قبل ما كتبته ا. ل. بتشر من أن بطريرك الكنيسة المرقسية الإسكندرية أخيلاس -الذي تولى البطريركية بعد بطرس في عام 311م[17]- قد قبل عودة آريوس للكنيسة بعد سنة من توليه البطريركية، أي في حوالي 312م، مخالفًا

Athanasius defended and refined the Nicene formula, and, by the end of the 4th century, under the leadership of Basil of Caesarea, Gregory of Nyssa, and Gregory of Nazianzus (the Cappadocian Fathers), the doctrine of the Trinity took substantially the form it has maintained ever since".

15 Microsoft Encarta 2009, God, III. JUDAISM, CHRISTIANITY, AND ISLAM, B. Christian Conceptions.

والنص الأصلي هو:

"Christianity began as a Jewish sect and thus took over the Hebrew God, the Jewish Scriptures eventually becoming, for Christians, the Old Testament. During his ministry, Jesus Christ was probably understood as a prophet of God, but by the end of the 1st century Christians had come to view him as a divine being in his own right (*see* Christology), and this created tension with the monotheistic tradition of Judaism. The solution of the problem was the development of the doctrine of the triune God, or Trinity, which, although it is suggested in the New Testament, was not fully formulated until the 4th century".

16 The Church in Ancient Society p: 163.

والنص الأصلي هو:

"The bishop of Berenice, Ammonios, sent a complaint to Rome about the Alexandrian's language concerning the subordination of the divine Logos/Son to the Father. The complaints were five in number: he separates the Father from the Son; he denies the eternity of the Son, implying that 'there was once a time when he did not exist'; he names the Father without naming the Son and vice versa; he refuses to allow that Christ is of one being (*homoousios*) with God; he speaks of the Son as created by the Father and as having a distinct being (*ousia*), just as a vine differs from a husbandman and a boat from a boatman".

راجع أيضًا: تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 9 ص: 588.

17 تاريخ الأمة القبطية لبتشر- جدول بطاركة الكنيسة القبطية مج: 1 ص: و.

بذلك الحرم الثاني الذي وقعه سلفه البابا بطرس (خاتم الشهداء) على آريوس، ولم يكتف بذلك بل زاد عليه أن عهد إليه برعوية كنيسة بوكاليس، وهي أقدم كنيسة في الإسكندرية، وأن أريوس قد رشح نفسه للبطريركية بعد وفاة أخيلاس، ولكن تم اختيار ألكسندروس[18] في عام 313م[19].

وذكر هنري تشادويك: أن آريوس كان متفاهمًا مع خلفاء بطرس، يقصد أخيلاس وأعوانه، وصار له عدد هائل من الأتباع[20].

فيمكن أن يستدل مما روته ا. ل. بتشر على أن أخيلاس كان متعاطفًا مع آريوس ومشجعًا له بدليل قبول عودته للكنيسة، وتوليته رعوية واحدة من أهم الكنائس، وأن آريوس حاز على شعبية في الكنيسة مكنته من أن يرشح نفسه للبطريركية. بل مكنته تلك الشعبية من أن يجهر علنًا بمخالفة البابا ألكسندر، بعد أن حرمه البابا، فقد ذكر القُمُّص متَّى مُرجان:

"ومن ذلك الوقت[21] بدأ[22] ينشر ضلالته جِهاراً، مُعلناً مُقاومته للبابا أليكسندروس، بينما كان البابا أليكسندروس يعظ عن لاهوت السيد المسيح وقدرته، وَعَظَ آريوس في مكان آخر عن الآية التي تقول «أبي أعظم منّي» (يو 14 / 22)، مُندِّداً برأي القدّيس أليكسندروس في عظته، أن ابن الله مُساوٍ في الجوهر، ونَظَمَ آريوس تعاليمه الفاسدة في منظومات شعرية وأغنيات، لقَّنها أعوانه للعامّة، وردَّدوها في أناشيد"[23].

وكان لآريوس أتباع في رجال الدين (الأكليروس)، من أشهرهم ميليتيوس (Meletius) أو(Melitius) أسقف أسيوط، الذي كان بينه وبين البابا بطرس (خاتم الشهداء) صراع شديد، بسبب اتهامات ميليتيوس لبطرس بالتخلي عن مسؤوليته والهرب، وترك الشعب بلا رعاة[24].

***

[2] وكان أصل الخلاف بين تصور آريوس وتصور أثناسيوس:

[أ] أن آريوس كان يدافع عن وحدانية الله سبحانه، واعتقد أنه لا بد لتأكيد تلك الوحدانية من أن يكون الابن والروح القدس مخلوقان بإرادة الله.

وقد عرض هذه القضية (قضية أن اعتقاد ألوهية الأقانيم الثلاثة لا بد أن تؤدي للشرك) الدكتور محمد مجدي مرجان في كتابه السهل الممتنع الرائع (الله واحد أم ثالوث)، الذي يحس فيه القارئ؛ أنه قد ضمنه عصارة معاناته، في رحلته من تثليث الحيرة والشك ومصارعة العقل إلى توحيد الفطرة والسكينة والبرهان. حيث كتب:

"والله الآب ينسب إليه الخلق والتبني والدعوة، أما الله الابن فينسب إليه فداء البشرية وغفران الخطايا والذنوب، أما الله الروح القدس فينسب إليه منح الميلاد الثاني والحياة الطاهرة للبشر وتقديس النفوس.. ومعنى ذلك أن الله الآب لا يستطيع غفران الذنوب، وأن الله الابن ليس من اختصاصه تقديس النفوس، وأن الله الروح القدس لا يملك الخلق!!

....

18 تاريخ الأمة القبطية لبتشر مج: 1 ص: 198.

19 تاريخ الأمة القبطية لبتشر- جدول بطاركة الكنيسة القبطية مج: 1 ص: و.

20 The Early Church p: 135

21 أي من وقت طرده من الكنيسة.

22 يقصد آريوس.

23 أرثوذكسيَّتي تُراث وعقيدة وحياة ج: 2 ص: 22.

24 Encyclopædia Britannica, Meletius of Lycopolis; The Early Church p: 124; & The Church in Ancient Society p: 185.

هكذا يتم توزيع الوظائف والأدوار على الأقانيم الإلهية، أحدها وهو الآب حاكم وقاض يحكم بالشقاء ويقضي بالهلاك، ثم يقوم الثاني (الابن) بإلغاء هذا الحكم والقضاء، فيخلص الشقي ويفدي الهالك، ويقوم الثالث (الروح القدس) بتقديس الأشقياء وإحياء الهالكين.

في مقارنة بين وظائف الآب يقول القمص إبراهيم إبراهيم في كتابه رسالة التثليث والتوحيد: "الآب لم يتجسد ولكن الابن تجسد، والآب لم يصلب ولكن الابن صلب، والآب لم يقم بدور الوسيط ولكن الابن قام بدور الوسيط.. ".

هكذا نرى الابن يقوم بالدور الرئيس فهو يتجسد ويفدي ويشفع، أما الآب فهو لا يتجسد ولا يفدي ولا يشفع.

....

هكذا لا يرفع الإنسان وجهه لله إلا وهو ينظر إليه بعقل موزع بين هذه الأقانيم الثلاثة، وقلب مشتت بين تلك الآلهة الثلاثة، ولا يفتح فمه أو يحرك لسانه داعيًا ومصليًا إلا وهو يناجي كل أقنوم مناجاة خاصة، ويختص كل إله بدعاء وصلاة مقصورة عليه، ويطلب من كل رب حاجة يرجوها عنده، ولا يجدها عند غيره من الأرباب.

هكذا ننظر إلى الله من خلال هذه الأقانيم التي يتكون منها ومن خلال تلك الوجوه الثلاثة التي يلبسها، وجه آب ووجه ابن ووجه روح قدس، ننظر إليه من خلال ذلك فلا نجده ذلك الإله الذي يملأ الوجود والذي ينصاع له كل معبود، بل نجده موزعًا ومقسمًا إلى ثلاثة آلهة ينسب إلى كل إله منها بمفرده العجز والنقص والاحتياج، فكل إله منها له اختصاص، وكل رب استولى على سلطان، وكل أقنوم ذهب مذهبًا!!.

يقول بعض القساوسة: "طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية، وهذه الأقانيم الثلاثة تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء".

ويقول الأستاذ سمعان[25]: "إن الأقانيم مع تميز أحدها عن الآخر في الأقنومية، هم واحد في الجوهر بكل صفاته وخصائصه ومميزاته[26].

ولكن كيف يقال إن الأقانيم الثلاثة هم واحد في الجوهر، وأنهم يتقاسمون جميع الأعمال الإلهية على السواء، بينما يختص بعضهم بصفات ووظائف لا يختص بها بقية الأقانيم. ويعجز البعض منهم عن فعل ما يفعله البعض الآخر وما يختص به، ومع ذلك يقال إنهم واحد في كل الصفات والخصائص والمميزات، أليس في هذا القول تناقض، كيف يتميزون ولا يتميزون.. ؟

وإذا ذهبنا نطالع الكتب المسيحية فإننا نجد فيها أقوالاء منسوبة إلى الأقانيم الثلاثة يخاطب كل منها الآخر ويتحدث عنه أو إليه.

فيخاطب الآب الابن بقوله: "قال الرب لربي اجلس عن يميني" (مزمور 110 : 1).

ويتكلم الابن عن الآب فيقول: "أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني". (يو 7 / 29).

ثم يتخاطب الابن والآب سويًا قائلين: "أيها الآب مجد اسمك فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد أيضًا" (يو 12/ 28).

ويتكلم الابن عن الروح القدس فيقول "ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم ..". (يو 16 / 14).

كذلك نجد أن الأقنوم الواحد يرسل الآخر، أو يخرج أحد الأقانيم من الأقنوم الآخر وينفصل عنه فالآب مثلًا يرسل الابن. "الله أرسل الابن" (يو 4 / 14).

ويقول الابن "خرجت من عند الآب" (يو 16 / 28).

والآب والروح القدس أرسلا الابن، والابن أرسل الروح القدس وهكذا ..

---

25 الله بين الفلسفة والمسيحية ص: 102.

26 واضح من السياق: أن كلام الأستاذ سمعان قد انتهى هنا، ولكن بدون وجود علامة تنصيص، ولعله خطأ مطبعي، وما بعده تعليق الدكتور محمد مجدي مرجان على كلام الأستاذ سمعان.

هذا التخاطب بين الأقانيم، وخروج أحدهما من الآخر. وإرسال أحدهما للآخر. يعني انفصال بين الأقانيم. انفصال يمنع الوحدة بينهما، بل يمنع أيضًا المساواة بينها. ففي موضوع الإرسال مثلًا، فلا شك أن الآب أعلى من الابن، فهو كإرسال السيد خادمه، أو كإرسال الرئيس مرءوسه، يقول السيد المسيح "الحق الحق أقول لكم أنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله" (يو 13 / 16). كذلك فإن المرء ليتساءل، كيف أمكن خروج الابن الذي هو في اعتقاد فلاسفة المسيحية السيد المسيح عليه السلام كيف أمكن خروجه وتجسده وانفصاله عن اللاهوت، ودخوله برحم السيدة العذراء مريم وامتزاجه بلحمها ودمها. ثم خروجه من بطنها إنسانًا له كل الصفات الإنسانية ومع ذلك يمثل جانبًا في الله، جانبًا يمثل في نظرهم أهم جوانب الله !!"[27].

***

[ب] أما أثناسيوس فكان -في اعتقاده- يدافع عن عقيدة الفداء البولسية (المغالطات المقدسة: بعد خطيئة لم نرتكبها، قتل اللهُ اللهَ ليُرضيَ اللهَ)، فكان يزعم أنه لكي يخلص البشر ويتغلبوا على الإثم والموت، فلا بد أن يتحول الإله إلى بشر لكي يتحول البشر إلى آلهة!!!

وعن هذا التصور الأثناسيوسي كتب رُهبان دير الأنبا مقار:

"القدِّيس أثناسيوس الرَّسوليّ (298-373): يتميَّز آباء كنيسة الإسكندرية، وعلى الخُصوص القدِّيسان أثناسيوس وكيرلُّس الكبير، بالتَّركيز الشَّديد على لاهوت المسيح، وعلى اتِّحاد البشرية مع الله من خلاله: "الكلمة صار جسداً لكي يجعل الإنسان قادراً أن يتقبَّل اللاهوت" (ضدّ الآريوسيين 59:2).

....

"لقد صار إنساناً لكي يُوحِّدنا مع الله في شخصه، وخرج من امرأة ووُلِدَ من عذراء، لكي يُحوِّل إلى نفسه جنسنا الضّال، ويُصيِّرنا بالتالي جنساً مُقدَّساً وشُركاء للطَّبيعة الإلهية، كما كَتَبَ بطرس الطُّوباوي (2بط 4:1).[28]" (الرِّسالة 60 «إلى أدلفيوس»: 4، ب.ج 1077:26). "فلأجل هذا قد صار الاتِّحاد، لكي يُصيِّر من هو إنسان بحسب الطَّبيعة مُلتحماً بطبيعة اللاهوت، فيَصِير بذلك خلاصه واتِّحاده بالله مضموناً." (ضدّ الآريوسيين 70:2، ب.ج 296:26). "لقد جاء إذاً – كما قُلتُ سابقاً – لكي يتألَّم بالجسد، فيجعل الجسد فائقاً للألم وغير مائت ... ولكي يُصيِّر الناس فيما بعد وإلى الأبد هيكلاً غير فاسد للكلمة" (ضدّ الآريوسيين 58:3، ب.ج 445:26). "فقد صار الكلمة فينا من حيث أنَّه قد لبس جسدنا" (ضدّ الآريوسيين 22:3، ب.ج 368:26). "لقد صار الكلمة جسداً لكي يُقدِّم هذا الجسد من أجل الجميع، فنستطيع نحن أن نتَّحِد بالله، بمُشاركة الرُّوح القُدُس. فلم يكن مُمكناً أن ننال ذلك بوسيلة أخرى، إلا بأن يلبس هو جسدنا المخلوق." (الدِّفاع عن قانون نيقية 4، ب.ج 448:25)"[29].

وكتب إسحق إيليا منسى: "ويشرح القدِّيس أثناسيوس ويقول: "إنَّ الخلاص يَبطُل ولا يتمّ في الحالات الآتية: (1) إذا كان "الكلمة" ليس إلهاً حقيقياً كما يقول الآريوسيون. (2) إذا كان جسد المسيح ليس جسداً حقيقياً كأجسادنا، كأن يكون مثلاً جسداً خيالياً كما يقول الدُّوسِيتِيُّون. (3) إذا كان الذي صُلِبَ على الصَّليب إنساناً عادياً اصطحبه اللاهوت كما يقول بولس السَّاموساطي ومن تلاه من الهراطقة الذين فَصَلُوا بين لاهوت المسيح وناسوته. فاتِّحاد جسد المسيح الخاصّ بلاهوته هو اتِّحاد طبيعي ....، وهو الذي يجعل لهذا الجسد القُدرة أن يُحَل من أن يمسكه الموت، وقادراً على القيامة من الأموات"[30].

---

27 الله واحد أم ثالوث ص: 23 إلى 28.

28 يشير إلى ما جاء في الرسالة الثانية لبطرس:

"1: 4 اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- رسالة بطرس الرسول الثانية: 1: 4 ص: 191].

29 التَّجسُّد والميلاد في تعاليم آباء الكنيسة، دار مجلَّة مُرقس - ص: 23 و24.

30 تجسُّد الابن الوحيد ص: 20 و21.

وهذا القول من أثناسيوس، والذي ورثه عنه النصارى البولسيين المثلثين (الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت) ليس إلا مجموعة من المغالطات واللوازم الغير لازمة، المتراكبة بعضها فوق بعض.

فباختصار شديد: لا يلزم لكي يغفر الله لعباده ذنوبهم وينعم عليهم بالنعيم: أن يتجسد في صورة إنسان، لكي يصير البشر آلهة، لكي يتخلصوا من الإثم والموت!!!

فهل مثلًا يلزم لكي يرحم الأب ابنته؛ أن يصير الأب طفلة، وتصير الطفلة رجلًا ؟

وهل يلزم لكي يحسن الزوج لزوجته، أن تصير الزوجة زوجًا، ويصير الزوج زوجة ؟

وهل يلزم لكي يحسن الإنسان لحيوان (بقرة، قط، كلب، حصان) أن يصير الإنسان حيوانًا، ويصير الحيوان إنسانًا ؟

من أين جاء هذا اللزوم الذي لا يلزم، ولا يُعقل، ولا يُقبل؟ ؟ ؟

لقد علمنا القرآن الكريم وهو يخاطب عقولنا وفطرتنا وقلوبنا بحجته الواضحة البينة المنيرة:

{1} أن الله سبحانه الرحيم يغفر ذنوب المستغفرين الصادقين، فيخلصهم من ذنوبهم، دون توسط كنيسة ولا بابا ولا أب اعتراف، بل هو وحده من يغفر ذنوب المستغفرين، ويتقبل توبتهم الصادقة دون تجسد ولا صلب.

{2} وينعم على أهل طاعته بالجنة الدائمة، فيتخلصون من الموت.

قال المولى سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ **وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ** وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[31].

فهكذا برحمة الله أرحم الراحمين رفع عنا عقوبة الذنب، ومنع عنا الموت.

وهكذا -بنعمة الله وحده- هدى المولى عباده لعقيدة تقتنع بها العقول، وتطمئن لها القلوب، بدون خطيئة أصلية، ولا إله يمشي في جسد بشر، ولا فداء، ولا رب يصرخ على الصليب، ولا كنيسة تغفر الذنوب، ولا بشر يصيرون آلهة، ولا ملوك يحكمون بالحق الإلهي، ولا علمانية تكفر بالله.

هكذا بكل البساطة والقوة والوضوح والصدق والصحة، بدلًا من هذه المغالطات المركبة بعضها فوق بعض، التي ما لجأ لها أثناسيوس ومن بعده إلا تعصبًا، وهم يبررون الباطل الذي جاء به بولس: الخطيئة الأصلية (الظلم المقدس) ثم الفداء والصلب (المغالطات المقدسة)، ثم ركبوا على باطلِ بولسَ؛ باطلَ التجسدِ (الوثنية المقدسة).

والمتتبع لعقائد النصارى يرى أنها تدور حول تقديس البشر والمخلوقين، كما نراه في:

- تأليههم لسيدنا عيسى عليه السلام.
- وتقديسهم لقسطنطين، كما مر بنا في غلو يوسابيوس القيصري فيه.
- ثم عصمة البابا (عند الكاثوليك) أو الكنيسة (عند الأرثوذكس)، فحصنوها ضد النقد والمحاسبة، فصارت وكرًا للفساد والإفساد، كما سنرى -إن شاء الله- عند بحث فساد الكنيسة.
- ثم عصمة الملوك الذين تحالفت معهم الكنيسة، فصاروا يحكمون بالحق الإلهي.

ثم لما ثارت الشعوب على الكنيسة والملوك (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس)، قدس الثائرون أنفسهم، وجعلوا الإنسان هو سيد الكون، الذي يتحدى الإله وشرائعه، فنشأت العلمانية بكل أشكالها.

وفي كل هذه المراحل والظواهر نرى القاسم المشترك للخط المنحرف: تقديس البشر والمخلوقين ورفعهم لمستوى الآلهة، أو لمستوى من يؤيدهم ويحميهم الله، أو من يتحدون الله.

31 سورة آل عمران، آية: 133 إلى 136.

زد على هذا أن قول أثناسيوس أن المسيح -عليه السلام- تجسد "لكي يُصيِّر الناس فيما بعد وإلى الأبد هيكلاً غير فاسد للكلمة"؛ أمر يكذبه الواقع، فلم يصر الناس هيكلًا غير فاسد بعد التجسد الذي زعموه، بل الكنيسة التي تنشر هذه العقائد الغير معقولة صارت هيكلًا، ولكنه هيكل فاسد مفسد، وهذا تاريخهم ناطق وشاهد عليهم، ليس التاريخ الذي كتبه المؤرخون فقط، بل التاريخ الذي كتبه الكنسيون أنفسهم.

فقد لعن بعضهم بعضًا، وكفر بعضهم بعضًا ، وتآمروا مع الملوك ضد بعضهم، بل وتضاربوا وتقاتلوا في المجامع، وتحاربوا، واضطهدوا بعضهم، وحولوا كنائسهم لدول تستغل الضعفاء، وتسخرهم لمصالحها، وتبتز أموالهم بصكوك الغفران والكفارات، وتتجسس عليهم باسم الاعتراف لغفران الذنوب، وتكتظ بالفساد والانحلال، فثارت الشعوب على هذه الهياكل الفاسدة.

***

[3] وهناك نقطة هامة أثارها الأستاذ محمد شاهين التاعب حول أثناسيوس، ألا وهي أنه -رغم تلقبه بلقب (الرسولي)- لم يقتبس أبدًا من كتابات الآباء الرسوليين[32].

وهي نقطة هامة وخطيرة، وجديرة بمزيد من البحث.

وهذا يتماشى مع ما ذكرته آنفًا من أن التثليث -كعقيدة- قد تشكل -في صوره النهائية أو شبه النهائية- في القرن الرابع الميلادي، وخاصة بعد مجمع نيقية، أما قبل ذلك فلم يكن هو السائد.

ومما يتماشى مع ذلك أن أثناسيوس لما وضع قائمة بالكتب القانونية قد استبعد منها اسفارًا قبلها الآباء من قبله، فقد ذكر في رسالته الفصحية رقم 39 الكتب الصحيحة التي يجب أن تؤخذ منها العقائد، لأن الهراطقة -في رأيه- قد خلطوا الكتابات الصحيحة بالزائفة، واستبعد من قانونه كتابات الآباء الرسوليين ككتب مقبولة وكمصدر للعقائد، وإن اعتبر بعضها صالحة للقراءة، ولكن ليست لأخذ العقائد، ومنها مثلًا رسالة راعي هرماس[33].

مخالفًا في استبعادها عددًا من الآباء الذين سبقوا عصره مثل إيريناوس، الذي اعتبرها رسالة قانونية، وخالف كذلك المخطوطة السينائية التي ترجع للقرن الرابع واحتوت تلك الرسالة[34].

وقد ذكرت من قبل أن هذه الرسالة قد احتوت على نصوص تدل على التوحيد الخالص، وعلى أن الروح القدس مخلوق[35]، وهو ما ينافي عقيدة أثناسيوس التثليثية.

وهذا يدل على أن **العقيدة هي التي صنعت النص المقبول** لدى المثلثين، وليس العكس.

بل إن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية لا زال موقفها -حتى اليوم- غير واضح من الكتب التي يسمونها (القانونية الثانية).

وسيأتي مزيد تفصيل وبيان لهذا -إن شاء الله- عند بحث تكوين قانون الكتاب الذي يقدسه النصارى.

***

وأختم بهذا الاقتباس للقمص متى مرجان، الذي أراد أن يمدح أثناسيوس فكتب:

"القدِّيس أثناسيوس حامي الإيمان المسيحي الذي تُمجِّده الأجيال وتُتَلْمِذ على أقواله وتفاسيره كل أبناء الأرثوذكسية وغيرها، أقواله في المجمع المسكوني بنقية، وهو لم يبلُغ بعد الثَّلاثين من عمره آنذاك، ويشرح لآريوس الهرطوقي من الحُجَج

---

32 قناة الدعوة الإسلامية- محمد شاهين التاعب- شريط (الآباء الرسوليون الجزء الأول) من الدقيقة (16.14) وما بعدها.

33 قناة الدعوة الإسلامية- محمد شاهين التاعب- شريط (تحريف الكتاب المقدس 18 - قانون الكتاب المقدس عند أثناسيوس الرسولي) من الدقيقة (3,34) وما بعدها، وقد نقلها عن:

Schaff,P. (1977). The Nicene and Post-Nicene Fathers, Second Series, Vol. IV, Athanasius: Select Works and Letters, Page 551, 552, From Letter XXXIX.

34 Encyclopædia Britannica, biblical literature , New Testament canon, texts, and versions.

35 راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس/ النقطة الأولى: نبذة تاريخية/ المسألة الثانية: التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى/ المرحلة الثانية: (من سنة 135م إلى 325م).

والبراهين والأسانيد القوِيَّة ما أوصله إلى خزيه، وأكَّد للآباء المُجتمعين فساد إيمانه، وكم قاسى آلامات وضيقات ونفي، كانت تزيده صلابة وقُوَّة على مُواجهة الشَّدائد، حتى قيل له: "**العالم كلُّه ضدَّك يا أثناسيوس**"، فأجاب بكل ثِقة ورجاء في من يُدافع عن الإيمان به: "وبنعمة المسيح، **أنا ضِدّ العالم**"[36].

إذن القمص متى مرجان أعطانا بما كتب دليلًا يؤكد ما ذكرته آنفًا؛ فإذا كان كل العالم ضد أثناسيوس، فهذا يعني: **أن معظم النصارى كانوا ضد أثناسيوس**.

***

36 أرثوذكسيَّتي تُراث وعقيدة وحياة ج: 2- ص: 10 و11.

ب- مجمع نيقية

تناولت فيما سبق الظروف التي مهدت لمجمع نيقية عبر عرض أهم الشخصيات التي شاركت في أحداثه: قسطنطين وآريوس وأثناسيوس، وأود هنا أن أتطرق بإيجاز لذلك المجمع الهام في تاريخ المسيحية وتاريخ الغرب، وتاريخ الفساد السياسي كمثال من أوضح الأمثلة على تلاعب السياسة بالدين، وأتناول عرض أمره تحت العناوين التالية:

(1) تمهيد

(2) تاريخ ومكان انعقاده

(3) عدد المجتمعين

(4) مذاهب المجتمعين

(5) حضور قسطنطين وتدخله

(6) أعمال المجمع

(7) قرارات المجمع

***

(1) تمهيد

(أ) المجامع في دين النصارى

تشكل المجامع في تاريخ النصرانية عاملًا هامًا للاتفاق والاختلاف، وبرغم الاختلاف الشديد بين النصارى حول المجامع إلا أن هناك سمات عامة لتلك المجامع منها:

[1] أنهم يقسمونها لمحلية ومسكونية أي عالمية.

[2] ويرون أن قرارات المجامع المسكونية تعد حجة في العقيدة، وأبرز مثال لها مجمع نيقية الأول 325م. ولم يكن التفريق في القدسية واضحًا بين نوعي المجامع، إذ كان يعتقد أن جميعها تتم تحت هداية الروح القدس.

[3] وبعد مجمع نيقية بدأت تظهر فكرة أن قرارات المجامع المسكونية لا يمكن تعديلها، وزعم اثاسيوس أن مجمع نيقية كانت له قدسية خاصة، لأنه حضره أساقفة من كل الكنائس، كما أكد كل من مجمع أفسس الأول 431م وخلقيدونية 451م على أن قرارات مجمع نيقية غير قابلة للتعديل[1].

إلا أنه عند التحقيق سيتبين أن كل هذا قابل للأخذ والرد حسب عقيدة ورأي كل كنيسة.

فكل كنيسة تعتبر مجموعة من المجامع قانونية وأخرى باطلة.

***

[4] ويشترطون لكون المجمع مسكونيًا شروطًا:

[أ] وهي أربعة عند الأقباط الأرثوذكس، ذكرها القُمُّص متَّى مُرجان:

"1- أن ينعقد بسبب ظُهُور بدعة أو هرطقة أو انشقاق.

2- أن يُعقد بدعوة من الإمبراطور المسيحي الذي له الرِّئاسة المَدَنيَّة على الكنائس.

3- أن يحضرها الأساقفة شرقاً وغرباً.

4- أن تُقرِّر شيئاً جديداً لم يكن مُقرَّراً من قبل"[2].

فإذا طبقنا هذه الشروط على مجمع نيقية فيتبين لنا:

أولًا: أن قسطنطين لم يكن مسيحيًا حينما دعا للمجمع، وتدخل في شؤونه.

ثانيًا: أن الكنيسة قد سلمت بتدخل الملوك والأباطرة في العقائد النصرانية، وهذا يؤكد أمرين:

الأمر الأول: أن العقيدة البولسية التثليثية كانت محصلة تفاهم روماني نصراني، كسبت فيه الدولة الرومانية عقيدة تجمع بها رعاياها، وتتماشى مع عقائدها بعد قرون من الشد والجذب والتقارب والصراع، وكسبت به الكنيسة سلطات واسعة جعلتها هيئة رسمية تابعة للدولة.

الأمر الثاني: أن النصرانية البولسية التثليثية قد رسخت ووضعت أسس الفساد السياسي، الذي شاركت فيه على مدى التاريخ البشري، والذي نتج عنه في النهاية الدولة الوطنية الحديثة، كابن مشوه لزواج غير شرعي.

ثالثًا: أن شرط إقرار شيء جديد يدل على أن عقيدة التثليث النيقية كانت أمرًا جديدًا، لم يعرفه ويعتقده أغلب النصارى في ذلك الوقت.

[ب] أما الكاثوليك فالمجمع المسكوني عندهم هو أي مجمع يدعو له البابا ممثل العالم الكاثوليكي، ويصدق على قراراته، ويصدر بها قانونًا. وكان لا بد أن يدعو له إمبراطور القسطنطنية -باعتباره حامي الكنيسة- حتى عام 1123م، أما بعد ذلك فلا بد أن يكون الداعي له هو البابا.

---

1 Encyclopædia Britannica, council.

2 أرثوذكسيَّتي تُراث وعقيدة وحياة ج: 2 ص: 18.

[ج] أما البروتستانت فلا يعترفون إلا بحجية المجامع المسكونية السبعة الأولى، ولا يعترف مارتن لوثر إلا بالأربعة الأولى، وما عدا ذلك فلهم تجمعاتهم الكنسية، ولكن سلطتها لا ترقى لسلطة المجامع المسكونية السبعة الأولى، بل بعض طوائفهم تعتبر قراراتها استشارية فقط[3].

***

[5] ويعتبر النصارى أن أول مجمع كنسي هو الاجتماع الذي ذكره كاتب (أعمال الرسل) في القدس للبت في مسألة التزام الأمميين المتنصرين بأحكام التوراة.

وقد بينت من قبل ما في هذه الرواية وما يتعلق بها في رسائل بولس من تناقضات وثغرات عديدة، اعترف بها رجال الدين النصراني قبل غيرهم[4].

ويزعم النصارى البولسيون المثلثون أن روح القدس قد تنزل على المشاركين في مجمع القدس الأول، كما ذكر كاتب -أو كتبة- سفر أعمال الرسل:

"15: 28 لأنه قد رأى الروح القدس ونحن، أن لا نضع عليكم ثقلًا أكثر، غير هذه الأشياء الواجبة"[5].

وبالتالي فهو يتنزل على آبائهم المشاركين في المجامع المسكونية!!!

ويؤكد ذلك القُمُّص متَّى مُرجان في تفريقه بين البروتستانت وبين كنيسته الأرثوذكسية القبطية:

"الكنيسة البروتستانتية كنيسة فردية ولا تؤمن بالسُّلطة الكنسية التي لها الرَّأي الجامع في التَّفسير ومُمارسة العبادة. أمّا كنيستنا الأرثوذكسية فهي كنيسة مجمعية لا تترك للفرد أن يُقرِّر رأيه الشَّخصي في أمر كنسي، سواء أكان عقيدة أو طقس أو روحانية، بل ينتهي الكل بمُوجب مجمع مُقدَّس برئاسة البابا إلى ما يُرشدهم الرُّوح القُدُس"[6].

ولكن تنزل روح القدس هذا انتقائي جدًا، فهو ينزل على بعض المجامع، ولا ينزل على الأخرى، وينزل على بعض المجتمعين في المجمع الواحد ولا ينزل على الباقين، والمتتبع لتاريخ تلك المجامع يرى عجبًا ومهازل، وصلت لحد السباب والضرب والتهديد، والتراشق بالحجارة والتضارب بالعصي[7]، والطعن في النيات، ووصفها بأوصاف مثل (مجمع اللصوص) و(مجمع القراصنة)[8]، واقتحام الجنود والغوغاء مكان الاجتماع، وهرب البعض تحت المقاعد[9]، وغير ذلك من الصراعات بين من زعم أثناسيوس أنهم (هياكل للكلمة)!!!

فأين كان الروح القدس من كل هذا؟ أم أن كل طائفة كان لها روح قدس يتنزل عليها وحدها؟

وعن ذلك كتب القمص كيرلس الأنطوني:

"**الأحكام الباطلة لبعض المجامع**

تعترف كنيستنا القبطية بما للمجامع من سلطان في إصدار الأحكام على المبتدعين، أو المخالفين لقوانين الكنيسة وقراراتها على أنها تعود فترفض الأحكام الخاطئة التي أصدرتها بعض المجامع المغرضة بدافع غير شريف -كالغيرة أو الحسد- ولو تسترت في فعلتها هذه بستار الدين.

---

3 Encyclopædia Britannica, Roman Catholicism, The offices of the clergy; & Microsoft Encarta, Council.

4 راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس، النقطة الأولى: نبذة تاريخية، المسألة الثانية: التطور التاريخي للكنيسة الموحدة في القرون الثلاثة الميلادية الأولى، المرحلة الأولى: (من سنة 30م إلى 135م)، المدة الأولى: من رفع المسيح -عليه السلام- إلى تدمير الهيكل عام 70م، [د] ظهور بولس ودوره في مشاقة الكنيسة المُوَحِدة، {2} زيارات بولس للقدس.

5 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 15: 28 ص: 107.

6 أرثوذكسيَّتي تُراث وعقيدة وحياة, ج: 1 ص: 22.

Encyclopædia Britannica, council.

7 تاريخ الفكر المسيحي مج: 3 ص: 50.

8 تاريخ الفكر المسيحي مج: 3 ص: 210 و231.

9 تاريخ الفكر المسيحي مج: 3 ص: 229 و230.

ونذهب إلى كنيستنا[10] -ومذهبها الحق- إلى أن كل الأحكام والقرارات التي تصدرها المجامع ينبغي ألا تتعارض مع الكتاب المقدس أو أحكام العقيدة الصحيحة أو قوانين الكنيسة ، وإلا اعتبرت باطلة من أساسها"[11].

وأقف هنا وقفة مع القمص كيرلس الأنطوني حول المعايير التي وضعها لقبول قرارات المجامع، فبعد أن أقر بسلطان المجامع، نراه يتراجع، ويضيف شروطًا لقبول قرارات أي مجمع، حتى ولو كان أعضاء كنيسته مشاركين فيه، بل حتى لو كان رئيس كنيسته رئيسًا له، ثم رأوا أن يلغوا قراره، كما سيأتي إن شاء الله.

وإذا نظرنا لهذه المعايير التي وضعها فسنجد أنها كلها معايير شخصية ذاتية لا دخل للروح القدس فيها:

- فموافقة قرارات المجمع للكتاب المقدس أمر نسبي جدًا تختلف فيه الأفهام، فكل فريق من النصارى يحتج بنصوص من كتابهم الذي يقدسونه، والروح القدس لا ينزل عليهم كتابًا من السماء يقول لهم: إن فلانًا مخطئ أو أن فلانًا مصيب.

وأما موافقة قرارات المجمع لأحكام العقيدة الصحيحة؛ فأمر مقلوب، إذ المفروض أن المجامع هي التي تحدد العقيدة، وليس العكس.

وقد أشرت من قبل إلى رفض النصارى للكتب والنصوص التي تخالف عقيدتهم.

وأما موافقة قرارات المجمع لقوانين الكنيسة؛ فأمر عجيب، إذ المفروض أن قرارات المجامع هي التي تشرع قوانين الكنيسة، وليس العكس.

ونمضي مع ما كتبه القمص كيرلس الأنطوني:

"وفي صفحات التاريخ، ما ثبت لنا في وضوح وجلاء، أن الكنيسة قد سارت على هذا المبدأ منذ القديم، إذ تم رفض الأحكام الظالمة التي أوقعتها بعض المجامع ظلما على بعض أباء الكنيسة المشهورين بسلامة الرأي وسلامة العقيدة وشدة التمسك بالإيمان السليم:

1- فلقد أصدر مجمع صور (المزور) المنعقد سنة 324م[12]، حكمًا على أثناسيوس الرسولي حامي الإيمان، يقضي عليه بالعزل من وظيفته الكهنوتية وبالنفي أيضاً .

ذلك لأن أعضاء هذا المجمع الباطل كانوا من الأريوسيين المنحرفي العقيدة، ورغم تنفيذ هذا الحكم الباطل بأمر الأمبراطور إلا أن الكنيسة رفضته واعتبرته باطلاً ولم تُعره أي التفات وبقيت متمسكة برئيسها الديني العظيم البابا أثناسيوس الرسولي رغم نفيه!

2- والقديس كيرلس الكبير -عمود الدين-

....

حكم عليه في مجمع نفاقي عقده يوحنا بطريرك أنطاكية مع أساقفته النساطرة بالعزل والنفي أيضاً!. غير أن الكنيسة جمعاء قد رفضت هذا الحكم واعتبرته باطلا

....

---

10 لعل الصواب: "وتذهب كنيستنا".

11 عصر المجامع ص: 30 و31.

12 مجمع صور عُقِد عام 335م، وليس 324م، وستأتي الإشارة إليه -إن شاء الله- تحت عنوان (ما بعد نيقية).

3- البابا ديسقورس الإسكندري الذي اعتبره التاريخ بطل الأرثوذكسية العظيم، والذي ترأس مجمع أفسس الثاني[13]، حكم عليه بالنفي في مجمع خلكيدون، لأنه بقي متمسكاً بالإيمان السليم[14].

......

إلا أن الكنيسة قد شهدت بصحة عقيدته، .... كما رفضت الحكم الباطل الذي صدر ضده، كما رفضت مجمع خليكدون وعدته باطلاً أيضاً!"[15].

لعله من المفيد هنا أن أشير بإيجاز للدوافع السياسية لتأييد ديسقوروس لأوطيخا[16] ضد فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية في مجمع أفسس الثاني 449م، فقد كتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري عن تلك الدوافع:

"لقد وجد أوطيخا نعمة في عيني ديوسقوروس للدفاع عنه وعن قضيته ضد فلافيانوس لعدة أسباب سياسية ودينية منها : كان ديوسقوروس طموحًا من الناحية السياسية والدينية ولقد رأى في الصراع الجديد بين النسطورية والأوطاخية فرصة مناسبة للقضاء النهائي على النسطورية.

....

كان الصراع السياسي بين الإسكندرية والقسطنطينية صراعًا عنيفًا على السلطة ، خاصة بعد أن حصلت القسطنطينية على لقب روما الجديدة . لقد ظهرت الحساسيات القديمة الدفينة في الأعماق . ألم يحكم ثيوفيلوس[17] في مجمع البلوطة على القديس يوحنا فم الذهب ؟ كانت الإسكندرية تريد أيضًا أن تتزعم قيادة العالم المسيحي في الشرق"[18].

لقد استفاد ديسقوروس من الانقلاب السياسي الذي حدث ما بين مجمعي أفسس الأول 431م والثاني 449م، فقد انقلبت الأمور، والسياسة تتقلب، ومعها تتقلب الكنيسة، وعن ذلك كتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري:

"كان ثيودوسيوس الثاني مؤيدًا ومساندًا لنسطوريوس وتعاليمه الازدواجية : (المناداة بوجود طبيعتين في شخص يسوع المسيح) في مجمع أفسس الأول ، ومقاومًا لتعاليم الإسكندرية ولكيرلس الذي كان يشدد على تعاليم الوحدوية . ولكن في مجمع

---

13 ذكر الدكتور القس حنا جرجس الخضري: أن عددًا كبيرًا من العلماء -المشهود لهم بدقة البحث والنزاهة العلمية- قد أكدوا أن ديوسقوروس قد استخدم القوة والعنف والتهديد لتمرير قرارات مجمع أفسس الثاني، وأنه استدعى الحرس الإمبراطوري والغوغاء والعامة الذين اقتحموا قاعة الاجتماع، وأغلقوا الأبواب، وأن من الأساقفة من هرب تحت المقاعد.

وأن بعض هؤلاء العلماء قد قالوا إن ديوسقوروس أعلن أن أي مقاومة سيكون عقابها عظيمًا، وأنه إذا امتنع أي واحد عن التصويت فسوف يهتم هو بأمره شخصيًا، وأن الإمبراطور بنفسه سوف يطلع على أصوات الجميع. فيجب أن تفكروا في ذلك جيدًا.

وأن ديسقورس قد ضرب أسقف القسطنطينية على خديه، وأن اثنان من شمامسة ديوسقوروس ألقياه على الأرض، فأوسعه ديوسقوروس ضربًا، وداسه بالأقدام.

وكان بعض رهبان الإسكندرية يصيحون: "اقتلوه .. اقتلوه". ولم يجرؤ أحد على التدخل لإنقاذه، بل انطلق الجميع هاربين إلى الخارج عندما فتحت الأبواب للنجاة بأنفسهم.

وأن بابا روما ليون لما عرف بما حدث سمى هذا المجمع بـ(مجمع اللصوص أو القراصنة).

ثم ذكر الدكتور القس حنا جرجس الخضري: أن بعض العلماء الآخرين رفضوا هذه التهم الموجهة لديسقوروس رئيس أساقفة الإسكندرية، وحاولوا إثبات براءته وأن مجمع أفسس الثاني قد سار بطريقة منظمة دون أي خلل أواضطراب.

وعلق الدكتور القس حنا جرجس الخضري بأن رأيه فيما حدث أنه: "يجدر بنا أن نتذكر أن الصراع لم يكن صراعًا عقديًا فقط بل كان للأسف الشديد صراعًا سياسيًا أيضًا على السلطات والمراكز الأولى".

ورجح الدكتور القس حنا جرجس الخضري أن ديسقوروس مدفوعًا "بروح التعصب والتطرف" "ربما استعمل شيئًا من العنف والإرهاب"، ولكنه يشك "في أن رئيس أساقفة الإسكندرية هاجم رئيس أساقفة القسطنطينية فأوسعه ضربًا بالأيدي والأرجل". [تاريخ الفكر المسيحي مج: 3 ص: 228 إلى 238].

14 في الحقيقة أنه قد انتصر في مجمع أفسس الثاني لأنه كان يتمتع بتأييد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، وتم حرمه في مجمع خلقيدونية لأن الإمبراطور ماركيانوس والإمبراطورة بولخاري أيدا خصومه.

15 عصر المجامع ص: 31 إلى 33.

16 زعم بأن ناسوت المسيح قد ذاب في لاهوته، كما تذوب قطرة الخل في المحيط.

17 أشرت لخلاف ثيوفيلوس بابا الإسكندرية مع يوحنا ذهبي الفم من قبل. راجع: المبحث الأول: تحريف النصرانية/ المقالة الأولى: ملاحظات مبدئية/ الفقرة الثانية: عبارة التقليد أو التقاليد.

18 تاريخ الفكر المسيحي مج: 3 ص: 207 و208.

أفسس الثاني كان نفس الإمبراطور مساندًا ومؤيدًا للإسكندرية ولأوطيخا وتعاليمه الوحدوية (المناداة بوجود طبيعة واحدة في المسيح) ومقاومًا للقسطينطينية وللتعاليم الازدواجية (التعاليم التي تقبل عقيدة وجود طبيعتين في المسيح) .كانت روما وعلى رأسها البابا سيليستينوس بجانب القديس كيرلس في مجمع أفسس الأول وضد نسطوريوس. أما في مجمع أفسس الثاني فإن البابا ليون يقف بجانب فلافياثوس رئيس أساقفة القسطنطينية وضد ديسقوروس رئيس أساقفة الإسكندرية الذي دافع عن تعاليم أوطيخا الوجودية[19]"[20].

والغريب العجيب أن أوطيخا هذا -الذي دافع عنه رئيس أساقفة الإسكندرية ديسقوروس- تعتبره كنيسة الإسكندرية من المهرطقين، ويبرر البابا شنودة ذلك بأنه خدع ديسقوروس، فرفع عنه الحرم بعد أن كان قد حرمه، ثم انكشفت حقيقته فحرمته الكنيسة[21]. أي حرم ثم عفو ثم حرم!!!

وبغض النظر عن تبرير البابا شنودة، فالسؤال الهام: أين الروح القدس هنا؟ الذي يهدي الكنيسة والمجامع؟ هل خدعه أوطيخا أيضًا؟

ثم مات الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، وجاء الإمبراطور ماركيانوس والإمبراطورة بولخاري، اللذان أيدا بابا روما ضد ديسقوروس في مجمع خلقدونية 451م.

ولقد علق القس الدكتور حنا جرجس الخضري على ما حدث في مجمع أفسس الثاني 449م وفي مجمع خلقيدونية 451م مبينًا الصراع السياسي الذي تحكم فيهما، فكتب:

"لقد انتقد بعض العلماء والدارسين ما حدث في مجمع أفسس الثاني ، ولقد وصفه البابا ليون الأول بأنه مجمع قراصنة . والدارس لتفاصيل هذا المجمع يلاحظ الموقف المتحيز وغير العادل الذي اتخذه الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني والسلطات الحاكمة في تشكيل أعضاء هذا المجمع . إذ أن الأغلبية الساحقة من أعضائه كانت من المؤيدين لديوسقوروس وأوطيخا . ولذلك أعيد أوطيخا إلى منصبه بفضل نفوذ السلطة الحاكمة وديوسقوروس . وهنا نتساءل : ألم يحدث تقريبًا نفس الشيء في مجمع خلقدونية وفي تصرفات الإمبراطور ماركيانوس والإمبراطورة بولخاري بتدخلها المباشر وغير المباشر في قرارات مجمع خلقدونية !!!؟

ولذلك فإنني أدعو الكنائس الخلقدونية والكنائس غير الخلقدونية إلى دراسة الأسباب الحقيقية والعقائدية والسياسية " والنعرات " العنصرية ، والمصالح الشخصية ، التي دفعت الكثيرين إلى التخاصم، ثم الانشقاق . وإني لواثق أنه إذا درست الكنائس التي قبلت والكنائس التي لم تقبل قرارات مجمع خلقدونية ، والأسباب الحقيقية التي أشرنا إليها هنا ، سوف يتضح لها جليًا أن معظم الأسباب التي أدت إلى هذا الانقسام المرير الذي نعيشه ونقاسي منه الآن ، كانت أسبابًا شخصية محلية"[22].

وقد نقلت من قبل قول المؤرخ القبطي النصراني يعقوب نخله روفيله عن هذا الشقاق الذي سفكت فيه دماء آلاف النصارى:

"وذلك أن بعض أئمة الدين داخلهم الطمع في الإستقلال بالرئاسة فكثر ظهور البدع والشيع بين النصارى فإنقسموا على ذاتهم وإنشقوا إلى فئات متعددة كل فئة تلعن الأخرى وتحرمها وتزيف معتقدها ومذهبها .

كل يؤيد دينه   يا ليت شعري ما الصحيح

وإنتهى هذا الجدال والشقاق في مصر بوجود حزبين مضادين لبعضهما وهما القبط والروم والفرق بينهما أن القبط يعتقدون أن في المسيح طبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين والروم يقولون أن في المسيح طبيعتين ومشيئتين متحدين ولست أدري ما الفرق بين القولين غير العناد وإن يكن الفرق في الألفاظ دون الجوهر إلا أن كلًا من الحزبين لا يود التنازل عن

---

19 أحسب أن الصواب هو: "الوحدوية".

20 تاريخ الفكر المسيحي مج: 3 ص: 212.

21 طبيعة المسيح ص: 11.

22 تاريخ الفكر المسيحي مج: 3 ص: 293 و294.

رأيه وهذا من الغرابة بمكان. ومما زاد الحال أوحالًا تداخل ولاة الأمور والحكام في هذه المناقشات والمنازعات في مواضيع ليست من جوهريات الدين ولا يتوقف عليها ولكن أبت محبة الرئاسة والجنوح إلى الإفراد بالسلطة

....

ومن الغريب أن الأئمة الذين من واجبهم حث الناس على المواخاة والموالاة هم الذين كانوا يوغرون صدور الملوك ويحرضون الحكام على إيقاع الأذى والتنكيل بالفريق الآخر المخالف لرأيهم

....

كل هذا وزعماء الدين واقفون موقف المتفرج المتشفي معتقدون أنهم خدموا الدين خدمة يمدحون أو يثابون عليها وما دروا أنهم خلدوا لأنفسهم في التاريخ ذكرًا رديئًا مقرونًا بعار لا تمحوه مرور الأيام"[23].

وكتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري وهو يتكلم عن يوسابيوس الأماسي وعلاقته بيوسابيوس القيصري:

"فلأجل هذه الأسباب العقائدية ولاجل أسباب سياسية وأسباب أخرى عُقِدت المجامع المحلية والمسكونية لفض النزاع ولإيجاد حلول لهذه المشاكل العقائدية والسياسية التي كانت تمزق الكنيسة ، جسد المسيح"[24].

إذن هذا ما فعله الأحبار البولسيون المثلثون بجسد المسيح:

- مرة أسكنوا الأقنوم الثاني فيه، وقالوا الإلهنا المتجسد.
- ومرة قتلوه على الصليب، وقالوا فادينا من خطيئة لم نرتكبها.
- ومرة مزقوه في المجامع، من أجل السلطة والرياسة.

وصدق الله العظيم:

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[25].

***

ونواصل مع القمص كيرلس الأنطوني عن المجامع التي رفضتها كنيسته القبطية الأرثوذكسية:

"4- وهكذا رفضت الكنيسة أيضاً، الاعتراف بالحكم الذي أصدره مجمع القسطنطينية المكاني، على القديس يوحنا ذهبي الفم. ورغم أن البابا ثيئوفيلس الإسكندري كان رئيساً لهذا المجمع الذي أصدر هذا الحكم، إلا أن الكنيسة عادت سريعاً في عهد خليفته القديس كيرلس البطريرك الرابع والعشرين واعترفت ببراءة القديس يوحنا ذهبي الفم، كما قام القديس كيرلس بتسجيل اسمه في "قائمة الآباء القديسين" الذين تُقرأ أسماؤهم أثناء القداس"[26].

فأين الروح القدس من كل هذا؟

الكنيسة تزعم أن روح القدس يتنزل على المجتمعين في المجمع، ثم تقبل مجمعًا، وترفض آخر، وتصف أصحابه بالمغرضين ذوي الدوافع غير الشريفة كالغيرة أو الحسد، والتي تتستر بستار الدين.

بل حتى المجمع الذي يرأسه رئيسها يأتي خلفه فيخالفه!!!

فأين الروح القدس من كل هذا؟

لماذا لا تكف الكنائس عن بيع الأوهام لأتباعها؟

---

23 تاريخ الأمة القبطية ليعقوب نخلة روفيله ص: 26 إلى 29.

24 تاريخ الفكر المسيحي مج: 4 ص: 130.

25 سورة المائدة، آية: 14.

26 عصر المجامع ص: 33.

لماذا لا تعترف الكنيسة بحقيقة؛ أن مجامع أحبارها هي اجتماعات بشر يخطئون ويصيبون، ولا يتنزل عليهم وحي ولا إلهام ولا روح قدس، وأن هذه المجامع تلاعبت بها السياسة، وتلاعب بها الملوك.

وصدق الله العظيم:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[27].

***

(ب) ومن الأمور اللافتة للانتباه في قصة مجمع نيقية، هو الاختلاف في كثير من وقائعه، فليس هناك قطع في عدد من حضره، ولا في توجهاتهم، ولا في قراراته، فكلها يدخلها الاختلاف والظن وعدم القطع.

وهذه سمة عامة في النصرانية، فكتابهم الذي يقدسونه، لا يعرفون من كُتَّابه، وفُقِد أصله، وضاع سنده، واختلفوا في محتواه، واعترفوا بوقوع التحريف فيه. فما بالك بغيره من الوثائق.

وإذا كانوا يعتذرون بأن أسفارهم قد فقدت بسبب الاضطهاد للمسيحيين الأوائل، فما عذرهم في وقائع مجمع نيقية، الذي تم بعد أن نعموا بالأمن!!!

هل من المعقول أن أهم مجمع في تاريخ النصرانية، الذي سخر له قسطنطين كل إمكانات الإمبراطورية الرومانية، هل من المعقول أنه لم تكن له محاضر اجتماعات؟

فأين هي؟ لماذا اختفت؟

***

27 سورة المائدة، آية: 118.

(2) تاريخ ومكان انعقاده

اختلف المؤرخون في تاريخ انعقاد مجمع نيقية فقيل في العشرين من مايو وقيل في الحادي والعشرين، وقيل في السادس عشر من يونيو[1]، وقيل في التاسع عشر من يونيو لعام 325م[2]، وانتهت أعماله في الخامس والعشرين من أغسطس من نفس العام[3].

واجتمع المجلس ليس في كاتدرائية نيقية، بل في مقر الإمبراطور الصيفي[4] تحت رياسته[5]، حتى يشرف بنفسه على أعماله[6].

***

1 مصادر النصرانية دراسة ونقدًا ص: 733، عصر المجامع ص: 97.

2 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 626.

3 مصادر النصرانية دراسة ونقدًا ص: 733، عصر المجامع ص: 97.

4 الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود ص: 156.

5 قصة الحضارة ج: 12 ص: 209.

6 The Early Church p: 130.

(3) عدد المجتمعين

اختلفت الآراء في عدد المجتمعين، ومن ذلك:

- أنهم كانوا 2048 أسقفًا[1].
- أن عدد الحاضرين بلغ الألفين، منهم 318 أسقفًا وعدد من المفكرين والفلاسفة[2].
- أنه قد حضر الاجتماع عدد لا يقل عن 318 من الأساقفة، يصحبهم حشد كبير من رجال الدين الأقل منهم درجة[3].

وذكر الدكتور عبد الرزاق بن عبد الله ألارو: أن هذا القول: "هو الأكثر ورودًا في المصادر النصرانية وغيرها"[4].

- أن عددهم يتراوح بين 520 إلى 300 من الأساقفة[5].
- أنهم 318 أسقفًا[6]. ونقل الدكتور القس حنا جرجس الخضري عن هرنك من كتابه (HISTORY OF DOGMA) ج: 4 ص: 45 إلى 51: تشككه في خطاب أثناسيوس الذي ذكر ذلك[7].
- أنهم 300 أسقف[8].
- أنهم 270 أسقفًا[9].
- أنهم حوالي 220 أسقفًا[10].

وأحسب أن عددهم كان أكثر من 318، قرابة الألفين، بدليل أن من الأساقفة من صحب معه رجال دين أقل درجة، مثلما صحب ألكسندرُ أثناسيوسَ.

وكذلك بدليل الواقع التاريخي، فإن الذين وقعوا على عقيدة نيقية كانوا 318 أسقفًا، بينما لما رجع الأساقفة لبلادهم، عادوا إلى تعليم العقيدة الآريوسية، والتي صارت العقيدة السائدة بعد ذلك كما سيأتي إن شاء الله.

وهنا يبدو احتمالان:

الأول: أن الحاضرين كانوا 318 أسقفًا، ولكنهم وقعوا خوفًا من سطوة الإمبراطور، فلما عادوا لبلادهم، تنكروا لما وقعوا عليه.

وأوضح مثال على ذلك يوسابيوس القيصري[11]، الذي وقع على حرم آريوس، ثم سعى وزملاؤه لإعادته، وحرم أثناسيوس وطرده من منصبه ونفيه.

والثاني: أن الـ(318) الذين وقعوا كانوا الأقلية، التي انفرد بها الإمبراطور، وأقر عقيدتهم، وهو الاحتمال الأقوى، ولذلك لما رجعت الأغلبية لأوطانها بدأت في نشر تعاليمها السابقة، كما سيتبين إن شاء الله.

---

1 وهو ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن ابن البطريق من كتابه (نظم الجوهر-كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق). [الجواب الصحيح ج: 4 ص: 220]، ونقلته الدكتورة بسمة جستنية عن كتاب (أخبار بطاركة المشرق من كتاب المجدل ص: 15). [تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ ص: 318].

2 وهو ما نقله الدكتور أحمد علي عجيبة عن زكي شنودة من كتابه (تاريخ الأقباط ج: 1 ص: 153). [تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 272].

3 قصة الحضارة ج: 11 ص: 394.

4 مصادر النصرانية دراسة ونقدًا ص: 744.

5 وهو ما نقله الدكتور القس حنا جرجس الخضري عن هرنك. [تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 627].

6 عصر المجامع ص: 97.

7 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 627. وتجد نص خطاب أثناسيوس في كتاب [عصر المجامع ص: 108]. ونقله أيضًا الدكتور محمد أحمد الحاج عن المؤرخ أسد رستم من كتابه (الروم ج: 1 ص: 57). [النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص: 176].

8 وهو ما نقله الدكتور محمد أحمد الحاج عن المؤرخ أسد رستم من كتابه (كنيسة مدينة الله ج: 1 ص: 99). [النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص: 176]، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى لسعيد عبد الفتاح عاشور ص: 41.

9 وهو ما نقله الدكتور محمد أحمد الحاج عن المؤرخ أسد رستم من كتابه (كنيسة مدينة الله ج: 1 ص: 99). [النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص: 176].

10 The Early Church p: 130.

11 Encyclopædia Britannica, Eusebius of Caesarea.

وهنا أعيد التذكير بأن محاضر مجمع نيقية لا وجود لها، مع أن العديد من المجامع التي تلته كانت لها محاضر مسجلة وباقية، فلماذا لا توجد محاضر لأهم مجمع في تاريخ النصرانية، والذي سخر له قسطنطين كل إمكانات الإمبراطورية؟؟؟

***

(4) مذاهب المجتمعين

ذكر سعيد بن البطريق أن مذاهب المجتمعين كانت مختلفة، فنقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وَكَانُوا مُخْتَلِفِي الْآرَاءِ مُخْتَلِفِي الْأَدْيَانِ.

فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الْمَسِيحُ وَمَرْيَمُ إِلَهَانِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهُمُ "الْمَرْيَمَانِيَّةُ"، وَيُسَمَّوْنَ "الْمَرْيَمِيِّينَ".

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ الْمَسِيحَ مِنَ الْأَبِ بِمَنْزِلَةِ شُعْلَةِ نَارٍ تَعَلَّقَتْ مِنْ شُعْلَةِ نَارٍ، فَلَمْ تَنْقُصِ الْأُولَى لِإِيقَادِ الثَّانِيَةِ مِنْهَا، وَهِيَ مَقَالَةُ "سِبَارِينُونَ" وَأَشْيَاعِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَقُولُ: لَمْ تَحْبَلْ مَرْيَمُ لِتِسْعَةِ أَشْهُرٍ، وَإِنَّمَا مَرَّ نُورٌ فِي بَطْنِ مَرْيَمَ كَمَا يَمُرُّ الْمَاءُ فِي الْمِيزَابِ، لِأَنَّ "كَلِمَةَ اللَّهِ" دَخَلَتْ مِنْ أُذُنِهَا وَخَرَجَتْ مِنْ حَيْثُ يَخْرُجُ الْوَلَدُ مِنْ سَاعَتِهَا، وَهِيَ مَقَالَةُ "أَلْيَانَ" وَأَشْيَاعِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ الْمَسِيحَ إِنْسَانٌ خُلِقَ مِنَ اللَّاهُوتِ، كَوَاحِدٍ مِنَّا فِي جَوْهَرِهِ، وَأَنَّ ابْتِدَاءَ الِابْنِ مِنْ مَرْيَمَ، وَأَنَّهُ اصْطُفِيَ لِيَكُونَ مُخَلِّصًا لِلْجَوْهَرِ الْإِنْسِيِّ، صَحِبَتْهُ النِّعْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ فَحَلَّتْ فِيهِ الْمَحَبَّةُ وَالْمَشِيئَةُ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ "ابْنُ اللَّهِ" وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ جَوْهَرٌ وَاحِدٌ وَأُقْنُومٌ وَاحِدٌ، يُسَمُّونَهُ بِثَلَاثَةِ أَسْمَاءٍ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْكَلِمَةِ وَلَا بِرُوحِ الْقُدُسِ، وَهِيَ مَقَالَةُ "بُولُصَ الشِّمْشَاطِيِّ" بَطْرَكِ أَنْطَاكِيَةَ وَأَشْيَاعِهِ، وَهُمُ "الْبُولْيَانِيُّونَ".

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَقُولُ بِثَلَاثَةِ آلِهَةٍ، لَمْ يَزَلْ صَالِحٌ وَطَالِحٌ وَعَدْلٌ بَيْنَهُمَا، وَهِيَ مَقَالَةُ "مَرْقِيُونَ" وَأَشْيَاعِهِ.

وَزَعَمُوا أَنَّ "مَرْقِيُونَ" رَئِيسُ الْحَوَارِيِّينَ، وَأَنْكَرُوا "بُطْرُسَ" السَّلِيحَ[1].

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَقُولُ: رَبُّنَا هُوَ الْمَسِيحُ، وَهِيَ مَقَالَةُ "بُولُسَ" الرَّسُولِ[2]، وَمَقَالَةُ الثَّلَاثِمِائَةِ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ أُسْقُفًّا"[3].

وذكر الدكتور القس حنا جرجس الخضري:

"ويمكننا أن نلاحظ وجود ثلاثة أحزاب في هذا المجمع :

(1) الحزب المصري وعلى رأسه الأسقف ألكسندروس وأثناسيوس وانضم إلى هذا الحزب ممثلو الغرب وهم أقلية .

(2) حزب أريوس اللوقيانوسيون (أتباع لوقيانوس) وعلى رأسه الأسقف أسابيوس النيقوميدي . وهذا الحزب لا يضم هو الآخر إلا أقلية من أعضاء المجمع . ولكنها أقلية متحمسة .

(3) وأما الحزب الثالث فيمكن أن نسميه الحزب المحايد أو أتباع أوريجانوس وعلى رأسه أسابيوس القيصري مؤرخ الكنيسة المعروف . وقد اشتهر بالعلم والاتزان والمعرفة"[4].

وفي الحقيقة أن أسابيوس القيصري كان همه إرضاء الإمبراطور والثناء عليه، كما مر بنا، وكما سيأتي إن شاء الله، ثم بعد ذلك كان مشايعًا لآريوس، أو لعله كان يخشى بطش الإمبراطور.

وقد مر بنا من قبل أن أوريجانوس لم يكن يؤمن بالتثليث، بل كان يعتقد بعقيدة (التابعية: أي أن الابن أقل من الأب)، وكان يرى استحالة التجسد، وأن روح سيدنا عيسى مخلوقة، وأن بعض قصص الكتاب الذي يقدسه النصارى مثل تجربة الشيطان للمسيح -عليه السلام- ما هي إلا أساطير[5].

فيستفاد مما كتبه ابن البطريق والدكتور القس حنا جرجس الخضري:

- أن البولسيين المثلثين كانوا أقلية.

---

1 في محيط المحيط: سلِيْح سريانية وجمعها سَليحون: رسول. [تكملة المعاجم العربية ج: 6 ص: 116].

2 مر بنا من قبل بحث عقيدة بولس، وأنه لم يكن يقول بالتثليث ولا بالتجسد، وأن الباحثين اختلفوا في قوله بتأليه سيدنا عيسى عليه السلام. راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس/ النقطة الثانية: الخلاف في العقائد/ 3- ملخص لما اعتقده بولس مخالفًا للتوحيد.

3 الجواب الصحيح ج: 4 ص: 220 إلى 222.

4 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 627.

5 راجع: المبحث الأول: تحريف النصرانية/ المقالة الأولى: ملاحظات مبدئية/ الفقرة الثانية: عبارة التقليد أو التقاليد.

- وأن المجتمعين كانوا أصنافًا شتى.

ونقل الدكتور محمد أحمد الحاج عن المؤرخ الكنسي أسد رستم من كتابه (كنيسة مدينة الله) ج: 1 ص: 201:

"إن بعض الفلاسفة الوثنيين قد حضروا الجلسات وناقشوا الأساقفة".

ثم نقل عنه أن أهل الاختصاص يردون ذلك[6].

ولكن الدكتور عبد الرزاق بن عبد المجيد ألارو نقل عن الدكتور القس حبيب سعيد من كتابه (تاريخ المسيحية) ج: 1 ص: 150: حضور الفلاسفة الوثنيين للمجمع[7].

***

---

6 النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص: 177.

7 مصادر النصرانية دراسة ونقدًا ص: 747.

(5) حضور قسطنطين وتدخله

يعد مجمع نيقية هو مجمع قسطنطين، فهو الذي دعا له وهيأ أسبابه وافتتحه وأشرف عليه، وحضر جلساته مترئسًا لها، وتدخل في النقاش، وحكم في الخلاف، وتدخل في صياغة عقيدته.

وقد تواترت المصادر التاريخية في إثبات هذا التدخل، ولنقرأ ما كتبه الأسقف المبجِل لقسطنطين- يوسابيوس القيصري، وهو يصف عمل قسطنطين في المجمع:

فينقل عنه الدكتور أحمد علي عجيبة من كتاب يوسابيوس (حياة قسطنطين) ص: 32:

"وحيثما وجد في الأقطار المختلفة من اختلفوا مع بعضهم البعض في الرأي فإنه كان يدعو المجامع من الخدام كأنه أسقف عام مقام من الله"[1].

ولا ننسَ أن هذا الأسقف العام المقام من الله كان وثنيًا يعبد الشمس!!!

وينقل الدكتور أحمد علي عجيبة عن إيزيس حبيب المصري من كتابها (قصة الكنيسة القبطية) ج: 1 ص: 171: أن قسطنطين اختار نيقية لقربها من عاصمة الإمبراطورية الشرقية القسطنطينية[2].

ونقل أيضًا عن يوسابيوس القيصري من كتابه (حياة قسطنطين) ص: 86:

أن قسطنطين قدم كافة التسهيلات الخاصة بنقل الأساقفة إلى مكان الاجتماع، فوضع تحت تصرفهم كل وسائل النقل المعروفة في ذلك العصر، فسمح للبعض باستخدام وسائل النقل العامة، وقدم للآخرين الخيل الكافية للانتقال[3].

وينقل الدكتور أحمد علي عجيبة عن يوسابيوس القيصري وصفه لدخول الإمبراطور لمكان الاجتماع في قصره الصيفي من كتابه (حياة قسطنطين) ص: 89:

"ساد صمت رهيب في انتظار وصول الإمبراطور ... وإذ وقف الجميع لدى إعطاء الإشارة المنبئة بوصول الإمبراطور، تقدم هو أخيرا وسط الاجتماع كرسول سماوي من الله"[4].

وينقل الدكتور محمد أحمد الحاج عن المؤرخ الكنسي أسد رستم من كتابه (كنيسة مدينة الله) ج: 1 ص: 200 وصف تلك اللحظة:

"ثم أعطيت الإشارة بوصوله فانتصبوا احرام[5] وإجلالًا، ودخل قسطنطين بالأرجوان والذهب ووراءه بعض الحاشية"[6].

وهكذا انتصبت النصرانية البولسية على قدميها تعظيمًا للإمبراطور الذي ما زال وثنيًا، وللإمبراطورية التي ما زالت تعبد الشمس.

ليضربوا بذلك مثلًا من أبشع الأمثلة على الفساد السياسي في تاريخ المسيحية المترومة.

وألفت نظر القارئ هنا إلى الفارق الشاسع، كما بين السماء والأرض، بين عقيدة أولئك الأحبار وسلوكهم، وبين سيرة أعظم البشر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي كان أصحابه يعظمونه أشد التعظيم، ويحبونه أشد الحب، كما أمرهم ربهم سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[7]، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[8].

---

1 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 248.

2 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 248.

3 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 248.

4 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 249.

5 أحسب أن الصواب: "احترامًا".

6 النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص: 177.

7 سورة الأحزاب، آية: 6.

8 سورة الأعراف، آية: 175.

ومع ذلك كان ينهاهم أن يقوموا له.

فعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَصَلَّيْنَا وَرَاءَهُ وَهُوَ قَاعِدٌ، وَأَبُو بَكْرٍ يُسْمِعُ النَّاسَ تَكْبِيرَهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا فَرَآنَا قِيَامًا، فَأَشَارَ إِلَيْنَا، فَقَعَدْنَا، فَصَلَّيْنَا بِصَلَاتِهِ قُعُودًا، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: "إِنْ كِدْتُمْ آنِفًا لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومِ يَقُومُونَ عَلَى مُلُوكِهِمْ، وَهُمْ قُعُودٌ، فَلَا تَفْعَلُوا، ائْتَمُّوا بِأَئِمَّتِكُمْ إِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا، وَإِنْ صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا"[9].

وعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ"[10].

وعَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ صَفْوَانَ حِينَ رَأَوْهُ. فَقَالَ: اجْلِسَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"[11].

بل نهاهم عن أن يطروه كما أطرت النصارى عيسى بن مريم عليه السلام، فقال -صلى الله عليه وسلم- وهو يرشد البشرية لمقام النبوة: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ"[12].

وهذا التعظيم للملوك نقله النصارى لأحبارهم، فسجدوا لبطاركتهم، نقل الدكتور سامي عامري عن المهتدي الدكتور وديع أحمد أنه كتب:

"وفى هذه الفترة المحرجة كان أبى يتكلم معنا سرا عن انحراف الكنائس عن المسيحية الحقيقية التي تحرم الصور والتماثيل والسجود للبطرك والاعتراف للقساوسة"[13].

---

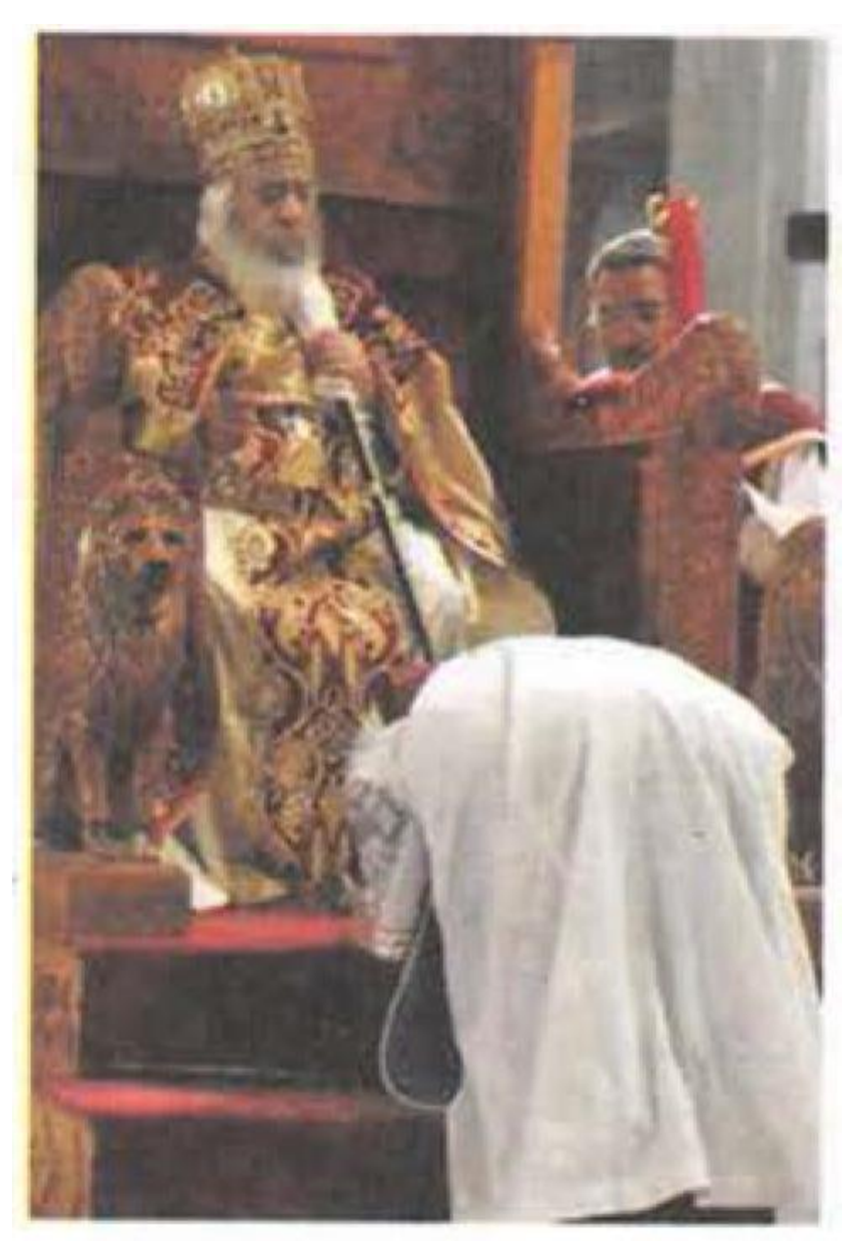
9 صحيح مسلم-كِتَابُ الصَّلَاةِ- بَابُ ائْتِمَامِ الْمَأْمُومِ بِالْإِمَامِ- حديث رقم: 413 مج: 1 ص: 195.

10 أخرجه الترمذي، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ". سنن الترمذي- أَبْوَابُ الْأَدَبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ قِيَامِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ- حديث رقم: 2754 ج: 5 ص: 90، صححه الألباني رحمه الله. [صحيح وضعيف سنن الترمذي- حديث رقم: 2754 ج: 6 ص: 254].

11 أخرجه الترمذي، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ". سنن الترمذي- أَبْوَابُ الْأَدَبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ قِيَامِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ- حديث رقم: 2755 ج: 5 ص: 90، صححه الألباني رحمه الله. [صحيح وضعيف سنن الترمذي- حديث رقم: 2755 ج: 6 ص: 255].

12 صحيح البخاري-كتاب: أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ- باب: قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾- حديث رقم: 3445 ج: 2 ص: 490.

13 محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة ص: 460.



شماس يسجد للبابا شنودة

***

وأعود ليوسابيوس القيصري وهو يصف ذلك الاجتماع، فبعد دخول قسطنطين وقيام البطاركة له، جلس، ثم قام يوسابيوس (أبو التاريخ الكنسي) أو على التحقيق (أبو التاريخ الكنسي القسطنطيني)، فألقى كلمة الافتتاح والترحيب موجهًا الشكر للإمبراطور، ثم عاد إلى مقعده، وساد الصمت مرة ثانية والأنظار متجهة إلى الإمبراطور متطلعة إلى ما يقوله[14].

ثم تكلم الإمبراطور قائلًا: "كانت أقصى أمنيتي أيها الأحباء الأعزاء أن أتمتع برؤيتكم مجتمعين معًا في وحدة كاملة، والآن وقد تحققت هذه الأمنية أشعر بأنني مدين برفع الشكر لله ملك الكل".

14 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 249- نقلها عن: حياة قسطنطين ص: 89.

وبعد ذلك أخذ يشرح لهم الأسباب التي حفزته لتوجيه الدعوة لهذا الاجتماع، وأمله في أن يحقق هذا الملتقى ما يصبو إليه من نبذ أسباب الشقاق والانقسام وتجنب مشاكل المناقشات حتى تتحقق الوحدة والسلام.

ثم أعطى قسطنطين للمجتمعين شارة البدء في النقاش والمحاورة من أجل الوصول إلى الحل المناسب، وهنا بدأ كل واحد يقذف في وجه الآخر بألوان الاتهامات، حتى استحالت القاعة إلى ميدان يتبارى فيه المتخاصمون[15].

جلس الإمبراطور يصغي لهذه المناقشات والاتهامات حتى وقف على حقيقة الأمر، وهنا أدرك أن أمل وحدة الإمبراطورية عقائديًا ليس سهلًا ولا بالأمر اليسير.

وكان الإمبراطور يتدخل في المناقشة والمحاورة، حتى قال يوسابيوس القيصري:

"إنه كان يقنع البعض ويقدم الحجج للآخرين ويمدح من يحسنون الكلام"16.

وكان -كما نقل ول ديورانت عن يوسابيوس- يستمع بصبر عظيم إلى المناقشات، ويهدئ من عنف الجماعات المتنازعة، ويشترك في المناقشات بنفسه[17].

وينقل الأستاذ ساجد مير عن البروفيسور ليتزمان (Leitzman) من كتابه (From Constantine to Julian) ص: 118، وهو ينقل عن كتاب يوسابيوس:

"لم يكن (الإمبراطور) ينصت ويبدي رأيه بالموافقة أو بالاختلاف فحسب، بل كان يشارك بتوجيهاته في المناقشات حتى يرشد المشاركين إلى الوصول إلى الهدف المنشود وهو تحقيق الأمن والوحدة"[18].

***

ولم يكتف الإمبراطور بالتدخل في المناقشات، بل تدخل في صياغة القرارات، كما سيأتي إن شاء الله، فقد نُسِب له أضافة كلمة (homoousios= نفس الجوهر) في العقيدة النيقاوية، التي تصف علاقة الأب بالابن.

وهو ما أكده الأستاذ (هانز جي هيلربراند-Hans J. Hillerbrand[19]) في الموسوعة البريطانية[20].

كذلك نقل الأستاذ ساجد مير عن عن البروفيسور ليتزمان (Leitzman) من كتابه (From Constantine to Julian) ص: 118 و119:

"والشيء المدهش أن الملك أصر على إدخال مصطلح لم يقدمه أحد من الجانبين أي اتحاد الجوهر"[21].

وذكر المهتدي للإسلام الدكتور مراد هوفمان الألماني -الذي أمضى خمسين عامًا من عمره كاثوليكيًا، ثم هداه للإسلام- أن قسطنطين:

---

15 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 249- نقلها عن: حياة قسطنطين ص: 90.

16 تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ص: 249 و250- نقلها عن: حياة قسطنطين ص: 90.

17 قصة الحضارة ج: 11 ص: 394.

18 المسيحية (النصرانية)- دراسة وتحليل ص: 75.

والنص الأصلي هو:

"He (the Emperor) not only listened attentively and gave signs of his agreement or disagreement but took part in the discussions in order to guide them to the desired goal of peace".

رااجع أيضًا:

Encyclopædia Britannica, Nicaea, Council of.

19 أستاذ التاريخ والديانة في جامعة دوك بكالورينا الشمالية بأمريكا.

20 Encyclopædia Britannica, Christology, Christologies of the ancient world, .The Arian controversy .

21 المسيحية (النصرانية)- دراسة وتحليل ص: 75.

والنص الأصلي هو:

"It is quite astonishing that the Emperor should have placed great emphasis on introducing in the creed a term that hitherto neither of the parties had put forward, the term "homousios"".

"هو الذي قدم اقترح الصيغة القائلة بأن جوهر الله هو جوهر المسيح، وأنهما متماثلان. وهذا الاقتراح لم يصدر عن اهتمام ديني، ولكن رغبة منه في بعض الاتفاق الديني الداخلي بعد سنوات طويلة من الخلافات الدينية الحادة. ولقد رأى القيصر أن صيغة (المسيح = الله) صيغة مناسبة لحل الخلافات، ولم يفكر في كونها محرفة، فالأباطرة الرومان كانوا كثيرًا ما يحبون وضع أنفسهم في مرتبة مساوية للآلهة"[22].

وهذا المصطلح لا وجود له في نص الكتاب الذي يقدسه النصارى، بل هو يعبر عن تصور قسطنطين -عابد الشمس- عن الصيغة التي يمكن بها حل الخلاف وإخراج عقيدة تحقق الاستقرار واستتباب الأمن[23].

وقد أكد شيخ الإسلام -رحمه الله- أن صيغة عقيدة نيقية، التي يسمونها (الأمانة)، لا أصل لها في أناجيل النصارى، ولا أُثِرت عن الحواريين، ولكنها من وضع فئة من المجتمعين في نيقية عام 325م، فكتب رحمه الله:

"وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّهُ لَيْسَ مَعَ النَّصَارَى نَقْلٌ مُتَوَاتِرٌ عَنِ الْمَسِيحِ بِأَلْفَاظِ هَذِهِ الْأَنَاجِيلِ وَلَا نَقْلٌ لَا مُتَوَاتِرٌ وَلَا آحَادٌ بِأَكْثَرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَلَا عِنْدَهُمْ وَلَا عِنْدَ الْيَهُودِ نَقْلٌ مُتَوَاتِرٌ بِأَلْفَاظِ التَّوْرَاةِ وَنُبُوَّاتِ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ نَقْلٌ مُتَوَاتِرٌ بِالْقُرْآنِ وَبِالشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ الْمَعْرُوفَةِ لِلْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَهَذَا مِثْلُ الْأَمَانَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ دِينِهِمْ وَصَلَاتُهُمْ إِلَى الْمَشْرِقِ وَإِحْلَالُ الْخِنْزِيرِ وَتَرْكُ الْخِتَانِ وَتَعْظِيمُ الصَّلِيبِ وَاتِّخَاذُ الصُّوَرِ فِي الْكَنَائِسِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِهِمْ لَيْسَتْ مَنْقُولَةً عَنِ الْمَسِيحِ وَلَا لَهَا ذِكْرٌ فِي الْأَنَاجِيلِ الَّتِي يَنْقُلُونَهَا عَنْهُ وَهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْأَمَانَةَ الَّتِي جَعَلُوهَا أَصْلَ دِينِهِمْ وَأَسَاسَ اعْتِقَادِهِمْ لَيْسَتْ أَلْفَاظُهَا مَوْجُودَةً فِي الْأَنَاجِيلِ وَلَا هِيَ مَأْثُورَةٌ عَنِ الْحَوَارِيِّينَ وَهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ وَضَعُوهَا أَهْلُ الْمَجْمَعِ الْأَوَّلِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَ قُسْطَنْطِينَ

....

فَلَيْسَ فِي الْكُتُبِ الَّتِي بِأَيْدِيهِمْ مَا يَدُلُّ لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا عَلَى الْأَمَانَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ دِينِهِمْ وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّثْلِيثِ وَالِاتِّحَادِ وَالْحُلُولِ وَلَا فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَكْثَرِ شَرَائِعِهِمْ كَالصَّلَاةِ إِلَى الشَّرْقِ وَاسْتِحْلَالِ الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ الْخِنْزِيرِ وَالْمَيْتَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ"[24].

وكتب أيضًا:

"وَفِي زَمَنِ قُسْطَنْطِينَ غَيَّرُوا كَثِيرًا مِنْ دِينِ الْمَسِيحِ وَالْعَقَائِدِ وَالشَّرَائِعِ فَابْتَدَعُوا الْأَمَانَةَ الَّتِي هِيَ عَقِيدَةُ إِيمَانِهِمْ وَهِيَ عَقِيدَةٌ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا شَيْءٌ مِنْ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ، وَلَا هِيَ مَنْقُولَةٌ عَنْ أَحَدِ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ الَّذِينَ صَحِبُوا الْمَسِيحَ، بَلِ ابْتَدَعَهَا لَهُمْ طَائِفَةٌ مِنْ أَكَابِرِهِمْ قَالُوا كَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ.

وَاسْتَنَدُوا فِي ذَلِكَ إِلَى أَلْفَاظٍ مُتَشَابِهَةٍ فِي الْكُتُبِ وَفِي الْكُتُبِ أَلْفَاظٌ مُحْكَمَةٌ تُنَاقِضُ مَا ذَكَرُوهُ"[25].

***

22 الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود ص: 156 و157.

23 Encyclopædia Britannica, Nicaea, Council of.

24 الجواب الصحيح ج: 2 ص: 405 إلى 408.

25 الجواب الصحيح ج: 3 ص: 30.

(6) أعمال المجمع

وبعد افتتاح قسطنطين للمجمع بدأ النقاش، واختلفت الروايات -كالعادة-فيمن رأس المجمع:

- فقيل إنه فستاثيوس أسقف أنطاكيا.
- وقيل إنه هوسيوس صديق الإمبراطور ومستشاره، وخصوصًا أن اسمه كان أول الموقعين.
- وقيل إنه يوسابيوس القيصري.

وينقل الدكتور القس حنا جرجس الخضري عن هرنك من كتابه (History of Dogma) ج: 45 ص: 51:

"من هو الذي رأس هذا المجمع؟ أهو فستاثيوس أو أسابيوس القيصري أو هوسيوس. لا نعلم بالضبط . إلا أنه من الواضح الجلي أن هوسيوس كان يحتل مركزا هاما جدا ، وقام بدور حاسم في مجمع نيقية"[1].

ولأمر ما لم يكمل الدكتور القس حنا جرجس الخضري بقية رواية هرنك، ولكن المهندس أحمد عبد الوهاب أوردها:

" مما لا شك فيه أن هوسيوس مارس نفوذا هاما في المجمع، فعلى الرغم من أن الامبراطور اطلق يد المجتمعين في أول الأمر ، الا أنه مالبث أن وضع نهاية للمجادلات الخاصة ثم تدخل بقوة في اللحظة الحاسمة واتخذ صفة عالم اللاهوت حين فسر بنفسه الصيغة التي يجب أن يوافق عليها المجمع .

ويمكن القول ان الامبراطور أقام حساباته على أساس أن المجمع سوف يتفق على صيغة مقبولة ، ولما تعذر ذلك فانه قرر تحت تأثير هوسيوس أن يجبر المجتمعين على قبول الصيغة التي اتفق عليها هذا الأخير مع اسكندر . لقد جاء االآريوسيون الى المجمع وهم على ثقة من النصر ، فلقدكان اسقف نيقية نفسه في جانبهم لكن ارادة الامبراطور قررت الأمر ..

لقد أدين آريوس وضحى به ، ولما كان الامبراطور قلقا على الحفاظ بيد من حديد على الوحدة التي كسبها ، فانه أمر باحراق كتب آريوس ، ووضع أتباعه في أدنى مستوى بين أعداء المسيح - لقد اضطهد الآريوسيين ووافقه الارثوذكس على ذلك"[2].

كانت هذه رواية أدولف هرنك[3] صاحب نظرية البحث عن المسيحية الحقيقية عبر التحقيق التاريخي، والذي أثبت أن المسيحية الحقيقية لا علاقة لها بما تعتنقه الكنيسة، والذي يكثر الدكتور القس حنا جرجس الخضري من النقل عنه، ولكنه تركه في هذا الموضع.

وهناك روايات أخرى، وهي روايات الكنائس البولسية المثلثة، وهي تختلف في التفاصيل، ولكن تتفق في المضمون، ولعل أكثرها تدقيقًا -حسب اطلاعي- رواية الدكتور القس حنا جرجس الخضري، والتي جاء فيها:

"فعرضت أمام الآباء المجتمعين تعاليم أريوس التي نادى بها ، ولقد قرأوا بعض الفصول من كتابه الذي يدعى "المثالية" لكي يقارنوا تعاليمه بتعاليم الكتاب المقدس وتعاليم الآباء .

ويعتقد البعض بأن الآباء المجتمعين في المجمع سدوا آذانهم اشمئزازا ، حال سماعهم هذه التعاليم الهرطوقية واكتفوا بهذه العينات المقروءة للحكم عليه"[4].

وهنا أتوقف لأبين تناقض ما ينقله الدكتور القس حنا جرجس الخضري هنا مع ما ذكره سابقًا، من أن الحزب الذي سماه محايدًا، (حزب تلاميذ أوريجانوس بقيادة يوسابيوس القيصري) كان هو الحزب الأكثر عددًا، وهذا الحزب ورئيسه كانوا من المؤيدين أو -على الأقل- من المتعاطفين مع آريوس كما مر بنا من قبل، وكانوا يتهمون بالآريوسية، فإذا أضفت له الحزب

---

1 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 626.

2 طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 18 و19.

3 أشرت له من قبل، راجع: الفقرة الثالثة: الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس/ النقطة الثانية: الخلاف في العقائد/ 4- تسرب الوثنية للمسيحية/ ج- منافذ تسرب العقائد الوثنية للنصرانية/ (1) العقائد الهلينسية والوثنيات المعاصرة للمسيحية.

4 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 628.

الآريوسي، فتكون لهم الأغلبية المطلقة في المجمع، ويوسابيوس القيصري -كما ذكر الدكتور القس حنا جرجس الخضري- قد عرض عليه آريوس عقيدته من قبل، وتعاطف معه، وهو الذي سعى مع يوسابيوس النيقوميدي وقسطنسا أخت الملك قسطنطين في إرجاعه لكنيسة الإسكندرية[5]، فكيف عمم بأن الآباء المجتمعين قد سدوا آذانهم!!!

ونواصل مع الدكتور القس حنا جرجس الخضري:

"على أن بعض المؤرخين يظن أن المجمع طلب استحضار أريوس واستجوابه . والأمر المؤكد المحقق هو أن مجمع نيقية كان يضم ثلاثة أحزاب كما سبقت الإشارة . فبعد عرض القضية واتهام أريوس بالهرطقة ، قام الحزب الموالي له وعلى رأسه أسقف نيقوميدية بالدفاع عن الكاهن الليبي وعن عقيدته . وبعد جدال عنيف ونقاش طويل اقترح أسقف نيقوميدية وحزبه الذي كان يؤيد أريوس نصا لقانون الايمان . ولكن المجمع رفض قانون الايمان الذي اقترحه الأسقف أسابيوس النيقوميدي .

وهنا تغيرت الأوضاع ، فعندما رفض المجمع قبول قانون الايمان الذي اقترحه الأسقف أسابيوس فإنه رفض في الوقت نفسه هرطقة أريوس إذ أن هذا القانون كان يحتوي على كثير من تعاليم أريوس"[6].

وهنا أتساءل مرة أخرى كيف يرفض المجمع هرطقة آريوس، مع أن حزب الأغلبية كان مؤيدًا أو متعاطفًا معه، ورئيس هذا الحزب (يوسابيوس القيصري) هو الذي سيسعى بعد مجمع نيقية لعقد مجمع صور 335م، وسيترأسه، وسينقلب على مجمع نقية 325م[7].

إذن هنا يبرز العامل القسطنطيني عبر الأسقف هوسيوس رئيس المجمع وصديق الإمبراطور.

ونواصل مع الدكتور القس حنا جرجس الخضري:

"وجدير بنا أن نلفت نظر القارئ إلى الدور الذي قام به الشماس أثناسيوس في هذا المجمع . فمع أن البعض يظن أن أثناسيوس لم يشترك في المناقشات التي دارت في مجمع نيقية ، وأن الأساقفة فقط هم الذين تفاوضوا في هذه القضية وهم وحدهم الذين اتخذوا القرارات ، فإننا نعتقد مع البعض الآخر من المؤرخين بأن الدور الذي قام به القديس أثناسيوس في هذا المجمع كان دورا هاما جدا وحاسما"[8].

وهنا أتساءل: كيف يسمح لشماس أن يناقش في حضرة الأساقفة، وأين رئيس أساقفته ألكسندر؟

ونواصل مع الدكتور القس حنا جرجس الخضري:

"ولقد رأى الأريوسيون في شماس الاسكندرية مدافعا عنيدا عن الحق الكتابي وتعاليم الرسل والآباء ، فوهنت عزائمهم وخارت قواهم وسيطر عليهم اليأس"[9].

وهنا أتساءل: كيف يسيطر عليهم اليأس وهم مشتبكون مع حزب ألكسندر وأثناسيوس في هذا الجدال منذ قرابة خمس عشرة سنة؟ واكتسبوا أغلبية النصارى معهم؟

ونواصل مع الدكتور القس حنا جرجس الخضري:

"ولهذا السبب فقد انضم حزب أريوس الذي فقد الأمل في الحصول على النصر ، إلى **حزب الأغلبية** ، حزب أتباع أوريجانوس وهو الحزب الذي كان يتزعمه أسابيوس القيصري.

وكان هذا الحزب يعتبر محايدا وكان يضم **أغلبية** أعضاء مجمع نيقية .

---

5 دائرة المعارف لبطرس البستاني ج: 1 باب الألف- آريوس ص: 65.

6 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 628.

7 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 14 ص: 646.

8 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 628 و629.

9 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 629.

أراد الأسقف أسابيوس القيصري رئيس هذا الحزب أن تكون له الكلمة الأخيرة والحل المقبول المرضي من جميع الأحزاب . وكان الأسقف القيصري يتمتع بشهرة عظيمة لمعرفته الواسعة بكتابات الآباء والتقاليد وتاريخ الكنيسة ، ولذلك انتهز فرصة رفض المجمع لقانون الإيمان الذي قدمه سميه ، واقترح قانونا آخر للايمان . ولقد حاز هذا القانون **قبول الكثيرين في المجمع** . ولكن عند مناقشته ، ومعارضة الحزب المصري لبعض أجزائه ظهرت الأخطاء اللاهوتية التي كان يخفيها هذا القانون، وعلى ذلك فقد اقترح ادخال بعض التصويبات والتعديلات على قانون إيمان أسابيوس القيصري"[10].

وهنا أتساءل مرة أخرى: حزب يوسابيوس القيصري هو حزب الأغلبية، وبناء على رواية الدكتور القس حنا جرجس الخضري، فقد انضم لهم الآريوسيين، فأصبحوا الأغلبية المطلقة، والحزب المصري هو الأقلية، فكيف يتم رفض ما قدمه يوسابيوس القيصري؟؟؟

إذن هنا يبرز العامل القسطنطيني، عبر صديق الإمبراطور الأسقف هوسيوس.

ونواصل مع الدكتور القس حنا جرجس الخضري:

"وهنا قدم حزب الاسكندرية وعلى رأسه الأسقف ألكسندروس والشماس أثناسيوس قانون إيمان لا يعتبر قانونا جديدا بل هو عبارة عن توضيح وتنقيح القانون الذي اقترحه أسابيوس"[11].

ثم يعود الدكتور القس حنا جرجس الخضري إلى النقل عن هرنك:

"فإن البعض يعتقد بأن **الامبراطور قسطنطين** ، وبإيحاء من صديقه الأسقف هوسيوس، اقترح ادخال الإصلاح (HOMOOSIOS[12])[13].

ثم ذكر الدكتور القس حنا جرجس الخضري: بأن الآريوسيين اعترضوا: بأن عبارة (من نفس الجوهر) ليست موجودة في الكتاب المقدس وغريبة عليه، ولكن حزب أثناسيوس ردوا: بأنها وإن كانت غريبة عن الكتاب المقدس، وليست موجودة فيه لفظيًا، فإنها موجودة فيه معنويًا"[14].

وقد أكد شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن صيغة عقيدة نيقية، التي يسمونها (الأمانة)، لا أصل لها في أناجيل النصارى، ولا أُثِرت عن الحواريين، ولكنها من وضع فئة من المجتمعين في نيقية عام 325م، فكتب رحمه الله:

"وَهَذَا مِثْلُ الْأَمَانَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ دِينِهِمْ وَصَلَاتُهُمْ إِلَى الْمَشْرِقِ وَإِحْلَالُ الْخِنْزِيرِ وَتَرْكُ الْخِتَانِ وَتَعْظِيمُ الصَّلِيبِ وَاتِّخَاذُ الصُّوَرِ فِي الْكَنَائِسِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِهِمْ لَيْسَتْ مَنْقُولَةً عَنِ الْمَسِيحِ وَلَا لَهَا ذِكْرٌ فِي الْأَنَاجِيلِ الَّتِي يَنْقُلُونَهَا عَنْهُ وَهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْأَمَانَةَ الَّتِي جَعَلُوهَا أَصْلَ دِينِهِمْ وَأَسَاسَ اعْتِقَادِهِمْ لَيْسَتْ أَلْفَاظُهَا مَوْجُودَةً فِي الْأَنَاجِيلِ وَلَا هِيَ مَأْثُورَةٌ عَنِ الْحَوَارِيِّينَ

....

فَلَيْسَ فِي الْكُتُبِ الَّتِي بِأَيْدِيهِمْ مَا يَدُلُّ لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا عَلَى الْأَمَانَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ دِينِهِمْ وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّثْلِيثِ وَالِاتِّحَادِ وَالْحُلُولِ"[15].

ثم كتب القس الدكتور حنا جرجس الخضري:

"وبعد نقاش طويل استقر الرأي على قبول قانون الإيمان المنقح، وهو كالآتي:

---

10 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 629.

11 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 629 و630.

12 أي من نفس الجوهر.

13 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص:630.

14 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص:630 و631.

15 الجواب الصحيح ج: 2 ص: 405 إلى 408.

"نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل خالق كل الأشياء ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله المولود من الآب ، المولود الوحيد ، أي من جوهر الآب ، إله من إله ، نور من نور ، إله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق مساو للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء في السماء وعلى الأرض ، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنس وتألم وقام أيضا في اليوم الثالث وصعد إلى السماء . وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات . وبالروح القدس . وأما الذين يقولون إنه كان زمان لم يوجد فيه وإنه لم يكن له وجود قبل أن ولد وإنه خلق من العدم أو إنه من مادة أخرى أو جوهر آخر أو إن ابن الله مخلوق أو إنه قابل للتغيير أو متغير فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية".

ووافق مجمع نيقية على قانون الايمان هذا ، ووقع عليه المجتمعون حتى **الأريوسيون أنفسهم** إلا أسقفان مصريان هما ثيوتس وسكوندس ، ثم حكم بهرطقته تعاليم أريوس"[16].

وهذا التحول الغريب في المواقف أشار له رجل الدين الملقب بـ(الموقر جدًا) وأستاذ اللاهوت بأكسفورد هنري تشادويك حيث كتب:

"ومن المدهش جدًا؛ أنه بعد التحزب الشديد الظاهر قبل المجمع، فقد وقع 218 من 220 أسقفًا على العقيدة، وهو إجماع لا بد أنه قد أرضى الإمبراطور المتلهف"[17].

وكتب بطرس البستاني:

"وكان بعض الأساقفة مضادًا لحكم هذا المجمع فامر الملك قسطنطين باحضارهم اليه وهو اذ ذاك في نيقية متوليًا أمر المجمع فارعوى بعضهم واما الذين بقوا مخالفين فامر بخلعهم ونفيهم"[18].

وهكذا في قصر الإمبراطوري الصيفي وبترغيبه وترهيبه تمت صناعة عقيدة التثليث.

***

وكسائر أحوال وأخبار مجمع نيقية 325م، فقد اختلفت الأقوال في عدد من رفضوا التوقيع على عقيدة نيقية:

- فقيل إنهم اثنان، كما ذكر الدكتور القس حنا جرجس الخضري آنفًا.
- وقيل: إنهم خمسة انخفضوا لاثنين.
- وقيل: سبعة عشر أسقفًا، كما ذكر ول ديورانت[19].
- وقيل: إنهم عشرون أسقفًا، كما ذكر أسد رستم في كتابه (الروم ج: 1 ص: 58)[20].

كان هذا ملخص لروايات النصارى البولسيين المثلثين عن مجمع نيقية 325م، وهي الرواية التي شكك فيها ابن تيمية رحمه الله، لأن كثيرين لا يقبلونها، حيث كتب:

"وَهَذَا الَّذِي قَدْ ذَكَرَهُ هَذَا الْبَتْرَكُ "سَعِيدُ بْنُ الْبِطْرِيقِ" الْمُعَظَّمُ عِنْدَ النَّصَارَى، الْمُحِبُّ لَهُمْ، الْمُتَعَصِّبُ لَهُمْ فِي أَخْبَارِهِمُ الَّتِي بَيَّنَ بِهَا أَحْوَالَهُمْ فِي دِينِهِمْ، مُعَظِّمًا لِدِينِهِمْ، مَعَ مَا فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ مِنْ زِيَادَةٍ فِيهَا تَحْسِينٌ لِمَا فَعَلُوهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُنْكِرُ ذَلِكَ وَيُكَذِّبُهُ، مِثْلُ مَا ذَكَرَهُ مِنْ ظُهُورِ الصَّلِيبِ، وَمِنْ مُنَاظَرَةِ "أَرْيُوسَ" وَغَيْرِ ذَلِكَ"[21].

---

16 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص:631.

17 The Early Church p: 130.

والنص الأصلي هو:

“Astonishingly enough , after the strong partisanship apparent before the council, 218 out of 220 bishops signed the creed, a unanimity that must certainly have gratified the anxious emperor”.

18 دائرة المعارف لبطرس البستاني ج: 1 باب الألف- آريوس ص: 66.

19 قصة الحضارة ج: 11 ص: 395.

20 النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص: 177.

21 الجواب الصحيح ج: 4 ص: 379.

***

وصدر مرسوم ملكي بنفي آريوس ومن وافقه، وحرق كتبه جميعها، وجعل إخفاء أي منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام[22].

***

وعن الطبيعة السياسية لمجمع نيقية 325م كتب المهتدي للإسلام الدكتور مراد هوفمان الألماني:

"لقد كان المجمع الكنسي الأول في نيقية -كما نعلم اليوم - أهم المجمعات على الإطلاق حتى المجمع 22، الذي عقد في الفاتيكان القرن الماضي. ولكن ذلك المجمع البالغ الأهمية، لم يدع لعقده البابا أو أسقف روما، ولكن دعا لعقده شخص وثني غير معمد ولا علم له باللاهوت، هو القيصر قسطنطين الكبير. ولم يتم هذا المجمع في كاتدرائية نيقيه، ولكن في مقر الإمبراطور الصيفي، ولم يرأس هذا المجمع أحد من رجال الدين الحاضرين. كما أن الإمبراطور هو الذي قدم اقتراح الصيغة القائلة بأن جوهر الله هو جوهر المسيح، وأنهما متماثلان. وهذا الاقتراح لم يصدر عن اهتمام ديني، ولكن رغبة منه في بعض الاتفاق الديني الداخلي بعد سنوات طويلة من الخلافات الدينية الحادة"[23].

***

ومن المضحك المبكي أن قسطنطين هذا الذي ما زال وثنيًا وصفه أثناسيوس في خطابه لكنائس أفريقية حسب رواية القمص كيرلس الأنطوني:

"وقع البحث أمام الملك قسطنطين **الكلي التقوى** في إثم آريوس ورفاقه وعدم تقواهم، وحتم بصوت الجميع أن تعليمه العديم التقوى ليكن أناثيماً (محروماً)"[24].

إذن في ميزان أثناسيوس: قسطنطين كلي التقوى، وآريوس ورفاقه عديمو التقوى.

ولكن كلي التقوى هذا سرعان ما سينقلب على أثناسيوس ويضطهده وينفيه، ويعفو عن آريوس!!!

وهكذا تبيع الكنيسة الأوهام.

***

واحتفل قسطنطين بانقضاض المجلس بأن دعا جميع الأساقفة الذين حضروه إلى وليمة ملكية، ثم صرفهم بعد أن طلب إليهم ألا يمزق بعضهم أجساد بعض[25].

وكتب عن هذه الوليمة القمص كيرلس الأنطوني:

"بعد أن انتهى المجمع من حكمه وقرارته وقوانينه، أُعلِن انتهاء جلساته، فدعا الإمبراطور قسطنطين سائر أعضائه إلى مأدبة فاخرة صنعها لهم في قصره الملكي. ولقد غالى الإمبراطور في احترام وتكريم الأساقفة، حتى كتب أوسابيوس المؤرخ يصف هذا الاجتماع بقوله: "إن اجتماع آباء الكنيسة في سلام وصفاء بهذه المأدبة الفخمة كان **يشبه صورة ملكوت المسيح**، وقد تجلى هذا المنظر أمامي كحلم أكثر مما هو أمر حقيقي". ثم ألقى قسطنطين الملك عليهم خطاب الوداع، حاثًا إياهم على التزام خطة المحبة والسلام. ثم وزع عليهم هدايا كثيرة، وأعطاهم أوامر ملكية إلى ولاة البلاد التي هم فيها كي يُوزِّعوا على الكنائس في كل عام مقداراً من الحنطة يكفي لمؤونة إكليروسها وفقرائها وأراملها"[26].

---

22 قصة الحضارة ج: 11 ص: 395 و396.

23 الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود ص: 156.

24 عصر المجامع ص: 108.

25 قصة الحضارة ج: 11 ص: 396.

26 عصر المجامع ص: 122 و123.

وهكذا تطورت قصة البولسيين المثلثين مع الرومان: من الصليب الذي زعموا قتل ابن الإله عليه، إلى طعام الإمبراطور الذي انكبوا عليه، وهكذا تحول ملكوت المسيح من رأفة ومرحمة، إلى موائد مفخمة وبطون متخمة.

وهكذا السياسة؛ أفسدت الكنيسة، وأفسدتها الكنيسة، في تاريخ الفساد السياسي.

***

(7) قرارات المجمع

وقبل أن يذهب الموافقون لرغبة قسطنطين إلى وليمته الفاخرة، التي سبق أن نقلت وصف يوسابيوس القيصري (أبي التاريخ الكنسي [القسطنطيني]) لها بأنها: تشبه "**صورة ملكوت المسيح**"، قبل أن يذهبوا لما يشبه صورة ملكوت المسيح الفخم الدسم، وقبل أن يقبلوا شاكرين هدايا الإمبراطور الثمينة الفاخرة، وقبل أن يسمعوا نصيحته بأن يحافظوا على القرار الذي فصل فيه الإمبراطور، وألا يمزق بعضهم أجساد بعض، قبل كل ذلك قرروا قرارات عديدة في مجمع نيقية.

وكالعادة في شأن مجمع نيقية 325م، بل كالعادة في ديانة النصرانية، فليس هناك تحديد ولا توثيق، بل المسائل مسائل ترجيح وظنون وتخمين، بل واتهامات وتقاذف بالتزوير والتلفيق.

فلا يعلم على وجه اليقين كم عدد القرارات التي أصدرها المجمع، فمن قائل: إنها عشرون، ومن قائل: إنها أربعون، أو ستون أو سبعون أو ثمانون[1]!!!

بل ويتهم بعضهم بعضًا بالتزوير والكذب، ومَنْ هؤلاء المتهمون؟ إنهم من زعم أثناسيوس أنهم (هياكل الكلمة)، كما مر بنا.

فقد كتب القمص كيرلس الأنطوني أن مجمع نيقية:

"قد وضع عشرين قانوناً لسياسة الكنيسة، وافق عليها جميع الآباء بلا استثناء، ولكن بعد وضع هذه القوانين بما يقرب من مائة عام، وإذا بكنيسة روما تدعي أن عددها 84 قانوناً! وهي لا تدعي هذا جزافاً، إنما لكي تستفيد من بعض القوانين المزورة في إثبات رئاسة أسقفهم على الكنيسة جمعاء. فلقد أثبتوا في القانون رقم 33 ما نصه: "أمروا أن تكون البطاركة في جميع الدنيا، أربعة لا غير، مثل كتبة الأناجيل[2]، ويكون الرئيس منهم صاحب كرسي بطرس برومية"، كما دونوا في القانون رقم 44 ما نصه: "كما أن البطريرك أمره وسلطانه على ما تحت يده، كذلك لصاحب رومية سلطانا على سائر البطاركة". فعلوا هذا إشباعاً لرغباتهم، وهم لا يدرون أن مثل هذا **التزوير** لا يمكن أن يثبت أمام أحكام التاريخ القاسية"[3].

وقد مر بنا من قبل الظلم المقدس (الخطيئة الأصلية)، والمغالطات المقدسة (الصلب والفداء)، والوثنية المقدسة (التجسد)، والتجسس المقدس (الاعتراف للكنيسة وغفرانها للذنوب)، والآن نرى التزوير المقدس.

ومنشأ هذا النزاع أن أهم مجمع في تاريخ النصرانية البولسية المثلثة ليس له محاضر ولا وثائق ولا مضابط، رغم أنه تم تحت إشراف الدولة الرومانية، التي سخرت له كل إمكاناتها، فهل عجزت تلك الإمبراطورية أن توفر بعض الكتبة وعدة أكوام من الأوراق وبعض الأدوات لتسجل ما دار في كل هذه الجلسات؟

وهل حرص قسطنطين على ألا تسجل مناقشات الجلسات؟ ليظل كل ما يتعلق بهذا المجمع مبهمًا، طالما أنه حصل منه على ما يريد.

وسيتضح هذا التزوير المقدس أكثر وأوضح عند بحث تحريف الكتاب الذي يقدسه النصارى إن شاء الله.

ورفض الكنيسة القبطية الأرثوذكسية -والأرثوذكس عمومًا- لسلطان بابا روما؛ ما هو إلا نزاع على السلطان والمال والدولة والنفوذ، الذي تمتعوا به على مائدة الإمبراطور (صورة ملكوت المسيح).

ولكن بعد أن أتخموا من طعامه الدسم اللذيذ، لم يحفظوا وصيته: بألا يمزق بعضهم أجساد بعض!!!

***

1 مصادر المسيحية دراسة ونقدًا ص: 748 و749.

2 سنرى -إن شاء الله- عند بحث من كتب الأناجيل؛ أن كتبتها كثيرون مجهولون، حتى أن إنجيل يوحنا ينسبونه إلى (المجموعة اليوحناوية)!

3 عصر المجامع ص: 124 و125.

وعمومًا أيًا كان عدد قرارات المجمع (20 أو 84!!!)، فلأدع البولسيين المثلثين في نزاعاتهم على النفوذ، وأركز على أهم تلك القرارات:

(أ) أهم تلك القرارات هو عقيدة مجمع نيقية التي أشرت لها من قبل، وما تعلق بها من نفي آريوس ومن وافقه وحرق كتبهم وتحريم اقتنائها.

وما يهمني هنا أن أشير لأهمية تلك العقيدة في تأسيس الفساد السياسي في تاريخ الغرب والنصرانية:

فأولًا: هذه العقيدة وفرت لقسطنطين ما يرغب فيه؛ وهو توحيد الإمبراطورية حول عقائد متوافقة، فعقيدة نيقية تتوافق مع عبادة (الشمس التي لا تقهر- Sol Invictus)، وعن هذا كتب مؤلفو كتاب (الدم المقدس، الكأس المقدس- Holy Blood, Holy Grail):

"ولا بد من التأكيد على أن هم قسطنطين الأكبر لم يكن التقوى، بل الوحدة والنفعية. فيسوع كإله يمكن توافقه بيسر مع الشمس التي لا تقهر، ولكن كنبي فان سيكون استيعابه أكثر صعوبة. وباختصار فإن المسيحية الأرثوذكسية قد خضعت لالتحام سياسي مرغوب مع ديانة الدولة الرسمية، ونتيجة لفعلها هذا فقد منح قسطنطين دعمه للمسيحية الأرثوذكسية"[4].

ثانيًا: تأكيد سلطة الإمبراطور على الكنيسة

رسخ هذا المجمع في الديانة البولسية التثليثية سلطة الدولة على الكنيسة، وقد أشرت لذلك من قبل في تأكيدهم أن المجامع المسكونية لا تعقد إلا بأمر الإمبراطور المسيحي، رغم أن مجمع نيقية الذي يؤسسون عليه عقيدتهم ترأسه إمبراطور وثني!!!

وعن ذلك كتب محررو الموسوعة البريطانية بشأن قرارات مجمع نيقية:

"وبعدها نفى الإمبراطورُ آريوسَ، وهو قرار مع إظهاره تضامن الكنيسة مع الدولة، فإنه أكد أهمية الرعاية العلمانية في الشؤون الكنسية"[5].

وكذلك كتب في نفس الموسوعة رجل الدين الملقب بـ(الموقر جدًا) وأستاذ اللاهوت بأكسفورد هنري تشادويك:

"لقد بدل قسطنطين تمامًا العلاقة بين الكنيسة والحكومة الإمبراطورية، وبهذا يبتدأُ عمليةً، تنتهي -في النهاية- بجعل المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية. وقد كُسِب متحولون جدد، بما في ذلك من تحولوا طمعًا في الترقي الوظيفي. ولقد واجهت الكنيسة أيضًا نوعًا من التدخل الحكومي الجديد، لما ترأس قسطنطين مجمع نيقية"[6].

وكتب المهتدي للإسلام الدكتور مراد هوفمان الإلماني:

---

4 Holy Blood, Holy Grail p: 389.

والنص الأصلي هو:

"Again, however, it must be emphasised that Constantine's paramount consideration was not piety but unity and expediency. As a god Jesus could be associated conveniently with Sol Invictus. As a mortal prophet he would have been more difficult to accommodate. In short, Christian orthodoxy lent itself to a politically desirable fusion with the official state religion; and in so far as it did so Constantine conferred his support upon Christian orthodoxy".

5 Encyclopædia Britannica, Nicaea, Council of.

والنص الأصلي هو:

"The emperor then exiled Arius, an act that, while manifesting a solidarity of church and state, underscored the importance of secular patronage in ecclesiastical affairs".

6 Encyclopædia Britannica, Christianity, The history of Christianity, The alliance between church and empire.

والنص الأصلي هو:

"Constantine completely altered the relationship between the church and the imperial government, thereby beginning a process that eventually made Christianity the official religion of the empire. Many new converts were won, including those who converted only with the hope of advancing their careers. The church was also faced by a new form of governmental interference when Constantine presided at the Council of Nicaea".

"لا تبعد المسافة كثيرًا من إستنبول حتى نيقيه (إسمها الحالي إزنك). وكلما ذهبت هناك، أصابتني رعدة في البدن بالتفكير في نتائج ما وقع في هذا المكان عام 325.

فلم تتم مناقشة الأمر في هذا المجمع بصراحة، ولكن تم فرض الرأي الإمبراطوري، وبذلك أصبح عندنا أمر إمبراطوري نتيجة لوجود خلافات وصراعات قوى، وليس رأيًا مبنيا على تفسير النصوص الدينية"[7].

ثالثًا: تقديس الإمبراطور الطاغية (حلف الكهنة والسلطان)

مر بنا شطط يوسابيوس القيصري في الغلو في الثناء على قسطنطين، ووصف أثناسيوس له بـ(الكلي التقوى)، وهذا النفاق سيستمر في تاريخ الكنيسة، فمن مثال ذلك ما حدث في مجمع خلقدونية عام 451م.

كتب الدكتور القس حنا جرجس الخضري عن ما حدث في مجمع خلقيدونية 451م، وانقلاب النواب فيه على مجمع أفسس الثاني وعلى ديوسقوروس رئيس أساقفة الإسكندرية:

"بعد ذلك أعلن نواب الإمبراطور قطع كل من ديوسقوروس الإسكندري، .... وكان االنواب يصرخون قائلين "منح الله الإمبراطور والإمبراطورة حياة طويلة"[8].

وكتب أيضًا:

"بعد ثلاثة أيام من قبول المجمع لقانون الإيمان الجديد ، اجتمع مجمع خلقدونية في 25 أكتوبر . ولقد حضر هذه الجلسة الإمبراطور مركيانوس والإمبراطورة بولخاري ، وهو الذي افتتح هذه الجلسة بإلقاء خطاب باللغة اللاتينية أولا ثم باللغة اليونانية . ولقد عبر في هذا الخطاب عن رغبته العميقة أن تشع الديانة المسيحية فتنير العالم أجم وتطهر من الضلال والهرطقات . ولذلك أمر بعقد هذا المجمع المقدس لكي يدرس ويفحص معًا الأمور المتعلقة بالإيمان بشخص يسوع ويصدر قراراته وتعاليمه حتى لا يضل فيما بعد الشعب بكثرة الأفكار والتعاليم ، بل يتبع بأمانة وتدقيق تعاليم الآباء ال 138 ثم تعاليم الآباء ال 150 وكذلك تعاليم القديس كيرلس ، وتعاليم ليون رئيس أساقفة رومه في رسالته العقائدية ، وما قرره المجمع المقدس .

وهنا ارتفعت الهتافات بطريقة غير عادية فاقت كثيرًا المرات السابقة قائلة "عاش الإمبراطور داود الجديد ، عاش الإمبراطور الذي يدافع عن الإيمان **الأرثوذكسي** ، عاشت الإمبراطورة بولخاري : هيلانة الجديدة . هيلانة وجدت صليب المسيح ، وهيلانة الجديدة (بولخاري) دافعت وتدافع عنه بإيمانها وغيرتها .. إن إيمانكما فخر الكنيسة.

وبعد أن هدأت الأصوات تقدم الشماس أتيوس (Aetius) وقرأ قانون الإيمان الجديد أو التعريف أو التحديد لتعليم مجمع خلقدونية . وبعد قراءته سأل الإمبراطور قائلًا هل قبل ووافق جميع الحاضرين منا على هذا الإقرار ؟ فصاح النواب من جديد قائلين : "كلنا نؤمن بهذا التعليم . لا يوجد إلا إيمان واحد وإرادة واحدة . كلنا نقبل هذا التعليم ، ولقد وقعنا عليه بالإجماع ، كلنا **أرثوذكسيون** ونقبل تعاليم الآباء وتعاليم الرسل .... عاش الإمبراطور مركيانوس ، داود الجديد ، بولس الثاني ، وقسطنطين الثاني . إنك سلام العالم .... عاشت الإمبراطورة ... إنكما شعاع للإيمان وحافظان وحاميان له"

قدم الإمبراطور شكره للمسيح لتوطيد السلام والوحدة الدينية ، ثم أنذر مهددًا كل من توسل[9] له نفسه أن يعرض وحدة الكنيسة لخطر الانقسام ، سوف يعرض نفسه لعقابات وقصاصات أليمة ، إكليريكيًا كان أو علمانيًا أو عسكريًا .

ثم أعلن الإمبراطور في الخاتمة رفع مدينة القسطنطينية إلى مرتبة متروبوليس إكرامًا لكنيستها التي اجتمع فيها المجمع المسكوني الرابع وإكرامًا أيضًا للشهيدة أوفيميه . وهنا تعالت الهتافات من جديد بعظمة الإمبراطور والإمبراطورة . بل إن البعض كان يصرخ قائلًا " أنت كاهن وإمبراطور (وملك) غالب ومنتصر ومعلم للإيمان"[10].

---

7 الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود ص: 157.

8 تاريخ الفكر المسيحي مج: 3 ص: 258.

9 الصواب: "تسول".

10 تاريخ الفكر المسيحي مج: 3 ص:274 و275.

وهكذا صُنِعَت العقيدة التي يسمونها (**أرثوذكسية!!!**)، وهكذا صارت الكنيسة وعقيدتها والنصرانية لعبة الملوك والأباطرة.

وكلما أراد إمبراطور أن يغير العقيدة جمع من يريد من الأحبار والرهبان والكهان، وصنع مجمعًا، وعد من يخالف قرارته مهرطقًا، ومن يوافقه **أرثوذكسيًا**.

وأذكر هنا بأن مجمع خلقدونية هذا قد قسم النصارى، وعدت كنيسة الإسكندرية قراراته هرطقة، وسال بسبب هذا الخلاف دماء عشرات الآلاف من النصارى، وقال عنه المؤرخ القبطي النصراني إسحاق نخلة روفيله:

"ولست أدري ما الفرق بين القولين غير العناد

....

ولكن أبت محبة الرئاسة والجنوح إلى الإفراد بالسلطة والسيادة ألا[11] يقوى الشقاق

....

ومن الغريب أن الأئمة الذين من واجبهم حث الناس على المواخاة والموالاة هم الذين كانوا يوغرون صدور الملوك ويحرضون الحكام على إيقاع الأذى والتنكيل بالفريق الآخر المخالف لرأيهم

....

وما دروا أنهم خلدوا لأنفسهم في التاريخ ذكرا رديئًا مقرونًا بعار لا تمحوه مرور الأيام"[12].

وكاد أن يبيد الروم الخلقدونيون نصارى القبط، لولا الفتح الإسلامي، وبسببه دخل معظم القبط في الإسلام، ثم تأتي الكنيسة التي أنقذها الفتح الإسلامي، فتنقلب على المسلمين، وتكيد لهم المكايد، وتطالب بطردهم من مصر، وتتجاهل الكنيسة أن أغلب أهل مصر هم من القبط الذين أسلموا، فبئس رد الجميل.

***

(ب) ثاني تلك القرارات هو ما يتعلق بالأسفار المنحولة (الأبوكريفا)

ففي هذا المجمع تعرض المجتمعون للأسفار الزائدة في الترجمة السبعينية للعهد القديم على الأصل العبري، وهي التي يسميها الكاثوليك (القانونية الثانية)، ويسميها البروتستانت بـ(الأبوكريفا)، فلم يقروا إلا بقانونية سفر يهوديت فقط من ضمن تلك الأسفار السبعة.

ثم تم تقرير قانونية بقية السبعة في مجامع تالية[13].

وهو يدل على أن إلهية أسفار الكتاب المقدس لدى النصارى أمر متذبذب بين الأحبار والآباء، فالكتاب المقدس اسم يختلف معناه من طائفة لأخرى، فهو عند الكاثوليك 73 سفرًا، وعند البروتستانت 66 سفرًا، وعند الأرثوذكس الأحباش 81 سفرًا، والأرثوذكس الأقباط صامتون بشأن الخلاف بين البروتستانت والكاثوليك.

وسوف أتعرض لتلك المشكلة -إن شاء الله- عند بحث (قانون الكتاب المقدس لدى النصارى)، وهي من أقوى الأدلة على تحريف كتابهم الذي يقدسونه.

***

(ج) وثالث هذه القرارات هو ما يتعلق بعيد الفصح

11 لعل الصواب: "إلا أن".

12 تاريخ الأمة القبطية ليعقوب نخلة روفيله ص: 27 إلى 29.

13 في مقارنة الأديان للشرقاوي ص: 32 و33.

فقد قرروا في مجمع نيقية 325م: أن يجعلوه في الأحد الذي بعد اليوم الرابع عشر من أول اكتمال قمري بعد الاعتدال الربيعي، مخالفين عمدًا فصح اليهود[14]، مع أن المسيح -عليه السلام- كان يفصح حسب توقيت اليهود.

وذلك إمعانًا منهم في البعد عن الشريعة الموسوية، في الوقت الذي يتقاربون فيه مع الشرائع الوثنية في أعيادهم وشعائرهم، كما بينت من قبل.

كتب ابن حزم رحمه الله- عن مخالفة النصارى للتوراة وللمسيح عليه السلام:

"**"ثمَّ هم قد نقضوا شرائع التَّوْرَاة كلهَا أَولهَا عَن آخرهَا** من السبت وأعياد الْيَهُود وَغير ذَلِك، وهم مَعَ هَذَا الْعَمَل لَا يَخْتَلِفُونَ فِي أَن الْمَسِيح وَجَمِيع تلاميذه بعده **لم يزَالُوا يلتزمون السبت وأعياد الْيَهُود وفصحهم**، إِلَى أَن مَاتُوا على ذَلِك، وَأَن الْمَسِيح إِنَّمَا أَخذ لَيْلَة الفصح، وَهُوَ يفصح على سنة الْيَهُود وشريعتهم، فَكيف هَذَا؟"[15].

***

---

14 مصادر المسيحية دراسة ونقدًا ص: 751.

Encyclopædia Britannica, Easter.

15 الفصل في الملل والأهواء واالنحل ج: 2 ص: 46.

ج- ما بعد مجمع نيقية

تعرضت فيما سبق لنشوء الحركة الآريوسية وجذورها الممتدة لعصر المسيح عليه السلام، وتعرضت لمجمع نيقية 325م والدواعي إليه ونتائجه.

ولكن هل حسم مجمع نيقية المشكلة التي نشأت بين التوجهات التوحيدية في النصرانية وبين التوجه التثليثي؟

أم أن هذا النزاع ما زال مستمرًا حتى اليوم؟

أقتبس للجواب على هذا السؤال مما كتبه البابا شنودة الثالث بطريرك الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ومن الدكتور القس حنا جرجس الخضري وهو الكاثوليكي الأصل المتحول للبروتستانتية، وكلاهما خصمان شديدان لآريوس ودعوته.

أما البابا شنودة الثالث فقد كتب:

"هرطقة آريوس: كان آريوس يُنكر لاهوت المسيح، ويرى أنَّه أقلّ من الآب في الجوهر، وأنَّه مخلوق. ومازالت جُذُور الآريوسية قائمة حتى الآن. حتى بعد أن شجبها مجمع نقية المسكوني سنة 325م، ظلّ آريوس والآريوسيون من بعده سبب تعبٍ وشقاق وشكٍّ للكنيسة المُقدَّسة"[1].

أما الدكتور القس حنا جرجس الخضري فكتب:

"وعندما حرم هذا المجمع المسكوني أريوس وأتباعه، تنفس الامبراطور قسطنطين الصعداء وظن أن الخطر الذي كان يهدد الأمبراطورية من الناحية الدينية قد انزاح. كما أن الكنيسة وخصوصا كنيسة مصر شعرت بأن هذا العقاب الذي أنزل بأريوس ومشايعيه عقاب إلهي، فقد انتصرت الكنيسة فأبواب الجحيم لن تقوى عليها[2]. ولكن للأسف الشديد فإن كثيرين من الأساقفة والآباء الذين اشتركوا في أعمال هذا المجمع عادوا إلى أبرشياتهم وكنائسهم وبدأوا من جديد ينادون بالتعاليم التي كانوا يعلمون بها من قبل هذا المجمع المسكوني. ولقد سبب هذا الأمر اضطرابات كثيرة ومعارك كرستولوجية جديدة، واجتماعات محلية ومسكونية. فلم يستطع إذن مجمع نيقية أن يحل المشكلة حلا نهائيا"[3].

وكتب:

"إن أريوس لم يكن الأول ولن يكون الأخير الذي يهاجم عقيدة لاهوت الابن. فحتى بعد موته سيقوم أريوسيوس[4] كثيرون ينهجون منهجه ويسلكون في نفس الطريق الذي سلك فيه، وينادون بتعاليمه بل ينادون بتعاليم أخرى أكثر ضلالا ... ويهاجمون التعاليم الصحيحة، وهكذا لا نقول إن الكنيسة تنقسم من جديد، بل نقول إنها تستمر في انقسامها الى أحزاب وجماعات، ينهش بعضها بعضا"[5].

وأنا أتساءل: وما هي هذه التعاليم الصحيحة في وسط هذا الخضم من صراع المجامع والأباطرة؟

وكتب أيضًا عن مشاعر الكنيسة المثلثة وقسطنطين بعد مجمع نيقية 325م:

---

1 طبيعة المسيح ص: 9.

2 يشير إلى النص الذي كتبه كاتب الإنجيل المنسوب لمتى:

"16: 17 فأجاب يسوع وقال له: "طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحمًا ودمًا لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السماوات.

16: 18 وأنا أقول لك أيضًا: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.

16: 19 وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولًا في السماوات". [نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- إنجيل متى: 16: 17 إلى 19 ص: 14].

وسيأتي -إن شاء الله- بيان النزاع الذي ثار حول هذا النص بين الكنسيين المثلثين أنفسهم، وبينهم وبين الملوك والدول القومية، عند الحديث عن عصمة البابا أو عصمة الكنيسة.

3 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 632 و633.

4 لعلها: "أريوسيون".

5 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 13 ص: 640.

"وهنا شعر الأرثوذكسيون بانتصار عظيم، لا يفوقه انتصار . وكيف لا يشعرون بانتصار عظيم . ومجمع نيقية قد سحق الهرطقة التي كانت تهدد الكنيسة كلها . كما أن الامبراطور شعر أيضا بالاطمئنان على سلامة الامبراطورية ووحدتها وأن خطر الانقسام قد زال وأن شبح المعارك الحزبية قد انزاح .

هذه هي انطباعات الامبراطور وانطباعات الكثيرين من الأساقفة الأرثوذكسيين بعد قرارات مجمع نيقية .

ولكن للأسف الشديد كانت الحقيقة الواقعة تختلف الاختلاف كله عن القرارات السنودسية والمجمعية . فقد رجع الأساقفة بعد مجمع نيقية إلى أبرشياتهم والقسوس إلى كنائسهم ن وبدأ كل منهم يعلم ما كان يعلم به قبلا. بل إن البعض تطرف في الهرطقة التي فاقت هرطقة أريوس نفسه . فمع أن أريوس وبعض أتباعه نفوا،إلا أن الأريوسية بنت عشها في حدائق كثيرين من الأساقفة والرعاة.

وهكذا بدأت غيوم الانشقاق تصعد من جديد في جو الكنيسة ، فعكرت صفاءها وشوهت شهادتها ، وحجبت عنها جزئيا شمس البر والتمتع بنوره ، فإن الأحزاب التي كانت في مجمع نيقية ، ظهرت من جديد بعد هذا المجمع ، واستأنفت نشاطها مستغلة كل الوسائل للوصول إلى نشر تعاليمها وهدم تعاليم الأحزاب الأخرى".

إذن هذا اعتراف صريح وإقرار واضح بأن أغلب من وافقوا على عقيدة مجمع نيقية 325م، قد وافقوا خلاف ما يعتقدون، إما رغبة أو رهبة. وأن ما وافقوا عليه لم يكن أبدًا -كما تصوره الكنيسة البولسية المثلثة- شبه إجماع من آباء الكنيسة. بل كان خضوع شبه تام لإرادة الإمبراطور. كما سيتضح فيما يلي إن شاء الله.

وكتب أيضًا وهو يعرض لما يسميه (هرطقة) أبولناريوس[6]:

"فكما سبق أن رأينا أن الكنيسة انقسمت بعد مجمع نيقية إلى أحزاب وجماعات ومدارس ، وكان سبب الانقسام هو نفس السؤال الذي طرحه المسيح على تلاميذه . " من يقول الناس إني أنا ابن الانسان ؟ " فإن الذين كانوا يتمسكون بقانون الايمان النيقوي وعلى رأسهم أسقف الاسكندرية علموا بأن الجواب على هذا السؤال هو : " أنت هو المسيح ابن الله الحي ؟ "من ذات جوهر الآب متساو مع الآب في الجوهر". والذين لم يقبلوا قانون إيمان نيقية انقسموا إلى أحزاب ، فالبعض رأى في المسيح نبيا والبعض الآخر رأى فيه ابنا لله لا بالطبيعة بل بالتبني ، أي أن الله تبنى يسوع المسيح وبناء على ذلك فقد رفعه الله الى أعلى درجات المجد والعظمة ... فالصراع العقائدي الذي كان يسيطر على الأحزاب المتعارضة في ذلك الوقت تلخص في عدم الاتفاق على جوهر المسيح فيما إذا كان من نفس جوهر الآب أو من جوهر آخر ، وفيما إذا كان مخلوقا كبقية الخلائق أم هو نفسه الخالق والأزلي الذي لا بداية له وأن بنوته معاصرة تماما لأبوة الآب . هذه هي الأسئلة والمشاكل التي تعرضت لها الكنيسة بعد مجمع نيقية .

....

ولقد حاول الأسقف اللاذقي أن يستفيد من هذه النظرية الأفلاطونية لكي يحل بها المشكلة اللاهوتية التي كانت تمزق الكنيسة"[7].

والذي لا يريد أن يعترف به هؤلاء المثلثون؛ هو أن الذي مزق -ويمزق وسيظل يمزق- الكنيسة هو إصرارهم على مخالفة التوحيد الذي جاء به أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام: آدم ونوح وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وهو أن الله هو الواحد الأحد الخالق، وأن ما سواه مخلوق له مربوب.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

---

6 كان يرى أن الأقنوم الثاني (الكلمة) حل في المسيح -عليه السلام- محل روحه البشرية.

7 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 4 ف: 15 ص: 667 و668.

يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[8].

هذا التعامي عن هذه الحقيقة الأساسية في الكون هو الذي دفعهم لمحاولة تبرير المغالطة الباطلة:

أن 1+ 1+ 1= 1، أو أن 3 x1 =1.

ولذلك سيظلون يتخبطون، وهم عبثًا يحاولون حشر هذه المغالطة في أذهان أتباعهم.

ورحم الله ابن تيمية حين قال:

"النَّصَارَى غَلِطُوا فِي أَوَّلِ مَسْأَلَةٍ مِنْ الْحِسَابِ الَّذِي يَعْلَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ الْوَاحِدُ ثَلَاثَةٌ"[9].

***

وبعد هذا الجواب المجمل عن الخلاف الذي استمر بعد مجمع نيقية 325م، أوجز هنا بعض تفاصيل ذلك الخلاف:

- ما بعد مجمع نيقية 325م إلى وفاة قسطنطين 337م.

- لم يستسلم الآريوسيون إلى العقيدة التي فرضها الإمبراطور قسطنطين في مجمع نيقية 325م، وظلوا يقاومون حتى استطاعوا في عام 328م جعل الإمبراطور يعيد آريوس وأشياعه إلى كنائسهم[10].

وعن ذلك كتب ول ديورانت:

"في القرن الرابع الميلادي كانت الشؤون الكنسية، في عالم البحر المتوسط الذي تعتمد فيه الدولة اعتماداً كبيراً على الدين، قلقة مضطربة إلى حد شعرت الحكومة معه أن لا بد لها من أن تتدخل في أسرار الدين وخفاياه. ذلك أن مجمع نيقية الذي عقد في عام 325 لم يضع حداً للنقاش الحاد الذي احتدم أواره بين أثناسيوس وأريوس، بل ظل كثير من الأساقفة -كانوا هم الكثرة الغالبة في الشرق- يناصرون أريوس، سراً أو جهراً؛ أي أنهم كانوا يرون أن المسيح ابن الله، ولكنه لا يشترك مع الأب في مادته ولا في خلوده. ولم يستنكف قسطنطين نفسه، بعد أن قبل قرار المجمع، وطرد أريوس من البلاد، أن يدعوه إلى اجتماع شخصي معه (331)؛ فلما أجتمع به لم يجد في أقواله ما يستطيع أن يعده خروجاً على الدين، وأوصى بأن ترد إلى أريوس وأتباعه كنائسهم. واحتج أثناسيوس على ذلك، فاجتمع في صور مجلس من أساقفة الشرق وقرر خلعه من كرسي الإسكندرية الديني (335)، وظل عامين طريداً في غاله. أما أريوس فقد زار قسطنطين مرة أخرى، وأعلن قبوله للعقيدة التي قررها مؤتمر نيقية بعد أن أضاف إليها تحفظات دقيقة لا ينتظر من إمبراطور أن يفهمها. وآمن قسطنطين بأقواله، وأمر الإسكندر بطريق القسطنطينية أن يقبله في العشاء الرباني"[11].

ويرى الدكتور سعيد عبد الفتاح عشور أن السبب في هذا التحول؛ هو بقاء المذهب الآريوسي قويًا في الشرق، وأن قسطنطين كان يعتزم على نقل عاصمته إلى القسطنطينية، كما وقع فعلًا عام 330م، ولذا جنح لاسترضاء أهالي الجزء الشرقي من الإمبراطورية، وأن هذا يؤكد الرأي القائل بأن قسطنطين كان على استعداد لتغيير ميوله الدينية وفق ما تتطلبه مصالحه السياسية.

فقط ظل يؤيد المذهب الأثناسيوسي طالما كانت عاصمته في الغرب، ولكنه عندما شرع في نقل عاصمته للشرق، لم يجد غضاضة من أن يغير عقيدته نحو المذهب الآريوسي[12].

---

8 سورة الأنبياء، آية: 25 إلى 29.

9 الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج: 6 ص: 590.

10 طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 21.

11 قصة الحضارة ج: 12 ص: 19.

12 تاريخ أوروبا في العصور الوسطى لسعيد عبد الفتاح عاشور ص: 41.

- وفي ذلك الوقت كان أثناسيوس قد تولى كرسي الإسكندرية بعد ألكسندر، وقد اعترض على توليه كرسي كنيسة الإسكندرية 35 أسقفًا من مختلف أنحاء مصر، يتزعمهم ميليتوس أسقف أسيوط، الذي استمر على موقفه، حتى توفي عام 330م، ثم خلفه في رئاسة حزبه يوحنا أركاف، الذي اشتهر بعدائه لاثناسيوس[13].

وقد انشق ميليتوس عن كنيسة الإسكندرية عند تولي أثناسيوس لكرسي البطركية، وصحبته مجموعة من رجال الدين الآريوسيين والشعب القبطي، وسموا أنفسهم (كنيسة الشهداء)، واستمر أتباعه في الوجود لقرابة القرن الثامن الميلادي[14].

ولا أستبعد أن يكونوا من القبط الآريوسيين، الذين أسلموا، وتعاونوا مع جيش الفتح الإسلامي، الذي وقع في القرن السابع الميلادي (640- 642م)، كما سيأتي إن شاء الله.

- وبعد قرار قسطنطين بإعادة آريوس ورفاقه قام يوسابيوس القيصري وتيوغنسي أسقف نيقية بعقد مجمع في أنطاكية عام 329م،

حكم على بعض الأساقفة الأرثوذكسيين بعزلهم من أسقفيتهم، وكذلك حكم بتثبيت معتقد آريوس وبوجوب الاشتراك معه في الخدمة.

- وقد أحدث الآريوسيون القلاقل في مصر بتشجيع أنصار ميليتوس الأسيوطي، وكان صوتهم عاليًا يتناسب وقوتهم، فقد كان أكثر أهل مصر آريوسيين، فغلبوا على كنائس مصر والإسكندرية وأخذوها .. ووثبوا على أثناسيوس بطريرك الإسكندرية ليقتلوه، فهرب منهم واختفى[15].

***

- ومن الأحداث المهمة في هذه المدة أن قسطنطين بعد أن أمر بحرق كل كتب آريوس وكل ما يخالف العقيدة الأرثوذكسية التي أختارها في مجمع نيقية، سواء كانت من كتابات (الهراطقة) النصارى أو حتى من كتابات الوثنين عن سيدنا عيسى عليه السلام، بعد هذا أمر ومول -في عام 331م- نَسْخَ نُسَخًا جديدة من الكتاب المقدس لدى النصارى. وذكرت ا.ل. بتشر أنها كانت خمسين نسخة، وأمر بتوزيعها على الكنائس[16].

ويرى كُتاب كِتاب (Holy Blood, Holy Grail -الدم المقدس الكأس المقدس): أن هذا القرار يعد واحدًا من أكثر العوامل الحاسمة في تاريخ المسيحية، وأنه أمد المسيحية الأرثوذكسية (كنيسة الرأي القويم!) بفرصة لا تعوض.

لأنه في عام 303م، أي قبل ربع قرن، قام الإمبراطور الوثني دقلديانوس بتدمير كل الكتابات المسيحية، التي استطاع أن يصل لها. وبالتالي فإن الأسفار المسيحية -وخاصة في روما- تم إعدامها. فلما قرر قسطنطين إصدار نسخ جديدة من تلك الأسفار تمكن (حراس الأرثوذكسية) من مراجعة وتحرير وإعادة كتابة موادهم في الصورة التي يرونها مناسبة، طبقًا لمراميهم وأغراضهم.

وكانت هذه هي المدة التي تم فيها غالبًا إدخال معظم التعديلات الأساسية في العهد الجديد، ولذا لا يمكن إغفال أهمية ما أقدم عليه قسطنطين، لأنه لا توجد مخطوطة -من الخمسة آلاف الباقية للعهد الجديد- يرجع تاريخها لما قبل القرن الرابع الميلادي.

ولذا فإن العهد الجديد -كما هو موجود الآن- ما هو إلا نتاج ما قام به المحررون والكتاب (حراس العقيدة!)، ليحافظوا به على مصالحهم وأغراضهم[17].

---

13 طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 21 و22.

14 Encyclopædia Britannica, Meletius of Lycopolis.

15 طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 23.

16 تاريخ الأمة القبطية لبتشر مج: 1 ص: 233.

17 Holy Blood, Holy Grail p: 389 & 390.

***

- ولما اشتدت الأزمة بين أثناسيوس والآريوسيين لم ير الإمبراطور أمامه من حل سوى عقد مجمع من الأساقفة في قيسارية عام 334م، ودعا أثناسيوس للاشتراك فيه، فلم يحضر.

- وأخيرًا قرر الإمبراطور عقد مجمع في صور عام 335م، وحتم على أثناسيوس حضوره، فحضر، وكذلك حضره كثيرون من الأساقفة الذين حضروا مجمع نيقية المسكوني الأول. وقد احتدم الجدل حتى بلغ حد العنف، وامتدت الأيدي إلى أثناسيوس بالضرب، حتى كاد أن يهلك، لولا تدخل مندوب الإمبراطور. وأخيرًا أصدر المجتمعون قراراتهم بخلع أثناسيوس من منصبه وقبول الميليتيين في الكنيسة. وقد أعدوا العدة لدفن قرارات مجمع نيقية. وقد دعاهم الإمبراطور إلى القسطنطينية للمداولة وهناك نجحوا في جعله يقرر نفي أثناسيوس إلى تريفس في جنوب غرب فرنسا.

***

- <u>نشاط الآريوسيين بعد وفاة قسطنطين إلى ظهور الإسلام:</u>

قسم قسطنطين الإمبراطورية بين أولاده الثلاثة: قسطنس الذي تولى الأقاليم الشرقية كلها، وقسطنطينوس الذي اختص بإيطاليا وأفريقيا، ثم قسطنطين الصغير الذي تولى فرنسا وأسبانيا وبريطانيا.

- وبعد وفاة الإمبراطور عاد أثناسيوس إلى الإسكندرية عام 338م، فثار عليه الآريوسيون ثم عقدوا مجمعًا في أنطاكية عام 340م حكموا فيه بعزل أثناسيوس من كرسي كنيسة الإسكندرية.

- وقد اشتد نفوذ الآريوسيين في عهد قسطنطينوس، الذي وافق على طلبهم بتعيين جريجوريوس أسقفًا على الكرسي الإسكندري. وقد اضطر أثناسيوس إلى الهرب إلى روما عام 340م.

- وفي عام 341م عقد في أنطاكية مجمع حضره 97 أسقفًا شرقيًا، سنوا مجموعة من القوانين تتفق والآريوسية، وترفض أفكار أثناسيوس التي كان يعبر عنها بأقوال لا تخضع لأي منطق معقول، مثل قوله: "الآب إله، والابن إله، والروح القدس إله، ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد. كذلك الآب رب، والابن رب، والروح القدس رب، ولكن ليسوا ثلاثة أرباب، بل رب واحد. لهذا في جميع الأمور المذكورة ينبغي أن يعبد الثالوث في وحدانية، والوحدانية في ثالوث، فمن أراد أن يخلص فعليه أن يعتقد هكذا بالثالوث".

- وأخيرًا قرر قسطنطينوس -تحت تأثير شقيقه قسطنس- إعادة أثناسيوس إلى كرسي الإسكندرية. وقَبْلَ أن يعود طلب منه قسطنطينوس أن يسلم الآريوسيين إحدى كنائس الكرسي الإسكندري، فأجاب طلب الإمبراطور مشترطًا أن يتنازل الآريوسيين الأنطاكيون عن كنيسة من كنائسهم إلى الأرثوذكسيين. ولما علم الأنطاكيون بهذا الاتفاق أبوا إلا الإصرار على خلع أثناسيوس. لكن القيصر أعرض عنهم، وأطلق سراح أثناسيوس، الذي عاد إلى الإسكندرية عام 346م.

- وقاوم الآريوسيون عودة أثناسيوس، وحدثت اضطرابات عقد على أثرها مجمع في مدينة آرلس بفرنسا عام 353م، تقرر فيه خلع أثناسيوس من أسقفيته، وقد وقع على هذا القرار جميع الأساقفة الذين تشكل منهم المجمع ما عدا بولين أسقف تريفس، وكان في مقدمة الموقعين أسقف رومية، وأسقف كابو وأسقف كمبانيا بإيطاليا، اللذان أحدثا بتوقيعهما على هذا القرار ضجة كبيرة في الغرب.

- ثم أرسل ليباريوس (أسقف رومية) وفدًا إلى الإمبراطور، ليقنعه بوجوب عقد مجمع آخر، يعيد النظر في قرارات مجمع آرلس، فتم له ذلك، وانعقد المجمع سنة 355م في مدينة ميلانو بإيطاليا، وكان مؤلفًا من ثلاثمائة أسقف جلهم آريوسيون، حكموا بخلع أثانسيوس عدا نفر يسير منهم.

- وقد كلف الإمبراطور والي مصر بإخطار أثناسيوس بحكم النفي الصادر ضده وتحويل الغلال التي كانت توزع على فقراء الأرثوذكسيين إلى كنائس الآريوسيين، فأبى أثناسيوس أن يترك الإسكندرية حتى يتلقى أوامر الإمبراطور رأسًا.

فغضب الوالي لذلك واضطر إلى استخدام القوة التي أجبرت اثناسيوس على الفرار عام 356م، وتولى الأسقف جاورجيوس الآريوسي مكان أثناسيوس على الكرسي الإسكندري.

- وفي عام 357م عقد الآريوسيون مجمعًا في مدينة سرميوم في جنوبي فرنسا برئاسة الأسقفين الغربيين أورزاس وفالانس، وحضره الإمبراطور قسطنطينوس بنفسه. وقد وضع ذلك المجمع صورة إيمان جديدة أنكر فيها مساواة الابن لأبيه في الجوهر.

- وفي عام 359م عقد الإمبراطور مجمعين: أولهما في مدينة ريمني، وخصه بالغربيين، والثاني في مدينة سلوقية بسوريا حضره من أساقفة مصر الآريوسيين عشرة، وقد خص الإمبراطور هذا المجمع بالشرقيين، فأيد كلاهما الآريوسية كل التأييد. وهكذا باتت الكنيسة الغربية كلها آريوسية[18].

ويؤكد هذا الأمر القُمُّص متَّى مُرجان، حيث كتب منتقدًا الكنيسة الغربية:

"ويتَّضِح لنا ممّا دوَّنه الأنبا كيرلُّس مقار، بطريرك الأقباط الكاثوليك سابقاً، في كتابه "الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة" إذ قال: "إنَّ الكنيسة الغربية قد جحدَت الإيمان الأرثوذكسي بعد أن أصدره وصوَّره إيمان نقية، وانفصلت عن شركة القدِّيس أثناسيوس، أخذت في صكِّ البدعة الآريوسية، وارتمت في أحضان الأساقفة الآريوسيين أنفسهم، على أنَّ الكنيسة الغربية لم تجحد الإيمان مرَّة واحدة، ولكن ثلاث مرّات: الأولى: سنة 351م، عندما خرج عدد كبير من الأساقفة الغربيين عن إرادة الإمبراطور قسطنطين، وحكموا على القدِّيس أثناسيوس بنفيه باطلاً. الثانية: سنة 355م، في مجمع ميلانو، حيث صدَّق 300 أسقف غربي على خلع القدِّيس أثناسيوس، وقُبُول الآريوسيين في شركة الكنيسة، وفضَّل القدِّيس أثناسيوس العذاب والألم والنَّفي على جحد الإيمان المُستقيم. الثالثة: سنة 356م، في مجمع ريمتي[19] الشَّهير، والذي حضره 400 أسقف غربي، وآل الأمر بهم إلى جحد الإيمان النيقاوي، والتَّوقيع على خلع أثناسيوس، والاعتراف بالآريوسيين، حتى أنَّ ليباريوس أسقف الكنيسة الغربية كلها، لكي يعود إلى كرسي روميه، والذي كان منفيًّا عنه سنين، جحد إيمان نقية، وقطع القدِّيس أثناسيوس من شركة الكنيسة، واعتنق الآريوسية. وقال عنه القدِّيس أيرونيموس في كتابه "مشاهير الرِّجال" إنَّ ليباريوس سَئِم المنفى، وضجِر من الوحدة، فوَقَعَ على الكُفر الآريوسي، ودخل رومية بعد ذلك الجهد، ظافراً مُنتصراً كما اعتقد"[20].

وقد تسبب مجمع ريمني الغربي في تعديل صيغة مجمع نيقية، وأعلن لواء الآريوسية في العالم المسيحي كله. وفي عام 361م قام الآريوسيون بعقد مجمع في أنطاكية، ووضعوا فيه صيغة إيمان جديدة تعلم أن: الابن غريب عن أبيه، مختلف عنه في الجوهر والمشيئة. وقد تثبتت هذه العقيدة في مجمع انعقد بالقسطنطينية في نفس تلك السنة، وقام الآريوسيون بنشرها في أنحاء العالم. ووضعوا سبعة عشر قانونًا للإيمان تخالف قانون مجمع نيقية[21].

وهذا ما أكده جي إف ماثيوس[22] ودونالد ماكجيليفراي نيكول[23] في الموسوعة البريطانية، حيث كتبا:

"في الحقيقة إن الآريوسية كانت هي فعليًا الأرثوذكسية الرسمية في الإمبراطورية الشرقية لأكثر من 40 سنة بعد موت قسطنطين"[24].

وكتب ول ديورانت:

---

18 طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 22 إلى 28.

19 لعل الصواب: "ريمني".

20 أرثوذكسيَّتي تُراث وعقيدة وحياة ج: 2 ص: 59 و60.

21 طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 28.

22 أستاذ التاريخ الروماني الوسيط والمتأخر بجامعة أكسفورد.

23 أستاذ التاريخ البيزنطي والإغريقي المعاصر بجامعة لندن.

24 Encyclopædia Britannica, Constantine I, Commitment to Christianity.

"وأتى على المسيحية نصف قرن من الزمان لاح فيه أنها ستؤمن بالتوحيد وتتخلى عن عقيدة ألوهية المسيح"[25].

- وفي عام 361م تولى جوليان الملقب بـ(المرتد- Julian the Apostate) -ابن شقيقة قسطنطين الأول- عرش الإمبراطورية، وكان وثنيًا معاديًا للمسيحية، فأعاد الأساقفة المنفيين -ومنهم أثناسيوس- إلى كراسيهم، ولم يفعل ذلك حبًا في مذهب التثليث، بل لكي يضرب النصارى بعضهم ببعض، ثم انقلب على المسيحيين كلهم، وهدم الكنائس وسلبها، وسلمها للوثنيين، ونفى أثناسيوس وغيره من الأساقفة، وأعاد عبادة الأصنام، وقدم القرابين لها[26].

- ثم خلفه بعد موته يوبيانوس عام 363م، وكان معاديًا للآريوسية، ففرض عقيدته على الإمبراطورية كلها، وأقام على الولايات حكامًا مسيحيين مثلثين، وحرم عقائد الآريوسيين.

وكتب إلى أثناسيوس يثني عليه ويدعوه إلى اقتلاع جذور الآريوسية، ثم كتب له ثانية: "أن يوقفه على حقيقة الدين المسيحي والعقيدة النيقوية، فأجابه أثناسيوس إلى طلبه، وشرح له العقيدة الأرثوذكسية".

لقد اعتنق يوبيانوس عقيدة يجهلها، وبعد أن قاتل في سبيلها رجع ليتعلمها[27]!!

- وعندما تولى الإمبراطور ثيودوسيوس الحكم (379- 395م) أعلن نهائيًا عدم شرعية المذهب الآريوسي في مجمع القسطنطينية سنة 381م، وفرض عقوبات مشددة على أتباع المذهب الآريوسي في جميع أنحاء الإمبراطورية[28].

رغم أن قيادة الكنيسة ومعظم الشعب في القسطنطينية كانت أريوسية عند اعتلائه العرش[29].

وينقل الأستاذ فاضل سليمان عن جون ديفنبورت من كتابه

(عذرًا محمد والقرآن- An Apology for Mohamed & the Quran) ص: 160: أن عدد النصارى الموحدين الذين قتلتهم الكنيسة بلغ أكثر من اثني عشر مليونًا:

"لهذه الأسباب كان الإيمان الأعمى مطلوبا، ولهذا السبب أعدمت الكنيسة اثني عشر مليونا من النصارى الموحدين الـUnitarians بوصفهم هراطقة في محاكم التفتيش السيئة السمعة"[30].

وأعلن ثيودوسيوس رسميًا باسمه وباسم شريكيه في الحكم الإمبراطورين جراتيان (Gratian) وفالنتانيان الثاني (Valentinian II) تسمية الكنيسة بالكاثوليكية، وتسمية الآريوسيين بالهراطقة.

ومن عام 380م إلى 395م تم إصدار خمسة عشر قانونًا ضد الآريوسيين، قضت بمختلف العقوبات، ومنها الإعدام، فقتلت بناء عليها أعداد كثيرة، وكان من عادة الرومان قتل أعدائهم برميهم للسباع الجائعة.

وتذكر كل كتب التاريخ المذبحة البشعة التي قام بها الإمبراطور ثيودوسيوس ضد الآريوسيين، وقتل فيها 15000 آريوسي في مدينة سالونيكا (بمقدونيا حاليًا)[31].

***

يتضح مما سبق:

- أنه حتى عام 361م عقد أكثر من 12 مجمعًا نصرانيًا[32]، وكان الصراع فيها يدور بين تيارين عقيدين:

---

25 قصة الحضارة ج: 12 ص: 20.

26 Encyclopædia Britannica, Julian, Policies as emperor.

طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 31.

27 طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 31 إلى 33.

28 تاريخ أوروبا في العصور الوسطى لسعيد عبد الفتاح عاشور ص: 42.

29 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 81.

30 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 70.

31 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 75 و76.

32 طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 29.

= تيار يرى بأن المسيح -عليه السلام- مخلوق، وليس من جوهر الله سبحانه وتعالى، وليس مساويًا له.

= وتيار يرى أن المسيح -عليه السلام- من نفس جوهر الله ومساو له، وأنه إله ورب، ومع ذلك هو مع الآب وروح القدس إله واحد.

- وكانت الآريوسية هي عقيدة الغالبية العظمى من المسيحيين سواء شيوخ الكنائس أو عامة الشعب، من قبل أن تعلن المسيحية دينًا للدولة، ومن بعد ما أعلنت. وما أن جاء منتصف القرن الرابع الميلادي حتى كانت الآريوسية عقيدة العالم المسيحي شرقه وغربه[33].

- ترجع كل المصائب التي لحقت بالعقيدة المسيحية وحولتها من التوحيد إلى التثليث إلى تدخل الأباطرة الرومان، الذين كان همهم الأول والأخير تثبيت حكمهم وفرض السلام في الإمبراطورية بمختلف الوسائل، ومن بينها تطويع الدين لخدمة هذه السياسة[34].

- وأن معظم العقائد النصرانية كانت تنشأ من اقتناع مجموعة من الرهبان والقسس بفكرة فلسفية -لا أصل لها في الكتاب المقدس لدى النصارى- يسعون لنشرها، فتنشأ مشكلة، فيسعى كل فريق لاستمالة الإمبراطور، الذي يعقد مجمعًا يفرض فيه رأيه، ويلعن المخالفين.

وهكذا تطورت عقائد النصارى، وتشعبت وافترقت!!!

***

ورغم ذلك الاضطهاد استمرت الآريوسية في الانتشار، ففي سنة 341م -أي بعد خمس سنوات على وفاة آريوس- اختار الملك (أوزيت دي نيكوميدي) المبشرَ القوطي فلولفيلا ليكون مطرانًا للنصرانية الآريوسية، ثم دخلت هذه النصرانية الآريوسية إلى إليري على نهر الدانوب، وكذلك اعتنقتها أغلبية الشعوب الجرمانية.

وفي شبه الجزيرة الأيبرية -أسبانيا والبرتغال- القريبة من شمال إفريقيا -الذي كانت تنتشر فيه الآريوسية- انتصر الملك أوريك سنة 476م للآريوسية، وقطع علاقاته بالإمبراطورية البيزنطية، فانتشرت الآريوسية في شبه الجزيرة الأيبرية[35].

وكتب الأستاذ فاضل سليمان:

"تذكر موسوعة تاريخ العالم أن العقيدة الأريوسية أصبحت العقيدة الوطنية للقبائل الجرمانية، التي انتقلت من القوط Goths إلى الوندال Vandals وغيرهم من القبائل. حتى أصبحت إيطاليا في القرن الخامس والسادس في معظمها أريوسيين لوجود قبائل الأوستروقوط (Ostrgoths القوط الشرقيين) وأسبانيا كذلك لوجود الفيزيقوط (Visigoths القوط الغربيين) وشمال أفريقيا أيضا لوجود قبائل الوندال، ثم تستطرد الموسوعة:

"أعادت قبائل بربرية أخرى وهي اللومبارد Lombards العقيدة الأريوسية لإيطاليا عند نهاية القرن السادس بعد كبتها من معظم المناطق نتيجة للحملة النشطة التي قام لها الأورثوذوكس بقيادة الإمبراطور المثلث جوستنيان Justinian، أما في أسبانيا الفيزيقوطية Visigothic Spain تحول الملك ريكارد من الأريوسية إلى الكاثوليكية (الأورثوذوكسية) عام 589م وبدأ في اضطهاد الأريسيين (الموحدين) ولكن بقاياهم ظلت موجودة في أسبانيا حتى انتصار المسلمين في 711م أي مرور أربعة قرون منذ اجتماع مجمع نيقية عام 325م".

وكان اعتناق القبائل الجرمانية للآريوسية سببا آخر لاضطهاد الآريوسيين في المقاطعات المختلفة للإمبراطورية؛ لأن ذلك جعلهم يبدون كخونة للدولة بالإضافة لاعتبارهم هراطقة، حيث كانت القبائل الجرمانية عدوا تاريخيا للدولة الرومانية"[36].

---

33 طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 29.

34 طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص: 29.

35 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم- تذييل الدكتور محمد عمارة ص: 180.

36 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 83 و84.

وكتب بطرس البستاني:

"وبقيت التعاليم الاريوسية ممتدة في اسبانيا والولايات الجرمانية أكثر من 300 سنة"[37].

- وكذلك قبائل الفرنجة في فرنسا وألمانيا دخلت المسيحية على عقيدة آريوس، وقد نقل المهندس أحمد عبد الوهاب عن المبشر ستيفن نيل (Stephen Neil) من كتابه (A History of Christian Missions) ص: 58 إلى 60:

"لقد شهدت نهاية القرن الخامس في فرنسا حادثا اعترف بحق أنه احدى نقط التحول في التاريخ المسيحي ، ألا وهو تعميد كلوفيس ملك الفرنجة مسيحيا .

لقد تعمد يوم عيد الميلاد عام 496 ومعه ثلاثة آلاف من مقاتليه . لقد كان غالبية البرابرة الذين تحولوا الى المسيحية على مذهب آريوس .

كذلك فان بعض الغزاة من (الهون والقوط) قد أصبحوا مسيحيين قبل دخولهم الامبراطورية الرومانية ، على الرغم من أن أكثريتهم قد أعلنت ايمانهم بالصيغة الآريوسية للعقيدة المسيحية"[38].

***

- نصارى موحدون في زمن الفتح الإسلامي

ورغم الاضطهاد الذي مارسه النصارى المثلثون ضد النصارى القائلين بالوحدانية وبأن عيسى -عليه السلام- بشر مخلوق، رغم ذلك الاضطهاد، فقد بقيت منهم بقايا، حتى ظهر نور الإسلام فأسرعوا مع أمم الشرق للدخول فيه أفواجًا بالملايين.

- فمنهم ورقة بن نوفل، أخرج البخاري رحمه الله- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ،

....

فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ"،

....

فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي". فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ"، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ"[39].

- ومن ذلك خبر هرقل لما جاءته رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو خبر مروي في كتب السنة بالأسانيد الصحيحة، التي لا تعرفها النصارى، ولا تطمع فيها، فإنما كتبهم مقالات متداولة، فقدوا أصولها، ولا يعرف من قالها، ولا من نقلها، ولا من نسخها.

أخرج الإمام البخاري رحمه الله- عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ:

---

37 دائرة المعارف لبطرس البستاني ج: 1 باب الألف- آريوس ص: 67.

38 اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية ص: 112.

39 صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: حديث عائشة: أول ما بدئ به -صلى الله عليه وسلم- من الوحي- حديث رقم: 3 ج: 1 ص: 14 و15، صحيح مسلم- كتاب: الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- حديث: رقم 160 ج: 1 ص: 83.

"أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي المُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ.

....

قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ. فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا.

....

وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ. وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ. ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ". وَ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

....

وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ، صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ، سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ، أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ، قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا اليَهُودُ، فَلاَ يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ، فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ اليَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ، أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لاَ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ العَرَبِ، فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي العِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ"[40].

وفي رواية:

---

40 صحيح البخاري-كتاب: بدء الوحي- باب: حديث أبي سفيان عند هرقل والكتاب النبوي إلى هرقل- حديث رقم: 7 ج: 1 ص: 16، صحيح مسلم-كتاب: الجهاد والسير- باب: كِتَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ- حديث رقم: 1773 ج: 2 ص: 849.

"سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ: "أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاَةِ، وَالصِّدْقِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ". قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ"[41].

وهذا بفضل الله حديث صحيح بروايات وأسانيد صحيحة، وفيه دلالة على أن هرقل كان يعتقد بأن ما دعا له النبي -صلى الله عليه وسلم- حق، وأنه رسول من عند الله، وأن هذا الأمر كان يوافق فيه هرقل غيره.

- ومنهم النجاشي أصحمة ملك الحبشة، أخرج الإمام أحمد -رحمه الله- عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها:

" قَالَتْ: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ، النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللهَ لَا نُؤْذَى، وَلا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ، ....، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ،

....

فَقَالا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمِ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ،

....

قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَاهُمْ .... فَلَمَّا جَاءُوهُ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ. قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ (كهيعص)، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلا أُكَادُ. قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لَأُنَبِّئَنَّهُمْ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ، .... قَالَ: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ. قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلِ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ. قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، .... فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ. قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ"[42].

---

41 صحيح البخاري- كتاب: الشَّهَادَاتِ- باب: مَنْ أَمَرَ بِإِنْجَازِ الوَعْدِ- حديث رقم: 2681 ج: 2 ص: 262.

42 قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: "إسناده صحيح". [مسند أحمد- مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين- حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو حديث الهجرة- حديث رقم: 1740 ج: 2 ص: 354 إلى 360].

فهذا الخبر الصحيح بالإسناد الصحيح يدل على أن النجاشي أصحمة وأساقفته -الحاضرين معه في المجلس- كانوا يعتقدون بالتوحيد، وبأن سيدنا عيسى -عليه السلام- عبد مخلوق أرسله الله.

ولذلك كتب الإمام ابن القيم رحمه الله:

"وَقَالَتِ الْآرْيُوسِيَّةُ مِنْهُمْ، وَهُمْ أَتْبَاعُ آرِيُوسَ: إِنَّ الْمَسِيحَ عَبْدُ اللَّهِ كَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَهُوَ مَرْبُوبٌ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ. وَكَانَ النَّجَاشِيُّ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ"[43].

وموقف النجاشي أصحمة من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المهاجرين إليه -رضي الله عنهم- أمر ثابت تاريخيًا. فقد آواهم وحفظهم وأعانهم.

- وقد ذكرت من قبل في الرد على كتاب لويس شيخو (النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية) قدوم وفد من نصارى الحبشة إلى حضرة النبي -صلى الله عليه وسلم- بمكة، وأنهم آمنوا به وصدقوه.

- وعند وصول جيش الفتح الإسلامي لمصر، كان فيها آريوسيون مضطهدون من قبل الرومان، وكذلك من النصارى القبط الأرثوذكس، ونجد في كتاب الأسقف يوحنا النقيوسي -المعاصر للفتح الإسلامي- (تاريخ مصر) عدة شهادات على وجود الآريوسيين، وعلى انضمامهم للمسلمين، بل نجد أيضًا عدة شهادات على انضمام أعداد من القبط النصارى الأرثوذكس ومن الوثنيين للمسلمين.

مع العلم أن يوحنا النقيوسي لا يخفي عداءه للمسلمين، ويصف حضرة النبي -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين بألفاظ سيئة، ولكن الحقيقة تأبى إلا أن تظهر من عباراته.

= فينقل عنه الدكتور محمد عمارة من كتابه (تاريخ مصر) ص: 120:

"تعليم الآريوسيين الأشرار"[44].

= وينقل عنه من ص: 123، وهو يمدح الملك أرقاديوس (395- 408م) الذي قضى على ثورة جايناس:

"الخارج على الشريعة والمنتمي لجماعة الأريوسيين الأنجاس"[45].

= ونقل عنه وهو يكتب عن الوثنيين والمسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام وكانوا مخالفين لعقيدة طائفته الأرثوذكسية القبطية:

=- من ص: 197، وهو يصف وصول المسلمين لحصن بابليون:

"وعندما وصل هؤلاء المسلمون مع المصريين الذين جحدوا عقيدة المسيحية، وانضموا إلى عقيدة هذا المفترس"[46].

وهذا الوصف "المفترس" يقصد به حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هو جزاء إحسان المسلمين للقبط النصارى، الذين كاد النصارى الروم أن يبيدوهم.

=- ومن ص: 222، وهو يتحدث عن الوثنيين والمسيحيين المخالفين لطائفته، الذين قاتلوا المسيحيين الرومان، ولم يقصد طائفته الأرثوذكس، لأن المسلمين لم يقاتلوهم:

وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق، فقد روى له مسلم متابعة، وهو صدوق حسن الحديث إلا أنه مدلس، لكنه هنا صرح بالتحديث فانتفت شبهة تدليسه. [مسند الإمام أحمد بن حنبل- مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى 1421هـ- 2001م ج: 3 ص: 268].

43 هداية الحيارى ج: 2 ص: 536.

44 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم- تذييل الدكتور محمد عمارة ص: 169.

45 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم- تذييل الدكتور محمد عمارة ص: 169.

46 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم- تذييل الدكتور محمد عمارة ص: 170.

"والآن كثير من المصريين الذين كانوا مسيحيين كذبة، أنكروا العقيدة الأرثوذكسية والمعمودية الحية، وساروا في عقيدة الإسلام، وأخطأوا -مع هؤلاء الوثنيين- وأخذوا في أيديهم السلاح وحاربوا المسيحيين، وكان أحدهم، واسمه يوحنا الخلقدوني، من دير سينا، انضم إلى عقيدة الإسلام، وترك زيه الكنسي، واتخذ له سيفا، وطارد المسيحيين المؤمنين بسيدنا يسوع المسيح"[47].

= وينقل عنه الأستاذ فاضل سليمان من ص: 204، وهو يتحدث عن صلح سيدنا عمرو بن العاص -رضي الله عنه- مع حامية حصن بابليون، فيذكر النقيوسي تسامح الإسلام مع سجناء ذلك الحصن المسيحيين، ويذكر انتقام الآريوسيين من هؤلاء الأرثوذكس.

فعندما صالح عمرو بن العاص -رضي الله عنه- على تسلم حصن بابليون، كتب رسالة للجنود الذين كانوا به أن لا يقتلوا السجناء الأرثوذكس، الذين كانوا مسجونين به من قبل الرومان، ولكن تصفية حسابات الصراعات الدينية القديمة، والثارات المذهبية المتراكمة بين كل من الآريوسيين والأرثوذكس، جعلت الآريوسيين -الذين انضموا لجيوش الفتوح الإسلامي- يقتلون -يوم عيد القيامة- السجناء الأرثوذكس، وعن ذلك كتب يوحنا النقيوسي:

"وفي يوم عيد القيامة المقدسة هذا أطلقوا المسجونين الأرثوذكسيين. ولم يتركهم أعداء المسيح هؤلاء دون أذى، بل أساءوا إليهم وقطعوا أيديهم. .... كما هو مكتوب في شأن هؤلاء النجسين: أنهم لوثوا الكنيسة بالعقيدة النجسة، وارتكبوا إلحاد وعصيان طائفة الأريوسيين .. بل أساءوا إليهم، وقطعوا أيديهم واحتقروهم في هذا اليوم، وارتكبوا معهم ما لم يرتكب مثله جماعة الوثنيين والبربر، ولم نجد من يصنع مثل هذا ممن يعبدون الأصنام الكذبة .... وكانوا هم يظنون أنهم يكرمون سيدنا المسيح بعملهم هذا ووجدوا هم ضالين بعقيدتهم، ولم يكونوا جاحدين لرئيسهم، بل كانوا يدينون الذين لم ينضموا إليهم في العقيدة"[48].

= وينقل عنه الأستاذ فاضل سليمان أيضًا: إرجاع الفيضانات والبراكين وخسوف الشمس وهلاك الناس بل وسقوط الدولة الرومانية إلى الخلاف في العقيدة مع القبط الأرثوذكس، سواء خلاف المثلثين الكاثوليك القائلين بالطبيعتين للمسيح عليه السلام، أو الآريوسين القائلين بأن المسيح -عليه السلام- مخلوق:

"تم هذا الكتاب الذي وضعه يوحنا المدير مطران مدينة نيقوس إفادة للنفس. وتضمن الأسرار الإلهية والعجائب العالية التي أصابت منكري الإيمان في وقت تزلزت الأرض

....

وهلك ناس كثيرون وسقطوا في عمق الأرض، وهذا كله بسبب أنهم قسموا المسيح إلى طبيعتين، وجعله بعضهم مخلوقًا. وزال تاج المملكة عن ملوك الروم وتسلط عليهم الإسماعيليون والفوزيون، لأنهم لم يسيروا بالإيمان الحق بسيدنا يسوع المسيح، وقسموا ما لا ينقسم"[49].

أود قبل أن أغادر ما ذكره يوحنا النقيوسي، وخاصة في سبه للمسلمين ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، وما ادعاه من حوادث على المسلمين، أود أن أذكر بمدى أمانة يوحنا النقيوسي. فقد ثبت عليه التزوير والكذب بشهادة المؤرخ القبطي النصراني ساويرس بن المقفع، وعفا عنه والي مصر عبد العزيز بن مروان، بل وولاه تفتيش الأديرة[50]، رغم تحامل النقيوسي على المسلمين.

***

- ويذكر المؤرخ الشطيبي في كتابه (الجمان في أخبار الزمان) حادثة غريبة حدثت بعد الفتح الإسلامي لمصر، وهي ورود وفد من البربر لسيدنا عمرو بن العاص -رضي الله عنه- يخبرونه بأن أجدادهم أوصوهم باعتناق الإسلام، وهذه الحادثة نقلها

---

47 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم- تذييل الدكتور محمد عمارة ص: 170.

48 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 98.

49 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 105 و106.

50 راجع تفصيل القصة في: الفتح الإسلامي لمصر ص: 141 إلى 144.

الأستاذ فاضل سليمان عن الدكتور حسين مؤنس من كتابه (فتح العرب للمغرب)[51]، وأنا أنقلها هنا عن كتاب (إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس)، حيث ذكر المصنف (ابن زيدان: عبد الرحمن بن محمد السجلماسي) وهو يتحدث عن الأقوال في اسم البربر:

"ومما يستملح إيراده هنا في مناسبة ذكر هذا الاسم أعنى اسم أبيهم ما ساقه في الاستقصا من كتاب الجمان إذ قال: لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستفتحت مدينة مصر وكان عليها عمرو بن العاص، قدم عليه ستة نفر من البربر محلقين الرءوس واللحي، فقال لهم عمرو ما أنتم وما الذي جاء بكم؟ قالوا: رغبنا في الإسلام فجئنا له لأن جدودنا قد أوصونا بذلك، فوجههم عمرو إلى عمر رضي الله عنهما وكتب إليه بخبرهم، فلما قدموا عليه وهم لا يعرفون لسان العرب كلمهم الترجمان على لسان عمر، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن بنو مازيغ، فقال عمر لجلسائه: هل سمعتم قط بهؤلاء؟ فقال شيخ من قريش: يا أمير المؤمنين هؤلاء البربر من ذرية بر بن قيس بن عيلان، خرج مغاضبا لأبيه وإخواته فقالوا برير أي أخذ البرية، فقال لهم عمر رضي الله عنه: ما علامتكم في بلادكم؟ قالوا نكرم الخيل ونهين النساء، فقال لهم عمر: ألكم مدائن؟ قالوا: لا، قال: ألكم أعلام تهتدون بها؟ قالوا: لا، قال عمر: والله لقد كنت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بعض غزواته فنظرت إلى قلة الجيش وبكيت فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: يا عمر لا تحزن فإن الله سيعز هذا الدين بقوم من المغرب ليس لهم مدائن ولا حصون ولا أسواق ولا علامات يهتدون بها في الطرق، ثم قال عمر: فالحمد لله الذي منّ عليّ برؤيتهم ثم أكرمهم ووصلهم وقدمهم على من سواهم من الجيوش القادمة عليه، وكتب إلى عمرو بن العاص أن يحملهم على مقدمة المسلمين وكانوا من أفخاذ شتى، انتهى.

قلت: وهذه الحكاية غريبة جدا فهي في عهدة صاحب الجمان، في أخبار الزمان، وهو العلامة المؤرخ الأجل المشهور بالشُّطَيْبِي"[52].

وهذه القصة وإن كانت غريبة، ولكنها تتماشى مع الحقيقة التاريخية أن الآريوسيين الوندال كانوا منتشرين في شمال إفريقيا، وكان بينهم وبين البيزنطيين المثلثين عداء وحروب، إلى أن قضى البيزنطيون على مملكتهم في شمال إفريقيا في عام 534م، أي قبل قرن من الفتح الإسلامي لمصر (640- 642م)[53].

- وفي الأندلس عندما ارتد الملك ريكاريد (586- 601م) سنة 587م عن الآريوسية -إلى التثليث وتأليه المسيح- ثار الآريوسيون ضده، وضد المسيحية المثلثة، واستمرت ثورتهم -في كاتالونيا ونارونيز- على امتداد قرن من الزمن.

وعقب إحدى المجاعات، قام المسيحيون المثلثون بتنصيب الملك رودريك ملكًا على شبه الجزيرة الإيبرية، التي يتدين شعبها بالآريوسية، وعندما غزا رودريك الأندلس (الجنوب) اصطدم بالمطران أوباس -مطران إشبيلية- فثار شعب الأندلس الآريوسي ضد الملك المثلث رودريك.

وإبان ثورة الأندلسيين طلبوا المساعدة من الآريوسيين الآخرين، وكذلك من مسلمي الريف المغربي على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، فهب المسلمون بقيادة طارق بن زياد سنة 92هـ- 711م لنجدة النصارى الآريوسيين الموحدين بالأندلس.

وإبان معركة (غوادليت) -قرب قادس- انضم مطران إشبيلية الآريوسي أوباس إلى الجيش المسلم، وكذلك فعل أسقف توليدو سانديريد، فتكررت نفس المشاهد، انضمام الآريوسيين إلى الفتح الإسلامي بمصر والشرق، وانضمامهم إلى الفتح الإسلامي للأندلس[54].

***

---

51 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم ص: 94.

52 إتحاف أعلام الناس ج: 1 ص: 93.

53 Encyclopædia Britannica, Vandal.

54 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم- تذييل الدكتور محمد عمارة ص: 189 و181.

وفي الحقيقة إنه لم ينضم الآريوسيون فقط للمسلمين، واعتنقوا الإسلام، ولكن الجماهير الغفيرة من الشعوب التي فتحها المسلمون دخلت في دين الله أفواجًا.

وعن ذلك كتب أستاذ اللاهوت بأكسفورد ورجل الدين الملقب بـ(الموقر جدًا) هنري تشادويك:

"إن الأقباط أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة، والسوريين اليعقوبيين (أتباع يعقوب البرادعي) سرعان ما اكتشفوا أنهم يتمتعون بتسامح أكثر تحت حكم االمسلمين العرب من حالهم تحت حكم البيزنطيين الخلقدونيين. والمناطق المسيحية من الأرض المقدسة حتى أسبانيا فتحتها قوات الإسلام، والكثير من سكانها تحولوا أخيرًا للدين الجديد"[55].

و جاء في موسوعة إنكارتا:

"رحب كثيرٌ من المصريين بالفاتحين العربِ كمحررين من الضرائبِ الأجنبيةِ والاضطهادِ الدينيِ.

....

اعتنقت <u>غالبيةُ</u> المصريين تدريجيًا الإسلامَ على مدى قرونٍ عديدةٍ، واتخذتِ العربيةَ لغةً، وهذه التحولاتُ كانت جزئيًا نتيجةً لهجرةِ بعضِ القبائلِ العربيةِ وللتزاوجِ المتبادلِ بين المصريين والعربِ. وبعضُ المصريين تحولوا للإسلامِ عن عقيدةٍ دينيةٍ راسخةٍ، ولكن بعضَهم فعل ذلك ليؤمنَ منافعَ سياسيةً واجتماعيةً"[56].

وبغض النظر عن تدخل محرري موسوعة إنكارتا في نيات معتنقي الإسلام، فإنه على كل حال لم يكن عن إكراه، ثم إن اتهام الناس بالانتفاع باعتناق الإسلام يتناقض مع ما عرف عن القبط من مقاومة الاضطهاد البيزنطي لتحويلهم من مذهب نصراني لآخر، فكيف بالتحول للإسلام؟؟؟

إن السبب هو قوة العقيدة الإسلامية التي تقنع العقل وتطمئن القلب، وهذا ما ينكره ويحاول أن يلتف عليه العديد من الكتاب الأقباط والغربيين، مع اعترافهم بتحول الأغلبية القبطية للإسلام.

فإسحاق نخلة روفيله يعزو تحول الأقباط للإسلام للهروب من الجزية والضرائب التي كان يفرضها الولاة الأمويون[57].

وهذا القول أولًا فيه اتهام للنصارى بأنهم يبيعون دينهم بالمال، ويتناقض مع ما ذكره نفس المؤرخ من تحملهم للاضطهاد البيزنطي صبرًا على مذهبهم، فلم يرضوا رغم الاضطهاد -الذي ذكر تفاصيله- من أن يتحولوا من مذهب نصراني لآخر، فكيف يتحولون لدين آخر بسبب المال.

وثانيًا: إن إسلام المكره باطل.

---

55 Encyclopædia Britannica, Christianity, The church and its history, The history of Christianity, Liturgy and the arts after Constantine, Political relations between East and West.

والنص الأصلي هو:

"The Monophysite Copts in Egypt and Syrian Jacobites (followers of Jacob Baradaeus) soon found that they enjoyed greater toleration under Muslim Arabs than under Chalcedonian Byzantines. Christian territory from the Holy Land to Spain was conquered by the forces of Islam, and many of the inhabitants of this region eventually converted to the new faith".

56 Microsoft Encarta 2009, Egypt, VII History.

والنص الأصلي هو:

"Many Egyptians welcomed the Arab conquerors as liberators from foreign taxation and religious persecution.

....

Over the course of many centuries, the <u>majority</u> of the Egyptians gradually embraced Islam and adopted the Arabic language. These changes were due in part to the immigration of some Arab tribes and intermarriage between Egyptians and Arabs. Some Egyptians converted to Islam out of genuine religious conviction, but others did so to secure political or social advancement".

57 تاريخ الأمة القبطية ليعقوب نخلة روفيله ص: 67 إلى 70.

وثالثًا: إن المسلم يدفع من الزكاة ما يفوق الجزية، فبالإضافة لصدقة الفطر، على المسلم أن يدفع أربعة أنواع من الزكاة إذا بلغ ما في ملكه النصاب، وهي زكاة المواشي والزروع والنقدين (الذهب والفضة) وعروض التجارة، وهذه الزكاة ليست مبلغًا محددًا كالجزية، بل هي نسبة مئوية، ولذلك قد تبلغ زكاة الموسرين أموالاً كثيرة.

ورابعًا: إن الفقير والمعسر وأصحاب الأعذار من أهل الكتاب يعفون من الجزية.

السبب الحقيقي في تحول النصارى للإسلام، هو أن الإسلام جاء كحركة تصحيحية للانحراف الديني الذي أصاب النصرانية، فالسبب عند ألن كي بومان[58] هو وضوح وسلاسة رسالة الإسلام الغير معقدة:

"في زمن الغزو العربي في منتصف القرن السابع، بدت رسالة الإسلام الغير معقدة جذابة، ولفتت الانتباه للانشقاقات السياسية والدينية، التي أحدثها واستغلها بعنف بطاركة الكنيسة المسيحية المتنازعون المتعاقبون"[59].

أي أن رسالة الإسلام السلسة كشفت استغلال البطاركة للصراع السياسي واللاهوتي المعقد.

وهذا -الذي ذكرته ألن كي بومان- نقله توماس أرنولد عن رؤية كيتاني Caetani:

"من أن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التي جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحي. أما الشرق الذي عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة فقد كانت الثقافة الهلينية وبالاً عليه من الوجهة الدينية، لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة، مليئة بالشكوك والشبهات؛ فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها فلما أهلَّت آخر الأمر أنباء الوحي الجديد فجأة من الصحراء لم تعد تلك المسيحية الشرقية التي اختلطت بالغش والزيف وتمزقت بفعل الانقسامات الداخلية، وتزعزعت قواعدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الريب، لم تعد المسيحية بعد تلك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذي بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدم مزايا مادية جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التي لا تقبل الجدل. وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى في أحضان نبي بلاد العرب"[60].

ويزيد الأمر وضوحًا الدكتور حسين مؤنس في كتابه الهام (الإسلام الفاتح) حين كتب عن أسلوب انتشار الإسلام وخاصة في مصر:

"**الإسلام ينتشر بفضائله وقوته الذاتية**

ولم يسبق فيما مضى أن كانت للمسلمين سياسة موضوعة لنشر الإسلام يقوم عليها رجال متخصصون ، يجرون في أعمالهم على مناهج مقررة كما هو الحال في النصرانية مثلا حيث نجد البابوية الكاثوليكية وما يتبعها من منظمات كهنوتية كالفرنشسكية والدومينيكية والجزويت وكذلك فيما تنظمه الهيئات البروتستانتية من حملات تبشير

....

في الإسلام لا نجد شيئاً من هذا إلا في عصرنا اليوم عندما تزايدت تيارات التبشير غير الإسلامية ولم يعد هناك مناص من أن يُعنى المسلمون بالدعوة وتنظيمها وإعداد الرجال القادرين عليها ، فيما عدا ذلك كان الإسلام هو الذي نشر نفسه بنفسه : هو الذي دعا لنفسه واجتذب قلوب الناس فأسلموا حباً في الإسلام وإعجاباً به والتماساً لرحمة الله وهداه عن سبيله . وإنه لما يستوقف النظر أن قوة الإسلام الذاتية قد غلبت تنظيمات الدعاة وأثبتت أنها أفعل وأبعد أثراً من المال الذي ينفقه

---

58 محاضرة التاريخ القديم بجامعة أكسفورد.

59 Encyclopædia Britannica, Egypt, ancient, The advance of Christianity.

والنص الأصلي هو:

“By the time of the Arab invasion, in the mid-7th century, the uncomplicated message of Islam might have seemed attractive and drawn attention to the political and religious rifts that successive and rival patriarchs of the Christian church had so violently created and exploited”.

60 الدعوة إلى الإسلام ج: 2 ص: 69 و70.

الآخرون على دعاواهم ، فانتشر واتسع مداه ودخلت فيه الأمم بعد الأمم من تلقاء نفسها بمجرد وصول الدعوة إليها ، ولقد كان العرب يفتحون البلد من البلاد ويعرضون الإسلام على أهله ثم يدعونهم وشأنهم حتى يقتنعوا بفضائله الإنسانية على هينة ، حتى لقد ذهب بعض الشانئين للعرب إلى أنهم لم يكونوا يهتمون بنشر دينهم ، وأن الجزية كانت أحب إليهم من الإسلام وما إلى ذلك مما نجده مسطوراً في كتب أعداء الملة .

وما كان ذلك عن عدم حرص من العرب على نشر الإسلام ، وإنما كان سيراً على أسلوب الدعوة في عهدها الأول : **أسلوب عرض الدين على الناس وتركهم بعد ذلك أحراراً إلى أن يهدي الله منهم من يشاء** . ومن غريب ما حدث في بلاد مثل مصر والأندلس أن كان مسلك العرب هذا أدعى إلى دخول الناس في الإسلام ، لأنهم تعودوا ممن يتغلب على بلادهم أن يكون شديد الحرص على إدخالهم في دينه ، فما بال أولئك العرب لا يلحون على الناس في الدخول في الإسلام ولا يستخدمون القوة في ذلك كما كان رجال دولتي الرومان والروم يفعلون ؟ قال يولوج الراهب القرطبي **المبغض للإسلام** : " فكان من مكر العرب أن تظاهروا بأنهم لا يهتمون بدخول الناس في الإسلام ، فتطلعت نفوس الناس إلى ذلك الإسلام وودوا لو يتعرفون عليه لعلهم يعرفون السبب في اختصاص العرب أنفسهم به وضنهم به على غيرهم ، فما زالوا يفعلون ذلك ويسألون عن الإسلام حتى وجدوا أنفسهم مسلمين دون أن يدروا " ولقد قال الراهب القبطي يوحنا النقبوس[61] شيئاً من ذلك ، وكان متأسفاً لأن العرب لم يلجأوا إلى القوة في فرض الإسلام ، إذ لو أنهم فعلوا ذلك لزاد تمسك الأقباط بعقيدتهم على مذهب العناد وإباء كل ما يفرض بالقوة ، ولَـمَا وجد الإسلام هذا الطريق السهل الميسر إلى القلوب في مصر والأندلس وإنك لتحاول ان تدرس كيف أسلم أقباط مصر ، وكانوا من أشد الناس استمساكًا بعقيدتهم حتى لقد استشهدت في سبيلها منهم جماعات بعد جماعات على أيدي عتاة الرومان من أمثال دقلديانوس وطغاة الروم من أمثال قيرُس ، فلا تجد على تساؤلك جواباً ، لأن التحول إلى الإسلام في هذين البلدين - مصر والأندلس - تم في هدوء وسكون : **انسابت العقيدة في قلوب الناس كما ينساب الماء في أرض الزرع فتخضر وتزهر وتثمر بإذن ربها**"[62].

ونقل الدكتور محمد عمارة عن فيليب فارج ويوسف كرباج من كتابهما (المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي) ص: 25 و46 و47 عن انتشار الإسلام في مصر ما خلاصته:

الزمن	تعداد سكان مصر	عدد المسيحين	نسبة المسلمين	نسبة المسيحيين
الفتح الإسلامي (20هـ- 641م)	2500000 مليونان ونصف			
نهاية خلافة معاوية رضي الله عنه (60هـ- 680م)		140000 مليون وأربعمائة ألف	قرابة النصف	قرابة النصف
نهاية عصر هارون الرشيد (195هـ- 809م)	2671000 مليونان وستمائة وواحد وسبعون ألفًا	650000 ستمائة وخمسون ألفًا		قرابة الربع
القرن التاسع الميلادي بعد قرنين ونصف من الفتح الإسلامي			80%	أقل من 20% باعتبار عدد اليهود

61 أحسبها: "النقيوس".

62 الإسلام الفاتح ص: 14 إلى 16.

أي أن مصر من بين أقطار الدولة الإسلامية كانت أسرع البلاد دخولًا في الإسلام، بسبب النسبة العالية من بين سكانها الذين كانوا على مذهب الآريوسية وعلى الوثنية، والذين سارعوا -فور بدء الفتح الإسلامي- إلى الدخول في الإسلام، كما شهدت بذلك نصوص الأسقف يوحنا النقيوسي، شاهد العيان على فتح مصر[63].

وكتب توماس أرنولد:

"وليس هناك شاهد من الشواهد على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم في الإسلام على نطاق واسع كان راجعًا إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين. بل لقد تحول كثير من هؤلاء القبط ـ (أي المصريين) ـ إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح، حيث كانت الإسكندرية ـ حاضرة مصر يومئذ ـ لا تزال تقاوم الفاتحين، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة"[64].

وكتب المهتدي للإسلام الدكتور مراد هوفمان الألماني عن انتشار الإسلام والآريوسيين:

"هذا التوسع الذي ما زال يذهلنا حتى يومنا هذا، ولا نفهم أسبابه. ولكن ما كان للمحاربين العرب الذين لم يتعد تعدادهم عشرة آلاف أن يحققوا كل هذا النجاح - رغم حماستهم الدينية واستهانتهم بالموت ، بل طلبهم إياه لنيل الشهادة - إلا لأن مواطني بيزنطة وفارس لجئوا إلى المسلمين واعتنقوا الإسلام بأعداد هائلة لثلاثة أسباب هي :

- التسامح الديني .

- نظام الضرائب وممارستهم لإدارة البلاد، التي كانت أقل وحشية واستغلالاً ممن سبقوهم، ومحاولتهم لإقرار العدل في شئون البلاد.

-كان التصور الإسلامي لصورة الإله - خاصة فيما يتعلق بالمسيحية (أي المسيح والله) أقرب إلى تصور الكثيرين من المسيحيين غير المؤمنين بالتصور الذي تعتنقه الكنيسة الرسمية وتجيزه، مثل الأريانيين"[65].

***

وبقيت حتى اليوم بقايا للرافضين للتثليث ولتأليه المسيح عليه السلام، ومن أشهرهم التوحيديون (unitarians)، كذلك تنتشر في هذا العصر بين النصارى النزعة للتوحيد، ونزعة الإعراض عن عقائد الكنيسة بشأن تأليه المسيح عليه السلام، كما بينت من قبل.

ومن هؤلاء الشاعر اللبناني الأرثوذكسي الأصل رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)، حيث قال: إنه كان ينوي إعلان إسلامه ولكنه رأى أن يقوم بدور هام في المسيحية يكون قدوة لإخوانه أدباء النصرانية، وتلك عبارته:

"وهو أن أصحح خطأً طارئًا على ديننا قررت أن تكون الخطوة الأولى لي في إيقاظ (الأريوسية الموحدة) من رقادها الطويل حتى تزول العقبة المغلقة بين الإسلام والنصرانية ".

وقال:

"إني أعلن عزوفي عن أرثوذكسيتي المكاريوسيه إلى الأرثوذكسية الأريوسية ومطالبة الأرثوذكسية بالعودة إلى أصلها التوحيدي الفطري إلى الجناح الذي كان يمثله "آريوس" الذي رفض التثليث".

وقال:

"لكم أتمنى أنا الأرثوذكسي المولد أن يكون هذا الأريوسي بطريركيا بطلاً ليصلح ما أفسده سلفه القديم ويمحو عنا خطيئة ألصقها بنا غرباء غربيون ولطالما كان الغرب ولا يزال مصدرًا لمعظم عالمنا في السياسة وفي الدين على السواء"[66].

---

63 أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم- تذييل الدكتور محمد عمارة ص: 178 و179.

64 الدعوة إلى الإسلام ج: 2 ص: 96.

65 الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود ص: 68.

66 على طريق الأصالة: الأريوسية الموحدة ص: 5.

***

النقطة الخامسة: دوافع بولس لتبني تلك العقائد

أود في ختام الفقرة الثالثة عن الصراع بين الكنيسة الأولى وكنيسة بولس، أن أشير بإيجاز لدوافع بولس لتبني تلك العقائد:

- فهناك دافع متفق عليه بين من يخالف بولس من الموحدين ومن يوافقه من الكنسيين المثلثين؛ ألا وهو رغبة بولس في نشر عقيدته -التي زعمها- بين أكبر عدد من الناس، وخاصة الوثنيين.

- وهناك دافع مختلف فيه بينهم؛ ألا وهو زعم الكنسين المثلثين؛ أن بولس كان ينفذ ما أمره به المسيح.

وهو زعم لا دليل عليه، كما سبق بيانه، وقد علمنا القرآن الكريم العظيم الذي يحترم عقل الإنسان؛ أن القول أو الزعم أو الادعاء بلا دليل هو قول وزعم وادعاء باطل، فقال سبحانه:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وقال عز من قائل:

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[2].

- وهناك دافع ثالث عليه أدلة؛ ألا وهو وجود توافق روماني مع بولس، ومن أدلته:

= ما رواه يوسابيوس القيصري من أن الإمبراطور طيباروس لما علم بقيامة المسيح -عليه السلام- بناء على تقرير أرسله بيلاطس البنطي إلى الإمبراطور طيباروس عن الأنباء التي ذاعت في فلسطين عن ذلك، قرر طيباروس أن يعتبر المسيح إلهًا رومانيًا، وعرض الأمر على مجلس الأعيان، ولكن المجلس رفض إدراج المسيح ضمن الألهة الرومانية، فظل طيباروس على اعتقاده، ولم يتخذ أية إجراءات عدائية ضد المسيحيين.

ويزعم يوسابيوس القيصري أن طيباروس بهذا الموقف قد ساعد على نشر الإنجيل، فقال:

"ولقد وضعت العناية السماوية هذا بحكمة في عقله لكي لا يعاق تعليم الأنجيل في بداءته بل ينتشر في كل أرجاء العالم"[3].

وهذا التقرير الذي يتحدث عنه يوسابيوس بعد ثلاثة قرون لا وجود له أصلًا، بل كان من أدلة من شككوا في الوجود التاريخي لسيدنا عيسى عليه السلام- أن التقارير الرومانية خلت من أي ذكر لسيدنا عيسى عليه السلام.

وقد زعم يوسابيوس أن ترتوليانوس قد كتب ذلك في دفاعه عن المسيحيين، وترتوليانوس قد كتب كتاباته الدفاعية عن المسيحيين في عام 197م، أي بعد التقرير المزعوم بأكثر من قرن ونصف!!! فتأمل.

والأمر الذي يهمنا هنا؛ هو أن ترتوليانوس قد أكد في هذه الكتابات أن المسيحيين **ليسوا أعداءً للدولة**، بل هم مواطنون صالحون[4].

هذه واحدة، أما الثانية فإن حكم طيباروس (14- 37م) هذا كان معاصرًا لنشاط بولس (10؟- 67 أو68م)، وكان يمثل التفاهم بين الوثنية الرومانية والمسيحية البولسية المتقاربة معها. مما سهل نشر تعاليم بولس.

وهذا التسامح والتساهل مع المسيحيين، يقابله في آخر ست سنوات من حكم طيباروس الرعب والإرهاب والتعذيب والاغتيال، الذي نشره بين كبار الشخصيات في روما عبر فرق المتهمين (delatores) والمعذِبين[5].

= ومن ذلك المعاملة اللينة التي تلقاها بولس في روما في عهد نيرون (54-68م[6])، فإنه قد سمح له أن يكتري بيتًا، وأن يقابل فيه من يريد، وكان لمدة سنتين في روما يقابل جميع الناس.

ذكر كاتب سفر أعمال الرسل:

---

1 سورة البقرة، آية: 111.

2 سورة النور، آية: 13.

3 تاريخ الكنيسة ص: 54 و55.

4 تاريخ الفكر المسيحي مج: 1 ج: 44 ف: 4 ص: 516.

5 Encyclopædia Britannica, Tiberius, Reign as emperor.

6 Microsoft Encarta 2009, Nero.

"28: 16 ولما أتينا إلى رومية سلم قائد المئة الاسرى إلى رئيس المعسكر، وأما بولس فأذن له أن يقيم وحده مع العسكري الذي كان يحرسه.

28: 17 وبعد ثلاثة أيام استدعى بولس الذين كانوا وجوه اليهود.

......

28: 30 وأقام بولس سنتين كاملتين في بيت استأجره لنفسه. وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه،

28: 31 كارزًا بملكوت الله، ومعلمًا بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة، بلا مانع"[7].

ثم ذكر يوسابيوس أنه قد أطلق سراحه بعدها، وقيل أنه سافر لأسبانيا، ثم عاد لروما حيث قتل.

وذكر يوسابيوس:

"والمرجح فعلا أن دفاع بولس عن تعاليمه قبل بسهولة نظرًا لأن نيرون كان أكثر ميلا إلى اللطف في بدء الأمر"[8].

وقد مرت على المسيحيين في القرون الأربعة الأولى أوقات من الاضطهاد، ولكن مرت عليهم أيضًا أوقات من الرخاء وتسامح الحكومة معهم، حتى أنهم انتشروا في البلاط الإمبراطوري وبين كبار رجال الدولة، وقد ذكرت من قبل أن دقلديانوس نفسه كان متساهلًا مع المسيحيين في أول عهده.

ومن المهم هنا أن أشير لما ذكرته سابقًا من أن بولس الذي زعم أنه فريسي:

1- عمل مع رئيس الكهنة الصدوقي، **الموالي للدولة الرومانية**، لاضطهاد المسيحيين.

2- ثم فجأة تحول لمسيحي.

3- ثم دعا لعبادة المسيح، وصدرت منه عبارات متناقضة فهم البعض منها تأليه المسيح.

4- وزعم أن المسيح صلب، لتكفير الخطيئة الأصلية.

5- ودعا لنبذ الشرائع الموسوية، وارتكاب ما تحرمه.

وفي نفس هذه المرحلة الزمنية يدعو طيباروس لتأليه المسيح، ويُعَامَل بولس بلين -في عهد نيرون- في روما، ثم يقتل!!!

وتلك التوجهات البولسية -المذكورة آنفًا- تتفق مع التوجه الروماني، الذي حاول أن يستدرج المسيحية الأصلية -بالترغيب والترهيب- حتى وصلا لاتفاق في عصر قسطنطين، حين اعتبر يوسابيوس القيصري أن المسيح هو الإمبراطور العالمي للكون وأن إمبراطور الأرض خادمه ووكيله. ورُكِّزَتْ العبادة والأيديولوجية الإمبراطورية كلها على المسيح، وبالمقابل تَوَّج المسيحُ نائبَه على الأرض، وأضفى الشرعية على حكمه.

وهذا التوافق الروماني البولسي كان شديد العداء للتوحيد الخالص وللحرص على التمسك بالشريعة، إلى أن وصل الرومان والبولسيون لاتفاق تأليه المسيح ومساواته بالله، كما قرر ذلك الإمبراطور -الذي كان يعتبر نفسه الابن الحبيب المختار من الله- في مجمع نيقية 325م.

وأصبحت الكنيسة مؤسسة رومانية تتبع الإمبراطور، ويتدخل في شؤونها عبر التعيين والعزل، ومنح الهبات، وعقد المجامع وإدارتها لتخرج ما يريد الإمبراطور من عقائد.

وفي المقابل تمتعت الكنيسة بالاعتراف الرسمي والحماية والدعم المالي والحكومي.

وتحول ملكوت السموات الذي بشر به المسيح -عليه السلام- من الثواب والنعيم للإبرار الأتقياء، إلى الاعتراف من أطايب مائدة الإمبراطور، حسب وصف يوسابيوس القيصري.

وبهذا رسخت وأسست وقدست الكنيسة البولسية المثلثة لـ(حلف الكهنة والسلطان) أصل ومنبع الفساد السياسي.

وهل أفسد الدين إلا الملوك   وأحبار سوء ورهبانها

7 نسخة الكتاب المقدس لدى النصارى التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865- العهد الجديد- أعمال الرسل: 28: 16 إلى 31 ص: 119.

8 تاريخ الكنيسة ص: 83 و84.

***

وبهذا أكون قد انتهيت من المقالة الأولى: (ملاحظات مبدئية) في تحريف النصرانية، وأنهي بها المجلد الأول من هذا الكتاب، وأشرع -بعون الله ومشيئته- في المجلد الثاني بتناول المقالة الثانية: (في تحريف الكتاب المقدس لدى النصارى)، في رحلة تتبع الفساد السياسي.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

***

المراجع

وقد رتبتها ترتيبًا أبجديًا. وذكرت فيها تفاصيل طبعة كل مرجع موجود في الكتاب، ليسهل الرجوع إليه لمن أراد، وأسأل القارئ المعذرة عما وقع فيها من نقص لظروف التنقل وقلة الاستقرار، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وقد نقلت عن بعض الموسوعات الإلكترونية والمواقع على شبكة المعلومات وأرفق بالهامش عناوينها منعًا لتكرارها[1].

- الآباء الرسوليون- الكتابات المسيحية في المئة سنة الأولى باللغتين العربية واليونانية لمايكل هولمز، دار النشر الأسقفية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014م.

- أبو العتاهية أشعاره وأخباره تحقيق: شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، 1384هـ- 1965م.

- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر تأليف: محمد محمد حسين، دار الرسالة، مكة المكرمة، الطبعة التاسعة، 1413هـ- 1992م.

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس تأليف: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1429هـ- 2008م.

- الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن محمد الآمدي أبي الحسن، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة 1404هـ، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبي بكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة 1405هـ. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- أحمد فارس الشدياق 1801- 1887 حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة تأليف: محمد الهادي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م.

- أحوال الرجال لإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني أبي إسحاق، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة 1405هـ، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- الاختراق الصهيوني للمسيحية تأليف: القس إكرام لمعي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، 1413هـ- 1993م.

- اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية تأليف: أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة.

- الأدب المفرد تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1409هـ- 1989م. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- أرثوذكسيتي تراث وعقيدة وحياة تأليف: القمص متى مرجان، مكتبة كنيسة السيدة العذراء بمغاغة.

- أرشيف ملتقى أهل الحديث. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- أزمة العصر تأليف: محمد محمد حسين، دار عكاظ، القاهرة.

- الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر- دراسة تقويمية تحليلية تأليف: محمد عبد الله الشرقاوي، 1992.

---

1 عناوين الموسوعات الإلكترونية والمواقع على شبكة المعلومات:

- قناة الدعوة الإسلامية على اليوتيوب: ELD3WAH, www.youtube.com/eld3wah
- قناة المخلص: www.youtube.com/ElmokhalesTv
- المكتبة الشاملة، الإصدار 3,8، http://www.shamela.ws
- المكتبة الشاملة الذهبية، الإصدار 3,65، http://www.shamela.ws
- الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 2003م. Website: http://www.cultural.org.ae

- أسئلة حول حتمية التَّثليث والتَّوحيد وحتمية التَّجسُّد الإلهي، كنيسة القديسين مار مرقس والبابا بطرس، الإسكندرية.
- الأسرار الكبرى للماسونية وأهم الشخصيات الماسونية قديمًا وحديثًا تأليف: منصور عبد الحكيم، دار الكتاب العربي، القاهرة- دمشق، الطبعة الأولى، 2006م.
- الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود تأليف: مراد هوفمان، تعريب: عادل المعلم وياسين إبراهيم، مكتبة الشروق.
- الإسلام والحضارة الغربية تأليف: محمد محمد حسين، دار الفرقان، القاهرة.
- أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، أشرف على التحرير: جون هيك، تعريب: نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، 1405هـ- 1985م.
- أصول المارونية السياسية وجذور الحريات السياسية تأليف: أسعد جرمانوس، دار المراد، بيروت، الطبعة الأولى، 1996.
- الأصول الوثنية للمسيحية تأليف: أندريه نايتون، إدغار ويند، كارل غوستاف يونغ، ترجمة: سميرة عزمي الزين، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1415هـ- 1995م. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية.
- إظهار الحق تأليف: رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي، دراسة وتحقيق وتعليق : محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1989م.
- الأعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، 2002م.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار التراث، القاهرة، 1381هـ- 1961م.
- أقباط مسلمون قبل محمد صلى الله عليه وسلم تأليف: فاضل سليمان، النور للإنتاج الإعلامي والتوزيع، القاهرة.
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع تأليف: إدوارد فنديك، نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- الله تأليف: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1970م.
- الله جل جلاله واحد أم ثلاثة تأليف: منقذ بن محمود السقار، دار الإسلام، الطبعة الأولى، 1428هـ- 2007م.
- الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم تأليف: محمد علي البار، الدار الشامية، بيروت، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى، 1410هـ- 1990م.
- الله واحد أم ثالوث تأليف: محمد مجدي مرجان، مكتبة النافذة، القاهرة، الطبعة الثانية، 2004م.
- أمي وشفيعتي تأليف: القمص بيشوي وديع، سلسلة: أنا مسيحي: 3.
- إنجيل برنابا دراسة توثيقية تحقيق ونشر أحمد غنيم، النشرة الأولى، القاهرة، 1411هـ- 1991م.
- الإنجيل بحسب القديس متى- دراسة وتفسير وشرح تأليف: الأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبا مقار- وادي النطرون، مصر، الطبعة الأولى، 1999م.
- الإنجيل بحسب يوحنا تأليف: القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج، 2003.
- إنجيل الديداكي- إنجيل جديد مكتشف في أورشليم يحتوي على عشرين بشارة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم علق عليه وعرف به: أحمد حجازي السقا، دار البروج، القاهرة، الطبعة الثانية، 2005م.
- إنجيل يوحنا في الميزان تأليف: محمد على زهران، دار الأرقم، طنطا، مصر، 1991م.

- الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية جمعه: أحد الاباء اليسوعيين[2]، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، 1886م.

- بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حيان بن عبدالله بن أنس، دار الراية، الرياض، سنة 1989م، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- البداية والنهاية تأليف: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة والنشر، الجيزة، الطبعة الأولى، 1417هـ- 1997م.

- بدعة تأليه العذراء وعبادتها في الكنيسة الأرثوذكسية تأليف: حنين عبد المسيح.

- البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل تأليف: أحمد حجازي السقا، دار البيان العربي، 1977م، القاهرة.

- بولس وتحريف المسيحية تأليف: هيم ماكبي، ترجمة وتلخيص: سميرة عزمي الزين، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

- بين الإسلام والمسيحية- رسالة أبي عبيدة الخزرجي تأليف: أبي جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي، تحقيق: محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة.

- تأثر المسيحية بالأديان الوضعية تأليف: أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006م.

- تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين تأليف: لويس شيخو، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1991م.

- تاريخ الأديان- دراسة وصفية مقارنة تأليف: محمد خليفة حسن، دار الثقافة العربية، 2002م.

- تاريخ الأمة القبطية تأليف: يعقوب نخلة روفيله، الطبعة الثانية.

- تاريخ الأمة القبطية وكنيستها تأليف: ا. ل. بتشر، ترجمة: اسكندر تادرس، مطبعة مصر بالفجالة، القاهرة، 1900م.

- تاريخ أوربا العصور الوسطى تأليف: هـ. ا. ل. فشر، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة السادسة.

- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى تأليف: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م.

- التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى تأليف: عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، دار الفكر العربي، القاهرة، 1419هـ- 1999م.

- تاريخ بغداد لأحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- تاريخ الديانة اليهودية تأليف: محمد خليفة حسن أحمد، دار قباء، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م

- التاريخ الصغير (الأوسط) لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، دار الوعي- مكتبة دار التراث، حلب- القاهرة، سنة 1397هـ- 1977م، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- تاريخ الفكر المسيحي تأليف: حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، القاهرة.

- التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبي عبد الله البخاري الجعفي، دار الفكر. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم تأليف: ستيفن م. ميلر وروبرت ف. هوبر، ترجمة: وليم وهبة ووجدي وهبة، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008م.

- تاريخ الكنيسة تأليف: يوسابيوس القيصري، ترجمة: القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1998م.

- تاريخ المسيحية الشرقية تأليف: عزيز سوريال عطية، ترجمة: إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م.

2 وقد صرح لويس شيخو اليسوعي بأنه من جمعه في: تاريخ الآداب العربية ج :3 ص: 463.

- تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم تأليف: محمد صبري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1926م.
- تاريخ واسط تأليف: أسلم بن سهل بن أسلم بن حبيب الرزّاز الواسطي، أبي الحسن، بَحْشَل، تحقيق: كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1406 هـ.
- تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقديس والتقنين- دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي تأليف: يوسف الكلّام، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، الإصدار الأول، 2009م.
- تأليه مريم ابنة عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى تأليف: محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي، مركز البحوث التربوية- كلية التربية- جامعة الملك سعود، الرياض، 1412هـ- 1992م.
- التبشير والاستعمار في البلاد العربية- عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي تأليف: مصطفى الخالدي وعمر فروخ، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1963.
- التبشير في بلاد الشام تأليف: عبد الرحمن الشهري، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود.
- تجسُّد الابن الوحيد تأليف: إسحق إيليا منسى, دير القديسة دميانة.
- التجسد الإلهي في تعليم القديس كيرلس تأليف: الأب متى المسكين، دير القديس أنبا مقار، مصر.
- تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل لأحمد بن عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي، مكتبة الرشيد، الرياض، سنة 1999م، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبي الفداء، دار حراء، مكة المكرمة، سنة 1406هـ، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- تحريف رسالة المسيح -عليه السلام- عبر التاريخ أسبابه ونتائجه تأليف: بسمة أحمد جستنية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1420هـ- 2000م.
- تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي تأليف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة، 1420هـ- 2000م. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- تذكرة الحفاظ (أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان) لمحمد بن طاهر بن القيسراني، دار الصميعي، الرياض، سنة 1415هـ، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لسليمان بن خلف بن سعد أبي الوليد الباجي، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، 1406هـ- 1986م، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- تعظيم قدر الصلاة تأليف: أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1406هـ. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية.
- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار تأليف: السيد محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، الطبعة الثانية، 1367هـ.
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية.
- تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار الرشيد، سوريا، 1406هـ- 1986م، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي- كمدخل لشرح الأسفار وفهم الأسرار تأليف: الأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، الطبعة الرابعة 2008م.

- تكملة المعاجم العربية تأليف: رينهارت بيتر آن دُوزِي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام- الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، من 1979- 2000م. نقلًا عن: المكتبة الشاملة الذهبية.
- تنزيه المجيد عن افتراءات العبيد تأليف: أكرم حسن مرسي، نقلًا عن: المكتبة الشاملة الذهبية.
- التنصير الأمريكي في بلاد الشام تأليف: عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى- 1834- 1924، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته تأليف: علي بن إبراهيم الحمد النملة، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1424هـ-2003م.
- التنصير الأمريكي في بلاد الشام- 1834- 1924 تأليف: عبد الرازق عبد الرازق عيسى، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م.
- تهذيب التهذيب تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الطبعة الأولى، 1326هـ.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال تأليف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبي الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1400هـ- 1980م.
- التوراة-كتابات ما بين العهدين- مخطوطات قمران- البحر الميت- 1- الكتب الأسينية حققت بإشراف: أندريه دوبون- سومر ومارك، فيلوننكو، محققا الجزء الأول: أندريه دوبون- سومر وأندريه كاكو، ترجمة وتقديم: موسى ديب الخوري، دار الطليعة الجديدة، دمشق، الطبعة الأولى، 1998م.
- الثالوث في مصر القديمة حتى الأسرة الحديثة تأليف: هبة عبد المنصف ناصف، جامعة طنطا-كلية الآداب- قسم الآثار.
- الثقات لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، دار الفكر، سنة 1395هـ- 1975م، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء تأليف: محمد كامل عبد الصمد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415هـ- 1995م.
- الجانب المظلم في التاريخ المسيحي تأليف: هيلين إيليربي، ترجمة وتقديم: سهيل زكار، دار قتيبة.
- جامع البيان عن تأويل القرآن تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، راجع أحاديثه: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن (تفسير القرطبي) تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1427هـ- 2006م.
- جامع التحصيل في أحكام المراسيل لأبي سعيد بن خليل بن كيكلدي العلائي، عالم الكتب، بيروت، سنة 1407هـ- 1986م، الطبعة الثانية. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- سنن الترمذي تأليف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، 1395هـ- 1975م.
- الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) تأليف: معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم أبو عروة البصري، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية، 1403 هـ. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- جذور البلاء تأليف: عبد الله التل، دار الإرشاد، بيروت، الطبعة الأولى،1390هـ- 1971م.

- الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر تأليف: خالد محمد نعيم، كتاب المختار، 1988م.
- جذور الفكر القومي والعلماني تأليف: عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ- 1999م.
- الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبي محمد الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة 1371هـ- 1952م، الطبعة الأولى.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح تأليف: أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني- تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وعبد العزيز إبراهيم العسكر وحمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، 1419هـ- 1999م.
- الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح تأليف: نعمان بن محمد الألوسي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار البيان العربي، القاهرة، 1408هـ- 1987م.
- جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى في القرن الرابع عشر الهجري تأليف: محمد منقذ بن محمود السقار.
- حجة الوداع لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، سنة 1998هـ، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر تأليف: أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1401هـ- 1981م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة 1405هـ، الطبعة الرابعة. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- حوار حول الثالوث للقديس كيرلس عمود الدين- الجزء الأول (الحوار الأول والثاني)، مؤسسة القديس انطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة، نصوص آبائية- 127.
- حوار حول الثالوث للقديس كيرلس عمود الدين- الجزء الثاني (الحوار الثالث)، مؤسسة القديس انطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة، نصوص آبائية- 90، طبعة ثانية منقحة.
- حياة المسيح تأليف: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1970م.
- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته تأليف: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة، 1423هـ- 2002م.
- الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي تأليف: البابا شنودة الثالث.
- خلاصة إنجيل مرقس، الجزء الأول للأستاذ محمد شاهين، قناة المخلص. (www.Elmokhalestv.com).
- خلاصة اللاهوت المريمي تأليف: الأب أوغسطين دوبره لاتور، دار المشرق، بيروت.
- دائرة المعارف تأليف: المعلم بطرس البستاني، مطبعة المعارف بيروت، 1882م.
- دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية.
- دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية تأليف: محمد علي البار، دار القلم، دمشق.
- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند تأليف: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الثانية، 1424هـ- 2003م.
- الدعوة إلى الإسلام تأليف: توماس أرنولد، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، الطبعة العربية الثانية، 1957م. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية.
- دعوة المقاومة الإسلامية العالمية تأليف: عمر عبد الحكيم أبي مصعب السوري.
- دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتقصين من قدره تأليف: عبد الرحمن بدوي، ترجمة كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر.

- - دلائل النبوة تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، بيروت، الطبعة: الأولى - 1408 هـ - 1988 م. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- دلائل النبوة تأليف: أبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، 1406هـ- 1986م.

- ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبي عبد الله، مكتبة المنار، الزرقاء، سنة 1406هـ، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- رجال صحيح مسلم لأحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبي بكر، دار المعرفة، بيروت، سنة 1407هـ، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- رجال ونساء أسلموا الجزء الثاني إعداد وترجمة: عرفات كامل العشي، المكتب المصري الحديث.

- الرحلة الشامية (1910) للأمير محمد علي باشا، تحرير وتقديم: علي أحمد كنعان، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2002.

- رسالة تحكيم القوانين لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ، الطبعة الأولى سنة 1411هـ، دار المسلم، الرياض.

- زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة- مكتبة المنار الإسلامية، بيروت- الكويت، سنة 1407هـ- 1986م، الطبعة الرابعة عشر. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- سنن البيهقي الكبرى لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، سنة 1414هـ - 1994م. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- السلسلة الصحيحة الكاملة تأليف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية.

- سنن سعيد بن منصور لسعيد بن منصور، دار العصيمي، الرياض، سنة 1414هـ، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- سير أعلام النبلاء تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405هـ- 1985م. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية.

- السيرة النبوية لابن إسحاق تأليف: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ- 2004م.

- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي.

- شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1410هـ، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية تأليف: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ.

- الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق وشرح: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ج: 2 ص: 791

- شمس البر تأليف: القس منسى يوحنا، مكتبة المحبة.

- صحيح ابن ماجة لمحمد بن ناصر الدين الألباني. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه)، تصنيف: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي وقصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1403هـ.

- صحيح وضعيف الجامع الصغير تأليف: محمد ناصر الدين الألباني. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية.

-- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) تصنيف: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1427هـ- 2006م.

- صحيح مسلم بشرح النووي تأليف: محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، الطبعةالأولى، 1347هـ- 1929م.

- الصهيونية غير اليهودية- جذورها في التاريخ الغربي تأليف: ريجينا الشريف، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 96- ربيع الأول 1406هـ- ديسمبر 1985م.

- الضعفاء الكبير لأبي جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، دار المكتبة العلمية، بيروت، سنة 1404هـ- 1984م، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- الضعفاء والمتروكين لأحمد بن شعيب النسائي، دار الوعي، حلب، سنة 1369هـ، الطبعة :: الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- الضعفاء والمتروكين لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبي الفرج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- ضد الهرطقات للقديس إيرينيوس إصدار: مؤسسة القديس انطونيوس- المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية- نصوص آبائية: 178.

- الضياء- السنة السابعة- سنة 1904- 1905، والسنة الثامنة- سنة 1905- 1906، مطبعة المعارف، القاهرة.

- الطائفة الكاثوليكية: فرقها وعقائدها وأثرها على العالم الإسلامي إعداد: محمد بن علي بن محمد آل عمر، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1428هـ- 2077م.

- طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون تأليف: أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1400هـ- 1980م.

- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبدالله البصري الزهري، دار صادر، بيروت. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- طبيعة المسيح تأليف: البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليركية، القاهرة.

- العذراء مريم: حياتها، رموزها وألقابها، فضائلها، تكريمها تأليف: الأنبا غريغوريوس، جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي، القاهرة.

- العرب النصارى- عرض تاريخي تأليف: حسين العودات، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى نيسان 1992.

- على طريق الأصالة: الأريوسية الموحدة تأليف: أنور الجندي، ضمن: موسوعة البحوث والمقالات العلمية. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية.

- على أعتاب الألفية الثالثة- الجذور المذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل تأليف: حمدان حمدان، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، الطبعة الأولى، كانون الثاني 2000م.

- الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم تأليف:عبد الراضي محمد عبد المحسن. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- الغارة على العالم الإسلامي تأليف: ا. ل. شاتلييه، لخصها ونقلها إلى العربية مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، جدة، الطبعة الثانية، 1387هـ.

- الغارة على العالم الإسلامي وصدام الحضارات إعداد: ربيع بن محمد بن علي. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- الفاتيكان والإسلام أهي حماقة؟ أم عداء له تاريخ؟ تأليف: محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2007م.

– فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم –رحمه الله– مفتي السعودية السابق.

- الفتاوى الكبرى تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1408هـ- 1987م.

- الفتح الإسلامي لمصر تأليف: أحمد عادل كمال، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ- 2003م.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح: عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تأليف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة السابعة، 1377هـ- 1957م. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم، مؤسسة السحاب، الطبعة الثانية، شعبان 1431هـ- يوليو 2010 م.

- الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم- دراسة تاريخية ودينية سياسية اجتماعية تأليف: سعد رستم، الأوائل، دمشق، الطبعة الثانية، 2005م.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل تأليف: أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.

- الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي تأليف: محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1384هـ- 1964م.

- الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه تأليف: حسن ظاظا، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1971.

- فكرة عامة عن الكتاب المقدس، عدة مقالات من مجلة مرقس، دار مجلة مرقس، القاهرة.

- في ظلال القرآن تأليف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة عشرة، 1412هـ. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية.

- في مقارنة الأديان بحوث ودراسات تأليف: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، مكتبة الزهراء، القاهرة، الطبعة الثانية، 1410هـ- 1990م.

- قاموس الكتاب المقدس ترجمة وتأليف: جورج بوست، المطبعة الأميركانية، بيروت، 1894م.

- قصة الحضارة تأليف: ول ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1408هـ- 1988م. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية.

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة لمحمد بن أحمد أبي عبدالله الذهبي الدمشقي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، 1413هـ- 1992م، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- الكامل في ضعفاء الرجال لعبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبي أحمد الجرجاني، دار الفكر، بيروت، 1409هـ- 1988م، الطبعة الثالثة. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- الكتاب المقدس: الترجمة العربية المشتركة من اللغات الأصلية مع الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، نشر: جمعية الكتاب المقدس في لبنان، العهد القديم- الإصدار الثاني 1995، الطبعة الرابعة، العهد الجديد- الإصدار الرابع 1993، الطبعة الثلاثون.

- الكتاب المقدس، الصادر عن الرهبانية اليسوعية، دار المشرق، بيروت، طبعة ثالثة، 1994م.

- الكتاب المقدس: النسخة التي ترجمها إيلي سميث وفان ديك عام 1865.

- الكتاب المقدس يتحدى نقاده والقائلين بتحريفه تأليف: القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، بيت مدارس الأحد، القاهرة، طبعة أولى، 2005م.

- الكفاية في علم الرواية لأحمد بن علي بن ثابت أبي بكر الخطيب البغدادي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- الكنى والأسماء لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبي الحسين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، سنة 1404هـ، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- الكنز الجليل في تفسير الإنجيل تأليف: وليم إدي، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، 1973م.

- الكنز اللغوي في اللَسَن العربي تأليف: ابن السكيت، أبي يوسف يعقوب بن إسحاق،تحقيق: أوغست هفنر، مكتبة المتنبي، القاهرة. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية.

- كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك إعداد: سامح حلمي.

- كنيستي عقيدة وإيمان تأليف: القمص مينا جاد جرجس، مكتبة المحبة.

-كيف تسللت الليبرالية للعالم الإسلامي تأليف: بسام البطوش. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- لاهوت عقائدي- لاهوت مقارن- حوارات مسكونية- أقوال آباء تدريس: الأنبا بيشوي، معهد الرعاية والتربية بالقاهرة والكلية الإكليريكية وفروعها- أسقفية التعليم والمعاهد الدينية- بطريركية الأقباط الأرثوذكس، الطبعة الحادية والعشرون، 2009- 2010.

- اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر تأليف: سليم بسترس.

- لسان العرب تأليف: محمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414 هـ. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية.

- لسان الميزان تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دائرة المعرف النظامية- الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، 1390هـ-1971م.

- لفائف البحر الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة- دراسة تحليلية تأليف: عبد الرزاق االحباشنة، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، الأردن.

- اللقاء بين الإسلام والنصرانية بين الدكتور الشيخ أحمد حجازي السقا والأنبا غريغوريوس، تأليف: الشيخ أحمد حجازي السقا، دار البشير، القاهرة.

- لماذا أنا مسلم ولست نصرانيًا؟ تأليف: أكرم حسن مرسي، مكتبة زين العابدين الإسلامية، القاهرة، الطبعة الثالثة.

- المؤامرة الكبرى على بلاد الشام تأليف: محمد فاروق الخالدي، دار المعالي، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1423هـ- 2002م.

- ما لا تعرفه عن المسيحية- حقائق مفقودة في عمق الإيمان المسيحي تأليف: محمد عنان، دار التحقيقات العلمية، الرياض، السعودية.

- ما هي النصرانية تأليف: محمد تقي العثماني، روايا للدراسات والبحوث، قطر، الطبعة الأولى، 1435هـ- 2014م.

- مباحث هامة فى المسيحية والإسلام -مَعَالِم أَسَاسِيَّة فى الدِّيَانَة المَسِيحِيَّة، إعداد : جمال الدين شرقاوى، نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- مجلة الراصد الإسلامية، نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- مجلة المنار، نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- مجلة المقتطف.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تأليف: أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ- 1994م. نقلًا عن المكتبة الشاملة الذهبية.
- مجموع الفتاوى تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، 1426هـ- 2005م. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- محاضرات في النصرانية تأليف: محمد أبو زهرة، الطبعة الثالثة، 1381هـ- 1981م، دار الفكر العربي، القاهرة.
- محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة تأليف: سامى عامرى، مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2006م. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- مختصر تاريخ دمشق تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- مخطوطات البحر الميت تأليف: أحمد عثمان، مكتبة الشروق.
- مخطوطات البحر الميت تأليف: بروز ميللر، ترجمة وتعليق: محمود العابدي، مراجعة: أمين أبو الشعر- عبد الرحمن بوشناق- هنري مطر، من منشورات دائرة الثقافة والفنون، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان الأردن، 1967م.
- المدخل إلى العهد الجديد تأليف: فهيم عزيز، دار الثقافة، القاهرة.
- مسند أبي يعلى لأحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلي التميمي، دار المأمون للتراث، دمشق، سنة 1404هـ- 1984م، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- معجم المطبوعات العربية، جمعه ورتبه: يوسف اليان سركيس. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم تأليف: محمد علي البار، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ- 1990م.
- المراسيل لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة 1397هـ، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- المساومة الكبرى من مخطوطات قمران إلى المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني تأليف: زينب عبد العزيز، الطبعة الثانية، 2008.
- المستدرك على الصحيحين تأليف: أبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ- 1990م.
- المستشرقون تأليف: نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، طبعة ثالثة.
- المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي تأليف: إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي، القاهرة.
- المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي تأليف: طارق سري، مكتبة النافذة، الجيزة- مصر.
- المسند للإمام أحمد بن حنبل شرحه ووضع فهارسه: أحمد محمد شاكر أكمله: حمزة أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، 1416هـ- 1995م.
- المسيح إنسان أم إله تأليف: محمد مجدي مرجان، مكتبة النافذة، القاهرة، الطبعة الثانية، 2004م.
- المسيح والتثليث تأليف: محمد وصفي، دار الفضيلة، القاهرة.

- المسيح في مصادر العقائد المسيحية خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب تأليف: أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1408هـ- 1988.
- المسيحية تأليف: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة، 1998.
- المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل تأليف: ساجد مير، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، 1423هـ- 2002م.
- المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم هي ديانة بولس؟ تأليف: نيقولا جورج بو خاروف.
- المسيحية نشأتها وتطورها تأليف: شارل جنيبير ترجمة: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، بيروت.
- المسيحية ومصر الفرعونية تأليف: باخوم فاخوري حنا.
- المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون تأليف: إ. س. سفينسيسكايا، ترجمة: حسان مخائيل اسحق، دار علاء الدين، دمشق، الطبعة الثانية، 2007م.
- المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد، الرياض، سنة 1409هـ، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- معجم الإيمان المسيحي تأليف: صبحي حموي اليسوعي، مراجعة: جان كوربون، دار المشرق، بيروت، طبعة ثانية، 1988.
- المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، سنة 1404هـ- 1983م، الطبعة الثانية. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية تأليف: عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت.نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- معجم المطبوعات جمعه ورتبه: يوسف اليان سركيس. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- المعجم الوسيط إصدار: مجمع اللغة العربية بمصر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1425هـ- 2004م.
- معرفة الثقات لأحمد بن عبد الله بن صالح أبي الحسن العجلي الكوفي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، سنة 1405هـ- 1985م، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- معركة التبشير والإسلام تأليف: عبد الجليل شلبي، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1409هـ- 1989.
- المغني في الضعفاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، الكتاب الأول: الأسطورة والأمبراطورية والدولة اليهودية تأليف: محمد حسنين هيكل، دار الشروق- القاهرة، الطبعة العاشرة، نوفمبر 2001م.
- المقتنى في سرد الكنى لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، سنة 1408هـ. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- الملل والنحل تأليف: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تصحيح وتعليق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1413هـ- 1992م.
- مماحكات التأويل في مناقضات الإنجيل تأليف: أحمد فارس الشدياق، دار وائل، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2003م.
- من تفسير وتأملات الآباء الأولين- الإنجيل بحسب القديس متى تأليف: القمص تادرس يعقوب ملطي، 1982م.
- منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل دراسة مقارنة تأليف: عزية علي طه.
- موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود. نقلًا عن المكتبة الشاملة.

- الموسوعة العربية العالمية، نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1431هـ- 2010م.
- موسوعة المستشرقين تأليف: عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1992م.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الرابعة، 1420هـ.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية إعداد: عبد الوهاب المسيري.
- ميامر السيدة العذراء مريم تأليف: القمص سمعان السرياني، مكتبة دير السريان العامر.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1995م، الطبعة الأولى. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام تأليف: أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت. نقلًا عن المكتبة الشاملة.
- النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية تأليف: لويس شيخو اليسوعي، دار المشرق، بيروت، طبعة ثانية، 1989م.
- النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت تأليف: جيزا فيرم، ترجمة وتقديم: سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، الطبعة الأولى، 1426هـ- 2006م.
- النصوص المسيحية في العصور الأولى- القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد- الدفاعان والحوار مع تريفو ونصوص أخرى.
- نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى تأليف: القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس باسبورتنج، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2008م.
- نفي ألوهية الروح القدس تأليف: على الريس، هادف للنشر والتوزيع.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم- دمشق، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.
- الهرطقة في المسيحية تاريخ البدع الدينية المسيحية تأليف: ج. ويلتر، ترجمة: جمال سالم، دار التنوير، بيروت، 2007م.
- هل افتدانا المسيح على الصليب؟ تأليف: منقذ بن محمود السقار، دار الإسلام، الطبعة الأولى، 1428هـ- 2007م.
- وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني، المكتبة الكاثوليكية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2000م.
- اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد تأليف: فيصل بن علي الكاملي، مجلة البيان- مركز البحوث والدراسات، الرياض، الطبعة الأولى، 1431هـ- 2010م.
- يقظة العرب- تاريخ حركة العرب القومية تأليف: جورج انطونيوس، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، يناير 1987م.
- اليهود في عصر المسيح عليه السلام تأليف: سيد محمد عاشور، دار القلم، دمشق.
- اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية تأليف: محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي، دار الإسراء، الرياض، الطبعة الأولى، 1412هـ- 1992م.

***

- The American Standard Version of the Holy Bible, first published in 1910.

- The Church in Ancient Society From Galilee to Gregory the Great, by HENRY CHADWICK, Oxford University Press, U K, 2001.

- The Early Church, by HENRY CHADWICK, Penguin Books, England, 1973.

- Encyclopædia Britannica Ultimate Reference Suite. Chicago: Encyclopædia Britannica, 2015.

- ENCYCLOPEDIA OF WORLD HISTORY, by Marsha E. Ackermann, Michael J. Schroeder, Janice J. Terry, Jiu-Hwa Lo Upshur, and Mark F. Whitters, Facts On File, Inc., New York.

- Holy Blood, Holy grail, by: Michael Baigent, Richard Leigh and Henry Lincoln, 2004.

- The Jerusalem Bible, general editor: Alexander Jones, Doubleday & Company, Inc., Gaden City, New York, 1966.

- The Jerusalem Bible, Reader's Edition, general editor: Alexander Jones, Doubleday & Company, Inc., Gaden City, New York, 1968.

- Microsoft Encarta, 2009, 1993-2008, Microsoft Corporation.

- The Myth of God Incarnate, edited by JOHN HICK, SCM PRESS. London, 1977.

- The New Jerusalem Bible NJB, 1986.

- WORLD ENGLISH BIBLE: The HOLY BIBLE with Deuterocanon/ Apocrypha, 2017.

- World English Bible British Edition with Deuterocanon, 2017.

***

الفهرس